الجزء الأول من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب سر بدء زمانه
وبادرة أوانه العلامة أحمد المقري المغربي
المالكي الأشعري تغمده الله تعالى
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين
آمين

جعل بهوامش أجزائه الأول والثاني والثالث [illegible] التاريخ [illegible] في [illegible]
المسمى مروج الذهب ومعادن الجوهر للإمام أبي الحسن [illegible] المسعودي [illegible] الله مثواه
في دار المستقر وابتدئ بهامش جزئه الرابع بالكتاب [illegible] تحفة الأحباب
وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات وما [illegible] للعلامة
السخاوي الهمام أمطر الله تعالى عليه [illegible] الإكرام

(الطبعة الأولى)

(بالمطبعة الأزهرية المصرية)

(سنة ١٣٠٢ هجرية)



يقول العبد الفقير * الذليل المضطر الحقير * من هو من صالح الاعمال عرى * أحمد بن محمد الشهير بالمقرى * المغربي المالكي الاشعرى * أصلح الله تعالى حاله * وجعل في مرضاته حله وترحاله * وختم بغيث الطاعة والرضوان أعماله * وأنجح بلوغ آماله ابتداء وانتهاء * (أحمد) من عرف من حلى الأمصار وحلى الأعيان * على تداول الاعصار وتناوب الاحيان * ما فيه تذكرة لاولى الابصار وارشادا الى معرفة البيان * واعتبار أخبار راق وصفها وراق * (وشرف) من صرف المطامع والمطامح * الى تحصيل ما أفاد لسان الدين من كلم جوامع * وتحصيل ما أجاد من حكم بوالغ بعضها لاعجاز هوامع * واقتناء ذخائر المهتدين التي تستعذبها اللوامع الآذان والمسامع * من كل منتظم من سلك البراعة أوراق * (حتى) توج الخطيب المجيد رؤس المنابر بفرائد الكلام * وحلى الكاتب الاديب المجيد صدور المهارق من فوائد الاعلام * وحكم الطبيب الاريب المفيد من أشهد المفاخر عرابيد الاقلام * عيون أوراق * (وأشهد) أن لا إله الا الله لا شريك له الذي ابتدأ الخلق من غير مثال ولا براء * وقسم العباد الى حاضر وباد * وخامل وقاصر وكامل * تشريفا بين الاماثل ايدي الكبراء * والذي في اختلاف أعراضهم وتباين أدواتهم وأغراضهم وتغاير ألسنتهم وأمكنتهم وأ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله أهل الحمد ومستوجب الثناء والمجد وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما الى يوم الدين

(باب ذكر جوامع أغراض هذا الكتاب)

أما بعد فانا صنفنا كتابنا في أخبار الزمان وقدمنا القول فيه في هيئة الارض ومدنها وعجائبها وبحارها وأغوارها وجبالها وأنهارها وبدائع معادنها وأصناف مناهلها وأخبار غياضها وجزائر البحار والبحيرات الصغار وأخبار الابنية المعظمة والمساكن المشرفة وذكرنا شأن المبدا وأصل النسل وتباين الاوطان وما كان نهرا فصار بحرا وما كان بحرا فصار برا وما كان برا فصار بحرا على مرور الايام ومرور الدهور وعلة ذلك وسببه الفلكي والطبيعي

وأكوانهم ومناصبهم ومناسبهم ‍تبرا * وجعل الدنيا لمن أتيح صغرا أو كبرا * ولبس
منهم مسوحا او حبرا * أو أخلد الى الارض او صعد منبرا * جسرا الى الآخرة ومعبرا
وحكم وهو الفاعل المختار على الجميع بالموت فكان لمبتداهم خبرا * فياله من داء أعيا كل
معالج أو راق * (فسبحانه) من اله انفرد بوجوب القدم والبقا واختص بفضله من شاء فارتقى
وعم تعالى ذوى السعادة والشقا بالحدوث والفنا * وأذاق من فراق الدنيا كل من فيها
بلا ثنيا فمن وفق فنى عن جفنه وسنا * او خذل بجرّ في ميدان الاغترار رسنا وزين له
عياذا بالله سوء عمله فرآه حسنا * طعم شعوب المر الجنى * فلم يغن منه عن ذوى الغنى والغناء *
وأهل السناء والسنا * من استظهر وابه من أرباب الصوارم والقنا وأصحاب النظم والنثر
والجدال والفخر والمدح والثنا * فأولئك ألقوا السلاح مذعنين مستبصرين موقنين
اذجاء الحق وزهق الباطل وولى الامترا * وهؤلاء تركوا الاصطلاح معلنين عالمين
انهم لم يكونوا في التمويه محسنين وكيف لا وقد اضمحل الغرور والاجترا * وذهب والله
الجور والافترا * وبدل مذق الاطراء بصدق الاطراق * (وأشكره) جل وعلا على أن علم
بالقلم مالم نعلم * ونبه بآثاره الدالة على اقتداره الى سلوك الطريق الاقوم الواضح
المعلم * وأرشد من أشرق فكره وأضا الى التفويض لاحكام القضا ومن ذا يرد ما أمضى
أو ينقض ما أبرم والتسليم على كل حال أسلم * وأمر جل اسمه بالتدبر في أنباء من مضى
والنظر في عواقب أحوال الذين زال أمرهم وانقضى من صنوف الامم * ووبخ من دجا قلبه
بالاعراض عن ذلك وأظلم * وشتان ما بين اللاهى والمتذكر والساهى والمتفكر والناجى
والهالك المتحير والداجى الحالك والمشرق النير * وما يستوى الظل والحرور والحزن
والسرور والظلمات والنور ذو البهجة والاشراق * (وأصلى) ازكى الصلاة والسلام هدية
لحضرة سيد الانام ولبنة التمام من زويت له من الارض المغارب والمشارق * وتم به نظام
أنبياء الله ورسله العظام وأزاح نوره الضلال والظلام حتى أضاءت بوسمه المساجد
وازدانت باسمه المهارق * وألقى الموفق الموافق لدعوته بيد الاستسلام وذلك شأن ذوى
العقول الراجحة والأحلام غير خائف من عتب ولا مترقب لملام فأمن من الطوارئ
والطوارق * وتمت كلمة الاسلام الذى اتضح برهانه لذى بصر وبصيرة لا يحتاج الى زيادة
الاعلام وعلت سيوف توحيد الملك العلام * من المعاند المفارق المفارق * وخضبتها
بحناء النجيع الرقراق * (النبي) الامى الامين الداعى جميع العالمين الى سلوك منهاج
ماله من هاج ذى أضواء شوارق * سيد الرسل الغر الميامين ملجأ الامة جعلنا الله ممن نجا
بالتجائه اليه آمين الذى أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وانشق
له الزبرقان ونبع الماء من بين أصابعه زيادة في الايقان * وسلمت عليه الاحجار وانقادت
لامره الاشجار متفيئة ظلاله الشريفة وخطت في الارض أسطرا مبدعة الاتقان الى غير
ذلك من معجزاته الخوارق * فهو صاحب الدعوة الجامعة والبراهين اللامعة والادلة
التى سقت الشجرة الطيبة غيوثها النافعة الصيبة الهامية الهامعة الصادقة البوارق *
فأثمرت النجاة والفوز والفلاح وأورقت بالهدى أحسن ايراق * (أسنى) رسول بعث الى

وانقسام الاقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الاوتاد ومقادير النواحى والآفاق وتباين الناس فى الآثار
القديم واختلافهم فى بدء
وأوليته من الهند وأصناف
الملحدين وما ورد فى ذلك
عن الشرعيين وما نطقت
به الكتب وورد على
الديانيين (ثم أتبعنا ذلك
باخبار الملوك الغابرة
والامم الداثرة والقرون
الخالية والطوائف البائدة
على مر سيرهم فى تغير أوقاتهم
وتصنيف أعصارهم من
الملوك والفراعنة العادية
والاكاسرة واليونانية وما
ظهر من حكمهم ومقاتل
فلاسفتهم واخبار ملوكهم
وأخبار العناصر الى ما فى
تضاعيف ذلك من أخبار
الانبياء والرسل والاتقياء
الى ان أفضى الله بكرامته
وشرف برسالته محمدا نبيه
صلى الله عليه وسلم فذكرنا
مولده ومنشأه وبعثته
وهجرته ومغازيه وسراياه
الى أوان وفاته واتصال
الخلافة واتساق المملكة
بزمن زمن ومقاتل من ظهر
من الطالبيين الى الوقت
الذى شرعنا فيه تصنيف
كتابنا هذا من خلافة
المتقى لله أمير المؤمنين
وهى سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة (ثم اتبعناه) بكتابنا
الاوسط فى الاخبار على
التاريخ وما اندرج فى السنين
الماضية (ومن لدن البدء الى الوقت الذى عنده انتهى كتابنا الاعظم وما تلاه من الكتاب الاوسط رأينا) ايجاز ما بسطناه

الارض وأعظمهم جلاله * وأكثرهم تابعا فى الطول منها والعرض ولم لا وقد ظهر به الحق لمن أمه مسترشدا وجلاله * وأسمى من جاء بتبيين السنة والفرض وأعمهم دلاله منقذ البرايا فى الدنيا ويوم العرض الآخذ بحجزهم عن النار والضلاله * الداعى الى تقديم الخير وحسن القرض الحريص على هداية الخلق المبلغ لهم أحكام الحق من غير ضجر ولاملاله * ذو الفضل العظيم الذى لم يختلف فيه من أهل العقول اثنان والمجد الصميم الثابت الاصول الباسق الافنان المنتقى من محتد معد بن عدنان المنتخب من خير عنصر وأطهر سلاله * شفيعنا وملاذنا وعصمتنا ومعاذنا وثمالنا الذى نجحت به آمالنا وزكت أقوالنا وأعمالنا * ووسيلتنا الكبرى وعمدتنا العظمى فى الاولى والاخرى وكنزنا الذى أعددناه لازاحة الغموم ذخرا * وغيثنا وغوثنا وسيدنا ونبينا ومولانا محمد الطيب المنابت والاعراق (صلى) الله وسلم عليه ووجه وفود التعظيم اليه من مفرد فى جماله صار يجمع الانبياء تماما * وفذ فى كماله تقدم فى حضرة التقديس التى أسست على التشريف أعظم تاسيس بالمرسلين اماما * وصدر تحلى بجميل الاوصاف كالوفاء والعفاف والصدق والانصاف فزكا فى أعماله وبلغ الراجى منتهى آماله ولم يخلف وعدا ولم يخفر ذماما * وسيد كسى حلل العصمه من كل مخالفة وذنب ووصمه فلم يصرف لغير طاعة مولاه الذى اولاه من التفضيل ما أولاه اهتبالا واهتماما * وعلى آله وعترته الفائزين بأثرته أنصار الدين والمهاجرين المهتدين وأشياعه وذريته الطالعين نجوما فى سماء شهرته وأتباعهم القائمين بحقوق نصرته * أرباب العقل الرصين الفاتحين بسيوف دعوته أبواب المعقل الحصين حتى بلغت أحكام ملته وأعلام بعثته من بالاندلس والصين فضلا عن الشأم والعراق * (ورضى) الله تعالى عن علماء أمته المصنفين فى جميع العلوم والفنون وعظماء سنته الموفين للطلاب بالآراب المحققين لهم الظنون * وحكماء شرعته المتبصرين بحدوث من مرت عليه الايام والشهور وكرت عليه الآناء والدهور والاعوام والسنون * المتدبرين فى عواقب من كان بهذه البسيطة من السكان المتذكرين على قدر الامكان عن ظعنته رحا المنون * من أملاك العصور الخاليه وملاك القصور العاليه وذوى الاحوال التى هى بسلوك الاختلاف حاليه * من بصير وأعمى وفقير وذى نعمى ومختال تردى بكبريائه ومحتال على ما بايدى الناس بسمعته وريائه * وعاقل أحسن العمل وغافل افتتن بالامل * وكارع فى حياض الشريعه ورائع برياض الآداب المريعه وذى ورع سد عما رابه الذريعه وأخى طمع فى أن يدرك آرابه من الدنيا الوشيكة الزوال السريعه * ومقتبس من نبراس الروايه وملتبس بأدناس الغوايه * وشاعر هام فى كل واد وقال ما لم يفعل فكان للغاوين من الرواد * وجاهل عمر الخراب وخدع بالسراب عن أعذب الشراب * ومحقق علم أنه اذا جاء القدر عمى البصر ممن كان أحذر من غراب وموفق تيقن أن غير الله فان وكل الذى فوق التراب تراب * ومن متخلق متجرد تصوف ومتعلق متفرد تشوق الى ما فيه رضا الرب وتشوف وناه ذكر بايام الله ووعظ وخوف * ولاه اغتر بالباطل فهو بالحق مماطل وطالما أخر وسوف * وأبعد الانتجاع ثم أوى

واخبار الامم الماضية والاعصار الخاليه مما لم يتقدم ذكره فيهما على انا نعتذر من تقصير ان كان وتنتصل من اغفال او عرض لما قد شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الاسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعملين بدائع الامم بالمشاهدة عارفين خواص الاقاليم بالمعاينة كقطعنا بلاد السند والزنج والصنف والصين والرانج وتقحمنا الشرق والغرب فتارة بأقصى خراسان وتارة بوسائط ارمينية واذربيجان والموات والطالقان وطورا بالعراق وطورا بالشام فسيرى فى الآفاق سرى الشمس فى الاشراق كما قال بعضهم

تيمم أقطار البلاد فتارة
لدى شرقها الاقصى وطورا الى الغرب
سرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى
الى أفق ناء يقصر بالركب

قال المصنف ثم مفاوضتنا فى أصناف الملوك على تغاير اخلاقهم وتباين هممهم وتباعد ديارهم وأخذنا مسالك من مواقفهم على ان العلم قد

بادت آثاره وطمس مناره وكثر فيه العناء وقل الفهماء فلا تعاين الا مموها جاهلا ومتعاطيا

ناقصا قد قنع بالظنون وعمى عن اليقين لم ير الاشتغال بهذا الضرب من العلوم • والتفرغ لهذا الفن من الآداب حتى

من باطنه الى بيت قعيدته لكاع نفس أمارة بعدما طوّف * ومن مادح نظم الأ لاء نظ.
اللآ ل وكادح طمس لألاء العز بظلمة ذل السؤال * فجعل القصائد مصايد والرسائل
وسائل والمقطعات مرقعات فآل أمره الى ما آل * ومن مخبر بما سمع ورأى حين
اغترب عن مكانه ونأى او أقام فى أوطانه فبلغ ما قدّر ووأى * ومن مجازف لا يفرق بين
الغث والسمين والامرار والاحلاء * وعارف ثقة أمين نظم در الصدف الثمين فى
أسلاك الكتابة والاملاء * وعاشق خنساء فكره ذات الصدار من الشجون والشعار
تبكى على صخر قلب المحبوب * وتذكره كلما طلعت شمس أو كان للصبا هبوب فتأتى بما
يطفى وقود الجوى المشبوب من بحار الاشعار * وليلى شوقه العفيفة عن العار ترفل
فى ثوب من التصبر معار وقيس توقه من ثوب السلو عار * قد توله واشتاق خصوصا عند
انتشاق البشام والعرار * وذلق لما ارق فلم يقرّ به قرار * فاعتراه ما براه وألف البكاء بحكم
الاضطرار * ولبس ثياب النحول والاصفرار وأسر لما هزمت جيوش صبره وأزمعت
الفرار * فتحير مما شجاه وسأل النجاه من أسر الفراق

سبحان من قسم الحظو * ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو * بصر وزرقاء اليمامه
ومسدّد أو جائر * أو حائر يشكو ظلامه
لولا استقامة من هدا * ملما تبينت العلامه
ومجاور الغرر المخيـ * ـف له البشارة بالسلامه
وأخو الحجا فى سائر الانفاس مرتقب حمامه
وكما مضى من قبله * يمضى ولم يقض الترامه
والجاهل المغترمن * لم يجعل التقوى اغتنامه
فليرفض العصيان من * يخشى من الله انتقامه
وليعتبر بسواه من * لصلاحه صرف اهتمامه
فالعيش فى الدنيا الدنية غير مرجوّ الادامه
من أرضعته ثديها * فى سرعة تبدى فطامه
من عز جانبه بها * تنوى على الفور اهتضامه
واذا نظرت فأين من * منعته أو منحت مرامه
ومن الذى وهبته وصـ * ـلا ثم لم يخش انصرامه
ومن الذى مدت له * حبلا فلم يخف انفصامه
كم واحد غرته اذ * سرته مخفية الدمامه
قعدت به من حيث لم * يعلم فلم يملك قيامه
أين الذين قلوبهم * كانت بها ذات استهامه
أين الذين تفيؤا * ظل السيادة والزعامه
أين الملوك ذووا ربا * سة والسياسة والصرامه

صنفنا كتبنا من ضروب المقالات وأنواع الديانات ككتاب الابانة عن اصول الديانة وكتاب المقادير فى اصول الديانات وكتاب سر الحياة وكتاب نظر الادلة فى اصول الملة وما اشتمل عليه من اصول الفتوى وقوانين الاحكام كتيقن القياس والاجتهاد فى الاحكام ووقع الرأى والاستحسان ومعرفة الناسخ من المنسوخ وكيفية الاجماع وماهيته ومعرفة الخاص والعام والاوامر والنواهى والحظر والاباحة وما أتت به الاخبار من الاستفاضة والآحاد وافعال النبى صلى الله عليه وسلم وما الحق بذلك من اصول الفتوى ومناظرة أبناء الخصوم فيما نازعونا فيه وموافقتهم فى شئ منه وكتاب الاستبصار فى الامامة ووصف اقاويل الناس فى ذلك من اصحاب النص والاختيار وحجاج كل فريق منهم وكتاب الصفوة فى الامامة وما احتواه ذلك مع سائر كتبنا فى ضروب علم الظواهر والبواطن والجلى والخفى الداثر وايقاظنا على ما يرتقبه المرتقبون ويتوقعه المحدثون وما ذكروه من نور يلمع فى الارض وينبسط فى الجدب والخصب وما فى عقب الملاحم الكائنة الظاهر لنا أوها المنجلى اوائلها الى سائر كتبنا فى السياسة كالسياحة المدنية واجزاء

و بنو أمية حين جمع عصرهم لهم فنامه
وتمكنوا ممن يحا * ول نقض ماشاؤا انبرامه
وتعشقوا المابدا * لهم محيا الارض شامه
وتاملوا وجه البسيـ * طة فانثنوا يهوون شامه
حتى تقلص ظلهم * وأراهم الدهر اخترامه
أين الخلائف من بني العـ * ـباس والبر القسامه
أين الرشيد وأهله * و بنوه أصحاب الشهامه
ووزيره يحيى وجعـ * ـفر ابنه الراوي احتشامه
والفضل مدني من يقو * ل لمن يلوم على الندى مه
أم أين عنترة الشجا * ع وذو الجدا كعب بن مامه
والزاعمون بجهلهم * أن القبور صدى وهامه
والمكثرون من الجو * ن اذا شكا الفكر اغتمامه
أين الغريض ومعبد * أو أشعب وأبو دلامه
أين الألى هاموا بسـ * ـعدى أو بثينة أو أمامه
و بكوا الفرط جواهم * والليل قد أرخى ظلامه
وتتبعوا آثار من * عشقوا بنجد أو تهامه
وتعللوا والشوق يغـ * ـلب بالاراكة والبشامه
أضنى النوى قيسا فقا * سى لا عجا أغرى غرامه
وغوى هوى غيلان مذ * أبدى عبثه هيامه
أين الاكاسر والقيا * صرة المخلون القمامه
أين الذي الهرمان من * بنيانه الحاكي اعتزامه
أم أين غمدان وسيـ * ـف والوفود به أمامه
أين الخورنق والسديـ * ـر ومن شفى بهما أوامه
ومدائن الاسكندر اللاتي لها أعلى دعامه
أين الحصون ومن يصو * ن بها من الاعدا حطامه
أين المراكب والموا * كب والعصائب والعمامه
أين العساكر والدسا * كر والنداما في المدامه
وسقاتها المتلاعبو * ن بلب من أعطوه جامه
من كل أهيف يزدري * بالغصن ان يهزز قوامه
ذي غرة لالاؤها * تمحو عن النادي ظلامه
فالشمس في أزراره * والبدر في يده قلامه
يصمي القلوب اذا رمى * عن قوس حاجبه سهامه

بية تركيب العوالم
جسام السماوية وما
سوس وغير محسوس
كثيف واللطيف
ل أهل الملة في ذلك
مادعاني الى تأليف
هذا في التاريخ
ار العالم وما مضى في
ف الزمان من أخبار
اء والملوك وسيرها
ومساكنها عجيبة
ذاء الشاكلة التي
العلماء وقفاها
ماء وان يبقى للعالم
مودا وعلما منظوما
فانا وجدنا مصنفي
كتب في ذلك مجيدا
را ومنتهيا ومختصرا
دنا الاخبار زائدة
دة الايام حادثة مع
الازمان وربما غاب
منها على الفطن
ولكل واحد قسط
قدار عنايته ولكل
ائب يقتصر على
هله وليس من لزم
لنه وقنع بما هي اليه
بار عن اقليمه كمن
ه على قطع الاقطار
ع ايامه بين تقاذف
ار واستخراج كل
ن معدنه واثارة
ـ من مكمنه وقد
س كتبا في التاريخ
وعما يسلف وخلف فاصاب البعض واخطأ البعض وكل قد اجتهد بغاية امكانه واظهر مكنون

ويروق حسنا ان رنا * ويفوق آراما برامه
أنى لها ثغر حلا * ذوقا لمن رام التثامه
أنى لها وجه يشب بقلب مبصره ضرامه
استغفر الله للغـ * ـنا ولا يرى الشرع اعتيامه
بل اين ارباب العلو * م اولوا التصدر والامامه
وذووا الوزارة والحجا * بة والكتابة والعلامه
كانهم سكنوا بانـ * ـدلس فلم يشكوا سآمه
هي جنة الدنيا التي * قد اذكرت دار المقامه
لاسيما غرناطة الـ * ـغراء رائقة الوسامه
وهي التي دعيت دمشـ * ـق وحسبها هذا فخامه
لنزول اهليها بها * اذ اظهر الكفر انهزامه
وأتت جيوش الشام من * باب نفى الفتح انبهامه
فسلوا بها عن جلق * اذ اشبهتها في الفخامه
وبدا لهم وجه المنى * واراهم الثغر ابتسامه
وتبوؤها حضرة * تبرى من المضنى سقامه
برواتها وبمائها * وهوائها النافي الوخامه
ورياضها المهتزة الاعطاف من شدو الحمامه
ومرجها النضر الذي * قد زين الله ارتسامه
وقصورها الزهر التي * يأبى بها الحسن انقسامه
ياليت شعري أين من * امضى بها الملك احتكامه
واتيح في حمرائها * عز ابه زان اتسامه
ابن الوزير ابن الخطيـ * ـب بها فما احلى كلامه
فلكم ابان العدل في * ارجائها وبها اقامه
ولكم اجار عداوكم * اجرى ندى والى انسجامه
راعت صروف الدهر دو * لته وما راعت ذمامه
حتى ثوى اثر النوى * في حفرة نثرت نظامه
من زارها في ارض فا * س اذهبت شجوا منامه
اذ نبهته لكل شمـ * ـل شتت الموت التئامه
هذا لسان الدين اسـ * ـكته واسكنه رجامه
ومحا عبارته فمن * حياه لم يردد سلامه
فكانه ما امسك الـ * ـقلم المطاع ولا حسامه
وكانه لم يعل متـ * ـن مطهم بارى النعامه
وكانه لم يرق غا * رب الاعتزاز ولا سنامه

معمر بن المثنى و العباس الهمداني واله ابن عدي الطائي والمد ابن القطامي وحماد الراو والاصمعي وسهل بن هر وعبدالله بن المقفع واليزي ومحمد بن عبدالله العتـ والآمدي وأبي ز سعيد بن أوس الانصاري والنضر بن شميل وعبيدالـ ابن عائشة وابي عبيد الـ القاسم بن سلام وعلي ـ محمد المدائني ودمار بـ ربيع بن سلمة ومحمد بن سلام الجمحي وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وابي زيد عمر بن شبة النميري والزرقي الانصاري وابي السائب المخزومي وعلي ابن محمد بن سليمان النوفلي والزبير بن بكار والانجيلي والرياشي وابن عائشة وعما ابن وسيمة المصري وعيسى بن لهيعة المصري وعبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم المصري وابي حسان الزيادي ومحمد بن عيسى الخوارزمي وابي جعفر محمد بن أبي السري ومحمد بن الهيثم بن شبابة الخراساني صاحب كتاب الدولة واسحق بن ابراهيم الموصلي صاحب كتاب الاغاني وغيره من الكتب والخليل بن الهيثم الخرثمي صاحب كتاب الحيل والمكايد في الحروب وغيره ومحمد بن يزيد المبرد الازدي ومحمد بن سليمان المنقري الجوهري ومحمد بن

وكأنه لم يجـل وجـ * ـها حاز من بشر غمامه
وكأنه ماجال فى * امر ولا نهى وسامه
وكأنه ما نال من * ملك حباه ولا احترامه
وكأنه لم يلق فى * يده لتدبير زمامه
مذ فارق الدنيا وقوض عن منازلها خيامه
أمسى بقبر مفردا * والترب قد جمعت عظامه
من بعد تثنية الوزا * رة جاده صوب الغمامه
لم يبق الا ذكره * كالزهر مفتر الكمامه
والعمر مثل الضيف او * كالطيف ليس له اقامه
والموت حتم ثم بعـ * ـد الموت أهوال القيامه
والناس مجزيون عن * أعمال ميل واستقامه
فذوو السعادة يضحكو * ن وغيرهم يبكى ندامه
والله يفعل فيهـم * ماشاء ذلا اوكرامه
ويشفع المختار فيـ * ـهم حين يبعثه مقامه
وعليه خير صلاته * مع صحبه تتلو سلامه
والتابعين ومن بدا * برق الرشاد له فشامه
مافاز بالرضوان عبـ * ـد كانت الحسنى ختامه

والله سبحانه المسؤل فى الفوز والنجاة كرما منه وحلما * فبيده الخير لا اله الا هو العلى الكبير العليم الخبير الذى احاط بكل شئ علما * فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء من مخلوقاته على الشمول والاستغراق * (أما بعد) حمدا لله مالك الملك * والصلاة على رسوله المنجى من الهلك * والرضا عن آله وصحبه الذين تجلت بأنوارهم الظلم الحلك وعن العلماء الاعلام الخائضين بحار الكلام المستوين من البلاغة على الفلك * (فيقول) العبد الحقير * المذنب الذى هو الى رحمة ربه الغنى فقير * المقصر المتبرئ من الحول والقوه المتمسك بأذيال الخدمة للسنة والنبوه وذلك بفضل امان وبراءه * الضعيف الفانى الخطاء الجانى من هو من لباس التقوى عرى * احمد بن محمد بن احمد الشهير بالمقرى المغربى المالكى الاشعرى التلمسانى المولد والمنشا والقراءة * نزيل فاس الباهره ثم مصر القاهره أصلح الله احواله الباطنة والظاهره وجعله من ذوى الاوصاف الزكية والخلال الطاهره وسدد فى كل قصد انحاءه وآراءه * ووفقه بمنه وكرمه للاعمال الصالحه والطاعات الناجحة الراجحه والمتاجر المغبوطة الرابحه والمساعى الغادية بالخير الرائحه ووقاه ما بين يديه وورآءه * وكفاه مكر الكائد وافتراءه * وجدال الحاسد المتأسد ومراءه * وجعل فيما يرضيه سوءه وشراءه * آمين انه لما قضى الملك الذى ليس لعبيده فى أحكامه تعقب اورد * ولا محيد عما شاءه سواء كره ذلك المرء اورد * برحلتى من بلادى ونقلتى عن محل طارفى وتلادى بقطر المغرب الاقصى * الذى تمت محاسنه لولا أن سماسرة الفتن سامت

زكريا العلائى المصرى المصنف للكتاب المترجم بكتاب الاجواد وغيره وابن أبى الزينى مؤدب المكتفى بالله واحمد بن محمد الخزاعى المعروف بالخاقانى الانطاكى وعبد الله محمد بن محفوظ البلدى الانصارى صاحب أبى يزيد عمارة بن زيد اليمنى ومحمد البرقى بن خالد البرقى الكاتب صاحب التبيان وولده احمد بن محمد بن خالد البرقى واحمد ابن ابى طاهر صاحب الكتاب المعروف باخبار بغداد وغيره وابى الوشاء وعلى بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف باخبار الامويين وغيره ومحمد بن صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ويوسف بن ابراهيم صاحب أخبار ابراهيم بن المهدى وغيرها ومحمد بن الحرث التغلبى صاحب الكتاب المعروف باخبار الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره وأبى سعيد السكرى صاحب كتاب أبيات العرب وعبد الله بن عبد الله بن حسن بن داريه فانه كان اماما فى التأليف متنوعا فى ملاحة التصنيف اتبعه من بعده واخذ منه ووطئ على عقبه وقفا أثره واذا اردت ان تعلم صحة ذلك فانظر الى كتابه الكبير فى التاريخ فانه أجمع هذه الكتب حدا وأبدعها نظما وأكثرها علما وأحوى لاخبار الامم وملوكها وسيرها من الاعاجم وغيرها ومن كتبه النفيسة فى المسالك والممالك

بضائع

بدائع أمنه نقصا * وطما به بحر الاهوال فاستملت شعراء العيش فى كامل رونقه من الزحاف اضمارا وقطعا ووقصا

قطر كان نسيمه * نفحات كافور ومسك
وكان زهر رياضه * در هوى من نظم سلك

وذلك أوائل رمضان من عام سبعة وعشرين بعد الالف تاركا المنصب والاهل والوطن والالف

بلد طاب لى به الانس حينا * وصفا العود فيه والابداء
فسقت عهده العهاد ورقت * منه تلك النوادى الانداء

وماعسى أن اذكر فى اقليم تعين لحجة فضله التسليم

أضواؤه طبق المنى وهواؤه * يشتاقه الولهان فى الاسحار
والطبع معتدل فقل ماشئته * فى الظل والازهار والانهار

محل فتح الكمائم ومسقط الرأس وقطع التمائم

به كان الشباب اللدن غضا * ودهرى كله زمن الربيع
ففرق بيننا زمن خؤن * له شغف بتفريق الجميع

لم أنس تلك النواسم التى أيامها للعمر مواسم وثغورها بالسرور بواسم فصرت اشير اليها وقد زمت للرحيل القلص الرواسم

ولنا بها تيك الديار مواسم * كانت تقام لطيبها الاسواق
فأبا ننا عنها الزمان بسرعة * وغدت تمد لنا بها الاشواق

وأنشد قول غيلان

أمنزلتى مى سلام عليكما * هل الازمن اللائى مضين رواجع

واتمثل فى تلك الحدائق التى حمائمها سواجع بقول من جفونه من الموت غير هواجع

تشدو بعيدان الرياض حمائم * شدو القيان عزفن بالاعواد
ماد النسيم بقضبها فتمايلت * مهتزة الاعطاف والاجياد
هذى تودع تلك توديع التى * قد آذنت منها بوشك بعاد
واستعبرت لفراقها عين الندى * فابتل مئزر عطفها المياد

وأحدق النظر الى روض لانسان العين من فراقه فى بحر الدموع سبح وخوض

روض به أشياء ليست فى سواه تؤلف
فمن الهزار ترنم * ومن التضيب تقطف
ومن النسيم تلطف * ومن الغدير تعطف

والتفت كالمستريب والحى اذ ذاك قريب وحديث العهد ليس بمنكر ولا غريب

أهذا ولما تمض للبين ساعة * فكيف اذا مرت عليه شهور

والآثار لائحة والشمال غادية ورائحة

أرى آثارهم فأذوب شوقا * وأسكب من تذكرهم دموعى

وغير ذلك مما اذا طلبته وجدته واذا تفقدته جدته وكتاب التاريخ من المولد الى الوفاة ومن كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك الى خلافة المعتضد بالله وما كان من الاحداث والكوائن فى أيامهم وأخبارهم تاليف محمد بن على وكتاب النسب لاحمد بن على البلاذرى وكتابه أيضا فى البلدان وفتوحها صلحا وعنوة من هجرة [illegible] وما فتح فى أيامه وعلى يد الخلفاء بعده وما كان من الاخبار فى ذلك ووصف البلدان فى الشرق والغرب والجنوب ولا نعلم فى فتوح البلدان أحسن منه وكتاب داود بن الجراح فى التاريخ الجامع لكثير من اخبار الفرس وغيرها من الامم وهو جد الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والكوائن فى الاعصار قبل الاسلام وبعده تأليف أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سواد المعروف بابن اخت عيسى ابن برخان شاه بلغ فى تصنيفه الى سنة عشرين وثلثمائة وتاريخ أبى عيسى بن المنجم على ما انبأت به التوراة وغير ذلك من اخبار الانبياء والملوك وكتاب التاريخ وأخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وما بانوا به عن غيرهم وما أحدثوه من السير فى أيامهم تأليف أبى عبد الرحمن خالد بن هشام الاموى

وأسأل من قضى بفراق حبي * يمن على منهم بالرجوع
والنفس متعللة ببعض الانس والمشاهد الحميدة لم تنس
تلك العهود بشدها مختومة * عندي كما هي عقدها لم يحلل
غير ان الرحيل عن الربع المحيل فصل به بين الشائق والمشوق وحيل
وقفنا بربع الحب والحب راحل * نحاول رجعاه لنا ونحاول
وألقت دموع العين فيه مسائلا * لها عن عبارات الغرام دلائل
وبالسفح منها كم سقيت لبانها * فيلته والسفح للبان مائل
اذا نسمة الاحباب منها تنسمت * تطيب بها اسحارنا والاصائل
تثير شجوني ساجعات غصونها * فنها على الحالين هاجت بلابل
مرابع ليلى في مراتع لذتي * مطالع اقماري بها والمنازل

فحياها الله من منازل ذات اقمار سائرة فيها ومناز لا يحصي الواصف محاسنها وامداح اهلها ولا يستوفيها

حلوا عقود اصطباري عند ما رحلوا * وفي الخمائل حلوا مثل امطار
ان المنازل قد كانت منازه اذ * باتوا بها وهي اوطاني واوطاري

ورعى الله من بان وشاق حتى الرند والبان

بانوا لعيني اقمارا تقلهم * لدن الغصون فلما آنسوا بانوا
عهودهم لست انساها وكيف وقد * رقي لبيني عنها الرند والبان

وفي مثل هذا الموطن تذوب القلوب الرقاق كما قال حائز قصب السبق بالاستحقاق الاديب الاندلسي الشهير بابن الزقاق

وقفت على الربوع ولي حنين * لساكنهن ليس الى الربوع
ولو أني حننت الى مغاني * احبائي حننت على ضلوعي

وكما قال بعض من له في هذه الفجاج مسير

دخولك من باب الهوى ان اردته * يسير ولكن الخروج عسير

واين من له صفاة لا يطمع الدهر القوي في نحتها وجنات دنيوية لا تجري انهار الفراق من تحتها

فسقي رضيع النبت من ذاك الحمى * بحيا تدور على الربا كاساته
سفح سفحت عليه دمعي في ثرى * كالمسك ضاع من الفتاة فتاته

ولم ازل بعد انفصالي عن الغرب بقصد الشرق واتصالي في اثر ذلك الجمع بالفرق

احن اذا خلوت الى زمان * تقضى لي بأفنية الربوع
واذكر طيب ايام تولت * لنا فتفيض من اسف دموعي

وأتوق وقد اتسع من البعد الخرق وخصوصا اذا شدا صادح أو أومض برق الى ديار لا يعدوها اختيار

وأربع احباب اذا ما ذكرتها * بكيت وقد يبكيك ما انت ذاكر

وكتاب القاضي أبي بشر الدولابي في التاريخ والكتاب الشريف تأليف أبي بكر محمد بن خلف وكيع القاضي في التاريخ وغيره من الاخبار وكتاب السير والاخبار لمحمد بن خالد الهاشمي وكتاب السير والاخبار لاسحق بن سليمان الهاشمي وكتاب سير الخلفاء لابي بكر محمد بن زكريا الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره فأما عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري فمن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته واما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات والزائد على الكتب المصنفات فقد جمع أنواع الاخبار وحوى فنون الآثار واشتمل على صنوف العلم وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره اليه انتهت علوم فقهاء الامصار وحملة السنن والآثار وكذلك تاريخ ابي عبد الله ابراهيم ابن محمد بن عرفة الواسطي النحوي الملقب بنفطويه محشو من ملاحة كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن اهل عصره تأليفا واملحهم تصنيفا وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في اخبار الخلفاء من بني العباس وبني امية وشعرائهم ووزرائهم

بطاح

بطاح وادواح يروقك حسنها * بكل خليج نمنمته الازاهر
فما هو الا فضة في زبرجد * تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر
بحيث الصبا والترب والماء والهوى * عبير وكافور وراح وعاطر
وما جنة الدنيا سوى ما وصفته * وما ضم منه الحسن نجد وحاجر
بلادي التي اهلي بها واحبتي * وروحي وقلبي والمنى والخواطر
تذكرني انجادها ووهادها * عهودا مضت لي وهي خضر نواضر
اذ العيش صاف والزمان مساعد * فلا العيش مملول ولا الدهر جائر
بحيث ليالينا كغض شبابنا * واياما سلك ونحن جواهر
ليالي كانت للشبيبة دولة * بها ملك اللذات ناه وآمر
سلام على تلك العهود فانها * موارد افراح تلتها مصادر

واتذكر تلك الايام التي مرت كالاحلام فأتمثل بقول بعض الاكابر الاعلام

يا ديار السرور لا زال يبكي * فيك اذ تضحك الرياض غمام
رب عيش صحبته فيك غض * وعيون الفراق عنا نيام
في ليال كأنهن أمان * في زمان كأنه احلام
وكأن الاوقات فيك كؤس * دائرات وانسهن مدام
زمن مسعد والف وصول * ومنى تستلذها الاوهام

وبقول الحائك الامي عندما يكثر شجوي وغمي

لم انس اياما مضت ولياليا * سلفت وعيشا بالصريم تصرما
اذ نحن لا نخشى الرقيب ولم نخف * صرف الزمان ولا نطيع اللوما
والعيش غض والحواسد نوم * عنا وعين البين قد كحلت عمى
في روضة ابدت ثغور زهورها * لما بكى فيها الغمام تبسما
مد الربيع على الخمائل نوره * فيها واصبح كالخيام مخيما
تبدو الاقاحي مثل ثغر أشنب * اضحى المحب به كئيبا مغرما
وعيون نرجسها كاعين غادة * ترنو فترمي باللواحظ اسهما
وكذلك المنثور منثور بها * لما رأى ورد الخدود منظما
والطير تصدح في فروع فنونها * سحرا فتوقظ بالهديل النوما

وأميل الى بلاد محياها جميل

كساها الحيا برد الشباب فانها * بلاد بها عق الشباب تمائمي
ذكرت بها عهد الصبا فكأنما * قدحت بنار الشوق بين الحيازم
ليالي لا الوى على رشد ناصح * عناني ولا اثنيه عن غي لائم
انال سهادي من عيون نواعس * واجني مرادي من غصون نواعم
وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم
تمر الينا ثم عنا كانها * حواسد تمشي بيننا بالنمائم

فانه ذكر غرائب لم تقع لغيره واشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه وكان محظوظا من العلم ممدودا من المعرفة مرزوقا من التصنيف وحسن التأليف وكذلك كتاب الوزراء واخبارهم لابي الحسن علي بن الحسن المعروف بابن الماشطة فانه بلغ في تصنيفه الى آخر ايام الراضي بالله وكذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فانه كان حسن التاليف بارع التصنيف موجزا للالفاظ معبرا للمعاني واذا أردت علم ذلك فانظر في كتابه في الأخبار المعروفة بأخبار زهر الربيع وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج فانك تشاهد منه حقيقة ماقد ذكرنا وصدق ما وصفنا وما صنفه ابو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه في كتابه في الاخبار الذي يعارض فيه كتاب الروضة ولقبه بالباهر وكتاب ابراهيم بن ماهويه الفارسي الذي عارض فيه المبرد في كتابه الملقب بالكامل وكتاب ابراهيم بن موسى الواسطي الكاتب في أخبار الوزراء الذي عارض فيه كتاب محمد بن داود الجراح في الوزراء وكتاب علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق في أخبار عدة من وزراء المقتدر بالله وكتاب زهرة العيون وجلاء القلوب تأليف المصري وكتاب التاريخ تأليف عبد الرحمن بن عبد الرزاق

و بتنمّاولاواش نخاف كانما * حلّ نسامكان السر من صدر كاتم

واهفو الى قصور وذات بهجه وصروح توضح معالمها للرائد نهجه

ورياض تختال منها غصون * في برود من زهرها وعقود

فكأن الادواح فيها غوان * تتبارى زهوا بحسن القدود

وكأن الاطيار فيها قيان * تتغنى في كل عود بعود

وكأن الازهار في حومة الرو * ض سيوف تسل تحت بنود

وأصبو الى بطاح وادواح تروّح النفوس والارواح

سقيا لها من بطاح خز * ودوح زهر بها مطل

اذ لا ترى غير وجه شمس * اطل فيه عذار ظل

وانهار جارية وازهار نواسمها سارية وأربع وملاعب تزيح عن مبصرها المتاعب

تلك المنازل والملا * عب لا أراها الله محلا

أوطنتها زمن الصبا * وجعلت فيها لي محلا

حيث التفت رأيت ما * ء سائحا ورأيت ظلا

والنهر يفصل بين زهـ * ـر الروض في الشطين فصلا

كبساط وشي جردت * ايدي القيون عليه نصلا

والى منازل يستفز حسنها الرائق الجاد والهازل ويشفي منظرها عليلا ويكفي مخبرها للمستفهم دليلا

وجنان ألفتها حين غنت * حولها الورق بكرة واصيلا

نهرها مسرع جارى وتمشت * في رباها الصبا قليلا قليلا

وأتمثل ان ذكرت حال وداعي بقول الشاعر الاديب الوداعي

الغرب خير وعند ساكنه * امانة اوجبت تقدمه

فالشرق من نيريه عندهم * يودع ديناره ودرهمه

و بقول غيره اشارة لفضل الغرب وخيره

أشتاق للغرب واصبو الى * معاهد فيه وعصر الصبا

ياصاحبي نجواي والليل قد * ارخى جلابيب الدجى واختبا

لا تعجبا من ناظر ساهر * بات يراعي انجما غيبا

القلب في آثارها طائر * لما رآها تقصد المغربا

وأهيم كلما حللت من غير ان أرضي بمكان وقد صير السائق جد السير معمولا لما انفك كما جعله خبرا لكان بقول قاضي القضاة العالم الكبير الشمس بن خلكان

أي ليل على المحب اطاله * سائق الظعن يوم زم جماله

يزجر العيس طاويا يقطع المهـ * ـمه عسفا سهوله ورماله

أيها السائق المجد ترفق * بالمطايا فقد سئمن الرحاله

وأنخها هنيهة وارحها * اذ براها السرى وفرط الكلاله

ابن أبي يعقوب المصري في اخبار العباسيين وغيرهم وكتاب التاريخ في اخبار الخلفاء من بني العباس وغيرهم لعبد الله بن الحسين ابن معد الكاتب وكتاب محمد بن مزيد بن أبي الازهر في التاريخ وغيره وكتابه المترجم بكتاب الهرج والاحداث ورأيت سنان ابن ثابت بن قرة الحرجاني حين انتحل ماليس من صناعته واستنهج ماليس من طريقته قد الف كتابا جعله رسالة الى بعض اخوانه من الكتاب واستفتحه بجوامع من الكلام في أخلاق النفس واقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية وذكر لمعا من السياسات المدنية مما ذكره افلاطون في كتابه في السياسة المدنية وهو عشر مقالات ولمعا مما يجب على الملوك والوزراء ثم خرج الى اخبار يزعم أنها صحت عنده ولم يشاهدها ووصل ذلك باخبار المعتضد بالله وذكر محبته به وايامه السالفة ثم ترقى الى خليفة خليفة في التصنيف مضادة لرسم الاخبار والتواريخ وخروجا عن جملة أهل التأليف وهو وان أحسن فيه ولم يخرجه عن معانيه فانما عيبه انه خرج عن مركز صناعته وتكلف ماليس من مهنته ولو أقبل على الذي انفرد لا تطل

به من علم اقليدس والمعظمات والمجسطي والمدورات ولو استفتح بسقراط وافلاطون وارسطاطاليس فاخبر عن الاشياء الفلكية والآثار العلوية والمزاجات الطبيعية والنسب والتأليفات والنتائج والمقدمات والصنائع المركبات ومعرفة الطبيعيات من الالهيات والجواهر والهيآت ومقادير الاشكال وغير ذلك من أنواع الفلسفة لكان قد سلم مما تكلفه وأتى بما هو اليق بصنعته ولكن العارف بقدره يعود والعالم بمواضع الخلل مفقود وقد قال عبد الله بن المقفع من وضع كتابا فقد استهدف فان اجاد فقد استشرف وان أساء فقد استقذف (قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي) ولم نذكر من كتب التواريخ والاخبار والسير والآثار الا ما اشتهر مصنفوها وعرف مؤلفوها ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الاحاديث في معرفة أسماء الرجال وأعصارهم وطبقاتهم اذ كان ذلك أكثر من أن نأتي على ذكره في هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الاعصار من حملة الآثار ونقلة السير والاخبار وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ثم من تلاهم من التابعين وأهل كل عصر على اختلاف انواعهم وتنازعهم في آرائهم من فقهاء الامصار وغيرهم من اهل الآراء والنحل

لا تطل سيرها العنيف فقد برح بالصب في سراها الاطاله
وارث للنازح الذي ان رأى ربعا * ثوى فيه نادبا أطلاله
يسأل الربع عن ظباء المصلى * ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب * غير ان الوقوف فيه علاله
هذه سنة المحبين يبكو * ن على كل منزل لا محاله
يا ديار الاحباب لازالت الاعـ * ـين في ترب ساحتيك مذاله
وتمشى النسيم وهو عليل * في مغانيك ساحبا اذياله
اين عيش مضى لنا فيك ما أسـ * ـرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الزمان طلق نضير * والتداني غصونه ميالة
ولنا فيك طيب أوقات انس * ليتنا في المنام نلقى مثاله

واورد قول الذي سحر الالباب منادياً من له من الاحباب

احبابنا لو لقيتم في اقامتكم * من الصبابة ما لاقيت في الظعن
لأصبح البحر من انفاسكم يبساً * كالبر من ادمعي ينشق بالسفن

وقوله

وما تغيرت عن ذاك الوداد ولا * حالت بي الحال في عهدي وميثاقي
درسي غرامي بكم دهري اكرره * وقد تفقهت في وجدي واشواقي

وقول المجد بن شمس الخلافه معلما أنه لا يريد بدل معهده وخلافه

يا زمان الهوى عليك السلام * وعلى السلو عنك حرام
أي عيش قطعته فيك لو دا * م وهل يرتجى لظل دوام
كنت حلما والعيش فيك خيالا * وسريعا ما تنقضي الاحلام
لهف نفسي على ليال تقضت * سلبتني برودها الايام
فطمتني الاقدار عنها وليدا * وشديد على الوليد الفطام
لا تلمني على البكاء عليها * من بكى شجوه فليس يلام

وقول أبي طاهر الخطيب الموصلي

حي نجدا عني ومن حل نجدا * أربعا هجن لي غراما ووجدا
واقرعني السلام آرام ذاك الشعب والاجرع الخصيب المفدى
وابك عني حتى ترنح بالوجـ * ـد أراكا به وبانا ورندا
فلكم وقفة أطلت على الضا * ل بدمع اذاع سري وأبدى
وعلى البان كم من البين أذريـ * ـت لآلي للدمع مثنى ووحدا
آه وأسفى على طيب عيش * كنت قطعته وصالا وودا
حيث عود الشباب غض نضير * ويد المكرمات بالجود تندى
والخليل الودود ينعم اسعا * فا وصرف الزمان يزداد بعدا
والليالي مساعدات على الوصـ * ـل وعين الرقيب اذ ذاك رمدا

المذاهب والجدل الى سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا المترجم بكتاب اخبار الزمان والكتاب الاوسط (وقد
سمت كتابى هذا بكتاب
روج الذهب ومعادن
لجوهر) لنفاسة ماحواه
عظم خطر مااستولى عليه
ن طوالع بوارع ماتضمنته
تبنا السالفة فى معناه
غرر مؤلفاتنا فى مغزاه
وجعلته تحفة للاشراف
من الملوك واهل الدرايات
لما قد ضمنته من جمل
ماتدعو الحاجة اليه وتنازع
النفوس الى علمه من دراية
ماسلف وغبر فى الزمان
وجعلته مسهما على
اغراض ماسلف من كتبنا
ومشتملا على جوامع يحسن
بالاديب العاقل معرفتها ولا
يعذر فى التغافل عنها ولم
نترك نوعا من العلوم ولا فنا
من الاخبار ولا طريقة
من الآثار الا اوردناه فى
هذا الكتاب مفصلا أو
ذكرناه مجملا أو اشرنا اليه
بضرب من الاشارات أو
لوحنا اليه بفحوى
العبارات فمن حرف شيأ
من معناه او ازال ركنا من
مبناه اوطمس واضحة من
معالمه اولبس شاهدة من
تراجمه اوغيره او بدله او
اشانه او اختصره او نسبه
الى غيرنا او اضافه الى
سوانا فوافاه من غضب
الله ووقوع نقمه وفوادح
بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وسلبه الله   تعطرت

كم بها من لبانة لى وأوطا * ر تقضت وجازت الحد حدا
فاستعاد الزمان ما كان أعطى * خلسة لى ببخله واستردا

وقول بعضهم

سلام على تلك المعاهد انها * شريعة وردى أو مهب شمالى
ليالى لم نحذر حزون قطيعة * ولم نمش الا فى سهول وصال
فقد صرت أرضى من نواحى جنابها * بخلب برق أو بطيف خيال

وقول الجرجانى

للمحبين من حذار الفراق * عبرات تجول بين المآقى
فاذا ما استقلت العيس للبين وسارت حداتها بالرفاق
استهلت على الخدود انحدارا * كانحدار الجمان فى الاتساق
كم محب يرى التجلد دينا * فهو يخفى من الهوى ما يلاقى
ازدهاه النوى فأعرب بالوجـ * ـد لسان عن دمعه المهراق
وانحدار الدموع فى موقف البين على الخد آية العشاق
هون الخطب لست أول صب * فضحته الدموع يوم الفراق

وقول الخطيب الحصكفى الشافعى

ساروا وأكبادنا جرحى وأعيننا * قرحى وأنفسنا سكرى من القلق
تشكو بواطننا من بعدهم حرقا * لكن ظواهرنا تشكو من الغرق
كأنهم فوق أكوار المطى وقد * سارت مقطرة فى حالك الغسق
درارئ الزهر فى الابراج زاهرة * تسير فى الفلك الجارى على نسق
يا موحشى الدار مذبانوا كما أنست * بقربهم لاخلت من صيب غدق
ان غبتم لم تغيبوا عن ضمائرنا * وان حضرتم حملنا كم على الحدق

وما أحسن قول بعضهم فى هذا المعنى الذى كرنا ذكره وبه ألمعنا

سلام على أهل الوداد وعهدهم * اذ الانس روض والسرور فنون
رحلنا فشرقنا وراحوا فغربوا * ففاضت لروعات الفراق عيون

وكم أنشدت وليالى النوى عاتمة قول الاندلسى بن خاتمة

أيامنا بالحمى ما كان أحلاك * كم بت أرعاه اجلالا وأرعاك
لاتنكرى وقفتى ذلا بمغناك * يا دار لولا أحبائى ولولاك
لما وقفت وقوف الهائم الباكى
فهل لهم عطفة من بعد دلهم * تالله ماتسمح الدنيا بمثلهم
آها لقلبى على تبديد شملهم * ما كان أحلاك يا أيام وصلهم
ويا ليالى الرضا ما كان أضواك
يا بدر تم تناءت عنه أربعنا * ولم تزل تحتويه الدهر أضلعنا
ما للنوى بضروب البين يوجعنا * اذ تذكرت دهرا كان يجمعنا

ما اعطاه وحال بينه وبين ما أنعم عليه من قوة ونعمة مبتدع السموات والارض من اى الملل كان والآراء

تفطرت كبدي شوقا لمرآك

أحباب أنفسنا كم ذا النوى وكم * ويا معاهد نجوانا بذي سلم

تالله ما شبت دمعا للاسى بدم * ولا لثمت تراب الارض من كرم

الا مراعاة خل ظل يرعاك

على التعلل يدني منهم وعسى * فيعمر القرب ما بالبين قد درسا

كم ذا انادي بربع بالنوى طمسا * يا قلب صبرا فان الصبر عاد أسى

ويا منازل سلمى أين سلماك

وقول بعض من اشتد به الهيام مخاطبا جيرته مادحا ليالي القرب وذاما تقلب الايام

أيام أنسي قد كانت بقربكم * بيضا فحين نأيتم أصبحت سودا

ذممت عيشي مذ فارقت أرضكم * من بعد ما كان مغبوطا ومحسودا

وقول صاحب مصارع العشاق وقد شاقه من الهوى ما شاق

بانوا فادمع مقلتي * وجدا عليهم تستهل

وحدا بهم حادي الفرا * ق عن المنازل فاستقلوا

قل للذين ترحلوا * عن ناظري والقلب حلوا

ما ضرهم لو أنهلوا * من ماء ود لهم وعلوا

وقوله حين زحزحته يد الفراق عن أوطان العراق

قد قلت والعبرات تسـ * فحها على الخد المآقي

حين انحدرت الى الجزيـ * رة وانقطعت عن العراق

وتخبطت أيدي الرفا * ق مهامه البيد الرقاق

يا بؤس من سل الزما * ن عليه سيفا للفراق

وقوله أيضا

يا منزل الحي بذات النقا * سقاك دمع مذ نأوا مارقا

هل سلوة هيهات لا سلوة * قد بلغ السيل الزبى وارتقى

وأنت يا يوم النوى عاجلا * أدال منك الله يوم اللقا

وقولي مواطئا للثالث وقد تغير لي فيمن تغير حادث

لم أنس معهدنا والشمل مجتمع * والعيش غض وروض الانس معطار

فهل أبا بعد بعد عنه في قلق * وقد نبت بي أرجاء وأقطار

تمضي الليالي وأشواقي مجددة * وما انقضت لي من الاحباب أوطار

وكلما مرت بمرأى بروق لمعت لي من ناحية المغني بالمنى بروق فتذكرت قول بعض من له على غير من يهوى طروق

ما نظرت عيني سواك منظرا * مستحسنا الا عرضت دونه

وما تمنيت لقاء غائب * الا سألت الله أن تكونه

وربما رمت التعالي مذهب السلو والتعالي خلال أحوال اقامتي وارتحالي فلم ينتقل

انه على كل شيء قدير وقد جعلت هذا التخويف في أول كتابي هذا وآخره ليكون رادعا لمن ميله هوى او غلبه شقاء فليراقب امر ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير وهذا حين نبدأ بجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الابواب وما حوى كل باب منها من انواع الاخبار وبالله التوفيق

(ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب)

قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا لاغراضه فلنذكر الآن جملا من كمية ابوابه على حسب مراتبها فيه واستحقاقها منه لكي يقرب تناولها على مريدها فأول ذلك

ذكر المبدا وشأن الخليقة وذرء البرية من آدم الى ابراهيم عليهما الصلاة والسلام

ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بني اسرائيل

ذكر ملك ارخبعم بن سليمان ابن داود ومن تلا عصره من ملوك بني اسرائيل وجمل من اخبار الانبياء والملوك من بني اسرائيل

ذكر اهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم

ذكر جمل من اخبار الهند وارائها ومدد

عن تلك الصفات حالي وأني وجيدي بقلائد البنات حالي

والشوق أعظم ان يحيط بوصفه * قلم وان يطوى عليه كتاب

والله ما انا منصف ان كان لي * عيش يطيب وجيرتي غياب

وكيف ولا ماقي صب ولا تواقي زيادة اذا سرى نسيم او هب

شربت حميا البين صرفا وطالما * جلوت محيا الوصل وهو وسيم

فيعاد دمعي ان تنوح حمامة * وميقات شوقي أن يهب نسيم

فان لاح لي بارق شاقني او ترنم شاد حدا بي الى الهيام وساقني أو رنا ظبي فلاة راعني وراقني

واني ليصبيني سنى كل بارق * وكل حمام في الاراك ينوح

وأرتاع من ظبي الفلاة اذا رنا * وارتاح للتذكار وهو سنوح

ولم يك ذاك لامر من حيث ذاته * ولكن لمعنى في الحبيب يلوح

ولا أستطيع الاعراب عن أمري العجيب لما بي من النوى المذهل والجوى المدهش والوجيب

ولا تسألوا عما أجن فليس لي * لسان يؤدي ما الغرام يقول

يطارحني البرق الاحاديث كلما * أضاء كأن البرق منه رسول

وما بال خفاق النسيم يميلني * هل الريح راح والشمال شمول

اذ دموع شؤوني عند الذكرى لا ترقا وجفوني ليس لها عن الارق مرقى وشجوني تنمو اذا صدحت بغنها ورقا

رب ورقاء في الدياجي تنادي * الفها في غصونها المياده

فتثير الهوى بلحن عجيب * يشهد السمع أنها عواده

كلما رجعت توجعت حزنا * فكانا في وجدنا نتباده

فيا لها من ذات طوق مثيرة لكامن شوق جالبة له من يمين وشمال وفوق

ذكرتني الورقاء أيام أنس * سالفات فبت أذري الدموعا

ووصلت السهاد شوقا لحبي * وغراما وقد هجرت الهجوعا

كيف يخلو قلبي من الذكر يوما * وعلى حبهم حنيت الضلوعا

كلما أولع العذول بعتبي * في هواهم يزداد قلبي ولوعا

وربما أتخيل قول من قال انها بالحزن باكية وعلى فقد الالف نائحة فأنشد قول خليل وهو بالحب مدنف وعليل

ورب حمامة في الدوح باتت * تجيد النوح فنا بعد فن

أقاسمها الهوى مهما اجتمعنا * فمنها النوح والعبرات مني

ولا غرو ان ظهر سر بائح فبالك مثلي من الشجو نائح

فرجعت بعد فراق أيام الهوى * أصف الصبابة للمحب المولع

دامي الجفون اذا الحمامة غردت * من فوق غصن البانة المترعرع

أسقي الديار وقد تباعد أهلها * عنها عزالي ٣ الدموع الهمع

٣ قوله عزالي يقرأ بتشديد الياء للضرورة اه

ونواعب الاطلال ليس يجيبني * مابينهن سوى الصدى بتوجع
وهواتف فوق الغصون يجيبني * منهن تغـريد الحمام السجع
ناحت على عذب الفروع وافها * منها عسر أى فوقها وبمسمع
مافارقت الفاكما فارقته * كلا ولا أجرت سواكب أدمعى

على أوان عيون سعوده روان وزمان معمور بأماني وامان وآمال دوان وتهاني مابين بكر وعوان وفي عذر من طال ليله فاضطرب فيه لوعه وسكن جواه بجوانحه وضلوعه

ان طال ليلى بعدهم فلطوله * عذر وذلك لما اقاسى منهم
لم تسر فيه نجومه لكنها * وقفت لتسمع ما أحدث عنهم

فأرق الزائد في حرق أظهر المكنون وأبان ووجدى بمن ناى وبان لم يجد فيه تعلل برندوبان

تنبهى يا عذبات الرند * كم ذا الكرى هب نسيم نجد
فلست مثلى في جوى أوارق * وحرقة من فرقة أو صد
عوفيت مما حل بى من جيرة * في الغرب لم يرثوا لفرط وجدى
أعلل القلب ببان عنهم * وهل ينوب غصن عن قد
بانوا فلا مغنى السرور بعدهم * مغنى ولا عهد الرضا بعهد
آها من البعد ومن لم يدره * لم يشجه تأوهى للبعد

وفي شغل من ابكاه الربوع والطلول وذهبت برهة من زمانه بين الترحل والحلول فركب من الاخطار الصعب والذلول وحافظ على العهود ولم يسلك سبيل الغادر الملول

سقاها الحيا من أربع وطلول * حكت دنفى من بعدهم ونحولى
ضمنت لها أجفان عين قريحة * من الدمع مدرار الشؤن همول

ومن الغريب الذي ينكره غير الاريب أن الحادي ان سر القلب بكشف وين فقد تسبب في اجتماع أمرين متنافيين متنافرين

ترنم حاد بالصريم فشاقنى * الى ذكر من باتت ضلوعى تضمه
فسر وساء النفس شجوا فربما * كلفت به من حيث صرت أذمه

وارتحلت حين مللت من طول السرى مضمنا ذكر ما أروم له تيسرا وقد أكثر الرفاق عند رؤية مالم يألفوه من الآفاق تلهفا وتحسرا

قلت لما طال النوى عن بلادى * ولاهل النوى جوى وعويل
هل أرى للفراق آخر عهد * ان عمر الفراق عمر طويل

ثم قلت مضمنا

لائمى في ذكر أحباب نأوا * لاتلم من أضعف الشوق قواه
ان يوما جامعا شملي بهم * ذاك عيدى ليس لى عيد سواه

ثم قلت مضمنا أيضا

لك الله من صب اضر به النوى * وليس له غير اللقاء طبيب

وان صباحا نلتقي بمسائه * صباح الى قلبي المشوق حبيب

ثم عدت الى الصبر بعد امعان النظر والتدبر

واني لادري أن في الصبر راحة * ولكن انفاقي على الصبر من عمري

فلا تطف نار الشوق بالشوق طالبا * سلوّا فان الجمر يسعر بالجمر

ثم سلكت منهج التفويض والتسليم منشدا قول ابن قطران المغربي في مقام النصح والتعليم ووجهت القصد الى سكان الضمير بذلك التكليم

ان ايام الرضا معدودة * والرضا اجمل شئ بالعبيد

لا تظنوا عنكم لي سلوة * ما على شوقي اليكم من مزيد

وابعوا انفسكم تسلية وا * أنكم في الوقت اقصى ما أريد

ان يوما يجمع الله بكم * فيه شملي ذاك عندي يوم عيد

وقول بعض من ندم على البعد عن المعاهد وامّل العود والعود أحمد الى المشاهد وغفر للدهر ذنبه ان عاد وتلهف ان لم يعامله بغير الابعاد

لئن عاد جمع الشمل في ذلك الحمى * غفرت لدهري كل ذنب تقدّما

وان لم يعد منيت نفسي بعودة * وماذا عسى تجدي الاماني وقلما

يحق لقلبي أن يذوب صبابة * وللعين أن تجري مدامعها دما

على زمن ماض بهم قد قطعته * لبست به ثوب المسرة معلما

وقول آخر يخاطب أحبابه ويذكر فواصل بحر النوى الطويل وأسبابه

أعيذكم من لوعتي وشجوني * ونار جوى تذكى بماء شؤوني

وبرح أسى لم يبق في بقية * سوى حركات تارة وسكون

أرى القلب أضحى بعد طارقة الاسى * أسير صبابات رهين شجون

وكيف سبيل القرب منكم ودونكم * رمال زرود والاجارع دوني

سلوا مضجعي هل قرّ من بعد بعدكم * وهل عرفت طعم الرقاد جفوني

سهرنا بنعمان وغمتم ببابل * فيا لعيون ما وفت لعيون

وفي بعض الاحيان أتسلى بقول بعض الاندلسيين الاعيان

لا تكترث بفراق اوطان الصبا * فعسى تنال بغيرهن سعودا

فالدر ينظم عند فقد بحاره * بجميل أجياد الحسان عقودا

وقول غيره

فعسى الليالي أن تمنّ بنظمنا * عقدا كما كنا عليه وأكملا

فلربما نثر الجمان تعمدا * ليعاد أحسن في النظام وأجملا

وأرغب لمن أطال ذيول الغربة أن يقلصها واطلب ممن اجال النفوس في سيول الكربة ان يخلصها

فليتني وعوادي الدهر غافلة * عما نروم وعقد البين محلول

والدار آنسة والشمل مجتمع * والطير صادحة والروض مطلول

واضرع ،

وأضرع اليه سبحانه فى تيسير العود الى أوطانى ومعهدى الذى مطايا العز أوطانى وأن يلحقنى بذلك الافق الذى خيره موفور وحق من فيه معروف لا منكور ولا مكفور

اذا ظفرت من الدنيا بقربهم * فكل ذنب جناه الدهر مغفور

وكأنى بعاتب يقول ماهذا التطويل فأقول له جوابى قول ابن أبى الاصبع الذى عليه التعويل

أكثرت عذلى كأنى كنت أول من * بكى على مسكن أوحنّ للسكن

لاتلح ان من الايمان عند ذوى الايمان مناحنين النفس للوطن

على أننى أقول اللهم يسر لى مافيه الخيرة لى بالمشارق أو المغارب وجدلى من فضلك حيث حللت بجميع مافيه رضاك من المآرب بجاه نبينا وشفيعنا المبعوث رحمة للاحمر والاسود والاعاجم والاعارب عليه أفضل صلاة وأزكى سلام وعلى آله وأصحابه الاعلام والتابعين لهم باحسان ماذر شارق وتعاقب طالع وغارب ثم جدّبنا السير فى البر أياما ونأينا عن الاوطان التى أطنبنا فى الحديث حبا لها وهياما وكنا عن تفاعيل فضلها نياما الى ان ركبنا البحر وحللنا منه بين السحر والنحر وشاهدنا من أهواله وتنافى أحواله مالا يعبر عنه ولا يبلغ له كنه

البحر صعب المرام جدّا * لاجعلت حاجتى اليه

أليس ماء ونحن طين * فما عسى صبرنا عليه

فكم استقبلتنا أمواجه بوجوه بواسر وطارت الينا من شراعه عقبان كواسر قد أزعجتها أكف الريح من وكرها كما نبهت اللجج من سكرها فلم تبق شيأ من قوتها ومكرها فسمعنا للجبال صفيرا وللرياح دويا عظيما وزفيرا وتيقنا أنا لانجد من ذلك الا فضل الله مجيرا وخفيرا واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه وايسنا من الحياة لصوت تلك العواصف والمياه فلا حيا الله ذلك الهول المزعج ولا بياه والموج يصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب فكأنه من كأس الجنون يشرب أوشرب فيبتعد ويقترب وفرقه تلتطم وتصطفق وتختلف ولا تكاد تتفق فتخال الجو يأخذ بنواصيها وتجذبها أيديه من قواصيها حتى كاد سطح الارض يكشف من خلالها وعنان السحب يخطف فى استقلالها وقد أشرفت النفوس على التلف من خوفها واعتلالها وآذنت الاحوال بعد انتظامها باختلالها وساءت الظنون وتراءت فى صورها المنون والشراع فى قراع مع جيوش الامواج التى أمدّت منها الافواج بالافواج ونحن قعود كدود على عود مابين فرادى وأزواج وقد نبت بنا من القلق أمكنتنا وخرست من الفرق ألسنتنا وتوهمنا أنه ليس فى الوجود أغوار ولا نجود الا السماء والماء وذلك السفين ومن فى قبر جوفه دفين مع ترقب هجوم العدو فى الرواح والغدو لاجتيازه على عدة من بلاد الحرب دمّر الله سبحانه من فيها وأذهب بفتحها عن المسلمين الكرب لاسيما مالطة الملعونة التى يتحقق من خلص من معرّتها أنه امدّ بتأييد المعين ومعونة فقد اعترضت فى لهوات البحر الشامى شجا وقل من ركبه فأفلت من كيدها ونجا فزادنا ذلك الحذر الذى لم يبق ولم يذر على ماوصفناه من

هول البحر فيما وأبرزنا ادداله في ميدان الالقاء باليد الى التهلكة طلقا وتشتتت أفكارنا فرقا وذبنا حتى وتساوينا اذ البحر وحده لا كمي يقارعه ولا قوي يصارعه ولا شكل يضارعه لا يؤمن على كل حال ولا يفرق بين عاطل وحال ولا بين أعزل وشاكي ومتباك وباكي

ثلاثة ليس لها أمان * البحر والسلطان والزمان

فكيف وقد انضم اليه خوف العدو الغادر الخائن والكافر الحائن الى أن قضى الله بالنجاة وكل ما أراده فهو الكائن وان نهى عنه وأخطأ المائن فرأينا البر وكأنا لم نره وشفيت به أسيافنا من المرة وحصل بعد الشدة الفرج وشممنا من السلامة أطيب الارج فيا لها من نعمة كشفت عن وجهها النقاب يقل شكرها ما طرم الاحقاب وعتق الرقاب جعلنا الله بآلائه معتبرين وعلى طاعته مصطبرين ولم نخل في البر من معاناة خطوب ومداراة وجوه تلاعب ذات تجهم وقطوب فكم جبنا منه مهامه فيحا ومسحنا بالخفاف منها أثيرا وصفيحا وقلبنا الفجاج وقرأنا من الطرق خطوطا ذات استقامة واعوجاج وتلوب الرفقة من الفرقة في اضطراب وارتجاج وربما عميت على الخريت الادلة التي يستدل بها على المذهب الاحتجاج فترى الانفاس تعثر في زمرة الاشواق والاجسام قد زرت عليها من التعب الاطواق هذا والليل بصفحة البدر مرتاب وقد شدت رحال وأقتاب وزمت ركاب ورفعت احداج وفريت من الدمنة عديمة القصب أوداج وتساوى في السير نهار مشرق وليل قمر أوداج وأديم التأويب والاساد وجمل العريكة قد أثقل وآد ثم ودنا بعد خوض بحار يدهش فيها الفكر وقفار وجوب فيافي ومجاهل يحن فيها القطا عن المناهل الى مصر المحروسة فشفينا برؤيتها من الاوجاع وشاهدنا كثيرا من محاسنها التي تعجز عن وصفها الافواه والاسجاع وتمثلنا في بدائعها التي لا تستوفيها بقول ابن ناهض فيها

شاطئ مصر جنة * ما مثلها في بلد
لا سيما مذ زخرفت * بنيلها المطرد
وللرياح فوقه * سوابغ من زرد
مسرودة ما مسها * داود ها عبرد
سائلة وهو بها * يرعد عاري الجسد
والفلك كالافلاك بين حادر ومصعد

ويقول آخر

انظر الى النيل الذي * ظهرت به آيات ربي
فكأنه في فيضه * دمعي وفي الخفقان قلبي

ويقول ابي المكارم الخطير المعروف بابن مماتي في جزيرتها

جزيرة مصر لا عدتك مسرة * ولا زالت اللذات فيك اتصالها
فكم فيك من شمس على غصن قامة * يميت ويحيي هجرها ووصالها
مغانيك فوق النيل أضحت هوادجا * ومختلفات الموج فيك حبالها

ومن أعجب الاشياء أنك جنة * تمد على أهل الضلال ظلالها

لعله أراد بأهل الضلال اليهود والنصارى المستولين اذ ذاك على الدواوين وتذكرت في مصر قول القاضي الفاضل

بالله قل للنيل عني انني * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لي شاهد * ان كان طرفي بالبكاء بخيلا
يا قلب كم خلفت ثم بثينة * وأعيذ صبرك أن يكون جميلا

وقول احمد بن فضل الله العمري

لمصر فضل باهر * بعيشها الرغد النضر
في سفح روض يلتقي * ماء الحياة والخضر

وقول آخر

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي حين حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وقول آخر

ولله مجرى النيل منه اذا الصبا * ارتنا به من مرها عسكرا جرا
بشط يهز السمهرية ذبلا * وموج يهز البيض هندية بترا
اذا مد حاكي الورد لونا وان صفا * حكى ماءه لونا ولم يعده مرا

وقول آخر

واها لهذا النيل اي عجيبة * بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى في العام وهو مسلم * حتى اذا ما مل عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * ابدا يزيد كما يزيد ويرجع

وقول ابن النقيب

الصب من بعدهم مفرد * ودمعه النيل وتعليته
وخده لما بكاهم دما * مقياسه والدمع تعليته

وقول الصفدي

سقيا لمصر وما حوت * من أنسها وأناسها
ومحاسن في مقسها * تبدو وفي مقياسها
ومسرة كاساتها * تجلى على اكياسها
وسطور قرط خطها الـباري على قرطاسها
ودمى كنائسها ولا * تنسى ظباء كناسها
ولطافة بجلالة * تبدو على جلاسها
ونواسم كل المنى * للنفس في انفاسها
ومراكب لعبت بها الامواج في وسواسها

وقول ابن جابر الاندلسي

مرات ... ندمن محاسن ارضها * خبرا صحيحا ليس بالمقطوع
... من نيلها وسلسل * وسديج من هضبها المرفوع

وقول ابراهيم بن عبدون

والنيل بين الجانبين كأنما * صدئت بصفحته صفيحة مقتل
يأتيك من كدر الزواخر مده * بمسك من مائه ومصندل
وكأن ضوء البدر في تموجه * برق تموّج في سحاب مسبل
وكأن نور السرج من جنباته * زهر الكواكب تحت ليل أليل
مثل الرياض مفتقا أنواره * تبدو لعين مشبه وممثل

وقول ابن الصاحب

فرح الانام بنيلهم * اذ صار احمر كالشقيق
وتبركوا بشروقه * فكأنه وادى العقيق

وقول آخر

احمرّ النيل حتى * غدا كالشقيق
وقد ترعت فيه * اذ صار وادى العقيق

ثم شمرت عن ساعد العزم بعد الاقامة بمصر مدة مليلة الى المهم الاعظم والمقصد الاكبر الذى هو سر المطالب الجليلة وهو زيارة الحرمين الشريفين والعلمين المنيفين زادهما الله تنويها وبلغ الناس من بركة شرفاتها ما لم تزل تنويها فسافرت فى البحر الى الحجر راجيا من الله سبحانه فى الاجر الانجاز الى ان بلغت جدة بعد مكابدة خطوب انفذت لهام الصبر عدة فحين حصل القرب واكتحلت العين باثمد تلك الترب ترنمت بقول من زال محرّضا على الوخد والارقال

بدا لك الحق فاقطع ظهر بيداء * واهجر مقالة احباب واعداء
واقصد الى عزمه ارض الحجاز فقد * بعدا عن السخط فى نزل الاوداء
وقل اذا تلت من ام القرى أربا * وهو الوصول باسرار وابداء
يا مكة الله قد مكنت لى حرما * مؤمنا الست اشكو فيه من داء
فذراى النازح المسكين مسكنه * فى قطرك الرحب لم ينكب بارداء
شوق الفؤاد الى مغناك متصل * شوق الرياض الى طل وأنداء

ثم انشدت عندما بدت اعلام البيت الحرام قول بعض من غلب عليه الشوق والغرام وقد بلغ من امانيه الموجبة بشائره وتهانيه المرام

وافى الحجيج الى البيت العتيق وقد * سجا الدجى فرأوا انواره بزغا
عجوا عجيجا وقالوا الله أكبر ما * الجو مؤتلقا بالنور قد صبغا
قال الدليل الا هاتوا بشارتكم * فمن نوى كعبة الرحمن قد بلغا
نادوا الى العيس بالاشواق وانتحبوا * وحن كل فؤاد نحوها وصغا
وكل من ذم فعلا نال محمدة * فى مكة ومحا ما قد جنى وبغى

ولما وقع بصري على البيت الشريف كدت أغيب عن الوجود واستشعرت قول العارف بالله الشبلي لما وفد الى حضرة الجود

قلت للقلب اذ تراءى لعيني * رسم دارهم فهاج اشتياقي
هذه دارهم وأنت محب * ما احتباس الدموع في الآماق
والمغاني للصب فيها معاني * فهي تدعى مصارع العشاق
حل عقد الدموع واحلل رباها * واهجر الصبر وارع حق الفراق

ثم أكملت العمرة ودعوت الله أن أكون ممن عمر بطاعته عمره وذلك أوائل القعدة من عام ثمانية وعشرين وألف من الهجرة السنية وأقمت هنالك منتظرا وقت الحج الشريف ومتفيئا ذلك الظل الوريف ومقتطفا ثمار القرب الجنية الى أن جاء الاوان فأحرمت بالحج من غير توان وحين حللت مما به أحرمت نويت الاقامة هنالك وأبرمت فحال من دون ذلك حائل وكنت حريا بأن أنشد قول القائل

هذى أباطح مكة حولي وما * جمعت مشاعرها من الحرمات
أدعو بها لبيك تلبية امرئ * يرجو الخلاص بها من الازمات
نلت المنى بمنى لاني لم أخف * بالخيف من ذنب أحال سماتي
وعرفت في عرفات أني ناشق * للعفو عرفا عاطر النسمات

وأن أتمثل في المطاف اذ حفتني الالطاف بقول من ربعه بالتقوى مشيد البغدادي الشهير بابن رشيد

على ربعهم لله بيت مبارك * اليه قلوب الناس تهوى وتهواه
يطوف به الجاني فيغفر ذنبه * ويسقط عنه جرمه وخطاياه
وكم لذة او فرحة لطوافه * فلله ما أحلى الطواف واهناه

ثم قصدنا بعد قضاء تلك الاوطار طيبة الشريفة التي لها الفضل على الاقطار واستشعرت قول من أنشد وطير عزمه عن اوكاره قد طار

حمدت مرادي اذ بلغت مرادي * بأم القرى مستمسكا بعمادي
ومذ رويت من ماء زمزم غلتي * فلست بمحتاج لماء ثماد

فلله سبحانه الحمد على نعمه التي جلت ومننه التي نزلت بها النفوس مواطن التشريف وحلت

من يهده الرحمن خير هداية * يحلل بمكة كي ينال المقصدا
واذا قضى من حجة الفرض انثنى * يشفي برؤية طيبة داء الصدى

وكان حظي في هذه الحال تذكر قول بعض الوشاحين من الاندلسيين الذين كان لهم ارتحال الى تلك المعاهد الطاهرة والمشاهد الزاهرة التي تشد اليها الرحال

يا من لعبدك افتقار الى أياديك جسام فضلك مدن خير مدن حل بها سيد الانام

لم يهف قلبي لحب ليلى * ولا سعاد ولا الرباب
لاقى شجونا ونال ويلا * من هام في ذلك الجناب

بالي من ذي الفؤاد ميلا * لمن له الحب لا يعاب
قلبي والله مستطار مذ حل في بيته الحرام ذي الحجر والركن خير ركن وزمزم الخير والمقام
دابت قلوب المطي عشقا * وركبها واستوى المراد
الى حبيب القلوب حقا * الحي والميت والجماد
الى الذي ليس فيه يشقى * من حبه داخل الفؤاد
شكوا وقد طالت الديار هم ومطاياهم السقام فهي قسي من التثني والقوم من فوقها سهام
ولست من سكرتي مفيقا * حتى ارى حجرة الرسول
فان يسهل لي الطريقا * فذاك أقصى مني وسول
حتى ترى عيني العقيقا * ويفرح القلب بالوصول
ثم قلت والصبر مستعار للركب اذ غادر والمقام ونسمة الشوق حركتني وزادني الوجد والغرام
قوموا فقد طال ذا الجلوس * وبادروا زورة الحبيب
تاقت الى طيبة النفوس * لا عيش من دونها يطيب
لا حبذا دونها العروس * والماء والشادن الربيب
وحبذا الرمل والقفار والعرب في تلكم الخيام وام غيلان ظلالتي والايك والاثل والثمام
يا طيبة حزت كل طيب * سعد فيك ذي حلول
نداء مستضعف غريب * في نشر امداحه يقول
وهو من السامع المجيب * لمدحه يسال القبول
أنت الغني لي فلا افتقار * وانت عزي فلا أضام
مستمسك من حسن ظني * بعروة ما لها انفصام
بسيد العالمين أجمع * بأحمد الختمي الرسول
ومن هو الشافع المشفع * في موقف الحشر المهول
اذ لا كلام هناك يسمع * للغير والناس في ذهول
اذا السما طالها انفطار والشهب منثورة النظام كذا الجبال انثنت كعهن سريعة المر كالغمام
يا أول الرسل في الفضيله * وان تأخرت في الزمن
شفاعة نلت مع وسيله * فمن يضاهي علاك من
علت بك الرتبة الجليله * وطبت في السر والعلن
فأنت من خيرهم خيار فمن يضاهيك في المقام والرسل نالت بك التمني وأنت بدر لهم تمام
الوجد تدفق في فؤادي * فما الصبر به قرار
ولا يحي صاعد اتقاد * ودمع عيني له انهمار
وها أنا جئت من بلادي * لطيبة أبتغي الجوار
فحبذا تلكم الديار والمصطفى مسكة الختام عليه أزكى الصلاة مني وصحبه الغر والسلام

وقول أبي جعفر ابن عيسى العرباطي رحمه الله تعالى وهو من التشريع أحد أنواع البديع

يا راحلا يبغي زيارة طيبة * نلت المنى بزيارة الاخيار
حتى العقيق اذا وصلت وقف لنا * وادى منى يا طيب الاخبار
واذا وقفت لدى المعرف داعيا * زال العنا وظفرت بالاوطار

ولما من الله تعالى علينا بالحلول بالمشاهد التي قام الدين بها وظهر والمعاهد التي بان الحق فيها واشتهر والمواطن التي هزم الله تعالى حزب الشيطان فيها وقهر ونصرت النبوة وعضدت وقطعت غصون الكفر وحصدت ورفعت قواعد التوحيد ونضدت وقرت العيون وفقدت الديون أنشد لسان الحال قول بعض من جد بمحاسن طيبة حال

يا من به طيبة طابت لي وحلي * ومن بتشريفه تشرف العرب
يا أحمد المصطفى قد جئت من بلد * قاص ولي حامد باس ولى أرب
وقد دهتني ذنوب ذات اذعنت * لله منها رطبه المرتجى الهرب

ونسبا مشاهدة ذلك الجناب ما كنت منه وسبق الدمع الذي لا يعارض الفرح ولا ينافيه

أيها المغرم المشوق هنيئا * ما أنالوك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا * طالما أسعد التوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا * وجميع الاشجان والاشواق
وأمر العين أن تفيض انهمالا * وتوالى بدمعها المهراق
هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الآماق

وملنا عن الاكدار وتماثلنا من عرف تلك الاثار والانوار وغلبنا من هاتيك الاسرار وتخلينا عن الاغيار وتحلينا بحلى الاخيار وكيف لا وطيبة مركز للزوار

اذا لم تطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فاين تطيب
وان لم يجب في أرض طيبة الدعا * ففي أي أرض للدعاء مجيب
أيا ساكني أكناف طيبة كلكم * الى القلب من اجل الحبيب حبيب

وما أحسن قول عالم الاندلس المالكي الاديب عبد الملك السلمي المشهور بابن حبيب

لله در عصابة صاحبتها * نحو المدينة تقطع الفلوات
ومهامه قد جبتها ومفاوز * ما زلت أذكرها بطول حياتي
حتى أتينا القبر قبر محمد * خص الاله محمدا بصلات
خير البرية والنبي المصطفى * هادي الورى لطرائق النجاة
لما وقفت بقربه لسلامه * جادت دموعي واكف العبرات
ورأيت حجرته وموضعه الذي * قد كان يدعو فيه في الخلوات
مع روضة قد قال فيها انها * مشتقة من روضة الجنات
وبمنزل الانصار وسط قبابهم * بيت الهداية كاشف الغمرات
وبطيبة طابوا وبانوا رحمة * مغنى الكتاب ومحكم الآيات
وبقبر حمزة والصحابة حوله * فاضت دموع العين منهمرات

وثلاثين وثلثمائة وذكر جمل اخبارهم

بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي الا بالله

(ذكر المبدا وشأن الخليقة وذرء البرية)

اتفق أهل العلم جميعا من أهل الاسلام ان الله عز وجل خلق الاشياء على غير مثال وابتدعها من غير أصل ثم روى عن ابن عباس وغيره أن أول ما خلق الله عز وجل الماء وكان عرشه عليه فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين الاحد والاثنين وخلق الارض على حوت والحوت هو الذي ذكره الله سبحانه في القرآن في قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون والحوت في الماء والماء على الصفا والصفا على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن حكاية عن قول لقمان لابنه يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير فاضطرب الحوت فتزلزلت الارض فأرسى الله عليها

فعز لبلاد ما اذا شاهدتها * وشهدتها بالخطو والعثرات
لا زلت زوارا لقبر نبينا * ومدينة زهراء بالبركات
صلى الاله على النبي المصطفى * هادي البرية كاشف الكربات
وعلى ضجيعيه السلام مرددا * ما لاح نور الحق في الظلمات

وقول كمال الدين ناطر قوص

أنخ هذه والحمد لله يثرب * فبشراك قد نلت الذي كنت تطلب
فعفر بهذا الترب وجهك انه * أحق به من كل طيب وأطيب
وقبل ربوعا حولها قد تشرفت * بمن جاورت والشئ بالشئ يحبب
وسكن فؤادا لم يزل باشتياقه * اليها على جمر الغضى يتقلب
وكفكف دموعا طالما قد سفحتها * وبرد جوى نيرانه تتلهب

وقول ابن عربي الغرناطي

هذه روضة الرسول فدعني * أبذل الدمع في الصعيد السعيد
لا تلمني على انسكاب دموعي * انما صنتها لهذا الصعيد

ولما سلمت على سيد الانام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام ذبت حياء وخجلا لما أتاه يديه من ارتكاب ما تقتضي وجلا غير أني توسلت بجاهه صلى الله عليه وسلم في أن أكون ممن وضح له وجه الصفح وجلا

اليك أفر من زللي * فرار الخائف الوجل
وكان مزار قبرك بالمدينة منتهى أملي
فوفى الله ما طمحت * له نفسي بلا خلل
فخذ بيدي غريق في * بحار القول والعمل
وهب لي منك عارفة * تعرف ما تشكر لي
وتهديني الى رشدي * وتمنعني من الزلل
وتحملني على سنن * يؤمنني من الوجل
فأنت دليل من عميت * عليه مسالك السبل
وانك شافع بر * وموئلنا من الوهل
وانك خير مبتعث * وانك خاتم الرسل
فيا أزكى الورى شرفا * وشافيهم من العلل
ويا أندى الانام يدا * وأكرم ناصر وولي
نداء مقصر وجل * بثوب الفقر مشتمل
على جدواك معتمدي * فأنقذني من الدخل
وألحقني بجنات * لدى درجاتها الاول
بصديق وفاروق * وعثمان الرضى وعلي
فأنت ملاذ معتصم * وأنت عماد متكل

عليك صلاة ربك جل ذا العدوات ولا ـ ـل

ومذ شممنا من أرج تلك الارجاء الداكية واستضأنا بسرج تلك الاضواء ازاكية ظهر من الشوق ما كان بطن ولم يخطر ببالنا مكن ولا وطن ويا سعادة من اقام بتلك البقاع الشريفة وقطن

مرا لنسيم بربعهم فتلذذا * حتى كأن النشر صار اه غذا
فعهاو صح وصاح لا اشكو أذى * بل للصبا ماذا حملت من الشذا
أمسست طيبا أم علاك عبير

يا أيها الحادى الذى من وسمه * قصد الحبيب وأن يلم برسمه
هذى منازله فزمزم باسمه * بأبى الذى لم تذو زهرة جسمه
لكنه غصن الجمال نضير

لله شوق قد تجاوز حده * أوفى على الصبر المشيد فهده
يا ناشق الكافور لا تتعده * طوبى لمشتاق يعفر خده
فى روضة الهادى اليه بشير

فهنالك يبذل فى التوسل وسعه * ويصيخ نحو خطيب طيبة سمعه
ويريق فوق حصى المصلى دمعه * ويرى معالم من تحب وربعه
ومحمد للعالمين بشير

صلى عليه الله خير صلاته * ودعا معاليه جليل صلاته
ماحن ذو الاشواق فى حالاته * وأتى منانيه على علاته
فأتيح حسن الختم وهو قرير

ووقفنا بباب طلب الآمال خاشعين وتوسلنا الى الله بذلك المقام العلى خاضعين وغبطنا قوما سكنوا هنالك فكانوا الخدودهم حتى شدوا الى تلك الاعتاب واضعين

أكرم بعبد نحو طيبة مقتدى * متوسل مستشفع مسترشد
يعلى الفلاة لها بعزم أيد * وانى الى قبر النبى محمد
ولربعه الاسمى يروح ويغتدى

أزجاه صادق حبه المتمكن * وحداه سائق عزمه المتعين
فبكى لدى شجو حمام الاغصن * هزجا يردد فيه صوت ملحن
ويمد للاطراب صوت المنشد

ويقول جئت بعزمة نزاعة * ونهضت والدنيا تمر كساعة
لمحل أحمد قائلا باذاعة * هذا النبى المرتجى لشفاعة
يوم القيامة بين ذاك المشهد

هذا الرؤف بجاره ونزيله * هذا سراج الله فى تنزيله
هذا الذى لاريب فى تفضيله * هذا حبيب الله وابن خليله
هذا ابن بانى البيت أول مسجد

الجبال فقرت الارض و ذلك قوله تعالى وجعل فيها رواسى ان تميد بكم وخلق الجبال فيها وخلق أقوات أهلها وشجرها وما ينبغى لها فى يومين فى الثلاثاء والاربعاء وذ قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فى يومين فى يوم الخميس والجمعة وانما سمى الجمعة لان الله جمع فيه خلق السموات والارض ثم قال وأوحى فى كل سماء أمرها يعنى خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وان سماء الدنيا من زمردة خضراء والسماء الثانية من فضة بيضاء والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء والسماء الرابعة من درة بيضاء والسماء الخامسة من ذهب أحمر والسماء السادسة من ياقوتة صفراء والسماء السابعة من نور قد طبقها الله بملائكة قيام على رجل واحدة تعظيما لله لقربهم منه قد خرقت أرجلهم الارض السابعة واستقرت أقدامهم على مسيرة خمسمائة

هـذا الذي اصطفت النبوّة جيده * هذا الذي اسأم الهدى تعديه
هـذا الذي سقى غـداسنيه * هذا الذي جبريل كان خديه
فى حصرة التشريف أزكى مصعد

هـذا الذى شهـد الوجود بجده * بمزيه التفصيل من مختصه
و أبانه من و حيـه فى نصه * هذا الذى ارتمع البراق بشخصـه
فى ليلة الاسراء أشرف مشهد

هذا الذى غدت الضلول حديقه * بجوار و بدت تروف أنيقـه
هـذا المكمل خلقـه و خليقه * هـذا الذى سمع السداء حقيقه
ودنا ولم يك مثل ذاك يمعد

فهناك كم رسل به تتوسل * وعـلى جاه لدى المعاد يعوّل
يا ارحم الرحماء أنت الموئل * يا خاتم الارسال أنت الاوّل
فترق فى اسنى المكارم واسعدى

الله روح فى سراء منـاره * وأبان فى السبع العـلا أنواره
فسعت ملائكة السماء آثاره * وأراه جنتـه هنـاك وناره
فتزيد و محله خلد

لم داده روجل وجلى ظلمـه * وانثنى بالرجى ومنن حرسـه
لما دجا ليل الضلال دهمنه * بعث الاله به لبرحم امـه
لولاه كانت بالضلال تربدى

حار الشفوف فـكل لمن دونه * فالغيث يسأل ان يسيل يمينه
والشمس نستهدى الشروق جبينه * والله وهـ لهو اطهر دينـه
ووفى لنا فيه بصدق الموعد

نطق ينـادى ذكره و يراوح * و به ينـافح مسكـه و ينـافح
نعى اللسان محـامد و ممادح * طوبى لمن قـد عاش وهو يكافح
عنه ينـاضل باللسان و باليد

هو صفوة العرب الالى أحسابهم * اسـنى فهم قرنت بها انسابهم
فهم لباب المجـد وهو لبابهم * من آل بيت لم نزل انسابهـم
تنمى لهم عن طيب عنصر مولد

شرف النبوة قد رسا فى اهلها * وسمـا عـلى ازهر العـلا بمحلهـا
سان السوابق للفخـار برسلهـا * نطق الكتاب كما علمت بفضلهـا
و قضى به نص الحديث المسند

فوق السماك توطنت وتوطدت * وتفـردت بالمصطفى وتوحـدت
وهى الخلاصه صفيت فـبردت * من معدن فيـه الرسالة قـد بدت
من عصر آدم ذا العصر محمد

عام تحت الارض ... ورؤوسهم تحت العرش من غير ان تبلغ العرش وهم يقولون لا اله الا الله ذو العرش المجيد وهم مثل بنات ... خلقوا الى ان تقوم الساعه وتحت العرش بحر منه أرزاق الحيوان يوحى الله تعالى اليه فيمطر ما شاء الله من سماء الى سماء حتى ينتهى الى موضع يقال له الابرم فيوحى الله الى الريح فتحمله الى السحاب ... وتحت سماء الدنيا بحر من ماء يضطرب ... مثل ما فى بحور الارض ... وان الله تعالى اسكن ظهر الارض الجن قبل آدم فجعلهم من مارج من نار وابليس منهم فنهاهم الله ان يسفكوا دم البهائم و يظهروا المعصيه بينهم فسفكوا وعدا بعضهم على بعض فلما رآهم ابليس لا ينتهون عن ذلك سال الله تعالى ان يرفعه الى السماء فصار مع الملائكة يعبد الله أشد عبادة وأرسل الله الى الجن وهم حزب ابليس قبيلا من الملائكة فطردوهم الى جزائر البحار و ... من شاء الله منهم وجعل الله ابليس على سماء الدنيا خازنا فوقع فى صدره كبر ثم شاء الله عز وجل ان يخلق آدم فقال الله للملائكة انى جاعل فى الارض خليفه فقالوا انتيا لوا ربنا وما يكون ذلك الخليفه قال تكون له ذريه و يفسدون فى الارض ويتحاسدون و يقتل بعضهم بعضا فقالوا

طالوا ولم يبقوا لمجد مصعدا * دارا فى أيمانهم حتف العدا
سلوافهم لعفاتهم غيث الجدا * أهل السقايه والرفادة والندى
والكعبة البيت الحرام المقصد

المطعمون وقد طوى ام الطوى * الناهضون اذا الصريخ لهم نوى
العاطفون اذا الطريق بهم نوى * أهل السدانة والحجابة واللوى
اهل المقام وزمزم والمسجد

المصلحون اذا الجموع تخاذلت * المنجحون اذا المساعى دافعت
الدافعون اذا الاعادى قارعت * المؤثرون اذا السنون تتابعت
وعدا الحجيج بنيل كل نفقد

لايقرب الخطب الملم منيعهم * لايطرق الكرب الخيف قريعهم
والله شرف بالنبى جميعهم * من نال رتبتهم وحاز منيعهم
نال الشفوف وحازمعى السودد

حلوا من الطود الاشم بمنعة * فى خير معتصم واحمى روعه
فهم بمنة أمنه فى مجمعة * الله خصصهم بأشرف بقعه
محجوجة محفوفة بالاسعد

لما أتيت لرامة اصل السرى * من بعد قصدى مكة ام القرى
انشدت جهرا فيه انثر جوهرا * راليكها ياخير من وطئ الثرى
عذراء تزرى بالعذارى الخرّد

كل الحسان لحسنها انداد هشا * ماشانها فى تربها شاذنشا
سفرت بعزم ماالجدوا طيشا * نشأت بطى القلب وارتوت الحشا
زهراء من برد ايهل ويسعد

امتك تشأى فى مدادها الالسنا * وترى اجادتها المجيد المحسنا
تغدو ولاتثنى العنان عن المنا * واتتك تمرح كالقضيب اذا انثنى
مترنحا بين الغصون الميد

نداعلت فى المدح ثاقب ذهنها * ترجو الحلول لدى فرارة امنها
وعسى اذا غذيت بتربة عدنها * يجلوك الاحسان بارع حسنها
والحسن يجلوها وان لم تنشد

مدحى لخير العالمين عقيدتى * ومطيتى بل طيبتى ونشيدتى
ونتيجتى وهدى اليقين مفيدتى * ولئن مدحت محمدا بقصيدتى
فلقد مدحت قصيدتى بمحمد

ياخير خلق الله دعوة حائر * يشكو اليك صروف دهر جائر
والله يعلم فى هواك سرائرى * وهو الذى أرجو لعفو جرائرى
متوسلا بجنابك المتأطد

بنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون ثم بعث الله جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت له الارض انى أعوذ بالله منك ان تنقصنى فرجع ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب انها عاذت بك ثم بعث الله ميكائيل فقالت له مثل ذلك فرجع ولم يأخذ منها شيا فبعث الله ملك الموت فعاذت بالله منه فقال وانا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ الامر فاخذ من تربة سوداء وحمراء وبيضاء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فى الالوان وسمى آدم لانه أخذ من أديم الارض وقيل غير ذلك ووكل الله ملك الموت بالموت وجعله الله تعالى يتركه حتى صار طينا لازبا يلزق بعضه ببعض أربعين سنة ثم تركه حتى أنتن وتغير أربعين سنة وذلك قوله تعالى من حمأ مسنون أى متغير منتن ثم صوره وتركه بلا روح صلصالا كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وهو قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا وكانت الملائكة تمر به فيفزعون منه وكان أشدهم فزعا ابليس كان يمر به فيضربه بيده فيظهر له صوت كظهوره من الفخار وتكون له صلصلة وذلك قوله تعالى من صلصال كالفخار وقد قيل ان الصلصال غير

لولاخوف عنت بمغارب * لمكثت عندك كى تتاح مآربى

ويكون فى ازرقاء عذب مشاربى * حتى احل من ثراك ترائبى

وانال دفنا فى بقيع الغرقد

وعليك من رب حباك صلاته * وسلامه وهباته وصلاته

ما أم بابك من هدته فلاته * لعلاك حتى زحزحت علاته

فأتيح حسن الختم دون تردد

ثم ودعته صلى الله عليه وسلم والقلب من فراقه سقيم ووقعت من البعد عن تلك المعاهد فى المقعد المقيم وأنا أرجو أن يكون شكل منطقى غير عقيم وان أحشر فى زمرة من سلك الصراط المستقيم

ياشفيع العصاة أنت رجائى * كيف يخشى الرجاء عندك خيبه

واذا كنت حاضرا بفؤادى * غيبة الجسم عنك ليست بغيبه

ليس بالعيش فى البلاد انتفاع * أطيب العيش ما يكون بطيبه

ثم عدت الى مصر وقد زال عنى ببركته صلى الله عليه وسلم الاصر وذلك فى محرم سنة ١٠٢٩ ثم قصدت زيارة بيت المقدس فى شهر ربيع من هذا العام وقد شملتنى بفضل الله جوائز الانعام وتذكرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة قول حافظ الحفاظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى وهو مما زادنى هذه الزيارة رغبة

الى البيت المقدس جئت أرجو * جنان الخلد نزلا من كريم

قطعنا فى مسافته عقابا * وما بعد العقاب سوى النعيم

فلما دخلت المسجد الاقصى وابصرت بدائعه التى لاتستقصى بهرنى جماله الذى تحلى الله به عليه وسألت عن محل المعراج الشريف فأرشدت اليه وشاهدت محلا أم فيه صلى الله عليه وسلم الرسل الكرام الهداة وكان حقى أن أنشد هنالك ما قاله بعض الموفقين وهو مما ينبغى أن تزمزم به الحداة

ان كنت تسأل أين قد * رمحمد بين الانام

فأصخ الى آياته * تظفر بريك فى الاوام

اكرم بعبد سامت * تقديمه لرسل الكرام

فى حضرة للقدس وا * فاها بعز واحترام

صفوا وصلوا خلفه * ان الجماعة بالامام

للشهب نور بين * والفضل للقمر التمام

سلك النبوة باهر * وبه اختتم النظام

هذا الكتاب دلالة * تبقى الى يوم القيام

شهدت له من بعد عجـ * ـز ألسن اللد الخصام

خير الورى واجل آ * يات له خير الكلام

فعليه من رب الورى * أزكى صلاة مع سلام

ماذكرنا وكان ابليس يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لامر ما خلقت فلما أراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحى فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح قال للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وقال يا رب أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار أشرف من الطين وأنا الذى كنت مستخلفا فى الارض وأنا الملبس بالريش والموشح بالنور والمتوج بالكرامه وأنا الذى عبدتك فى سمائك وأرضك فقال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين فسأل الله المهلة الى يوم يبعثون فأنظره الله الى الوقت المعلوم وذهب على ابليس المعنى الذى من أجله أمر لآدم بالسجود فمن الناس من رأى أن آدم كان محرابا للمامورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل وموافقة الامر والطاعه له على سبيل البلوى والاختبار والخدمة الواقعة بالمكلفين ومنهم من رأى غير ذلك ثم نفخ الله تعالى فى آدم من روحه فكان كلما دخل فى بعضه الروح يذهب ليجلس فقال الله تعالى وكان الانسان عجولا ولما تتابع فيه الروح عطس فقال الله له قل الحمد لله يرحمك الله يا آدم (قال المسعودى) وما ذكرناه من الاخبار فى مبدإ الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف والباقى عن الماضى فعبرنا عنه

بما يقول من يقف على سرد هذه الامداح النبوية الى متى وهذا الميدان تكل فيه فرسان البديهة والروية فأنشده فى الجواب قول بعض من أم نهج الصواب

لأديمن مديح المصطفى * فعل من فى الله قوى طمعه
فعسى أنعم فى الدنيا به * وعسى يحشرنى الله معه

واذا كان القريض فى بعض الاحيان كذبا صراحا والموفق من تركه والحالة هذه رغبة عنه واطراحا فخيره ما كان حقا وهو مدح الله ورسوله وبذلك يحصل للعبد منتهى سوله

ليس كل القريض يقبله السمع وتصغى لذكره الافهام
ان بعض القريض ما كان هزأ * ليس شيأ وبعضه أحكام
واجل الكلام ما كان فى مد * ح شفيع الورى عليه السلام
طيب العرف دائم الذكر لاتأ * تى الليالى عليه والايام
مثل زهر قد شق عنه كمام * أو كمسك قد فض عنه ختام
ليس تحصى صفات أحمد بالعد كما لم تحط به الاوهام
ولو أن البحار حبر وما فى الارض من كل نابت أقلام
فطويل المديح فيه قصير * وحسام ماض لديه كهام
ولسان البليغ لاعى يمسى * وكذا صيب الفصيح جهام
كيف يحصى مديح مولى عليه الله أثنى وذكره مستدام
وله المعجزات والآى تبدو * لا يغطى وجوههن لثام
من المعجزات أن سار ليلا * وجميع الانام فيه نيام
راكبا للبراق حتى أتى القد * س وفيه رسل الاله الكرام
فاستووا خلفه صفوفا وقالوا * صل يا أحمد فأنت الامام
فعليه من ربه صلوات * زاكيات مع صحبه وسلام

ثم رجعت الى القاهرة وكررت منها الذهاب الى البقاع الطاهرة فدخلت لهذا التاريخ الذى هو عام تسعة وثلاثين وألف مكة خمس مرات وحصلت لى بالمجاورة بها المسرات وأمليت بها على قصد التبرك دروسا عديدة والله يجعل أيام العمر بالعود اليها مديدة ووفدت على طيبة المعظمة ممما امنا هجها السديدة سبع مراز واطفأت بالعود اليها ما بالاكباد الحرار واستضات بتلك الانوار وألفت بحضرته صلى الله عليه وسلم بعض ما من الله به على فى ذلك الجوار وأمليت الحديث النبوى بمرأى منه عليه الصلاة والسلام ومسمع ونلت بذلك وغيره ولله المنة ما لم يكن لى فيه مطمع ولا مطمع ثم أبت الى مصر مفوضا لله جميع الامور ملازما خدمة العلم الشريف بالازهر المعمور وكان عودى من الحجة الخامسة بصفر سنة سبع وثلاثين وألف للهجرة فتحركت همتى أوائل رجب هذه السنة للعود لبيت المقدس وتجديد العهد بالمحل الذى هو على التقوى مؤسس فوصلت أواسط رجب وأقمت فيه نحو خمسة وعشرين يوما بدالى فيها بفضل الله وجه الرشد وما احتجب وألقيت عدة دروس بالاقصى

ب ما نقل الينا من ألفاظهم ووجدناه فى كتبهم مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضاحها بكونه ولم نتعرض لوصف من وافق ذلك وانقاد اليه من أهل الملل القائلين بالحدوث ولا الرد على من سواهم ممن خالف ذلك وقال بالقدم لذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا وقد ذكرنا فى مواضع كثيرة من كتابنا هذا جملا من علوم النظر والبراهين والجدل تتعلق بكثير من الآراء والنحل على طريق الخبر وروى عن أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام انه قال ان الله حين شاء تقدير الخليقة وذرء البرية وابداع المبدعات نصب الخلق فى صور كالهباء قبل دحو الارض ورفع السماء وهو فى انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأتاح نورا من نوره فلمع ونزع قبسا من ضيائه فسطع ثم اجتمع النور فى وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله عز من قائل أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نورى وكنوز هدايتى من اجلك أسطح البطحاء واموّج الماء وارفع السماء واجعل الثواب والعقاب والجنة والنار وأنصب أهل بيتك للهداية وأوتيهم من مكنون علمى الا يشكل عليهم دقيق ولا يعييهم خفى واجعلهم حجتى على بريتى والمنبهين على قدرى ووحدانيتى ثم أخذ الله الشهادة عليهم

والفخرة المنيفة وزرت مقام الخليل ومن معه من الانبياء ذوى المقامات الشريفة وكنت حقيقا بأن أنشد قول ابن مطروح في ذلك المقام الذى فضله معروف وأمره مشروح

خليل الله قد جئناك نرجو * شفاعتك التى ليست ترد
أتيناك نادعوه واشفع تشفع * الى من لا يخيب لديه قصد
وقل يارب أضياف وفد * لهم بمحمد صلة وعهد
أتوا يستغفر ونك من ذنوب * عظام لا تعد ولا تحد
اذا وزنت بيذبل او شمام * ورضوى ودونها رضوى وأحد
ولكن لا يضيق العفو عنهم * وكيف يضيق وهو لهم معد
وقد سألوا رضاك على لساني * الهى ما أجيب وما ارد
فيا مولاهم عطفا عليهم * فهم جمع أتوك وانت فرد

ثم استوعبت أكثر تلك المزارات المباركة كمزار موسى الكليم على نبينا وعليهم وعلى سائر المرسلين والانبياء أجمعين أفضل الصلاة والتسليم ثم حدث لى منتصف شعبان عزم على الرحلة الى المدينة التى ظهر فضلها وبان دمشق الشام ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام والادواح المتنوعة والارواح المتضوعة حيث المشاهدة المكرمة والمعاهدة المحترمة والغوطة الغناء والحديقة والمكارم التى يبارى فيها المرء شانئه وصديقه والاظلال الوريفة والافنان الورقة والزهر الذى تخاله مبتسما والندى ريقه والقضبان الملد التى تشوق رائيها بجنة الخلد

بحيث الروض وضاح الثنايا * انيق الحسن مصقول الاديم

وهى المدينة المستولية على الطباع المعمورة البقاع بالافاضل والرباع

تزيد على مر الزمان طلاوة * دمشق التى راقت بحلو المشارب
لها فى اقاليم البلاد مشارق * منزهة اقمارها عن مغارب

ودخلتها أواخر شعبان المذكور وحمدت الرحلة اليها وجعلها الله من السعى المشكور

وجدت بها ما يملأ العين قرة * ويسلى عن الاوطان كل غريب

وشاهدت بعض مغانيها الحسنة ومبانيها المستحسنة

نزلنا بها ننوى المقام ثلاثة * فطابت لنا حتى اقمنا بها شهرا

ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنق فى الخطاب وأطال فى الوصف وأطاب وان ملأ من البلاغة الوطاب كما قلت

محاسن الشام أجلى * من ان تحاط بحدّ
لولا حمى الشرع قلنا * ولم نقف عند حدّ
كانها معجزات * مقرونة بالتحدّى

فالجامع الجامع للبدائع يبهر الفكر والغوطة المنوطة بالحسن تسحر الالباب لاسيما اذا حياها النسيم واستكر

أحب الحمى من اجل من سكن الحمى * حديث حديث فى الهوى وقديم

لهداية معه والتوراة سامة فى آله تقديما ة العدل وليكون عذارمتقدماثم أخفى الله الليقة فى غيبه وغيبها فى ون علمه ثم نصب العوالم بسط الزمان وموج الماء ثار الزبد وأهاج الدخان : اعرشه على الماء فسطح رض على ظهر الماء ثم سماء ... الى الطاعة دعا بالام .. بما انشا الملائكة من أنوار دعها وأرواح اخترعها رن توحيده بنبوة محمد لى الله عليه وسلم فشهرت فى السماء قبل بعثته فى لارض فلما خلق الله آدم بان فضله للملائكة وأراهم ما خصه به من سابق العلم حيث عرفه عند استنبائه اياه بسماء الاشياء فجعل الله آدم محرابا وكعبة وبابا وقبلة أسجد اليها الابرار والروحانيين الانوار ثم نبه آدم على مستودعه وكشف له عن خطر ما ائتمنه عليه بعد ما سماه اماما عند الملائكة فكان حظ آدم من الخير ما أراه من مستودع نورنا ولم يزل الله تعالى يخبأ النور تحت الزمان الى ان وصل محمدا صلى الله عليه وسلم فى ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهرا او باطنا وندبهم سرا واعلانا واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد فلله

م آدا الجميل الجليل وبيوتها التى لم تخرج عن عروض الخليل ومخبرها الذى هو على
لها وفضل اهلها أدل دليل ومنظرها الذى ينقلب البصر عن بهجته وهو كليل

والروض قد راق العيون بحلة * قد حاكها بسحابه آذار
وعلى غصون الدوح خضر غلائل * والزهر فى أكمامه أزرار

مكم لها من حسن ظاهر وكامن كما قلت موطئا للبيت الثامن

أما دمشق فجنة * لعبت بالباب الخلائق
هى بهجة الدنيا التى * منها بديع الحسن فائق
لله منها الصالحية فاخرت بذوى الحقائق
والغوطة الغناء حيث بالورود وبالشقائق
والنهر صاف والنسيم اللدن للاشواق سائق
والطير بالعيدان أبدت فى الغنا احلى الطرائق
ولآلئ الازهار حلت جيد غصن فهو رائق
وموارد الامطار قد * كحلت بها حدق الحدائق
لازال مغناها مصو * نا آمنا كل البوائق

وكما قلت مرتجلا ايضا مضمنا الرابع والخامس

دمشق راقت رواء * وبهجة وغضاره
فيها نسيم عليل * صح فوافت بشاره
وغوطة كعروس * تزهى باعجب شاره
يا حسنها من رياض * مثل النضار نضاره
كالزهر زهرا وعنها * عرف العبير عباره
والجامع الفرد منها * أعلى الاله مناره
وحاصل القول فيها * لمن أراد اختصاره
تذكيرها من رآها * عدنا وحسبى اشاره
دامت تفوق سواها * انالة وانارة

وكما ارتجلت فيها ايضا

قال لى ما تقول فى الشام حبر * كلما لاح بارق الحسن شامه
قلت ماذا أقول فى وصف قطر * هو فى وجنة المحاسن شامه

وقلت ايضا

قال لى صف دمشق مولى رئيس * جل الله نعلته واحتشامه
قلت كل اللسان فى وصف قطر * هو فى وجنة البسيطة شامه

وقلت أيضا

واذا وصفت محاسن الدنيا فلا * تبدأ بغير دمشق فيها اولا
بلد [illegible] طرفك نحوه * لم تلق الا جنة أو جدولا

ى تقدمه الى الذر قبل النسل فمن وافقه واقتبس من مصباح الانوار المقدم اهتدى الى سيره واستبان واضح أمره ومن ألبسته الغفلة استحق السخط ثم انتقل النور الى غرائزنا ولاح فى أئمتنا فنحن انوار السماء وأنوار الارض فبنا النجاة ومنا مكنون العلم والينا مصير الامور وبمهدينا تنقطع الحجج خاتمة الائمة ومنقذ الامة وغاية النور ومصدر الامور فنحن أفضل المخلوقين واشرف الموحدين وحجج رب العالمين فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا وقبض عروتنا فهذا ما روى عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن امير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولم نتعرض لكثير من اسانيد هذه الاخبار وطرقها الا انا قد اتينا على جميع ذكرها واتصالها فى النقل بمن ذكرناها عنه وعزوناها اليه فيما سلف من كتبنا خوف الاكثار والتطويل فى هذا الكتاب واما ما وجدت فى التوراة فهو أن الله تعالى ابتدأ الخلق فى يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ يوم السبت فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت عيدا وزعم أهل الانجيل أن المسيح عليه السلام [illegible] قام من قبره يوم الاحد فاتخذوا ذلك اليوم عيدا واما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه

ذا وصف بعض صفاتها وهى التى * يعيا البليغ وان اجاد وطوّلا

والغاية فى هذا الباب من الوصف لبعض محاسنها الفاتنة الالباب قول ابى الوحش سبع ابن خلف الاسدى يصف ارضها المشرقة ورياضها المورقة ونسيمها العليل وزهرها البليل

سقى دمشق الشام غيث ممرع * من مستهل ديمة دفاقها
مدينة ليس يضاهى حسنها * فى سائر الدنيا ولا آفاقها
تود ر و راء العراق أنها * تعزى اليها لا الى عراقها
فأرضها مثل السماء بهجة * وزهرها كالزهر فى اشراقها
نسيم رياها وضها متى سرى * فك اخا الهموم من وثاقها
قد ربع الربيع فى ربوعها * وسيقت الدنيا الى اسواقها
لا تسأم العيون والانوف من * رؤيتها وماولا انتشاقها

وقول شمس الدين الاسدى الطيبى

اذا ذكرت بقاع الارض يوما * فقل سقيا لجلق ثم رعيا
وقل فى وصفها لا فى سواها * بها ماشئت من دين ودنيا

وكأن لسان الدين ذا الوزارتين بن الخطيب عناها بقوله المصيب

بلد تحف به الرياض كانه * وجه جميل والرياض عذاره
وكانما واديه معصم غادة * ومن الجسور المحكمات سواره

وكنت قبل رحلتى اليها ووفادتى عليها كثيرا ما اسمع عن اهلها زادالله فى ارتقائهم مايشوقنى الى رؤيتها ولقائهم وينشقنى على البعد اريج الادب الفائق من تلقائهم حتى لقيت بمكة المعظمة أوحد كبرائها الذين فرائدهم بلبة الدهر منظمة عين الاعيان وصدر أرباب التفسير بها والبيان صاحب القلم الذى طبق الكلى والمفاصل والفتاوى التى حكمها بين الحق والباطل فاصل والتآليف التى وصفها بالاجادة من باب تحصيل الحاصل وارث العلم عن غير كلالة ذو الحسب المشرق بدره فى سماء الجلالة صاحب المعارف التى زانت خلاله وساحب اذيال العوارف التى أبانت عن فضله دلالة مفتى السلطان فى تلك الاوطان على مذهب الامام النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الاسلام عماد الدين لازال سالكا سبيل المهتدين فكان جمل الله به عصرا وأوانا لقضية هذا القياس عنوانا فلما حللت بدارهم ورأيت ما أذهلنى من سبقهم للفضل وبدارهم صدق الخبر وتمثلت فيهم بقول بعض من غبر

ألمت بنا أوصافهم فامتلأ الفضا * عبيرا وأضحى نوره متألقا
وقد كان هذا من سماع حديثهم * بلاغا فصح النقل اذ حصل اللقا

وقابلونى أسماهم الله بالاحتفال والاحتفاء وعرفنى بديع برهم فن الا كتفاء

غمرتنى المكارم الغر منهم * وتوالت على منها فنون
شرط احسانهم تحقق عندى * ليت شعرى الجز[illegible] يكون

وقابلونى بالقبول مغضين عن جهلى

من نيسان ثم خلقت حواء من آدم واسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فمكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتى سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا وأهبط الله آدم بسرنديب وحواء بجدة وابليس بيسان والحية باصبهان فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق الذى خصفه من ورق الجنة فيبس فذرته الرياح فانتثر فى بلاد الهند فيقال والله اعلم ان علة كون الطيب بارض الهند من ذلك الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والافاويه والمسك وسائر الطيب وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت وكان منه الماس وفى جزائر بحره السنباذج وفى قعره مغائص اللؤلؤ وان آدم لما أهبط من الجنة أخرج منها معه صرة من الحنطة وثلاثين قضيبا من شجرات الجنة مودعة اصناف الثمار منها عشرة ماله قشر وهى الجوز واللوز والجلوز وهو البندق والفستق والخشخاش والشاهبلوط والرانج والرمان والموز والبلوط ومنها عشرة ذات نوى وهى الخوخ والمشمش والاجاص والرطب والغبيراء والنبق والزعرور [illegible]

ومازال بى احسانهم وجميلهم * وبرّهم حتى حسبتهم اهلى

بل الاولى أن اتمثل فيهم بما هو أبلغ من هذا المقول فى آل المهلب وهو قول بعض من نزل بقوم برق قصدهم غير خلب فى زمن به تقلب

ولما نزلنا فى ظلال بيوتهم * أمنا ونلنا الخصب فى زمن المحل
ولو لم يزد احسانهم وجميلهم * على البر من أهلى حسبتهم أهلى

لاسيما المولى الذى امداحه تحلى اجياد الطروس العاطلة وسماحه يخجل انواء الغيوث الهاطلة صدر الاكابر الاعاظم الحائز قصب السبق فى ميدان الاجادة بشهادة كل ناثر وناظم الصديق الذى بوده أغتبط والصدوق الذى بأسباب عهده ارتبط الاوحد الذى ضربت البراعة رواقها بناديه والماجد الذى لم يزل بديع البلاغة من كثب يناديه السرى الحائز من الخلال ما أبان تفضيله اللوذعى الذى لم تزل أوصافه تحكم له بالسودد وتقضى له والحق أبلج لا يحتاج الى زيادة براهين الاجل المولى احمد افندى بن شاهين لا زالت العزة مقيمة بواديه ولا برحت حضرته جامعة لبواطن الفخر وبواديه والسعد براوح مقامه و يغاديه والمجد يترنم بذكره حاديه فكم له أسماه الله ولغيره من اعيان دمشق لدى من أياد يعجز عن الابانة عنها لو أراد وصفها قس اياد ولو تعرضت لاسمائهم وحلاهم أدام الله تعالى سوددهم وعلاهم لضاق عن ذلك هذا النطاق وكان من شبه التكليف بما لا يطاق فليت شعرى بأى أسلوب أؤدى بعض حقهم المطلوب أم بأى لسان أثنى على مزاياهم الحسان وما عسى أن اقول فى قوم نسقوا الفضائل ولاء وتعاطوا أكواب المحامد ملاء وسحبوا من المجد مطارف وملاء وحازوا المكارم وبذوا المواددد والمصارم سوددا وعلاء

فما رياض زهر الربيع * اذا بدت فى وشيها البديع
ضاحكة عن شنب الاقاح * عند سفور طلعة الصباح
غنى بها مطوّق الحمام * وصافحتها راحة الغمام
وباكرتها نسمة من الصبا * فاصبحت كأنها عهد الصبا
نضارة و رونقا وبهجه * تفدى بكل ناظر ومهجه
أطيب من ثناهم عبيرا * بين الورى فاسأل به خبيرا
دامت معاليهم على طول الزمن * يروى حديث الفضل عنها عن حسن
وثابت وقرة وسعد * وأسعفوا بنيل كل وعد

فهم الذين نوّهوا بقدرى الخامل وظنوا مع نقصى أن بحر معرفتى وافر كامل حسبما اقتضاه طبعهم العالى فلو شريت بعمرى ساعة ذهبت من عيشى معهم ما كان بالغالى فتعين حقهم لا يترك وحبهم لا يخالطه غيره ولا يشرك وان اطلت الوصف فالغاية فى ذلك لا تدرك

يزداد فى مسمعى ترداد ذكرهم * طيبا ويحسن فى عينى مكرره

واذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعة قدر فهم كما قال الاعرابى الذى ... لمتناقته فى مدح البدر والبليغ ... مصرّح ... فصر فى ذلك سيان والحق ابلج والباطل لجلج وليس الخبر

والشاهلوج وهذا اسم فارسى وتفسيره ملك الاجاص ومنها ما لا قشر له ولا نوى تؤكل ظاهرها وباطنها وهى التفاح والسفرجل والعنب والكمثرى والتين والتوت والاترج والقثاء والخيار والخروب و يقال ان آدم لما هبط من الجنة هو وحواء هبطاه متفارقين فتعارفا بالموضع الذى يسمى عرفة و بتعارفهما فيه سمى بهذه التسمية وقيل غير ذلك وان آدم عليه السلام تاق الى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر وانثى فسمى الذكر قاين والانثى لوبذاء ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضا على ذكر وأنثى فسمى الذكر هابيل والانثى اقليمياء وقد تنوزع فى اسم الولد الاول فذهب الاكثر من أهل الكتاب وغيرهم ان اسمه قاين على ما ذكرنا ومنهم من رأى ان اسمه قابيل وهو قول فريق من الناس والاغلب ما قدمناه وتذكر على بن الجهم فى قصيدته فى بدء الخلق والذرء ذلك فقال

واقتنيا الابن فسمى قاينا
وعاينا من نشئه ما عاينا
فشب هابيل وشب قاين
ولم يكن بينهما تباين

وذكر أهل الكتاب ان آدم زوّج أخت هابيل لقاين وأخت قاين لهابيل وفرق فى النكاح بين البطنين وهذه سنة آدم عليه السلام صار ... ارتباطا الا ... مايمكنه فى ذوى التحارم لموضع الاضطرار وعجز النسل عن التباين والاغتراب

كالعيان

هب الروض لا يثني على الغيث نشره * أتحسبه تخفى ما آثره الحسنى

وقد تذكرت بلادي النائية بذلك المرأى الشامي الذي يبهر رائيه فما شئت من أنهار ذات انسجام أترع فيها من جريال الانس جام وازهار متوجة للادواح مروحة للنفوس بعاطر الارواح وحدائق تغشى أنوارها الاحداق وعيانها للخبر عنها مصداق وأي مصداق

فهي التي ضحك النهار صباحها * وبكت عشيتها عيون النرجس

واخضر جانب نهرها فكأنه * سيف يسل وغمده من سندس

وجنان أفنانها في الحسن ذوات أفنان

صافحتها الرياح فاعتنق السمر * ومالت طواله للقصار

لائذ بعضه ببعض كقوم * في عتاب مكرر واعتذار

وبطاح راق سناها وكمل حسنها وتناهى كما قلت مضمنا في ذلك المنحى اقول بعض من نال في البلاغة مناو منحا

دمشق لا يقاس بها سواها * ويمتنع القياس مع النصوص

حلاها راقت الابصار حسنا * على حكم العموم أو الخصوص

بساط زمرد نثرت عليه * من الياقوت الوان الفصوص

ولله در القائل في وصف تلك الفضائل

ان تكن جنة الخلود بارض * فدمشق ولا يكون سواها

او تكن في السماء فهي عليها * قد امدت هواءها وهواها

بلد طيب ورب غفور * فاغتنمها عشية أو ضحاها

وعند رؤيتي لتلك الاقطار الجليلة الاوصاف العظيمة الاخطار تفاءلت بالعود الى اوطان لي بها اوطار اذا التشابه بينهما قريب في الانهار والازهار ذات العرف المعطار وزادت هذه بالتقديس الذي همعت عليها منه الامطار وتمثلت بقول الاصفهاني وان غيرت يسيرا منه لما اسفرت وجوه التهاني

لما وردت الصالحية حيث مجتمع الرفاق

وشممت من أرض الشآم * نسيم أنفاس العراق

أيقنت لي ولمن احب بجمع شمل واتفاق

وضحكت من فرح اللقا * كما بكيت من الفراق

لم يبق لي الا تجشم ازمن السفر البواقي

حتى يطول حديثنا * بصفات ما كنا نلاقي

وكنت قبل حلولي بالبقاع الشامية مولعا بالوطن لا سواه فصار القلب بعد ذلك مقسما بهواه

ولي بالحمى اهل وبالشعب جيرة * وفي حاجر خل يكون نعني صحب

تقسم ذا القلب المتيم بينهم * سألتكم بالله هـ[illegible]ـم القلب

فبالك

وقد زعمت المجوس ان ادم لم يحالف في النكاح بين البطون ولم يتحر المخالفة ولهم في هذا المعنى شعر يدعون فيه الفضل في الاصلاح بتزويج الاخ من أخته والام من ابنها وقد أتينا به في الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم باخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخاليه والممالك الدائرة وان هابيل وقابين قربا قربانا فتحر هابيل أجود غنمه وأفضل طعامه وقربه وتحرقابين شرماله وقربه فكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى في كتابه العزيز من قتل قابين هابيل ويقال انه اغتاله في برية قاع ويقال ان ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشام وكان قتله شدخا بحجر فيقال ان الوحوش هنالك استوحشت من الانسان وذلك انه بدأ فبلغ الغرض بالشر والقتل فلما قتله تحير في توريته وحمله يطوف به فبعث الله غرابا الى غراب فقتله ثم دفنه فأسف قابين ثم قال ما حكاه القرآن عنه ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخي فدفنه عند ذلك فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارتاع وهلع (قال المسعودي) وقد استفاض في الناس شعر يعزونه الى ادم قاله حين حزن على ولده وأسف على فقده وهو تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الار[illegible]

فيالك من صب مراع للذمام منقاد لشوقه بزمام يتخيل له انه سمع صوت قيان يقول الاول

الى الله أشكو بالمدينة حاجة * وبالشام أخرى كيف يلتقيان

وفرد تعددت جموعه ووشت بما كنت ضلوعه دموعه فانشد وقد تحير مابدل فيه من عظم مابه وغير

كتمت شان الهوى يوم النوى فوشى * بسره من جفونى أى غمام
كانت ليالى بيضا فى دنوهم * فلا تسل بعدهم عن حال أيامى
شنيت وجدا بهم والناس تحسب بى * سقما فابهم حالى عند لوامى
وليس أصل ضنى جسمى النحيل سوى * فرط اشتياقى لاهل الغرب والشام

وحصل التحير حيث لم يمكن الجمع ولا الخلو عند التخير كما قال ابن دقيق العيد فى مثل هذا الغرض البعيد

اذا كنت فى نجد وطيب نعيمه * تذكرت أهلى باللوى فمحسر
وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة * الى ساكنى نجد وعيل تصبرى
فقد طال مابين الفريقين موقفى * فمن لى بنجد بين اهلى ومعشرى

وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة ومحاسن الشام وأهله طويلة عريضة ورياضه بالمفاخر والكمالات أريضة وهو مقر الاولياء والانبياء ولايجهل فضله الا الاغمار الاغبياء الذين قلوبهم مريضة

أنى يرى الشمس خفاش يلاحظها * والشمس تبهر أبصار الخفافيش

ولله در من قال فى مثل هذا من الارضياء

وهبنى قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء

وقال آخر فيمن عن الحق ينفر

اذا لم يكن للمرء عين بصيرة * فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

وحسب الفاضل اللبيب أن يروى قول البدر بن حبيب

عرج اذا ماشمت برق الشام * وحى اهل الحى وافر السلام
وانزل باقليم جزيل الحيا * بارك فيه الله رب الانام
العز والنصر لديه وما * لعروة الاسلام عنه انفصام
من اولياء الله كم قد حوى * ركنا عراه يطيب المقام
وهو مقر الانبياء الالى * والاصفياء الاتقياء الكرام
كم من شهيد فى حماه وكم * من عالم فرد وكم من امام

ولذلك اعتنت الجهابذة بتخليد أخباره فى الدواوين وابتنت الاساتذة بيوت افتخاره المنيفة الاواوين وتناقلت أنباءه البديعة ألسن الراوين وهامت باماكنه المريعة هداة الشريعة فضلا عن الشعراء الغاوين ومع ذلك فهم فى التعبير عن عجائبه غير متساوين أولا يرى انهم يأتون من مقولهم بقدر رأيهم وعقولهم ولم يبلغ جمع منهم ما كانوا له ناوين

تغير كل ذى لون وطعم * وقل بشاشة الوجه المليح
وبدل أهلها خمطا وأثلا * بجنات من الفردوس فيح
وجاورنا عدوّ ليس ينسى * لعين لايموت فنستريح
وقتل قاين هابيل ظلما * فوا أسفا على الوجه المليح
فمالى لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة على غما * وما أنا من حياتى مستريح

ووجدت فى عدة من كتب التواريخ والسير والانساب أن آدم لما نطق بهذا الشعر أجابه ابليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول

تنح عن البلاد وساكنيها * فقد فى الارض ضاق بك الفسيح
وكنت وزوجك الحوّاء فيها * أآدم من اذى الدنيا مريح
فمازالت مكايدتى ومكرى * الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الرحمن اضحت * بكفك من جنان الخلد ريح

ووجدت أن آدم عليه السلام سمع صوتا ولا يرى شخصا وهو يقول بيتا آخر مفردا دون ماذكرنا من هذا الشعر وهو هذا البيت

أباهابيل قد قتلا جميعا * وصار الحى بالموت الذبيح

فلما سمع آدم ذلك ازداد حزنا وجزعا على الماضى والباقى وعلم ان القاتل مقتول فاوحى الله اليه انى مخرج منك نورى الذى به السلوك فى القنوات

على تدرك الصهباء تواين نشوة * بهاسيء اعداء وسر أصحاب
ولو أنها تعطيك منها بقدرها * لضاقت بك الاكوان وهي رحاب

وكنا في خلال الاقامة بدمشق المحوطة واثناء التأمل في محاسن الجامع والمنازل والقصور والغوطة كثيرا ما ننتظم في سلك المذاكرة درر الاخبار الملقوطة ونتفيأ من ظلال التبيان مع أولئك الاعيان في مجالس مغبوطة تتجاذب فيها اهداب الآداب ونشرب من سلسال الاسترسال ونتهادى لباب الالباب ونمد بساط الانبساط ونسدل أطناب الاطناب ونتقضى اوطار الاقطار ونستدعي أعلام الاعلام فيجر بنا الكلام والحديث شجون وبالتفنن يبلغ المستفيدون ما يرجون الى ذكر البلاد الاندلسية ووصف رياضها السندسية التي هي بالحسن منوطة وقضاياها الموجهة التي لا يستوفيها المنطق مع انها ضرورية وممكنة وشر وطة والفطر السليمة والافهام المستقيمة بتسليم براهينها قاضية لاسيما ان كانت بالانصاف مربوطة فصرت أورد من بدائع بلغائها ما يجري على لساني من الفيض الرحماني وأسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السلماني صب الله عليه شآبيب رحماه وبلغه من رضوانه الاماني ما تثيره المناسبة وتقتضيه وتميل اليه الطباع السليمة وترتضيه من النظم الجزل في الجد والهزل والانشاء الذي يدهش به ذاكره الالباب ان شاء وتصرفه في فنون البلاغة حالي الولاية والعزل اذ هو أعني لسان الدين فارس النظم والنثر في ذلك العصر والمنفرد بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر وكيف لا ونظمه لم تستول على مثله أيدي الهصر ونثره تزري صورته بالخريدة ودمية القصر فلما تكرر ذلك غير مرة على أسماعهم لهجوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة اجماعهم وعلق بقلوبهم وأضحى منتهى مطلوبهم ومنية آمالهم واطماعهم وصاروا يقطفون بيد الرغبة فنونه ويعترفون ببراعته ويستحسنونه ويستنشقون من أزهاره كل ذلك فطلب مني المولى احمد الشاهيني اذ ذاك وهو الماجد المذكور ذو السعي المشكور أن اتصدى للتعريف بلسان الدين في مصنف يعرب عن بعض احواله وأنبائه وبدائعه وصنائعه ووقائعه مع ملوك عصره وعلمائه وأدبائه ومفاخره التي قلد بها جيد الزمان ولبته ومآثره التي ارج بها مسري الشمال وهبته وبعض ماله من النثار والنظام والمؤلفات الكبار العظام الرائقة للابصار الفائقة على كلام كثير من أهل الامصار السائرة مسير القمر والشمس المعقود عليها بالخناصر بل الخمس كي ما يكون ذلك لهذه الاغراض مشيعا ويخلع على مطالعه بهذه البلاد المشرقية من اغراضه البديعة ومنازعه وشيعا فاجبته اسمى الله قدره الكبير وأدام عرف فضائله المزري بالعنبر والعبير بان هذا الغرض غير سهل ولست علم الله له باهل من جهات عديدة أولها قصوري عن تحمل تلك الاعباء الشديدة اذ لا يوفي بهذا الغرض الا الماهر بطرق المعارف السديدة وثانيها عدم تيسر الكتب المستعان بها على هذا المرام لاني خلفتها بالمغرب واكثرها في المشرق كعنقاء مغرب وثالثها شغل الخاطر باشجان الغربة الجالبة للفكر غاية الكربة وتقسم البال بين شغل عائق وبلبال وأنى يطيق سلوك هذا المضيق من اكتحلت [illegible]نه بالسهاد ونبت

الطاهرة والارومات الشريفة وأباهي به الانوار واجعله خاتم الانبياء واجعله خيار الائمة الخلفاء واختم الزمان بمدتهم وأغص الارض بدعوتهم واشرها بشيعتهم فشمر وتطهر وقدس وسبح واغش زوجتك على طهارة منها فان وديعتي تنتقل الى الولد الكائن منكما فواقع آدم حواء فحملت لوقتها وأشرق جبينها وتلألأ النور في مخايلها ولمع من محاجرها حتى اذا انتهى حملها وضعت نسمة كأسر ما يكون من الذكران واتمهم وقارا واحسنهم صورة واكملهم هيئة واعدلهم خلقا مجللا بالنور والهيبة موشحا بالجلالة والابهة فانتقل النور من حواء اليه حتى لمع في اسارير جبهته وبسق في غرة طلعته فسماه آدم شيثا وقيل شيث هبة الله حتى اذا ترعرع وايفع وكهل واستبصر أوعز اليه آدم وصيته وعرفه محل ما استودعه واعلمه انه حجة الله بعده وخليفته في الارض والمؤدي حق الله الى اوصيائه وانه ثاني انتقال الذرة الطاهرة والجرثومة الزاهرة ثم ان آدم حين ادى الوصية الى شيث احتقبها واحتفظ بمكنونها وأتت وفاة آدم عليه السلام وقرب انتقاله فتوفي يوم الجمعة لست يخلون من نيسان في الساعة التي كان فيها خلقه وكان عمره عليه السلام تسعمائة سنة وثلاثين سنة

جنوبه

جنوبه عن المهاد وسدد نحوه الاسف سهمه وشغل باله ووهمه وبث فى تبريحا
وعناء لم يجد منه الا ان يلطف الله تسريحا فاشام بارقة أمل الا فى النادر ولا ورد منهل
صفاء الا وكدره مكر غادر وقد كثر الجفاء وبرح بلا شك الخفاء واستوخمت الموارد
والمصادر والقلب مكلوم وذو الالباب غير ملوم اذا كان على تلفيق ما يليق غير قادر ولا
يؤنس الا شاكى دهر بلسان صريح او باكى قاصمة ظهر بجفن قريح او مناضل فى
معترك العجز طريح او فاضل دفن من الخمول فى ضريح اذ رمته سهام الاوهام الصوائب
وعضت منه ابهام الابهام بنابها النوى والنوائب فقلوبه من تقلبات أحواله ذوائب وكم
شابت من أمثاله بصروف الدهر واهواله ذوائب

على أنها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وأدمع اجارها تسلط فجارها فكم من عدو منهم فى ثياب صديق وحسود لنظره الى نعم
الله على عباده تحديق لا تخدعه المداراة ولا تردعه المماراة يتتبع العثرات ويقنع
بالم البثرات ويتبسم وقلبه من الغل يتقسم ويتودد ومكايده تتجدد وتتعدد

لاترم من مماذق الود خيرا * فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحباب يعلو على الما * ء ولكن تحت الحباب الحباب
عظمت فى النفاق ألسنة القو * م وفى الالسن العذاب العذاب

والصديق الصدوق فى هذا الزمن قليل وقد ألف بعض العلماء شفاء الغليل فى ذم
الصاحب والخليل وهو غير محمول على الاطلاق وان قال به بعض من رهنه من أبناء
عصره ذو اغلاق

أبناء دهرك فالقهم * مثل العدا بسلاحكا
لا تغترر بتبسم * فالسيف يقتل ضاحكا

وداء الحسد أعيا الاول والآخر وقد عظم الامر فى هذا الاوان وكثر المزدرى والساخر
مع ان أسواق الدفاتر كاسدة وأمزجة المحابر فاسدة

والدهر دهر الجاهلين وأمر أهل العلم فاتر
لا سوق أكسد فيه من * سوق المحابر والدفاتر

فالمنسوب للعلم فى هذا الزمن زمن وهو بان ينشد قول الاولين

لاى وميض بارقة أشيم * ورعى الفضل عندهم هشيم

وليت شعرى علام يحسد من ابدل الاغتراب شارته واضعف الاضطراب اشارته وانهل
بالمسموع انواءه واقلل اضواءه وكثر علله وادواءه وغير عند التأمل رواءه وثنى عن
المأمول عنانه وارهف بالخمول سنانه حتى قدح الذكر جنانه وملأ الفكر جاشه وجنانه
فهو فى ميدان النزوح مستبق ومن راحة التعب مصطبح ومغتبق

له أنة المشتاق فى كل ساعة * تمر وما للثاكلات من الحزن
ومن مرسلات للمدمع واقعة الاسى * ومن عاديات البين قارعة السن

تثير الذكرى منه كوامن الشجون وتدير عليه جام الهيام ولو كان بين الصفا والحجون

قد وصى ابنه شيثا عليه السلام على ولده ويقال ان آدم مات عن اربعين الفا من ولده وولد ولده وتنازع الناس فى
قبره فمنهم من زعم ان قبره فى مسجد الخيف ومنهم
من رأى انه فى كهف جبل
أبى قبيس وقيل غير ذلك
والله أعلم بحقيقة الحال
وان شيثا حكم فى الناس
واستشرع صحف أبيه وما
انزل عليه فى خاصته من
الاسفار والاشراع وان
شيثا واقع امرأته فحملت
بانوش فانتقل النور اليها
حتى اذا وضعته لاح النور
عليه فلما بلغ الوصاة اوعز
اليه شيث فى شان الوديعة
وعرفه شانها وانها شرفهم
وكرمهم واوعز اليه ان ينبه
ولده على حقيقة هذا
الشرف وكبر محله وان
ينبهوا أولادهم عليه ويجعل
ذلك فيهم وصية منتقلة
مادام النسل فكانت
الوصية جارية تنتقل من
قرن الى قرن الى ان أدى
الله النور الى عبد المطلب
وولده عبد الله ابى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وهذا موضع تنازع الناس
فيه من أهل القبلة ممن قال
بالنص وغيرهم من اصحاب
الاختيار والقائلون بالنص
هم الاباضية أهل الامامة
من شيعة على بن ابى طالب
رضى الله عنه والطاهرين
من ولده الذين زعموا ان
الله لم يخل عصرا من الاعصار من قائم بحق الله اما انبياء واما اوصياء منصوص عن اسمائهم واعيانهم من الله ورسوله واصحاب

فزعم هؤلاء ان الله ورسوله فوّض الى الامة ان تختار رجلا منها فتنصبه لها اماما وان بعض الاعصار قد يخلو من حجة الله وهو الامام المعصوم عند الشيعة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من ايضاح ما وصفنا من اقاويل المتنازعين وتباين المختلفين وان أنوش قد لبث في الارض يعمرها وقد قيل والله أعلم ان شيثا أصل النسل من آدم دون سائر ولده وقيل غير ذلك وفي زمن انوش قتل قاين بن آدم قاتل أخيه ولمقتله خبر عجيب قد أوردناه في اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وكانت وفاة أنوش لثلاث خلون من تشرين الاول فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة وكان قد ولد له قينان ولاح النور في جبينه وأخذ عليه العهد فعمر البلاد حتى مات فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة وقد قيل ان موته كان في تموز بعدما ولد له مهلائيل فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة وقد ولد له لود والنور متوارث والعهد ماخوذ والحق قائم ويقال ان كثيرا من الملاهي احدثت في ايامه احدثها ولد قاين قاتل أخيه ولولد قاين مع ولد لود حروب وقصص

وتحت ضلوع المستهام كآبة * يخاف على الاحشاء منها التفطرا
ولو ان احشاء تبوح بما حوت * لتملأن الارض كتبا واسطرا

وشتان ما بين الاقتراب والاغتراب والسكون في الركون والنبوّ عنها والاضطراب فذاك تسهل غالبا فيه الاغراض والمآرب وهذا تتعفر فيه المقاصد وتتكدر المشارب

وما أنا عن تحصيل دنيا بعاجز * ولكن أرى تحصيلها بالدنية
وان طاوعتني رقة الحال مرة * أبت فعلها أخلاق نفس أبية

وكما قلت عند ما صرت الى الاغتراب وآلت

تركت رسوم عزي في بلادي * وصرت بمصر منسي الرسوم
ورضت النفس بالتبر يد زهدا * وقلت لها عن العلياء صومي
مخافة أن أرى بالحرص ممن * يكون زمانه احد الخصوم

وكما قال بعض الاكابر من أهل الزمان الغابر

لا عار ان عطلت يداي من الغنى * كم سابق في الخيل غير محجل
صان اللئيم وصنت وجهي ماله * دوني فلم يبذل ولم أتبذل
أبكي لهم ضافني متأوبا * ان الدموع قرى الهموم النزل
لا تنكروا شيبا ألم بمفرقي * عجلا كأن سناه سلة منصل
فلقد دفعت الى الهموم تنوبني * منها ثلاث شدائد جمعن لي
اسف على ماضي الزمان وحيرة * في الحال منه ووحشة المستقبل
ما ان وصلت الى زمان آخر * الا بكيت على الزمان الاول
لله عهد بالحمى لم انسه * ايام اعصي في الصبابة عذلي

و يرحم الله ابن قلاقس الاسكندري اذ قال في معنى التمني المصدري

لعل زماني بالعذيب يعود * فيقرب قرب او يصد صدود
وابصر كثبانا وهز روادف * عليهن اغصان وهن قدود
واقطف ورد الخد وهو مضرج * واجني اقاح الثغر وهو برود
وادني ذراعي للعناق ذريعة * فتنهى عن الافراط فيه نهود
ويسرى الى البدر وهو ممنع * ويغدو الى الظبي وهو شرود
ونكرع في شكوى الفراق كأننا * فوارط هيم واقهن ورود
واكبر مقدار الهوى عن كبيرة * واحمي عفافي دونه واذود

وفرق ما بين الجوهر والعرض والصحة البينة والمرض والدر والحصا والحسام والعصا والرجوع الى التفويض للاقدار في امور هذه الدار الكثيرة الاكدار هو المطلوب والمرجو من الله سبحانه جبر القلوب

يارب نفس همومي * واكشف كروبي جميعا
فقد رجوت كريما * وقد دعوت سميعا

ولم يجعل لي المذكور حفظه الله فسحة ولا مندوحة بعد هذه الاعذار المحمودة في الصدق

قد أتينا على ذكرها في كتابنا اخبار الزمان ووقع التحارب بين ولد شيث وبين غيرهم من ولد قابن واكثر هذا النوع بارض قار

الممدوحة ولسان حالي وقالي يثبتان عجزي عن اداء هذا الحق بشهادة من هو واد وولي اذ من كان بصفة غير متمكنة مما تكون به متصفة واتسم بنعوت مختلفة وارتسم في غير ذوي الاحوال المؤتلفة كيف يحير في التصنيف جوابا أو ينتحي من التأليف صوابا ومن جفنه هام هامل وقصوره عام شامل كيف يقبض بالانامل على ماء البحر الوافر الكامل ومن لبس من العي ملاه لا يعبر عن طبق مفاصل الكلام وكلاه وقصرت ألسن البلغاء عن علاه وزانت صدور الدواوين حلاه وجمع خلالا حسانا وكان للدين لسانا وزاحمت مفاخره بالمناكب الكواكب وازدانت بمرآه النوادي والمواكب ونفحات الازهار من آدابه ونسمات الاسحار عطر أذياله وأهدابه والسحر من كتابته والسحر من كنايته وروح النسيم من تعريضه والنثرة من نثره والشعرى من شعره وقريضه وحلل المجد لباسه وأنوار العلم اقتباسه

له ذهن يغوص بحر علم * فيأتي منه بالدر النظيم
معانيه الرياض لاجل هذا * سرت ألفاظه مثل النسيم

ومباهيه النجوم ومضاهيه الغيث السجوم الى آباء يحسدهم القمر والشمس واباء لو كان للشمس في لما تحيفه امس وشرف لا مدعى ولا منتحل وهمة لو نالها البدر لاستجدى له زحل وبراعة أرهفت سنان قلمه ويراعة سارت أمراؤها تحت علمه فكم فتح بفكره اقفالها ووسم بذهنه الثاقب أغفالها وسبك معانيها في قالب ذليه ابريزا ورقم بيان لسانه برود احسانه بلفظه البديع تطريزا فرفع في ميدان الاجادة لواءه وأتيح من انهار البراعة العذبة ارواءه ونال سبقا وتبريزا

وما زمن الشباب وانت تجري * مع الاحباب في لهو وطيب
ووصل من حبيب بعد هجر * بأحلى من كلام ابن الخطيب

فقصائده ارخصت جواهر البحور المنظومة في قلائد اللبات والنحور من حسان العقائل الحور

معان وألفاظ تنظم منهما * عقود لآل في نحور الشمائل
وزهر كلام كالحدائق نسجه * غنينا به عن حسن زهر الخمائل

وكلماته غدت للابداع اقليدا وجمعت طريفا من البلاغة وتليدا

كسون عبيدا ثياب العبيد * واضحى لبيد لديها بليدا

ومقطعاته ألذ في الاسماع من مطرب السماع وأبهى في الاحداق والنواظر من الحدائق ذوات الاغصان الملد النواضر يعترف بفضلها من انتحل الانصاف دينا وانتحل الاوصاف فاختار العدل منها خدينا

رقيقات المقاطع محكمات * لو أن الشعر يلبس لارتدينا

ووسائله كنقط العروس اللائحة في البياض اوكوشي الربيع اوقطع الرياض برزت اغصانها الحالية وتبرجت وتضوعت أفنانها العالية وتارجت وقد البسها القطر زهرا وفجر خلالها نهرا فأخذت زخرفها وازينت ولاحت محاسنها غير محتجبة وتبدت فبهرت

من ارض الهند والى بلدهم اضيف العود القماري فكانت حياة لود سبعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة وكانت وفاته في اذار وقام بعده ولده (خنوخ) وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم والصابئة تزعم انه هو هرمس ومعنى هرمس عطارد وهو الذي اخبر الله عز وجل في كتابه انه رفعه مكانا عليا وهو أول من درز الدروز وخاط بالابرة وأنزل عليه ثلاثون صحيفة وكان قد نزل قبل ذلك على آدم احدى وعشرون صحيفة وانزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح وقام بعده (متوشلخ) بن خنوخ فعمر البلاد والنور في جبينه وولد له أولاد وقد تكلم الناس في كثير من ولده وان البلغر والروس والصقالبة من ولده وكانت حياته تسعمائة سنة وستين سنة ومات في ايلول وقام بعده (لمك) وكانت في أيامه كوائن واختلاف وتوفي وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة وقام بعده (نوح) بن لمك عليه السلام وقد كثر الفساد في الارض فاشتدت دياجي الظلم فقام في الارض داعيا الى الله فابوا الا طغيانا وكفرا فدعا الله عليهم فاوحى الله اليه أن اصنع الفلك فلما فرغ من السفينة

من لها قابل أستغفر الله لا بل

هي الحديقة الأأن صيبها * صوب النهى وجناها زهرة الكلم

وقوافيه ريشت بها قوادم الاتقان وخوافيه بنان مجاريها يستدثر الحصر وباع مباريها يستشعر القصر

خطها روضة وألفاظها الأز * هار يضحكن والمعاني ثمار

تبدي لمبصرها وترى ما قاله أبو عبادة البحتري

وكلام كأنه الزهر النا * ضر في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما يخـ * ـلقه عوده على المستعيد
ومعان لو فصلتها القوافي * هجنت شعر جرول من لبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد

بل هي أجل مما وصف عند التحقيق وامعان النظر الصحيح والتدقيق

ابن زهر الرياض وهو اذا ما * طال عهدا بالغيث عاد هشيما
من قواف كأنها الأنجم الزهـ * ـر سناها زان الظلام البهيما

وناهيك عن اطلعته العلوم على جلائلها ودقائقها وأرته الفنون ما شاء من يانعات حدائقها وحبته الحكم الرياضية بأزاهرها وشقائقها وارضعته الوزارة من ثديها وحلت به الامارة صدر نديها وجعلته المرجوع اليه في تمييز جيد الامور ورديها فغرس في ارض الرياسة من نخل السياسة ووديها وأعلى علم العدل وأغمد سيف الانتقام ودفع تنين الفتنة الذي فغر فاه للالتقام والعهد اذ ذاك قريب في وطن الاندلس الغريب باختلال الحال وتوالي الامحال والتجري على قتل الملوك والتحري لقطع الطرق ومنع السلوك حيث أهواء المارقين ذات افتراق وضلوع الصادقين في قلق واحتراق وأيدي الاحن باطشة وسيوف المحن الى الدماء عاطشة وعرش الحماية مثلول وصارم الكفاية مفلول ونطاق الرعاية مطلول وجيب النصيحة مملول والنور السلطاني بنار اختلاف الكلمة ملتهب والعدو ينتهز الفرصة ويستلب الانفس والاموال وينتهب وليس له في غير قطع شأفة المسلمين ابتغاء وان عقد المهادنة في بعض الاحيان فهو يسر حسوا في ارتغاء وكلاب الباطل في دماء أهل الحق والغة ولله سبحانه وتعالى في خلقه ارادة نافذة وحكمة بالغة فرقع لسان الدين ثوب الاندلس ورفاه وأرغم رحمه الله الكفر الذي فغر فاه وشمر عن ساعد اجتهاده وحض باللسان والمال على دفاعه وجهاده حتى لاحت للنصر بوارق وأمنت بالحزم البواري والطوارق ثم ضرب الدهر ضربانه وأحرق الحاسد بنار أحقاده أنضر بانه وأظهر ما في قلبه على لسان الدين وأبانه وتقرب الوشاة وهم ممن كان يخدمه ويغشاه الى سلطانه الذي كان عزه أوطانه الذي كان يأمنه ولا يخشاه حتى فسد عليه ضميره وتكدر ومن يسمع يخل نميره فاحس بظاهر التغير وصار في الباطن من أهل التحير وأجال قداح آرائه والتفت الى جهة العدو من ورائه ففر مشمرا عن ذيله في لمة من خيله الى أسد العرين سلطان بني مرين وكان اذ ذاك بتلمسان وهو من أهل العلم والعدل والاحسان فاهتز لمقدمه ولقيه بخاصته

وخدمه

أتاه جبريل عليه السلام بتابوت آدم فيه رمته وكان ركوبهم في السفينة يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من اذار فاقام نوح ومن معه في السفينة على ظهر الماء وقد غرق جميع الارض خمسة اشهر ثم أمر الله الارض ان تبتلع الماء والسماء ان تقلع واستوت السفينة على الجودي والجودي ببلاد ماسور جزيرة ابن عمر الموصلي وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ وموضع خروج السفينة على رأس هذا الجبل الى هذه الغاية وذكر أن بعض الارض لم يسرع الى بلع الماء ومنها ما أسرع الى بلعه عندما أمرت فما أطاع كان ماؤه عذبا اذا احتفر وما تأخر عن القبول أعقبها الله بماء ملح وملاحات ورمال وما تخلف من الماء الذي امتنعت الارض من بلعه انحدر الى قعور مواضع من الارض فمن ذلك البحار وهي بقية ماء غضب أهلك به أمم وسنذكر بعد هذا الموضع من كتابنا هذا أخبار البحار ووصفها * ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة وهم (سام وحام ويافث) وكنائنه الثلاث أزواج أولاده وأربعون رجلا وأربعون امرأة وصاروا الى سفح هذا الجبل فابتنوا هنالك مدينة سموها ثمانين وهو اسمها الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ودبر عقب هؤلاء

وخدمه وأكرم مثواه وجعله صاحب نجواه ثم أدرك السلطان الحمام وكسف بدره وقت التمام فرجع لسان الدين الى فاس واستنشق بها أطيب الانفاس وكثرت بعد ذلك الاهوال وتغيرت بسببه بين رؤساء العدوة والاندلس الاحوال فانجا من مكر العدا ولا سلم وآل أمره من الاغتيال ومانفع الاحتيال الى ماعلم على يدى بعض أعدائه الذين كانوا يتربصون الدوائر لاردائه فأصبح كأمس الذاهب وصارت أمواله وضياعه عرضة للناهب وغص بذلك من كان من أوداته وأخذ الله ثاره من بعض من حرك عليه المنكر وأثاره وتسبب فى هلاكه حتى انتثرت جواهر أسلاكه ومات بدائه فالعيون لى هذا الوقت على لسان الدين باكية ونفوس الاكابر وغيرهم مما فعل به شاكية ولالسنة والاقلام لمقاماته فى الاسلام حاكية فمن كان بهذه السمات وأكثر منها موصوفا لا يقدر مثلى على تحبير التعبير عنه ويخشى أن تكون فكرته كخرقاء نقضت نقضا أو صوفا ثم انى لما تكرر على فى هذا الغرض الالحاح ولم تقبل أعذارى التى زندها شحاح عزمت على الاجابة لما المذكور على من الحقوق وكيف أقابل بره حفظه الله بالعقوق وهو الذى يروى من أحاديث الفضل الحسان والصحاح فوعدته بالشروع فى المطلب عند الوصول الى القاهرة المعزية وأزمعت السير عن دمشق المعروفة المزية والدنى السفر منها من الخلع زيه ورحلنا عن تلك الارجاء المتالقة والقلوب بها وبمن فيها متعلقة

حللنا ديار الغرام سرت بها * الينا صبا نجد بطيب نسيم
وبان ردا الاشجان لما تجاذبت * أكف المنى فيها رداء نعيم
فما انشبتنا العيس أن قذفت بنا * الى فرقة والعهد غير قديم
فان نك ودعنا الديار وأهلها * فما عهد نجد عندنا بذميم

فخرج معنا أسماه الله مع جملة من الاعيان الى داريا المضاهية لدارين فى رياها وحبذا ريا فالفيناها

ربا من الانداء طيبة لها القدر الجليل
تهدى لنا أرجاؤها * أرجا من الزهر البليل
وبها الغصون تمايلت * ميل الخليل على الخليل

ووصلنا عند الظهيرة وسرحنا العيون فى محاسنها الشهيرة

منزل كالربيع حلت عليه * حاليات السحاب عقد النطاق
يمتع العين من طرائق حسن * تتجافى بها عن الاطراق

وقلنا بها لما نزلنا بجانبها

وبتنا والسرور لنا نديم * وماء عيونه الصافى مدام
يسايره النسيم اذا تغنت * حمائمه ويسقيه الغمام

فيالك من ليلة أربت فى طيب النفح على ليلة الشريف الرضى بالسفح

ونحن فى روضة مفوفة * قد وشيت بالغمائم الوكف
نغفى على زهرها فيوقظنا * وهنا هدير الحمائم الهتف

وجعلنا ذريته هم الباقين والله أعلم بهذا التأويل والمتخلف عنه من ولده الذى قال له يابنى اركب معنا هو يام وقسم الارض نوح بين أولاده أقساما وخص كل واحد بموضع ودعا على ولده حام لامر كان منه مع ما قد اشتهر فقال ملعون حام عبد عبيد يكون لاخوته ثم قال مبارك سام ويكثر الله يافث ويحل يافث فى مسكن سام ووجدت فى التوراة ان نوحا عاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فجميع عمر نوح تسعمائة سنة وخمسون سنة ٣ فانطلق حام واتبعه ولده فنزلوا مساكنهم فى البر والبحر على حسب ما نذكره بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وسنذكر تفرق النسل فى الارض وما كان منهم فيها من ولد يافث وسام وحام (فاما سام) فسكن وسط الارض من بلاد الحرم الى حضرموت الى عمان الى عالج فمن ولده ارم بن سام وارفخشذ بن سام بن نوح ومن ولد ارم ابن سام عاد بن عوص بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الاحقاف من الرمل فارسل اليهم هود وثمود بن عاثر ابن ارم بن سام وكانوا

٣ قول المسعودى فجميع عمر نوح الخ يتأمل فيه وتراجع كتب التفسير اه

ودوحها من نداء في وشح * ومن لآلي الازهار في شنف
والغصن من فوقه حمامته * كانها همزة على ألف

وما أقرب قول الوزير ابن عمار من وصف ذلك المضمار الجامع للاقمار

ياليلة بتنابها * في ظل أكناف النعيم
من فوق أكمام الربا * ض وتحت أذيال النسيم

وناهيك بمحل قرب من دمشق الغراء خلعت عليه حلل الحبور والسراء وأمدته بضيائها وأودعته برق حياها وماء حيائها فصار ناضر الدوحات عاطر الغدوات والروحات مونق الانفاس والنفحات مشرق الاسرة والصفحات هذا والقلوب من الفراق في قلق ولسان الحال ينشد

وبي علاقة وجدليس يعلمها * الا الذي خلق الانسان من علق

ويحث على انتهاز فرصة اللقاء اذ هي غنيمة ويذكر بقول من قال وأكف الدهر موقفة ومميمة

تمتع بالرقاد على شمال * فسوف يطول نومك باليمين
ومتع من يحبك باجتماع * فانت من الفراق على يقين

ثم حضر بعد تلك الليلة موقف الوداع والكل ما بين واجم وباك وداع فتمثلت بقول من قلبه لفراق الاحباب في انصداع

ودعتهم ودموعي * على الخدود غزار
فاستكثر وادمع عيني * لما استقلوا وساروا

وقول آخر

ياوحشة من جيرة قد نأوا * علو تدري في الهوى الخطا
حكت دموعي البحر من بعدهم * لما رأت منزلهم شطا

وحق لي أن أتمثل في ذلك بقول الفزاري

لاتسلني عما جناه الفراق * حملتني بداه ما لا يطاق
أين صبري أم كيف أملك دمعي * والمطايا بالظاعنين تساق
تقف معي تندب الطلول فهذي * سنة قبل سنها العشاق
وأعدلي ذكر الغوير فكم ما * ل بعطفي نسيمه الخفاق
في سبيل الغرام ما فعلت بالـ * ـعاشقين الخدود والاحداق
يوم ولت طلائع الصبر منا * ثم شنت غاراتها الاشواق

وبقول غيره

كنا جميعا والدار تجمعنا * مثل حروف الجمع ملتصقه
واليوم صار الوداع يجعلنا * مثل حروف الوداع مفترقه

وقول آخر

حين هم الحبيب بالتوديع * عيروني أني سفحت دموعي

أمره واشتهر خبره وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب لمعا من أخباره وأخبار غيره من الانبياء عليهم السلام وطسم وجديس ابنا لاوذ بن ارم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين وأخوهما عمليق بن لاوذ بن ارم نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشام ومنهم العماليق تفرقوا في البلاد واخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس وسنذكر في باب تنازع الناس في انساب الفرس من هذا الكتاب من الحق كيومرت بأميم وقيل ان أميما نزل أرض وبار وهي التي غلبت عليها الجن على ما زعم الاخباريون من العرب ونزل بنو عبيل ابن عوص أخي عاد بن عوص مدينة الرسول عليه السلام وولد سام بن نوح ماش بن ارم بن سام نزل بابل فولد نمروذ بن ماش وهو الذي بنى الصرح ببابل وجسر جسرا ببابل على شاطئ الفرات وملك خمسمائة سنة وهو ملك النبط وفي زمانه فرق الله الالسن فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانا وفي ولد حام سبعة عشر لسانا وفي ولد يافث ستة وثلاثين لسانا وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرعت الالسن وسنذكر هذا في موضعه الذي يوجد في كتابنا لم

لم يذوقوا طعم الفراق ولاما * أحرقت لوعه الاسى من ضلوعى
كيف لا أسفح الدموع على ربـ * ـع حوى خير ساكن وجموع
هبك أنى كتمت حالى أتخفى * زفرات المتيم المصدوع
انما يعرف الغرام بمن لا * ح عليه الغرام بين الربوع

وقول من قال

أقول له عند توديعه * وكل بعبرته مبلس
لئن قعدت عنك أجسادنا * لقد سافرت معك الانفس

وقول الصابى

ولما حضرت لتوديعه * وطرف النوى نحونا اشوس
عكست له بيت شعر مضى * يليق به الحال اذ يعكس
لئن سافرت عنك أجسادنا * فقد قعدت معك الانفس

وقول المهذب بن أسعد الموصلى

دعنى وما شاء التفرق والاسى * واقصد بلومك من يطيعك أو يعى
لا قلب لى فاعى الملام فاننى * أودعته بالامس عند مودعى
هل يعلم المتحملون لنجعة * أن المنازل أخصبت من أدمعى
كم غادروا حرضا وكم لوداعهم * بين الجوانح من غرام مودع
والسقم آية ما أجن من الجوى * والدمع بينة على ما أدعى

وقول الكمال التنوخى

كم ليلة قد بتها ارعى السها * جزعا لفرقتهم بمقلة أرمد
قضيتها ما بين نوم نافر * وزفير مهجور وقلب مكمد
لم أنس أيام السرور وطيبها * بين السدير وبين برقة ثهمد
والروض قد أبدى بدائع نوره * من أزرق ومفضض ومورد
والماء يبد وكالصوارم ساريا * فيعيده مر الصبا كالمبرد
والطير بين مسجع ومرجع * ومغرد ومعدد ومردد

وقول القاضى بهاء الدين السنجارى

أحبابنا مالى على بعد المدى * جلد ومن بعد النوى يتجلد
لله أوقات الوصال ومنظر * نضر وغصن الوصل غض أملد
أنى يطيق أخو الهوى كتمانه * والخد بالدمع المصون مخدد
ما بعد مفترق الركاب تصبر * عمن أحب فهل خليل يسعد
يا سعد يسعد بالبكاء أخا هوى * يوم الوداع بكى عليه الحسد

وقول ابن الاثير

لم أنس ليلة ودعوا * صبا وساروا بالحمول
والدمع من فرط الاسى * يجرى فيعثر بالذيول

بارض العراق ويقال ان فالغ هو الذى قسم الارض بين الامم ولذلك سمى فالغ وهو فالغ أى قاسم ابن شالخ بن ارفخشذ ابن سام بن نوح فولد شالخ فالغ بن شالخ الذى قسم الارض وهو جد ابراهيم عليه السلام وعابر ابن شالخ وابنه قحطان بن عابر وابنه يعرب بن قحطان وهو اول من حياه ولده بتحية الملك انعم صباحا وأبيت اللعن وقيل ان غيره حيا بهذه التحية الملك من ملوك الحيرة وقحطان ابو اليمن كلها على حسب ما نذكر ان شاء الله تعالى فى باب تنازع الناس فى انساب اليمن من هذا الكتاب وهو أول من تكلم بالعربية لاعرابه عن المعانى وابانته عنها ويقطن ابن عابر بن شالخ وهو جرهم وجرهم ابن عم يعرب وكانت جرهم ممن سكن اليمن وتكلم بالعربية ثم نزلوا بمكة فكانوا بها على حسب ما نورده من اخبارهم وقطور بنو عم لهم ثم أسكنها الله اسمعيل عليه السلام ونكح فى جرهم فهم اخوال ولده وذكر أهل الكتاب ان مالك بن سام بن نوح حى لان الله عز وجل اوحى الى سام ان الذى وكلته بجسد آدم بقيته الى آخر الابد وذلك ان سام بن نوح دفن تابوت آدم فى وسط الارض فوكل مالكا بقبره وكانت وفاة سام يوم الجمعة وذلك فى ايلول

الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وخمسا وستين سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله ارفخشذ قام بعده ولده (شالخ) بن ارفخشذ وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وثلاثين سنه ولما قبض الله شالخ قام بعده ولده (عابر) فعمر البلاد وكانت فى ايامه كوائن وتنازع فى مواضع من الارض وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اليه ثلثمائة واربعين سنة ولما قبض الله عابر قام بعده (فالغ) على نهج من سلف من آبائه وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتى سنة وسبعا وثلاثين سنه وقد قدمنا ذكره فى هذا الكتاب فيما سلف وما كان بارض بابل عند تبلبل الالسن ولما قبض الله فالغ قام بعده (رعو) بن فالغ وقيل ان فى زمنه كان مولد نمروذ الجبار وكان عمره الى ان قبضه الله مائتى سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله رعو قام بعده (ساروغ) بن رعو وقيل انه فى ايامه ظهرت عبادة الاصنام والصور وضروب من العلل احدثت فى الارض

وقول الارجانى

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى هامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كانى سحاب والوشاة بروق

وقول ابن نباتة السعدى

ولما وقفنا للوداع عشية * ولم يبق الا شامت وغيور
وقفنا فمن باك يكفكف دمعه * وملتزم قلبا يكاد يطير

وقول بعضهم

لما حدا الحادى بترحالهم * هيج أشواقى وأشجانى
وراح يثنى القلب عن غيرهم * فهو لهم حاد ولى ثانى

وقول الصفدى

لما اعتنقنا لوداع النوى * وكدت من حر الجوى أحرق
رأيت قلبى سار قدامهم * وأدمعى تجرى ولا تلحق

وقوله أيضا

تذكرت عيشا مرحلوا بقربكم * فهل لليالينا الذواهب واهب
وما انصرفت آمال نفسى لغيركم * ولا أنا عن هذى الرغائب غائب
سأصبر كرها فى الهوى غير طائع * لعل زمانى بالحبائب آئب

وقول ابن نباته المصرى

فى كنف الله وفى حفظه * مسراك والعود بعزم صريح
لو جاز أن تسلك اجفاننا * كنا فرشنا كل جفن قريح
لكنها بالبعد معتلة * وأنت لا تسلك الا الصحيح

وقول الحافظ ابى الحسن على بن الفضل

عجبت لنفسى بعدهم ما بقاؤها * ولم أحظ من لقياهم بمرادى
لعمرك مافارقتهم مذ ودعوا * ولكنما فارقت طيب رقادى
وقد منعوا منى زيارة طيفهم * وكيف يزور الطيف حلف سهاد
وأعجب مافى الامر شوقى اليهم * وهم فى سواد ناظرى وفؤادى

وقوله رحمه الله تعالى

رعى الله أيام المقام بروضة * تروح علينا بالسرور وتغتدى
كأن الشقيق الغض بين بطاحها * نجوم عقيق فى سماء زبرجد

وقول القاضى الرشيد الاسوانى

رحلوا فلا خلت المنازل منهم * ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم
وسروا وقد كتموا الغداة مسيرهم * وضياء نور الشمس ما لا يكتم
وتبدلوا ارض العقيق عن الحمى * روت جفونى أى أرض يمموا
نزلوا العذيب وانما هو مهجتى * رحلوا وفى قلب المتيم خيموا

وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائتى سنة وثلاثين سنه ولما قبض الله ساروغ قام بعده (ناحور) بن ساروغ مقتديا ما

ماضرهم لو ودعوا من أودعوا * نار الغرام وسلموا من أسلموا
هم فى الحشا ان أعرقوا أو أيمنوا * او أشاموا أو أنجدوا أو أتهموا

وقول الشاعر أبى طاهر الاصفهانى المعروف بالوثانى

أشاعوا فقالوا وقفة ووداع * وزمت مطايا للرحيل سراع
فقلت وداع لا أطيق عيانه * كفانى من البين المشت سماع
ولم يملك الكتمان قلب ملكته * وعند النوى سر المكتوم مذاع

وقول أبى المجد قاضى ماردين

رعى الله ربعا أنتم فيه أهله * وجاد عليه هاطل وهتون
ولا زال مخضر الجوانب مترع الحياض وفيه للنعيم فنون
لئن قدر الله اللقاء وأينعت * غصون التدانى فالبعاد يهون
وان حكمت أيدى الفراق بعسرة * فكم قضيت للعسرين ديون

وقول آخر

غبتم فمالى فى التصبر مطمع * عظم الجوى واشتدت الاشواق
لا الدار بعدكم كما كانت ولا * ذاك البهاء بها ولا الاشراق
اشتاقكم وكذا المحب اذا نأى * عنه أحبة قلبه يشتاق

وقول أبى الحسن الهمذانى

و يوم ولت الاظعان عنا * وقوض حاضر وأرن بادى
مددت الى الوداع يدا وأخرى * حبست بها الحياة على فؤادى

وقول ابن الصائغ

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل فى الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

فالفيدر بن الادمى مكتفيا

يوم توديعى لاحبابى غدا * ذكرمى شاغلى عن كل شى
قرنت نحوى وقالت يا ترى * أنت حى فى هوانا قلت مى

وو لغيره

ولى فؤاد مذ نأى شخصهم * ظل كئيبا مدنفا موجعا
ومقلة مهما تذكرتهم * تذرف دمعا أربعا أربعا
وليس لى من حيلة كلما * لجت بى الاشواق الا الدعا
أسأل من ألف ما بيننا * وقدر الفرقة أن يجمعا

وقول الرعينى الغرناطى

محاسن ربع قد محاهن ماجرى * من الدمع لما قيل قد رحل الركب
تناقض حالى مذ شجانى فراقهم * فمن أضلعى نار ومن أدمعى سكب

وفى معناه قوله ايضا

والآلات وكانت فى ايامه حروب وتحزيب الاحزاب من الهند وغيرها وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وستا وأربعين سنة ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده (تارح) وهو آزر ابو ابراهيم الخليل وفى عصره كان نمرود بن كنعان وفى ايام نمرود حدثت فى الارض عبادة النيران والانوار وجعل لها مراتب فى العبادات وكان فى الارض رهج عظيم من حروب واحداث حروب وممالك بالشرق والغرب وغير ذلك وظهر القول باحكام النجوم وصور الافلاك وعملت لها الآلات وقرب فهم ذلك الى قلوب الناس فنظر اصحاب النجوم الى طالع السنة التى ولد فيها ابراهيم عليه السلام وماذا يوجب فاخبر النمروذ ان مولودا يولد يسفه احلامهم ويزيل عبادتهم فامر النمروذ بقتل الولدان واخفى ابراهيم عليه السلام ومات آزر وهو تارح وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتين وستين سنة والله الموفق للصواب

(ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بنى اسرائيل وغيرهم) ولما نشا ابراهيم عليه السلام وخرج من المغارة التى كان بها وتامل افاق الارض والعالم وما فيه من دلائل

الحدوث والتأثير نظر الى الزهرة واشراقها فقال هذا ربي فلما رأى القمر أنور منها قال هذا ربي فلما رأى

وقائلة ماهذه الدرر التي * تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت لها هذا الذي قد حشابه * أبو مضر اذني تساقط من عيني انتهى

وقول الزمخشري

لم يبكني الاحديث فراقهم * لما أسر به الى مودعي
هو ذلك الدر الذي أودعتم * في مسمعي اجريته من مدمعي

وقول الزعاري

قد بعتهم قلبي يوم بينهم * بنظرة التوديع وهو يحترق
ولم اجد من بعدها الرده * وجها وكان الردلولم نفترق

وقول بعض الاندلسيين

سار وافودعهم طرفي واودعهم * قلبي فما بعدوا عني ولا قربوا
هم الشموس ففي عيني اذا طلعوا * في القادمين وفي قلبي اذا غربوا

وقلت انا مضمنا بديهة

لا كان يوم فراق * ساق الشجون الينا
فكم اذل نفوسا * يامن يعز علينا

وقلت ايضا مضمنا

سلا أحبته من لم يذب كمدا * يوم الوداع وان اجرى الدموع دما
يامن يعز علينا أن نفارقهم * من بعدكم هد ركن الصبر وانهدما
وان نأى الجسم كرها عن منازلكم * فالقلب ثاو بها لم يصحب القدما
ومانسينا عهودا للهوى كرمت * نعم قرعنا عليها سننا ندما
واطلمت بالنوى ارجاء مقصدنا * وصار وجدان ألف غيركم عدما

وقلت ايضا مضمنا

لم أنس بالشام أنسا شمت بارقه * جادت معاهده أنواء نيسان
لهفي لعيش قضينا في مشاهدها * مابين حسن من الدنيا واحسان

وقلت كذلك

ياجيرة بانوا وابقوا حسرة * تجري دموعي بعدهم وفق القد
كم قلت اذ ودعتهم والانس لا * ينسى وعهد ودادهم لن ير
ياموقف التوديع ان مدامعي * فضت وفاضت في ثرى ذاك الفضا

وكم تفاءلت بقول الاول مع علمي بان على الله المعول

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعد
وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عود

وضاقت بي الرحاب عند مفارقة اعيان الاحباب والصحاب وجرت دموعي من بينهم السحاب وزند التذكر يقدح الاسف فيهيج الانتحاب وقد اذاك والجوانح من الجوى في التهاب وذخائر الصبر دات انتهاب بقول بعض من مزق امنه الاهاب

الشمس أبهر منها رأى قال هذا ربي هذا أكبر وقد تنازع الناس في قول ابراهيم هذا ربي فمنهم من رأى ان ذلك كان على طريق الاستدلال والاستخبار ومنهم من رأى ان ذلك منه كان قبل البلوغ وحال التكليف ومنهم من رأى غير ذلك فاتاه جبريل فعلمه دينه واصطفاه الله نبيا وخليلا وكان قد أوتي رشده من قبل ومن أوتي رشده فقد عدم من الخطا والزلل وعبادة غير الواحد الصمد فعاب ابراهيم عليه السلام على قومه مارأى من عبادتهم واتخاذهم المجوفات آلهة لهم فلما كثر عليهم ذم ابراهيم لآلهتهم واستفاض ذلك فيهم اتخذ له النمرود النار والقاه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما وخمدت النار على سائر بقاع الارض في ذلك اليوم وولد لابراهيم (اسمعيل) عليهما السلام وذلك بعد ان مضى من عمره ست وثمانون أو سبع وثمانون سنة وقيل سبعون سنة من هاجر جارية كانت لسارة وكانت سارة اول من آمن بابراهيم عليه السلام وهي ابنة بتوايل ابن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد هذا الموضع وآمن به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور وهو ابن اخي ابراهيم عليه السلام رسل الله ولما

ولما نزلنا منزلا طله الندى * انيقا وبستانا من النور حاليا
اجدّ لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا
وقد طفت في شرق البلاد وغربها * وسيرت خيلي بينها وركابيا
فلم أر منها مثل بغداد منزلا * ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل اهليها ارق شمائلا * واعذب الفاظا واحلى معانيا

وبقول من تاسف على مغاني التداني وهو ابو الحجاج الاندلسي الداني

الى الله الاان افارق منزلا * يطالعني وجه المنى فيه سافرا
كأن على الايام حين غشيته * يمينا فلم احلله الا مسافرا

وتخيلنا ان اقامتنا بدمشق وقاها الله كل صرف ما كنت الاحضرة طيف ملم اولمحة طرف

وقفنا ساعة ثم ارتحلنا * وما يغني المشوق وقوف ساعه
كأن الشمل لم يك في اجتماع * اذا ما شتت البين اجتماعه

وطالما علات النفس بالعود اليها ثم الى بقاعي منشدا قول الاديب الشهير بابن الفقاعي

متى عاينت عيناي أعلام حاجر * جعلت مواطي العيس فوق محاجري
وان لاح من ارض العواصم بارق * رجعت باحشاء صوادي سوادر
سقى الله هاتيك المواطن والربا * مواطر أجفان هوام هوامر
وحيا الحيا من ساكني الحي اوجها * سفرن بانوار زواه زواهر
بحيث زمان الوصل غض وروضه * اريض بازهار بواه بواهر
وحيث جفون الحاسدين غضيضة * ومقن باماق سواه سواهر

ثم حاولت خاطري الكليل فيما يشفي بعض الغليل فقال على طريق التضمين وقد غلب [illegible] الشوق والتضمين

بأبي من أودعوا اذ ودعوا * قلبي الشوق وللعيس ذميل
جيرة غر كرام خيرة * كل شيء منهم يبدو جميل
وعلى اجماله مالي غيرهم * لو ارادوا ان يميلوا او يميل

وتحول ت وقد سدد التنائي الى نباله موطئا للبيت الثالث كما في الابيات قبله

يادمشق احياك غيث غزير * ووفاك الاله مما يضير
حسنك الفرد البدائع يبح * متناه فيه فعز النظير
أين ايامنا بظلك والشمل جميع والعيش غض نضير

ثم اكثرت الالتفات عن اليمين وعن الشمال وقد شبهت البيداء والشوق ببدل الكل والاشتمال وتنسمت من نواحي تلك الارجاء اريج الشمال وضمنت في المعنى قول بعض من ثنى الحب عطفه وأمال

تنسمت ارواحا سرت من ديار من * بهم كان جمع الشمل لمحة حالم
وجاوبت من يلحى على ذاك جاهلا * بقول لبيب بالعواقب عالم
وما انشق الارواح الا لانها * تمر على تلك الربا والمعالم

مشتق من الافك وهو الكذب على رأي من ذهب الى الاشتقاق وقد ذكرهم الله في كتابه بقوله والمؤتفكة اهوى وهذه بلاد بين تخوم الشام والحجاز مما يلي الاردن وبلاد فلسطين الا ان ذلك في حيز الشام وهي مبقاة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة خرابا لا أحد بها والحجارة المسوّمة موجودة فيها يراها الناس سوداء فاقام فيهم لوط بضعا وعشرين سنة يدعوهم الى الله فلم يؤمنوا فاخذهم العذاب على حسب ما اخبر الله من شأنهم ولما ولد (اسمعيل) هاجر الى مكة فاسكنهم بها وذلك قوله عز وجل يخبر عن ابراهيم رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فاجاب الله دعوته وآنس وحشتهم بجرهم والعماليق وجعل افئدة من الناس تهوي اليهم واهلك الله قوم لوط في عهد ابراهيم لما كان من فعلهم وأتضح من خبرهم ثم أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده فبادر الى طاعة ربه وتله للجبين ففداه الله بذبح عظيم ورفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم ولد

 لابراهيم من سارة (اسحق) عليه السلام وذلك بعد مضي عشرين ومائة سنة من عمره وقد تنازع الناس

اسحق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبح وقع بالشام فالذبيح اسحق لان اسمعيل لم يدخل الشام بعد ان حمل منه وتوفيت سارة وتزوج ابراهيم بعد ذلك بقنطوراء فولدت منها ستة ذكور وهم مرو ونفس ومدن ومدين وسنان وسرح وتوفى ابراهيم بالشام وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا وتسعين سنة وانزل الله عليه عشرا من الصحف وتزوج اسحق بعد ابراهيم بوحناء ابنة بتوايل فولدت له (العيص ويعقوب) فى بطن واحد وكان البادئ منهما الى الفصل عيص ثم يعقوب وكان لاسحق فى وقت مولدهما ستون سنة وذهب بصر اسحق فدعا ليعقوب بالرياسة على اخوته والنبوة فى ولده ودعا للعيص بالملك فى ولده وكان عمر اسحق الى ان قبضه الله مائة وخمسا وثمانين سنة ودفن مع أبيه الخليل ومواضع قبورهم مشهورة وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس فى مسجد هنالك يعرف بمسجد ابراهيم ومراعيه وقد كان اسحق أمر ولده يعقوب بالمسير الى أرض الشام

وما احسن قول الآخر

سرت من نواحى الشام لى نسمة الصبا * وقد اصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب انفاسها متتابعه

وقلت انا

جدت وحق الله للشام رحلة * اتاحت لعينى اجتلاء محياه
وبعد التنائى صرت ارتاح للصبا * لان الصبا تسرى بعاطر ريّاه
فلله عهد قد اتاح بحلق * سرورا فحياه الاله وحياه

واستحضرت عند جد السير قول صفوان بن ادريس المرسى ذكره الله تعالى بالخير

أين ايامنا اللوانى تقضت * اذ زجرنا للوصل ايمن طير

ثم قول غيره ممن حن وأنّ وقلق قلبه وما اطمان

احن الى مشاهد انس الفى * وعهدى من زيارته قريب
وكنت اظن قرب العهد يطفى * لهيب الشوق فازداد اللهيب

وربما تجاذبت مغالطا متعللا بقول من كان لا لفه مخالطا

حضرت فكنت فى بصرى مقيما * وغبت فكنت فى وسط الفؤاد
وماشطت بنا دار ولكن * نقلت من السواد الى السواد

وقول غيره

وكن كما شئت من قرب ومن بعد * فالقلب يرعاك ان لم يرعك البصر

وبقول الوداعى

يا عاذلى فى وحدتى بعدهم * وأن ربعى ما به من جليس
وكيف يشكو وحدة من له * دمع حميم وأنين انيس

ثم رددت هذه الطريقة بقول بعض من لم يبلغه السلو ريقه

لارعى الله عزمة ضمنت لى * سلوة القلب والتصبر عنهم
ماوفت غير ساعة ثم عادت * مثل قلبى تقول لا بد منهم

وبقول ابن آجروم فى مثل هذا الغرض المروم

يا غائبا كان أنسى رهن طلعته * كيف اصطبارى وقد كابدت بعدهما
دعواى أنك فى قلبى يعارضها * شوقى اليك فكيف الجمع بينهما

ثم جد بى السير الى مصر واستمر فتذكرت قول الصفدى وقد اشتد بالرمل الحر

اقول وحر الرمل قد زاد وقده * ومالى الى شم النسيم سبيل
اظن نسيم الجو قد مات وانقضى * فعهدى به فى الشام وهو عليل

وقول ابن الخياط

قصدت مصرا من ربا جلق * بهمة تجرى بتغرير
فلم أر الطرة حتى جرت * دموع عينى بالمزيريب

وحين وصلت مصر لم أنس عهد الشام المرعى وانشدت قول الشهاب الحنبلى الزرعى

احبتنا والله مذ غبت عنكم * سهادى سميرى والمدامع مدرار
ووالله ما اخترت الفراق وانه * برغمى ولى فى ذلك الامر أعذار
اذا شام برق الشام طرفى تتابعت * سحائب جفنى والفؤاد به نار
الا ليت شعرى هل يعودن شملنا * جميعا وتحوينا ربوع واقطار

وقول ابن عنين

دمشق بنا شوق اليك مبرح * وان لج واش اولج عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وانفاس الرياح شمول
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقول آخر

نفسى الفداء لانس كنت اعهده * وطيب عيش تقضى كله كرم
وجيرة كان لى انف بوصلهم * والانس افضل ما بالوصل يغتنم
بالشام خلفتهم ثم انصرفت الى * سواهم فاعترانى بعدهم ألم
كانوا نعيم فؤادى والحياة له * والآن كل وجود بعدهم عدم

فان أنشد لسان الحال فيما اقتضاه معنى البعد عنها والارتحال

يا غائبا قد كنت أحسب قلبه * بسوى دمشق وأهلها الا يعلق
آن كان صدك نيل مصر عنهم * لا غرو فهو لنا العدو الازرق

اتيت فى جوابه بقول بعض من برح الجوى به

لله دهر جمعنا شمل لذته * بالشام أعذب من أمن على فرق
مرت لياليه والايام فى خلس * كانما سلبته كف مسترق
ما كان احسنها لولا تنقلها * من النعيم الى ذاك من الحرق
رق الذبول لحالى بعدها ورثى * لى فى الجوى والهوى والشجو والارق

لله تلك الايام من مواسم العمر محسوبة والسعود الى طولعها منسوبة

وكانت فى دمشق لنا ليال * سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالى * وعنوان المسرة والامانى

وهى مغانى التهانى التى ما نسيناها وأمانى زمانى التى نعمت بطول رسيها عليها وعلى وطنى مقصورة والقلب فى المعنى متيم بهما وان كان فى غيرهما بالصورة والاشواق اليهما قضاياها موجهة وان كانت غير محصورة

ولله عهد قد تقضى وان بعد * فانى عن الايام أعفو وأصفح
بقلبى من ذكراه ما ليس ينقضى * ومن برحاء الشوق ما ليس يبرح
اذا سمحت كفى الدموع تسترا * بدت زفرة بين الجوانح تسدح
فان جمعت شملى الليالى بقربهم * تجمع غيلان ومى وصيدح
على انها الايام جد مزاحها * ورب مجد فى الاذى وهو يمزح

وكثيرا ما يلهج لسانى بقول من قال

ويهوذا ويوسف وبنيامين وكثر جزع يعقوب من اخيه العيص فآمنه الله من ذلك وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم فاعطى يعقوب لاخيه العيص العشر من غنمه استكفافا لشره وخوفا من سطوته من بعد ان آمنه الله عز وجل من خوفه وان لا سبيل له عليه فعاتبه الله فى ولده ثقة لغيره لوعده فاوحى الله تعالى اليه ألم تطمئن الى قولى ولاجعلن ولد العيص ملكون ولدك خمسمائة وخمسين عاما وكانت المدة مدة أخرب الروم بيت المقدس واستعبدت بنى اسرائيل الى ان فتح عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وكان أحب ولد يعقوب اليه (يوسف) فحسده اخوته على ذلك وكان من امره مع اخوته ما قص الله عز وجل فى كتابه وأخبر على لسان نبيه واشتهر ذلك فى امته وقبض الله عز وجل يعقوب ببلاد مصر وهو ابن مائة واربعين سنة فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين عند تربة ابراهيم واسحق وقبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة وجعل فى تابوت من الرخام وسد بالرصاص وطلى بالاطلية الدافعة للهواء والماء وطرح فى نيل مصر نحو مدينة منف وهناك مسجده وقيل ان يوسف اوصى ان يحمل فيدفن

وما بعض الاوقات احرى لذاتها * ولكن اوقات الحسان حسان

ويردد قول من شوقه متجدد

سقى معهد الاحباب ناقع صيب * من المزن عن مغناه ليس يريم
وان لم اكن من ساكنيه فانه * يحل به خل على كريم

وينشد من يلوم قول من في حشاه وله وفي قلبه كلوم

قد أصبح آخر الهوى اوّله * فالعاذل في هواك مالي وله
بالله عليك خل ما اوله * وارحم دنفا الذي حشاه وله

ولقد امتدّ بنا الكلام وربما يجعله اللاحي ذريعة لزيادة الملام فلنرجع الى ما كنا بصدده من اجابة المولى الشاهيني أمده الله سبحانه بمدده فاقول مستمدّا من واهب العقول انى شرعت بعد الاستقرار بمصر في المطلوب وكتبت منه نبذة تستحسنها من المحبين الاسماع والقلوب وسلكت في ترتيبه احسن أسلوب وعرضت في سوقه كل نفيس غريب من العرب الى الشرق مجلوب تستحسن الابصار ما عليه احتوى وتعرف الافكار أنه غير مجزوى ثم وقف بي مركب العزم عن التمام واستوى فاخرته تاخير الغريم لدين الكريم وصدّتني أعراض عن تكميل ما يشتمل عليه من أغراض وأضربت برهة عماله من منحى لاختلاف احوال الدهر نفعا ودفعا ومنعا ومنحا ومرقت عن هدف الاصابة نبال وطرقت في سدف ليالي الكتابة أمور لم تكن تخطر ببال فجاءتني من المولى المذكور آنفا رسالة دالة على انه لم يكن عن انجاز الوعد منحرفا فعدت لقضاء الوطر مستقبلا وللجملة مستانفا وحدا بي خطابه الجسيم للاتمام وساقني وراقني كتابه الكريم لتلك الايام وشاقني وذكرني تلك الليالي التي لم انسها وحركني لتلك المعاهد التي لم ازل اذكر انسها الالف لا يصبر عن الفه الا كما يطرف بالعين وقد صبرنا عنهم مدة ما هكذا شأن المحبين فيا كتاب كريم اعرب عن ود صميم وذكر بعهد غير ذميم وود طيب العرف يخجل ابن المعتز لبلاغته وابن المعز يميم

ولم تر عينای من قبله * كتابا حوى بعض ما قد حوى
كأن المباسم سماته * ولاماته الصدغ لما التوى
واعينه كعيون الحسان * تغازلنا عند ذكر الهوى
كتاب ذكرنا بالفاظه * عهودا زكت بالحمى واللوى

فكأنه الروض المطرد الانهار والدوح المدبج الازهار

رأيناه روضا تدبج وشيه * اذا جاد من تلك الايادي غمائم
به ألفات كالغصون وقد علا * عليها من الهمز المطل حمائم

وقد سقيت بانهار البراعة السلسالة حدائق حلت بها غانية تلك الرسالة تشفي صبها بالزيارة وتشرف بدنوها دياره

زارت الصب في ليال من البعد فلما دنت رأى الصبح يلمع
فلدت بالعقيان جيد بيان * ليس فيه للفتح من بعده الزلمع

عند قبر أبيه يعقوب في مسجد

ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان في عصره (أيوب) النبي صلى الله عليه وسلم وهو ايوب بن موص ابن رزاح بن رعوايل بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وذلك في بلاد الشام من ارض حوران والبثنية من بلاد دمشق والجابية وكان كثير المال والولد فابتلاه الله في نفسه وماله وولده فصبر ورد الله عليه ذلك وأقاله عثرته واقتص ما اقتص من اخباره في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده والعين التي اغتسل منها في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مشهوران ببلاد نوى والجولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الاردن وهذا المسجد والعين على ثلاثة اميال من مدينة نوى ونحو ذلك والحجر الذي كان ياوي اليه في حال بلائه هو وزوجته واسمها رحمة في ذلك المسجد الى هذا الوقت وذكر أهل التوراة والكتب الاولى ان (موسى) بن ميشا بن يوسف ابن يعقوب نبي قبل موسى ابن عمران وانه هو الذي طلب الخضر بن ملكان بن فالغ بن عابور بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وذكر بعض اهل الكتب ان الخضر هو خضرون بن عمايئيل بن النصر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وانه ارسل الى قومه فاستجابوا له فكان (موسى) بن عمران

فشفت

فشفت النفس من آلامها وأحييت ميت الهوى بذحييت بعذب كلامها

كلام كالجواهر حين يبدو * وكالند المعنبر اذ يفوح
له فى ظاهر الالفاظ جسم * ولكن المعانى فيه روح

فصيرت لى ذلك الكتاب سميرا ووردت من السرور مشرعا نميرا وتمثلت بقول بعض من اخلص فى الود ضميرا

يا مفردا أهدى الى كتابه * جلا شذار الدهن فى اثنائها
كالدر اشرق فى سموط عقوده * والزهر والانوار غب سمائها
فافادنى جذلا وبالى كاسد * واجار نفسى من جوى برحائها
وحسبت ايام الشباب رجعن لى * ولبست حلى جمالها وبهائها
لا يعدم الاخوان منك محاسنا * كل المفاخر فترة من ساتها

فاكرم به من كتاب جاء من السرى العلى والماجد الاخ الولى

فضضت ختامه فتبدت لى * معانيه عن الخبر الجلى
وكان ألذ فى عينى وأندى * على كبدى من الزهر الجنى
وضمن صدره مالم تضمن * صدور الغانيات من الحلى

وأعرب عن اعتماد متماد وودادمرداد وأطاب حين أطال وادى دين الفصاحة دون مطال واشتمل من فصول العبارة على احسن من الحدق المراض * وأتى من اصول البراعة ببراهين ابن شاهين التى لاخلف فيها ولا اعتراض وروينا من حديث اماله المتون ورويناعنه مسند احمد حسن الاسانيد والمتون وحثنا على العود والرجوع وكان اجدى من الماء الزلال لذى ظما والمشتهى من الطعام لذى سغب وجوع

واشهى فى القلوب من الامانى * واحلى فى العيون من الهجوع

بنوره ظلام استيحاشى وحشر الى اشتات المسرات دون ان يحاشى ووجدنى بمشغوب واشغال اشربت القلب الكسل واللغوب وحيرت الخواطر وصيرت لا قلام غير مواطر فزحزح عنى الغموم وسلانى واولانى شكر الله صنيعه ذات ما اولانى

وفى قول

حديثا او حديث عنه يطربنى * هذا اذا غاب او هذا اذا حضرا
كلاهما حسن عندى أسربه * لكن احلاهما ما وافق النظرا

وقال آخر

لست مستأنسا بشئ اذا غبت سوى ذكرك الذى لايغيب
أنت دون الجلاس عندى وان كنت بعيدا فالانس منك قريب

وضمنت فيه لما ورد مع جملة كتب من تلك الناحية وأنوارأهلها ذوى الفضائل الشهيرة أطهر من شمس الظهيرة فى السماء الصاحية

فلت لما أتت من الشام كتب * من أجلاء نورهم يتألق
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأت محاسن جلق

ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب بمصر فى زمن فرعون الجبار وهو الوليد ٥٣ بن مصعب بن معاوية بن أبى نمير بن الهلواس بن ليث بن هران ابن عمر بن عملاق وهو الرابع من فراعنة مصر وقد كان طال عمره وعظم جسمه وكان بنو اسرائيل قد افترقوا بعد مضى يوسف واشتد عليهم البلاء واخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون ان مولودا سيولد ويزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر امورا عظيمة فجزع لذلك فرعون وامر بذبح الاطفال وكان من امر موسى ما اوحى الله عز وجل الى امه فى امره ان اقذفيه فى تابوته فى اليم الى آخر ما اقتص من خبره واوحيه على ان نبيه صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك الزمان (شعيب) صلى الله عليه وسلم وهو شعيب بن نويت بن رعويل بن مر ابن عنقاء بن مدين بن ابراهيم فكان لسانه عربيا وكان مبعوثا من اهل مدين فلما خرج موسى عليه السلام هاربا من فرعون مر بشعيب النبى صلى الله عليه وسلم وكان من امره معه وتزوجه ابنته ما قد ذكره الله عز وجل فكلم الله موسى تكليما وشد عضده باخيه (هرون) وبعثهما الى فرعون لخالفهما فاغرق الله عز وجل فرعون وامره الله عز وجل بالخروج ببنى اسرائيل الى التيه وكان عددهم ستمائة الف

وقت أيضا

ذلت لما وافت من الشام كتب * والليالى تتيح قربا وبعدا
مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا * بعيون رأت محاسن سعدى

وكان من فصول هذا الكتاب الوارد من المولى الشاهينى الذى اقتنص بفضله كل شارد ما نصه ومما تخلص قلبى من يدى ترحى وجدد سرورى ونبه فرحى حديث الكتاب وما حديث الكتاب حديث نسخ بحلاوته مرارة العتاب وأنسانى حرارة المصاب فى الاسال والاحتساب ونضى به من حق لسان الدين دينه الذى تبرع به غريم ملىء من البلاغة وهو غير مدين حتى كانى يا سيدى بهذه البشرى أحرزت سوارى كسرى وكان فى سمعى كل حرف البها منسوب قميص يوسف فى أجفان يعقوب وحتى كدت أهجر اهلى وبيتى وأسرج لاستقبال هذه البشرى أشهبى وكميتى وحتى انى حاربت نومى وقومى وعزمت على ان أرحل ناقتى فى وقتى ويومى وان ذلك التغليس والتهجير فى جنب ما بشرت به لحقير وان موقعها لدى هذا العبد الحقير لخطير وقد كنت سألت شيخى حين ورد دمشق الشام واستنهم الهرر والشام وشرفنى فعرفنى وشاهدنى فعاهدنى على ان يجرى ما دار بيننا لدى المحاورة من المسامرة والمحاورة فى ديباجة ذلك الكتاب الذى فتن العقول خبره وسحر الالباب وما قصدت الا أن يجرى اسمى على قلمه ويرقم رسمى فى مطاوى تحريره وورقه ويكون ذكرى مختلطا بذكره كما أن سرى مرتبط فى المحبة بسره فرأيت شيخى لم يتصدّ فى أثناء هذه البشرى لما فهمنى بالذكرى لانظر النجاح فى الاخرى ولم يساعدنى على ذلك الملتمس وحبس عنان القلم فاحتبس فانكسرت سورة سرورى بفتورى وتبين لنفسى عن بلوغ ذلك الامل تخلفى وقصورى انتهى

قال) بعد كلام طويل لم نذكره لعدم تعلقه بهذا الغرض ما صورته

وحسبت أن سيدى وحاشاه نسى من لبس نساه ونبذت به الظنون لامور تكون وطلبت من سيدى وشيخى أن يهدى لدنيانى طبق الاخرى على ذلك انه لا شك أن خطه هو الروضة الغنا لا بل جنة المأوى فطوبى لنفسى ان جنت ثمر ولعمر شيخى انى بذلك لجدير وانى كنت أملك به الخورنق والسدير انتهى

بالغرض من ذلك الرقيم الذى شكل منطقه غير عقيم سلك الله تعالى بى وبمن وجهها المستقيم وأتى فى المكتوب بانواع من البلاغة مما تركت ذكره هنا لعدم تعلقه بهذا الامر الخاص الذى يسر الكارع الادب مساغه وختمه بقصيدة نفسه من نظمه يستنجز فيها ذلك الوعد وأشهد انه قد حاز فيها قصب السبق والمجد وما دلت الا بالذى علمت سعد * وهذه صورتها

يا سيدا أفديه بالاكثر * من أصغر العالم والاكبر
ويا وحيدا الدل ولى له * عطارد أنت مع المشترى
ويا مجيدا ليس عندى له * الا مقال المادح المكثر
أقسمت بالبيت العتيق الذى * حجت اليه الناس والمشعر

والغ دون من لبس بمالغ وكانت الالواح التى انزلها الله على موسى بن عمران على جبل طور سيناء من زمرد اخضر فيها كتابة بالذهب فلما نزل من الجبل راى قوما من بنى اسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم فازعجه فسقطت الالواح من يده فتكسر جميعها واودعها تابوت السكينة مع غيرها وجعله فى الهيكل وكان هرون كاهنا وهو قيم الهيكل وتمم الله عز وجل نزول التوراة على موسى بن عمران وهو فى التيه وبعض الهدهون فى الساعة ... جبل من سبحر جبل الشراة مما يلى الطور وقبره مشهور فى مغارة عادية يسمع منها فى بعض الليالى دوى عظيم يجزع منه كل ذى روح وقيل انه غير مدفون بل هو موضوع فى تلك المغارة وهذا الموضع ... ذكره فى كتابه اخبار الزمان من الامم الماضية والممالك الدائرة ومن وصل الى هذا الموضع علم ما وصفنا وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة اشهر وقبض الله هرون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة وقيل انه قبض وهو ابن مائة وعشرين وقيل ان موسى قبض بعد وفاة هرون بثلاث سنين وانه خرج الى الشام وكانت له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البر الى العماليق والعريانين والمدينيين وغيرهم ممن كان بالشام وغيرهم

ما للعلا والعلم الا ابو العباس شيخي أحمد المقري
ذاك الذي أثرني منه بالعلم الذي للغير لم يؤثر
وخصني منه باشياء لم * يفز بها غيري ولم يعثر
فرحت عبدا داوفا له * معترفا بالرق لا امترى
فيا أبا العباس يامن غدا * أعظم في نفسي من معشري
ومن اذا ماغاب عن ناظري * كان مع البال بمحضر
هات أفدني سيدي عن علا الـمولى لسان الدين ذاك السري
ذاك الوحيد الفذ في عصره * بل أوحد الادهر والاعصر
ذاك الذي أخبرني سيدي * عنه مزايا بعد لم تحصر
ذاك الذي أعيوف لا يعتلي * الى معاليه ولا تجتري
ماقد وعت العبد في جمعه * من خبر عن فضله مسفر
بخطك الوضاح وهو الذي * مخبره يربي على المنظر
والشئ لا يرجى اذا ما غدا * منظره يربي على المخبر
نقش على طرس بياض كما * لاحت عيون أرشا الاحور
وأسطر قد سلسلت مثل ما * لاح عذار الشادن الاحفر
ونزهة الانفس معنى غدا * ما بينها ينساب كالكوثر
عذب رقيق مثل ظبي غدا * يلوح طاوي الكشح أوجؤذر
آثار اقلامك وهي التي * أغنت عن الابيض والاسمر
يراعك الجامع راوغدا * يروي اللعى عن لفظك الجوهري
ينثر مسكا تارة طالما * وينظم الجوهر بالعنبر
هذا ابن شاهين الفتى أحمد * عن ذكرك المأنوس لم يفتر
فاجعل له ذكرا كريما به * يردان مغبوطا الى المحشر
واذكر بيوتاتي وكل الذي * كتبته حولك في دفتري
أنت جدير بمديحي فكن * ذاكر عبد بالوفا أجدر
وها لها سيارة انفقت * على جواد كان للبحتري
طرف كريم سابق صافن * مهذب ذي ادب او فر
ورثته منه ولكنما * من شاعر راو الى أشعر
ما للفتى الطائي شوط امرئ * يصطاد نسر الجو بالمنسر
واسلم لعبد لا يرى سيدا * سوى الذي في ثوبك الاطهر
في كرم العنصر فرداغدا * طبعك فاشكر كرم العنصر
ما حن مشتاق أخو صبوة * الى خليل في الهوى مسكر انتهت

فلما وصلني هذا الخطاب الذي ملأ من الفصاحة الوطاب وحلى في عيني وقلبي وطاب تحركت دواعي الوجد لذلك المجد الذي ولعت به ولوع ابن الدمينة بصبا نجد وأثار من

من الطوائف على حسب ما في التوراة وانزل الله عز وجل على موسى عشر صحف فاستتم مائة صحيفة ثم انزل الله عليه التوراة بالعبرية وفيها الامر والنهي والحريم والحلل والسنن والاحكام وذلك في خمسة اسفار والسفر يريدون به الصحيفة وكان موسى قد ضرب التابوت الذي فيه السكينة من الذهب من سبعمائة الف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا وصار الكاهن بعد هرون (يوشع بن نون) من سبط يوسف وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ولم تحدث لموسى ولا لهرون شئ من الشيب ولا حالا عن صفة الشباب ولما قبض الله عز وجل موسى بن عمران سار يوشع بن نون ببني اسرائيل الى بلاد الشام وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك العماليق وغيرهم من ملوك الشام فسرى اليهم يوشع بن نون سرايا وكانت له معهم وقائع فاوقع ببلاد اريحاء من أرض الغور وهي أرض البحيرة المنتنة التي لا تقبل الغرقاء ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره واليها ينتهي ماء بحيرة طبرية وهو الاردن وبدء ماء بحيرة طبرية من بحيرة كقولي وفرعون من أرض دمشق فاذا انتهى مصب

الهيام والاوار ما يزيد على ما حصل للمرزدق لما فارق النوار وتضاعف الشوق الى تلك الانجاد والاغوار منشدا قول الاول لعل أبي المغوار وتذكرت والذكرى شجون واطوار تلك الاضواء والانوار المشرفة بقطر أزهر بالمحاسن وجرى نهره غير آسن فلم يذم فيه الجوار

وان اصطباري عن معاهد جلق * غريب فما اجفى الفراق واجفاني

سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها * كحلت بها من شدة الشوق أجفاني

وحصل التصميم على التكميل للتاليف والتتميم رعيا لهذا الولي الحميم أفاض الله تعالى عليه غيث البر العميم وأبقى ظل عزه ممدودا وحلى سودده مودودا وأناله من الخيرات ما ليس محصورا ولا معدودا وجمعني واياه واطلع لي بشر محياه وانشقني عرف اجتماعه ورياه وكيف لا أستديم أمد بقياه وأعتقد البشائر في لقياه واسقي غروس الود بسقياه وهو الصدر الذي أصفى لي الوداد والركن الذي لي بثبوته اعتماد واعتداد

فعليه من مصفي هواه تحية * كالمسك لما فض عنه ختام

تترى بساحته السنية ما دعت * فوق الغصون هديلهن حمام

ودامت فضائله طاهرة كالشمس محروسة بالسبع المثاني معوذة بالخمس

ولا انفك ما يرجوه أقرب من غد * ولا زال ما يخشاه أبعد من أمس

وبقي من العناية في حرم امين آمين* (ولما) حصل لي كمال الاغتباط بما دل على صحة حال الارتباط نشر بساط الانبساط وحدثت لي قوة النشاط وانقشعت عني سحائب الكسل وانجابت وناديت فكري فلبت مع ضعفها وأجابت فاقتدحت من القريحة زندا كان شحاحا وجمعت من مقيداتي حساناو صحاحا وكنت كتبت شطره وتيسر هامشه وسطره ورقت من انباء لسان الدين بن الخطيب حللا لا تخلق جدتها وسلكت من التعريف به رحمه الله مهامه تكل فيها واسعات الخطا وتقصر بعد ذلك عزم على زيادة ذكر الاندلس جملة ومن كان يعتد به الاسلام وينصر ومفاخرها الباسقة ومآثر أهلها المتناسقة لان كل ذلك لا يستوفيه النظم ولا يحصر من النثر بنبذة توضح للطالب سبله وتنهر له منهله وتترع كاس محاسنه المذاكرة واناؤه حتى يرى حسن هذا التاليف ابناء هذا التصنيف وادباؤه في المغرب وظلال الشباب ضافية وسماء الافكار من نزع الاكدار صافية معنيا بالفحص عن أنباء أبناء الاندلس واخبار اهلها التي تنشرح لها الصدور والانفس وما لهم من السبق في ميدان العلوم والتقدم في جهاد العدو الظلوم ومحاسن بلادهم ومواطن جدالهم وجلادهم حتى اقتنيت منها ذخائر يرغب فيها الافاضل الاخاير وانتقيت جواهر فرائدها للعقول بواهر واقتطفت ازاهر انجمها في افق المحاضرة زواهر وحصلت فوائد بواطن وظواهر طالما كانت اعين الالباء لنيلها سواهر وجمعت من ذلك كتبا عالية لو خاطب بها الداعي صم الجلامد لانبجس حجرها وحكما غالية لو عامل بها الايام ربح متجرها واسجاعا تستنزل الاعطاف ومواعظ يعمل بمقتضاها من حفت به الالطاف وقوافي موفورة

نهر الاردن الى البحيرة المنتنة خرقها وانتهى الى وسطها ممتزا عن مائها فيغوص في وسطها وهو نهر عظيم فلا يدرى اين غاص من غير ان يزيد من البحيرة ولا ينقص منها ولهذه البحيرة اعني المنتنة اخبار عجيبة وقصة طويلة وقد اتينا على ذلك في كتابنا اخبار الزمان عن الامم الماضية والملوك الداثرة وذكرنا اخبار الاحجار التي تخرج منها على صورة البطيخ على شكلين ويعرف الواحد منها بالحجر اليهودي وذكرته الفلاسفة واستعملته في السابل به وجع الحصاة في المثانة وهو نوعان ذكر وانثى فالذكر للرجال والانثى للنساء ومن هذه البحيرة يخرج الحمار المعروف بالحمرة وليس في الدنيا والله اعلم بحيرة لا يتكون فيها دود وحيوان من سمك وغيره الا هذه البحيرة وبحيرة ركبتها بين بلاد اذربيجان بين مدينة ارمينية ومنارة وهي المعروفة بكبوذان وقد ذكر الناس ممن تقدم عذر عدم تكون الحيوان في البحيرة المنتنة ولم يتعرضوا لبحيرة كبوذان ويأتي على قياس قولهم ان تكون علتهما واحدة وسار ملك الشام وهو السميدع بن هوبر بن مالك الى يوشع بن نون فكانت بينهم حروب الى ان قتله يوشع واحتوى على جميع ملكه والحق به غيره من الجبابرة والعماليق وشن الغارات بارض الشأم

القوادم

١

القوادم والخوافى يثنى عليها من سلم من الغباوة والصمم ويعترف ببراعتها من لا يعتريه الالم وطالما عرض الجاهل الغمر بوجهه عن مثله واشاح وانصت لها الحرا صات السوار بجرس الحلى ونغم الوشاح ونرجو ان نظفر بشئ منها فرح الصائم باقتناص والسارى العارى ذى البطن الخميص بالزاد والقميص وتركت الجمح بالمغرب ولم استصحب معى منه ما يبين عن المقصود ويعرب الانزرا يسيرا علق بحفظى وحليت بجواهره جيد لفظى وبعض اوراق سعد فى جواب السؤال بها حظى ولو حضرنى الآن ما خلفته مما جمعت فى ذلك الغرض والفته لقرت به عيون وسرت الباب اذهو والله الغاية فى هذا الباب ولكن المرء ابن وقته وساعته وكل ينفق على قدر وسعه واستطاعته وعذر مثلى باد للمنصفين من العباد ان قصرت فيما تصدرت أو تخلفت فى الذى تكلفت أو أنعت تحريرما وضعت والتقمت ثدى التقصير ورضعت أو أطعت داعى التوانى متأخرا عمن سبق وانقطعت ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ومن كانت بضاعته مزجاة فهو من الانصاف بنجاة اذا أتى بالمقدور وتبرأ من الدعوى الورود والصدور وعين ارتضى عن كل عيب كليلة والسلامة من الملامة متعذرة أو قليلة وقد قال امامنا مالك صاحب المذهب الجليل كل كلام يؤخذ منه ويرد الا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم ازكى صلاة وأتم سلام وشفع فى جماعته من الآلام تلو بنا الملة وجعلنا ممن كان اتباع سنته زاده ودليله آمين والحمد لله الذى يسر لى هذا القدر مع ضيق الصدر وقلة بضاعتى وكثرة اضاعتى فان حمده جل جلاله تتضوع به المطالب طيبا وتغدو ببركته المآرب فيرقى صاحبها على منبر القبول خطيبا وتعذب به المشارب فتندت فى أرض القرطاس من زاكى الغراس ما يروق ... يراه ... ورق غصنا رطيبا وقد أتيت من المقال بما يقر ان شاء الله تعالى العين ومن قال وان كنت ممن هو فى ثوب الحى رافل وعن نسبته للتقصير غير غافل ومن ... س هدفا وصير مكان الدرص هدفا اذ لسان الدين بن الخطيب امام هذه الفنون ... وى الآمال الفنون المستخرج من بحار البلاغة دره المكنون وله اليد الطولى فى ... لى اختلاف أجناسها والالفاظ الرائقة التى ترتاح وحشة الانفس بايناسها

ناهيك من فرد أقر بمدحه * رحب الدراحر الكلام محمد
بهر الانام رياسة وسياسة * وجلالة فى المنتمى والمحتد
وأتى بكل بديعة فى نوعها * لم تخترع وغريبة لم تعهد
ما شئت من شعر أرق من الصبا * وكتابة أزهى من الزهر الندى
وبديع قرطاس توشح متنه * بمنمنم من رقمه ومنجد
بهج كأن الحسن حل أديمه * فكساه ريعان الشباب الاغيد
كالبرد فى توشيعه والسلك فى * ترصيعه والوشى نمق باليد
وكأنما سال العذار عليه أو * خطته أيدى الغانيات بإثمد
يختال بين موصل ومفصل * ومطرز بمنظم ومنضد
قد قيد الابصار والافكار من * ألفاظه بمثقف ومقيد

ابن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقيل ان يوشع بن نون كان بدء محاربة الملك العماليق وهو السميدع ببلاد ايلة نحو مدين ففى ذلك يقول عوف بن سعيد الجرهمى

ألم تر ان العلقمى بن هوبر * بايلة أمسى لحمه قد تمزعا
تداعت اليه من يهود جحافل * ثلاثون ألفا حاسرين ودرعا
فامست عداة العماليق بعده * على الارض مشيا مصعدين وفزعا
كأن لم يكونوا بين أجبال مكة * ولم يرراء قبل ذاك السميدعا

وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن ماب بن لوط ابن هاران وكان مستجاب الدعوة فسأله قومه على الدعاء على يوشع بن نون فلم يتأت له ذلك وعجز عنه فاشار على بعض ملوك العماليق ان يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا فتسرعوا الى النساء فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم سبعون ألفا وقيل ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقام فى بنى اسرائيل بعد يوشع بن نون (كالب) ابن يوفنا بن بارض بن يهوذا ويوشع وكالب الرجلان اللذان انعم الله عليهما (قال المسعودى) ووجدت

مافيه معجز أصبح الاوفيه نتيجة لمفرع ومولد
ولكل جزء حكمة أو ملحة * أو بدعة لمرسل ومقصد
أوليس مثلى قاصرا عن وصفه * والحق نور واضح للمهتدى

وكما قلت وقد عجزت عن أداء الواجب وحاولت المسنون وفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده ليس بممنوع ولا ممنون

ليت شعرى أى العبارات توفى * واجب ابن الخطيب مما أروم
وأنا عاجز عن البعض منها * لقصورى وما العيى ملوم
وهو يدعى لسان دين وناهيك افتخارا به تتم الرسوم
بأى الحلى أحلى على من * نال فضلا رويته عرب وروم
وعلى الغرض ماالذى أنتهى منه لدى الوصف ان يخص العموم
ألحفظ قدارتوى من معين * لصواب عليه كل يحوم
أم انهم يستنزج الدر غوصا * من بحار يخشى بها من يعوم
أم انك كر مؤلف فى فنون * عن دهاء به تداوى الكلوم
أم لنظم كأنه جوهر السلك غلاقدره على من يسوم
تتباهى به الصدور حليا * وتروق العيون منه نجوم
أم لنثر وافى بسحر بيان * فهو كالروح والمعانى جسوم
وأظلته للبديع سماء * تتلالا فى جانبيها العلوم
فاستزادت منه النفوس رشادا * واستزانت منه النهى والحلوم
أم لخط منمنم فاق حسنا * مثل وشى تلوح منه الرقوم
أو كزهر فى بهجة ورواء * وأريج به تزاح الغموم
والعصون الاقلام والطرس روض * ناضر والمداد غيث سجوم
تلك ست أعجزن وصفى فانى * بسواها مما يجل أقوم

ولم يكن جمع علم الله هذا التأليف لرفد أستمديه أو عرض نائل أستجديه بل لحق ودين وعد أنذمه وأبديه ووقوف عند حد لا يجوز تعديه وتلبية داع أحييه وأعذر

ان من يرجو نوالا ودى * من بنى الدنيا لذو حظ غبين
فلقد كان على غير الهدى * من يسويهم برب العالمين
ويرجى منهم الرزق فهل * خالق الكل فقير أو ضنين
أتخلى قصد رب مالك * ونرى للخلق جهلا قاصدين
مالنا من مخلص نأتى به * غير جاه المصطفى الهادى الامين
سيد الخلق العماد المرتجى * للملمات شفيع المذنبين
فعليه صلوات تنتهى * حضرة حل بها فى كل حين
والرضا من بعد عن أربعة * هم بحق أمراء المؤمنين
فبمينا ان من يهواهم * ليكونن من أصحاب اليمين

وملك (عمايل) بن قاسم من سبط يهوذا أربعين سنة وقيل (كوش) جبار كان فى آب من أرض البلقاء وان بنى اسرائيل كفرت بعد ذلك فملك الله عليهم (كنعان) عشر سنين وهلك فكان على بنى اسرائيل (علان) الاخرى أربعين سنة (ثم قام بعده) الى أن وليهم طالوت وخرج عليهم جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين (قال المسعودى) فاما على الرواية الاولى التى قدمنا ذكرها فالقائم بعده فى بنى اسرائيل والمدبر لهم فنحاص ابن العازر بن هرون بن عمران ثلاثين سنة وكان عمد الى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام فجعلها فى خابية نحاس ورصص رأسها وأتى بها صخرة بيت المقدس وذلك قبل بنائه وانفرجت فاذا مغارة تحتها صخرة ثابتة فوضع الخابية فيها وانضمت الصخرة على ذلك لكونها أولا ولما هلك فينحاس بن العزر دبر امرهم كوشان بن لاسم ملك الجزيرة فتعبد بنى اسرائيل واخذهم بالبلاء ثمان سنين ثم دبرهم عثنيئال بن قناز اخو كالاب من سبط يهودا اربعين سنة ثم دبرهم عقلون ملك هاب بجهد شديد ثمانى عشرة سنة ثم دبرهم اهود من ولد افرايم وسط

وسط جنات تحييه بها * آنسات قاصرات الطرف عين
بقوار يرلجين شربه * واباريق وكاس من معين
والذى شرفهم يمنحنا * حبهم والكون معهم اجمعين

فدونك ايها الناظر فى هذا الكتاب المتجافى عن مذهب النقد والعتاب كلمات سوانح اختلست مع اشتغال الجوانح وتضاد الامور اللوائح واللوائح والطوالع البوارح فاقتنصت بين اشتغال الجوارح وطرقا أعمت العرف فى مرعاها وكانت هملا نير سوارح ونحفا يحصل بها لناظره الامتاع ولا يعدها من سقط المتاع الا من لا يهتدى الى المرتاح ويستانس المستوحش المرتاع

وبعد ان ختمت بتمام هذا التصنيف واممعنت النظر فيما يحصل به التقريظ لما معه التشنيف قسمته قسمين وكل منهما مستقل بالمطلوب ويصح ان يسميا باسمين

(القسم الاول) فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار المرعة الاكواب والانباء المنتخبة صوب الصواب الرائقة من الادلة فى سوابغ الاثواب وفيه بحسب القصد والاقتصار وتحرى التوسط فى بعض المواضع دون الاختصار ثمانية من الابواب

(الباب الاول) فى وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيرها وكمالها واستوائها واشتمالها على كثير من المنافع والمحاسن واحتوائها وكرم نباتها الذى سقته سماء البركات من جنباتها بنافع انوائها وذكر بعض ماثرها المجلوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور المستمدة من اضوائها

(الباب الثانى) فى القاء بلاد الاندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد ومحط رحال الارتياء والارتياد ومايتبع ذلك من خبر حصل باز دياده ازدياد ونبأ وصل اليه اعتيام وتغير بعد له اعتياد

(الباب الثالث) فى سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامى العماد والقهر للعدو المتمرد فى الرواح والغدو والتحرك للهدوّ البالغ عليه الآساد واعمال اهلها للجهاد بالجد والاجتهاد فى الجبال والوهاد بالاسنة المشرعة والسيوف المسلولة من الاغماد

(الباب الرابع) فى ذكر قرطبة التى كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهرة وجامعها الاموى ذى البدائع الباهية الباهرة والالماع بحضرتى الملك الزهراء الناصرية والعامرية الزاهرة ووصف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجر اليه شجون الحديث من امور تقضى بحسن ايرادها القرائح الوقادة والافكار الماهرة

(الباب الخامس) فى التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الزاكية العراق والشام ومدح جماعة من اولئك الاعلام ذوى الالباب الراجحة والاحلام لشامة وجنة الارض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وارباب بيانها ذوى السودد والاحتشام ومخاطباتهم للمؤلف المتبرحين حلها عام سبعة وثلاثين والف وشاهد برق فضلها الباهر وشام

(الباب السادس) فى ذكر بعض الوافدين على الاندلس من اهل المشرق المهتدين فى

خمسا وعشرين سنة وخمس وثلاثين سنة خلت من ايامه ثم للعالم اربعة آلاف سنة ٩٠ وقيل غير ذلك من التاريخ ثم دبرهم ساعان بن اهو خمسا وعشرين سنة ثم دبرهم يابين الكنعانى ملك الشام عشرين سنة ثم دبرهم امراة يقال لها دبورا وقيل انها ابنته وضمت اليها رجلا من سبطه الى يقال له بازاق اربعين سنة يداولهم رؤساء بنى اسرائيل وهم عريب ورسب وبرسونا ودارع وصلماع سبع سنين وثلاثة اشهر ثم دبرهم كدعون من آل منشا اربعين سنة وقيل ملوك مدين ثم ابنه ابيمالخ ثلاث سنين وثلاثة اشهر ثم تولع من آل فراين ثلاثة وعشرين سنة ثم ساير من آل منشا اثنين وعشرين سنة ثم ملوك عمان ثمانى عشرة سنة وثلاثة اشهر ثم يحنون من بيت لحم سبع سنين ثم قهرهم ملوك فلسطين اربعين سنة ثم عالى الكاهن بعد ذلك اربعين سنة وفى زمانه ظفر البابليون ببنى اسرائيل وغنموا التابوت وكان بنو اسرائيل يستفتحون به فحملوه الى بابل واخرجوهم من ديارهم وابنائهم وكان ما كان من امر قوم حزقيل وهم الذين اخرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وكان قد اصابهم الطاعون فبقى منهم ثلاثة اسباط فلحقت فرقة بالرمل وفرقة بشواهق الجبال وفرقة بجزيرة

قصدهم اليها بسور المداية المتدىء المشرق والاستبصار الذين حلوا منها بحلولهم فيها الجيد والمفرق واغتروا برؤية قطرها المونق على المشئم والمعرق

(الباب السابع) في نبذة مما من الله تعالى به على اهل الاندلس من توقد الاذهان و بذلهم في اكتساب المعارف والمعالي ماعز أوهان وحوزهم في ميدان البراعة من قصب البراعة خصل الرهان وجملة من اجوبتهم الدالة على لوذعيتهم وأوصافهم المؤذنة بألمعيتهم وغير ذلك من احوالهم التي لها على فضلهم اوضح برهان

(الباب الثامن) في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة بعد صرفه وجوه المكائد اليها وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها بمكره واستعماله في امرها حيل فكره حتى استولى دمره الله عليها ومحا منها التوحيد واسمه وكتب على مشاهدها ومعاهدها وسمه وقرر مذهب التثليث والرأي الخبيث فيها واستغاثة اهلها بالنظم والنثر اهل ذلك العصر من سائر الاقطار حين تعذرت بحصارها مع طول محاصرتها وانصرامها المآرب والاوطار وجاءها الاعداء من خلفها ومن بين يديها اعادها الله تعالى اليها كلمة الاسلام واقام فيها شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ورفع يد الكفر عنها وعما حواليها آمين ولم اخل بابا في هذا القسم من كلام للسان الدين بن الخطيب وان قل مع ان القسم الثاني بذلك كما تقف عليه قد استقل وهذا آخر ما تعلق بالقسم الاول وعلى الله سبحانه المتكل والمعول

(القسم الثاني) في التعريف بلسان الدين بن الخطيب وذكر أنبائه التي يروق سماعها ويتأرج نفحها ويطيب وما يناسبها من أحوال العلماء الافراد والاعلام الذين اقتضى ذكرهم شجون الكلام والاستطراد وفيه ايضا من الابواب ثمانية موصلة الى جنات ادب قطوفها دانية وكل غصن منها رطيب

(الباب الاول) في ذكر أولية لسان الدين وذكر اسلافه الذين ورث عنهم المجد وارتضع اخلافه وما يناسب ذلك مما لا يذهب المنصف الى خلافه

(الباب الثاني)* في نشأته وترقيه ووزارته وسعادته ومساعدة الدهر له ثم قلبه الظهر على عادته في مصافاته ومنافاته وارتباكه في شباكه وما لقي من احن الحاسدين ذي المذهب الفاسد ومحن الكائد المستاسد وآفاته وذكر نصوص من احواله وغير ذلك من احواله في تقلباته عندما قابله الزمان باهواله في بدئه واعادته الى وفاته

(الباب الثالث) في ذكر مشايخه الجلة هداة الناس ونجوم الملة وما يتصل بذلك من الاخبار الشافية للعلة والمواعظ المنجية من الاهواء المضلة والمناسبات الواضحة البراهين والادلة

(الباب الرابع) في مخاطبات الملوك والاكابر الموجهة الى حضرته العلية وثناء غير واحد من اهل عصره عليه وصرف القاصدين وجوه التأميل اليه واجتلائهم انوار رياسته الجلية

(الباب الخامس) في ايراد جملة من نثره الذي عبق ارج البلاغة من نفحاته ونظمه الذي بالفنون البراعة من لحناته وصفحاته وما يتصل بذلك من بعض أزجاله وموشحاته

من جزائر البحر وكان فيهم خبر طويل حتى رجعوا الى ديارهم فقالوا لحزقيل هل رأيت قوما اصابهم ما اصابنا قال لا ولا سمعت بقوم فروا من الله فراركم فسلط الله عليهم الطاعون سبعة ايام حتى تواصى آخرهم ودبر بني اسرائيل بعد غلام الكاهن شمويل بن بروخان ابن ناحور اوتي فمكث فيهم عشرين سنة ووضع الله عز وجل عنهم القتال وصلح امرهم ثم خلطوا بعد ذلك فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل معه في سبيل الله فامر بتمليك طالوت وهو ساود بن بشر بن ابنال بن طرود بن يحرون بن أفيح بن سميداح بن فالح بن بنيامين ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام فملكه عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت وكان بين خروج موسى عليه السلام ببني اسرائيل من مصر الى ان ملك على بني اسرائيل طالوت خمسمائة سنة واثنتان وسبعون وثلاثة أشهر وكان طالوت دباغا يعمل الأدم فاخبرهم نبيهم شمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فقالوا فيه ما أخبر الله عز وجل في كتابه أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم واخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية

ومناسبات

ومحسنات وائقه من فنون الادب ومصطلحاته

(الباب السادس) في مصنفاته في الفنون ومؤلفاته المحققة للوقف عليها الآمال والظنون وما كمل منها أو اخترمته دون اتمامه المنون

(الباب السابع) في ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلين به على المنهاج المتلقين انواع العلوم منه والمقتبسين انوار الفهوم من سراجه الوهاج

(الباب الثامن) في ذكر اولاده الرافلين في حلل الجلالة المقتفين اوصافه الحميدة وخلاله الوارثين العز والحلم والرياسة والمجد عن غير كلالة ووصيته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا المشتملة على النصائح الكافية والحكم الشافية من كل مرض بلا ثنيا المنقذة من أنواع الضلالة وما يتبع ذلك من المناسبات القوية والامداح النبوية التي لها على حسن الختام اظهر دلالة (وقد كنت) اولا سميته بعرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب ثم وسمته حين ألحقت اخبار الاندلس به (بنفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) وله بالشام تعلق من وجوه عديدة هادية لمتامله الى الطرق السديدة أولها أن الداعي لتاليفه أهل الشام أبقى الله مآثرهم وجعلها على مر الزمان مديدة ثانيها أن الفاتحين للاندلس هم أهل الشام ذو والنجدة والشوكة الحديدة ثالثها أن غالب اهل الاندلس من عرب الشام الذين اتخذوا بالاندلس وطنا مستانفا وحضرة جديدة ورابعها أن غرناطة نزل بها أهل دمشق وسموها باسمها لشبهها بها في القصر والنهر والدوح والزهر والغوطة الفيحاء وهذه مناسبة قوية العرا شديدة * هذا واني أسال من وقف عليه أن ينظر بعين الاغضاء اليه كما أطلب ممن كان السبب في تصنيفه والداعي الى تاليفه وترصيفه استنادا الى ركن الثقة واعتمادا على الودوالمقة ان يسمح بمساويه ويصور ويسمح ويلاحظه بعين الرضا الكليلة ويلمح اذ ركبت شكل منطقه غالبة وقضية الغربة موجبة للكربة وبعض الآمال سالبة وهو في بكل الغرض فلا يخلو من فائدة وقد يستدل على الجوهر بالعرض فان أديت بذلك المرام الذي أرتضيه ويوجب الود يقتضيه والاخسي أن بذلت به جهدي من وجدي على قدر ما عندي وقد توهمت أني لم أسبق الى مثله في بابه اذ لم أقف لنظير أتعلق باسبابه ورجوت أن يكون هدية مستملحة مستعذبة وطرفة مقبولة مستغربة

هديتي تقصر عن همتي * وهمتي أكثر من مالي
وخالص الود ومحض الاخا * اكثر ما يهديه امثالي

وأوردت فيه من نظم وانشاء ما يكفي المقتصر عليه ان شاء ومن اخبار ملوك ورؤساء وطبقات من احسن او اساء ما فيه اعتبار للمتامل وادكار للراحل المتحمل وزينة للذاكر المتجمل وتنكيت على أهل البطر وتبكيت لمن خرج من دنياه ولم يقض من الطاعة الوطر

ارى اولاد آدم ابطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنيه
فلم بطروا وأولهم مني * اذا نسبوا وآخرهم منيه

ثم ما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة وكان مدة ما مكث التابوت ببابل عشر سنين فتجمعوا عند النهر حفيف الملائكة تحمل التابوت واشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده وبلغه انقياد بني اسرائيل الى طالوت فسار جالوت من فلسطين باجناس من البربر وجالوت بن بابول بن ريال بن حطال بن فارس فنزل بساحة بني اسرائيل فامر شمويل طالوت بالمسير ببني اسرائيل الى حرب جالوت فابتلاهم الله عز وجل بنهر بين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم العطش وقد قص الله ذلك في كتابه وأمر ان لا يشربوا من النهر والغيه أهل الريبة وولغ الكلاب فقتلهم طالوت عن آخرهم ثم فصل من خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم داود عليه السلام ولحق داود باخوته فتوافق الجيشان جميعا وكانت الحروب بينهما سجالا وندب طالوت الناس وجعل لمن يخرج الى جالوت ثلث ملكه ويتزوج ابنته فبرز داود فقتله بحجر كان في مخلاته رماه بمقلاع فخر جالوت ميتا وقد اخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله وقتل داود جالوت وقد ذكر ان الحجر الذي كان في مخلاة داود كان ثلاثة احجار فاجتمعت وصارت حجرا واحدا وهي التي قتل بها جالوت وان القوم الذين ولغوا في الماء

وفيه ايقاظ لمثلي من سنة الغفلة وحث على عدم الاغترار بالمهلة وتنبيه للابس برد الشباب المشيب انه لابد من حادث الموت قبل أو بعد المشيب

لله در الشيب من واعظ * وناصح مناهجه واضح
كل امرئ يحجبه شانه * وحادث الدهر له فاضح

فكم باك على عصر الشباب وشاك اعراف عهد الصبا والاحباب أنساه طارق الزمان بمى والرباب

مضى عصر الشباب كلمح برق * وعصر الشيب الا كدار شيبا
وما اعددت قبل الموت زادا * ليوم يجعل الولدان شيبا

وما احسن دون بعض الاسلام

مضى ما مضى من حلو عيش ومره * كأن لم يكن الا كأضغاث احلام

ويقول من ارشد سفيها

انما هذه الحياة متاع * فالجهول الجهول من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي انت فيها

وفي معناه لغيره

دنياك شيئان فانظر * ماذانك الشيئان
ما فات منها فحلم * وما بقي فاماني

وما احكم قول ابن حطان مع وقوعه من البدعة في أشطان

يا اسف المرء على ما فاته * من لبانات اذا لم يقضها
وتراه ضاحكا مستبشرا * بالذي امضى كأن لم يمضها
انها عندي كاحلام الكرى * لقريب بعضها من بعضها

ولغيره

والله لو كانت الدنيا باجمعها * تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا
ما كان من حق حر أن يذل لها * فكيف وهي متاع يضمحل غدا

ولآخر

لاحظ في الدنيا لمستبصر * يلمحها بالفكرة الباصره
ان كدرت مشربه ملها * وان صفت كدرت الآخره

ويعجبني قول الوزير ابن المغربي

اني ابثك من حديـثي والحديث له شجون
فارقت موضع مرقدي * ليلا ففارقني السكون
قل لي فاول ليلة * للقبر كيف ترى اكون

ولقول ماميه

تامل في الوجود بعين فكر * تر الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى * ويبقى وجه ربك ذو الجلال

وقاموا بما أمروا به كان القائل لهم طالوت وقد أتينا على خبر الدرع التي كان أخبرهم نبيهم انه لا يقتل جالوت الا من صلحت عليه تلك الدرع اذا لبسها وانها صلحت على داود وما كان من هذه الحروب وخبر النهر والبلوى ... في أخبار ... بعدها ... من ... البربر ... في البلاد في موضع ... هذا الكتاب (وآتى الله داود) واختلف ذكر طالوت ... داود بما تقدم من شرطه فلما رأى ميل الناس اليه زوجه بنته وسلم اليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس ثم حسده بعد ذلك فقتل ... من ذلك ... داود ... داود فجاء طالوت على سرير ملكه فمات من ليلته كمدا وانقادت بنو اسرائيل الى داود عليه السلام وكان ملك طالوت عشرين سنة وذكر ان الموضع الذي قتل فيه جالوت بيسان من أرض الغور من بلاد الاردن وألان الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع وسخر له الجبال والطير يسبحن معه وحارب داود أهل موآب من أرض البلقاء وأنزل الله عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة

وقول بعض العارفين

استعدي يا نفس للموت واسعي * لنجاة فالحازم المستعد
قد تبينت أنه ليس للحي * خلود وما من الموت بد
إنما أنت مستعيرة ما سو * ف تردين والعواري ترد
أنت تسهين والحوادث لا تسـ * ـهو وتلهين والمنايا تجد
أي ملك في الأرض أو أي حظ * لامرئ حظه من الأرض لحد
لا ترجى البقاء في معدن المو * ت ودار حتوفها لك ورد
كيف يرجو امرؤ لذاذة أيا * م عليه الأنفاس فيها تعد

وأسأل من مبلغ السائلين ما يرجون، أن يصفح عن زلاتي وبما يمحي فيما أوردت في هذا الكتاب من الهزل والمجون، الذي جرت المناسبة إليه والحديث شجون، وما القصد منه إلا ترويح قلوب الذين يسوقون عيس الأسمار ويزجون، وفيما أوردت من المواعظ والنصائح وحكايات الأولياء الذين طيب زهر مناقبهم فائح، والتوسل بمحاسن الأمداح النبوية أن يستر بفضله سبحانه القبائح، ويرينا وجه القبول بلا كتام، ويمحو الزلل ويحسن الختام، ومن يتوسل بالنبي محمد شفيع البرايا السيد السند الأسنى، فذلك جدير أن يكفر ذنبه ويحظى بنيل القصد والختم بالحسنى، وهذا أوان الشروع في الأصول من هذا الكتاب والفروع، وعلى الله سبحانه أعتمد، ومن معونته أستمد

(القسم الأول)

فيما يتعلق بالأندلس من الأخبار المترعة الأكواب، والأنباء المنتجعة صوب الصواب، المرفلة من الإفادة في سوابغ الأثواب، وفيه بحسب القصد والاقتصار وتحري التوسط في ذلك من المواضع دون الاختصار ثمانية من الأبواب

(الباب الأول)

في وصف جزيرة الأندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيراتها واستوائها، واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها، وكرم بقعتها التي سقتها سماء البركات بنافع أنوائها، وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور، وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور، المستمدة من أضوائها، فأقول محاسن الأندلس لا تستوفى بعبارة، ومجاري فضلها لا يشق غباره، وأنى تجارى وهي الحائزة قصب السبق في أقطار الغرب والشرق (قال ابن سعيد) إنما سميت بالأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح لأنه نزلها كما أن أخاه سبت بن يافث نزل العدوة المقابلة لها وإليه تنسب سبتة (قال) وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربي لأنهم إما عرب أو متعربون انتهى (وقال ابن غالب) إنه أندلس بن يافث والله تعالى أعلم (وقال الوزير) لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى في بعض كلام له أجرى فيه ذكر البلاد الأندلسية أعادها الله تعالى للإسلام ببركة المصطفى عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام، ما نصه خص الله تعالى بلاد الأندلس من الريع وغدق السقيا ولذاذة الأقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة

سورة وجعله ثلاثة أثلاث فثلث ما يكون مع بختنصر وما يكون من أمره في المستقبل وثلث ما يلقون من أهل أثور وثلث موعظة وترغيب ومحبة وترهيب ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم واستقامت الأمور لداود ولحقت الخوارج من الأكراد بأطراف الأرض لهيبة داود وبنى داود بيتا للعبادة بأورشليم وهي بيت المقدس وهو البيت الباقي لوقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يدعى بمحراب داود عليه السلام وليس في بيت المقدس أعلى منه في هذا الوقت وقد يرى من أعلاه البحيرة المنتنة ونهر الأردن المتقدم ذكره وكان من أمر داود مع الخصمين ما قص الله عز وجل في كتابه من خبره وقوله لأحدهما قبل استماعه من الآخر لقد ظلمك وقد تنازع الناس في خطيئة داود فمنهم من رأى ما وصفنا ونفى عن الأنبياء المعاصي وتعمد الفسق وأنهم معصومون فكانت الخطيئة ما ذكرنا وذلك قوله عز وجل يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ومنهم من رأى أن ذلك كان قضية أوريا بن حيان ومقتله على ما ذكرنا في كتاب المبتدأ والخبر وغيره وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوما كان فيها ساجدا باكيا وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة ونشأ

الناس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض ألوان الانسان ونبل الاذهان وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام التمدن والاعتمار بما حرمه الكثير من الاقاليم مما سواها انتهى (قال أبو عامر السلمى) فى كتابه المسمى بدرر القلائد وغرر الفوائد الاندلس من الاقليم الشامى وهو خير الاقاليم وأعدلها هواء وترابا وأعذبها ماء وأطيبها هواء وحيوانا ونباتا وهو أوسط الاقاليم وخير الامور أوساطها انتهى (قال ابو عبيد البكرى) الاندلس شامية فى طيبها وهوائها يمانية فى اعتدالها واستوائها هندية فى عطرها وذكائها اهوازية فى عظم جباياتها صينية فى جواهر معادنها عدنية فى منافع سواحلها فيها آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملى الفلسفة وكان من ملوكهم الذين أثروا الآثار بالاندلس هرقلس وله الاثر فى الصنم بجزيرة قادس وصنم جليقية والاثر فى مدينة طركونة الذى لا نظير له (قال المسعودى) بلاد الاندلس تكون مسيرة عمائرها ومدنها نحو شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة انتهى باختصار ونحوه لابن اليسع اذ قال طولها من اربونة الى اشبونة وهو قطع ستين يوما للفارس المجد وانتقد بامرين أحدهما أنه يقتضى أن اربونة داخلة فى جزيرة الاندلس والصحيح انها خارجة عنها والثانى ان قوله ستين يوما للفارس المجد اعياء وافراط وقد قال جماعة انها شهر ونصف (قال ابن سعيد) وهذا يقرب اذا لم يكن للفارس المجد والصحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر وكذا قال الحجارى وقد سألت المسافرين المحققين عن ذلك فعملوا حسابا بالمراحل الجيدة افضى الى نحو شهر بنيف قليل (قال الحجارى) فى موضع من كتابه ان طول الاندلس من الحاجر الى اشبونة الف ميل ونيف اه وبالجملة فالمراد التقريب من غير مشاححة كما قاله ابن سعيد واطال فى ذلك ثم قال بعد كلام ومسافة الحاجز الذى بين بحر الزقاق والبحر المحيط اربعون ميلا وهذا عرض الاندلس عند رأسها من جهة الشرق ولذلك سميت جزيرة والا فليست بجزيرة على الحقيقة لاتصال هذا القدر بالارض الكبيرة وعرض جزيرة الاندلس فى موسطها عند طليطلة ستة عشر يوما واتفقوا على ان جزيرة الاندلس مثلثة الشكل واختلفوا فى الركن الذى فى الشرق والجنوب فى اربونة فمن قال انه فى اربونة وان هذه المدينة تقابلها مدينة برديل التى فى الركن الشمالى احمد بن محمد الرازى وابن حيان وفى كلام غيرهما انه فى جهة اربونة وحقق الشريف وهو اعرف بتلك الجهة لتردده فى الاسفار برا وبحرا اليها وتفرغه لهذا الفن (قال ابن سعيد) وسألت جماعة من علماء هذا الشان فاخبرونى أن الصحيح ما ذهب اليه الشريف وان اربونة وبرشلونة غير داخلتين فى ارض الاندلس وان الركن الموفى على بحر الزقاق بالمشرق بين برشلونة وطركونة فى موضع يعرف بوادى زنلقطو وهنالك الحاجز الذى يفصل بين الاندلس والارض الكبيرة ذات الالسن الكثيرة وفى هذا المكان جبل البرت الفاصل فى الحاجز المذكور وفيه الابواب التى فتحها ملك اليونانيين بالحديد والنار والخل ولم يكن للاندلس من الارض الكبيرة قبل ذلك طريق فى البر وذكر الشريف أن هذه الابواب تقع فى مقابلتها بحر الزقاق البحر الذى بين جزيرتى ميورقة ومنورقة وقد اخبر بذلك

سليمان بن داود عليه السلام وبرع وداخل أباه فى قضائه فآتاه الله فصل الخطاب والحكم على ما أخبر الله عزوجل عنهما بقوله وكلا آتينا حكما وعلما ولما حضرت داود الوفاة أوصى الى ابنه سليمان وقبض وكان ملكه أربعين سنة على فلسطين والاردن وكان عسكره ستين الفا أصحاب سيوف جردا مردا أصحاب باس ونجدة وكان ببلاد مدين وأيلة فى عصر داود عليه السلام (لقمان الحكيم) وهو لقمان بن عنقاء بن مربد بن صاوون وكان نوبيا مولى للقين بن جسر ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبدا صالحا من الله عزوجل عليه بالحكمة ولم يزل باقيا فى الارض مظهرا الحكمة والزهد فى هذا العالم الى ايام يونس بن متى حين أرسل الى أهل نينوى من بلاد الموصل ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده (سليمان) بالنبوة والحكم وعم عدله رعيته واستقادت له الامور وانقادت له الجيوش وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذى بارك الله عز وجل حوله فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتا وهو الموضع الذى يسمى فى وقتنا هذا كنيسة القمامة وهى الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى ولهم كنائس غيرها معظمة ببيت المقدس

جمهور المسافرين لتلك الناحية ومسافة هذا الجبل الحاجز بين الركن الجنوبي والركن الشمالي أربعون ميلا قال وثاني الركن المذكور عند مدينة برديل وهي من مدن الافرنجة مطلة على البحر المحيط في شمال الاندلس وبمقابلة ... البر بعد هذا الركن الى الشمال في بلاد الافرنجة ولهم به جزائر كثيرة ويدور كرامن الركن الشمالي عند شنت ياقوه من ساحل الجلالقة في شمال الاندلس حيث تبتدئ جزيرة برطانية الكبيرة ... ثم بحر داخل بين أرضين من الناس من يجعله بحرا منفردا خارجا من البحر المحيط ... الى الركن المتقدم الذكر عند مدينة برديل (وذكر الشريف) ان عند شنت ياقوه هذا الركن المذكور على جبل يخرج الى البحر ... مثلها صنم قادس والركن الثالث ... جبل ... حيث صنم قادس والجبل المذكور يدخل من ... جنوبه بحر الزقاق من البحر المحيط مارا مع ساحل الاندلس الجنوبي الى الجبل المذكور انتهى والكلام في مثل هذا طويل الذيل *(قال الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي) بلد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الجناب منبجس الانهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام ذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال وسطة من الحال لا يتولد في أحدها فصل يتولد ... ما يتولد في سائر البلدان ... أكثر الازمنة ويدوم ... غير منفردة أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بباكوره وأما الثغر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء فيتأخر بالكثير من ثمره ... الخيرات بالبلد متمادية في كل الاحيان وفواكهه على الجملة غير معدومة في كل أوان وله خواص في كرم النبات توافق في بعضها أرض الهند المخصوصة بكرم النبات وجواهره منها أن المحلب وهو المقدم ... والمفضل في أنواع الاشنان لا ينبت بشيء من الارض الا بالهند والاندلس وللاندلس المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة ولها البحر والسهل والوعر وشكلها مثلث وهي معتمدة على ثلاثة أركان الاول الموضع الذي به صنم قادس المشهور بالاندلس ومنه مخرج البحر المتوسط الشامي المقابل للاندلس والركن الثاني هو بشرقي الاندلس بين مدينة بربونه ومدينة برديل ... بأيدي الفرنجة اليوم بازاء جزيرتي ميورقة ومنورقة بمجاورة من البحرين البحر المحيط والبحر المتوسط وبينهما البر الذي يعرف بالابواب وهو المدخل الى بلاد الاندلس من الارض الكبيرة على بلد افرنجة ومسافته بين البحرين مسيرة يومين ومدينة بربونه تقابل البحر المحيط والركن الثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل الموفي على البحر وفيها الصنم العالي المشبه بصنم قادس وهو الطالع على بلد برطانية قال والاندلس اندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان انهارها أندلس غربي وأندلس شرقي فالغربي منهما ما جرت أوديته الى البحر المحيط الغربي ويمطر بالرياح الغربية ومبدأ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المسارة الخارجة مع الجوف الى ... شنتمرية ... الى حوز اغريطه ... المائلة الى الغرب ومجاور البحر المتوسط الموازي لقرطاجنة

منها كنيسة صهيون وقد ذكرها داود عليه السلام والكنيسة المعروفة بالجسمانية ويزعمون ان فيها قبر داود عليه السلام وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يعطه لاحد من خلقه وسخر له الجن والانس والطير والريح على حسب ما ذكر الله عز وجل في كتابه وكان ملك سليمان بن داود على بني اسرائيل أربعين سنة وقبض وهو ابن اثنين وخمسين سنة والله ولي التوفيق

(ذكر مالك بن رحبعم ابن سليمان بن داود عليهما السلام ومن ملك من بني اسرائيل وجمل من اخبار الانبياء)

وملك على بني اسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام مالك بن رحبعم بن سليمان واجتمعت عليه الاسباط ثم افترقوا عنه الاسبط يهودا وسبط بنيامين وكان ملكه الى ان هلك سبع عشرة سنة وملك على العشرة اسباط (نورهم) وكانت له كرائس وحروب واتخذ له عجلا من الذهب والجوهر واعتكف على عبادته فاهلكه الله عز وجل فكان ملكه عشرين سنة وملك بعده (نودم) فاظهر عبادة الاصنام والتماثيل وكان ملكه ... سنة ثم ملكت بعده امرأة يقال لها (عيلان) فبذلت السيف في ولد داود عليه السلام فلم يبق منهم الا غلام

الجبال التي من بلاد لورقه وتحوز الشرقي المعروف بالاندلس الاقصى وتجرى أوديته الى الشرق وأمطاره بالريح الشرقية ويقوم حد جبل البشكنش هابطا مع وادي ابرة الى بلاد شنت مرية ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط وفي القبلة منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج الى بلاد الشام وهو البحر المسمى بحر تيران ومعناه الذي يشق دائرة الارض ويسمى البحر الكبير انتهى قال أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام بلاد الاندلس عند علماء أهلها اندلسان فالاندلس الشرقي منه ما صبت أوديته الى البحر الرومي المتوسط المنصب عدمن اسفل ارض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين مدينة تدمير الى سرقسطة والاندلس الغربي ما صبت أوديته الى البحر الكبير المعروف بالمحيط أسفل من ذلك الحد الى ساحل المغرب فالشرقي منهما يمطر بالريح الشرقية ويصلح عليها والغربي يمطر بالريح الغربية وبها اصلاحه وجباله هابطة الى الغرب جبلا بعد جبل وانما قسمته الاوائل جزءين لاختلافهما في حال أمطارهما وذلك أنهما اذا استحكمت الريح الغربية كثر مطر الاندلس الغربي وتحط الاندلس الشرقي ومتى استحكمت الريح الشرقية كثر مطر الاندلس الشرقي وتحط الغربي وأودية هذا القسم تجرى من الشرق الى الغرب بين هذه الجبال وجبال الاندلس الغربي تمتد الى الشرق جبلا بعد جبل تقطع من الجوف الى القبلة والاودية التي تخرج من تلك الجبال يقطع بعضها الى القبلة وبعضها الى الشرق وتنصب كلها الى البحر المحيط بالاندلس القاطع الى الشام وهو البحر الرومي وما كان من بلاد جوفي الاندلس من بلاد جليقية وما يليها فان اوديته تنصب الى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف (وصفة الاندلس) شكل مركن على مثال الشكل المثلث ركنها الواحد فيما بين الجنوب والغرب حيث اجتماع البحرين عند صنم قادس وركنها الثاني في بلاد جليقية حيث الصنم المشبه بصنم قادس مقابل جزيرة برطانية وركنها الثالث بين مدينة اربونة ومدينة برديل من بلاد الفرنجة بحيث يقرب البحر المحيط من البحر الشامي المتوسط فيكادان يجتمعان في ذلك الموضع فيصير بلاد الاندلس جزيرة بينهما في الحقيقة لولا أنه بقي بينهما برزخ الى الصحراء وعمارة مسافته مسيرة يوم للراكب منه المدخل الى الارض الكبيرة التي وبعض الابواب ومن قبله يتصل بلاد الاندلس بتلك البلاد المعروفة بالارض الكبيرة دار وجنت اختلافه قال واول من سكن بالاندلس على قديم الايام فيما نقله الاخباريون من بعد عهد الطوفان على ما يذكره علماؤها قوم يعرفون بالاندلش معجمة الشين بهم سمي المكان فعرب فيما بعد بالسين غير المعجمة كانوا الذين عمروها وتناسلوا فيها وتداولوا ملكها دهرا على دين التمجس والاهمال والافساد في الارض ثم أخذهم الله بذنوبهم فحبس المطر عنهم ووالى القحط عليهم وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها وغارت عيونها ويبست أنهارها وبادت أشجارها فهلك أكثرهم وفر من قدر على الفرار منهم فاقفرت الاندلس منهم وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة وبضع عشرة سنة وذلك من حد بلاد افرنجة الى حد بحر الغرب الاخضر وكان مدة ما عمرتها هذه الامة البائدة مائة عام وبضع عشرة سنة ثم ابتعث الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها بعد اقفارها تلك المدة الطويلة قوم منهم اجلاهم ملك افريقية تخففا

فانكرت بنو اسرائيل ذلك من فعله فقتلوه ٦٦ وكان ملكها سبع سنين وقيل غير ذلك وملكوا عليهم (الغلام) الذي بقي من نسل داود فملك وله سبع سنين فاقام ملكا اربعين سنة وقيل دون ذلك وملك بعده (مليصا) وكان ملكه اثنين وخمسين سنة وكان في عصره (شعياء) النبي ولشعياء عجائب واخبار وكانت له حروب قد اتينا على ذكرها في كتاب اخبار الزمان وملك بعده (نوف) ابن عدل عشر سنين وقيل ست عشرة سنة وملك بعده (احام) فاظهر عبادة الاصنام فطغى واظهر البغي فسار اليه بعض ملوك بابل وكان يقال له فلعيعس وكان من عظماء ملوك بابل وكانت له معه حروب الى ان اسره البابلي وخرب مدن الاسباط ومساكنهم وكان في ايامه تنازع بين اليهود في الديانة ذ يدعي الاسامرة وانكروا نبوة داود عليه السلام ومن تلاه من الانبياء وابوا ان يكون بعد موسى نبي رجعوا لرؤساء منهم من ولد هرون بن عمران والاسامرة في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ببلاد فلسطين والاردن وفي قرى متفرقة مثل القرية المعروفة بعرا وهي بين الرملة وطبرية وغيرها من القرى الى مدينة نابلس واكثرهم بهذه المدينة اعني نابلس ولهم جبل يقال له طور يك وللاسامرة منهم

منهم لامحال توالى على أهل مملكته وتردد عليهم حتى كاد يفنيهم فحمل منهم خلائق في السفن
مع قائد من قبله يدعى ابطريقس فأرسوا بريف الاندلس الغربي واحتلوا بجزيرة قادس
فصادفوا الاندلس قد امطرت وأخصبت فجرت أنهارها وانفجرت عيونها وحييت أشجارها
فنزلوا الاندلس مغتبطين بها فسكنوها معمرين وتوالدوا فيها فكثروا واستوسقوا واتصلت عمارتهم
بالأرض ما بين الساحل الذي أرسوا فيه بغربيها الى بلاد الافرنجة من مشرقها ونصبوا من
أنفسهم ملوكا ضبطوا أمرهم وتوالوا على اقامة دولتهم وهم مع ذلك على ديانة من قبلهم
من الجاهلية وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب اليوم من أرض اشبيلية ابتنوها لهم
وسكنوها فاتسق ملكهم بالاندلس مائة وسبعة وخمسين عاما الى ان أهلكهم الله تعالى
وسحتهم بعجم رومة فملك من هؤلاء الافارقة في مدتهم أحد عشر ملكا ثم دالت
الاندلس بعدهم الى عجم رومة وملكهم اشبان بن طيطش وباسمه سميت الاندلس اشبانية
وذكر بعضهم ان اسمه اشبان فاحيل بلسان العجم وقيل بل كان مولده باصبهان فغلب
اسمها عليه وهو الذي بنى اشبيلية وكان اشبانية اسما خاصا بالبلد اشبيلية الذي كان ينزله اشبان
هذا ثم غلب الاسم بعده على الاندلس كله فالعجم الآن يسمونه اشبانية لآثار اشبان هذا
فيه وكان احد الملوك الذين ملكوا أقطار الدنيا فيما زعموا وكان غزا الافارقة بعد ما سلطه الله
عليهم في جموعه ففض عساكرهم وأثخن فيهم ونزل لهم بقاعدتهم طالقة وقد تحصنوا بها
منه فابتنى عليهم مدينة اشبيلية اليوم واتصل حصره وقتاله لهم حتى فتح الله له وغلبهم
واستوثقت له مملكة الاندلس بأسرها ودانت له من بعد فهدم مدينة طالقة ونقل رخامها
وآلاتها الى مدينة اشبيلية فاستتم بناءها واتخذها دار مملكته واستعلت سلطانته في الارض
وكثر جموعه فعلا وعظم عتوه ثم غزا ايليا وهي القدس الشريف من اشبيلية بعد سنتين
من ملكه خرج اليها في السفن فغنمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة ألف واسترق
مائة ألف ونقل رخام ايليا وآلاتها الى الاندلس وقهر الاعداء واشتد سلطانه وهي
(وذكر بعض المؤرخين) أن الغرائب التي اصيبت في مغانم الاندلس أيام فتحها كالمائدة
[illegible] سليمان عليه الصلاة والسلام التي ألفاها طارق بن زياد بكنيسة طليطلة وقليلة الدر التي
ألفاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة وغيرهما من طرائف الذخائر انما كانت مما صار
الى صاحب الاندلس من غنيمة بيت المقدس اذ حضر فتحها مع بختنصر وكان اسم ذلك الملك
بريان وفي سهمه وقع ذلك ومثله مما كانت الجن تأتي به نبي الله سليمان على نبينا وعليه
وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام انتهى (وذكر غير واحد من المؤرخين) كان أهل
المغرب الاقصى يضرون باهل الاندلس لاتصال الارض ويلقون منهم الجهد الجهيد
في كل وقت الى أن اجتاز بهم الاسكندر فشكوا حالهم اليه فاحضر المهندسين وحضر
الى الزقاق فأمر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامي فوجدوا المحيط يعلو
البحر الشامي بشيء يسير فأمر برفع البلاد التي على ساحل البحر الشامي ونقلها من الحضيض
الى الاعلى ثم أمر بحفر ما بين طنجة وبلاد الاندلس من الارض فحفرت حتى ظهرت الجبال
السفلية وبنى عليها رصيفا بالحجر والجيار بناء محكما وجعل طوله اثني عشر ميلا وهي المسافة

الصلوات في اوقاتها ولهم بوقات من فضة ينفخ فيها عند اوقات الصلاة وهم الذين يقرون لامساس ويزعمون ان
نابلس هي بيت المقدس وهي
مدينة يعقوب النبي عليه
السلام ولهم شرائع وهم
صنفان متباينان كتباينهم
[عن] سائر اليهود واحد الصنفين
يقال له الكوشان والآخر
الدستان احد الصنفين
يقول بقدم العالم ويقال
غير ذلك أعرضنا عن
ذكرها مخافة التطويل
وان كتابنا هذا كتاب خبر
لا كتاب آراء ونحل وكان
ملك احاب الى ان اسره الملك
الثاني سبع عشرة سنة ولما
أسر الملك احاب ولده ولد
يقال له (حزقيل احاب)
فأظهر عبادة الرحمن وأمر
بكسر التماثيل والاصنام
وفي مملكته سار (بختنصر)
ملك بابل الى بيت المقدس
وكانت له حروب كثيرة مع
بني اسرائيل وقتل من
اصحابه خلق كثير ونفى
من الاسباط عددا كثيرا
وكان ملك حزقيل الى ان
هلك سبعا وعشرين سنة ثم
ملك بعد حزقيل ولده يقال
له (ميشا) فعمر سائر
مملكته وهو الذي قتل
شعياء النبي فبعث الله
قسطنطين ملك الروم فسار
اليه في الجيوش فهزم جيشه
وأسره فأقام في ارض الروم
عشرين سنة واطلع عما كان
عليه وعاد الى ملكه فكان ملكه الى ان هلك خمسا وعشرين سنة وقيل ثلاثين سنة ثم ملك بعده ولده يقال له (أمون) بن ميشا

التى كانت بين البحرين وبين رصيفا آخريقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين سعة ستة أميال فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم وأطلق فم الماء بين الرصيفين فدخل فى البحر الشامى ثم فاض ماؤه فاغرق مدنا كثيرة وأهلك اممااعظيمة كانت على الشطين وعلا الماء على الرصيفين احدى عشرة قامة فاما الرصيف الذى يلى بلاد الاندلس فانه يظهر فى بعض الاوقات اذا نقص الماء ظهورا بينا مستقيما على خط واحد وأهل الجزيرتين يسمونه القنطرة وأما الرصيف الذى من جهة العدوة فان الماء حمله فى صدره واحتفر ما خلفه من الارض اثنى عشر ميلا وعلى طرفه من جهة المغرب قصر الجواز وسبتة وطنجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبل طارق بن زياد وجزيرة طريف وغيرهما والجزيرة الخضراء وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر انتهى ملخصا وقد تكرر بعضه مع ما جلبناه والعذر بين لارتباط الكلام بعضه ببعض (وقال ابن سعيد) ذكر الشريف أن لاحظ لارض الاندلس فى الاقليم الثالث قال ويمر بجزيرة الاندلس الاقليم الرابع على ساحلها الجنوبى وما قاربه من قرطبة واشبيلية ومرسيه وبلنسية ثم يمر على جزيرة صقلية وعلى ما فى سمتها من الجزائر والشمس مدبرة له * والاقليم الخامس يمر على طليطلة وسرقسطة وما فى سمتهما الى بلاد أرغون التى فى جنوبها برشلونة ثم يمر على رومية وبلادها ويشق بحر البنادقة ثم يمر على القسطنطينية ومدبره الزهرة * والسادس يمر على ساحل الاندلس الشمالى الذى على البحر المحيط وما قاربه وبعض البلاد الداخلة فى قشتالة وبرتقال وما فى سمتها وعلى بلاد برجان والصقالبة والروس ومدبره عطارد ويمر الاقليم السابع فى البحر المحيط الذى فى شمال الاندلس الى جزيرة انقلطرة وغيرها من الجزائر وما فى سمتها من بلاد الصقالبة وبرجان قال البيهقى وفيه تقع جزيرة تولى وجزيرتا اجبال والنساء وبعض بلاد الروس الداخلة فى الشمال والبلغار ومدبره القمر انتهى (وقال بعض العلماء) ان النصارى حرموا جنة الآخرة فاعطاهم الله جنة الدنيا بساتين متصلة من البحر المحيط بالاندلس الى خليج القسطنطينية وعندهم عموم شجر البندق والجوز والفستق وغير ذلك مما يكون أكثر وأمكن فى الاقاليم الباردة ورب عندهم معدوم كذا الموز وقصب السكر وما يكون شئ من ذلك فى الساحل لان البحر يدفئ انتهى (قال ابن حيان فى المقتبس) ذكر رواة العجم ان الخضر عليه السلام وقف على اشبان المذكور وهو يحرث الارض بفدن له ايام حراثته فقال له يا اشبان لذو شان وسوف يحظيك زمان ويعليك سلطان فاذا أنت غلبت على ايليا فارفق بذرية الانبياء فقال له اشبان أساخر بى رحمك الله أنى يكون هذا منى وانا ضعيف ممتهن حقير فقير ليس مثلى ينال السلطان فقال له قد قدر ذلك فيك من قدر فى عصاك اليابسة ما تراه فنظر اشبان الى عصاه فاذا بها قد أورقت فريع لما رأى من الآية وذهب الخضر عنه وقد وقع الكلام بخلده ووقرت فى نفسه الثقة بكونه فترك الامتهان من وقته وداخل الناس وصحب اهل البأس منهم وسما به جده فارتقى فى طلب السلطان حتى أدرك منه عظيما وكان منه ما كان ثم اتى عليه ما أتى على القرون قبله وكان ملكه كله عشرين سنة وتمادى ملك الاشبانيين بعده الى ان

فانقهر الضيان وكفر بالرحمن وعبد التماثيل والاصنام ولما اشتد بغيه سار اليه فرعون الاعرج من بلاد مصر فى الجيوش فاسعن فى القتل واسره ومضى به الى مصر فمات هنالك وكان ملكه خمس سنين وقيل غير ذلك وملك بعده اخ له يقال له (نوفين) وهو ابو دانيال عليه السلام وفى عصره ذلك سار البختنصر وهو مرزبان العراق والعرب من قبائل فارس وكان ببلخ وكانت نصبة الملك فامعن البختنصر فى القتل لبنى اسرائيل والاسر وحملهم الى ارض العراق واخذ التورية وما كان فى بيت المقدس من كتب الملوك وطرحه فى بئر وعمد الى تابوت السكينة فاودعه بعض المواضع من الارض فيقال انه كان عدة من سبى من بنى اسرائيل ثمانية عشر ألفا وفى هذا العصر كان (أفدمنا) النبى عليه السلام وسار بختنصر الى مصر فقتل فرعون الاعرج وكان يومئذ ملك مصر وسار نحو المغرب فقتل ملوكا وفتح مدائن وكان ملك فارس تزوج جارية من سبايا بنى اسرائيل فاولدها ولدا فرد بنى اسرائيل الى ديارهم وكان ذلك بعد سنين ولما رجعت بنو اسرائيل الى بلادهم ملكت عليها (زريايل) بن سلسان فابتنى مدينة بيت المقدس وعمر ما كان خرب واخرجت بنو اسرائيل التوراة من البئر واستقامت لهم الامور

ن ملك منهم الاندلس خمسة وخمسون ملكا ثم دخل على هؤلاء الاشبانيين من عجم رومة امة
يدعون البشتولقات وملكهم طلويش بن بيطه وذلك زمن بعث المسيح عيسى بن مريم عليه
السلام اتوا الاندلس من قبل رومة وكانوا يملكون افريجة معها ويبعثون عمالهم اليها
فاتخذوا دار مملكتهم بالاندلس مدينة ماردة واستولوا على مملكة الاندلس واتصل ملكهم
بها مدة الى ان ملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل على هؤلاء البشتولقات أمة القوط
مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس واقتطعوها من يومئذ من صاحب رومة وتفردوا بسلطانهم
واتخذوا مدينة طليطلة دار مملكتهم وأقروا بها سرير ملكهم فبقى باشبيلية علم الاشبانيين
ورياستها اوليتهم (وقد كان عيسى المسيح عليه السلام) بعث الحواريين فى الارض يدعون
الخلق الى ديانته فاختلف الناس عليهم وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم وكان من
اسرعهم اجابة لمن جاءه من هؤلاء الحواريين خشندش ملك القوط فتنصر ودعا قومه الى
النصرانية وكان من صميم اعاظمهم وخير من تنصر من ملوكهم واجمعوا على انه لم يكن فيهم
اعدل منه حكما ولا أرشد رأيا ولا احسن سيرة ولا اجود تدبيرا فكان الذى اسس النصرانية
فى مملكته ومضى اهلها على سنته الى اليوم وحكموا به والانجيلات فى المصاحف الاربعة
التى يتطلعون فيها من انتساخه وجمعه وتثقيفه فتناسقت ملوك القوط بالاندلس بعده الى ان
غلبتهم العرب عليها واظهر الله تعالى دين الاسلام على جميع الاديان (فوقع فى تواريخ العجم
القديمة) ان عدة ملوك هؤلاء القوط بالاندلس من عهد اتاناويفوس الذى ملك فى السنة
الخامسة من مملكة فلبش القيصرى لمضى اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر المشهور عند
العجم الى عهد لذريق آخرهم الذى ملك فى السنة التاسعة والاربعين وسبعمائة من تاريخ
الصفر وهو الذى دخلت عليه العرب فازالت دولة القوط ستة وثلاثون ملكا وان مدة ايام
ملكهم بالاندلس ثلثمائة واثنتان وأربعون سنة انتهى (وقال جماعة) ان القوط غير
[illegible] وان البشتولقات من عجم رومة وانهم جعلوا دار ملكهم ماردة واتصل ملكهم
منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخل عليهم القوط واتخذوا طليطلة دار مملكة
[illegible] ملكهم خشندش مثل ما تقدم ثم ذكر أن عدة ملوك القوط ستة وثلاثون
(وذكر الرازى) أن القوط من ولد ياجوج بن يافث بن نوح وقيل غير ذلك انتهى
(وذكر الرازى) فى موضع آخر نحو ما تقدم وزيادة ونصه ان الاندلس فى آخر الاقليم الرابع
[الى المغرب وهى عند] علماء [الهيئة...]
الاقاليم السبعة التى تقدم ذكرها التى هى ربع معمور الدنيا فهى موسطة من البلدان
كريمة البقعة بطبع الخلقة طيبة التربة خصبة الزراعة منبجسة العيون الغزار منفجرة
الانهار الغزار قليلة الهوام ذوات السموم معتدلة الهواء أكثر الازمان لا يزيد قيظها زيادة
منكرة تضر بالابدان وكذا سائر فصولها فى اعم سنيها تأتى على قدر من الاعتدال وتوسط
من الحال وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم لان الساحل ونواحيه يبادر
بباكوره كما أن الثغر وجهاته والجبال التى يخصها برد الهواء وكثافة الجو تستأخر بما فيها من
ذلك حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان فمادة الخيرات فيها متصلة كل أوان ومن بحرها بجهة
الغرب يخرج العنبر الجيد المتقدم على أجناسه فى الطيب والصبر على النار وبه شجر الخلنج

فاقام هذا الملك على عمارة أرض هم ستا وأربعين سنة وشرع لهم الصلوات وغيرها من الشرائع مما كان نافعا لهم فى حال الناس
والسامرة تزعم ان التوراة
التى فى يد اليهود ليست
التوراة التى أتى بها موسى
ابن عمران عليه السلام
وان تلك حرفت وبدلت
وغيرت وان الخذلها هذا
الملك لانه جمعها ممن كان
يحفظها من بنى اسرائيل
وان التوراة الصحيحة هى
فى ايدى السامرة دون
غيرهم وكان ملك هذا
الملك ستة وأربعين سنة
ووجدت فى نسخة أخرى
ان المتزوج فى بنى اسرائيل
هو بختنصر وهو الذى
ردهم ومن عليهم وفيه نظر
(ودبر اسمعيل بن ابراهيم
أمر البيت بعد ابراهيم عليه
السلام) ونبأه الله عز وجل
وأرسله الى العماليق وقبائل
اليمن فنهاهم عن عبادة
الاوثان فآمن طائفة منهم
وكفر اكثرهم وولد
اسمعيل اثنى عشر ذكرا وهم
فائث وقيدار وأربل ومنسم
ومسمع ودوما ودوام
ومسا وحداد وتيم
وقطورا ونافش وكانت
وصية ابراهيم الى ابنه
اسمعيل عليه السلام ووصى
اسمعيل الى أخيه اسحق
عليهما السلام وقد قيل
الى ولده قيدار بن اسمعيل
وكان عمر اسمعيل الى ان
قبضه الله اليه مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالمسجد الحرام فى الموضع الذى كان فيه الحجر الاسود ودبر أمر البيت بعده

المعروف بالافاويه المقدم في انواع الاشنان كثير واسع وقد زعموا انه لا يكون الا بالهند وبها نقط وشماخ راس نباتية يكثر تعدادها انتهى (وقد ذكر غيره تفصيل بعض ذلك فقال) يوجد في ناحية دلاية من اقليم لبشرة عود لا يحوج لا يفوقه العود الهندى ذكاء وعطر رائحة وقد سيق به الى خيران الصقلبي صاحب المرية وان اصل منبته كان بين احجارها هنالك وبا كشونبة جبل كثير السانيات يفوح عرفه ريح العود الذى اذا ارسلت فيه النار وبحر شذونة يوجد العنبر الجيد الغربي وفي جبل منت ليون الحلب ويوجد بالاندلس القسط الطيب والسنبل الطيب والجنطيانا يحمل من الاندلس الى جميع الآفاق وهو عقار رفيع والمر الطيب بقلعة ايوب واطيب كبريتا الارض بشذونة درهم منها يعدل دراهم من الحلو به واطيب الشرمرقر بالاندلس واكثر ما يكون بنواحى اشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية ومن الاندلس يحمل الى الآفاق وبناحية لورقة من عمل تدمير يكون حجر اللازورد الجيد وقد يوجد في غيره او في مقربة من حضرة لورقة من عمل قرطبة معدن البلور وقد يوجد بجبل شعيران وهو شرقى بيرة وحجر النجادى يوجد بناحية مدينة الاشبونة في جبل هنالك يتلألأ فيه ليلا كالسراج والياقوت الاحمر يوجد بناحية حصن منت ميور من كورة مالقة الا انه دقيق جدا لا يصلح للاستعمال لصغره ويوجد حجر يشبه الياقوت الاحمر بناحية بجانة في خندق يعرف بقرية باشرة اشكالا مخلقة كانه مصبوغ حسن اللون صبور على النار وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد في كورة تدمير وحجر الشادنة بجبال قرطبة كثير ويستعمل ذلك في التذهيب وحجر اليهودى في ناحية حصن البونت وهو انفع شئ للعصاة وحجر المرقشيثا الذهبية في جبال ابدة لا نظير لها في الدنيا ومن الاندلس تحمل الى جميع الآفاق لاصلها والمغنيسيا بالاندلس كثير وكذلك حجر الطلق ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة الا انه جامد اللون ويوجد المرجان بساحل بيرة من عمل المرية يلتقط منه في اقل من شهر نحو ثمانين ربعا ومعدن الذهب بنهر لاردة يجمع منه كثير ويجمع ايضا في ساحل الاشبونة ومعادن الفضة في الاندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال جنة بجانة وباقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل وباشكونية معدن القصدير لا نظير له يشبه الفضة ولد معادن بناحية افرنجة وليون ومعدن الزئبق في جبل البرانس ومن هنالك يتجهز الى الآفاق ومعادن الكبريت الاحمر والاصفر بالاندلس كثيرة ومعدن التوتيا بساحل البيرة بقرية تسمى بطرنة وهي ازكى توتيا واقواها في صبغ النحاس وبجبال ابلت توتيا وليست كالبطرنية ومعدن الكحل المشبه بالاصفهاني بناحية مدينة طرطوشة يحمل منها الى جميع البلاد ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالاندلس اكثر من ان تحصى وما ذكرت هنا وان تكرر بعضه مع ما سبق او يأتي فهو يجمع النظائر وما لم نذكره اكثر والله تعالى اعلم (ومن خواص طليطلة) ان حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين يتوارثها الخلف عن السلف وزعفران طليطلة هو الذى يعم البلاد ويتجهز به الرفاق الى الآفاق وكذلك الصبغ السماوى انتهى (وقال المسعودى) في مروج الذهب بعد كلام ما نصه والعنبر كثير ببحر الاندلس يجهز الى مصر وغيرها ويحمل الى قرطبة

وكان بين سليمان بن داود وبين المسيح عليهم السلام انبياء وعباد وصالحون منهم ارميا ودانيال وعزير وبوحنا ويونس واليسع وايوب وشعياء وذو الكفل وحزقيل والخضر وروى ابن اسحق ان ارميا هو الخضر وقيل بل كان عبدا صالحا وزكريا وهو من ولد داود ومن سبط يهوذا وكانت ايشاع بنت عمران اخت مريم بنت عمران ام المسيح عليهم السلام وهو عمران بن ماثان بن يعاميم من ولد داود ايضا واسم ام ايشاع ومريم حنة وقد لزكريا يحيى ابن خالة المسيح عليهم السلام وكان زكريا نجارا فاشاعت اليهود انه ركب من مريم الفاحشة فطلبوه وكان لما احس بهم لجأ الى شجرة فدخل في جوفها فدلهم عليه ابليس لعنه الله عز وجل فنشروا الشجرة وهو فيها فقطعوه وقطعوها ولما ولدت ايشاع ابنة عمران اخت مريم ام المسيح يحيى بن زكريا عليهم السلام هربت به من بعض الملوك الى مصر فلما صار رجلا بعثه الله عز وجل الى بنى اسرائيل فقام فيهم بامر الله عز وجل ونهيه فقتلوه وكثرت الاحداث في بنى اسرائيل فبعث الله عليهم ما كان

قرطبة من ساحل لها يقال له شنترين وشذونة تبلغ الاوقية منه بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهبا والاوقية بالبغدادى وتباع بمصر اوقيته بعشرين دينارا وهو عنبر جيد ويمكن ان يكون هذا العنبر الواقع الى بحر الروم ضربت به الامواج من بحر الاندلس الى هذا البحر لاتصال الماء وبالاندلس معدن عظيم للفضة ومعدن للزئبق ليس بالجيد يجهز الى سائر بلاد الاسلام والكفر وكذلك يحمل من بلاد الاندلس الزعفران وعروق الزنجبيل واصول الطيب خمسة اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من ارض الهند وما اتصل بها الا الزعفران والعنبر انتهى وهو وان تكرر مع ما ذكرته عن غيره فلا يخلو من فائدة والله تعالى اعلم (وذكر البعض) ان فى بلاد الاندلس جميع المعادن الكائنات عن النيرات السبعة وهى الرصاص من زحل والقصدير الابيض من المشترى والحديد من قسم المريخ والذهب من قسم الشمس والنحاس من الزهرة والزئبق من عطارد والفضة من القمر (وذكر الكاتب ابراهيم بن القاسم القروى المعروف بالرقيق بلاد الاندلس) فقال اهلها اصحاب جهاد متصل يحاربون من اهل الشرك المحيطين بهم امة يدعون الجلالقة يتاخمون حوزتهم ما بين غرب الى شرق قوم لهم شدة ولهم جمال وحسن وجوه فاكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال والفراهة منهم ليس بينهم وبينهم درب فالحرب متصلة بينهم ما لم تقع هدنة ويحاربون بالافق الشرقى امة يقال لهم الفرنجة هم اشد عليهم من جميع من يحاربونه من عدوهم اذ كانوا اخلاقا عظيما فى بلاد كثيرة واسعة جليلة متصلة العمارة آهلة تدعى الارض الكبيرة هم اكثر عددا من الجلالقة واشد باسا واحد شوكة واعظم امدادا وهذه الامة يحاربون امة الصقالبة المتصلين بارضهم لمخالفتهم اياهم فى الديانة فيسبونهم ويبيعون رقيقهم بارض الاندلس فلهم هنالك كثرة وتخصيهم للفرنجة يهود ذمتهم الذين بارضهم وفى ثغر المسلمين المتصل بهم فيحمل خصيانهم من هنالك الى سائر البلاد وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هنالك فصاروا يخصون ويستحلون المثلة (قال ابن سعيد) ومخرج بحر الروم المتصاعد الى الشام هو بساحل الاندلس الغربى بمكان ثم يقال له الخضراء ما بين طنجة من ارض المغرب وبين الاندلس فيكون مقدار عرضه هنالك ما كان ثمانية عشر ميلا وهذا عرض جزيرة طريف الى قصره موصوفة بالقرب من سبتة (وذكر) كانت القنطرة التى يزعم الناس أن الاسكندر بناها ليعبر عليها من بر الاندلس الى بر [illegible] و يعرف هذا الموضع بالزقاق وهو صعب المجاز لانه مجمع البحرين لا تزال الامواج تتطاول فيه والماء يدور وطول هذا الزقاق الذى عرضه ثمانية عشر ميلا مضاعف ذلك الى ميناء سبتة ومن هنالك ياخذ البحر فى الاتساع الى ثمانمائة ميل وأزيد ومنتهاه مدينة صور من الشام وفيه عدد عظيم من الجزائر (قال بعضهم) انها اثنان وعشرون جزيرة منها صقلية ومالطة وغيرهما انتهى وبعضه بالمعنى (وقال بعضهم) عند وصفه ضيق بحر الزقاق قرب سبتة ما صورته ثم يتسع كلما امتد حتى يصير الى ما لا ادرع له ولا نهاية (وقال بعضهم) وكان مبلغ خراج الاندلس الذى كان يؤدى الى ملوك بنى امية قديما ثلثمائة ألف دينار دراهم اندلسية كل سنة قوانين وعلى كل مدينة من مدائنهم مال معلوم فكانوا يعطون جندهم

من ناحية المشرق يقال له جردوس فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا الوفا من الناس ٧١ وهو يفور الى ان هدأ الدم بعد خطب طويل ولما بلغت مريم بنت عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل اليها جبريل فنفخ فيها الروح فحملت بالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على أميال من بيت المقدس وولدته فى يوم الاربعاء لاربع وعشرين ليلة خلت من كانون الاول وكان من أمره ما ذكره الله عز وجل فى كتابه واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد زعمت النصارى ان ايشوع الناصرى أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة فى مدينة طبرية من بلاد الاردن فى كنيسة يقال لها المدراس ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وانه فى بعض الايام كان يقرأ فى سفر اشعياء اذ نظر فى السفر الى كتاب من نور فيه أنت نبيى وخالصتى اصطفيتك لنفسى فاطبق السفر ودفعه الى خادم الكنيسة وخرج وهو يقول الآن تمت المشيئة لله فى ابن البشر وقد قيل ان المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من أعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ورأيت فى هذا القرن كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة

ور حلها الثلث من ذلك مائة ألف دينار و يدخرون فى أمورهم ونوائبهم ويؤدون أعطياتهم مائة ألف دينار و يدخرون لحادث ايامهم مائة ألف دينار انتهى (وذكر غيره) ان الجباية كانت بالاندلس ايام عبد الرحمن الاوسط ألف ألف دينار فى السنة وكانت قبل ذلك لاتزيد على ستمائة ألف حكاه ابن سعيد وقال ان الاندلس مسيرة شهر مدن وعمائر (وقال قاضى القضاة) ابن خلدون الحضرمى فى تاريخه الكبير ماصورته كان هذا القطر الاندلسى من العدوة الشمالية من عدوتى البحر الرومى و بالجانب الغربى منها يسمى عند العجم الاندلوش وتسكنه امم من افرنجة المغرب أشدهم وأكثرهم الجلالقة وكان القوط قد تملكوه وغلبوا على اهله لمئين من السنين قبل الاسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على أن ينصرف القوط الى الاندلس فصاروا اليها وملكوها ولما أخذ الروم واللطينيون بملة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من أمم الافرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم وربما تنقلوا ما بينها و بين قرطبة واشبيلية وماردة وأقاموا كذلك نحوا من أربعمائة سنة الى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمة لملوكهم كما أن جرجير سمة لملوك صقلية انتهى (ومن اشهر بلاد الاندلس) غرناطة وقيل ان الصواب اغرناطة بالهمز ومعناه بلغتهم الرمانة وكفاها شرفا ولادة لسان الدين بها (وقال الشقندى) أما غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تخل من أشراف اماثل وعلماء أكابر وشعراء افاضل ولو لم يكن لها الا ما خصها الله تعالى به من المرج الطويل العريض ونهر شنيل لكفاها (وفى بعض كلام لسان الدين) ماصورته ومالمصر تفخر بنيلها وألف منه فى شنيلها يعنى أن الشين عند أهل المغرب عددها ألف فقولنا شنيل اذا اعتبرنا عدد شينه كان ألف نيل وفيها قيل

غرناطة مالها نظير ※ ما مصر ما الشام ما العراق

ماهى الا العروس تجلى ※ وتلك من جملة الصداق

وتسمى كورة البيرة التى منها غرناطة دمشق لان جند دمشق نزلوها عند الفتح وقيل انما سميت بذلك لشبهها بدمشق فى غزارة الانهار وكثرة الاشجار حكاه صاحب مناهج الفكر قال ولما استولى الافرنج على معظم بلاد الاندلس انتقل أهلها اليها وصارت المصر المقصود والمعقل الذى تنضوى اليه العساكر والجنود و يشقها نهر عليه قناطر يجاز عليها وفى قبليها جبل شلير وهو جبل لايفارقه الثلج صيفا ولا شتاء وفيه سائر النبات الهندى لكن ليس فيه حدائقه انتهى (ومن أعمال غرناطة) قطر لوشة و بها معدن للفضة جيد ومنها أعنى لوشة أصل لسان الدين بن الخطيب وهذا القطر ضخم ينضاف اليه من الحصون والقرى كثير وقاعدته لوشة بينها و بين غرناطة مرحلة وهى ذات أنهار وأشجار وهى على نهر غرناطة الشهير بشنيل ※ (ومن أعمال غرناطة الكبار) ※ عمل باغة والعامة يقولون بيغة واذا نسبوا اليه قالوا بيغى وقاعدته باغة طيبة الزرع كثيرة الثمار غزيرة المياه و يجود فيها الزعفران ※ (ومن أعمال غرناطة) وادى آش و يقال وادى الاشات وهى مدينة جليلة

فيها عظام الموتى يسيل منها زيت يحس كالزيت تتبرك به النصارى وان المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين والقصارين وقد ذكر أن منهم حنا وشمعون و بولس وتوما فاهم الحواريون الاربع الذين كتبوا الانجيل فانهم اخذوا عن عيسى عليه السلام وما كان من أمره وخبره وولده و كيف يحيى بن زكريا وهو يحيى المعمدانى فى بحيرة طبرية وقيل فى نهر الاردن الذى يخرج من بحيرة طبرية ويجرى الى البحيرة المنتنة وما فعل من الاعاجيب وأتى من المعجزات وما قالت اليهود الى ان رفعه الله عز وجل اليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفى الانجيل خطب طويل فى أمر المسيح ومريم عليهما السلام و يوسف النجار اعرضنا عن ذلك لان الله عز وجل لم يخبر بشئ من ذلك فى كتابه ولا اخبر به محمد نبيه صلى الله عليه وسلم

(ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم)

وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم جماعة من أهل التوحيد ممن يقر بالبعث وقد اختلف فيهم من الناس من رأى انهم أنبياء ومنهم من رأى غير ذلك فممن ذكر انه نبى حنظلة بن صفوان وكان من ولد اسمعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم وارسل الى أصحاب الرس وكانوا

قد أحدقت بها البساتين والانهار وقد خص الله اهلها بالادب وحب الشعر وفيها يقول ابو الحسن بن نزار

وادي الاشات يهيج وجدي كلما * اذكرت ما افتنت بك النعماء
لله ظلك والهجير مسلط * قد بردت لفحاته الانداء
والشمس ترغب أن تفوز بلحظة * منه فتطرف طرفها الافياء
والنهر يبسم بالحباب كأنه * سلخ نضته حية رقشاء
فلذاك تحذره الغصون فميلها * ابدا على جنباته ايماء

(ومن اعمال وادي آش) حصن جليانة وهو كبير يضاهي المدن وبه التفاح الجلياني الذي خص الله به ذلك الموضع يجمع عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء وبين الحصن المذكور ووادي آش اثنا عشر ميلا (ومن غرائب الاندلس) ان به شجرتين من شجر القسطل وهما عظيمتان جدا احداهما بسند وادي آش والاخرى ببشرة غرناطة في جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب وهذا أمر مشهور قاله ابو عبد الله بن جزي وغيره * وكانت البيرة هي المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجي مدينة غرناطة وقصبتها وأسوارها انتقل الناس اليها ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده (وذكر غير واحد) أن في كورة سرقسطة الملح الاندراني الابيض الصافي الاملس الخالص وليس في الاندلس موضع فيه مثل هذا الملح (قال) وسرقسطة بناها قيصر ملك رومة الذي تورخ من مدته مدة الصفر قبل مولد المسيح على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء الصلاة والسلام وتفسير اسمها قصر السيد لانه اختار ذلك المكان بالاندلس (وقيل ان موسى بن نصير) شرب من ماء نهر جلق بسرقسطة فاستعذبه وحكم أنه لم يشرب بالاندلس أعذب منه وسأل عن اسمه فقيل جلق ونظر الى ما عليه من البساتين فشبهها بغوطة جلق الشام وقيل انها من بناء الاسكندر والله اعلم * وبمدينة برجة وهي من اعمال المرية معدن الرصاص وهي على واد مبهج يعرف بوادي عذراء وهو محدق بالازهار والاشجار وتسمى برجة بهجة لبهجة منظرها وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيرواني رحمه الله تعالى

رياض تعشقها سندس * توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خدي ربا * لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنة * وكل طريق اليها سقر

وفيها ايضا قوله

حط الرحال ببرجه * وارتد لنفسك بهجه
في قاعة كسلاح * ودوحة مثل لجه
فحصنها لك امن * وروضها لك فرجه
كل البلاد سواها * كعمرة وهي حجه

وبمالقة التين الذي يضرب المثل بحسنه ويجلب حتى للهند والصين وقيل انه ليس في الدنيا مثله وفيه يقول ابو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوي المالقي حسبما انشده غير واحد منهم

من ولد اسمعيل بن ابراهيم وهم قبيلتان يقال لاحداهما ادمان وللاخرى يامن ٧٣ وقيل رعويل وذلك باليمن فقام فيهم حنظلة بامر الله عز وجل فقتلوه فاوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل من سبط يهوذا ان يأمر بختنصر بسير اليهم فسار اليهم فاتى عليهم فذلك قوله عز وجل فلما احسوا باسنا الى قوله حصيدا خامدين وقيل ان القوم كانوا من حمير وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم في رثية له فقال

بكت عيني لاهل الرس
رعويل وقدمان
واسلم من ابي زرع
بكال الحي قحطان

وقد حكي عن وهب بن منبه ان ذا القرنين وهو الاسكندر كان بعد المسيح عليه السلام في الفترة وانه كان حلم حلما رأى فيه انه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقيها وغربيها فقص رؤياه على قومه فسموه بذي القرنين وللناس في ذي القرنين تنازع كبير قد أتينا على ذلك في كتاب أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من خبره عند ذكرنا الملوك اليونانيين والروم وكذلك تنازع الناس في أصحاب الكهف في أي الاعصار كانوا فمنهم من زعم انهم كانوا في زمن الفترة ومنهم من رأى غير ذلك وسنأتي بلمع من خبرهم في ذكر ملوك الروم في هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على ذلك

ابن سعيد

ما لقة حييت يا تينها * الفلك من أجلك ياتينها
نهى طبيبي عنه في علتي * ما لطبيبي عن حياتي نهى

وذيل عليه الامام الخطيب ابو محمد عبد الوهاب المنشي بقوله

وحمص لا تنس لها تينها * واذكر مع التين زياتينها

وفي بعض النسخ

لا تنس لاشبيلية تينها * واذكر مع التين زياتينها

وهو نحو الاول لان حمص هي اشبيلية لنزول اهل حمص من المشرق بها حسبما سنذكره (ونسب) ابن جزي في ترتيبه لرحلة ابن بطوطة البيتين الاولين للخطيب ابي محمد عبد الوهاب المالقي والتذييل لقاضي الجماعة ابي عبد الله بن عبد الملك فالله أعلم * وقال ابن بطوطة وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصي البلاد ومسجدها كبير الساحة كثير البركة شهيرها وصحنه لا نظير له في الحسن وفيه أشجار النارنج البديعة انتهى وقال قبله ان مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البر والبحر كثيرة الخيرات والفواكه رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية ارطال بدرهم صغير ورمانها المرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا واما التين واللوز فيجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب انتهى (وبكورة اشبونة) المتصلة بشنترين معدن التبر وفيها عسل يجعل في كيس كتان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر ويوجد في ريفها العنبر الذي لا يشبهه الا الشحري (ومن اشهر مدن الاندلس) مدينة قرطبة اعادها الله تعالى للاسلام وبها الجامع المشهور والقنطرة المعروفة بالجسر (وقد ذكر ابن حيان) أنه بني على امر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ونصه وقام فيها بامره على النهر الاعظم بدار مملكتها قرطبة الجسر الاكبر الذي ما يعرف في الدنيا مثله انتهى وفيها يقول بعض علماء الاندلس

بأربع فاتت الامصار قرطبة * منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة * والعلم اعظم شيء وهو رابعها

(وقال الحجاري في المسهب) كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع اعلام الانام بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة في الرواية اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء وهي من الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد ونهرها من أحسن الانهار مكتنف بديباج المروج مطرز بالازهار تصدح في جنباته الاطيار وتنعر النواعير ويبسم النوار وقرطاها الزاهرة والزهراء حاضرتا الملك وافقاه النعماء والسراء وان كان قد أخنى عليها الزمان وغير بهجة أوجهها الحسان فتلك عادته وسل الخورنق والسدير وغمدان وقد أعذر بانذاره اذ لم يزل ينادي بصرفه لا أمان لا أمان وقد قال الشاعر

ومازلت أسمع ان الملو * ك تبني على قدر اخطارها

في الكتاب الاوسط وفيما سلف قبله ٧٤ من كتاب اخبار الزمان وممن كان في الفترة بعد المسيح عليه السلام جرجيس وقد ادرك بعض الحواريين فارسله الله الى بعض ملوك الموصل فدعاه الى الله عز وجل فقتله فاحياه الله وبعثه اليه ثانية فقتله فاحياه الله فامر بنشره ثالثة واحراقه واذراثه في دجلة فاهلك الله عز وجل الملك وجميع أهل مملكته ممن اتبعه على حسب ما وردت به الاخبار عن أهل الكتاب ممن آمن وذلك موجود في كتاب المبتدا والسير لوهب بن منبه وغيره وممن كان في الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكية من أرض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور فسار اليه اثنان من تلامذة المسيح فدعوه الى الله عز وجل فحبسهما وضربهما فعززهما الله بثالث وقد تنوزع فيه فذهب كثير من الناس الى انه بطرس وهذا بالرومية واسمه بالعبرية شمعان وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفاء وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية ان الثالث المعزز به بولس وان الاثنين المتقدمين اللذين أودعا الحبس توما وبطرس فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت وحيلة بولس عليه بمداخلته انتهى

انتهى (وقال السلطان يعقوب المنصور بن السلطان يوسف ابن السلطان عبد المؤمن بن علي لاحد رؤساء اجنادها ما تقول في قرطبة فقال) طبه على ما يقتضيه كلام عامة الاندلس بقوله جوفها شمام وغربيها قمام وقبلتها دام وبجنتها هي والسلام يعني بالشمام جبال الورد ويعني بالقمام ما يؤكل اشارة الى محرث الكنبانية ويعني بالدام النهر ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المؤمن لابي عمران موسى بن سعيد العنسي ما عندك في قرطبة قال له ما كان لي أن أتكلم حتى اسمع مذهب أمير المؤمنين فيها فقال السلطان ان ملوك بني امية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة الديار المفسحة الكبيرة والشوارع المتسعة والمباني الفخمة المشيدة والنهر الجاري والهواء المعتدل والخارج الناضر والمحرث العظيم والشعراء الكافية والتوسط بين شرق الاندلس وغربها قال فقلت ما ابقى لي امير المؤمنين ما أقول (قال ابن سعيد) ولاهلها رياسة ووقار لا تزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم الا ان عامتها اكثر الناس فضولا واشدهم تشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين اهل الاندلس في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بامورهم حتى ان السيد ابا يحيى اخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها كيف وجدت اهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان اثقلته صاح ما ندري أين رضاهم فنقصده ولا أين سخطهم فنجتنبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق وان العزل عنها لما قاسيته من اهلها عندي ولايه واني ان كلفت العود اليها لقائل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انتهى (وقال ابو الفضل التيفاشي) جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه ابي الوليد بن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة ما أدري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية قال وقرطبة اكثر بلاد الله كتبا انتهى (وحكى) الامام ابن بشكوال عن الشيخ ابي بكر بن سعادة انه دخل مدينة طليطلة مع اخيه على الشيخ الاستاذ ابي بكر المخزومي قال فسالنا من اين فقلنا من قرطبة فقال متى عهدكما بها فقلنا الآن وصلنا منها فقال اقربا الي اشم نسيم قرطبة فقربنا منه فشم راسي وقبله وقال لي اكتب

اقرطبة الغراء هل لي اوبة ❊ اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربي منك غمامة ❊ وقعقع في ساحات دوحاتك الرعد
لياليك اسحار وارضك روضة ❊ وتربك في استنشاقها عنبر ورد

وكتب الرئيس الكاتب ابو بكر بن القبطرنة للعالم ابي الحسين بن سراج بقوله

يا سيدي وأبي هوى وجلالة ❊ ورسول ودي أن طلبت رسولا
عرج بقرطبة اذا بلغتها ❊ بابي الحسين وناده تعويلا
واذا سعدت بنظرة من وجهه ❊ اهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شوقي وشكري مجملا ❊ ولو استطعت شرحته تفصيلا
بتحية تهدى اليه كأنما ❊ جرت على زهر الرياض ذيولا

أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما الى قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وقتل بولس وبطرس بمدينة رومية ودفنا بها منكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سليمان الساحر ثم جعلا بعد ذلك في خزانة من البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وجسمهما في كنيسة هناك قد ذكرناها في الكتاب الاوسط عند ذكرنا عجائب رومية واخبار تلاميذ المسيح عليه السلام وتفرقهم في البلاد وسنورد في هذا الكتاب لمعا من أخبارهم ان شاء الله تعالى فاما أصحاب الاخدود فانهم كانوا في الفترة في مدينة نجران باليمن في ملك ذي نواس وهو القاتل لذي شاور وكان على دين اليهودية فبلغ ذا نواس ان قوما بنجران على دين المسيح عليه السلام فسار اليهم بنفسه واحتفر لهم اخاديد في الارض وملأها جمرا واضرمها نارا ثم عرضهم على اليهودية فمن تبعه تركه ومن أبى قذفه في النار فاتى بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر فابت ان تتخلى عن دينها فادنيت من النار فجزعت فانطق الله عز وجل الطفل فقال يا أمه امضي على دينك فلا نار بعد هذه فالقاها في النار وكانوا

وفي باب اليهود بقرطبة يقول ابو عامر بن شهيد

لقد أطلعوا عند باب اليهو * د بدرا أبى الحسن ان يكسفا

تراه اليهود على بابها * اميرا فتحسبه يوسفا

واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا باب الهدى وسنذكر قرطبة والزهراء والزاهرة ومساجدها في الباب المنفرد بها ان شاء الله تعالى وكذلك القنطرة (ومن اعظم مدن الاندلس اشبيلية) قال الشقندي من محاسنها اعتدال الهواء وحسن المباني ونهرها الاعظم الذي يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شق النسيم عليه جيب قميصه * فانساب من شطيه يطلب ثاره

فتضاحكت ورق الحمام بدوحها * هزأ فضم من الحياء ازاره

وقيل لاحد من رأى مصر والشام ايهما رأيت احسن اهذان ام اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية شرفها غابة بلا اسد ونهرها نيل بلا تمساح انتهى (ويقال) ان الذي بنى اشبيلية اسمه توليس وانه اول من سمى قيصر وانه لما دخل الاندلس اعجب بساحتها وطيب ارضها وجبلها المعروف بالشرف فردم على النهر الاعظم مكانا واقام فيه المدينة واحدق عليها باسوار من صخر صلد وبنى في وسط المدينة قصبتين بديعتي الشان تعرفان باخوين وجعلها أم قواعد الاندلس واشتق لها اسما من روميته ومن اسمه فسماها رومية توليس انتهى (وقد تقدم) شيء من هذا وكان الاولون من ملوك الاعاجم يتداولون بسكناهم اربعة بلاد من بلاد الاندلس اشبيلية وقرطبة وقرمونة وطليطلة ويقسمون أزمانهم على الكينونة بها واما شرف اشبيلية فهو شرف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فرسخ في فرسخ طولا وعرضا لا تكاد تشمس فيه بقعة لالتفاف زيتونه (واعلم) ان اشبيلية لها كور جليلة ومدن كثيرة وحصون شريفة وهي من الكور المجندة نزلها جند حمص ولواؤهم في الميمنة بعد لواء جند دمشق وانتهت جباية اشبيلية ايام الحكم بن هشام الى خمسة وثلاثين الف دينار ومائة دينار *وفي اقليم طالقة من اقاليم اشبيلية وجدت صورة جارية من مرمر معها صبي وكأنه يريده لم يسمع في الاخبار ولا روئي في الآثار صورة أبدع منها جعلت في بعض الحمامات تعشقها جماعة من العوام وفي كورة ماردة حصن شنت أفرج في غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البتة لا نسر ولا غيره (ومن عجائب الاندلس) البلاط الاوسط من مسجد جامع اقليش فان طول كل جائزة منه مائة شبر واحد عشر شبرا وهي مربعة منحوتة مستوية الاطراف (وقال بعض من وصف اشبيلية) انها مدينة عامرة على ضفة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه جسر مربوط بالسفن وبها اسواق قائمة وتجارات رابحة واهلها ذوو اموال عظيمة واكثر متاجرهم الزيت وهو يشتمل على كثير من اقليم الشرف واقليم الشرف على تل عال من تراب احمر مسافته اربعون ميلا في مثلها يمشي به السائر في ظل الزيتون والتين ولهذا يماذكر بعض الناس قرى كثيرة وكل قرية عامرة بالاسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق (وقال صاحب مناهج الفكر) عند ذكر اشبيلية وهذه المدينة من احسن مدن الدنيا وباهلها يضرب المثل في الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ويعينهم على

مؤمنين موحدين لا على رأي النصرانية في هذا الوقت فضى رجل منهم يقال له دمعليان الى قيصر ملك الروم يستنجده فكتب الى النجاشي لانه كان أقرب اليهم دارا فكان من أمر الحبشة وعبورهم الى أرض اليمن وتغلبهم عليها الى ان كان من أمر سيف بن ذي يزن واستنجاده الملوك الى أن أنجده انوشروان ما قد أتينا على ذكره في كتابنا في اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من ذلك فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا لاخبار الاذواء وملوك اليمن وقد ذكر الله عز وجل في كتابه قصة أصحاب الاخدود بقوله عز وجل قتل أصحاب الاخدود الى قوله وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد وممن كان في الفترة خالد بن سنان العبسي وهو خالد بن سنان بن غيث بن عبس وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك نبي أضاعه قومه وذلك ان نارا ظهرت في العرب فافتتنوا بها وكانت تنتقل وكادت العرب تتمجس وتغلب عليها المجوسية فاخذ خالد بن سنان هراوة وشد عليها وهو يقول بدا كل ذي دين يرد الى الله الأعلى لأدخلنها وهي تلظى ولأخرجن منها ومابي سدى فاطفاها ولما حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لاخوته اذا انا دفنت فانه سيجيء عانة من حمير وحش يقدمها عير أبتر فتضرب قبري ذلك

ذلك واديها الفرج وناديها البهج وهذا الوادي يأتيها من قرطبة ويحرزق كل يوم ولها جبل الشرف وهو تراب أحمر طوله من الشمال الى الجنوب أربعون ميلا وعرضه من المشرق الى المغرب اثنا عشر ميلا يشتمل على مائتين وعشرين قرية قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت انتهى ❊ ولكورة باجة من الكور الغربية التي كانت من أعمال اشبيليه أيام بني عباد خاصية في دباغة الاديم وصناعة الكتان وفيها معدن فضة وبها ولد المعتمد بن عباد وهي متصلة بكورة ماردة وجبل طارق حوز قصب السبق بنسبته الى طارق مولى موسى ابن نصير اذ كان أوّل ما حل به مع المسلمين من بلاد الاندلس عند الفتح ولذا اشهر بجبل الفتح وهو مقابل الجزيرة الخضراء وقد تجوّن البحر هنالك مستديرا حتى صار مكان هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء وفيه يقول مطرف شاعر غرناطة

وأقود قد ألقى على البحر متنه ❊ فأصبح عن قود الجبال بمعزل
يعرض نحو الافق وجها كأنما ❊ تراقب عيناه كواكب منزل

واذا أقبل عليه المسافرون من جهة سبتة في البحر بان كأنه سرج قال أبو الحسن علي ابن موسى بن سعيد أقبلت عليه مرة مع والدي فنظرنا اليه على تلك الصفة فقال والدي أجز

انظر الى جبل الفتح ❊ يرا كبا متن بحر ❊ فقلت
وقد تفتح مثل الافتنان في شكل سرج

(وأما جزيرة طريف) فليست بجزيرة وانما سميت بذلك الجزيرة التي أمامها في البحر مثل الجزيرة الخضراء وطريف المنسوبة اليه بربري من موالي موسى بن نصير ويقال ان موسى بعثه قبل طارق في أربعمائة رجل فنزل بهذه الجزيرة في رمضان سنة احدى وتسعين وبعده دخل طارق والله أعلم (ومن أعظم كور الاندلس) كورة طليطلة وهي من متوسط الاندلس وكانت دار مملكة بني ذي النون من ملوك الطوائف وكان ابتداء ملكهم صدر المائة الخامسة وسماها قيصر بلسانه طليطلة وتأويل ذلك أنت فارح فعربتها العرب وقالت طليطلة وكانوا يسمونها وجهاتها في دولة بني أمية بالثغر الادنى ويسمون سرقسطة وجهاتها بالثغر الاعلى وتسمى طليطلة مدينة الاملاك لانها فيما يقال ملكها اثنان وسبعون انسانا ودخلها سليمان بن داود عليهما السلام وعيسى بن مريم وذو القرنين وفيها وجد طارق مائدة سليمان وكانت من ذخائر اشبان ملك الروم الذي بني اشبيلية أخذها من بيت المقدس كما مر وقومت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار وقيل انها كانت من زمرد أخضر ويقال انها الآن برومة والله أعلم بذلك ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة منها مائة وسبعون تاجا من الدر والياقوت والاحجار النفيسة وايوان ممتلئ من أواني الذهب والفضة وهو كبير حتى قيل ان الخيل تلعب فيه فرسانها برماحهم لوسعه وقد قيل ان أواني المائدة من الذهب وصحافها من اليشم والجزع وذكروا فيها غير هذا مما لا يكاد يصدقه الناظر فيه ❊ وبطليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقة ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعوم والالوان ولها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع بديعة وقلاع منيعة وبالجملة فمحاسنها كثيرة ولعلنا نلم ببعض منتزهاتها فيما يأتي من هذا الكتاب ان

بحافرها فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فاني سأخرج اليكم فاخبركم بجميع ماهو كائن فلما مات دفن ورأوا ما قال فارادوا ان ينبشوه فكره ذلك بعضهم وقالوا نخاف ان تنسبنا العرب الى نبشنا عن ميت لنا وأتت ابنته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ قل هو الله احد فقالت كان أبي يقول هذا ونحوه فيما يرد من هذا الكتاب بعض اخباره مما يدعو الحاجة الى ذكره ان شاء الله تعالى (قال المسعودي) وممن كان في الفترة وثاب السني وكان من عبد القيس ثم من ... وكان على دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يموت احد من ولده وثاب فيدفن الا رأوا واسطا على قبره ومنهم اسعد ابو كرب الحميري وكان مؤمنا وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة قال

شهدت على احمد انه
رسول من الله باري النسم
فلو مدّ عمري الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم
وألزم طاعته كل من
على الارض من عرب او عجم

وهو اول من كسا الكعبة الانطاع والبرود فلذلك يقول بعض حمير

وكسونا البيت الذي عظم الله ملاء معصبا وبرودا

ومنهم قس بن ساعدة بن اياد بن نزار بن معدّ وكان حكيم العرب وكان مقرا بالبعث وهو الذي يقول من عاش مات ومن مات

شاء الله تعالى * وطليطلة فاعدة ملك القوطيين وهى مطلة على نهر باجة وعليه كانت القنطرة التى يعجز الواصفون عن وصفها وكانت على قوس واحد تكتنفه فرجتان من كل جانب وطول القنطرة ثلثمائة باع وعرضها ثمانون باعا وخربت أيام الامير محمد لما عصى عليه أهلها فغزاهم واحتال فى هدمها وفى ذلك يقول الحكيم عباس بن فرناس

أضحت طليطلة معطلة * من أهلها فى قبضة الصقر
تركت بلا أهل تؤهلها * مهجورة الاكناف كالقبر
ما كان يبقى الله قنطرة * نصبت لحمل كتائب الكفر

وسيأتى بعض اخبار طليطلة (ومن مشهور مدن الاندلس المرية) وهى على ساحل البحر ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران بناها عبد الرحمن الناصر وعظمت فى دولة المنصور ابن أبى عامر وولى عليها مولاه خيران فنسبت القلعة اليه وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد وفيها دار الصناعة وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام ومن ابوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر (وقال بعضهم) كان بالمرية لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر ألف نول وللاسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانية كذلك وللاصفهانية مثل ذلك وللعتابى والمعاجر المدهشة والستور المكللة ويصنع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسنا وساحلها أفضل السواحل وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة وقد ألف فيها ابو جعفر بن خاتمة تاريخا حافلا سماه مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية فى مجلد ضخم تركته من جملة كتبى بالمغرب والله سبحانه المسؤل فى جمع الشمل فله الامر من بعد ومن قبل * ووادى المرية طوله اربعون ميلا فى مثلها كلها بساتين بهجة وجنات نضرة وانهار مطردة وطيور مغردة (قال بعضهم) ولم يكن فى بلاد الاندلس اكثر مالا من أهل المرية ولا اعظم متاجر وذخائر وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الالف وهى بين الجبلين بينهما خندق معمور وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة وعلى الآخر ربضها والسور محيط بالمدينة والربض وغربيها ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وخنادق وصناعات وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة واحجار أولية وكأنما غربلت ارضها من التراب * ولها مدن وضياع عامرة متصلة الانهار انتهى (وقال ابن اليسع) عند ذكره مدينة شنترة ان من خواصها ان القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضى اربعين يوما من زراعته وان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار وا كثر قال لى ابو عبد الله الباكورى وكان ثقة ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفاح ما يقل الحامل على رأسه غيرها دور كل واحدة خمسة اشبار وذكر الرجل بحضرة ابن عباد ان المعتاد عندهم أقل من هذا فاذا ارادوا أن يجىء بهذا العظم وهذا القدر قطعوا أصلها وابقوا منه عشرا أو اقل وجعلوا تحتها دعامات من الخشب انتهى * وحصن شنش على مرحلة من المرية التوت الكثير وفيها الحرير والقرمز ويعرف واديها بوادى طبرنش * وبغربى مالقة جبل سهيل وهو جبل عظيم

فات وكل ما هو آت آت وقد ضرب العرب بحكمته وعقله الامثال قال الاعشى وأحكم من قس وأجرى من الذى بذى الغيل من خفان أصبح خادرا

وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم وفد من اياد فسألهم عنه فقالوا هلك فقال رحمه الله كأنى انظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت اما بعد فان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا نجوم تمور وبحار تغور وسقف مرفوع ومهاد موضوع اقسم بالله قسما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله لدينا هو ارضى من دين أنتم عليه مالى اراهم يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا سبيل مؤتلف وعمل مختلف وقال ابياتا لا احفظها فقام ابو بكر رضى الله عنه فقال انا أحفظها يا رسول الله فقال هاتها فقال

فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى الاواخر والاكابر
لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى لأرجو ان يبعثه الله امة وحده كثير

كثير الضياع وفيه جبل سهيل لا يرى نجم سهيل بالاندلس الا منه (ومن كور الاندلس الشرقية تدمير) وتسمى مصر ايضا لكثرة شبهها بها لان لها ارضا يسيح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزرع كما تزرع ارض مصر وصارت النصبة بعد تدمير مرسية وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ولها نهر يصب في قبليها * واعلم أن جزيرة الاندلس اعادها الله للاسلام مشتملة على موسطة وشرق وغرب * فالموسطة فيها من القواعد الممصرة التي كل مدينة منها مملكة مستقلة لها أعمال ضخام واقطار متسعة قرطبة وطليطلة وجيان وغرناطة والمرية ومالقة فمن أعمال قرطبة استجة وبلكونة وبربرة ووربدة وغافق والمدور واسطبة وبيانة والبسانة والقصير وغيرها ومن أعمال طليطلة وادي الحجارة وقلعة رباح وطلمنكة وغيرها ومن أعمال جيان ابذة وبياسة وقسطلة وغيرها ومن أعمال غرناطة وادي آش والمنكب ولوشة وغيرها ومن أعمال المرية اندرش وغيرها ومن أعمال مالقة بلش والحامة وغيرهما وببلش من الفواكه منعما اتته وبالحامة العين الحارة على ضفة واديها * واما شرق الاندلس ففيه من القواعد مرسية وبلنسية ودانية والسهلة والثغر الاعلى فمن أعمال مرسية اوريولة ولقنت ولورقة وغير ذلك ومن أعمال بلنسية شاطبة التي يضرب بحسنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له وجزيرة شقر وغير ذلك واما دانية فهي شهيرة ولها أعمال واما السهلة فانها متوسطة بين بلنسية وسرقسطة بلاد اعدها بعضهم من كور الثغر الاعلى ولها مدن وحصون ومن أعمال الثغر الاعلى سرقسطة وهي أم ذلك الثغر وكورة لاردة وقلعة رباح وتسمى بالبيضاء وكورة تطيلة ومدينتها طرسونة وكورة وشقة ومدينتها تمريط وكورة مدينة سالم وكورة قلعة ايوب ومدينتها بليانة وكورة برطانية وكورة باروشة * واما غرب الاندلس ففيه اشبيلية وماردة واشبونة وشلب فمن أعمال اشبيلية شريش والخضراء ولبلة وغيرها ومن أعمال ماردة بطليوس وباجة وغيرها ومن أعمال اشبونة شنترين وغيرها ومن أعمال شلب شنت رية وغيرها (وأما الجزر البحرية بالاندلس) فمنها جزيرة قادس وهي من أعمال اشبيلية وقال ابن سعيد انها من كورة شريش ولا منافاة لان شريشا من اعمال اشبيلية كما مر قال وبيد صنم قادس مفتاح ولما ثار بقادس ابن اخت القائد أبي عبد الله بن ميمون وهو علي بن عيسى قائد البحر بها ظن ان تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيأ انتهى وهي اعني جزيرة قادس في البحر المحيط وفي المحيط الجزائر الخالدات السبع وهي غربي مدينة سلا لوح للناظر في اليوم الصاحي الخالي الجو من الابخرة الغليظة وفيها سبعة اصنام على أمثال الآدميين تشير أن لا عبور ولا مسلك وراءها وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات وفيها من المدن والقرى ما لا يحصى ومنها يخرج قوم يقال لهم المجوس على دين النصارى اولها جزيرة برطانية وهي بوسط البحر المحيط باقصى شمال الاندلس ولا جبال فيها ولا عيون وانما يشربون من ماء المطر ويزرعون عليه (وقال ابن سعيد) وفيه جزيرة شلطيش وهي آهلة وفيها مدينة وبحرها كثير السمك ومنها يتحمل ملحها الى اشبيلية وهي من كورة لبلة مضافة الى عمل أونبة انتهى (وقال بعضهم) لما جرى ذكر قرطاجنة من بلاد الاندلس ان الزرع في بعض أقطارها يكتفي بمطرة واحدة وبها أقواس

(قال المسعودي) ولقس اشعار كثيرة وحكم وأخبار مع قيصر في الطب والزجر والفال وانواع الحكم وقد ذكرنا ذلك في كتاب اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط * ومن كان في الفترة زيد بن عمرو ابن نفيل ابو سعيد بن زيد احد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يرغب عن عبادة الاصنام وعابها فاولع به عمه الخطاب من سفهاء مكة وسلطهم عليه فآذوه فسكن كهفا بحراء وكان يدخل مكة سرا وسار الى الشام يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق وقد اتينا عليه فيما سلف من كتبنا * ومنهم أمية بن أبي الصلت الثقفي وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى وقرأ الكتب وكان علم ان نبيا يبعث من العرب وكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والأرض والشمس والقمر والملائكة وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله عز وجل ويوحده من ذلك قوله

الحمد لله لا شريك له
من لم يقلها فنفسه ظلما

ووصف أهل الجنة فقال

فلا لغو ولا تأثيم فيها
وما فاهوا به لهم مقيم

ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاظ وتأسف وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد فرجع الى الطائف فبينما هو ذات يوم في فتية يشرب اذ وقع

من الحجارة المقربصة وفيها من التصاوير والتماثيل واشكال الناس وصور الحيوانات ما يحير البصر والبصيرة ومن أعجب بنائها الدواميس وهي اربعة وعشرون على صف واحد من حجارة مصنعة طول كل داموس مائة وثلاثون خطوة في عرض ستين خطوة وارتفاع كل واحد اكثر من مائتي ذراع بين كل داموسين أنقاب محكمة تتصل فيها المياه من بعضها الى بعض في العلو الشاهق بهندسة عجيبة واحكام بديع انتهى (قلت) أظن هذا غلطا فان قرطاجنة التي بهذه الصفة قرطاجنة افريقية لا قرطاجنة الاندلس والله أعلم (وقال صاحب مناهج الفكر) عندما ذكر قرطاجنة وهي على البحر الرومي مدينة قديمة بقي منها آثار ولها فحص طوله ستة أيام وعرضه يومان معمور بالقرى انتهى وذكر قبل ذلك في لورقة ان بناحيتها يوجد حجر اللازورد وفي البحر الشامي الخارج من المحيط جزيرتي ميورقة ومنورقة وبينهما خمسون ميلا وجزيرة ميورقة مسافة يوم بها مدينة حسنة وتدخلها ساقية جارية على الدوام وفيها يقول ابن اللبانة

بلد أعارته الحمامة طوقها * وكساه حلة ريشه الطاوس
فكأنما الانهار فيه مدامة * وكأن ساحات الديار كؤس

وقال يخاطب ملكها ذلك الوقت

وغمرت بالاحسان ارض ميورقه * وبنيت مالم يبنه الاسكندر

وجزيرة يابسة *واستقصاء ما يتعلق بهذا الفصل يطول ولو تتبع لكان تأليفا مستقلا وما أحسن قول ابن خفاجة

ان للجنة بالاندلس * مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب * ودجى ليلتها من لعس
واذا ماهبت الريح صبا * صحت واشوقي الى الاندلس

وقال بعضهم في طليطلة

زادت طليطلة على ما حدّثوا * بلد عليه نضرة ونعيم
الله زينه فوشح خصره * نهر المجرة والغصون نجوم

ولا حرج ان أوردنا هنا ما خاطب به اديب الاندلس ابو بحر صفوان بن ادريس الامير عبد الرحمن ابن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي فانه مناسب (ونصه) مولاي امتع الله ببقائك الزمان وابناءه كما ضم على حبك احناءهم واحناءه وأوصل لك ما شئت من المنى والامان كما نظم قلائد فخرك على لبة الدهر نظم الجمان فانك الملك الهمام والقمر التمام ايامك غرر وحجول وفرندها في صفحات الدهر يجول البست الرعية برود التأمين فتنافست فيك من نفيس ثمين وتلقت دعوات خلدك لها باليمين فكم للناس من امن بك وايناس وللايام من لوعة فيك وهيام وللاقطار من ايالتك لديك اوطار وللبلاد من قراع على تملكك لها وجلاد يتمنون شخصك الكريم على الله ويقترحون ويغتبقون في رياض ذكرك العاطر بمدام حبك ويصطبحون كل حزب بما لديهم فرحون محبة من الله ألقاها لك حتى على الجماد ونصرا مؤزرا تنطق به ألسنة السيوف على أفواه الاغماد ومن

عراب فنعب ثلاثة أصوات وطار فقال أمية اتدرون ما قال قالوا لا قال فانه يقول لكم ان أمية لا يشرب الكاس الثالثة حتى يموت فقال القوم لتكذبن قوله ثم قال احسوا كاسكم فحسوها ثم انتهت النوبة اليه أغمي عليه فسكت طويلا ثم أفاق وهو يقول

لبيكما لبيكما * ها أناذا لديكما
أنا من حفت به النعمة * واجهدوا الشكر
ان تغفر اللهم تغفر جما * واي عبد لك لا ألما

أو قال انا من حفت به النعمة ولم يجهد في الشكر ثم أنشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما طويلا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي * في رؤس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وان تطاول حينا * فقصارى أيامه ان يزولا

ثم شهق شهقة فكانت فيها نفسه (قال المسعودي) وقد ذكر جماعة من أهل العلم بايام الناس وأخبار من سلف كأبي ذأب والهيثم بن عدي وأبي مخنف لوط بن يحيى ومحمد ابن السائب الكلبي ان السبب في كتابة قريش واستفتاحها في أوائل كتبها باسمك اللهم هو ان أمية بن أبي الصلت الثقفي خرج الى الشام في نفر من ثقيف وقريش في عيرلهم فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا لعشائهم اذ أقبلت حية صغيرة حتى

أسر

اسرس برة ألبسه الله رداءها ومن طوى حسن نية ختم الله له بأجمل اعادتها وابداءها ومن قدم صالحا فلا بدّ ان يوازيه ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه ولما تخاصمت فيك من الاندلس الامصار وطال بها الوقوف على حبك والاقتصار كلها يفصح قولا ويقول انا احق وأولى ويصيخ الى اجابة دعوته ويصغي ويتلو اذا بشر بك ذلك ما كنا نبغي تمرت حمص غيظا وكادت تفيظ فيظا وقالت مالهم يزيدون وينقصون ويطمعون ويحرصون ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ألهم السهم الاسد والساعد الاشد والنهر الذي يتعاقب عليه الجزر والمدّ أنا مصر الاندلس والنيل نهري وسمائي التانس والنجوم زهري ان تجاريتم في ذلك الشرف فحسبي ان افيض في ذلك الشرف وان تججتم باشرف اللبوس فاى ازار اشتملتموه كشنتبوس الى ماشئت من ابنية رحاب وروض يستغني بنضرته عن السحاب قد ملأت زهراتي وهادا ونجادا وتوشح سيف نهري بحدائقي نجادا فانا ولاكم بسيدنا الهمام واحق الآن حصحص الحق (فنظرتها قرطبة شزرا) وقالت لقد كثرت نزرا وبذرت في الحجر الاصم بزرا كلام العداضر بمن الهذيان وأنى للايضاح والبيان متى استحال المستقبح مستحسنا ومن أودع اجفان الهجور وسنا افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يا عجبا للراكز تقدّم على الاسنة وللأثغار تفضل على الاعنة ان ادعيتم سبقا فما عند الله خير وأبقى لي البيت المطهر الشريف والاسم الذى ضرب عليه رواقه التعريف في بقيعي محل الرجال الافاضل فليرغم انف المناضل وفي جامعي مشاهد ليلة القدر فحسبي من نباهة القدر فالاحدان يستأثر على بهذا السيد الاعلى ولا ارضى له ان يوطئ غير ترابي نعلا فاقروا لي بالابوّة وانقادوا الى على حكم البنوّة ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة وكفوا عن تباريكم ذلكم خير لكم عند بار يكم (فقالت غرناطة) لي المعقل الذى يمتنع ساكنه من النجوم ولا تجرى الا تحته جياد الغيث السجوم فلا يلتقي من معاند ضر ولا حيف ولا يهتدى الى خيال طارق ولا طيف فاستسلموا وقولا وفعلا فقد افلح اليوم من استعلى لي بطاح تقلدت من جداولها اسلا كا وأطلعت كواكب زهرها فعادت أفلاكا ومياه تسيل على اعطافي كادمع العشاق وبرد نسيم يردد ماء المستجير بالانتشاق فحسبي لا يطمع فيه ولا يحتال فدعوني فكل ذات ذيل تختال فانا اولى بهذا السيد الاعدل ومالي به من عوض ولا بدل ولم لا يعطف على عنان مجده ويثني وان أنشد يوما فاياى يعني

بلاد بها عق الشباب تمائمي * واول ارض مس جلدى ترابها

فما لكم تعتزون لفخري وتنتمون وتتأخرون في ميداني وتتقدمون تبرؤا الى مما تزعمون ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * (فقالت مالقة) اتتركوني بينكم هملا ولم تعطوني في سيدنا املا ولم ولي البحر العجاج والسبل الثجاج والجنات الاثيرة والفواكه الكثيرة لدى من البهجة ما تستغني به الحمام عن الهديل ولا تجنح الانفس الرقاق الحواشي الى تعويض عنه ولا تبديل فمالي لا أعطى في ناديكم كلاما ولا أنشر في جيش فخاركم أعلاما فكأن الامصار رأت تهاازدراء فلم تر لحديثها في ميدان الذكر اجراء لانها موطن لا يحلى منه

دنت منهم فغصبها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت فشدوا على ابلهم وارتحلوا من منزلهم فلما برزوا عن المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصالها فقالت ما منعكم ان تطعموا رحمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشية قالوا ومن أنت قالت أم العوّام أوميت منذ أعوام أماو رب العباد لتفترقن في البلاد ثم ضربت بعصاها الارض أثارت بها الرمل وقالت أطيلي ايابهم وأنفرى ركابهم فوثبت الابل وكان كل بعير منها على ذروة ما علك منها شيأ حتى افترقت في البوادى فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما أنخناها عادت الى مقالتها ما منعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة ألا أطيلي ايابهم وأنفرى ركابهم فخرجت الابل ما علك منها شيأ فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما أنخناها فعلت مثل فعلتها الاولى والثانية فتفرقت الابل وأمسينا في ليلة مقمرة وقد يئسنا من ظهورنا فقلنا لامية بن أبي الصلت أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك فتوجه الى ذلك الكثيب الذى تأتي منه العجوز حتى هبط منه من ناحية أخرى ثم صعد كثيبا آخر حتى هبط منه ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل فاذا رجل وهو مضطجع معترض على بابها واذا رجل جالس أبيض

بطائل ونتن البلاد تأوات فيها قول القائل

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت

(فقالت مرسية) أمامى تتعاطون الفخر وبحضرة الدر تنفقون الصخر ان عدّت المفاخر فلى منها الاول والآخر اين أوشالكم من بحرى وخرزكم من لؤلؤ نحرى وجعجعتكم من نفثات سحرى فلى الروض النضير والمرأى الذى ماله من نظير ورتقاتى التى سا ومثلها فى الآفاق وتبرقع وجه جمالها بغرة الاصفاق فمن دوحات كم لها من بكور وروحات ومن ارجاء اليها تمدّ أيدى الرجاء فابنائى فيه فى الجنة الدنيوية مودعون يتنعمون فيما يأخذون ويدعون ولهم فيها ما تشتهى انفسهم ولهم فيها ما يدعون فانقادوا الامرى وحاذروا اصطلاء جمرى وخلوا بينى وبين سيدنا الى زيد والاضربتكم ضرب زيد فانا أولاكم بهذا الملك المستأثر بالتعظيم وما يلقاها الاذو حظ عظيم *(فقالت بلنسية)* فيم الجدال والقراع وعلام الاستهام والاقتراع والام التعريض والتصريح وتحت الرغوة اللبن الصريح أنا أحوزه من دونكم فاخمدوا نارى تحركم وهدونكم فلى المحاسن الشامخة الاعلام والجنات التى تلقى اليها الآفاق يد الاستسلام وبرصافتى وجسرى أعارض مدينة السلام فأجمعوا على الانقياد لى والسلام والافعن وابنانا واقرعوا أسنانا فانا حيث لا تدركون وأنى ومولانا الابهلكنا بماء فعل السفهاء منا (فعند ذلك ارتمت جمرة تدمير بالشرار) واستدّت أسهمها المحور الشرار وقالت عش رجبا ترعجبا أبعد العصيان والعقوق تتهيأن لرتب ذوى الحقوق هذه سماء الفخر فمن ضمك أن تعرجى ليس بعشك فادرجى لك الوصب والخبل آلآن وقد عصيت قبل أيتها الصانعة الماعلة من ادراك أن تضرى بى وما أنت فاعلة ما الذى يجديك الروض والزهر أم ما يفيدك الجدول والنهر وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر هل أنت الامحط رحل النفاق ومنزل ما السوق الخصب فيه من نفاق ذراك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع وقراك لا يسمن ولا يغنى من جوع فالام تبرز الاماء فى منصة العقائل ولكن اذكرى قول القائل

بلنسية بينى عن القلب سلوة * فانك روض لا أحن لزهرك

وكيف يحب المرء دارا تقسمت * على صارمى جوع وفتنة مشرك

بيد أنى اسأل الله تعالى ان يوقدمن توفيقك ما خمد ويسيل من تسديدك ما جمد ولا يطيل عليك فى الجهالة الامد واياه سبحانه نسأل أن يردسيدنا ومولانا الى أفضل عوائده ويجعل مصائب اعدائه من فوائده ويمكن حسامه من رقاب المشغبين ويبقيه وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويصل له تأييدا وتأبيدا ويمهد له الايام حتى تكون الاحرار لعبيد عبيده عبيدا ويمدّ على الدنيا بساط سعده ويهبه ملكا لا ينبغى لاحد من بعده

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

ثم السلام الذى يتانق عبقا ونشرا ويتألق رونقا وبشرا على حضرتهم العلية ومطالع انوارهم السنية الجلية ورحمة الله تعالى وبركاته (انتهى) ولما ألم الرحالة ابن بطوطة فى رحلته بدخوله بلاد الاندلس أعادها الله تعالى للاسلام قال فوصلت الى بلاد الاندلس

الرأس واللحية قال أمية فلما وقفت عليه رفع رأسه الى وقال انك لمتبوع قلت أجل قال فمن أين يأتيك صاحبك قلت من أذنى اليسرى قال فبأى الثياب يأمرك قلت بالسواد قال خطب الحوادث ولم فعل وليكن يكلمك فى أذنك اليمنى وأحب الثياب اليه البياض فما جاء بك وما حاجتك فحدثته حديث العجوز قال صدقت وليست بصادقة هى امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام وانها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم ان استطاعت قال أمية فما الحيلة قال اجمعوا ظهوركم فاذا جاءتكم ففعلت ما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فانها لا تضركم فرجع الى أصحابه فأخبرهم بما قيل له فجاءتهم ففعلت كما كانت تفعل فقالوا سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فلم تضرهم فلما رأت الابل لم تتحرك قالت عرفت صاحبكم ليبيضن أعلاه ويسودن أسفله وسرنا فلما أدركنا الصبح نظرنا الى أمية قد برص فى عذاريه ورقبته وصدره واسودّ أسفله فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث وكان أمية أول من كتب باسمك اللهم الى أن جاء الله عز وجل بالاسلام وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وله أخبار غير هذه قد أتينا عليها وعلى ذكرها فى أخبار

حرسها

حرسها الله تعالى حيث الاجر موفور والساكن والثواب مذخور للمقيم والظاعن الى ان قال عند ذكره غرناطة ما نصه قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها لا نظير له في الدنيا وهو مسيرة أربعين ميلا يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة والبساتين الجليلة والجنات والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل لها بسواها انتهى (وقال الشقندي) غرناطة دمشق بلاد الاندلس ومسرح الابصار ومطمح الانفس ولم تخل من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل ولو لم يكن بها الا ما خصها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر كنزهون القلعية والركونية وغيرهما وناهيك بهما في الظرف والادب انتهى (ولبعضهم) يتشوق الى غرناطة فيما ذكره بعض المؤرخين والصواب أن الابيات تيلت في فراطبة كما مر والله أعلم

أغرناطة الغراء هل لي أوبة * اليك وهل يدنو لنا ذلك العهد
سقى الجانب الغربي منك غمامة * وقعقع في ساحات روضتك الرعد
ليالي اسعاد وأرضك جنة * وتربك في استنشاقها عنبر ورد

وقال ابن مالك الرعيني

رعى الله بالحمراء عيشا قطعته * ذهبت به للانس والليل قد ذهب
ترى الارض منها فضة فاذا اكتست * بشمس الضحى عادت سبيكته ذهب

وهو القائل

لا تظنوا أن شوقي خمدا * بعدكم أو ان دمعي جمدا
كيف أسلو عن أناس مثلهم * قل ان تبصر عيني احدا

(وغرناطة) من أحسن بلاد الاندلس وتسمى بدمشق الاندلس لانها أشبه شئ بها ويشقها نهر حدرة ويطل عليها الجبل المسمى بشلير الذي لا يزول الثلج عنه شتاء ولا صيفا ويجمد عليه حتى يصير كالحجر الصلد وفي أعلاه الازاهر الكثيرة وأجناس الافاويه الرفيعة ونزل بها أهل دمشق لما جاؤا الى الاندلس لاجل الشبه المذكور * وقرى غرناطة فيما ذكر بعض المؤرخين مائتان وسبعون قرية (وقال ابن جزى) مرتب رحلة ابن بطوطة بعد ذكر كلامه ما نصه قال ابن جزى لولا خشية أن انسب الى العصبية لاطلت القول في وصف غرناطة فقد وجدت مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لاطالة القول فيه ولله در شيخنا أبي بكر ابن محمد بن شبرين السبتي نزيل غرناطة حيث يقول

رعى الله من غرناطة متبوأ * يسر حزينا أو يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عندما رأى * مسارحها بالثلج عدن جليدا
هي الثغر صان الله من أهلت به * وما خير ثغر لا يكون برودا انتهى

وقال ابن سعيد عندما اجرى ذكر قرية نارجة وهي قرية كبيرة تضاهي المدن قد أحدقت بها البساتين ولها نهر يفتن الناظرين وهي من أعمال مالقة أنها اجتمع زمرة عليها مع والدي أبي عمران موسى وكان ذلك زمان صباغة الحر برعندهم وقد ضربوا في بطن الوادي بين

خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب وطلب العلم ورغب عن عبادة الاصنام وبشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي اثبت على ما أنت عليه فوالذي نفس ورقة بيده انك لنبي هذه الامة ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولئن أدركت ذلك لانصرن الله نصرا يعلمه وقد اختلف فيه فمنهم من زعم انه مات نصرانيا ولم يدرك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدركه أبوه ومنهم من رأى انه مات مسلما وانه مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال

يعفو ويصفح لا يجزى بسيئة
ويكظم الغيظ عند الشتم والغضب

ومنهم عداس مولى عتبة ابن أبي ربيعة وكان من أهل نينوى ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم الى الله عز وجل وكان له مع النبي صلى الله عليه وسلم خطب في الحديقة وقتل يوم بدر على النصرانية وكان ممن يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم * ومنهم أبو قيس صرمة بن أبي أنيس

متقطعا نه خيما وبعضهم يشرب وبعضهم يغني ويطرب وسالوا هم يعرف ذلك الموضع فقالوا الطراز فقال والدي اسم طابق مسماه ولفظ وافق معناه

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

ثم قال أجز

بشارجة حيث الطراز المنمنم فقلت أقم فوق نهر ثغره يتبسم

فقال وسمعك نحو الهاتفات فانها فقلت لما أبصرت من بهجة تترنم

فقال أيا جنة الفردوس لست بآدم فقلت فلا يك حظي من جناك التندم

فقال يعز علينا أن نزورك مثل ما فقلت برور خيال من سليمى مسلم

فقال فلو أنني أعطى الخيار لما عدت فقلت محالك لي عين بمرآك تنعم

فقال بحيث الصبا والطل من نفثاتها فقلت وقت لسع روض فيه للنهر أرقم

فقال فوا أسفي ان لم تكن لي عودة فقلت فكن ما لكا اني عليك متمم

فقال فأحسب هذا آخر العهد بيننا فقلت ونديلحظ الرحمن شوقي فيرحم

فقال سلام سلام لا يزال مرددا فقلت عليك ولا زالت بك السحب تسجم انتهى

(وقال ابن سعيد) ان كورة بلنسية من شرق الاندلس ينبت بها الزعفران وتعرف بمدينة التراب وبها كمثرى تسمى الارزة في قدر حبة العنب قد جمع مع حلاوة الطعم ذكاء الرائحة اذا دخل دارا عرف بريحه ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الاندلس وبها منارة ومسارح ومن أبدعها وأشهرها الرصافة ومنية ابن أبي عامر * وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الغرناطي من أبيات فيها

هي الفردوس في الدنيا جمالا * لساكنها وكارهها البعوض

وقال بعضهم فيها

ضاقت بلنسية بي * وذادعني غموضي

رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

وفيها لابن الزقاق البلنسي

بلنسية اذا فكرت فيها * وفي آياتها اسنى البلاد

وأعظم شاهدي منها عليها * وأن جمالها للعين بادي

كساها ربها ديباج حسن * لها علمان من بحر ووادي

(وقال ابن سعيد أيضا) أنشدني والدي قال أنشدني مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بمراكش قوله

كأن بلنسية كاعب * وملبسها سندس أخضر

اذا جئتها سترت نفسها * باكمامها فهي لاتظهر

وأما قول أبي عبد الله بن عياش بلنسية بيني البيتين وقد سبقا فقال ابن سعيد بلنسية صارت ثغرا يصابحها العدو ويماسيها انتهى (وقال ابو الحسن) بن حريق يجاوب ابن عياش ان ذلك حيث

بلنسية قرارة كل حسن * حديث صح في شرق وغرب

ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلم وحسن اسلامه وفيه نزلت آية السحور وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * بمكة لا يلقى صديقا مواتيا

ومنهم أبو عامر الاوسي وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب فخرج في خمسين غلاما فمات على النصرانية بالشأم * ومنهم عبد الله بن جحش الاسدي من بني أسد بن خزيمة وكانت عنده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب قبل ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان تد قرأ الكتب فمال الى النصرانية فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى أرض الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ثم انه ارتد عن الاسلام وتنصر ومات بارض الحبشة وكان يقول للمسلمين انا فتحنا وصأصأتم يريد ... فان

فان قالوا محل غلاء سعر * و مسقط ديمتى طعن وضرب

فقل هى جنة حفت رباها * بمكروهين من جوع وحرب

وقال الرصافى فى رصافتها

ولا كالرصافة من منزل * سقته السحائب صوب الولى

احن اليها ومن لى بها * وأين السرى من الموصلى

(وقال ابن سعيد) و برصافة بلنسية مناظر و بساتين ومياه ولا نعلم فى الاندلس ما يسمى بهذا الاسم الا هذه ورصافة قرطبة انتهى * ومن أعمال بلنسية قرية المنصف التى منها الفقيه الزاهد أبو عبد الله المنصفى وقبره كان ببلنسية يزار رحمه الله تعالى ومن نظمه

قالت لى النفس أتاك الردى * وأنت فى بحر الخطايا مقيم

فما ادخرت الزاد قلت اقصرى * هل يحمل الزاد لدار الكريم

ومن عمل بلنسية قرية بطرنة وهى التى كانت فيها الوقعة المشهورة للنصارى على المسلمين وفيها يقول ابو اسحق بن يعلى الطرسونى

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم * حلل الحرير عليكم ألوانا

ما كان أقبحهم وأحسنكم بها * لو لم يكن ببطرنة ما كانا

ومن عمل بلنسية متيجة التى نسب اليها جماعة من العلماء والادباء * ومن عمل بلنسية مدينة اندة التى فى جبلها معدن الحديد واما رندة بالراء فهى فى متوسط الاندلس ولها حصن يعرف باندة أيضا * وفى اشبيلية اعادها الله من المتفرجات والمتنزهات كثير ومن ذلك مدينة طريانة فانها من مدن اشبيلية ومنزهاتها وكذلك تيطل فقد ذكر ابن سعيد جزيرة تيطل فى المتفرجات (وقال ابو عمران) موسى بن سعيد فى جوابه لابى يحيى صاحب سبتة لما استوزره مستنصر بنى عبد المؤمن و كتب الى المذكور يرغبه فى النقلة عن الاندلس الى مراكش ما نص محل الحاجة منه وأما ما ذكر سيدى من التخيير بين ترك الاندلس و بين الوصول الى حضرة مراكش فيكفى الفهم العالى من الاشارة قول القائل

والعز محمود وملتمس * وألذه ما كان فى الوطن

فاذا نلت بك السماء فى تلك الحضرة فعلى من أسود فيها ومن ذا اضاهى بها

لا رقت بى همة ان لم أكن * فيك قد أملت كل الامل

و بعد هذا فكيف افارق الاندلس وقد علم سيدى أنها جنة الدنيا بما حباها الله به من اعتدال الهواء وعذوبة الماء وكثافة الافياء وان الانسان لا يبرح فيها بين قرة عين وقرار نفس

هى الارض لا ورد لديها مكدر * ولا ظل مقصور ولا روض مجدب

افق صقيل وبساط مدبج وماء سائح وطائر مترنم بليل وكيف يعدل الاديب عن أرض على هذه الصفة فيا سموأل الوفاء ويا حاتم السماح ويا جذيمة الصفاء كل من أملك النعمة بتركه فى موطنه غير مكدر لخاطره بالتحرك من معدنه ملتفتا الى قول القائل

وسوّلت لى نفسى أن افارقها * والماء فى المزن اصفى منه فى الغدر

أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر وهذا مثل ضربه لهم وذلك انه يقال للكلب اذا فتح عينيه بعد ما يولد وهو جرو قد فتح واذا كان يريد ان يفتحهما ولم يفتحهما فيل صأصأ ولما مات عبد الله بن جحش تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان زوجها اياه النجاشى ومهرها عنه أربعمائة دينار * ومنهم بحيرى الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واسم بحيرى فى النصارى جرجس وكان من عبد القيس ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه الى الشام فى تجارة ابى طالب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ومعهما أبو بكر و بلال مروا ببحيرى وهو فى صومعته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلائله وما كان يجده فى كتابه ان الغمام تظله حيث ما جلس فانزلهم بحيرى وأكرمهم واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوّة بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده على موضعه وآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وأعلم أبا بكر و بلالا بقصته وما يكون من أمره وساله ان يرجع به من وجهه ذلك وحذرهم عليه من أهل الكتاب وأخبر عمه أبا طالب بذلك فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة

اليه والوصول والفوز بـالديه والحصول وعنـد ما رد الله تعالى علينا ملـكنا الرد الجميل رد الينا فضـله الجزيل وكان لعثارنا المقيل خاطبنا كم بذلك لمكانكم من ودادنا ومحلكم من حسن اعتقادنا ووجهنا الى وجهة دعائكم وجه اعتدادنا والله ينفعنا بجميل الظن فى دينكم المتين وفضلكم المبين ويجمع الشمل بكم فى الجهاد عن الدين وتعرفنا الآن عن له بأنبائكم اعتناء وعلى جلالكم حمد وثناء وبالجناب ودكم اعتزاء وانتماء يتجاول عزمكم بين جمبر وور ترغبون من أجره فى ازدياد وتجددون العهد منه بأليف اعتياد وبين رباط فى سبيل الله وجهاد وتوثيره بهاد بين ربا أثيرة عند الله ووهاد يحشر يوم القيامة شهداؤها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين فرحين بما آتاهم الله من فضله والله اصدق القائلين الصادقين حيث لا غارة لغير عدو الاسلام تتقى الا ابتغاء مالدى الله ترتقى حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها وحور الجنان قد زينت أترابها دار الغرب الذين قرعوا باب الفتح وفازوا بجزيل المنح وخلدوا الآثار وأرغموا الكفار وأقالوا العثار وأخذوا الثار وأمنوا من لفح جهنم بما علا على وجوههم من ذلك الغبار فكتبنا اليكم هذا نقوى بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين ونهب بكم الى احدى الحسنيين والصبح غير خاف على ذى عينين والفضل ظاهر لاحدى المنزلتين فانكم ان جئتم أعدتم فرضا اديتموه وفضلا ارتديتموه فائدته عليكم مقصورة ونفسيته فيكم محصورة واذا اقمتم الجهاد جلبتم الى حسناتكم عملا نر يا واستانفتم سعيا من الله قريبا وتعدت المنفعة الى الوف من النفوس المستشعرة لباس البوس ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لاطنبنا وأعنة الاستدلال أرسلنا هذا وقد تقدمتم الى هذا الوطن وفضلكم غفل من الاشتهار ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار فكيف وفضلكم أشهر من محيا النهار ولقاؤكم أشهى الآمال وآثر الاوطار فان قوى عزمكم والله يقويه وعيننا من بركم على ما ننويه فالبلاد بلادكم وما فيها طريفكم وتلادكم وكهولها اخوانكم وأحداثها أولادكم ونرجو أن تجدوا الذكر لله فى رباها حلاوة زائدة ولا تعدموا من روح الله فيها فائدة وتكيف نفسكم فيها تكيفات تقصر عنها خلوات الملوك الى ملك الملوك حتى تغتبطوا بفضل الله الذى يوليكم وتروا أثر رحمته فيكم وتحلفوا بحر هذا الانقطاع الى الله فى سبيلكم وبنيكم وتختموا العمر الطيب بالجهاد الذى يعليكم ومن الله تعالى يدنيكم فنبيكم العربى صلوات الله عليه وسلامه نبى الرحمة والملاحم ومعمل الصوارم وبجهاده لفرنج ختم عمل جهاده والاعمال بالخواتم هذا على بعد بلادهم من بلاده وأنتم أحق الناس باقتفاء جهاده والاستباق الى آماده هذا ما عندنا حثثناكم عليه وندبناكم اليه وأنتم فى ايثار هذا الجوار ومقارضة ما عندنا بقدومكم من الاستبشار بحسب ما يخلق عنكم من بيده مقادة الاختيار وتصريف تحول وتقليب القلوب واجالة الافكار واذا تعارضت الحظوظ فما عند الله خير للانفس ومنها الآخرة دار القرار وخير الاعمال عمل أوصل الى الجنة وباعد من النار ولـ أهل الكشف والاطلاع بهذه الارجاء والاصقاع قد اتفقت أخبارها وا على البشارة بفتح قرب أوانه واظل زمانه فنرجو الله أن تكونوا ممن يحضره

وثلثمائة فى برج الثور وانه اذا انتقل الى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العامر خرابا والخارب عامرا والشمال جنوبا والجنوب شمالا ورتب فى بيت الذهب حساب الدور الاول والتاريخ الاقدم الذى عليه عملت الهند فى تواريخ البردة وظهورها فى أرض الهند دون سائر الممالك وفهم فى البردة خطب طويل أعرضنا عن ذكره اذ كان كتابنا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وقد أتينا على جمل من ذلك فى الكتاب الاوسط ومن الهند من يذكر ان ابتداء العالم فى كل سبعين ألف سنة هازروان وان العالم اذا قطع هذه المدة عاد الكون فظهر النسل ومرحت البهائم وتغلغل الماء وذب الحيوان وبقل العشب وخرق النسيم الهواء وأما أكثر الهند فانهم قالوا بكرور منصوبات على دوائر تبتدئ القوى متلاشية الشخص موجودة القوة منتسبة الذات وحدوا لذلك أجلا ضربوه ووقتا نصبوه وجعلوا الدائرة العظمى والحادثة الكبرى وسموا ذلك بعمر العالم وجعلوا المسافة بين البدء والانتهاء مدة ستة وثلاثين ألف سنة مكررة فى اثنى عشر ألف عام وهذا عندهم الهازر وان الضابط لقوى هذه الاشياء والمدبر لها وان الدوائر تقبض وتبسط

وربك

فيه معناه ويسلف فيه العمل الذي يشكره الله ويرعاه والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته انتهى * ولما دخل الاندلس أمير المسلمين على ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني ملك المغرب والاندلس وأمعن النظر فيها وتأمل وصفها وحالها قال انها تشبه عقابا مخالبه طليطلة وصدره قلعة رباح ورأسه جيان ومنقاره غرناطة وجناحه الايمن باسط الى المغرب وجناحه الايسر باسط الى المشرق في خبر طويل لم يحضرني الآن اذ تركته مع كتبي بالمغرب جمعني الله بها على أحسن الاحوال * ومع كون أهل الاندلس سباق حلبة الجهاد مهطعين الى داعيه من الجبال والوهاد فكان لهم في الترف والنعيم والمجون ومداراة الشعراء خوف الهجاء محل وثير المهاد وسيأتي في الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشفي ويكفي ولكن سنح لي ان اذكر هنا حكاية أبي بكر المخزومي الهجاء المشهور الذي قال فيه لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة انه كان أعمى شديد الشر معروفا بالهجاء مسلطا على الاعراض سريع الجواب ذكي الذهن فطنا للمعاريض سابقا في ميدان الهجاء فاذا مدح ضعف شعره (والحكاية) هي ما حكاه أبو الحسن بن سعيد في الطالع السعيد اذ قال حكاية عن أبيه فيما أظن قدم المذكور يعني المخزومي على غرناطة أيام ولاية أبي بكر بن سعيد ونزل في ربضي وكنت اسمع به بنار صاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده ثم رأيت ان ابدأه بالتأنيس والاحسان فاستدعيته بهذه الابيات

يا ثانيا للمعري * في حسن نظم ونثر
وفرط ظرف ونبل * وغوص فهم وفكر
صل ثم واصل حفيا * بكل بر وشكر
وليس الا حديث * كأنها عقد در
وشادن يتغنى * على رباب وزمر
وما يسامح فيه الـ * ـغفور من كاس خمر
وبيننا عهد حلف * لباسر حلف كفر
نعم نجدده عهدا * يطيب شكرا ويسر
والكاس مثل رضاع * ومن كذلك يدري

ووجه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبدا صغيرا اقاده فلما استقر به المجلس وأفعمته روائح الند والعود والازهار وهزت عطفه الاوتار قال

دار السعيدي ذي ام دار رضوان * ما تشتهي النفس فيها حاضر داني
سقت اباريقها للند سحب ندى * تحدى برعد لأوتار وعيدان
والبرق من كل دن ساكب مطرا * يحيي به ميت أفكار وأشجان
هذا النعيم الذي كنا نحدثه * ولا سبيل له الا بآذان

فقال أبو بكر بن سعيد والى الآن لا سبيل له الا بآذان فقال حتى يبعث الله ولد زني كلما انشدت هذه الابيات قال انها الاعمى فقال اما انا فلا انطق بحرف فقال من صمت نجا وكانت نزهون بنت القلاعي حاضرة فقالت وتراك يا استاذ قديم النعمة بمجمر ند وغناء

جميع المعاني التي تستودعها وان الاعمار تطول في اول الكر لانفساح الدوائر وتمكن ٨٩ القوى من الحال وتقصر الاعمار في آخر الكر لضيق الدائرة وكثرة ما يعرض فيها من الاكدار الباترة للاعمار وذلك ان أقوى الاجسام وصفوها في أول الكر يظهر ويسرح وان الصفو سابق الكدر والصافي يبادر العقل والاعمار تطول بحسب صفاء المزاج وتكامل القوى المدبرة لعناصر أخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات البائدات وان آخر الكر الاعظم وغاية البدء الاكبر تظهر الصور منسوبة والنفوس ضعيفة والامزجة مختلطة وتتناقض القوى وتبيد المواصل وترد المواد في الدوائر منعكسة مزدحمة فلا تخطئ ذوي الاعصار تمام الاعمار وللهند فيما ذكرنا علل وبراهين في المبادي الاول وفيما استخذناه من تفريقهم في الدوائر المازروانات ورموز واسرار في النفوس واتصالها علا من العوالم وكيفية بدئها من أعلى الى أسفل وغير ذلك مما رتب لهم البرهمن في بدء الزمان وكان ملك البرهمن الى ان هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة الى وقتنا والهند تعظمهم وهم أعلى اجناسهم واشرفهم ولا يغتذون بشئ من الحيوان وفي رقاب الرجال

وشراب فتعجب من تأتيه وتشبهه بنعيم الجنة وتقول ما كان يعلم الا بالسماع ولا يبلغ اليه بالعيان ولكن من يجيء من حصن المدور وينشأ بين تيوس وبقر من أين له معرفة بمجالس النعيم فلما استوفت كلامها تنحنح الاعمى فقالت له ذبحة فقال من هذه الفاضلة فقالت عجوز مقام أمك فقال كذبت ما هذا صوت عجوز انما هذه نغمة قحبة محترقة تشم روائحها هنا على فراسخ فقال له أبو بكر يا استاذ هذه نزهون بنت القلاعي الشاعرة الاديبة فقال سمعت بها لا اسمعها الله خيرا ولا أراها الا أيرا فقالت له يا شيخ سوء تناقضت وأي خير للمرأة مثل ما ذكرت ففكر ساعة ثم قال

على وجه نزهون من الحسن مسحة * وان كان قد أمسى من الضوء عاريا
قواصد نزهون توارك غيرها * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فاعملت فكرها ثم قالت

قل للوضيع مقالا * يتلى الى حين يحشر
من المدور أنشئت والخرا منه اعطر
حيث البداوة أمست * في مشيها تتبختر
لذاك أمسيت صبا * بكل شيء مدور
خلقت أعمى ولكن * تهيم في كل اعور
جازيت شعرا بشعر * فقل لعمري من اشعر
ان كنت في الخلق انثى * فان شعري مذكر

فقال لها الاعمى

الا قل لنزهونة مالها * تجر من التيه أذيالها
ولو أبصرت فيشة شمرت * كما عودتني سربالها

فحلف أبو بكر بن سعيد ان لا يزيد أحدهما على الآخر في هجو كلمة (فقال المخزومي) أكون هجاء الاندلس وأكف عنها دون شيء فقال انا اشتري منك عرضها فاطلب فقال بالعبد الذي ارسلته فقادني الى منزلك فانه لين اليد رقيق المشي فقال أبو بكر لولا كونه صغيرا كنت أبلغك به مرادك واهبه لك ففهم قصده وقال أصبر عليه حتى يكبر ولو كان كبيرا ما آثرتني به على نفسك فضحك أبو بكر وقال ان لم تهج نظما هجوت نثرا فقال أيها الوزير لا تبديل لخلق الله وانفصل المخزومي بالعبد بعد ما اصلح الوزير بينه وبين نزهون انتهى * وفي كتاب الدر المنضد في وفيات اعيان أمة محمد تاليف الامام صارم الدين ابراهيم بن دقاق قال أبو القاسم بن خلف كان يعني المخزومي المذكور حيا بعد الاربعين وخمسمائة انتهى * ونسلت من كتاب قطب السرور لابن الرقيق المغربي ما ملخصه وممن ادركته وعاشرته عبد الوهاب بن حسين ابن جعفر الحاجب وذكرته هنا لانه ملحق بالامراء المتقدمين غير خارج منهم ولا مقصر عنهم بل كان واحد عصره في الغناء الرائق والادب الرائع والشعر الرقيق واللفظ الانيق ورقة الطبع واصابة النادر والتشبيه المصيب والبديهة التي لا يلحق فيها مع شرف النفس وعلو الهمة وكان قد قطع عمره وافنى دهره في اللهو واللعب والفكاهة والطرب

والنساء منهم خيوط صفر يتقلدون بها كحمائل السيوف فرقا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند وقد كان اجتمع منهم في قديم الزمان في ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور اليهم في بيت الذهب فقال بعضهم لبعض اجلسوا حتى نتناظر فننظر ما قصة العالم وما سره ومن أين أقبلنا والى أين نمر وهل خروجنا من عدم الى وجود حكمة أو ضد ذلك وهل خالقنا المخترع لنا والمنشئ لاجسامنا يجتلب بخلقنا منفعة أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا أم هل هو غني من كل وجه عن ابقائنا واعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا فقال الحكيم المنظور اليه منهم أترى احدا من الناس ادرك الاشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح الى الثقة قال الحكيم الثاني لو تناهت حكمة الباري عز وجل في احد العقول كان ذلك نقصا من حكمته وكان الغرض غير مدرك وكان التقصير مانعا من الادراك قال الحكيم الثالث الواجب علينا ان نبتدئ بمعرفة انفسنا التي هي أقرب الاشياء منا ونحن أولى بها وهي أولى بنا من قبل ان نتفرغ الى علم ما بعد منا قال الحكيم الرابع لو شاء وقوع أمر وقوعا احتاج وكان

وكان اعلم الناس بضرب العود واختلاف طرائقه وصنعة اللحون وكثيرا ما يقول المعاني اللطيفة في الابيات الحسنة ويصوغ عليها الالحان المطربة البديعة المعجبة اختراعا منه وحذقا وكانت له في ذلك قريحة وطبع وكان اذا لم يزره أحد من اخوانه احضر مائدته وشرابه عشرة من أهل بيته منهم ولده وعبد الله ابن أخيه وبعض غلمانه وكلهم يغني فيجيد فلا يزالون يغنون بين يديه حتى يطرب فيدعو بالعود ويغني لنفسه ولهم وكان بشارة الزامر الذي يزمر عليه من حذاق زمرة المشرق وكان بعيد الهمة سمحا ابعد تغلب عليه ضياعه كل عام اموالا جليلة فلا تحول السنة حتى ينفد جميع ذلك ويستلف غيره فكان لا يطرأ من المشرق من الآمال من يقصد بهذا الشان فيدل عليه ومن وصله منهم استقبله بصنوف البر والاكرام وكساه وخلطه بنفسه ولم يدعه الى أحد من الناس فلا يزال معه في صبوح وغبوق وهو مجدد له كل يوم كرامة حتى يأخذ جميع ما معه من صوت مطرب أو حكاية نادرة وجلس يوما وقد زاره رجلان من اخوانه وحضر أقرباؤه فطعموا وشربوا وأخذوا في الغناء فارتج المجلس اذ دخل عليه بعض غلمانه فقال بالباب رجل غريب عليه ثياب السفر ذكر انه ضيف فامر بادخاله فاذا رجل أسمر سناطر الهيئة فسلم عليه قال ابن بلد الرجل قال البصرة فرحب به وأمره بالجلوس فجلس مع الغلمان في صفة وأتى بطعام فاكل وسقي اقداحا ودار الغناء في المجلس حتى انتهى الى آخرهم فلما سكتوا اندفع يغني بصوت ندي وطبع حسن

الا يا دار ما الهجر * لسكانك من شاني
سقيت الغيث من دار * وان هيجت أشجاني
ولو شئت لما استسقيت غيثا غير اجفاني
بنفسي حل اهلوك * وان بانوا بسلواني
وما الدهر بمأمون * على تشتيت خلان

فطرب عبد الوهاب وصاح وتبين الحذق في اشارته والطيب في طبعه وقال يا غلام خذ بيده الى الحمام وعجل علي به فادخل الحمام وتنظف ثم دعا عبد الوهاب بخلعة من ثيابه فالقيت عليه ورفعه فأجلسه عن يساره وأقبل عليه وبسطه فغنى له

قومي امزجي التبر باللجين * واحتملي الرطل باليدين
واغتنمي غفلة الليالي * فربما أيقظت لحين
فقد لعمري أقرّ عينا * هلال شوال كل عين
ذات الخلاخيل أبصرته * كنصف خلخالها اللجين

فطرب وشرب واستزاده فغناه

من لي على رغم الحسود بقهوة * بكر ربيبة حانة عذراء
موج من الذهب المذاب تضمه * كاس كقشر الدرة البيضاء
والنجم في افق السماء كأنه * عين تخالس غفلة الرقباء

فشرب عبد الوهاب ثم قال زدني فغناه

وأنت الذي أشرقت عيني بمائها * وعلمتها بالهجر أن تهجر الغمضا

فيه بنفسه قال الحكيم الخامس من ههنا وجب الاتصال بالعلماء الممدودين بالحكمة ٩١ وقال الحكيم السادس الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه ان لا يغفل عن ذلك لاسيما اذا كان المقام في هذه الدنيا ممتنعا والخروج منها واجبا قال الحكيم السابع أنا لا أدري ما تقولون غير اني اخرجت الى هذه الدنيا مضطرا وعشت فيها حائرا وأخرج منها مكرها فاختلف الهند ممن سلف وخلف في آراء هؤلاء السبعة وكل قد اقتدى بهم وأمّ مذهبهم ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم وتنازعوا في آرائهم والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة (قال المسعودي) وقد رأيت ابا القاسم البلخي ذكر في كتاب عيون المسائل والجوابات وكذلك الحسن ابن موسى النوبختي في كتابه المترجم بالآراء والديانات مذاهب الهند وآراءهم والعلة التي من اجلها احرقوا أنفسهم في النيران وقطعوا أجسادهم بانواع العذاب فما تعرضنا لشيء مما ذكرنا ولا يممنا نحو ما وصفنا وقد تنوزع في البرهمن فمنهم من زعم انه آدم عليه السلام وانه رسول الله عز وجل الى الهند ومنهم من يقول انه كان ملكا على حسب ما ذكرنا وهذا الاشهر ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعا شديدا وفزعت الى نصب ملك عليها

وأغرقتها بالدمع حتى جفونها * لينكر من فقد الكرى بعضها بعضا

فى يوم من أحسن الايام وأطيبها ووصله وأحسن اليه ولم يزل عنده مقربا مكرما وكان خليعا ماجنا مشتهرا بالنبيذ فخلاه وما أحب ثم وصف له الاندلس وطيبها وكثرة خمورها فمضى اليها ومات بها وعلى نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ من المشرق ولو ذكرتهم لطال بهم الكتاب انتهى وغرضي من ايراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للشرقي الاندلس وطيبها وذلك أمر لا يشك فيه ولا يرتاب والله المسؤل في حسن المتاب * ورأيت في بعض كتب تاريخ الاندلس في ترجمة السلطان باديس الصنهاجي صاحب غرناطة مانصه وهو الذى أكمل ترتيب نصبة مالقة وكان افرس الناس وانبلهم ذا مروءة ونجدة وقصره بغرناطة ليس ببلاد الاسلام والكفر مثله فيما قيل انتهى وهذا القصر هو الذى عناه لسان الدين بن الخطيب في قصيدته السينية المذكورة في الباب الخامس من القسم الثاني من هذا الكتاب فلتراجع ثمة * وذكر غير واحد من المحدثين والمؤرخين أن مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبان من قبل نفسه واذا ادخله احد لم يتحرك ونظير هذا المعنى في بعض الحيوانات بالنسبة الى بعض البلاد كثير وذلك برصد اوطلسم وقد استطرد بعض علماء اصول الدين ذلك عند ما تكلموا على السحر حسبما قرر في محله والله أعلم هكذا رأيت في كلام بعض علماء المشارقة والذى رأيته لبعض مؤرخي المغرب في سرقسطة أنها لا تدخلها عقرب ولا حية الا ماتت من ساعتها ويؤتى بالحيات والعقارب اليها حية فبنفس ما تدخل الى جوف البلد تموت قال ولا يتسوس فيها شيء من الطعام ولا يعفن ويوجد فيها القمح من مائة سنة والعنب المعلق من ستة أعوام والتين والخوخ وحب الملوك والتفاح والاجاص اليابسة من أربعة أعوام والفول والحمص من عشرين سنة ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب كان صوفا او حريرا او كتانا وليس في بلاد الاندلس أكثر فاكهة منها ولا اطيب طعما ولا أكبر جرما والبساتين محدقة بها من كل ناحية ثمانية اميال ولها اعمال كثيرة مدن وحصون وقرى مسافة اربعين ميلا وهي تضاهي مدن العراق في كثرة الاشجار والانهار وبالجملة فامرها عظيم وقد اسلفنا ذكرها

* واعلم ان بارض الاندلس من الخصب والنضرة وعجائب الصنائع وغرائب الدنيا ما لا يوجد مجموعه غالبا في غيرها فمن ذلك ما ذكره الحجاري في المسهب ان السمور الذى يعمل من وبره الفراء الرفيعة يوجد في البحر المحيط بالاندلس من جهة جزيرة برطانية ويجلب الى سرقسطة ويصنع بها ولما ذكر ابن غالب وبر السمور الذى يصنع بقرطبة قال هذا السمور المذكور هنا لم أتحقق ماهو ولا ما عني به ان كان هو نباتا عندهم او وبر الدابة المعروفة فان كانت الدابة المعروفة فهي دابة تسكون في البحر وتخرج الى البر وعندها قوة تمييز وقال حامد بن سمعون الطبيب صاحب كتاب الادوية المفردة هو حيوان يكون في بحر الروم ولا يحتاج منه الا خصاه فيخرج الحيوان من البحر في البر فيؤخذ وتقطع خصاه ويطلق فربما عرض للقناصين مرة أخرى فاذا أحس بهم وخشي أن لا يفوتهم استلقى على ظهره وفرج بين فخذيه ليرى موضع خصييه خاليا فاذا رآه القناصون كذلك تركوه قال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان أيضا الجندبادستر والدواء الذى يصنع من خصييه من الادوية الرفيعة ومنافعه

كثيرة

من أكبر ولده فكان ولي عهده الموصى له من ولده ابنه (الناهود) فسار فيهم سيرة أبيه وأحسن النظر اليهم وزاد في بناء الهياكل وقدم الحكماء وزاد في مراتبهم وحثهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها فكان ملكه الى ان هلك مائة سنة وفي أيامه عمل النرد واحدث اللعب بها وجعل ذلك مثالا للمكاسب وأنها لا تنال بالكسب ولا بالحيل في هذه الدنيا وان الرزق لا يتأتى فيها بالحذق وقد ذكر ان اردشير ابن بابك اول من صنع النرد ولعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها واختلاف أمورها وجعل بيوتها اثني عشر بيتا بعدد الشهور وجعل كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل الفصين مثلا للقدر ومثله باهل الدنيا وان الانسان يلعب فيبلغ باسعاد القدر اياه بما في مراده باللعب بها ومراده ان الحازم الفطن لا يتأتى له ما تأتى لغيره الا اذا اسعده القدر وان الارزاق والحظوظ في هذه الدنيا لا تنال الا بالجدود ثم ملك (دامان) بعد الناهود فكان ملكه نحوا من خمسين ومائة سنة ولدامان سير واخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين قد أتينا على الغرر منها فيما اسلف من كتبنا ثم ملك (فور) وهو الذى واقعه الاسكندر فقتله الاسكندر مبارزة وكان ملك فور الى ان هلك اربعين ومائة سنة ثم

كثيرة وخاصيته فى العلل الباردة وهو حار يابس فى الدرجة الرابعة والقفلية حيوان أدق من الارنب وأطيب فى الطعم وأحسن وبرا وكثيرا ما يلبس فراؤها ويستعملها أهل الاندلس من المسلمين والنصارى ولا توجد فى بر البربر الا ما جلب منها الى سبتة فنشأ فى جوانبها قال ابن سعيد وتدجلبت فى هذه المدة الى تونس حضرة أفريقية ويكون بالاندلس من الغزال والايل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك مما لا يوجد فى غيرها كثيرا وأما الاسد فلا يوجد فيها البتة ولا الفيل والزرافة وغير ذلك مما يكون فى أقاليم الحرارة ولها سبع يعرف باللب أكبر بقليل من الذئب فى نهاية من القحة وقد يفترس الرجل اذا كان جائعا وبغال الاندلس فارهة وخيلها ضخمة الاجسام حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح والعدو فى خيل البر الجنوبى ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول وكذلك حيوان البحر ودواب بحرها المحيط فى نهاية من الطول والعرض قال ابن سعيد عاينت من ذلك العجب والمسافرون فى البحر يخافون منها لئلا تقلب المراكب فيقطعون الكلام ولها نفخ بالماء من فيها يقوم فى الجو ذا ارتفاع مفرط وقال ابن سعيد قال المسعودى فى مروج الذهب فى الاندلس من أنواع الافاويه خمسة وعشرون صنفا منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة وغير ذلك وذكر ابن غالب أن المسعودى قال أصول الطيب خمسة أصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها من ارض الهند الا الزعفران والعنبر فانهما موجودان فى ارض الاندلس ويوجد العنبر فى ارض الشحر قال ابن سعيد وقد تشكك وافى اصل العنبر فذكر بعضهم انه عيون تنبع فى قعر البحر يصير منها ما تبلعه الدواب وتقذفه قال الحجارى ومنهم من قال انه نبات فى قعر البحر وقد تقدم قول الرازى ان المحلب وهو المقدم فى الافاويه والمفضل فى انواع الاشنان لا يوجد فى شئ من الارض الا بالهند والاندلس قال ابن سعيد وفى الاندلس مواضع ذكروا أن النار اذا أطلقت فيها فاحت بروائح العود وما أشبهه وفى جبل شلير افاويه هندية قال واما الثمار واصناف الفواكه فالاندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ويوجد فى سواحلها قصب السكر والموز ويوجدان فى الاقاليم الباردة ولا يعدم منها الا التمر ولها من انواع الفواكه ما يعدم فى غيرها أو يقل كالتين القوطى والتين السفرى باشبيلية قال ابن سعيد وهذان صنفان لم تر عينى ولم اذق لهما منذ خرجت من الاندلس ما يفضلهما وكذلك التين المالقى والزبيب المنكبى والزبيب العسلى والرمان السفرى والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره وقد ذكر ابن سعيد ايضا ان الارض الشمالية المغربية فيها المعادن السبعة وانها فى الاندلس التى هى بعض تلك الارض واعظم معدن للذهب بالاندلس فى جهة شنتياقور قاعدة الجلالقة على البحر المحيط وفى جهة قرطبة الفضة والزئبق والنحاس فى شمال الاندلس كثير والصفر الذى يكاد يشبه الذهب وغير ذلك من المعادن المتفرقة فى اماكنها والعين التى يخرج منها الزاج فى لبلة مشهورة وهو كثير مفضل فى البلاد منسوب لجبال طليطلة جبل الطفل الذى يجهز الى البلاد ويفضل على كل طفل بالمشرق والمغرب وبالاندلس عدة مقاطع للرخام وذكر الرازى أن بجبل قرطبة مقاطع الرخام الابيض الناصع اللون والخمرى وفى

ملك بعده (دستلم) وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة الذى ينسب لابن المقفع وقد صنف سهل بن هرون الكاتب لامير المؤمنين المأمون كتابا ترجمه بثعلة وعفرة يعارض به كتاب كليلة ودمنة فى ابوابه وامثاله يزيد عليه فى حسن نظمه وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك ثم ملك بعده (بلهيت) وصنعت فى ايامه الشطرنج فقضى بها على النرد وبين الظفر الذى يناله الحازم والبلية التى تلحق الجاهل وحسب حسابهما ورتب لذلك كتابا للهند يعرف بطرق حكما يتداولونه بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها مصورة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق وجعلهم درجات فى مراتب ومثل الشاه بالمدبر الرئيس وكذلك من يليه من القنائع واقام ذلك مثالا للاجساد العلوية التى هى الاجسام السماوية من السبعة والاثنى عشر وافرد كل قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للمملكة واذا كان عدو من اعدائه فوقعت منه حيلة فى الحروب نظروا من اين يؤتون فى عاجل وآجل وللهند فى لعب الشطرنج سر يسرونه فى تضاعيف حسابها ويتعلقون بذلك الى ما علا من الافلاك وما اليه منتهى العلة الاولى واعدادا ضعاف

بالشرة مقطع عجيب للعمدو بباغه من مملكة غرناطه مقاطع للرخام كثيرة غريبة موشاة في حمرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التي بالاندلس من الرخام الحالك والمجزع وحصى المرية يثمن الى البلاد فانه كالدر في رونقه وله ألوان عجيبة ومن عادتهم ان يضعوه في كيزان الماء وفي الاندلس من الامنان التي تنزل من السماء القرمز الذي ينزل على شجرة البلوط فيجمعه الناس من اشعراء ويصبغون به فيخرج منه اللون الاحمر الذي لا تفوته حمرة قال ابن سعيد وفي مصنوعات الاندلس ينتهي التفضيل وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير فقد اختصت المرية ومالقة ومرسية بالموشى المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق اذا رأوا منه شيأ وفي نتنالة من عمل مرسية تعمل البسط التي يغالى في ثمنها بالمشرق ويصنع في غرناطة وبسطة من ثياب اللباس المحررة الصنف الذي يعرف بالملبد المختم ذو الالوان العجيبة ويصنع في مرسية من الاسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنعة وآلات الصفر والحديد من السكاكين والامقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي ما يبهر العقل ومنها تجهز هذه الاصناف الى بلاد افريقية وغيرها ويصنع بها وبالمرية ومالقة الزجاج الغريب العجيب وفخار مزجج مذهب ويصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف في المشرق بالفسيفساء ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجي يشبه المفضض وهو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يصرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم كالشاذروان وما يجري مجراه واما آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والالجم والدروع والمغافر فاكثرهم أهل الاندلس فيما حكى ابن سعيد كانت مصروفة الى هذا الشان ويصنع فيها في بلاد الكفر ما يبهر العقول قال والسيوف البرذليات مشهورة بالجودة وبرذيل آخر بلاد الاندلس من جهة الشمال والمشرق والفولاذ الذي باشبيلية اليه النهاية وفي اشبيلية من دقائق الصنائع ما يطول ذكره وقد افرد ابن غالب في فرحة الانفس للآثار الاولية التي بالاندلس من كتابه مكانا فقال منها ما كان من جلبهم الماء من البحر الملح الى الارحي التي بطركونة على وزن لطيف وتدبير محكم حتى طحنت به وذلك من أعجب ما صنع ومن ذلك ما صنعه الاول أيضا من جلب الماء من البحر المحيط الى جزيرة قادس من العين التي في أقليم الاصنام جلبوه في جوف البحر في الصخر المجوف ذكرانا وأنثى وشقوا به الجبال فاذا وصلوا به الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا فاذا جاوزها واتصل بالارض المعتدلة رجعوا الى البنيان المذكور فاذا صادف سبخة بنى له رصيف وأجرى عليه هكذا الى ان انتهى به الى البحر ثم دخل به في البحر واخرج في جزيرة قادس والبنيان الذي دخل عليه الماء في البحر ظاهر بين قال ابن سعيد الى وقتنا هذا ومنها الرصيف المشهور بالاندلس قال في بعض اخبار رومية انه لما ولي يوليش المعروف بجاشر وابتدأ بتذريع الارض وتكسيرها كان ابتداؤه بذلك من مدينة رومية الى المشرق منها والى المغرب والى الشمال والى الجنوب ثم بدأ بفرش المبلطة وأقبل بها على وسط دائرة الارض الى ان بلغ بها أرض الاندلس وركزها شرقي قرطبة ببابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبار ثم ابتدأها من باب القنطرة قبلي قرطبة الى شقندة الى استجة الى قرمونة الى البحر واقام على كل ميل سارية قد نقش عليها اسمه من

مدينة

المروج سابعة عشر الف الف الف الف الف الف وسبعمائة واربعون الف الف الف ألف ألف وتسعة آلاف ألف ألف وخمسمائة ألف ألف وأحد وخمسون ألف ألف وستمائة وخمسة عشر ألف ومراتب هذه الالوف الستة الاولى ثم الخمسة التي هي ألف ألف خمس مرات ثم الاربع ثم الثلاث ثم الاثنين ثم الواحدة لها عندهم معان يذكرونها في الدهور والاعصار وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية في هذا العالم لارتباط نفوس الناطقين بها وللبونانيين والروم وغيرهم من الامم في الشطرنج كلام ونوع من اللعب بها قد ذكر ذلك الشطرنجيون في كتبهم ممن تقدم منهم الى الصولي والعدلي واليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج في هذا العصر وكان ملك بلهيت ملك الهند الى أن هلك ثمانين سنة وفي بعض النسخ انه ملك ثلاثين ومائة سنة ثم ملك بعده (كورس) فأحدث للهند آراء في الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت وما يحتمله من التكليف أهل العصر وخرج عن مذاهب من سلف وكان في مملكته وعصره سندباد دون له كتاب الوزراء السبعة والمعلم وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بالسندباد وعمل في خزانة هذا الملك الكتاب الاعظم في معرفة العلل

والادواء والعلاجات وشكلت الحشائش وصورت وكان مدة ملك الهند هذا الى أن مات عشرين ومائة سنة ولما

مدينة رومية وذكر أنه أراد تسقيفها في بعض الاماكن راحة للخاطرين من وهج الصيف وهول الشتاء ثم توقع ان يكون ذلك فسادا في الارض وتغيير الطرق عند انتشار اللصوص وأهل الشر فيها في المواضع المنقطعة النائية عن العمران فتركها على ما هي عليه وذكر في هذه الآثار صنم قادس الذي ليس له نظير الا الصنم الذي بطرف جليقية وذكر قنطرة طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مرببيطر (قال ابن سعيد) وفي الاندلس عجائب * منها الشجرة التي لولا كثرة ذكر العامة لها بالاندلس ما ذكرتها فان خبرها عندهم شائع متواتر وقد رأيت من يشهد بخبرها ورؤيتها وهم جم غفير وهي شجرة زيتون تصنع الورق والنور والثمر من يوم واحد معلوم عندهم من ايام السنة الشمسية * ومن العجائب السارية التي بغرب الاندلس بزعم الجمهور أن أهل ذلك المكان اذا أجدبوا المطر أقاموها فيمطر الله جهتهم * ومنها صنم قادس طول ما كان قائما كان يمنع الريح أن تهب في البحر المحيط فلا تستطيع المراكب الكبار على الجري فيه فلما هدم في أول دولة بني عبد المؤمن صارت السفن تجري فيه * وبكورة قبرة مغارة ذكرها الرازي وحكى انه يقال انها باب من أبواب الريح لا يدرك لها قعر * وذكر الرازي ان في جهة دلعة ورد جبلا فيه شق في صخرة داخل كهف فيه فاس حديد متعلق من الشق الذي في الصخرة تراه العيون وتلمسه اليد ومن رام اخراجه لم يطق ذلك واذا رفعته اليد ارتفع وغاب في شق الصخرة ثم يعود الى حالته * وأما ما أورده ابن بشكوال من الاحاديث والآثار في شان فضل الاندلس والمغرب فقد ذكرها ابن سعيد في كتابه المغرب ولم اذكرها أنا والله أعلم بحقيقة أمرها وكذلك ما ذكره ابن بشكوال من ان فتح القسطنطينية انما يكون من قبل الاندلس قال وذكر سيف عن عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه والله أعلم بصحة ذلك ولعل المراد بالقسطنطينية رومية والله أعلم قال سيف وذلك ان عثمان ندب جيشا من القيروان الى الاندلس وكتب لهم أما بعد فان فتح القسطنطينية انما يكون من قبل الاندلس فانكم ان فتحتموها كنتم الشركاء في الاجر والسلام انتهى قلت عهدة هذه الامور على ناقلها وأنا بريء من عهدتها وان ذكرها ابن بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد فانها عندي لا أصل لها وأي وقت بعث عثمان الى الاندلس مع أن فتحها بالاتفاق انما كان زمان الوليد وانما ذكرت هذا للتنبيه عليه لا غير والله أعلم (قال ابن سعيد) وميزان وصف الاندلس أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار فاكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة فمتى سافرت من مدينة الى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع والصحارى فيها معدومة ومما اختصت به أن قراها في نهاية من الجمال لتصنع أهلها في أوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون عنها فهي كما قال الوزير ابن الحمارة فيها

لاحت قراها بين خضرة أيكها * كالدر بين زبرجد مكنون

ولقد تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التي تكدر العين بسوادها ويضيق الصدر بضيق أوضاعها وفي الاندلس جهات تقرب فيها المدينة العظيمة المصرة من مثلها والمثال في ذلك انك اذا توجهت من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر مدينة شريش وهي

هلك هذا الملك اختلفت الهند في آرائها فتحزبت الاحزاب وتحيلت الاجيال وانفرد كل رئيس بناحية فملك على أرض السند ملك وملك على أرض القنوج ملك وتملك على أرض قشمير ملك وتملك على مدينة المانكير وهي الحوزة الكبرى ملك يسمى بالبلهرا وهذا أول ملك سمي من ملوكهم بالبلهرا فصارت سمة لمن أدرك من الملوك لهذه الحوزة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وأرض الهند أرض واسعة في البر والبحر والجبال وملكهم متصل بملك الزابج وهي دار مملكة المهراج ملك الجزائر وهذه المملكة فاصلة بين مملكة الهند والصين وتضاف الى الهند والهند متصلة مما يلي الجبال بأرض خراسان والسند الى أرض التبت وبين هذه الممالك تباين وحروب ولغاتهم مختلفة وآراؤهم غير متفقة والاكثر منهم يقول بالتناسخ وتنقل الارواح على حسب ما قدمناه آنفا واعتنى عقولهم وسياساتهم وحكمهم وألوانهم وصفاتهم وصحة أمزجتهم وصفاء أذهانهم ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان من الزنج والدادم وسائر الاجناس وقد ذكر جالينوس في الاسود عشر خصال اجتمعت

في نهاية من الحضارة والنضارة ثم يليها الجزيرة الخضراء كذلك ثم مالقة وهذا كثير في الاندلس ولهذا كثرت مدنها وأكثرها مسوّر من أجل الاستعداد للعدو فحصل لها بذلك التشييد والتحصين وفي حصونها ما بقي في محاربة العدو ما ينيف على عشرين سنة لامتناع معاقلها ودربة أهلها على الحرب واعتيادهم مجاورة العدو بالطعن والضرب وكثرة ما تحرزه العلة في مطاميرها فمنها ما يطول صبره عليها نحو من مائة سنة قال ابن سعيد ولذلك أدامها الله تعالى من وقت الفتح الى الآن وان كان العدو قد نقصها من أطرافها وشارك في أوساطها ففي البقية منعة عظيمة فأرض بقي فيها مثل أشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وما ينضاف الى هذه الحواضر العظيمة المنصرة الرجاء فيها قوي بحول الله وقوته انتهى قلت قد خاب ذلك الرجاء وصارت تلك الأرجاء للكفر معرجا ونسأل الله تعالى الذي جعل لأهم فرجا وللضيق مخرجا أن يعيد اليها كلمة الاسلام حتى يستنشق أهله منه فيها أرجا آمين (ومن غرائب الاندلس) البيلتان اللتان بطليطلة صنعهما عبد الرحمن لما سمع بخبر الطلسم الذي بمدينة أرين من أرض الهند وقد ذكره المسعودي وانه يدور بأصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس فصنع هو هاتين البيلتين خارج طليطلة في بيت مجوّف في جوف النهر الأعظم في الموضع المعروف بباب الدباغين ومن عجبهما أنهما تمتلئان وتنحسران مع زيادة القمر ونقصانه وذلك أن أوّل استهلال الهلال يخرج فيهما يسير ماء فاذا أصبح كان فيهما سبعهما من الماء فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة أيام وسبع ليال فيكون فيهما نصفهما ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر فاذا كان في ليلة خمسة عشر وأخذ القمر في النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء واذا تكلف أحد حين ينقصان أن يملأهما وجلب لهما الماء ابتلعتا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما الا ما كان فيهما في تلك الساعة وكذا لو تكلف عند امتلائهما افراغهما ولم يبق منهما شيأ ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملؤهما في الحين وهما أعجب من طلسم الهند لان ذلك في نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار وهاتان ليستا في مكان الاعتدال ولم تزالا في بيت واحد حتى ملك النصارى دمرهم الله طليطلة فأراد ألفنش أن يعلم حركاتهما فأمر أن تقلع الواحدة منهما لينظر من أين يأتي اليها الماء وكيف الحركة فيهما فقلعت فبطلت حركتهما وذلك سنة ٥٢٨ وقيل ان سبب فسادهما حنين اليهودي الذي جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة في يوم واحد وذلك سنة ٥٢٧ وهو الذي أعلم الفنش ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها فأراد أن يكشف حركة البيلتين فقال له أيها الملك أنا أقلعهما وأردهما أحسن مما كانتا وذلك أني أجعلهما تمتلئان بالنهار وتنحسران في الليل فلما قلعت لم يقدر على ردها وقيل انه قلع واحدة ليسرق منها الصنعة فبطلت ولم تزل الاخرى تعطي حركتها والله أعلم بحقيقة الحال (وقال بعضهم) في اشبيلية انها قاعدة بلاد الاندلس وحاضرتها ومدينة الادب واللهو والطرب وهي على ضفة النهر الكبير عظيمة الشان طيبة المكان لها البر المديد والبحر

فيه ولم توجد في غيره تفلفل الشعر ٩٦ وخفة الحاجبين وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحديد الاسنان ونتن الجلد وسواد الحدق وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب قال جالينوس وانما غلب على الاسود الطرب لفساد دماغه فضعف لذلك عقله وقد ذكر جالينوس في طرب السودان وغلبة الفرح عليهم وما خص به الزنج دون غيرهم من السودان في الاكثر من الطرب امورا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ولقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة الزنجي ويقول انه عبد مشوه الخلقة وبلغنا أن أبا العباس الراضي بالله بن المقتدر بالله كان لا يتناول شيأ من اسود ويقول انه عبد مشوه خلقه فلست أدري اتبع طاوسا في مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتابا في فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان والهند لا تملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنة ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم الا في كل برهة من الزمان معلومة ويكون ظهورها في أمور الرعية لان في نظر العوام عندهم الى ملوكهم خرقا لهيبتها واستخفافا بحقها والرياسات عند هؤلاء لا تجوز الا بالخبر ووضع الاشياء مواضعها من مراتب السياسة (قال المسعودي) ورأيت في بلاد سرنديب

الساكن

الساكن والوادى العظيم وهى قريبة من البحر المحيط الى أن قال ولو لم يكن لها من الشرف الا موضع الشرف المقابل لها المطل عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتد فراسخ فى فراسخ لكفى وبها منارة فى جامعها بناها يعقوب المنصور ليس فى بلاد الاسلام أعظم بناء منها وعسل الشرف يبقى حينا لا يترمل ولا يتبدل وكذلك الزيت والتين وقال ابن معلى ان اشبيلية عروس بلاد الاندلس لان تاجها الشرف وفى عنقها سمط النهر الاعظم وليس فى الارض أتم حسنا من هذا النهر يضاهى دجلة والفرات والنيل تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار وتغريد الاطيار أربعة وعشرين ميلا ويتعاطى الناس السرح من جانبيه عشرة فراسخ فى عمارة متصلة ومنارات مرتفعة وأبراج مشيدة وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى وبالجملة فهى قد حازت البر والبحر والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس وقصب السكر ويجمع منها القرمز الذى هو أجل من اللك الهندى وزيتونها يخزن تحت الارض أكثر من ثلاثين سنة ثم يعتصر فيخرج منه أكثر مما يخرج منه وهو طرى انتهى ملخصا ✱ ولما ذكر ابن اليسع الاندلس قال لا يتزود فيها أحد ما حيث سلك لكثرة أنهارها وعيونها وربما لقى المسافر فيها فى اليوم الواحد أربع مدائن ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى وهى بطاح خضر وقصور بيض قال ابن سعيد وأنا أقول كلاما فيه كفاية منذ خرجت من جزيرة الاندلس وطفت فى بر العدوة ورأيت مدنها العظيمة كمراكش وفاس وسلا وسبتة ثم طفت فى أفريقية وما جاورها من المغرب الاوسط فرأيت بجاية وتونس ثم دخلت الديار المصرية فرأيت الاسكندرية والقاهرة والفسطاط ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبا وما بينهما لم أر ما يشبه رونق الاندلس فى مياهها وأشجارها الا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام وفى حماة مسحة أندلسية ولم أر ما يشبهها فى حسن المبانى والتشييد والتنجيم الا ما شيد بمراكش فى دولة بنى عبد المؤمن وبعض اماكن فى تونس وان كان الغالب على تونس البناء بالحجارة كالاسكندرية ولكن الاسكندرية أفسح شوارع وأبسط وأبدع ومبانى حلب داخلة فيما يستحسن لانها من حجارة صلبة وفى وضعها وترتيبها اتقان انتهى ومن احسن ما جاء من النظم فى الاندلس قول ابن سفر المرينى والاحسان له عادة

في أرض أندلس تلتذ نعماء ✱ ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس فى غيرها بالعيش منتفع ✱ ولا تقوم بحق الانس صهباء
وأين يعدل عن أرض تحض بها ✱ على المدامة أمواه وأفياء
وكيف لا يبهج الابصار رؤيتها ✱ وكل روض بها فى الوشى صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتها ✱ والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به ✱ من لا يرق وتبدو منه أهواء
ليس النسيم الذى يهفو بها سحرا ✱ ولا انتثار لآلى الطل أنداء
وانما أرج الند استثار بها ✱ فى ماء ورد فطابت منه أرجاء
وأين يبلغ منها ما أصنفه ✱ وكيف يحوى الذى حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض حين بدت ✱ فريدة وتولى ميزها الماء

وهى جزيرة من جزائر البحران الملك من ملوكهم اذا مات صير على عجلة قريبة من الارض صغيرة البكرة معدة لهذا المعنى وشعره يجر على الارض وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادى أيها الناس هذا ملككم بالامس قد صار فيكم حكمه وقد صار الى ما ترون من ترك الدنيا وقبض روحه ملك الموت والحى القديم الذى لا يموت فلا تغتروا بالحياة بعده وتقول كلاما هذا معناه من الترهيب والتزهيد فى هذا العالم ويطاف به شوارع المدينة ثم يفصل أربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب فيحرق بالنار ويذر رماده فى الرياح وكذلك فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم لغرض يذكرونه ونهج يتيممونه فى المستقبل من الزمان والملك مقصور فى اهل بيت لا ينتقل عنهم الى غيرهم وكذلك بيت الوزارة والقضاة وسائر أهل المراتب لا تغير ولا تبدل والهند تمتنع من شرب الشراب ويعنفون شاربه لا على طريق التدين ولكن تنزها أن يوردوا على عقولهم ما يغشيها ويزيلها عما وضعت له فيهم واذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحق الخلع عن ملكه اذ كان لا يتأتى التدبير والسياسة مع الاختلاط وربما يسقون الجوارى فيطربن بحضرتهم فتطرب الرجال لطرب الجوارى

دارت عليها نطاقا أبحر خفقت * وجدا بها اذ تبدت وهي حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب * والطير يشدو وللاغصان اصغاء
فيها خلعت عذارى ما بها عوض * فهي الرياض وكل الارض صحراء

ولله در ابن خفاجة حيث يقول

ان للجنة بالاندلس * مجتلى م أى و ر يانقس
فسنى صبحتها من شنب * ودجى ظلمتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا * صحت واشوقي الى الاندلس

وقد تقدمت هذه الابيات قال ابن سعيد قال ابن خفاجة هذه الابيات وهو بالمغرب الاقصى في بر العدوة ومنزله في شرق الاندلس بجزيرة شقر وقال ابن سعيد في المغرب ما نصه قواعد من كتاب الشهب الثاقبة في الانصاف بين المشارقة والمغاربة اول ما تقدم الكلام على قاعدة السلطنة بالاندلس فنقول انها مع ما بأيدي عباد الصليب منها أعظم سلطنة كثرت ممالكها وتشعبت في وجوه الاستظهار للسلطان اعانتها وندع كلامنا في هذا الشأن وننقل ما قاله ابن حوقل النصيبي في كتابه لما دخلها في مدة خلافة بني مر وان بها في المائة الرابعة وذلك انه لما وصفها قال وأما جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة طولها دون الشهر في عرض نـيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الاحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر الى أسباب التملك الفاشية فيها ولما هي به من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته يملك ذلك منهم مهينهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤنتهم وصلاح معاشهم وبلادهم ثم أخذ في عظم سلطانها ووصف وفور جباياته وعظم مرافقه وقال في أثناء ذلك ومما يدل بالقليل منه على كثيره ان سكة دار ضربه على الدراهم والدنانير دخلها في كل سنة مائتا ألف دينار وصرف الدينار سبعة عشر درهما هذا الى صدقات البلد وجباياته وخراجاته وأعشاره وضماناته والاموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة وغير ذلك وذكر ابن بشكوال ان جباية الاندلس بلغت في مدة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف وثمانين ألفا من السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار ثم قال ابن حوقل ومن أعجب ما في هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الانجاد والابطال مع علم أمير المؤمنين بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها قال علي بن سعيد مكمل هذا الكتاب لم أر بدا من اثبات هذا الفصل وان كان على أهل بلدي فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفى ولسان الحال في الرد أنطق من لسان البلاغة وليت شعري اذ سلب أهل هذه الجزيرة العقول والآراء والهمم والشجاعة فمن الذين دبروها بآرائهم وعقولهم مع مراصدة أعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ومن الذين حموها بسالتهم من الامم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثة أشهر على كلمة واحدة في نصرة الصليب واني لأعجب منه اذ كان في زمان قد دلفت فيه عباد الصليب الى الشام والجزيرة وعاثوا كل العيث في بلاد الاسلام حيث

وللهند سياسات كثيرة قد أتينا على ذكر كثير منها ومن أخبارهم وسيرهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا البلهرا صاحب مدينة المانكير وأكثر ملوك الهند تتوجه في صلواتها نحوه وتصلي لرسله اذا وردوا عليهم وتلي مملكة البلهرا ممالك كثيرة للهند منهم ملوك في الجبال لا بحر لهم مثل الراي صاحب القسمين وملك الطاقى وغير ذلك من ملوكهم أعني ملوك الهند ومنهم من مملكه بر وبحر فأما البلهرا فان بين دار مملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخا سندية والفرسخ ثمانية أميال وله جيوش وفيلة لا يدرى كثرتها وأكثر جيوشه رجالة لان دار مملكه بين الجبال ويساويه من ملوك الهند من لا بحر له بؤورة صاحب مدينة القنوج وهذا الاسم تفسيره الذي على الشمال والجنوب والصبا والدبور لانه في كل وجه من هذه الوجوه يلقى ملكا محاذيا له وسنذكر جملا من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الارض فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وغير ذلك وان كنا قد اسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا والله تعالى أعلم

الجمهور

الجمهور والقبة العظمى حتى انهم دخلوا مدينة حلب وما أدراك وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة الى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التواريخ ومن أعظم ذلك وأشده انهم كانوا يتغلبون على الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بسائط بلادهم فيسبون ويأسرون فلا تجتمع همم الملوك المجاورة على حسم الداء في ذلك وقد يستعين به بعضهم على بعض فيتمكن من ذلك الداء الذي لا يطب وقد كانت جزيرة الاندلس في ذلك الزمان بالضد من البلاد التي ترك وراء ظهره وذلك موجود في تاريخ ابن حيان وغيره وانما كانت الفتنة بعد ذلك الاعلام بينة والطريق واضح فلنرجع الى ما نحن بسبيله كانت سلطنة الاندلس في صدر الفتح على ما تقدم من اختلاف الولاة عليها من سلاطين أفريقية واختلاف الولاة داع الى الاضطراب وعدم تأثل الاحوال وترتيب الفخامة في الدولة ولما صارت الاندلس لبني أمية وتوارثوا ممالكها وانقاد اليهم كل أبي فيها وأطاعهم كل عصي عظمت الدولة بالاندلس وكبرت الهمم وترتبت الاحوال وترتبت القواعد وكانوا صدرا من دولتهم يخطبون لانفسهم بأبناء الخلائف ثم خطبوا لانفسهم بالخلافة وملكوا من بر العدوة ما تخمت به دولتهم وكانت قواعدهم اظهار الهيبة وتمكين الناموس من قلوب العالم ومراعاة أحوال الشرع في كل الامور وتعظيم العلماء والعمل بأقوالهم واحضارهم في مجالسهم واستشارتهم ولهم حكايات في تاريخ ابن حيان منها ما هو مذكور من توجه الحكم على خليفتهم أو على ابنه أو أحد حاشيته المختصين وانهم كانوا في نهاية من الانقياد الى الحق لهم أو عليهم وبذلك انضبط لهم أمر الجزيرة ولما خرقوا هذا الناموس كان اول ما تهتك أمرهم ثم اضمحل وكانت ألقاب الاول منهم الامراء أبناء الخلائف ثم الخلفاء أمراء المؤمنين الى أن وقعت الفتنة بحسد بعضهم لبعض وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذي رتبت عليه فاستبدت ملوك الممالك الاندلسية ببلادها وسموا بملوك الطوائف وكان فيهم من خطب للخلفاء المروانيين وان لم يبق لهم خلافة ومنهم من خطب للخلفاء العباسيين المجمع على امامتهم وصار ملوك الطوائف يتباهون في أحوال الملك حتى في الالقاب فآل أمرهم الى أن تلقبوا بنعوت الخلفاء وترفعوا الى طبقات السلطنة العظمى وذلك مما في جزيرتهم من أسباب الترفه والفخامة التي تتوزع على ملوك شتى فتكفيهم وتنهض بهم للمباهاة ولاجل توثبهم على النعوت العباسية قال ابن رشيق القيرواني

مما يزهدني في أرض اندلس * تلقيب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها * كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

وكان عباد بن محمد بن عباد قد تلقب بالمعتضد واقتفى سيرة المعتضد العباسي أمير المؤمنين وتلقب ابنه محمد بن عباد بالمعتمد وكانت لبني عباد مملكة اشبيلية ثم انضاف اليها غيرها وكان خلفاء بني أمية يظهرون للناس في الاحيان على أبهة الخلافة وقانونهم في ذلك معروف الى أن كانت الفتنة فازدرت العيون ذلك الناموس واستخفت به وقد كان بنو حمود من ولد ادريس العلوي الذين توثبوا على الخلافة في أثناء الدولة المروانية بالاندلس يتعاظمون ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس وكانوا اذا حضرهم منشد لمدح أو من

قسمت الحكماء الارض الى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب وقسموا ذلك الى قسمين مسكون وغير مسكون وعامر وغير عامر وذكروا ان الارض مستديرة ومركزها في وسط الفلك والهواء محيط بها من كل الجهات وانها عند ذلك البروج بمنزلة النقطة وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات في بحر أوقيانوس الغربي وهي ستة اجزاء عامرة الى اقصى عمران الصين فوجدوا ذلك اثني عشر فعلموا ان الشمس اذا غابت في اقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التي في بحر أوقيانوس الغربي واذا غابت في هذه الجزائر كان طلوعها في اقصى الصين وذلك نصف دائرة الارض وهو طول العمران الذي ذكروا انهم وقفوا عليه ومقداره من الاميال ثلاثة عشر ألف ميل وخمسمائة ميل من الاميال التي عملوا عليها في مساحة دور الارض ثم نظروا الى العروض فوجدوا العمران مما وضع خط الاستواء عليه من الارض الى ناحية الشمال تنتهي الى جزيرة تولي التي في برطانية حيث يكون طول النهار الاطول عشرين ساعة وذكروا أن موضع خط الاستواء من الارض يقطع فيما بين

يحتاج الى الكلام بين أيديهم يتكلم من وراء حجاب والحاجب واقف عند الستر يجاوب عما يقول له الخليفة ولما حضر ابن مقانا الاشبوني أمام حاجب ادريس بن يحيى الحمودي الذي خطب له بالخلافة في مالقة وأنشده قصيدته المشهورة النونية التي منها قوله

وكأن الشمس لما أشرقت * فانثنت عنها عيون الناظرين
وجه ادريس بن يحيى بن علي بن حمود أمير المؤمنين

وبلغ فيها الى قوله

انظرونا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

رفع الخليفة الستر بنفسه وقال انظر كيف شئت وانبسط مع الشاعر وأحسن اليه ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة وكثير من العامة ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد وكان أكثرهم يحاضر العلماء والادباء ويحب أن يظهر عنه ذلك عند مباديه في الرياسة ومذ وقعت الفتنة بالاندلس اعتاد أهل الممالك المتفرقة الاستبداد عن امام الجماعة وصار في كل جهة مملكة مستقلة يتوارث أعيانها الرياسة كما يتوارث ملوكها الملك ومن نزاع الى ذلك فصعب ضبطهم الى نظام واحد وتمكن العدو منهم بالتفرق وعداوة بعضهم لبعض بتهييج المنافسة والطمع الى أن انقادوا الى عبد المؤمن وبنيه وتلك القواعد في رؤسهم كامنة والثوار في المعاقل تثور وتروم الكرة الى أن ثار ابن هود وتلقب بالمتوكل ووجد القلوب منحرفة عن دولة بر العدوة مهيأة للاستبداد فملكها بأيسر محاولة مع الجهل المفرط وضعف الرأي وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة يمشي في الاسواق ويضحك في وجوههم ويبادرهم بالسؤال وجاء الناس منه ما لم يعتادوه من سلطان فأعجب ذلك سفهاء الناس وعامتهم العمياء وكان كما قيل

أمور يضحك السفهاء منها * ويبكي من عواقبها الحليم

فآل ذلك الى تلف القواعد العظيمة وملك الامصار الجليلة وخروجها من يد الاسلام والضابط فيما يقال في شأن أهل الاندلس في السلطان أنهم اذا وجدوا فارسا يبرع الفرسان أو جوادا يبرع الاجواد تهافتوا في نصرته ونصبوه ملكا من غير تدبير في عاقبة الامر الام يؤل وبعد أن يكون الملك في مملكة قد تورثت وتدوولت ويكون في تلك المملكة قائد من قوادها قد شهرت عنه وقائع في العدو وظهر منه كرم نفس للاجناد ومراعاة قدموه ملكا في حصن من الحصون ورفضوا عيالهم وأولادهم ان كان لهم ذلك بكرسي الملك ولم يزالوا في جهاد وتلاف أنفس حتى يظفر صاحبهم بطلبته وأهل المشرق أصوب رأيا منهم في مراعاة نظام الملك والمحافظة على نصابه لئلا يدخل الخلل الذي يقضي باختلال القواعد وفساد الترتيب وحل الاوضاع ونحن نمثل في ذلك بما شاهدناه لما كانت هذه الفتنة الاخيرة بالاندلس تمخضت عن رجل من حصن يقال له أرجونة ويعرف الرجل بابن الاحمر كان يكثر مغاورة العدو من حصنه وظهرت له مخايل وشواهد على الشجاعة الى أن طار اسمه في الاندلس وآل ذلك الى أن قدمه أهل حصنه على أنفسهم ثم نهض فملك قرطبة العظمى وملك اشبيلية وقتل ملكها الباجي وملك جيان أحصن بلد بالاندلس وأجله قدرا

المشرق والمغرب في جزيرة الهند والحبش من ناحية الجنوب فعرض ما بين الشمال والجنوب في النصف مما بين الجزائر العامرة واقصى عمران الصين وهو قبة الارض المعروفة بما ذكرنا ويكون العرض من خط الاستواء الى جزيرة تولي قريبا من ستين جزأ وذلك سدس دائرة الارض واذا ضرب هذا السدس الذي هو مقدار العرض في النصف الذي هو مقدار الطول كان مقدار ما ظهر من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة القمر وأما الاقاليم السبعة فاولها أرض بابل منه خراسان وفارس والاهواز والموصل وأرض الجبال له من البروج الحمل والقوس ومن الانجم السبعة المشترى والاقليم الثاني الهند والسند والسودان له من البروج الجدي ومن الانجم السبعة زحل والاقليم الثالث مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينهما له من البروج العقرب ومن الانجم السبعة الزهرة وهي سعد الفلك والاقليم الرابع مصر وأفريقية والبربر والاندلس وما بينهما له من البروج الجوزاء ومن الانجم السبعة عطارد والاقليم الخامس الشام والروم والجزيرة له من البروج الدلو ومن الانجم السبعة القمر والاقليم السادس الترك والخزر والديلم والصقالبة

في

في الامتناع وملك غرناطة وما القه وسموه بامير المسلمين وهو الآن المشار اليه بالاندلس والمعتمد عليه * وأمّا قاعدة الوزارة بالاندلس فانها كانت في مدة بني أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشاورة ويخصهم بالمجالسة ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب وكانت هذه المراتب لضبطها عندهم كالمتوارثة في البيوت المعلومة لذلك الى أن كانت ملوك الطوائف فكان الملك منهم لعظم اسم الحاجب في الدولة المروانية وأنه كان نائبا عن خليفتهم يسمي بالحاجب و يرى أن هذه السمة أعظم ما تنوفس فيه وظفر به وهي موجودة في أمداح شعرائهم و تواريخهم وصار اسم الوزارة عاما لكل من يجالس الملوك و يختص بهم وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بذي الوزارتين وأكثر ما يكون فاضلا في علم الادب وقد لا يكون كذلك بل عالما بأمور الملك خاصة * وأما الكتابة فهي على ضربين أعلاهما كاتب الرسائل والاحظ في القلوب والعيون عند أهل الاندلس وأشرف أسمائه الكاتب و بهذه السمة يخصه من يعظمه في رسالة وأهل الاندلس كثيروا الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة فان كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الالسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه والكاتب الآخر كاتب الزمام هكذا يعرفون كاتب الجهبذة ولا يكون بالاندلس و بر العدوة لا نصرانيا ولا يهوديا البتة اذ هذا الشغل نبيه يحتاج الى صاحبه عظماء الناس ووجوههم وصاحب الاشغال الخراجية في الاندلس أعظم من الوزير وأكثر أتباعا وأصحابا واجدى منفعة فاليه تميل الاعناق ونحوه تمد الاكف والاعمال مضبوطة بالشهود والنظار ومع هذا ان تأثلت حاله واغتر بكثرة البناء والاكتساب نكب وصودر وهذا راجع الى تقلب الاحوال وكيفية السلطان * وأما خطة القضاء بالاندلس فهي اعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بامور الدين وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي هذا وصفها في زمان بني أمية ومن سلك مسلكهم ولا سبيل أن يتسم بهذه السمة الا من هو وال للحكم الشرعي في مدينة جليلة وان كانت صغيرة فلا يطلق على حاكمها الا مسدد خاصة وقاضي القضاة يقال له قاضي القضاة وقاضي الجماعة * و أما خطة الشرطة بالاندلس فانها مضبوطة الى الآن معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبها في ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل واذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتل لمن وجب عليه دون استئذان السلطان وذلك قليل ولا يكون الا في حضرة السلطان الاعظم وهو الذي يحد على الزنا وشرب الخمر وكثير من الامور الشرعية راجع اليه قد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضي وكانت خطة القاضي او قر واتي عندهم من ذلك * واما خطة الاحتساب فانها عندهم موضوعة في اهل العلم والفطن وكأن صاحبها قاض والعادة فيه ان يمشي بنفسه راكبا على الاسواق واعوانه معه وميزانه الذي يزن به الخبز في يد احد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم وكذلك للثمن وفي ذلك من المصلحة ان يرسل المبتاع الصبي الصغير او الجارية الرعناء فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق في معرفة الاوزان

له من البروج السرطان ومن الانجم السبعة المريخ والاقليم السابع الدبيل والصين له من البروج الميزان ومن الانجم السبعة الشمس ذكر يونس المنجم صاحب كتاب الزيج في النجوم من خالد بن عبد الله المروزي وغيره وقد كانوا رصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون في برية سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ستة وخمسون ميلا فصير بواسطة مقدار درجة واحدة في ثلثمائة وستين ذو جدوا دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين ألف ميل ومائة وستين ميلا ثم نشر بوا دور الارض في سبعة فاجتمع مائة ألف ميل وأحد وأربعون ألف ميل ومائة وعشرون ميلا ثم قسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذي هو مقدار قطر الارض ستة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلا ونصف عشر بالتقريب ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة اميال وست عشرة دقيقة وثلثا ثانية يكون ربع ميل وربع عشر ميل والميل أربع آلاف ذراع بالاسود وهي الذراع التي وضعها امير المؤمنين المأمون للثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل والذراع مائة وعشرون أصبعا (قال المسعودي) وقد ذكر بطليموس في الكتاب المعروف بجغرافيا

وكذلك اللحم يكون عليه ورقة بسعره ولا يجسر الجزار ان يبيع باكثر او دون ما حد له المحتسب في ورقته ولا يكاد يخفى خيانته فان المحتسب يدس عليه صبيا او جارية يبتاع احدهما منه ثم يختبر الوزن المحتسب فان وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل عما يلقى وان كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الاسواق نفي من البلد ولهم في اوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه لانها عندهم تدخل في جميع المباعات وتتفرع الى ما يطول ذكره ❊ واما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب أصحاب الارباع في المشرق فانهم يعرفون في الاندلس بالدرابين لان بلاد الاندلس لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة ولكل زقاق بائت فيه له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معد وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم واعيائهم في أمور التلصص الى ان يظهروا على المباني المشيدة ويفتحوا الاغلاق الصعبة ويقتلوا صاحب الدار خوف ان يقر عليهم أو يطالبهم بعد ذلك ولا تكاد في الاندلس تخلو من سماع دار فلان دخلت البارحة وفلان ذبحه اللصوص على فراشه وهذا يرجع التكثير منه والتقليل الى شدة الوالي ولينه ومع افراطه في الشدة وكون سيفه يقطر دما فان ذلك لا يعدم وقد آل الحال عندهم الى ان قتلوا على عنقود سرقه شخص من كرم وما اشبه ذلك ولم ينته اللصوص ❊ واما قواعد أهل الاندلس في دياناتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر الى السلاطين ولكن الاغلب عندهم اقامة الحدود وانكار التهاون بتعطيلها وقيام العامة في ذلك وانكاره ان تهاون فيه أصحاب السلطان وقد يلج السلطان في شئ من ذلك ولا ينكره فيدخلون عليه قصره المشيد ولا يعبؤن بخيله ورجله حتى يخرجوه من بلدهم وهذا كثير في اخبارهم وأما الرجم بالحجر للقضاة والولاة للاعمال اذا لم يعدلوا فكل يوم ❊ وأما طريقة الفقراء على مذهب اهل الشرق في الدورة التي تكسل عن الكد وتخرج الوجوه للطلب في الاسواق فمستقبحة عندهم الى النهاية واذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضلا عن ان يتصدقوا عليه فلا تجد بالاندلس سائلا الا ان يكون صاحب عذر ❊ واما حال اهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم احرص الناس على التمييز فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ويربأ بنفسه ان يرى فارغا عالة على الناس لان هذا عندهم في نهاية القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار اليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك ومع هذا فليس لأهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤن جميع العلوم في المساجد بأجرة فهم يقرؤن لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم اطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه انفاسه فان زل في شبهة رجموه بالحجارة او حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة وكثيرا ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت

العمرة وان عددها أربعة آلاف وخمسمائة وثلاثون مدينة في عصره وسماها مدينة مدينة في اسم اقليم وذكر في هذا ساتا الوان جبال الدنيا من الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك من الالوان وان عددها مائتا جبل ونيف وذكر مقدارها وما فيها من المعادن والجواهر وذكر الفيلسوف هذا ان عدد البحار المحيطة بالارض خمسة ابحر وذكر ما فيها من الجزائر والعامر منها وغير العامر وما شهر من الجزائر دون ما لم يشتهر وذكر ان في البحر الحبشي جزائر متصلة نحو من ألف جزيرة يقال لها الدبيجات عامرة كلها وذكر بطليموس في جغرافيا ان ابتداء بحر مصر من الروم الى بحر الاصنام النحاس وان جميع العيون الكبار التي تنبع من الارض مائتا عين وثلاثون عينا دون ما عداها من الصغار وان عدد الانهار الكبار الجارية في الاقاليم سبعة على حسب ما قدمناه في عدة الاقاليم وكل اقليم سعته تسعمائة فرسخ في مثلها وفي البحار ما هو معمور بالحيوان ومنها ما ليس بمعمور وهو أوقيانوس البحر المحيط وسنأتي فيما يرد من هذا الكتاب على ذكر جمل في تفصيل وبذلك

و بذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه وان كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن على ماذكره الحجاري والله اعلم وقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم الامذهب مالك وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم وسمة الفقيه عندهم جليلة حتى ان المسلمين كانوا يسمون الامير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لانها عندهم ارفع السمات * وعلم الاصول عندهم متوسط الحال والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة حتى انهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه لا يزداد مع هرم الزمان الاجدة وهم كثير والبحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ولاسالم من الازدراء مع ان كلام اهل الاندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه اوضاع العربية حتى لو ان شخصا من العرب سمع كلام الشلوبيني أبي علي المشار اليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرئ درسه لضحك بل خفيه من شدة التحريف الذي في لسانه والخاص منهم اذا تكلم بالاعراب واخذ يجري على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ولكن ذلك مراعى عندهم في القراآت والمخاطبات في الرسائل وعلم الادب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم وبه يتقرب من مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل * والشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم وظائف والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ويوقع لهم بالصلات على اقدارهم الا ان هذا الوقت ويغلب الجهل في حين ما ولكن هذا الغالب واذا كان الشخص بالاندلس نحويا اوشاعرا فانه يعظم في نفسه لامحالة ويسخف ويظهر العجب عادة قد جبلوا عليها * واما زي اهل الاندلس فالغالب عليهم ترك العمائم لاسيما في شرق الاندلس فان اهل غربها لاتكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا اليه الا وهو بعمامة وقد تسامحوا بشرقها في ذلك ولقد رأيت عزيز بن خطاب اكبر عالم برسية حضرة السلطان في ذلك الاوان واليه الاشارة وقد خطب له بالملك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس وشيبه قد غلب على سواد شعره واما الاجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمة في شرق منها أو في غرب وابن هود الذي ملك الاندلس في عصرنا رأيته في جميع احواله ببلاد الاندلس وهو دون عمامة وكذلك ابن الاحمر الذي معظم الاندلس الآن في يده وكثيرا ما يتزيا سلاطينهم واجنادهم بزي النصارى المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم واقبيتهم من الاشكرلاط وغيره كاقبيتهم وكذلك اعلامهم وسروجهم * ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس ولا قسي العرب بل يعدون قسي الافرنج للحصار في البلاد او تكون للرجالة عند المصافة للحرب وكثيرا ما تصبر الخيل عليهم أو تمهلهم لان يوترُوها ولا تجد في خواص الاندلس واكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان الا انه لا يضعه على رأسه منهم الا الاشياخ

على صورة الطيلسان ومنها ماهو على صورة الشابورة ومنها مصرانى الشكل ومنها مدور ومنها مثلث الا أن أسماءها في هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها وان قطر الارض الفان ومائة فرسخ تقدير كل فرسخ ستة عشر ألف ذراع والذي يحيط باسفل دائرة النجوم هو فلك القمر فانه ألف فرسخ وخمسة وعشرون ألفا و ثمانمائة وستون فرسخا وان قطر الارض من حد راس الحمل الى الميزان أربعون ألف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ وتقدير هذه الافلاك تسعة فاولها وهو اصغرها واقربها الى الارض للقمر والثاني لعطارد والثالث للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشتري والسابع لزحل والثامن للكواكب الثابتة والتاسع للبروج وهيئة هذه الافلاك هيئة الاكر بعضها في جوف بعض فلك البروج يسمى فلك الكل وبه يكون الليل والنهار لانه يدير الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة دورة واحدة على قطبين ثابتين احدهما مما يلي الشمال وهو قطب بنات نعش والآخر مما يلي الجنوب وهو قطب سهيل وليس للبروج

المعظمون وعدا أثر الصوف كثيرا ما يلبسونها حمرا وخضرا والصفر مخصوصة باليهود ولا سبيل ليهودي أن يتعمم البتة والذؤابة لا يرخيها الا العالم ولا يصرفونها بين الاكتاف انما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى وهذه الاوضاع التي بالمشرق في العمائم لا يعرفها أهل الاندلس وان رأوا في رأس مشرقي داخل الى بلادهم شكلا منها أظهروا التعجب والاستظراف ولا يأخذون أنفسهم بتعليمها لانهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم وكذلك في تفصيل الثياب * وأهل الاندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم وفيهم من لا يكون عنده الا ما يقوته يومه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها * وهم أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل ولهم مروآت على عادة بلادهم لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظائمه ولقد اجتزت مع والدي على قرية من قراها وقد نال منا البرد والمطر أشد النيل فأوينا اليها وكنا على حال ترقب من السلطان وخلو من الرفاهية فنزلنا في بيت شيخ من أهلها من غير معرفة متقدمة فقال لنا ان كان عندكم ما أشتري لكم فحما تسخنون به فاني أمضي في حوائجكم وأجعل عيالي يقومون بشأنكم فأعطيناه ما اشترى به فحما فأضرم نارا فجاء ابن له صغير ليصطلي فضربه فقال له والدي لم ضربته فقال يتعلم استغنام أموال الناس والتحرز للبرد من الصغر ثم لما جاء النوم قال لابنه أعط هذا الشاب كساءك الغليظ يزيدها على ثيابه فدفع كساءه الي ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبي متنبها ويده في الكساء فقلت ذلك لوالدي فقال هذه مروآت أهل الاندلس وهذا احتياطهم أعطاك الكساء ووفى لك على نفسه ثم أفكر في أنك غريب لا يعرف هل أنت ثقة أو لص فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه خوفا من انفصالك بها وهو نائم وعلى هذا الشيء الحقير فقس الشيء الجليل انتهى كلام ابن سعيد في المغرب باختصار يسير ولله دره فانه أبدع في هذا الكتاب ما شاء وقسمه الى أقسام منها كتاب وشي الطرس في حلى جزيرة الاندلس وهو ينقسم الى أربعة كتب الكتاب الاول كتاب حلى العرس في حلى غرب الاندلس الكتاب الثاني كتاب الشفاة اللعس في حلى موسطة الاندلس الكتاب الثالث كتاب الانس في حلى شرق الاندلس الكتاب الرابع كتاب لحظات المريب في ذكر ما حماه من الاندلس عباد الصليب والقسم الثاني كتاب الالحان المسلية في حلى جزيرة صقلية وهو أيضا ذو أنواع والقسم الثالث كتاب العابة الاخيرة في حلى الارض الكبيرة وهو أيضا ذو أقسام وصور رحمه الله تعالى أجزاء الاندلس في كتاب وشي الطرس وقال أيضا ان كلا من شرق الاندلس وغربها ووسطها يقرب في قدر المساحة بعضه من بعض وليس فيها جزء يجاوز طوله عشرة أيام ليصدق التثليث في القسمة وهذا دون ما بقي بأيدي النصارى وقدم رحمه الله كتاب حلى العرس في حلى غرب الاندلس لكون قرطبة قطب الخلافة المروانية واشبيلية التي ما في الاندلس أجمل منها فيه وقسمه الى سبعة كتب كل كتاب منها يحتوي على مملكة منحازة عن الاخرى الكتاب الاول كتاب الحلة المذهبة في حلى مملكة قرطبة الكتاب الثاني كتاب

الذهبية

غير هذا الفلك وانما هي مواضع لقبت بهذه الاسماء لتعرف مواضع الكواكب من الفلك الكلي فيجب أن تكون الفروج تضيق من ناحية القطبين وتتسع وسط الكرة والخط القاطع للكرة نصفين واحد والخط يسمى دائرة معدل النهار لان الشمس اذا دارت عليها استوى الليل والنهار في جميع البلدان فما كان من الفلك آخذا من الجنوب الى الشمال يسمى العرض وما كان آخذا من المشرق الى المغرب يسمى الطول والافلاك مستديرة محيطة بالماء وهي تدور على مركز الارض والارض في وسطها مثل النقطة في وسط الدائرة وهي تسعة أفلاك فأقربها من الارض فلك القمر وفوقه فلك عطارد وفوق ذلك فلك الزهرة ثم فلك الشمس والشمس متوسطة الافلاك السبعة وفوقها فلك المريخ وفوقه فلك المشتري وفوق ذلك فلك زحل وفي كل فلك من هذه الافلاك السبعة كوكب واحد فقط وفوق فلك زحل الفلك الثامن والفلك التاسع وهو أرفع وأعظم جسما وهو الفلك الاعظم محيط بالافلاك التي دونه مما سمينا وبالطبائع الاربع وبجميع الخليقة وليس فيه كوكب ودوره من المشرق الى المغرب في كل يوم دورة واحدة تامة ويدير بدورانه ما تحته من الافلاك المتقدم وصفها وأما الافلاك السبعة التي

الذهبية الاصيلية في حلي المملكة الاشبيلية الكتاب الثالث كتاب خدع المماطلة في حلي مملكة مالقة الكتاب الرابع كتاب الفردوس في حلي مملكة بطليوس الكتاب الخامس كتاب الخلب في حلي مملكة شلب الكتاب السادس كتاب الديباجة في حلي مملكة باجة الكتاب السابع كتاب الرياض المصونة في حلي مملكة أشبونة وتذكر رحمه الله تعالى في كل قسم ما يليق به وصور أجزاءه على ما ينبغي فالله يجازيه خيرا والكلام في الاندلس طويل عريض * وقال بعض المؤرخين طول الاندلس ثلاثون يوما وعرضها تسعة أيام ويشقها أربعون نهرا كبارا وبها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يحصى وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وأزيد من ثلثمائة من المتوسطة وفيها من الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثرة حتى قيل ان عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر ألف قرية وليس في معمور الارض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعا من يومه الا بالاندلس ومن بركتها أن المسافر لا يسافر فيها فرسخين دون ماء أصلا وحيثما سار من الاقطار يجد الحوانيت في الفلوات والصحارى والاودية ورؤس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الاطعمة * وذكر صاحب الجغرافيا ان جزيرة الاندلس مسيرة أربعين يوما طولا في ثمانية عشر يوما عرضا وهو مخالف لما سبق * وقال ابن سيده أخذت الاندلس في عرض الاقليمين الخامس والسادس من البحر الشامي في الجنوب الى البحر المحيط في الشمال وبها من الجبال سبعة وثمانون جبلا انتهى ولبعضهم

لله اندلس وما جمعت بها * من كل ما ضمت لها الاهواء
فكأنما تلك الديار كواكب * وكأنما تلك البقاع سماء
وبكل قطر جدول في جنة * واعت به الافياء والانداء

وقال غيره

في أرض اندلس تلتذ نعماء * ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس في غيرها بالعيش متنفع * ولا تقوم بحق الانس صهباء
واين يعدل عن ارض تحض بها * على الشهادة ازواج وابناء
واين يعدل عن أرض تحث بها * على المدامة امواه وأفياء
وكيف لا تبهج الابصار رؤيتها * وكل ارض بها في الوشي صنعاء
انهارها فضة والمسك تربتها * والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به * من لا يرق وتبدو منه أهواء
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرا * ولا انتثار لآلي الطل أنداء
وانما ارج الند استثار بها * في ماء ورد فطابت منه ارجاء
واين يبلغ منها ما اصنفه * وكيف يحوي الذي حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض ثم بدت * فريدة وتولى ميزها الماء
دارت عليها نطاقا ابحر خفقت * وجدا بها اذ بدت وهي حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب * والطير يشدو وللاغصان اصغاء

قد مناذكرها فانها تدور من المغرب الى المشرق وللاوائل فيما ذكرنا حجج يطول الخطب .. فيها والكواكب المرئية التي نشاهدها وسائر الكواكب في الفلك الثامن وهو يدور على قطبين غير قطبي الفلك الاعظم المتقدم ذكره وزعموا ان الدليل على ان حركة فلك البروج غير حركة الافلاك هو ان البروج الاثني عشر يتلو بعضها بعضا في مسيرها ولا تنتقل عن اماكنها ولا تتغير حركتها في طلوعها وغروبها وان الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ولها تفاوت في حركتها فربما اسرع الكوكب في حركته ومسيره وربما أخذ في الجنوب وربما أخذ في الشمال وحد الفلك عندهم انه نهاية لما تصير اليه الطبائع علوا وسفلا وحده من جهة الطبائع انه شكل مستدير وهو اوسع الاشكال بالاشكال كلها واما مقادير حركة هذه الكواكب في افلاكها فمقام القمر في كل برج يومان ونصف ويقطع الفلك في شهر ومقام الشمس في كل برج شهر ومقام عطارد في كل برج خمسة عشر يوما ومقام المريخ في كل برج خمسة وار بعون يوما ومقام المشتري في كل برج سنة ومقام زحل

ط ل في كل برج ثلاثون شهرا * زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطي ان استدارة الارض كلها جبالها وبحارها اربعة

عشرون الف ميل وان عرضها وهو عرضها وعمقها تسعة آلاف وستمائة وستة وثلاثون ميلا وانهم انما استدركوا

فيها خلعت ... ما شاءها عوض * فهي الرياض وكل الارض صحراء

وقد تقدمت هذه القصيدة قال آخر

حبذا اندلس من بلد * لم تزل تنتج لي كل سرور

طائر شاد وظل وارف * ومياه سائحات وقصور

وقال آخر

يا حسن اندلس وما جمعت لنا * فيها من الاوطار والاوطان

تلك الجزيرة لست انسى حسنها * بتعاقب الاحيان والازمان

نسج الربيع نباتها من سندس * موشية ببدائع الالوان

وغدا النسيم بها عليلا هائما * بربوعها وتلاطم البحران

يا حسنها والطل ينثر فوقها * دررا خلال الورد والريحان

وسواعد الانهار قد مدت الى * ندمائها بشقائق النعمان

وتجاوبت فيها شوادي طيرها * والتفت الاغصان بالاغصان

ما زرتها الا وحياني بها * حدق البهار وأعين السوسان

من بعدها ما اعجبتني بلدة * مع ما حللت به من البلدان

وحكى بعضهم أن بالجامع من مدينة اقليش بلاطا فيه جوائز مشروعة من بقعة مستوية الاطراف طول الجائزة منها مائة شبر واحد عشر شبرا * وفي الاندلس جبل من شرب من مائه كثر عليه الاحتلام من غير ارادة ولا تفكر وفيها غير ذلك مما يطول ذكره والله اعلم ولنمسك العنان في هذا الباب فان بحر الاندلس طويل مديد وربما كررنا الكلام لارتباط بعضه ببعض أو لنقل صاحبه ما روى عنه او لاختلاف ما أو غير ذلك من غرض سديد

(الباب الثاني)

في القاء الاندلس للمسلمين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد ومحط رحل الارتياد والارتياد وما يتبع ذلك من خبر حصل بازدياده ازدياد ونبأ وصل اليه انتهاء وتقرر بمثله اعتياد

اعلم انه لما قضى الله سبحانه بتحقيق قول رسوله صلى الله عليه وسلم زويت لي مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها ودعا الخلاف بين لذريق ملك القوط وبين ملك سبتة لدى على مجاز الزقاق فكان ما يذكر من فتح الاندلس على يد طارق وطريف ومولاهما الامير موسى بن نصير رحمهم الله اجمعين * وذكر الحجاري وابن حيان وغيرهما ان اول من دخل جزيرة الاندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربري مولى موسى بن نصير الذي بعثها الى جزيرة طريف التي على المجاز غزاها بمعونة صاحب سبتة يليان النصراني لذريق صاحب الاندلس وكان في مائة فارس واربعمائة راجل جاز البحر في شهر رمضان سنة احدى وتسعين وانصرف بغنيمة جليلة فعقد موسى التي ما في الا ... بن نصير صاحب المغرب لمولاه طارق بن زياد على الاندلس ووجهه مع يليان صاحب سبتة انتزاعة عن ... في أمر طريف وغيره ما يخالف هذا السياق وهي اقوال * وقال ابن حيان ان الثاني ... اول اسباب

الى يد ... شق التثليث ... في تحقد ... في ارض ربعه ...

لك بأنهم اخذوا ارتفاع القطب الشمالي في مدينة ... ماخذ واحد من خط الاستواء مثل مدينة تدمر التي في البرية بين العراق والشام ومثل مدينة الرقة فوجدوا ارتفاع القطب في مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزأ وثلثا ووجدوا ارتفاع القطب في مدينة تدمر اربعة وثمانين جزأ وثلث جزء ومسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وثلاثين ميلا فالظاهر من الفلك سبعة وستون ميلا من الارض والفلك ثلثمائة وستون جزأ لعلل ذكروها يبعد علينا ايرادها في هذا الموضع وهذه قسمة صحيحة عندهم لانهم وجدوا الفلك قد انقسمت البروج لانها عشرون الشمس تقطع كل برج في شهر وتقطع البروج كلها في ثلثمائة وستين يوما وان الفلك مستدير يدور بمحورين وقطبين وانهما بمنزلة محوري النجار والخراط الذي يخرط الاكرة والقداع وغيرها من الآلات الخشب وان من كان مسكنه وسط الارض بين وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره وسائر الدهور ورأى هذين اعني القطب الشمالي والقطب الجنوبي فاما اهل البلاد التي ملت الى ناحية

الذهبية ... الاندلس

الاندلس كان أن ولى الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير وولى جده عبد العزيز على افريقية وما خلفها سنة ثمان وثمانين خرج في نفر قليل من المطوعة فلما ورد مصر أخرج معه من جندها بعثا وفعل ذلك في افريقية وجعل على مقدمته مولاه طارقا فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مدائنهم حتى بلغ مدينة طنجة وهي قصبة بلادهم وام مدائنهم فحصرها حتى فتحها واسلم اهلها ولم تكن فتحت قبله وقيل بل فتحت ثم استغلقت * وذكر ابن حيان ان الاستصعاب بسبتة على موسى بتدبير صاحبها الداهية الشجاع يليان النصراني وانه في اثناء ذلك وقع بينه وبين لذريق صاحب الاندلس ما سر دما بأبي ذكره * وقال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله وحديث الفتح وما من الله به على الاسلام من المنح واخبارنا افاء الله من الخير على موسى ابن نصير وكتب من جهاد لطارق بن زياد تزل حصاص واوراق وحديث افول واشراق وارعاد وابراق وعض امتشاش وآلة معلقة في دكان فتاش انتهى * وقال في المعرب طارق بن زياد من افريقية * وقال ابن بشكوال انه طارق بن عمرو وفتح جزيرة الاندلس ودوخها واليه ينسب جبل طارق الذي يعرفه العامة بجبل الفتح في قبلة الجزيرة الخضراء ورحل مع سيده بعد فتح الاندلس الى الشام وانقطع خبره انتهى * وقال ايضا ان طارقا كان حسن الكلام ينظم ما يجوز كتبه واما طارق السلطانية فيكفيه ولايته سلطنة الاندلس وما فتح فيها من البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير * ومن تاريخ ابن بشكوال احتل طارق بالجبل المنسوب اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين في اثني عشر الفا غير اثني عشر رجلا من البربر ولم يكن فيهم من العرب الا شئ يسير وانه لما ركب البحر راى وهو نائم النبي صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك ونظر اليه والى اصحابه قد دخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر اصحابه وثابت نفسه ببشراه ولم يشك في الظفر فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شانا للغارة واصاب عجوزا من اهل الجزيرة فقالت له في بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن امير يدخل الى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فأنت كذلك ومنها ان في كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فأنت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة في كتفه على ما ذكر فاستبشر بذلك ومن معه * ومن تاريخ ابن حيان ان المحرض يليان النصراني صاحب سبتة للامر الذي وقع بينه وبين صاحب الاندلس موسى بن نصير على غزو الاندلس جهز لها مولاه طارقا المذكور في سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر في اربع سفن وحط بجبل طارق المنسوب اليه يوم السبت في شعبان سنة ٩٢ ولم تزل المراكب تعود حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل قال ووقع على لذريق صاحب الاندلس الخبر وان يليان السبب فيه وكان يومئذ غازيا في جهة البشكنش فبادر في جموعه وهم نحو مائة الف ذوي عدة وعدد وكتب طارق الى موسى بأنه قد زحف عليه لذريق بما لا طاقة له به وكان عمل من السفن عدة فجهز له فيها خمسة آلاف من المسلمين فكملوا بمن تقدم اثني عشر الفا ومعهم يليان صاحب

الشمال فانهم يرون القطب الشمالي وبنات نعش ولا يرون القطب الجنوبي ولا الكواكب التي هي قريبة منه وكذلك لا يرى الكوكب المعروف بسهيل بناحية خراسان ويرى في العراق السنة اياما ولا تقع عين جمل من الجمال عليه الا هلك على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان وأما البلدان الجنوبية فانه يرى في السنة كلها وقد تنازع طوائف الملكيين وأصحاب النجوم في هذين المحورين اللذين يعتمد عليهما الفلك اساكنان هما أم متحركان وذهب الاكثر منهم الى انهما غير متحركين وقد أتينا على ما يلزم كل فريق منهم في بيان هذين المحورين أمن جنس الافلاك هما أم من غير ذلك فيما سلف من كتبنا وقد تنوزع في شكل البحار فذهب الاكثر من الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكماء اليونانيين الا من خالفهم وذهب الى قول الشرعيين ان البحر مستدير على مواضع من الارض واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة منها اذا لججت فيه غابت عنك الارض والجبال شيأ بعد شئ حتى يغيب ذلك كله ولا ترى شيأ من شوامخ الجبال واذا اقبلت ايت نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيأ بعد شئ وظهرت الاشجار والارض وهذا

سنة في حشد يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار فاقبل نحوهم لذريق ومعه خيار العجم واهل الملك وفرسانها وقلوبهم عليه فلا فوافيما بينهم وقالوا ان هذا الخبيث غلب على سلطاننا وليس من بيت الملك وانما كان من اتباعنا ولسنا نعدم من سيرته خبالا واضطرابا وهؤلاء القوم الذين طرقوا لا حاجة لهم في استيطان بلدنا وانما مرادهم أن يملؤا أيديهم من الغنائم ويخرجوا عنا فهلم فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم فلعلهم يكفوننا امره فاذا هم انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا من يستحقه فاجمعوا على ذلك اه * وقال ابن خلدون بعد ذكره ان القوطيين كان لهم ملك الاندلس وان ملكهم لعهد الفتح يسمى لذريق ما نصه وكانت لهم خطوة وراء البحر في هذه العدوة الجنوبية خطوها من فرضة المجاز بطنجة ومن زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البربر بذلك القطر الذي هو اليوم جبال غمارة يسمى يليان فكان يدين بطاعتهم وبملتهم وموسى بن نصير أمير العرب اذ ذاك عامل على افريقية من قبل الوليد بن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد أغزى لذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الاقصى ودوخ أقطاره وأثخن في جبال طنجة هذه حتى وصل خليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلف مولاه طارق بن زياد الليثي واليا بطنجة وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط لعهده بالاندلس فعلة فعلها زعموا بابنته الناشئة في داره على عادتهم في بنات بطارقتهم فغضب لذلك وأجاز الى لذريق وأخذ ابنته منه ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلهم على عورة فيهم أمكنت طارقا فيها الفرصة فانتهزها لوقته وأجاز البحر سنة ثنتين وتسعين من الهجرة باذن أميره موسى بن نصير في نحو ثلثمائة من العرب واحتشد معهم من البربر زهاء عشرة آلاف فصيرهما عسكرين أحدهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمى جبل طارق به والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسمى به وأداروا الاسوار على انفسهم للتحصن وبلغ الخبر الى لذريق فنهض اليهم يجر أمم الاعاجم واهل ملة النصرانية في زهاء اربعين ألفا وزحفوا اليه فالتقوا بفحص شريش فهزمه الله ونفلهم اموال اهل الكفر ورقابهم وكتب طارق الى موسى بن نصير بالفتح وبالغنائم فحركته الغيرة وكتب الى طارق يتوعده ان توغل بغير اذنه ويأمره ان لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج ومعه حبيب بن منده الفهري ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر ضخم من وجوه العرب الموالي وعرفاء البربر ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الى الاندلس وتلقاه طارق فانقاد واتبع وأتم موسى الفتح وتوغل في الاندلس الى برشلونة في جهة الشرق وأربونة في الجوف وصنم قادس في الغرب ودوخ اقطارها وجمع غنائمها وأجمع ان يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه ودروب الاندلس ويخوض اليه ما بينهما من أمم الاعاجم النصرانية مجاهدا فيهم مستلحما لهم الى ان يلحق بدار الخلافة ونمى الخبر الى الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى ان ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وأسر الى سفيره ان يرجع بالمسلمين ان لم يرجع وكتب له بذلك عهده ففت ذلك في عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد أن أنزل

جبل دباوند بين بلاد الري وطبرستان يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه في الجو ويرتفع في اعاليه الدخان والثلوج مترادفة عليه خالية اعاليه منها ويخرج من اسفله نهر كثير الماء نهر اصفر كبريتي ذهبي اللون مسافة الصعود عليه في نحو ثلاثة أيام بلياليها وان من علاه وصار في قلته وجد مساحة رأس القلة نحو ألف ذراع في مثل ذلك وهي ترى في رأى العين من أسفل نحو القبة المخروطة وان في هذه المساحة في أعاليه رملا تغوص فيه الاقدام أحمر وان هذه القبة لا يلحقها شئ من الوحش ولا من الطير لشدة الرياح وسموها في الهواء وشدة البرد وان في أعاليه نحوا من ثلاثين ثقبا يخرج منها الدخان الكبريتي العظيم ويخرج مع ذلك دوي عظيم كأشد ما يكون من الرعد وذلك صوت تلهب النيران وربما تحمل من غرر بنفسه وصعد الى أعاليه من أفواه هذه الثقوب كبريتا أصفر كأنه الذهب ينتفع به في أنواع الصنعة والكيمياء وغير ذلك من الوجوه وان من علاه يرى ما حوله من الجبال الشامخة كأنها روابي وتلال لعلوه عليها وبين هذا الجبل وبحر طبرستان في المسافة نحو من عشرين فرسخا والمراكب اذا لججت في هذا البحر غاب عنها جبل دباوند ولم يره أحد فاذا صاروا في هذا البحر على

الرابطة والحامية بثغورها واتى ابنه عبد العزيز براسه فاوجه ثغورها وابراهيم بقرطبة فاتخذها دار امارة واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين وارتحل الى المشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على العجل والظهر يقال ان من جملتها ثلاثين ألف رأس من السبي وولى على أفريقية ابنه عبد الله وقدم على سليمان بن عبد الملك فسخطه ونكبه وثار عساكر الاندلس بابنه عبد العزيز باغراء سليمان وقتلوه لسنتين من ولايته وكان خيرا فاضلا وافتتح في ولايته مدائن كثيرة : وولى من بعده أيوب ابن حبيب اللخمي وهو ابن اخت موسى بن نصير وولى عليها ستة اشهر ثم تتابعت ولاة العرب على الاندلس تارة من قبل الخليفة وتارة من قبل عامله بالقيروان وأثخنوا في امم الكفر وافتتحوا برشلونة من جهة المشرق وحصون قشتالة وبسائطها من جهة الجوف وانقرضت امم القوط واوى الجلالقة ومن بقى من أمم العجم الى جبال قشتالة وأربونة وأفواه الدروب فتحصنوا بها وأجاز عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلوا البسائط وراءها وتوغلوا في بلاد الفرنجة وعصفت ريح الاسلام بامم الكفر من كل جهة وربما كان بين جنود الاندلس من العرب اختلاف وتنازع أوجد للعدو بعض الكرة فرجع الافرنج ما كانوا غلبوهم عليه من بلاد برشلونة لعهد ثمانين سنة من لدن فتحها واستمر الامر على ذلك وكان محمد ابن يزيد عامل افريقية لسليمان بن عبد الملك لما بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير بعث الى الاندلس الحر بن عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فقدم الاندلس وعزل أيوب بن حبيب وولى سنتين وثمانية أشهر ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الاندلس السمح بن مالك الخولاني على رأس المائة من الهجرة وأمره أن يخمس أرض الاندلس فخمسها وبنى قنطرة قرطبة واستشهد غازيا بأرض الفرنجة سنة اثنتين ومائة فقدم أهل الاندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الى أن قدم عنبسة بن سحيم الكلبي من قبل يزيد بن أبي مسلم عامل افريقية فقدمها في صفر سنة ثلاث ومائة فاستقام أمر الاندلس وغزا الفرنجة وتوغل في بلادهم واستشهد سنة سبع ومائة لاربع سنين وأربعة أشهر ثم تتابعت ولاة الاندلس من قبل أمراء افريقية فكان أولهم يحيى بن سلمة الكلبي أنفذه بشر بن صفوان الكلبي والى افريقية لما استدعى منه أهل الاندلس واليا بعد مقتل عنبسة فقدمها آخر سنة سبع وأقام في ولايتها سنتين ونصفا ولم يغز وقدم اليها عثمان بن أبي نسعة اللخمي واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي صاحب افريقية وعزله لخمسة أشهر بحذيفة بن الاحوص القيسي فوافاها سنة عشر وعزل قريبا يقال لسنة من ولايته واختلف هل تقدمه عثمان أو هو تقدم عثمان ثم ولى بعده الهيثم بن عبيد الكلابي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن أيضا قدم في المحرم سنة احدى عشرة وغزا أرض مقوشة فافتتحها وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائة لسنتين من ولايته وقدم بعده محمد بن عبد الله الاشجعي فولى شهرين ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من قبل عبيد الله بن الحبحاب صاحب افريقية فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا الافرنجة وكانت له فيهم وقائع وأصيب عسكره في رمضان سنة أربع عشرة في موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة وكانت ولايته سنة وثمانية أشهر ثم ولى عبد الملك بن قطن الفهري وقدم في

نحو من مائة فرسخ ودنوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعالي هذا الجبل وكلما دنوا من ذلك ازداد ظهوره وهذا دليل على ما ذهبوا اليه من كرية الماء والهواء مستدير الشكل وكذلك من يكون في بحر الروم الذي هو بحر الشام يرى الجبل الاقرع وهو جبل لا يدرك علوه مطل على بلاد انطاكية والبلاد فيه وطرابلس وجزيرة قبرس وغيرها من بلاد الروم فيغيب عن ابصارهم في المراكب ولا يخفى عنهم في المسير في البحر الموضع الذي يرى منه وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب جبل دنباوند وما قال الفرس في ذلك وما قال الضحاك ذو الافواه وما من اعاليه بالحديد وعلى النار التي في أعالي هذا الجبل اطم عظيمة من آطام الارض وعجائبها وقد تكلم الناس في بعد الارض فذكر الاكثرون من مركز الارض الى ما ينتهي اليه الهواء والنار مائة ألف وثمانية عشر ألف ميل وأما القمر فان الارض أعظم منه بتسع وثلاثين مرة والارض أعظم من عطارد بثلاث وعشرين ألف مرة والارض أعظم من الزهرة بأربع وعشرين ألف مرة والشمس أعظم من الارض بمائة وسبعين مرة وربع وثمن وأعظم من القمر بألف وستمائة وأربعين مرة والارض كلها نصف عشر عشر من الشمس وثمن

مقتدار سنة أربع عشرة فولي سنتين وقال الواقدي أربع سنين وكان ظلوما جائرا في حكومته
وغزا أرض الفرنج سنة خمس عشرة ومائة فأوقع بهم وغنم ثم عزل في رمضان سنة ست
عشرة وولي عقبة بن الحجاج السلولي من قبل عبيد الله بن الحبحاب فأقام خمس سنين محمود
السيرة مجاهدا مظفرا حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة وصار رباطهم على نهر ردونة ثم وثب عليه
عبد الملك بن قطن الفهري سنة احدى وعشرين فخلعه وقتله ويقال اخرجه من الاندلس
وولي مكانه الى أن دخل بلج بن بشر باهل الشام سنة أربع وعشرين فغلب عليه وولي
الاندلس سنة أو نحوها وقال الرازي ثار أهل الاندلس بأميرهم عقبة في صفر سنة ثلاث
وعشرين في خلافة هشام بن عبد الملك وولوا عليهم عبد الملك بن قطن ولايته الثانية
فكانت ولاية عقبة ستة أعوام وأربعة اشهر وتوفي بقرقشونة في صفر سنة ثلاث وعشرين
واستقام الامر لعبد الملك ثم دخل بلج بن بشر القشيري بجند الشام ناجيا من وقعة كلثوم بن
عياض مع البربر بطنجة فثار على عبد الملك وقتله وهو ابن سبعين سنة واستوسق له الامر بعد
مقتل عبد الملك وانحاز الفهريون الى جانب فامتنعوا عليه وكاشفوه واجتمع اليهم من انكر
فعلته بابن قطن وقام بامرهم قطن وأمية ابنا عبد الملك بن قطن والتقوا فكانت الدائرة على
الفهريين وهلك بلج من الجراح التي نالته في حربهم وذلك سنة اربع وعشرين لسنة أو
نحوها من امارته ثم ولي ثعلبة بن سلامة الجذامي غلب على امارة الاندلس بعد مهلك بلج
واختاره الشاميون فلم يطيعوه وولي سنتين اظهر فيهما العدل ودانت له الاندلس عشرة
اشهر الى ان ثارت العصبية في يمانيته ففسد أمره وهاجت الفتنة وقدم أبو الخطار حسام
ابن ضرار الكلبي من قبل حنظلة بن صفوان عامل افريقية ركب اليها البحر من تونس سنة
خمس وعشرين فدان له أهل الاندلس وأقبل اليه ثعلبة وابن أبي نسعة وابنا عبد الملك
فلقيهم وأحسن اليهم واستقام أمره وكان شجاعا كريما ذا رأي وحزم وكثر أهل الشام عنده
ولم تحملهم قرطبة ففرقهم في البلاد وأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق وأنزل
أهل حمص اشبيلية وسماها حمص واهل قنسرين جيان وسماها قنسرين وأهل الاردن رية
ومالقة وسماهما الاردن واهل فلسطين شذونة وهي شريش وسماها فلسطين واهل مصر
تدمير وسماها مصر وقفل ثعلبة الى المشرق ولحق بمروان بن محمد وحضر حروبه وكان أبو
الخطار أعرابيا عصبيا أفرط عند ولايته في التعصب لقومه من اليمانية وتحامل على المضرية
وأسخط قيسا وأمر في بعض الايام بالصميل بن حاتم كبير القيسية وكان من طوالع بلج وهو
الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن ورأس على المضرية فأقيم من مجلسه وتقنع فقال له
بعض الحجاب وهو خارج من القصر أقم عمامتك يا أبا الجوشن فقال ان كان لي قوم
فسيقيمونها فسار الصميل بن حاتم اميرهم يومئذ وزعيمهم وألب عليه قومه واستعان
بالمنحرفين عنه من اليمانية فخلعوا أبا الخطار سنة ثمان وعشرين لاربع سنين وتسعة اشهر من
ولايته وقدم مكانه ثوابة بن سلامة الجذامي وهاجت الحرب المشهورة وخاطبوا بذلك
عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية فكتب الى ثوابة بعهده على الاندلس مستهل رجب
سنة تسع وعشرين فضبط الاندلس وقام بامره الصميل واجتمع عليه الفريقان وهلك لسنة من

الارض اثنان وأربعون ألف ميل والمشتري مثل الارض وزيادة ثلاث وستين مرة وقطره ثمانية آلاف وسبعمائة ميل
ونصف ميل والمشتري مثل
الارض احدى وثمانين
مرة ونصف وربع ونصف قطره
ثلاثة وثلاثون ألف ميل
وستة عشر ميلا وزحل أعظم
من الارض تسعا وتسعين
مرة ونصفا وقطره اثنان
وثلاثون ألف ميل وسبعمائة
وستة وثلاثون ميلا وأما
اجرام الكواكب الثابتة
التي في القدر الاول وهي
خمسة عشر كوكبا فكل
كوكب منها أعظم من
الارض بربع وتسعين
مرة ونصف مرة وأما بعدها
من الارض فان أقرب بعد
القمر منها ستة آلاف
وثمانية وعشرون ألف
ميل وأبعد بعده من الارض
مائة ألف وأربعة وعشرون
ألف ميل وأبعد بعد
عطارد من الارض سبعمائة
ألف ألف وسبعمائة وثلاثة
وثلاثون ألف ميل وأبعد
بعد الزهرة من الارض
أربعة آلاف ومائة وسبعة
عشر ألف ميل وستمائة
ميل وابعد بعد الشمس
من الارض أربعة آلاف
ألف ألف وثمانمائة ألف
وعشرون ألفا ونصف ميل
وأبعد بعد المريخ من
الارض ثلاثة وثلاثون
ألف ميل وستمائة ميل ونيف
وأبعد بعد المشتري من الارض أربعة وخمسون ألف ألف ومائة ألف وستون ألف ميل الا شيأ وأبعد بعد زحل

ولايته

ولايته ووقع الخلاف بافريقيه وانتقاض امر بني أميه بالمشرق وشغلوا عن قاصية الثغور بكثرة الخوارج وعظم أمر المسودة بقي اهل الاندلس فوضى ونصبوا للاحكام خاصة عبد الرحمن ابن كثير ثم اتفق جند الاندلس على اقتسام الامارة بين المضرية واليمانية وادالتها بين الجندين سنة لكل دولة وقدم المضرية على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة تسع وعشرين واستتم سنة ولايته بقرطبة دار الامارة ثم وفته اليمانية لميعاد دالتهم وثقتهم بمكان عهدهم وتراضيهم . واتفاقهم فبيتهم يوسف بمكان نزولهم من شقندة في قرى قرطبة بما لاه من الصميل بن حاتم والقيسيه وسائر المضرية فاستلحموهم وثار أبو الخطار فقتله الصميل وهزمه وقتله سنة تسع وعشرين واستبد يوسف بما وراء البحر من عدوة الاندلس وغلب اليمنية على أمرهم فاستكانوا لغلبه وتربصوا الدوائر الى أن جاء عبد الرحمن الداخل وكان يوسف ولى الصميل سرقسطة فلما ظهر أمر المسودة بالمشرق ثار الحباب الزهري بالاندلس داعيا لهم وحاصر الصميل بسرقسطة واستمد يوسف فلم يمده رجاء هلاكه لما كان يغص به وأمدته القيسية فأفرج عنه الحباب وفارق الصميل سرقسطة فملكها الحباب وولى يوسف الصميل على طليطلة الى أن كان من عبد الرحمن الداخل ما كان انتهى كلام ولي الدين بن خلدون ببعض اختصار (وقال بعض المؤرخين) ان عبد الله بن مروان أخا عبد الملك كان واليا على مصر وافريقية فبعث اليه ابن أخيه الوليد الخليفة يأمره بارسال موسى بن نصير الى افريقية وذلك سنة ٨٧ للهجرة فامتثل أمره (قلت وقال ابن حيان وقدم الى افريقية وهو موسى بن نصير ولى افريقية والمغرب سنة ٧٧ ...) فبلغه أن بأطراف البلاد من هو خارج عن الطاعة فوجه ولده عبد الله فأتاه بمائة ألف رأس من السبايا ثم ولده مروان الى جهة أخرى فأتاه بمائة ألف رأس : وقال الليث بن سعد بلغ الخمس ستين ألف رأس وقال الصدفي لم يسمع في الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد أكثر مدن افريقية خالية لاختلاف أيدي البربر عليها وكانت البلاد في قحط شديد فأمر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج وأقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له ألا تدعو لأمير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه لغير الله تعالى فسقوا حتى رووا ثم خرج موسى غازيا وتتبع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وسار حتى انتهى الى السوس الادنى لا يدافعه أحد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا وبذلوا الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري ويقال انه من الصدف وترك عنده تسعة عشر ألفا من البربر بالاسلحة والعدة الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى عنده خلقا يسيرا من العرب ليعلموا البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية ولم يبق بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم ولما استقرت له القواعد كتب الى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الاندلس فغزاها في اثني عشر ألفا من البربر خلا اثني عشر رجلا وصعد على الجبل المنسوب اليه يوم الاثنين خامس رجب سنة ٩٢

من الارض سبعة وسبعون ألف ألف ميل الاشباه وبعد الكواكب الثابتة ... الارض نحو ذلك فيما ذكرنا من القدماء ولاخذها قاليس استدرك النجوم الطالعة بها استخرجوا الآلات والاسطرلابات وعليها صنفوا كتبهم كلها وهذا اذا انشرعنا في ايراد البعض منه كثروا انسحب الكلام واذا ذكرنا لمعا من هذه الفنون لتدل على ما لم نورده وقد رتبت الصابئة من الحرانيين وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين في هياكلها مراتب على ترتيب هذه الافلاك السبعة وأعلى كنائسهم يسمى رأس كمر وزين بعده من النصارى مراتب كهنتهم كنائسها على ما تقدمت من الصابئة في مذهبها وتسمى النصارى هذه المراتب الدرجات فأولها الساعاط والثاني اغنسطس والثالث يودياقن والرابع شماس والخامس قسيس والسادس يودوط والسابع خوري ابيسقس وهو الذي يخلف الاسقف والثامن الاسقف والتاسع مطران وتفسير مطران رئيس المدينة والذي فوق هؤلاء كلهم في المرتبة البطرك وتفسيره ابو الآباء ممن تقدم ذكرهم من اصحاب المراتب وغيرهم من الاداني وعوامهم هذا عند خواص النصارى فأما العوام منهم فيذكرون في هذه المراتب غير ما ذكرناه وان ملكا ظهر واظهر امورا يذكرونها لا حاجة

وذكر عن طارق أنه كان نائماً في المركب وقت التعدية فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد هكذا ذكر ابن بشكوال وقيل ان موسى ندم على تأخره وعلم أن طارقاً ان فتح شيأ نسب الفتح اليه دونه فأخذ في جمع العساكر وولى على القيروان ابنه عبد الله وتبع طارقاً فلم يدركه الا بعد الفتح وقال بعض العلماء ان موسى بن نصير كان عاقلاً شجاعاً كريماً تقياً لله تعالى ولم يهزم له قط جيش وكان والده نصير على جيوش معاوية ومنزلته لديه مكينة ولما خرج معاوية لصفين لم يخرج معه فقال له ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني عليها فقال لم يمكني أن أشركك بكفري من هو أولى بشكري منك فقال من هو فقال الله عز وجل فأطرق ملياً ثم قال أستغفر الله ورضي عنه ※(رجع الى حديث طارق): قال بعض المؤرخين كان لذريق ملك الاندلس استخلف عليها شخصاً يقال له تدمير واليه تنسب تدمير بالاندلس فلما نزل طارق من الجبل كتب تدمير الى لذريق انه قد نزل بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء هم أم من الارض فلما بلغ لذريق ذلك وكان قصد بعض الجهات البعيدة لغزو له في بعض أعدائه رجع عن مقصده في سبعين ألف فارس ومعه العجل تحمل الاموال والمتاع وهو على سريره بين دابتين وعليه مظلة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقاً دنوه قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم ثم قال أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لأنفسكم بالموت واني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أبدأ بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلاً استمتعتم بالارفه الالذ طويلاً فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفى من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عرباناً ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين واعلموا أني أول مجيب الى ما دعوتكم اليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون

والعادة من هؤلاء تفرعوا ومنهم نبدذو وانما احد انصر رى جلامن هذه المراتب على ما ذكرنا من الحابشه وأما القسس والشماس وغير ذلك فمن المناسبة الا النصر دوس والسماع وكثرما حدث بعدهم بعد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وكذلك ابن ديصان ومرقيون والى من أضيفت المانية والى مرقيون أضيفت المرقيونيه والى ابن ديصان أضيفت الديصانيه ثم تفرعت بعد ذلك الردية وغيرها من سلك طريقة مذهب الاثنين وقد تقدم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط على جمل من نوادره مذاهب وما أوردوه من الخرق المحرمة والشبه المرتوعه وما ذكره من مذاهبهم في كتابنا المقالات في أصول الديانات وما ذكرناه من الآراء وهدم هذه المذاهب في كتابنا المترجم بكتاب الابانة في أصول الديانة واعاد ذكر في هذه الابواب ما تقدم الكلام اليه وتعلل هذا الوصف نحوه ورد منها على طريق الخبر والحكاية لا على طريق المذهب لا على طريق النظر والجدل لئلا يخلو كتابنا هذا مما تدعو الحاجة فلما

فلما فرغ من تحريض أصحابه على الصبر فى قتال لذريق وأصحابه وما وعدهم من الخير الجزيل انبسطت نفوسهم وتحققت آمالهم وهبت رياح النصر عليهم وقالوا له قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر اليه فانا معك وبين يديك فركب وأصحابه فباتوا ليلتهم فى حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان تكتبوا وعبوا جيوشهم وحمل لذريق وهو على سريره وقد حمل على رأسه رواق ديباج يظله وهو مقبل فى غاية من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح وأقبل طارق فى أصحابه عليهم الزرد من فوق رؤسهم العمائم البيض وبايديهم القسى العربية وتقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لذريق خاف وقال ان هذه الصور هى التى رأيناها ببيت الحكمة ببلدنا فداخلهم الرعب فلما رأى طارق لذريق قال هذا طاغية القوم فحمل وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة من بين يدى لذريق فخلص اليه طارق فضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره فلما رأى أصحابه مصرع صاحبهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة العدو على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا ولما سمع موسى بن نصير بما حصل من النصرة لطارق عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يبيحك الاندلس فاستبحه هنيئا مريئا فقال له طارق أيها الامير والله لا أرجع عن قصدى هذا ما لم انته الى البحر المحيط أخوض فيه بفرسى يعنى البحر الشمالى الذى تحت بنات نعش ولم يزل طارق يفتح وموسى معه الى أن بلغ الى جليقية وهى ساحل البحر المحيط انتهى *(وقال الحافظ الحميدى فى كتابه جذوة المقتبس) ان موسى بن نصير نقم على مولاه طارق اذ غزا بغير اذنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فأطلقه وخرج معه الى الشام انتهى * وقول لذريق ان هذه الصور هى التى رأيناها فى بيت الحكمة اشارة الى بيت حكمة اليونان وكان من خبره فيما حكى بعض علماء التاريخ ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكم كانوا يسكنون بلاد الشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك انتقل اليونان الى جزيرة الاندلس لكونها طرفا فى آخر العمارة ولم يكن لها ذكر اذذاك ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة ولم تك عامرة وكان أول من عمر فيها واختطها اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كانت الصورة المعمورة منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه وكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى اخس أجزاء الطير وكانت اليونان لا ترى فناء الامم بالحروب لما فيه من الاضرار والاشتغال عن العلوم التى كان الاشتغال بها عندهم من اهم الامور فلذلك انحازوا من بين يدى الفرس الى الاندلس فلما صاروا اليها اقبلوا على عمارتها فشقوا الانهار وبنوا المعاقل وغرسوا الجنان والكروم وشيدوا الامصار وملؤها حرثا ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما راى بهجتها ان الطائر الذى صورت هذه العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا معظم جماله فى ذنبه (وحكى) ان الرشيد هرون رحمه الله لما حضر بين يديه بعض اهل

البحار تنتقل على مرور السنين وطول الدهر حتى تصير مواضع مختلفة وأن جملة البحار متحركة الا ان تلك الحركة اذا أضيفت الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعورها صارت كانها ساكنة وليست مواضع الارض الرطبة أبدا رطبة ولا مواضع الارض اليابسة أبدا يابسة لكنها تتغير وتستحيل بسبب الانهار اليها وانقطاعها عنها ولهذه العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر فليس موضع البر أبدا برا ولا موضع البحر أبدا بحرا بل قد يكون برا حيث كان مرة بحرا ويكون بحرا حيث كان مرة برا وعلة ذلك الانهار وبدؤها فان لمواضع الانهار شبابا وهرما وحياة وموتا ونشورا كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات غير ان الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزأ بعد جزء لكنها تشب وتكبر اجزاؤها كلها معا وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد فاما الارض فانها تهرم وتكبر جزأ بعد جزء وذلك بدوران الشمس وان مجراها كلها أعنى البحار واحد وذلك من البحر الاعظم وان ذلك بحر عذب ليس هو بحر أو ميانوس وزعمت طائفة ان البحار فى الارضين كالعروق

المغرب قال الرشيد يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب فقال الرجل صدقوا يا امير المؤمنين
وانه طاوس فضحك امير المؤمنين الرشيد وتعجب من سرعة جواب الرجل وانتصاره لقطره
(رجع) قال فاغتبط اليونان بالاندلس اتم اغتباط واتخذوا دار الحكمة والملك بها طليطلة
لانها اوسط البلاد وكان اهم الامور عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من الامم فنظروا
فاذا اهوانه لا يحسدهم على رغد العيش الا ارباب الشظف والشقاء والتعب وهم يومئذ
طائفتان العرب والبربر فخافوهم على جزيرتهم العامرة فعزموا على ان يتخذوا لهذين الجنسين
من الناس طلسما فرصدوا لذلك ارصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس سوى تعدية
البحر وترد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا منهم نفورا
واكثروا حذرهم من نسب أو مجاورة حتى ثبت ذلك في طباعهم وصار بعضه مركبا في
غرائزهم فلما علم البربر عداوة أهل الاندلس وبغضهم لهم ابغضوهم وحسدوهم فلم تجد
أندلسيا الا مبغضا لبربري وبالعكس الا أن البربر أحوج الى أهل الاندلس لوجود بعض
الاشياء عندهم وفقدها ببلاد البربر وكان بنواحي غرب الاندلس ملك يوناني بجزيرة يقال
لها قادس وكانت له ابنة في غاية الجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت الاندلس كثيرة
الملوك لكل بلدة أو بلدتين ملك فخطبوها وخشي أبوها ان زوجها من واحد أسخط الباقين
فتحير وأحضر ابنته وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكورهم واناثهم ولذا قيل
ان الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة اعضاء من أهل الارض أدمغة اليونان وايدي اهل
الصين وألسنة العرب فقال لها يا بنية اني أصبحت على حيرة في أمرك ممن يخطبك من الملوك
وما أرضيت واحدا الا أسخطت الباقين فقالت له اجعل الامر الي تخلص فقال وما تقترحين
وقالت أن يكون ملكا حكيما فقال نعم ما اخترته لنفسك فكتب في اجوبة الملوك الخطاب
انها اختارت من الازواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الجواب سكت من لم يكن حكيما وكان
في الملوك الخاطبين حكيمان فكتب كل واحد منهما أنا الملك الحكيم فلما وقف على كتابيهما
قال لها يا بنية بقي الامر على اشكال وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيت اسخطت
الآخر فقالت سأقترح على كل واحد منهما أمرا يأتي به فأيهما سبق الى الفراغ مما التمست
كنت زوجته قال وما الذي تقترحين عليهما قالت انا ساكنون بهذه الجزيرة ومحتاجون
الى أرحي تدور بها واني مقترحة على أحدهما ادارتها بالماء العذب الجاري اليها من ذلك
البر ومقترحة على الآخر أن يتخذ لي طلسما تحصن به جزيرة الاندلس من البربر فاستظرف
أبوها ذلك وكتب الى الملكين بما قالت ابنته فأجاباه الى ذلك وتقاسماه على ما اختارا
وشرع كل واحد منهما في عمل ما أسند اليه من ذلك فأما صاحب الرحي فانه عمد الى أشكال
اتخذها من الحجارة نضد بعضها الى بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الاندلس والبر
الكبير في الموضع المعروف بزقاق سبتة وسد الفرج التي بين الحجارة بما اقتضت حكمته
واوصل تلك الحجارة من البر الى الجزيرة وآثاره باقية الى اليوم في الزقاق الذي بين سبتة
والجزيرة الخضراء وأكثر أهل الاندلس يزعمون أن هذا أثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها
ليعبر عليها الناس من سبتة الى الجزيرة والله أعلم أي القولين أصح غير أن الشائع الى الآن

في البدن وقد زعم آخرون حتى الماء أن يكون على سطح فلما اختلفت الارض فكان منها العالي والهابط انحاز الماء الى أعماق
الارض فاذا انحصرت المياه
في اعماق الارض وقعورها
طلبت النفس حينئذ لعله
الارض وضغطها اياها
من أسفل فينشق من ذلك
العيون والانهار وربما
تتولد في باطن الارض من
الهواء الكائن هناك وان
الماء الساكن بالمنخفض وانما
هو متولد من عفونات
الارض وبخارها وقالوا في
ذلك كلاما كثيرا
أعرضنا عن ذكره طلبا
للايجاز وميلا للاختصار
وبسطنا ذلك في غير كتاب
من كتبنا وأما مبادي
الانهار الكبار ومقاديرها
ومقدار جريانها فنهر مهران
السند وجيحون وهو نهر
عظيم بأرض الهند ونهر
سامص وهو نهر عظيم ونهر
اطفاس الذي يصب الى
نهر نيطس وغيرها مما كبر
من الانهار قد تكلم الناس
في مقدار جريانها على وجه
الارض فرأيت في جغرافيا
(النيل) مصورا ظاهرا
من تحت جبل القمر
ومنبعه ومبدأ ظهوره من
اثنتي عشرة عينا فتنصب
تلك المياه الى بحيرتين هنالك
كالبطائح ثم تجتمع المياه
جاريا فيمر برمال هنالك
وجبال ويخرق أرض
السودان مما يلي بلاد الزنج فيتشعب منه خليج يصب الى بحر الزنج وهو بحر جزيرة قنبلو وهي جزيرة عامرة فيها قوم

عند

عنـد الناس هو الثانى فلما تم تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب الماء العذب من جبل عال فى البر الكبير وسلطه من ساقية محكمة وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية * وأما صاحب الطلسم فانه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير أنه عمل أمره واحكمه وابتنى بنيانا مربعا من حجر أبيض على ساحل البحر فى رمل عالج حفر أساسه الى أن جعله تحت الارض بمقدار ارتفاعه فوق الارض ليثبت فلما انتهى البناء المربع الى حيث اختار صور من النحاس الاحمر والحديد الصينى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل بربرى وله لحية وفى رأسه ذؤابة من شعر جعد قائمة فى رأسه لجعودتها وهو متأبط بصورة كساء قد جمع طرفيه على يده اليسرى بألطف تصوير وأحكمه فى رجله نعل وهو قائم من رأس البناء على مستهدف بمقدار رجليه فقط وهو شاهق فى الهواء طوله نيف عن ستين أو سبعين ذراعا وهو محدودب الاعلى الى ان يدنى ماسعته قدر ذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابض عليه مشيرا الى البحر كأنه يقول لا عبور وكان من تأثير هذا الطلسم فى البحر الذى تجاهه انه لم ير قط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربرية الى ان سقط المفتاح من يده وكان الملكان اللذان عملا الرحى والطلسم يتسابقان الى فراغ العمل اذ بالسابق منهما تحق زواج المرأة وكان صاحب الرحى فرغ أولا لكنه أخفى امره عن صاحب الطلسم لئلا يترك عمله فيبطل الطلسم لتحظى المرأة بالرحى والطلسم فلما علم باليوم الذى يفرغ صاحب الطلسم فى آخره اجرى الماء فى الجزيرة من اوله وادار الرحى واشتهر ذلك فاتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو فى أعلى القبة يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق انه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من اعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على المرأة والرحى والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على الاندلس من البربر للسبب الذى قدمنا ذكره فاتفقوا وجعلوا الطلسمات فى اوقات اختاروا ارصادها واودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه فى بيت بطليطلة وركبوا على ذلك الباب قفلا تأكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمر امرهم على ذلك ولما حان وقت انقراض دولة من كان بالاندلس ودخول العرب والبربر اليها وذلك بعد مضى ستة وعشرين ملكا من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات بطليطلة وكان لذلك البيت المذكور آنفا وتمام السابع والعشرين من ملوكهم فلما اقتعد اريكة الملك قال لوزرائه وخواص دولته واهل الراى منهم قد وقع فى نفسى من امر هذا البيت الذى عليه ستة وعشرون قفلا شئ واريد ان افتحه لانظر ما فيه لانه لم يعمل عبثا فقالوا أيها الملك صدقت انه لم يصنع عبثا ولم يقفل سدى والراى والمصلحة أن تلقى انت ايضا عليه قفلا اسوة بمن تقدمك من الملوك وكان آباؤك واجدادك لم يهملوا هذا فلا تهمله وسر سيرهم فقال لهم ان نفسى نازعتنى الى فتحه ولا بدلى منه فقالوا له ان كنت تظن ان فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من اموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حادثا لا نعرف عاقبته فأصر على ذلك وكان رجلا مهيبا فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير فى البيت شيأ الا مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ورأى فى البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه

من المسلمين الا انهم لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من ه ١ ١ ، الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش فى البحر الرومى وذلك فى مبدا الدولة العباسية وتقضى الاموية ومنها الى عمان فى البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزرا منهم لذلك على طريق التحصيل والمساحة وذكر جماعة من نواخذة هذا البحر من السيرافيين والعمانيين ومنهم أرباب المراكب انهم يشاهدون فى هذا البحر فى الوقت الذى يذكر فيه زيادة النيل بمصر أو قبل الاوان بمدة يسيرة ماء يخرق هذا البحر ويشقه من شدة جريانه يخرج من جبال الزنج عرضه أكثر من ميل عذبا حلوا يتكدر فى اثارة الزيادة فيه السمو سار وهو التمساح الكائن فى نيل مصر ويسمى أيضا الورل وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ ان نهر مهران الذى هو نهر السند من النيل ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك فى كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب فى نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الاسفار ولا يعرف المسالك والامصار وانما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين أولم يعلم ان نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالى بلاد

ولم يجد فيه سوى رق وفى جوانب التابوت صور رفرسان مصورة بأصباغ محكمة التصوير على أشكال العرب وعليهم الفراء وهم معممون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربية وهم متقلدون السيوف المحلاة معتقلون الرماح فأمر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم فى التابوت الى جزيرة الاندلس وذهب ملك من فيها من أيديهم وبطلت حكمتهم فلما سمع لذريق ما فى الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث الا قليلا حتى سمع ان جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب ليفتتح بلاد الاندلس انتهى * فهذا هو بيت الحكمة الذى أشار اليه لذريق والله أعلم بحقيقة الامر فى ذلك كله على أن فى هذا السياق مخالفة لما سنذكره عن بعض ثقات مؤرخى الاندلس وغيرهم فى شأن المائدة وغيرها وما ذكر فى هذه القصة من جلب الماء من بر العدوة الخ فيه بعد عندى لان بلاد الاندلس أكثر بلاد الله مياها وأنهارا فأنى تحتاج الى جلب الماء اليها من العدوة الاخرى الا أن يقال ان المرأة أرادت تعجيز الرجل بذلك أو اختبار حكمته حتى فعل هذا الامر الغريب وعلم الله من وراء ذلك كله وفوق كل ذى علم عليم ومنتهى العلم الى الله الحكيم (وقال ابن حيان فى المقتبس) ذكروا أن لذريق لم يكن من أبناء الملوك ولا بصحيح النسب فى القوط وأنه انما نال الملك من طريق الغصب والتسوّر عند ممات غيطشة الملك الذى كان قبله وكان أثير الديه مكينا فاستصغر أولاده لمكانه واستمال طائفة من الرجال مالوا معه فانتزع الملك من أولاد غيطشة واستبقاهم مكانوا هم الذين دبروا عليه فيما ذكر عند ملاقى رجال العرب المقتحمين عليه بالاندلس من تلقاء بحر الزقاق وعليهم طارق بن زياد مولى موسى بن نصير طماعة منهم فى أن يودى ويخلص اليهم ملك أبيهم فالتقوا بموضع يدعى وادى لكة من أرض الجزيرة الخضراء من ساحل الاندلس القبلى مكان عبورهم وذلك لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين من الهجرة فانهزم القوط أعظم هزيمة وقتل ملكهم لذريق وغلبت العرب على الاندلس فصارت أقصى فتوحهم من أرض المغرب ومصداق موعد نبيهم صلى الله عليه وسلم الكفيل بفتح ما بين المشرق والمغرب عليهم بوحى الله تعالى اليه أنجزه له بفتح الاندلس ولله القوة قال وقام بأمر العرب بالاندلس منذ فتحت الامراء المرسلون منهم عليها من قبل أئمة المسلمين بالمشرق طوال دولة بنى أمية رضى الله تعالى عنهم الى أن طرأ اليها فلهم عند غلبة بنى العباس عليهم ودخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان فملكها وأعاد اليها الدولة الاموية التى أورثها عقبه حقبة فكانت عدة هؤلاء الامراء من لدن أولهم طارق بن زياد الى آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى عشرين عاملا وعدة سنيهم بالشمسى خمس وأربعون سنة وبالقمرى سبع وأربعون سنة غير أشهر انتهى (وقال فى موضع آخر) نقلا عن الرازى وافتتحت الاندلس فى أيام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت فى ظهور الملة الحنيفية وكان عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه مهتما بها معتنيا بشأنها وقد حوّلها عن نظر والى افريقية وجرد اليها عاملا من قبله اختاره له دلالة على معنيته بها ووقعت المقاسم فيها عن أمره وبفضل رأيه انتهى (وفى

ومن هناك يسمى مهران وتفسير المولتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤى بن غالب والتوافل منه الى خراسان متصلة وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الاسود وهذا الملك فى هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارثان من قديم الزمان من صدر الاسلام حتى ينتهى نهر مهران الى بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل فى بحر الهند والتماسيح كثيرة فى أجواف هذا البحر وفى خليج ميدابون من مملكة باغر من أرض الهند وخلجان الزايج من بحر مملكة المهراج وكذلك فى خلجان الاعباب وفى عب التى تلى جزيرة سرنديب والاغلب على التماسيح كونها فى الماء العذب وما ذكرنا من خلجانات الهند فالاغلب من أمواهها أن تكون عذبة لصب مياه الامطار اليها فلنرجع الآن الى الاخبار عن نيل مصر فنقول ان الذى ذكره الحكماء انه يجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ فى عامر وغير عامر حتى يأتى اسوان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى أميال من اسوان جبال وأحجار يجرى النيل فى وسطها

الكتاب الجزائي وغيره) سياقة فتح الاندلس على أتم الوجوه لنذكر ملخصه قالوا
استعمل أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك رحمه الله تعالى موسى بن نصير مولى عمه عبد العزيز
ابن مروان ويقال بل هو بكرى وذلك أن أباه نصيرا أصله من علوج أصابهم خالد بن الوليد
رضى الله تعالى عنه فى عين التمر فادعوا انهم رهن وأنهم من بكر بن وائل فصار نصير وصيفا
لعبد العزيز بن مروان فأعتقه فمن هنا يختلف فيه وقيل انه لخمى وعقد له على افريقية
وما خلفها فى سنة ثمان وثمانين فخرج الى ذلك الوجه فى نفر قليل من المطوعة فلما ورد مصر
أخرج معه من جندها بعثا وأتى افريقية عمله فأخرج من أهلها معه ذوى القوة والجلد وصير
على مقدمته طارق بن زياد ولم يزل يقاتل البربر ويفض جموعهم ويفتح بلادهم ومدائنهم
حتى بلغ طنجة وهى قصبة ملك البربر وأم مدائنهم فحصرها حتى افتتحها وقيل انها لم تكن
افتتحت قبله وقيل افتتحت ثم ارتجعت فأسلم أهلها وخطها قيروانا للمسلمين ثم ساروا الى
مدائن على شط البحر بها عمال لصاحب الاندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها ورأس تلك
المدائن سبتة وعليها علج يسمى يليان قاتله موسى فألفاه فى نجدة وقوة وعدة فلم يطقه فرجع
الى مدينة طنجة فأقام بمن معه وأخذ فى الغارات على ما حولهم والتضييق عليهم والسفن
تختلف اليهم بالميرة والامداد من الاندلس من قبل ملكها غيطشة فهم يذبون عن حريمهم ذبا
شديدا ويحمون بلادهم حماية تامة الى أن هلك غيطشة ملك الاندلس وترك أولادا لم يرضهم
أهلها للملك فاضطرب حبل اهل الاندلس ثم تراضوا بعلج من كبارهم يقال له لذريق مجرب
شجاع بطل ليس من بيت أهل الملك الا أنه من قوادهم وفرسانهم فولوه أمرهم وكانت
طليطلة دار الملك بالاندلس حينئذ وكان بها بيت مغلق متحامى الفتح على الايام عليه عدة
من الاقفال يلزمه قوم من ثقات القوط قد وكلوا به لئلا يفتح وقد عهد الاول فى ذلك الى
الآخر فكلما قعد منهم ملك أتاه أولئك الموكلون بالبيت فأخذوا منه قفلا وصيروه على
ذلك الباب من غير أن يزيلوا قفل من تقدمه فلما قعد لذريق هذا وكان مهيبا يقظا
ذا همة أتاه الحراس يسألونه أن يقفل على الباب فقال لهم لا أفعل أو أعلم ما فيه ولا بد لى
من فتحه فقالوا له أيها الملك انه لم يفعل هذا احد من قبلك وتناهوا عن فتحه فلم يلتفت
اليهم ومشى الى البيت فأعظمت ذلك العجم وضرع اليه أكابرهم فى الكف فلم يفعل وظن
انه بيت مال ففض الاقفال عنه ودخل فأصابه فارغا لا شئ فيه الا تابوتا عليه قفل فأمر بفتحه
يحسب أن مضمونه يقنعه نفاسة فألفاه أيضا فارغا ليس فيه الا شقة مدرجة قد صورت فيها
صور العرب عليهم العمائم وتحتهم الخيول العراب متقلدى السيوف متنكبى القسى رافعى
الرايات على الرماح وفى أعلاها أسطر مكتوبة بالعجمية فقرئت فاذا فيها اذا كسرت الاقفال
عن هذا البيت وفتح هذا التابوت فظهر ما فيه من هذه الصور فان هذه الامة المصورة
فى هذه الشقة تدخل الاندلس فتغلب عليها وتملكها فوجم لذريق وندم على ما فعل وعظم
غمه وغم العجم بذلك وأمر برد الاقفال واقرار الحراس على حالهم وأخذ فى تدبير الملك وذهل
عما أنذر به وقد كان من سير أكابر العجم بالاندلس وقوادهم أن يبعثوا أولادهم الذين
يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاد الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا فى خدمته ويتأدبوا

ولاسبيل الى جريان السفن فيه هنالك وهذه الجبال والمواضع فارقة بين مواضع سفن الحبشة فى النيل وبين سفن المسلمين ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ثم يأتى النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلمون وبحر الاهواز من بلاد الفيوم وهو الموضع المعروف بالجزيرة الذى اتخذها يوسف النبى صلى الله عليه وسلم وطنا فيقطعه وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار مصر والفيوم وضياعها وكيفية فعل يوسف عليه الصلاة والسلام فى مائها ثم يمضى جاريا فتقسمه خلجانات الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية فكل يصب الى البحر الرومى وقد أحدث فيه بحيرات فى هذه المواضع وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التى زادها فى هذه السنة وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونمى الى وأنا بمدينة انطاكية من الثغر الشامى ان النيل زاد فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعا فلست أدرى أفى هذه الزيادة تحصل خليج الاسكندرية أم لا وقد كان الاسكندر بن فيلفوس المقدونى بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان يتفجر اليه عظيم ماء النيل ويسقى الاسكندرية وبلاد مريوط وكان بلد مريوط هذا فى نهاية العمارة والجنان المتصلة بأرض برقة من بلاد المغرب

بلاده وبين الروم كراهية حتى اذا بلغوا انكح بعضهم بعضا استئلافا لآبائهم وحمل صدقاتهم
ونولي تجهيزاتهم الى أزواجهن فاتفق أن فعل ذلك بليان عامل لذريق على سبتة وكانت
سبتة في يد صاحب الاندلس وأهلها على النصرانية ركب الطريق بابنة له بارعة الجمال
تكرم عليه فلما صارت عند لذريق وقعت عينه عليها فأعجبته وأحبها حبا شديدا ولم يملك
نفسه حتى استكرهها وافتضها فاحتالت حتى أعلمت أباها بذلك سرا بمكاتبة خفية فأحفظه
شأنها جدا واشتدت حميته وقال ودين المسيح لأزيلن ملكه وسلطانه ولأحفرن تحت قدميه
فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب في فتح الاندلس بالذي سبق من قدر الله تعالى
ثم ان بليان ركب بحر الزقاق من سبتة في أصعب الاوقات في صنبر قلب الشتاء فصار
بالاندلس وأقبل الى طليطلة نحو الملك لذريق فأنكر عليه مجيئه في مثل ذلك الوقت وسأله
عما لديه وماجاء فيه ولم جاء في مثل وقته فذكر خيرا واعتل بذكر زوجته وشدة شوقها الى
رؤية بنتها التي عنده وتمنيها لقاءها قبل الموت والحاحها عليه في احضارها وأنه أحب
اسعافها وراجا بلوغها أمنيتها منه وسأل الملك اخراجها اليه وتعجيل اطلاقه للمبادرة بها ففعل
وأحضر الجارية وتوثق منها بالكتمان عليه وأفضل على أبيها فانقلب عنه وذكروا أنه لما
ودعه قال له لذريق اذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشذانقات التي لم تزل تطرفنا بها فانها
أثر جوارحنا لديا فقال له أيها الملك وحق المسيح لئن بقيت لأدخلن عليك شذانقات مادخل
عليك مثلها قط عرض له بالذي أضمره من السعي في ادخال رجال العرب عليه وهو لايفطن
فلم يتهنه بليان عندما استقر بسبتة عمله أن تهيأ للمسير نحو موسى بن نصير الامير فمضى نحوه
بافريقية وكلمه في غزو الاندلس ووصف له حسنها وفضلها وماجمعت من أشتات المنافع
وأنواع المرافق وطيب المزارع وكثرة الثمار وثروة المياه وعذوبتها وهون عليه مع ذلك
حال رجالها ووصفهم بضعف البأس وقلة الغناء فشوق موسى الى ماهنالك وأخذ بالحزم فيما
دعاه اليه بليان فعاقده على الانحراف الى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل
ملته من الاندلس المشركين والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل بليان
ذلك وجمع جمعا من أهل عمله فدخل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فأغار
وقتل وسبى وغنم وأقام بها أياما ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فأنسوا
ببليان واطمأنوا اليه وكان ذلك عقب سنة تسعين فكتب موسى بن نصير الى أمير المؤمنين
الوليد بن عبد الملك يخبره بالذي دعاه اليه بليان من أمر الاندلس ويستأذنه في اقتحامها
فكتب اليه الوليد أن خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد
الاهوال فراجعه انه ليس ببحر زخار وانما هو خليج منه يبين للناظر ماخلفه فكتب اليه وان
كان فلابد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من
البرابرة اسمه طريف يكنى أبازرعة في أربعمائة رجل معهم مائة فرس سار بهم في أربع مراكب
فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التي هي اليوم معبر سفائنهم ودار
صناعتهم ويقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها وأقام بها أياما حتى التام اليه أصحابه ثم مضى
حتى أغار على الجزيرة فأصاب سبيا لم ير موسى ولا أصحابه مثله حسنا ومالا جسيما وأمتعة

وكانت السفن تجري في النيل فتتصل باسواق الاسكندرية وقد بلط أرض نيلها في المدينة بالرخام والمرمر فانقطع
الماء لعوارض سدت خلجانها
وسدت الماء من دخوله
وقيل لعلل غير ذلك منعت
من تعسيفه وردت الماء الى
كونه لا يحملها
هذا الاستعمال فيه
الاختصار وصار من
الآثار وصار النيل على نحو
يوم منها وسنذكر فيما يرد
من هذا الكتاب في باب
ذكر اخبار الاسكندرية
جملا من أخبارها وأخبار
بانيها ومن ذكرها من الماء
الجاري الى بحر الزنج فانما
هو آخذ من معالي مصب
الزنج وهو فرق بين بلاد الزنج
وبين أقاصي بلاد الحبش
الاحابش ولولا ذلك الخليج
ومفاوز من رمل ودهاس
لم يكن للحبشة مقام في ديارهم
من أنواع الزنج لكثرتهم
وبسطها (وأما نهر بلخ)
الذي يسمى جيحون فانه
يخرج من أعين تجري حتى
تأتي بلاد خوارزم وقد
اختار قبل ذلك ببلاد الرند
واسراتل وغيرها من بلاد
خراسان فاذا ورد الى بلاد
خوارزم يفرق في مواضع
هنالك ويمضي باقيه
فيصب في البحيرة التي
عليها القرية المعروفة
بالجرجانية أسفل خوارزم
وليس في ذلك الصقع أكبر
من هذه البحيرة ويقال انه ليس في العمران بحيرة أكبر منها لان طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض تجري

وذلك

وذلك فى شهر رمضان سنة احدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك تسرعوا الى الدخول وقيل دخل طريف فى ألف رجل فأصاب غنائم وسبيا ودخل بعده أبو زرعة شيخ من البرابرة وليس بطريف فى ألف رجل منهم أيضا فأصابوا أهل الجزيرة قد تفرقوا عنها فضرموا عامتها بالنار وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظمة وأصابوا سبيا يسيرا وقتلوا وانصرفوا سالمين وقال الرازى هو أبو زرعة طريف بن مالك المعافرى الاسم طبو الكنية فالوا ثم عاودوا بدار القدوم على موسى بن نصير مخبرا كافى الاقدام على أهل الاندلس وحدثه بما كان منه ومن طريف وأبى زرعة وما نالوه من أهله وباشروه من طيبها فحمد الله على ذلك واستعد فى اقتحام المسلمين فيها فدعا مولى له كان على مقدمته يسمى طارق بن زياد بن عبد الله فارسيا همدانيا وقيل انه ليس بمولى لموسى وانما هو رجل من صدف وقيل مولى لهم وقد كان بعض عقبه بالاندلس ينكرون ولاء موسى انكارا شديدا وقيل انه بربرى من نفزة فعقد له موسى وبعثه فى سبعة آلاف من المسلمين جلهم البربر والموالى ليس فيهم عرب الا قليل ووجه معه يليان فهيأ له يليان المراكب فركب فى أربع سفن لا صناعة لهم غيرها وحط بجبل طارق المنسوب اليه يوم سبت فى شعبان سنة اثنتين وتسعين فى شهر أغسطس ثم صرف المراكب الى من خلفه من أصحابه فركب من بقى من الناس ولم تزل السفائن تحملهم حتى توافى جميعهم عنده بالجبل وقيل حل طارق بجبله يوم الاثنين لخمس خلون من رجب من السنة فى اثنى عشر ألفا غير ستة عشر رجلا من البرابرة ولم يكن فيهم من العرب الا يسير أجازهم يليان الى ساحل الاندلس فى مراكب التجار من حيث لم يعلم بهم أولا أولا وركب أميرهم طارق آخرهم قيل وأصاب طارق عجوزا من أهل الجزيرة فسألته فى بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل الى بلدهم هذا ويغلب عليه ويصف من نعته انه ضخم الهامة فانت كذلك ومنها أن فى كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت بك هذه العلامة فانت هو فكشف طارق ثوبه فاذا بالشامة فى كتفه على ما ذكرته العجوز فاستبشر بذلك هو ومن معه ﴿ وذكر عن طارق أنه كان نائما فى المركب فرأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة أصحابه عليه الصلاة والسلام يمشون على الماء حتى مروا به فبشره النبى صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد وقيل انه لما ركب البحر غلبته عينه فكان يرى النبى صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسى فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك ونظر اليه والى أصحابه قد دخلوا الاندلس قدامه فهب من نومه مستبشرا وبشر أصحابه وثابت اليه نفسه ثقة ببشراه فقويت نفسه ولم يشك فى الظفر فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلاد شانا للغارة قالوا ووقع على لذريق الملك خبر اقتحام العرب ساحل الاندلس وتوالى غاراتهم على بلد الجزيرة وان يليان السبب فيها وكان يومئذ غائبا بأرض بنبلونة فى غزاة له الى البشكنس لامر كان استصعب عليه بناحيتهم فعظم عليه وفهم الامر الذى منه أتى وأقبل مبادرا الفتق فى جموعه حتى احتل بمدينة قرطبة من المتوسطة ونزل القصر المدعو بها ببلاط لذريق المنسوب اليه وليس لانه بناه أو اخترعه وهو بناء من تقدمه من الملوك اتخذوه منزلا فى قرطبة اذا أتوها

الى هذه البحيرة وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة وفيها المسلمون والاغلب من الاتراك على هذا الموضع الترك وهم برادى الترك وحضرهم أيضا وهذا الجنس من الاتراك هم أصناف ثلاثة الاسافل والاعالى والاواسط وهم أشد الترك بأسا وأقصرهم وأصغرهم عيونا وفى الترك أصغر من هؤلاء على ما ذكر صاحب المنطق فى كتاب الحيوان فى المقالة الرابعة عشرة والتاسعة عشرة حين ذكر الطير المعروف بالغرانيق وسنذكر مبلغا من أخبار أجناس الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجتمعا ومفترقا وبمدينة بلخ رباط يقال له الاحسان على نحو من عشرين يوما منها وهو فى آخر أعمالها وبازائهم أنواع من الكفار من الترك يقال لهم أو حارو بت وعلى الموس من هؤلاء جنس آخر يقال لهم الغار لم يخرج من هنالك نهر عظيم يعرف بنهر الغار زعم قوم من أهل المعرفة انه مبتدأ نهر جيحون وهو نهر بلخ ومقدار جريانه على وجه الارض نحو من خمسين ومائة فرسخ من مبتدا نهر الترك وهو الغار وقيل أربعمائة فرسخ وقد غلط قوم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى وزعموا ان جيحون ينصب الى نهر مهران السند ولم يذكر النهر

الا أن العرب لما دخلوا لذريق وهذا القصر من مواطنه نسبوه اليه اذلم يعرفوا من بناه ويزعم
العجم أن الذى بناه ملك منهم كان ساكنا بحصن المدور أسفل قرطبة وخرج يوما يتصيد حتى
انتهى الى مكان قرطبة وهى يومئذ خراب وكان فى موضع قصرها غيضة عليق ملتفة أشبة
فأرسل الملك بازياله يكرم عليه على حجلة عنت له من ناحية الكدية المنسوبة بعد الى أبى عبيدة
فنشبت فى ذلك العليق وبحّ البازى فى الانقضاض عليها فركض الملك خلفه حتى وقف على
مكانه ليخرجه فأمر بقطعها لاستنقاذ بازيه ضنا منه به فقطعت وبدا له تحتها أساس قصر عظيم
راقه رصه وقد كان داخله فأمر بالكشف عنه وتقصى حدوده طولا وعرضا وتتبع أسه
وأصله فوجده مبنيا من وجه الماء بعظم الحجارة وفوق ررجون وضع بينها وبين الماء باحكم
صناعه فقال هذا أثر ملك كريم وأنا أولى من جدده فأمر باعادته الى هيأته واتخاذه منزلا من
منازل راحاته وكان اذا طاف بعمله أو مضى فى متصيده نزل فيه وصار السبب فى بناء قرطبة
الى جنبه ونزل الناس فيها وتوارث الملوك قصرها من بعده ونزله لذريق فى زحفه الى العرب
أياما والحشود من أعماله تتوافى اليه ثم مضى نحو كورة شذونة يبغى لقاءهم فى حشوده
الكثيرة. وقيل ان آخر ملوك الاندلس الذين تلتهم العرب غيطشة وانه هلك عن أولاد
ثلاثة صغار لم يصلحوا للملك فضمت أمهم عليهم ملك والدهم بطليطلة وانحرف لذريق قائد
الخيل لوالدهم فيمن تبعه عنهم فصار بقرطبة فلما اقتحم طارق الاندلس نفر اليه لذريق
واستمر اليه اجناد أهل الاندلس وكتب الى اولاد غيطشة وقد ترعرعوا وركبوا الخيل
واتخذوا الرجال يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب ويحذرهم من القعود عنه
ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يدا واحدة فلم يجدوا بدا وحشدوا وقدموا عليه
بقرطبة فنزلوا اكناف قرية شقندة بعدوة نهرها قبالة القصر ولم يطمئنوا الى الدخول على
لذريق أخذا بالحزم الى أن استتب جهاز لذريق وخرج فانضموا اليه ومضوا معه وهم
مرصدون لمكروهه والاصح والله أعلم ماسمعوه ان ملك القوط اجتمع للذريق واختلف فى
اسمه فقيل رذريق بالراء أوله وقيل باللام لذريق وهو الاشهر وقيل ان أصله من اصبهان
ويسمى الاشبان والله اعلم قالوا وعسكر لذريق فى نحو مائة ألف ذوى عدد وعدة فكتب
طارق الى موسى يستمده ويعرفه ان فتح الجزيرة الخضراء فرضة الاندلس وملك المجاز اليها
واستولى على اعمالها الى البحيرة وان لذريق زحف اليه بما لا قبل له به الا أن يشاء الله وكان
موسى منذ وجه طارقا لوجهه قد أخذ فى عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثيرة فحمل
الى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مددا كملت بهم عدة من معه اثنى عشر ألفا أقوياء
على المغانم حراصا على اللقاء ومعهم يليان المستأمن اليهم فى رجاله واهل عمله يدلهم على
العورات ويتجسس الاخبار وأدنى نحوهم لذريق فى جموع العجم وملوكها وفرسانها
فلا دنوا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض ان هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا وليس من
أهله وانما كان من أتباعنا فلسنا نعدم من سيرته خبالا فى أمرنا وهؤلاء القوم الطارقون
لا حاجة لهم فى استيطان بلدنا وانما مرادهم أن يملؤا أيديهم من الغنائم ثم يخرجوا عنا فهلم
فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم لعلهم يكفونا اياه فاذا انصرفوا اقعدنا فى ملكنا

جيحون وعلى هذين النهرين
العذرية من الترك وشذ من
احدا لم يحط بها لما ذكرنا
على وجه الارض فقد ذكر
ذلك (وكذلك يجيء نهر
الهند يبدؤه من جبال من
أقاصي أرض الهند مما يلي
الصين ومن بحر بلاد
الغوز غرس الترك وهو مقدار
جريانه الى ان يصب فى
البحر الحبشي مما يلي جبل
الهند أربعمائة فرسخ
(واما الفرات) فيبدؤه من
بلاد قاليقلا من ثغور
أرمينية من جبل هناك
يدعى ابو رحس على نحو
يوم من قاليقلا ومقدار
جريانه من الاد أرزوم الى
أن أتى بلاد ملطية وأخبرني
بعض اخواننا من المسلمين
ممن كان أسيرا فى أرض
بلاد الروم انه ان الفرات
اذا توسط أرض الروم
تداخلت اليه مياه كثيرة
من نهر يخرج مما يلي بحيرة
نادرمون وليس فى أرض
الروم بحيرة أكبر منها وهي
نحو من شهر وقيل أكثر
من ذلك طولا وسفن تجري
فيها السفن وتنتهي الى
الفرات الى جسر منبج وقد
اجتاز تحت قلعة سميساط
وهي قلعة الطين ثم ينتهي
الى ماليس وهي نصف ان
موضع حرب أهل العراق وأهل الشام ثم ينتهي الى الرقة والى الرحبة وهيت والانبار ويأخذ منه انهار

من

من يستحقه فأجمعوا على ذلك والقضاء يبرم ما رتاؤه وكان لذريق ولى ميمنته احد ابنى غيطشة وميسرته الآخر فكانا رأسى الذين أداروا عليه الهزيمة وأداهما الى ذلك طمع رجوع ملك والدهما اليهما * وقيل لما تقابل الجيشان أجمع أولاد غيطشة على الغدر بلذريق وأرسلوا الى طارق يعلمونه أن لذريق كان تابعا وخادما لابيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه وأنهم غير تاركى حقهم لديه ويسألونه الامان على أن يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وأن يسلم اليهم اذا ظفر ضياع والدهم بالاندلس كلها وكانت ثلاثة آلاف ضيعة نفائس مختارة وهى التى سميت بعد ذلك صفايا الملوك فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه فالتقى الفريقان من الغد فانحاز الاولاد الى طارق فكان ذلك أقوى أسباب الفتح وكان الالتقاء على وادى لكة من كورة شذونة فهزم الله الطاغية لذريق وجموعه ونصر المسلمين نصر الاكفاء ورمى لذريق نفسه فى وادى لكة وقد أثقلته الجراح فلم يعلم له خبر ولم يوجد * وقيل نزل طارق بالمسلمين قريبا من عسكر لذريق منسلخ شهر رمضان سنة ٩٢ فوجه لذريق علجا من أصحابه قد عرف نجدته ووثق بباسه ليشرف على عسكر طارق فيحزر عددهم ويعاين هيآتهم ومراكبهم فاقبل ذلك العلج حتى طلع على العسكر ثم شد فى وجوه من استشرفه من المسلمين فوثبوا اليه فولى منصرفا راكضا وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق أتتك الصور التى كشف لك عنها التابوت فخذ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت أو اصابة ما تحت قدميك قد حرقوا مراكبهم ايا سا لانفسهم من التعلق بها وصفوا فى السهل موطنين أنفسهم على الثبات اذ ليس لهم فى أرضنا مكان مهرب فرعب وتضاعف جزعه والتقى العسكران بالبحيرة واقتتلوا قتالا شديدا الى أن انهزمت ميمنة لذريق وميسرته انهزم بهما أبناء غيطشة وثبت القلب بعدهما قليلا وفيه لذريق فغدر أهله بشئ من قتال ثم انهزموا ولذريق أمامهم فاستمرت هزيمتهم وأذرع المسلمون القتل فيهم وخفى أثر لذريق فلا يدرى أمره الا أن المسلمين وجدوا فرسه الاشهب الذى فقدوه وراكبه وعليه سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد ووجدوا أحد خفيه وكان من ذهب مكلل بالدر والياقوت والزبرجد وقد ساخ الفرس فى طين وحمأة وغرق العلج فثبت أحد خفيه فى الطين فاخذ وخفى الآخر وغاب شخص العلج ولم يوجد حيا ولا ميتا والله أعلم بشأنه (وقال الرازى) كانت الملاقاة يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان فاتصلت الحرب بينهم الى يوم الاحد لخمس خلون من شوال بعده تتمة ثمانية أيام ثم هزم الله المشركين فقتل منهم خلق عظيم أقامت عظامهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بتلك الارض قالوا وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجل قدره فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتم الذهب يجدونها فى أصابعهم ويعرفون من دونهم بخواتم الفضة ويميزون عبيدهم بخواتم النحاس فجمع طارق الفئ وخمسه ثم اقتسمه أهله على تسعة آلاف من المسلمين سوى العبيد والاتباع وتسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم فيها فأقبلوا نحوه من كل وجه وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق وارتفع اهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال ثم اقبل طارق حتى نزل باهل مدينة شذونة فامتنعوا عليه فشد الحصر عليهم حتى نهكهم

مثل نهر عيسى وغيره مما ينتهى الى مدينة السلام فيصب فى دجلة وينتهى الفرات ١٢١ الى بلاد سوار وقصر ابن هبيرة والكوفة والجامع بن واحمداباذ والفرس والطفوف ثم تنتهى غايته الى البطيحة التى بين البصرة وواسط فيكون مقدار جريانه على وجه الارض نحوا من خمسمائة فرسخ وقد قيل أكثر من ذلك وقد كان الفرات الاكثر منه ينتهى الى بلاد الحيرة ونهر هاتين الى هذا الوقت فيصب فى البحر الحبشى حينئذ فى الموضع المعروف بالنجف فى هذا الوقت وكانت تتقدم هنالك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة وقد ذكر ما قلنا عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغسانى حين خاطب خالد ابن الوليد فى أيام أبى بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه حين قال له ما تذكر قال اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر فصار من البحر فى هذا الوقت على مسيرة أيام كثيرة ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين له ما وصفنا وكثر مل دجلة العوراء فصار بينها وبين الدجلة فى هذا الوقت مسافة بعيدة وصارت تدعى ببطن جوخى وذلك من جهة مدينة فارس من أعمال واسط الى دقوقاء الى نحو بلاد السوس وكذلك ما حدث فى الجانب الشرقى ببغداد من الموضع المعروف برقة الشماسية

وأضر بهم فتحها له ففتحها عنوة فحاز منها غنائم ثم مضى منها الى مدور ثم عطف على قرمونة فر
بعينه المنسوبة اليه ثم مال على اشبيلية فصالحه أهلها على الجزية ثم نازل أهل استجة وهم في
قوة ومعهم فل عسكر لذريق فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين ثم ان
الله تعالى أظهر المسلمين عليهم فانكسروا ولم يلق المسلمون فيما بعد حربا مثلها وأقاموا على
الامتناع الى أن ظفر طارق بالعلج صاحبها وكان مغترا سيئ التدبير يخرج الى النهر لبعض
حاجاته وحده فصادف طارقا هنالك قد أتى لمثل ذلك وطارق لا يعرفه فوثب عليه طارق في
الماء فأخذه وجاء به الى العسكر فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة فصالحه طارق على
ما أحب وضرب عليه الجزية وخلى سبيله فوفى بما عاهد عليه وقذف الله الرعب في قلوب
الكفرة لما رأوا طارقا أوغل في البلاد وكانوا يحسبونه راغبا في المغنم عاملا على القفول فسقط
في أيديهم وتطايروا عن السهول الى المعاقل وصعد ذوو القوة منهم الى دار مملكتهم طليطلة
قيل وكان من ارهاب طارق لنصارى الاندلس وحيله أن تقدم الى أصحابه في تفصيل لحوم
القتلى بحضرة أسراهم وطبخها في القدور يرونهم أنهم يأكلونها فجعل من انطلق من الاسرى
يحدثون من وراءهم بذلك فتمتلئ منه قلوبهم رعبا ويجفلون فرارا قالوا وقال يليان لطارق
قد فضضت جيوش القوم ورعبوا فاصمد لبيضتهم وهؤلاء أدلاء من أصحابي مهرة ففرق
جيوشك معهم في جهات البلاد واعمد أنت الى طليطلة حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر
في أمرهم والاجتماع الى أولي رأيهم ففرق طارق جيوشه معهم من استجة فبعث مغيثا
الرومي مولى الوليد بن عبد الملك الى قرطبة وكانت من أعظم مدائنهم في سبعمائة فارس
لان المسلمين ركبوا جميع خيل العجم ولم يبق فيهم راجل وفضلت عنهم الخيل وبعث جيشا
آخر الى مالقة وآخر الى غرناطة مدينة البيرة وسار هو في معظم الناس الى كورة جيان يريد
طليطلة وقد قيل ان الذي سار لقرطبة طارق بنفسه لا مغيث قالوا فكمنوا بعدوة نهر شقندة
في غيضة أرز شامخة وارسلت الادلاء فأمسكوا راعي غنم فسئل عن قرطبة فقال رحل عنها
عظماء اهلها الى طليطلة وبقي فيها أميرها في أربعمائة فارس من حماتهم مع ضعفاء اهلها
وسئل عن سورها فأخبر انه حصين عال فوق أرضها الا أنه فيه ثغرة ووصفها لهم فلما اجنهم
الليل اقبلوا نحو المدينة ووطأ الله لهم أسباب الفتح بان أرسل السماء بردا أخفى وقع حوافر
الخيل وأقبل المسلمون رويدا حتى عبروا نهر قرطبة ليلا وقد أغفل حرس المدينة احتراس
السور فلم يظهروا عليه ضيقا بالذي نالهم من المطر والبرد فترجل القوم حتى عبروا النهر وليس
بين النهر والسور الا مقدار ثلاثين ذراعا أو اقل وراموا التعلق بالسور فلم يجدوا متعلقا
ورجعوا الى الراعي في دلالتهم على الثغرة التي ذكرها فأراهم اياها فاذا بها غير متسهلة التسنم
الا انه كانت في اسفلها شجرة تين مكنت افنانها من التعلق بها فصعد رجل من اشداء المسلمين
في اعلاها ونزع مغيث عمامته فناوله طرفها واعان بعض الناس بعضا حتى كثروا على
السور وركب مغيث ووقف من خارج وامر اصحابه المرتقين للسور بالهجوم على الحرس
ففعلوا وقتلوا نفرا منهم وكسروا اقفال الباب وفتحوه فدخل مغيث ومن معه وملكوا المدينة
عنوة فصمد الى البلاط منزل الملك ومعه ادلاؤه وقد بلغ الملك دخولهم المدينة فبادر بالفرار

وما نقل الماء بتياره من الجانب الغربي ١٢٢ من الضياع التي كانت بقطربل ومدينة السلام كالقرية المعروفة بالدسري والموضع
المعروف بالعمر وغير ذلك
من ضياع قطربل وقد كان
لاهلها مطالبات مع أهل
الجانب الشرقي ممن ملك
رقة الشماسية في أيام المقتدر
بحضرة الوزير أبي الحسن
علي بن عيسى وما أجاب به
أهل العلم في ذلك وما
ذكرناه مشهور بمدينة
السلام فاذا كان الماء في
نحو من ثلاثين سنة قد
ذهب بنحو من تسعمائة ميل
فانه يسيره ميلا في قدره في
سنة فاذا سار اليهم أربعة
آلاف ذراع من عرضه
الاول خربت بذلك السير
مواضع وعمرت مواضع واذا
وجد الماء سبيلا منخفضا
وانصبابا أوسع بالحركة وشدة
الجرية بانفسه فاقتلع المواضع
من الارض من أبعد غاياتها
وكلما وجد موضعا متسعا
من الوهاد ملأه في طريقه
من شدة جريته حتى يعمل
بحيرات وبطائح ومستنقعات
وتخرب بذلك بلاد وتعمر
بذلك بلاد ولا يغيب فهم
ما وصفنا عن مرام ذي فكر
ولنبدأ بذكر (دجلة
ومبدأ جريانها ومصبها)
فنقول دجلة تخرج من
بلاد آمد من ديار بكر من
أعين بلاد خلاط من أرمينية
ويصب اليها نهر سريط وسائر
ما يخرج من بلاد أردن وميا فارقين وغير ذلك من الانهار كنهر ذوما والخابور الخارج من بلاد ارمينية

عن البلاد في أصحابه وهم زهاء أربعمائة وخرج الى كنيسة بغربي المدينة وتحصن بها وكان الماء يأتيها تحت الارض من عين في سفح جبل ودافعوا عن أنفسهم وملك مغيث المدينة وما حولها وقال من ذهب الى أن طارقا لم يحضر فتح قرطبة وان فاتحها مغيث انه كتب الى طارق بالفتح وأقام على محاصرة العلج بالكنيسة ثلاثة أشهر حتى ضاق من ذلك وطال عليه فتقدم الى أسود من عبيده اسمه رباح وكان ذا بأس ونجدة بالكمون في جنان الى جانب الكنيسة ملتفة الاشجار لعله أن يظفر له بعلج يقف به على خبر القوم ففعل ودعاه ضعف عقله الى أن صعد في بعض تلك الاشجار وذلك أيام الثمر ليجني ما يأكله فبصر به أهل الكنيسة وشدوا عليه فأخذوه فلكوه وهم في ذلك هائبون له منكرون لخلقه اذ لم يكونوا عاينوا أسود قبله فاجتمعوا عليه وكثر لغطهم وتعجبهم من خلقه وحسبوا أنه مصبوغ أو مطلي ببعض الاشياء التي تسود فجردوه وبطحوه وأدنوه الى القناة التي منها كان يأتيهم الماء وأخذوا في غسله وتدليكه بالحبال الحرش حتى أدموه وأعنتوه فاستغاثهم وأشار الى أن الذي به خلقة من بارئهم عز وجل ففهموا اشارته وكفوا عنه وعن غسله واشتد فزعهم منه ومكث في اسارهم سبعة أيام لا يتركون التجمع عليه والنظر اليه الى أن يسر الله له الخلاص ليلا فنجا وأتى الامير مغيثا فخبره بشأنه وعرفه بالذي اطلع عليه من شأنهم وموضع الماء الذي ينتابونه ومن أي ناحية يأتيهم فأمر أهل المعرفة بطلب تلك القناة في الجهة التي أشار اليها الاسود حتى أصابوها فقطعوها عن جريتها الى الكنيسة وسدوا منافذها فأيقنوا بالهلاك حينئذ فدعاهم مغيث الى الاسلام أو الجزية فأبوا عليه فأوقد النار عليهم حتى أحرقهم فسميت كنيسة الحرقى والنصارى تعظمها لصبر من كان فيها على دينهم مع شدة البلاء غير أن العلج أميرهم رغب بنفسه عن بليتهم عندما أيقن الهلاك ففر عنهم وحده وقد استغفلهم ورام اللحاق بطليطلة فبلغ خبره الى مغيث فبادر الركض خلفه وحده فلحقه بقرب قرية تطليرة هاربا وحده وتحته فرس أصفر ذريع الخطو وحرك مغيث خلفه فالتفت العلج ودهش لما رأى مغيثا قد رهقه وزاد في حث فرسه فقصر به فسقط عن الفرس واندق عنقه فقعد على ترسه مستأسرا قد هاضته السقطة فقبض عليه مغيث وسلبه سلاحه وحبسه عنده ليقدم به على أمير المؤمنين الوليد ولم يؤسر من ملوك الاندلس غيره لان بعضهم استأمن وبعضهم هرب الى جليقية وفي رواية ان مغيثا استنزل أهل الكنيسة بعد أسره لملكهم فضرب أعناقهم جميعا فمن أجل ذلك عرفت بكنيسة الاسرى وان مغيثا جمع يهود قرطبة فضمهم الى مدينتها استنامة اليهم دون النصارى للعداوة بينهم وانه اختار القصر لنفسه والمدينة لاصحابه * وأما من وجه الى مالقة ففتحوها ولجأ علوجها الى جبال هنالك ممتنعة ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه الى البيرة فحاصروا مدينتها غرناطة فافتتحوها عنوة وضموا اليهود الى قصبة غرناطة وصار ذلك لهم سنة في كل بلد يفتحونه أن يضموا يهوده الى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها ويمضي معظم الناس لغيرها واذا لم يجدوا يهودا وفروا عدد المسلمين المخلفين لحفظ ما فتح ثم صمدوا عند فتح كورة رية التي منها مالقة مثل ذلك ومضى الجيش الى تدمير وتدمير اسم العلج صاحبها سميت به واسم قصبتها

ومصبه في دجلة من بلاد ماسورين وسيلون من بلاد قردي وبازندي وباهمداء من بلاد الموصل وهذه الديار ديار بني حمدان وفي قردي وبازندي يقول الشاعر

بقردي وبازندي مصيف ومربع
وعذب يحاكي السلسل برود
وبغداد ما بغداد أما ترابها
فحمى وأما حرها فشديد

وليس هذا الخابور بخابور النهر الذي يخرج من مدينة راس العين من اعينها ويصب في الفرات اسفل مدينة قرقيسيا ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل ويصب اليها نهر الزاب وهو من بلاد ارمينية (وهو الزاب الاكبر) بعد الموصل وفوق حديثته ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السحرة يأتي من بلاد ارمينية واذربيجان ثم ينتهي الى مدينة تكريت وسر من رأى ومدينة السلام فيصب اليها الخندق والصراة ونهر عيسى وهي الانهار التي ذكرنا أنها تأخذ من الفرات وتصب في دجلة ثم تخرج دجلة عن مدينة السلام فينصب فيها أنهار كثيرة مثل النهر المعروف بدالى ونهر بين والنهروان مما يلي بلاد جرجرايا والسيب ونيل النعمانية فاذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت في أنهار هنالك أخر الى بطيحة البصرة مثل بردودا اليهودي ومامي والمصب الذي ينتهي الى

اربولة ولها شأن فى المنعة وكان ملكها علجا داهية وفاتهم محيا ثم استمرت عليه الهزيمة فى
نحو بها فبلغ السيف فى أهلها مبلغا عظيما أفنى أكثرهم ولجأ العلج الى اربولة فى يسير من
أصحابه لا يغنون شيأ فأقام النساء بنشر الشعور وحمل القصب والظهور على السور فى زى
القتال متشبهات بالرجال وتصدر قدامهن فى بقية أصحابه يغالط المسلمين فى قوته على الدفاع
عن نفسه فكره المسلمون مراسه لكثرة من عاينوه على السور وعرضوا عليه الصلح فأظهر
الميل اليه وتنكر زيه فنزل اليهم بأمان على انه رسول فصالحهم على أهل بلده ثم على نفسه
وتوثق منهم فلما تم له من ذلك ما أراد عرفهم بنفسه واعتذر اليهم بالابقاء على قومه وأخذهم
بالوفاء بعهده وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيها الا العيال والذرية فندموا على الذى اعطوه من
الامان واستحيوه فيما احتال به ومضوا الى الوفاء له وكان الوفاء عادتهم فسلمت كورة
تدمير من معرة المسلمين بتدبير تدمير وصارت كلها صلحا ليس فيها عنوة وكتبوا الى أميرهم
طارق بالفتح وخلفوا بقصبة البلد رجالا منهم ومضى معظمهم الى أميرهم الى طليطلة قال
ابن حيان وانتهى طارق الى طليطلة دار مملكة القوط فألفاها خالية قد فر عنها أهلها ولجؤا
الى مدينة بها خلف الجبل فضم اليهود الى طليطلة وخلف بها رجالا من أصحابه ومضى خلف
من فر من أهل طليطلة فسلك وادى الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمى به بعد
فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل وهى المنسوبة لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام
وهى خضراء من زبرجد حافاتها منها وارجلها وكان لها ثلثمائة وخمسة وستون رجلا فاحرزها
عنده ثم مضى الى المدينة التى تحصنوا بها خلف الجبل فأصاب بها حليا ومالا ورجع ولم
يتجاوزها الى طليطلة سنة ثلاث وتسعين وقيل انه لم يرجع بل اقتحم أرض جليقية واخترقها
حتى انتهى الى مدينة استرقة فدوخ الجهة وانصرف الى طليطلة والله أعلم وقيل ان طارقا
دخل الاندلس بغير أمر مولاه موسى بن نصير فالله أعلم قال بعضهم وكانت اقامته فى الفتوح
وتدويخ البلاد الى ان وصل سيده موسى بن نصير سنة وكان ما سيذكر وأنشد فى المسهب
وابن اليسع فى المغرب لطارق من قصيدة قالها فى الفتح

ركبنا سفينا بالمجاز مقيرا * عسى ان يكون الله منا قد اشترى
نفوسا وأموالا واهلا بجنة * اذا ما اشتهينا الشئ فيها تيسرا
ولسنا نبالى كيف سالت نفوسنا * اذا نحن ادركنا الذى كان اجدرا

قال ابن سعيد وهذه الابيات مما يكتب لمراعاة قائلها ومكانته لا لعلو طبقتها انتهى * واما
اولاد غيطشة فانهم لما صاروا الى طارق بالامان وكانوا سبب الفتح حسبما تقدم قالوا لطارق
أنت امير نفسك ام فوقك امير فقال بل على رأسى امير وفوق ذلك الامير أمير عظيم فاستأذنوه
فى اللحاق بموسى بن نصير بافريقية ليؤكدوا سببهم به وسألوه الكتاب اليه بشأنهم معه وما
اعطاهم من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقوه فى انحداره الى الاندلس بالقرب من بلاد
البربر وعرفوه بشأنهم ووقف على ما خاطبه به طارق فى ذمتهم وسابقتهم فأنفذهم الى امير
المؤمنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرفه به طارق من جميل أثرهم فلما وصلوا
الى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهد طارق فى ضياع والدهم وعقد لكل واحد منهم سجلا وجعل

لهم

القطر وفيه تجرى اكثر سفن البصرة وبغداد وواسط فقدار مسافة جريان دجلة على وجه الارض نحو من ثلثمائة
فرسخ وقيل اربعمائة وقد
اعرضنا عن كثير من ذكر
الانهار الا ما كبر واشتهر اذ
كنا قد اتينا على ذكر ذلك
على الاتساع فى الكتاب
المترجم باخبار الزمان وكذلك
فى الكتاب الاوسط ونذكر
فى هذا الكتاب لمعا مما
سميناه من الانهار ومما لم نسمه
وبالبصرة انهار كبار مثل نهر
سيرين ونهر الرس ونهر ابن
عمر وكذلك ببلاد الاهواز
وما بينها وبين بلاد البصرة
اعرضنا عن ذكر ذلك
اذ كنا قد تقصينا الاخبار
عنها واخبار منتهى بحر
فارس الى بلاد البصرة
والابلة وخبر الموضع
المعروف بالحدارة وهى
دخلة من البحر الى البر تقرب
من نحو بلاد الابلة ومن
اجلها ملح الاكثر من بلاد
البصرة وهذه الحدارة
انحدرت الاخشاب فى فم
البحر مما يلى الابلة وعبادان
عليها أناس يوقدون النار
بالليل على خشبات ثلاث
كالكراسى فى جوف البحر
خوفا على المراكب الواردة
من عمان وسيراف وغيرهما
ان تقع فى تلك الحدارة فلا
يكون لها خلاص وقد
ذكرنا ذلك فيما سلف من
كتبنا وهذه الديار عجيبة
فى مصبات مياهها واتصال البحر بها والله أعلم

لهم أن لا يتوموا الداخل عليهم فقدموا الاندلس وحازوا ضياع والدهم اجمع واقتسموها
على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم ألمند ألف ضيعة في غرب الاندلس فسكن من أجلها
اشبيلية مقتربا منها وصار لارطباش ألف ضيعة وهو تلوه في السن وضياعه في موسطة
الاندلس فسكن من أجلها قرطبة وصار لثالثهم وثلة ألف ضيعة في شرقي الاندلس وجهة
الثغر فسكن من أجلها مدينة طليطله فكانوا على هذه الحال صدر الدولة العربية الى أن
هلك ألمند كبيرهم وخلف ابنته سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغير بن فبسط يده ارطباش
على ضياعهم وضمها الى ضياعه وذلك في خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فأنشأت
سارة بنت ألمند مركبا باشبيلية حصينا كامل العدة وركبت فيه مع اخويها الصغيرين تريد
الشام حتى نزلت بعسقلان من سواحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره دمشق فأنهت
خبرها وشكت ظلامتها من عمها وتعديه عليها واحتجت بالعهد المنعقد لابيها واخوته على
الخليفة الوليد بن عبد الملك فأوصلها هشام الى نفسه وأعجبه صورتها وحزمها وكتب الى حنظلة
ابن صفوان عامله بافريقية بانصافها من عمها ارطباش وامضائها واخويها على سنة الميراث
فيما كان في يد والدها مما قاسم فيه اخوته فأنفذ لها الكتاب بذلك الى عامله بالاندلس
أبي الخطار ابن عمه فتم لها ذلك وانكحها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم فابتنى بها بالشام
ثم قدم بها الى الاندلس وقام لها في دفاع عمها ارطباش عن ضياعها فمال بها نعمة عظيمة وولدله
منها ولداه ابراهيم واسحق فادركا الشرف المؤثل والرياسة باشبيلية وشهرا ونسلهما بالنسبة
الى أمهما سارة القوطية وكانت أيام وفادتها على الخليفة هشام رأت عنده حفيده عبد الرحمن
ابن معاوية الداخل بعد الى الاندلس وعرفها فتوسلت اليه لما ملك الاندلس ووفدت اليه
فاعترف بذمامها وأكرمها وأذن لها في الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة فيجدد تكرمتها
ولا يحجب عيالة منها وتوفي زوجها عيسى في السنة التي ملك فيها عبد الرحمن الاندلس
فزوجها عبد الرحمن من عمير بن سعيد وكان لها ولابيها ألمند وعمها ارطباش في صدر الدولة
العربية بالاندلس أخبار ملوكية فمنها ماحكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي انه قصد
ارطباش يوما الى منزله عشرة من رؤساء رجال الشاميين فيهم الصميل وابن الطفيل وابو عبدة
وغيرهم فأجلسهم على الكراسي وبالغ في تكريمهم ودخل على اثرهم ميمون العابد جد بني حزم
وكان في عداد الشاميين الا انه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه فلما بصر به ارطباش
قام اليه دونهم اعظاما ورقاه الى كرسيه الذي كان يجلس عليه وكان ملبسا صفائح الذهب
وجذبه ليجلسه مكانه فامتنع عليه ميمون وقعد على الارض فقعد ارطباش معه عليها واقبل
عليه قبلهم فقال له ياسيدي ما الذي جاء بك الى مثلي فقال له ما تسمعه انا قدمنا الى هذا البلد
غزاة نحسب ان مقامنا فيه لا يطول فلم نستعد للمقام ولا كثرنا من العدة ثم حدثت بعدنا على
مواليناو في اجنادنا ما قد يسنا معه من الرجوع الى اوطاننا وقد وسع الله عليك فأحب أن
تدفع الى ضياعا من ضياعك اعتمره ابيدي وأؤدي اليك الحق منها وآخذ الفضل لي طيبا
اتعيش منه فقال لا ارضى لك بالمساهمة بل اهب لك هبة مسوغة ثم دعا بوكيل له فقال له سلم
اليه المجشر الذي لنا على وادي شوش بما فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك وادفع اليه

قد زاد بحر الهند وهو الحبشي حتى امتد طوله من المغرب الى المشرق من أقصى الحبش الى اقصى الهند والصين وصار ثمانية آلاف ميل وعرضه الفان وتسعمائة ميل وعرضه في مواضع اخر الف وتسعمائة ميل وقد يتقارب في ذلك العرض في موضع دون موضع ويكثر كذلك وقد قيل في طوله وعرضه غير ما وصفنا من الكثرة واعرضنا عن ذكره لعدم قيام الدلالة على صحته عند اهل هذه الصناعة وليس في المعمور اعظم من هذا البحر وله خليج متصل بارض الحبشة يمتد الى ناحية بربرى من بلاد الزنج والحبشة ويسمى الخليج البربرى طوله خمسمائة ميل وعرض طرفيه مائة ميل وليست هذه بربرى التي ينسب اليها البرابرة الذين ببلاد المغرب من ارض افريقية لان هذا موضع آخر يدعى بهذا الاسم واهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج الى جزيرة قنبلو من بحر الزنج وفي هذه الجزيرة مسلمون من الاكابر من الزنج والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون ان هذا الخليج المعروف بالبربري وهم يعرفونه بحر بربري وبلاد جعوني أكثر مسافة مما ذكرنا وموجه عظيم كالجبال الشواهق فانه

الضيعة التى بحيان فتسلم ميمون الضيعتين وورثهما ولده واليهم نسبت قلعة حزم فشكره ميمون
وأثنى عليه وقام عنه وقد أنف الصميل من قيامه اليه فأقبل على ارطباش وقال له كنت
أظنك أرجح وزنا أدخل عليك وأنا سيد العرب بالاندلس فى أصحابى هؤلاء وهم سادة الموالى
فلا تزيدنا من الكرامة على الاقعاد على أعوادك هذه ويدخل هذا الصعلوك فتصير من
اكرامه الى حيث صرت فقال له يا أبا جوشن ان أهل دينك يخبروننا أن أدبهم لم يرهفك ولو
كان لم تنكر على ما فعلته انكم أكرمكم الله انما تكرمون لدنياكم وسلطانكم وهذا انما
أكرمته لله تعالى فقد روينا عن المسيح عليه السلام أنه قال من أكرمه الله تعالى من عباده
بالطاعة له وجبت كرامته على خلقه فكأنما ألقمه حجرا وكان الصميل أميا فلذلك عرض
به فقال له القوم دعنا من هذا وانظر فيما قصدناك له فحاجتنا حاجة الرجل الذى قصدك
فأكرمته فانظر فى شأننا فقال له أنتم ملوك الناس وليس يرضيكم الا الكثير وها أنا أهب
لكم مائة ضيعة تقتسمونها عشرا عشرا وكتب لهم بها وأمر وكلاءه بتسليمها اليهم فكان
القوم يرونها من أطيب املاكهم انتهى * قال ابن حيان وغيره ولما بلغ موسى بن نصير
ما صنعه طارق بن زياد وما اتيح له من الفتوح حسده وتهيأ للمسير الى الاندلس فعسكر وأقبل
نحوها ومعه جماعة الناس واعلامهم وقيل انهم كانوا ثمانية عشر ألفا وقيل أكثر فكان
دخوله الى الاندلس فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وتنكب الجبل الذى حله طارق
ودخل على الموضع المنسوب اليه المعروف الآن بجبل موسى فلما احتل الجزيرة الخضراء
قال ما كنت لاسلك طريق طارق ولا اقفو أثره فقال له العلوج الادلاء أصحاب يليان نحن
نسلكك طريقا هو أشرف من طريقه وندلك على مدائن هى أعظم خطرا وأعظم خطبا وأوسع
غنما من مدائنه لم تفتح بعد يفتحها الله عليك ان شاء الله تعالى فملئ سرورا وكان شفوف
طارق قد غمه فساروا به فى جانب ساحل شذونة فافتتحها عنوة وألقوا بايديهم اليه ثم سار الى
مدينة قرمونة وليس بالاندلس أحصن منها ولا أبعد على من يرومها بحصار أو قتال فدخلها
بحيلة توجهت باصحاب يليان دخلوا اليهم كأنهم فلال وطرقهم موسى بخيله ليلا ففتحوا لهم
الباب وأوقعوا بالاحراس فملكت المدينة ومضى موسى الى اشبيلية جارتها فحاصرها وهى
أعظم مدائن الاندلس شأنا وأعجبها بنيانا وأكثرها آثارا وكانت دار الملك قبل القوطيين
فلما غلب القوطيون على ملك الاندلس حولوا السلطان الى طليطلة وبقى رؤساء الدين فيها
أعنى اشبيلية فامتنعت أشهرا على موسى ثم فتحها الله عليه فهرب العلوج عنها الى مدينة باجة
فضم موسى يهودها الى القصبة وخلف بها رجالا ومضى من اشبيلية الى القنت الى مدينة
ماردة وكانت أيضا دار مملكة لبعض ملوك الاندلس فى سالف الدهر وهى ذات عز ومنعة
وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر فائقة الوصف فحاصرها أيضا وكان فى
أهلها منعة شديدة وبأس عظيم فنالوا من المسلمين دفعات وآذوهم وعمل موسى دبابة دب
المسلمون تحتها الى برج من أبراج سورها جعلوا ينقبونه فلما فلقوا الحجر أفضوا بعده
الى العمل المدعو بلسان العجم الاشه ماشه فنبت عنه معاولهم وعدتهم وثار بهم العدو على
غفلة فاستشهد بايديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة فسمى ذلك الموضع برج الشهداء

موج أعمى يريدون بذلك انه مرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كانخفاض ما يكون من الاودية لا ينكسر موجه ولا
يظهر من ذلك زبد كتكسر
أمواج سائر البحار ويزعمون
انه موج مجنون وهؤلاء
القوم الذين يركبون هذا
البحر من أهل عمان عرب
من الازد فاذا توسطوا هذا
البحر ودخلوا بين ما ذكرنا
من الامواج ترفعهم
وتخفضهم فيرتجزون
ويقولون

بربرى وجفونى
وموجك المجنون
جفونى وبربرى
وموجها كما ترى

وينتهى هؤلاء فى بحر الزنج
الى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا
والى بلاد سفالة الواق واق
من أقاصى أرض الزنج
والاسافل من نحوهم ويقطع
هذا البحر السيرافيون وقد
ركبت أنا هذا البحر من
مدينة سنجار ومن بلاد
عمان (وسنجار قصبة بلاد
عمان) مع جماعة من نواخذة
السيرافيين وهم أرباب
المراكب مثل محمد بن
الزيدوم السيرافى وجوهر
ابن أحمد وهو المعروف
بابن نسوة وفى هذا البحر
تلف ومن كان معه فى
مركبه وآخر مرة ركبت
فيه فى سنة أربع وثلثمائة
من جزيرة قنبلو الى مدينة
عمان وذلك فى مركب أحمد
وعبد الصمد أخوى عبد الرحيم بن جعفر السيرافى بمكان وفيه غرقا فى مركبهما وجميع من كان معهما

ثم

ثم دعا القوم الى السلم فترسل اليه فى تقريره قوم من أماثلهم أعطاهم الامان واحتال فى توهيم هم فى نفسه فدخلوا عليه أوّل يوم فاذا هو أبيض الرأس واللحية كما نصل خضابه فلم يتفق لهم معه أمر وعاودوه قبل الفطر بيوم فاذا هو قد قنى لحيته بالحناء فجاءت كضرام عرفج فعجبوا من ذلك وعاودوه يوم الفطر فاذا هو قد سوّد لحيته فازداد تعجبهم منه وكانوا لا يعرفون الخضاب ولا استعماله فقالوا لقومهم انا نقاتل أنبياء يتخلقون كيف شاؤا و يتصوّرون فى كل صورة احبوا كان ملكهم شيخا فقد صار شابا والرأى أن نقاربه ونعطيه ما يسأله فما لنا به طاقة فأذعنوا عند ذلك وأكملوا صلحهم مع موسى على أن أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين الى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين ثم فتحوا له المدينة يوم الفطر سنة أربع وتسعين فملكها ثم ان عجم اشبيلية انتقضوا على المسلمين واجتمعوا من مدينتى باجة ولبلة اليهم فأوقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم نحو ثمانين رجلا وأتى فلهم الامير موسى وهو بماردة فلما أن فتحها وجه ابنه عبد العزيز بن موسى فى جيش اليهم ففتح اشبيلية وقتل أهلها ونهض الى لبلة ففتحها واستقامت الامور فيما هنالك وعلا الاسلام وأقام عبد العزيز باشبيلية وتوجه الامير موسى من ماردة فى عقب شوّال من العام المؤرّخ يريد طليطلة و بلغ طارقا فأخبره فاستقبله فى وجوه الناس فلقيه فى موضع من كورة طلبيرة وقيل ان موسى تقدّم من ماردة فدخل جليقية من فج نسب اليه فخرقها حتى وافى طارق بن زياد صاحب مقدمته بمدينة استرقة فغض منه علانية وأظهر ما بنفسه عليه من حقد والله أعلم وقيل لما وقعت عينه عليه نزل اليه اعظاما له فقنعه موسى بالسوط و وبخه على استبداده عليه ومخالفته لرأيه وساروا الى طليطلة فطالبه موسى بأداء ما عنده من مال الفىء وذخائر الملوك واستعجله بالمائدة فأتاه بها وقد خلع من أرجلها رجلا وخبأه عنده فسأله موسى عنه فقال لا علم لى به وهكذا اصبتها فأمر موسى فجعل لها رجل من ذهب جاء بعيد الشبه من أرجلها يظهر عليه التعمل ولم يقدر على أحسن منه فأخل بها وقال ابن الفرضى موسى بن نصير صاحب فتح الاندلس لخمى يكنى أبا عبد الرحمن يروى عن تميم الدارى وروى عنه يزيد بن مسروق اليحصبى وقيل غزا موسى بن نصير فى المحرّم سنة ثلاث وتسعين فأتى طنجة ثم عبر على الاندلس فأداخها لا يأتى على مدينة الا افتتحها ونزل أهلها على حكمه وسار الى قرطبة ثم قفل على الاندلس سنة أربع وتسعين فأتى افريقية وسار عنها سنة خمس وتسعين الى الشام يؤمّ الوليد بن عبد الملك بجرّ الدنيا بما احتمله من غنائم الاندلس من الاموال والامتعة يحملها على العجل والظهر ومعه ثلاثون ألف رأس من السبى فلم يلبث أن هلك الوليد بن عبد الملك وولى سليمان فنكب موسى نكبا أداه الى الفقر به وهلك فى نكبته تلك بوادى القرى سنة سبع وتسعين (قال ابن حيان) وهذه المائدة المنوّه باسمها المنسوبة الى سليمان النبى عليه الصلاة والسلام لم تكن له فيما يزعم رواة العجم وانما أصلها ان العجم فى أيام ملكهم كان أهل الحسبة منهم اذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسى وأشباهها من الذهب والفضة تحمل الشمامسة والقسوس فوقها مصاحف الاناجيل اذا أبرزت فى أيام المناسك و يضعونها على

وكان ركوبى فيه أخيرا والامير على عمان أحمد بن هلال ابن أخت القتال وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن وأصابنى فيها من الاهوال ما لا أحصيه كثرة فلم أشاهد أهول من بحر السند الذى قدمنا ذكره وفيه السمك المعروف بالفال طول السمكة نحو من اربعمائة ذراع بالذراع العمرية وهى ذراع ذلك البحر والاغلب من هذا السمك طوله مائة باع وربما يهز البحر فيظهر شيأ من جناحه فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء فى الجوّ أكثر من ممر السهم والمراكب تفزع منه فى الليل والنهار وتضرب له بالدبادب والخشب لينفر من ذلك ويحشر بأجنحته وذنبه السمك الى فمه وقد تقدّم فاه وذلك السمك يهوى الى جوفه جرمه فاذا بغت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة نحو الذراع تدعى اللشك فتلصق بأصل أذنها فلا يكون لها منها خلاص فتطلب قعر البحر وتضرب بنفسها حتى تموت فتطفو فوق الماء فتكون كالجبل العظيم وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة باللشك بالمراكب فلا يدنو الافال مع عظمه من المركب ويهرب اذا رأى السمكة الصغيرة اذ كانت آفته وقاتلته وكذلك التمساح يموت من دويبة تكون

امذابح فى الاعياد للمباهاة بزينتها فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ فى هذه السبيل وتأنقت الاملاك فى تفخيمها يزيد الآخر منهم على الاول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات وطار الذكر مطاره عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد لم تر الاعين مثلها وبولغ فى تفخيمها من أجل دار المملكة وانه لا ينبغى أن تكون بموضع آلة جمال اومتاع مباهاة الادون ما يكون فيها وكانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة فأصابها المسلمون هنالك وطار النبأ الفخم عنها وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل الذى فعله من غيرته على ما تهيأ له ومطالبته له بتسليم ما فى يده اليه فاستظهر بانتزاع رجل من أرجل هذه المائدة خبأه عنده فكان من فلجه به على موسى عدوه عند الخليفة اذ تنازعا عنده بعد الاثر فى جهادهما ما هو مشهور انتهى * وقال بعض المؤرخين ان المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكانها مكالة بالجواهر انتهى * وما ذكره ابن حيان من ان الذى نكب موسى بن نصير هو سليمان ابن عبد الملك صواب وأما ما حكاه ابن خلكان من ان المنكب له الوليد فليس بصحيح والله أعلم * (رجع الى كلام ابن حيان) قالوا ان موسى اصطلح مع طارق وأظهر الرضا عنه وأقره على مقدمته على رسمه وأمره بالتقدم امامه فى اصحابه وسار موسى خلفه فى جيوشه فارتقى الى الثغر الاعلى واقتحم سرقسطة واعمالها واوغل فى البلاد وطارق امامه لا يمر ان بموضع الافتح عليهما واغنمهما الله تعالى ما فيه ونداني الله الرعب فى قلوب الكفرة فلم يعارضهما احد الا بطلب صلح وموسى يجىء على اثر طارق فى ذلك كله ويكمل ابتداءه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله وطأمن نفوس من اقام على سلمه ووطأ الاقدام المسلمين فى الحلول به اقام لتمييز ذلك وقتا وامضى المسلمين الى افرنجة ففتحوا وغنموا وسلموا وعلوا واوغلوا حتى انتهوا الى وادى ردونة فكان اقصى اثر العرب ومنتهى موطئهم من ارض العجم وتدوخت بعوث طارق وسراياه بلد افرنجة فملكت مدينتى برشلونة واربونة وصخرة ابنيون وحصن لودون على وادى ردونة فبعدوا عن الساحل الذى منه دخلوا جدا وذكران مسافة ما بين قرطبة واربونة من بلاد افرنجة ثلثمائة فرسخ وخمسة وثلاثون فرسخا وقيل ثلثمائة فرسخ وخمسون فرسخا ولما اوغل المسلمون الى اربونة ارتاع لهم قارله ملك الافرنجة بالارض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم وخرج عليهم فى جمع عظيم فلما انتهى الى حصن لودون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه واقبل حتى انتهى الى صخرة ابنيون فلم يجد بها احدا وقد عسكر المسلمون قدامه فيما بين الاجبل المجاور لمدينة أربونة وهم بحال غرة لا عيون لهم ولا طلائع فما شعروا حتى أحاط بهم عدو الله قارله فاقتطعهم عن اللجا الى مدينة اربونة وواضعهم الحرب فقاتلوا قتالا شديدا استشهد فيه جماعة منهم وحمل جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها فنازلهم بها أياما فاصيب له فيها رجال وتعذر عليه المقام وخامره ذعر وخوف مدد للمسلمين فزال عنهم راحلا الى بلده وقد نصب فى وجوه المسلمين حصونا على وادى ردونة شكها بالرجال فصيرها ثغرا بين بلده والمسلمين وذلك بالارض الكبيرة خلف الاندلس (وقال الحجارى فى المسهب) ان موسى

فى ساحل النيل وجزائره وذلك ان التمساح لادبر له وما يا كله يكون فى بطنه دودا واذا آذاه ذلك الدود خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينقض اليه طير الماء كالقطيطوى والحصانى وغير ذلك من أنواع الطيور وقد اعتاد ذلك منه فيأكل ما ظهر فى جوفه من ذلك الدود وتكون تلك الدويبة قد كمنت فى الرمل تراعيه فتدب الى حلقه وتصير فى جوفه فيخبط بنفسه فى الارض فيطلب قعر النيل حتى تأتى الدويبة على حشوة جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج وربما يقتل نفسه قبل ان تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحوا من ذراع على صورة ابن عرس ولها قوائم ومخالب وفى بحر الزنج أنواع من السمك بصور شتى ولولا ان النفوس تنكر ما لم تعرفه وتدفع ما لم تألفه لاخبرنا عن عجائب هذه البحار وما فيها من الحيات والدواب وغير ذلك من عجائب المياه والجماد فلنرجع الآن الى ذكر تشعب مياه هذا البحر وخلجانه ودخوله فى البر ودخول البر فيه فنقول ان خليجا آخر يمتد من هذا البحر الحبشى فينتهى الى مدينة القلزم من أعمال مصر وبينها وبين فسطاط مصر ثلاثة أيام وعليه مدينة ايلة والجار وجدة واليمن طوله ألف وأربعمائة ميل وعرض طرفيه مائتا ميل

ابن نصير نصره الله نصرا ما عليه من مزيد وأجفلت ملوك النصارى بين يديه حتى خرج على باب الاندلس الذى فى الجبل الحاجز بينها وبين الارض الكبيرة فاجتمعت الافرنج الى ملكها الاعظم قارله وهذه سمة لملكهم فقالت له ما هذا الخزى الباقى فى الاعقاب كنا نسمع بالعرب ومخافتهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم ما فيها من العدة والعدد بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم فقال لهم ما معناه الرأى عندى ان لا تعترضوهم فى خرجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادره وهم فى اقبال أمرهم ولهم نيات تغنى عن كثرة العدد وقلوب تغنى عن حصانة الدروع ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا فى الرياسة ويستعين بعضهم ببعض فحينئذ تتمكنون منهم بايسر أمر فكان والله كذلك بالفتنة التى طرأت بين الشاميين والبلديين والبربر والعرب والمضرية واليمانية وصار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن جاورهم من الاعداء انتهى * وقيل ان موسى بن نصير اخرج ابنه عبد الاعلى الى تدمير ففتحها والى غرناطة ومالقة وكورة رية ففتح الكل وقيل انما حاصر مالقة وكان ملكها ضعيف الرأى دليل النفس كان يخرج الى جنان له بجانب المدينة طلبا للراحة من غمه الذى هو فيه من عدم نصرته وعدم طليعة وعرف عبد الاعلى بامره فاكمن له فى جنبات الجنة التى كان يتنابها دوما وجوه فرسانه ذوى رأى وحزم فرصدوا الملك ليلا فصعروا به وملكوه وأخذ المسلمون البلد عنوة وملؤا ايديهم غنيمة * وقيل كانت نفس موسى بن نصير فى ذلك كله تنزع الى دخول دار الكفر جليقية فبينما هو يعمل فى ذلك وينظر فيه اذ اتاه مغيث الرومى رسول الوليد بن عبد الملك ومولاه يأمره بالخروج عن الاندلس والاضراب عن الوغول فيها ويأخذه بالقفول اليه فساءه ذلك وقطع به عن ارادته اذ لم يكن فى الاندلس بلد لم يدخله العرب الى وقته ذلك غير جليقية فكان شديد الحرص على اقتحامها فلاطف موسى مغيثا رسول الخليفة وسأله انظاره الى ان ينفذ عزمه فى الدخول اليها والمسير معه فى البلاد اياما ويكون شريكه فى الاجر والغنيمة ففعل ومشى معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن باروا وحصن لك فأقام هنالك وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاى على البحر الاخضر فلم يبق كنيسة الا هدمت ولا ناقوس الا كسر وأذعنت الاعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية وسكنت العرب المفاوز وكان العرب والبربر كلما مر قوم منهم بموضع استحسنوه حطوا به ونزلوه فاتسع نطاق الاسلام بأرض الاندلس وخذل الشرك وبينما موسى كذلك اشتد الظهور وقوة الامل اذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى ابا نصر اردف به الوليد مغيثا لما استبطأ موسى فى القفول وكتب اليه يوبخه ويأمره بالخروج والزم رسوليه ازعاجه فانقلع حينئذ من مدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق فى الطريق منصرفا من الثغر الاعلى فأقفله مع نفسه ومضيا جميعا ومع هما من الناس من اختار القفول وأقام من آثر السكنى فى مواضعهم التى كانوا قد اختطوها واستوطنوها وقفل معهما الرسولان مغيث وأبو نصر حتى احتلوا باشبيلية فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس وانزله بمدينة اشبيلية لاتصالها بالبحر تنظر القرية من مكاره الجواز وركب موسى البحر الى المشرق

وهو أقرب المواضع من عرضه وعرضه فى الاصل سبعمائة ميل وهو أكثر العرض فيه وبلاتى ماذكرناه من الخلجان وبلاد المسن غربية الساحل الآخر من هذا الخليج بلاد العلاقى وبلاد عيذاب من أرض مصر أرض البجه ثم أرض الحبشة والاحابش والسودان الى أن يتصل ذلك بأقاصى أرض الزنج وأسافلها تتصل الى بلاد سفالة من أرض الزنج ويتشعب من هذا البحر خليج آخر وهو بحر فارس وينتهى الى بلاد الابلة وعبادان من أرض البصرة وعرضه فى الاصل خمسمائة ميل وطول هذا الخليج ألف وأربعمائة ميل وربما يصير عرض طرفيه مائة وخمسين ميلا وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهى أحد زواياه الى بلاد الابلة وعليه مما يلى المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس ومهربان ومدينة حسان والبها تضاف الثياب الحسانية ومدينة أحمرة ببلاد سيراف ثم بلاد ابن عمارة ثم ساحل كرمان ويتصل به على ساحله هذا بلاد مكران وهى أرض الخوارج الشراة وهذه كلها أرض بحر ثم ساحل السند وفيه مصب نهر مهران وهنالك مدينة الديبل ثم يكون مارا متصلا بساحل الهند الى بلاد بروص والها يضاف السال البروصى بر امتصلا الى أرض الصين ساحلا واحدا

بذي الحجة سنة خمس وتسعين وطرق معه وكان مقدم طارق بالاندلس قبل دخول موسى سنة
وبعد دخوله سنتين وأربعة أشهر وحمل موسى الغنائم والسبي وهو ثلاثون الف رأس
والمائدة متقدما بها ومعها من الذخائر والجواهر ونفيس الامتعة ما لا يقدر قدره وهو مع ذلك
متلهف على الجهاد الذي فاته أسف على ما لحقه من الازعاج وكان يؤمل ان يخترق ما بقي
عليه من بلاد افرنجة ويقتحم الارض الكبيرة حتى يتصل بالناس الى الشام مؤملا ان يتخذ
بمسيرته بتلك الارض طريقا مهيعا يسلكه اهل الاندلس في مسيرهم ومجيئهم من المشرق
واليه على البر لا يركبون بحرا وقيل انه أوغل في ارض الفرنجة حتى انتهى الى مفازة كبيرة
وارض سهلة ذات آثار فأصاب فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوبا فيه بالنقر كتابة
عربية قرئت فاذا هي يا بني اسمعيل انتهيتم فارجعوا فهاله ذلك وقال ما كتب هذا الا لمعنى
كبير فتشاور وأصحابه في الاعراض عنه وجوازه الى ما وراءه فاختلفوا عليه فاخذ برأي
جمهورهم وانصرف بالناس وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصي الغاية (وحكى الرازي) ان
موسى خرج من افريقية الى الاندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين واستخلف على افريقية
ابن ولده عبد الله بن موسى وكان موسى في عشرة آلاف قال وكان عبد الملك بن مروان هو
الذي أغزى موسى المغرب في خلافته ففتح له في اهله البرابرة فتوح كبار حتى لقد بعث الى
عبد الملك في الخمس بعشرين الف سبية ثم أردفها بعشرين الفا أخرى كل ذلك من البربر فعجب
عبد الملك يومئذ من كثرة ذلك * وزعم ابن حبيب انه دخل الاندلس رجل واحد من اصاغر
الصحابة وهو المنيذر قال ودخلها من التابعين ثلاثة موسى الامير وعلي بن رباح اللخمي
وحيوة بن رجاء التميمي وقيل ان ثالثهم انما هو حنش بن عبد الله الصنعاني صنعاء الشام
وانهم دخلوا عنها بقفول موسى واهل سرقسطة يزعمون أن حنشا مات عندهم ولم يقفل للمشرق
وقبره لديهم مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه فالله اعلم * وقيل ان التابعين اربعة
بأبي عبد الرحمن الحبلي الانصاري واسمه عبد الله بن يزيد والله اعلم وخمسهم بعضهم بحيان بن
ابي جبلة مولى بني عبد الدار وكان في ديوان مصر فبعثه عمر بن عبد العزيز الى
افريقية في جماعة من الفقهاء ليفقهوا اهلها وكان روى عن عمرو بن العاص وابن عباس
وابن عمر وحدث عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم وغيره وغزا مع موسى حين افتتح الاندلس
وانتهى معه الى حصن من حصون العدو يقال له قرقشونة وقيل بل قفل الى افريقية فتوفي
بها بعد العشرين ومائة * وقال بعضهم ان بين قرقشونة هذه وبين برشلونة مسافة خمسة
وعشرين يوما وفيها الكنيسة المعظمة عند الفرنج المسماة شنت مريه وقد حكى ابن حيان ان
فيها سبع سوار من فضة خالصة لم ير الراؤن مثلها لا يحيط الانسان بذراعيه على واحدة منها
مع طول مفرط * وحنش الصنعاني المذكور تابعي جليل كان مع علي رضي الله عنه بالكوفة
وقدم مصر بعد قتله فصار عداده في المصريين وكان فيمن قام مع ابن الزبير على عبد الملك بن
مروان وعفا عنه وكفى الاندلس شرفا دخوله لها * وعلي بن رباح بصري تابعي يكنى ابا عبد الله
وهو لخمي ولد عام اليرموك سنة خمس عشرة قال ابن معين اهل مصر يقولونه بفتح العين
وأهل العراق يقولونه بضمها وروى الليث عن ابنه موسى بن علي وكانت لعلي بن رباح عند

و يقابل ما ذكرنا من مبدا ساحل كرمان والسند بلاد البحرين وجزائر قطر ووسط بني خزيمة و بلاد عمان وأرض
مهرة الى رأس الجمجمة
الى أرض الشحر والاحقاف
وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة
خارك وهي بلاد جنابة
لان خارك مضافة الى جنابة
وبينها وبين البر فراسخ فيها
مغاص اللؤلؤ المعروف
بالخاركي وجزيرة اولي فيها
بنو معن وابن مسمار وخلائق
كثيرة من العرب بينها وبين
مدن ساحل البحر نحو يوم
بل اقل من ذلك وفي ذلك
الساحل مدينة البراة
والعقل والقطيف من
ساحل هجر ثم بعد جزيرة
اولي جزائر كثيرة منها جزيرة
لافت وتدعى جزيرة بني
كاوان وقد كان افتتحها
عمرو بن العاص وفيها
مسجد له الى هذه الغاية وفيها
خلق من الناس وقرى
وعمارة متصلة وتقرب هذه
الجزيرة الى جزيرة هنجان
ومنها يستقي ارباب المراكب
الماء ثم الجبال المعروفة
بكسير وعوير وثالث
ليس فيه خير الا الدردور
المعروف بدردور مسندم
وتسميه البحريون بابي
حمرة وهذه مواضع من
البحر وجبال سود ذاهبة في
الهواء لا نبات عليها ولا
حيوان تحيط بها مياه من
البحر عظيمة نعرة وامواج
متلاطمة تجزع منها النفوس اذا اشرفت عليها وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لابد للمراكب من الجرار

عبد العزيز بن مروان مكانه وهو الذي زف ابنته أم البنين لزوجها الوليد ثم عقب بدليه عبد
العزيز فأغزاه أفريقية * وأما المنيذر الصحابي فلم ينسبه ابن حبيب وذكره ابن عبد البر في
الصحابة وقال انه المنيذر الافريقي وروى عنه أبو عبد الرحمن الحبلي قال حدثنا المنيذر
الافريقي وكان سكن أفريقية وكان صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمعه صلى الله
عليه وسلم يقول من قال رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فأنا
الزعيم له فلآخذن بيده فلأدخلنه الجنة ورواه عنه ابن عبد البر بسنده اليه وسيأتي ان شاء
الله تعالى في حق المنيذر مزيد بيان * ولما قفل موسى بن نصير الى المشرق وأصحابه سأل مغيثا أن
يسلم اليه العلج صاحب قرطبة الذي كان في اساره فامتنع عليه وقال لا يؤديه للخليفة سواي
وكان يدل بولائه من الوليد فهجم عليه موسى فانتزعه منه فقيل له ان سرت به حيا معك ادعاه
مغيث والعلج لا ينكر قوله ولكن اضرب عنقه ففعل فاضطغنها عليه مغيث وسار أيضا مع
طارق الساعي عليه واستخلف موسى على طنجة وما يليها من المغرب ابنه الآخر عبد الملك وقد
كان كاهر استخلف بافريقية أكبر أولاده عبد الله فصار جميع الاندلس والمغرب بيد أولاده
وابنه عبد الله الذي خلفه بافريقية هو الذي افتتح جزيرة ميورقة وسار موسى فورد الشام
واختلف الناس هل كان وروده قبل موت الوليد أو بعده فمن يقول بالثاني قال قدم على
سليمان حين استخلف وكان منحرفا عليه فسبق اليه طارق ومغيث بالشكية منه ورمياه بالخيانة
وأخبراه بما صنع بهما من خبر المائدة والعلج صاحب قرطبة وقالا له انه تدغل جوهرا أعظم
القدر أصابه ولم تحو الملوك من بعد فتح فارس مثله فلما وافى سليمان وجده تغيظ عليه فأغلظ
له واستقبله بالتأنيب والتوبيخ فاعتذر له ببعض العذر وسأله عن المائدة فأحضرها فقال له
زعم طارق انه الذي أصابها دونك قال لا ومارآها طارق الا عندي فقال طارق فلتسأله أمير
المؤمنين عن الرجل التي تنقصها فسأله فقال هكذا أصبتها وعوضتها رجلا صنعتها لها فقول
طارق يده الى قبائه فأخرج الرجل فعلم سليمان صدقه وكذب موسى فحقق جميع ما رمى به
عنده وعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه وأمر بتقصي حسابه فأغرمه غرما عظيما كشفه
فيه حتى اضطر الى ان سأل العرب معونته فيقال ان لخما حملت عنه في أعطياتها تسعين ألفا
ذهبا وقيل حمله سليمان غرم مائتي ألف فأدى مائة ألف وعجز فاستجار بيزيد بن المهلب أسير
سليمان فاستوهبه من سليمان فوهبه اياه الا انه عزل ابنه عبد الله عن افريقية (وقال الرازي)
ان الذي أزعج موسى عن الاندلس أبو نصر رسول الوليد فقبض على عنانه وثناه فأقفل وقفل
معه من أحب المشرق وكان أكثر الناس تطير ببلاد الاندلس لديها فأقاموا فيها : وذهب
جماعة من أهل التاريخ الى أن موسى انما قدم على الوليد وأن سليمان ولي العهد لما سمع
بقرب موسى بن نصير من دمشق وكان الوليد مريضا كتب أي سليمان الى موسى يأمره
بالتربص رجاء ان يموت الوليد قبل قدوم موسى فيقدم موسى على سليمان في أول خلافته
بتلك الغنائم الكثيرة التي ما رىء ولا سمع مثلها فيعظم بذلك مقام سليمان عند الناس فأبى
موسى من ذلك ومنعه دينه منه وجد في السير حتى قدم والوليد حي فسلم له الاخماس والمغانم
والتحف والذخائر فلم يمكث الوليد الا يسيرا بعد قدوم موسى وتوفي واستخلف سليمان فحقد

عليها والدخول في وسطها مخطئ ومصيب وهذا البحر وهو خليج فارس ويعرف بالبحر ١٤١ الفارسي عليه ما وصفنا من البحرين
وفارس والبصرة وعمان
الى رأس الجمجمة ومابين
هذا الخليج وخليج القلزم
ايلة والحجاز واليمن ويكون
بين الخليجين من المسافة
الف وخمسمائة ميل وهي
داخلة من البر في البحر والبحر
يطيف بها من اكثر جهاتها
على ما وصفنا بهذا البحر الصين
والهند وفارس وعمان
والبصرة والبحرين واليمن
والحجاز والقلزم والزنج والسند
ومن في جزائره ومن قد احاط
به من الامم الكثيرة التي
لا يعلمون فهم ولا عددهم
الا من خلقهم سبحانه وتعالى
ولكل قطعة منه اسم يفردها
من غيرها والماء واحد
متصل غير منفصل وفي هذا
البحر مغاصات الدر والياقوت
وفيه العقيق والبادزهر
وهو نوع من البجادي وانواع
الياقوت والماس والسنباذج
وفيه معادن ذهب وفضة
نحو بلاد كلة وسرنديب وحوله
معادن حديد مما يلي بلاد
كرمان ونحاس بأرض عمان
وفيه انواع الطيب والافاويه
والعنبر والساج والخشب
المعروف بالرداستيقي والقنا
والخيزران وسنذكر بعد
هذا الموضع تفصيل مواضع
فيه ادركناها وكل ماذكرنا
من الجواهر والطيب والنبات
ففيه وحوله وسائر ماذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشي ورياح ماوصفنا من قطعه التي تدعى كل واحدة منها بحرا

عليه وأتته وأمر باقامته في الشمس حتى كاد يهلك وأغرمه أموالا عظيمة ودس الى أهل الاندلس بقتل ابنه الذي استخلفه على الاندلس وهو عبد العزيز بن موسى وكان تولى الاندلس بعد نفوذ أبيه عنها باستخلافه اياه كما سبق فضبط سلطانها وضم نشرها وسد ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقي على أبيه موسى منها وكان من خير الولاة الا ان مدته لم تطل لوثوب الجند به وقتلهم اياه عقب سنة خمس وتسعين في خلافة سليمان المولع بابيه موسى لاشياء نقموها عليه منها زعموا تزوجه لزوجة لذريق المكناة أم عاصم وكانت قد صالحت على نفسها واموالها وقت الفتح وباءت بالجزية وأقامت على دينها في ظل نعمتها الى ان نكحها الامير عبد العزيز فحظيت عنده ويقال انه سكن بها في كنيسة باشبيلية وانها قالت له لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للذريق زوجها الاول أهل مملكته فقال لها ان هذا حرام في ديننا فلم تقنع منه بذلك وفهم لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك مما يزري بقدره عندها فاتخذ بابا صغيرا لبيت مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحنون وأفهمها ان ذلك افعل منهم تحية له فرضيت بذلك فنمى الخبر الى الجند مع ما انضم الى ذلك من دسيسة سليمان لهم في قتله فقتلوه سامحه الله تعالى ※ وذكر بعض المؤرخين أنهم وجدوا في الحجر بعد ما تقدم من الكتابة التي هي ارجعوا يا بني اسمعيل الخ ما معناه وان لم ترجعوا فاعلموا أنكم ترجعون ليضرب بعضكم رقاب بعض انتهى (قال ابن حيان) وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الاندلس ارجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب في غزوها نظما وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها وعدد الامراء عليها وأسماءهم فأجاد وتقصى وهي بايدي الناس موجودة انتهى وقد عرفت بما سبق تفصيل ما اجمله ابن خلدون والروايات في فتح الاندلس مختلفة وقد ذكرنا نحن بحسب ما اقتضاه الوقت منها ما فيه كفاية وأشرنا الى بعض الاختلاف في ذلك ولو بسطنا العبارة في الفتح لكان وحده في مجلد أو اكثر والله أعلم ※ ولنعد الى ما ألمعنا به من كلام ابن خلدون السابق ذكر الولاة للاندلس من لدن الفتح وهم من قبل بني مروان بالمشرق المنفردين بامامة المسلمين أجمعين قبل تفرقهم الى ان انقرضت دولتهم العظيمة التي هي ألف شهر فاقتطع الاندلس عن بني العباس الدائلين على بني مروان الناسخين لهم فل المروانيين عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان واقتعدها دار مملكة مستقلة لنفسه ولاعقابه وجمع بها شمل بني أمية ومواليهم وأورثها بنيه حقبة من الدهر بعد ان قاسى في ذلك خطوبا واجتمع عليه ثم على ذريته من بعده اهل الاندلس اجمعون رضاهم دون بني العباس بعد ان حاول بنو العباس تملكها بان ولوا بعض رؤساء العرب وامروهم بالقيام على عبد الرحمن والدعاء للعباسيين القاطعين جرثومة دولة بني مروان فلم يتيسر ذلك وظفر عبد الرحمن بمن نصب له الحرب في ذلك وقتل منهم آلافا وذلك في مدة المنصور كما سيأتي ان شاء الله تعالى عند ذكر عبد الرحمن الداخل في موضع آخر ولنذكر ههنا ولاة الاندلس من حين الفتح الى امارة الداخل وان سبق في كلام ابن خلدون ※ وقال بعضهم كانت ولادة موسى بن نصير في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٩ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وأجل السلام وعلى آله وصحبه اجمعين انتهى ※ وقال الحجاري في المسهب يحكي ان موسى بن نصير اتى بنفسه على يزيد بن المهلب

كقولنا بحر فارس وبحر اليمن وبحر القلزم وبحر الحبش وبحر الزنج وبحر النيل وبحر الهند وبحر كلة وبحر الزابج وبحر الصين فمختلفة منها ما يرى من قعر البحر يتفجر فينبعث منه و بعضه موجه كالقدر تغور مما يلحقها من مواد حرارة النار ومنها ما ير يح والبحرة فيه من قعره وللسموم منها ما يكون منهبه من النسيم دون ما يظهر من قعره وما وصفناه من تفجيره من قعره من الرياح تنبعث من الارض تتفجر الى قعره تظهر في سطحه والله عز وجل اعلم بكيفية ذلك ولكل من يركب هذه البحار من الناس أرياح يعرفونها في اوقات تكون فيها مهابها قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب يتوارثون علم ذلك قولا وعملا ودلائل وعلامات يعلمون بها ابان هيجانه واحوال ركوده وثورانه والروم والمسافرون في البحر الرومي سبيلهم كذلك وكذلك من يركب بحر الخزر الى بلاد جرجان وطبرستان والديلم وسنأتي بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار وعجائب اوصافها واخبارها ان شاء الله تعالى (ذكر تنازع الناس في المد والجزر وجوامع مما قيل في ذلك) والمد مضي الماء في سجيته وسنن جريه والجزر رجوع الماء على ضد سنن مضيه وانكشاف ما مضى عليه في هيئة وذلك كبحر

المهلب لما كانه من أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وطلب منه أن يكلمه في أن يخفف عنه فقال له يزيد أريد أن أسألك فاسمع الي قال سل عما بدا لك فقال له لم أزل أسمع عنك انك من أعقل الناس وأعرفهم بمكايد الحروب ومداراة الدنيا فقل لي كيف حصلت في يد هذا الرجل بعد ما ملكت الاندلس وألقيت بينك وبين هؤلاء القوم البحر الزخار وتيقنت بعد المرام واستصعابه واستخلصت بلادا أنت أخبرتها واستملكت رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرك وحصل في يدك من الذخائر والاموال والمعاقل والرجال ما لو أظهرت به الامتناع ما ألقيت عنقك في يد من لا يرحمك ثم انك علمت أن سليمان ولي عهد وانه المولى بعد أخيه وقد أشرف على الهلاك لا محالة وبعد ذلك خالفته وألقيت بيدك الى الهلكة وأحقدت مالكك ومملوكك قال يعني سليمان وصار فما وما رضينا هذا الرجل عملك الا بعد واحد لا آلو جهدا فقال موسى يا ابن الكرام ليس هذا وقت تعديد أما سمعت اذا جاء الحين غطى على العين فقال ما قصدت بما قلت لك تعديدا ولا تبكيتا انما قصدت تلقيح العقل وتنبيه الرأي وأن أرى ما عندك فقال موسى أما رأيت الهدهد يرى الماء تحت الارض من بعد ويقع في الفخ وهو بمرأى عينيه ثم كلم فيه سليمان فكان من جوابه انه قد اشتمل رأسه على ما يمكن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم في الاموال والابشار على سلامة وها السيف والكلس فدوه بت لك دمه وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يرد ما غل من مال الله قال وآل حاله الى ان كان يطاف به ليسأل من أحياء العرب ما يفك به نفسه وفي تلك الحال مات وهو من أفقر الناس وأذلهم بوادي القرى سائلا من كان نال به وقال أحد من كانه ممن رآه في حال الفقر والخمول لقد رأيتنا نطوف مع الامير موسى بن نصير على أحياء العرب فواحد يعطينا وآخر يحتجب عنا ولربما دفع البنا على جهة الرحمة الدرهم والدرهمين فيفرح بذلك الامير ليدفعه الى الموكلين به فيمنعون عنه من العذاب ولقد رأيتني أيام الفتوح العظام بالاندلس نأخذ السلوب من قصور النصارى فنفصل منها ما يكون فيها من الذهب وغير ذلك ونرمي به ولا نأخذ الا الدر الفاخر فسبحان الذي بيده العز والذل والغنى والفقر قال وكان له مولى تدوفي له وصبر عليه الى ان ضاق ذرعه بامتداد الحال فعزم على ان يسلمه وهو بوادي القرى في أسوأ حال وشعر بذلك موسى فخضع للمولى المذكور وقال له يا فلان أتسلمني في هذه الحالة فقال له المولى من شدة ما كان فيه من الضجر قد أسلمك خالقك الى مالك الذي هو أرحم الراحمين فدمعت عيناه وجعل يرفعهما الى السماء فلم تكن الا بعض ساعة حتى هبت ابنته فيما سفرت تلك الليلة الا عن قبض روحه رحمة الله عليه فقد كان له من الاثر ما يوجب ان يرعى عليه وان يفعل سليمان به وبولده وكونه طرح رأس ابنه عبد العزيز الذي تركه نائبا عنه بالاندلس وقد جيء به من أقصى المغرب بين يديه من وصماته التي تعد عليه طول الدهر لا جرم أن الله تعالى لم يمتعه بعده بملكه وشبابه * وذكر ابن حيان ان موسى كان عربيا فصيحا وقد سبق من مراجعة يزيد بن المهلب ما يدل على بلاغته ويكفي منها ما ذكره ابن حيان انه كتب الى الوليد بن عبد الملك فيما هاله من فتوح الاندلس وغنائمها انها ليست الفتوح ولكنها الحشر وقال الحجاري ان منازعة جرت بينه وبين عبد الله بن يزيد بن أسيد بمحضر عبد الملك بن

الحبش الذي هو الصيني والهندي وبحر البصرة وفارس المقدم ذكره قبل هذا الباب وذلك ان البحر على ثلاثة أنواع منها ما يتأتى فيه الجزر والمد ويظهر ظهورا بينا ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد ويكون مستترا ومنها ما لا يجزر ولا يمد كالبحار التي لا يكون بها الجزر والمد امتنع منها الجزر والمد لعلل ثلاث وهي على ثلاثة أصناف فأولها ما يسف الماء فيه رمانا فيغلظ ويقوى ملوحته وتتكيف فيه الارياح لانه ربما صار الماء الى بعض المواضع من بعض فيصير كالبحيرة ويغيض في الصيف ويزيد في الشتاء ويتبين فيه زيادة ما ينصب فيه من الانهار والعيون والصنف الثاني الذي يبعد عن مدار القمر وسمته فانه بعدا كثيرا فيمتنع منه المد والجزر والصنف الثالث المياه التي يكون الغالب على أرضها التخلخل لانه اذا كانت أرضها متخلخلة بعدت المياه بها الى غيرها من البحار وتتخلخل وانسدت الرياح الكائنة في أرضها أولا وغلبت الرياح عليها واكثر ما يكون هذا في ساحل البحار والجزائر وقد تنازع الناس في علة المد والجزر فمنهم من ذهب الى ان ذلك من القمر لانه مجانس للماء وهو يسخنه فيبسطه وشبهوا ذلك بالنار اذا أسخنت ماء القدر وأغلته وان الماء يكون فيها على قدر النصف او الثلثين وكلما انبسط في القدر ارتفع

وتدافع حتى تغور فيتضاعف عن كميته ١٣٤ في الحس وينقص في الوزن لان من شرط الحرارة ان تبسط الاجسام ومن شرط

مروان لجاية الى ان قال شعر امنه

حاربت غير سئوم في مطاولة * لو نازع الحقل لم ينزع الى حضر

وتقدم بياذكره غير واحد كابن حيان ان موسى مولى عبد العزيز بن مروان وكذا ذكره الحجاري تشهره مع ام البنين بنت عبد العزيز حين ابتنى بها الوليد بن عبد الملك فكانت تنمى مكانته عند الوليد الى ان بلغ ما بلغ واشهر ما كان في صحبة موسى بن نصير مولاه طارق المشهور بالفتوح العظيمة وطريف وتجرى ذكره في كتابنا هذا بما اقتضاه الاختيار وقال ابن سعيد بعد ذكره الخلاف في ان موسى هل هو لخمي صريح او بالولاء وبربري او مولى لعبد العزيز بن مروان ما صوره وكان في عقبه نباهة في السلطنة ولى ابنه عبد العزيز سلطنة الاندلس وعبد الملك سلطنة المغرب الاقصى وعبد الله سلطنة افريقية وذكر الحجاري ان اصله من وادي القرى بالحجاز وانه خدم بني مروان بدمشق وتنبه شأنه وعبر قوه في عمالتكهم الى ان ولى افريقية وما وراءها من المغرب في زمن الوليد بن عبد الملك ودوخ اقاصي المغرب ودخل الاندلس من جبل موسى المنسوب اليه المجاور لسبتة ودوخ بلاد الاندلس ثم وفد الوليد الى الشام فوافق مرضه ثم موته وخلافة اخيه سليمان فعذبه واستنفد في امواله وآل امره الى ان وجهه الى قومه بوادي القرى لعلهم يعطفون عليه ويؤدون عنه فمات بها وقد نص ابن بشكوال على انه مات بوادي القرى * اما معارفه السلطانية فيكفيه ولاية ما خلف مصر الى البحر المحيط بين برى البر والاندلس * واما الادبية فقد جاءت عنه بلاغة في النثر والنظم تدل على نزارتها زاصحاب درر الكلام وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين رووا الحديث وان روايته عن تميم الداري وذكره في كتب الائمة من المصنفين ابيه واوجب من ان يخصص بذكره واحدا منهم وهو غرة التواريخ الاندلسية وذكره الى الآن جديد في ألسن الخاصة والعامة من أهلها * ومن سبب الحجاري كان قد جمع رحمه الله من خلال الخير ما أعانه الله سبحانه به على ما بنى له من الحمد المشيد والذكر الشهير المخلد الذي لا يبليه الليل والنهار ولا يعفي جديده بلى الاعصار الا انه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يسلم منه وهو الحقد والحسد والمنافسة لا تخلو من ذلك وأنشد بعض الرؤساء * وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا * فقلبه الرئيس وقال من يترك الحقد اذ قال ان السيد اذا ترك اضمار الخير والشر والمجازاة عليهما اجترئ عليه ونسب للضعف والغفلة وهل رأيت صفقة أخسر من غفلة رئيس احقده غيره فنسى ذلك او تناساه وعدوه لا يغفل عنه وحاسده لا ينعمه عنده الا الراحة منه وهو في وادآخر عنه ولله در القائل

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندى

ولكن الاصوب أن يكون الرأي ميزانا لا يزن الوافي لناقص ولا يزن الناقص لواف ويدبر أمره على ما يقتضيه الزمان ويقدر فيه حسن العاقبة * ونص ابن بشكوال على ان موسى بن نصير مات بوادي القرى سنة سبع وتسعين وغزا الاندلس سنة احدى وتسعين ودخلها سنة ثلاث وتسعين وقفل عنها الى الوليد بن عبد الملك بالغنائم سنة أربع وتسعين وذكر ان ولايته على الاندلس بالمباشرة مذ دخلها الى حين خروجه منها سنة واحدة ومكث فيها مولاه طارق سنة

البرودة ان تجمعها وذلك ان قعرر بحار تحمى فيتولد في ارضه غمورة وتشعل وتحس كما في البلاليع والآبار حتى ذلك الماء انفسح ورادوا دادا رادا مع تدفع تخرج منه فضفا على سعته واتى ... ره واحتاج الى اكثر من هذه وان الثمر اذا امتلأ حتى الجزر حميا شديدا فظهرت زيادة الماء فسمى ذلك المد الشهري وان هذا البحر تحت معدل النهار آخذا من جهة المشرق الى المغرب ويدور الكواكب المنيرة عليه مع الشامية من الكواكب الشامية اذا كانت المنيرة في القدر مثل الميل على نحو او زه واذا زالت عنه كانت منه قريبة فاصله فيه من اوله الى آخره في كل يوم وليلة وهي مع ذلك في الموضع المقابل الحمى فقليل ما يعرض فيه من الزيادة ويكون في النهر الذي يعرض فيه المد من اطرافه وما يتصب اليه من سائر المياه وقالت طائفة اخرى لو كان الجزر والمد عنزلة النار اذا أسخنت الماء الذي في القدر وبسطته فطلب اوسع منها فيفيض حتى اذا خلا تعرض الماء طلب

الماء بعد خروجه منها في الارض لضعفه فيرجع اضطرارا بمنزلة رجوع ما يغلى من الماء في المرجل والتمقم انتهى

انتهى وقد تقدم شىء من ذلك * وذكر ابن بشكوال أيضا ان ابن حبيب قال عن من سمع من الناس كلهم يوم فتح الاندلس الا أربعة نفر فقط كانوا من التابعين حنش الصنعانى وأبو عبد الرحمن الحبلى وابن شماسه وعياض بن عقبه انتهى * قال ابن سعيد وممن دخل الاندلس من غير هؤلاء الاربعة من التابعين على بن رباح اللخمى وموسى بن نصير فاتح الاندلس وحبان ابن أبى جبلة القرشى مولاهم وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقى صاحب الاندلس المذكور فى سلاطينها ومحمد بن أوس بن ثابت الانصارى وزيد بن قاصد السكسكى والمغيرة بن أبى بردة الكنانى وعبد الله بن المغيرة الكنانى وحيوة بن رجاء التميمى وعبد الجبار بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ومنصور بن خزامه وعلى بن عثمان بن خطاب * وذكر ابن حبيب ان عدة من دخل الاندلس من التابعين سوى من لا يعرف نحو عشرين رجلا وفى كتاب ابن بشكوال أنه دخل الاندلس من التابعين ثمانية وعشرون رجلا وهم أسسوا قبلة المسجد الجامع بقرطبة وذكر الحجارى فى المسهب هؤلاء المتقدمين * وذكر ابن سعيد انه لم يعين المواضع التى تختص بهؤلاء التابعين من بلاد الاندلس مع جزمه بأنهم دخلوا الاندلس وسكنوا بها وسيأتى ذكر التابعين الداخلين الاندلس بما هو أتم من هذا وقد تقدم غلول من عد التابعين من الغنائم * وقال الليث بن سعد بلغنى ان طارقا لما افتتح الاندلس وجد بها معانم كثيرة من الذهب والفضة ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وكان البربر ربما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى يأتوا بالفاس فيضربون به وسطها فيأخذ أحدهم نصفها والآخر النصف الآخر لنفسه ويسير معهم جماعة والناس مشغولون بغير ذلك * وعن يحيى بن سعيد لما افتتحت الاندلس أصاب الناس فيها غنائم فغلوا منها غلولا كثيرا فحملوه فى المراكب وركبوا البحر فسمعوا مناديا يقول اللهم غرق بهم فتقلدوا المصاحف ومشوا أسيافهم ثم عصفت وضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسرت وغرق بهم وأهل مصر ينكرون ذلك ويقولون أهل الاندلس ليسوا هم الذين غرقوا وانما هم أهل سردانية فالله أعلم بحقيقة الحال * ورأيت فى بعض كتب التاريخ انه وجد فى طليطلة حين فتحت من الذخائر والاموال مالا يحصى فمن ذلك مائة وسبعون تاجا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة ووجد فيها ألف سيف ملوكى ووجد فيها من الدر والياقوت أكيال ومن أوانى الذهب والفضة مالا يحيط به وصف ومائدة سليمان وكانت فيما يذكر من زمردة خضراء وزعم بعض العجم انها لم تكن لسليمان وانما أصلها أن العجم أيام ملكهم كان أهل الحسبة منهم اذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم مال له قدر اتخذوا منه الآلات من الموائد العجيبة والكراسى من الذهب والفضة تحمل الشمامسة والقسوس فوقها الاناجيل فى أيام المناسك ويضعونها فى الاعياد للمباهاة فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صنع فى هذا السبيل وتأنق الملوك فى تحسينها يزيد الآخر منهم فيها على الاول حتى برزت على جميع ما اتخذ من تلك الآلات وطار الذكر بها كل مطار وكانت مصوغة من الذهب الخالص مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزبرجد وقيل انها من زبرجدة خضراء حافاتها وأرجلها منها

لكن بعد مع بدء طلوع الشمس ومع تحرز مع غيبتها فزعم هؤلاء ان علة الجزر والمد فى الابحر تتولد من الابخرة التى تتولد من بطن الارض فانها لا تزال تتولد حتى تكثف وتكثر فتندفع حينئذ ساحة هذا البحر لكثافتها فلا تزال كذلك حتى ينقص مواد هاتين فاذا انقطعت موادها تراجع الماء حينئذ الى قعر البحر وكان الجزر من أجل ذلك ليلا ونهارا وشتاء وصيفا وفى غيبة القمر وفى طلوعه وكذلك فى غيبة الشمس وطلوعها قالوا وهذا يدرك بالحس لانه ليس يستكمل الجزر آخره حتى يبدو أول المد ولا ينقضى آخر المد حتى يبتدى أول الجزر لانه لا ينقطع تولد تلك البخارات حتى اذا خرجت ولم ينصرها مكانها بدلك ان البحر اذا غارت مياهه ورجعت الى قعره تولدت تلك الابخرة لمكان ما تحصل منها من الارض بمائه وكلما غارت تولدت وكلما فاض نقصت وذهب آخرون من أهل الديانات ان كل ما لم يعرف له من الطبيعة مجرى ولا يوجد له فى القياس فهو فعل الاله

وكان لها ... وخمس وستون رجلا وكانت توضع في كنيسة طليطلة فأصابها طارق
ابن زياد ... وقد ذكرنا فيما ... عن ابن حيان ما فيه نظيره وقد ذكرناه فيما مضى من أمر المائدة
... بعض ما يخالف وما ذاك الا لانا ننقل كلام المؤرخين وان خالف بعضهم بعضا
... كثيرا فائدة ... فالمائدة جليلة المقدار وان حصل الخلاف في صفتها وجنسها
وعدد أرجلها وهي من أجل ما غنم بالاندلس على كثرة ما حصل فيها من الغنائم المتنوعة
الاجناس التي ذكرها الى الآن شائع بين الناس فاعلم أنه لما استقر قدم أهل الاسلام
بالاندلس وتم ... انصرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم الى الحلول بها فنزل بها
من جراثيم العرب ... جماعة أورثوها أعقابهم الى أن كان من أمرهم ما كان فأما
العدنانيون فمنهم خندف ومنهم قريش وأما بنو هاشم من قريش فقال ابن غالب في فرحة
الانفس بالاندلس منهم جماعة كلهم من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن
علي بن أبي طالب ومن هؤلاء بنو حمود ملوك الاندلس بعد انتثار سلك بني أمية وأما بنو أمية
فمنهم خلفاء الاندلس قال ابن سعيد ويعرفون هنالك الى الآن بالقرشيين وانما عموا اسمهم
الى أمية في الآخر لما انحرف الناس عنهم وذكروا افعالهم في الحسين رضي الله عنه وأما
بنو مخزوم فمنهم بالاندلس اعيان مشهورون وأما المخزوميون فمنهم ابو بكر المخزومي الاعمى
الشاعر المشهور من اهل حصن المدور ومنهم الوزير الفاضل في النظم والنثر ابو بكر بن
زيدون وولده الذي هو اعظم منه ابو الوليد بن زيدون وزير معتضد بني عباد قال ابن
غالب وفي الاندلس من ينسب الى جمح والى بني عبد الدار وكثير من قريش المعروفون
بالفهريين من بني محارب بن فهر وهم من قريش الظواهر ومنهم عبد الملك بن قطن سلطان
الاندلس ومن ولده بنو القاسم الامراء الفضلاء وبنو الجد الاعيان العلماء ومن بني محارب
ابن فهر يوسف بن عبد الرحمن الفهري سلطان الاندلس الذي غلبه عليها عبد الرحمن الاموي
الداخل وجده عقبة بن نافع الفهري صاحب الفتوح بافريقية قال ابن حزم ولهم
بالاندلس عدد وثروة وأما المنتسبون الى عمرو كنانة فكثير وجلهم في طليطلة واعمالها ولهم
يعرف الوقشيون الكنانيون الاعيان الفضلاء الذين منهم القاضي ابو الوليد والوزير ابو
جعفر ومنهم ابو الحسين بن جبير العالم صاحب الرحلة وقد ذكرناه في محله واما هذيل بن
مدركة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ان منزلهم بجهة اريولة من كورة تدمير واما تميم
ابن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ايضا انهم خلق كثير بالاندلس
ومنهم ابو الطاهر صاحب المقامات اللزومية واما ضبة بن اد بن طابخة فذكرناهم قبل ...
بالاندلس فهؤلاء خندف من العدنانية واما قيس عيلان بن الياس بن مضر من العدنانية
ففي الاندلس كثير منهم ينتسبون الى العموم ومنهم من ينتسب الى بني سليم بن منصور بن
عكرمة بن خصفة بن قيس كعبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه صاحب الامام مالك رضي
الله عنه وكالقاضي أبي حفص بن عمر قاضي قرطبة ومن بني ... كولان ينتسب الى هوازن بن
منصور بن عكرمة قال ابن غالب وهم باشبيلية خلق كثير ومنهم من ينتسب الى بكر بن
هوازن قال ابن غالب ولهم منزل نحو بلنسية على ثلاثة اميال منها وباشبيلية وغيرها ومنهم

حتى يعرق ... طائفة
أخرى الى ابتداء ...
وصفه ما نقول ونحو
... الهواء ...
يستحيل ...
عندهم محدود ...
ذلك واذا ... فهو
المتقدم ...
...
... الى ... وهو
...
... الماء ...
... الهواء ...
... بخورات يكون
ذلك ...
... امثال
... الهواء ...
... يتحمل ... القمر
... لكثرة المد لانه
... يكونون في ...
... المد والجزر في بحر فارس
يكونان في ...
والاعلى من الاوقات وقد
ذهب كثير من ... هذا
البحر وهم ارباب المراكب
من السيرافيين والعمانيين
ممن يقطعون هذا البحر
... الى عمارة من
الامم التي في جزائره وحوله
الى ان المد والجزر يكون
في معظم هذا البحر ...
في السنة مرة ... شهور
... الشمال ستة
أشهر فاذا كان ذلك طغى الماء
في مشارق البحر والصين ... شهور الشتاء ... بالجنوب ستة أشهر فاذا

خلق كثير ومنهم بنو حزم وهم بيت غير البيت الذي منه ابو محمد بن حزم الحافظ الظاهري وهو فارسي الاصل ومنهم من ينتسب الى سعد بن بكر بن هوازن وذكر ابن غالب ان منهم بغرناطة كثيرا كبني جودي وقد رأس بعض بني جودي ومنهم من ينتسب الى سلول امرأة نسب اليها بنوها وابوهم مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى نمير بن عامر بن صعصعة قال ابن غالب وهم بغرناطة كثير ومنهم من ينتسب الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ومنهم بلج بن بشر صاحب الاندلس وآله وبنو رشيق ومنهم من ينتسب الى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ومنهم من ينتسب الى اشجع بن ريث بن غطفان ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الاشجعي سلطان الاندلس وفي ثقيف اختلاف فمنهم من قال انها قيسية وان ثقيفا هو قيس ابن منبه بن بكر بن هوازن ومنهم بالاندلس جماعة واليهم ينتسب الحر بن عبد الرحمن الثقفي صاحب الاندلس وقيل انها من بقايا ثمود انتهى قيس بن عيلان وجميع مضر * وأما ربيعة بن نزار فمنهم من ينتسب الى أسد بن ربيعة بن نزار قال في فرحة الانفس ان اقليم هؤلاء مشهور باسمهم بحوفي مدينة وادي آش انتهى ولا شهر بالنسبة الى أسد أبدا بنو أسد ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ومنهم من ينتسب الى محارب بن عمرو بن وديعة ابن بكير بن افصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة قال ابن غالب في فرحة الانفس ومنهم بنو عطية اعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى النمر بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد كبني عبد البر الذين منهم الحافظ أبو عمر بن عبد البر ومنهم من ينتسب الى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب كبني حمديس أعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى بكر بن وائل كالبكريين أصحاب أونبة وشلطيش الذين منهم أبو عبيد البكري صاحب التصانيف انتهت ربيعة * وأما اياد بن نزار وقد يقال انه ابن معد والصحيح الاول فينتسب اليهم بنو زهرة المشهورون باشبيلية وغيرها انتهت العدنانية وهم الصريح من ولد اسمعيل عليه السلام واختلف في القحطانية هل هم من ولد اسمعيل أو من ولد هود على ما هو معروف وظاهر صنيع البخاري الاول والاكثر على خلافه والقحطانية هم المعروفون باليمانية وكثيرا ما يقع بينهم وبين المضرية وسائر العدنانية الحروب بالاندلس كما كان يقع بالمشرق وهم الاكثر بالاندلس والملك فيهم ارسخ الا ما كان من خلفاء بني أمية فان القرشية قدمتهم على الفرقتين واسم الخلافة لهم بالمشرق وكان عرب الاندلس يتميزون بالعمائر والقبائل والبطون والافخاذ الى ان قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الاندلس وقصد بذلك تشتيتهم وقطع التئامهم وتعصبهم في الاعتزاء وقدم القواد على الاجناد فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيل فانحسمت مادة الفتن والاعتزاء بالاندلس الا ما جاءت على غير هذه الجهة قال ابن حزم جماع أنساب اليمن من جرم بن كهلان وحمير بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل قحطان ابن الهميسع بن تيمان بن نابت بن اسمعيل وقيل قحطان ابن هود بن عبد الله بن رباح بن جارف

كان الصيف طغى الماء في مغارب البحر والجسر بالصين وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح وان الشمس اذا كانت في الجهة الجنوبية فكذلك تكون البحار في جهة الجنوب في الصيف فهبوب الشمال طامية عالية وتقل المياه في جهة البحار الشمالية وكذلك اذا كانت الشمس في الجنوب وسال الهواء من الجنوب في جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية الى الجهة الشمالية فقلت المياه في الجهات الجنوبية منه وينتقل ماء البحر في هذين الميلين أعني في جهتي الشمال والجنوب فسمي جزرا ومدا شتويا وذلك ان مد الجنوب جزر الشمال ومد الشمال جزر الجنوب فان وافق القمر بعض الكواكب السيارة في أحد الميلين زائدا وقوي الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر الى الجهة المخالفة للجهة التي ليس فيها الشمس (قال المسعودي) فهذا رأي يعقوب بن اسحق الكندي واحمد بن الطيب السرخسي فيما حكاه عنه ان البحر يتحرك بالرياح ورأيت مثل ذلك ببلاد كنباية من أرض الهند وهي المدينة التي تضاف اليها النعال الكنبايتية الصرارة وفيها عمل وفيما يليها مثل مدينة سندارة وسرنديرو وكان دخولي اليها في سنة ثلاث وثلثمائة والملك بها وكان منهزما من قبل البلهرا

ابن عاد بن عوص بن ارم بن سام والخلف فى ذلك مشهور فمنهم كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان واليهم ينتسب محمد ابن هانئ الشاعر المشهور الالبيرى وهو من بنى المهلب ومن الازد من ينتسب الى غسان وهم بنو مازن بن الازد وغسان ماء شربوا منه وذكر ابن غالب ان منهم بنى القسيمى من أعيان غرناطة وكثير منهم بصالحة قرية على طريق مالقة ومن الازد من ينتسب الى الانصار على العموم وهم الجم الغفير بالاندلس * قال ابن سعيد والعجب انك تعدم هذا النسب بالمدينة وتجده بالاندلس فى اكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثرة ولقد أخبرنى من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجد منه الا شيخا من الخزرج وعجوزا من الاوس قال ابن غالب وكان جزء الانصار بناحية طليطلة وهم اكثر القبائل بالاندلس فى شرقها ومغربها انتهى ومن الخزرج بالاندلس ابو بكر عبادة بن عبد الله بن ماء السماء من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المشهور بالموشحات والى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الاحمر سلاطين غرناطة الذين كان لسان الدين بن الخطيب أحد وزرائهم وعليهم انقرض ملك الاندلس من المسلمين واستولى العدو على الجزيرة جميعا كما يذكر ومن أهل الاندلس من ينتسب الى الاوس أخى الخزرج ومنهم من ينتسب الى غافق بن عك بن عدنان بن ازان بن الازد وقد يقال عك بن عدنان بالنون فيكون أخا معد بن عدنان وليس بصحيح قال ابن غالب من غافق أبو عبد الله بن أبى الخصال الكاتب واكثر جهات شقورة ينتسبون الى غافق ومن كهلان من ينتسب الى همدان وهو اوسلة بن مالك بن زيد بن أوسلة بن الخيار بن مالك ابن زيد بن كهلان ومنزل همدان مشهور على ستة أميال من غرناطة ومنهم أصحاب غرناطة بنو أضحى ومن كهلان من ينتسب الى مذحج ومذحج اسم اكمة حمراء باليمن وقيل اسم أم مالك وطيئ ابن ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب بنو سراج الاعيان من أهل قرطبة ينتسبون الى مذحج ومنزل طيئ بقبلى مرسية ومنهم من ينتسب الى مراد بن مالك بن ادد وحصن مراد بين اشبيلية وقرطبة مشهور قال ابن غالب وأعرف بمراد منهم خلقا كثيرا ومنهم من ينتسب الى عنس بن مالك بن ادد ومنهم بنو سعيد مصنفو كتاب المغرب وقلعة بنى سعيد مشهورة فى مملكة غرناطة ومن مذحج من ينتسب الى زبيد قال ابن غالب وهو منبه بن سعد العشيرة بن مالك بن ادد ومن كهلان من ينتسب الى مرة بن ادد بن زيد بن كهلان قال ابن غالب منهم بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة ومنهم من ينتسب الى عاملة وهى امرأة من قضاعة ولدت للحرث بن عدى بن الحرث مرة بن أدد فنسب ولدها منه اليها قال ابن غالب منهم بنو سماك القضاة من أهل غرناطة وقوم زعموا أن عاملة هو ابن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل هم من قضاعة ومن كهلان خولان بن عمرو بن الحرث بن مرة وقلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية ومنهم بنو عبد السلام أعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحرث بن مرة بن منهم المنصور بن أبى عامر صاحب الاندلس ومنهم من ينتسب الى لخم بن عدى بن الحرث بن مرة منهم بنو عباد أصحاب أشبيلية وغيرها وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة ومنهم بنو الباجى اعيان اشبيلية وبنو وافد

صاحب البابكين وكان للبابكين هذا غاية المناظرة مع من يرد الى بلاده من المسلمين وغيرهم من أهل الملل وهذه المدينة على خور من أخوار البحر وهو الخليج أعرض من النيل أو دجلة أو الفرات عليه المدن والضياع والعمائر والنخل والنارجيل والطواويس والببغاء وغير ذلك من أنواع طيور الهند بين تلك الجبال والمياه وبين مدينة كنباية وبين البحر الذى ياخذ منه هذا الخليج يومان وأقل من ذلك فيجزر الماء عن هذا الخليج حتى يبدو الرمل الذى ينضب عنه الماء وقعر الخليج قد صار كالصحراء وقد أقبل المد من نهاية الحزر كالخيل فى الحلبة فربما أحس الكلب بذلك فاقبل يحضر ما استطاع خوفا من الماء فيطلب البر الذى لا يصل اليه الماء فيلحقه الماء بسرعته فيغرقه وكذلك المد يرد بين البصرة والاهواز فى الموضع المعروف بالباسيان وبلاد الهند ويسمع هنالك أزيب له ضجيج ودوى وغليان عظيم يفزع منه أصحاب السفن وهذا الموضع يعرفه من يسلك هنالك الى بلاد مرزق من أرض فارس والله أعلم

*(ذكر بحر الروم ووصف ماقيل فى طوله وابتدائه وانتهائه) * اما بحر الروم وطرسوس وادنة والمصيصة واطاكية واللاذقية

الاعيان ومنهم من ينتسب الى جذام مثل ثوابة بن سلامة صاحب الاندلس وبنى هود ملوك شرق الاندلس ومنهم المتوكل بن هود الذى صحت له سلطنة الاندلس بعد الموحدين ومنهم بنو مردنيش أصحاب شرق الاندلس قال ابن غالب وكان لجذام جزء من قلعة رباح واسم جذام عامر واسم لخم مالك وهما ابنا عدى ومن كهلان من ينتسب الى كندة وهو ثور بن عفير بن عدى بن مرة بن ادد ومنهم يوسف بن هرون الرمادى الشاعر ومنهم من ينتسب الى تجيب وهى ام أولاد اشرس بن السكون بن اشرس بن كندة ومن كهلان من ينتسب الى خثعم بن أنمار ابن اراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ومنهم عثمان بن أبى نسعة سلطان الاندلس وقد قيل أنمار ابن نزار بن معد بن عدنان انتهت كهلان * وأما حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم من ينتسب الى ذى رعين قال ابن غالب وذو رعين هو ولد عمرو بن حمير فى بعض الاقوال وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع بن حمير قال ومنهم أبو عبد الله الحناط الاعمى الشاعر قال الحازمى فى كتاب النسب واسم ذى رعين عريم ابن زيد بن سهل ووصل النسب ومنهم من ينتسب الى ذى أصبح قال ابن حزم هو ذو أصبح بن مالك بن زيد من ولد سبا الاصغر ابن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ووصل النسب وذكر الحازمى أن ذا أصبح من كهلان وأخبر أن منهم مالك بن أنس الامام والمشهور أنهم من حمير والاصبحيون من أعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى يحصب قال ابن حزم انه أخو ذى أصبح وهم كثير بقلعة بنى سعيد وقد تعرف من أجلهم فى التواريخ الاندلسية بقلعة يحصب ومنهم من ينتسب الى هوازن بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن الغوث قال ابن غالب ومنزلهم بشرق اشبيلية والهوازنيون من أعيان اشبيلية * ومنهم من ينتسب الى قضاعة بن مالك بن حمير وقد قيل انه قضاعة بن معد بن عدنان وليس بمرضى ومن قضاعة من ينتسب الى مهرة كالوزير أبى بكر بن عمار الذى وثب على ملك مرسية وهو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف ابن قضاعة ومنهم من ينتسب الى خشين بن تنوخ قال ابن غالب وهو ابن مالك بن فهم بن عمر ابن وبرة بن تغلب قال الحازمى تنوخ هو مالك بن فهر بن فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة ومنهم من ينتسب الى بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنهم البلويون الاشبيلية * ومنهم من ينتسب الى جهينة بن اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة قال ابن غالب وبقرطبة منهم جماعة * ومنهم من ينتسب الى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان كبنى أبى عبدة الذين منهم بنو جهور ملوك قرطبة ووزراؤها * ومنهم من ينتسب الى عذرة بن سعد هذيم بن زيد ابن اسود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة * ومنهم أعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة ومن أهل الاندلس من ينتسب الى حضرموت منهم الحضرميون بمرسية وغرناطة واشبيلية و بطليوس وقرطبة قال ابن غالب وهم كثير بالاندلس وفيه خلاف قيل ان حضرموت هو ابن قحطان وقيل هو حضرموت بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بالجيم ابن قطن بن العريب بن الغرز بن نبت بن أيمن بن الهميسع بن حمير كذا نسق النسب الحازمى * ومن أهل الاندلس من ينتسب الى سلامان ومنهم الوزير لسان

وطر ابلس وصيدا وصور وغير ذلك من ساحل الشام ومصر والاسكندرية وساحل المغرب فذكر جماعة من اصحاب الزيجات فى كتبهم منهم محمد بن جابر البتانى وغيره ان طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه سبعمائة ميل ومنه ستمائة ميل واقل من ذلك على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر ومبدا هذا البحر من خليج يخرج جاريا من بحر اوقيانوس واضيق موضع من هذا الخليج بين ساحل طنجة من بلاد المغرب و بين ساحل الاندلس وهذا الموضع المعروف بنيطاء وعرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة اميال وهذا الموضع هو المعبر لمن اراد العبور من الغرب الى الاندلس ومن الاندلس الى الغرب وعلى الحد بين البحرين اعنى بحر الروم وبحر اوقيانوس المنارة النحاس والحجارة التى بناها هرقل الجبار على اعلاها الكتابة والتماثيل مشيرة بأيديها ان لا طريق ورائى لجميع الداخلين الى ذلك البحر بحر الروم اذ كان بحرا لا تجرى فيه جارية ولا عمارة فيه ولا حيوان ناطق يسكنه ولا يحاط بمقداره ولا تدرى غايته ولا يعلم منتهاه وهو بحر الظلمات والاخضر المحيط وقد ذهب قوم ان هذا البحر أصل ماء البحار وله أخبار عجيبة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان فى أخبار من غرر وخاطر بنفسه فى ركوبه ومن نجا منهم

الدين بن الخطيب حسبما ذكر فى محله * وقد رأيت أن أسرد هنا اسماء ملوك الاندلس من لدن الفتح الى آخر ملوك بنى أمية وان تقدم ويأتى ذكر جملة منهم بما هو أتم مما هنا فنقول طارق ابن زياد مولى موسى بن نصير ثم الامير موسى بن نصير وكلاهما لم يتخذ سرير السلطنة ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير وسريره اشبيلية ثم أيوب بن حبيب اللخمى وسريره قرطبة وكل من يأتى بعده فسريره قرطبة والزهراء والزاهرة بجانبيها الى ان انقضت دولة بنى مروان على ما ينبه عليه ثم الحر بن عبد الرحمن الثقفى ثم السمح بن مالك الخولانى ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ثم عنبسة بن سحيم الكلبى ثم عذرة بن عبد الله الفهرى ثم يحيى ابن سلمة الكلبى ثم عثمان بن أبى نسعة الخثعمى ثم حذيفة بن الاحوص القيسى ثم الهيثم بن عبيد الكلابى ثم محمد بن عبد الله الاشجعى ثم عبد الملك بن قطن الفهرى ثم بلج ابن بشر بن عياض القشيرى ثم ثعلبة بن سلامة العاملى ثم أبو الخطار بن ضرار الكلبى ثم ثوابة بن سلامة الجذامى ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وههنا انتهى الولاة الذين ملكوا الاندلس من غير موارثة أفرادا عددهم عشرون فيما ذكر ابن سعيد ولم يتعدوا فى السمة لفظ الامير * قال ابن حيان مدتهم منذ تاريخ الفتح من لذريق سلطان الاندلس النصرانى وهو يوم الاحد لخمس خلون من شوال سنة اثنتين وتسعين الى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وتغلب عبد الرحمن بن معاوية المروانى على سرير الملك قرطبة وهو يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائة ست وأربعون سنة وخمسة أيام انتهى * ثم كانت دولة بنى امية أولهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ثم ابنه هشام الرضى ثم ابنه الحكم بن هشام ثم ابنه عبد الرحمن الاوسط ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه المنذر بن محمد ثم أخوه عبد الله بن محمد ثم ابن ابنه عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله ثم ابنه الحكم المستنصر وكرسيهما الزهراء ثم هشام بن الحكم وفى أيامه بنى حاجبه المنصور بن أبى عامر الزاهرة ثم المهدى محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن الناصر وهو أول خلفاء الفتنة وهدمت فى أيامه الزهراء والزاهرة وعاد السرير الى قرطبة ثم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ثم تخللت دولة بنى حمود العلويين وأولهم الناصر على بن حمود العلوى الادريسى ثم أخوه المأمون القاسم بن حمود ثم كانت دولة بنى أمية الثانية وأولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ثم المستكفى محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ثم المعتمد هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وهو آخر خلفاء الجماعة بالاندلس وحين خلع اسقط ملوك الاندلس الدعوة للخلافة المروانية واستبدّ ملوك الطوائف كابن جهور فى قرطبة وابن عباد باشبيلية وغيرهما ولم يعد نظام الاندلس الى شخص واحد الى ان ملكها يوسف بن تاشفين الملثم من برّ العدوة وفتك فى ملوك الطوائف وبعد ذلك ما خلصت له ولا لولده على بن يوسف لان بنى هود نازعوه فى شرقيها بالثغر الى ان جاءت دولة عبد المؤمن وبنيه فما صفت لعبد المؤمن لمحمد بن مردنيش الذى كان ينازعه فى شرق الاندلس ثم صفت ليوسف بن عبد الرحمن بموت ابن مردنيش ثم لمن بعده من بنيه وحضرتهم مراكش وكانت ولاتهم تتردد على الاندلس ومما لكها ولم

ومن تلف وما شاهدوا نه ورأوا وبين هذه المنارة المنصوبة وبين موضع الاحجار مسافة فى طول مصب هذا الخليج وجريانه وذلك انما يجرى فى بحر الروم والشام ومصر وهو متصل بمدينة نحو من خمسمائة ميل تسمى بالرومية درس وعلى هذا الخليج من جانب الغرب قرية يقال لها بتة وهى وطنجة من ساحل واحد ويقابل سبتة هذه من ناحية الاندلس الجبل المعروف بجبل طارق مولى موسى بن نصير ويعبر الناس من سبتة الى ساحل الاندلس من غدوة الى الظهر وفى هذا الخليج موج عظيم والماء من هنالك يخرج من بحر اوقيانوس ويصب الى البحر الرومى وفى هذا الخليج مواضع تعلو أمواجها ويعلو الماء من غير ريح وهذا الخليج تسميه أهل المغرب وأهل الاندلس الزقاق اذ كان على هيئة ذلك وفى بحر الروم جزائر كثيرة منها جزيرة قبرس بين ساحل الشام والروم وجزيرة رودس فى مقابلة الاسكندرية وجزيرة اقريطش وجزيرة صقلية وسنذكر صقلية بعد هذا الموضع عند ذكرنا لجبل البركان الذى تظهر منه النار فيها اجسام وجثث عظام وقد ذكر يعقوب بن اسحق الكندى وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسى فى طول هذا البحر وعرضه

يولوا

بولوا على جميعها شخصا واحدا لعظم ممالكها الى ان انقرضت منها دولتهم بالمتوكل محمد بن هود من بني هود ملوك سرقسطة وجهاتها فملك معظم الاندلس بحيث يطلق عليه اسم السلطان ولم ينازعه فيها الا زيان بن مردنيش في بلنسية من شرق الاندلس وابن هلالة في طبيرة من غرب الاندلس ثم كثرت عليه الخوارج قرب موته ولما قتله وزيره ابن الرميمي بالمرية زاد الامر الى أن ملك بنو الاحمر وكان غرب أهل الاندلس في المائة السابعة يخطبون لصاحب افريقية السلطان أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص ثم تناقصت تلك الظلال ودخل الجزيرة الاختلال الى أن استولى عليها حزب الضلال والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين *(وقد ذكرت) في هذا الكتاب جملة من أخبار ملوك الاندلس مما يصلح للمذاكرة وربما سرحت طرف القلم في بعضهم وبنو جهور المشار اليهم قريبا كانوا وزراء الامويين ثم انه لما انتثرت سلك الخلافة تبدّى بقرطبة الوزير أبو الحزم بن جهور من غير أن يتعدى اسم الوزارة * قال في المطمح الوزير الاجل جهور بن محمد ابن جهور أهل بيت وزارة اشتهروا كاشتهار ابن هبيرة في فزارة وأبو الحزم أمجدهم في المكرمات وأنجدهم في الملمات ركب متون الفتن فراضها ووقع في بحور المحن فخاضها منبسط غير منكمش لا طائش اللسان ولا رعش وقد كان وزر في الدولة العامرية فشرفت بجلاله واعترفت باستقلاله فلما انقرضت وعاقت الفتن واعترضت تميز عن التدبير مدتها وخلى للخلافة أبناء الخلافة وشدتها وجعل يتقبل مع اولئك الوزراء ويدبر ويدير الامر معهم ويدبر غير مظهر للانفراد ولا متصرف في ميدان ذلك الطراد الى أن بلغت الفتنة مداها وسوّغت ما شاءت ردّاها وذهب من كان يجد في الرياسة ويخب ويسعى في الفتنة ويدب ولما ارتفع الوبال وأدبر ذلك الاقبال رأى أهل الرأي مستمدا بهم ومعتمدا على بعضهم تحيلا منه وتمويها ونداهيا على أهل الخلافة ودونها وعرض عليهم تقديم المعتمد هشام وأومض منه لاهل قرطبة برق خلب شام بعد سرعة التياثها وتعجيل انتكاثها فأنابوا الى الاجابة وأجابوا الى استرعائه الوزارة والحجابة وتوجهوا مع ذلك الامام والموا بقرطبة أحسن المام فتخلوا بعد فتن كثيرة واضطرابا مستثيرة والبلد متقفر والجلد مسفر فلم يبق غير يسير حتى حيد واضطرب أمره فخلع واختطف من الملك وانتزع وانقرضت الدولة الاموية وارتفعت الدولة العلوية واستولى على قرطبة عند ذلك أبو الحزم ودبر أمرها بالجد والعزم وضبطها ضبطا أمن خائفها ورفع طارف الملك التليد وطائفها وخلا له الجو فطار وقضى اللبانات والاوطار فعادت له قرطبة الى أكمل حالتها وانجلى بنور جلالتها ولم تزل به مشرقة وغصون الآمال فيها مورقة الى أن توفي (سنة ٤٣٥) فانتقل الامر الى ابنه أبي الوليد واشتمل منه على طارف وتليد وكان لابي الحزم أدب ووقار وحلم سارت به الامثال وعدم فيها المثال وقد أثبت من شعره ما هو لائق وفي سماء الحسن رائق وذلك قوله في تفضيل الورد

الورد أحسن ما رأت عيني وأز * كى ما سقى ماء السحاب الجائد
خضعت نواوير الرياض لحسنه * فتذللت تنقاد وهي شوارد

غير ما ذكرنا وسنذكر بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب هذه البحار على نظم من التأليف وترتيب من التصنيف ان شاء الله تعالى

*(ذكر بحر نيطش وبحر مانطش وخليج القسطنطينية) فاما بحر نيطش فانه يمتد من بلاد ملزقة الى القسطنطينية بطول النهر العظيم المعروف بطنانس وقد قدمنا ذكره ومبدأ هذا النهر من الشمال وعليه كثير من ولد يافث وخروجه من بحيرة عظيمة في الشمال من أعين وجبال ويكون مقدار جريانه على وجه الارض نحو ثلثمائة فرسخ عمائر متصلة لولد يافث ويسير بحر مانطش فيما زعم قوم من اهل العناية بهذا الشأن حتى يصب في بحر نيطش وهذا البحر عظيم فيه انواع من الاحجار والحشائش والعقاقير قد ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة ومن الناس من يسمي بحر مانطش بحيرة ويجعل طوله ثلثمائة ميل وعرضه مائة ميل ومنه ينفجر خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم وطوله ثلثمائة ميل وعرضه نحو من خمسين ميلا وعليه القسطنطينية والعمائر من أوله الى آخره والقسطنطينية من الجانب الغربي من هذا الخليج وهو متصل ببرودمية والاندلس وغيرهما ويصب والله أعلم على قول المنجمين من أصحاب الزيجات وغيرهم ممن تقدم في بحر البلغر

واذا تبدّى الغصن فى أغصانه * يزهو فذا ميت وهذا حاسد
واذا أتى وفد الربيع مبشرا * بطلوع وفدته فنعم الوافد
ليس المبشر كالمبشر باسمه * خبر عليه من النبوّة شاهد
واذا تعدّى الورد من أوراقه * بقيت عوارفه فهن خوالد

انتهى المقصود منه وكأنه عارض بهذه الابيات فى تفضيل الورد قول ابن الرومى فى تفضيل النرجس عليه من قصيدة

للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الحقيقة حائد

وهى مشهورة ورد على ابن الرومى بعضهم بقوله

يا من يشبه نرجسا بنواظر * دعج تنبه ان فهمك فاسد الخ

وهى أيضا مشهورة * (رجع الى ما كنا فيه) وكانت لاهل الاندلس بين زمان الفتح وما بعده وقائع فى الكفار شفت الصدور من أمراضها ووفت النفوس باغراضها واستولت على ما كان لملة الكفر من جواهرها وأعراضها ثم وقع الاختلاف بعد ذلك الائتلاف فعصفت ريح العدو والحروب سجال وأعيا العلاج حكماء الرجال فصار أهل الاندلس يتذكرون موسى بن نصير وطارق ومن بعدهما من ملوك الاندلس الذين راعت العدو الكافر منهم طوارق * وما أحسن ما أعرب الامام الكاتب القاضى أبو المطرف بن عميرة عما يشمل هذا المعنى وغيره فى كتاب بعث به الى الشيخ أبى جعفر بن أمية حين حل الرزء ببلنسية وهو

ألا أيها القلب المصرح بالوجد * أما للشمس بادى الصبابة من بد
وهل من سلوّ يرتجى لمتيم * له لوعة الصادى ورعة ذى الصد
يحن الى نجد وهيهات حرّمت * صروف الليالى ان يعود الى نجد
فيا جبل الريان لا رى بعدما * عدت غير الايام عن ذلك الورد
ويا أهل ودى والحوادث تقتضى * خلوى عن أهل يضاف الى الود
ألا متعة يوما بعاريه المنى * فانا راها كل حين الى الرد
امن بعد رزء فى بلنسية ثوى * باحنائنا كالنار مضمرة الوقد
يرجى اناس جنة من مصائب * تطاعن فيهم بالمثقفة الملد
ألا ليت شعرى هل لماض مطالع * معادا الى ما كان فيها من السعد
وهل أذنب الابناء ذنب أبيهم * فصاروا الى الاخراج من جنة الخلد

مرحبا بالسحابة وما أعارت افقى من الاضاءة وردت تسحر النهى وتسحب ذيلا على السها وتهزم من المسرة أعطافا وترد من نجوم المجردة نطافا عامت من الظلمة فى موجها ثم غلبت الشهب على أوجها فقلب العقرب يجب وسهيل بداره يحتجب والطرف غضيض وجناح الطائر بهيض وصاحب الاخبية يقرض والذابح عن ذبيحته يعرض ورامح السماكين تخونه السلاح وواقع النسر بن يود لو أنه يخفيه الصباح بلاغة تفتن كل لبيب وترعى روض كل أديب وتغض على رغم العدو من حبيب ان من

فى ذكرهم واتصال عمائرهم ومن يركب هذا البحر ومن لا يركبه والله أعلم

(ذكر بحر الباب والابواب والخزر وجرجان وجمل من الاخبار على ترتيب البحار)

وأما بحر الاعاجم الذى عليه دورها ومساكنها فهو معمور بالناس من جميع جهاته وهو المعروف ببحر الباب والابواب والخزر والجبل وجرجان وطبرستان وعليه أنواع من الترك ويمتد فى احدى جهاته نحو بلاد خوارزم وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وهو مدوّر الشكل الى الطول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكر الامم المحيطة بهذه البحار المعمورة وهذا البحر الذى هو بحر الاعاجم كثير التنانين وكذلك بحر الروم فالتنانين فيهما كثيرة وكثيرا ما تكون مما يلى بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الاقرع من أعمال انطاكية وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ويسمى عجز البحر وعليه الساحل انطاكية ورشيد والاسكندرية وحصن المنصب وساحل المصيصه وفيه مصب نهر جيحان وساحل أذنة وفيه مصب نهر برذان وساحل طرسوس وفيه مصب نهر برذان وهو نهر طرسوس ثم البلد الخالى

البيان لسحرا ويا أيها الجواد وجدناك بحرا أدريت أى ترى بريت وبأى قمر
اهتديت ليلة سريت افتتحت بأبياتك الحسان ونظمتها نظم الجمان فعوذت سنها
بالسبع وعرفت منها براعة ذلك الطبع ثم نثرت على القرطاس شذور المنثور بل من
جواهر البحور ما استوقف النظار وبهرج اللجين والنضار ورايتك استمددت ولك الباع
الامدّ وأعرت محاسنك والعارية ترد وجئت باللآلاء تروق أربعها وتحرس بها
قعقعة الاشعار وجمعتها فأدت من حسنها ما يسر واجتمع لمن روى النطعتين ما نظم فيهما
وهو الدر واجريت خبر الحادثة التى محقت بدر التمام وذهبت بنضارة الايام فيا من
حضر يوم البطشة وعزى فى أنسه بعد تلك الوحشة احقا انه دكت الارض ونزف المعين
والبرض وصوّح روض المنى وصرح الخطب وما كنى أبن لى كيف فقدت رجاحة الاحلام
وعقدت مناحة الاسلام وجاء اليوم العسر وأوقدت نار الحزن فلا تزال تستعر حلم
ما نرى بل ما رأى ذا سالم طوفان يقال عنده لا عاصم من ينصفنا من الزمان الظالم الله عما يلقى
الفوائد عالم بالله اى نحو تنحو ومسطور تثبت وتمحو وقد حذف الاصلى والزائد وذهب
الصلة والعائد وباب التعجب طال وحال اليائس لا تخشى الانتقال وذهبت علامة الرفع
وفقدت سلامة الجمع والمعتل اعدى الصحيح والمثلث اردى الفصيح وامتنعت العجمة
من الصرف وامنت زيادتها من الحذف ومالت قواعد الملة وصرنا الى جمع القلة
وللشرك صيال وتخمط ولقرنه فى شركه تخبط وقد عاد الدين الى غربته وشرق الاسلام
بكربته كأن لم يسمع بنصر بن نصير وطرق طارق بكل خير ونهشات حنش وكيف
اعيت الرقى واذالت بليل السليم يوم الملتقى ولم تخبر عن المروانية وصوائفها وفى معافر
وتعفيره للاوثان وطوائفها لله ذلك السلف لقد طال الاسى عليهم والاسف وبقى الحكم
العدل والرب الذى قوله الفصل وبيده الفضل ربنا ما امرت فعصينا ونهيت فما انتهينا
وما كان ذلك جزاء احسانك الينا انت العليم بما اعلنا وما اخفينا والمحيط بما لم نأت وما
اتينا لو أنا فيك احببنا وقلينا لم ترنا من الفرقة ما رأينا ولم تسلط عدوك وعدونا علينا
لكن انت أرحم من ان تؤخذنا بما جنينا واكرم من ان لا تهب حقوقك الينا واشرت ايها
الاخ الكريم الى استراحة الى وتنسم بما لدى لتبرد كما زعمت حر نفس وتقدح زناد يبس
وهيهات صلد الزند وذوى العرار والرند واقشع الشؤبوب وركد ما كان يظن به الهبوب
فالقلم دفين لا يحشر وميت لا ينشر والطبع قد نكص القهقرى وقل منه ان يدعى له
النقرى فهاه ولا يلك ميتا ولا يجد لقلمه تثبتا وانت ابقاك الله عز وجل بمقتبل
الآداب طائر هيعة الشباب وابن سن السمو من سن الانحطاط ووقت الكسل من
وقت النشاط وقد راجعتك لا داخلا فى حلبتك بل قاضيا حق رغبتك والله تعالى يجعلك
بوسيلة العلم مترقيا وبجنة الطاعة متوقيا ولهباء الانفس مستقبلا ومتلقيا عنه والسلام
انتهى *(وكتب) رحمه الله الى سلطان افريقية الوارث ملك بنى عبد المؤمن بتلك النواحى
المستولى على البلدان والضواحى وقد كان لاهل الاندلس امل فى أخذه بثارهم وضم
انتشارهم ما صورته

من العمارات الخراب من الروم والمسلمين مما يلى مدينة مكمنة الى قريش وقراشيا ثم بلاد سلوقية
ونهرها العظيم الذى يصب
فى هذا البحر ثم حصون
الروم الى خليج القسطنطينية
وقد أعرضنا عن ذكر انهار
كثيرة بارض الروم وما
يصب الى هذا البحر كنهر
البارد ونهر العسل وغيرهما
من الانهار والعمارة على
هذا البحر من المضيق
الذى قدمنا ذكره وهو
الخليج الذى عليه طنجة
متصلة بساحل المغرب
وبلاد أفريقية والسوس
ورشيد والسويس ودمياط
وساحل الشام وساحل الثغور
الشامية ثم ساحل الروم مارا
متصلا الى بلاد رومية الى ان
يتصل بساحل الاندلس
الى ان ينتهى الى ساحل
الخليج الضيق المقابل
لطنجة على ما ذكرنا لا تنقطع
من هذا البر كله العمائر
التى وصفناها من الاسلام
والروم الى الانهار الجارية
الى البحر وخليج القسطنطينية
وعرضه نحو ستين ميل
وخلجانات أخر داخلة فى البر
لا منفذ لها فجميع ما ذكرنا
على شاطئ هذا البحر الرومى
متصلو الديار غير منفصلين
لا يقطعهم أو يمنعهم الا
ما ذكرنا من الانهار وخليج
القسطنطينية ومثال هذا
البحر الرومى ومثال ما ذكرنا
من العمائر عليه الى ان ينتهى الى مدى الخليج الضيق الآخذ من أوقيانوس الذى عليه اعلام النحاس ويلى الاعلام طنجة

شاقه غب الحيا الوارد * بارق هاج غرام الواجد
صدق وعد التلاقي ثم ما * طرفا الا بخلف الواعد
وكلا الزورين من طيف ومن * وافد تحت الدياجي وارد
لم يكن بعد السرى مستمتع * فيه للرائي ولا للرائد
وشديد بث قلب هائم * يشتكيه عند ربع هامد
بالامير المرتضى عز الهدى * وثنى عطف المنى الواجد
وبه أصحب ما كان يرى * جامحا لانف الابي الشارد
انما الفخر لمولانا أبي * زكرياء بن عبد الواحد
ملك لولا حلاه العلى لم * يجر بالحمد لسان الحامد
ولو ان العذب أبدى رغبة * عنه لم يشف غليل الوارد
فضله مثل سنى الشمس وهل * لسنى الشمس يرى من جاحد
قهر البغي بجد صادع * ما تعداه وجد صاعد
انما آل أبي حفص هدى * للورى من غائب أو شاهد
صعدوا فوق النجوم الزهر عن * همم تنهض عزم القاعد
وعن الاسلام ذادوا عندما * فل طول العهد غرب الذائد
أي فخر عمري المنتمى * ورثوه ماجدا عن ماجد
ما الفتوح الغر الا لهم * بين ماض بادئ أو عائد
نحيا اللاحق من سابق * وعلى المولود سيما الوالد
ولدى راجح الحلم الذي * ترك الطود بعطف مائد
عقد أحسابهم تم به * مثل ما تم حساب العاقد
أيها الجامع ما قد أحرزوا * جمع من همته في الزائد
هذه الامة قد أوسعتها * نظرا يكلأ ليل الراقد
لم تزل منك بخير طارف * وبشيه نال ... دامي تالد
ولهم منك ليوم حاضر * وغد رأى البصير الناقد
أرشد الله لاولى نظر * بالورى رأى الامام الراشد
وتولاه بتوفيق الالى * سعدوا من عاقد أو عاهد
واه في الله أوفى كافل * بالذي يبغي وأزكى عاضد

نصر الله تعالى مولانا وأيده وشد ملكه وشيده وأبقى للفضل أيامه وللفصل أحكامه وأظفر بأعناق الاشقياء حسامه ووفر من اسباق النعم والالاء حظوظه وأقسامه والحمد لله ثم الحمد لله على أن جعل به حرم الامة آمنا ووجه الفتنة ساكنا وأبواب الصلة والمعروف لا تعرف الاوصاد لاوآذنا وثلاثي فل الاسلام منه بقية ... التي منها يتنادون الذكر وبها يوعدون الفتح الاعز والنصر الاغر فهم بين جد تقتبضوها وعدة رضوها وارتقاب للمنحة أكبر همهم ... درك النار وانتهاز لاهل الجنة من أهل النار فأما

فساحل الاندلس شمال الكرثب ... الخليج والكرنيب على صفة البحر الا انه ليس بدور الشكل لما ذكرناه من طوله
ولهس يعرف التنين في البحر الحبشي ولا في شيء من جهاته من حيث وصفنا في نهايته وأكثر ما يظهر فيما يلي بحر اقيانوس ونذا تلف الناس في التنين فمنهم من رأى انه ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الجو فتلحق السحاب كزوبعة فاذا ثارت من الارض واستدارت وأثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء ذاهبة الصعداء توهم الناس انها حيات سود ومنهم من رأى انها دواب تتكون في قعر البحر فتعظم وتؤذي دواب البحر فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها وأنها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص لا تمر بمدينة الا أتت على ما تقدر عليه من بناء عظيم او شجر او جبل وربما تنفس فيحرق الشجر الكبير فيلقونها في سد ياجوج ومأجوج ويمطر السحاب عليهم فيقتل ذلك التنين منه يتغذى ياجوج ومأجوج وهذا القول يعزى الى ابن عباس وقد ذكر قوم في التنين غير ما ذكرنا وكذلك حكى قوم من أهل النظر وأصحاب القصص أمورا فيما ذكرنا أعرضنا عن ذكرها منها خبر عمران الذي صعد في النيل فأدرك غايته ... الاوطان

الاوطان فقد استلهم عنها جهة تنبت العز فيما تنبته وتنفي من الضيم ما تلك تنثه وما ذكر الساخط على المحل الساقط منازل عادت على مبانيها اطلالا ومعانيها أمحالا وللعبد حال يستقبل بها من النظر الكريم أدامه الله تعالى ما أعين الآمال اليه صور ورجاء الجميع عليه مقصور انتهى * والغاية في هذا الباب ما كتب به رحمه الله من جملة كتاب بعض ذوي الالباب ونص محل الحاجة منه نخص الجهة البعيدة الصيت والاسم الشهيرة العمل والعلم درة تاجنا وضوء سراجنا وبكتة احتجاجنا أبقاها الله تعالى في أعيننا منارا ولاندلسنا فخارا على انه وان بقيت المفاخر فقد أودى الفاخر وان أضاء الطالع فقد درجت المطالع وغلب عليها عداة زووا عنها وجوهنا وأروا فيها مكروهنا حتى اني أتيت بشعر فيه استسقاء للديار على عادة الاشعار فقلت

زدنا على النائين عن اوطانهم * وان اشتركنا في الصبابة والجوى
انا وجدناهم قد استسقوا لها * من بعد أن شطت بهم عنها النوى
ونصدنا عن ذاك في أوطاننا * مع حبها الشرك الذي فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا * لعدونا أفيستقيم لها الهوى انتهى

(قلت) وما رأيت ولا سمعت مثل هذه الابيات في معناها العالية في مبناها فان فيها الاشارة الى استيلاء النصارى دمرهم الله على تلك الديار وثبوت قدمهم فيها على طبق ما حصل لهم فيه اختيار مع ادماج حبه لها الذي لا يشك فيه ولا يرتاب واشتمالها على المحاسن التي هي بغية الرائد ونجعة المنتاب ولكل أجل كتاب واذا نفذ سهم المقدور فلا عتاب (ومما يستولي على الخواطر ويروي رياض الافكار بسحب بلاغته المواطر قوله رحمه الله تعالى يخاطب أبا الحسن الرعيني سنة ٦٣٤)

ياصاحبي والدهر لولا كرة * منه على حفظ الذمام ذميم
أمنازعي أنت الحديث فانه * ما فيه لا لغو ولا تأثيم
ومروض مرعى مناي فنبته * من طول اخلاف الغيوم هشيم
طال اعتباري بالزمان وانما * داء الزمان كما علمت قديم
مجفوّ حظ لا ينادي ثم لا * ينفك عنه الحذف والترخيم
وأرى امالته تدوم وقصره * فعلام يلغى المد والتفخيم
وعلام أدعو والجواب كانما * فيه بنص قد أتى التحريم
لم ألق الامقعدا غير الاسى * وندى منه مقعد ومقيم
وشرابي الهم المعتق خالصا * فتى يساعدني عليه نديم
غارات أيام على جوارح * فعديها في طبعه التحكيم
ولواعج يحتاج صالي حرها * امرا به قد خص ابراهيم
ولقد أقول لصاحب هو بالذي * أدركت من علم الزمان عليم
لا يأس من روح الاله وان قست * يوما قلوب الخلق فهو رحيم

و يهزني ويستفزني ما كتبه رحمه الله تعالى من رسالة * كتبته الى سيدي وهو السيد

من قوائمها تغادي قرن الشمس من مبدا طلوعها الى حال غروبها فعبر على ماوصفنا من تعلقه بشعرها البحر ودار بدورانها طالبا لعين الشمس حتى صار الى ذلك الجانب فرأى النيل منحدرا من قصور الذهب من الجنة وأعطاه الملك العنقود العنب وأنه أتى الرجل الذي رآه في ذهابه ووصف له كيف يفعل في وصوله الى مبدا النيل فوجده ميتا وخبر ابليس معه والعنقود العنب وغير ذلك من خرافات حديثه عن اصحاب الحديث ومنها ما روي أن قبة من الذهب وأنواع الجوهر في وسط البحر الاخضر على أربعة أركان من الياقوت الاحمر يتحدر من كل ركن من هذه الاركان ماء عظيم من رشده فيقسم الى جهات أربع في ذلك البحر الاخضر غير مخالط له ولا مماس به ثم ينتهي الى جهات من البر من سواحل ذلك البحر أحدها النيل والثاني سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات ومنها أن الملك الموكل بالبحار يضع عقبه في أقصى بحر الصين فيفور منه البحر فيكون منه المد ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع الماء الى مركزه ويطلب قعره فيكون الجزر ومثلوا ذلك باناء فيه ماء في مقدار

حقيقة وأنى وقد كتب الدهر بذلك وثيقة أبقى الله تعالى جلاله محروسا وربع وفائه
لا يخشى دروسا من رباط الفتح وأنا بحقه عليم وعلى عهده مقيم وشأني توقيره وتعظيم
وحب فيه خالص كريم ووصلني خطابه الخطير المبرور فكنت به كالصائم رأى الهلال
والهائم عاين ماء الزلال علق ليس يوازيه علق وسحر لكنه حلال طلق ونظم لذكر
الطائي طاو وصنعة لم يرها ولم يروها راء ولا راو ورمت ابن الرومي بالخمول وبشرت اسم
بشار من المفعول وحكمت باب النثري في غرة الهوان مدرج والسرى عن سراوة
الاحسان مخرج فاما النثر فهيل لا يحاويه الرغاء وطراز لا يحسنه البلغاء ونقد تزيف
معه النقود ومدى تتقطع دونه الضمر القود غادر الصابي وصباه غير ذات هبوب والصاحب
وهو من الحسن مع شره مصحوب والميكالي وميكاله مرفوض والحريري وحريره في سوق
الكساد معروض فأما بحر رئيس أرجان فقد استخرج منه اللؤلؤ والمرجان وأبقاه
في ضحضاح بل تركه يمشي باذرح ضاح فمن ذا يجاري فارس الصفين وامام المنصفين
أبلغ من خط بقلم وأشهر من نار على علم وماذا يقال في أنامل تطرز بها الصحف وخمائل
تفتر بها الروضة الانف واسم في شرق البلاد وغربها ظاهر ووسم بالكتابة والنجابة لم
يكن لبني وهب وآل طاهر فالزمان يأثر ما ينثر ويعظم ما ينظم ولو أن الازمنة قبله
غمرت المحاضر بكل ناجم ونشرت المقابر عن الصنوبري وكشاجم وجاءت بالكتاب من
كل جيل والشعراء رعيلا بعد رعيل لطال هذا العصر بواحده آلافها وأنسى بخلافه
أسلافها انتهى * وكتب رحمه الله تعالى الى صاحبين له في معنى ما ألمعنا به آنفا ما صورته

تحية منكما أتتني * طابت كما طاب مرسلاها
وبالها اذكرت عهودا * قلبي والله ما سلاها
حللتما في البلاد أرضا * ريح صباها عني سلاها
لم يصب قلبي الى سواها * يوما ولم يسل في سلاها

كتابي أيها الاخوان اللذان بودهما أقول وعن عهدهما لا أحول أنزلكما الله تعالى
خير منزل وجعلكما من النوائب والشوائب بمعزل من رباط الفتح ولي قديما ملكتما
رقه وقلبي تعلما وتعليما عرفتما صدقه كيف حالكما من سفر طويتما بره حين
تخشيتما غرره وكيف سمحت نفوسكما بأم الحصون وذات الظلال والعيون تربة
الآباء ومنزلة الجميين النجباء حتى صرمتما حبلها وهجرتما حزنها وسهلها وخضتما
غبر الفجاج وخضر الامواج وماذاك الا لتغلب الحادث النكر وتألب المعشر الغدر ومن
أجل الداهية النكاد والحادثة الشنيعة على البلاد أزعجتكم حين أزعجتنا وأخرجتكم كما
أخرجتنا وطوحت بنا طوائحها واجتاحت ثمرنا وشجرنا جوائحها فشكر الله تعالى على
قضائه ونصر عافيما نرفعه من دعائه وهنيئا لنا ولكم معشر الشرداء المنطوين من الشجن
على شرداء ذلك الطود الذي اليه أويتما وفي ظله ثويتما وعن رأيه تريان وبسعيه
تسعيان فوجهه المبارك لا يعدم رأيه نجحا ولا يعدو لصبحه اذا دجا ليل الهم صبحا انتهى
وكان أبو المطرف بن عميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغاء وعمدة العلماء

النصف منه فيضع الانسان يده أو رجله فيملأ الماء الاناء فاذا رفعها رجع الماء الى حقه وانتهى الى غايته ومنهم من رأى أن الملك يضع ابهامه من كفه الايمن في البحر فيكون منه المد ثم يرفعها فيكون الجزر وما ذكرناه غير ممتنع كونه ولا واجب وهو داخل في حيز الممكن والجائز لان طريقه في النقل طريق الافراد والآحاد ولم يرد مورد التواتر والاستفاضة كالاخبار الموجبة للعلم والعلل القاطعة للعذر في النقل فان قارنها دلائل توجب صحتها وجب التسليم لها والانقياد الى ما أوجب الله عز وجل علينا من أخبار الشريعة والعمل بها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وان لم يصح ما ذكرنا فقد وصفنا آنفا ما قال الناس في ذلك ليعلم من قرأ هذا الكتاب انا قد اجتهدنا فيما أوردناه في هذا الكتاب وغيره من كتبنا ولم يعزب عنا فهم ما قاله الناس في سائر ما ذكرنا وبالله التوفيق فهذه جمل البحار وعند أكثر الناس انها أربعة في المعمور من الارض ومنهم من يعدها خمسة ومنهم من يجعلها ستة ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة وعلى أنها ستة فأولها البحر الحبشي ثم الرومي ثم نيطش ثم مانطش ثم الخزري ثم أوقيانوس الذي لا يعلم أكثر نهاياته وهو الاخضر المظلم المحيط وبحر نيطش متصل وصدر

وصدر الجلة الفضلاء وهو أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومى ونكتة البلاغة التى قد أحرزها وأودعها وشمسها التى أخفت ثواقب كواكبها حين أبدعها مبدع البدائع التى لم يحظ بها قبله انسان ولا ينطق عن تلاوتها لسان اذ كان ينطق عن قريحة صحيحة وروية بدرر العلم فصيحة ذللت له صعب الكلام وصدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهو الذى أوتى جوامع الكلم فى يديه الاقلام وأصل سلفه من جزيرة شقر وولد بمدينة بلنسية وروى عن أبى الخطاب بن واجب وأبى الربيع بن سالم وابن نوح والشلوبين النحوى وابن عات وابن حوط الله وغيرهم من الحفاظ وأجازه من أهل المشرق جماعة وكان شديد العناية بشأن الرواية فأكثر من سماع الحديث وأخذه عن مشايخ أهله ثم تفنن فى العلوم ونظر فى المعقولات وأصول الفقه ومال الى الادب فبرع براعة عد فيها من مجيدى النظم فأما الكتابة فهو فارسها الذى لا يجارى وصاحب عنانها الذى لا يبارى وله وعظ على طريقة ابن الجوزى ورسائل خاطب بها الملوك وغيرهم من الموحدين والحفصيين وله تأليف فى كائنة ميورقة وتغلب الروم عليها نحا فى الخبر عنها منحى الامام الاصبهانى فى الفتح القدسى وله كتاب تعقب فيه على الفخر الرازى فى كتاب المعالم وله كتاب رد به على كمال الدين الانصارى فى كتابه المسمى بالتبيان فى علم البيان المطلع على اعجاز القرآن وسماه بالتنبيهات على ما فى البيان من التمويهات وله اختصار نبيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك * وورد رحمه الله حضرة الامامة مراكش صحبة أمير المؤمنين الرشيد حين قفوله من مدينة سلا واستكتبه مدة يسيرة ثم صرفه عن الكتابة وقلده قضاء هيلانة ثم نقله الى قضاء سلا ثم نقله السعيد الى قضاء مكناسة الزيتون ثم قصد سبتة وأخذ ماله فى قافلة بنى مرين ثم توجه الى بلاد افريقية ووصف حاله فى رسالة خاطب بها ابن السلطان أبا زكريا الحفصى وهو أبو زكريا ابن السلطان أبى زكريا وكان صاحب بجاية لابيه ولم يزل رحمه الله تعالى مذ فارق الاندلس متطلعا لسكنى افريقية معمور القلب بسكناها ولما قدم تونس مال الى صحبة الصالحين والزهاد وأهل الخير برهة من الزمان ثم استقضى بالاربس من افريقية ثم بقابس مدة طويلة ثم استدعاه أمير المؤمنين المستنصر بالله الحفصى وأحضره مجالس أنسه وداخله مداخلة شديدة حتى تغلب على أكثر أمره ومولده بجزائر شقر فى شهر رمضان المعظم سنة ٥٨٠ وتوفى ليلة الجمعة الموفية عشرين من ذى الحجة سنة ٦٥٨ ألحفه الله رضوانه وجدد عليه غفرانه * قال ابن الابار فى تحفة القادم فى حق أبى المطرف المذكور فائدة هذه المائة والواحد يفى بالمئة الذى اعترف باتحاده الجميع واتصف بالابداع فماذا يتصف به البديع ومعاذ الله أن أحابيه بالتقديم لماله من حق التعليم كيف وسبقه الاشهر ونطقه الياقوت والجوهر تحلت به الصحائف والمهارق وما تخلت عنه المغارب والمشارق حسبى أن أجهد فى أوصافه ثم أشهد بعدم انصافه هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره وتناوب المنثور والمنظوم على شكره ثم أورد له جملة منها قوله

وأجلت فكرى فى وشاحك فانثنى * شوقا اليك يجول فى جوال

بحر مانطش ومنه خليج القسطنطينية الذى يصب الى بحر الروم ويتصل به على حسب ماذكرنا والرومى بدؤه من بحر اوقيانوس الاخضر فيجب على هذا القياس أن يكون ما وصفنا بحرا واحدا الاتصال مياهها وليست هذه المياه ولا شئ منها والله أعلم متصلة بشئ من بحر الحبش فبحر نيطش وبحر مانطش يجب أن يكونا أيضا بحرا واحدا وان تضايق البحر فى بعض المواضع بينهما أو صار بين الماءين كالخليج وليست تسمية ما اتسع منه وكثر ماؤه بمانطش وما ضاق منه وقل ماؤه بنيطش ينبغى أن تجمعهما فى اسم مانطش أو نيطش فاذا عبرنا بعد هذا الموضع فى مبسوط هذا الكتاب فقلنا مانطش أو نيطاش فانما نريد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق (قال المسعودى) وقد غلط قوم زعموا ان البحر الخزرى يتصل ببحر مانطش ولم أر فيمن دخل بلاد الخزر ممن اتصل اليها ببحر من هذه البحار أو شئ من مائها أو من خلجانها الا من نهر الخزر وسنذكر ذلك عند ذكرنا الجبل القبخ ومدينة الباب والابواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس فى المراكب الى بحر الخزر وذلك بعد الثلثمائة ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار ممن تقدم وتأخر يذكرون فى كتبهم ان خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ولست أدرى

وسمت اليه نواظرهم واشترك فيه باديهم وحاضرهم فجناب أملهم فسيح ومتجر خدمتهم ربيح وحديث طاعتهم حسن صحيح وبنى النفر العلى اهتداؤهم وفى الباب الكريم رجاؤهم وبصدق العبودية اعتزازهم واليها اعتزاؤهم والله تعالى ينهضهم بوظائف المثابة العلية ويلهمهم على المناهج السويه ووصل الكتاب الكريم متدليا برواء الحق ناطقا بلسان الصدق واصفا من التشريف والفخار المنيف ما صدر عن امام الخلق فلا بيان أعجب من ذلك البيان ولا يوم كذلك اليوم تبدى نظره للعيان أو تادى خبره فى أخبار الزمان نشرت فيه الخلع العباسية فى اعلى الصور وبرز منها للعيون ما يعثر البليغ عند وصفه فى ذيل الحصر ويهدى سواده سواد القلب والبصر فيا لمشهد ما أعجب ما كان ومرآها الذى راع الكفر وراق الايمان وأشبه يومه بالاندلس يوم خرجت الرايات السود من خراسان وكفى بهذا الفخار الابتهاج ثابته مثبتا أن باشرت بردا باشر البدن الذى طاب حيا وميتا فهو علو فى الاسناد ولا نظير له فى العوالى وفخار ضلت عن مثله العصور الخوالى وجلت بهجته أن تخلق جدتها الايام والليالى ودل الكتاب العزيز على التسمية المشتقة من الجهاد والسمة من سيف أمير المؤمنين بما لا يدخل فى جنس ذوات الاغماد وخير الاوصاف ما صدقه الموصوف والكريم النسب نسبته يباهى بها الدين وتزهى السيوف

فان نحن سميناك خلنا سيوفنا * من التيه فى أغمادها تتبسم

ومما أفاده الكتاب المبهج بطيب أنبائه نص علامة سيدنا صلوات الله عليه وعلى آبائه فانها تضمنت صفة لله عز وجل من صفات الكمال ودلت على مذهب أهل السنة فى خلق الله عز وجل الاعمال وأشعرتنا معشر العبيد بعناية سبقت بالمقام المجاهدى المتوكلى أحسن الله تعالى اليه حين تولى خلافة أمير المؤمنين صلوات الله عليه فانه لما شايعه بعزيمة مساعدة ونية فى مشارع الصفاء والاخلاص واردة ألهم زيادة فى العلامة شاركت الامامة فى صفة واحدة فهذه كرامة فى العلامة هى علامة الكرامة وهبة من مواهب الكشف يجدها من امتثل قوله فاستقم كما أمرت فكان من أهل الاستقامة وتضمن الكتاب الكريم بيعة اهل جيان وما معها وان هذه البشائر وما تبعها لفروع عن هذا الاصل الصحيح وأقيسة من هذا النص الصريح بادلة الخلاف قد استقلت وشبهة الخلاف قد بطلت واضمحلت والحمد لله على أن منح جزيل النعماء وشرح باليقين صدور الاولياء وشرف هذه الامة بامامة نجل الائمة الخلفاء وابن عم سيد الرسل وخاتم الانبياء والعبيد يهنئون بهذه النعم التى لا يستقل بذكرها قلم ولا يقطع علم من وصفها الا بدا علم وبهم من الاشواق الى مشاهدة المعالم السنية ولثم اليمين الطاهرة العلية ما اكده نوى الدار وجدده ما يتجدد للمقام العالى المتوكلى من نعم الله تعالى الجليلة المقدار والشاهدة له باسعاد الايام واسعاف الاقدار فلو أمكنهم الاقدام لاقدموا ولو وجدوا رخصة فى المسير لعزموا وهم يستلمون البساط الاشرف توهما ومن أملهم انهم فى الحقيقة قد استلموا انتهى وبه تعلم ان الدولة العباسية خطب لها ببلاد الاندلس أعادها الله للاسلام ولا يخفاك أن ما جلبناه من ذلك وغيره مناسب للمقام فلا انتقاد ولا ملام (وقد رأيت) أن اذكر هنا مخاطبة صدرت من الغنى بالله

ممتزجين فالشمس ترفع لطيفه وعذبه لخفته وبعضهم قال ترفعه الشمس لتغتذى به وقال بعضهم بل يعود بالاستحالة ماء اذا دار بارتفاعه الى الموضع الذى يحصره البرد فيه ويكثفه ومنهم من ذكر ان الماء الذى هو اسطقس ما كان منه عن الهواء وما يعرض منه من البرد يكون حلوا وما كان منه فى الارض لما ناله من الاحتراق والحرارة يكون مرا ومن اهل البحث من قال ان جميع الماء الذى يفيض الى البحر من جميع ظهور الارض وبطونها اذا صار الى تلك الحفرة العظيمة فهو مضاض من مصاص والارض تقذف اليه ما فيها من الملوحة والاذان فى الماء من اجزاء النار التى تخرج اليه من بطون الارض ومن اجزاء النيران المختلطة يرفعان لطائف الماء بارتفاعهما وتبخرهما فاذا رفعا اللطائف صار منها ما يشبه المطر وكان ذلك دابها وعادتها ثم يعود ذلك الماء ما كان الان الارض اذن كانت تعطيه الملوحة ولذلك يكون ماء البحر على كيل واحد ووزن واحد لان البحر يرفع اللطيف فيصير طلا وماء ثم تعود تلك الاندية سيولا وتطلب الحدور والقرار وتجرى فى اعماق الارض حتى تصير الى ذلك الغور فليس يضيع من ذلك الماء شئ ولا يبطل منه شئ والاعيان قائمة كمنجنون غرف من نهر وصب الى

صاحب

صاحب الاندلس الى السلطان المنصور أحمد ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من
انشاء الوزير الكبير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله لما اشتملت عليه من أحوال الاندلس
ونصها الابواب التي تفتح لنصرها أبواب السماء وتستدر من آفاقها سحاب النعماء وتجلى
بانوار سعدها دياجي الظلماء وتعرف نكرة البلاد والعباد بالانتساب الى محبتها والانتماء على
اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الاسماء ويجتزأ من صلات صلاتها عند الموانع من
كمال حالات صفاتها بالايماء وتحمل لها التحية ذوات الدسر والالواح طاعنة نحر الصباح على
كبد الماء أبواب السلطان الكبير الجليل الشهير الطاهر الظاهر الاوحد الاسعد
الاصعد الامجد الاعلى العادل العالم الفاضل الكامل سلطان الاسلام والمسلمين عماد
الدنيا والدين رافع ظلال العدل على العالمين جمال الاسلام علم الاعلام فخر الليالي
والايام ملك البرين والبحرين امام الحرمين مؤمن الامصار والاقطار عاصب تاج الفخار
هازم الفرنج والترك والتتار الملك المنصور ابن الامير الرفيع الجادة الكريم الولادة
الطاهر الظاهر الكبير الشهير المعظم الممجد الاسمى الموقر الاعلى فخر الجلة سيف
الملة تاج الامارة عز الاسلام مستظل الانام قمر الميدان أسد الحرب العوان المقدس
الطاهر الامير احمد ابن والد السلاطين ومالك المسلمين وسيف خلافة الله على العالمين وولي
المؤمنين سلطان الجهاد والحج ومقيم رسم العج والثج محيي معالم الدين قامع المعتدين قاهر
الخوارج والمتمردين ناصر السنة محيي الملة ملك البرين والبحرين سلطان الحرمين الملك
العادل العالم العامل المنصور المؤيد المعان المرفع المعظم المبجل المؤمل المجاهد المرابط
المغازي الممجد المكمل الطاهر الكبير الشهير المقدس الملك الناصر أبي عبد الله محمد بن
قلاوون الصالحي جعل الله فسطاط دعوته معمودا بعمود الصبح وحركات عزمه مبنية على
الفتح ومجمل سعادته غنيا عن الشرح وجياد أوصافه متبارية في ميدان المدح وزناد رأيه
وارية على القدح من موجب حقه ووجوب الشعائر الخمس المرحب لاجل أفقه الشرقية
بوفادة الشمس المجدد في اليوم حكم ما تقرر بين السلف رحمهم الله بالامس أمير المسلمين
بالاندلس عبد الله الغني بالله الغالب به محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر سلام
كريم كما زحفت راية الصبح تقدمها طلائع مبشرات الرياح يفاوح أرجه زهير الادواح
ويحاسن طرر الوجوه الملاح يخص أبوتكم التي رتب العز فصولها وعضدت نصوص
النصر نصولها ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمدا لله الذي جعله فاتحة القرآن وخاتمة
دعاء أهل الجنان وشكره على ما أولى من مواهب الاحسان حمدا وشكرا يستغرقان من
الانسان ملكتي القلب واللسان والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله زهرة
كمامة الاكوان وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والالوان الذي أذل بعزة الله نفوس
أهل الطغيان وغطى بدينه الحق على الاديان وزويت له الارض فرأى ملك أمته يبلغ
ما زوي له فكان الخبر وفق العيان والرضا عمن له من الاصحاب والاحباب والاعمام
والاخوال والاخوان صلاة يجددها الجديدان ويمليها الملوان وتتراحم على تربته
المقدسة مع الاحيان ما سجعت طيور البراعة من أعواد اليراعة على الافنان والتفتت

حفرة تفيض الى ذلك النهر وقد شبه ذلك قوم بأعضاء الحيوان اذا اغتذت وعملت الحرارة في غذائها فاجتذبت منه
ماء عذبا الى الاعضاء المغتذية
به وخلفت ما ثقل منه وهو
المالح والمر فمن ذلك البول
والعرق وهذه فضول
الاغذية فيها ولما
كانت عن رطوبات
عذبة أحالتها الحرارة الى
المرارة والملوحة وان
الحرارة لو زادت أكثر من
مقدارها لصارت الفضول
مرا زائدا على ما يوجد من
العرق والبول لوجود ما كل
محترق مر هذا قول جماعة
ممن تقدم وأما ما يوجد
بالعيان وايقاع المحنة
عند المباشرة فان كل الرطوبات
ذوات الطعوم اذا صعدت
بالقرع والانابيق بقيت
روائحها وطعومها فيما ترتفع
منها كالخل والنبيذ والورد
والزعفران والقرنفل
الا المالحة فانها تختلف
طعومها وروائحها ولا سيما
ان صعدت مرتين وأسخنت
مرة بعد أخرى وقد ذكر
صاحب المنطق في هذا
المعنى كلاما كثيرا من
ذلك أن الماء المالح أثقل من
الماء العذب وجعلت الدلالة
على ذلك أن الماء المالح كدر
غليظ والماء العذب صاف
رقيق وأنه اذا أخذ شيء من
الشمع فعمل منه اناء ثم سد
رأسه وصير في ماء مالح وجد
ذلك الماء الذي وصل الى الاناء عذبا في الطعم خفيفا في الوزن ووجد الماء المالح المحيط به على خلاف ذلك وكل ما يجري فهو نهر

وحيث ينبع فهو عين وحيث يكون معظم الماء فهو بحر (قال المسعودي) وقد تكلم الناس في المياه واشباهها

واكثروا وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان في الفن الثاني من جملة الثلاثين فنا ما أوردوه من البراهين في مساحة البحار ومقاديرها والمنفعة في لوحة مائها واتصال بعضها ببعض وانفصالها وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان ولأية علة كان الجزر والمد في البحر الحبشي أظهر من دون سائر البحار ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة من السيرافيين والعمانيين يخبرون عن البحر الحبشي في أغلب الامور على خلاف ما ذكرته الفلاسفة وغيرهم ممن حكينا عنهم المقادير والمساحة وان ذلك لا غاية له وفي مواضع منه شاهدت ارباب المراكب في البحر الرومي من الحربية والعمالة وهم النواتي وأصحاب الرحل والرؤساء ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيهم مثل لاوي المكنى بأبي الحرب غلام زرافة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق وذلك بعد الثلثمائة يعظمون طول البحر الرومي وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه وعلى هذا وجدت عبد الله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص ولم يبق في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة نفل

عيون المعاني ما بين أجفان البيان والدعاء لابوابكم الشريفة جعل الله تعالى عصمته تقيم
بها وظيفتي الحجابة والاستئذان وضرب بدعوتها التي هي لذة الاقامة والاذان على الآذان
واستخدم بروج الفلك الدوار في أمرها العزيز استخدام الانصار والاعوان حتى يعلم
ما في المدافعة عن حماها مخالب السرحان وفي الاشادة بعدلها كفتي الميزان ويهدي لها
من الزهرة كرة الميدان ومن الهلال عوض الصولجان وأبقى في عواملها ضمير الامر
والشان الى يوم تعنو وجوه الملوك الى الملك الديان فانا كتبناه الى تلك الابواب كتب الله
لعتبتها النصرة الداخلة كما أخجل بمكارمها السحب الباخلة وجعل مفارق مناصلها
المختضبة من نجيع عداها غير ناصلة وقرن بكل سبب من اضدادها فاصلة من دار ملك
الاسلام بالاندلس حمراء غرناطة وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن ارجائها وشد بأيدي
اليقين عرا أملها في الله ورجائها حيث المصاف المعقود وثمن النفوس المنقود ونار
الحرب ذات الوقود حيث الافق قد تردى بالقتام وتعمم والسيف قد تجرد وتيمم وغبار
الجهاد يقول انا الامان من دخان جهنم حيث الاسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير
والثرة من أوسق العير حيث المصارع تتزاحم الحور على شهدائها والابطال يملؤ بالتكبير
مسمع ندائها حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زينتها الكلوم بدمائها وان سأل عن القطر
الذي مهدت لسياسته اكوار مطاياه وجعلت بسدنا والمنة لله عياب عطاياه فقطر مستقل
بنفسه مرب يومه في البر على امسه زكي المنابت عذب المشارب متمم المآرب مكمل
المآرب فاره الحيوان معتدل السحن والالوان وسيطة في الاقاليم السبعة شاهدة لله
باحكام الصنعة أما خيله ففارهة والى الركض شارهة وأما سيوفه فلمواطن الغمود
كارهة وأما اسله فمتداركة الخطف وأما عوامله فبينة الحذف وأما نباله فمحذورة القذف
الا أن الاسلام به في سفط مع الحيات وذريعة للمنيات الوحيات وهدف للنبال واكلة
للشبال تنوبهم الغارات المتعاقبة وتخيفهم الحدود المصاقبة وتجوس خلالهم العيون
المراقبة وتريب من أشكال مختطهم الا أن يتفضل الله بحسن العاقبة فليس الا الصبر
والضرب الهبر والهمز والنبر والمقابلة والجبر وقد حال البحر بينهم وبين اخوان ملتهم
وأساة علتهم يقومون بهذا الفرض عن أهل الارض ويقرضون ملك يوم العرض أحسن
القرض فلولا بعد المدى وغول الردى ولغط العدا وما عدا مما بدا لسمعتم تكبير الجلات
وزئير تلك الفلات ودوي الحوافر وصليل السيوف من فوق المغافر وصراخ الثكالى
وارتفاع الادعية الى الله تعالى ولو ارتفع هذا المكان وهو للاولياء مثلكم من حيز
الامكان لقلتم مقل الاسنة الزرق حالة من أطراف قصب الرماح محال الورق وأبصرتم
القنا الخطار قد عاد أخلة والسيوف قد صارت فوق بدور الخود أهلة وعقود الشهادة
عند قاضي السعادة مستقلة وكان كما تحصره علومكم الشريفة حدق سور الفتح وآخر
ولاء ذلك المنح عرض على الفاروق فاحتاط وأغرى به من بعده فاشتاط وسرحت
خيل ابن أبي سرح في خبر يدعو الى شرح حتى اذا ولد مروان تقلدوا كرتها التي هوت
وقضموا ما انضجت ورثة الحق وشوت ويدهم على الامر احتوت وفازت منه بما نوت

نفل ولائده الوليد وجلب له الطريف والتليد وطرقت خيل طارف وضاقت عن اخباره المهارق وجلت الفائدة وظهر على الذخيرة التى منها المائدة ثم استرسل المهب ونصر الرب ويكثر الطيرحين بشر الحب وصرفت أشراف الشام أعنتها الى التماس خ سيره وطارت بأجنحة العزائم تيمنا بطيره وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر وغيره ففتحت الاقفال ونفلت الانفال ونجح القفال ووسمت الاغفال وافتتحت البلاد الشهيرة وانتقيت العذارى الخيرة واقتنيت الذخيرة وتجاوز الاسلام الدروب وتخطى وخضد الارطى وأركب وأمطى واستوثق واستوطا وتثاءب وتمطى حتى تعددت مراحل البريد وسخنت عين الشيطان المريد واستوسق للاسلام ملك ضخم السرادق مرهوب البوارق رفيع العمد بعيد الامد تشهد بذلك الآثار والاخبار والوقائع الكبار والاوداق والامطار وهل يخفى النهار ولكل دبوب ركود والدهر حسود لمن يسود فراجعت الفرنج كرتها واستدركت معرتها فدوخت جوارحها وحلقت وأومضت بوارقها وتألقت وتشبثت وتعلقت وأرسلت الاعنة وأطلقت وراجعت العقائل التى طلقت حتى لم يبق من الكتاب الا الحاشية ولا من الليل الا الناشية وسقطت الغاشية وأخلدت الفئة المتلاشية وتقلصت الظلال الفاشية الا أن الله تدارك بقوم رجح من سلفنا اثبتوا فى مستنقع الحرب أقدامهم وأخلصوا لله بأسهم واقدامهم ووصلوا سيوفهم البارقة بخطاهم وأعطاهم منشور العز من أعطاهم حين تعين الدين وتحيز واشتد بالمدافعة وتميز وعادت الحروب سجالا وعلم الروم أن لله رجالا وقد أوفد جدنا رضى الله عنه على ابواب سلفكم من وقائعه فى العدو كل مبشرة ووجوديه منتشرة ضحكت لها ثغور الثغور وسرت بها فى الاعطاف حميا السرور وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور وتمائم فى درر النحور وخفر افى وجوه البدور فان ذمام الاسلام موصول وفروعه تجمعها فى الله أصول وما أقرب الحزن ممن داره صول والملة والمنة لله واحدة والنفوس لامنكرة للحق ولا جاحدة والاقدار معروفة والآمال الى ما يوصل الى الله مصروفة فادالم يكن الاستدعاء أمكن الدعاء والخواطر فعالة والكل على الله عالة والدين غريب والغريب يحن الى أهله والمرء كثير بأخيه على بعد محله انتهى المقصود من المخاطبة مما يتعلق بهذا الباب والله الموفق للصواب

(الباب الثالث)

فى سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العز السامى العماد والقهر للعدو فى الرواح والغدو والتحرك والهدو والارتياح البالغ غاية الآماد واعمال أهلها للجهاد بالجد والاجتهاد فى الجبال والوهاد بالاسنة المشرعة والسيوف المستلة من الاغماد

(اقول) قد قدمنا فى الباب قبل هذا ما كان من نصر المسلمين وفتحهم الاندلس وما حصل لهم من السلطان بها الى مجىء الداخل فتقررت القواعد السلطانية وعلت الكلمة الايمانية كما نسرده هنا ان شاء الله تعالى (وذكر غير واحد) منهم ابن حزم ان دولة بنى أمية بالاندلس كانت أنبل دول الاسلام وانكاها فى العدو وقد بلغت من العز والنصر ما لا مزيد عليه كما

ويقرله بالنصر والحذق مع ما هو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وما سمعناه عمن ذكرنا من أخبارها وآفاتها وما شاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا وسنورد بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وقد ذهب قوم ممن تكلم فى علامات المياه ومستقرها من الارض الى انه يرى فى المواضع التى فيها الماء نبت القصب والحلفاء والسل من الحشيش فذلك دلالة على قرب الماء لمن اراد الحفر وان ما عدا ذلك فعلى البعد ووجدت فى كتاب الفلاحة ان من اراد أن يعلم قرب الماء وبعده فليحفر فى الارض ثلاثة أذرع او أربعة ثم ياخذ قدرا من نحاس أو سحابة خذف فيدهنها بشحم من داخلها مستويا ولتكن القدر واسعة الفم فاذا غابت الشمس فخذ صوفة بيضاء منفوشة مغسولة وخذ حجرا قدر بيضة فلف ذلك الصوف عليه مثل الكرة ثم اطل جانب الكرة بموم مذاب والصقها فى أسفل ذلك القدر الذى قد دهنته بدهن اوبشحم ثم القها فى أسفل

الحفيرة فان الصوف يصير معلقا والموم يمسكه ويصير الى مكان الحجر معلقا ثم احث على الاناء التراب

قدر ذراعين او ذراع ودعه ليلتك كلها فاذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكنس التراب عنه وارفع

ستري بعضه (واصل هذه الدولة) كما قال ابن خلدون وغير واحد أن بني أمية لما نزل بهم
بالمشرق ما نزل وغلبهم بنو العباس على الخلافة وأزالوهم عن كرسيها وقتل عبد الله بن على
مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفائهم سنة ثنتين وثلاثين ومائة وتتبع بني مروان
بالقتل فطلبوا بطن الارض من بعد ظاهرها وكان ممن أفلت منهم عبد الرحمن بن معاوية بن
هشام بن عبد الملك بن مروان وكان قومه يتحينون له ملكا بالمغرب ويرون فيه علامات لذلك
يأثرونها عن مسلمة بن عبد الملك وكان هو قد سمعها منه مشافهة فكان يحدث نفسه بذلك
فخلص الى المغرب ونزل على اخواله نفزة من برابرة طرابلس وشعر به عبد الرحمن بن حبيب
وكان قد قتل ابني الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما دخلا افريقية فلحق بمغيلة وقيل بمكناسة
وقيل بقوم من زناتة فاحسنوا قبوله واطمأن فيهم ثم لحق بمليلة وبعث بدرا مولاه الى من
بالاندلس من موالي المروانيين واشياعهم فاجتمع بهم وبثوا له في الاندلس دعوة ونشروا له
ذكرا ووافق قدومه ما كان من الاحن بين اليمنية والمضرية فاصفقت اليمنية على أمره لكون
الامر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهري وصاحبه الصميل ورجع بدر مولاه اليه بالخبر
فاجاز البحر سنة ثمان وثلاثين ومائة في خلافة ابي جعفر المنصور ونزل بساحل المنكب
وأتاه قوم من اهل اشبيلية فبايعوه ثم انتقل الى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور
ثم الى شذونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي ثم الى مورور فبايعه ابن الصباح ونهد الى
قرطبة فاجتمعت اليه اليمنية ونمى خبره الى والي الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري
وكان غازيا بجليقية فانفض عسكره ورجع الى قرطبة وأشار عليه وزيره الصميل بن حاتم
بالتلطف له والمكر به لكونه صغير السن حديث عهد بنعمة فلم يتم ما أراده وارتحل عبد
الرحمن من المنكب فاحتل بمالقة فبايعه جندها ثم برندة ثم بشريش كذلك ثم باشبيلية
فتوافت اليه جنود الامصار وتسايلت المضرية اليه حتى اذا لم يبق مع يوسف بن عبد الرحمن
غير الفهرية والقيسية لمكان الصميل منه زحف حينئذ عبد الرحمن الداخل وناجزهم الحرب
بظاهر قرطبة فانكشف يوسف ولجأ الى غرناطة فتحصن بها واتبعه الامير عبد الرحمن فنازله
ثم رغب اليه يوسف في الصلح فعقد له على ان يسكن قرطبة ثم أقفله معه ثم نقض يوسف
عهده وخرج سنة احدى واربعين ومائة ولحق بطليطلة واجتمع اليه زهاء عشرين ألفا من
البربر وقدم الامير عبد الرحمن للقائه عبد الملك بن عمر المرواني وكان وفد عليه من المشرق
وكان ابوه عمر بن مروان بن الحكم في كفالة أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما دخلت
المسودة أرض مصر خرج عبد الملك يؤم الاندلس في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس
والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة اربعين فعقد له على اشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك
على مورور وسار يوسف اليهما وخرجا اليه ولقياه وتناجز الفريقان فكانت الدائرة على
يوسف وأبعد المفر واغتاله بعض اصحابه بناحية طليطلة واحتز رأسه وتقدم به الى الامير
عبد الرحمن فاستقام أمره واستقر بقرطبة وثبت قدمه في الملك وبنى المسجد الجامع والقصر
بقرطبة وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد ووفد عليه جماعة من
اهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطع دعوته ومهد الدولة بالاندلس وأثلها

الاناء فان رأيت الماء ملتزقا بالاناء من داخل قطرا كثيرا بعضه قريب من بعض والصوفة ممتلئة فان في ذلك المكان ماء وهو قريب وان كان القطر متفرقا لا بالمجتمع ولا بالمتقارب والصوفة ماؤها وسط فان الماء ليس بالبعيد ولا بالقريب وان كان القطر ملتزقا متباعدا بعضه من بعض والماء في الصوفة قليل فان الماء بعيد وان لم تر على الاناء قطرا قليلا ولا كثيرا ولا على الصوفة ماء فانه ليس في ذلك الموضع ماء فلا تتعن في حفره ووجدت في بعض النسخ من كتب الفلاحة هذا المعنى ان من أراد علم ذلك فلينظر الى قرى النمل فان وجد النمل غلاظا سودا ثقيلة المشي فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهن الماء قريب منهن وان وجد النمل سريع المشي لا يكاد يلحق فالماء منهن على أربعين ذراعا والماء الاول يكون عذبا طيبا والثاني ثقيلا مالحا فهذه جملة علامات لمن يريد استخراج الماء وقد أتينا على مبسوط ما ذكرناه في كتابنا أخبار الزمان وانما نذكر في هذا الكتاب ما تدعو الحاجة الى ذكره بالاشارة اليه دون بسطه وايضاحه وقد ذكرنا جملا من أخبار البحار وغيرها فلنقل في أخبار

الملك

الملك العظيم لبني مروان والسلطان العزيز وجدد ما طمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها واستلحم الثوار عليه على كثرتهم في النواحي وقطع دعوة آل العباس من منابر الاندلس وسدّ المذاهب منهم دونها وهلك سنة ثنتين وسبعين ومائة وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل لانه اول داخل من ملوك بني مروان الى الاندلس وكان أبو جعفر المنصور يسميه صقر قريش لما رأى انه فعل بالاندلس ما فعل وما ركب اليها من الاخطار وانه نهد اليها من أنأى ديار المشرق من غير عصابة ولا انصار فغلب أهلها على أمرهم وتناول الملك من ايديهم بقوة شكيمة ومضاء عزم حتى انقاد له الامر وجرى على اختياره وأورثه عقبه * وكان يسمى بالامير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يدع أحد منهم بامير المؤمنين تأدبا مع الخلافة بمقر الاسلام ومنتدى العرب حتى كان من عقبه عبد الرحمن الناصر وهو ثامن بني أمية بالاندلس فتسمى بأمير المؤمنين على ما سنذكره لما رأى من ضعف خلفاء بني العباس بعد الثلثمائة وغلبة الاعاجم عليهم وكونهم لم يتركوا لهم غير الاسم وتوارث التلقيب بأمير المؤمنين بنو عبد الرحمن الناصر واحدا بعد واحد (قال ابن حيان) وكان لبني عبد الرحمن الداخل بالعدوة الاندلسية ملك ضخم ودولة متسعة اتصلت الى ما بعد المائة الرابعة وعند ما شغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد أمره قوي أمر الجلالقة واستفحل سلطانهم وعمد فرويلة بن ادفونش ملكهم الى ثغور البلاد فاخرج المسلمين منها وملكها من أيديهم فملك مدينة لك وبرتقال وسمورة وقشتالة وشقوبية وصارت للجلالقة حتى افتتحها المنصور بن ابي عامر آخر الدولة ثم استعادوها بعده فيما استعادوه من بلاد الاندلس واستولوا على جميعها حسبما يذكر والله سبحانه الامر اه وخاطب عبد الرحمن فارله ملك الافرنج وكان من طغاة الافرنج بعد أن تمرس به مدة فأصابه صلب المكسر تام الرجولية فمال معه الى المداراة ودعاه الى المصاهرة والسلم فاجابه للسلم ولم تتم المصاهرة قال ابن حيان ولما ألفى الداخل الاندلس ثغرا قاصيا غفلا من حلية الملك عاطلا أرهف أهلها بالطاعة السلطانية وحنكهم بالسيرة الملوكية وآخذهم بالآداب فاكسبهم عما قليل المروءة وأقامهم على الطريقة وبدا فدوّن الدواوين ورفع الاواوين وفرض الاعطية وعقد الالوية وجند الاجناد ورفع العماد وأوثق الاوتاد فاقام للملك آلته وأخذ للسلطان عدّته فاعترف له بذلك أكابر الملوك وحذروا جانبه وتحاموا حوزته ولم يلبث أن دانت له بلاد الاندلس واستقل له الامر فيها فلذلك ماظل عدوه ابو جعفر المنصور بصدق حده وبعد غوره وسعة اطاعته يسترجع عبد الرحمن كثيرا ويعدله بنفسه ويكثر ذكره ويقول لا تعجبوا لامتداد أمر نامع طول مراسه وقوة اسبابه فالشان في أمر فتى قريش الاحوذي الفذ في جميع شؤنه وعدمه لاهله ونشبه وتسليه عن جميع ذلك ببعد مرقى همته ومضاء عزيمته حتى قذف نفسه في لجج المهالك لابتناء مجده فاقتحم جزيرة شاسعة المحل نائية المطمع عصبية الجند ضرب بين جندها بخصوصيته وقمع بعضهم ببعض بقوة حيلته واستمال قلوب رعيتها بقضية سياسته حتى انقاد له عصيهم وذل له أبيهم فاستولى فيها على أريكته ملكا على قطيعته قاهرا لاعدائه حاميا لذماره مانعا لحوزته خالطا الرغبة اليه بالرهبة منه ان ذلك لهو الفتى كل الفتى

وأخبار الصين وغير ذلك مما الحق بهذا الباب) * قد تنازع الناس في أنساب أهل الصين وبدئهم فذكر كثير منهم ان ولد عابور بن بتويل بن يافث بن نوح لما قسم فالغ بن عابور وارفخشذ بن سام بن نوح الارض بين ولد نوح ساروا سيرة في الشرق فسار قوم منهم من ولد رعو على سمت الشمال وانتشروا في الارض فصاروا عدة ممالك منهم الديلم والجيل والطيلسان والتتر وفرغان فأهل جبل الفتح أنواع الكريم واللان والخزر والابخاز والسرير وكشك وسائر تلك الامم المنتشرة في ذلك الصقع والارمن الى بلاد طرابزندة الى بحر مانطش ونيطش وبحر الخزر والبلغر ومن اتصل بهم من الامم وعبر ولد عابور نهر بلخ ويمم بلاد الصين الاكثر منهم وتفرقوا عدة ممالك في تلك البلاد وانتشروا في تلك الديار فمنهم الجيل وهم سكان جيلان والاشروسنة والصغد وهم بين بخارى وسمرقند ثم الفراغنة والشاش واسبجار وأهل بلاد العبرات فبنوا المدن والضياع وانفرد منهم اناس غير هؤلاء فسكنوا البوادي فمنهم الترك الخرلخ والطغزغز ومنهم أصحاب مدينة كوشان وهي مملكة بين خراسان وبلاد الصين

لا يكذب مادحه وجعل ابن حيان من النوادر العجيبة موافقة عبد الرحمن هذا لابى جعفر المنصور فى الرجولية والاستيلاء والصرامة والاجتراء على الكبائر والقساوة فان أم كل واحد منهما بربرية وكان الداخل يقعد للعامة ويسمع منهم وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصل اليه من أراده من الناس فيصل الضعيف منهم الى رفع ظلامته اليه دون مشقة وكان من عادته ان يأكل معه من اصحابه من أدرك وقت طعامه ومن وافق ذلك من طلاب الحوائج أكل معه *(وفى كتاب ابن زيدون) انه كان أصهب خفيف العارضين بوجهه خال طويل القامة نحيف الجسم له ضفيرتان أعور أخشم والاخشم الذى لا يشم وكان يلقب بصقر قريش لكونه تغرب وقطع البر والبحر وأقام ملكا قد أدبر وحده ولما ذكر الجارى انه أعور قال ما أنشد فيه الا قول امرئ القيس

لكن عوير وفى بذمته * لا عور شانه ولا قصر

(وقال ابن خلدون) وفى سنة ست واربعين سار العلاء بن مغيث اليحصبى من افريقية الى الاندلس ونزل بباجة الاندلس داعيا لابى جعفر المنصور واجتمع اليه خلق فسار عبد الرحمن اليه ولقيه بنواحى اشبيلية فقاتله أياما ثم انهزم العلاء وقتل فى سبعة آلاف من اصحابه وبعث عبد الرحمن برؤس كثير منهم الى القيروان ومكة فألقيت فى أسواقها سرا ومعها اللواء الاسود وكتاب المنصور للعلاء فارتاع المنصور لذلك وقال ماهذا الا شيطان والحمد لله الذى جعل بيننا وبينه البحر أو كلاما هذا معناه وقد مرّ ذكر ذلك وكثرت ثورة رؤساء العرب بالاندلس على عبد الرحمن الداخل ونافسوه ملكه ولقى منهم خطوبا عظيمة وكانت العاقبة له واسترابى فى آخر أمره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالى ثم غزا بلاد الافرنج والبشكنس ومن وراءهم ورجع بالظفر وكان فى نيته ان يجدد دولة بنى مروان بالمشرق فحات دون ذلك الامل وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر اذ دخل الاندلس سنة ثمان وثلاثين ومائة ومات سنة اثنتين وسبعين وقيل احدى وسبعين ومائة فى خلافة الرشيد وأمه أم ولد بربرية اسمها راح ومولده سنة ثلاث عشرة ومائة بدير حنا من أرض دمشق وقيل بالعليا من تدمير ومات ابوه فى ايام ابيه هشام سنة ثمان عشرة عن احدى وعشرين سنة وكفله واخوته جدهم هشام ووهب لعبد الرحمن هذا جميع الاخماس التى اجتمعت للخلفاء بالاندلس وأقطعه اياها ووجه لحيازتها من الشام سعيد بن أبى ليلى وقيل انه لما قصد المغرب من فلسطين خرج معه أربعة بدر مولى أبيه وابو شجاع وزياد وعمرو وقيل ان بدرا الحقه ولم يخرج معه فالله أعلم وخلف من الولد عشرين منهم احد عشر رجلا وتسع اناث *(وحكى غير واحد) انه لما هرب من الشام الى افريقية قاصدا الاندلس نزل بمغيلة فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس ويكنى أبا قرة فاستتر عنده وقتا ولحق به بدر مولى أبيه بجوهر وذهب أنفذته أخته اليه فلما دخل الاندلس واستتب أمره به سار اليه أبو قرة وانسوس البربرى فاحسن اليه وحظى عنده وأكرم زوجته تكفات البربرية التى خبأته تحت ثيابها عندما فتشت رسل ابن حبيب بيتها عنه فقال لها عبد الرحمن مداعبا حين استظلت بظله فى الاندلس لقد عذبتنى بريح ابطيك

وليس فى أجناس الترك وأنواعهم فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أشد منهم باسا ولا أكثر منهم شوكة ولا أضبط ملكا وكلهم ازحان ومذهبهم مذهب المانية وليس فى الترك من يعتقد هذا المذهب غيرهم ومن الترك الكيمالية والبرسخانية والبدية والحقوبية واشدهم بأسا الحقوبية وأحسنهم صورة وأطولهم قامة وأصبحهم وجوها الخولجية وهم أهل بلاد فرغانة والشاش وما يلى ذلك الصقع وفيهم كان الملك ومنهم خاقان الخواقين وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك وتنقاد اليه ملوكها ومن هؤلاء الخواقين كان (فراسياب) التركى الغالب على بلاد فارس ومنهم (سانة) ولخاقان الترك فى وقتنا هذا تنقاد ملوك الترك كلهم منذ خربت المدينة المعروفة بعمان وهى فى مفاوز سمرقند وقد ذكرنا انتقال الملك عن هذه المدينة والسبب فى ذلك فى كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط ولحق فريق من ولد عابور بتخوم الهند فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم بخلاف ألوان الترك ولحقوا بالوان الهند ولهم حضر وبواد وسكن فريق منهم بلاد التبت وملكوا عليهم ملكا وكان ينقاد الى ذلك الخاقان على ماقدبينا وسمى اهل التبت مليكهم بخاقان باتكفات

ياتكفات على ما كان بى من الخوف وسطعتنى بأنتن من ريح الجيف فكان جوابها له مسرعة بل ذلك كان والله ياسيدى منك خرج ولم تشعر به من فرط فزعك فاستظرف جوابها وأغضى عن مواجهتها بمثل ذلك وهذا من آفات المزاح * ومن محاسنه انه أدار السور بقرطبة رحمه الله (وتولى الملك بعده ابنه هشام بعهد منه اليه) وأمه أم ولد اسمها حلل وأفضى اليه الملك وهو بماردة وال عليها وكان أبوه يوليه فى صباه ويرشحه للامر وكان الداخل كثيرا ما يسأل عن ابنيه سليمان وهشام فيذكر له ان هشاما اذا حضر مجلسا امتلأ أدبا وتاريخا وذكر الامور الحرب ومواقف الابطال وما أشبه ذلك واذا حضر سليمان مجلسا امتلأ سخفا وهذيانا فيكبر هشام فى عينه بمقدار ما يصغر سليمان وقال يوما لهشام لمن هذا الشعر

وتعرف فيه من أبيه شمائلا * ومن خاله أو من يزيد ومن حجر
سماحة ذا مع بر ذا ووفاء ذا * ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

فقال له ياسيدى لامرئ القيس ملك كندة وكأنه قاله فى الامير أعزه الله فضمه اليه استحسانا بما سمع منه وأمر له باحسان كثير وزاد فى عينه ثم قال لسليمان على انفراد لمن هذا الشعر وأنشده البيتين فقال لعلهما لاحد أجلاف العرب أما لى شغل غير حفظ أقوال بعض الاعراب فاطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية * ولما ولى هشام أشخص المنجم المعروف بالضبى من وطنه الجزيرة الخضراء الى قرطبة وكان فى علم النجوم والمعرفة بالحركات العلوية بطليموس زمانه حذقا واصابة فلما أتاه خلا به وقال له ياضبى لست أشك انه قد عناك من أمرنا اذ بلغك مالم ندع تجديدا النظر فيه فانشدك الله الا ما أنبأتنا بما ظهر لك فيه فلجلج وقال اعفنى أيها الامير فانى ألممت به ولم أحقق النظر فيه لجلالته فى نفسى فقال له قد أجلتك لذلك فتفرغ للنظر فيما بقى عليك منه ثم أحضره بعد أيام فقال ان الذى سألتك عنه جدتنى مع أنى والله ما أثق بحقيقته اذ كان من غيب الله الذى استأثر به ولكنى أحب أن أسمع ما عندك فيه فالنفس طلعة وألزمه الصلة أو العقوبة فقال اعلم أيها الامير انه سوف يستقر ملكك سعيدا جدك قاهرا لمن عاداك الا ان مدتك فيه فيما دل عليه النظر تكون ثمانية أعوام أو نحوها فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال ياضبى ما أخوفنى ان يكون النذير كلمنى بلسانك والله لو أن هذه المدة كانت فى سجدة لله تعالى لقلت طاعة له ووصله وخلع عليه وزهد فى الدنيا ولزم افعال الخير والبر (ومن حكاياته فى الجود) انه كان قاعدا لراحته فى علية على النهر فى حياة والده فنظر الى رجل من قدماء صنائعه من اهل جيان قد اقبل بوضح السير فى الهاجرة فانكر ذلك وقدر شرا وقع به من قبل اخيه سليمان وكان واليا على جيان فامر بادخاله عليه فقال له مهيم يا كنانى فلأمر ما وما أحسبك الا مزعجا لشئ دهمك فقال نعم ياسيدى قتل رجل من قومى رجلا خطأ فحملت الدية على العاقلة فأخذ بها من كنانة عامة وحملنا على من بينهم خاصة وقصدنى أخوك بالاعتداء اذ عرف مكانى منك فمد هشام يده الى جارية كانت وراء الستر وقطع قلادة عقد نفيس كان فى نحرها وقال له دونك هذا العقد يا كنانى وشراؤه على ثلاثة آلاف دينار فلا تخدعن عنه وبعه وأدعن نفسك وعن قومك ولا تمكن الرجل من اهتضامك فقال ياسيدى لم آتك مستجديا ولا لضيق المال عما حملته ولكنى لما اعتمدت

تشبيها بمن تقدم من الملوك وسار الجمهور من ولد عابور على ساحل البحر حتى انتهوا الى قاصيه من بلاد الصين فتفرقوا فى تلك البقاع والبلاد وقطنوا الديار وكوروا الكور ومصروا المدن واتخذوا لملكتهم مدينة عظيمة وسموها انموا وبينها وبين ساحل البحر الحبشى وهو بحر الصين مسافة ثلاثة أشهر مدن وعمائر متصلة وكان أول ملك تملك عليهم فى هذه الديار وهى انموا (اسطرماس) ابن فاعور بن بريخ بن عابور بن يافث بن نوح فكان ملكه ثلثمائة سنة ونيفا وفرق أهله فى تلك الديار وشقق الانهار وقتل السباع وغرس الاشجار وأطعم الثمار وهلك فملك ولده يقال له (عرون) فجعل جسد أبيه فى تمثال من الذهب الاحمر جزعا عليه وتعظيما له وأجلسه على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالجواهر وجعل مجلسه دونه وأقبل يسجد لابيه وهو فى جوف تلك الصورة هو وأهل مملكته فى طرفى النهار اجلالا له وعاش مائتى سنة وخمسين سنة وهلك فملك ولده يقال له (عبرور) فجعل جسد أبيه عرون فى تمثال من الذهب الاحمر وجعله دون مرتبة جده على سرير من الذهب ورصعه بانواع الجواهر وكان يسجد له ويبدأ بالاول ثم بابيه وأهل مملكته يسجدون له وأحسن السياسة للرعية وساواهم فى جميع امورهم

ظلم صراح أحببت ان يظهر على عز نصرك وأثر ذبك وامتعاضك فاعهد بذلك عند من
يحسدني على الانتماء اليك فقال هشام فما وجه ذلك فقال أن تكتب الى أخيك في الامساك
عني والقيام بذمتك لي فقال امسك العقد وركب من حينه الى والده الداخل واستأذن عليه
في وقت أنكره فانزعج وقال ما اتى بأبي الوليد في هذا الوقت الا امر مقلق ائذنوا له فلما دخل سلم
عليه ومثل قائما بين يديه فقال له اجلس ياهشام فقال اصلح الله الامير سيدي وكيف
جلوسي بهم وذل مزعج وحق لمن قام مقامي أن لا يجلس الا مطمئنا ولن يقعدني الا طيب
نفسي باسعاف الامير لحاجتي والا رجعت على عقبي فقال له حاش لك من انقلابك خائبا
فاقعد مجابا مشفعا فجلس فقال له أبوه فما الحدث المقلق فأعلمه فأمر بحمل الدية عنه وعن
عشيرته من بيت المال فسر هشام واطنب في الشكر وكتب الامير الى ولده سليمان في ترك
التعرض لهذا الكناني بما يدر في خلده * ولما دخل الكناني لوداع هشام قال له ياسيدي
قد تجاوزت بك حد الامنية وبلغت غاية الذمر وقد اغنى الله عن العقد المبذول بين يدي
العناية الكريمة فتعيده الى صاحبته فأبى من ذلك وقال لا سبيل الى رجوعه الينا * وكان
هشام يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته الى الكور
فيسألون الناس عن سير عماله ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى اليه حيف من احدهم اوقع
به واسقطه وانصف منه ولم يستعمله بعد ولما وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أنس قال
نسأل الله تعالى ان يزين موسمنا بمثل هذا وفي أيامه فتحت أربونة الشهيرة واشترط على
المعاهدين من أهل جليقية من صعاب شروطه انتقال عدد من أحمال التراب من سور أربونة
المفتتحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة وبنى منه المسجد الذي قدام باب الجنان وفضلت
منه فضلة بقيت مكومة وقاسى مع المخالفين له من أهل بيته وغيرهم حروبا ثم كانت الدائرة
له وقصد الى بلاد الحرب غازيا وقصد ألبة والقلاع فلقي العدو وظفر بهم وفتح الله عليه
سنة خمس وسبعين وبعث العساكر الى جليقية مع يوسف بن بخت فلقي ملكها ابن منده وهزمه
وأثخن في العدو وفي سنة ست وسبعين بعث وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة
العدو فبلغ ألبة والقلاع فأثخن في نواحيها ثم بعثه في العساكر سنة سبع وسبعين الى
اربونة وجريدة فأثخن فيها ووطئ أرض برطانية وتوغل عبد الملك في بلاد الكفار وهزمهم
ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد الى البة والقلاع سنة ثمان وسبعين ومع
أخيه عبد الملك بن عبد الواحد الى بلاد جليقية فانتهى الى استرقة فجمع له ملك الجلالقة
واستمد بملك البشكنس ثم خام عن اللقاء ورجع ادراجه واتبعه عبد الملك وكان هشام
قد بعث الجيوش من ناحية اخرى فالتقوا بعبد الملك واثخنوا في البلاد واعترضتهم
الفرنج فنالوا منهم بعض الشيء ثم خرجوا سالمين ظافرين * ومن محاسنه انه جدد القنطرة التي
يضرب بها المثل بقرطبة كما سبق وكان بناها السمح الخولاني عامل عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه فأحكم هشام بناءها الى الغاية وقال يوما لاحد وزرائه ما يقول أهل قرطبة فقال
يقولون ما بناها الامير الا ليمضي عليها الى صيده وقنصه فآلى هشام على نفسه أن لا يسلك
عليها فلم يمر عليها بعد ووفى بما حلف عليه ثم توفي سنة ثمانين ومائة لسبع سنين

ولده (عيبان) فجعل اباه
في تمثال من الذهب الاحمر
وجرى على ما سلف من
اوعنهم في السجود والتعظيم
وطال ملكه واتصلت بلاده
ببلاد الترك من بني عمه
فعاش اربعمائة سنة
واتخذ في ايامه كثيرا من
المهن مما لطف في الدور من
الصنائع وملك بعده ولد
(حرامان) فأحدث الفلك
وحمل فيها الرجال وحمل لطائف
بلاد الصين وصيرها نحو بلاد
السند والهند الى اقليم بابل
والى سائر الممالك مما قرب
منها وأبعد في البحر وأهدى
الهدايا العجيبة والرغائب
النفيسة الى الملوك وأمرهم
ان يجلبوا اليه ما في كل بلد
من الظرائف والتحف من
المآكل والمشارب والملابس
وسائر الفرش وان يعرفوا
سياسة كل ملك وكل أمة
وشريعتها ونهجها التي هي
عليه وان يرغبوا الناس
فيما في بلدانهم من الجواهر
والطيب والآلات فتفرقت
المراكب في البلاد ووردوا
الممالك امرا به فلم يردوا
على اهل مملكة الا وأعجبوا
بهم واستظرفوا ما أوردوه
من ارضهم فبنت الملوك
المطيفة بالبحار المراكب
وجهزت نحوهم السفن
وحملوا اليهم ما ليس عندهم وكاتبوا واملكهم وكافؤه على ما كان من هداياه اليهم فعمرت بلاد الصين واستقامت وتسعة

وتسعة أشهر من امارته وقيل ثمان وكان من أهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد ومن محاسنه أيضا كمال بناء الجامع بقرطبة وكان أبوه شرع فيه * ومن محاسنه انه أخرج المصدق لاخذ الزكاة على الكتاب والسنة رحمه الله وعمره أربعون سنة وأربعة أشهر وولد في شوال سنة ١٣٧ (وولي بعده ابنه الحكم بعهد منه اليه) فاستكثر من المماليك وارتبط الخيل واستفحل ملكه وباشر الامور بنفسه وفي خلال فتنة كانت بينه وبين عميه اغتنم العدو الكافر الفرصة في بلاد المسلمين وقصد برشلونة فملكوها سنة خمس وثمانين وتأخرت عساكر المسلمين الى مادونها وبعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الجلالقة فأثخنوا فيها وخالفهم العدو الى المضايق فرجع على التعبية وظفر بهم وخرج الى بلاد الاسلام ظافرا وكانت له الوقعة الشهيرة مع أهل الربض من قرطبة لانه في صدر ولايته كان قد انهمك في لذاته فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيي بن يحيي الليثي صاحب مالك وأحد رواة الموطأ عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به وخلعوه وبايعوا بعض قرابته وكانوا بالربض الغربي من قرطبة وكان محله متصلا بقصره فقاتلهم الحكم فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من أرض العدوة وبالاسكندرية من أرض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ثاروا بها فزحف اليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمأمون بن الرشيد وغلبهم وأجازهم الى جزيرة اقريطش فلم يزالوا بها الى أن ملكها الافرنج من أيديهم بعد مدة * وكانت في أيام الحكم حروب وفتن مع الثوار المخالفين له من أهل طليطلة وغيرهم (وفي سنة ثنتين وتسعين) جمع لذريق بن قارله ملك الفرنج جموعه وسار الى حصار طرسونة فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن في العساكر فهزمه وفتح الله على المسلمين وعاد ظافرا ولما كثر عيث الفرنج في الثغور بسبب اشتغال الحكم بالخارجين عليه سار بنفسه الى الفرنج سنة ست وتسعين فافتتح الثغور والحصون وخرب النواحي وأثخن في القتل والسبي والنهب وعاد الى قرطبة ظافرا *(وفي سنة مائتين) بعث العساكر مع ابن مغيث الى بلاد الفرنج فخرب وهدم عدة حصون وأقبل عليه أليط ملك الجلالقة في جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه أياما ونال المسلمون منهم أعظم النيل وأقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة ثم كسرت الامطار ومد النهر وقفل المسلمون ظافرين ظاهرين وهو أول من جند الاجناد واتخذ العدة وكان أفحل بني أمية بالاندلس وأشدهم اقداما ونجدة وكان يشبه بأبي جعفر المنصور من خلفاء بني العباس في شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الاعداء وكان يؤثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن وحضر يوما عنده وقد غضب فيه على خادم له لايصاله اليه كتابا كره وصوله فأمر بقطع يده فقال له زياد أصلح الله الامير فان مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه أن من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأه الله تعالى أمنا وايمانا يوم القيامة فأمر أن يمسك عن الخادم ويعفى عنه فسكن غضبه وقال آلله ان مالكا حدثك بهذا فقال زياد آلله ان مالكا حدثني بهذا وكانت المجاعة الشديدة سنة سبع وتسعين ومائة فأكثر فيها مواساة أهل الحاجات وفي ذلك يقول عباس بن ناصح الجزيري فيه

نكد الزمان فآمنت أيامه * من أن يكون بعصره عسر

له الامور فكان عمره نحوا من مائتي سنة فهلك فجزع عليه أهل مملكته وأقاموا النياحة عليه شهرا ثم فزعوا الى الاكبر من أولاده فصيروه عليهم ملكا فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب وسلك طريقته ومن كان قبله في فعلهم مقتديا بمن مضى من آبائه وكان اسم هذا الملك (توماماذ) واستقامت له الامور وأحدث من السنن المحمودة مالم يحدثه أحد من ملوكهم وزعم ان الملك لا يثبت الا بالعدل فان العدل ميزان الرب وان من العدل الزيادة في الاحسان مع الزيادة في العمل وحصن وشرف وتوج ورتب الناس في رتبهم على طرائقهم وخرج يرتاد موضعا يبني فيه هيكلا فوافى موضعا عامرا بالنبات حسن الاعتمام بالنهر تخترقه المياه فخط الهيكل هناك وجلبت له أنواع الاحجار المختلفة الالوان لتشييد الهيكل وجعل على علوه قبة وجعل لها شارع للهواء متساوية ونصب فيها بيوتا لمن أراد التفرد بالعبادة فلما فرغ منها نصب في أعلاها تلك التماثيل التي فيها أجسام من سلف من آبائه وأمر بتعظيمها وجمع الخواص من أهل مملكته وأخبرهم ان من رأيه ضم الناس الى ديانة يرجعون اليها لجمع الشمل وتساوي النظام فانه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ودخول الفساد والزلل فرتب لهم سياسة شرعية

طلع الزمان بأزمة حملت له * تلك الكريهة جوده الغمر

وكان نقش خاتمه بالله يثق الحكم و يعتصم * وذكور ولده عشرون واناثهم عشرون وامه جارية اسمها زخرف وكان أسمر طوالا أشم نحيفا ومدة ملكه ست وعشرون سنة سامحه الله * وقال غير واحد انه أول من جعل للملك بأرض الاندلس أبهة واستعبد المماليك حتى بلغوا خمسة آلاف منهم ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل ثم توفى الحكم بن هشام آخر سنة ست ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته ومولده سنة ١٥٤ * وقال ابن خلدون وغير واحد انه أول من جند بالاندلس الاجناد والمرتزقة وجمع الاسلحة والعدد واستكثر من الخدم والحواشي والحشم وارتبط الخيول على بابه واتخذ المماليك وكان يسميهم الخرس لعجمتهم وحكى فى عدتهم ما تقدم ثم قال وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس وكان يباشر الامور بنفسه و يقرب الفقهاء والعلماء والصالحين وهو الذى وطأ الملك لعقبه بالاندلس انتهى وكان له فيما حكى غير واحد ألفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر بقبلى قصره يجمعها داران وهو القاتل لما قتل أهل الربض وهدم ديارهم وحرثها

رأيت صدوع الارض بالسيف راقعا * وقدما لأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغورى هل بها اليوم ثغرة * أبادرها مستنضى السيف دارعا
تنبيك أنى لم أكن فى قراعهم * بوان وقدما كنت بالسيف قارعا
وهل زدت اذ وفيتهم صاع قرضهم * فوافوا منايا قدرت ومصارعا
فهذى بلادى اننى قد تركتها * مهادا ولم أترك عليها منازعا

وقال ابن حزم فى حقه انه كان من المجاهرين بالمعاصى السافكين للدماء ولذلك قام عليه الفقهاء والصلحاء وقال غير واحد انه تنصل أخيرا وتاب سامحه الله ومن نظمه قوله متغزلا

قضب من البان ماست فوق كثبان * ولين عنى وقد أزمعن هجرانى

ومنها

من لى بمغتصبات الروح من بدنى * يغصبننى فى الهوى عزى وسلطانى

وقيل انه كان يسك أولاد الناس و يخصيهم ونقلت عنه أمور ولعله تاب منها كما قدمنا والله أعلم بحقيقة أمره *(ومن بديع أخبار الحكم) أن العباس الشاعر توجه الى الثغر فلما نزل بوادى الحجارة سمع امرأة تقول واغوثاه بك يا حكم لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا وأيتمنا فسألها عن شأنها فقالت كنت مقبلة من البادية فى رفقة فخرجت علينا خيل عدو فقتلت وأسرت فصنع قصيدته التى أولها

تململت فى وادى الحجارة مسندا * اراعى نجوما ما يرون تغيرا
اليك أبا العاصى نضيت مطيتى * تسير بهم سار يا ومهجرا
تدارك نساء العالمين بنصرة * فانك أحرى ان تغيث وتنصرا

فلما دخل عليه انشده القصيدة ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه فأنف ونادى فى الحين بالجهاد والاستعداد فخرج بعد ثلاث الى وادى الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التى أغارت من اى ارض العدو كانت فأعلم بذلك فغزا تلك الناحية واثخن فيها وفتح الحصون

وتصح بها الانساب وجعلها مراتب فمنها لوازم موجبة يحرجون من تركها ومنها نوافل يتنفلون بها وأوجب عليهم صلوات لخالقهم تقرر بالمعبود منهم منها ايماء لاركوع فيها ولا سجود فى اوقات من الليل والنهار معلومة ومنها بركوع وسجود فى أوقات من السنين فى شهور محدودة ووسم لهم أعيادا وجعل على الزناة منهم حدا وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مفروضة وأن لا يستبحن النكاح فى وقت من الاوقات وان أقلعن عما كن عليه تكف الجزية عنهن وما يكون من أولادهن ذكورا يكون للملك عبيدا وجندا وما يكون من أولادهن اناثا فلأمهاتهن و يلحقن بصنعتهن وأمرهم بقرابين للهياكل ودخن والبخرة للكواكب وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب اليه فيه بدخن معلوم من أنواع الطيب والعقاقير وأحكم لهم جميع الامور واستقامت أيامه وكثر النسل فكانت حياته نحوا من مائة وخمسين سنة وهلك فجزعوا عليه جزعا شديدا فجعلوه فى تمثال من الذهب الاحمر ورصعوه بأنواع الجواهر وبنوا له هيكلا عظيما وجعلوا سقفه سبعة الوان

الحصون وخرب الديار وقتل عددا كثيرا وجاء الى وادي الحجارة فأمر باحضار المراة وجميع من أسر له احد فى تلك البلاد فاحضر فامر بضرب رقاب الاسرى بحضرتها وقال للعباس اهاهل أغاثها الحكم فقالت المراة وكانت نبيلة والله لقد شفى الصدور وانكى العدو واغاث الملهوف فاغاثه الله واعز نصره فارتاح لقولها وبدا السرور فى وجهه وقال

الم تر يا عباس انى اجبتها * على البعد أقتاد الخميس المظفرا
فادركت اوطارا وبردت غلة * ونفست مكروبا واغنيت معسرا

فقال عباس نعم جزاك الله خيرا عن المسلمين وقبل يده * (ومما عيب به) انه قتل الفقيه ابا زكريا يحيى بن مطر الغسانى وكان قدوة فى الدين والورع سمع من سفيان ومالك بن انس وروى عنه مالك وقال حدثنا يحيى بن مطر عن سفيان الثورى ان الطلح المنضود هو الموز وكان قتل المذكور مع جماعة من العلماء وغيرهم * (وقام بامره من بعده ابنه عبد الرحمن بعهده منه اليه ثم لاخيه المغيرة بعده) فغزا عبد الرحمن لاول ولايته الى جليقية وأبعد وأطال المغيب وأثخن فى أمم النصرانية هنالك ورجع وقدم عليه سنة ست ومائتين زرياب المغنى من العراق وهو مولى المهدى ومتعلم ابراهيم الموصلى واسمه على بن نافع فركب بنفسه لتلقيه على ماحكاه ابن خلدون وبالغ فى اكرامه وأقام عنده بخير حال وأورث صناعة الغناء بالاندلس وخلف أولادا خلفه كبيرهم عبد الرحمن فى صناعته وحظوته * وفى سنة ثمان أغزى حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد الى البة والقلاع فخرب كثيرا من البلاد وانتسفها وفتح كثيرا من حصونهم وصالح بعضها على الجزية واطلاق أسرى المسلمين وانصرف ظافرا * وفى سنة أربع وعشرين بعث قريبه عبيد الله بن البلنسى فى العساكر لغزو ألبة والقلاع فساروا ولقى العدو فهزمهم وأكثر القتل والسبى ثم خرج لذريق ملك الجلالقة وأغار على مدينة سالم بالثغر فسار اليه فرتون بن موسى وقاتله فهزمه وأكثر القتل والسبى فى العدو والاسر ثم سار الى الحصن الذى بناه أهل ألبة بالثغر نكاية للمسلمين فافتتحه وهدمه ثم سار عبد الرحمن فى الجيوش الى بلاد جليقية فدوخها وافتتح عدة حصون منها وجال فى أرضهم ورجع بعد طول المقام بالسبى والغنائم * وفى سنة ست وعشرين بعث عبد الرحمن العساكر الى أرض الفرنجة وانتهوا الى أرض برطانية وكان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تطيلة ولقيهم العدو فصبر حتى هزم الله عدوهم وكان لموسى فى هذه الغزاة مقام محمود * وفى سنة تسع وعشرين بعث ابنه محمدا بالعساكر وتقدم الى بنبلونة فأوقع بالمشركين عندها وقتل غرسية صاحبها وهو من أكبر ملوك النصارى وفى أيامه ظهر المجوس ودخلوا اشبيلية فأرسل اليهم عبد الرحمن العساكر مع القواد من قرطبة فنزل المجوس من مراكبهم وقاتلهم المسلمون فهزموهم بعد مقام صعب ثم جاءت العساكر مددا من قرطبة فقاتلهم المجوس فهزمهم المسلمون وغنموا بعض مراكبهم وأحرقوها ورحل المجوس الى شذونة فاقاموا عليها يومين وغنموا بعض الشئ ووصلت مراكب عبد الرحمن الى اشبيلية فأقلع المجوس الى لبلة وأغاروا وسبوا ثم الى باجة ثم اشبونة ثم انقطع خبرهم حين أقلعوا من اشبونة وسكنت البلاد وذلك سنة ثلاثين وتقدم عبد الرحمن باصلاح

من الجوهر على انواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها واشكالها وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب واكثر أموالهم الفلوس الصفر والنحاس فاستقرت هذه المدينة بدار ملك الصين وهى مدينة انموا وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أشهر واكثر من ذلك على حسب ما قدمنا أيضا ولهم مدينة عظيمة بحرها يلى من ارضهم مغرب الشمس يقال لها مدو تلى بلاد التبت والحرب بين بلاد التبت واهل مدو سجال فلم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة واحوالهم مستقيمة والخصب والعدل لهم شامل والجور فى بلادهم معدوم يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم وحروبهم على عدوهم قائمة وثغورهم مشحونة والرزق على الجند دار والتجار يختلفون اليهم فى البر والبحر من كل بلد بأنواع الجهاز ودينهم دين من سلف وهى ملة تدعى السمنية عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجئ الاسلام يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات واللبيب منهم يقصد بصلاته الخالق ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة والجاهل

ماخربوه من البلاد وا كتنف حاميتها * (وفى سنة احدى وثلاثين بعث العساكر الى جليقية فدوّخوها وحاصروا مدينة ليون ورموها بالمجانيق وهرب أهلها عنها وتركوها فغنم المسلمون مافيها وأحرقوها وأرادوا هدم سورها فلم يقدروا عليه لان عرضه كان سبعة عشر ذراعا فثلموا فيه ثلمة ورجعوا ثم اغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم فى العساكر الى بلاد برشلونة فعاث فى نواحيها وأجاز الدروب التى تسمى البرت الى بلاد الفرنجة فدوّخها قتلا وأسرا وسبيا وحاصر مدينتها العظمى جرندة وعاث فى نواحيها وقفل وقد كان ملك القسطنطينية من وراثهم توفلس بعث الى الامير عبد الرحمن سنة خمس وعشرين بهدية يطلب مواصلته ويرغبه فى ملك سلفه بالمشرق من أجل ماضيق به المأمون والمعتصم حتى انه ذكرهما له فى كتابه له وعبر عنهما بابنى مراجل ومارده فكافأه الامير عبد الرحمن عن الهدية وبعث اليه يحيى الغزال من كبار أهل الدولة وكان مشهورا فى الشعر والحكمة فأحكم بينهما الوصلة وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند مناغيه من بنى العباس ويعرف الامير عبد الرحمن بالاوسط لان الاوّل عبد الرحمن الداخل والثالث عبد الرحمن الناصر ثم توفى عبد الرحمن الاوسط سنة ثمان وثلاثين ومائتين بربيع الآخر لاحدى وثلاثين سنة من امارته ومولده بطليطلة فى شعبان سنة ست وسبعين ومائة وكان عالما بعلوم الشريعة والفلسفة وكانت أيامه أيام هدء وسكون وكثرت الاموال عنده واتخذ القصور والمنتزهات وجلب اليها المياه من الجبال وجعل لفضله مصنعا اتخذه الناس شريعة وأقام الجسور وبنيت فى أيامه الجوامع بكور الاندلس وزاد فى جامع قرطبة روافين ومات قبل أن يستتمه فاتمه ابنه محمد بعده وبنى بالاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم المملكة واحتجب عن العامة * وعدد ولده مائة وخمسون من الذكور وخمسون من الاناث ونقش خاتمه عابد الرحمن بقضاء الله راض * وفى ذلك قيل

خاتم للملك أضحى * حكمه فى الناس ماضى
عابد الرحمن فيه * بقضاء الله راضى

وهو أوّل من أحدث هذا النقش وبقى وراثة لمن بعده من ولده (قال ابن سعيد) وفى أيامه انتهى مال الجباية الى ألف ألف دينار فى السنة وكان قبل لا يزيد على ستمائة ألف وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع مايخالف هذا فليراجع والله أعلم ومن توقيعاته من لم يعرف وجه طلبه فالحرمان أولى به ومن شعر عبد الرحمن المذكور قوله

ولقد تعارض أوجه لاوامر * فيقوده التوفيق نحو صوابها
والشيخ ان يحو النهى بتجارب * فشباب رأى القوم عند شبابها

وفى زيادته فى جامع قرطبة يقول ابن المثنى رحمه الله تعالى

بنيت لله خير بيت * يخرس عن وصفه الانام
حج اليه بكل أوب * كأنه المسجد الحرام
كأن محرابه اذا ما * حف به الركن والمقام

وقال آخر

منهم ومن لا علم له يشرك الاصنام بالالهية الخالق ويعتقدهما جميعا وان عبادتهم الاصنام تقربهم الى الله زلفى وان منزلتهم فى العبادة تنقص عن عبادة البارئ لجلالته وعظمته وسلطانه وأن عبادتهم لهذه الاصنام طاعة له ووسيلة اليه وهذا الدين كان بدء ظهوره فى خواصهم من الهند لمجاورتهم اياهم وهو رأى الهند فى العالم والجاهل على حسب ماذكرنا فى أهل الصين ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر فتغيرت أحوالهم وبحثوا وتناظروا الا انهم ينقادون فى جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من الشرائع المتقدمة ومن حيث ان ملكهم متصل بملك الطغرغر على حسب ما تقدم صاروا على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية والقول بالنور والظلمة وقد كانوا جاهلية سبيلهم فى الاعتقاد سبيل أنواع الترك الى أن وقع لهم شيطان من شياطين المانية فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد ما فى هذا العالم وتباينه من موت وحياة وصحة وسقم وضياء وظلام وغنى وفقر واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لاجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم مما ليس بناطق من البهائم وما يعرض للاطفال

بنى

بنى مسجد الله لم يك مثله * ولا مثله لله فى الارض مسجد
سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذى * بناه نبى المسلمين محمد
له عمد حمر وخضر كأنما * تلوح يواقيت بها وزبرجد
ألا يا أمين الله لا زلت سالما * ولا زلت فى كل الامور تسدد
فيا ليتنا نفديك من كل حادث * وأملك للدنيا وللدين تخلد

وكان كثير الميل للنساء وولع بجارية طروب وكلف بها كلفا شديدا وهى التى بنى عليها الباب ببدر المال حين تجنت عليه وأعطاها حليا قيمته مائة ألف دينار فقيل له ان مثل هذا لا ينبغى أن يخرج من خزانة الملك فقال ان لابسه أنفس منه خطرا وأرفع قدرا وأكرم جوهرا وأشرف عنصرا وفيها يقول

اذا ما بدت لى شمس النهار * طالعة ذكرتنى طروبا
انا ابن الميامين من غالب * أشب حروبا وأطفى حروبا

وخرج غازيا الى جليقية فطالت غيبته فكتب اليها

عدانى عنك مزار العدا * وقودى اليهم سهاما مصيبا
فكم قد تخطيت من سبسب * ولاقيت بعد دروب دروبا
ألاقى بوجهى سموم الهجير اذ كاد منه الحصى أن يذوبا
تدارك بى الله دين الهدى * فأحييته وأمت الصليبا
وسرت الى الشرك فى جحفل * ملأت الحزون به والسهوبا

(وساق) بعض المؤرخين قضية طروب هذه بقوله ان السلطان المذكور أغضبها فهجرته وصدت عنه وأبت أن تأتيه ولزمت مقصورتها فاشتد قلقه لهجرها وضاق ذرعه من شوقها وجهد أن يترضاها بكل وجه فأعياه ذلك فأرسل من خاصة خصيانه من يكرهها على الوصول اليه فأغلقت باب مجلسها فى وجوههم وآلت أن لا تخرج اليهم طائعة ولو انتهى الامر الى القتل فانصرفوا اليه وأعلموه بقولها واستأذنوه فى كسر الباب عليها فنهاهم وأمرهم بسد الباب عليها من خارجه ببدر الدراهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر وأقبل حتى وقف بالباب وكلمها مسترضيا راغبا فى المراجعة على ان لها جميع ما سد به الباب فأجابت وفتحت الباب فانهالت البدر فى بيتها فاكبت على رجله تقبلها وحازت المال وكانت تبرم الامور مع مضر الخصى فلا يرد شيأ أمما تبرمه * واحب اخرى اسمها مدثرة فاعتقها وتزوجها وأخرى كذلك اسمها الشفاء وأما جاريته قلم فكانت أديبة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الادب وكان مولعا بالسماع مؤثرا له على جميع لذاته وله اخبار كثيرة رحمه الله (ولما مات ولى مكانه ابنه محمد) فبعث لاول ولايته عساكر مع موسى بن موسى صاحب طليطلة فعاث فى نواحى ألبة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع وبعث عساكر أخرى الى نواحى برشلونة وما وراءها فعاثوا فيها وفتحوا حصونا من برشلونة ورجعوا * ولما استمد أهل طليطلة المخالفون من أهل بلاد الامير محمد عليه بملكى جليقية والبشكنس لقيهم الامير محمد على وادى سليطة وقد أكمن لهم فأوقع بهم وبلغت عدة القتلى من أهل طليطلة والمشركين

والبله والمجانين وان البارى جل وعز عن ايلامهم ... الفاضل فى فعله وهو الله عز وجل فاجتذب بما وصفنا وغيره من الشبه عقولهم فدانوا بما وصفنا فان كان ملك الصين ينتمى لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك ايرخان سجالا واذا كان ملك الصين متنافى المذهب كان الامر بينهم بتنافى المال مشاعا وملوك الصين ذوو آراء ونحل الا انهم مع اختلاف اديانهم غير خارجين عن قضية العقل والحق فى نصب القضاة والحكام وانقياد الخواص والعوام الى ذلك وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وافخاذها وتشعبها فى انسابها ولهم مراعاة لذلك وحفظ له وينسب الرجل الى خمسين أبا الى ان يتصل بعابور وأكثر من ذلك وأقل ولا يتزوج أهل كل فخذ الا من فخذهم مثال ذلك ان يكون الرجل من مضر فلا يتزوج فى ربيعة اومن ربيعة فلا يتزوج فى مضر أو من كهلان فلا يتزوج فى حمير اومن حمير فلا يتزوج فى كهلان ويزعمون ان فى ذلك صحة النسل وقوام البنية وانه اصح للبقاء واتم للعمر واسبابا يذكرونها نحو ما ذكرنا فلم تزل امور الصين مستقيمة فى العدل على حسب ما جرى به الامر فيما سلف من ملوكهم الى سنة اربع

وستين ومائتين فانه حدث في الملك امر زال ١٦٤ به النظام وانتقضت به الاحكام والشرائع ومنع من الجهاد الى وقتنا هذا وهو

عشرين ألفا * (وفي سنة خمس وأربعين) ظهرت مراكب المجوس وعاثوا في الاندلس فلقيهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم وغنموا منهم مركبين واستشهد جماعة من المسلمين * (وفي سنة سبع وأربعين) أغزى محمد الى نواحي بنبلونة وصاحبها حينئذ غرسية بن ونقة وكان يظاهر اردن بن أدفنش فعاث في نواحي بنبلونة ورجع وقد دوخها وفتح كثيرا من حصونها وأسر فرتون ابن صاحبها فبقي أسيرا بقرطبة عشرين سنة ثم بعث سنة احدى وخمسين أخاه المنذر في العساكر الى نواحي ألبة والقلاع فعاثوا فيها وجمع لذريق للقائهم فلقيهم وانهزم واثخن المسلمون في المشركين بالقتل والاسر فكان فتحا لا كفاء له * ثم غزا الامير محمد بنفسه سنة احدى وخمسين بلاد الجلالقة فأثخن وخرب * وفي سنة ثلاث وستين اغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب وفي السنة التي بعدها الى بلاد بنبلونة فدوخها ورجع * وفي سنة ثمان وستين أغزاه أيضا الى دار الحرب فعاث في نواحيها وفتح حصونا * وفي أيام الامير محمد خربت ماردة وهدمت ولم يبق لها أثر * وذكر بعضهم انه رأى بالمشرق هذه الابيات قبل أن تخرب ماردة بأعوام ولم يعلم قائلها وذلك سنة ٢٥٤

ويل لماردة التي مردت * وتكبرت عن عدوة النهر
كانت ترى لهم بها زهر * خلت من الزهرات كالقفر
فالويل ثم الويح حين غزا * بجميعهم من صاحب الامر

ثم توفي الامير محمد في شهر صفر سنة ثلاث وسبعين ومائتين لخمس وثلاثين سنة من امارته ومولده سنة سبع ومائتين * وولي بعده ابنه المنذر ولم تطل مدته وأقام في الملك سنتين الا نصف شهر وتوفي منتصف صفر سنة خمس وسبعين ومائتين وفيه قيل

بالمنذر بن محمد * صلحت بلاد الاندلس

ثم ولي أخوه عبد الله قال ابن خلدون كان خراج الاندلس قبله ثلثمائة ألف دينار مائة ألف للجيوش ومائة ألف للنفقة في النوائب وما يعرض ومائة ألف ذخيرة ووفر فأنفق الوفر حين اضطربت عليه نواحي الاندلس بالثوار والمتغلبين في تلك السنين وقل الخراج انتهى ومن نظم الامير عبد الله قوله

يا مهجة المشتاق ما أوجعك * ويا أسير الحب ما أخشعك
ويا رسول العين من لحظها * بالرد والتبليغ ما أسرعك
تذهب بالسر فتأتي به * في مجلس يخفى على من معك
كم حاجة أنجزت ابرازها * تبارك الرحمن ما أطوعك

وهذه الابيات عنوان فضله وبراعة استهلال نبله * وكان الوزراء يطالعون بآرائهم الخليفة في بطاقة فطالعه وزيره النضر بن سلمة برأيه في امر في ورقة فلما وقف عليها لم يعجبه ذلك الرأي فكتب

انت يا نضر آبده * ليس ترجى لفائده
انما انت عدة * لكنيف ومائده

وتوفي الامير عبد الله سنة ثلثمائة ومدة ملكه نحو من خمس وعشرين سنة * (وولي حافده

سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وهو ان باغيا نبغ فيهم من غير بيت الملك كان في بعض مدائن الصين يقال له (ياسر) وكان شريرا يطلب الفتوة ويجتمع اليه اهل الدعارة والشر فلحق الملك وارباب التدبير غفلة عنه لخمول ذكره وكثر عتوه وقويت شوكته وقطع اهل الشر المسافات نحوه وعظم جيشه فسار من موضعه وشن الغارات على العمائر حتى نزل مدينة عاصور وهي مدينة عظيمة على نهر عظيم اكبر من دجلة يصب الى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة ايام او سبعة يدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزانج والصنف وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز وتقرب الى مدينة خانقو وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين فقصد هذا العدو الى هذه المدينة فحاصرها وأتته جيوش الملك فهزمها واستباح ما فيها فكثرت جنوده وافتتح مدينة خانقو عنوة وقتل من اهلها خلقا لا يحصون كثرة وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس من قتل وغرق

عبد

عبد الرحمن الناصر ابن ابنه محمد قتيل أخيه المطرف) وكانت ولايته من الغريب لانه كان شابا واعمامه واعمام أبيه حاضرون فتصدى اليها واحتازها دونهم ووجد الاندلس مضطربة بالمخالفين مضطرمة بنيران المتغلبين فأطفأ تلك النيران واستنزل اهل العصيان واستقامت له الاندلس في سائر جهاتها بعد نيف وعشرين سنة من ايامه ودامت ايامه نحو خمسين سنة استفحل فيها ملك بني أمية بتلك الناحية وهو اول من تسمى منهم بالاندلس بأمير المؤمنين عندما التاث امر الخلافة بالمشرق واستبد موالي الترك على بني العباس وبلغه ان المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع عشرة وثلثمائة فتلقب بألقاب الخلافة وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب الى ان هزم عام الخندق سنة ثلاث وعشرين ومحص الله فيها المسلمين فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردد الطوائف في كل سنة فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الافرنج مالم يطؤه قبل في أيام سلفه ومدت اليه أمم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعن في مرضاته ووصل الى سدته الملوك من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قشتالة وبنبلونة وما ينسب اليها من الثغور الجوفية فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه ثم سما الى ملك العدوة فتناول سبتة ونقل الفرضة من أيدي اهلها سنة سبع عشرة وثلثمائة وأطاعه بنو ادريس امراء العدوة وملوك زناتة والبربر وأجاز اليه الكثير منهم كما يعلم من اخبارهم وبدأ امره اول ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا انتهى كلام ابن خلدون وفيه يقول ابن عبد ربه صاحب العقد يوم تولى الملك

بدا الهلال جديدا * والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدي * ان كان فيك مزيد
ان كان للصوم فطر * فانت للدهر عيد

واراد بأول الابيات انه ولي مستهل ربيع الاول كما علم * وما أشار اليه ابن خلدون في غزوة الخندق فصله المسعودي فقال بعد ان اجرى ذكر مخالفة أمية بن اسحق على الناصر ودخوله أرض النصارى ودلالته اياهم على عورات المسلمين ما لخصه وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس مسمورة دار الجلالقة وكان عبد الرحمن في مائة الف او يزيدون وكانت الوقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة في شوال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذي كان في هذا الشهر بثلاثة ايام فكانت للمسلمين عليهم ثم ثابوا بعد ان حوصروا والجؤا الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق خمسين الفا وقيل ان الذي منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين امية بن اسحق وخوفه الكمين ورغبه فيما كان في عسكر المسلمين من الاموال والعدة والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان امية استأمن بعد ذلك الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير وقبله عبد الرحمن أحسن قبول * وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عدة من قواده الى الجلالقة فكانت لهم بهم عدة حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى

خوف السيف فكان مائتي ألف وانما أحصى ماذكرناه من هذا العدد لان ملوك الصين تحصى من في مملكتها من رعيتها او كذا من جاورها من الامم ليصير ذمة لها في دواوين لها بكتاب قد وكلوا باحصاء ذلك لما يراعون من حياطة من شمله ملكهم وقطع هذا العدو ما كان حول مدينة خانقو من غابات شجر التوت اذ كان يحتفظ به لما يكون من ورقه وما يطعم منه لدود القز الذي يغزل به الحرير فكان ذهاب الشجر داعيا الى انقطاع الحرير الصيني وجهازه الى ديار الاسلام وسار (ياسر) بجيوشه الى بلد بلد فافتتحه وانضاف اليه أمم من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه وقصد نحو مدينة حران وهي دار الملك فتحصن بها في مائتي ألف ممن بقي معه من خواصه والتقى هو وياسر وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من شهر وصبر الفريقان جميعا ثم كانت على الملك فولى منهزما وامعن الخارجي في طلبه فانحاز الملك الى مدينة في اطراف ارضه واستولى الخارجي على الحوزة واحتوى على ديار الملك وملك خزائن الملوك السالفة وما أعدوه للنوائب وشن الغارات في سائر العمارات وافتتح المدن وعلم ان لا قوام له بالملك اذ كان ليس من اهله فامعن في خراب البلاد واستباحة الاموال وسفك الدماء وكاتب

هذه الغاية وورد ميرملك الجلالقة الى هذا الوقت) ٣ وهو سنة ٣٢٦ انتهى * وقال في موضع آخر ما ملخصه ان عبد الرحمن غزا في أزيد من مائة ألف من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهي مدينة سمورة وعليها سبعة أسوار من أعجب البنيان قد أحكمته الملوك السالفة وبين الاسوار فصلات وخنادق ومياه واسعة وافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثابوا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدركه ٣ وممن غرق أربعون ألفا وقيل خمسون ألفا وكانت للجلالقة والبشكنس على المسلمين انتهى كلام المسعودي

* (رجع الى أخبار الناصر) فنقول ان الناصر رحمه الله كان له نظم ومما نسب اليه بعضهم قوله

لا يضر الصغير حداثة سن * انما الشأن في سعود الصغير
كم مقيم فازت يداه بغنم * لم تنله بالركض كف مغير

هكذا ألفيت البيتين منسوبين اليه بخط بعض الاكابر ثم كتب باثره ما نصه الصحيح أنهما لغيره والله أعلم انتهى وكان الناصر رحمه الله قد استعبد موسى بن محمد بن حدير واستوزر عبد الملك بن جهور وأحمد بن عبد الملك بن شهيد وأهدى له ابن شهيد هديته المشهورة المتعددة الاصناف وقد ذكرها ابن حيان وابن خلدون وغيرهما من المؤرخين قال ابن خلدون وهي مما يدل على ضخامة الدولة الاموية واتساع أحوالها وكان ذلك سنة سبع وعشرين وثلثمائة لثمان خلون من شهر جمادى الاولى وهي هدية عظيمة الشان اشتهر ذكرها الى الآن واتفق على انه لم يهدها احد من ملوك الاندلس بمثلها وقد أعجبت الناصر وأهل مملكته جميعا وأقروا ان نفسا لم تسمح باخراج مثلها راضية عن يدها وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف للناصر بالنعمة والشكر عليها فاستحسنها الناس وكتبوها وزاد الناصر وزيره هذا حظوة واختصاصا واسمى منزلته على سائر الوزراء جميعا وأضعف له رزق الوزارة وبلغه ثمانين ألف دينار اندلسية وبلغ معروفه الى ألف دينار وثنى له العظمة لتثنيته له الرزق فسماه ذا الوزارتين لذلك وكان اول من تسمى بذلك بالاندلس امتثالا لاسم صاعد بن مخلد وزير بني العباس ببغداد وامر بتصدير فراشه في البيت وتقديم اسمه في دفتر الارتزاق اول التسمية فعظم مقداره في الدولة جدا وتفسير هديته المذكورة على ما ثبت في كتاب ابن خلدون على ما يفسر خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين واربعمائة رطل من التبر ومصارفة خمسة واربعون ألف دينار من سبائك الفضة في مائتي بدرة واقتصر ابن الفرضي على خمسمائة ألف دينار فقط واثنا عشر رطلا من العود الهندي الذي يختم عليه كالشمع ومائة وثمانون رطلا من العود المتخير ومائة رطل من العود الشبه المنتقى هكذا ذكره ابن خلدون وقال ابن الفرضي مستندا الى الكتاب الذي وجهه ابن شهيد مع الهدية ان العود العالي من ذلك أربعمائة رطل منها قطعة واحدة مائة وثمانون رطلا * وقال ابن خلدون ومائة أوقية من المسك الذكي المفضل في جنسه انتهى * وقال ابن الفرضي نقلا عن الكتاب المصحوب مع الهدية ان المسك مائتا أوقية واثنتا عشرة أوقية ومن العنبر الاشهب الباقي على خلقته بغير صناعة خمسمائة أوقية منها قطعة عجيبة مململة الشكل وزن

ملك الصين من المدينة التي انحاز اليها المتاخمة لبلاد التبت وهي مدينة مذا المتقدم ذكرها ملك الترك ابن خاقان فاستنجده واعلمه ما نزل به واعلمه ما يلزم الملوك من الواجبات اذا استنجدها اخوانها من الملوك وان ذلك من فرائض الملك وواجباته فانجده ابن

٣ بياض بالاصل

خاقان بولد له بنحو من أربعمائة ألف فارس وراجل وقد استفحل أمر ياسر فالتقى الفريقان جميعا فكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة وتفانى من الفريقين خلق كثير ففقد ياسر فقيل انه قتل وقيل انه أحرق وأسر ولده والخواص من اصحابه وسار ملك الصين الى دار المملكة وعاد الى ملكه والعامة تسميه (يعبور) وتفسير ذلك ابن ماء السماء تعظيما له وهو الاسم الأخص لملوك الصين والذي يخاطبون به جميعا (بجان) ولا يخاطبون بيعبور وتغلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر بن فيلقوس المقدوني لدارا بن دارا ملك فارس وكنحو ما نحن بسبيله في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فرضي ملك الصين منهم بالطاعة له ومكاتبته بالملك

٣ قوله وهو سنة ٣٢٦ لعله سنة ٣٢٩ اذ تاريخ الوقعة الاولى كان سنة ٣٢٧ وليحرر اه مصححه

ولم يتوجه منه المسير الى سائر عماله ولا محاربة من تغلب على بلاده وقنع بما وصفنا وامتنع من ذكرنا من حمل الاموال
اليه فتاركهم مسالمهم وعدا
كل فريق منهم على ما يليه
على حسب قوته وتمكنه
فعدم انتظام الملك واستقامته
على حسب ماسلف من
ملوكهم وقد كان لمن سلف
من ملوكهم سير وسياسات
للملك وانقياد للعدل على
حسب ماتوجبه قضية
العقل (وحكى) ان رجلا من
التجار من أهل مدينة سمرقند
من بلاد خراسان خرج من
بلاده ومعه متاع كثير حتى
انتهى الى العراق فحمل
من جهازه وانحدر الى
البصرة وركب البحر حتى
أتى الى بلاد عمان وركب الى
بلاد كلة وهى النصف من
طريق الصين أو نحو ذلك
واليها تنتهى مراكب
الاسلام من السيرافيين
والعمانيين فى هذا الوقت
فيجتمعون مع من يرد من
أرض الصين فى مراكبهم
وقد كانوا فى بدء الزمان
بخلاف ذلك وذلك ان
مراكب الصين كانت تأتى
بلاد عمان وسيراف من
ساحل فارس وساحل البحرين
والابلة والبصرة فلذلك كانت
المراكب تختلف فى المواضع
التى ذكرنا الى ماهنالك ولما
عدم العدل وفسدت النيات
وكان من امر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعا فى هذا النصف ثم ركب هذا التاجر من مدينة كلة فى مراكب

مائة أوقية هكذا فى تاريخ ابن خلدون وفى ابن الفرضى ان الكل مائة أوقية وان هذه القطعة أربعون أوقية ومن الكافور المرتفع النقى الذكى ثلثمائة أوقية * قال ابن خلدون ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم المرقوم بالذهب كلباس الخلفاء المختلف الالوان والصنائع وعشرة افرية من عالى جلود الفنك الخراسانية * وخالفه ابن الفرضى اذ قال ومن انواع الثياب ثلاثون شقة وخنيج خاصية للباسه بيضاء وملونة وخمس ظهائر شعيبية خاصية له وعشر فراء من عالى الفنك منها سبعة بيض خراسانية وثلاث ملونة وستة مطارف عراقية خاصية له وثمان وأربعون ملحفة زرية لكسوته ومائة ملحفة زرية لرفادة ولم يذكر ابن خلدون ذلك وابن الفرضى أعرف لاسيما وقد استند الى كتاب المهدى وصاحب البيت أدرى * قال ابن خلدن وعشرة قناطير شد فيها مائة جلد سمور وقاله ابن الفرضى ايضا وزاد ابن خلدون وستة من السرادقات العراقية وثمانية وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ثم قالا معا واربعة آلاف رطل من الحرير المغزول وألف رطل من لون الحرير المنتقى للاستغزال وزاد ابن خلدون وثلاثون شقة من الفربون لسروج الهبات وزاد ابن الفرضى فى الحرير المذكور قيل انه قبضه منه صاحب الطراز ولم يأت به مع الهدية واعاد دفعه لصاحب الطراز وأثبته فى الدفتر فالا وثلاثون بساطا من الصوف مختلفة الصناعات طول كل بساط منها عشرون ذراعا وقال ابن خلدون منتقاة مختلفة الالوان فالا ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة زاد ابن الفرضى الصناعات من جنس البسط فالا وخمسة عشر نوعا من عمل الخز المقطوع شطرها قال ابن الفرضى وسائرها من جنس البسط قال ابن خلدون ومن السلاح والعدة ثمانمائة من التجافيف المزينة أيام البروز والمواكب وقال ابن الفرضى مائة تجفاف بأبدع الصناعات وأغربها وأكملها فالا وألف ترس سلطانية ومائة ألف سهم زاد ابن خلدون من النبال البارعة الصنعة قال ابن خلدون ومن الظهر خمسة عشر فرسا من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت وقال ابن الفرضى ومن الخيل مائة فرس منها من الخيل العراب المتخيرة لركابه خمسة عشر فرسا وخمس من عرض هذه الخيل مسرجة ملجمة لمراكب الخلافة مجالس سروجها خز عراقى وثمانون فرسا مما يصلح للوصفاء والحشم وقال ابن خلدون مائة فرس من الخيل التى تصلح للركوب فى التصرف والغزوات وقال ابن الفرضى وخمسة أبغل عالية الركاب وقال ابن خلدون وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية مجالس سروجها خز جعفرى عراقى قال ومن الرقيق اربعون وصيفا وعشرون جارية من متخير الرقيق بكسوتهم وجميع آلاتهم وقال ابن خلدون فى الجوارى متخيرات بكسوتهن وزينتهن وقال ابن خلدون ومن سائر الاصناف بة تغل آلافا من امداد الزرع ومن الصخر للبنيان ما انفق عليه فى عام واحد ثمانون ألف دينار وعشرون ألف عود من الخشب من أجل الخشب واصيله واقومه قيمتها خمسون الف دينار انتهى وقال ابن الفرضى نقلا عن كتاب ابن شهيد المصحوب مع الهدية عند ما ذكر الرقيق ما صورته وكان قد اربى ايده الله باتباعهم من مال الاخماس فابتعتهم من نعمته عندى

الضينين الى مدينة خانقو وهى مر سى ٦٨ ؛ المراكب على حسب ماذكرنا آنفا وبلغ ملكها الصين خبر المراكب وما فيها من الجهاز
والامتعة فسرح خشيا من
خواص خدمه ممن يثق به
فى أسبابه وذلك ان أهل
الصين يستعملون الخصيان
من الخدم فى الخراج وغيره
من العمالات والمهمات
وفيهم من يخصى ولده طالبا
للرياسة واعتقاد النعمة
فسار الخصى حتى أتى مدينة
خانقو فاحضر التجار ومعهم
التاجر الخراسانى فعرضوا
عليه ما احتاج اليه من
المتاع وما يصلح له فسأل
الخراسانى ان يحضره اياه
فاحضره وجرت بينهم محادثة
ودار الامر بينهم فى التثمين
للمتاع فام الخصى بحبس
الخراسانى واكراهه وذلك
انه راده ثقة منه بعدل
الملك فمضى الخراسانى من
فوره حتى أتى الى مدينة
انموا وهى دار الملك فوقف
موقف المتظلم اذا أتى من
البلد الشاسع قد تقمص
نوعا من الحرير الاحمر
ووقف موضعا قد رسم
للظلامة وقد رتب بعض
الملوك ملوك النواحى للقبض
على من يرد من المتظلمين
ويقف ذلك الموقف فيحمل
مسيرة شهر من أرضهم على
البريد ففعل ذلك بالتاجر
الخراسانى ووقف بين
يدى صاحب تلك الناحية
المرتب لما ذكرناه فاقبل عليه وقال أيها الرجل لقد تعرضت لأمر عظيم وخاطرت بنفسك انظر ان كنت

وصيرتهم من بعثى ومع ذلك عشر قناطير سكر طبرزذ لا سماق فيه وفى آخر الكتاب ولما
علمت تطلع مولاى ايده الله تعالى الى قرية كذا بالقينانية المنقطعة الغريبة شرفها وترداده
ايده الله تعالى لذكرها لم اهنأ بعيش حتى اعملت الحيلة فى ابتياعها باحوازها واكتتبت
وكيله ابن بقية الوثيقة فيها باسمه وضمها الى ضياعه وكذلك صنعت فى قرية شيرة من نظر
جيان عندما اتصل بى من وصفه لها وتطلعه اليها فما زلت اتصدى لمسرته بها حتى ابتعتها
الآن باحوازها وجميع منازلها وربوعها واحتاز ذلك كله الوكيل ابن بقية وصار فى يده
له ابقاه الله سبحانه وارجو انه سيرفع فيها فى هذه السنة آلاف امداد من الاطعمة ان شاء الله
تعالى ولما علمت نافذ عزمه ابقاه الله تعالى فى البنيان وكلفه به وفكرت فى عدد الاماكن التى
تطلع نفسه الكريمة الى تخليد آثاره فى بنيانها مد الله تعالى فى عمره واوفى بها على اقصى امله
علمت ان اسه وقوامه الصخر والاستكثار منه فاثارت لى همتى ونصيحتى حكمة حيلة احكمها
سعدك وجدك اللذان يعينان ما لا يتوهم عليه حيلة اقيم لك فيها بعام واحد عدد ما كان
يقوم على يدى عبدك ابن عاصم فى عشرين عاما وينتهى تحصيل النفقة فيه الى نحو الثمانين
الفا أعجل شانه فى عام سوى التوفير العظيم الذى سديه العيان قبلا ان شاء الله تعالى
وكذلك ما ثاب الى فى أمر الخشب لهذه المنية المكرمة فان ابن خليل عبدك المجتهد الدؤب
انتهى فى تحصيل عدد ما تحتاج اليه ثلثمائة ألف عود ونيف على عشرين ألف عود على انه
لا يدخل منه فى السنة الا نحو الالفى عود فتح لى سعدك رأيا اقيم له بتمامه جميع هذا الخشب
العام على كماله بورود الحلية لوقتها وقيمته على الرخص ما بين الخمسين ألفا والستين ألفا
انتهى * ومن غريب ما يحكى عن أمير المؤمنين الناصر المذكور انه أراد الفصد فقعد بالبهو
فى المجلس الكبير المشرف باعلى مدينته بالزهراء واستدعى الطبيب لذلك وأخذ الطبيب
الآلة وجس يد الناصر فبينما هو اذ أطل زرزور فصعد على اناء ذهب بالمجلس وأنشد

أيها الفاصد رفقا * بأمير المؤمنينا
انما تفصد عرقا * فيه محيا العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف أمير المؤمنين الناصر ذلك غاية الاستظراف
وسر به غاية السرور وسأل عمن اهتدى الى ذلك وعلم الزرزور فذكر له أن السيدة الكبرى
مرجانة ام ولده ولى عهده الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك واعدته لذلك الامر فوهب لها
ما ينيف على ثلاثين ألف دينار * وذكر ابن بسام أن أبا عامر بن شهيد أحمد بن عبد الملك
الوزير أهدى له غلام من النصارى لم تقع العيون على شبهه فلمحه الناصر فقال لابن شهيد أنى
لك هذا فقال هو من عند الله فقال له الناصر تتحفونا بالنجوم وتستأثرون بالقمر فاستعذر
واحتفل فى هدية بعثها مع الغلام وقال يا بنى كن مع جملة ما بعثت به ولولا الضرورة ما سمحت
بك نفسى وكتب معه بهذه الابيات

أمولاى هذا البدر سار لأفقكم * وللافق أولى بالبدور من الارض
أرضيكم بالنفس وهى نفيسة * ولم أر قبلى من بمهجته يرضى

فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكنت عنده منزلته ثم انه بعد ذلك اهديت اليه

اليه جارية من اجمل نساء الدنيا يخاف ان ينتهي ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة
العلام فاحتفل في هدية اعظم من الاولى و بعثها معها و كتب له

أمولاي هذي الشمس والبدر اولا * تقدم كيما يلتقي القمران
قران لعمري بالسعادة قد أتى * فدم منهما في كوثر وجنان
فما لهما والله في الحسن ثالث * ومالك في ملك البرية ثاني

فتضاعفت مكانته عنده ثم ان احد الوشاة رفع للملك انه بقي في نفسه من الغلام حرارة وانه
لا يزال يذكره حين تحركه الشمول و يقرع السن على تعذر الوصول فقال للواشي
لا تحرك به لسانك والا طار راسك واعمل الناصر حيلة في أن كتب على لسان العلام
رقعة منها يا مولاي تعلم انك كنت لي على انفرادي ولم ازل معك في نعيم واني وان كنت عند
الخليفة مشاركا في المنزلة محاذر ما يبدو من سطوة الملك فتحيل في استدعائي منه وبعثها مع غلام
صغير السن وأوصاه ان يقول من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف
أبو عامر على تلك الرسالة واستخبر الخادم علم من سؤاله ما كان في نفسه من العلام وما تكلم
به في مجالس المدام فكتب على ظهر الرقعة ولم يردها

أمن بعد احكام التجارب ينبغي * لدى سقوط الطير في غابة الاسد
وما أنا ممن يغلب الحب قلبه * ولا جاهل ما يدعيه اولو الحسد
فان كنت روحي قد وهبتك طائعا * وكيف يرد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع واش به ودخل عليه بعد
ذلك فقال له كيف خلصت من الشرك فقال لان عقلي بالهوى غير مشترك فأنعم عليه وزادت
محبته عنده وممن ذكر هذه الحكاية صاحب مطالع البدور في منازل السرور * واخبار
الناصر طويلة جدا وقد مع الظفر على الثوار واستنزلهم من معاقلهم حتى صفا له الوقت
وكانت له في جهاد العدو اليد البيضاء فمن غزواته انه غزا سنة ثمان وثلثمائة الى جليقية
وملكها اردون بن ادفونش فاستنجد بالبشكنس والافرنجة وظاهر شانجة بن غرسية صاحب
بنبلونة أمير البشكنس فهزمهم ووطئ بلادهم ودوخ أرضهم وفتح معاقلهم وخرب حصونهم
ثم غزا بنبلونة سنة ثنتي عشرة ودخل دار الحرب ودوخ البسائط وفتح المعاقل وخرب الحصون
وأفسد العمائر وجال فيها وتوغل في فاجيتها والعدو يحاذيه في الجبال والاوعار ولم يظفر منه
بشيء ثم بعد مدة ظفر ببعض الثوار عليه وكان استمد بالنصارى فقتل الناصر من كان
مع الثائر من النصارى أهل ألبة وفتح ثلاثين من حصونهم وبلغه انتقاض طوطة ملكة
البشكنس فغزاها في بنبلونة ودوخ أرضها واستباحها ورجع الى قرطبة ثم غزا غزوة
الخندق سنة سبع وعشرين الى جليقية فانهزم وأصيب فيها المسلمون وقعد بعدها عن الغزو
بنفسه وصار يردد البعوث والطوائف الى الجهاد وبعث جيوشه الى المغرب فملك سبتة وفاسا
وغيرهما من بلاد المغرب وطار صيته وانتشر ذكره كما سبق ولما هلك شانجة بن غرسية ملك
البشكنس قام بامرهم بعده امه طوطة وكفلت ولده ثم انتقضت على الناصر سنة خمس
وعشرين فغزا الناصر بلادها وخرب نواحي بنبلونة ورددها عليها كامر الغزوات وكان قبل ذلك

حضانه لمن تظلم فان رآه قد
جزع وضرع في القول ضربه
مائة خشبة ورده من حيث
جاء وان هو صبر على ما هو
عليه حمل الى حضرة الملك
واوقف بين يديه وسمع
كلامه فصمم الخراساني في
المطالبة والملامة ورآه غير
ضرع ولا لجلج فحمل
الى الملك فوقف بين يديه
ووصل حديثه على الملك فلما ان
ادى الترجمان اليه ما قاله
وفهم ظلامته أمر به الى
بعض المواضع واحسن
اليه وأحضر الوزير وصاحب
الميمنة وصاحب القلب
وصاحب الميسرة وهم أناس
قد ترتبوا لذلك عند الملك
وحين الحروب قد عرف كل
واحد منهم مرتبته والمراد
منه فأمرهم الملك أن يكتب
كل واحد منهم الى صاحبه
بالناحية ولكل واحد منهم
خليفة في كل ناحية فكتبوا
الى اصحابهم بخانقو أن
يكتبوا اليهم بما كان من
خبر التاجر والخادم وكتب
الملك الى خليفته بالناحية
بمثل ذلك وقد كان خبر
الخادم والتاجر اشتهر
واستفاض فوردت الكتب
على بغال البريد بتصحيح
ما قاله التاجر وذلك ان ملوك
الصين لها في سائر الطرق
من أعمالها بغال للبريد
مسرجة محذوة الالات للاخبار والخبر اثط فبعث الملك فاستحضر الخادم فلما وقف بين يديه

سنة ثنتين وعشرين غزا الى خشتمة ثم رحل الى بنبلونة فجاءته طوطة بطاعتها وعقد لابنها
غرسية على بنبلونة ثم عدل الى ألبة وبسائطها فدوخها وخرب حصونها ثم اقتحم جليقية
وملكها يومئذ ردمير بن أردون فخام عن لقائه ودخل خشتمة فنازله الناصر فيها وهدم
برغش وكثيرا من معاقلهم وهزمهم مرارا ورجع ثم كانت بعدها غزوة الخندق
السابقة وهابته أمم النصرانية ثم وفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب قسطنطينية
وهديته وهو يومئذ قسطنطين واحتفل الناصر لقدومهم في يوم مشهود قال ابن خلدون
ركبت في ذلك اليوم العساكر بالسلاح في أكمل شكة وزين القصر الخلافي بأنواع الزينة
وأصناف الستور وجمل السرير الخلافي بمقاعد الابناء والاخوة والاعمام والقرابة
ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم ودخل الرسل فهالهم ما رأوه وقربوا حتى أدوا رسالتهم
وأمر يومئذ الاعلام ان يخطبوا في ذلك المحفل ويعظموا من أمر الاسلام والخلافة ويشكروا
نعمة الله على ظهور دينه واعزازه وذلة عدوه فاستعدوا لذلك ثم بهرهم هول المجلس فوجموا
وشرعوا في القول فارتج عليهم وكان فيهم أبو علي القالي وافد العراق كان في جملة
الحكم ولي العهد وندبه لذلك استئثارا فعجز فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطي من
غير استعداد ولا روية ولا تقدم له أحد بشيء من ذلك فخطب واستضر وجلي في ذلك القصد
وأنشد شعرا طويلا ارتجله في ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شأنه
أكثر من كل ما وقع وأعجب به الناصر وولاه القضاء بعدها وأصبح من رجالات العالم وأخباره
مشهورة وخطبته في ذلك اليوم منقولة في كتب ابن حيان وغيره ثم انصرف هؤلاء
الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن هذيل بهدية حافلة ليؤكد المودة ويحسن الاجابة ورجع
بعد سنتين وقد احكم من ذلك ما شاء وجاءت معه رسل قسطنطين ثم جاء رسول من ملك
الصقالبة وهو يومئذ دوقوة ورسول آخر من ملك الالمان ورسول آخر من ملك الافرنجة
وراء البرت وهو يومئذ اوفة ورسول آخر من ملك الافرنجة بقاصية المشرق وهو يومئذ كلدة
واحتفل الناصر لقدومهم وبعث مع رسول الصقالبة ربيعا الاسقف الى ملكهم دوقوة
ورجع بعد سنتين * (وفي سنة أربع وأربعين) جاء رسول أردون يطلب السلم فعقد له ثم بعث
في سنة خمس وأربعين يطلب ادخال فردلند قومس قشتيلة في عهده فأذن له في ذلك وأدخل
في عهده وكان غرسية بن شانجة قد استولى على جليقية بعد أبيه شانجة بن فرويلة ثم انتقض
عليه أهل جليقية وتولى كبرهم قومس قشتيلة فردلند المذكور ومال الى اردون بن ردمير
وكان غرسية بن شانجة حافد الطوطة ملكة البشكنس فامتعضت لحافدها غرسية ووفدت
على الناصر سنة سبع وأربعين ملقية بنفسها في عقد السلم لها ولولدها شانجة بن ردمير الملك
واعانة حافدها غرسية بن شانجة على ملكه ونصره من عدوه وجاء الملكان معها فاحتفل
الناصر لقدومهم وعقد الصلح لشانجة وامه وبعث العساكر مع غرسية ملك جليقية فرد
عليه ملكه وخلع الجلالقة طاعة أردون اليه وبعث الى الناصر يشكره على فعلته وكتب
الى الامم في النواحي بذلك وبما ارتكبه فردلند قومس قشتيلة في نكثه ووثوبه ويعيره
بذلك عند الامم ولم يزل الناصر على موالاته واعانته الى أن هلك ولما وصل رسول كلدة ملك

الافرنجة

سلبه ما كان انعم به عليه ثم قال له عمدت الى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع وقطع مسالك
واجتاز ملوكا في بر وبحر فلم
يتعرض لها يؤمل الوصول
الى عدل ملكي ثقة منه بعدلي
ففعلت به ما فعلت وكان
ينصرف عن ملكي ويقبح
الاحدوثة عن سيرتي أما
لولا تقديم حرمتك بنا لقتلتك
لكني اعاقبك بعقوبة ان
عقلت فانها اكبر من القتل
وهوان اوليك مقابر الموتى
من الملوك السالفة أن عجزت
عن تدبير الاحياء والقيام
بما اليه ندبت واحسن الى
التاجر وحمله الى خانقو
وقال له ان سمحت نفسك
ان تبيع منا ما اختير من
متاعك بالثمن الجزيل والا
فانت المحكم في مالك اقم
اذا شئت وبع كيف شئت
وانصرف راشدا حيث
شئت وصرف الخادم الى
مقابر الملوك (قال المسعودي)
ومن طرائف اخبار ملوك
الصين ان رجلا من قريش
من ولد هبار بن الاسود لما
كان من امر صاحب الزنج
بالبصرة ما كان واشتهر
خرج هذا الرجل الى مدينة
سيراف وكان من ارباب
البصيرة وارباب النعم بها
وذوي الاحوال الحسنة ثم
ركب منها في بعض مراكب
بلاد الهند ولم يزل من مركب
الى مركب ومن بلد الى بلد
يخترق ممالك الهند الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو ثم دعته همته

الافرنجة بالشرف كما تقدم ووصل معه رسول ملك برشلونة وطركونة راغبا في الصلح فأجابه الناصر ووصل بعده رسول صاحب رومة يخطب المودة فأجيب انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار ولنفصل بعض ما أجمله فنقول ذكر ابن حيان وغير واحد أن ملك الناصر بالاندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشان وهادته الروم وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى فانه هاداه ورغب في موادعته وكان وصول ارساله في صفر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وتقدم في كلام ابن خلدون انها ست وثلاثون فالله أعلم أيهما أصح وتأهب الناصر لورودهم وأمر أن يتلقوا أعظم تلق وأفخمه وأحسن قبول وأكرمه وأخرج الى لقائهم ببجانة يحيي بن محمد بن الليث وغيره لخدمة أسباب الطريق فلما صاروا بأقرب المحلات من قرطبة خرج الى لقائهم القواد في العدد والعدة والتعبية فتلقوهم قائدا بعد قائد وكمل اختصاصهم بعد ذلك بأن اخرج اليهم الفتيين الكبيرين الخصيين ياسرا وتماما بلاغا في الاحتفال بهم فلقياهم بعد القواد فاستبان لهم بخروج الفتيين اليهم بسط الناصر واكرامه لان الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة لانهم أصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه وبيدهم القصر السلطاني وأنزلوا بمنية ولي العهد الحكم المنسوبة الى نصير بعدوة قرطبة في الربض ومنعوا من لقاء الخاصة والعامة جملة ومن ملابسة الناس طرا ورتب لحجابتهم رجال تخيروا من الموالي ووجوه الحشم فصيروا على باب قصر هذه المنية ستة عشر رجلا لاربع دول لكل دولة أربعة منهم ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء الى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه فقعد لهم يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول من السنة المذكورة في بهو المجلس الزاهر قعودا حسنا نبيلا وقعد عن يمينه ولي العهد من بنيه الحكم ثم عبد الله ثم عبد العزيز ثم الاصبغ ثم مروان وقعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبار ثم سليمان وتخلف عبد الملك لانه كان عليلا لم يطق الحضور وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالا ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالي والوكلاء وغيرهم وقد بسط صحن الدار اجمع بعتاق البسط وكرائم الدرانك وظللت أبواب الدار وحناياها بظلل الديباج ورفيع الستور فوصل رسل ملك الروم حائرين مما رأوه من بهجة الملك وفخامة السلطان ودفعوا كتاب ملكهم صاحب قسطنطينية العظمى قسطنطين بن ليون وهو في رق مصبوغ لونا سماويا مكتوب بالذهب بالخط الاغريقي وداخل الكتاب مدرجة مصبوغة أيضا مكتوبة بفضة بخط اغريقي أيضا فيها وصف هديته التي ارسل بها وعددها وعلى الكتاب طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل على الوجه الواحد منه صورة المسيح وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده وكان الكتاب بداخل درج فضة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة من الزجاج الملون البديع وكان الدرج داخل جعبة ملبسة بالديباج وكان في ترجمة عنوان الكتاب في سطر منه قسطنطين ورومانين المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم وفي سطر آخر العظيم الاستحقاق الفخر الشريف

الى ان سار الى ديار ملك الصين وكان الملك يومئذ بمدينة حمدان وهي من كبار مدنهم ومن عظيم أمصارهم فاقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر انه من أهل بيت نبوة العرب فامر بعد هذه المدة الطويلة بانزاله في بعض المساكن وازاحة العلة عما يحتاج اليه من جميع اموره وكتب الى الملك المقيم بخانقو يامره بالبحث عنه ومسألة التجار عما يدعيه الرجل من قرابة نبي العرب صلى الله عليه وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه واذن له في الوصول اليه ووصله بمال واسع واعاده الى العراق وكان شيخا فهما فاخبر أنه لما وصل اليه ورأى ما هو عليه من عبادة النيران والسجود للشمس والقمر من دون الله عز وجل فقال له لقد غلبت العرب على اجل الممالك وأنفسها واوسعها ربعا وأكثرها أموالا واعقلها رجالا واهداها صوتا ثم قال له فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال ما لي بهم علم فقال للترجمان قل له انا نعد الملوك خمسة فاوسعهم ملكا الذي يملك العراق لانه في وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملك الملوك وبعده ملكنا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا احد من الملوك أسوس منا ولا اضبط لملكه من ضبطنا لملكنا ولا رعية من الرعايا أطوع لملوكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس ومن بعده ملك

النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالاندلس أطال الله بقاءه ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه وتصف ما تهيأ من توطيد الخلافة في دولته وتقدم الى الامير الحكم ابنه ولي عهده باعداد من يقوم بذلك من الخطباء ويقدمه أمام نشيد الشعراء فأمر الحكم صنيعه الفقيه محمد بن عبد البر الكسنياني بالتأهب لذلك واعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدي الخليفة وكان يدعي من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره وحضر المجلس السلطاني فلما قام يحاول التكلم بما رأى هاله وبهره هول المقام وأبهة الخلافة فلم يهتد الى لفظة بل غشي عليه وسقط الى الارض فقيل لابي علي البغدادي اسمعيل بن القاسم القالي صاحب الامالي والنوادر وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وأمير الكلام وبحر اللغة قم فارقع هذا الوهي فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم هكذا ذكر ابن حيان وغيره وكلام ابن خلدون السابق يقتضي أن القالي هو المأمور بالكلام أولا والمعد لذلك ونحوه في المطمح والخطب سهل ثم انقطع القول بالقالي فوقف ساكتا مفكرا في كلام يدخل به الى ذكر ما أريد منه وقال في المطمح ان أبا علي القالي انقطع وبهت وما وصل الا قطع ووقف ساكتا متفكرا لا ناسيا ولا متذكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد وكان ممن حضر في زمرة الفقهاء قام من ذاته بدرجة من مرقاته فوصل افتتاح أبي علي لاول خطبته بكلام عجيب ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل مجيب يسحه سحا كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة وبدأ من المكان الذي انتهى اليه أبو علي البغدادي فقال أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه والشكر لنعمائه والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال وليس بعد الحق الا الضلال واني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم فاصغوا الي معشر الملا بأسماعكم وأتقنوا عني بأفئدتكم ان من الحق أن يقال للمحق صدقت وللمبطل كذبت وان الجليل تعالى في سمائه وتقدس بصفاته واسمائه أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه أن يذكر قومه بأيام الله جل وعز عندهم وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة واني أذكركم بأيام الله عندكم وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعثكم وأمنت سربكم ورفعت قوتكم بعد أن كنتم قليلا فكثركم ومستضعفين فقواكم ومستذلين فنصركم ولاه الله رعايتكم وأسند اليه امامتكم ايام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق وأحاطت بكم شعل النفاق حتى صرتم في مثل حدقة البعير من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء وانتقلتم بيمن سياسته الى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء أنشدكم بالله معاشر الملا ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها والسبل مخوفة فأمنها والاموال منتهبة فأحرزها وحصنها ألم تكن البلاد خرابا فعمرها وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته حتى اذهب الله عنكم غيظكم وشفى صدوركم وصرتم يدا على عدوكم بعد أن كان بأسكم بينكم فأنشدكم الله ألم تكن خلافته

قفل

السباع وهو ملك الترك الذي يليناوهم سباع الانس ومن بعده ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا ملك الحكمة أيضا لان اصلها منهم ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس في الارض أتم خلقا من رجاله ولا أحسن وجوها منهم فهؤلاء أعيان الملوك والباقون دونهم ثم قال للترجمان قل له أتعرف صاحبك ان رأيته يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشي وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم أرد هذا وانما اردت صورته فقلت أجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجا وقال للترجمان اره صاحبه فرأيت في الدرج صور الانبياء فحركت شفتي بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم انا نعرفهم فقال للترجمان سله عن تحريكه لشفتيه فسألني فقلت أصلي على الانبياء فقال ومن أين عرفتهم فقلت بما صور من امورهم هذا نوح عليه السلام في السفينة بمن معه لما امر الله عز وجل الماء فعم الماء الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه فقال اما نوح فصدقت في تسميته واما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما أخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى أرضنا ان كان خبركم تجيدوا عن هذه القطعة ونحن معاشر أهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والامم

قفل الفتنة بعد انطلاقهـامن عقالها المم يتلاف صلاح الامور بنفسه بعد اضطراب احوالها
ولم يكل ذلك الى القوادوالاجناد حتى باشره بالقوة والمهجـة والاولاد واعتزل النسوان
وهجر الاوطان ورفض الدعـة وهى محبوبة وترك الركون الى الراحـة وهى مطلوبة
بطوية صحيحة وعزيمـة صريحة وبصيرة ثابتة نافذة ثاقبة وريح هابة غالبة ونصرة
من الله واقعة واجبة وسلطان قاهر وجد ظاهر وسيف منصور تحت عدل مشهور
متحملا للنصب مستقلا لما ناله فى جانب الله من التعب حتى لانت الاحوال بعد شدتها
وانكسرت شوكة الفتنة عند حدتها ولم يبق لها غارب الاجبه ولاجمع لاهلها قرن الاجذه
فاصبحتم بنعمة الله اخوانا وبلم أمير المؤمنين لشعثكم على اعدائه أعوانا حتى تواترت لديكم
الفتوحات وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات وصارت وفود الروم وافدة
عليـه وعليكم وآمال الاقصين والادنين مستخدمة اليـه واليكم يأتون من كل فج عميق
وبلد سحيق لاخذ حبل بينه وبينكم جملة وتفصيلا ليقضى الله أمرا كان مفعولا ولن
يخلف الله وعده ولهذا الامر ما بعـده وتلك أسباب ظاهرة بادية تدل على امور باطنة
خافية دليلها قائم وجفنها غير نائم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وليس فى تصديق ما وعد الله ارتياب ولكل
نبإ مستقر ولكل أجل كتاب فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه واسألوه المزيد من نعمائه
فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله بالعصمة والسداد وألهمه خالص التوفيق
الى سبيل الرشاد أحسن الناس حالا وأنعمهم بالا وأعزهم قرارا وأمنعهم دارا
وأكثفهم جمعا وأجملهم صنعا لاتهاجون ولاتذادون وأنتم بحمد الله على اعدائكم
ظاهرون فاستعينوا على صلاح احوالكم بالمناصحة لامامكم والتزام الطاعة لخليفتكم
وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم فان من نزع يدا من الطاعة وسعى فى تفريق الجماعة
ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقد علمتم أن فى التعلق
بعصمتها والتمسك بعروتها حفظ الاموال وحقن الدماء وصلاح الخاصة والدهماء وأن
بقوام الطاعـة تقام الحدود وتوفى العهود وبها وصلت الارحام ووضحت الاحكام
وبها سد الله الخلل وأمن السبل ووطأ الاكناف ورفع الاختلاف وبها طاب لكم
القـرار واطمأنت بكم الدار فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به فانه تبارك وتعالى
يقول أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم الآية وقد علمتم ما أحاط بكم فى
جزيرتكم هـذه من ضروب المشركين وصنوف الملحدين الساعين فى شق عصاكم
وتفريق ملاكم الآخذين فى مخاذلة دينكم وهتك حريمكم وتوهين دعوة نبيكم صلوات
الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين أقول قولى هذا وأختم بالحمد لله رب العالمين
مستغفرا الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين * وساق ابن سعيد فى المغرب هذه
الحكاية فقال ما صورته منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة خطيب مصقع
وله كتب مؤلفة فى القرآن والسنة والورع والرد على أهل الاهواء والبدع شاعر بليغ
ولد سنة خمس وستين ومائتين وأول سببه فى التعلق بعبد الرحمن الناصر لما احتفل لدخول

لا يعرف ماذكرتم ولاتقل البناء الا اذا ما وصفتم وماذكرت من ركوب الماء الارض ظهاون الكواثر العظام التى
تفزع النفوس الى حفظه
وتتداوله الامم ما قلته قال
القرشى فهبت الرد عليه
واقامة الحجة لعلمى بصحة
ذلك ثم قلت وهذا موسى
صلى الله عليه وسلم وبنو
اسرائيل فقال نعم على ذلك
البلد الذى كان به وتمادى
قومه عليه ثم قلت هذا
عيسى بن مريم عليه السلام
على حماره والحواريون معه
فقال لقد كان قليل مدته انما
كان امده يزيد على ثلاثين
شهرا شيأ يسيرا وعدد من
ذكرنا من الانبياء مما قد سترت
على ذكر بعضه ويزعم هذا
القرشى وهو المعروف بابن
وهبان انه رأى فوق كل
صورة كتابة طويلة قد زيد
فيها ذكرا سمائهم ومواضع
بلدانهم ومقادير اعمارهم
وأسباب نبواتهم وسيرهم
قال ثم رأيت صورة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم على
جمل واصحابه محدقون به فى
ارجلهم نعال عربية من
جلود الابل وفى اوساطهم
الحبال قد علقوا فيها المساويك
فبكيت فقال للترجمان سله عن
بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا
وابن عمنا محمد بن عبدالله
صلى الله عليه وسلم فقال
صدقت لقد ملك قومه اجل
الممالك الا انه لم يعاين من
الملك شيأ انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على امته من خلفائه ورأيت صورا كثيرة منهم من قد اشار بيده جامعا بين

رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذى اشتهر ذكره أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لذكر جلالة مقعده ووصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة ورمى ملوك الامم بسهام بأسه ونجدته وتقدمه الى الامير الحكم ابنه وولى عهده باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ويقدمه أمام انشاد الشعراء فتقدم الحكم الى ابى على البغدادى ضيف الخليفة وأمير الكلام وبحر اللغة أن يقوم فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انقطع وبهت فما وصل ولا قطع ووقف ساكتا مفكرا فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام قائما بدرجة من مرقاة أبى على ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالة وملأ الاسماع جلالة ثم ذكر الخطبة كما سبق وقال بعد ايرادها ماصورته فصلب العلج وغلب على قلبه وقال هذا كبير القوم أو كبش القوم وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه وبلاغة لسانه وكان الناصر اشدهم تعجبا منه وأقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفته فسأله عنه فقال له هذا منذر بن سعيد البلوطى فقال والله لقد احسن ما شاء ولئن اخرنى الله بعد لارفعن من ذكره فضع يدك يا حكم عليه واستخلصه وذكرنى بشأنه فما للصنيعة مذهب عنه ثم ولاه الصلاة والخطابة فى المسجد الجامع بالزهراء ثم توفى محمد بن عيسى القاضى فولاه قضاء الجماعة بقرطبة واقره على الصلاة بالزهراء * ومن شعره فى هذه الواقعة قوله

مقالى كحد السيف وسط المحافل * فرقت به ما بين حق وباطل

بقلب ذكى ترتمى جمراته * كبارق رعد عند رعش الانامل

فما دحضت رجلى ولا زل مقولى * ولا طاش عقلى يوم تلك الزلازل

وقد حدقت حولى عيون اخالها * كمثل سهام اثبتت فى المقاتل

لخير امام كان اوهو كائن * لمقتبل اوفى العصور الاوائل

ترى الناس افواجا يؤمون بابه * وكلهم ما بين راج وآمل

وفود ملوك الروم وسط فنائه * مخافة باس اورجاء لنائل

فعش سالما اقصى حياة مؤملا * فأنت رجاء الكل حاف وناعل

ستملكها ما بين شرق ومغرب * الى درب قسطنطين اوارض بابل

انتهى كلام ابن سعيد وهو يؤيد كلام ابن خلدون ان المأمور بالخطبة هو القالى وذكر ان الناصر قال لابنه الحكم بعد ان سأله عنه لقد احسن ما شاء فلئن كان حبر خطبته هذه واعدها مخافة ان يدور ما دار فيتلافى الوهى فانه لبديع من قدرته واحتياطه ولئن كان اتى بها على البديهة لوقته فانه لاعجب واغرب قال ابن سعيد ولما فرغ منذر من خطبته انشد

هذا المقام الذى ما عابه فند * لكن قائله ازرى به البلد

لو كنت فيهم غريبا كنت مطرفا * لكننى منهم فاغتالنى النكد

ويروى بدل هذا الشطر * ولا دهانى لهم بغى ولا حسد *

لولا الخلافة أبقى الله حرمتها * ما كنت أرضى بارض ما بها أحد

انتهى قلت كأنه عرض بابى على القالى وتقديمهم اياه فى هذا المقام والله أعلم ومن

سبابته وابهامه كالحلقة كأنه يصف ان الخليقة فى مقدار الحلقة ومنهم من قد اشار بسبابته نحو السماء كالمرهب للخليقة بما فوق وغير ذلك ثم سألنى عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما اعلم منها ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع فى ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول أكثر منها فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم فضحك ضحكا كثيرا ووزيره ايضا وهو واقف على انكار ذلك وقال ما احسب نبيكم قال هذا فزللت فقلت بلى هو قال ذلك فرأيت الانكار فى وجهه ثم قال للترجمان قل له ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن تحصيل أما زعمت انكم تختلفون فى ذلك فانكم اذا اختلفتم فى قول نبيكم وما قالت الانبياء لا يجب ان يختلف فيه بل هو مسلم فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه وذكر أشياء كثيرة ذهبت عنى لطول المدة ثم قال لى لم عدلت عن ملكك وهو أقرب اليك دارا ونسبا فقلت بما حدث على البصرة ووقوعى الى سيراف ونزعت بى همتى الى ملكك أيها الملك لما بلغنى من استقامة ملكك وحسن سيرتك وكثرة جنودك فأحببت الوقوع الى هذه المملكة ومشاهدتها وأنا راجع عنها الى بلادى وملك ابن عمى ومخبر بما شاهدت من جلالة هذا نظم

نظم منذر بن سعيد قوله

الموت حوض وكلنا نرد * لم ينج مما يخافه أحد
فلا تكن مغرما برزق غد * فلست تدري بما يجيء غد
وخذ من الدهر ما أتاك به * وليسلم الروح منك والجسد
والخير والشر لا تدعه فما * في الناس الا التشنيع والحسد

وله وقد آذاه شخص يخاطبه بالكنية فقيل له أيؤذيك وأنت تخاطبه بالكنية فقال

لا تعجبوا من أنني كنيته * من بعد ما قد سبنا وأذانا
فالله قد كنى أبا لهب وما * كناه للاخزاء وهوانا

وقال في المطمح منذر بن سعيد البلوطي آية حركة وسكون وبركة لم تكن معدة ولا تكون وآية سفاهة في تحلم وجهامة وورع في طي تبسم اذا جد وجد واذا هزل نزل وفي كلتا الحالتين لم ينزل للورع من مرقب ولا اكتسب اثما ولا احتقب ولي قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن ناهيك من عدل أظهر ومن فضل أشهر ومن جور قبض ومن حق رفع ومن باطل خفض وكان مهيبا صليبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم واستمر في القضاء الى ان مات الناصر لدين الله ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته استعفى مرارا فما أعفي وتوفي بعد ذلك لم يحفظ عنه مدة ولايته قضية جور ولا عدت عليه في حكومة زلة وكان غزير العلم كثير الادب متكلما بالحق متبينا بالصدق له كتب مؤلفة في السنة والورع والرد على أهل الاهواء والبدع وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا ولد عند ولاية المنذر بن محمد وتوفي سنة ٣٥٥ ومن شعره في الزهد قوله

كم تصابى وقد علاك المشيب * وتعامى عمدا وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير * أن سيأتي الحمام منك قريب
يا سفيها قد حان منه رحيل * بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارتقبها * لا يداوى اذا أتتك طبيب
كم توانى حتى تصير رهينا * ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم * فاعملن جاهدا لها يا ربيب
وتذكر يوما تحاسب فيه * ان من يذكره فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا * للمنايا عليك فيها رقيب

ولعلنا نذكر شيأ من أحوال منذر في غير هذا الموضع (رجع لأخبار الناصر لدين الله) حتى أنه لما أعذر أولاد ابنه أبي مروان عبيد الله اتخذ لذلك صنيعا عظيما بقصر الزهراء لم يتخلف أحد عنه من أهل مملكته وأمر أن يندر للشهود والفقهاء المشاورين ومن يليهم من العلماء والعدول ووجوه الناس فتقدمهم من بينهم المشاور أبو ابراهيم وافتقد مكانه لارتفاع منزلته فسأل في ذلك الخليفة الناصر اذ أبو ابراهيم من أكابر علماء المالكية الذين عليهم المدار ووجد الناصر بسبب ذلك على أبي ابراهيم وأمر ابنه ولي العهد الحكم بالكتاب اليه

الملك وسعة هذه البلاد وشيمك أيها الملك المحمود وسأقول بكل قول حسن واثنى بكل جميل فسره ذلك وأمر لي بجائزة سنية وخلع شريفة وأمر بحملي على البريد الى مدينة خانفو وكتب الى ملكها باكرامي وتقديمي على من في ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجي عنه فكنت في أخصب عيش وانعمه الى أن خرجت من بلاد الصين (قال المسعودي) واخبرني ابو زيد الحسن ابن يزيد السيرافي بالبصرة وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف وذلك في سنة ثلاث وثلثمائة وابو زيد هذا هو ابن عمر بن زيد بن محمد بن مرد بن ساسياد السيرافي وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتمييز انه سأل ابن وهبان القرشي عن مدينة حمدان التي بها الملك ووصفها وذكر سعتها وكثرة اهلها وانها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض فالملك ووزيره وقاضي القضاة وجنوده وخصيانه وجميع أسبابه في الشق الايمن منه مما يلي المشرق لا يخالطهم أحد من العامة وليس فيه شيء من الاسواق بل انهار في سككهم مطردة واشجار عليها منتظمة ومنازل فسيحة وفي الشق الايسر مما يلي المغرب الرعية والتجار والميرة والاسواق فاذا وضح النهار رأيت فيها قهارمة الملك وغلمانه وغلمان

وإن ... إليه الحكم رقعة نسختها بسم الله الرحمن الرحيم حفظك الله وتولاك وسددك ورعاك ... أمير المؤمنين مولاي وسيدي أبقاه الله الأولياء الذين يستعدبهم وجدك ... في الولاية من أجراس الصلة على انه قد أدرك أبقاه الله خصوص المشاركة في السرور الذي كان عنده لا أعدمه الله توالي المسرة ثم افتقدت من قبل ابلاغك التكرمة فكان منك على ذلك ... من التخلف ما نافت عليك فيه المعذرة واستبلغ أمير المؤمنين في انكاره وما تدلك عليه فأعتب ... الحجة وعرفني أكرمك الله ما العذر الذي أوجب توقفك عن اجابة دعوته ومشاهدة السرور والذي سر به ورغب المشاركة فيه لنعرفه أبقاه الله بذلك ... العزيزة ان شاء الله تعالى فأجابه أبو ابراهيم سلام على الامير سيدي ورحمة الله ... أبقى الله الامير سيدي هذا الكتاب وفهمته ولم يكن توقفي لنفسي انما كان لامير المؤمنين سيدنا أبقى الله سلطانه لعلمي بمذهبه وسكوني الى تقواه واقتفائه لاثر سلفه الطيب ... رضوان الله عليهم فانهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنونها بما يشينها ولا بما يغض منها او يطرق الى تنقيصها يستعدون بها لدينهم ويتزينون بها عند رعاياهم ومن يفد عليهم من ... ولهذا تخلفت ولعلمي بمذهبه توقفت ان شاء الله تعالى فلما اقرأ الحكم أباه الناصر لدين الله جواب أبي ابراهيم اسحق أعجبه واستحسن اعتذاره وزال ما بنفسه عليه وكان الفقيه أبو ابراهيم المذكور معظما عند الناصر وابنه الحكم وحق لهما ان يعظماه وقد حكى ... ابو القاسم بن ... قال كنت اختلف الى الفقيه أبي ابراهيم رحمه الله تعالى فيمن يختلف اليه للتفقه والرواية فاني لعنده في بعض الايام في مجلسه بالمسجد المنسوب لابي عثمان الذي كان يصلي به قرب داره بحومة قصر قرطبة ومجلسه حافل بجماعة الطلبة وذلك بين الصلاتين اذ دخل عليه خصي من أصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم فوقف وسلم وقال له يا فقيه أجب أمير المؤمنين أبقاه الله فان الامر خرج فيك وها هو قاعد ينتظرك وقد أمرت بأعجالك فالله الله فقال له سمعا وطاعة لامير المؤمنين ولا عجلة فارجع اليه وعرفه وفقه الله عني أنك وجدتني في بيت من بيوت الله تعالى معي طلاب العلم أسمعهم حديث ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يقيدونه عني وليس يمكنني ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المعهود لهم في رضا الله وطاعته فذلك أوكد من مسيري اليه الساعة فاذا انقضى أمر من اجتمع الي من هؤلاء المحتسبين في ذات الله الساعين لمرضاته مشيت اليه ان شاء الله تعالى ثم أقبل على شأنه ومضى الخصي يهينم منكرا احرامه توقعه ولم يك الا ريثما أدى جوابه وانصرف سريعا كن الطيش فقال له يا فقيه أنهيت قولك على نصه الى أمير المؤمنين أبقاه الله وأصغى اليه وهو يقول لك جزاك الله خيرا عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين وأمتعهم بك واذا أنت أوعبت فامض اليه راشدا ان شاء الله تعالى وقد أمرت أن أبقى معك حتى ينقضي شغلك وتمضي معي فقال له حسن جميل ولكني أضعف عن المشي الى باب السدة ويصعب علي ركوب دابة لشيخوختي وضعف أعضائي وباب الصناعة الذي يقرب الي من أبواب القصر المكرم أحوط لي وأقرب وأرفق بي فان رأى أمير المؤمنين أيده الله تعالى أن يأمر بفتحه لادخل اليه منه خفف علي المشي وودع جسمي وأحب أن تعود وتنهي اليه

ووراءه ... السوق الذي فيه العامة والتجار فأخذوا بضائعهم وحوائجهم ثم انصرفوا ... وواحد منهم في هذا السوق الى اليوم ... وان هذه المدينة ... وسعة ... مطردة لا ... معدوم عندهم واهل الصين ... الله له ... وكل عمل لا ... احد من سائر الامم ... ان غيره ... باب الملك ... على ... الملك ... ذلك الى ... أحد فيه ... وادخله في ... احرج احد ... ولم ... وان رجلا ... سور ... عصفور في ... لم ... الناظر الا ... عصفور ... مدة ... احد ... فادخل الى الملك وأحضر صاحب العمل وسأل ... المعارف ... لا يقع عصفور على ... الا ... هذا ... قائمة لا تميل ... فأخطأ ... ولم يثب صاحبها بشيء ذلك

ذلك عنى حتى تعرف رأيه فيه وكذلك تعود الى فانى أرى الشقى شديدا فكن على الخير معينا ومضى عنه الفتى ثم رجع بعد حين وقال يا فقيه قد أجابك أمير المؤمنين الى ما سألت وأمر بفتح باب الصناعة وانتظارك من قبله ومنه خرجت اليك وأمرنى بملازمتك مذكرا بالنهوض عند فراغك وقال افعل راشدا وجلس الخصى جانبا حتى أكمل أبو ابراهيم مجلسه بأكمل وأوسع ما جرت به عادته غير منزعج ولا قلق فلما انفض جماعته قام الى داره فأصلح من شأنه ثم مضى الى الخليفة الحكم فوصل اليه من ذلك الباب وقضى حاجته من لقائه ثم صرفه على ذلك الباب فأعيد اغلاقه على اثر خروجه قال مفرج ولقد تعمدنا فى تلك العشية اثر قيامنا عن الشيخ ابى ابراهيم المرور بهذا الباب المعهود اغلاقه بدبر القصر الذى تحشم الخليفة به فوجدناه مفتوحا كما وصف الخصى وقد حفه الخدم والاعوان منزعجين ما بين كناس وفراش متأهبين لانتظار ابى ابراهيم فاشتد عجبنا لذلك وطال تحدثنا عنه انتهى فهكذا تكون العلماء مع الملوك والملوك مع العلماء قدس الله تلك الارواح * ثم توفى الناصر لدين الله ثانى او ثالث شهر رمضان من عام خمسين وثلثمائة اعظم ما كان سلطانه واعز ما كان الاسلام بملكه

(قال ابن خلدون) خلف الناصر فى بيوت الاموال خمسة آلاف ألف ألف ألف ثلاث مرات انتهى وقال غير واحد انه كان يقسم الجباية أثلاثا ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان وحكى انه وجد بخط الناصر رحمه الله أيام السرور التى صفت له دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا وعدت تلك الايام فكانت أربعة عشر يوما فاعجب ايها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها وبخلها بكمال الاحوال لاوليائها هذا الخليفة الناصر حلف السعود المضروب به المثل فى الارتقاء فى الدنيا والسعود ملكها خمسين سنة وستة أو سبعة اشهر وثلاثة ايام ولم تصف له الا أربعة عشر يوما فسبحان ذى العزة القائمة والمملكة الدائمة لا اله الا هو ومما ينسب للناصر من الشعر وقيل لابنه الحكم قوله

ما كل شئ فقدت الا ... عوضنى الله منه شيا
انى اذا ما منعت خيرى ... تباعد الخير من يديا
من كان لى نعمة عليه ... فانها نعمة عليا

وممن أعز الله به دولة الناصر ووزراؤه الذين من جملتهم ابن شهيد قال فى المطمح أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد فخر الامامة وزهرة تلك الكمامة وصاحب الناصر عبد الرحمن وحامل الوزارتين على سموها فى ذلك الزمان استقل بالوزارة على ثقلها وتصرف فيها كيف شاء على حذر نظرها والتفات مقلها فظهر على أولئك الوزراء واشتهر مع كثرة النظراء وكانت امارة عبد الرحمن اسعد امارة بعدتها كل نفس بالسوء أمارة فلم يطرقها صرف ولم يرمقها محذور بطرف وقرع الناس فيها هضاب الامانى ورباها ورعت ظباؤها فى ظلال ظباها وهو اسد على براثنه رابض وبطل ابدا على قائم سيفه قابض يروع الروم طيفه ويجوس

وقصدهم بهذا وشبهه الرياضة لمن يعمل هذه الاشياء لينظرهم ذلك الى شدة الاحتراز واعمال الفكر فيما يصنعه كل واحد منهم بيده ولاهل الصين أخبار عظيمة عجيبة ولبلادهم اخبار ظريفة سنوردها فيما يرد من هذا الكتاب جملا وان كنا قد أتينا على سائر الاخبار من ذلك فى كتابنا اخبار الزمان فى الامم الماضية والممالك الداثرة وذكرنا فى الكتاب الاوسط جملا لم نتعرض لذكرها فى كتاب أخبار الزمان وذكرنا فى هذا الكتاب ما لم يتقدم ذكره فى ذينك الكتابين والله اعلم

(ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الاندلس وغير ذلك ومعادن الطيب وأصوله وعدد انواعه)

قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملا من ترتيب البحار المتصلة والمنفصلة ولنذكر الآن فى هذا الباب جملا من اخبار ما اتصل بما من البحر الحبشى والممالك والملوك وجملا من ترتيبها وغير ذلك من انواع العجائب فنقول ان بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة على ما ذكرنا الا أن هيجانها وركودها يختلف لاختلاف مهاب رياحها وآثار ثورانها وغير ذلك فبحر فارس تكثر أمواجه ويصعب

خلال تنث اليد بارحيه ويروي بل يحسم كل آونة سيفه وابن شهيد يتبع الآراء ويلقحها ويستدني الانحاء ويقعها والدولة مشتملة بغنائه متجملة بثنائه وكرمه منتشر على الآمال ربكسو الاولياء بذلك الاجال وكان له ادب تزهر بحجه وتبهر حججه وشعره رقيق لا ينقد ويكاد من اللطافة يعتقد فمن ذلك قوله

ترى البدر منها طالعا فكأنما * يجول وشاحاها على لؤلؤ رطب
بعيدة مهوى القرط مخطفة الحشى * ومفعمة الخلخال مفعمة القلب
من اللاء لم يرحلن فوق رواحل * ولا سرن يوما في ركاب ولا ركب
ولا أبرزتهن المدام لنشوة * وشدو كما تشدو القيان على الشرب

وكان بينه وبين الوزير عبد الملك بن جهور متولي الامر معه ومشاركه في التدبير اذا حضر مجتمعه منافسة لم تنفصل لهما بها مداخلة ولا ملابسة وكلاهما يتربص بصاحبه دائرة السوء ويغص فيه غصص الاوفى بالنوء فاجتاز يوما الى ربضه ومال الى زيارته ولم يكن من غرضه فلما استأمر عليه تأخر خروج الاذن اليه فثنى عنانه حنقا من حجابه وتجرا من أحبابه وكتب اليه معرضا وكان يلقب بالحمار

أتيناك لا عن حاجة عرضت لنا * اليك ولا قلب اليك مشوق
ولكننا زرنا بفضل حلومنا * فكيف تلاقى برنا بعقوق

فراجعه ابن جهور بعض ممن بما كان يشيع عنه بان جده أبا هشام كان بيطارا بالشام بقوله

حجبناك لما زرتنا غير تائق * بقلب عدو في ثياب صديق
وما كان بيطار الشام بموضع * يباشر فيه برنا بخليق

ومن شعره وهو يتغزل

حلفت بمن رمى فأصاب قلبي * وقلبه على جمر الصدود
لقد أودى تذكره بقلبي * ولست أشك أن النفس تودي
ففيه وهو موجود بقلبي * فواعجبا لموجود فقيد انتهى

وقد تقدم الكلام على هدية ابن شهيد وبعض أخباره رحمة الله عليه ولما توفي الناصر لدين الله تولى الخلافة بعده ولي عهده الحكم المستنصر بالله فجرى على رسمه ولم يفقد من ترتيبه الا شخصه وولي حجابته جعفر الصقلبي وأهدى له يوم ولايته هدية كان فيها من الاصناف ما ذكره ابن حيان في المقتبس وهي مائة مملوك من الافرنج ناشئة على خيول صافنة كاملو الشكة والاسلحة من السيوف والرماح والدرق والتراس والقلانس الهندية وثلثمائة ونيف وعشرون درعا مختلفة الاجناس وثلثمائة خوذة كذلك ومائة بيضة هندية وخمسون هندية خشبية من بيضات الفرنجة من غير الخشب يسمونها الطشطانة وثلثمائة حربة افرنجية ومائة ترس سلطانية وعشرة جواشن فضة مذهبة وخمسة وعشرون قرنا مذهبة من قرون الجاموس انتهى * قال ابن خلدون ولاول وفاة الناصر طمع الجلالقة في الثغور فغزا الحكم المستنصر بنفسه واقتحم بلد فرلند بن عبد شلب فنازل شنت اشتبين وفتحها عنوة واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ثم أغزى غالبا مولاه بلاد جليقية

عند ارتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبة ركوبه ولم تبتدئ صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء الخريفي ولا يزال في كل يوم تكثر أمواجه الى ان تصير الشمس الى برج الحوت فأشد ما يكون ذلك في آخر الخريف عند كون الشمس في القوس ثم يلين الى أن تعود الشمس الى السنبلة وآخر ما يكون ذلك في آخر الربيع عند كون الشمس في الجوزاء وبحر الهند لا يزال كذلك الى أن تصير الشمس الى السنبلة فيركب حينئذ وأهدأ ما يكون عند كون الشمس في القوس وبحر فارس يركب في سائر السنة من عمان الى سيراف وهو مائة وستون فرسخا ومن سيراف الى البصرة وهو أربعون ومائة فرسخ ولا يتجاوز في ركوبه غير ما ذكرنا من هذين الموضعين ونحوهما وقد حكى أبو معشر المنجم في كتابه المترجم بالمدخل الكبير الى علوم النجوم ما ذكرنا من اضطراب هذه البحار وهدوها عند كون الشمس فيما ذكرنا من البروج وليس يكاد يصح من عمان نحو الهند في انتهائه الامركب معزز وجواته يسيرة سيما

وسار

وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباح عسكرهم وأوطأ العساكر بلاد ورد لمدود وتوخيها وكان شانجة بن ردمير ملك البشكنس قد انتقض فأغزاه الحكم التجيبي صاحب سرقسطة في العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقورية وعاثوا في نواحيها وقفل ثم أغزى الحكم أحمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونة وعاثت العساكر في نواحيها وأغزى هذين بن هاشم ومولاه غالبا الى بلاد الفونش فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية وكان من أعظمها فتح قلهرة من بلاد البشكنس على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح نطوبية على يد قائد وشقة وغنم فيه من الأموال والسلاح والاقوات والاثاث وفي بسيطه من الغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي ما لا يحصى (وفي سنة أربع وخمسين) سار غالب الى بلد الله ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فافتتحوا حصن غرماج ودوخوا بلادهم وانصرف وظهرت في هذه السنة مراكب المجوس في البحر الكبير وأفسدوا ببسائط اشبونة وناشبهم الناس القتال فرجعوا الى مراكبهم وأخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل وأمر قائد البحر عبد الرحمن رماحس بتعجيل حركة الاسطول ثم وردت الاخبار بان العساكر نالت منهم من كل جهة من السواحل ثم كانت وفادة اردون بن أدفونش ملك الجلالقة وذلك أن الناصر لما أعان عليه شانجة بن ردمير وهو ابن عمه وهو الملك من قبل اردون وحمل النصرانية على طاعته واستظهر اردون بصهره فردلند قومس قشتيلة توقع مظاهرة الحكم لشانجة كما ظاهره أبوه الناصر فبادر الى الوفادة على الحكم مستجيرا به فاحتفل لقدومه وعبى العساكر ليوم وفادته وكان يوما مشهودا وصفه ابن حيان كما وصف أيام الوفادات قبله ووصل الى الحكم واجلسه ووعده بالنصر من عدوه وخلع عليه وكتب بوصوله ماتيا بنفسه وعاقده على موالاة الاسلام ومقاطعة فردلند القومس وأعطى على ذلك صفقة يمينه ورهن ولده غرسية ودفعت الصلات والحملان له ولاصحابه وانصرف معه وجوه نصارى الذمة ليوطدوا له الطاعة عند رعيته ويقبضوا رهنه وعند ذلك بعث ابن عمه شانجة بن ردمير ببيعته وطاعته مع وافد من أهل جليقية وسمورة واساقفتهم يرغب في قبول بيعته على مثل ما فعل أبو الناصر معه فتقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والابراج القريبة من ثغور المسلمين ثم بعث ملكا برشلونة وطركونة وغيرهما يسألان تجديد الصلح واقرارهما على ما كانا عليه وبعثا بهدية وهي عشرون صبيا من الخصيان الصقالبة وعشرون قنطارا من صوف السمور وخمسة قناطير من القصدير وعشرة أدرع صقلبية ومائتا سيف فرنجية فتقبل الهدية وعقد على ان يهدموا الحصون التي تضر بالثغور وان لا يظاهروا عليه أهل ملتهم وأن ينذروا بما يكون من النصارى في الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية بن شانجة ملك البشكنس في جماعة من الاساقفة والقوامس يسألون الصلح بعد أن كان توقف واظهر المكرفة فعقد لهم الحكم فاغتبطوا ورجعوا ثم وفدت على الحكم أم لذريق بن بلاشك القومس بالقرب من جليقية وهو القومس الاكبر فأخرج الحكم لتلقيها أهل دولته واحتفل لقدومها في يوم مشهود مشهور فوصلت وأسعفت وعقد السلم لابنها كما رغبت ودفع لها ما لا تقدمه بين وفدها دون ما وصلت به هي

المراكب التي بعمان فانها اذا قطعت الى ارض الهند تحتاج الى النباهة بذلك بلاد الهند في هذا الوقت الذي تكون فيه السيارة وهو الشتاء ودوام الامطار وكانون وكانون وشباط عندهم صيف وعندهم الشتاء كما يكون عندنا الحر في حزيران وتموز وآب فشتاؤنا صيفهم وصيفهم شتاؤنا وكذلك سائر مدن السند والهند وما اتصل بذلك الى اقاصي هذا البحر ومن شتى في صيفنا بارض الهند قيل فلان شتى في أرض الهند أي شتى هنالك وذلك لقرب الشمس وبعدها والغوص على اللؤلؤ في بحر فارس وانما يكون في أول نيسان الى آخر أيلول وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيه وقد أتينا فيما سلف من كتبنا عن سائر مواضع الغوص في هذا البحر اذ كان ما عداه من البحار لا لؤلؤ فيه وهو خاص بالبحر الحبشي من بلاد خارك وقطر وعمان وسرنديب وغير ذلك من هذا البحر وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ وتنازع الناس في تكونه ومن ذهب منهم الى ان ذلك من المطر ومن ذهب منهم الى أن ذلك من غير المطر وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذي يسمى بالمحار والمعروف بالبلبل واللحم في الصدف والشحم وهو حيوان يفرغ ما فيه من اللؤلؤ والدر خوف العاصفة كخوف المرأة على ولدها وقد أتينا على ذكر

وحملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفة ديباج ثم عاودت مجالس الحكم البرداح يتعاودها بالصلات لسفرها وانطلقت ثم أوطأ عساكره أرض العدوة من المغرب الاقصى والاوسط وتلقى دعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة فبثوها في اعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد عليه من بني الخزر وبني أبي العافية وأجزل صلاتهم وأكرم وفادتهم وأحسن منصرفهم واستنزل بني ادريس من ملكهم بالعدوة في ناحية الريف وأجازهم البحر الى قرطبة ثم جلاهم الى الاسكندرية * وكان محبا للعلوم مكرما لاهلها جماعا للكتب في انواعها بما لم يجمعه احد من الملوك قبله قال أبو محمد بن حزم اخبرني تليد الخصي وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان ان عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة وفي كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين لا غير واقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت اليه بضائعه من كل قطر * قال ابو محمد بن خلدون ولما وفد على ابيه أبو علي القالي صاحب كتاب الامالي من بغداد اكرم مثواه وحسنت منزلته عنده وأورث أهل الاندلس علمه واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه وكان يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس مالم يعهدوه وبعث في كتاب الاغاني الى مصنفه أبي الفرج الاصبهاني وكان نسبه في بني أمية وارسل اليه فيه بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وأمثال ذلك وجمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد واوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده الا ما يذكر عن الناصر العباسي بن المستضيء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى أن بيع اكثرها في حصار البربر وأمر باخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالي المنصور بن أبي عامر ونهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم اياها عنوة انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار * (ولنبسط الكلام على الحكم فنقول) ان الحكم المستنصر اعتلى سرير الملك ثاني يوم وفاة أبيه يوم الخميس وقام بأعباء الملك اتم قيام وانفذ الكتب الى الآفاق بتمام الامر له ودعا الناس الى بيعته واستقبل من يومه النظر في تمهيد سلطانه وتثقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب أجناده وأول ما اخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الاكابر لجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم وتكفلوا بأخذها على من وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم وأوصل الى نفسه في الميل دون هؤلاء الاكابر من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت بيعة اهل القصر تقدم الى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض في أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله المتخلف بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة وتقدم الى موسى بن أحمد بن حدير بالنهوض ايضا عن أبي الاصبغ عبد العزيز شقيقه الثاني فضى اليهما كل واحد منهما في قطيع من الجند وأتيا بهما الى قصر مدينة الزهراء وقعد

كيفية الغوص وأن الغاصة لا يكادون يتناولون شيأ الا السمك من الحيتان والتمر لا غيرهما من الاقوات وما يلحقهم وذكر شق أصول آذانهم لخروج النفس من هناك بدلا من المنخرين يجعل عليها شيء من الذبل أو من الشمع يضعونها كالمقصاص لا من الخشب ومنحى يجعل في آذانهم من القطن فيه شيء من الدهن فيعصر من ذلك الدهن اليسير في الماء في قعره يضيء لهم بذلك في البحر ضياء بينا وما يطلون به أقدامهم وسوقهم من السواد خوفا من بلع دواب البحر اياهم ونفورها من السواد وصياح الغاصة في البحر كالكلاب وخرق الصوت الماء فيسمع بعضهم صياح بعض واللؤلؤ وحيوانه اخبار عجيبة وقد أتينا على جميع أوصاف ذلك وصفات اللؤلؤ وعلاماته وأثمانه ومقادير أوقاته فيما سلف من كتبنا فأول هذا البحر مما يلي البصرة والابلة والبحرين من خشاب البصرة ثم بحر لاروي وعليه بلاد صيمور وسوبارة وتانه وسندان وكنبايه وغيرها من السند والهند ثم بحر كيد ثم بحر كلاه بار وهو بحر كله والجزائر ثم بحر كردنج ثم بحر الصنف واليه يضاف العود الصنفي الى بلاده ثم بحر الصين وهو بحر صنجي وليس بعده بحر فأول بحار فارس على ماذكرنا خشاب غيرهما

غيرهما من وجوه الرجال فى الخيل لاتيان غيرهم من الاخوة وكانوا يومئذ ثمانية فوافى جميعهم الزهراء فى الليل فنزلوا فى مراتبهم بفصلان دار الملك وقعدوا فى المجلسين الشرقى والغربى وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى البهو الاوسط من الابهاء المذهبة القبلية التى فى السطح الممرد فاول من وصل اليه الاخوة فبايعوه وأنصتوا الصحيفة البيعة والتزموا الايمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ثم بايع بعدهم الوزراء واولادهم واخوتهم ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة وقعد الاخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله الا عيسى بن فطيس فانه كان قائما بأخذ البيعة على الناس وقام الترتيب على الرسم فى مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف فى المجلس الذى قعد فيه أكابر الفتيان يمينا وشمالا الى آخر البهو كل منهم على قدره فى المنزلة عليهم الظهائر البيض شعار الحزن قد تقلدوا فوقها السيوف ثم تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفين منتظمين فى السطح وفى الفصلان المتصل به ذوو الاسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض بأيديهم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين فى الاسلحة الرائقة والعدة الكاملة وقامت التعبية فى دار الجند والترتيب من رجالة العبيد عليهم الجواشن والاقبية البيض وعلى رؤسهم البيضات الصقلبية وبأيديهم التراس الملونة والاسلحة المزينة انتظموا صفين الى آخر الفصل وعلى باب السدة الاعظم البوابون وأعوانهم ومن خارج باب السدة فرسان العبيد الى باب الاقباء واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة مواكبا اثر مواكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء فلما تمت البيعة أذن للناس بالانفضاض الا الاخوة والوزراء واهل الخدمة فانهم مكثوا بقصر الزهراء الى ان احتمل جسد الناصر رحمه الله الى قصر قرطبة للدفن هنالك فى تربة الخلفاء (وفى ذى الحجة من سنة خمسين) تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد للبيعة والتماس المطالب من اهل طليطلة وغيرها من قواعد الاندلس واصقاعها فتوصلوا الى مجلس الخليفة بمحضر جميع الوزراء والقاضى منذر بن سعيد والملا فأخذت عليهم البيعة ووقعت الشهادات فى نسخها (وفى آخر صفر من سنة احدى وخمسين) اخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله موليه محمد او زيادا ابنى أفلح الناصرى بكتيبة من الحشم لتلقى غالب الناصرى الذى خرجوا اليه صاحب مدينة سالم المورد للطاغية أردون بن أدفونش الخبيث فى الدولة المتملك على طوائف من الامم الجلالقة والمنازع لابن عمه المملك قبله شانجة بن ردمير وتبرع هذا اللعين اردون بالمسير الى باب المستنصر بالله من ذاته غير طالب اذن ولا مستظهر بعهد وذلك عندما بلغه اعتزام الحكم المستنصر بالله فى عامه ذلك على الغزو اليه وأخذه فى التأهب له فاحتال فى تاميل المستنصر بالله والارتماء عليه وخرج قبل أمان يعقد له أو ذمة تعصمه فى عشرين رجلا من وجوه أصحابه تكنفهم غالب الناصرى الذى خرجوا اليه فجاء به نحو مولاه الحكم وتلقاهما ابنا أفلح بالجيش المذكور فانزلاهم ثم تحركا بهم ثانى يوم نزولهم الى قرطبة فأخرج المستنصر بالله اليهم هشاما المصحفى فى جيش عظيم كامل

البصرة والموضع المعروف بالكلاء وهى علامات منصوبة من خشب فى البحر مغروسة علامات للراكب الى عمان مسافة ثلثمائة فرسخ وعلى ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين ومن عمان وقصبتها تسمى سنجار والفرس يسمونها مزون الى المسقط وهى قرية منها يستقى أرباب المراكب الماء من آبار هنالك عذبة خمسون فرسخا ومن المسقط الى رأس الجمجمة خمسون فرسخا وهذا آخر بحر فارس وطوله أربعمائة فرسخ هذا تحديد النواتى وأرباب المراكب ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والاحقاف والرمل منه تحت البحر لا يدرى أين ينتهى غايته فى الماء فمن هنالك تنطلق المراكب الى البحر الثانى وهو المعروف بلاورى لا يدرى عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحريين وربما يقطع فى الشهرين والثلاثة وفى الشهر على قدر مهاب الريح والسلامة وليس فى هذه البحار أعظم مما احتوى عليه البحر الحبشى أكبر من هذا البحر بحر لاورى ولا أشد وفى عرضه بحر الزنج وبلادهم وعنبر هذا البحر قليل وذلك ان العنبر أكثره يقع على بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب وأهل الشحر اناس من قضاعة وغيرهم من العرب وهم مهرة

وذلك انهم يجعلون الشين بدلا من الكاف مثال ذلك ان يقولوا اهل لش

التعبية وتقدموا الى باب قرطبة فعبروا ببابها قدمها ولما انتهى اردون الى ما بين باب السدة
وباب الجنان سأل عن مكان رمس الناصر لدين الله فأشير الى ما يوازي موضعه من داخل
القصر في الروضة فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ثم رد قلنسوته الى رأسه وأمر
المستنصر بانزال أردون في دار الناعورة وقد كان تقدم في فرشها بضروب الغطاء والوطاء
وانتهى من ذلك الى الغاية وتوسع له في الكرامة ولأصحابه فأقام بها الخميس والجمعة فلما
كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله باستدعاء أردون ومن معه بعد اقامة الترتيب وتعبية
الجيوش والاحتفال في ذلك من العدد والاسلحة والزينة وقعد المستنصر بالله على سرير الملك
في المجلس الشرقي من مجالس السطح وقعد الاخوة وبنوهم والوزراء ونظراؤهم صفا في
المجلس فيهم القاضي منذر بن سعيد والحكام والفقهاء فأتى محمد بن القاسم بن طملس بالملك
اردون وأصحابه وعالي لبوسه ثوب ديباجي رومي أبيض وبليوان من جنسه وفي لونه وعلى رأسه
قلنسوة رومية منظومة بجوهر وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالاندلس يؤنسونه
ويبصرونه منهم وليد بن خيزون قاضي النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة
وغيرهما فدخل بين صفي الترتيب يقلب الطرف في نظم الصفوف ويجيل الفكر في كثرتها
وتظاهر أسلحتها وراعى حليتها فراعهم ما أبصروه وصلبوا على وجوههم وتأملوا ناكسي
رؤسهم غاضين من أجفانهم قد سكرت أبصارهم حتى وصلوا الى باب الاقباء أول باب قصر
الزهراء فترجل جميع من كان خرج الى لقائه وتقدم الملك اردون وخاصة قوامه على دوابهم
حتى انتهوا الى باب السدة فأمر القومس بالترجل هنالك والمشي على الاقدام فترجلوا ودخل
الملك اردون وحده راكبا مع محمد بن طملس فانزل في بطن البهو الاوسط من الابهاء القبلية
التي بدار الجند على كرسي مرتفع مكسو الاوصال بالفضة وفي هذا المكان بعينه نزل قبله
عدوه ومناويه شانجة بن ردمير الوافد على الناصر لدين الله رحمه الله تعالى فقعد اردون على
الكرسي وقعد أصحابه بين يديه وخرج الاذن لاردون الملك من المستنصر بالله بالدخول
عليه فتقدم يمشي وأصحابه يتبعونه الى أن وصل الى السطح فلما قابل المجلس الشرقي الذي
فيه المستنصر بالله وقف وكشف رأسه وخلع برنسه وبقي حاسرا اعظاما لما بان له من الدنو
الى السرير واستنهض فمضى بين الصفين المرتبين في ساحة السطح الى أن قطع السطح وانتهى
الى باب البهو فلما قابل السرير خر ساجدا سويعة ثم استوى قائما ثم نهض خطوات وعاد الى
السجود ووالى ذلك مرارا الى أن قدم بين يدي الخليفة وأهوى الى يده فناوله اياها وكر راجعا
متقهقرا على عقبه الى وساد ديباج مثقل بالذهب جعل له هنالك ووضع على قدر عشرة أذرع
من السرير فجلس عليه والبهر قد علاه وأنهض خلفه من استدنى من قوامه وأتباعه فدنوا
ممتثلين في تكرر الخنوع وناولهم الخليفة يده فقبلوها وانصرفوا مقهقرين فوقفوا على رأس
ملكهم ووصل بوصولهم وليد بن خيزون قاضي النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن
الملك اردون ذلك اليوم فأطرق الخليفة الحكم عن تكليم الملك اردون اثر قعوده أمامه
وقتا كيما يفرخ روعه فلما رأى أن قد خفض عليه افتتح تكليمه فقال ليسرك اقبالك
ويغبطك تأميلك فلدينا لك من حسن رأينا ورحب قبولنا فوق ما قد طلبته فلما

والمهم يخالف لغة العرب فيقولون لي وقالت لش ان تفعلي لست مني في الذي فعلت ... ذلك فيه ... لي ... تفعلي الذي ... معلوم ... ونوادر كلامهم وهم ... تعجب ... يعرف بالعنبر ... في البحر ... بل عند جماعة انها ... يرون عنها على ... الساحل ... أحسنه ... بالعنبر قد يدفعه البحر ... عليه قدرته لذلك واعتقدته ... وله اكبر وأجود العنبر ... في هذه الناحية والى جزائر الزانج وساحله وهو المدور والازرق النادر كبيض النعام أو دون ذلك ومنه ما يبلعه الحوت المعروف بالاوال المتقدم ذكره وذلك أن البحر اذا اشتد قذف من قعره العنبر كقطع الجبال وأصغر على ما وصفنا فاذا ابتلع هذا الحوت العنبر قتله ... فوق الماء ولذلك أناس يرصدونه في القوارب من الزنج وغيرهم فيطرحون فيه الكلاليب والحبال فيشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه واكثر ما يخرج من بطنه يكون سمكا ويعرفه العطارون بالعراق

ترجم

ترجمه كلامه اياه تطاول وجه اردون وانحط عن رتبته فقبل البساط وقال أنا عبد أمير المؤمنين مولاي المتوكل على فضله القاصد الى مجده المحكم في نفسه ورحاله حيث وضعني من فضله وعوضني من خدمته رجوت ان اتقدم فيه بنية صادقة ونصيحة خالصة فقال له الخليفة أنت عندنا بمحل من يستحق حسن رأينا وسننالك من تعديناالك وتفضيلنا اياك على أهل ملتك ما يغبطك وتتعرف به فضل جنوحك الينا واستظلالك بظل سلطاننا فعاد اردون الى السجود عند فهمه مقالة الخليفة وابتهل داعيا وقال ان شانجة ابن عمي تقدم الى الخليفة الماضي مستجيرا به مني فكان من اعزازه اياه ما يكون من مثله من اعاظم الملوك وأكارم الخلفاء لمن قصدهم واملهم وكان قصده قصد مضطر قد شنأته رعيته وأنكرت سيرته واختارني لمكانه من غير سعي مني علم الله ذلك ولا دعاء اليه فخلعته واخرجته عن ملكه مضطرا مضطهدا وتطوّل عليه رحمه الله بأن صرفه الى ملكه وقوّى سلطانه وأعز نصره ومع ذلك لم يقم بفرض النعمة التي اسديت اليه وقصر في أداء المفروض عليه وحقه وحق مولاي أمير المؤمنين من بعده وانا قد قصدت باب امير المؤمنين لغير ضرورة من قرارة سلطاني وموضع احكامي محكما له في نفسي ورحالي ومعاقلي ومن تحويه من رعيتي فشتان ما بيننا بقوة الثقة ومطرح الهمة فقال الخليفة قد سمعنا قولك ووهمنا غرضك وسوف يظهر من اقراضنا اياك على الخصوصية شأنه ويترادف من احساننا اليك اضعاف ما كان من أبينا رضي الله تعالى عنه الى شانجة وان كان له فضل التقدم بالجنوح الينا والقصد الى سلطاننا فليس ذلك مما يؤخرك عنه ولا ينقصك مما أملته وستنصرف مغبوطا الى بلدك وتشد أواخي ملكك ونملكك جميع ما انحاش اليك ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك وتقرر به حد ما بينك وبين ابن عمك ونقبضه عن كل ما يتصرفه من البلاد الى يدك وسيترادف عليك من افضالنا فوق ما احتسبته والله على ما نقول وكيل فكرر أردون الخضوع وأسهب في الشكر وقام للانصراف مقهقرا لا يولي الخليفة ظهره وقد تكنفه الفتيان من جملة الفتيان وأخرجوه الى المجلس الغربي في السطح وقد علاه البهر وأذهله الروع من هول ما باشره وجلالة ما عاينه من فخامة الخليفة وبهاء العزة فلما ان دخل المجلس ووقعت عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه انحط ساجدا اعظاما له ثم تقدم الفتيان به الى البهو الذي يحوي هذا المجلس فاجلس وهنالك على وساد مثقل بالذهب وأقبل نحوه الحاجب جعفر فلما بصر به قام اليه وخضع له وأومأ الى تقبيل يده فقبضها الحاجب عنه وانحنى اليه فعانقه وجلس معه فغبطه ووعده من انجاز عدات الخليفة له بما ضاعف سروره ثم أمر الحاجب جعفر فصبت عليه الخلع التي أمر له بها الخليفة وكانت دراعة منسوجة بالذهب وبرنساله لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت ملأت عين العلج فخر ساجدا وأعلن بالدعاء ثم دعا الحاجب اصحابه رجلا رجلا فخلع عليهم على قدر استحقاقهم وكمل جميع ذلك بحسب ما يليق بهم وخرج جميعهم خاضعين شاكرين ثم انطلق الملك اردون وأصحابه وقدم لركابه في آخر البهو الاوسط فرس من عتاق خيل الركاب عليه سرج حلي ولجام حلي مفرغ وانصرف مع ابن طميس الى قصر الرصافة مكان تضييفه وقد أعد له فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة والفرش والماعون واستمر

وفارس والهند ومابقي على ظهر الحوت منه كان نقيا جيدا على حسب لبثه في بطن الحوت وبين البحر الثالث وهو هركند والبحر الثاني وهو لاروي على ما ذكرنا جزائر كثيرة وهي فرق بين هذين البحرين ويقال انها نحو من الفي جزيرة وقيل نحو الف وتسعمائة جزيرة كلها عامرة بالناس ومالكة هذه الجزائر كلها امرأة وبذلك جرت عادتهم في قديم الزمان لا يملكهم رجل والعنبر يوجد في هذه الجزائر أيضا يقذفه البحر ويوجد في بحرها كأكبر ما يكون من قطع الصخر وأخبرني غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرهما من التجار ممن كان يختلف الى هذه الجزائر ان العنبر ينبت في قعر هذا البحر ويتكون كما تتكون أنواع الفطر من الابيض والاسود والكمأة والمغاريد ونحوها او نحوها فاذا هاج البحر واشتد قذف من قعره الصخور والاحجار وقطع العنبر وأهل هذه الجزائر منفقون وكلهم واحدة لا يحصر هم العدد لكثرتهم ولا يحصى جيوش هذه الملكة عليهم وبين الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة ونخلهم النارجيل لا يتفقد من النخل الا التمر وقد زعم اناس ممن عني بتولدات الحيوان وتطعيم الاشجار ان النارجيل هو نخل المقل

أحد به فيها الا كما له من سعة التصنيف وارغاد المعاش واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الاسلام فيه ما أفاضوا من التبجح به والتحدث عنه أياما وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخليفة في هذا اليوم مقامات حسان وانشادات لاشعار محكمة متان يطول القول في اختيارها فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المرادي من قصيدة حيث يقول

ملك الخليفة آية الاقبال * وسعوده موصولة بنوال
والمسلمون بعزة وبرفعة * والمشركون بذلة وسفال
ألقت بأيديها الاعاجم نحوه * متوقعين لصولة الرئبال
هذا أميرهم أتاه آخذا * منه أواصر ذمة وحبال
متواضعا لجلاله متخشعا * متبرعا لما يرع بقتال
سيناال بالتأميل للملك الرضا * عزا يعم عداه بالاذلال
لا يوم أعظم للولاة مسرة * وأشد غيظا على الاقيال
من يوم اردون الذي اقباله * أمل المدى ونهاية الاقبال
ملك الاعاجم كلها ابن ملوكها * والي الرعاة الى الاعاجم والي
ان كان جاء ضرورة فلقد أتى * عن عز مملكة وطوع رجال
فالحمد لله المنيل امامنا * حط الملوك بقدره المتعالي
هو يوم حشر الناس الا انهم * لم يسئلوا فيه عن الاعمال
أضحى الفضاء مضيقا بجيوشه * والافق أقتم أغبر السربال
لا يهتدي الساري بلبل قتامه * الا بضوء صوارم وعوالي
وكأن اجسام الكماة تسربلت * مذعريت عنه جسوم ضلال
وكأنما العقبان عقبان الفلا * منفضة لتخطف الضلال
وكأن مقتضب القنا بهنزة * اشطان نازحة بعيدة جال
وكأنما قيل التجافيفا كنست * نارا توججها بلا اشعال

وقال بعض المؤرخين في حق الحكم المستنصر عن فتاه تليد صاحب خزانته العلمية فيما حدث عنه الحافظ أبو محمد بن حزم ان عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر الدواوين فقط انتهى وقد قدمناه عن ابن خلدون ونقله ابن الابار في التكملة * وقال بعض المؤرخين في حق الحكم انه كان حسن السيرة مكرما للقادمين عليه جمع من الكتب ما لا يحد ولا يوصف كثرة ونفاسة حتى قيل انها كانت أربعمائة ألف مجلد وانهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها وكان عالما نبيها صافي السريرة وسمع من قاسم بن أصبغ وأحمد بن دحيم ومحمد بن عبد السلام الخشني وزكريا بن خطاب وأكثر عنه وأجازله ثابت بن قاسم وكتب عن خلق كثير سوى هؤلاء وكان يستجلب المصنفات من الاقاليم والنواحي باذلا فيها ما أمكن من الاموال حتى ضاقت عنها خزائنه وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك فاستوسع علمه ودق نظره وجمت استفاداته وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والانساب أحوذيا نسيج وحده وكان ثقة فيما

حين غرس فيها قصارا رجلا وانما هو نخل المقل وقد ذكرنا في كتابنا
وانما أثرت ذمه نزيه أهمد
المترجم بالقضايا والتجارب
ما تؤثره كل بقعة من بقاع
الارض وهو تهائم وغيره
من الماصقين وغيرهم مما
تؤثر البقاع في الناس من
النبات وفيما نحن بسبيله
كتأثير أرض الترك في
وجوههم وصغر أعينهم
حتى أثر ذلك في جمالهم
فقصرت قوائمها وغلظت
رقابها وابيض وبرها
وأرض يأجوج ومأجوج
في صدورهم وغير ذلك مما
اذا تدبره ذوو المعرفة في
بكان الارض من المشرق
والمغرب وجدوه على
ما ذكرنا والمس يوجد في
جزائر البحر ألطف صنعة
من هذه الجزائر في سائر
المهن والصنائع في الثياب
والآلات وغير ذلك وبيوت
أموال هذه المملكة الودع
وذلك ان هذا الودع فيه
نوع من الحيوان واذا قل
ما فيها أمر أهل هذه الجزائر
أن يقطعوا من سعف نخل
النارجيل ثم وصله
ويطرحوه على وجه الماء
فينزل كل عليه ذلك
الحيوان فيجمع ويطرح
على رمل الساحل فتحرق
الشمس ما فيه من الحيوان
ويبقى الودع خاليا مما كان
فيه فتملأ من ذلك بيوت
الاموال وهذه الجزائر تعرف بجميعها بالديبجات ومنها يحمل أكثر الرانج وهو النارجيل

ينقله

ينقله بهذا وصفه ابن الابار وباضعافه وقال عجبا لابن الفرضي وابن بشكوال كيف لم يذكراه وقلما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نظر في اي فن كان ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتي من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشأن ومما ينسب اليه من النظم قوله

الى الله أشكو من شمائل مسرف ✽ عليّ ظلوم لا يدين بما دنت
نأت عنه داري فاستزادت صدوده ✽ واني على وجدي القديم كما كنت
ولو كنت أدري أن شوقي بالغ ✽ من الوجد ما بلغته لم أكن بنت

وقوله

عجبت وقد ودعتها كيف لم أمت ✽ وكيف انثنت بعد الوداع يدي معي
فيا مقلتي العبرى عليها اسكبي دما ✽ ويا كبدي الحرّى عليها تقطعي

وتوفي رحمه الله تعالى بقصر قرطبة ثاني صفر سنة ست وستين وثلثمائة لست عشرة سنة من خلافته وكان أصابه الفالج فلزم الفراش الى ان هلك رحمه الله تعالى وكان قد شدد في ابطال الخمر في مملكته تشديدا عظيما (وولي بعده ابنه) هشام صغيرا ابن تسع سنين ولا ينافيه قول ابن خلدون قد ناهز الحلم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبي عامر ونقله من خطة القضاء الى وزارته وفوض اليه اموره فاستقل قال ابن خلدون وترقت حال ابن أبي عامر عند الحكم فلما توفي الحكم وبويع هشام ولقب المؤيد بعد أن قتل ليلتئذ المغيرة أخو الحكم المرشح للأمر تناول الفتك به محمد بن أبي عامر هذا بممالأة من جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أبيه وغالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم ومن خصيان القصر يومئذ ورؤساؤهم فائق وجؤذر فقتل ابن أبي عامر المغيرة بممالأة من ذكرنا وتمت البيعة لهشام ثم سما لابن أبي عامر أمل في التغلب على هشام لمكانه في السن وثاب له رأي في الاستبداد فمكر باهل الدولة وضرب بين رجالها وقتل بعضا ببعض وكان من رجال اليمنية من معافر دخل جده عبد الملك مع طارق وكان عظيما في قومه وكان له في الفتح أثر وعظم ابن أبي عامر هذا وغلب على المؤيد ومنع الوزراء من الوصول اليه الا في النادر من الايام يسلمون وينصرفون وأرضخ للجند في العطاء وأعلى مراتب العلماء وقمع أهل البدع وكان ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم وقتل بعضا ببعض كل ذلك عن هشام وخطه وتوقيعه حتى استأصلهم وفرق جموعهم وأول ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخدام بالقصر فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم فنكبهم وأخرجهم من القصر وكانوا ثمانمائة او يزيدون ثم اصهر الى غالب مولى الحكم وبالغ في خدمته والتنصح له واستعان به على المصحفي فنكبه ومحا أثره من الدولة ثم استعان على غالب بجعفر بن احمد بن علي بن حمدون صاحب المسيلة وقائد الشيعة ممدوح ابن هانئ بالفائية المشهورة وغيرها وهو النازع الى الحكم أول الدولة بمن كان معه من زناتة والبربر ثم قتل جعفرا بممالأة ابن عبد الودود وابن جهور وابن ذي النون وأمثالهم من أولياء الدولة من العرب وغيرهم ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة رجع الى الجند فاستدعى أهل العدوة من

وآخر هذه الجزائر جزيرة سرنديب ويلي جزيرة سرنديب جزائر أخر نحو من ألف جزيرة تعرف بالرامني معمورة وبها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة ويليها بلاد فيصور واليها يضاف الكافور الفيصوري والسنة التي تكون كثيرة الصواعق والبروق والرجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور واذا قل ذلك كان نقصا في وجوده وأكثر ما ذكرنا من الجزائر غذاؤهم النارجيل ويحمل من هذه الجزائر خشب البقم والخيزران والذهب وفيلها كثيرة ومنها ما يأكل لحوم الناس وتتصل هذه الجزائر بالكلبوس وهي أمم عجيبة الصور عراة يخرجون في الزوارق عند اجتياز المراكب بهم معهم العنبر والنارجيل يتعاوضون بالحديد وشيء من الثياب ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير وتليهم جزائر يقال لها أبرامان فيها أناس سود عجيبو الصورة والمنظر قدم الواحد منهم أكبر من الذراع لا مراكب لهم فاذا وقع الغريق اليهم مما قد انكسر في البحر أكلوه وكذلك فعلهم بالمراكب اذا وقعت اليهم وذكر لي جماعة من الناس واخذنا أنهم رأوا في هذا البحر سحابا أبيض قطعا صغارا يخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر فاذا اتصل به علاه البحر وارتفعت منه زوابع شديدة

رجال زناتة والبرابرة فرتب منهم جندا واصطنع أولياء وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم فتغلب على هشام وحجره واستولى على الدولة وملأ الدنيا وهو في جوف بيته من تعظيم الخلافة والخضوع لها ورد الامور اليها وترديد الغزو والجهاد وقدم رجال البرابرة وزناتة وأخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر وبنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة وقعد على سرير الملك وأمر أن يحيا بتحية الملوك وتسمى بالحاجب المنصور ونفذت الكتب والمخاطبات والاوامر باسمه وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدعاء للخليفة ومحا رسم الخلافة بالجملة ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على المنابر وكتب اسمه في السكة والطرز وأغفل ديوانه عما سوى ذلك وجند البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرتبة وقهر من تطاول اليها من العلية فظفر من ذلك بما أراد وردد الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزا ستا وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم تنتكس له فيها راية ولا فل له جيش وما أصيب له بعث وما هلكت له سرية وأجاز عساكره الى العدوة وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق له ملك المغرب وأخذت له ملوك زناتة وانقادوا لحكمه وأطاعوا سلطانه وأجاز ابنه عبد الملك الى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر ولما سخط زيري بن عطية ملكهم لما بلغه ما بلغه من اعلانه بالنيل منه والغض من منصبه والتأفف بحجر الخليفة هشام أوقع به عبد الملك سنة ست وثمانين ونزل بفاس وملكها وعقد للملوك زناتة على ممالك المغرب وأعماله من سجلماسة وغيرها وشرد زيري بن عطية الى تاهرت فأبعد المفر وهلك في مفره ذلك ثم قفل عبد الملك الى قرطبة واستعمل واضحا على المغرب وهلك المنصور أعظم ما كان ملكا وأشد استيلاء سنة أربع وتسعين وثلثمائة بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته ودفن هنالك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه انتهى كلام ابن خلدون وبعضه بالمعنى وزيادة يسيرة ولا بأس ان نزيد عليه فنقول مما حكي انه مكتوب على قبر المنصور رحمه الله تعالى

آثاره تنبيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله ... ابدا ولا يحمي الثغور سواه

وعن شجاع مولى المستعين بن هود لما توجهت الى أدفونش وجدته في مدينة سالم وقد نصب على قبر المنصور بن أبي عامر سريره وامرأته متكئة الى جانبه فقال لي يا شجاع اما تراني قد ملكت بلاد المسلمين وجلست على قبر ملكهم قال فحملتني الغيرة أن قلت له لو تنفس صاحب هذا القبر وأنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ولا استقر بك قرار فهم بي فحالت امرأته بيني وبينه وقالت له صدق فيما قال أيفخر مثلك بمثل هذا * وهذا تلخيص ترجمة المنصور من كلام ابن سعيد قال رحمه الله ترجمة الملك الاعظم المنصور أبي عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري من قرية تركش وعبد الملك جده هو الوافد على الاندلس مع طارق في أول الداخلين من العرب وأما المنصور فقد ذكره ابن حيان في كتابه المخصوص بالدولة العامرية والفتح في المطمح والحجاري في المسهب والقشندي في الطرف

لا يررو بعة منها بشئ الا اتلفته ويمطرون عقيب ذلك مطرا سهكا فيه أنواع من قذى البحر (وأما البحر الرابع) فهو كالذي قبله على حسب ما ذكرنا وتفسير ذلك بحر كله وهو قليل الماء واذا قل ماء البحر كان أكثر آفة وأشد خبثا وهو كثير الجزائر والصراوي واحدها صرو وذلك ان أهل المراكب يسمون بحر الخليج بين اذا كان نهر بينهم فيه الصرو وهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة واعتراضنا التلويح ببلع من الاخبار عنها لا البسط وكذلك (البحر الخامس) المعروف بكردنج فيه كثير الجبال والجزائر وفيه الكافور وهو قليل الماء كثير المطر لا يكاد يخلو منه وفيه أجناس من الامم منهم جنس يقال له الفنجب شعورهم مفلفلة وصورهم ومناظرهم عجيبة يتعرضون في قوارب لهم انساف للمراكب اذا اجتازت بهم ويرمون بنوع من السهام عجيبة قد سقيت السم وبين هذه الامة وبين بلاد كله جبال معادن رصاص الابيض وجبال من الفضة وفيها أيضا معادن من الذهب ورصاص لا يكاد يتميز منه ثم يليه (بحر الصنف) على ما رتبناه آنفا وفيه مملكة المهراج ملك الجزائر وملكه لا ينضبط كثرة ولا تحصى جنوده ولا يستطيع أحد

وذكر الحميدي أن أصله من قرية تركش وأنه رحل الى قرطبة وتأدب بها ثم اقعد عند كاتب عند باب القصر يكتب فيه لمن يعن له كتب من الخدم والمرافعين للسلطان الى أن طلبت السيدة صبح ام المؤيد من يكتب عنها فعرفها به من كان يأنس اليه بالجلوس من فتيان القصر فترقى الى أن كتب عنها فاستحسنته ونبهت عليه الحكم ورغبت في تشريفه بالخدمة فولاه قضاء بعض المواضع فظهرت منه نجابة فترقى الى الزكاة والمواريث باشبيلية وتمكن في قلب السيدة بما استمالها به من التحف والخدمة ما لم يتمكن لغيره ولم يقصر مع ذلك في خدمة المصحفي الحاجب الى أن توفي الحكم وولي ابنه هشام المؤيد وهو ابن اثنتي عشرة سنة فخاشت الروم فجهز المصحفي ابن أبي عامر لدفاعهم فنصره الله عليهم وتمكن حبه من قلوب الناس وكان جوادا عاقلا ذكيا استعان بالمصحفي على الصقالبة ثم بغالب على المصحفي وكان غالب صاحب مدينة سالم وتزوج ابن أبي عامر ابنته اسماء وكان أعظم عرس بالاندلس ثم بجعفر بن الاندلسي ممدوح ابن هانئ على غالب ثم بعبد الرحمن بن محمد بن هشام التجيبي على جعفر وله في الحزم والكيد والجلد ما افرد له ابن حيان تأليفا وعدد غزواته المنشأة من قرطبة نيف وخمسون غزوة ولم تهزم له راية وقبره بمدينة سالم في أقصى شرق الاندلس ومن شعره

رميت بنفسي هول كل عظيمة * وخاطرت والحر الكريم يخاطر
وما صاحبي الا جنان مشيع * وأسمر خطي وأبيض باتر
فسدت بنفسي أهل كل سيادة * وفاخرت حتى لم أجد من افاخر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة * على ما بنى عبد المليك وعامر
رفعنا العوالي بالعوالي مثلها * وأورثناها في القديم معافر

وجوده مع صاعد البغدادي اللغوي مشهور وصدر عن بعض غزواته فكتب اليه عبد الملك ابن شهيد وكان قد تخلف عنه

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا * يا بنفسي اقيك كل الرزايا
ورسول الاله أسهم في الفي * لمن لم يخب فيه المطايا

فبعث اليه بثلاث جوار من أجمل السبي وكتب معهن وكانت واحدة أجملهن قوله

قد بعثنا بها كشمس النهار * في ثلاث من المها أبكار
وامتحنا بعذرة البكر ان كنت ترجي بوادر الاعذار
فاجتهد وابتدر فانك شيخ * قد جلا ليله بياض النهار
صانك الله من كلالك فيها * فمن العار كلة المسمار

فافتضهن من ليلته وكتب له بكرة

قد فضضنا ختام ذاك السوار * واصطبغنا من النجيع الجاري
وصبرنا على دفاع وحرب * فلعبنا بالدر أو بالدراري
وقضى الشيخ ما قضى بحسام * ذي مضاء عضب الظبا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا * واتخذه خلا على الكفار

وقدم بعض التجار ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرد ليسبح في النهر وترك الكيس وكان

من الناس في أسرع ما يكون من المراكب أن يمر بجزائره في سنين وتحاز هذا الملك أنواع الافاويه والطيب وليس لاحد من الملوك ما للمهراج يحمل من بلاده ومما في أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباسة والقاقلة والكبابة وغير ذلك مما لم نذكره وجزائره تتصل ببحر لا تدرك غايته ولا يعرف منتهاه مما يلي بحر الصين وفي أطراف جزائره جبال فيها أمم كثيرة بيض آذانهم مخرمة ووجوههم كقطع المجان مطرقة يجزون شعورهم كما تجز الشعر من الزق مدرجا بدرج تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار فنهارها حمراء وبالليل تسود وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو تقذف باشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم قد عرف ما ينذر من ذلك بطول العادات والتجارب على قديم الزمان وان ذلك غير مختلف وهذه أحد آطام الارض الكبار وتليها الجزيرة التي يسمع منها على دوام الاوقات أصوات الطبول والسرنايات والعيدان وسائر أنواع الملاهي المطربة المستلذة ويسمع ايقاع الرقص والتصفيق ومن يسمع ذلك يميزه بين كل نوع

أحمر ... لي ... يد ... فرته ... حد أذى مخالبها تجري تابعا لها وقد دهل فتغلغلت في البساتين وانصرفت عن عينه ورجع متحيرا فشكا ذلك الى بعض من يأنس به فقال له صف حالك لابن أبي عامر وتلطف في وصف ذلك بين يديه فقال ننظر ان شاء الله تعالى في شأنك وجعل يستدعي أصحاب تلك البساتين ويسأل خدامها عمن ظهر عليه تبديل حال فأخبروه ان شخصا ينقل الزبل اشترى حمارا وظهر من حاله ما لم يكن قبل ذلك فأمر بمجيئه فلما وقعت عينه عليه قال له أحضر الكيس الأحمر فتملك الرعب قلبه وارتعش وقال دعني آتي به من منزلي فوكل به من حمله الى منزله وجاء بالكيس وقد نقص منه ما لا يقدح في مسرة صاحبه بخبره ودفعه الى صاحبه فقال والله لاحدثن في مشارق الارض ومغاربها أن ابن أبي عامر يحكم على الطيور وينصف منها والتفت ابن أبي عامر الى الزبال فقال له لو اتيت به أغنيناك لكن تخرج كفافا لا عقابا ولا ثوابا وتوفي رحمه الله في غزاته للافرنج بصفر سنة اثنتين وتسعين وثلثمائه وحمل في سريره على أعناق الرجال وعسكره يحف به وبين يديه الى ان وصل الى مدينة سالم ودامت دولته ستا وعشرين سنة غزا فيها اثنتين وخمسين غزوة واحدة في الشتاء واخرى في الصيف انتهى كلام ابن سعيد وفي بعضه مخالفة لبعض كلام ابن خلدون * وقال الفتح في المطمح في حق المصحفي الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ماصورته تجرد للعليا وتمرد في طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوغ ذلك الجنى ووصل الى المنتهى وحصل على ما اشتهى دون مجد تفرع من دوحته ولا تخرج أبين مغداه وروحته فسما دون سابقة ورمى الى رتبة لم تكن لهمه مطابقة فبلغ بنفسه ونزع عن جنسه ولم يزل يستقل ويطلع وينتقل من مطلع الى مطلع حتى التاث في أفق الخلافة وارتاح اليه معظمها كنشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه قد كان يسمع وبه يبصر وحجب الامام وأسكب برأيه ذلك الغمام فادرك لذلك ما أدرك ونصب لاماني الحبائل والشرك فاقتنى اقتناء مدخر وأزرى بمن سواه وسخر واستعظمه ابن أبي عامر ونجمه غائر لم يطلع وسره مكتوم لم يتج ما عطف ولا جنى من روضة دنياه ولا قطف وأقام في تدبير الاندلس ما أقام وبرهانه مستقيم ومن الفتن عقيم وهو يجري من السعد في ميدان رحب ويباع من العز في مشرب عذب ويفض ختام السرور وينهض من الملك على لبنة مرزور وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض مسارع فمن محاسنه التي بها ناس دهره واسعاده وقاله حين ألهته سلماه وسعاده قوله

لعينيك في قلبي عليك شجون * وبين ضلوعي للشجون فنون
نصيبي من الدنيا هواك وانه * غذائي ولكني عليه ضنين

وستأتي هذه الترجمة من المطمح الصغير ان شاء الله تعالى عافيه بعض زيادة ونقصان في الباب الرابع * وقال في المطمح في حق ابن أبي عامر انه غرس ببلاد الشرك أعظم غرس ومحا من طواغيتها كل تحرف وتعطرس وغادرهم صرعى البقاع وتركهم أذل من وتد بقاع ووالى على بلادهم الوقائع وسدد الى أكبادهم سهام الفجائع وأغص بالحمام أرواحهم ونغص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم ومن أوضح الامور هنالك وأصح الاخبار في ذلك أن أحد رسله كان كثير الانتياب لذلك الجناب فسار في بعض مسيراته الى غرسية

صاحب

من أصوات الملاهي وغيره مملكة المهراج جزيرة سريرة ومسافتها في البحر نحو من أربعمائة فرسخ [illegible] متصلة به جزيرة الر[illegible] والرامي وغير ذلك مما لا يؤتى على ذكره من جزائره وملكه وهو صاحب (البحر السادس) وهو بحر الصنف ثم (البحر السابع) وهو بحر الصين على ما قدمنا آنفا ويعرف ببحر صنجي وهو بحر خبيث كثير الموج والخب وتفسير الخب الشدة العظيمة في البحر وإنما نخبر عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم وفيه جبال كثيرة لابد للمراكب من النفوذ بينها ثم ان ذلك البحر اذا عظم خبه وكثر موجه ظهرت فيه أشخاص سود طول الواحد منهم نحو الخمسة أشبار أو الاربعة كأنهم أولاد الاحابش الصغار شكلا واحدا وقدا واحدا فيصعدون على المراكب ويكثر منهم الصعود من غير ضرر فاذا شاهد الناس ذلك تيقنوا الشدة وظهورهم علامة للخب فيستعدون لذلك فمعافى ومبتلى فاذا كان كذلك ربما شاهدوا المعالي منهم في أعلى الدقل (وتسميه أرباب المراكب في بحر الصين وغيره في البحر الحبشي الدولي وتسميه الرجال في البحر الرومي الصاري) شيأ

والبحريون ممن اجتاز بتلك الديار يزعمون ان الدجال بتلك الجزيرة وفي

صاحب الشكنس ووالى فى اكرامه وتناهى فى بره واحترامه فطالت مدته ولا تنزه الامر عليه متفرجا ولا منزل الاسار عليه معرجا فخرج فى ذلك أكثر الكنائس هنالك فبينما هو يجول فى ساحتها ويجيل العين فى مساحتها اذ عرضت له امرأة قديمة الاسر نوية على طول الكسر فكلمته وعرفته بنفسها وأعلمته وقالت له أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بوسها ويتمتع بلبوس العافية وقد نفت لبوسها وزعمت أن لها عدة سنين بتلك الكنيسة محبسة وبكل ذل وصغار ملبسة وناشدته الله فى انهاء قصتها وابراء غصتها واستحلفته باغلظ الايمان وأخذت عليه فى ذلك أوكد مواثيق الرحمن فلما وصل الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه به واعلامه وهو مصغ اليه حتى تم كلامه فلما فرغ قال له المنصور وهل وقفت هنالك على أمر أنكرته أم لم تقف على غير ما ذكرته فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه اليه وبالمواثيق الذى أخذت عليه فعتبه ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه ثم أخذ للجهاد من فوره وعرض من أجناد فى نجده وغوره وأصبح غازيا على سرجه مباهيا مروان يوم مرجه حتى وافى ابن شنجة فى جمعه فأخذت مهابته ببصره وسمعه فبادر بالكتاب اليه يتعرف ما الجلية ويحلف له بأعظم أليته انه ما جنى ذنبا ولا جفا عن مضجع الطاعة جنبا فعنف ارساله وقال لهم كان قد عاقدنى أن لا يبقى ببلاده ماسورة ولا ماسور ولو حملته فى حواصلها النسور وقد بلغنى بعد بقاء فلانة المسلمة فى تلك الكنيسة ووالله لا انتهى عن أرضه حتى اكتسحها فأرسل اليه المرأة فى اثنتين معها وأقسم انه ما أبصرهن ولا سمع بهن وأعلمه ان الكنيسة التى أشار بعلمها قد بالغ فى هدمها تحقيقا لقوله وتضرع اليه فى الاخذ فيه بطوله فاستحيا منه وصرف الجيش عنه وأوصل المرأة الى نفسه وألحق توحشها بأنسه وغير من حالها وعاد بسوابغ نعماه على جدبها وامحالها وحملها الى قومها وكحلها بما كان شرد من نومها انتهى ❊ وقال فى المطمح أيضا فى حقه ما نصه فزدنا به على من تقدمه وصوبه واستحزمه فانه كان أمضاهم سنانا وأذكاهم جنانا وأتمهم جلالا وأعظمهم استقلالا فآل أمره الى ما آل وأوهم العقول بذلك المآل فانه كان آية الله فى اتفاق سعده وقربه من الملك بعد بعده بهر برفعة القدر واستظهر بالاناة وسعة الصدر وتحرك فلاح نجم الهدى وتملك فخفق بأرضه لواء عدو بعد تجول كابد منه غصصا وشرقا وتعذر مأمول طارد فيه سهرا وأرقا حتى أنجز له الموعود وفرخ له أمام تلك السعود فقام بتدبير الخلافة وأقعد من كان له فيها أنافة وساس الامور أحسن سياسة وداس الخطوب بأخشن دياسة فانتظمت له الممالك وانفتحت به المسالك وانتشر الامن فى كل طريق واستشعر اليمن بكل فريق وملك الاندلس بضعا وعشرين حجة لم تدحض لسعادتها حجة ولم تزحزحها كروه بها لجة لبست فيه البلاد الاشراق وتنفست عن مثل أنفاس العراق وكانت أيامه أحمد أيام وسهام بأسه أشد سهام غزا الروم شاتيا وصائفا ومضى فيما يروم زاجرا وعائفا فما رد له غير سنيح ولا فاز الا بالمعلى لا بالمنيح فأوغل فى تلك الشعاب وتغلغل حتى راع ليث الغاب ومشى تحت ألويته صيد القبائل واشتجرت فى ظلها بيض الظبا وسمر الذوابل وهو يقتضى الارواح بغير سوم وينتضى الصفاح على

على صورة الطائر يتوقد نورا لا يستطيع الناظر منهم على ملء بصره منه ولا ادراكه كيف هو فاذا استقل على أعلى الدقل يرون البحر يهدأ والامواج تصغر والخب يسكن ثم ان ذلك النور يفقد فلا يرى كيف أقبل ولا كيف ذهب فذلك علامة الخلاص ودليل النجاة وما ذكرنا فلا تناكر فيه عند أهل البصرة وسيراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر وما ذكرناه عنهم ممكن غير ممتنع ولا واجب اذ كان جائزا فى مقدور البارى جل وعز خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء وفى هذا البحر نوع من السراطين يخرج من البحر كالذراع والشبر وأصغر من ذلك وأكبر فاذا بان عن الماء بسرعة حركته صار على البر حجارة وزالت عنه الحيوانية ويدخل تلك الحجارة فى أكحال العين وأدويتها وأمره مستفيض أيضا ولبحر الصين أيضا وهو السابع المعروف بصنجى أخبار عجيبة وقد أتينا على جمل من أخباره وأخبار ما اتصل به من البحار فيما سلف من كتبنا وأسلفنا من تصنيفنا فى هذا المعنى ونحن ذاكرون فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الملوك جوامع وجمل من ذلك وليس بعد بلاد الصين مما يلى البحر ممالك تعرف ولا توصف الا بلاد السلى وجزائرها ولم يصل اليها من الغرباء

كل دوم ريتلف من ينساق للخلافة وينقاد ويخصف منهم كل كوكب وقاد حتى استبد وامرن وأنس ابه من الطاعة مانفروشرد وانتظمت له الاندلس بالعدوة واجتمعت فى ملامه اجتماع قريش بدار الندوة ومع هذا لم يخلع اسم الحجابة ولم يدع السمع لخلافته والاجابة ظاهر بخالفه الباطن واسم تنافره مواقع الحكم والمواطن وأذل قبائل الاندلس باجازة البرابر واخمل بهم أولئك الاعلام الاكابر فانه قاومهم بأضدادهم واستكثر من اعدادهم حتى تغلبوا على الجمهور وسلبوا عنهم الظهور ووثبوا عليهم الوثوب المشهور الذى اعاد أكثر الاندلس قفرا يبابا وملاها وحشا وذئابا واعراها من الامان برهة من الزمان وعلى هذه الهيئة فهو وابنه المظفر كانا آخر سعد الاندلس وحد السرور بهما والتانس وغزواته فيها شائعة الاثر رائعة كالسيف ذى الاثر وحسبه وافر ونسبه معافر ولذا قال يعفر رميت بنفسى الابيات وزاد هنا بعد قوله وابيض باتر بيتا وهو

وانى لزجاء الجيوش الى الوغى * اسود تلاقيها اسود خوادر

وكانت امه تميمية فحاز الشرف بطرفيه والتحف بطرفيه ولذا قال القسطلى فيه

تلاقت عليه من تميم ويعرب * شموس تلالا فى العلا وبدور
من الحمير بين الدين اكفهم * سحائب تهمى بالندى وبحور

وتصرف قبل ولايته فى شتى الولايات وجاء من التحدث بشأن أمره بآيات حتى صح زجره وجاء بعجبه خبره تؤثر عنه فى ذلك أخبار فيها عجب واعتبار وكان أديبا محسنا وعالما متفننا فمن ذلك قوله يمنى نفسه بملك مصر والحجاز ويستدعى صدور تلك الاعجاز

منع العين ان تذوق المناما * حبها ان ترى الصفا والمقاما
لى ديون بالشرف عند اناس * قد احلوا بالمشعرين الحراما
ان قضوها نالوا الامانى والا * جعلوا دونها رقابا وهاما
عن قريب ترى خيول هشام * يبلغ النيل خطوها والشآما

انتهى مانقله من المطمح * وفى المنصور المذكور ايضا قال بعض مؤرخى المغرب مازجا كلامه ببعض كلام الفتح بعد ذكر استعانته ببعض الناس على بعض وذكر قتله لجعفر بن عثمان فقال بعد ماصورته ثم انفرد بنفسه وصار ينادى هل من مبارز فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه فانقاد وساعده فاستقام أمره منفردا بمملكة لاسلف له فيها ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط فى حرب شهدها وماتوجهت عليه هزيمة وما انصرف عن موطن الا قاهرا غالبا على كثرة مازاول من الحروب ومارس من الاعداء وواجه من الامم وانها لخاصة ماحسب احدا من الملوك الاسلامية شاركه فيها ومن أعظم ما اعين به مع قوة سعده وتمكن جده سعة جوده وكثرة بذله فقد كان فى ذلك أعجوبة الزمان وأول ما اتكأ على أرائك الملوك وارتفق وانتشر عليه لواء السعد وخفق حط صاحبه المصحفى وأثار له كامن حقده الخفى حتى اصاره للهموم لبيسا وفى غايات السجن حبيسا فكتب اليه يستعطفه بقوله

هبنى أسأت فاين العفو والكرم * اذ قادنى نحوك الادعان والندم

أحد من العراق ولا نظيره فى ... منها لصحة هوائها ورقة مائها وجودة تربتها وكثرة خيرها وصفاء جوهرها الا النادر من الناس وأهلها مهادنون ... وملوكها والهدايا بينهم لم تكد تنقطع ... ولد ... على ... من سكنى أهل ... بلادهم ولا ... كما رسل ... والفرات تجرى من بلاد ... والصعد وهى بين بخارى وسمرقند وهنالك جبل النوشادر فاذا كان فى الصيف رؤيت فى الليل نيران قد ارتفعت من تلك الجبال من نحو ... فرسخ وبالنهار يظهر منها الدخان على شعاع الشمس ومن ذلك الموضع ... يحمل النوشادر فاذا كان فى أول الشتاء من أراد من بلاد خراسان ان يسلك الى بلاد الصين ... الى ما هنالك وهنالك واد بين تلك الجبال طوله أربعون ميلا أو خمسون فيأتى الى أناس هناك على فم الوادى فيرغبهم فى الاجرة النفيسة فيحملون مامعه على اكتافهم وبأيديهم لعدى يضربون جنبيه خوف أن يكل أو يقف فيموت من كرب الوادى وهوله حتى يخرجون الى ذلك الرأس من الوادى وهنالك غابات ومستنقعات للماء فيطرحون أنفسهم فى ذلك الماء لما قد نالهم من شدة الكرب وحر النوشادر ولا يسلك ذلك

ياخير من مدت الايدى اليه أما * ترثى لشيخ رماه عندك القلم
بالغت فى الحط فاصفح صفح مقتدر * ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

فما زاده ذلك الا حنقا وحقدا وما أفادته الابيات الا تصرما ووقدا فراجعه بما أيأسه وأراه مسه وأطبق عليه محبسه وضيق ترويحه من المحنة وتنفسه

الآن ياجاهلا زلت بك القدم * تبغى التكرم لما فاتك الكرم
أغريت بى ملكا لولا تثبته * ماجاز لى عنده نطق ولا كلم
فايأس من العيش اذ قد صرت فى طبق * ان الملوك اذا ما استنقموا نقموا
نفسى اذا سخطت ليست براضية * ولو تشفع فيك العرب والعجم

وكان من أخباره الداخلة فى أبواب البر والقربة بنيان المسجد الجامع الى أن قال ومن ذلك بناؤه قنطرة على نهر قرطبة الاعظم ابتدأ بناءها المنصور سنة ثمان وسبعين وثلثمائة وفرغ منها فى النصف من سنة تسع وسبعين وانتهت النفقة عليها الى مائة ألف دينار واربعين ألف دينار فعظمت بها المنفعة وصارت صدرا فى مناقبه الجليلة وكانت هنالك قطعة أرض لشيخ من العامة ولم يكن للقنطرة عدول عنها فأمر المنصور أمناءه بارضائه فيها لحضر الشيخ عندهم فساوموه بالقطعة وعرفوه وجه الحاجة اليها وأن المنصور لا يريد الا انصافه فيها فرماهم الشيخ بالغرض الاقصى عنده فيما ظنه أنها لا تخرج عنه بأقل من عشرة دنانير ذهبا كانت عنده أقصى الامنية وشرطها صحاحا فاغتنم الامناء غفلته ونقدوه الثمن وأشهدوا عليه ثم أخبروا المنصور بخبره فضحك من جهالته وأنف من غبنه وأمر أن يعطى عشرة أمثال ماسأل وتدفع له صحاحا كما قال فقبض الشيخ مائة دينار ذهبا فكاد أن يخرج من عقله وان يجن عند قبضها من الفرح وجاء محتفلا فى شكر المنصور وصارت قصته خبرا سائرا (ومن ذلك أيضا) بناء قنطرة على نهر أستجة وهو نهر شنيل وتجشم لها أعظم مؤنة وسهل الطريق الوعرة والشعاب الصعبة (ومن ذلك أيضا) انه خط بيده مصحفا كان يحمله معه فى أسفاره وغزواته يدرس فيه ويتبرك به ومن قوة رجائه أنه اعتنى بجمع ما على وجهه من الغبار فى غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل فى كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتصييره فى حنوطه وكان يحملها حيث سار معه كأنه توقع الحلول منيته وقد كان اتخذ الاكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل بناته وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه فى طريق الجهاد فكان كذلك وكان متسما بصحة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه من ربه وكثرة جهاده واذا ذكر بالله ذكر واذا خوف من عقابه ازدجر ولم يزل متنزها عن كل ما يفتتن به الملوك سوى الخمر لكنه أقلع عنها قبل موته بسنتين وكان عدله فى الخاصة والعامة وبسط الحق على الاقرب فالاقرب من خاصته وحاشيته أمرا مضروبا به المثل *(ومن عدله) انه وقف عليه رجل من العامة بمجلسه فنادى يا ناصر الحق ان لى مظلمة عند ذلك الوصيف الذى على رأسك وأشار الى الفتى صاحب الدرقة وكان له فضل محل عنده ثم قال وقد دعوته الى الحاكم فلم يأت فقال له المنصور أو عبد الرحمن بن فطيس بهذا العجز والمهانة وكنا ظننه أمضى من ذلك اذكر مظلمتك ياهذا فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما

الطريق شئ من البهائم لان النوشادر يلتهب نارا فى الصيف فلا يسلك ذلك الوادى داع ولا مجيب فاذا كان الشتاء وكثرت الثلوج والانداء وقع فى ذلك الموضع فأطفأ حر النوشادر ولهبه فسلك الناس حينئذ ذلك الوادى والبهائم لاصبر لها على ماذكرنا من حره وكذلك من ورد من بلاد الصين فعل به كذلك من الضرب وفعل بالماضى والسالك من بلاد خراسان على الموضع الذى ذكرناه الى بلاد الصين نحو من أربعين يوما عامر وغير عامر ودهاس ورمل وفى غير هذه الطريق ممر يسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر الا أن ذلك فى خفارات أنواع من الترك وقد رأيت بمدينة بلخ شيخا جميلا ذا رأى وفهم وقد دخل الصين مرارا كثيرة ولم يركب البحر قط ورأيت عدة من الناس ممن سلك على جبال النوشادر الى أرض التبت والصين ببلاد خراسان والسند يلى بلاد المنصورة والمولتان والقوافل متصلة من السند الى خراسان وكذلك الى الهند الى أن تتصل هذه الديار ببلاد زابلستان وهى بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروز بن كبك وفيها قلاع عجيبة ممتنعة ولغات مختلفة وأمم كثيرة وقد تنازع الناس فى أنسابهم فمنهم من ألحقهم بولد يافث بن نوح ومنهم من ألحقهم بالفرس الاولى فى نسل طويل وبلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين والغالب

منه فقال المنصور ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية ثم نظر الى الصقلبي وقد ذهل
عقله فقال له ادفع الدرقة الى فلان وانزل صاغرا واسو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو
يضعك ففعل ومثل بين يديه ثم قال لصاحب شرطته الخاص به خذ بيد هذا الفاسق الظالم
وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره
ففعل ذلك وعاد الرجل اليه شاكرا فقال له المنصور قد انتصفت أنت اذهب لسبيلك وبقي
انتصافي أنا ممن تهاون بمنزلتي فتناول الصقلبي بانواع من المذلة وأبعده عن الخدمة * (ومن
ذلك) قصة فتاه الكبير المعروف بالبورقي مع التاجر المغربي فانهما تنازعا في خصومة توجهت
فيها اليمين على الفتى المذكور وهو يومئذ أكبر خدم المنصور واليه أمر داره وحرمه فدافع
الحاكم وظن أن جاهه يمنع من احلافه فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه الى الجامع متظلما
من الفتى فوكل به في الوقت من حمله الى الحاكم فأنصفه منه وسخط عليه المنصور وقبض
نعمته منه ونفاه * (ومن ذلك) قصة محمد فصاد المنصور وخادمه وأمينه على نفسه فان
المنصور احتاج يوما الى الفصد وكان كثير التعهد له فأنفذ رسوله الى محمد فألفاه الرسول
محبوسا في سجن القاضي محمد بن زرب لحيف ظهر منه على امرأته قدر أن سبيله من الخدمة
تحميه من العقوبة فلما عاد الرسول الى المنصور بقصته أمر باخراجه من السجن مع رقيب من
رقباء السجن يلزمه الى أن يفرغ من عمله عنده ثم يرده الى محبسه ففعل ذلك على ما رسمه
وذهب الفاصد الى شكوى ما ناله فقطع عليه المنصور وقال له يا محمد انه القاضي وهو في عدله
ولو أخذني بالحق ما أطقت الامتناع منه عد الى محبسك واعترف بالحق فهو الذي يطلقك
فانكسر الحاجم وزالت عنه ريح العناية وبلغت قصته للقاضي فصالحه مع زوجته وزاد
القاضي شدة في أحكامه * وقال ابن حيان انه كان جالسا في بعض الليالي وكانت ليلة شديدة
البرد والريح والمطر فدعا بأحد الفرسان وقال له انهض الآن الى فج طالس وأقم فيه فأول
خاطر يخطر عليك سقه الي قال فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر واقفا على
فرسه اذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الحطب فقال له الفارس الى
أين تريد يا شيخ فقال وراء حطب فقال الفارس في نفسه هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل
يسوق حطبا فماذا عسى أن يريد المنصور منه قال فتركته فسار عني قليلا ثم فكرت في قول
المنصور وخفت سطوته فنهضت الى الشيخ وقلت له ارجع الى مولانا المنصور فقال له وماذا
عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلي سألتك بالله أن تتركني أذهب لطلب معيشتي فقال له
الفارس لا أفعل ثم قدم به على المنصور ومثله بين يديه وهو جالس لم ينم ليلته تلك فقال
المنصور للصقالبة فتشوه ففتشوه فلم يجدوا معه شيئا فقال فتشوا برذعة حماره فوجدوا
داخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى أصحابهم من النصارى
ليقدموا ويقبلوا الى احدى النواحي الموطوءة فلما انبلج الصبح أمر باخراج أولئك النصارى
الى باب الزاهرة فضربت أعناقهم وضربت رقبة الشيخ معهم ثم ذكر هذا المؤرخ قصة
الجوهري التي قدمنا نقلها من مغرب ابن سعيد ولكنا أعدناها بلفظ هذا المؤرخ لأنه
أتم سياقا وأدل على دهائه * ومن ذلك قصة الجوهري التاجر وذلك أن رجلا
جوهريا

التابعة على حسب ما ذكرنا من اخبار ملوك اليمن فيما يرد من هذا الكتاب وذلك ... لهم حمير وفيهم بعض
موجود في أخبار ... ولهم حصون ومدن ونواحيهم
ترك لا تقدر لكثرة ولا يحاولهم
أحد من ... الملك
وهم ... سائر
أجناس البربر لأن الملك
كان فيهم في ...
وتمدن سائر أجناس البربر
أن الملك ... فيهم
ويرجع فيهم وللبلاد البيت
خواص عجيبة في هوائها
وسهلها ... ولا
... أبدا بها
... ولا
يعرض له الاخرون ولا
العموم ... ولا
يحصى عجائب ...
وزهرها ... وأنهارها
وأنهارها هي بلاد تقرى
... على ...
... ولا يكاد يرى
في هذا البلد ...
ولا يجوز ...
... والشباب ولا حدثان عام
وفي أهلها فرح وبشاشة
وأريحية تبعث على كثرة
استعمال الملاهي وأنواع
... الرقص حتى ان البيت
... لا يكاد يدخل أهله
... كثير من ... مما
... من سائر الناس
... أو ...
مطلوب ... من كثير من
بعضهم على بعض والتي ... كذلك في سائر بلادهم وهذه البلاد تسمى ... ثبت فيها وترتيب

جوهريا من تجار المشرق قصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كثير وأحجار نفيسة فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى التاجر الجوهري صرته وكانت قطعة يمانية فأخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر فلما توسطها واليوم قائظ وعرق منصب دعته نفسه الى التبرد في النهر فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط فمرت حدأة فاختطفت الصرة تحسبها لحما وصاعدت في الافق بها ذاهبة فقطعت الافق الذي ينظر اليه عين التاجر فقامت قيامته وعلم انه لا يقدر أن يستدفع ذلك بحيلة فأسر الحزن في نفسه ولحقه لاجل ذلك علة اضطرب فيها وحضر الدفع الى التجار فحضر الرجل لذلك بنفسه واستبان للمنصور ما بالرجل من المهانة والكآبة وفقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة فسأله المنصور عن شانه فأعلمه بقصته فقال له هلا أتيت الينا بحدثان وقوع الامر فكنا نستظهر على الحيلة فهل هديت الى الناحية التي أخذ الطائر اليها قال مر مشرقا على سمت هذا الجبل الذي يلي قصرك يعني الرملة فدعا المنصور شرطيه الخاص به فقال له جئني بمشيخة أهل الرملة الساعة فمضى وجاءبهم سريعا فأمرهم بالبحث عمن غير حاله الاقلال منهم سريعا وانتقل عن الاضاقة دون تدريج فتناظروا في ذلك ثم قالوا يا مولانا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم ويتناولون السبق باقدامهم عجزا عن شراء دابة فابتاع اليوم دابة واكتسى هو وولده كسوة متوسطة فأمر باحضاره من الغد وأمر التاجر بالغدو الى الباب فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور فاستدناه والتاجر حاضر وقال له سبب ضاع منا وسقط اليك ما فعلت به قال هو ذا يا مولاي وضرب بيده الى حجزة سراويله فأخرج الصرة بعينها فصاح التاجر طربا وكاد يطير فرحا فقال له المنصور صف لي حديثها فقال بينما أنا أعمل في جناني تحت نخلة اذ سقطت أمامي فأخذتها وراقني منظرها فقلت ان الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار فاحترزت بها ودعتني فاقتي الى أخذ عشرة مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة وقلت أقل ما يكون في كرم مولاي أن يسمح لي بها فأعجب المنصور ما كان منه وقال للتاجر خذ صرتك وانظرها واصدقني عن عددها ففعل وقال وحق رأسك يا مولاي ما ضاع منها شئ سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له فقال له المنصور نحن أولى بذلك منك ولا ننغص عليك فرحك ولولا جمعه بين الاصرار والاقرار لكان ثوابه موفورا عليه ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضا من دنانيره وللجاني بعشرة دنانير ثوابا لتأنيه عن فساد ما وقع بيده وقال لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناه جزاء قال فأخذ التاجر في الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه وقال والله لأبثن في الاقطار عظيم ملكك ولأبينن أنك تملك طير أعمالك كما تملك أنسها فلا تعتصم منك ولا تمنع ولا تؤذي جارك فضحك المنصور وقال اقصد في قولك يغفر الله لك وعجب الناس من تلطف المنصور في أمره وحيلته في تعرف كربه ‹‹ (ومن ذلك) غزوة المنصور لمدينة شنت ياقب[٣] قاصية غليسية وأعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس وما يتصل بها من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا وللكعبة المثل الاعلى فبها يحلفون واليها يحجون من اقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقب الحواري أحد الاثنى عشر وكان أخصهم بعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهم يسمونه

٣ قوله ياقب الذي في تقويم البلدان لابي الفداء ياقو اهـ مصححه

وقد افتخر دعبل بن علي الخزاعي بذلك في قصيدته التي يناقض فيها الكميت ويفخر بقحطان على نزار فقال

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا السمرقند بشمر وهم غرسوا هناك التبتينا

وسنذكر في باب اخبار ملوك اليمن طرفا من اخبار ملوكهم ومن طاف منهم البلاد وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من احدى جهاته ولارض الهند وخراسان ولمفاوز الترك ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات منعة وقوة وقد كانوا في قديم الزمن يسمون ملوكهم تبعا لاتباع اسم تبع ملك اليمن ثم ان الدهر ضرب ضرباته وتغيرت لغاتهم عن الحميرية وحالت الى لغة تلك البلاد ممن جاورهم من الامم وسموا ملوكهم خاقان وفي بلادهم الارض التي بها ظباء المسك التبتي الذي يفضل على الصيني بجهتين احداهما ان ظباء التبت ترعى سنبل الطيب وانواع الافاويه وظباء الصين ترعى الحشيش دون ما ذكرنا من انواع حشائش الطيب التي ترعاه التبتية والجهة الاخرى ان اهل التبت لا يتعرضون الى اخراج المسك من نوافجه ويتركونه على ما هو به واهل الصين يخرجونه عن النوافج

أخاه للزومه اياه ويلقب بلسانهم يعقوب وكان أسقفا ببيت المقدس فجعل يستقرى الارضين داعيا لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى أرض الشام فمات بها وله مائة وعشرون سنة شمسية فاحتمل أصحابه رمته فدفنوها بهذه الكنيسة التى كانت أقصى أثره ولم يطمع أحد من ملوك الاسلام فى قصدها ولا الوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد شقتها فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلثمائة وهى غزوته الثامنة والاربعون ودخل على مدينة قورية فلما وصل الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمسكين بالطاعة فى رجالهم وعلى أتم احتفالهم فصاروا فى عسكر المسلمين وركبوا فى المغاورة سبيلهم وكان المنصور تقدم فى انشاء اسطول كبير فى الموضع المعروف بقصر أبى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجالة البحريين وصنوف المترجلين وحمل الاقوات والاطعمة والعدة والاسلحة استظهارا على نفوذ العزيمة الى أن خرج بموضع برتقال على نهر دويرة فدخل فى النهر الى المكان الذى عمل المنصور على العبور منه فعقد هنالك من هذا الاسطول جسرا بقرب الحصن الذى هنالك ووجه المنصور ما كان فيه من الميرة الى الجند فتوسعوا فى التزود منه الى أرض العدو ثم نهض منه يريد شنت ياقب فقطع أرضين متباعدة الاقطار وقطع بالعبور عدة أنهار كبار وخلجان يمدها البحر الاخضر ثم أفضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد فرطارس وما يتصل بها ثم أفضى الى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق لم يهتد الادلاء الى سواه فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه فقطعه العسكر وعبر وادى منية وانبسط المسلمون بعد ذلك فى بسائط عريضة وأرضين واسعة وانتهت مغيرتهم الى دير قشان وبسيط بلنبو على البحر المحيط وفتح واحصن شنت بلايه وغنموه وعبروا سباحة الى جزيرة من البحر المحيط لجأ اليها خلق عظيم من أهل تلك النواحى فسبوا من فيها ممن لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل مراسية المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط فتخللوا أقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجا فى معبرين أرشدا الادلاء اليهما ثم نهر أيلة ثم أفضوا الى بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقب صاحب القبر تلو مشهد قبره عند النصارى فى الفضل يقصده نساكهم من أقاصى بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما فغادره المسلمون قاعا وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقب البائسة وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من أهلها فحاز المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها وعفوا آثارها ووكل المنصور بقبر ياقب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيما كأن لم تغن بالامس وانتسفت بعد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش الى مدينة شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط وهى غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا وطئها لغير أهلها قدم فلم يكن بعدها للخيل مجال ولا وراءها انتقال وانكفأ المنصور عن باب شنت ياقب وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله فجعل فى طريقه القصد على عمل برمند بن اردون يستقريه عائثا ومفسدا حتى وقع فى عمل القوامس المعاهدين الذين فى عسكره فأمر بالكف عنها ومر مجتازا حتى

خرج

ويلحقه الغش بالدم ونحوه من أنواع الغش وان الصينى ايضا يقطع به ما وصفنا من مسافة البحار وكثرة الانداء واختلاف الاهوية وان عدم من اهل الصين الغش فى مسكهم وأودع برانى الزجاج واحكم وأورد الى بلاد الاسلام من عمان وفارس والعراق وغيرها من الامصار كان كالتبتى وأجود المسك وأصله ما خرج من الظباء بعد بلوغه النهاية فى النضج وذلك انه لا فرق بين غزلاننا هذه وبين غزلان المسك فى الصورة والشكل واللون والقرن وانما تتبين تلك بأنياب لها كأنياب الفيلة لكل ظبى نابان خارجان من الفكين قائمان منتصبان نحو الشبر وأقل وأكثر فتنصب لها فى بلاد التبت والصين الحبائل والاشراك والشباك فيصطادونها وربما رموها بالسهام فيصرعونها فيقطعون عنها نوافجها والدم فى سررها خام لم ينضج وطرى لم يدرك فيكون لرائحته سهوكة فيبقى زمانا حتى تزول منه تلك الرائحة الكريهة ويستحيل بمواد من الهواء فيصير مسكا وسبيل ذلك سبيل الثمار اذا أبينت عن الاشجار وقطعت قبل استحكام نضجها فى شجرها واستكمال موادها فيه وخير المسك ما نضج فى وعائه وأدرك فى سرره واستحكم فى حيوانه وتمام مواده فى ذلك أن

خرج على حصن بليقية من افتتاحه فاجاز هنالك القوامس بجملتهم على أقدارهم وكساهم وكسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه لملوك الروم ولمن حسن غناؤه من المسلمين ألفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي واحدى وعشرين كساء من صوف البحر وكساءين عبريين واحد عشر سقلاطونا وخمس عشرة مريشا وسبعة انماط ديباج وثوبي ديباج رومي وفروي فنك ووافى جميع العسكر قرطبة غانما وعظمت النعمة والمنة على المسلمين ولم يجد بشنت ياقب الا شيخا من الرهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اونس يعقوب وامر بالكف عنه قال وحدث شعلة قال قلت للمنصور ليلة اطال سهره فيها قد أفرط ولا نافي السهر وبدنه يحتاج الى أكثر من هذا النوم وهو أعلم بما يحركه عدم النوم من علة العصب فقال يا شعلة الملك لا ينام اذا نامت الرعية ولو استوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة انتهى ما نقلته من الكتاب المذكور * وقد رأيت أن أذكر هنا أخبارا نقلتها من كتاب الازهار المنثورة في الاخبار المأثورة (قال في الزهرة التاسعة والعشرين) تقدم الى المنصور واترمار بن أبي بكر البربري والى أحد جنود المعاربة وقد جلس للعرض والتمييز والميدان غاص بالناس فقال له بكلام يضحك الثكلى يا مولاي مالي ولك أسكني فاني في العرص فقال وما دارك يا واترمار وأين دارك الواسعة الاقطار فقال أخرجتني عنها والله نعمتك اعطيتني من الضياع ما انصب على منها من الاطعمة ما ملأ بيوتي وأخرجني عنها وأنا بربري جوّ ع حديث عهد بالبؤس اترانى أبعد القمح عني ليس ذلك من رأيي فتطلق المنصور وقال لله درك من فذعي لعيك في شكر النعمة ابلغ عندنا وآخذ بقلوبنا من كلام كل أشدق متزيد وبليغ متفنن وأقبل على من حوله من أهل الاندلس فقال يا أصحابنا هكذا فلتشكر الايادي وتستدام النعم لا ما أنتم عليه من الجحد اللازم والتشكي المبرح وأمر له بافضل المنازل الخالية * (وفي الموفية ثلاثين) ما نصه أصبح المنصور صبيحة أحد وكان يوم راحة للخدمة الذي أعفوا فيه من قصد الخدمة في مطر وابل غب أيام مثله فقال هذا يوم لا عهد بمثله ولا حيلة للواطبين لتصدنا في مكابدته فليت شعري هل شذ أحدهم عن التغرير فاغرب في البكور اخرج وتامل يقوله لحاجبه فخرج وعاد اليه ضاحكا وقال يا مولاي على الباب ثلاثة من البرابرة ابو الناس بن صالح واثنان معه وهم بحال من البلل انما توصف بالمشاهدة فقال أوصلهم الي وعجل بدخلوا عليه في حال الملاح بللا ونداوة فضحك اليهم وادنى مجلسهم وقال خبروني كيف جئتم وعلى أي حال وصلتم وقد استكان كل ذي روح في كنه ولاذ كل طائر بوكره فقال له أبو الناس بكلامه يا مولانا ليس كل التجار قعد عن سوقه واذا عذر التجار على طلب الربح بالفلوس فنحن أعذر بادرا كنا البدر ومن غير رؤس الاموال وهم يتناوبون الاسواق على أقدامهم ويذيلون في قصدها ثيابهم ونحن نأتيك على خيلك ونذيل على صهواتها ملابسك ونجعل الفضل في قصدك مضمونا اذ جعله أولئك طمعا ورجاء فترى لنا أن نجلس عن سوقنا هذا فضحك المنصور ودعا بالكسا والصلات فدفعت لهم وانصرفوا مسرورين بغدوتهم * (وفي الزهرة الرابعة والاربعين) ما نصه كان بقرطبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر فتى من أهل الادب قد رقت

الطبيعة تدفع مواد الدم الى السر فاذا استحكم كون الدم فيه ونضج آذاه ذلك وحكه فيفزع حينئذ الى أحد الصخور والاحجار الحارة من حر الشمس فيحتك بها مستلذا بذلك فينفجر حينئذ ويسيل على تلك الاحجار كانفجار الخراج والدمل ونضج ما فيه عند ترادف المواد عليه فيجد لخروجه لذة فاذا فرغ ما في نافجته اندمل حينئذ ثم اندفعت اليه مواد من الدم وتجتمع ثانية ككونه بدأ فتخرج رجال التبت يقصدون مراعيها بين تلك الاحجار والجبال فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور والاحجار وقد أحكمته المواد وانضجته الطبيعة في حيوانه وجففته الشمس وأثرت فيه الهواء فيأخذونه فذلك أفضل المسك فيودعونه نوافج معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها معدة معهم فذلك الذي تستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم ويحمله التجار في النادر من بلادهم وللتبت ذو ومدن كثيرة فيضاف مسك كل ناحية اليها وقد انقادت الى ملكه ملوك الصين والترك والهند والزنج وسائر ملوك العالم وان منزلته فيها كمنزلة القمر في الكواكب لان اقليمه أشرف الاقاليم ولانه أكثر الملوك مالا وأحسنهم طبعا وأكثرهم سياسة وأثبتهم قدما وهذا وصف ملوك هذا الاقليم فيما مضى الى هذا

حنفى لطلب وتعلق بكتاب العمل واختلف الى الخزانة مدة حتى تلد بعض الاعمال فاستهلك كثير من المال فلما ضم الى الحساب ابرز عليه ثلاثة آلاف دينار فرفع خبره الى المنصور فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ولزم الاقرار بما برز عليه قال له يا فاسق ما الذى جرأك على مال السلطان تنتهبه فقال قضاء غلب الرأى وفقر أفسد الامانة فقال المنصور والله لاجعلنك نكالا لغيرك ليحضر كبل وحداد فاحضر فكبل الفتى وقال احملوه الى السجن وأمر الضابط بمحاسبته والشدة عليه فلما قام أنشأ يقول

اواه أواه وكم ذا ارى * أكثر من تكرار اواه
ما لامرئ حول ولا قوة * الحول والقوة لله

فقال المنصور ردوه فلما رد قال أتمثلت أم قلت قال بل قلت فقال حلوا عنه كبله فلما حل عنه أنشأ يقول

أما ترى عفو أبي عامر * لابد ان تتبعه منه
كذلك الله اذا ما عفا * عن عبده أدخله الجنه

وأمر باطلاقه وسوغه ذلك المال وأبرأه من التبعة فيه *(وفي الخامسة والاربعين) عرض على المنصور بن أبي عامر اسم أحد خدمه في جملة من طال سجنه وكان شديد الحقد عليه فوقع على اسمه بان لا سبيل الى اطلاقه حتى يلحق بامه الهاويه وعرف الرجل بتوقيعه فاهتم واغتم وأجهد نفسه في الدعاء والمناجاة فأرق المنصور اثر ذلك واستدعى النوم فلم يقدر عليه وكان يأتيه عند تنويمه آت كريه الشخص عنيف الاخذ يامره باطلاق الرجل ويتوعده على حبسه فاستدفع شأنه مرارا الى أن علم انه نذير من ربه فانقاد لامره ودعا بالدواة في مرقده فكتب باطلاقه وقال في كتابه هذا طليق الله على رغم أنف ابن أبي عامر وتحدث الناس زمانا بما كان منه *(وفي السادسة والاربعين) ما نصه انتهت هيبة المنصور بن ابي عامر وضبطه للجند واستخدامه ذكور الرجال وقوام الملك الى غاية لم يصل لها ملك قبله فكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلا في الاطراق حتى ان الخيل لتتمثل اطراق فرسانها فلا تكثر التصهيل والحمحمة ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله فقال على بشاهر السيف فمثل بين يديه لوقته فقال ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن فقال انى أشرت به الى صاحبى مغمدا فدلق من غمده فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودى عليه بذنبه *(وفي السابعة والاربعين) ان المنصور كان به داء في رجله واحتاج الى الكى فأمر الذى يكويه بذلك وهو قاعد في موضع مشرف على أهل مملكته فجعل يأمر وينهى ويفرى الفرى في أموره ورجله تكوى والناس لا يشعرون حتى شموا رائحة الجلد واللحم فتعجبوا من ذلك وهو غير مكترث *(وأخباره رحمه الله تعالى) تحتمل مجلدات فلنمسك العنان على أنا ذكرنا فى الباب الرابع والسادس من هذا الكتاب جملة من أخباره رحمه الله تعالى فليراجع الى آخره *(وفي الثامنة والاربعين) وكان مما أعين به المنصور على الملك ميل الوزراء اليه وايثارهم اياه عليه وسعيهم في

الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكانوا يلقبون هذا الملك شاه وتفسيره ملك الملوك ومنزلته في العالم منزلة القلب من جسد الانسان والواسطة من القلادة ثم تلوه ملك الهند وهو ملك الحكمة وملك الفيلة لان عند ملوك الاكاسرة ان الحكمة من الهند بدؤها ثم تلوه في المرتبة ملك الصين وهو ملك الرعاية والسياسة واتقان الصنعة وليس في ملوك العالم أكثر رعاية وتفقدا من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه وهو ذو بأس شديد وقوة ومنعة له الجنود المستعدة والكراع والسلاح ويرزق جنده كفعل ملوك بابل ثم يتلوه ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوسان وهو ملك الطغرغر من الترك ويدعى ملك السباع وملك الخيل اذ ليس في ملوك العالم أشد بأسا من رجاله ولا أشد استشمارا منه على سفك الدماء ولا أكثر خيلا منه ومملكته بين بلاد الصين ومفاوز خراسان ويدعى بالاسم الاعم أبرجان وللترك ملوك كثيرة واجناس مختلفة ولا تنقاد الى مملكته الا انه ليس فيها من يدانى مملكته ثم ملك الروم ويدعى ملك الرجال وليس في ملوك العالم أصبح وجوها من رجاله ثم ان ملوك العالم تتفاوت مراتبها ولا تتساوى وقد قال ذو عناية بأخبار

ترفيه

ترقيه وأخذهم بالعصبية فيه فانهاوان لم تكن حمية أعرابية فقد كانت سلفيه سابقة يقتفى القوم فيها سبيل سلفهم ويحفلون بها ابتذال شرفهم غادروها سيرة وتخذوها عادة أثيرة تشاح الخلف فيها تشاح سلفهم أهل الديانة وصانوا بها مراتبهم أعظم صيانة ورأوا ان أحدا الا يلحق فيها غاية ولا يتعاقد لها راية فلما اصطفى الحكم المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه ووضعه من أثرته حيث وضعه وهو نزيع بينهم ونابغ فيهم حسدوه وذموه وخصوه بالمطالبة وعموه وكان أسرع صنف الناقمين أعالى الوزراء وأعاظم الدولة على معاودة المنصور عليه والانحراف عنه آل أبى عبيدة وآل شهيد وآل حدير من الخلفاء وأصحاب السدانة من أولى الشرف والامانة وكانوا فى الوقت ازمة الملك وقوام الخدمة ومصابيح الامة وأغير الخلق على جاه وحرمة فأحظوا محمد بن أبى عامر متابعة و بعض أسبابه الجامعة متابعة وشادوا بناءه وقادوا الى عنصره سناءه حتى بلغ الامل واشتف عناءوا كتحل وعند انتظام هذه الامور لابن أبى عامر استكان جعفر بن عثمان للحادثه وأيقن بالنكبه وزوال الحال وانتقال الرتبة وكف عن اعتراض محمد وشركته فى التدبير وانقبض الناس من الرواح اليه والتبكير وانثالوا على ابن أبى عامر فخف موكبه وغار من سماء العز كوكبه وتوالى عليه سعى ابن أبى عامر وطلبه الى أن صار يغدو الى قرطبة ويروح وليس بيده من الحجابة الا مجرد اسمها وابن ابى عامر مشتمل على رسمها حتى محاه وهتك ظله وأضحاه قال ابن اسمعيل رأيته يساق الى مجلس الوزارة للمحاسبة راجلا فأقبل يدرم وجوارحه باللواعج تضطرم وواثق الدعاء ينهره والزمع يقهره والنفس قد هاضها وقصر اخطاه فسمعته يقول رفقا بى فستدرك ما تحبه وتشتهيه وترى ما كنت ترتجيه ويا ليت أن الموت يباع فأغلى سومه حتى يرده من طال عليه حومه

لا تأمنن من الزمان تقلبا * ان الزمان بأهله يتقلب

ولقد أرانى والليوث تخافنى * فأخافنى من بعد ذاك الثعلب

حسب الكريم مذلة ومهانة * أن لا يزال الى لئيم يطلب

فلما بلغ المجلس جلس فى آخره دون أن يسلم على أحد أو يومئ اليه بعين أو يد فلما أخذ مجلسه تسرع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر فعنفه واستخفاه وأنكر عليه ترك السلام وجعفر معرض عنه الى أن كثر القول منه فقال له يا هذا جهلت المبرة فاستجهلت معلمها وكفرت النعم فقصدت بالاذى ولم ترهب معدمها ولو أتيت نكرا لكان غيرك أدرى وقد وقعت فى أمر ما أظنك تخلص منه ولا يسعك السكوت عنه ونسيت الايادى الجميلة والمبرات الجليلة فلما سمع محمد بن حفص ذلك من قوله قال هذا البهت بعينه وأى أياديك الغر التى مننت بها وعييت اداء واجبها أيد كذا أم يد كذا وعين أشياء أنكرها منه أيام امارته وتصرفا لدهر طوع اشارته فقال جعفر هذا ما لا يعرف والحق الذى لا يرد ولا يصرف رفعى القطع عن يمناك وتبليغى لك الى مناك فأصر محمد بن حفص على الجحد فقال جعفر أنشد الله من له علم بما أذكره الا اعترف به فلا ينكره وأنا أحوج الى السكوت ولا تحجب دعوتى فيه عن الملكوت فقال الوزير أحمد بن عباس قد كان بعض ما ذكرته يا أبا الحسن

اندا ودار ان ايوان وعدان والملك ملك ساسان وقحطان والارض فارس والاقليم بابل والد اسلام مكة والدنيا خراسان والجانبان العليان اللذ حسنا منها بخارى وبلخ الشاهد اران والبيلقان وطبرستان مادرها والسين سروانها والجيل جيلان قدرتب الناس فى ماتى مراتبهم دربان وبطريق وطرخان للفرس كسرى وللروم القيصر وال حبش النجاشى والاتراك خاقان وصاحب صقليه وافريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الاسلام كان يدعى جرجير وصاحب الاندلس كان يدعى لرزيق هذا كان اسم ملوك الاندلس وقد قيل انهم كانوا من الاسبان وهم أمة من ولد يافث بن نوح واتصلت هنا لك والاشهر عند من سكن الاندلس من المسلمين أن لزريق كان من ملوك الاندلس الجلالقة وهم نوع من الافرنجة وأخو لرزيق

الذى كان بالاندلس قتله طارق مولى موسى بن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ودخل الى مدينة طليطلة وكانت

وغير هذا أولى بك وأنت فيما أنت فيه من محنتك وطلبك فقال أحوجنى الرجل فتكلمت وأحوجنى الى ما به أعلمت فأقبل الوزير ابن جهور على محمد بن حفص وقال اسأت الى الحاجب وتوجهت عليه بغير الواجب أوما علمت أن منكوب السلطان لا يسلم على أوليائه لانه ان فعل ألزمهم الرد لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فان فعلوا طاف بهم من انكار السلطان ما يخشى ويخاف لانه تأنيس لمن أوحش وتأمين لمن أخاف وان تركوا الرد اسخطوا الله فصار الامساك أحسن ومثل هذا لا يخفى على أبى الحسن فانكسر ابن حفص وخجل مما أتى به من النقص وبلغه أن قوما توجعوا له وتفجعوا لما وصله فكتب اليهم

أحن الى أنفاسكم فأظنها * بواعث أنفاس الحياة الى نفسى
وان زمانا صرت فيه مقيدا * لأثقل من رضوى وأضيق من أمس

انتهى ما ترجم به المنصور بن أبى عامر ولنرجع فنقول ولما توفى المنصور قام بالامر بعده ابنه عبد الملك المظفر أبو مروان فجرى على سنن أبيه فى السياسة والغزو وكانت أيامه أعيادا دامت مدة سبع سنين وكانت تسمى بالسابع تشبيها بسابع العروس ولم يزل مثل اسمه مظفرا الى أن مات سنة تسع وتسعين وثلثمائة فى المحرم وقيل سنة ثمان وتسعين وكاتبه المعز بن زيرى ملك مغراوة بعد ان استرجع فاسا والمغرب اثر موت أبيه فكتب اليه العهد على المغرب وثارت الطوائف فى ممالكهم وتحركت الجلالقة لاسترجاع معاقلهم وحصونهم (قال ابن خلدون) ثم قام بالامر بعده أخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وقيل بالمأمون وجرى على سنن أبيه وأخيه فى الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم ثبت له رأى فى الاستئثار بما بقى من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده فأجابه وأحضر لذلك الملأ من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد فكان يوما مشهودا فكتب عهده من انشاء أبى حفص بن برد بما نصه هذا ما عهد به هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين الى الناس عامة وعاهد الله عليه من نفسه خاصة وأعطى به صفقة يمينه بيعة تامة بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة وأهمه ما جعل الله اليه من الامامة وعصب به من أمر المؤمنين واتقى حلول القدر بما لا يؤمن وخاف نزول القضاء بما لا يصرف وخشى ان هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره به ولم يرفع لهذه الامة علما تأوى اليه وملجأ تنعطف عليه أن يكون يلقى ربه تبارك وتعالى مفرطا ساهيا عن أداء الحق اليها ونقص عند ذلك من أحياء قريش وغيرها من يستحق أن يسند هذه الامر اليه ويعول فى القيام به عليه ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وصيانته بعد اطراح الهوى والتحرى للحق والزلفى الى الله جل جلاله بما يرضيه وبعد أن قطع الاواصر وأسخط الاقارب فلم يجد أحدا أجدر أن يوليه عهده ويفوض اليه الخلافة بعده لفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مرتبته وعلو منصبه مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه من المأمون الغيب الناصح الجيب أبى المظفر عبد الرحمن بن المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر وفقه الله اذ كان أمير المؤمنين أيده الله تعالى قد ابتلاه واختبره ونظر فى شأنه واعتبره فرآه مسارعا فى الخيرات سابقا فى الحلبات مستوليا على الغايات جامعا للمأثرات ومن كان المنصور

قصبة الاندلس ودار مملكتهم ويشقها نهر عظيم يدعى تاجة يخرج من بلاد الجلالقة والوسقيد وهى أمة عظيمة لهم ملوك وهم حرب لاهل الاندلس كالجلالقة والافرنجة ويصب هذا النهر فى البحر المحيط وهو موصوف بأنه من أنهار العالم وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عجيبة يدعى منظرها انسيف بنتها الملوك السالفة وهى من البنيان المذكور الموصوف أعجب من قنطرة سنجة من الثغر الجزرى مما يلى سميساط من بلاد سرحة ومدينة طليطلة ذات منعة وعليها أسوار منيعة وأهلها بعد ان فتحت وصارت لبنى أمية قد كانوا عصوا على الامويين فأقامت مدة سنين ممتنعة لاسبيل للامويين اليها فلما كان بعد الخمس عشرة وثلثمائة فتحها عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وعبد الرحمن هذا هو صاحب الاندلس فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان غير كثيرا من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو

أباه والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ من سبل البر مداه ويحوي من خلال الخير ما حواه مع
أن امير المؤمنين أيده الله بما علم من مكنون العلم ووعاه من مخزون الاثر يرى أن يكون
ولي عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاصي وأبو هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه فلما
استوى له الاختيار وتقابلت عنده فيه الآثار ولم يجد عنه مذهبا ولا الى غيره معدلا
خرج اليه من تدبير الامور في حياته وفوض اليه الخلافة بعد وفاته طائعا راضيا مجتهدا
وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازه وأنجزه وأنفذه ولم يشرط فيه مثنوية ولا خيارا وأعطى على
الوفاء به في سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمة نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم وذمم الخلفاء الراشدين من آبائه وذمة نفسه أن لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يزول
وأشهد الله على ذلك والملائكة وكفى بالله شهيدا وأشهد وهو جائز الامر ماضي القول
والفعل بمحضر من ولي عهده المأمون أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور وفقه الله تعالى
وقبوله ما قلده وإلزامه نفسه ما ألزمه وذلك في شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين
وثلثمائة وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم وتسمى بعدها
بولي العهد * ونقم عليه أهل الدولة ذلك فكان فيه حتفه وانقراض دولته ودولة قومه
وكان أسرع الناس كراهة لذلك الامويين والقرشيين فغص وا بأمره وأسفوا من تحويل
الامر جملة من المضرية الى اليمنية فاجتمعوا لشأنهم وغشت من بعض الى بعض رجالاتهم
وا جمعوا أمرهم في غيبة من المذكور ببلاد الجلالقة في غزاة من صوائفه ووثبوا بصاحب
الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع وتسعين وثلثمائة وخلعوا هشاما
المؤيد * وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن امير المؤمنين الناصر لدين الله من أعقاب
الخلفاء ولقبوه المهدي بالله وطار الخبر الى عبد الرحمن الحاجب بن المنصور بمكانه من الثغر
فانفض جمعه وقفل الى الحضرة مدلا بمكانه زعيما بنفسه حتى اذا قرب من الحضرة سال عنه
الناس من الجند ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدي القائم بالامر وأغروه
بعبد الرحمن الحاجب لكونه ما جاء منهم تراغبا صالحا للامر فاعترضه منهم من قبض عليه واحتز
رأسه وحمله الى المهدي والى الجماعة وذهبت دولة العامريين كأن لم تكن ولله عاقبة الامور
وفي المهدي يقول بعضهم

قد قام مهديا ولكن بضده * له الفسق والمجون
وشارك الناس في حريمهم * لولاه ما زال بالمصون
من كان من قبل ذا أجاما * فاليوم قد صار ذا قرون

وكان رؤساء البربر ورماته لحقوا بالمهدي لما رأوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانتقاض أمره
وكانت الامويه تعتد عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين وتنسب تغلب المنصور وغيره
على الدولة اليهم فسخطتهم القلوب وخزرتهم العيون ولولا ما لهم من العصبية لاستأصلهم
الناس ولفظت ألسنة الدهماء من اهل المدينة بكراهتهم وأمر المهدي أن لا يركبوا ولا
يتسلحوا ورد بعض رؤسائهم في بعض الايام من باب القصر فانتهبت العامة دورهم وشكا

من ثلاثة أيام ولهم على بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها اشبيلية وبلاد
الاندلس مسيرة عمائرها ومدنها نحو من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة وتدعى بنو أمية الخلائف ولا يخاطبون بالخلفاء لان الخلافة لا يستحقها عندهم الا من كان مالكا للحرمين غير أنه يخاطب بامير المؤمنين وقد كان عبد الرحمن ابن معاوية أبو هشام بن عبد الملك بن مروان سار الى الاندلس في سنة سبع وثلاثين ومائة فملكها ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ثم هلك فملكها ابنه هشام ابن عبد الرحمن سبع سنين ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحوا من عشرين سنة وولده ولاتها الى اليوم على ما ذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن بن محمد وولي عبد الرحمن في هذا الوقت فتاه الحكم وكان أحسن الناس سيرة وأجلهم عدلا وقد كان عبد الرحمن صاحب الاندلس في هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنة سبع وعشرين وثلثمائة في أزيد من مائة ألف فارس من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهي مدينة يقال لها سموره عليها سبعة اسوار من عجيب البنيان قد أحكمتها الملوك السالفة بين الاسوار
فصلان وخنادق ومياه واسعة فافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدرك الاحصاء

بعث بهم الى المهدى ما أصابهم فاعتذر وقتل من اتهم من العامة فى أمرهم وهو مع ذلك مظهر لبغضهم مجاهر بسوء الثناء عليهم وبلغهم انه يريد الفتك بهم فتمشت رجالاتهم وأسروا نجواهم وتشوروا فى تقديم هشام بن سليمان ابن امير المؤمنين الناصر وفشا فى الخاصة حديثهم فعوجلوا عن مرامهم ذلك وأغرى بهم السواد الاعظم فثار وابهم وأزعجوهم عن المدينة وتقبض على هشام واخيه أبى بكر واحضرا بين يدى المهدى فضرب أعناقهما ولحق سليمان ابن اخيهما الحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتوامروا فبايعوه ولقبوه المستعين بالله ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاش بابن ادفونش ثم نهض فى جموع البرابرة والنصرانية الى قرطبة وبرز اليه المهدى فى كافة أهل البلد وخاصة الدولة فكانت الدائرة عليهم واستلحم منهم ما يربى على عشرين ألفا وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم ودخل المستعين قرطبة ختام المائة الرابعة ولحق المهدى بطليطلة واستجاش بابن أدفونش ثانية فنهض معه الى قرطبة وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهر قرطبة ودخل قرطبة أعنى المهدى وملكها وخرج المستعين مع البربر وتفرقوا فى البسائط ينهبون ولا يبقون على احد ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهدى ومعه ابن أدفونش لاتباعهم فكروا عليهم فانهزم المهدى وابن ادفونش ومن معه من المسلمين والنصارى واتبعهم المستعين الى قرطبة فأخرج المهدى هشاما المؤيد للناس وبايع له وقام بأمر حجابته ظنا منه ان ذلك ينفعه وهيهات وحاصرهم المستعين والبربر وخشى أهل قرطبة من اقتحامهم عليهم فاغروا أهل القصر وحاشية المؤيد بالمهدى وان الفتنة انما جاءت من قبله وتولى كبر ذلك واضح العامرى فقتلوا المهدى واجتمع الكافة على المؤيد وقام واضح بحجابته واستمر الحصار ولم يغن عن أهل قرطبة ما فعلوه شيأ الى أن هلكت القرى والبسائط بقرطبة وعدمت المرافق وجهدهم الحصار وبعث المستعين الى أهل ادفونش يستقدمهم لمظاهرته فبعث اليهم هشام وحاجبه واضح يكفونهم عن ذلك بأن ينزلوا لهم عن ثغور قشتالة التى كان المنصور افتتحها فسكن عن مظاهرتهم عزم ادفونش ولم يزل الامر حتى دخل المستعين قرطبة ومن معه من البربر عنوة سنة ثلاث وأربعمائة وقتل هشام سرا ولحق بيوتات قرطبة معرة فى نسائهم وابنائهم وظن المستعين أن قد استحكم امره وتوثبت البرابرة والعبيد على الاعمال فولوا المدن العظيمة وتقلدوا البلاد الواسعة مثل باديس بن حبوس فى غرناطة والبرزالى فى قرمونة واليفرنى فى رندة وخزرون فى شريش وافترق شمل الجماعة بالاندلس وصار الملك طوائف فى آخرين من اهل الدولة مثل ابن عباد باشبيلية وابن الافطس ببطليوس وابن ذى النون بطليطلة وابن أبى عامر ببلنسية وابن هود بسرقسطة ومجاهد العامرى بدانية والجزائر قال ابن خلدون وكان ما تلا لبنى حمود بعد سليمان المستعين

لارحم الله سليمانكم * فانه ضد سليمان
ذاك به غلت شياطينها * وحل هذا كل شيطان
فبا سمه ساحت على أرضنا * لهلك سكان واوطان

ومن غرق أربعين ألفا وقيل خمسين ألفا وكانت للجلالقة والوسكيد على المسلمين وآخر ما كان بأيدى المسلمين من مدن الاندلس وثغورها مما يلى لاردجة مدينة أربونة وخرجت من أيدى المسلمين من مدن الاندلس وثغورها سنة [illegible] وثلثمائة مع غيرها مما كان فى أيديهم من المدن والحصون وفى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة [illegible] وثلاثين وثلثمائة من شرقى الاندلس طرطوشة وعلى ساحل بحر الروم مما يلى طرطوشة آخذا الى الشمال افراغة على نهر [illegible] ثم لاردة ثم [illegible] من هذه الثغور [illegible] وهى [illegible] الاندلس [illegible] كان قبل الثلثمائة ورد الى الاندلس مراكب فى البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم زعم أهل الاندلس أنهم ناس من المجوس تطرأ اليهم فى هذا البحر فى كل مائتين من السنين وأن وصولهم الى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس وليس بالخليج الذى عليه المنارة النحاس وأرى والله أعلم أن هذا الخليج متصل ببحر مانطش ونيطش وان هذه الامة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب اذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم وقد أصيب فى البحر الرومى فيما

*(وكان من أعظم الاسباب) في فساد دولة المستعين أنه قال هذه الابيات مسترجحا بها الى خواصه وهي قوله

حلفت بعين صلي وصام وكبرا * لاغمدها في صدر طاغ وتجبرا
وأبصر دين الله تحيا رسومه * فيبدل ما قد كان منه وغيرا
فواعجبا من عبشمي مملك * برغم العوالي والمعالي تبربرا
فلو أن أمري بالخيار رفيدتهم * وحاكمتهم للسيف حكما محررا
فاما حياة تستلذ بفقدهم * واما حمام لا نرى فيه مأررا

وقد سلك هذا المسلك المرتضى المرواني فقال

قد بلغ البربر فينا بنا * ما أفسد الاحوال والنضما
كالسهم للطائر لولا الذي * فيه من الريش لما اصمى
قوموا بنا في شأنهم قومة * تزيل عنا العار والرغما
اما بها نملك أولا نرى * ما يرجع الطرف به أعمى

وكان على بن حمود الحسني وأخوه قاسم من عقب ادريس ملك فاس وما يليها قد أجازوا مع البربر من العدوة الى الاندلس فدعوا لانفسهم واعصوصب عليهم البربر فملكوا قرطبة سنة سبع وأربعمائة وقتلوا المستعين ومحوا ملك بني أمية واتصل ذلك في خلفهم سبع سنين ثم رجع الملك الى بني أمية وكان المستعين المذكور أديبا بليغا ومن شعره يعارض هرون الرشيد في قوله *ملك الثلاث الآنسات عناني* الابيات قوله

عجبا يهاب الليث حد سناني * وأهاب لحظ فواتر الاجفان
وأقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان
ككواكب الظلماء لحن لناظري * من فوق أغصان على كثبان
حاكمت فيهن السلو الى الهوى * فقضى بسلطان على سلطاني
هذي الهلال وتلك بنت المشتري * حسنا وهذي أخت غصن البان
فأبحن من قلبي الحمى وتركنني * في عز ملكي كالاسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل في الهوى * ذل الهوى عز وملك ثاني
ما ضر أني عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبداني
ان لم اطع فيهن سلطان الهوى * كلفا بهن فلست من مروان

(وولى) الامر بعده ابن حمود الحسني تلقب بناصر وخرج عليه العبيد وبعض المغاربة وبايعوا المرتضى أخا المهدي ثم اغتيل المرتضى واستقام الملك لعلي بن حمود نحو عامين الى أن قتلته صقالبته بالحمام سنة ثمان وأربعمائة فولي مكانه أخوه القاسم وتلقب بالمأمون ونازعه الامر بعد أربع سنين من خلافته يحيى ابن اخيه وكان على سبتة فاجاز الى الاندلس سنة عشر واحتل بمالقة وكان أخوه ادريس بها منذ عهد أبيهما فبعثه الى سبتة ثم زحف يحيى الى قرطبة فملكها سنة ثنتي عشرة وأربعمائة وتلقب المعتلي وفر عمه المأمون الى اشبيلية وبايع له

بها الامواج في مياه البحار وهذا لا يكون الا في البحر الحبشي لان مراكب بحر الرومي والغرب تسمر بالمسامير ومراكب الحبش لا يثبت فيها الحديد لان ماء البحر يذيب الحديد فتدق المسامير في الالواح وتضعف فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطليت بالشحوم والنورة وهذا يدل والله أعلم على اتصال البحار وأن البحر مما يلي الصين وبلاد السلي يدور على بلاد الترك و يفضي الى بحار المغرب من بعض خلجان أوقيانوس المحيط وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر يقذف به البحر وهذا من المستنكر في البحر الرومي الذي لم يعهد فيه في قديم الزمان مثل ذلك ويمكن أن يكون سبيل وقوع العنبر الى هذا البحر سبيل ما ذكرناه من الواح مراكب البحر الصيني والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه ولبحر المغرب وما قرب منه من عمائر السودان وأقاصي أرض المغرب أخبار عجيبة وقد ذكر ذووا العناية باخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين وان أرض مصر جزء

واحد من ستين جزأ من أرض السودان وأن أرض السودان جزء واحد من الارض كلها وان الارض

لقـ نني ابن عباد واستجاش بعض البرابرة ثم رجع الى قرطبـة سنة ثلاث عشرة وملكها ثم لحق المعتلي بمكانه من مالقة وتغلب عـلى الجزيرة الخضراء وتغلب اخوه ادريس على طنجة من وراء البحر وكان المأمون يعتدها حصنا لنفسه وفيها ذخائره فلما بلغـه الخبر اضطرب وثار عليه أهل قرطبة ونقضوا طاعته وخرج لحاصرهـم فدافعوه ولحق باشبيلية فمنعوه وكان بها ابنه فأخرجوه اليـه وضبطوا البلد واستبد ابن عباد بملكها ولحق المأمون بشريش ورجع عنـه البربر الى يحيى المعتلي ابن اخيه فبايعوه سنة خمس عشرة وزحف الى عمه المأمون فتغلب عليه ولم يزل عنـده أسيرا وعند أخيه ادريس بمالقة الى أن هلك بمحبسه سنـة سبع وعشرين وقيـل انه خنق كما يأتي واستقل المعتلي بالامر واعتقل بني عمـه القاسم وكان المستكفي من الامويين استولى على قرطبة في هـذه المدة عندما أخرج أهلها العلوية ثم خلع أهل قرطبـة المستكفي الاموي سـنة ست عشرة وصاروا الى طاعة المعتلي واستعمل عليهم ابن عطاف من قبله ثم نقضوا سنة سبع عشرة وصرفوا عاملهم وبايعوا المعتلي الاموي أخا المرتضى وبقي المعتلي يردد لحصارهم العساكر الى ان اتفقت الكلمة على اسلام الحصون والمدائن له فعلا سلطانه واشتد أمره الى أن هلك سنة تسع وعشرين اغتاله أصحابه بدسيسة ابن عباد الثائر باشبيليـة فاستدعى أصحابه أخاه ادريس بن علي من سبتة وملكوه ولقبوه المتأيد وبايعتـه رندة وأعمالها والمرية والجزيرة الخضراء وبعث عساكره لحرب ابي القاسم اسمعيل بن عباد والد المعتضد بن عباد فجاؤه برأسه بعد حروب وهلك ليومين بعد ذلك سنة احدى وثلاثين وبويع ابنه يحيى ولم يتم له أمر وبويع حسن المستنصر بن المعتلي وفر يحيى الى قـارش فهلك بها سنة أربع وثلاثين ويقـال انه قتـله نجا وهلك حسن مسموما بيد ابنة عمـه ادريس ثأرت منـه بأخيها وكان ادريس بن يحيى المعتلي معتقلا بمـالقة فأخرج بعـد خطوب وبويع بها فأطاعتـه غرناطـة وقرمونة ولقب العـالي وهو الممدوح بالقصـيدة المشهورة بالمغرب التي قالها فيـه ابوزيد عبد الرحمن بن مقانا الفنداقي الاشبوني من شعراء الذخيرة وهي

البرق لائح من أندرين * ذرفت عينـاك بالماء المعين
لعبت أسيـافه عارية * كمخاريق بأيدي اللاعبين
ولصوت الرعد زجر وحنين * ولقلبي زفـرات وانين
وأناجي في الدجى عاذلتي * ويك لا أسمع قول العادلين
عيرتني بسـقام وضنى * ان هـذين لدين العاشقين
قد بدا لي وضح الصبح المبين * فاسقنيها قبـل تكبير الاذين
اسقنيها مزة مشمولة * لبثت في دنها بضع سـنين
ذر المزج عـلى مفرقها * دررا عامت فعادت كالبرين
مع فتيان كـرام نجب * يتهادون رياحين المجون
شربوا الراح على خد رشا * نور الورد به والياسمين
وجلت آياته عامرة * سبج الشعر عـلى عاج الجبين
لوت الصدغ على حاجبه * ضمة اللام عـلى عطفة نون

كلها مسيرة خمسمائة سنة ثلث عمران ٢٠١ مسكون مأهول وثلث براري غير مسكون وثلث بحار وتتصل أقاصي السودان العراة بآخر بلاد ولد ادريس ابن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام من أرض المغرب وهي بلاد تنس وتاهرت وبلاد فاس ثم السوس الادنى وبينه وبين بلاد القيروان نحو ألفي ميـل وثلثمائة ميل وبين السوس الادنى والسوس الاقصى من المسافة نحو من عشرين يوما عمائر متصـلة الى أن تتصل بوادي الرمل والقصر الاسود ثم يتصـل ذلك بمفاوز الرمـل التي فيهـا المدينـة المعروفة بمدينة النحاس وقباب الرصاص التي سار اليها موسى بن نصير في أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها ما رأى من العجائب وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله الناس وقد قيل ان ذلك في مفاوز تتصل ببلاد الاندلس وهي الارض الكبيرة وقد كان ميمون ابن عبد الرحمن بن رستم الفارسي وهو أباضي المذهب وهو الذي انشأ في ذلك البلد مذهب الخوارج وقد قيـل انهـم من بقايا الاسنان عمرت لك الديار وكانت له حروب مع الطالبيين وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع النـاس في الاسنان ومن قال انهم من الفرس نازلة من بلاد أصبهان وفي هذا الصقع

فتري

فترى غصناعلى دعص نقا * وترى ليلا على صبح مبين

وسيسقون اذا ماشربوا * باباريق وكاس من معين

ومصابيح الدجى قد طفئت * فى بقايا من سواد الليل جون

وكأن الطل مسك فى الثرى * وكأن الطل درفى الغصون

والندى يقطر من نرجسه * كدموع أسكبتهن الجفون

والثريا قد هوت من أفقها * كقضيب زاهر من ياسمين

وانبرى جنح الدجى عن صبحه * كغراب طار عن بيض كنين

وكأن الشمس لما أشرقت * فانثنت عنها عيون الناظرين

وجه ادريس بن يحيى بن على * بن حمود أمير المؤمنين

ملك ذوهيبة لكنه * خاشع لله رب العالمين

خط بالمسك على أبوابه * ادخلوها بسلام آمنين

فاذا ما رفعت راياته * خفقت بين جناحى جبرئين

واذا أشكل خطب معضل * صدع الشك بمصباح اليقين

فبيسراه يسار المعسرين * وبيمناه لواء السابقين

يابنى أحمد ياخير الورى * لابيكم كان وفد المسلمين

نزل الوحى عليه فاحتبى * فى الدجا فوقهم الروح الامين

خلقوا من ماء عدل وتقا * وجميع الناس من ماء وطين

انظروا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين

قيل انه أنشده اياها من وراء حجاب اقتفاء لطريقة خلفاء بنى العباس فلما بلغ الى قوله

انظرونا نقتبس من نوركم * انه من نور رب العالمين أمر حاجبه أن يرفع الحجاب وقابل وجهه وجه الشاعر دون حجاب وأمر له باحسان جزيل فكان هذا من أنبل ما يحكى عنه وخلع العالى سنة ثمان وثلاثين وولى ابن عمه محمد بن ادريس بن على وتلقب بالمهدى وتوفى سنة أربع وأربعين وبويع ادريس بن يحيى بن ادريس ولقب الموفق ولم يخطب له بالخلافة وزحف العالى ادريس المخلوع الممدوح بالقصيدة السابقة وكان بقمارش فدخل عليه مالقة وأطلق ايدى عبيده عليها لحقده عليهم ففر كثير منهم وتوفى العالى سنة ست أو سبع وأربعين وبويع محمد بن ادريس ولقب المستعلى ثم سار اليه باديس بن حبوس سنة تسع وأربعين وأربعمائة فتغلب على مالقة وسار محمد الى المرية مخلوعا ثم استدعاه أهل المغرب الى مليلة وبايعوه سنة ست وخمسين وتوفى سنة ستين وكان محمد بن القاسم بن حمود لما اعتقل أبوه القاسم بمالقة سنة أربع عشرة فرمن الاعتقال ولحق بالجزيرة الخضراء وملكها وتلقب بالمعتصم الى أن هلك سنة أربعين ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواثق الى أن هلك سنة خمسين وصارت الجزيرة للمعتضد بن عباد ومالقة لابن حبوس مزاحما لابن عباد وانقرضت دولة الاشراف الحموديين من الاندلس بعد أن كانوا يدعون الخلافة وأما قرطبة فان أهلها لما قطعوا دعوة الحموديين بعد سبع سنين من ملكهم وزحف

من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن ممدودة مثل مدينة بدعية وفيها معدن كبير من فضة وهو مما يلى الجنوب ويتصل ببلاد الحبشة والحرب بينهم سجال وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان خبر المغرب ومدنه ومن سكنها من الخوارج الاباضية والصفرية ومن سكن المغرب من المعتزلة وما بينهم وبين الخوارج من الحروب وذكرنا خبر الاغلب التميمى وتوليه المنصور له على المغرب ومقامه ببلاد افريقية وغيرها من أرض المغرب وما كان من أمره فى أيام الرشيد وتداول ولده ببلاد افريقية وغيرها الى أن انتهى الامر الى أبى منصور زيادة الله بن عبد الله ابن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الاغلب بن ابراهيم ابن محمد بن الاغلب بن سالم بن سوادة فأخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفى الداعية لصاحب المهدية حين ظهر من كتامة وغيرها من أجيال البربر وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين فى أيام المقتدر ومسيره الى الرافقة والرقة وكان هذا المحتسب من مدينة رام هرمز من كور الاهواز ونعود الى ذكر مراتب الملوك ونسق ما بقى من الممالك على البحر الحبشى الذى شرعنا فى وصف من عليه فنقول ملك الزنج وقليمان ملك اللان كركنداج ملك الحيرة من بنى نصير النعمانية

والمنادرة ملك جبال طبرستان كان يدعى ٤٠٢ فارن والجبل معروف به وبولده في هذا الوقت ملك الهند البلهرا ملك القنوج

الى ابن حمود في البر فغزاهم أهل قرطبة ثم اجتمعوا واتفقوا على رد الامر لبني أمية واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخا المهدي وبايعوه في رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة ولقبوه المستظهر وقاموا بأمره ومن شعره قوله

طال عمر الليل عندي * قد تولعت بصدي
يا غزالا نقض العهـ * ـد ولم يوف بوعد
انسيت العهد اذبتنا * على مفرش ورد
واجتمعنا في وشاح * وانتظمنا نظم عقد
ونجوم الليل تحكي * ذهبا في لازورد

قال الحجاري لو قال لؤلؤا في لازورد لكان أحسن تشبيها وأنشد متمثلا

اما عصابتك الالى * كماتك كابدما تكابد
هذا أوان غنائك الـ * ـمنعمى وانجاز المواعد

وكان حسن بن أبي عبيدة من وزراء المستظهر ولما أكثر المستظهر دونه الاستبداد كتب اليه بقوله

اذا غبت لم أحضر وان جئت لم أسل * فسيان مني مشهد ومغيب
فأصبحت تيميا وما كنت قبلها * لتيم ولكن الشبيه نسيب

يشير الى قول الاول

ويقضى الامر حين تغيب تيم * ولا يستأذنون وهم شهود

وعاتبه أيضا بقوله

اذا كان مثلي لا يجار بصبره * فمن ذا الذي بعدي يجار على الصبر
وكم مشهد جاريت فيه عدوكم * وأملت في حربي له راحة الدهر
أخوض الى أعدائكم لجج الوغى * واسرى اليهم حيث لا احد يسرى
وقد نام عنهم كل مستبطن الحشى * أكول الى الممسى نؤم الى الظهر
فما بال هذا الامر أصبح ضائعا * وأنت أمين الله تحكم في الامر

وسيأتي ان شاء الله تعالى من كلام الوزير المذكور ما يدل على عظيم قدره وهنالك نذكر تحلية الفتح له ثم ثار عليه لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله فبايعه الغوغاء وقتل بالمستظهر وتلقب بالمستكفي واستقل بأمر قرطبة وهو والد الاديبة الشهيرة ولادة ولعلنا نلم ببعض أخبارها ان شاء الله تعالى فيما بعد وكان أبو عبد الرحمن قتله المنصور بن أبي عامر لسعيه في الخلافة ثم بعد ستة عشر شهرا من بيعة المستكفي رجع الامر الى المعتلي يحيى بن علي بن حمود سنة ست عشرة وخلع أهل قرطبة المستكفي وولى عليهم المعتلي من قبله وفر المستكفي الى ناحية الثغر ومات في فرة ثم بدا لاهل قرطبة فخلعوا المعتلي بن حمود سنة سبع عشرة وبايع الوزير أبو محمد جهور بن محمد بن جهور عميد الجماعة وكبير قرطبة لهشام بن محمد أخي المرتضى وكان بالثغر في لاردة عند ابن هود وذلك سنة ثمان عشرة وتلقب المعتمد بالله وأقام مترددا في الثغر ثلاثة أعوام واشتدت الفتن بين رؤساء

من ملوك السند فوزورة وهو اسم بلد باسم ملوكهم وقد صارت اليوم في حيز الاسلام وهي من أعمال المولتان ومن هذه المدينة يخرج أحد الانهار التي اذا اجتمعت كان نهر (مهران السند) الذي زعم الجاحظ أنه من النيل وزعم غيره انه من جيحون خراسان وفوزورة هذا الذي هو ملك القنوج هو ضد البلهرا ملك الهند وهو من ملوك السند وجبالها ويدعى بج وهذا اسمه الاعم ومن بلاده يخرج النهر المعروف (براتد) وهو احد الانهار الخمسة التي منها مهران السند والقندهار بلاد الرهبوط ونهر من الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف (بنهاطل) ويجتاز ببلاد الرهبوط وهي بلاد القندهار والنهر الرابع يخرج من بلاد كابل وجبالها وهي تخوم الهند مما يلي بلاد بست وغزنين ونفس والرخج وبلاد الداور مما يلي بلاد سجستان ونهر من الخمسة يخرج من بلاد كشمير وملك كشمير يعرف بالراى هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وكشمير هذه من ممالك الهند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوي ملكها على نحو من ستين ألفا

الطوائف واتفقوا على أن ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور والجماعة ونزل آخر سنة عشرين وأقام بها يسيرا ثم خلعه الجند سنة اثنتين وعشرين وفر الى لاردة وهلك بها سنة ثمان وعشرين وانقطعت الدولة الاموية من الارض وانتثر سلك الخلافة بالمغرب وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف وانتزى الامراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات واقتسموا خطتها وتغلب بعض على بعض واستقل أخيرا بأمرها منهم ملوك استفحل أمرهم وعظم شأنهم ولاذوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم أو يبتزهم ملكهم وأقاموا على ذلك برهة من الزمان حتى قطع عليهم البحر ملك العدوة وصاحب مراكش أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين اللمتوني فخلعهم وأخلى منهم الارض ومن أشهرهم بنو عباد ملوك اشبيلية في غرب الاندلس الذين منهم المعتمد بن عباد الشهير الذكر بالمغرب والمشرق وفي الحجرة والقلائد من أخباره ما هو كاف شاف ومنهم بنو جهور كانوا بقرطبة في صورة الوزارة حتى استولى عليهم المعتمد بن عباد وأخذ قرطبة وجعل عليها ولده ثم كانت له وعليه حروب وخطوب وفرق أبناءه على قواعد الملك وأنزلهم بها واستفحل أمره بغرب الاندلس وعلت يده على من هنالك من ملوك الطوائف مثل ابن باديس بغرناطة وابن الافطس ببطليوس وابن صمادح بالمرية وغيرهم فكانوا يخطبون سلمه ويغلون في مرضاته وكلهم يدارون الطاغية ويتقونه بالجزى الى أن ظهر يوسف بن تاشفين واستفحل ملكه فتعلقت آمال الاندلس باعانته وضايقهم الطاغية في طلب الجزية فقتل المعتمد اليهودي الذي جاء في طلب الجزية للطاغية بسبب كلمة قالها آسفه بها ثم أجاز البحر صريخا الى يوسف بن تاشفين فأجاز معه البحر والتقوا مع الطاغية في الزلاقة فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى ونصر الله تعالى الاسلام نصرا لا كفاء له حتى قال بعض المؤرخين انه كان عدد النصارى ثلثمائة ألف ولم ينج منهم الا القليل وصبر فيها المعتمد صبر الكرام وكان قد أعطى يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء ليتمكن من الجواز متى شاء ثم طلب الفقهاء بالاندلس من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فأجابوه بالامتثال حتى اذا رجع من بلادهم رجعوا الى حالهم وهو خلال ذلك يردد عساكره للجهاد ثم أجاز اليهم وخلع جميعهم ونازلت عساكره جميع بلادهم واستولى على قرطبة واشبيلية وبطليوس وغرناطة وغيرها وصار المعتمد بن عباد كبير ملوك الاندلس في قبضته أسيرا بعد حروب ونقله الى أغمات قرب مراكش سنة أربع وثمانين وأربعمائة واعتقله هنالك الى ان مات سنة ثمان وثمانين وسلم بما قاله الوزير لسان الدين بن الخطيب فيه لما زار قبره وللمعتمد هذا أخبار مأثورة خصوصا مع زوجته أم أولاده الرميكية الملقبة باعتماد وقد روى أنها رأت ذات يوم باشبيلية نساء البادية يبعن اللبن في القرب وهن رافعات عن سوقهن في الطين فقالت له يا سيدي اشتهي ان أفعل أنا وجواري مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصير الجميع طينا في القصر وجعل لها قربا وحبالا من ابريسم وخرجت هي وجواريها تخوض في ذلك الطين فيقال انه لما خلع وكانت تتكلم معه مرة بما يجري بينهما ما يجري بين الزوجين فقالت له والله ما رأيت منك خيرا فقال لها ولا يوم الطين تذكيرا لها

الى سبعين ألفا لا سبيل لاحد من الناس على بلده الا من وجه واحد ويغلق على جميع ما ذكرناه من ملكه باب واحد لان ذلك في جبال شوامخ منيعة لا سبيل للرجال أن يتسلقوا عليها ولا للوحش أن يلحق بعلوها ولا يلحقها الا الطير وما لا جبل فيه فاوديه وعرة وأشجار وغياض وأنهار ذات منعة من شدة الانصباب والجريان وما ذكرنا من منعة ذلك البلد مشهور في أرض خراسان وغيرها من البلاد وذلك أحد عجائب الدنيا فأما ملك فروزة وهو ملك القنوج فان مساحة مملكته تكون نحوا من عشرين ومائة فرسخ في مثلها فراسخ سندية الفرسخ ثمانية أميال بهذا الميل وهو الملك الذي قدمنا في ذكره فيما سلف أن له من الجيوش أربعة على مهاب الرياح الاربع كل جيش منها سبعمائة ألف وقيل تسعمائة ألف وقيل تسعة آلاف ألف فيحارب بجيش الشمال صاحب المولتان ومن معه في تلك الثغور من المسلمين ويحارب بجيش الجنوب البلهرا ملك المانكير وبالجيوش الباقية من يلقاه في كل وجه من الملوك ويقال ان مملكته يحيط في مقدار ما ذكرناه من المسافة من المدن والقرى والضياع مما لا يدركه الاحصاء والعدد بألف ألف وثمانمائة ألف قرية بين أنهار وشجر

بهذا اليوم الذي أبادفيه من الاموال مالا يعلمه الا الله تعالى فاستحييت وسكتت وولي بعده غير من تقدم بنو رزين أصحاب السهلة وبنوا الفهري أصحاب البونت وتغلب عليهما أخيرا يوسف بن تاشفين * ومن أعظم ملوك الطوائف بنو ذي النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفي وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا في البذخ والترف الى الغاية ولهم الاعذار المشهور الذي يقال له الاعذار الدنوني وبه يضرب المثل عند أهل المغرب وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق والمأمون من بني ذي النون هو صاحب ذلك وهو الذي عظم بين ملوك الطوائف سلطانه وكان بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة وغلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد المعتمد وقتل ابنه أبا عمرو وغلب أيضا على بلنسية وأخذها من يد بني ابن أبي عامر * وفي أيام حافد المامون وهو القادر بن ذي النون كان الطاغية بن أدفونش قد استفحل أمره لما خلا الجو من مكانة الدولة الخلافية وخف ما كان على كاهله من أصر العرب فاكتسح البسائط وضيق ابن ذي النون حتى أخذ من يده طليطلة فخرج له عنها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة كما سبق وشرط عليه أن يظاهره على أهل بلنسية فقبل شرطه وتسلمها الفونش ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم زحف على الموالي العامريين مثل خيران وزهير وأشباههما وأخبار الجميع تطول * ومن ملوك الطوائف بالاندلس بنو هود ملوك سرقسطة وما اليها ومن أشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن وكان المؤتمن قائما على الامور الرياضية وله فيها تآليف ومنها كتاب الاستكمال والمناظر وولي بعده ابنه المستعين أحمد سنة أخذ طليطلة وعلى يده كانت وقعة وشقة وكان زحف سنة تسع وثمانين في آلاف لا تحصى من المسلمين ليدافع الطاغية عن وشقة وكان محاصرا لها فلقيه الطاغية وهزمه وهلك من المسلمين نحو عشرة آلاف وهلك هو شهيدا سنة ثلاث وخمسمائة بظاهر سرقسطة في زحف الطاغية اليها وولي ابنه عبد الملك عماد الدولة وأخرجه الطاغية من سرقسطة سنة ثنتي عشرة وتولى ابنه سيف الدولة وبالغ في النكاية بالطاغية ثم اتفق معه وانتقل بحشمه الى طليطلة فكان فيها حمامه * ومن شعر المقتدر بن هود قوله رحمه الله في مبانيه

قصر السرور ومجلس الذهب * بكما بلغت نهاية الارب
لو لم يحز ملكي خلافكما * كانت لدي كفاية الطلب

ومن مشاهير ملوك بني الافطس أصحاب بطليوس وما اليها والمظفر منهم هو صاحب التأليف المسمى بالمظفري في نحو الخمسين مجلدا والمتوكل منهم قتل على يد جيش يوسف بن تاشفين وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

وهي من غرر القصائد الاندلسية وأزالوا ملوك الطوائف منها وبقيت عمالهم تتردد اليها وبنوهم حتى فشلت ريحهم وهبت ريح الموحدين أعني عبد المؤمن بن علي وبنيه فحاربوا لمتونة واستولوا على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة ثم جازوا البحر الى الاندلس وملكوا أكثر بلاد الاندلس وملك بنو مردنيش شرق الاندلس * وملخص ذلك أن الاندلس كان ملكها بجموع اللمتونة بعد خلعهم ملوك الطوائف فلما اشتغل لمتونة في العدوة بحرب الموحدين

وكان راكبه فارسا وفي خرطومه القرطل وهو نوع من السيوف وخرطومه مغشى بالزرد والحديد وعليه تجافيف قد أحاطت بسائر جسده من الحرق والحديد وكان حوله خمسمائة رجل يمنعونه ويحرزونه من ورائه حارب ستة آلاف فارس وقام بها وأناها اذا كان معه خمسمائة رجل كرّ في خمسة آلاف فارس ودخل وخرج وصال عليها كالرجل على الفرس وهذا رسم فيلتها في سائر حروبها فأما صاحب المولتان فقد قلنا انه من ولد سامة بن لؤي ابن غالب وهو ذو جيوش ومنعة وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار وحول ثغر المسلمين المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يتبع عليه الاعداء والعدو فيه على ما ذكرنا الصنم المعروف بالمولتان يقصده السند والهند من أقاصي بلادهم بالنذور والاموال والجواهر والعود وأنواع الطيب ويحج اليه الالوف من الناس وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل الى هذا الصنم من العود القماري الخالص الذي يبلغ ثمن الاوقية منه مائة دينار واذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر في الشمع وغير ذلك

اضطربت

اضطربت عليهم الاندلس وعادت الى الفرقة بعض الشئ ثم خلص أكثرها لعبد المؤمن وبنيه بعد حروب ومنها ما حصل بين عبد المؤمن وبين ابن مردنيش وقائده ابن همشك بفحص غرناطة وقد استعان ابن مردنيش بالنصارى على الموحدين فهزمهم عبد الرحمن وقتلهم أبرح قتلة واستخلص غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة من يد ابن مردنيش * وولي الامر بعد عبد المؤمن ابنه يوسف وأجاز الى الاندلس وكانت له مواقف في جهاد العدو * وولي بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت وكانت له في النصارى بالاندلس نكاية كبيرة ومن أعظمها غزوة الارك التي تضاهي وقعة الزلاقة أو تزيد والارك موضع بنواحي بطليوس وكانت سنة احدى وتسعين وخمسمائة وغنم فيها المسلمون ما اعظم قدره وكان عدة من قتل من الفرنج فيما قيل مائة ألف وستة واربعين ألفا وعدة الاسارى ثلاثين ألفا وعدة الخيام مائة ألف وخمسين ألف خيمة والخيل ثمانين ألفا والبغال مائة ألف والحمير أربعمائة ألف جاء بها الكفار لحمل أثقالهم لانهم لا ابل لهم وأما الجواهر والاموال فلا تحصى وبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونجى الفنش ملك النصارى الى طليطلة في أسوإ حال فحلق رأسه ولحيته ونكس صليبه وآلى أن لا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرسا ولا دابة حتى يأخذ بالثار وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعد ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيق عليها ولم يبق الا فتحها فخرجت اليه والدة الادفونش و بناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألنه ابقاء البلد عليهن فرق لهن ومن عليهن بها ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جل وردهن مكرمات وعفا بعد القدرة وعاد الى قرطبة فأقام شهرا يقسم الغنائم وجاءته رسل الفنش بطلب الصلح فصالحه وأمن الناس مدته وفيه يقول بعض شعراء عصره

أهل بأن يسعى اليه ويرتجى * ويزار من أقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالمكرمات مقلدا * وموشحا ومختما ومتوجا
عمرت مقامات الملوك بذكره * وتعطرت منه الرياح تأرجا

ولما أرسل له السلطان صلاح الدين بن أيوب شمس الدين بن منقذ يستنجد به على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدسة ولم يخاطبه بأمير المؤمنين فلم يجبه الى ما طلبه وكان ذلك في سنة ٥٨٧ ومدحه ابن منقذ بقوله من قصيدة

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته * الى بحر جود ما لأخراه ساحل
الى معدن التقوى الى كعبة الندى * الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك أمير المؤمنين ولم تزل * الى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنا * بان نداك العمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك العلا فبلغتها * وأدنى عطاياك العلا والفواضل
فلا زلت للعليا والجود بانيا * تبلغك الآمال ما أنت آمل

وعدتها اربعون بيتا فاعطاه بكل بيت ألفا وقال له انما أعطيناك لفضلك ولبيتك وكان

هذا الصنم وتعويره فيرحل الجيوش عنهم عند ذلك وكان دخولي الى بلاد المولتان بعد الثلثمائة والملك بها أبو الدلهاث المنبه ابن أسد القرشي وكذلك كان دخولي الى بلاد المنصورة في هذا الوقت والملك عليها أبو المنذر عمر بن عبد الله ورأيت بها وزيره زيادا وابنيه محمدا وعليا ورأيت بها رجلا سيدا من العرب وملكا من ملوكهم وهو المعروف بحمزة وبها خلق من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم من ولد عمر ابن علي ولد محمد بن علي وبين ملوك المنصورة وبين أبي الشوارب القاضي قرابة ووصلة نسب وذلك ان ملوك المنصورة الذين الملك فيهم في وقتنا هذا من ولد هبار ابن الاسود ويعرفون ببني عمر بن عبد العزيز القرشي وليس هو عمر بن عبد العزيز الاموي فاذا اجتاز جميع ما ذكرنا من الانهار ببلاد مرج بيت الذهب وهو المولتان فاجتمع بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان والمنصورة في الموضع المعروف بدوسات ثم انتهى جميع ذلك الى مدينة الروذ من غربيها وهي من أعمال المنصورة يسمى ماهنالك مهران ثم ينقسم قسمين

عنوان الكتاب الذي أرسله صلاح الدين الى أمير المسلمين وفي أوله الفقير الى الله تعالى يوسف بن أيوب وبعده من انشاء الفاضل الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الارض وأغنى من أهلها من سأله القرض وأجرى على يده النافلة والفرض وزين سماء الملة بدراري الذراري التي بعضها من بعض وهو كتاب طويل أمله فيه أن يقطع عنه مادة البحر واستنجده على الافرنج اذ كانت له اليد عليهم وعاد ابن منقذ من هذه الرسالة سنة ٥٨٨ بغير فائدة وبعث معه هدية حقيرة وأما ابن منقذ فانه أحسن اليه وأغناه لا لأجل صلاح الدين بل لمبيته وفضله كما مر وما وقع من يعقوب في صلاح الدين انما هو لأجل انه لم يوفه حقه في الخطاب * (رجع) ولما استفحل أمر الموحدين بالاندلس استعملوا القرابة على الاندلس وكانوا يسمونهم السادة واقتسموا ولايتها بينهم ولهم مواقف في جهاد العدو مذكورة وكان صاحب الامر بمراكش يأتي الاندلس للجهاد وهزم يعقوب المنصور كما سبق قريبا بالارك ابن ادفونش ملك الجلالقة الهزيمة الشنعاء وأجاز ابنه الناصر الوالي بعده البحر الى الاندلس من المغرب سنة تسع وستمائة ومعه من الجنود ما لا يحصى حتى حكى بعض الثقات من مؤرخي المغرب انه اجتمع معه من أهل الاندلس والمغرب ستمائة ألف مقاتل فمحص الله المسلمين بالموضع المعروف بالعقاب واستشهد منهم عدة وكانت سبب ضعف المغرب والاندلس أما المغرب فبخلاء كثير من قراه وأقطاره وأما الاندلس فبطلب العدو عليها لأنه لما التاث أمر الموحدين بعد الناصر ابن المنصور انبرى السادة بنواحي الاندلس كل في عمله وضعف ملكهم بمراكش فصاروا الى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض واسلام حصون المسلمين اليه في ذلك فمشت رجالات الاندلس وأعقاب العرب منذ الدولة الاموية وأجمعوا على اخراجهم فثاروا بهم لحين واحد وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي الثائر بالاندلس وابن مردنيش وثوار آخرون * وقال ابن خلدون ثم خرج على ابن هود في دولته من أعقاب دولة العرب أيضا وأهل نسبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وتلقب محمد هذا بالشيخ فجاذبه الحبل وكانت لكل واحد منهما دولة أورثها بنيه انتهى * وكان ابن هود يخطب للعباسي صاحب بغداد ثم حصلت لابن هود وأعقابه حروب وخطوب الى أن كان آخرهم الواثق بن المتوكل فصالحه الفنش والرشلوني فبعث بالطاعة لابن الاحمر فبعث اليه ابن اشقيلولة وتسلم مرسية منه وخطب لابن الاحمر بها ثم خرج منها راجعا الى ابن الاحمر فأوقع به النصارى في طريقه ثم رجع الواثق الى مرسية ثالثة فلم يزل بها الى ان ملكها العدو من يده سنة ثمان وستين وستمائة وعوضه عنها حصنا يسمى يسر وهو من عملها فبقي فيه الى أن هلك وانقرضت دولة ابن هود والله وارث الارض ومن عليها (رجع) الى ذكر دولة أولاد الاحمر لأن لسان الدين وزير أحدهم ولأنهم آخر ملوك الاندلس ومن يدهم استولى النصارى على جميعها كما سنذكره وقيل أول أهلهم من أرجونة من حصون قرطبة ولهم فيها سلف من أبناء الجند ويعرفون ببني نصر وينتسبون الى سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان كبيرهم لآخر دولة الموحدين نصر بن يوسف بن نصر ويعرف بالشيخ وأخوه اسمعيل وكانت له وجاهة في ناحيتهم * ولما فشلت ريح

الهندي وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل والمسافة من الملتان الى المنصورة خمسة وسبعون فرسخا سندية على ما ذكرنا والفرسخ ثمانية أميال وجميع ما للمنصورة من الضياع والقرى مما يضاف اليها ثلثمائة ألف قرية ذات زروع وأشجار وعمائر متصلة وفيها حروب كثيرة من جنس يقال لهم المند وهم نوع من السند وغيرهم من الاحابش ثم ثغر السند وكذلك الملتان من ثغور السند وما أضيف اليها من العمائر والمدن وسميت المنصورة باسم منصور بن جمهور عامل بني أمية وللملك المنصورة فيلة حربية وهي ثمانون فيلا رسم كل فيل أن يكون حوله خمسمائة راجل وانه يحارب ألوفا من الخيل على ما ذكرنا ورأيت له فيلين عظيمين كانا موصوفين عند ملوك السند والهند لما كانا عليه من البأس والنجدة والاقدام على فل الجيوش كان اسم أحدهما (منقلوس) والآخر (حيدرة) ولمنقلوس هذا أخبار عجيبة وأفعال حسنة وهي مشهورة في تلك البلاد وغيرها (منها) انه مات بعض سواسه فمكث أياما لا يطعم ولا يشرب يبدي الحنين ويظهر

الموحدين

الموحدين وانتزى الثوار بالاندلس وأعطى السادة حصونهم للطاغية واستقل بأمر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية بدعوة العباسية وتغلب على شرق الاندلس أجمع فقصدى الشيخ هذا للثورة عليه وبويع له سنة تسع وعشرين وستمائة ودعا لابي زكريا صاحب افريقية وأطاعه جيان وشريش سنة ثلاثين بعدها واستظهر على أمره بقرابته من بني نصر وأصهاره بني اشقيلولة ثم بايع لبني هود سنة احدى وثلاثين عندما بلغه وصول الخلع من بغداد ثم ثار باشبيلية أبو مروان الباجي عند خروج ابن هود عنها ورجوعه الى مرسية فداخله محمد بن الاحمر في الصلح على أن يزوجه ابنته فأطاعه ودخل اشبيلية سنة اثنتين وثلاثين ثم فتك بابن الباجي فقتله وتناول البطش به على بن اشقيلولة ثم راجع أهل اشبيلية بعدها بشهر دعوة ابن هود واخرج ابن الاحمر ثم تغلب على غرناطة سنة خمس وثلاثين عندما جاءه أهلها حين ثار ابن أبي خالد بدعوته فيها ووصلته بيعتها وبجيان وقدم اليها على بن اشقيلولة ثم جاء على اثره ونزلها وابتنى بها حصن الحمراء لنزوله ثم تغلب على مالقة ثم تناول المرية من يد ابن الرميمي وزير ابن هود الثائر بها سنة ثلاث وأربعين ثم بايعه أهل لورقة سنة ثلاث وستين وكان ابن الاحمر أول أمره وصل يده بالطاغية استظهارا على أمره فعضده وأعطاه ابن هود ثلاثين حصنا في كف عربه بسبب ابن الاحمر وليعينه على ملك قرطبة فتسلمها ثم تغلب على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أعادها الله ثم نازل اشبيلية سنة ست وأربعين وابن الاحمر معه ثم دخلها صلحا وملك أعمالها ثم ملك مرسية سنة خمس وستين ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك المسلمين كورة كورة وثغرا ثغرا الى أن ألجأ المسلمين الى سيف البحر ما بين رندة من المغرب الى شرق الاندلس نحو عشر مراحل ثم سخط ابن الاحمر وطمع في الاستيلاء على سائر الجزيرة فامتنعت عليه وتلاحق بالاندلس الغزاة من بني مرين وغيرهم وعقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق لنحو الثلاثة آلاف منهم فأجازوا في حدود الستين وستمائة وتقبل ابن الاحمر اجازتهم ودفع بهم في نحر عدوهم ورجعوا ثم تناسلوا اليه بعد ذلك ولم يزل الامر على ذلك الى أن هلك الشيخ ابن الاحمر سنة احدى وسبعين وستمائة وولي بعده ابنه محمد الفقيه وأوصاه باستصراخ بني مرين ملوك المغرب بعد الموحدين ان طرقه أمر أن يعتضد بهم فأجاز الفقيه الى يعقوب بن عبد الحق سلطان فاس والمغرب سنة ثنتين وسبعين فاجاب صريخه وأرسل ابنه وعساكره معه ثم أجاز على اثره وتسلم الجزيرة الخضراء من ثائر كان بها وخطها ركابا للجهاده ونزل اليه ابن الاحمر عن طريف وسار اليها من الحصون وهزم هو وابن الاحمر زعيم النصرانية دننه وفرق جمعه وأوقع بجموع الطاغية من كل جهة وبث سراياه وبعوثه في أرض النصرانية ثم خاف ابن الاحمر على ملكه وصالح الطاغية ثم عاد انتهى كلام ابن خلدون ملخصا وثبتت عقب ابن الاحمر بالاندلس واستولوا على جميع ما بأيدي المسلمين من ملكها مثل الجزيرة وطريف ورندة التي كانت بيد بني مرين وبعد مدة ألب ملوك النصارى سنة تسع عشرة وسبعمائة على غرناطة وجاءه الطاغية دون بطره في جيش لا يحصى ومعه خمسة وعشرون ملكا وكان من خبر هذه الوقعة أن الافرنج حشدوا وجمعوا وذهب سلطانهم دون بطره الى طليطلة ودخل على مرجعهم الذي يقال له الباباو سجد له وتضرع وطلب منه

الاثنين كالرجل الحزين ودموعه تجري من عينيه لاتنقطع (ومنها) انه خرج ذات يوم من حائرة وهي دار الفيلة وحيدرة وراءه وباقي الثمانين تبع لهما فاجتاز منعر فلس في سيره الى شارع قليل العرض من شوارع المنصورة فما جاء في سيره امرأة على حين غفلة فلما بصرت به دهشت واستلقت على قفاها من الجزع وانكشف عنها أطمارها في وسط الطريق فلما رأى ذلك منعر فلس وقف بعرض الشارع مستقبلا بجسمه الايمن من وراءه من الفيلة مانعا لهم من النفوذ من أجل المرأة وأقبل يشير اليها بخرطومه بالقيام ويجمع عليها أثوابها ويستر منها ما بدا الى ان انتقلت المرأة وتزحزحت عن الطريق بعد أن عاد اليها روحها فاستقام الفيل في طريقه واتبعه الفيلة وللفيلة أخبار عجيبة الحربية منها والعمالة لان منها ما لايحارب فيجر العجل وتحمل عليه الاثقال ويستعمل في دياس الأرز وغيره من الاقوات كدوس البقر في البيدر وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار الزنج والفيلة وكونها في بلادها وليس في سائر الممالك أكثر منها في بلاد الزنج وهي وحشية هنالك فهذه جمل من أخبار ملوك

٢٧ ط ل السند والهند ولغة السند خلاف لغة الهند والسند مما يلي الاسلام ثم الهند ولغة أهل المانكير وهي دار مملكة البلهرا أكثرها

استئصال ما بقي من المسلمين بالاندلس وأكد عزمه فعلق المسلمون بغرناطة وغيرها وعزموا على الاستنجاد بالمريني أبي سعيد صاحب فاس وأنفذوا اليه رسلا فلم يجمع ذلك الدواء ورجعوا الى أعظم الادوية وهو اللجأ الى الله تعالى وأخلصوا النيات وأقبل الافرنج في جموع لاتحصى ومعى ناصر من لاناصر له سواه بهزم أمم النصرانية وقتل طاغيتهم دون بطره ومن معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهورا ومشهودا وكان السلطان اذ ذاك بالاندلس الغالب بالله أبو الوليد اسمعيل بن الرئيس أبي سعيد فرج بن نصر المعروف بابن الأحمر ورغب أن يحصن البلاد والثغور فلما بلغ النصارى ذلك عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب السلطان ابن الاحمر لردهم وجهز الاساطيل والرجال فلما رأوا ذلك طلبوا الى طليطلة وعزموا على استئصال المسلمين وبلادهم وتأهبوا لذلك غاية الاهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات الحصار والاقوات في المراكب ووصل العدو الى غرناطة وامتلأت الارض بهم فتقدم السلطان الى شيخ الغزاة الشيخ العلم أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء المريني بالخروج الى لقائهم بأنجاد المسلمين وشجعانهم فخرج اليهم يوم الخميس الموفى عشرين لربيع الاول ولما كان ليلة الاحد أغارت سرية من العدو على سرية من المسلمين فخرجت اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرماة فقطعوهم عن الجيش وفرت تلك السرية أمامهم الى جهة سلطانهم فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستأصلوهم وكان هذا أول النصر ولما كان يوم الاحد ركب الشيخ أبو سعيد لقتال العدو في خمسة آلاف من أبطال المسلمين المشهورين فلما شاهدهم الفرنج عجبوا من اقدامهم مع قلتهم في تلك الجيوش العظيمة فركبوا وحملوا بجملتهم عليهم فانهزم الفرنج أقبح هزيمة وأخذتهم السيوف وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة لجمع الاموال وأخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن السبي سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطيين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسارى امرأة الطاغية واولاده فبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا فيما حكى بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدة القتلى في هذه الغزوة على خمسين ألفا ويقال انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطريق واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك الخمسة والعشرون جميعهم واستمر البيع في الاسرى والاسباب والدواب ستة أشهر ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين والاجناد سوى ثلاثة عشر فارسا وقيل عشرة أنفس وقيل كان عسكر الاسلام نحو ألف وخمسمائة فارس والرجالة نحوا من أربعة آلاف راجل وقيل دون ذلك وكانت الغنيمة تفوق الوصف وسلخ الطاغية دون بطره وحشي جلده قطنا وعلق على باب غرناطة وبقي معلقا سنوات وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم وبعد أن ملكوا جبل الفتح الذي كان من أعمال فاس والمغرب وهو جبل طارق لم يزل بأيديهم الى أن ارتجعه أمير المسلمين أبو الحسن المريني صاحب فاس والمغرب بعد ان انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا انه الى أن استرجعوه ليد المسلمين واهتم

مضافة الى الصقع وهى كبيرة ولغة . ٢١٠ . اهله مثل صيمور وسوماره وماية وغير ذلك من مدن الساحل مثل لاروى وبلادهم مضافة الى البحر الذى ذكرنا عليه وهو لاروى وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب وبهذا الساحل أنهار عظام تجرى من الجنوب والعلة من أنهار العالم وليس فى انهار العالم ما يجرى من الجنوب الى الشمال الا نيل مصر ومهران السند ويسير من الانهار وما عدا ذلك من أنهار العالم يجرى من الشمال الى الجنوب وقد ذكرنا وجه العلة فى ذلك وما قاله الناس فى هذا المعنى فى كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا ما انخفض من الانهار وما ارتفع وليس فى ملوك السند والهند من يعز المسلمين فى ملكه الا البلهرا فالاسلام فى ملكه عزيز مصون ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة الصلوات للمسلمين ويملك الملك منهم الاربعين سنة والخمسين سنة فصاعدا وأهل مملكته يزعمون أنه اعا طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل واكرام المسلمين وهو ملك يرزق الجنود من بيت ماله كفعل المسلمين بجنودهم وله دراهم طاطرية وزن الدرهم منها وزن درهم ونصف بكته بدء تاريخ ملكهم وفيلته الحربية لاتحصى كثرة وتدعى بلاده أيضا بلاد السكنكر ويحاربهم ملك الخزر

بنائه وتحصينه وأنفق عليه اجمال مال فى بنائه وحصنه وسوره وابراجه وجامعه ودوره ومحاربه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصبر المسلمون وخيب الله سعى الكافرين فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور يحيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فاحاط بجموعها احاطة الهالة بالهلال وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد فى تحصينه ابنه السلطان أبو عنان ولما اجاز السلطان أبو الحسن المذكور الى الاندلس واجتمع عليه ابن الاحمر وقاتلهم الطاغية هزمهم فى وقعة طريف واستولى على الجزيرة الخضراء حتى قيض الله من بنى الاحمر الغنى بالله محمدا الذى كان لسان الدين بن الخطيب وزيره فاسترجعها وجملة بلاد كجيان وغيرها وكانت له فى الجهاد مواقف مشهورة وامتد ملكه حتى عاد دولة سلاطين فاس عما وراء البحر وملك جبل الفتح ونصر الله الاسلام على يده كما ستقف عليه فى بعض مكاتبات لسان الدين رحمه الله فى مواضع من هذا الكتاب وبعد هذا الغنى بالله من العجائب وبقى ملك الاندلس فى عقبه الى أن اخذ ما بقى من الاندلس العدو الكافر واستولى على حضرة الملك غرناطة أعادها الله للاسلام كما نبين ذلك ان شاء الله وخلت جزيرة الاندلس من اهل الاسلام فأبدلت من النور بالظلام حسبما اقتضته الاقدار النافذة والاحكام والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين قال ابن خلدون واتفق بنو الاحمر سلاطين غرناطة ان يجعلوا مشيخة الغزاة لواحد يكون من أقارب بنى مرين سلاطين المغرب لانهم أول من ولى الاندلس عندا ستيلاء بنى عمهم على ملك المغرب لما بينهم من المنافسة وكان لهؤلاء فى الجهاد مواقف مشهورة منها ما كتب على قبر شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلاء لتستدل عند ذلك على ما ذكرناه بحمد الله تعالى هذا قبر شيخ الحماة وصدر الابطال والكماة واحد الجلالة ليث الاقدام والبسالة علم الاعلام حامى ذمار الاسلام صاحب الكتائب المنصورة والافعال المشهورة والمغازى المسطورة وامام الصفوف القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم الاعاد واسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام الماجد الارضى البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفقه ما بين روحة فى سبيل الله وغدوة حتى استوفى فى المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا مجتهدا فى طاعة الرب محتسبا فى ادارة الحرب ماضى العزائم فى جهاد الكفار مصادما بين جموعهم تدفق التيار وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ما سار ذكره فى الاقطار أشهر من المثل السيار حتى توفى رحمه الله وغبار الجهاد طى أثوابه وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فمات على ما عاش عليه وفى ملحمة الجهاد قبضه الله تعالى اليه واستأثر به سعيدا مرتضى وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد ونتيجة جهاد وجلاد ودليلا على نيته الصالحة وتجارته الرابحة فارتجت الاندلس لبعده اتحفه الله تعالى رحمة من عنده

من احدى جهات مملكته وهو ملك كثير الخيول والابل والجنود ويزعم انه ليس فى ملوك العالم أجل منه الا صاحب اقليم بابل وهو الاقليم الرابع وذلك ان هذا الملك ذو نخوة وصولة على سائر الملوك وهو مع ذلك مبغض للمسلمين وهو كثير الهيبة وملكه على لسان من الارض وفى أرضه معادن الذهب والفضة ومبايعاتهم بهما ثم يلى هذا الملك ملك الطافى موادع لمن حوله من الملوك وهو مكرم للمسلمين وليست جيوشه كجيوش من ذكرنا من الملوك وليس فى نساء الهند أحسن من نسائهم ولا أكثر منهن جمالا وبياضا وهن موصوفات الحلوات مذكورات فى كتب الباه وأهل البحر يتنافسون فى شرائهن يعرفن بالطافيات ثم يلى هذا الملك مملكة رهمى وهذه سمة لملوكهم وهو الاعم من أسمائهم ويقاتلهم ملك الخزر وملكه متاخم لملكهم ورهمى يحارب البلهرا أيضا من احدى جهات مملكته وهو أكثر جيوشا وفيلة وخيولا من البلهرا ومن ملك الخزر ومن ملك الطافى واذا خرج فى حروبه فرسمه أن يكون فى خمسين ألف فيل ولا يكون حربه الا فى الشتاء لقلة صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها والمكثرون من الناس يغلون بالقول فى كثرة جنوده فيزعمون أن عدد القصارين والغسالين فى عسكره

تخربه الاحداث التي الذي بحجه من عام ثلاثين وسبعمائة انتهى * ومنها ما كتب به لسان الدين بن الخطيب رحمه الله في تولية علي بن بدر الدين مشيخة الغزاة ما نصه هذا شيخ الغزاة الذي فتح على الاسلام أبواب السراء وراق طرازا مذهبا على عاتق الدولة الغراء واعمل عوامل الجهاد في طاعة رب العباد شارعة لاهل الكفر والعناد من باب الاعمال والاعراب ثمره الذي صدور صدور اوداته وحسامه المشهور على اعدائه ووليه الذي جبر صرف وفائه وجلى في مضمار الخلوص له مغبرا في وجوه اكفائه شيخ شيوخ المجاهدين وقائد كتائبه المنصورة الى غزو الكافرين والمعتدين وعترته التي يدافع بها عن الدين وسابق وده المبرور في الميادين الشيخ الاجل الى آخر ما وصفه به مما ضاق الوقت عن مثله والله ولي التوفيق

(الباب الرابع)

في ذكر قرطبة التي كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهرة وجامعها الاموي ذي البدائع الباهية الباهرة والالماع بحضرة الملك الناصرية الناصرة والعامرية الزاهرة ووصف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة وما يجر اليه شجون الحديث من أمور تقضي بحسن ايرادها القرائح الوقادة والافكار الماهرة * قال ابن سعيد رحمه الله مملكة قرطبة في الاقليم الرابع والتابعة للشمس وفي هذه المملكة معدن الفضة الخالصة في قرية كرتش ومعدن الزئبق والزنجفر في بلد بسطاسة ولاجزائها خواص منه كورة في متفرقاتها وأرضها أرض كريمة النبات انتهى وقدم رحمه الله في المغرب الكلام عليها على سائر أقطار الاندلس وقال انما قدمنا هذه المملكة من بين سائر الممالك الاندلسية لكون سلاطين الاندلس الاول اتخذوها سرير السلطنة الاندلسية ولم يعدلوا عن حضرتها ثم سلاطين بني أمية وخلفاؤهم لم يعدلوا عن هذه المملكة وتقلبوا منها في ثلاثة أقطار أداروا فيها خلافتهم قرطبة والزهراء والزاهرة وانما اتخذوها لهذا الشأن لما رأوها لذلك أهلا وقرطبة أعظم علما وأكثر فضلا بالنظر الى غيرها من الممالك لاتصال الحضارة العظيمة والدولة المتوارثة فيها ثم قسم ابن سعيد كتاب الحلة المذهبة في حلى ممالك قرطبة بالنظر الى الكور الى أحد عشر كتابا الكتاب الاول كتاب الحلى الذهبية في حلى الكورة القرطبية الكتاب الثاني كتاب الدرر المصونة في حلى كورة بلكونة الكتاب الثالث كتاب محادثة السير في حلى كورة القصير الكتاب الرابع كتاب الوشي المصور في حلى كورة المدور الكتاب الخامس كتاب نيل المراد في حلى كورة مراد الكتاب السادس كتاب المزنة في حلى كورة كزنة الكتاب السابع كتاب الدر النافق في حلى كورة غافق الكتاب الثامن كتاب النفحة الارجة في حلى كورة استجة الكتاب التاسع كتاب الكواكب الدرية في حلى الكورة القبرية الكتاب العاشر كتاب رقة المحبة في حلى كورة اسنبة الكتاب الحادي عشر كتاب السوسانة في حلى كورة اليسانة انتهى قال رحمه الله تعالى ان العمارة اتصلت في مباني قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث انه كان يمشي فيها بضوء السرج الممتدة عشرة أميال حسبما ذكره الشقندي في رسالته ثم قال ولكل

من عشرة آلاف الى خمسة عشر ألفا وحرب من ذكرنا من الملوك كراديس كل كردوس عشرون ألفا أربعة أوجه كل وجه من الكردوس خمسة آلاف ومملكة رهمي تعاملهم بالودع وهو مال البلد وفي بلده العود والذهب والفضة والثياب التي ليست لغيره رتبة ودقة ومن بلده يحمل الشعر المعروف بالصمر الذي تتخذ منه المذاب بنصب العاج والفضة تقوم الخدم على رؤوس الملوك في مجالسها وفي بلده الحيوان المعروف بالنشان المعلم وهو الذي تسميه العوام الكركدن وله في مقدم جبهته قرن واحد وهو دون الفيل في الخلقة وأكبر من الجاموس الى السواد هو يجتر كما تجتر البقر وغيرها مما يجتر من الحيوان والفيلة تهرب منه وليس في أنواع الحيوان والله أعلم أشد منه وذلك أن أكثر عظامه أصم ولا مفصل في قوائمه ولا يبرك فيسم انما يكون بين الشجر والآجام يستند اليها عند نومه والهند تأكل لحمه وكذلك من في بلادهم من المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس بأرض الهند والهند كثيرة وهذا النوع من النشان يكون في أكثر غابات الهند الا أنه في مملكة رهمي أكثر وقرونه أصفى وأحسن وذلك أن قرنه أبيض وفي وسطه صورة سوداء في ذلك البياض اما صورة

مدينة

مدينة من مدن قرطبة وأعمالها كرخص به ... كر المسافات التي بين عمالات قرطبة المذكورة فقال بين المدور وقرطبة ستة عشر ميلا وبين قرطبة وبرادخمسة وعشرون ميلا وبين قرطبة والقصير ثمانية عشر ميلا وبين قرطبة وغافق مرحلتان وبين قرطبة وأستة ستة وثلاثون ميلا وبين قرطبة وملكونة مرحلتان وبين قرطبة ... أربعون ميلا وبين قرطبة وقيرة ثلاثون ميلا وبين قرطبة وبيانة مرحلتان وبين قرطبة و... ثلاثون ميلا وكورة ونده كانت في القديم من عمل قرطبة ثم صارت من مملكة اشبيلية وهي أ ... وأدخل في المملكة الاشبيلية انتهى (ثم قسم رحمه الله كتاب ... في حلى الكورة القرطبية الى خمسة كتب) * الكتاب الأول كتاب النعم المضيئة في حلى حضرة قرطبة الكتاب الثاني كتاب الصبيحة الغراء في حلى حضرة الزهراء الكتاب الثالث كتاب البدائع الباهرة في حلى حضرة الزاهرة الكتاب الرابع كتاب ... في حلى مدينة شقندة الكتاب الخامس كتاب الخرعة البيعة في حلى كورة ... قال رحمه الله تعالى في كتاب النعم المطربة في حلى حضرة قرطبة ان حضرة قرطبة احدى عرائس مملكتها وفي اصطلاح الكتاب ان الامروس الكاملة التي تشتمل على ما يعلى بذكر المدينة في نفسها وتاجها وهو مختص بالابانة السلطانية وسلكها وهو مختص باصحاب دروز الكلام من النثار والنظام وحلتها وهي مختصة باعلام العلماء المصنفين الذين ليس لهم نظم ولا نثر ولا يجب اهمال تراجمهم وأهدابها وهي مختصة بأصحاب فنون الهزل وما نحو منحاه انتهى ثم فصل رحمه الله ذلك كله بما تعددت منه الاجزاء وقد لخصت منه هنا بعض ما ذكر ثم أردفته بكلام غيره فأقول قال في كتاب أخبار قرطبة بأنباء المحنة ومعناه أحرسا كنها الغي عربت بالطاء ثم قال ودور مدينة قرطبة ثلاثون ألف ذراع انتهى وقال غيره ان تكسيرها ومساحتها التي دار السور عليها دون الارباض طولا من القبلة الى الجوف ألف وسمائة ذراع واتصلت العمارة بها أيام بني أمية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا وذلك من الاميال أربعة وعشرون في الطول والعرض ستة وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادي الكبير وليس في الاندلس وادي يسمى باسم عربي غيره ولم تزل قرطبة في الزيادة منذ الفتح الاسلامي الى سنة أربعمائة فانحطت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن الى أن كانت الطامة الكبرى عليها بأخذ العدو الكافر لها في ثاني وعشري شوال سنة ستمائة وثلاث وعشرين ثم قال هذا القائل ودور قرطبة المسورة دون الارباض ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ودور قصر امارتها ألف ذراع ومائة ذراع انتهى وعدد أرباضها احد وعشرون في كل ربض منها من المساجد والاسواق والحمامات ما يقوم بأهله ولا يحتاجون الى غيره وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منبر وفقيه مقلس تكون الفتيا في الاحكام والشرائع له وكان لا يجعل القالص منهم على رأسه الا من حفظ الموطأ وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ المدونة وكان هؤلاء المقلسون المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويطالعونه بأحوال بلدهم انتهى قال وانتهت جباية قرطبة أيام ابن أبي عامر الى ثلاثة آلاف ألف دينار بالانصاف

انسان أو صورة طاوس بتخطيطه وشكله أو صورة سمكة أو صورته في نفسه أو صورة ... من الحيوان مما يوجد في ثلاث

... وينشر هذا القرن و ... المناطق والسيور ... الحلية من الذهب و... يتلبسها ملوك الصين ... يتنافسون في لبسها ... في أثمانها ... الى ديار الى ... فهما ... في الذهب ... في نهاية الحسن ... ويرصع بأنواع من الجواهر على ... الذهب ووجوه تلك الصور ... سواد في بياض ... سواد في ... بياض في سواد وليس في كل بلد يوجد في ... السبان ما ذكرنا من الصور وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الكركدن يحمل في بطن أمه سبع سنين وأنه يخرج رأسه من بطن أمه ... ثم يدخل رأسه في بطنها وهذا القول أورده في كتاب حياة الحيوان على طريق الحكاية والتعجب فبعثني هذا الوصف على مسألة من سلك تلك الديار من أهل سيراف وعمان وممن رأيت بأرض الهند من التجار وكل يتعجب من قولي اذا أخبرته بما عندي من هذا وسألته عنه ويخبروني

أن حمله ووضعه كالبقر والجواميس ولست أدري كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ أمن كتاب نقله أو مخبر خبره

وقد ذكر فى موضع آخر ما فيه مخالفة لهذا فالله أعلم وما أحسن قول بعضهم

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها * ولا تعظم بلاد الفرس والصين
فما على الارض قط مثل قرطبة * وما مشى فوقها مثل ابن حمدين

(وقال بعضهم) قرطبة قاعدة الاندلس ودار الملك التى يجبى لها ثمرات كل جهة وخيرات كل ناحية واسطة بين الكور موفية على النهر زاهرة مشرقة أحدقت بها المنى فحسن مرآها وطاب جناها وفى كتاب فرحة الانفس لابن غالب أما قرطبة فانها لفظ ينحو الى لفظ اليونانيين وتأويله القلوب المشككة وقال أبو عبيد البكرى انها فى لغة القوط بالطاء المعجمة وقال الحجارى الضبط فيها باهمال الطاء وضمها وقد يكسرها المشرقيون فى الضبط كما يعجمها آخرون انتهى (وقال بعض العلماء) أما قرطبة فهى قاعدة الاندلس وقطبها وقطرها الاعظم وأم مدائنها ومساكنها ومستقر الخلفاء ودار المملكة فى النصرانية والاسلام ومدينة العلم ومستقر السنة والجماعة نزلها جملة من التابعين وتابع التابعين ويقال نزلها بعض الصحابة وفيه كلام * وهى مدينة عظيمة ازلية من بنيان الاوائل طيبة الماء والهواء أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب وبها المحرث العظيم الذى ليس له فى بلاد الاندلس نظير ولا أعظم منه بركة * وقال الرازى قرطبة أم المدائن وسرة الاندلس وقرارة الملك فى القديم والحديث والجاهلية والاسلام ونهرها أعظم أنهار الاندلس وبها القنطرة التى هى احدى غرائب الارض فى الصنعة والاحكام والجامع الذى ليس فى بلاد الاندلس والاسلام أكبر منه * وقال بعضهم هى أعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب لها عندى شبيه فى كثرة أهل وسعة محل وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق ويزعم قوم من أهلها انها كأحد جانبى بغداد وان لم تكن كأحد جانبى بغداد فهى قريبة من ذلك ولاحقة به وهى مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة وفيها كان سلاطينهم قديما ودورهم داخل سورها المحيط بها وأكثر أبواب القصر السلطانى من البلد وجنوب قرطبة على نهرها قال وقرطبة هذه بائنة عن مساكن أرباضها ظاهرة ودرت بها فى غير يوم فى قدر ساعة وقد قطعت الشمس خمس عشرة درجة ماشيا * وقال وكانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع علماء الانام الاعلام بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة فى رواية الشعر والشعراء اذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب ويبارى فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب ولم تبرح ساحاتها مجر عوالى ومجرى سوابق ومحط معالى وحمى حقائق وهى من بلاد الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد والزور من الاسد ولها الداخل الفسيح والخارج الذى يمتع البصر بامتداده فلا يزال مسرحا وهو من تردد النظر طليح * وقال الحجارى حضرة قرطبة منذ افتتحت الجزيرة وهى كانت منتهى الغاية ومركز الراية وأم القرى وقرارة اولى الفضل والتقى ووطن اولى العلم والنهى وقلب الاقاليم وينبوع متفجر العلوم وقبة الاسلام وحضرة الامام ودار صوب العقول وبستان ثمر الخواطر وبحر درر القرائح ومن أفقها طلعت نجوم الارض وأعلام العصر

ببلاد ... فى مملكته بر وبحر ويلى مملكته ملك آخر يقال له ملك الكاسين وأهل مملكته بيض مخرومو الآذان لهم فيل وإبل و... وحسن وجمال الرجال والنساء ثم بعد هؤلاء ملك الطافن وله بر وبحر وهو على ... المرقى البحر ... كثير وفى بلده ... وهو ... كثيرة ... دو ... وبحر ... أكثر ... ثم يلى ... الموجه ... وجانبيه شرقى الآذان ... كثيرة وعدد منيعة والمسك فى بلادهم كثير على ما قدمنا من غزلانهم ونوافجهم فيما سلف من هذا الكتاب وهذه الأمة تشبه بأهل الصين فى لباسهم وبلادهم منيعة ... لا يعلم بأرض السند والهند ولا ... من هذه الممالك ... أطول أعمارا ولا أصح ومساكنهم موصوف ... فى بلدهم يتعارفه البحريون ممن عنى بحمل ذلك وتحريره وهو المسك المعروف بالمرجهى ثم يلى ملك الموجه مملكة الماند وهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وجنود عظيمة وملوكهم تستعمل الخصيان فى عمالات بلدانهم من المعادن وجبايات الاموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ما وصفنا من أخبارهم

وفرسان

فرسان النظم والنثر وبها أنشئت التأليفات الرائقة وصنفت التصنيفات الفائقة والسبب فى تبريز القوم حديثا وقديما على من سواهم أن أفقهم القرطبى لم يشتمل قط الا على البحث والطلب لانواع العلم والادب انتهى * (وقال على بن سعيد) أخبرنى والدى أن السلطان الاعظم أبا يعقوب بن عبد المؤمن قال لوالده محمد بن عبد الملك بن سعيد ما عندك فى قرطبة قال فقلت له ما كان لى أن أتكلم حتى أسمع مذهب أمير المؤمنين فيها فقال السلطان ان ملوك بنى أمية حين اتخذوها حضرة ملكهم لعلى بصيرة الديار الكثيرة المنفسحة والشوارع المتسعة والمبانى الفخمة والنهر الجارى والهواء المعتدل والخارج النضر والمحرث العظيم والشعراء الكافية والتوسط بين شرق الاندلس وغربها * قال فقلت ما أبقى لى أمير المؤمنين ما أقول * ثم قال ابن سعيد ومن كلام والدى فى شأنها هى من أحسن بلاد الاندلس مبانى وأوسعها مسالك وأبرعها ظاهرا وباطنا وتفضل اشبيلية بسلامتها فى فصل الشتاء من كثرة الطين ولاهلها رياسة ووقار ولا تزال سمة العلم وارثة فيهم الا أن عامتها أكثر الناس فضولا وأشدهم تشنعا وتشغبا ويضرب بهم المثل ما بين أهل الاندلس فى القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضا بامورهم حتى ان السيد أبا يحيى بن يعقوب بن عبد المؤمن لما انفصل عن ولايتها قيل له كيف وجدت أهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان أثقلته به صاح ما ندرى أين رضاهم فنقصده ولا أين سخطهم فنجتنبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا من عامة العراق وان العزل عنها لما قاسيت من أهلها عندى ولاية وانى ان كلفت العود اليها لقائل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين *(قال والدى) ومن محاسنها ظرف اللباس والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة وتعظيم أهلها لجامعها الاعظم وكسر أوانى الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها والتستر بأنواع المنكرات والتفاخر بأصالة البيت وبالجندية وبالعلم وهى أكثر بلاد الاندلس كتبا وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذى لا تكون عنده معرفة يحتفل فى أن تكون فى بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس الا لأن يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلانى ليس عند أحد غيره والكتاب الذى هو بخط فلان قد حصله وظفر به * (قال الحضرمى) أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء الى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد فى ثمنه فيرجع الى المنادى بالزيادة على الى أن بلغ فوق حده فقلت له يا هذا أرنى من يزيد فى هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا يساوى قال فأرانى شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له أعز الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض فى هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده قال فقال لى لست بفقيه ولا أدرى ما فيه ولكنى أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين أعيان البلد وبقى فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير قال الحضرمى فأحرجنى وحملنى على أن قلت له نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك يعطى الجوز من لا له أسنان وأنا الذى أعلم ما فى هذا الكتاب واطلب

والمابد مجاورون لمملكة الصين والرسل تختلف بينهم بالهدايا وبينهم جبال منيعة وعقبات صعبة والمابد من عظماء البطش والقوة واذا دخل رسل ملك المابد مملكة الصين يرون ملك الصين بهم ويقرئهم ينتشرون فى بلادهم خوفا أن يقعوا على ضرفهم وعورات بلادهم الخ
المابد فى نوسهم وما ذكرناه من الهند والصين فى بلادهم ولغيرهم من الامم أخلاق وشيم فى المآكل والمشارب والمناكح والملابس والعلاج والادوية والكى بالنار وغيره وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح فى أجوافهم لانه داء يؤدى ولا يحتشمون فى اشهارها فى سائر أحوالهم وكذلك فعل حكماؤهم ورأيهم ان حبسها داء يؤدى وان ارسالها شفاء وان فى ذلك العلاج الاكبر وأن فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وأن فيه دواء للسقيم المطحول ولا يحتشمون من الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وللهند التقدم فى صناعة الطب ولهم فيه اللطافة والحذق وذكر هذا الخبر عن الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط وان الجشاء فى وزن الفساء
وأن صوت الضرطة دباغها والمذهب عنها ريحها واستشهد هذا الخبر على صحة ما حكاه عن الهند باستفاضة

الاستمتاع به يكون الرزق عندي قليلا وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه ❊(قال ابن سعيد)
وجرت مناظرة بين يدي منصور بن عبد المؤمن بين الفقيه العالم أبي الوليد بن رشد والرئيس
أبي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في كلامه ما أدري ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية
فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها واذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته
حملت الى اشبيلية ❊(وسئل ابن بشكوال) عن قصر قرطبة فقال هو قصر أولي تداولته
ملوك الامم من لدن عهد موسى النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم وفيه من المباني الاولية
والآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والامم السالفة ما يعجز الوصف ثم ابتدع الخلفاء
من بني مروان منذ فتح الله عليهم الاندلس بما فيها في قصرها البدائع الحسان وأثروا فيه
الآثار العجيبة والرياض الانيقة وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على
المسافات البعيدة وموّنوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها الى القصر الكريم وأجروها في كل
ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه في قنوات الرصاص تؤديها منها الى المصانع صور مختلفة
الاشكال من الذهب الابريز والفضة الخالصة والنحاس المموه الى البحيرات الهائلة والبرك
البديعة والصهاريج الغريبة في احواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة قال وفي هذا القصر
القصاب العالية السمو المنيفة العلو التي لم ير الراؤن مثلها في مشارق الارض ومغاربها
❊(قال) ومن قصوره المشهورة وبساتينه المعروفة الكامل والمجدد والحائر والروضة
والزاهر والمعشوق والمبارك والرستق وقصر السرور والتاج والبديع (قال) ومن أبوابه
التي فتحها الله لعدل المظلومين وغياث الملهوفين والحكم بالحق الباب الذي عليه السطح
المشرف الذي لا نظير له في الدنيا وعلى هذا الباب باب حديد وفيه حلق لاطون قد أثبتت
في قواعدها وقد صورت صورة انسان فتحه فيه وهي حلق باب مدينة أربونة من بلد الافرنج
وكان الامير محمد قد افتتحها فجلب حلقها الى هذا الباب وله باب قبلي أيضا وهو المعروف
بباب الجنان وقدام هذين البابين المذكورين على الرصيف المشرف على النهر الاعظم
مسجدان مشهوران بالفضل كان الامير هشام الرضي يستعمل الحكم في المظالم فيهما ابتغاء
ثواب الله الجزيل وله باب ثالث يعرف بباب الوادي وله باب بشماليه يعرف بباب قورية
وله باب رابع يدعى بباب الجامع وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة الى المسجد
الجامع على الساباط وعدد أبوابا بعد هذا طمست أيام فتنة المهدي بن عبد الجبار ❊(وذكر
ابن بشكوال رحمه الله) أن أبواب قرطبة سبعة أبواب باب القنطرة الى جهة القبلة ويعرف
بباب الوادي وبباب جزيرة الخضراء وهو على النهر وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة
وباب ابن عبد الجبار وهو باب طليطلة وباب رومية وفيه تجتمع الثلاثة أرصفة التي تشق
دائرة الارض من جزيرة قادس الى قرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طركونة الى أربونة
سائرة في الارض الكبيرة ثم باب طليرة وهو أيضا باب ليون ثم باب عامر القرشي وقدامه المقبرة
المنسوبة اليه ثم باب الجوز ويعرف بباب بطليوس ثم باب العطارين وهو باب اشبيلية انتهى
وذكر أيضا ان عدد أرباض قرطبة عند انتهائها في التوسع والعمارة احد وعشرون ربضا
منها القبلية بعدوة النهر ربض شقندة وربض منية عجب وأما الغربية فتسعة ربض حوانيت

قول في ذلك في كثير من ادباء عصرهم حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك ما ذكر
في الارجوزة المعروفة
بذات الحلل وهي
قد فاز ذو العلم الفصيح
الهندي
مقالة فيها بيان عندي
لا تحبس الضرطة ان حصرت
وخلها واقفة ما نفرت
فمن أدوا آراه في امره كما
والروح والراحة في اخراجها
والقبح في السعال والاخلاط
والشرخ في اسهال لا الضراط
اما الحشاء فمساء صاعد
وتنفه على الفساء زائد
وأن الريح واحد في
الجوف وانما تختلف
أسماؤها باختلاف مخارجها
فما ذهب تصعدا سمي
حشاء وما ذهب سفلا سمي
فساء ولا فرق بين الريحين
الا باختلاف المخرجين كما
بين الصفعة واللطمة لا
أن اللطمة في الوجه والصفعة
في مؤخر الرأس والقفا والمعنى
واحد وانما اختلفت أسماؤها
لاختلاف الموضعين
وتباين المكانين وأن
الحيوان الناطق اذا كثرت
علله وترادفت أدواؤه
واتصلت أمراضه كالقولنج
وأوجاع المعدة وغيرها
من العوارض يحبس الداء
في جوفه وتركه اظهاره في
حال هيجانه وتفرق الطبيعة
لدفعه واخراجه وأن سائر

الريحاني وربض الرقاقين وربض مسجد الكهف وربض بلاط مغيث وربض مسجد
الشفاء وربض حمام الالبيري وربض مسجد السرور وربض مسجد الروضة وربض السجن القديم
وأما الشمالية فثلاثة ربض باب اليهود وربض مسجد أم سلمة وربض الرصافة وأما الشرقية
فسبعة ربض شبلار وربض قرن بريل وربض البرج وربض منية عبد الله وربض منية المغيرة
وربض الزاهرة وربض المدينة العتيقة قال وبوسط هذه الارباض قصبة قرطبة التي تختص
بالسور دونها وكانت هذه الارباض بدون سور فلما كانت أيام الفتنة صنع لها خندق يدور
بجميعها وحائط مانع *(وذكر ابن غالب) انه كان دور هذا الحائط أربعة وعشرين ميلا
وشقندة معدودة في المدينة لانها مدينة قديمة كانت مسورة *(قال ابن سعيد) في المغرب
ولنذكر الآن من منتزهات قرطبة ومعاهدها المذكورة في الالسن نظما ونثرا ما انتهى
اليه الضبط من غير تغلغل في غير المشهور منها والاهم ونوشي ذلك بجميع ما يحضرني من
مختار النظم في قرطبة وما يحتوي عليه نطاقها المذكور فأول ما نذكر من المنتزهات
منتزهات الخلفاء المروانية وهو قصر الرصافة فنقول كان هذا القصر مما ابتناه عبد الرحمن
ابن معاوية في أول أيامه لتنزهه وسكناه أكثر أوقاته منية الرصافة التي اتخذها بشمال
قرطبة منحرفة الى الغرب فاتخذ بها قصرا حسنا ودحا جنانا واسعة ونقل اليها غرائب
الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية وأودعها ما كان استجلبه يزيد وسفر رسولاه الى الشام
من النوى المختارة والحبوب الغريبة حتى نمت بيمين الجد وحسن التربية في المدة القريبة
أشجارا معتمة أثمرت بغرائب من الفواكه انتشرت عما قليل بارض الاندلس فاعترف بفضلها
على أنواعها قال وسماها باسم رصافة جده هشام بارض الشام الاثيرة لديه ولميله في اختيار
هذه وكلفه بها وكثرة تردده عليها وسكناه أكثر أوقاته بها طار لها الذكر في أيامه واتصل من
بعده في ايثارها قال وكلهم فضلها وزاد في عمارتها وانبرى أوصاف الشعراء لها فتنازعوا
في ذلك فيما هو الى الآن مشهور مأثور عنهم مستعاد منهم *وقال ابن سعيد والرمان
السفري الذي فاض على أرجاء الاندلس وصاروا لا يفضلون عليه سواه أصله من هذه
الرصافة وقد ذكر ابن حيان شأنه وأفرد له فصلا فقال انه الموصوف بالفضيلة المقدم على
أجناس الرمان بعذوبة الطعم ودقة العجم وغزارة الماء وحسن الصورة وكان رسوله الى
الشام في توصيل اخته منها الى الاندلس قد جلب طرائف منها من رمان الرصافة المنسوبة
الى هشام قال فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله مباهيا به وكان فيمن حضره منهم سفر
ابن زيد الكلاعي من جند الاردن ويقال هو من الانصار الذين كانوا يحملون ألوية رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزواته قال وهم يحملون الالوية بين يدي الخلفاء من بني أمية
فاعطاه من ذلك الرمان جزأ فراقه حسنه وخبره فسار به الى قرية بكورة رية فعالج عجمه
واحتال لغرسه وغذائه وتنقيله حتى طلع شجرا أثمر وأينع فنزع الى عرقه وأغرب في حسنه
فجاء به عما قليل الى عبد الرحمن فاذا هو أشبه شئ بذلك الرمان فسأله الامير عنه فعرفه
وجه حيلته فاستبرع استنباطه واستنبل همته وشكر صنعه وأجزل صلته واغترس منه بمنية
الرصافة وبغيرها من جنانه فانتشر نوعه واستوسع الناس في غراسه ولزمه النسب اليه فصار

ما يعرض ويثور من الادواء في أجوافها وعدم احتباسها في وعائها وأن
الفلاسفة والمتقدمين
والحكماء اليونانيين
كديمقراطيس وفيثاغورث
وسقراط وروحانس وغيرهم
من حكماء الامم لم يكونوا
يرون حبس شئ من ذلك
لعلمهم بما يتولد من آفاته
ويؤول اليه من متعقباته
وان ذلك يجده في نفسه
كل ذي حس وان ذلك
يعلم بالطبيعة ويدرك
بضرورة العقل وانما استقبح
ذلك أناس من أصحاب
الشرائع لما وردت به
الشرائع ومنعت منه الملل
ولم يجر ذلك في عاداتهم
(قال المسعودي) وقد أتينا
على أخبارهم وما أحكمنا
من ذكر شيمهم وعجائب
سيرهم ومتصرفاتهم في
كتابنا أخبار الزمان وفي
الكتاب الاوسط وكذلك
أتينا على ذكر أخبار المهراج
ملك الجزائر والطيب
والافاويه مع ملك قار وما
جرى للملك قار مع المهراج
وأخبار ملوك الصين
وملك سرنديب مع ملك
مندري وهي بلاد مقابلة
لجزيرة سرنديب كمقابلة
بلاد قمار لجزائر المهراج
من الزانج وغيرها وكل
ملك يملك بلاد مندري
يسمى القايدي وسنأتي
بجمل من أخبار ملوك
الشرق والغرب واليمن والحيرة فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار ملوك اليمن والفرس واليونانيين

يعرف الى الآن بالرمان السفرى قال وقد وصف هذا الرمان محمد بن روح الشاعر فى أبيات كتب بها الى بعض من أهداه له فقال

ولابسة صدفا أحمرا * أتتك وقد ملئت جوهرا
كانك فاتح حق لطيف * تضمن مرجانه الاحمرا
حبوبا كمثل لثات الحبيب * رضابا اذا شئت أو منظرا
وللسفر تعزى وما سافرت * فتشكو النوى أو تقاسى السرى
بلى فارقت ايكها ناعما * رطيبا وأغصانها نضرا
وجاءتك معتاضة اذ أتتك * با كرم من عودها عنصرا
بعود ترى فيه ماء الندى * ويورق من قبل أن يثمرا
هدية من لو غدت نفسه * هديته ظنه قصرا

(وقال ابن سعيد) وأخبرنى والدى قال أخبرنى الوشاح المبرز ابو الحسن المرينى قال بينما أنا أشرب مع ندمانى بازاء الرصافة اذ بانسان رث الهيئة مجفو الطلعة قد جاء فجلس معنا فقلنا له ما هذا الاقدام على الجلوس معنا دون سابق معرفة فقال لا تعجلوا على ثم فكر قليلا ورفع رأسه فانشدنا

اسقنيها ازاء قصر الرصافه * واعتبر فى مآل أمر الخلافه
وانظر الافق كيف بدل ارضا * كى يطيل اللبيب فيه اعترافه
و يرى أن كل ما هو فيه * من نعيم وعز أمر سخافه
كل شئ رأيته غير شئ * ما خلا لذة الهوى والسلافه

قال المرينى فقبلت رأسه وقلت له بالله من تكون فقال قاسم بن عبود الرياحى الذى يزعم الناس انه موسوس أحمق قال فقلت له ما هذا شعر أحمق وان العقلاء لتعجز عنه فبالله الا ما نعمت مسرتنا بعوانستك ومنادمتك ومناشدة طرف أشعارك فنادم وأنشد وما زلنا معه فى طيبة عيش الى أن ودعناه وهو يتلاطم مع الحيطان سكرا ويقول اللهم غفرا انتهى (قال) ومن قصور خارج قرطبة قصر السيد أبى يحيى بن أبى يعقوب بن عبد المؤمن وهو على متن النهر الاعظم تحمله اقواس وقيل للسيد كيف تانقت فى بنيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة فقال علمت انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر لما بقى فى رؤسهم من الخلافة المروانية فاحببت أن يبقى لى فى بلادهم أثر أذكر به على رغمهم * قال ابن سعيد وأخبرنى والدى أن ناهض بن ادريس شاعر وادى آش فى عصره أنشد لنفسه فى هذا القصر

ألا حبذا القصر الذى ارتفعت به * على الماء من تحت الحواجب اقواس
هو المصنع الاعلى الذى انف الثرى * ورفعه عن لثمه المجد والناس
فاركب متن النهر عزا ورفعة * وفى موضع الاقدام لا يوجد الراس
فلا زال معمور الجناب وبابه * يغص وحلت أفقه الدهر أعراس

وقال الفتح فى قلائده لما ذكر الوزير ابن عمار وتنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجرى فى اتقانه الى غير أمد وأبدع بناؤه ونمقت ساحاته وفناؤه واتخذوه

(ذكر جبل الفتح وأخبار الامم من اللان والسرير والخزر وأنواع من الترك وغيرهم وأخبار الباب والابواب ومن حولهم من الامم)

أما جبل الفتح فهو جبل عظيم وصقعه صقع جليل قد اشتمل على كثير من الممالك والامم وفى هذا الجبل اثنان وسبعون أمة كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها وهذا الجبل ذو شعاب وأودية ومدينة الباب والابواب والسور على شعب من شعابه بناها كسرى أنوشروان وجعلها بينه وبين الخزر وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه مادا الى البحر ثم على جبل الفتح مادا فى أعاليه ومنخفضاته وشعابه نحوا من أربعين فرسخا الى أن ينتهى ذلك الى قلعة يقال لها طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذى جعل الباب من أجله بابا من حديد وأسكن من داخله على كل باب أمة تراعى ذلك الباب وما يليه من السور كل ذلك ليدفع أذى الامم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان والسرير وغيرهم من انواع الكفار وجبل الفتح يكون فى المسافة علوا وطولا وعرضا

واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار أفراحهم وحكوا به قصرهم بالشرق وأطلعوه كالكوكب المشرق وأنشد فيه لابن عمار

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى ولذ المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندي * عنبر أشهب ومسك أحم

وهي منسوبة للحاجب أبي عثمان جعفر بن عثمان المصحفي * وذكر الحجاري في المسهب أن الرئيس أبا بكر محمد بن أحمد بن جعفر المصحفي اجتاز بالمنية المصحفية التي كانت لجده أيام حجابته للخليفة الحكم المستنصر فاستعبر حين تذكر ما آل اليه حال جده مع المنصور بن أبي عامر واستيلائه على ملكه وأملاكه فقال

قف قليلا بالمصحفية واندب * مقلة أصبحت بلا انسان
واسألنها عن جعفر وسطاه * ونداه في سالف الازمان
جعفر مثل جعفر حكم الدهر عليه بعزة وهوان
وإلكم حذر الردى فصمتنا * لا أمان لصاحب السلطان
بينما يعتلي غدا خافضا منه اكتئاب ككفة الميزان

ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عمر الملثم ملك قرطبة (قال ابن سعيد) أخبرني والدي عن أبيه قال خرج معي الى هذه المنية في زمان فتحه النوار أبو بكر بن بقي الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر من أشجار اللوز وقد نورت فقال ابن بقي

سطر من اللوز في البستان قابلني * ما زاد شئ على شئ ولا نقصا
كأنما كل غصن كم جارية * اذا النسيم ثنى اعطافه رقصا

ثم قال شعرا منه

عجبت لمن أبقى على خمر دنه * غداة رأى لون الحديقة نورا

ولا أذكر بقية الابيات قال جدي ثم اجتمعت به بعد ذلك بغرناطة فذكرته باجتماعه في منية الزبير فتنهد وفكر ساعة وقال اكتبوا عني فكتبنا

سقى الله بستان الزبير ودام في * ذراه مسيل النهر ما غنت الورق
فكائن لنا من نعمة في جنابه * كبرته الخضراء طالعها طلق
هو الموضع الزاهي على كل موضع * أما طاله ضاف أماماؤه دفق
أهيم به في حالة القرب والنوى * وحق له مني التذكر والعشق
ومن ذلك النهر الخفوق فؤاده * بقلبي ما غيبت عن وجهه خفق

قال فقلت له جمع الله بينك وبينه على الحالة التي تشتهي قال ذلك لك قلت وكيف ذلك قال تدفع لي هذا السيف الذي تقلدت به أتزود به اليه وأنفق الباقي فيه على ما تعلم قال فقلت له هذا السيف شرفني به السلطان أبو زكريا بن غانية وما لعطائه سبيل ولكن أعطيك قيمته فخرج وأتى بشخص يعرف قيمة السيوف فقدره وجعل يقول انه سيف السلطان ابن غانية ليعظم قدره في عينه فبيز يده في قيمته ثم قبض ما قدر به وأنشد ارتجالا

شعابه يلي بحر الخزر مما يلي الباب والابواب على ما ذكرنا ومن شعابه ما يلي بحر مانطش المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب الذي ينتهي اليه خليج القسطنطينية وعلى هذا البحر طرابزنده وهي مدينة على شاطئ هذا البحر لها أسواق في السنة يأتي اليها كثير من الامم للتجارة من المسلمين والروم والارمن وغيرهم وبلاد كسكر ولما بنى أنوشروان هذه المدينة المعروفة بالباب والابواب والسور في البر والبحر والجبل أسكن هناك أمما من الناس وملوكا وجعل لهم مراتب رتبهم عليها ووسم كل أمة منهم بسمة معلومة وحد لها حدا معلوما على حسب فعل أزدشير بن بابك حين رتب ملوك خراسان فمن رتب أنوشروان من الملوك في بعض هذه البقاع والمواضع مما يلي الاسلام من بلاد بردعة ملك يقال له شروان ومملكته مضافة الى اسمه فيقال لها شروان شاه وكل ملك يلي هذا الصقع يقال له شروان وتكون مملكته في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة نحو شهر لانه كان تغلب على مواضع لم يكن رسمها له أنوشروان فانضافت الى مملكته والملك في هذا الوقت المؤرخ والله أعلم مسلم يقال له محمد بن يزيد وهو من ولد بهرام جور

لاخلاف فى نسبه وكذلك ملك السرير من ولد بهرام جور وكذلك صاحب خراسان فى هذا الوقت المؤرخ من

أطال الله عمر فتى سعيد * وبقاه ورقته السعود
غدا الى جوده سببا لعودى * الى وطنى فها أنا ذا أعود
وألثم كفه شكرا وأتلو * طريفى آى نعماه النشيد
حمانى من ذخائره بسيف * به لم يبق للاحزان جيد

والقصر الفارسى من القصور المقصودة للنزاهة بخارج قرطبة وقد ذكره الوزير أبو الوليد ابن زيدون فى قصيد ضمنه من منتزهات قرطبة ما تقف عليه وكان قد فر من قرطبة أيام بنى جهور وتحضره فى فراره عيد ذكره بأعياد وطنه ومعاهده الانسية مع ولادة التى كان يهواها ويتغزل فيها فقال

خليلى لا فطر يسر ولا أضحى * فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى

وستأتى هذه القصيدة فى هذا الباب كما ستأتى قصيدة أبى القاسم بن هشام القرطبى التى أولها * يا هبة باكرت من نحو دارين * وفيها كثير من منتزهات قرطبة * قال ابن سعيد كان والدى كثيرا ما يأمرنى بقراءتها عليه ويقول والله لقد أنبأت عن فضل لهذا الرجل قال وكان أبو يحيى الحضرمى يحفظها ويزين بها مجالسه ويحلف أن لا ينشدها بحضرة جاهل لا يفهم وحاسد لا ينصف فى الاهتزاز لها وانه لجدير بذلك وانها لمن كنوز الادب ثم قال والمرج النضير المذكور بها هو مرج الخز اخبرنى والدى انه حضر فى زمان الصبا بهذا المرج على راحة ومعه الرئيس الفاضل أبو الحسين ابن الوزير أبى جعفر الوقشى والمسن ابن دويدة المشهور بخفة الروح قال فسبحت أمامنا أوز وجعلت تمرح وتنثر ما عليها من الماء فوق المرج والمرج قد أحدق به الوادى والشمس قد مالت عليه للغروب فقال لى أبو الحسين بالله صف يومنا وحسن هذا المنظر فقلت لا أصفه أو تصفه أنت ولا بد من ذلك فافتكر كل منا على انفراد بعد ما ذكرنا ما نصف نثرا فقال أبو الحسين الوقشى

لله يوم بمرج الخز طاب لنا * فيه النعيم بحيث الروض والنهر
وللاوز على أرجائه لعب * اذا جرت بددت ما بيننا الدرر
والشمس تجنح نحو البين مائلة * كأن عاشقها فى الغرب ينتظر
والكاس جائلة باللب حائرة * وكلنا غفلات الدهر يبتدر

قال فقلت

الا حبذا يوم ظفرنا بطيبه * بأكناف مرج الخز والنهر يبسم
وقد مرحت فيه الاوز وأرسلت * على سندس درا به يتنظم
ومد به للشمس فهو كأنه * لثام لها ملقى من النور معصم
أدرنا عليها كؤسا بعثت به * من الانس ميتا عاد وهو يكلم
غدونا اليه صامتين سكينة * فرحنا وكل بالهوى يترنم

فأظهر كل منا لصاحبه استحسان ما قال تنشيطا وتتميما للمسرة ثم قلنا للمسن ما عندك أنت تعارض به هاتين القطعتين قال بهذا ورفع رجله وحبق حبقة فرفعت منها أرجاؤه فقال له أبو الحسين ما هذا يا شيخ السوء فقال الطلاق يلزمه ان لم تكن أوزن من شعركما وأطيب رائحة

ولد اسمعيل بن أحمد واسمعيل من ولد بهرام جور لا خلاف فيما ذكرنا من شهرة أنساب من ذكرنا وقد غلب محمد هذا وهو شروان على مدينة الباب والابواب وذلك بعد موت صهر له يقال له عبد الملك ابن هشام وكان رجلا من الانصار وكان فى دار امرة الباب والابواب وقد كانوا تغلبوا بها منذ دخلها مسلمة بن عبد الملك وغيره من أمراء الاسلام فى صدر الزمان وتلى مملكة شروان مملكة أخرى من جبل القبخ يقال لها الاران وملكها يدعى الاران شاه وقد غلب على هذه المملكة فى هذا الوقت شروان أيضا وعلى مملكة أخرى يقال لها مملكة الموقانية والمعول فى مملكته على مملكة اللكز وهى أمة لا تحصى كثرة ساكنة فى أعالى هذا الجبل ومنهم كفار لا ينقادون الى ملك شروان يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون الى قبلة ولهم أخبار وطريقة فى المناكح والمعاملات وهذا الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج فيه أمم لا يعرف بعضهم بعضا لخشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه فى الجو وكثرة غياضه وأشجاره وتسلسل المياه من أعلاه وعظم صخوره واحجاره وغلب هذا الرجل المعروف

واغن

وأغن صوتا وأطرب معنى فضحكنا منه أشد ضحك وجعلناه غاية الاهتزاز لموقع نادرته فقال والدليل على ذلك أنكم طربتم لما جئت به أكثر مما طربتم من شعركم * ثم قال ابن سعيد ومن منتزهات قرطبة المشهورة فحص السرادق مقصود للفرجة يسرح فيه البصر وتبتهج فيه النفس أخبرني والدي عن أخيه أبي جعفر بن عبد الملك بن سعيد قال خرجت مع الشريف الاصم القرطبي الى بسيط الجزيرة الخضراء وقد تدبج بالنوار فلما حركنا حسن أمكان وتشوقنا الى الاركان قال الشريف لقد ذكرني هذا البسيط بسيط فحص السرادق فقلت له فهل ثار في خاطرك نظم فيه قال نعم ثم أنشد

ألا فدعوا ذكر العذيب وبارق * ولا تسأموا من ذكر فحص السرادق
مجرّ ذيول السكر من كل مترف * ومجرى الكؤس المترعات السوابق
قصرت عليه اللحظ ما دمت حاضرا * وفكري في غيب لمرآه شائق
أيا طيب أيام تقضت بروضة * على لمح غدران وشم حدائق
اذا غردت فيها حمائم دوحها * تخيلتها الكتاب بين المهارق
وما باختيار الطرف فارقت حسنها * ولكن بكيد من زمان منافق

قال أبو جعفر لما سمعت هذا الشعر لم أملك من الاستعبار وحركني ذلك الى أن قلت في حور مؤمل سيد منتزهات غرناطة ولم أذكر هنا ما قاله فيه وذكره في موضع آخر لم يحضرني الآن حتى أورده هنا والله أعلم ومن منتزهات قرطبة السد قال ابن سعيد أخبرني والدي ان الشاعر المبرز أبا الشهاب المالقي أنشده لنفسه واصفا يوم راحة بهذا السد

ويوم لنا بالسد لو رد عيشه * بعيشة أيام الزمان رددناه
بكرنا له والشمس في خدر شرقها * الى أن أجابت اذ دعا الغرب دعواه
قطعناه شدوا واغتباقا ونشوة * ورجع حديث لو رقى الميت أحياه
على مثله من منزه تبتغى المنى * فلله ما أحلى وأبدع مرآه
شدت بنا به الارجاء وألقت نثارها * علينا فأصغينا له وقبلناه
لئن بان أنا بالانين لفقده * وبالدمع في اثر الفراق حكيناه

وأنشدني والدي موشحة لابي الحسن المريني معاصره وصاحبه يذكر فيها هذا السد وهي

(مطلع)

في نغمة العود والسلافه * والروض والنهر والنديم
اطال من لامني خلافه * فظل في نعته مليم

(دور)

دعني على منهج التصابي * ما قام لي العذر بالشباب
ولا تطل في المنى عتابي * فلست اصغي الى عتاب
لا ترج ردي الى جواب * والكاس تفتر عن حباب
والغصن يبدي لنا انعطافه * اذا هفا فوقه النسيم
والروض أهدى لنا قطافه * واختال في برده الرقيم

محمد بن يزيد الى ماله منها خراسان شاه وبادان شاه وسنذكر بعد هذا الموضع تغلبه على مملكة شروان وقد كان قبل ذلك على الاران هو وأبوه من قبل ثم على سائر الممالك وتلي مملكة شروان في جبل القبق مملكة طبرستان وملكها في هذا الوقت مسلم وهو ابن أخت عبد الملك الذي كان أمير الباب وهي أول الامم المتصلة بالباب والابواب ويسادى أهل الباب والابواب مملكة يقال لها حيدان وهذه الامة داخلة في جملة ملوك الخزر وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر وذلك انها افتتحت في بدء الزمان افتتحها سلمان ابن ربيعة الباهلي رضي الله تعالى عنه فانتقل الملك عنها الى مدينة آمل وبينها وبين الاولى سبعة أيام وآمل التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك يتشعب منه شعبة نحو بلاد البلغر وتصب في بحر مانطس وهذه المدينة جانبان وفي وسط النهر جزيرة فيها دار الملك وقصر الملك في وسط هذه الجزيرة وبها جسر الى أحد الجانبين من سفن وفي هذه المدينة

(دور)

ياحبذا عهدي القديم * ومن به همت مسعدي
ريم عن الوصل لا يريم * مولــع بالتودد
ماتم الا به النعيم * طوعا على رغم حسدي
معتدل القد ذو نحافه * اسقمني طرفه السقيم
ورام طرفي به انتصافه * فخد في خده الكليم

(دور)

غصن الصبا عاطر المقبل * أحلى من الامن والامل
ظامي الحشا مفعم المخلخل * حلو اللمى ساحر المقل
لكل من رامه توصل * لم يخش ردا لما فعل
اشكو فيبدي لي اعترافه * ان حاد عن نهجه القويم
لا أعدم الدهر فيه رافه * يحق لي فيه أن أهيم

(دور)

لله عصر لنا تقضى * بالسد والمنبر البهيج
أرى ادكاري اليه فرضا * وشوقه دائما يهيج
فكم خلعنا عليه غضا * وللصبا مسرح أريج
ورد أطال المنى ارتشافه * حتى انقضى شربه الكريم
لله ما أسرع انحرافه * وهكذا الدهر لا يديم

(دور)

يا من يحث المطي غربا * عرج على حضرة الملوك
وانثر بها ان سمعت غربا * من مدمع عاطل سلوك
واسمع الى من أقام صبا * واحلل صداه لا فض فوك
بلغ سلامي قصر الرصافه * واذكره عهدي القديم
وحي عني دار الخلافه * وقف بها وقفة الغريم

قال ابن سعيد والمنبر المذكور في هذه الموشحة من متنزهات قرطبة والسد هو الارحاء التي ذكرها في زجله قاسم بن عبود الرياحي روايته عن والدي عن قائله وهو

(مطلع)

بالله أي نصيب * من ليس لي فيه نصيب
محبوبا يخالف * ومعو رقيب

(دور)

حين نقصد مكانو * يقعد في المقام
و يخل علينا * برد السلام
أدخلت يا قلبي * روحك في زحام

خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه وكان تهود ملك الخزر في خلافة هرون الرشيد وقد انضاف اليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك أن ملك الروم نقل من كان في ملكه من اليهود الى دين النصرانية وأكرههم وهو أرمنوس ملك الروم في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية أخبار ملوك الروم وأعدادهم وأخبار هذا الملك ومن قد شاركه في ملكه في هذا الوقت المؤرخ فتهارب خلق من اليهود من أرض الروم الى أرض الخزر على ما وصفنا وكان لليهود مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا وأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس منهم الصقالبة والروس وهم في احدى جانبي هذه المدينة ويحرقون موتاهم ودوابهم وآلاتهم والحلي واذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة وان ماتت المرأة لم يحرق الرجل وان مات أعزب زوج بعد وفاته والنساء يرغبن في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة وهذا فعل من أفعال الهند على حسب ما ذكرنا آنفا الا ان الهند

سلامتك

سلامتك عندي * هي شي عجيب
وكيف بالله يسلم * من هو في لهيب

(دور)

يا الله يا حبيبي * اترك ذا النقار
واعمد أن نطيب * في هذا النهار
واخرج معي للوادي * لشرب العقار
نتمم نهارنا * في لذة وطيب
في الارحا والا * في المرج الخصيب

(دور)

أو عند النواعير * والروض الشريق
أو قصر الرصافه * أو وادي العقيق
حق والله دونك * هو عندي الحريق
وفي حبك امسيت * في أهلي غريب
وما الموت عندي * الا حين تغيب

(دور)

اتكل على الله * وكن فطجور
وان ريت فضولي * فقل أي عور
كش عني وجهك * فان رآك نفور
يهرب عنك خائف * ويبقى مريب
وامش انت موقر * كانك خطيب

(دور)

ما اعجب حديثي * ايش هذا الجنون
نطلب ونديبر * امرا لا يكون
وكم ذا تهون * شيأ لا يهون
وايش مقدار ما نصبر * لبعد الحبيب
رب اجمعني معو * عاجلا قريب

قال ابن سعيد وأما نهر قرطبة فانه يصغر عن عظمه عند اشبيلية بحيث صنع عليه قنطرة من حجارة لا يتأتى مثلها في نهر اشبيلية ومنبعه من جهة شقورة يمر النصف منه الى مرسية مشرقا والنصف الى قرطبة واشبيلية مغربا ولما ذكر الرازي قرطبة قال ونهرها الساكن في جريه اللين في انصبابه الذي تؤمن مغبة ضرره في حمله وقال هذا الا انه يعظم عند اشبيلية فاذا كان حمله في ايام الامطار أشفت اشبيلية على الغرق وتوقع اهلها الهلاك والقنطرة التي على هذا النهر عند قرطبة من اعظم آثار الاندلس واعجبها اقواسها سبعة عشرة قوسا وبانيها على ماذكره ابن حيان وغيره السمح بن مالك الخولاني صاحب الاندلس بامر عمر بن عبد

ليس من شانها أن تحرق المرأة مع زوجها الا أن ترى ذلك المرأة والغالب في هذا البلد المسلمون لانهم جند الملك وهم يعرفون في هذا البلاد باللارشية وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم وكان في قديم الزمان بعد ظهور الاسلام وقع في بلادهم جدب ووباء فانتقلوا الى ملك الخزر وهم ذوو باس وشدة وعليهم يعول ملك الخزر في حروبه وأقاموا في بلده على شروط بينهم أحدها اظهار الدين والمساجد والاذان وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم والوزير في وقتنا هذا منهم هو أحمد بن كويه وثالثها أنه متى كان لملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا في عسكره منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم ويحاربون معه سائر الناس من الكفار ويركب منهم مع الملك في هذا الوقت نحو من سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخود ومنهم رامحة أيضا على حسب ما في المسلمين من آلات السلاح ولهم قضاة مسلمون ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة اثنان منهم للمسلمين واثنان للخزر يحكمون بحكم التوراة واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم النصرانية وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم بأحكام الجاهلية وهي قضايا عقلية فاذا ورد عليهم ما لا علم لهم به من النوازل

العزيز رضي الله عنه وشيد هابنو أمية بعد ذلك وحسنوها قال ابن حيان وقيل انه قد كانت في هذا المكان قنطرة من بناء الاعاجم قبل دخول العرب بنحو مائتي سنة أثرت فيها الزمن ومكابدة المد حتى سقطت حناياها ومحيت أعاليها وبقيت أرجلها وأسافلها وعليها بنى السمح في سنة احدى ومائة انتهى وقال في مناهج الفكر ان قنطرة قرطبة احدى أعاجيب الدنيا بنيت زمن عمر بن عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقي وطولها ثمانمائة ذراع وعرضها عشرون باعا وارتفاعها ستون ذراعا وعدد حناياها ثمان عشرة حنية وعدد أبراجها تسعة عشر برجا انتهى *(رجع الى قرطبة)* ذكر ابن حيان والرازي والحجاري أن التنبان ثاني قياصرة الروم الذي ملك أكثر الدنيا وصفح نهر رومية بالصفر فأرخت الروم من ذلك العهد وكان من قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثمان وثلاثين سنة أمر ببناء المدن العظيمة بالاندلس فبنيت في مدته قرطبة واشبيلية وماردة وسرقسطة وانفرد الحجاري بأن التنبان المذكور وجه أربعة من اعيان ملوكه للاندلس فبنى كل واحد منهم مدينة في الجهة التي ولاه عليها وسماها باسمه وان هذه الاسماء الاربعة كانت أسماء لاولئك الملوك وغير الحجاري جعل أن هذه المدن مشتقة مما تقتضيه اوضاعها كما مر وذكروا انه قد تداولت على قرطبة ولاة الروم الاخيرة الذين هم بنو عيصو بن اسحق بن ابراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام الى أن انتزعها من أيديهم القوط من ولد يافث المتغلبون على الاندلس الى أن اخذها منهم المسلمون ولم تكن في الجاهلية سرير السلطنة الاندلس بل كرسيا لخاص مملكتها وسعدت في الاسلام فصارت سرير السلطنة العظمى الشاملة وقطبا للخلافة المروانية وصارت اشبيلية وطليطلة تبعا لها بعدما كان الامر بالعكس والله يفعل مايشاء بيده الملك والتدبير وهو على كل شئ قدير لا اله الا هو العلي الكبير وقال صاحب نشق الازهار عندما تعرض لذكر قرطبة هي مدينة مشهورة دار خلافة واهلها أعيان ناس في العلم والفضل وبها جامع ليس في الاسلام مثله انتهى ومن الاسباب في سلب محاسن قرطبة عيث البربر بها في دخولهم مع سليمان المستعين الاموي حين استولى على قرطبة في دولته التي افتتحت بالقهر وسفك الدماء وكان من امراء البربر المعاضدين لسليمان علي بن حمود من بني علي بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم أجمعين وجده ادريس هرب من هرون الرشيد الى البربر فقبر بر ولده وبنى ابنه ادريس مدينة فاس وكان المؤيد هشام يشتغل بالملاحم ووقف على أن دولة بني امية تنقرض بالاندلس على يد علوي أول اسمه عين فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحوا كثيرا من محاسنها ومحاسن أهلها كان من اكبر أمرائهم علي بن حمود وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه فدس اليه ان الدولة صائرة اليك وقال له ان خاطري يحدثني أن هذا الرجل يقتلني يعني سليمان فان فعل فخذ بثاري وكان هذا الامر هو الذي قوى نفس ابن حمود على طلب الامامة وحمله على الاخذ بثار هشام المؤيد فكان المؤيد أحد من اخذ بثاره بعد موته وتولى بعد ذلك علي بن حمود وبويع بقرطبة في قصرها في اليوم الذي قتل فيه سليمان المستعين واخذ الناس بالارهاب والسطوة واذل رؤس البربر وبرقت للعدل في ايامه بارقة خلب لم تكد

المسلمين فتحا كموا اليهم وانقادوا الى ماتوجبه شريعة الاسلام وليس في

نعضام اجتمعوا الى قضاة ملوك الشرق في هذا الصقع من له جند من يرو غير ملك الخزر وكل مسلم من تلك الديار يعرف باسم هؤلاء القوم اللارسية والروس والصقالبة من ذكرنا انهم جنده من جند الملك وعبيده وفي بلاده خلق من المسلمين تجار وصناع غير اللارسية في طرف باسمه لعدله وأمنه ولهم مسجد جامع والمنارة تشرف على قصر الملك ولهم مساجد أخر فيها المكاتب لتعليم الصبيان القرآن فاذا اتفق المسلمون ومن بها من النصارى لم يكن للملك بهم طاقة (قال المسعودي) وليس اخبارنا عن ملك الخزر نريد به خاقان وذلك ان للخزر ملكا يقال له خاقان ورسمه أن يكون في يدي ملك آخر وهو وغيره فخاقان في جوف قصر لا يعرف الركوب ولا الظهور للخاصة ولا للعامة ولا الخروج من مسكنه معه حرمه لا يأمر ولا ينهى ولا يدبر من أمر المملكة شيأ ولا تستقيم مملكة الخزر لملكهم الا بخاقان يكون عنده في دار مملكته ومعه في حيزه واذا أجدبت ارض الخزر أونابت بلادهم نائبة أوتوجهت عليهم حرب لغيرهم من الامم أوفاجأهم أمر من الامور نفرت الخاصة والعامة الى

تقدم حتى خبت وجلس للظالم وقدمت له جماعة من البربر في اجرام فضرب رقابهم واهلهم
وعشائرهم ينظرون وخرج يوما على باب عامر فالتقى فارسا من البربر وامامه حمل عنب فاستوقفه
وقال له من اين لك هذا فقال أخذته كما يأخذ الناس فأمر بضرب عنقه ووضع رأسه وسط الحمل
وطيف به في البلد واستمر على هذا مع اهل قرطبة في أحسن عشرة نحو ثمانية أشهر حتى بلغه
قيام الاندلسيين بالمرتضى المرواني في شرق الاندلس فتغير عما كان عليه وعزم على اخلاء
قرطبة وابادة أهلها فلا يعود لا غتهم بها سلطان آخر الدهر وأغضى للبربر عن ظلمهم فعاد البلاء
الى حاله وانتزع أهل قرطبة وهدم المنازل واستهان بالاكابر ووضع المغارم وقبض على جماعة
من أعيانهم وألزمهم مالا فلما غرموه سرحهم فلما جاءوا اليهم بدوابهم ليركبوها أمر من أخذ
الدواب وتركهم يمشون الى منازلهم على أرجلهم وكان منهم أبو الحزم الذي ملك قرطبة بعد
وصارت دولته بوراثة ولده معدودة في دول الطوائف فاجتمعت عن على النفوس وتوالى عليه
الدعاء فقتله صبيان أغمار من صقالبة بني مروان في الحمام وكان قتله غرة ذي القعدة سنة
ثمان وأربعمائة وكان الصقالبة ثلاثة فهربوا واختفوا في اماكن يعرفونها وصح عند
الناس موته ففرحوا وكانت مدته كلها نحو عامين وحققها بعض فقال أحد وعشرون
شهرا وستة أيام وكان الناصر على بن حمود على عجمته وبعده من الفضائل يصغي الى الامداح
ويثيب عليها ويظهر في ذلك آثار النسب العربي والكرم الهاشمي ومن شعرائه المختصين به
ابن الخياط القرطبي ومن شعره قوله

راحت تذكر بالنسيم الراحا * وطفاء تكسر للجنوح جناحا
أخفى مسالكها الظلام فأوقدت * من برقها كي تهتدي مصباحا

وعبادة بن ماء السماء وكان معروفا بالتشيع وفيه يقول من قصيدة

أبوكم علي كان بالشرق بدؤها * ورثتم وذا بالغرب أيضا سميه
فصلوا عليه أجمعون وسلموا * له الامر اذ ولاه فيكم وليه

ومدحه ابن دراج القسطلي بقوله

لعلك يا شمس عند الاصيل * شجيت لشجو الغريب الذليل
فكوني شفيعي لابن الشفيع * وكوني رسولي لابن الرسول

وكان أخوه القاسم بن حمود أكبر منه بعشر سنين وامهما واحدة وهي علوية ولما قتل الناصر
كان القاسم واليا على اشبيلية وكان يحيى بن علي واليا على سبتة فاختلف هؤلاء البربر فمال
أكثرهم الى القاسم لكونه غير أولا وتقدم عليه أخوه الاصغر وكونه قريبا من قرطبة
وبينهم وبين يحيى البحر فلما وصلت رسلهم الى القاسم لم يظهر فرحا بالامامة وخاف ان تكون
حيلة من أخيه عليه فتقهقر الى أن اتضح له الحق فركب الى قرطبة وبويع فيها بعد ستة أيام
من قتل أخيه وأحسن السيرة وأحس من البربر الميل الى يحيى ابن أخيه علي صاحب سبتة
فتمالك في اقتناء السودان وابتاع منهم كثيرا وقودهم على أعماله فأنفت البربر من ذلك
وانحرفوا عنه وفي سنة تسع واربعمائة قام عليه بشرق الاندلس المرتضى عبد الرحمن من
اعقاب الناصر لان اهل الاندلس صعب عليهم ملك بني حمود العلويين بسبب البربر فأرادوا

الينا نقتله فربما اسلمه اليهم
فقتلوه وربما تولى هو قتله
وربما رق له فدافع عنه لان
قتله بلا جرم استحقه ولا
ذنب أتاه هذا رسم الخزر
في هذا الوقت فلست أدري
في قديم الزمان كان ذلك
أم حدث وانما ينسب خاقان
هذا الى اهل بيت واعيانهم
ارى ان الملك كان فيهم
قديما والله اعلم وللخزر
زوارق يركب فيها الركاب
التجار في نهر فوق المدينة
يصب الى نهرها من اعاليها
يقال له برطاس عليه امم من
الترك حاضرة داخلة في جملة
ممالك الخزر وعمائرهم
متصلة بين ملك الخزر
والبلغر يرد هذا النهر من
حد بلاد البلغر والسفن
تختلف فيه من البلغر
والخزر وبرطاس امة من
الترك على ما ذكرنا على هذا
النهر المعروف بهم ومن
بلادهم تحمل جلود الثعالب
السود والحمر التي تعرف
بالبرطاسية يبلغ الجلد منها
مائة دينار واكثر ذلك من
السود والحمر اخفض ثمنا
منها وتلبس السود منها
ملوك العرب والعجم
وتتنافس في لبسه وهو
اغلى عندهم من السمور
والفنك وما شاكل ذلك
وتتخذ الملوك منه القلانس

والخفاف ويتخذ في الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من هذه الثعالب البرطاسية السود في أعالي

رجوع الامامة الى بني مروان واجتمع له أكثر ملوك الطوائف وكان معه حين أقبل لقرطبة منذر التجيبي صاحب سرقسطة وخيران العامري الصقلبي صاحب المرية وانضاف اليهم جمع من الفرنج وتأهب القاسم والبرابرة للقائهم فكان من الاتفاق العجيب أن فسدت نية منذر وخيران على المرتضى وقالا أرانا في الاول وجها ليس بالوجه الذي نراه حين اجتمع اليه الجم لغيره وهذا ما كرغيره في النية فكتب خيران الى ابن زيري الصنهاجي المتغلب على غرناطة وهو داهية البربر وضمن له أنه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبة خذل عن نصرته الموالي العامريين أعداء المروانيين وأصحاب رياسة الثغور فأصغى ابن زيري الى ذلك وكتب المرتضى الى ابن زيري يدعوه لطاعته فقلب الكتاب وكتب في ظهره قل يا أيها الكافرون السورة فارسل اليه كتابا ثانيا يقول فيه جئتك بجميع أبطال الاندلس وبالفرنج فاذا اتصح وختم الكتاب بهذا البيت

ان كنت منا أشر بخير * أولا فأيقن بكل شر

فأمر الكاتب ان يحوّل الكتاب ويكتب في ظهره ألهاكم التكاثر السورة فازداد حنقه وحمله الغيظ على أن ترك السير الى حضرة الامامة قرطبة وعدل الى محاربته وهو يرى أن يصطلمه في ساعة من نهار ودامت الحرب أياما وأرسل ابن زيري الى خيران يستنجزه وعده فاجابه انما توقفت حتى ترى مقدار حربنا وصبرنا ولو كنا بيوا طنتنا معك ما ثبت جمعك لنا ونحن نهزم عنه ونخذله في غد ولما كان من الغد أي اعلام خيران واعلام منذر وأصحاب الثغور قد ولت عنه فسقط في يد المرتضى وثبت حتى كادوا يأخذونه واستحر القتل وصرع كثير من أصحابه فلما خاف القبض عليه ولى فوضع عليه خيران عيونا فلحقوه بقرب وادي آش وقد جاوز بلاد البربر وأمن على نفسه فهجموا عليه فقتلوه وجاؤا برأسه الى المرية وقد حل بها خيران ومنذر فتحدث الناس انهما اصطنعا عليه سرورا بهلاكه وبعد هذه الواقعة اذعن أهل الاندلس للبرابرة ولم يجتمع لهم بعدها جمع ينهضون به اليهم وضرب القاسم بن حمود سرادق المرتضى على نهر قرطبة وغشيه خلق من النظارة وقلوبهم تتقطع حسرات وأنشد عبادة بن ماء السماء قصيدته التي أولها

لك الخير خيران مضى لسبيله * وأصبح أمر الله في ابن رسوله

وتمكنت امور القاسم وولي وعزل وقال وفعل الى أن كشف وجهه في خلع طاعته ابن أخيه يحيى بن علي وكتب من سبتة الى أكابر البرابر بقرطبة ان عمي أخذ ميراثي من أبي ثم انه قدم في ولاياتكم التي أخذتموها بسيوفكم العبيد والسودان وأنا اطلب ميراثي وأوليكم مناصبكم واجعل العبيد والسودان كما هو عند الناس فاجابوه الى ذلك فجمع ما عنده من المراكب وأعانه اخوه ادريس صاحب مالقة فجاز البحر بجمع وافر وحصل بمالقة مع اخيه وكتب اليه خيران صاحب المرية مذكرا بما أسلفه في اعانة أبيه وأكد المودة فقال له اخوه ادريس أن خيران رجل خداع فقال يحيى ونحن مخدعون فيما لا يضرنا ثم ان يحيى أقبل الى قرطبة واتفقا بان البرابر معه ففر القاسم الى اشبيلية في خمسة فرسان من خواصه ليلة السبت ٢٨ شهر ربيع الآخر سنة ٤١٣ وحل يحيى بقرطبة فبايعه البرابر والسودان وأهل البلد يوم

من سواحلهم وهي امة عظيمة جاهلية لا تنقاد الى ملك ولا شريعة وفيهم تجار يختلفون الى مدينة بحر البلغر والروس في بلادهم معدن الذهب كثير نحو معدن الفضة الذي بجبل بهجير من أرض خراسان ومدينة البلغر على ساحل بحر نيطس وأرى انهم في الاقليم السابع وهم نوع من الترك والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم من ارض خراسان ومن خوارزم اليهم الا أن ذلك بين براري غيرهم من الترك والقوافل تخفرهم منهم وملك البلغر في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مسلم اسلم في أيام المقتدر وذلك بعد العشر والثلثمائة وذلك لرؤيا رآها وقد كان له ولد حج وورد مدينة السلام وحمل معه للمقتدر لواء وبنودا ولهم جامع وهذا الملك غزا بلاد القسطنطينية في نحو ألف فارس فساعد اقيس لغارات حولها الى بلاد رومية والاندلس وأرض أرجان والجلالقة والافرنجة ومنهم الى القسطنطينية في خليج آخر من البحر الرومي لا منفذ له الى غيره وانتهوا الى بلاد

حرفيديه وأتاهم في البحر جماعة من البلغر يحدونهم وأخبروهم أن ملكهم بالغرب وهذا يدل على ما

السبت مستهل جمادى الآخرة وكان يحيى من الجبناء وأمه قرطبية وانما كانت آفته
العجب واصطناع السفلة واشتط أكابر البرابر عليه وطلبوا امارة عدة من أسقط مراتب
السودان فبذل لهم ذلك فلم يقنعوا منه وصاروا يفعلون معه ما يخرق الهيبة ويصرع بيت المال
وفر السودان الى عمه باشبيلية ومن البرابر من جند الاندلس من احدب عنهم يحيى وتكبر
عليهم ولم يمل اليه ملوك الطوائف وبقي منهم كثير على الخطبة لعمه القاسم الى أن اختلت
الحال بحضرة قرطبة وأيقن يحيى انه متى أقام بها قبض عليه وكان قد ولى على سبتة أخاه
ادريس وبلغه أن أهل مالقة خاطبوا اخيران وكاتبوه فطمع خيران فيها وفر يحيى في خواصه
تحت الليل الى مالقة ولما بلغ القاسم فراره ركب من اشبيلية الى قرطبة فخطب له بها يوم
الثلاثاء ١٢ ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٤١٣ ولم يصلح الحال للقاسم منذ وصل الى
الحضرة ووقع الاختلاف وكان هوى السودان معه وهوى كثير من البرابرة مع يحيى وهوى
أهل قرطبة مع قائم من بني أمية يشيعون ذكره ولا يظهرو وكثر الارجاف بذلك ووقع الطلب
على بني أمية فتفرقوا في البلاد ودخلوا في أغمار الناس وأخفوا ربهم ثم ان الخلاف وقع بين
البربر وأهل قرطبة وثار البلديون وأخرجوا القاسم وبرابرته فضرب خيمة بغربيها وقاتلهم
مدة خمسين يوما قتالا شديدا وبنى القرطبيون أبواب مدينتهم وقاتلوا القاسم من الاسوار
الى أن طال عليهم الحصار فهدموا بابا من الابواب وخرجوا خرجة رجل واحد وصبروا فمنحهم
الله تعالى الظفر وفر السودان مع القاسم الى اشبيلية وفر البرابرة الى شريش وهو بمالقة وكان
فرار القاسم من ظاهر قرطبة يوم الخميس ١٢ ليلة خلت من شعبان سنة ٤١٤ وكان ابنه محمد
ابن القاسم واليا على اشبيلية وثقته المدبر لامره محمد بن زيري من أكابر البرابرة وقاضيها محمد
ابن عباد فعمل القاضي لنفسه وهو جد المعتمد بن عباد وأطمع ابن زيري في التملك فأغلق
الابواب في وجه مصطنعه وجاره فقتل من البرابر والسودان خلق كثير وابن عباد يضحك
على الجميع فيئس القاسم وقنع أن يخرجوا اليه ابنه وأصحابه ويسير عنهم فاخرجوهم اليه فسار
بهم الى شريش وعندما استقر بها وصل اليه يحيى ابن أخيه من مالقة ومعه جمع عظيم وحاصره
في المدينة عشرين يوما كان فيها حروب صعاب وقتل من الفريقين خلق كثير وأجلت الحرب
عن ظهور يحيى لعمه واسلام أهل شريش له وفر سودانه ووصل القاسم وابنه في يد يحيى وكان
قد أقسم أنه ان حصل في يده ليقتلنه ولا يتركه حتى يلي الامامة مرة ثالثة فرأى التربص
في قتله حتى يرى رأيه فيه فحدث عنه بعض أصحابه انه حمله بقيد الى مالقة وحبسه عنده وكان
كلما سكر وأراد قتله رغبه ندماؤه في الابقاء عليه لانه لا قدرة له على الخلاص وكان كلما نام رأى
والده عليا في النوم ينهاه عن قتله ويقول له أخي أكبر مني وكان محسنا الي في صغري ومسلما الي
عند ما أرى الله فيه وامتدت الحال على ذلك الى أن قتله خنقا بعد ١٣ سنة من حين
القبض عليه لانه قد كان حبسه في حصن من حصون مالقة فنمي اليه أنه قد تحدث مع أهل
الحصن في القيام والعصيان فقال أو بقي في رأسه حديث بعد هذا العمر فقتله سنة ٤٢٧ وبقي
أهل قرطبة بعد فرار القاسم نيفا عن عشرين يوما يرون رأيهم فيمن يبايعونه بالامامة ولما كان
يوم الثلاثاء نصف شهر رمضان سنة ٤١٤ أحضر المستظهر وسليمان بن المرتضى وأموي

وحكينا أن البلغر تتصل سراياها الى ساحل بحر الروم وكان نفر منهم ركبوا
في مراكب البرسوسيين
وأتوا بهم الى بلاد برسوس
والبلغر أمة عظيمة منيعة
شديدة البأس ينقاد لها
من جاورها من الامم
والفارس ممن قد أسلم مع
ذلك يقاتل المائة من
الفرسان والمائتين من
الكفار ولا يمنع أهل
القسطنطينية منهم في هذا
الوقت الا أسوارها وكذلك
من في هذا الصقع لا يعتصم
منهم الا بالحصون والجدران
والليل في بلاد البلغر في
نهاية من القصر في بعض
السنة ومنهم من زعم أن
أحدهم لا يستطيع أن
يفرغ من طبخ قدره حتى
يأتي الصباح وقد ذكرنا
فيما سلف من كتبنا علة
ذلك الوجه من الفلك وعلة
الموضع الذي يكون الليل
فيه ستة أشهر لا نهار فيه
والنهار ستة أشهر متصلة
لا ليل فيه وذلك نحو الجدي
وقد ذكر أصحاب الزيجات
في النجوم علة ذلك من
الوجه الفلكي والروس أمم
كثيرة وأنواع شتى ومنهم
من يقال لهم اللودعانة
وهم الاكثرون يختلفون
بالتجارة الى بلاد الاندلس
ورومية وقسطنطينية والخزر
وقد كان بعد الثلثمائة
ورد عليهم نحو من خمسمائة
مركب في كل مركب مائة نفس فدخلوا خليج نيطش المتصل بنهر الخزر وهنالك رجال ملك الخزر مرتبين بالعدد القوية

آخر بعد قبايعا المستظهر وتبلا يده بعدما كان قبل البيعة باسم سليمان بن المرتضى على ما ارتضاه الاماثل فبشر اسمه وكتب اسم المستظهر وركب الى القصر وحمل معه ابنى عمه المذكور بن يحبسهما وكان قد رفع جماعة من الاتباع ذهب بهم العجب كل مذهب كأبى عامر بن شهيد المنهمك فى بطالته وأبى محمد بن حزم المشهور بالرد على العلماء فى مقالته وابن عمه عبد الوهاب بن حزم الغزل المترف فى حالته فأحقد بذلك مشايخ الوزراء والاكابر وبادر المستظهر باصطناع البرابر وأكرم مثواهم وأحسن مأواهم واشتغل مع ابن شهيد وابنى حزم بالمباحثة فى الآداب ونظم الشعر والتمسك بتلك الاهداب والناس فى ذلك الوقت أجهل ما يكون وكان جماعة من أهل الشر فى السجون يتعين أن لا يخرج منهم انسان فأخرج منهم شخصا يقال له أبو عمران وقد كان أشار بعض الوزراء عليه بعدم اخراجه فأخرجه وخالفه فى ذلك ولم يقبل النصيحة وفعل ما أداه الى الفضيحة فسعى القوم الذين خرجوا من المحبوس على افساد دولته وابدال فرحه بالبوس لما اشتغل عنهم بالادباء والشعراء حسبما اقتضاه رأيه المعكوس فسعوا فى خلعه مع البرابر وقتل فى ذى القعدة من السنة التى بويع فيها وصار كأمس الدابر بعد سبعة وأربعين يوما من يوم بويع بالخلافة واذا أراد الله أمرا فلا يقدر أحد أن يأبى خلافه وعمره ثلاث وعشرون سنة كأنها سنة ومن شعر المستظهر المذكور وهو من القريض الممدوح صاحبه بالبلاغة المشكور

طال عمر الليل عندى * مذ تولعت بصدّى
يا غزالا نقض العهـ * ـد ولم يوف بوعدى
أنسيت العهد اذ بتـ * ـنا على مفرش ورد
واعتنقنا فى وشاح * وانتظمنا نظم عقد
ونجوم الليل تسرى * ذهبا فى لازورد

وكتب اليه شاعر فى طرس مكشوط السطر مبشورة وفيه بشارة ببقاء الامام الفاضل المستظهر

ملك أعاد العيش غضا ملكه * وكذا يكون به طوال الاعصر

فاجزل صلته وكتب فى ظهر الورقة

قبلنا العذر فى بشر الكتاب * لما أحكمت فى فصل الخطاب

وقد قدمنا فى الباب الثالث شيأ من هذه الاخبار وما حصل بعد ذلك بقرطبة الى أن تولى الامر ابن جهور فى صورة الوزارة ثم ابنه الى أن أخذ قرطبة منه المعتمد بن عباد حسبما ذكر فى أخباره ثم آل الامر بعد ذلك كله الى استيلاء ملوك العدوة من الملثمين والموحدين على قرطبة الى أن تسلمها النصارى أعادها الله تعالى للاسلام كما يذكر فى الباب الثامن * وقال صاحب مناهج الفكر فى ذكر قرطبة ما ملخصه فاما ما اشتمل عليه غرب الجزيرة من البلاد الخطيرة فمنها قرطبة وكانت مقر الملك ودار الامارة وأم ما عداها من البلاد منذ افتتحها المسلمون سنة ٩٢ زمن الوليد بن عبد الملك الى أن خرجت عن ايديهم وتنقلت فى أيدى ملوك المسلمين الى أن وصلت الى الناصر عبد الرحمن وبنى فى تجاهها مدينة سماها الزهراء يجرى بينهما نهر عظيم انتهى * واعلم أن المبانى دالة على عظم قدر بانيها كما ذكرناه فى كلام الناصر الذى طابت له

يصدون من يرد من ذلك البحر ومن يرد من ذلك الوجه من البر الذى سفنه فى نهر الخزر وتتصل بنهر نيطش وذلك ان بوادى الغز اذا نزل الى ذلك اكثر شتى هنالك فربما يجمد هذا الماء المتصل من نهر الخزر الى خليج نيطش فتعبر الغز عليه بخيولها وهو ماء عظيم لا يخسف من تحتهم لشدة استحجاره فتغير على بلاد الخزر وربما خرج اليهم ملك الخزر اذا عجز من هنالك من رجاله المرتبين عن دفعهم ومنعهم العبور على ذلك الجمد وأما فى الصيف فلا سبيل للترك الى العبور فلما وردت مراكب الروس الى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج راسلوا ملك الخزر على ان يجتازوا البلاد وينحدروا فى نهره فيدخلوا بحر الخزر الذى هو بحر جرجان وطبرستان وغيرهما من بلاد الاعاجم على ما ذكرنا ويجعلوا لملك الخزر النصف مما يغنمون ممن هنالك من الامم على ذلك البحر فأباحهم ذلك فدخلوا الخليج واتصلوا بمصب النهر فيه وصاروا مصعدين فى تلك الشعبة من الماء حتى وصلوا الى نهر الخزر وانحدروا فيه الى مدينة آمل وهو نهر عظيم وماء كثير فانتشرت مراكب الروس فى هذا البحر وطرحت سراياها الى الجبل والديلم وبلاد طبرستان وآبسكون وهى بلاد ساحل جرجان وبلاد

من

من الزهراء مجانيها ولم يزل البلغاء يصفون المبانى باحسن الالفاظ والمعانى ورأينا أن نذكر هنا بعض ذلك زيادة فى توسيع المسالك فمن ذلك قول ابن حمديس الصقلى فى دار بناها المعتمد على الله

وياحبذا دار قضى الله أنها * يجدد فيها كل عز ولا يبلى
مقدسة لو أن موسى كليمه * مشى قدماه فى أرضها خلع النعلا
وماهى الاخطة الملك الذى * يخط اليه كل ذى أمل رحلا
اذا فتحت أبوابها خلت انها * تقول بترحيب لداخلها أهلا
وقد نقلت صناعها من صفاته * اليها افانينا فأحسنت النقلا
فمن صدره رحبا ومن نوره سنى * ومن صيته فرعا ومن حلمه أصلا
فأعلت به فى رتبة الملك ناديا * وقل له فوق السماكين أن يعلى
نسيت به ايوان كسرى لانني * اراه له مولى من الحسن لامثلا
كأن سليمان بن داود لم يجد * مخافته للجن فى صنعه مهلا
ترى الشمس فيه ليقة تستمدها * أكف أقامت من تصاويرها شكلا
لها حركات أودعت فى سكونها * فما تبعت فى نقلهن بها رجلا
ولما عشينا من توقد نورها * تخذنا سناه فى نواظرنا كحلا

وقال من أخرى يصف دارا بناها المنصور بن أعلى الناس ببجاية

أعمر بقصر الملك ناديك الذى * اضحى بمجدك بيته معمورا
قصر لو انك قد كحلت بنوره * اعمى لعاد الى المقام بصيرا
واشتق من معنى الجنان نسيمه * فيكاد يحدث بالعظام نشورا
نسى الصبيح مع الفصيح بذكره * وسما ففاق خورنقا وسديرا
لو أن بالايوان قوبل حسنه * ما كان شيأ عنده مذكورا
أعيت مصانعه على الفرس الالى * رفعوا البناء وأحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا * لملوكهم شبهاله ونظيرا
أذكرتنا الفردوس حين أريتنا * غرفا رفعت بناءها وقصورا
فالمحسنون تزيدوا أعمالهم * ورجوا بذلك جنة وحريرا
والمذنبون هدوا الصراط وكفرت * حسناتهم أذنوبهم تكفيرا
فلك من الافلاك الا أنه * حقر البدور فأطلع المنصورا
أبصرته فرأيت أبدع منظر * ثم انثنيت بناظرى محسورا
فظننت أنى حالم فى جنة * لما رأيت الملك فيه كبيرا
واذا الولائد فتحت أبوابه * جعلت ترحب بالعفاة صريرا
عضت على حلقاتهن ضراغم * فغرت بها أفواهها تكبيرا
فكأنها لبدت لتهصر عندها * من لم يكن بدخولها مأمورا
تجرى الخواطر مطلقات أعنة * فيه فتكبو عن مداه قصورا

من ثلاثة ايام فسفكت الروس الدماء واستباحت النسوان والولدان وغنمت الاموال وشنت الغارات وأخربت وأحرقت فضج من حول هذا البحر من الامم لانهم لم يكونوا يعهدون فى قديم الزمان عدوا يطرقهم فيه وانما يختلف فيه مراكب التجار والصيد وكان لهم حروب كثيرة مع الجبل والديلم وساحل جرجان ونفر أهل مودعه واران والسفلان وأذربيجان مع قائد لابن أبى الساج فانتهوا الى ساحل نفاطة من مملكة شروان المعروفة بباكوى وكانت الروس تاوى عند رجوعها من غاراتها الى جزائر بقرب النفاطه على أميال منها وكان ملك شروان يومئذ على بن الهيثم فاستعد الناس وركبوا فى القوارب ومراكب التجار وساروا نحو تلك الجزائر فمالت عليهم الروس فقتل من المسلمين وغرق ألوف وأقام الروس شهورا كثيرة فى البحر على ماوصفنا لاسبيل لاحد ممن جاور هذا البحر من الامم اليهم والناس مهتابون لهم حذرون منهم لانهم بحر غامر لمن حوله من الامم فلما غنموا وسئموا ما اهم فيه ساروا الى فم نهر الخزر ومصبه فراسلوا ملك الخزر وحملوا اليه

برحم الساحات تحسب أنه * فرش المها وتوشح الكافورا
ومحصب بالدر تحسب تربه * مسكا تضوع نشره وعبيرا
تستخلف الابصار منه اذا اتى * صبحا على غسق الظلام منيرا

ثم ذكر بركة فيها عليها أشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه وتمن ذكر أسودا على حافتها قاذفة المياه أيضا فقال

وضراغم سكنت عرين رياسة * تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها * وأذاب في أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك * في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما * أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها * نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول * ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه * درعا فقدر سردها تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها * عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعت الى * سحر يؤثر في النهى تأثيرا
قد سرجت أغصانها فكأنما * قنصت بهن من الفضاء طيورا
وكأنما تأبى لوقع طيورها * أن تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها * ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس تعد من الفصاح فان شدت * جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأن برك كل غصن فضة * لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها * فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنه اليك كأنما * جعلت لها زهر النجوم ثغورا
ومصفح الابواب تبرا نظروا * بالنقش فوق شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النضار كما علت * تلك النهود من الحسان صدورا
خلعت عليه غلائلا ورسية * شمس ترد الطرف عنه حسيرا
واذا نظرت الى غرائب سقفه * أبصرت روضا في السماء نضيرا
وعجبت من خطاف عسجده التي * حامت لتبني في ذراه وكورا
وضعت به صناعها أقلامها * فأرتك كل طريدة تصويرا
وكأنما للشمس فيه ليقة * مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكأنما اللازورد مخرم * بالخط في ورق السماء سطورا
وكأنما وشوا عليه ملاءة * تركوا مكان وشاحها مقصورا

ثم مدح المنصور بعد ذلك وختم القصيدة بقوله

يا مالك الارض الذي أضحى له * ملك السماء على العداة نصيرا
كم من قصور للملوك تقدمت * واستوجبت بقصورك التأخيرا

[illegible] من
[illegible]
[illegible]
وهو [illegible]
على [illegible]
[illegible]
[illegible] لم يكن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ووجدت [illegible] العين
وجدت الروس [illegible] مراكبها
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فسموه في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
المراكب [illegible]
[illegible] وركبوا
مراكبهم [illegible]
من [illegible] أشهر [illegible]
[illegible] وقع الى بلاد
البحر المسلمين فقتلوهم
وكان من وقع عليه
الاحداث [illegible] المسلمون
من شاهين [illegible] وغيرها
من ثلاثمائة العام لم يكن للروس من تلك السنة عودة الى ما ذكرنا (قال المسعودي) واعاد ذكرها فعمرتها

فعمرتها وملكت كل رياسة * منها ودمرت العداة تدميرا

قلت لم أر لهذه القصيدة من نظير في معناها البارع النضير ولفظها العذب النمير الذي شمر فيه قائلها عن ساعد الاجادة أي تشمير غير أن فيها عندي بيتا واحدا وختمها لفظ التدمير وعلى كل حال فالحسن والاحسان يتعادلان في أرجاء لفظ الجبار بن حمديس المذكور ذي المقاصد الحسان وخصوصا في وصف المباني والبرك فما أبقى سواه في ذلك حسنا ولا ترك *(ومن ذلك) قوله في وصف بركة تجري الماء من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود وكل ذلك في قصر أطنب في وصفه في قصيدة طويلة

والماء منه سبائك من فضة * ذابت على درجات شاذروان
وكأنما سيف هناك مشطب * ألقته يوم الحرب كف جبان
كم شاخص فيه يطيل تعجبا * من دوحة نبتت من العقيان
عجبا لها تسقي الرياض ينابعا * نبعت من الثمرات والأغصان
خصت بطائرة على فنن لها * حسنت فأفرد حسنها من ثاني
قس الطيور الخاشعات بلاغة * وفصاحة من منطق وبيان
فاذا أتيح لها الكلام تكلمت * بخرير ماء دائم الهملان
وكأن صانعها استبد بصنعة * فخر الجماد بها على الحيوان
أوفت على حوض لها فكأنها * منها على العجب العجاب رواني
فكأنها ظنت حلاوة مائها * شهدا فذاقته بكل لسان
وزرافة في الجوف من أنبوبها * ماء يريك الجري في الطيران
مركوزة كالرمح حيث ترى له * من طعنة الحلق اعتناق سنان
وكأنها ترمي السماء ببندق * مستنبط من لؤلؤ وجمان
لو عاد ذاك الماء نفطا أحرقت * في الجو منه قميص كل عنان
في بركة قامت على حافاتها * أسد تدل لعزة السلطان
نزعت الى ظلم النفوس نفوسها * فلذاك انتزعت من الابدان
وكأن برد الماء منها مطفئ * نارا مضرمة من العدوان
وكأنما الحيات من أفواهها * يطرحن أنفسهن في الغدران
وكأنما الحيتان إذ لم تخشها * أخذت من المنصور عقد أمان

وهاتان القصيدتان لابن حمديس كما في المباهج مع طولهما تدلان على الابداع الذي ابتكره والاختراع الذي ما وقع سمع أحد من الفضلاء الا شكره لما أسكره وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي يصف قصرا بمصر يسمى منزل العز بناه حسن بن علي بن تميم بن المعز العبيدي

منزل العز كاسمه معناه * لا عدا العز من به سماه
منزل ودت المنازل في أعلى ذراه لو صيرت اياه
فاجل فيه لحظ عينيك تبصر * أي حسن دون القصور حواه

هذه القصة دفعا القول من زعم ان بحر الخزر متصل ببحر مانطش وخليج القسطنطينية ولو كان هذا البحر اتصال بخليج القسطنطينية [illegible] مانطش [illegible] كان [illegible] ولاحلاف [illegible] في ان بحر الاعاجم [illegible] له متصل [illegible] [illegible] على هذا البحر [illegible] النهار [illegible] على هذا البحر [illegible] ثلاثة أيام [illegible] هذا البحر [illegible] وتختلف المراكب [illegible] بالتجارات [illegible] آمل [illegible] اليها وتختلف المراكب فيه بالتجارات مع المواضع التي سميناها من ساحله الى باكوى وهي معدن النفط الابيض

سال في سقفه النضار ولكن * جمدت في قراره الامواه
وبأرجائه مجال طراد * ليس تنفك من وغى خيلاه
تبصر الفارس المدجج فيه * ليس تدمى من الطعان قناه
وترى النابل المواصل للنز * ع بعيدا من قرنه مرماه
وصفوفا من الوحوش وطير الـ * ـجو كل مستحسن مرآه
سكنات تخالها حركات * واختلاف كأنه أشباه
كحيا الحبيب حرفا بحرف * ما تعدى صفاته اذ حكاه
ورده وجنتاه نرجسه الفتان عيناه آسه عارضاه
وكأن الكافور والمسك في الطيب وفي اللون صبحه ومساه
منظر يبعث السرور ومرأى * يذكر المرء طيب عصر صباه

وقال أبو الصلت أمية الاندلسي المذكور يذكر بناء بناه علي بن تميم بن المعز العبيدي

لله مجلسك المنيف قبابه * بموطد فوق السماك مؤسس
موف على حبك المجرة تلتقي * فيه الجواري بالجواري الكنس
تتقابل الانوار من جنباته * فالليل فيه كالنهار المشمس
عطفت حناياه دوين سمائه * عطف الاهلة والحواجب والقسي
واستشرفت عمد الرخام وظوهرت * بأجل من زهر الربيع وأنفس
فهواؤه من كل قد أهيف * وقراره من كل خد أملس
فالك تحير فيه كل منجم * وأقر بالتقصير كل مهندس
فبدا للحظ العين أحسن منظر * وغدا لطيب العيش طيب معرس
فاطلع به قمرا اذا ما أطلعت * شمس الخدور عليك شمس الاكؤس
فالناس أجمع دون قدرك رتبة * والارض أجمع دون هذا المجلس

ويعجبني من قول أبي الصلت أمية المذكور يصف حال زيادة النيل ونقصانه

ولله مجرى النيل منها اذا الصبا * أرتنا به من مرها عسكرا مجرا
اذا زاد يحكي الورد لونا وان صفا * حكى ماءه لونا ولم يحكه مرا

وقال رحمه الله تعالى يصف الرصد الذي بظاهر مصر

يا نزهة الرصد التي قد اشتملت * من كل شيء حلا في جانب الوادي
فذا غدير وذا روض وذا جبل * والضب والنون والملاح والحادي

وهو مأخوذ من قول الاول يصف قصر أنس بالبصرة

زر وادي القصر نعم القصر والوادي * لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له ند يشاكله * من منزل حاضر ان شئت أو بادي
تلقى به السفن والظلمان حاضرة * والضب والنون والملاح والحادي

وقال رحمه الله تعالى يذكر الهرمين

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا * على طول ما عاينت من هرمي مصر

وليس في الدنيا والله أعلم نفط أبيض ج ٢٢ الا في هذا الموضع وهي على ساحل مملكة شروان وفي هذه النفاطة أطمة وهي عين من عيون الباب لا تمد على سائر الاوقات تنتشر الصعداء ويقابل هذا الساحل في البحر جزائر منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمة عظيمة تزفر في أوقات من فصول السنة فيظهر منها نار تذهب في الهواء كأشمخ ما يكون من الجبال العالية تضيء الاكثر من هذا البحر ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر وهذه الاطمة تشبه أطمة جبل البركان من بلاد صقلية من أرض الافرنجة ومن بلاد أفريقية من أرض المغرب وليس في آطام الارض أشد صوتا ولا أسود دخانا ولا أكثر تلهبا من الاطمة التي في أعمال المهراج وبعدها أطمة وادي برهوت وهي نحو بلاد سبا وحضرموت من بلاد الشحر وذلك من بلاد اليمن وبلاد عمان وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة ثم ينعكس سفلا يهوي الى قعرها وحولها الجمر الذي يظهر منها حجارة واذا انجرت عما قد أحاط من سواد حرارة النار وقد أتينا على علة تكون عيون النيران في الارض وما سبب موادها في كتابنا أخبار الزمان وفي هذا البحر جزائر أخر مقابلة لساحل جرجان يصاد منها

أنافا

أنافا بأكناف السماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك على النسر
وقد وافيا انشزا من الارض عاليا * كأنهما دان قاما على صدر

وستاتى ترجمته ان شاء الله تعالى فى الباب الخامس * وعلى ذكر الانهار والبرك فما أحسن قول بعض الاندلسيين يصف بركة عليها عدة فوارات

غضبت مجاريها فأظهر غيظها * ما فى حشاها من خفى مضمر
وكأن نبع الماء من جنباتها * والعين تنظر منه أحسن منظر
قضب من البلور أثمر فرعها * لما انتهت باللؤلؤ المتحدر

وقال ابن صارة الاندلسى يصف ماء بارقة واصفا يجرى على الصفا

والنهر قد رقت غلالة خصره * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

وما أحسن قول بعض الادباء ولم يحضرنى الآن اسمه

والنهر يكسو غلالة فضة * فاذا جرى سال فيها نضار
واذا استقام رأيت صفحة منصل * واذا استدار رأيت عطف سوار

وقال ابن حمديس المغربى يصف نهرا بالصفاء

ومطرد الامواج يصقل متنه * صبا أعلنت للعين ما فى ضميره
جريح باطراف الحصى كلما جرى * عليها شكا أوجاعه بخريره

وهذا المنهج متسع ولم نطل السير فى هذه المهامه وانما ذكرنا بعض كلام المغاربة ليتنبه به منتقصهم من سنة أوهامه ولان فى أمرها عبرة لمن عقل اذ أصدأ مرآة حسنها اوطان لما كان لمثلها صقل وقد وقفت على كلام لصاحب المناهج فى هذا المعنى فأحببت ذكره ملخصا وهو ملحق بذكر المنازل التى راق منظرها وفاق مخبرها وارتفع بناؤها واتسع فناؤها طرفا من الكلام على ماعفاه الدهر من رسومها ومحاه من محاسن صور كانت أرواحا لجسومها وصف أعرابى محلة قوم ارتحلوا عنها فقال نثر الله تحلت عنها ربات الخدور وأقامت بها أثافى القدور ولقد كان أهلها يعفون آثار الرياح فعفت الرياح آثارهم وذهبت بأبدانهم وأبقت أخبارهم والعهد قريب واللقاء بعيد وقال عمر بن أبى ربيعة فأحسن

يادار امسى دارسا رسمها * وحشا قفارا ما بها أهل
قد جرت الريح بها ذيلها * واستن فى أطلالها الوابل

ومن كلام الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان يذكر آل عباد من فصل أكثر فيه التفجع وأطال به التوجع والقصور تختال فى أدواحها والازاهر تحيى ميت الصبابة بشذا أرواحها وأطيار الرياض كثكالى يحن على خرابها وانقراض أترابها والوهى بمشيدها لاعب وعلى كل جدار منها غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها ولطالما أشرقت بالخلائق وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث فى آجامها وأخجلوا الغيوث عند انسجامها فصحت ولهت تلمع وأحجار ولم يبق

٣٠ ط ل فى أوكارها من تلك الدواب أضرارها وقد قال جالينوس ان الهواء فيه نشأ وسا

شيأ من الضعف لان الصائد يصطادها من هذه الجزائر فيغذيها بالسمك فاذا اختلف عليها الغذاء عرض لها الضعف وقد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضوارى وأنواع الجوارح من الفرس والترك والروم والهند والعرب ان البازى اذا كان الى البياض فى اللون فانه أسرع البزاة وأحسنها وأنبلها أجساما وأجرؤها قلوبا وأسهلها رياضة فانها أقوى جميع البزاة على السمو فى الجو وأذهبها صعداء وأبعدها غاية فى الهواء لان فيها من حرف الحرارة وجراءة القلب ما ليس فى غيرها من جميع أنواع البزاة وان اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها وان من أجل ذلك خالصت البيض الكثرة الثلج فى أرمينية وأرض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك وقد حكى عن حكيم من خواقين الترك وهم الملوك المنقادة الى ملكهم جميع ملوك الترك أنه قال ان بزاة أرضنا اذا أسقطت أنفس فراخها من الوعاء الى العصاء سمت فى الجو الى الهواء البارد الكثيف فانزلت دواب تسكن هناك فتغذيها كن وعن بليناس انه قال

من آثارها الانوي وأحجار قد هوت قبابها وهرم شبابها وقد بلين الحديد ويبلى على طيه الجديد * وقال ابو صخر القرطبي يذكر ذلك من أبيات ينعاهم بها

ديار عليها من بشاشة أهلها * بقايا تسر النفس أنسا ومنظرا
ربوع كساها المزن من خلع الحيا * برودا وحلاها من النور جوهرا
تسرك طورا ثم تشجيك تارة * فترتاح تأنيسا وتشجى تذكرا

(ومن كلام أبي الحسن القاشاني) يصف نادي رئيس خلا من ازدحام الملا وعوضه الزمان عن تواصل أحبابه هجرا والا قد كان منزله مألف الاضياف ومأنس الاشراف ومنتجع الركب ومقصد الوفد فاستبدل بالانس وحشة وبالضياء ظلمة واعتاض من تزاحم المواكب تلاطم النوادب ومن ضجيج النداء والصهيل ضجيج البكاء والعويل *(ومن رسالة لابن الاثير الجزري يصف دمنة لعبت بها أيدي الزمن وفرقت بين المسكن والسكن كانت مقاصير جنة فأصبحت وهي ملاعب جنة وقد عميت اخبار قطانها وآثار أوطانها حتى شابهت احداهما في الخفاء الاخرى في العفاء وكنت أظن انها لا تسقى بعدهم بغمام ولا يرفع عنها جلباب ظلام غير أن السحاب بكاهم فأجرى بها هوامع دموعه والليل شق عليهم جيوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه) * وقد لمع في بعض كلامه قول الشريف من أبيات يصف فيها ما كان في الحيرة من منازل النعمان ابن المنذر

ما زلت أطرق للمنازل باللوى * حتى نزلت منازل النعمان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت * شم العماد عريضة الاعطان
شهدت بفضل الرافعين قبابها * ويبين بالبنيان فضل الباني
ما ينفع الماضين أن بقيت لهم * خطط معمرة بعمر فاني

يقول فيها

ولقد رأيت بدير هند منزلا * ألما من الضراء والحدثان
يغضي كمستمع الهوان تغيبت * أنصاره وخلا من الاعوان
بالي المعالم أطرقت شرفاته * اطراق منجذب القرينة عاني
أمقاصر الغزلان غيرك البلى * حتى غدوت مرابض الغزلان
وملاعب الانس الجميع طوى الردى * منهم فصرت ملاعب الجنان

ومنها

مسكية النفحات تحسب تربها * برد الخليع معطر الاردان
وكأنما نسي التجار لطيمة * جرت الرياح بها على العقيان
ماء كجيب الدرع يصقله الصبا * ويقي بدوحته النسيم الواني
زفر الزمان عليهم فتفرقوا * وجلوا عن الاقطار والاوطان

وقال أبو اسحق الصابي وتوارد مع الشريف الرضي في المعنى والقافية يصف قصر روح بالبصرة

الهواء والنار خلق وساكن ووجدت في بعض أخبار هرون الرشيد أن الرشيد خرج ذات يوم الى الصيد ببلاد الموصل وعلى يده باز أبيض فاضطرب على يده فارسله فلم يزل يحلق حتى غاب في الهواء ثم طلع بعد الاياس منه وقد علق شيئا فهوى به يشبه الحية والسمكة وله ريش كأجنحة السمك فأمر الرشيد فوضع في طست فلما عاد من قنصه أحضر العلماء فسالهم هل تعلمون للهواء سا كنا فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله ابن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان أدربها منا دواب بيض في الهواء تفرخ فيه برفعها الهواء الغليظ وبربيها حتى تنشأ في هيئة الحيات والسمك لها أجنحة ليست بذات ريش تأخذها بزاة بيض تكون بارمينية فأخرج الطست اليهم فأراهم الدابة وأجاز مقاتلا يومئذ وقد أخبرني غير واحد من أهل التحصيل بعصرو غيرها من البلاد أنهم شاهدوا في الجو حيات تسعى كأسرع ما يكون من البرق وأنهار بما تقع على الحيوان فتقتله وربما يسمع لطيرانها في الليل وحركتها في الهواء صوت كنشر ثوب جديد وربما يتول من

أحبب الى بقصر روح منزلا * شهدت بنيته بفضل البانى
سوو علا وتمنعت شرفاته * فكأن احداهن هضب أبان
وكأنما يشكو الى زواره * بين الخليط وفرقة الجيران
وكأنما يبدى لهم من نفسه * اطراق محزون الحشا حران

ولاحمد بن فرج الالبيرى من أبيات

سألت بها فما اردت جوابا * عليك وكيف تخبرك الطلول
ومن سفه سؤالك رسم دار * مضى لعفائه زمن طويل
فان تك أصبحت قفرا خلاء * لعينك فى مغانيها همول
فقدما قد نعمت قرير عين * بها وبربعها الرشأ الكحيل

وقال أبو عبد الله بن الخياط الاندلسى الاعمى

لو كنت تعلم ما بالقلب من نار * لم توقد النار بالهندى والغار
يادار علوة قد هيجت لى شجنا * وزدتنى حرقا حييت من دار
ثم بت فيك على اللذات معتكفا * والليل مدرع ثوبا من القار
كأنه راهب فى المسح ملتحف * شدّ المجدّ له وسطا بزنار
يدير فيه كؤس الراح ذو حور * يدير من لحظه ألحاظ سحار

ولا مزيد فى التفجع على الديار والتوجع للدمن والآثار على قول البحترى من قصيدة رثى بها المتوكل

محل على القاطول أخلق داثره * وعادت صروف الدهر جيشا تغادره
كأن الصبا توفى نذورا اذا انبرت * تراوحه أذيالها وتباكره
ورب زمان ناعم ثم عهده * ترق حواشيه ويونق ناضره
تغير حسن الجعفرى وأنسه * وقوض بادى الجعفرى وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءة * فعادت سواء دوره ومقابره
اذا نحن زرناه أجد لنا الاسى * وقد كان قبل اليوم يبهج زائره
ولم أنس وحش القصر اذ ريع سربه * واذ ذعرت أطلاؤه وجآذره
واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت * على عجل أستاره وستائره
وأوحشه حتى كأن لم يكن به * أنيس ولم تحسن لعين مناظره
كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة * بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها * وبهجتها والعيش غض مكاسره
فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت * بهيبتها أبوابه ومقاصره
وأين عميد الناس فى كل نوبة * تنوب وناهى الدهر فيهم وآمره

وعلى قول أبى اسحق بن خفاجة الاندلسى

ومرتبع حططت الرحل فيه * بحيث الظل والماء القراح
تخرم حسن منظره مليك * تخرم ملكه القدر المتاح

واستدلالهم على هذا انما هو عما يحدث فى استقصاء الماء من الحيوان وانه يجب على هذه القضية أن يحدث ذلك بين الاستقصين الآخرين وهما الارض والماء (قال المسعودى) وقد وصفت الحكماء والملوك البزاة وأغربت فى الوصف وأطنبت فى المدح فقال خاقان ملك الترك البازى شجاع مريد وقال كسرى أنوشروان البازى رقيق يحسن الاشارة لايؤخر الفرص اذا أمكنت وقال قيصر البازى ملك كريم ان احتاج أخذ وان استغنى ترك وقالت الفلاسفة حسبك من البازى نزعه فى المطالب والرزق فى السمو اذا طالت قوادمه وبعد ما بين منكبيه فذلك أبعد لغايته وأحب لسرعته ألا ترى الى الفهود لا تزداد فى غاياتها الا بعدا وسرعة وقوة على التكرار وذلك لطول قوائمها مع كثافة أجسامها وانما قصرت غاية البازى لقصر جناحيه ورقة جسمه فاذا طالت به الغاية أخره ذلك حتى تشتد نفسه ولا توفى الجوارح الا من قصر القوادم الا ترى

الدراج والسمان والحجل واشباهها حين قصرت قوادمها قصرت غاياتها وقال أرسيغاس البازى طير عارى الجناب وما

لخبريه ماجد وله بكاء * عليه وشدو طائره نواح

وهذا النوع من البكاء على الدمن والتأسف على ما فعلت بها أيدي الزمن كثير جدا لا يعرف البحث عنه أحدا وذلك لشدة ولوع النفوس بذكر أحبابها وحنينها الى أماكنها التي هي مواضي امرائها وهذا اقتصرنا على هذه النبذة القليلة وجعلناها تبعة يشفي المشوق بها غليله وقد كره بعض العقلاء التأسف على الديار لعلمهم انه لا يجدي ولا يدفع عادية الدهر الخؤون ولا يعدي ونهوا عنه لما فيه من تجديد المصاب المجرع لصاحبه الصاب والأوصاب قال أبو عمر بن عبد البر

عفت المنازل غير أرسم دمنة * حييتها من دمنة ورسوم

كم ذا الوقوف ولم تقف في منسك * كم ذا الطواف ولم تطف بحريم

فدع الديار الى الحمائم والصبا * ودع الدمار الى الصدى والبوم

انتهى كلامه رحمه الله تعالى بأكثر لفظه مع بعض اختصار *(رجع الى قرطبة فنقول) وقد ألم لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى بذكر قرطبة وبعض أوصافها في كتاب له كتبه على لسان سلطانه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه بجملته في الباب الخامس من القسم الثاني فليراجع ثمة ونص محل الحاجة منه هنا ثم كان الغزو الى أم البلاد ومثوى الطارف والتلاد قرطبة وما قرطبة المدينة التي على عمل أهلها في القديم بهذا الاقليم كان العمل والكرسي الذي بعصا أمره عصى الهمل والمصر المعمور الذي في خطته الناقة والجمل والافق الذي هو لشمس الخلافة العبشمية الحمل فخيم الاسلام في عقوتها المستباحة وأجاز نهرها المغني عن السباحة وعم دوحها الاشتبارا وادار اعلامه بسورها سوارا وأخذ بمخنقها حصارا وأعمل النصر بشجرة أصلها اجتثاثا واهتصارا وجدل من ابطالها من لم يرض انجحارا فاعمل الى المسلمين اصحارا حتى قرع بعض جهاتها غلابا وجهارا ورفعت الاعلام اعلاما بعز الاسلام وأصهارا فلولا استهلال الغوادي وان آتي الوادي لافضت الى فتح الفتوح تلك المبادي ولقضى تفثه العاكف والبادي انتهى *(ومما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى في وصف هذه الغزوة لسلطان بني مرين على لسان صاحب الاندلس ما صورته) * الامام الذي نطالعه بأخبار الجهاد ونهدي اليه عوالي العوالي صحيحة الاسناد ونبشره بأخبار فتح البعيد الآماد ونسأل الله تعالى دوام الاسعاد والامداد ونرتقب من صنع الله تعالى على يديه تكييفا يخرق حجاب المعتاد وامتعاضا يطلع بآفاق البلاد نجوم غرر الجياد ويفتح أبواب الفتوح بأقاليد السيوف الحداد وينبئ عن مكارم من سلف من الآباء الكرام والأجداد مقام محل أخينا الذي نستفتح له بالفتح الظهور ونهدي الى مجده لما نعلم من فضل نيته وحسن قصده لطائف السرور ونستظهر على كله المؤيد المؤمل ونجده المشهور وننوع منهما العدو والحبيب المذخور والولي المنصور السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى عالي القدر قرير العين منشرح الصدر ولا زال حديث فخره سائر امسير الشمس والبدر عظم سلطانه الحقيق بالتعظيم الوائق منه بالدهر الكريم المثني على مجده الصميم وفضله العميم أمير المسلمين عبد الله

سائر الطير في الجزء الذي فيه من الحرارة التي ليست في شيء منها ووجدنا صدره رحبا منفوحة الصدر لا لحم عليها وقلت رطوبة مرتها ستذهب فيه أرسطوطاليس أن البازي لا يتخذ وكرا الا في شجرة بعيدة منسلكة بالشوك مختلفة الجذور بين شجر عسى ظل لذلك وذلك ودعها لا تنجروا برد فاذا أراد أن يفرخ بنى لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل اليه منه مضرة ولا تلج الشمس فاعلى نفسه وفراخه من البرد وذكر الادهم بن محرز أن أول من لعب بالصقور الحرث بن معاوية بن ثور ابن كندي وهو ابن كندة وانه وقف يوما بقانص وقد نصب حبالة للعصافير فانقض أكدر على عصفور منها قد علق وعالقه الاكدر وهو الصقر ومن أسمائه أيضا الاجدل فجعل العصفور وقد علق فجعل الملك فأتى به وهو يأكل العصفور فرمى به في كسر البيت فرآه قد دجن ولم يبرح مكانه ولم ينفر واذا رمى اليه طعاما أكله واذا رأى لحما نهض الى يد صاحبه ثم دعي فأجاب فقطع على الدور وكانوا يتباهون بحمله

اذا رأى يوما حمامة فطار اليها من يد حامله فعلقها فأمر الملك باتخاذه او التصيد بها فبينما الملك يسير يوما اذ

الغني بالله محمد بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم برعيم يخص مقامكم الاعلى واخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله رب العباد وملهم الرشاد ومكيف الاسعاف والاسعاد الولي النصير الذي نلقي الى التوكل عليه مقاليد الاعتماد ونمد الى انجاده وامداده أيدي الاعتداد ونرفع اليه أكف الاستمداد ونخلص لوجهه الكريم عمل الجهاد فنعرف عوارف الفضل المزداد ونجتني ثمار النصر من أغصان القنا المناد ونجتلي وجوه الصنع الوسيم ابهر من وجه الصباح الباد ونظفر بالنعيم العاجل في الدنيا والنعيم الآجل يوم قيام الاشهاد ونتفيأ ظلال الجنة من تحت أوراق السيوف الحداد والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله النبي الهاد رسول الملحمة المؤيد بالملائكة الشداد ونبي الرحمة الهامية العهاد أكرم الخلق بين الرائح والغاد ذي اللواء المعقود والحوض المورود والشفاعة في يوم التناد الذي نجاهد عدو انوف الاعاد يوم الجلاد وببركته ننال أقصى الامل والمراد وفي مرضاته نتصل أسباب الوداد فنعود بالتجر الرابح من مرضاة رب العباد ونستولي في ميدان السعادة المعادة على الآماد والرضا عن آله وصحبه وأنصاره وحزبه الكرماء الامجاد دعائم الدين من بعده وهداة العباد انجاد الانجاد وآساد الآساد الذين ظاهروه في حياته بالحلوم الراجحة الاطواد والبسالة التي لا تنال بالاعداد في سبيل الله والاعداد حتى بوؤا الاسلام في القواعد الشهيرة والبلاد وأرغموا أنوف اهل الجحد والالحاد فأصبح الدين رفيع العماد منصور العساكر والاجناد مستصحب العز في الاصدار والايراد والدعاء لمقامكم الاعلى بالسعد الذي يغني عن اختيار الطوالع وتقويم الميلاد والنصر الذي تشرق انباؤه في جنح ليل المداد والصنع الذي تشرع له أبواب التوفيق والسداد من حمراء غرناطة حرسها الله واليسر ديدوطأ المهاد والخير واضح الاشهاد والحمد لله في المبدا والمعاد والشكر له على آلائه المتصلة التراداد ومقامكم الذخر الكافي العتاد والمردد المتكفل بالانجاد والى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم ووالى نصركم وعضدكم وعددكم وعددكم وبلغكم من فضله العميم أملكم وقصدكم فانا نؤثر تعريفكم بنافه المتزيدات ونورد عليكم اشتات الاحوال المتجددات اقامة لرسم الخلوص في التعريف بعامل ومودة خالصة في الله عز وجل وكيف اذا كان التعريف بما هتز له منابر الاسلام ارتياحا لوروده وتنشرح الصدور منه لمواقع فضل الله وجوده والمكيفات البديعة الصفات في وجوده وهو أنا قدمنا اعلامكم بما نويناه من غزو مدينة قرطبة ام البلاد الكافرة ومقر الحامية المشهودة والخيرات الوافرة والقطر الذي عهده بالمام الاسلام متقادم والركن الذي لا يتوقع صدمة صادم وقد اشتمل سورها من زعماء ملة الصليب على كل رئيس بئيس وهزبر خيس وذي مكر وتلبيس ومن له سمة تذيع مكانه وتشيعه وأتباع على المنشط والمكروه تطيعه فاستدعينا المسلمين من أقاصي البلاد واذعنا في الجهات نفير الجهاد وتقدمنا الى الناس بسعة الازواد وأعطينا الحركة التي يخلف المساوين فيها وراءهم جمهور الكفر من الاقطار والاعداد حقها من الاستعداد واقصينا العطاء والاستلحاق والاستركاب في أهل الغناء وأبطال الجهاد والجلاد فحشر الخلق في صعيد

نفعت أرنب فطار الصقر اليها فاخذها فطلب بها الطير فقتلها واتخذها العرب بعده ثم استفاضت في أيدي الناس فاما الشواهين فان ارجداس الحكيم ذكر في كتاب كان وجهه الى المهدي حمل اليه من أرض الروم أهداه اليه الملك أن ملكا من ملوك الروم يقال له سنان نظر يوما الى شاهين يهوى متحدرا على طير الماء فيضربه ثم يسمو في الهواء حتى فعل ذلك مرارا فقال هذا طير ضار وله قوة الانحدار على الطير في الماء والانسار ويدل سرعة انحداره وارتفاعه في جو السماء على انه طير أليف فلما رأى حسن طيرانه أعجبه فكان أول من اتخذ الشواهين وقد ذكر سعيد ابن عفير عن هشام بن خالد قال خرج قسطنطين ملك عمورية متصيدا بالمراة حتى انتهى الى خليج يصب الجاري الى بحر الروم فمر الى مرج بين الخليج والبحر فسيح مديد فنظر الى شاهين ينكب على طير الماء فعجبه ما رأى من سرعته وضراوته ولم يدع الحيلة في صيده فأمر أن يصطاد له فضراه وكان قسطنطين أول من لعب بالشواهين ونظر ذلك المرج طويل البساط مفروشا بألوان الزهر فقال هذا موضع حصين من نهر وبحر وسعة وامتداد يصلح أن يكون فيه مدينة فبنى فيه مدينة القسطنطينية وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا الملوك

وماكان من خبره وهو المظهر لدين النصرانية فهذا وجه ماذكر

واعدوا لاهبة وازينة في عيد سعيد وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد عن وعد ووعيد
ورحلنا وفضل الله شامل والتوكل عليه كاف كافل وخيمنا بظاهر الحضرة حتى استوفى
الناس آربهم واستكملوا أسرابهم ودسنا منهم بلاد النصارى بجموع كثرها الله وله الحمد
ونماها وأبعد في التماس ما عنده من الاجر مثمماها وعندما حللنا قاشرة وجدنا السلطان دون
نصرة متزمل نصرنا وانجادنا ومستعيد حظه من مواقع جهادنا ومقتضى دين كدحه باعانتنا
اياه وانجادنا قد نزل بظاهرها في محلات ممن استقر على دعوته وتمسك بطاعته وشمله
حكم جماعته فكان لقاؤنا اياه على حال اقرت عيون المسلمين وتكفلت باعزاز الدين ومجملها
يغني عن التعيين والشرح والتبيين ورأى هو ومن معه من وفور جيش الله ما هالهم وأشك
في حال اليقظة خيالهم من جموع تسد الفضا وأبطال تقارع أسد الغضى وكتائب منصورة
ورايات منشورة وأمم محشورة تفضل عن مرأى العين وتردي العدو في مهاوي الحين فاعترفوا
بما لم يكن في حسابهم واعتبر في عزة الله سبحانه أولوا ألبابهم واذا كثر الله تعالى العدد
عاود كا وإذ أزاح العلل ما اعتذر عار ولا شكا وسالت من الغد الاباطح بالاعتراف
وسمت الهوادي الى الاستشراف وأخذ الترتيب حقه من المواسط الجهادية والاطراف
وأحكمت التعبيه التي لا ترى العين فيها خللا ولا يجد الاعتبار عندها دخلا وكان النزول
على فرسخ من عدوة النهر الاعظم من خارج المدينة أنجز الله تعالى وعده ايها وأعادها
الى عهدها في الاسلام وشعارها ومحا ظلام الكفر من آفاقها بعلة الاسلام وأنوارها وقد
برزت من حاميها شوكة سابغة الدروع وافرة الجموع واستمت من اسوار القنطرة
العظمى بحمى لا يخفر وأخذ عقابها من الحماة والكماة العدد الاوفر فبادر اليهم سرعان
خيل المسلمين فصدقوهم الدفاع والقراع والمصال والمصاع وخالطوهم هبرا بالسيوف
ومباكرة بالحتوف فتركوهم حصيدا وأذاقوهم وبالا شديدا وجدلوا منهم جملة وافرة
وأمة كافرة وملكوا بعض تلك الاسوار فرفعت بها راياتهم الخافقة وظهرت عليها عزماتهم
الصادقة واقتحم المسلمون الوادي سيما في غمره واستهانة في سبيل الله بأمره وخالطوا
حامية العدو في ضفته فاقتلعوها وتعلقوا بأوائل الاسوار ففرعوها فلو كنا في ذلك اليوم
على عزم من القتال وتيسير الآلات وترتيب الرجال لدخل البلد وملك الاهل والولد
لكن أجار الكفار من الليل كافر وقد هلك منهم عدد وافر ورجع المسلمون الى محلاتهم
ونصر الله سافر والعزم ظافر ومن الغد خضنا البحر الذي جعلنا العزم فيه سفينا والتوكل
على الله للبلاغ ضمينا ونزلنا من صفة القوي العزيز منزلا عزيزا مكينا بحيث يجاوز سورها
طنب القباب وتصيب دورها من بين الخيمات بوارق النشاب وبرزت حاميتها على متعددات
الابواب مقيمة أسواق الطعان والضراب فأثبت بصفقة الخسر والتباب ولما شرعنا في
قتالها ورتبنا اشتات النكايات لنكالها وان كنا لم نبق على مطاولة نزالها أنزل الله المطر
الذي قدم بعهاده العهد وساوى النجد من طوفانه الوهد وعظم به الجهد ووقع
الابقاء على السلاح والكف بالضرورة عن الكفاح وبلغ المقام عليها والاخذ بمخنقها
والثواء لديها خمسة أيام لم تحل فيها الاسوار من اقتراع ولا الابواب من دفاع عليها وقراع

اروم سطنطين بن هلاني هذا
من السبب الداعي ببناء
القسطنطينية وقد ذكر ابن سمر
عن أبي زيد العهري ان
كان من رسم ملوك الاندلس
الازارقة انه اذا ركب
الملك منهم صارت الشواهين
في الهواء مظلة عليه ... محيطة
على موكبه ... برمته
وترتفع أخرى معدة لذلك
... في حال
... حوله
الى أن يركب يوما ملك منهم
وصارت الشواهين معه على
موضعها فثارت طائرا
فانقض عليه شاهين واحده
فعجب لذلك الملك وصراها
على الصيد فكان أول من
تصيدها بالمغرب وبلاد
الاندلس (من المسعودي)
وكذلك ذكر جماعة من
أهل العلم بهذا الشان انه
كان أول من لعب بالعقبان
أهل المغرب لما نظر الروم
الى شدة شرهها وادراك
سلاحها فأحكموا هذه
التي لا تقوم خيرها بشرها
وذكر ان قيصر أهدى الى
كسرى عقابا وكتب اليه
يعلمه انها تعمل أكثر من
عمل الصقر الذي أعجبه
صيده فأرسلها كسرى
وأرسلت على ظبي عرض
فدققته فعجبه ما رأى منها
فانصرف مسرورا وأجوعها
الصيد بها فوثبت على صبي له فقتلته فقال كسرى وترنا قيصر في أولادنا بغير جيش ثم ان كسرى أهدى الى وانفذ

وأنفذت مقاتل السائر أنقابا وارتقب الفتح الموعود ارتقابا وفشت فى أهلها الجراح والعيث الصراح وساءهم المساء بعزة الله والصباح ولولا عائق المطر لكان الاجهاز والاستفتاح والله بعدها الفتاح وصرفت الوجوه الى تخريب العمران وتسليط النيران وعقر الاشجار وتعفية الآثار وأتى منها العفاء على المسر الشهير فى الامصار وتركت زروعها المائحة عبرة للابصار ورحلنا عنها وقد ألبسها الدخان حدادا ونكس من طغاتها الاجيادا فاعتادت الذل اعتيادا وألفت الهون قيادا وكادت ان تستباح عنوة لولا أن الله تعالى جعل لها ميعادا وأتى القتل من أبطالها ومشاهير رجالها ممن يبارز ويناضح ويماسى بالناس ويصابح على عدد جم اخبرت سيماهم المشهورة بأسمائهم ونبهت علاماتهم على نباهاتهم وظهر اقدام المسلمين فى المعتركات وبروزهم بالحدود المشتركات وتنفيلهم الاسلاب وقودهم الخيل المسومة قود الغلاب وكان القفول وقد شمل الامن والقبول وحصل الجهاد المقبول وراع الكفر العز الذى يهول والاقدام الذى شهدت به الرماح والخيول وخاض المسلمون من ذرع الطرق التى ركبوها والمنازل التى استباحوها وانتهبوها بحورا بعد منها الساحل وفلاة مورك تعددت فيها المراحل فصيروها اصبرا وسلطوا عليها الاغير يا وحلوا بظاهر حصن اندجر وقد أصبح مألف ادمار عير أوشاب ووكر طير نشاب فلم يلونا راسه صعبا وابراجه ملئت حرسا شديدا وشهبا ضننا بالنفوس أن تفيض دون افتتاحه فسلطنا العفاء على ساحه وأغرينا الغارات باستيعاب ما بأحوازه واكتساحه وسلطنا النار على حرثه وبطاحه والصقنا بالرغام ذوائب أدواحه وانصرفنا بفضل الله والمناصل دامية والاجور نامية وقد وطئنا المواطئ التى كانت على الملوك مبلغا بسلا ولم نترك بها حرفا برفد ولا نسلا ولا ضرعا برسل رسلا والحمد لله الذى يتم النعم بحمده ونسأله صلة النصر فما النصر الا من عنده عرفناكم بهذه الكيفيات الكريمة الصفات والصنائع الروائع التى بعد العهد بمثلها فى هذه الاوقات علما بأنها لديكم من أحسن الهديات الوديات ولما نعلمه لديكم من حسن النيات وكرم الطويات فانكم سلالة الجهاد المقبول والرفد المبذول ووعد النصر المفعول ونرجو الله عز وجل أن ينقل خيالكم للمعاهد الجهادية الى المعاينة ونصر الملة المحمدية وان يجمع الله بكم كلمة الاسلام على عبدة الاصنام ويتم النعمة على الانام وودنا لكم ما علمتم يزيد على ممر الايام والله يجعله فى ذاته لكم متصل الدوام مبلغا الى دار السلام وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويضاعف الآلاء عندكم والسلام الكريم يحييكم ورحمة الله وبركاته انتهى (ومن هذا المنحى) ما كتب به لسان الدين رحمه الله تعالى عن سلطانه ونصه المقام الذى أحاديث سعادته لا تمل على الاعادة والتكرار وسبيل مجادته الشهيرة أوضح من شمس الظهيرة عند الاستظهار وأخبار صنائع الله لملكه ونظم فرائد الآمال فى سلكه تخلدها أقلام الاقدار بمداد الليل فى قرطاس النهار وترسمها بتذهيب الاسفار فى صفحات الافقار وتجعلها هجيرى جلاء الاسفار وحداة القطار فى مسالك الاقطار مقام محل اخينا الذى نلذ اعادة هنائه مع الاعادة ونتلقى أنباء علائه بالاذاعة والاشادة ونطرز بأعلام ثنائه صحائف المجادة ونشكر الله أن

قيصر غزا وكتب انه يقتل الظباء وامة الهامن الوحش وكتب ماصنعت العقاب فاعجب قيصر حسن اثر وطابق صفته وصف من العهد وغفل عنه بافدس بعد حين فنماه نسان حسدا كسرى فان كما فدحه فلا باس هذا وقد يعلل بنا الكلام عند ذكرنا جرجان وجزائره الى الكلام فى انواع الجوارح واشكالها عند ذكرنا الملوك اليونانيين فلنرجع الآن الى ذكر الباب والابواب ومن بها السور والامم وجبل الفتح وقد قلنا ان شر الملوك ممن جاورها من الامم مملكة حيزان وملكهم رجل مسلم يزعم انه من العرب من قحطان ويعرف بسلفان فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وليس فى مملكته مسلم غيره وولده واهله وارى ان هذه السمة يسمى بها كل ملك لهذا الصقع وبين مملكة حيزان وبين الباب والابواب اناس من المسلمين عرب لا يحسنون شيأ من اللغات غير العربية فى آجام هنالك وغياض واودية وانهار كبار من قرى قد سكنوها وقطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذى افتتحت فيه تلك البلاد ممن طرأ من وادى العرب اليها فهم مجاورون لمملكة حيزان الا انهم ممتنعون بتلك الاشجار والانهار وهى على نحو ثلاثة اميال من مدينة الباب والابواب واهل

وهب لنا من اخوته المضافة الى المحبة والودادة ما رجح في ميزان الاعتبار أخوة الولادة وعرفنا
[illegible] ولاينه عوارف السعادة السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا
أبقاه الله تعالى في أعلام الملك السعيد بيت القصيد ووسطى القلادة ومجلى الكمال الذى
بارى عيدار بأسه وجوده حدثنا الابادة والافادة ولازالت آماله القاصية تمتثل طوع
الارادة وبيمن نقيبته يجمع من اشتات الفتوح والعز الممنوح بين الحسنى والزيادة معظم
سلطانه العالى المثنى على مجده المرفوع اسناده في عوالى المعالى المسرور بما يسنيه الله له
من الصنع المتوالى والفتح المقدم والتالى أمير المسلمين عبد الله الغني بالله محمد بن أمير
المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد بن فرج بن نصر أيد الله أمره وأسعد نصره
سلام كريم يتأرج في الآفاق شذا طيبه وتسمع في ذروة الود بلاغة خطيبه ويتضمن نوره
سواد المداد عند ما سلف الوداد فيكاد يذهب بعبوسة المجهول وتقطيبه ورحمة الله وبركاته
أما بعد حمد الله فاتح الابواب بمقاليد الاسباب مهما استصعبت ومسير الامور بحكم المقدور
اذا أجهدت الحيل وأتعبت محمد نيران الفتن ما التهبت وجامع كلمة الاسلام وقد تصدعت
وتشعبت ومسكن رجفان الارض بعد ما اضطربت ومحييها بعهاد الرحمة مهما اهتزت
وربت اللطيف الخبير الذى قدرت حكمته الامور ورتبت منهى كل نفس الى ما خطت
الاقلام عليها وكتبت ونفت وأوجبت وشاءت وأبت ومجازيها يوم العرض بما كسبت
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله هازم الاحزاب لما تألفت وتألبت وجالب
الحتف اليها عند ما أجلبت رسول الملحمة اذا الليوث وثبت ونبي الرحمة التي هيأت النجاة
وسببت وأبلغت النفوس المطمئنة من السعادة ما طلبت ومداوى القلوب المريضة وقد
انكبت وانقلبت بلطائفه التي راضت وهذبت وقادت الى الجنة العليا واستجلبت وادت
عن الله وأدبت الذى بجاهه نستكشف الغماء اذا اطنبت ونستوكف النعماء اذا
أخلفت البروق وكذبت ونتدابر في طاعته ابتغاء الوسيلة الى شفاعته فنقول وجبت حسبما
ثبت والرضا عن آله وأصحابه وأنصاره واحزابه التي استحقت المزية المرضية واستوجبت
لما انتمت الى كله وانتسبت وببذل نفوسها في الله ومرضاته تقربت والى نصرته حبائه
انتدبت والمناصل قد رويت من دماء الاعداء وأخضبت وخلفته في أمته بعد ما نابه الهمم
التى عن صدق اليقين اعربت فتداعت لمجاهدة الكفار وانتدبت وابعدت المغار
وادربت حتى بلغ ملك أمته أقاصى البلاد التي نبت فكسرت الصلب التي نصبت وتعلت
التيجان التي عصبت ماهمت السحب وانسحبت وطلعت الشمس وغربت والدعاء
لمثابتكم العليا بالنصر العزيز كلما جهزت الكتائب وتكتبت والفتح المبين كلما ركبت
عقائل المواعد اذا خطبت والصنائع التي مهما حدقت فيها العيون تعجبت أو جالت في
نمائقها الافكار واستطابت مذاق الشكر واستعذبت حتى تنجز لكم مواعيد النصر فقد
اقتربت فانا كتبنا اليكم كتب الله لكم أغيا ما سألت الالسن السائلة واستوعبت من
حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وجنود الله بفضل الله تعالى ونعمته قد غلبت وفتحت
وسلبت وأسود جهاده قد أردت الاعداء بعد ما كلبت ومراعى الآمال قد اخصبت

انساب يحذرونهم واهل مملكة حيزان مما يلي جبل الفتح والسور ولهم ملك يقال له مدرمان مسلم ويعرف
بلده بالكرخ وهم اصحاب
الاعمدة وكل ملك يلي هذه
المملكة يدعى مدرمان
ثم يلي مملكة مدرمان مملكة
يقال لها غميق واهلها اناس
نصارى لا ينقادون الى
ملك ولهم رؤساء وهم
مهادنون لمملكة اللان
ثم يليهم مما يلي السور
والجبل مملكة يقال لها
زريكران وتفسير ذلك عمال
الزرد لان أكثرهم يعمل
الزرد والركب واللجم والسيوف
وغير ذلك من أنواع الحديد
وهم ذوو ديانات مختلفة
مسلمون ويهود ونصارى
وبلدهم بلد خشن قد
امتنعوا بخشونته على من
جاورهم من الامم ثم يلي هؤلاء
مملكة السرير وملكها يدعى
فيلان شاه يدين بدين
النصرانية وقد ذكرنا فيما
سلف من هذا الكتاب انه
من ولد بهرام جور وسمي
صاحب السرير لان يزدجرد
وهو الآخر من ملوك ساسان
حين ولى منهزما قدم سرير
الذهب وخزائنه وأمواله
مع رجل من ولد بهرام
ليسير بها الى هذه المملكة
فيحرزها ايضا الى وقت
موافاته ومضى يزدجرد الى
خراسان فقتل هناك وذلك
في خلافة عمر رضي الله عنه
على ما ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا فقطن ذلك الرجل في هذه المملكة واستولى عليها وصار الملك

والحمد

والحمد لله حمدا يجلو وجوه الرضا بعدما احتجبت ويفتح أبواب المزيد كلما استقبلها الامل رحبت والشكر لله شكرا قيد شوارد النعم عما أبقت وما هربت والى هذا وصل الله لمقامكم أسباب الظهور والاعتلاء وعرفكم عوارف الآلاء على الولاء فانه لما ورد علينا كتابكم البر الوفادة الجم الافادة الجامع بين الحسنى والزيادة جالى غرة الفتح الاعظم من ثنايا السعادة وواهب المنن المتاحة وواصف النعم المعادة فأوقفنا من رقه المنشور على تحف سنية وأماني هنية وقطاف للنصر جنية ضمنت سكون البلاد وقرارها وأن الله قد أذهب الفتن وأوارها وأخمد نارها ونضح عن وجه الاسلام عارها وجمع الاهواء على من هو يته السعادة بعد أن أجهد اختيارها فاصبح الشتيت مجتمعا وجمع الجماح مرتفعا والجبل المخالف خاشعا متصدعا وأصحب في القياد من كان ممتنعا واسترتقت الطاعة ونجعت السنة والجماعة وارتفعت الشناعة وعسكت البلاد المكرهة بأذيال وليها لما رأته وعادت الاجياد العاطلة الى حليها بعدما أنكرته أجلنا جياد الاقلام فى ملعب الهناء وميدانه لاول أوقات امكانه على بعد مكانه وجهدنا عبارة الكلام فى اجلال هذا الصنع وتعظيم شأنه وأغرينا الثناء بتتميم مجدكم فى شرحه او بيانه رأينا أن لا نكل ذلك الى اليراع وتفرده فيه بالاجتماع وما يتعاطاه من مد الذراع وأن نشد بردء من المشافهة أزره ونقصد تبيين من اللسان أمره فعيناك لك من يقرر منه المجمل ويعهد المقصد المعمل حتى يجمع بين اغراض البر والعلن منه والسر ويقيم شتى الادلة على الوداد المستقر ووجهنا فى عرض الرسالة به اليكم والخبر بالشرحه بين يديكم خطيب الوفود وبركة المشائخ فى هذا المقام المحمود الشيخ الجليل الشهير الكبير الصالح الفاضل أبا البركات ابن الحاج وصل الله حفظه وأجزل من الجد واللطف حظه وهو البطل الذى لا يعلم الاجالة فى الميدان ولا يضرب طائف ذلك الشأن ومراد نامنه أن يطيل ويطنب ويسهل فى وصف محاسنكم اللسان الرطب ويقرر ماعند نالمقامكم من التشيع الذى قام على الحب المتوارث أساسه واطراد حكمه وانتج قياسه ولتجعل تلو مقصد الهناء بمجلسكم الباهر السناء الصارف الى الجهاد فى سبيل الله والعناء وجه الهمم والاعتناء على مر الآناء ما تجدد لدينا من الانباء فى جهاد الاعداء وان كان رسولكم أعزه الله تعالى قد شارك فى السرى والسير وعين الطير وأغنى فى الحكاية عن العير فلا سرف فى الخير وهو أننا لما شرفنا من منازلة قرطبة نظر للحشود التى نفذت معدات أزوادها وشابت بهم العلة المستعلة مفارق بلادها واشفاقا للسداد أدوانها بفوات أوقاتها رحلنا عنها وقد انطوينا من اعفاء أكثر تلك الزروع الماثلة المروع الهائلة الروع على هم مض وأسف للمضاجع مقض اذ كان عادل المطر يكف ألسنة النار عن المبالغة فى التهابها وحلاقها وتقص أعوارها ونهب شوارها واذاعة أسرارها وهى البحور المتلاطمة اذا خطمتها الرياح الحاطمة واللجج الزاخرة اذا حركتها السوافي الساخرة تود العيون أن تحدى حدودها القاصية ولا تطيق والركائب الراكضة أن تشرف على غاياتها فيفضل عن مراحلها الطريق قد جللها الربيع أرزاقا تغص بها الحزائن والاطباق وحبو بامفضله

ذريته يستعد منهم من شاء وله بالحشر ضيع كثيرة وهو شعب من جبل الفتح وهو يغير على الخزر ويستظهر عليهم لانهم فى سهل وهو فى جبل ثم تلى هذه المملكة مملكة اللان وملكها يقال له كركنداج وهذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وكذلك فيلان شاه فهو الاسم الاعم لسائر ملوك السرير ودار مملكة ملك اللان يقال لها معص وتفسير ذلك الديانة وله قصور ومنتزهات فى غير هذه المدينة يتنقل فى السكنى اليها وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة فى هذا الوقت وقد تزوج كل واحد منهما أخت الآخر وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الاسلام فى الدولة العباسية اعتقدوا دين النصرانية وكانوا قبل ذلك جاهلية فلما كان بعد العشرين والثلثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية وطردوا من كان قبلهم من الاساقفة والقسيسين وقد كان أنفذهم اليهم ملك الروم وبين ملك اللان وجبل الفتح قلعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان بنى هذه القلعة ملك فى قديم الزمان من الفرس

٣١ ط ل الاوائل يقال له اسبنديار بن كشتاسب بن بهراسب ورتب فى هذه القلعة رجالا يمنعون اللان من الوصول

لا يررؤها الانماد والانفاق ولو اعتصت على انتسافها الآ ناف نخففا فى سبيل الله لتعقيب غزو تلك الاقطار الخائفه بمحق الصائفة واعانة تلك الطائفة بكلوم الجماع الحائفة حنوفا فلم نقنع فيه بالاستنابة حرصا على استئصال الصبابة وأعفينا الرحل من اتصال الكد وقابلنا قبولهم على استصحابنا فيها بالرد وأطللنا على قرطبة بمحلات تنسف الجبال نسفا وتعم الارض زلزالا وخسفا ونستقرى مواقع البذر احترافا ونخترق أجوابها المحترفة بحب الحصيد اخترافا ونسلط عليها من شرر النار أمثال الجمالات الصفر مددت من الشواظ أسقافا وتوسع القرى الواسعة دكا واستنزافا وندير على مستديرها كؤس الحتوف دهاقا وأحدث النيران واديها الاعظم من كلا جانبيه حتى كأن العيون أجمت بمكته فسحلت واذابت صفيحته فسالت وأتت الكفار سماؤهم بالدخان المبين وصار الشمس من بعد سفورها وعموم نورها منتقبة الحيا معصبة الجبين وخضنا أحشاء العريرة بعم أشتت النعم انتسافا وأقوات أهلها اتلافا وآمال سكانها اخلافا وقد بهتوا السرعة الرجوع ودهشوا الوقوع الجوع وتسبيب تخريب الربوع فمن المنكر البعيد أن يتأتى بعد عمرانها المعهود وقد اصطلم الزرع واجتث العود وصار الى العدم منها الوجود ورأوا من عزائم الاسلام خوارق تشذ عن نطاق العوائد وعجائب تستريب فيها عين المشاهد اذا اشتمل هذا العام المتعرف فيه من الله تعالى الانعام على غزوات أربع دمرن فيها القواعد الشهيرة تدميرا وعلا فوق مرافيها الاذان عزيزا جهيرا وضويقت كراسى الملك تضييقا كبيرا وأذيقت وبالا مبيرا ورياح الادالة ان شاء الله تعالى تستأنف هبوبا وبأساء مشبوبا والثقة بالله قد ملأت نفوسا مؤمنة وقلوبا والله سبحانه المسؤل أن يوزع شكر هذه النعم التى أثقلت الاكتاد وأبهظت الطوق المعتاد وابهجت المشيم والمرتاد فبالشكر يستدر فريدها ويتوالى تجديدها وقطعا فى مجموعه تلك العمالة المستبحرة العمارة والفلك المعى وصعها عن الشرح والعبارة مراحل حثمنا بالتعريج على حرب جيان تربها ففللنا ثانية غربها وجددنا كربها واستوعبنا حرقها وخربها ونظمنا البلاد فى سلك البلاء وحشنا فى أنجادها وأغوارها كتائب الاستيلاء فلم نترك بها ملقط طير فضلا عن معاف عير ولا أسأرنا لعلها المحروب الا التخير وقفلنا وقد تركنا بلاد النصارى التى منها الكبادنا المدد والعدة والعدد وفيها الخصام والالد قد لبست الحداد حريقا وسلكت الى الخلاء والجلاء طريقا ولم نترك لها مضغة تخالط ريقا ولا نعمة تصون من الفراق فريقا وما كانت تلك النعم لولا أن أعان الله تعالى من عنصرى النار والهواء بجنود كونه الواسع ومدركه البعيد الشاسع لتولى الايدى البشرية تغريبها ولا ترزأ كثيرها الا التمتاح بالاعتراف غديرها بل لله القدرة جميعا فقدرته لا تحامى ربيعا ولا تحمى مريعا ....ما وعدنا والعود فى مثله أحمد وقد بعد من شفاء النفوس الامد ونسخ بالسرور الكمد ورفعت من عز الاسلام العمد والحمد لله حمد الشاكرين ومنه نلتمس عادة النصر على أعدائه فهو خير الناصرين عرفنا كم به ليسر دينكم المتين ومجدكم الذى راق منه الجبين والله يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويبلغكم أملكم من فضله وقصدكم

ثم الاعلى هذه القنطرة من تحت هذه القلعة والقلعة على صخرة صماء لا سبيل الى جبل الفتح ولا طريق الى فتحها والوصول اليها الا بالاذن من ديبانها وفى هذه القلعة المبنية على أعلى هذه الصخرة عين من الماء عذبة تنبع فى وسطها من اعلى هذه الصخرة وهذه القلعة احدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة وقد ذكرتها الفرس فى اشعارها وما كان لاسفنديار بن كشتاسب فى بنائها ولاسفنديار فى الشرق حروب كثيرة مع أصناف من الامم وهو السائر الى بلاد الترك لخرب مدينة الصفر وكانت من المنعة بالموضع العظيم الذى لا يرام وبها ضربت الفرس الامثال وما كان من أفعال اسفنديار وما وصفنا قد ذكر فى الكتاب المعروف بكتاب السيكس نقله ابن المقفع الى لسان العرب وقد كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان حين وصل الى هذا الصقع ووطئ اهله أسكن فى هذه القلعة أناسا من العرب الى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع وربما تحمل اليهم الرزق والاقوات من البر من ثغر تفليس وبين تفليس وهذه القلعة مسيرة خمسة أيام كبار ولو كان رجل واحد فى هذه القلعة لمنع سائر الملوك الكبار أن يجتازوا بهذا الموضع لتعلقها بالجو واشرافها على الطريق والقنطرة والوادى وصاحب

بدنه

عنه وطوله والسلام الكريم يخصكم ورحمة الله تعالى وبركاته انتهى (رجع الى ما كنا بسبيله) من أخبار قرطبة الجليلة الوصف وذكر جامعها البديع الاتقان والوصف فنقول قد شاع وذاع على ألسنة الجم الغفير من الناس في هذه البلاد المشرقية وغيرها أن في جامع قرطبة ثلثمائة ونحو ستين طاقا على عدد أيام السنة وأن الشمس تدخل كل يوم من طاق الى أن يتم الدور ثم تعود وهذا شئ لم أقف عليه في كلام المؤرخين من أهل المغرب والاندلس ولو كان كما شاع لذكروه وتعرضوا له لانه من أعجب ما يستغرب مع أنهم ذكروا ما هو دونه فالله أعلم بحقيقة الحال في ذلك وسيأتي في الباب الرابع رسالة الشقندي الطويلة وفيها من محاسن قرطبة وسائر بلاد الاندلس الطم والرم وقد ذكرنا في الباب الاول جملة من محاسن قرطبة فأغنى ذلك عن اعادتها هنا على ان رسالة الشقندي تكرر فيها بعض ما ذكرناه لانا لم نرد أن نخل منها بحرف فأتينا بها بلفظها وان تكرر بعض ما فيها مع بعض ما أسلفناه والعذر واضح بالمنصف المغضي والله نسأل سلوك السبيل الذي يرضي بمنه وكرمه * وقال صاحب نشق الازهار ان في جامع قرطبة تنورا من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح وفيه أشياء غريبة من الصنائع العجيبة يعجز عن وصفها الواصفون قيل أو حكم عمله في سبع سنين وفيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وعلى الآخر صورة غراب نوح عليه الصلاة والسلام الثلاثة خلقها الله تعالى ولم يصنعها صانع انتهى قلت لم أر أحدا من محققي المؤرخين للاندلس وثقاتهم ذكر هذا على قلة اطلاعي وهو عندي بعيد لانه لو كان لذكره الائمة * وقد حكى عياض في الشفاء أشياء وجد عليها اسم نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يذكر هذا ويستبعد أن يكون بجامع قرطبة ولا يذكره والله تعالى اعلم بحقيقة الامر * وقال في موضع آخر من هذا الكتاب ان دور قرطبة أربعة عشر ميلا وعرضها ميلان وهي على النهر الكبير وعليه جسران وبها الجامع الكبير الاسلامي وبها الكنيسة المعظمة بين النصارى وبهذه المدينة معدن الفضة ومعدن الشاذنج وهو حجر من شأنه أن يقطع الدم وكان يجلب منها البغال التي تباع كل واحدة منها بخمسمائة دينار من حسنها وعلوها الزائد انتهى *(رجع الى أخبار البنيان) ولا خفاء أنه يدل على عظم قدر بانيه ولذلك قال أمير المؤمنين الناصر المرواني باني الزهراء رحمه الله تعالى حسبما نسبهما له بعض العلماء وبعض ينسبهما لغيره وسيأتيان في ترجمة نور الدين بن علي منسوبين

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم قدره * أضحى يدل على عظيم الشان

وتذكرت هنا قصيدة قالها بعض الشاميين وهو الاديب الفاضل الشيخ أسد بن معين الدين مما يكتب على أبراج دار الحسيب النسيب الشهير البيت الكبير الحي والميت القاضي عبد الرحمن بن الفرفور الدمشقي وضمنها بيتي الناصر المذكورين

زر مجلسا أضحى اعز مكان * ومحل أهل العلم والعرفان
المجد خيم في ذرى أبراجه * والسعد عبد الباب طول زمان

اللان يركب في ثلاثين ألف فارس وهو ذو منعة وبأس شديد وذو سياسة بين الملوك ومملكته عمائرها متصلة غير منفصلة اذا تصايحت الديوك تجاوبت في سائر مملكته لاشتباك العمائر وتواصلها ثم يلي مملكة اللان أمة يقال لها كشك وهم بين جبل الفتح وبحر الروم وهي أمة مطيعة منقادة الى دين المجوسية وليس فيمن ذكرنا من الامم في هذا الصقع أنقى أبشارا ولا أصفى ألوانا ولا أحسن نساء ولا أتم قدودا ولا أدق أخصارا ولا أظهر أكفالا وأردافا ولا أحسن شكلا من هذه الامة ونساؤهم موصوفات بلذة الخلوات ولباسهم البياض والديباج الرومي والسقلاطوني وغير ذلك من أنواع الديباج المذهب وبأرضهم أنواع من الثياب يصنع من السب منها نوع يقال له الطلي أرق من الدبيقي وأبقى على الكد يبلغ الثوب عشرة دنانير يحمل الى ما يليهم من الاسلام وقد تحمل هذه الثياب ممن جاورهم من الامم الا أن الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء واللان مستظهرة على هذه الامة لا تنتصف هذه الامة من اللان الا أنها تمتنع من اللان بقلاع لها على ساحل البحر وقد تنوزع في البحر الذي هم عليه فمن الناس من يرى انه بحر الروم ومنهم من يرى انه بحر نيطش الا أنهم يقربون في البحر من بلاد

منها فى المراكب وتجهز من قبلهم أيضا والعلة فى ضعفهم عن اللان تركهم

كأنه لمرفوع البناء وأرضه * مفرو شة بالدر والعقيان
بيت به فخر البيوت لانه * بيت القصيد ومنزل الضيفان
معنى فسيح فيه معنى مفرح * عن قدر بانيه بغير لسان
تدول بعض ذوى الفضائل قبلنا * قولا بديعا واضح التبيان
هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم قدره * اضحى يدل على عظيم الشان
قد شاده من ساد أهل زمانه * بالاصل والافضال والرجحان
ورث السيادة كابرا عن كابر * وسما برفعته على كيوان
قاضى القضاة ومفخر العصر الذى * قد جاء فيه سابق الاقران
فى العلم بحر لا ينال قراره * فى الحكم مثل مهند وسنان
يروى عطاء عن يديه قد اقتفى * آثار آباء ذوى احسان
لازال يبقى شائدا بيت العلا * وعدوه فى الوهن والنقصان
يا أيها المولى الذى يجرى مع الاقبال والاسعاد طلق عنان
دم شامخ المقدار مرتفع البنا * والناس تحت رضاك كالغلمان
متمتعا بينديك سادات الورى * فى عز ربد ائم السلطان
ما رجع القمرى فى تغريده * فى الروض فوق منابر الاغصان

وكان القاضى عبد الرحمن بن فرفور المذكور عالى الهمة تضيق يده عما بريد فلذلك كان كثيرا ما يبث شكواه فى الطروس والدفاتر ويعتب على الزمان الذى أخنى على أهل الادب وقطع آمالهم بحسامه الباتر ويرحم الله القائل

هذا زمان در يهمى لاغيره * فدع الدفاتر للزمان الفاتر

فمن نظم المذكور وقد أبطأ بجزء استعاره من بعض اخوانه فكتب اليه معتذرا وأدمج شكوى الزمان الذى كان من شماتة الاعداء به حذرا

ابطأت فى ذا الجزء يا سيدى * كتابة من جور دهر بغيض
صارته فالجسم منى لقى * تجلدا والقلب منى مريض
فاذا أبى الاتلاف وقد * أحلنى منه محل الحضيض
واقتادنى قسرا الى مصرع * قد رق منه اللحم والعظم هيض
سلمت للاقدار مستسرعا * لباب مولى ذى عطاء عريض
جوم صبر كنت اسطو به * على رواياالدهر بالهم غيض
ولاتلم ياصاح من بعد ذا * اذا غشيت بحال الجريض

ورأيت بخطه رحمه الله تعالى مما نسبه لجده القطب الخيضرى الحافظ لابراهيم بن نصر الحموى ثم المصرى المعروف بابن الفقيه

يا زمانا كلما جا * ولت امرا يمتنع
ان تعصبت فانى * باصطبارى أقتنع

نار بندة والعمارة تتصل أن يملكوا عليهم ملكا يجمع كلمتهم ولو اجتمعت كلمتهم لم يطقهم اللان ولا غيرها من الامم وتفسير هذا الاسم وهو فارسى الى العربية الصنف وذلك أن الفرس اذا كان الانسان نابها لما قالوا كنشك وتلى هذه الامة التى على هذا البحر امة أخرى يقال لبلادهم السبع بلدان وهى أمة كثيرة ممتنعة بعيدة الدار لا أعلم ملتها ولا نعى الى خبرها فى دينها وتليها أمة عظيمة بينها وبين بلاد كشك نهر عظيم كالفرات يصب الى بحر الروم وقيل الى بحر مانطش ويقال لدار مملكة هذه الامة ارم ذات العماد وهم ذوو خلق عجيب وآراؤها جاهلية ولهذا البلد على هذا البحر خبر ظريف وذلك أن سمكة عظيمة تأتيهم فى كل سنة فيتناولون منها ثم توجد نحوهم من الشق الآخر فيتناولون منها وقد عاد اللحم على الموضع الذى أخذ منه أولا وخبر هذه الامة مستفيض فى تلك الديار من الكفار ويلى هذه الامة أمة بين جبال أربعة كل جبل منها ممتنع ذاهب فى الهواء وبين هذه الجبال الاربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء فى وسط تلك الصحراء دارة مدورة كأنها قد خطت

وهذه

وهذه تورية بديعة للغاية في التعصب والتفنع مع حلاوة النظم وجودة السبك وضخمه الوزن والله سبحانه يروح تلك الارواح في الجنان ويعاملنا واياهم بمحض الفضل والامتنان ويكفينا شجون دهر جرى بنا طلق العنان (رجع الى ما كنا فيه) وكنت وقفت في كلام بعض العلماء على ان البيتين السابقين المنسوبين الى أمير المؤمنين الناصر المرواني رحمه الله تعالى قالهما في الزهراء التي بناها وسيأتي ذكرها قريبا وقال الشيخ سيدي محيي الدين بن العربي في المسامرات قرأت على مدينة الزهراء بعد خرابها وصيرورتها مأوى الطير والوحش وبناؤها عجيب في بلاد الاندلس وهي قريبة من قرطبة ابياتا تذكر العاقل وتنبه الغافل وهي

ديار بأكناف الملاعب تلمع * وما ان بها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب * فيصمت احيانا وحينا يرجع
فخاطبت منها طائرا متغردا * له شجن في القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكي * فقال على دهر مضى ليس يرجع

(ثم قال) وأخبرني بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء أن الناصر ماتت له سرية وتركت مالا كثيرا فأمر أن يفك بذلك المال اسرى المسلمين وطلب في بلاد الافرنج أسيرا فلم يوجد فشكر الله تعالى على ذلك فقالت له جاريته الزهراء وكان يحبها حبا شديدا اشتهيت لو بنيت لي به مدينة تسميها باسمي وتكون خاصة لي فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة وبينها وبين قرطبة اليوم ثلاثة اميال أو نحو ذلك واتقن بناءها وأحكم الصنعة فيها وجعلها مستنزها ومسكنا للزهراء وحاشية أرباب دولته ونقش صورتها على الباب فلما قعدت الزهراء في مجلسها نظرت الى بياض المدينة وحسنها في حجر ذلك الجبل الاسود فقالت ياسيدي الاترى الى حسن هذه الجارية الحسناء في حجر ذلك الزنجي فأمر بزوال ذلك الجبل فقال بعض جلسائه أعيذ أمير المؤمنين أن يخطر له ما يشين العقل سماعه لو اجتمع الخلق ما أزالوه حفرا ولا قطعا ولا يزيله الا من خلقه فأمر بقطع شجره وغرسه تينا ولوزا ولم يكن منظر أحسن منها ولا سيما في زمان الازهار وتفتح الاشجار وهي بين الجبل والسهل انتهى ببعض اختصار وقال ابن خلكان في ترجمة المعتمد بن عباد ما صورته الزهراء بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الراء بعدها همزة ممدودة وهي من عجائب أبنية الدنيا انشأها أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر أحد ملوك بني أمية بالاندلس بالقرب من قرطبة في أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة ومسافة ما بينهما أربعة أميال وثلثا ميل وطول الزهراء من الشرق الى الغرب ألفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع وعدد السواري التي فيها أربعة آلاف سارية وثلثمائة سارية وعدد أبوابها يزيد على خمسة عشر ألف باب وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا فثلث للجند وثلث مدخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس خمسة آلاف ألف ألف دينار وأربعمائة ألف ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق المستخلصة سبعمائة ألف دينار وخمسة وستون ألف دينار وهي من أهول ما بناه الانس وأجله خطرا واعظمه شأنا

بيكار وشكل دائرتها خسفة مجوفة في حجر صلد مخسف كاتدوير الدائرة استدارة تلك الخسفة نحو خمسين ميلا دقيق قديم ترى سفلا كأنه مبني من سفل الى علو يكون قعره على نحو ميلين طريق لا سبيل الى الوصول الى مستوى تلك الدائرة وترى فيها بالليل نيران كثيرة في مواضع مختلفة وبالنهار ترى فيها قرى وعمائر وأنهارا تجري من تلك القرى وناس وبهائم الا أنهم يرون لطاف الاجسام لبعد محل الموضع لا ندري من أي الامم هم ولا سبيل لهم الى الصعود من جهة من الجهات ولا سبيل لمن فوق الى النزول اليهم وبجهتهم انزجوا ووراء تلك الجبال الاربعة على ساحل البحر جزيرة أخرى بريسة المعمورة بها آجام وغياض فيها نوع من السرود منتصبة القامات مستديرة الوجوه الاغلب عليها صور الناس واشكالهم الا انهم ذوو شعر وربما وقع في النادر الفرد منهم اذا احتيل في اصطياده فيكون في نهاية الفهم والدراية الا أنه لا لسان له فيعبر بالنطق ويفهم كل ما يخاطب به بالاشارة وربما حمل الواحد منهم الى ملوك الامم من هنالك فعلمه القيام على رؤسها بالمذاب على موائدها ويلقي الملك له من طعامه فان أكله أكل الملك منه وان اجتنبه علم أنه مسموم فحذر منه وكذلك الا كثرين

ـ ترك ذلك كله ابن بشكوال في تاريخ الاندلس انتهى كلامه ۞ وحكى في المطمح أن الوزير الكبير الشهير بالحزم بن جهور قال وقد وقف على قصور الامويين التي تقوضت أبنيتها وعوضت من أنيسها الوحش ارتجالا

قلت يوما لدار قوم تفانوا ۞ أين سكانك العزاز علينا

فأجابت هنا أقاموا قليلا ۞ ثم ساروا ولست أعلم أينا

وفيه أن أبا عامر بن شهيد بات ليلة باحدى كنائس قرطبة وقد فرشت بأضغاث آس وعرشت بسرور واتئناس وبرع النواقيس يبهج سمعه وبرق الحميا يسرع لمعه والقس قد برز في عبدة المسيح متوشحا بالزنار أبدع توشيح قد هجروا الافراح واطرحوا النعم كل اطراح لا يعمدون الى ماء بابله الا اغترافا من الغدران بالراح وأقام بينهم يعملها حميا كأنما يرشف من كأسها شفة لميا وهي تنفح له بأطيب عرف كلما رشفها أعذب رشف ثم ارتحل بعد ما ارتحل فقال

ولربحان قد شممت بدره ۞ خمر الصبا مزجت بصرف عصيره

في فتية جعلوا السرور شعارهم ۞ متصاغرين تخشعا لكبيره

والقس مما شاء طول مقامنا ۞ يدعو بعود حولنا بزبوره

يهدي لنا بالراح كل مصفر ۞ كالخشف خفره التماح خفيره

يتناول الظرفاء فيه وشربهم ۞ لسلافهم والاكل من خنزيره

انتهى ۞ (رجع الى أنباء الزهراء) قال بعض من أرخ الاندلس كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدام والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب ألف وخمسمائة دابة وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الآجر والصخر غير المعدل انتهى وسيأتي في الزهراء مزيد كلام وقال ابن حيان ابتدأ الناصر بناء الزهراء أول يوم من محرم سنة ٣٢٥ وجعل طولها من شرق الى غرب ألفين وسبعمائة ذراع وتكسيرها تسعمائة ألف ذراع وتسعون ألف ذراع كذا نقله بعضهم وللنظر فيه مجال فا وكان يثيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزم على قطعها ونقلها ومؤنة حملها وجلب اليها الرخام الابيض من المرية والمجزع من رية والوردي والاخضر من افريقية من اسفاقس وقرطاجنة والحوض المنقوش المذهب من الشام وقيل من القسطنطينية وفيه نقوش وتماثيل وصور على صور الانسان وليس له قيمة ولما جلبه أحمد الفيلسوف وقيل غيره أمر الناصر بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ونصب عليه اثني عشر تمثالا ووبني في قصرها المجلس المسمى بقصر الخلافة وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ الصافي لونه المتلونة أجناسه وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت في وسطه اليتيمة التي اتحف الناصر بها أليون ملك القسطنطينية وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق وكان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والابنوس المرصع بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سواري من الرخام الملون

من القرد في مواضع سلوكهم به عند الطعام وذكر باحرر الصرود بالسمن والتوحيد الحد بداندي ذ يعه ايمان ابن داود يهدا للصرود بالسبروس كتب من أمرهم مع عامل معاوية كتب به في أمره ووصف القرد العظيم الذي كان في رفقته الترح الحديد وليس في قرود العالم أحسن من هذا النوع ولا أخبث وذلك ان القردة تكون في بقاع الارض الحارة منها أرض النوبة وأعلى بلاد الاحابش مما يلي أعالي مصب النيل القرود المعروفة النوبية وهي صغيرة الجثة صغيرة الوجوه ذات سواد يسير حالك كأنه نوبي وهو الذي يكون مع القرادين ويصعد على رمح فيصير الى أعلاه ومنها ما يكون في ناحية الشام في آجام وغياض نحو أرض الصقالبة وغيرها من هناك من الامم كذلك وما وصفنا من هذا النوع من القرود وقرب شكله من صورة الانسان ومنها بخلجان بلاد الزابج وبحر الصين في مملكة المهراج ملك الجزائر وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن مملكته يوازي ملك الصين وهو بين مملكة البلهرا وملك الصين وهذه القرود مشهورة في الصنع معروفة

الملون والبلور الصافى وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شعاعها فى صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالابصار وكان الناصر اذا اراد ان يفزع احدا من اهل مجلسه أومأ الى احد صقالبته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر فى المجلس كلمعان البرق من النور ويأخذ بمجامع القلوب حتى يخيل لكل من فى المجلس ان المحل قد طار بهم ما دام الزئبق يتحرك وقيل ان هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس وقيل كان ثابتا على صفة هذا الصهريج وهذا المجلس لم يتقدم لاحد بناؤه فى الجاهلية ولا فى الاسلام وانما تهيأ لكثرة الزئبق عندهم وكان بناء الزهراء فى غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعمد كثير وأجرى فيها المياه وأحدق بها البساتين وفيها يقول الشاعر السميسر

وقفت بالزهراء مستعبرا معتبرا أندب أشتاتا

فقلت يا زهرا ألا فارجعي قالت وهل يرجع من ماتا

فلم أزل أبكي وأبكي بها هيهات يغني الدمع هيهاتا

كأنما آثار من قد مضى نوادب يندبن أمواتا

انتهى كلام هذا المؤرخ ملخصا وبعضه يوافق ما سبق وبعضه يخالفه والله سبحانه اعلم الامر كله وربما ينظر المتأمل هذا الكتاب فيجد فى بعض الاخبار تكرارا فيحمل ذلك على الغفلة وليس كذلك وانما السبب الحامل لذلك جلب كلام الناس بعبارتهم والناقد البصير لا يخفى عليه مثل هذا وربما يقع التكرار وذلك من أجل ما ذكرناه فاعلم . وذكر بعضهم ان مجلس الناصر غير واحد مما حكاه غير واحد عن القصر العظيم الذى ابتناه ملك طليطلة المأمون ابن ذى النون بها وذلك أنه أنفق فيه الى الغاية وأنفق عليه أموالا طائلة وصنع فى وسطه بحيرة وصنع فى وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماء ينزل من أعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضه ببعض فكانت قبة الزجاج فى غلالة مما سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجرى والمأمون قاعد فيها لا يمسه من الماء شئ ولا يصله وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب وبينما هو فيها مع جواريه ذات ليلة اذ سمع منشدا ينشد

أتبنى بناء الخالدين وانما مقامك فيها لو عقلت قليل

لقد كان فى ظل الاراك كفاية لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فتنغص عليه حاله وقال انا لله وانا اليه راجعون أظن أن الاجل قد قرب فلم يلبث بعدها غير شهر وتوفى ولم يجلس فى تلك القبة بعدها وذلك سنة ٤٦٢ تجاوز الله تعالى عنه هكذا حكاه بعض مؤرخى المغرب . وقد ذكر فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكاية هذه القبة فلينظر ان يدرون شارح العبدونية فليراجع ويذكر هنا قول أبى محمد المصرى فى صفة قصر طليطلة

قصر يقصر عن مداه الفرقد عذبت مصادره وطاب المورد

نشر الصباح عليه ثوب مكارم فعليه ألوية السعادة تعقد

وكأنما المأمون فى ارجائه بدر تمام قابلته أسعد

وكأنما الاقداح فى راحاته درجات ذاب فيهن العسجد

وجاءت فى الرد ل عصام وكان فى البرود ودوحى و الكرامع انواع من الهدايا ... حمل ذلك أحمد بن أبى ... أمير عمان يوسف ... البرود وأمرها ... من أهل ... وعان من ... الى ... فله والرابع وكم ... الى ... بالحلة اصلها ... حوف الماء على أن الحا ... يذكر أن الماء يج لا يكون الا ... ل مصر ... ان ... احدها ... من ... الكتاب عن اصل ذلك رأيت ... العلماء فاما الذى ذاكر ... بين ... ان البرود ... من مواضع ... لا ... مرها عن ذلك الى ... وادى ... ما ... الا ... أميرها هذا الوصف وهو ... ابراهيم بن ... صاحب الحرملى وبين هذا الراس وبين ... يوم وبين الجهد يوم او أكثر من ذلك وهذا الوادى كثير العمار ومصاب المياه اليه كثيرة ونحو المورقية كثيرة والبرودية كثيرة وهو بين جبلين والبرود قطعة من

كل قصيع منها بستوقة هدر والهدر الذكر العظيم كالحمل العظيم المقدم منها وقد تمد البردة فى بطن واحد منه من الحرير نحو

وله فى صفة البركة والقبة عليها

شمسية الانساب بدرية * يحار فى تشبيهها الخاطر
كأنما المأمون بدر الدجى * وهى عليه الفلك الدائر

وكان ملوك الاندلس فى غاية الاحتفال بالمجالس والقصور وللوزير الجزيرى رحمه الله تعالى فى وصف مجلس للمنصور بن أبى عامر ما يشهد لذلك وهو قوله

وتوسطتها الجنة فى قعرها * نبت السلاحف ماتزال تتقنق
تنساب من ولك هزبر ان يكن * نبت الجنان فان فاه أخرق
صاغوه من بدر وخالق صفحتى * هاديه محض الدر فهو مخلق
لياسمين تطلع فى عرشه * مثل المليك غداة وهو مطوق
ونضائد من نرجس وبنفسج * وجنى خيرى وورد يعبق
ترنو بسحر عيونها وتكاد من * طرب اليك بلا لسان تنطق
وعلى يمينك سوسنات أطلعت * زهر الربيع فهن حسنا تشرق
فكأنما هى فى اختلاف رقومها * رايات نصرك يوم باسك تخفق
فى مجلس جمع السرور لأهله * ملك اذا جمعت قناه يفرق
حازت بدولته المغارب رفعة * فغدا يحسدها عليه المشرق

ومن هذه القصيدة

أما الغمام فشاهد لك انه * لا شك صنوك أو أخوك الاوثق
وافى الصنيع فحين تم تمامه * فى الصحو انشا ودقه يتدفق
وأظنه يحكيك جودا اذ رأى * فى اليوم بحرك زاخرا يتفهق

وكان السبب فى هذه الابيات أن المنصور صنع فى ذلك الاوان صنيعا لتطهير ابنه عبد الرحمن وكان عام قحط فارتفع السعر بقرطبة وبلغ ربع الدقيق الحديد دينار بن فجلا الناس من قرطبة فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت فى السماء سحابة عمت الافق ثم أتى المطر الوابل فاستبشر الناس وسر المنصور بن أبى عامر فقال الجزيرى بديهة أما الغمام الخ وهو القائل على لسان نرجس العامرية

حييك يا قمر العلا والمجلس * أزكى تحيتها عيون النرجس
زهر تريك بحسنها وبلونها * زهر النجوم الجاريات الكنس
ملكن افئدة الندامى كلما * دارت بمجلسهم مدار الاكؤس
ملك الهمام العامرى محمد * للمكرمات وللنهى والانفس

قال ابن بسام ومن شعر الجزيرى ما اندرج له أثناء مدحه الذى ملح فيه مخاطبته للمنصور على ألسنة اسماء كرائمه برهر رياضه فن ذلك عن بهار العامرية

حدق الحسان تقر لى وتغار * وتضل فى صفتى النهى وتحار
طلعت على قضب عيون تمائمى * مثل العيون تحفها الاشفار
وأخص شئ بى اذا شبهتنى * درر تنطق سلكها دينار

العشرة والاثنى عشر كما لد الخنزير ٢٤٨ خنانيص كثيرة وتحمل القردة البعض من أولادها كحمل المرأة ولدها ويحمل الذكر باقيهن ولهن مجالس يجتمع فيها حلق منهن فيسمع لهن حديث وتخاطبات وهمهمة والاناث متميزات عن الذكور فاذا سمع السامع محادثتهن وهو لا يرى أشخاصهن بين تلك الجبال والاشجار المورقة بالليل لم يشك أنهم أناس لكثرتهن بالليل والنهار وليس فى جميع البقاع التى تكون فيها القرود أحسن ولا أخبث ولا أسرع قبولا للتعليم من قردة اليمن وأهل اليمن يسمون القرود الرباح وهم جمع للذكور والاناث قد سرحت سود كأسود ما يكون من الشعر واذا طلعوا يجلسون مراتب دون مرتبة الرئيس ويتشبهون فى سائر أعمالهم بالناس ومن القردة باليمن ببلاد مأرب من بلاد صنعاء رقلعة كهلان ما يكون فى برار وجبال هنالك كأنها السحب فى تلك البرارى والجبال لكثرتها وكهلان هذه قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يعفر ملك اليمن فى هذا الوقت محتجب عن الناس الا خواصه وهو بقية من ملوك حمير حوله من الجنود من الخيل والرجال نحو خمسين ألف مرتزقة يقبضون الرزق فى كل شهر ويدعى وقت القبض البركة

أهدى

أهدى له قضب الزمرد ساقه * وحباه أنفس عطره العطار

أنا نرجس حتى ابهرت عقولهم * ببديع تركيبى فقل بهار

ومن أخرى عن بنفسج العامرية اذا تدافعت الخصوم أيد الله مولانا المنصور فى مذاهبها وتعاقرت فى مفاخرها فاليه مفزعها وهو المقنع فى فصل القضية بينهما لاستيلائه على المفاخر باسرها وعلمه سرها وجهرها وقد ذهب البهار والنرجس فى وصف محاسنهما والفخر بمشابههما كل مذهب وما منهما الا ذو فضيلة غير ان فضلى عليهما أوضح من الشمس التى تعلونا وأعذب من الغمام الذى يسقينا وان كانا قد تشبها فى شعرهما ببعض ما فى العالم من جواهر الارض ومصابيح السماء وهى من الموات الصامت فانى أتشبه بأحسن ما زين الله به الانسان وهو الحيوان الناطق مع أنى أعطر منهما عطرا وأحمد خبرا وأكرم امتاعا شاهدا وغائبا وباديا وذابلا وكلاهما لا يمتع الا ريثما يدوم ثم اذا ذبل تستقذره النفوس شمه وتستودع الاكف ضمه وأنا أمتع يابسا ورطبا وتدخرنى الملوك فى خزائنها وسائر الاطباء وأصرف فى منافع الاعضاء فان فخرا بالقيام على ساق فهى أقوى من ساق فلاغر وأن الونى ضعيف والهوى لطيف والمسك خفيف وليس الحديد يدرك بانسراع وقد أودعت أيد الله مولانا فوائد الشعر من وصف مشابهى ما أوعاه وحضرت بنفسى لئلا أغيب عن حضرتهما فتدعيا فضل الحاضر وان كان مفضولا ولذا قالوا الذ الطعم ما حضر لوقته وأشعر الناس من أنت فى شعره ولمولانا أتم الحكم فى أن يفصل بحكمه العدل وأقول

شهدت لنوار البنفسج ألسن * من لونه الاحوى ومن ايناعه

لمشابه الشعر الاثيم أعاره الـقمر المنير الطلق نور شعاعه

ولربما جمع النجيع من الطلى * من صارم المنصور يوم قراعه

فحكاه غير مخالف فى لونه * لا فى روائحه وطيب طباعه

ملك جهلنا قبله سبل العلا * حتى وضحن بهجه وشراعه

فى سيفه قصر لطول نجاده * وعنان ساعده وفسحة باعه

ذو همة كالبرق فى اسراعه * وعزيمة كالحين فى ايقاعه

تلقى الزمان له مطيعا سامعا * وترى الملوك الشم من أتباعه

وما أحسن قول بعض الاندلسيين يصف حديقة

وحديقة مخضرة أثوابها * فى قدها الطير كل مغرد

نادمت فيها فتية صفحاتهم * مثل البدور تميز بين الاسعد

والجدول الفضى يضحك ماؤه * فكأنه فى العين صفح مهند

واذا تجعد بالنسيم حسبته * لما تراه مشبها للمبرد

وبها اثرت نقط على حافاته * كالعقد بين مجمع ومبدد

وتدحرجت للناظرين كأنها * در نثير فى بساط زبرجد

وكان بحمام النطارة باشبيلية صورة بديعة الشكل وصفها بعض أهل الاندلس بقوله

ودمية مرمر تزهو بجيد * تناهى فى التورد والبياض

فيجتمعون هنالك ويتحذرون وينحدرون من تلك المخاليف والمخاليف القلاع

وقد كانت لهذا الرجل حروب باليمن مع القرامطة وصاحب البحيرة وهو على ابن الفضل وذلك بعد السبعين والمائتين وقد كان لعلى باليمن شأن عظيم حين قتل وتوطأت اليمن لهذا الرجل وباليمن للقرود مواضع كثيرة وكذلك فى سائر بقاع الارض أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على علة تكونها فى بعض البقاع دون بعض من الارض وأخبار النسناس فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك الاخبار عن العرابد وهو نوع كالحيات يكون ببلاد حجر اليمامة فيه زعرر واحدها عربد وقد كان المتوكل فى بدء خلافته سأل حنين بن اسحق أن يأتى له بحمل أشخاص من النسناس والعربد فلم يصل منهم الى سر من راى الا اثنان من النسناس ولم يتأت له الحيلة فى حمل العربد من اليمامة وذلك أن العربد هذا اذا أخرج عن اليمامة وصار الى موضع منها معروف المسافة عدم من الوعاء الذى حمل فيه وأهل اليمامة ينتفعون به لمنع الحيات والعقارب وسائر الهوام كنفعه أهل سجستان بالقنافذ ولذلك كان فى عهد سجستان القديم لا يقتل قنفذ ببلادهم لانه بلد كثير

لهـا ولدو لم تعـرف حليـلا * ولا ألمت بأو حاع المخـاص
ونعـلم أنها بكـر ولـكن * تنمـيـنا بالحـائط مـراص

وكان بسر يسده في القصر المسمى بدار السرور مجلس الذهب أحد قصور المقتدر بن هود وفيه يقول دو الوزارتين بن عبد شلب يهجو وزيرا كان ينبز بتحقون

دج من تحقون بيت الذهب : ودعا مما به واحـرني
ربطهر لي فقددنسني : عارة تحقون ألوف الدنس

(وكتب) بعض كبرا الاندلس الى اخوانه كتابى هذا من وادى الزيتون ونحن فيه نتألمون بمعهدا كثير سمر السندس الاخضر ونحاف بانواع الزهر ونخايلت بانهار تحالها وانحدار بالها بحجب أدواحها الشمس لالتفافها وأذن للنسيم منه لمن أعطافها مستشم من محاسن تروق ومحب واطيار تجاوب بالحان تلهى وتطرب في مثلها يعود الزمان كله صبا وتجرى الحياة على الامل والمنى وأنا فيها أبقاكم الله سبحانه بحال من طاب غداؤه وحسن استمراؤه وصحا من جنون العقار واستراح من مضض الخمار وزالته وساوسه وحاد من الحائط هواجسه ثم ذكر كلاما من هذا النمط في وصف الخمار والدعاء الى العقار فراجعه أبو الفضل بن حسداى بروقة قال في صدرها الى سيدنا الذى ألزمنا امتنانه الشكر وكبيرنا الذى علمنا بيانه السحر وعميدنا الذى عقدنا بحرمة الحل ورمانا بدائه وانسل أبقاك الله تعالى لتوبة تصوح عمرها وعين تموس تبرها ورد أيدك الله تعالى كتابك الذى اعتديه من معرسك بوادى الزيتون ووقفنا على ما القفت فى أوصافه من حسنة المعون واعتنابك بالمقاف شجره ودوحاته واهتزازك لطيف بواكره وروحاته وسرورك بوده وجوتلاعه مرروده هدابه وأجراعه وكل المشار به ماحلاه دهيم ومره الدهر حصرر لما هجيم ولك عادة تلوتك وسجية تخصر منك وشاكلة ملالك وسامتك واشعر الناس عندك من أنت في عمره واحب البلاد اليك ما أنت في عمره فأين منك بساتين جلق وجنانه ورياضه المونقة وحاناته ودباته البيض في حدائقه الخضر وجون العصر في جنابه النضر وماتسمه حيطانه وتضمه أكناده وعطانه من أمهات الراح التى هجرتها رعمك وموردا الشمول التى طلقتها رعمك وهيهات فوالله ما فارقتك تلك الاجارع والمجانى ولا شاقتك تلك المنازل والمغانى الا ندكرا لما لدى سامي طيب المعاهد وحنينا الماسدنا من جميل المشاهد وأين من مشتاق عنقاء مغرب * ثم ذكر كلاما في جواب مامر من الخمار لم يتعلق لى به غرض ؛ (وما أحلى) ما كتب به ابو نصر بن خاقان من رسالة في كرمتره ولما أكب الغمام اكبابا لم اجد منه انسابا واتصل المطر اتصالا لم ألف منه انفصالا اذن الله تعالى للصحو أن يطلع صفحته وينشر صحيفته فتقشعت ارث السحاب كما طوى السجل الكتاب وطفقت السماء تخلع جلبابها والشمس تميط نقابها وطلعة الجو تبتهج كأنها عروس تجلت وقد تجلت دهبت في لمة من الاخوان نستدعى الى الراحة ركضا ونطوى المرح أرضا فلا أندفع الا الى غدير نمير قد استدار منه في كل قرارة سماء سحابة غماء واقتاب في تلعته حباب

الرمال بناه ذو القرنين من الافاعى والحيات ولذا فلولا كثرة المنافذ لتلف من هنالك من الناس وكذلك هي مصر في صعيدها بقعيرة فيه دويبه يقال لها العرس أكبر من الفار وتعرف بابن عرس جرا لجرد الابص لولا هذه الدويبة لما كان لأهل مصر الثعابين وهى نوع من الحيات عظيمه فى طوى الثعبان على الدويبة ويلتف بها فترمى عليه ريحها فتقطع الثعبان من ريحها هذه خاصية هذه الدابة وفى الشرق أنواع من الخواص فى بره وبحره وحيوانه ونباته وجمده وكذلك فى الغرب واليمن وهو الجنوب والجربى وهو الشمال وقد ذكرنا طبع كل واحد من هذه الاربع فى ذكره فى هذا الباب خروج عن الغرض الذى نحا نحوه فلنرجع الآن الى ذكر ما بقى من أخبار الامم الخيصة بالباب والابواب والسور وجبل القبخ والاد الخزر والان ولمول الى بلاد الخزر ربما بينهم وبين المغرب ثم ترك ترجع الى أب واحد وبه أنسابهم حضر وبدو ذوو منعة وبأس شديد لكل امة منهم ملك

بنائه وحوله جبال كثيرة من الرمل فدسكر بالخشب والعصب والبلد كثير

مسافة ... بعضها ... ونتصل بدار الباعدية فرومه فترددنا

وتردد ما بتلك الاباطح تهادى أعصانه وتتصافح تصافح نضاحك اقحوانها وللنسيم
أثناء ذلك المنظر الوسيم ترسل مشي على بساط وشي فاذا مر بغدير نسجه درعاً واحكمه
صنعاً وان عثر بجدول شطب منه نصلا وأخلصه صقلا فلاترى الابطاحا مملوءة سلاحا
كأنما انهزمت هنالك كتائب فألقت ما لبسته من درع مصقول وسيف مسلول ومن
فصل منها فاحتللنا قبة خضراء ممدودة اشطان الاغصان سندسية رواق الاوراق وما
زلنا نلتقف منها بمرد ظل ظليل ونشتمل عليه برداء نسيم عليل ونجيل الطرف في نهر صقيل
مافي لجين الماء كأنه مجرة السماء مؤتلق جوهر الحباب كأنه من ثغور الاحباب وقد حضرنا
مسمع يجري مع النفوس لطافة فهو يعلم غرضها وهواها ويغني لها مقترحها ومناها فسيح
لسان المعن يشفي من الوقر كأنه كاتب حاسب يمشق بيمناه ويعقد بيسراه

يحرك حين يشدو ساكنات * وتنبعث الطبائع للسكون

انتهى * (وكانت) بين أبي اسحق وبعض اخوانه مقاطعة فاتفق أن يلي ذلك الصديق
خطة فخاطبه أبو اسحق برقعة منها أطال الله بقاء سيدي النبيه أوصافه النزيهة عن
الاستثناء المرفوعة أماراته الكريمة بالابتداء ما انحذفت بأبي للجزم وامثلت
واو يغزو ولو ضع الضم كتبت عن ود قديم هو الحال لم يلحقها التنقل وعهد كريم
هو الفعل لم يدخله الاعتلال والله يجعل ما بيننا من الاحوال الثابتة اللازمة ويعصم
هذا بعدم الحروف الجازمة وانما استنهض طولك الى تجديد عهدك بمطالعة ألف
الوصل وتعديه فعل الفصل وعدولك عن باب ألف القطع الى باب الوصل والجمع
حتى يسقط درج الكلام بيننا هاء السكت ويدخل الانفعال حال الصمت فلا تقل أعزك
الله ان رسم اخائك عندي دوحه قد درس عفاء ولا أن صدري دارمية أمسى من وده خلاء
وانما أنا فعل اذا أتى ظهر من ضمير ودك ما بطن وبدا منه ما كمن وهبنا أعزك الله أن
فعل وزارتك حاضر لا يلحق رفعه تغيير وأن فعل سيفك ماض ماله للعوامل تأثير وأنت
بجدك جماع أبواب الظرف تأخذ نفسك العلية بمطالعة باب الصرف ودرس حروف
العطف وندخل لام التبرئة على ما حدث من عتبك وتوجب بعد النفي ما سلف من عهدك
وتدع الف الالفة أن تكون بعد من حروف اللين وترفع بالاضافة بيننا وجود التنوين
وتسوم ساكن الوداد يحرك ومعتل الاخاء أن يصح وكتابي هذا حرف صلة فلا تحذفه
حتى تعود الحال الاولى صفة وتصير هذه النكرة معرفة فأنت أعزك الله مصدر فعل
السرور والنبل ومنك اشتقاق اسم السودد والفضل وانك وان تأخر العصر بك كالفاعل
وقع مؤخرا وحدوك وان تكبر كالكميت لم يقع الا مصغرا وللايام حال تبسط وتقبض
وعوامل ترفع وتخفض فلا دخل عروضك قبض ولا عاقب رفعك خفض ولا زلت مرتبطا
بالفصل شرطك وجزاؤك جاريا على الرفع سرورك الكريم وسناؤك حتى يخفض الفعل
وتبنى على الكسر قبل ان شاء الله * وكتب رحمه الله تعالى يستدعي عود غناء * انتظم
من اخوانك أعزك الله تعالى عقد شرب يتساقون في ودك ويتعاطون ريحانة شكرك
وحمدك وما منهم الا شره المسامع الى رنة حمامة تاد لا حمامة بطن واد والطول لك في

ويمايلي بلاد الاندلس مستظهرة على سائر ماهنالك من الامم وبينهم وبين ملك الخزر مهادنه وكذلك
مع صاحب اللان وديارهم
متصل ببلاد الخزر وفي الجبل
امة واحدة منهم يقال له شيبي
ثم تليها أمه ثانيه يقال لها
جعرد ثم تليها أمة يقال
لها الجناك وهي أشد هذه
الامم الاربعة بأسا ثم تليها
أمه ثانية يقال لها ابوكرده
وملوكهم بدو وكان
لهم حروب مع الروم بعد
العشرين والثلثمائة أو
نحوها وقد كان للروم في
تخوم أرضهم مما يلي من
ذكرنا من هذه الاجناس
الاربعة مدينة عظيمة
يونانية يقال لها وليدر فيها
خلق من الناس ومنعه بين
الجبال والبحر فكل من
فيها مانع لمن ذكرنا من الامم
ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل
الى أرض الروم لمنع
الجبال والبحر اياهم
ومن في هذه المدينه وكان
بين هؤلاء الاجناس حروب
بخلاف وقع بينهم على رأس
رجل مسلم تاجر من أرض
اردبيل كان نازلا على
أرض بعضهم فاستضافه
ناس من الجيل الآخر
فاختلفت الكلمة وأغار
من في وليدر من الروم على
ديارهم وهم عنها خلوف
فسبوا كثيرا من الذرية
وساقوا كثيرا من
الاموال وفي ذلك البرهم وهم مشاغيل في حربهم فاجتمعت كلمتهم وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء وعمد الروم جميعا نحو

دامنا الجيد ناطق قد استعار من بنان لسانا وصار لضمير صاحبه ترجمانا وهو على الاساءة والاحسان لا ينفك من ايقاعه به من غير ايجاع له فان هفا عركت أذنه وأدب وان تأبى واستوى يجع بضنه وضرب لازال منتظم الجذل ملتئم الأمل انتهى *(ومن نظمه) رحمه الله تعالى يتفجع ويتوجع

شراب الامانى لو علمت سراب * وعتبى الليالى لو عرفت عتاب
وهل مهجة الانسان الاطريدة * يحوم عليها للحمام عقاب
يخب بها فى كل يوم وليلة * مطايا الى دار البلى وركاب
وكيف يفيض الدمع أو يبرد الحشا * وقد باد أقران وفات شباب
أقلب طرفى لا أرى غير ليله * وقد حط عن وجه الصباح نقاب
كأنى وقد طار الصباح حمامة * يمد جناحيه على غراب
دعا بهم داعى الردى فكأنما * تبارت بهم خيل هناك عراب
فها هم وسلم الدهر حرب كأنما * جنا بينهم طعن لهم وضراب
همود ولا غير التراب حشية * لجنب ولا غير القبور قباب
ولست بناس صاحبا من ربيعة * اذ انسيت رسم الوفاء صحاب
وما شجانى أن نضى حتف أنفه * وما اندق رمح دونه وكعاب
وأنا تجارينا ثلاثين حقبة * فمات سباقا والحمام قصاب
كأن لم يبت فى منزل القصف ليله * يجيب بها داعى الصبا ويجاب
اذا قام منا قائم هز عطفه * شباب أرقناه بها وشراب
ولما تراءت للمشيب بريقة * وأقشع من ظل الشباب سحاب
نهضنا باعباء الليالى جرالة * وأرست بها فى النائبات هضاب
فيا ظاعنا قد حط فى ساحة البلى * بمنزل بين ليس عنه مآب
كفى حزنا أن لم يرونى على النوى * رسول ولم ينفذ اليك كتاب
وأنى اذا يممت قبرك زائرا * وقفت ودونى للتراب حجاب
ولو أن حيا كان حاور ميتا * لطال كلام بيننا وخطاب
وأعرب عما عنده من جلية * فأقشع عن شمس هناك ضباب

وقد أبعدنا نجعة كنا بصدده من ذكر قرطبة أعادها الله للاسلام فنقول *قال بعض من أرخ الاندلس انتهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل الى اربعمائة وتسعين مسجدا ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما سيأتى ذكره *وقال بعضهم كانت قرطبة قاعدة الاندلس وأم المدائن ودار الملك وكان عدد شرفاتها أربعة آلاف وثلثمائة وكانت عدة الدور فى القصر الكبير أربعمائة دار ونيفا وثلاثين وكانت عدة دور الرعايا والسواد بها الواجب على أهلها المبيت فى السور مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار حاشا دور الوزراء وأكابر الناس والبياض *ورأيت فى بعض الكتب أن هذا العدد كان أيام لمتونة والموحدين قال وكانت ديار أهل الدولة اذ ذاك ستة آلاف دار وثلثمائة دار انتهى وعدد أرباضها ثمانية

فى نحو مائة ألف فارس فلما نمى خبرهم الى أرمنوس ملك الروم فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة سير اليهم اثنى عشر ألف فارس من المتنصرة على الخيل بأرماح فى زى العرب وأضاف اليهم خمسين ألفا من الروم فوصلوا الى مدينة وليدر فى ثمانية أيام وعسكروا وراءها ونازلوا القوم وقد كانت الترك قتلت من أهل وليدر خلقا من الناس وامتنع أهلها بسورهم الى أن أتاهم هذا المدد ولما صح عند الملوك الاربعة من سار اليهم من المتنصرة والروم بعثوا الى بلادهم فجمعوا من كان قبلهم من تجار المسلمين ممن يطرأ الى بلادهم من نحو بلاد الخزر والباب واللان وغيرهم وفى هؤلاء الاجناس الاربعة من قد أسلم وهم غير مخالطين لهم الا عند حروب الكفار فلما تصاف القوم وبرزت المتنصرة أمام الروم خرج اليهم من كان قبل الترك من التجار المسلمين فدعوهم الى ملة الاسلام وانهم ان دخلوا فى أمان الترك أخرجوهم من بلادهم الى أرض الاسلام فأبوا ذلك وتواقف الفريقان فى ذلك الوقت فكانت للمتنصرة والروم على الترك لانهم كانوا فى

وعشرون وقيل أحد وعشرون ومبلغ المساجد بها ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثون مسجدا وعدد الحمامات المبرزة للناس سبعمائة حمام وقيل ثلثمائة حمام وقال ابن حيان ان عدة المساجد عند تناهيها في مدة ابن أبي عامر ألف وستمائة مسجد والحمامات تسعمائة حمام وفي بعض التواريخ القديمة كان بقرطبة في الزمن السالف ثلاثة آلاف مسجد وثمانمائة وسبعة وسبعون مسجدا منها بشقندة ثمانية عشر مسجدا وتسعمائة حمام وأحد عشر حماما وسائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار للرعية خصوصا وربما نصف العدد أو أكثر لارباب الدولة وخاصتها هكذا نقله في المغرب وهو أعلم بما يأتي ويذر رحمه الله تعالى * وقال بعض المؤرخين بعد ذكره نحو ما تقدم ووسط الارباض قبة قرطبة التي تحيط بالسور دونها وأما اليتيمة التي كانت في المجلس البديع فانها كانت من تحف قصر اليونانيين بعث بها صاحب القسطنطينية الى الناصر مع تحف كثيرة سنية انتهى ونحوه لابن الفرضي وغير واحد لكن خالفهم صاحب المسالك والممالك فذكر أن عدد المساجد بقرطبة أربعمائة مسجد وأحد وسبعون مسجدا وهو بعيد وقال قبله ان دور قرطبة في كمالها ثلاثون ألف ذراع * وتفسيرها باللسان القوطي القلوب المختلفة وهي بالقوطية بالظاء المشالة وقيل ان معنى قرطبة أجر ساكنها قال وبقرطبة أقاليم كثيرة وكور جليلة * وكانت جبايتها في أيام الحكم بن هشام مائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار وعشرين دينارا وسبق ما يخالف هذا ومن القمح أربعة آلاف مدي وستمائة مدي ومن الشعير سبعة آلاف مدي وستمائة مدي وسبعة واربعين مديا وقال بعض العلماء أحصيت دور قرطبة التي بها وأرباضها أيام ابن أبي عامر فكان مائتي ألف دار وسبعة وسبعين دارا وهذه دور الرعية وأما دور الاكابر والوزراء والكتاب والاجناد وخاصة الملك فستون ألف دار وثلثمائة دار سوى مصاري الكراء والحمامات والخانات وعدد الحوانيت ثمانون ألف حانوت وأربعمائة وخمسة وخمسون ولما كانت الفتنة على رأس المائة الرابعة غيرت رسوم ذلك العمران ومحيت آثار تلك القرى والبلدان انتهى ملخصا * وسيأتي في رسالة الشقندي ما هو أشمل من هذا * ولما رنت حال أبي القاسم عامر بن هشام القرطبي بقرطبة وزين له بعض أصحابه الرحلة الى حضرة ملك الموحدين مراكش قال وذكر المنتزهات القرطبية

يا هبة باكرت من نحو دارين * وافت الى على بعد تحييني
سرت على صفحات النهر ناشرة * جناحها بين خيري ونسرين
ردت الى جسدي روح الحياة وما * خلت النسيم اذا ما مت يحييني
لولا تنسمها عن نشر أرضكم * ما أصبحت من أليم الوجد تبريني
مرت على عقدات الرمل حاملة * من سركم خبرا بالوحي يشفيني
عرفت من عرفه ما كنت أجهله * لما تبسم في تلك الميادين
نزوت من طرب لما هفا سحرا * وظل ينشرني طورا ويطويني
خلت الشمال شمالا اذ سكرت بها * سكرا فما لست أرجوه يميني

الكثرة أضعاف الترك وباتوا على مصافهم وتشاور ملوك الترك الاربعة ثم قال لهم ملك بحيالك قادوني التدبير في غداة غدا فأنعموا له بذلك فلما أصبح جعل في جناح الميمنة كراديس كثيرة كل كردوس منها ألف وكذلك في جناح الميسرة فلما تصاف القوم خرجت الكراديس من ناحية الميمنة فرشقت في قلب الروم فصارت الى موضع من خرج من جناح الميمنة واتصل الرمي واتصلت الكراديس كارحا والقلب والميمنة والميسرة للترك ثابتة والكراديس تعمل عليها في ألف ألف وذلك أن من خرج من كراديس الترك من جناح ميمنتهم كان يبتدي فيرمي في جناح ميسرة الروم ويمر بينهم فيرمي وينتهي الى القلب وما يخرج من كراديسهم من جناح الميسرة يرمي في جناح ميمنة الروم وينتهي الى الميسرة فيرمي وينتهي الى القلب فيرمي فيكون ملتقى الكراديس في القلب دائرا على ما وصفنا فلما نظرت المتنصرة والروم الى ما لحقهم من تشويش صفوفهم وتواتر الرمي عليهم حملوا على القوم مشوشين في مصافهم وصادفوا صفوف الترك ثابتة فاخرجت لهم الكراديس فرشقتهم الترك كلها رشقا واحدا فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم و عسكرهم

أهديت الى أرجاء شمائلكم * نفحات قربي من كان يقصدني
وحلت من طمع أن اللقاء على * اثر النسيم وأضحى الشوق يحدوني
حطت أنشم من تعظيم حقكم * مجردا بالهوا والوجد يغريني
مسارح كم بها سرحت من كمد * قلبي وطرفي ولا سلوان يثنيني
بين المصلى الى وادي العقيق وما * يزال مثل اسمه ان بان يبكيني
أن الرصافة فالمرج النضير فوا * دي الدير فالعطف من بطحاء عبدون
لباب عدسقته السحب وابلها * فلم يزل بكؤس الانس يسقيني
لا ابعد الله عيني عن منازهه * ولا يقرب لها أبواب جيرون
حاشالها من محلات مفارقة * من شيق دونها في الترب مخزون
أين المسير ورزق الله أدركه * من دون جهد وتأميل يعنيني
يا من يزين لي الترحال عن بلدي * كم ذا تحاول تسلاء عنه عن
وأين يعدل عن أرجاء قرطبة * من شاء يظفر بالدنيا وبالدين
بطرف شيخ ونهر ماله كدر * حفت بشطيه ألفاف البساتين
باليت لي جبرنوح في اقامتها * وأن مالي فيه كنز قارون
كلاهما كنت أفنيه على نشوا * ت الراح نهبا ووصل الحور والعين
واعا أسفي أني أهيم بها * وأن حظي منها حظ مغبون
أرى بعيني مالا أستطيل يدي * له وقد حازه من قدره دوني
وأنكد الناس عيشا من تكون له * نفس الملوك وحالات المساكين
بعض طرف التصابي حين يهته * قضبان نعمان في كثبان يبرين
فانوا الكماة مقيم فلت ذاك لمن * لا يستخف الى بيت الزراجين
ولا يلبله هب الصبا سحرا * ولا يلطفه عرف الرياحين
ولا يهيم بتفاح الخدود ورمان الصدور وترجيع التلاحين
لا تقتني راحة الا على تعب * ولا تنال العلا الا من الهون
وصاحب العقل في الدنيا أخو كدر * واعما الصفو فيها للمجانين
يا آمري أن أحث العيس عن وطني * لما رأى الرزق فيه ليس يرضيني
بحث الكرى لي نلما يا زعني * فلو رحلت عنه حلها دوني
لالزمن وطني طورا تطاوعني * فود الاماني وطورا فيه تعصيني
مذللا بين عرفاني وأضرب عن * سير لارض بها من ليس يدريني
هذا يقول غريب ساقه طمع * وذاك حين أريد البر يجفوني
اليك عني آمالي فبعدك يهديني وقربك يطغيني ويغويني
بالخط كل غزال لست أملكه * يدنو ومالي حال منه تدنيني
ويا مدامة دير لا ألم به * لولاكما كان ما أعطيت يكفيني
لاصبرن على ما كان من كدر * لمن عطاياه بين الكاف والنون

الا أن عبد الرشيق بالحملة على صفوفهم غير منشوفين ما كانوا عليه من التعبية وركضت الكراديس من اليمين والشمال وأخذ القوم السيف و... الأمن وكان ... الجبل ... من الروم ... نفر ... من ... كان ... الى سور المدينة على ... ودخلت المدينة وأقام السيف يعمل فيها أياما ... النهب وخرج ... منها الترك بعد ثلاث ... من القسطنطينية ثم ... العساكر والمروج والضياع ... وأسروا وسبوا حتى نزلوا ... سور القسطنطينية ... وأقاموا عليها نحوا من أربعين يوما يبيعون المرأة ... بالخرقة من الثوب من ديباج ... وبذلوا السيف فلم يبقوا على أحد منهم ... افتتحوا ... والبلدان وشنوا الغارات في تلك الديار فاتصلت غاراتهم أرض ... و ... اتصلت غاراتهم الى ... بلاد الاندلس والافرنجة والجلالقة فغارات من ذكرنا من الترك متصلة الى أرض القسطنطينية ... ذكرنا من الممالك الى هذه الغاية فلنرجع الآن الى ذكر جبل الفتح والسور والابواب ... ذكرناه ... الامن أن ... الامم الساكنة في هذا الصقع من ذلك أن أمة تلي بلاد اللان يقال لها الابخاز منقادة الى دين ... ونسمى

وتسمى هذه القصيدة عند أهل الاندلس كنز الادب وقد أشرنا في الفصل الأول الى كثير مما يتعلق بقرطبة أعادها الله تعالى الى الاسلام فأغنى عن اعادته وان كان ذكره هنا أنسب لان ما تقدم انما هو في ذكرها مع غيرها من بلاد الاندلس وهذا الفصل لها بالاستقلال وأنشد أبو العاصي غالب بن أمية المروزي لما جلس على نهر قرطبة بازاء الربض ملتفتا الى القصر بديهة

ياقصر كم حويت من نعم ❊ عادت لقى بعوارض الـكك
يا قصر كم حويت من ملك ❊ دارت عليه دوائر الفلك
ما شئت فابق بشكل متخذ ❊ يوما يعود بحال منترك

وقال القاضي أبو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة

أقول وقد جد ارتحالي وغردت ❊ حداتي وزمت للفراق ركائبي
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي ❊ وصارت هواء من فؤادي ترائبي
ولم يبق الا وقفة يستحثها ❊ وداعي للاحباب لا للحبائب
رعى الله جيرانا بقرطبة العلا ❊ وجادر باها بالعهاد السواكب
وحيا زمانا بينهم قد ألفته ❊ طليق المحيا مستلان الجوانب
أالخوانا بالله فيها تذكروا ❊ مودة جار أومودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفالهم ❊ كأني في أهلي وبين أقاربي

(وأما) مسجد قرطبة فشهرته تغني عن كثرة الكلام فيه ولكن نذكر من أوصافه ونتشرمن أحواله مالابدمنه فنقول قال بعض المؤرخين ليس في بلاد الاسلام أعظم منه ولا أعجب بناء وأتقن صنعة وكلما اجتمعت منه أربع سوارى كان رأسها واحدا ثم صف رخام منقوش بالذهب واللازورد في أعلاه وأسفله انتهى وكان الذي ابتدأ بناء هذا المسجد العظيم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ولم يكمل في زمانه وكمله ابنه هشام ثم توالى الخلفاء من بني أمية على الزيادة فيه حتى صار المثل مضروبا به والذي ذكره غير واحد أنه لم يزل كل خليفة يزيد فيه على من قبله الى ان كمل على يد ثمانية من الخلفاء ❊ وقال بعض المؤرخين ان عبد الرحمن الداخل لما استقرأمره وعظم بنى القصر بقرطبة وبنى المسجد الجامع وأنفق عليه ثمانين ألف دينار وبنى بقرطبة الرصافة تشبيها برصافة جده هشام بدمشق وقال بعض انه أنفق على الجامع ثمانين ألف دينار واشترى موضعه اذ كان كنيسة بمائة ألف دينار فالله تعالى أعلم ❊ وقال بعض المؤرخين في ترجمة عبد الرحمن الداخل ما صورته انه لما تمهد ملكه شرع في تعظيم قرطبة فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسع فناءه وأصلح مساجد الكور ثم ابتنى مدينة الرصافة متنزها له واتخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل اليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار انتهى وكانت أخته أم الاصبغ ترسل اليه من الشام بالغرائب مثل الرمان العجيب الذي أرسلته اليه من دمشق الشام كما مر وسيأتي كلام ابن سعيد بعاه وأتم من هذا ❊ ولما ذكر ابن بشكوال زيادة المنصور بن أبي عامر في جامع

النصرانية ولها ملك في هذا الوقت يقال له الطيبي ومملكة هذا الطيبي موضع يعرف بعبد ذي القرنين وكانت الاخبار والجزية تؤدي الجزية الى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون في أيام المتوكل فانه كان بها رجل يقال له اسحق بن اسمعيل وكان مستظهرا بمن معه من المسلمين على من حوله من الامم وهم منقادون الى طاعته وأداء الجزية اليه وعلا أمره على من هناك من الامم حتى بعث المتوكل بغا فنزل على نهر تفليس وأقام عليها حتى افتتحها بالسيف وقتل اسحق بن اسمعيل لان اسحق بن اسمعيل كان متغلبا على الناحية وكان له أخبار يطول ذكرها وهي مشهورة في أهل ذلك الصقع وغيرهم ممن عني بأخبار العالم وآراء رجلا من قريش من بني أمية أو مولى لاحقا فاختربت هيبة المسلمين من ثغر تفليس من ذلك الوقت الى هذه الغاية فامتنع من جاورهم من الممالك من الاذعان لهم بالطاعة واقتطعوا الاكثر من ضياع تفليس وانقطع الوصول من بلاد الاسلام الى ثغر تفليس بين هؤلاء الامم من الكفار اذ كانت محيطة بذلك الثغر وأهلها ذو قوة وباس شديد وان كان ما ذكرنا من الممالك محيطا بهم

قرطبة قال ومن أحسن ما عاينه الناس في بنيان هذه الزيادة العامرية اعلاج النصارى مصفدين في الحديد من أرض قشتالة وغيرها وهم كانوا ينصرفون في البنيان عوضا من رجالة المسلمين اذلالا للشرك وعزة للاسلام ولما عزم على زيادته هذه جلس لارباب الدور التي نقل أصحابها عنها بنفسه وكان يؤتى بصاحب المنزل فيقول له ان هذه الدار التي لك يا هذا أريد أن ابتاعها لجماعة المسلمين من مالهم وفيئهم لأزيدها في جامعهم وموضع صلاتهم فشطط واطلب ما شئت فاذا ذكر أقصى الثمن أمر ان يضاعف له وأن تشترى له بعد ذلك دار عوضا منها حتى أتى امرأة لها دار بصحن الجامع بها نخلة فقالت لا أقبل عوضا الا دارا بنخلة فقال تبتاع لها دار بنخلة ولو ذهب فيها بيت المال فاشتريت لها دار بنخلة وبولغ في الثمن وحكى ذلك ابن حيان أيضا وقيل ان انفاق الحكم في زيادة الجامع كان مائة ألف وواحدا وستين ألف دينار ونيفا وكله من الاخماس * وقال صاحب كتاب مجموع المفترق وكان سقف البلاط من المسجد الجامع من القبلة الى الجوف قبل الزيادة مائتين وخمسا وعشرين ذراعا والعرض من الشرق الى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وخمسة أذرع ثم زاد الحكم في طوله مائة ذراع وخمسة أذرع فكمل الطول ثلثمائة ذراع وثلاثين ذراعا وزاد محمد بن أبي عامر بأمر هشام بن الحكم في عرضه من جهة المشرق ثمانين ذراعا فتم العرض مائتي ذراع وثلاثين ذراعا وكان عدد بلاطه أحد عشر بلاطا عرض أوسطها ستة عشر ذراعا وعرض كل واحد من اللذين يليانه غربا واللذين يليانه شرقا أربع عشرة ذراعا وعرض كل واحد من الستة الباقية احدى عشرة ذراعا وزاد ابن أبي عامر فيه ثمانية عرض كل واحد عشرة أذرع وكان العمل في زيادة المنصور سنتين ونصفا وخدم فيه بنفسه وطول الصحن من المشرق الى المغرب مائة ذراع وثمان وعشرون ذراعا وعرضه من القبلة الى الجوف مائة ذراع وخمس أذرع وعرض كل واحدة من السقائف المستديرة بصحنه عشرة أذرع فتكسيره ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ومائة وخمسون ذراعا وعدد أبوابه تسعة ثلاثة في صحنه غربا وشرقا وجوفا وأربعة في بلاطاته اثنان شرقيان واثنان غربيان وفي مقاصير النساء من السقائف بابان وجميع ما فيه من الاعمدة ألف عمود ومائتا عمود وثلاثة وتسعون عمودا رخاما كلها وباب مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أجرى فيه الذهب على الفسيفساء وثريات المقصورة فضة محضة وارتفاع الصومعة اليوم وهي من بناء عبد الرحمن ابن محمد ثلاث وسبعون ذراعا الى أعلى القبة المفتحة التي يستدير بها المؤذن وفي رأس هذه القبة تفافيح ذهب وفضة ودور كل تفاحة ثلاثة أشبار ونصف فاثنان من التفافيح ذهب ابريز وواحدة فضة وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست بأبدع صنعة ورمانة ذهب صغيرة على رأس الزج وهي احدى غرائب الارض * وكان بالجامع المذكور في بيت منبره مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي خطه بيده وعليه حلية ذهب مكللة بالدر والياقوت وعليه أغشية الديباج وهو على كرسي العود الرطب بمسامير الذهب (رجع الى المنارة) وارتفاع المنارة الى مكان الأذان أربع وخمسون ذراعا وطول كل حائط من حيطانها على الارض ثمان عشرة ذراعا انتهى بحروفه وفيه بعض مخالفة لما

ثم تلي مملكة حران مملكة هؤلاء الصمحية بين ثغر عليس وقلعة هوارة اللان المقدم ذكرها مملكة يقال لها الصنبار به وملكهم يقال له كرنكوس هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وينقادون الى دين النصرانية وهؤلاء الصنباريه يزعمون أنهم من العرب من نزار ابن معد بن مضر وانهم فخذ من عقيل سكنوا هنالك في قديم الزمان وهم هنالك مستظهرون على كثير من الامم ورأيت بلاد مأرب من أرض اليمن أناسا من عقيل حالفوا مذحج لا فرق بينهم وبين أحلافهم لاستقامة كلمتهم فيهم حلل كثيرة ومنعة وليس في اليمن كلها أحد من نزار ابن معد غير هذا الحي من عقيل الا ما ذكر من ولد أنمار بن نزار بن معد ودخولهم في اليمن حسب ما ورد به الخبر وما كان من خبر جرير بن عبد الله البجلي مع النبي صلى الله عليه وسلم وما كان من خبر بجيلة والصنباريه يزعمون أنهم أفردوا في قديم الزمان وهم من ذكرنا من عقيل بلاد مأرب في خبر طويل ثم تلي مملكة الصنباريه مملكة نكين وهم نصارى وفيهم خلق من المسلمين من التجار وغيرهم ولا مال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا

لما ذكره ابن الفرضي وبعضهم اذ قال في ترجمة المنصور بن أبي عامر ما صورته وكان من
أخبار المنصور الداخلة في أبواب البر والقرب بنيان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة سبع
وسبعين وثلثمائة وذلك انه لما زاد الناس بقرطبة وانجلب اليها قبائل البربر من العدوة
وافريقية وتناهى حالها في الجلالة ضاقت الارباض وغيرها وضاق المسجد الجامع عن حمل
الناس فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث تتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي
بقصر الخلافة فبدأ ابن أبي عامر في هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولا من أول المسجد الى
آخره وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ولم
يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة الحكم وأول ما عمله ابن أبي عامر
تطييب نفوس أرباب الدور الذين اشتريت منهم للهدم لهذه الزيادة بانصافهم من الثمن
وصنع في صحنه الجب العظيم قدره الواسع فناؤه وهو أعني ابن أبي عامر هو الذي رتب
احراق الشمع بالجامع زيادة للزيت فتطابق بذلك النوران وكان عدد سواري الجامع
الحاملة لسمائه واللاصقة ببنائه وقبابه ومناره بين كبيرة وصغيرة ألف سارية وأربعمائة
سارية وسبع عشرة سارية وقيل أكثر وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان وثمانون
ثريا وعدد الكؤوس سبعة آلاف كأس وأربعمائة كأس وخمسة وعشرون كأسا وقيل عشرة
آلاف وثمانمائة وخمس كؤوس وزنة مشاكي الرصاص للكؤوس المذكورة عشرة أرباع أو نحوها
وزنة ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار وجميع
ما يحتاج اليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ربع أو نحوها يصرف منه في رمضان خاصة
نحو نصف العدد ومما كان يختص برمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع وثلاثة أرباع القنطار
من الكتان المقصور لاقامة الشمع المذكور والكبيرة من الشمع التي توقد بجانب الامام
يكون وزنها من خمسين الى ستين رطلا يحترق بعضها بطول الشهر ويعم الحرق جميعها ليلة
الختمة وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي عامر وينصرف فيه من
أئمة ومقرئين وامناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسين
شخصا ويوقد من البخور ليلة الختمة أربعة أواق من العنبر الاشهب وثمان أواق من العود
الرطب انتهى * وقال بعض المؤرخين كان للجامع كل ليلة جمعة رطل عود وربع رطل عنبر
يبخر به انتهى * وقال ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال طول جامع قرطبة الاعظم الذي هو
بداخل مدينتها من القبلة الى الجوف ثلثمائة وثلاثون ذراعا الصحن المكشوف منه ثمانون
ذراعا وغير ذلك مقرمد وعرضه من الغرب الى الشرق مائتان وخمسون ذراعا وعدد أبهائه
عشرة كما لها ثمانية التي زادها المنصور بن أبي عامر بعده ذات تسعة عشر بهوا وتسمى
البلاطات وعدد أبوابه الكبار والصغار أحد وعشرون بابا بالجانب الغربي تسعة أبواب
منها واحد كبير للنساء يشرع الى مقاصيرهن وفي الجهة الشرقية تسعة أبواب منها لدخول
الرجال ثمانية أبواب وفي الجهة الشمالية ثلاثة أبواب منها لدخول الرجال بابان كبيران وباب
لدخول النساء الى مقاصيرهن وليس لهذا الجامع في القبلة سوى باب واحد بداخل المقصورة
المتخذة في قبلته متصل بالساباط المفضي الى قصر الخلافة منه كان السلطان يخرج من القصر

آرون بيه بن مهاجر ثم تليه مملكة قبله وما حوت المدينة نهاية لموت وما
حولها من العمائر والضياع نصارى ويقال لملكهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا عنبسة الاعور وهو مأوى اللصوص والصعاليك والدعار ثم تلي هذه المملكة مملكة الموقان وهي التي قدمنا ذكرها وانها متغلب عليها وانها مضافة الى مملكة شروان شاه ورئيس هذا البلد المعروف بالموقانية هو الذي على ساحل بحر الخزر ويقال كان محمد بن يزيد المعروف بشروان شاه في هذا الوقت ملك الاران وما سلف من آبائه وكان ملك شروان شاه علي بن الهيثم فلما هلك علي تغلب محمد بن شروان شاه على حسب ما ذكرنا فيما بعد أن قتل عمومته له واحتوى على ما ذكرنا من الممالك وله قلعة لا يذكر في قلاع العالم أحسن منها في جبل القبق قال انها في الموضع المعروف بالسعط من المدينة وأما الحجارة والحيطان التي بناها ملوك بلاد شروان المعروفة بسور الطين وسور الحجارة المعروف بالبرمكي وما يتصل ببلاد بردعة فقد أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك
فيما سلف من كتبنا وأما نهر الكر فيبتدئ من بلاد خزران من مملكة جرجير ويمر ببلاد الخان حتى يأتي

إلى الجامع المشهود الجمعة وجميع هذه الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر بأغرب صنعة وعدد
وأرى هذا المسجد الجامع الحامل لسقفه واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره وغير ذلك من
أجناسه بين كبار وصغار ألف وأربعمائة سارية وتسع سوار منها داخل المقصورة مائة
وتسع عشرة سارية وذكر المقصورة البديعة التي صنعها الحكم المستنصر في هذا الجامع فقال
المحظر بها على خمس بلاطات من الزيادة الحكمية وأطلق جناحيها على الستة الباقية ثلاثة
من كل جهة فصار طولها من الشرق إلى الغرب خمسا وسبعين ذراعا وعرضها من جدار الخشب
إلى جدار القبلة اثنين وعشرين ذراعا وارتفاعها في السماء إلى منتهى شرفاتها ثمان أذرع
وارتفاع كل شرافة ثلاثة أشبار ولهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش
شارعة إلى الجامع شرقي وغربي وشمالي ثم قال ويخرج المحراب في الطول من القبلة إلى
الجوف ثماني أذرع ونصف وعرضه من الشرق إلى الغرب سبع أذرع ونصف وارتفاع قبوه
في السماء ثلاث عشرة ذراعا ونصف والمنبر الذي بجنبه مؤلف من أكارم الخشب ما بين آبنوس
وصندل وبقم وشوحط وما أشبه ذلك ومبلغ النفقة فيه خمسة وثلاثون ألف دينار
وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلاثة دراهم وقيل غير ذلك وعدد درجه تسع درجات صنعه
الحكم المستنصر رحمه الله وذكر أن عدد ثريات الجامع التي تسرج فيها المصابيح بداخل
البلاطات خاصة سوى ما منها على الأبواب مائتان وأربع وعشرون ثريا جميعها من لاطون
مختلفة الصنعة منها أربع ثريات كبار معلقة في البلاط الأوسط أكبرها الثريا المعلقة
في القبة الكبرى التي فيها المصاحف حيال المقصورة وفيها من السرج فيما زعموا ألف وأربعمائة
وأربعة وخمسون تستوقد هذه الثريات في العشر الأخير من شهر رمضان تسقى كل ثريا
منها بمقدار ربع في الليلة وكان مبلغ ما يحتوي من الزيت على جميع المصابيح في هذا المسجد في
السنة أيام عامه ووفوده في مدة ابن أبي عامر مكمله بالزيادة المنسوبة ألف ربع منها في شهر رمضان
خمسمائة وخمسون ربعا قال وفي بعض التواريخ القديمة كان عدد القومة بالمسجد الجامع
بقرطبة في زمن الحكم وفي زمن ابن أبي عامر ثلثمائة انتهى وفيه مخالفة لبعض ما تقدم وذكر
بعضهم الزيت ولكن قوله أولى بالاتباع لنقله عن ابن بشكوال ولمعرفة ابن سعيد مثل هذا
وتحريه فيه أكثر من غيره والله سبحانه أعلم وقال ألف ربع وثلاثون ربعا منها في رمضان
خمسمائة ربع وفي الثريات التي من الفضة وهي ثلاثة اثنان وسبعون رطلا لكل واحدة ثمانية
عشر في ليلة وقدها وقال في المنبر إنه من ستة وثلاثين ألف وصل قام كل واحد
منها بسبعة دراهم فضة وسمرت بمسامير الذهب والفضة وفي بعضها نفيس الأحجار واتصل
العمل فيه سبع سنين ثم قال ودور الثريا العظيمة خمسون شبرا وتحتوي على ألف كأس وأربعة
وثمانين كأسا وشأنها بالذهب إلى غير ذلك من الغرائب. وكتب الفقيه الكاتب أبو محمد
إبراهيم بن صاحب الصلاة الوليدي صفة جامع قرطبة عاصمة عمرها الله سبحانه بشمول السعادة
وسلمك ووفر من جزيل الكرامة قسمك ولا برحت سحائب الإنعام تهمي عليك بثمرة
وبأمل الأيام تهدي إليك كل مسرة إن كان أعزك الله طريق الوداد بيننا عامرا وسبيل
الخدمة عامرا توجب أن بعض حتمه وفروض كلمه لا سيما فيما يدرأ خلال الفضائل ويهز

ويجري إلى وداج ثم يصب
فيه من ماء الصارة نهر
الرس ويشهر من أقاصي
بلاد الروم من نحو مدينة
طرابزندة حتى يجيء إلى
الكرة [illegible] نهر
[illegible]
ونحرا [illegible] بلاد [illegible]
وهي بلاد [illegible] الحرمي
من أرض [illegible] عمان
وحمل [illegible] من بلاد
لاران وعر ببلاد ورثان
وينتهي إلى [illegible]
وقد أتينا على وصف هذه
الأنهار أيضا ونهر [illegible]
ووجود جريانه في أرض الديلم
نحو الإسلام وهو [illegible]
سوار بعض ملوك الديلم
ومن وراء هذا النهر الديلم
إلى الجيل يصب فيه نهر
آخر في بلاد الديلم يقال له
[illegible] يصب
الجميع إلى بحر الجيل وهو
بحر الديلم وآخرون وغيرهم
على ما ذكرنا وعلى هذا
النهر كثير من دور الأعاجم
ومن هنالك من ملوكهم
في هذا الوقت وهو سنة
ست وثلاثين وثلثمائة
منهم أخوه داوان صاحب
مدينة الري وطبرستان
وغيرهم من الجيل لمذكور
الآن ملوك السريانيين
وهم أول من بعد في كتب
ار بحار والنجوم والا وار [illegible] البدعه من ملوك العالم ثم ملوك الموصل [illegible] ثم ملوك بابل وهم الدس

أعطاف الشمائل وانى شخصت الى حضرة قرطبة حرسها الله تعالى منشرح الصدر لحضور ليلة القدر والجامع قدس الله تعالى بقعته ومكانه وثبت أساسه وأركانه قد كسي ببردة الازدهاء وحل فى معرض البهاء كأن شرفاته فلول سنان أو أشرف أسنان وكأنما ضربت على سمائه كلل أو خلعت على أرجائه حلل وكأن الشمس خلفت فيه ضياءها ونسجت على أقطاره أفياءها فترى نهارا قد أحدق به ليل كما أحدق بربوة سيل ليل دامس ونهار شامس وللذبال تألق كنضنضة الحيات أو اشارة البنانات فى التحيات قد أترعت من السليط كؤوسها ووصلت بمحاجن الحديد رؤوسها وحطت بسلاسل كأنها ذوائب الفاتنة أو كالثعابين العانقة عصبت بها تفاح من الصفر كالأترج الصفر يولع فى حملها وجذبها حتى يهرب بحسنها ولألائها كأنها أجليت بالذهب وأشربت ماء الذهب ان مددتها طولا رأيت منها سبائك عسجد أو قلائد زبرجد وان أتيتها عرضا رأيت منها أفلاكا ولكنها غير دائرة ونجوما ولكنها ليست بسائرة تتعلق تعلق القرط من الذفرى وتبسط شعاعها بسط الاديم حين يفرى والشمع قد رفعت على المنار رفع البنود وعرضت عليها عرض الجنود ليجلي طلاقة رونقها القريب والبعيد ويستوى فى هدايتها الشقى والسعيد وقد قوبل منها أبيض بأحمر وعورض مخضر بأصفر تضحك بسكاتها وتبكى بضحكها وتهلك بحياتها وتحيا بهلكها والطيب تعم أنواحه وتتنسم أرواحه وتتام الالحوح والند يسترجع من روح الحياة ما ند وكلما تصاعد وهو خاسر أطال من العمر ما كان تقاصر فى صفوف بحار ككعوب مقام وظهور القنا مؤللة وبطونها مهللة كأنها تيجان رصع فيها ياقوت ومرجان قد قوس محرابها أحكم تقويس ووشم بمثل ريش الطواويس حتى كأنه باخرة مقرطق وبقوس قزح ممنطق وكأن اللازورد حول وشومه وبين رسومه سقف من قوادم الحمام أو كسف من ظلل الغمام والناس أخياف فى دواعيهم وأوزاع فى أغراضهم ومراميهم بين ركع وسجد وايقاظ وهجد ومزدحم على الرقاب يتخطاها ومعتمد على الظهور يتمطاها كأنهم يرد خلال قطر أو جراد فى عرض سطر حتى اذا قرعت أسماعهم روعة التسليم بادروا بالتكلم وتحاذبوا بالاثواب وتساقوا بالاكواب كأنهم حضور طال عليهم غياب أو سفر أتيح لهم اياب وصمك مع اخوان صدق بسكب العلوم بينهم سكاب الودق فى مكان كوكر الحدور أو بعمر الله أو ككناس المعمور كأن اقليدس قد قسم بينهم احتسابه بالموازين وارسطاطاليس البادى بالمرار من حتى صار عقدنا بالاكحل وحذنا بالاقفل بحيث نسمع سور المنزل كيف يتلى ويتلو وانتم كيف تجلى والمؤمنون والبنا يجهدون فى دفع الضرر ويعمدون الى قرع العمد بالدرر فاذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقين وسرت نحوهم سرى القين وتوهموا انها الى أعطافهم واصلة وفى أقفاهم حاصلة يفروا بين الاساطين كما تفر من النجوم الشياطين كأن حاضرهم ابو جهم بعصاه أو حصبهم عين بن صاف بحصاه فأكرم بها من مساع تسوق الى جنة الخلد وتهون فى السعى اليها الطوارف والتلد تعظيما لشعائر الله وتنبيها لكل ساه ولاه حكمة تشهد لله تعالى بالربوبية وطاعة تدل بها كل نفس أبية فلم أر أدام الله سبحانه عزك منظرا منها

ثم تبع ذلك بالفرس الاولى وهم المعروفون بالحداد الى أفريدون ثم الاشكان الى دارا بن دارا وهم الساكون ثم ملوك الطوائف ثم الفرس الثانية ثم اليونانيين ثم الروم ونذكر من تلوهم من ملوك العرب والامم والسودان ومصر والاسكندرية وغير ذلك من بقاع الارض ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك السريانيين ولمع من أخبارهم)

ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم ان أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان وقد تنوزع فيهم وفى النبط من الناس من رأى ان السريانيين هم النبط ومنهم من رأى انهم اخوة نوه ناس من نبيط ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوران وكان اول من وضع التاج على رأسه وانقادت له ملوك الارض وكان ملكه ست عشرة سنة باغيا فى الارض مفسدا للبلاد سفاكا للدماء ثم ملك ولده يقال له برندس وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة ثم ملك بعده ماسيرين اول سبع سنين ثم ملك بعده اهريون عشر سنين فحط الخطوط وكور الكور وحفر الانهار وأثار العمارة وعمارة الارض غرسا لم تعلم له

ابهى ولا خـرا أشهى واذالم تتأمله عيانا فتخيله بيانا وان كان حظ منطقى من الكلام
حظ الدعى من الازلام لكن ماينىنامن مودة أكدناوسائلها وذمة تقلدنا حمائلها يوجب
قبول التحاف سميناوغثا وليس الطارف جديدا وورثا لازلت لزناد النبل مور يا والى آماد الفضل
مجر يا والتحية العبقة الر يا المشرقة المحيا عليك ماطلع فجر وايفع ثمر ورحمة الله تعالى
وبركاته انتهى * (وذكر ابن بشكوال) ان الحكم المستنصر هدم الميضأة القديمة التى كانت
بفناء الجامع الذى يستسقى لها الماء من بئر السانية وبنى موضعها أربع ميضا آت فى كل
جانب من جانبي المسجد الشرقى والغربى منها ثنتان كبرى للرجال وصغرى للنساء اجرى
فى جميعها الماء من قناة اجلبها من سفح جبل قرطبة الى أن صبت ماءها فى احواض رخام لا
ينقطع جريانه الليل والنهار واجرى فضل هذا الماء العذب الى سقايات اتخذهن على أبواب هذا
المسجد بجهاته الثلاث الشرقية والغربية والشمالية اجراها الى ثلاث جوابى
خاص الرخام استقطعها بمقطع المستير بسفح جبل قرطبة بالمال الكثير والفاه الرخاميون
هنالك واحتفروا أجوافها بمناقيرهم فى المدة الطويلة حتى استوت فى صورها البديعة لا عين
الناس فخفف ذلك من ثقلها وأسلن من أهباطها الى اماكن نصبها بأكناف المسجد الجامع
وأمد الله تعالى على ذلك بعونته فحمل الواحدة منها فوق عجلة كبيرة اتخذت من ضخام
خشب البلوط على قلل موثقة بالحديد المثقف محوفة بوثائق الحبال ورتب لجرها سبعون دابة
من أشد الدواب وسهلت قدامها الطرق والمسالك وسهل الله تعالى حملها واحدة بعد أخرى
على هذه الصفة فى مدة اثنى عشر يوما فنصبت فى الافناء المعقودة لها قال وابتنى المستنصر فى
غربى الجامع دار الصدقة واتخذها معهدا لتفريق صدقاته المتواليه وابتنى للفقراء البيوت
قبالة باب المسجد الكبير الغربى انتهى واعلم انه لعظم أمر قرطبة كان عملها حجة بالمغرب حتى
انهم يعولون فى الاحكام على ماجرى به عمل قرطبة وفى هذه المسئلة نزاع كثير ولا بأس أن نذكر
ملا بد منه من ذلك قال الامام ابن عرفه رحمه الله تعالى فى اشتراط الامام على القاضى الحكم
بمذهب معين وان خالف معتقد المشترط اجتهادا وتقليدا ثلاثة أقوال * الصحة للباجى ولعمل
أهل قرطبه ولظاهر شرط سحنون على مدهب من ولاه الحكم بمذهب أهل المدينة قال المازرى
مع احتمال كون الرجل مجتهدا * الثانى البطلان للطرطوشى اذ قال فى شرط أهل قرطبة هذا
جهل عظيم * الثالث تصح التولية ويذهب الشرط تخريجا على أحد الاقوال فى الشرط
الفاسد فى البيع للمازرى عن بعض الناس انتهى مختصرا قال ابن غازى ان ابن عرفة نسب
للطرطوشى البطلان مطلقا وابن شاس انما نسب له التفصيل انتهى ولما ذكر مولاى الجد
الامام قاضى القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب بفاس سيدى أبو عبد الله المقرى التلمسانى
فى كتابه القواعد شرط أهل قرطبة المذكور قال بعده مانصه وعلى هذا الشرط ترتب عمل
القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب فبينما نحن ننازع الناس فى عمل المدينة ونصح بأهل
الكوفة مع كثرة من نزل بها من علماء الامة كعلى وابن مسعود ومن كان معهما
ليس التكحل فى العينين كالكحل * سخ لى بعض الجود ومعدن التقليد
الله أخرمدتى فتأخرت * حتى رأيت من الزمان عجائبا

الاحوال واستظم له الملك
لم بعض ملوك الهند القدماء انه ملوك السريانيين من القوة وشدة العمارة وانهم
يحاولون الممالك وقد كان
هذا الملك من ملوك
الهند عالماً على ماحوله
من ممالك الهند وانقادت
الى سلطانه ودخلت فى
أحكامه وقيل ان مملكته
كان مما يلى السند والهند
فسار نحو بلاد بسط وغزين
ونحو بلاد الداور على النهر
المعروف بنهرميد وهو
نهر سجستان يدهى جريانه
على أربع فراسخ منها
وهذا النهر عليه اهل
سجستان ودنياهم ونخلهم
وجبالهم وسنزهاتهم وهذا
النهر يعرف بنهر بسط
ويجرى فيه السفن من
هنالك الى سجستان وفيها
الاقوات وغير ذلك ومن
بسط الى سجستان نحو من
مائة فرسخ وبلاد سجستان
هى بلاد الرياح والرمال
ونهر البلد الموصوف بان
الريح به تدير الارحية
وتسقى الماء من الآبار وتسقى
الجنان وليس فى الدنيا بلد
والله أعلم أكثر منه
استعمالا للرياح وقد
تنوزع فى مبدأ هذا النهر
المعروف بنهرميد من الناس
من رأى ان مبدأه من مبدا
نهر الكنك وهو نهر الهند
ويمر بكثير من جبال
السند وهو نهر حاد
الانصباب والجريان عليه يعذب اكثر الهند أنفسها بالحديد ونعرقها زهدا فى هذا العالم ورغبة فى النقلة

بالله وللمسلمين ذهبت قرطبة وأهلها ولم يبرح من الناس جهلها مادامت الا الآن الشيطان يسعى في محو الحق فيفنيه والباطل لازال يلقنه ويلقيه الا ترى خصال الجاهلية كالنياحة والتفاخر والتكاثر والطعن والتعضيل والكهانة والنجوم والخط والتشاؤم وما أشبه ذلك وأسماؤها كالعتمة ويثرب وكذا التنابز بالالقاب وغيره مما نهى عنه وحذر منه كيف لم تزل من أهلها وانتقلت الى غيرهم مع تيسر امرها حتى كأنهم لا يرفعون بالدين رأسا بل يجعلون العادات القديمة أسا وكذلك محبة الشعر والتلحين والنسب وما انخرط في هذا السلك ثابتة الموقع من القلوب والشرع فينا منذ سبعمائة سنة وسبع وستين سنة لا نحفظه الا قولا ولا نحمله الا كلا انتهى * وقال الحافظ ابن غازي بعد ذكر كلام مولاي الجد ما نصه وحدثني ثقة ممن لقيت انه لما قدم مدينة فاس العلامة أبو يحيى الشريف التلمساني وتصدى لاقراء التفسير بالبلد الجديد وأمر السلطان أبو سعيد المريني الحفيد أعيان الفقهاء بحضور مجلسه كان مما ألقاه اليهم مشرع المشترى هذا فبالغوا في انكاره ورأوا انه لا معدل عما عول عليه زعماء الفقهاء كابن رشد وأصحاب الوثائق كالمتيطي من اعتماد عمل أهل قرطبة ومن في معناهم انتهى * (وقال بعض المؤرخين) حين ذكر قرطبة ما ملخصه هي قاعدة بلاد الاندلس ودار الخلافة الاسلامية وهي مدينة عظيمة وأهلها أعيان البلاد وسراة الناس في حسن المآكل والمشارب والملابس والمراكب وعلو الهمم وبها أعلام العلماء وسادات الفضلاء وأجلاد الغزاة وأنجاد الحروب وهي في تقسيمها خمس مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور عظيم حصين حاجز وكل مدينة مستقلة بنفسها وفيها ما يكفي أهلها من الحمامات والاسواق والصناعات وطول قرطبة ثلاثة أميال في عرض ميل واحد وهي سفح جبل مطل عليها وفي مدينتها الثالثة وهي الوسطى القنطرة والجامع الذي ليس في معمور الارض مثله وطوله مائة ذراع في عرض ثمانين وفيه من السواري الكبار ألف سارية وفيه مائة وثلاثة عشر ثريا للوقود أكبرها تحمل ألف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر أحد على وصفه وبقبلته صناعات تدهش العقول وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون في حسن وضعها وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنان اخضران واثنان لازورديان ليس لها قيمة لنفاستها وبه منبر ليس على معمور الارض أنفس منه ولا مثله في حسن صنعته وخشبه ساج وآبنوس وبقم وعود قاقلي ويذكر في تاريخ بني أمية انه احكم عمله ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه ثمانية صناع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال محمدي فكان جملة ما صرف على المنبر لا غير عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالا وفي الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لاجل وقوده وبهذا الجامع مصحف يقال انه عثماني وللجامع عشرون بابا مصفحات بالنحاس الاندلسي مخرمة تخريما عجيبا بديعا يعجز البشر وبهرهم وفي كل باب حلقة في نهاية الصنعة والحكمة وبه الصومعة العجيبة التي ارتفاعها مائة ذراع بالمكي المعروف بالرشاشي وفيها من أنواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصف عن وصفه ونعته وبهذا الجامع ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصا موسى وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح والجميع خلقة ربانية

عنه وذلك انهم يقصدون موضعا في أعالي هذا النهر المعروف بالكنك وهناك جبال عالية وأشجار عادية ورجال جلوس وحديدة وسيوف منصوبة على ذلك الشجر وقطع من الخشب فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون في زهدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه فيطرحون أنفسهم من أعالي تلك الجبال العالية على تلك الاشجار العادية والسيوف والحديد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويسيرون الى هذا النهر أجزاء وما ذكرناه موصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك وهناك شجر من احدى عجائب العالم ونوادره والغرائب مما به فيظهر من الارض أغصان متشابكة من أحسن ما يكون من الشجر والورق فتستتم في الجو كأبعد ما يكون من طوال النخل ثم ينثني جميع ذلك منعكسا فيعود في الارض مندساو يهوي في قعرها سفلا على المقدار الذي ارتفع به في الهواء حتى يغيب عن الابصار ثم تظهر أغصان بادية على حسب ما وصفنا في الاول فتذهب الصعداء ثم تتقطر منعكسة ولا فرق بين المقدار الذي يذهب منها في الهواء ويتسع في الفضاء وبين ما يغيب منها تحت الارض ويتوارى تحت

وأما ... فهي بديعة الصنعة عجيبة المرأى فاقت قناطر الدنيا حسنا وعدة ... وتسعة عشر وسعة كل قوس منها خمسون شبرا وبين كل قوسين خمسون شبرا وبالجملة فمحاسن قرطبة أفضل أخماس وأعظم من أن نحيط بها وصفا انتهى ملخصا وهو وإن تكرر بعضه مع ما سبقه لا يخلو من فائدة زائدة والله الموفق * وما ذكره في طول المسجد وعرضه مخالف لما مر بعكس الجواب بأن هذا الذراع أكبر من ذلك كما أشار إليه هو في أمر الصومعة وكذا ما ذكره في عدد السواري إلا أن يقال ما تقدم باعتبار الصغار والكبار وهذا العدد الذي ذكره هنا الصغار والكبار وسط كما صرح به والله تعالى أعلم * وأما الثريات فقد خالف في عدها ما تقدم مع أن المتقدم هو نقول ثقات مؤرخي الأندلس ونحن جلبنا النقل من مواضعه وإن اختلفت طرقه وتعددت ... وقال في المغرب عند تعرضه لذكر جامع قرطبة ما نصه اعتمدت فيما نقلته في هذا الفصل على كتاب ابن بشكوال فقد اعتنى بهذا الشأن أتم اعتناء وأغنى عن الاستطلاع إلى كلام غيره عن الرازي انه لما افتتح المسلمون الأندلس امتثلوا ما فعله أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد عن رأي عمر رضي الله تعالى عنه من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التي كانت داخل مدينتها تحت السور وكانوا يسمونها بشنت بجنت وابتنوا في ذلك الشطر مسجدا جامعا وبقي الشطر الثاني بأيدي النصارى وهدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة واقنع المسلمون بما في أيديهم إلى أن كثروا وتزيدت عمارة قرطبة ونزلها أمراء العرب فضاق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكنون بها حتى كان الناس ينالون في الوصول إلى داخل المسجد الأعظم مشقة لتلاصق تلك السقائف وقصر أبوابها وتطامن سقفها حتى ما يمكن أكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الأرض ولم يزل المسجد على هذه الصفة إلى أن دخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية المرواني إلى الأندلس واستولى على إمارتها وسكن دار سلطانها قرطبة وتمدنت به فنظر في أمر الجامع وذهب إلى توسعته وإتقان بنيانه فأحضر أعاظم النصارى وسامهم بيع ما بقي بأيديهم من كنيستهم لصق الجامع ليدخله فيه وأوسع لهم البذل وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه فأبوا من بيع ما بأيديهم وسألوا بعد الجهد أن يباح لهم ابتناء كنيستهم التي هدمت عليهم بخارج المدينة على أن يسلموا إليه ما بقي من هذا الشطر الذي طولبوا به فتم الأمر على ذلك وكان ذلك سنة ثمان وستين ومائة ... عبد الرحمن المسجد الجامع على صفة ذكرها لا حاجة إلى تفسير الزيادة ... في وصف كماله وفي بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلوي من قصيدة

وأنفق في دين الإله ووجهه * ثمانين ألفا من لجين وعسجد
وتوزعها في مسجد أسه التقى * ومنهجه دين النبي محمد
ترى الذهب الناري فوق سموكه * يلوح كبرق العارض المتوقد

قال وكمل سنة سبعين ثم ذكر زيادة ابنه هشام الرضا وما جدده فيه وأنه بناه من خمس في أربعة ثم زيادة ابنه عبد الرحمن الأوسط لما تزايد الناس قال وهلك قبل أن يتم الزخرفة وأتمها ولده محمد بن عبد الرحمن ثم رم المنذر بن محمد ما وهى منه وذكر ما جدده خليفتهم الناصر وتقضه

البرى فلولا أن الهند فقد على بعث البلاد ولعدمت تلك الأرض بهذا النوع من الأعدام تحمار على ذكرها وعربها من ... إلى تلك البلاد وإن آهالو من اليمن ... بهذه بعد ... بالنواب العطر من سور الأمم ... الظاهر ... مستعمل موجلا لا يحتاجون بغير ... من تعذيب ... الدار معجلا ومنهم من يسير إلى باب ... في أحراقه ... وفي الأسواق ... عليها من ... وكل بائع ... في أسواق وقدامه ... والمنوع وعلى ... أنواع من خرق الحرير ... على نفسه وحوله أهله ... وعلى رأسه الأكليل من الريحان وقد تشر ... الجوهر ... ... وهو يستعمل في ... والمستعمل في بلاد هم ... كالمعز ... ويجمع هذا الورق بالدررة ... مع الفوفل وهو الذي جلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت بعضه بدلا من الطيب

وكانت بقطعه من براعيه في أمره لامريد كونه وخطر في المستقبل يصفونه لطبق

للصومعة الاولى وبداية للصومعة العظيمة قال ولما ولي الحكم المستنصر بن الناصر واتسع
نطاق قرطبة وكثر أهلها وتبين الضيق في جامعها لم يقدم شيئا على النظر في الزيادة فبلغ الجهد
وزاد الزيادة العظمى قال وبها كملت محاسن هذا الجامع وقد ... ذكر ... حضوره لمشاورة العلماء في تحريف القبلة الى نحو المشرق ... الى صرف
قبلة جامع الزهراء لان أهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة الى نحو الغرب
فقال له الفقيه أبو ابراهيم يا أمير المؤمنين انه قد صلى الى هذه القبلة ... خيار هذه الامة من ... الائمة وصلحاء المسلمين وعلمائهم منذ ... فتحت الاندلس الى هذا الوقت ... من
من التابعين كموسى بن نصير وحنش الصنعاني وأمثالهم رحمهم الله تعالى ... فضل
الاتباع وهلك من هلك بالابتداع فأخذ الخليفة برأيه وقال نعم ما قلت ... مذهب الاتباع
قال ابن بشكوال ونقلت من خط أمير المؤمنين المستنصر أن النفقة في الزيادة ... بلغت الى مائتي ألف دينار وواحد وستين ألف دينار وخمسمائة دينار وسبعة وثلاثين دينارا
ودرهمين ونصف ثم ذكر الصومعة نقلا عن ابن بشكوال فقال أمر الناصر عبد الرحمن بهدم
الصومعة الاولى سنة ٣٤٠ وقام هذه الصومعة البديعة فحفر في أساسها حتى بلغ الماء مدة
ثلاثة وأربعين يوما ... وكانت تركب الناصر اليها من مدينة الزهراء وصعد في الصومعة من
احد درجيها ونزل من الثاني ثم خرج الناصر وصلى ركعتين في المقصورة وانصرف قال وكانت
الاولى ذات مطلع واحد فصير لهذه مطلعين فصل بينهما البناء فلا يلتقي الراقون فيها الا بأعلاها
تريد مراقي كل مطلع منها على مائة سبعا ؛ قال وخبر هذه الصومعة مشهور في الارض وليس في
مساجد المسلمين صومعة تعدلها . قال ابن سعيد قال ابن بشكوال هذا لانه لم ير صومعة
مراكش ولا صومعة اشبيلية اللتين بناهما المنصور من بني عبد المؤمن فهما أعظم واطول لانه
ذكر أن طول صومعة قرطبة الى مكان موقف المؤذن أربعة وخمسون ذراعا والى اعلى الرمانة
الاخيرة بأعلى البرج ثلاثة وسبعون ذراعا وعرضها في كل تربيع ثمانية عشر ذراعا وذلك
اثنان وسبعون ذراعا قال ابن سعيد وطول صومعة مراكش مائة وعشرة اذرع ، وذكر أن
صومعة قرطبة بضخام الحجارة المضبطة محددة غاية التحديد وفي على ذروتها ثلاث شمسات
يسمونها رمانة ملصقة في السفود البارز في اعلاها من النحاس الثنتان منها من ذهب إبريز والثالثة
منها وسطى بينهما من فضة اكسير وفوقها سوسنة من ذهب ... وفوقها رمانة ذهب
صغيرة في طرف الزج البارز بأعلى الجو . وكان تمام هذه الصومعة في ثلاثة عشر شهرا . وذكر
ابن بشكوال في روايته ان موضع الجامع الاعظم بقرطبة كان حفرة عظيمة يطرح فيها اهل
قرطبة قماماتهم وغيرها فلما قدم سليمان بن داود صلى الله وسلم عليهما ودخل قرطبة قال للجن
اردموا هذا الموضع وعدلوا مكانه فسيكون فيه بيت يعبد الله فيه ففعلوا ما أمرهم به وبني فيه
بعد ذلك الجامع المذكور قال ومن فضائله أن الدارات المائلة في ازارين سمائه مكتوبة
كلها بالذكر والدعاء الى غيره بأحكم صنعة انتهى ؛ وذكر مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى
عنه الذي كان في جامع قرطبة وصار الى بني عبد المؤمن وقال هو مصحف امير المؤمنين عثمان
ابن عفان رضي الله تعالى عنه ... عند أهل الاندلس ... انتهى ... ذكر

وأوردنا ... الذي ... من الا ... السكة وازال ارطا ... المودة وشهد ... وبعث على الساوة ... الاسفار حتى يكون ... ما يكون من ... احد ... أ ... وقرى ... واثر ... ما ... وسوامها ... لا يسع ... هذا ... السواد ... الى ... النار وهو ... ولا عسير ... من ... على ... صار ... العظم ... الحرمي ... صيمور من بلاد الهند ... اللازم ... ذلك في سنة أربع وثلثمائة والملك ... على صيمور المعروف ... وبها ... من المسلمين نحو من عشرة آلاف قاطنين بياسرة وسيرافيين وعمانيين وبغداديين وغيرهم من سائر الامصار ممن ... وطن بتلك البلاد ... من وجوه التجار ... الى ...

فيه زيادة على هذا ... وأما الزهراء فهي مدينة الملك التي اخترعها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله وقد تقدم ذكره وهي من المدن الجليلة العظيمة القدر قال ابن الفرضي وغيره كان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حذاق الفعلة كل يوم ألف نسمة منها ثلثمائة بناء وثلثمائة نجار وخمسمائة من الاجراء وسائر الصناع فاستتم بنيانه واتقانه في مدة من ثمانية وأربعين يوما وجاء في غاية الاتقان من خمسة أبهاء عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشا المقصورة ثلاثون ذراعا وعرض البهو الاوسط من أبهائه من الشرق الى الغرب ثلاث عشر ذراعا وعرض كل بهو من الاربعة المكتنفة له اثنا عشرة ذراعا وطول صحنه المكشوف من القبلة الى الجوف ثلاث وأربعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب احدى وأربعون ذراعا وجميعه مفروش بالرخام الخمري وفي وسطه فوارة يجري فيها الماء وطول هذا المسجد أجمع من القبلة الى الجوف سوى المحراب سبع وتسعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب تسع وخمسون ذراعا وطول صومعته في الهواء أربعون ذراعا وعرضها عشرة أذرع في مثلها وأمر الناصر لدين الله باتخاذ منبر بديع لهذا المسجد فصنع في نهاية من الحسن ووضع في مكانه منه وحضرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند كماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلثمائة قال وفي صدر هذه السنة كمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصنعة التي أجراها وجرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربي قرطبة في المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجري ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة الى بركة عظيمة عليها أسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهد أبهى منه فيما صور الملوك في غابر الدهر مطلي بذهب ابريز وعيناه جوهرتان لهما وبيص شديد يجوز هذا الماء الى عجز هذا الاسد فيمجه في تلك البركة من فيه فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة صبه فتسقى من مجاجه جنان هذا القصر على سعتها ويستفيض على ساحاته وجنباته ويمد النهر الاعظم بما فضل منه وكانت هذه القناة وبركتها والتمثال الذي يصب فيها من أعظم آثار الملوك في غابر الدهر لبعد مسافتها واختلاف مسالكها وفخامة بنيانها وسمو ابراجها التي يرتقي الماء منها ويتصوب من أعاليها وكانت مدة العمل فيها من يوم ابتدئت من الجبل الى أن وصلت أعني القناة الى هذه البركة أربعة عشر شهرا وكان انطلاق الماء في هذه البركة الانطلاق الذي اتصل واستمر يوم الخميس غرة جمادى الاخيرة من السنة وكانت للناصر في هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة أفضل فيها على عامة أهل مملكته ووصل المهندسين والقوام بالعمل بصلات حسنة جليلة جزيلة وأما مدينة الزهراء فاستمر العمل فيها من عام خمسة وعشرين وثلثمائة الى آخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحو من أربعين سنة ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ما وصف كانت أول جماعة صليت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان وكان الامام القاضي أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ومن الغد صلى الناصر فيه الجمعة وأول من خطب به القاضي المذكور ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهي في الجلالة والفخامة أطبق الناس على أنه لم يبن مثله في الاسلام البتة وما دخل اليه أحد من سائر البلاد النائية والنحل المختلفة من ملك وارد

أحكامهم مصروفة اليه ومعنى دولة البيامرة يراد به من ولد من المسلمين بأرض الهند يعرفون بهذا الاسم واحدهم بيسر وجمعهم بياسرة وقد رأيت بعض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم فلما دنا من النار أخذ الخنجر ووضعه على فؤاده فشقه ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر فدفعها الى بعض اخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه في النار واذا مات الملك من ملوكهم وقتل نفسه حرق خلق من الناس أنفسهم لموته يدعون هؤلاء البلانجرية واحدهم بلانجري وتفسير ذلك انه ادق ان يموت فيموت بموته ويحيا بحياته وللهند أخبار عجيبة تعجز عن سماعها النفس من أنواع الآلام والمقاتل التي تألم عند ذكرها الابدان وتقشعر من ذكرها الانسان وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم في كتابنا أخبار الزمان فلنرجع الآن الى خبر ملك الهند ومسيره الى بلاد سجستان ونعده مملكة السريانيين ونعدل عن الاحديث عن أخبار الهند فنقول كان هذا الملك من ملوك الهند يقال ورسول

ورسول وافد وتاجر وجهبذ وفي هذه الطبقات من الناس تكون المعرفة والفطنة الا وكلهم قطع انه لم ير له شبها بل لم يسمع به بل لم يتوهم كون مثله حتى انه كان أعجب ما يؤمله القاطع الى الاندلس في تلك العصور النظر اليه والتحدث عنه والاخبار عن هذا تتسع جدا والادلة عليه تكثر ولو لم يكن فيه الا السطح الممرد المشرف على الروضة المباهي بمجلس الذهب والقبة وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراعة الملبس والحلة ما بين مرمر مسنون وذهب مصون وعمد كأنما أفرغت في القوالب ونقوش كالرياض وبرك عظيمة محكمة الصنعة وحياض وتماثيل عجيبة الاشخاص لا تهتدي الاوهام الى سبيل استقصاء التعبير عنها فسبحان الذي أقدر هذا المخلوق الضعيف على ابداعها واختراعها من أجزاء الارض المنحلة ليري الغافلين عنه من عباده مثالا لما أعده لاهل السعادة في دار المقامة التي لا يتسلط عليها الفناء ولا تحتاج الى الرم لا اله الا هو المتفرد بالكرم (وذكر المؤرخ) أبو مروان بن حيان صاحب الشرطة أن مباني الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ونيف على ثلثمائة سارية وستة عشر قال منها ما جلب من مدينة رومة ومنها ما أهداه صاحب القسطنطينية وان مصاريع أبوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على خمسة عشر ألف باب وكلها ملبسة بالحديد والنحاس المموه والله سبحانه أعلم فانها كانت من أهول ما بناه الانس وأجله خطرا وأعظمه شأنا انتهى قلت رأيت بعضهم ذكر النيف في كلامه بثلاث عشرة والله أعلم (وقال بعض مؤرخي الاندلس) كان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر ألف فتى وسبعمائة وخمسين فتى ودخالتهم من اللحم كل يوم حاشا أنواع الطير والحوت ثلاثة عشر ألف رطل وعدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة انتهى وقيل ان عدد الصقالبة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون وجعل بعض مكان الخمسين سبعة وثمانين (وقال آخر) ستة آلاف صقلبي وسبعة وثمانون والمرتب من الخبز للحيتان ببحيرة الزهراء اثنا عشر ألف خبزة كل يوم وينقع لها من الحمص الاسود ستة أقفزة كل يوم انتهى ثم قال الاول وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل تقسم من عشرة أرطال للشخص الى ما دون سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان انتهى (وقال ابن حيان) ألفيت بخط ابن دحون الفقيه قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بعمارة الزهراء أول سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الصخر المصرف في التبليط فانه لم يدخل في هذا العدد وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربعمائة بغل وقيل أكثر منها أربعمائة زوامل الناصر لدين الله ومن دواب الاكرية للخدمة ألف بغل لكل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر يجب لها في الشهر ثلاثة آلاف مثقال وكان يرد الزهراء من الجير والجص في كل ثالث من الايام ألف ومائة حمل وكان فيها حمامان واحدة للقصر وثانية للعامة ويوجد لبعض أهل الخدمة في الزهراء انه قدر النفقة فيها في كل عام بثلثمائة ألف دينار مدة خمسة وعشرين عاما التي بقيت من دولة الناصر من حين ابتدائها لانه توفي سنة خمسين فحصل جميع

انه زنبيل وكل ملك يلي هذا البلد من أرض الهند يسمى بهذا الاسم زنبيل الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان بين الهند وبين ملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة فقتل ملك السريانيين واحتوى ملك الهند على الصقع وملك جميع ما دونه وسار اليه بعض ملوك العرب فأتى عليه وملك العراق وردّ ملك السريانيين الى ملكه رجلا منهم يقال له (سيرا) وكان والد المقتول وكان ملكه الى أن هلك ثمان سنين ثم ملك بعده (أهربوب) وكان ملكه اثنتي عشرة سنة ثم ملك بعده ابن يقال له (هوربا) فزاد في العمارة وأحسن في الرعاية وغرس الاشجار وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده (مارث) واستولى على الملك وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة ثم ملك بعده (أزور) و(حلحاس) ويقال انهما كانا أخوين فأحسنا السيرة وتعاضدا على الملك وقيل ان أحد هذين الملكين كان بالسادات يوما اذ نظر في أعلى قصره الى طائر قد أفرخ هنالك واذا هو يضرب بجناحه ويصيح وتأمل الملك ذلك

٣٤ ط ل فنظر الى حية منسابة الى الوكر قاصدة لاكل فراخ الطائر فدعا الملك بقوس فرمى الحية فصرعها ولما

الى ان ... كان مبلغه خمسة عشر بيت مال . قال وجلب اليها الرخام من قرطاجنة وافريقية وتونس وكان الذين جلبوه عبد الله بن يونس عريف البنائين وحسن وعلي بن جعفر الاسكندراني وكان الناصر يصلهم على كل رخامة صغيرة وكبيرة بعشرة دنانير انتهى وقال بعض مؤرخين انه كان يصلهم على كل رخامة صغيرة بثلاثة دنانير وعلى كل سارية بثمانية دنانير قيل وكان عدد السواري المجلوبة من افريقية ألف سارية وثلاث عشرة سارية ومن بلاد الافرنج تسع عشرة سارية وأهدى اليه ملك الروم مائة وأربعين سارية وسائرها من مقاطع الاندلس طركونة وغيرها فالرخام الابيض من ... وغيرها والوردي والاخضر من افريقية من كنيسة اسفاقس وأما الحوض المنقوش المذهب الغريب الشكل الغالي القيمة فجلبه اليه أحمد اليوناني من القسطنطينية مع ربيع الاسقف القادم من ايلياء وأما الحوض الصغير الاخضر المنقوش بتماثيل الانسان فجلبه أحمد من الشام وقيل من القسطنطينية مع ربيع الاسقف أيضا وقالوا انه لا قيمة له لفرط غرابته وجماله وحمل من مكان الى مكان حتى وصل في البحر ونصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس العالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة صورة أسد الى جانبه غزال الى جانبه تمساح وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاوس ودجاجة وديك وحدأة ونسر وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من أفواهها وكان المتولي لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم لم يتكل فيه الناصر على أمين غيره وكان يخبز في أيامه في كل يوم برسم حيتان البحيرات ثمانمائة خبزة وقيل اكثر الى غير ذلك مما يطول تتبعه . وكان الناصر قد قسم الجباية أثلاثا ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنيمة فلا يحصيها ديوان وقد سبق هذا كله وانما كررته لقول بعضهم اثر حكايته له ما صورته وقيل ان مبلغ تحصيل النفقة في بناء الزهراء مائة مدي من الدراهم القاسمية بكيل قرطبة وقيل ان مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ثمانون مديا وسبعة أقفزة من الدراهم المذكورة واتصل بنيان الزهراء أيام الناصر خمسا وعشرين سنة شطر خلافته ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها وكانت خمسة عشر عاما وأشهرا فسبحان الباقي بعد فناء الخلق لا اله الا هو انتهى (وقال ابن البديع الهمداني رحمه الله في المطمح) كان الناصر كلفا بعمارة الارض واقامة معالمها وانبساط مياهها واستجلابها من أبعد بقاعها وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة فأفضى به الاغراق في ذلك الى أن ابتنى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره الذائع المنتشر صيته في الارض واستفرغ جهده في تنميقها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها وانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاث جمع متواليات فأراد القاضي منذر أن يغض منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكير بالانابة والرجوع فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون الى قوله ... ثم وصله بقوله

فرج الطائر بحياة الطائر مكان في منقاره وفي مخلاته ... والملك ... ووضع الحب بين يديه ... [illegible] الطائر ... الى الملك [illegible] ... فجاء الطائر ... بمن ... ولم ... ثم ... الملك ينبغي ان يودع ... الارحام لا رض ... تخرج ... في الغابة ... بحرونه ... بالاكرام ... ومراعاته ... زرع ... واستعمل ... الاشجار ... وهم يرعونه والملك ... الى ان انتهى في السلوك ... وهم لا يجدون على دوقه ... ودان ... بعد ... مراماته وان يودع ... وان ... وتركه على حاله ... في الا ... وقت ... ورواية ... الملك على ... ذلك في ابائه ... وحضرا ... الشيخ فاستمر ... حتى مال وارتحى من ... وترك رأسه ووضع يديه على الارض

فمتاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وهي دار القرار ومكان الجزاء ومضى في ذم تشييد البنيان والاسراف في زخرفته والاسراف في الانفاق عليه بكل كلام جزل وقول فصل جرى فيه طلقا وانتزع فيه قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون الى آخر الآية فأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت والتحذير من فجأته والدعاء الى الزهد في هذه الدار الفانية والحض على اعتزالها والرفض لها والندب الى الاعراض عنها والاقصار عن طلب اللذات ونهي النفس عن اتباع هواها واسهب في ذلك كله وأضاف اليه من آي القرآن ما يطابقه وجلب من الحديث والاثر ما يشاكله حتى ابكى من حضره من الناس وخشعوا وتواضعوا وخشعوا واعترفوا وتابوا واعلنوا التضرع الى الله تعالى في التوبة والابتهال في المغفرة واخذ خليفته من ذلك باوفر حظ وقد علم انه المقصود به فبكى وندم على ما سلف من فرطه واستعاذ بالله من سخطه الا انه وجد على منذر لغلظ ما قرعه به فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال والله لقد تعمدني منذر بخطبته وما عنى بها غيري فاسرف علي وأفرط في تقريعي وتفزيعي ولم يحسن السياسة في وعظي فزعزع قلبي وكاد بعصاه يقرعني واستشاط غضبا عليه فأقسم أن لا يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة ويجانب الصلاة بالزهراء فقال له الحكم فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال بغيره منه اذ كرهته فزجره وانتهره وقال له أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه لا أم لك يعزل لارضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد هذا ما لا يكون واني لاستحيي من الله أن لا اجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه ولكنه احرجني فاقسمت ولوددت اني أجد سبيلا الى كفارة يميني بملكي بل يصلي بالناس حياته وحياتنا ان شاء الله تعالى فما نظنا نعتاض منه أبدا وقيل ان الحكم اعتذر عنه فقال منذر وقال يا أمير المؤمنين انه رجل صالح وما أراد الا خيرا ولو رأى ما انفقت وحسن تلك البنية لعذرك فأمر حينئذ الناصر بالقصور ففرشت وفرش ذلك اجمع باصناف فرش الديباج وأمر بالاطعمة وقد أحضر العلماء وغص بهم المجلس فدخل منذر في آخرهم فأومأ اليه الناصر أن يقعد بقربه فقال يا أمير المؤمنين انما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس ولا يتخطى الرقاب فجلس في آخر الناس وعليه ثياب رثة ثم تكلم الناصر بعد هذا فلاماه في كلام المنذر فأتى من يلاطفه الناس آخرهم ثم قام الناصر بموكبه الى كورة المرور الى لا ... بالناس ... وصام بين يديه ايام ... وانابه ورهبه واخذ معه الناس في مصلى الربض من قرطبة بارزا الى الله تعالى في جمع ... وسعد اليه فقام فرقى اعلى مصلاه والمرتفعة من الفصر لتشارف الناس وتشاركهم في الخروج الى الله تعالى والضراعة له فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس وغصت بهم ساحة المصلى ثم خرج نحوهم ماشيا متضرعا مخبتا متخشعا وقام ليخطب فلما رأى بدار الناس الى ارتقائه واستكانتهم من خيفة الله وابتهالهم اليه رقت نفسه وغلبته عيناه فاستعبر وبكى حينا ثم افتتح خطبته بأن قال يا أيها الناس سلام عليكم ثم سكت ووقف شبه الحصر ولم يك من عادته فنظر الناس بعضهم الى بعض لا يدرون ما عراه ولا ما أراد بقوله ثم اندفع تاليا قوله تعالى كتب

(ان) يكون قال له الاترى الى كيف عاقبة حال السكرى ... سلطان الندم وتوبة الشباب ثم ام الملك بضرب بيده فرآه ثم ... سأل الملك هلك ... الشيخ أباه وطلب ان ... من الشراب وقال لعند رؤيته وانكشف عني الغموم وازال عن ساحتي الاحزان والهموم وما أراد الضار الا ما ذكر هذا الشراب الشريف فسأل الملك هل أعرف شراب أهل أرض ... وذلك انه كان ... حسن وقوى جيد ... في ... وشرب في حال ... الحزن و ... الالم وطار ... النوم وصار ... ارتضوه ... الملك ان يعم العامة ... ذلك فقال هذا شراب الملوك وأما ... فيه ... كان لا يشربه غيري فاستعمله الملوك ... ان منه ثم كان ... وا ... فعلموه ... قبل ان ... من زرعها ذكر الحريري ... المجلس ... من ... السمينة واستوى على الجودي في كتاب المصباح وغيره من الكتب

(ذكر ملوك الموصل ونينوى وطرف من أخبارهم)

نينوى هي مقابلة الموصل وبينهما دجلة وهي من قرى ... كورة الموصل ونينوى في ... وهو ...

ربكم على نفسه الرحمة الى قوله رحيم ثم قال استغفروا ربكم انه كان غفارا استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وتزلفوا بالاعمال الصالحة لديه قال الحاكي فضج الناس بالبكاء وجأروا بالدعاء ومضى على تمام خطبته ففزع النفوس بوعظه وانبعث الاخلاص بتذكيره فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر روى الثرى وطرد المحل وسكن الازل والله لطيف بعباده وكان لمنذر في خطب الاستسقاء استفتاح عجيب ومنه أن قال يوما وقد سرح طرفه في ملا الناس عندما شخصوا اليه بابصارهم فهتف بهم كالمنادي يا أيها الناس وكررها عليهم مشيرا بيده في نواحيهم أنتم الفقراء الى الله الى بعزيز فاشتد وجد الناس وانطلقت أعينهم بالبكاء ومضى في خطبته وقيل ان الخليفة الناصر خرج مرة للاستسقاء وأسرع عزمه عليه فسابق الناس للمصلى فقال للرسول وكان من خواص الناس ليت شعري ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا فقال له ما رأينا قط أخشع منه في يومنا هذا انه منتبذ حائر منفرد بنفسه لابس أخس الثياب مفترش التراب وقد رمد به على رأسه وعلى لحيته وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول هذه ناصيتي بيدك أتراك تعذب بي الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني قال الحاكي فتهلل وجه القاضي منذر عندما سمع قوله وقال يا غلام احمل الممطر معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء وكان كما قال فلم ينصرف الناس الا عن السقيا وكان منذر شديد الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته وقوة الحكومة والقيام بالحق في جميع ما يجري على يده لا يهاب في ذلك الامير الاعظم فمن دونه (وقال ابن الحسن النباهي) وأصله في المطمح وغيره ومن اخبار منذر المحفوظة له مع الخليفة الناصر في انكاره عليه الاسراف في البناء ان الناصر كان اتخذ لسطح القبيبة المصغرة الاسم للخصوصية التي كانت ماثلة على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد ذهب وفضة انفق عليها مالا جسيما وقرمد سقفها به وجعل سقفها صفراء فاقعة الى بيضاء ناصعة تستلب الابصار بأشعة نورها وجلس فيها اثر تمامها يوما لاهل مملكته فقال لقرابته ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتصل به من البدائع الفتانة هل رأيتم او سمعتم ملكا كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه فقالوا لا والله يا امير المؤمنين وانك لأوحد في شأنك كله وما سبقك الى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى الينا خبره فأبهجه قولهم وسره وبينما هو كذلك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكس الرأس فلما أخذ مجلسه قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف المذهب واقتداره على ابداعه فأقبلت دموع القاضي تتحدر على لحيته وقال له والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين قال فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال له انظر ما تقول وكيف أنزلني منزلتهم قال نعم أليس الله تعالى يقول ولولا أن يكون الناس أمة واحدة الآية فوجم الخليفة وأطرق مليا ودموعه تتساقط خشوعا لله تعالى ثم أقبل على منذر وقال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرا وعن الدين والمسلمين أجل جزائه وكثر في الناس أمثالك فالذي قلت هو الحق وقام عن مجلسه ذلك وهو يستغفر

الله

اثنتين وثلاثين وثلثمائة مدينة خراب فيها قرى ومزارع لاهلها والى أهلها أرسل يونس بن متى وآثار الصور فيها من أصنام في حجارة مكتوبة على وجوهها وظاهر المدينة تل عليه مسجد وهناك عين تعرف بعين يونس النبي عليه السلام ويأوي الى هذا المسجد النساك والعباد والزهاد وكان أول ملك بنى هذه المدينة وسورها ملك عظيم قد دانت له الملوك ودانت له البلاد ويقال له سنيوس بن بالوس فكانت مدة ملكه اثنتين وخمسين سنة وكان بالموصل رجل آخر محاربا لهذا الملك وكانت بينهما حروب ووقائع ويقال ان ملك الموصل كان في ذلك العصر سابق بن مالك رجل من اليمن ثم ملك أهل نينوى عليهم بعده امرأة يقال لها سميرم فأقامت عليهم أربعين سنة تحارب ملوك الموصل وملكها من شاطئ دجلة الى بلاد أرمينية ومن بلاد أذربيجان الى حد الجزيرة والجودي وجبل الثلج الى بلاد الزوزان وغيرها من أرمينية وكان أهل نينوى ممن سميناه نبطا وسريانيين والجنس واحد واللغة واحدة وانما بان النبط عنها بأحرف يسيرة في لغتهم والمقالة واحدة ثم ملك بعد هذه المرأة (رسبس) ويقال انه كان ابنها وكان ملكه نحوا

الله تعالى وأمر بنقض سقف القبة وأعاده مدا برا باعلى صفة غيرها انتهى ما حكاه ابن الحسن النباهي واذ كر هذه الحكاية وغيرها وان خالف السياق ما سبق وهذا منقول من كلام الحجاري في المسهب في أخبار المغرب فانه أتم فائدة اذ قال رحمه الله دخل منذر بن سعيد يوما على الناصر باني الزهراء وهو مكب على الاشتغال بالبنيان فوعظه فأنشده عبد الرحمن الناصر

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبالسن البنيان

أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم * ملك محاه حوادث الازمان

ان البناء اذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشان

قال فما أدرى أهذا شعره أم تمثل به فان كان شعره فقد بلغ به غاية الاحسان وان كان تمثل به فقد استحسبه بالتمثل به في هذا المكان وكان منذر يكثر تعنيفه على البنيان ودخل عليه مرة وهو في قبة قد جعل قرمدها من ذهب وفضة واحتفل فيها احتفالا ظن أن أحدا من الملوك لم يصل اليه فقام خطيبا والمجلس قد غص بأرباب الدولة فتلا قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية وأتبعها بما يليق بذلك فوجم الملك وأظهر الكآبة ولم يسعه الا الاحتمال لمنذر بن سعيد لعظم قدره في علمه ودينه*وحضر معه يوما في الزهراء قيام الرئيس أبي عثمان بن ادريس فأنشد للناصر قصيدة منها

سيشهد ما أبقيت أنك لم تكن * مضيعا وقد مكنت للدين والدنيا

فبالجامع المعمور للعلم والتقى * وبالزهرة الزهراء للملك والعليا

فاهتز الناصر وابتهج وأطرق منذر بن سعيد ساعة ثم قام منشدا

يا باني الزهراء مستغرقا * أوقاته فيها أما تمهل

لله ما أحسنها رونقا * لو لم تكن زهرتها تذبل

فقال الناصر اذا هب عليها نسيم التذكار والحنين وسقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل ان شاء الله تعالى فقال منذر اللهم اشهد أني قد بثثت ما عندي ولم آل نصحا انتهى ولقد صدق القاضي منذر رحمه الله تعالى فيما قال فانها ذبلت بعد ذلك في الفتنة وقلما كان بينها من مدة يسيرة وذلك عندما ولي الحجابة عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر الملقب بشنجول وتصرف في الدولة مثل ما تصرف أخوه المظفر وأبوهما المنصور ساء التدبير ولم يعبر عن القتل والقبر ودس الى المؤيد هشام بن الحكم من خوفه منه حتى ولاه عهده كما هو نص العهد فيما سبق فاطبق الخاصة والعامة على بغضه واضمار السوء له وذلك سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فعند ذلك خرج عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر سنة تسع وتسعين وتلقب بالمهدي وخلع المؤيد وحبسه وأسلمت الجيوش شنجول فأخذ وأسر وقتل (قال ابن الرقيق) ومن أعجب ما روي انه من نصف نهار يوم الثلاثاء لاربع بقين من جمادى الاخيرة الى نصف نهار يوم الاربعاء فتحت قرطبة وهدمت الزهراء وخلع خليفه وهو المؤيد وولي خليفة وهو المهدي وزالت دولة بني عامر العظيمة وقتل وزيرهم محمد بن عسلاجه وأسيت جيوش من

ملك ثم غلبوا على أهل نينوى وكانت الحروب بين أهل أرمينية وبين ملوك الموصل ويقال ان هذا الملك آخر ملوك نينوى وكان يؤدي الضريبة الى ملك أرمينية وهؤلاء الملوك أخبار وسير وحروب قد أتينا على جميعها في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط

(ذكر ملوك بابل وهم ملوك النبط وغيرهم)
ذكر جماعة من أهل التبحر والتفتيش من ذوي العناية بأخبار ملوك العالم ان ملوك بابل هم أول ملوك العالم الذين مهدوا الارض بالعمارة وان الفرس الاولى انما أخذت الملك من هؤلاء كما أخذت الروم الملك من اليونانيين وكان أولهم (نمرود) الجبار وكان ملكه نحوا من ستين سنة وهو الذي احتفر أنهارا بالعراق أخذها من الفرات فيقال ان من ذلك نهر كوثى بطريق الكوفة وهو بين قصر ابن هبيرة وبغداد لا خفاء بحفره وشهرته وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كثيرا من أنهار العراق عند ذكرنا لملوك الفرس الاولى

والثانية وغيرهم من ملوك الطوائف وانما الغرض في هذا الكتاب التلويح بتاريخ ملوك العالم والتنبيه على ما سلف من

ملك بعده (اندلس) نحوا من عشرين سنة وكان عظيم البطش مجبرا في الارض وكانت في أيامه حروب ثم

انتهى وتداول خلق من الوزراء وولي الوزارة آخرون وكان ذلك كله على يد عشرة رجال خادمين وحرارين وزبالين وهم جند المهدي انتهى وقد تقدم بعض الكلام على المهدي هذا وقال بعضهم لما قام على الدولة

قد قام مهدينا ولكن * بملة الفسق والمجون

وشارك الناس في حريم * لولاه ما زال بالمصون

من كان من قبل ذا أجما * فاليوم قد صار ذا قرون

ومن شعر المهدي هذا وقد حياه في مجلس شرابه غلام بقضيب آس

أهديت شبه قوامك المياس * غصنا رطيبا ناعما من آس

وكأنما يحكيك في حركاته * وكأنما تحكيه في الانفاس

وقد ذكرنا فيما سبق في الفصل الثالث خبر المهدي هذا وقتله ولقد كان قيامه مشؤما على الدين والدنيا فانه فتح أبواب الفتنة بالاندلس ومحى معالمها حتى تفرقت الدولة وانتثر السلك وكثر الرؤساء وتطاول العدو اليها وأخذها شيأ فشيأ حتى محى اسم الاسلام منها أعاده الله تعالى وقد ألم الولي بن خلدون في تاريخه بذكر الزهراء في جملة مباني الناصر فقال ما نصه ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد القصور والمباني وكان جده الامير محمد وأبوه عبد الرحمن الاوسط وجده الحكم قد احتفلوا في ذلك وبنوا قصورهم على أكمل الاتقان والفخامة وكان فيها المجلس الزاهر والبهو والكامل والمنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه دار الروضة وجلب الماء الى قصورهم من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ثم أخذ في بناء المتنزهات فاتخذ منية الناعورة خارج القصور وساق لها الماء من أعلى الجبل على بعد المسافة ثم اختط مدينة الزهراء واتخذها لنزله وكرسيا للملك وأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ما عفى على مبانيهم الاولى واتخذ فيها محلات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارح للطيور مظللة بالشباك واتخذ فيها دور الصناعة آلات من آلات السلاح للحرب والحلي للزينة وغير ذلك من المهن وأمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس انتهى وأما الزاهرة فهي من مباني المنصور محمد بن أبي عامر (قال ابن خلدون) أثناء كلامه على المنصور ما صورته وابتنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة انتهى (وقال غيره) وأظنه صاحب المطمح وفي سنة ثمان وستين وثلثمائة أمر المنصور بن أبي عامر ببناء الزاهرة وذلك عندما تكامل واستفحل أمره واتقد جمره وظهر استبداده وكثر حساده وأضداده وأنداده وخاف على نفسه في الدخول الى قصر السلطان وخشي أن يقع في أشطان فتوثق لنفسه وكشف له ما ستر عنه من أمره من الاعتزاز عليه ورفع الاستناد اليه وسما الى ما سمت اليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحله بأهله وذويه ويضم اليه رياسته ويتم به تدبيره وسياسته ويجمع فيه فتيانه وغلمانه فارتاد لموضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة وأقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم ونسق فيها كل اقتدار معجز ونظم

وشرع

ملك بعده ([illegible]موس) نحوا من مائة سنة [illegible] في الارض [illegible] أهلها ثم ملك بعده ([illegible]موس) نحوا من [illegible] سنة ثم ملك بعده ([illegible]ورش) نحوا من [illegible] سنة ثم ملك بعده ([illegible]) نحوا [illegible] عشرين سنة [illegible] بعده ([illegible]م) نحو من [illegible] سنة وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده ([illegible]بس) نحوا من [illegible] سنة ثم ملك بعده ([illegible]وس) نحوا من ثلاثين سنة ثم ملك بعده (ايلاوس) خمس عشرة سنة ثم ملك بعده ([illegible]رس) نحوا من أربعين سنة ثم ملك بعده ([illegible]ونوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده ([illegible]كاوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده ([illegible]وس) نحو أربعين سنة وقيل دون ذلك ثم ملك بعده ([illegible]) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده ([illegible]) [illegible] (أسيرطوس) نحو [illegible] سنة ثم ملك بعده (العداس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (أسيرنوس) نحو [illegible] سنة ثم ملك بعده ([illegible]اشن) نحو عشر [illegible] سنة ثم ملك بعده (فارسوس) نحو [illegible] وأربعين سنة ثم ملك بعده ([illegible] ادريوس) نحو

وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة وحشد الصناع والفعلة وجلب إليها الآلات الجليلة وسربلها بهاء يرد الأعين كليلة وتوسع في اختطاطها وتولع بانتشارها في البسيطة وانبساطها وبالغ في رفع أسوارها وثابر على تسوية أنجادها وأغوارها فاتسعت هذه المدينة في المدة اليسيرة وصار بناؤها من الأنباء الغريبة وبني معظمها في عامين * وفي سنة سبعين وثلاثمائة انتقل المنصور إليها ونزلها بخاصته وعامته فتبوأها وشحنها بجميع أسلحته وأمواله وأمتعته واتخذ فيها الدواوين والأعمال وعمل في داخلها الأهراء وأطلق بأحوازها الأرحاء ثم أقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحجابه فابتنوا بأرجائها كبار الدور وجليلات القصور واتخذوا خلالها المستغلات المفيدة والمنازل المشيدة وقامت بها الأسواق وكثرت فيها الأرفاق وتنافس الناس في النزول بأكنافها والحلول بأطرافها للدنو من صاحب الدولة وتناهى الغلو في البناء حوله حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة وكثرت بحوزتها العمارة واستقرت في بحبوحتها الإمارة وأفرد الخليفة من كل شيء إلا من الاسم الخلافي وصير ذلك هو الرسم العافي ورتب فيها جلوس وزرائه ورؤوس أمرائه وندب إليها كل ذي خطة بخطته ونصب ببابها كرسي شرطته وأجلس عليها واليا على رسم كرسي الخليفة وفي صفة تلك المرتبة المنيفة وكتب إلى الأقطار بالأندلس والعدوة بأن تحمل إلى مدينته تلك أموال الجبايات ويقصدها أصحاب الولايات وينتابها طلاب الحوائج وحذر أن يعوج عنها إلى دار الخليفة عائج فاقتضيت إليها اللبانات والأوطار وانثال الناس إليها من جميع الأقطار وتم لمحمد بن أبي عامر ما أراد وانتظمت بأمانيه المراد وعطل قصر الخليفة من جميعه وصيره بمعزل من سامعه ومطيعه وسد باب قصره عليه وجد في خبر لا يصل إليه وجعل فيه ثقة من صنائعه يضبط القصر ويبسط فيه النهي والأمر ويشرف منه على كل داخل ويمنع ما يحذره من الدواخل ورتب عليه الحراس والبوابين والسمار والمتناوبين يلازمون حراسة من فيه ليلا ونهارا ويراقبون حركاتهم سرا وجهارا وقد حجر على الخليفة كل تدبير ومنعه من تملك قبيل أو دبير وأقام الخليفة هشام مهجور الفناء محجوز الغناء خفي الذكر عليل الفكر مسدود الباب محجوب الشخص عن الأحباب لا يراه خاص ولا عام ولا يخاف منه بأس ولا يرجى منه إنعام ولا يعهد فيه إلا الاسم السلطاني في السكة والدعوة وقد نسخه ولبس أبهته وطمس بهجته وأغنى الناس عنه وأزال أطماعهم منه وصيرهم لا يعرفونه وأمرهم لا يذكرونه واشتد ملك محمد ابن أبي عامر منذ نزل قصر الزاهرة وتوسع مع الأيام في تشييد مبانيها حتى كملت أحسن كمال وجاءت في نهاية الجمال تقاوت بناء وسعة فناء واعتدال هواء ورق أديمه وصفاء جو ... ل نسيمه ونضرة بستان وبهجة للنفوس بها افتتان وفيها يقول صاعد اللغوي

يا أيها الملك المنصور من يمن * والمبتني نسبا غير الذي انتسبا
بغزوة في قلوب الشرك رائعة * بين المنايا تناغي السمر والقضبا
أما ترى العين تجري فوق مرمرها * هوى فتجري على أحفائها الطربا
أجريتها فطما الزاهي بجريتها * كما طموت فسدت العجم والعربا

ثم جاء ... بعده ملك بعده (بطلوس) ... سنة ثم ملك بعده (صاطرس) نحو أربعين سنة ... بعده (أفسوس) ... أربعين سنة ثم ملك بعده (...) نحو ... بعده (...) نحو ... سنة ثم ملك بعده (مرطاوس) ... عشرين سنة ثم ملك بعده (أدريدس) نحو ... سنة ثم ملك بعده (... طوروس) نحو ... سنة ... بعده (فولاس) ... سنة ثم ملك بعده (بطلس) ... نحو ... ملوك ... كذلك ... كتاب التاريخ ... العدة ثم ملك بعده (...) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (مرقوس) أربعين سنة ويقال أقل من ذلك ثم ملك بعده (...) ثلاثين ... وهو الذي ... بيت المقدس ثم ملك بعده (...) ثلاثين سنة ويقال أقل من ذلك ثم ملك بعده (...) الجبار ثمانيا وأربعين سنة ثم ملك بعده (قرمودوس) نحو ... سنة ثم

يختال فيه جنود الماء زاحفة * مستلئمات تريك الدرع واليلبا
تحفه من فنون الايك زاهرة * قد اورقت فضة اذ اورقت ذهبا
بديعة الملك ما ينفك ناظرها * يتلو على السمع منها آية عجبا
لا يحسن الدهر أن ينشي لها مثلا * ولو تعنت فيها نفسه طلبا

ودخل عليه ابن أبي الحباب في بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامرية والروض قد تفتحت أنواره وتوشحت أنجاده وأغواره وتصرف فيها الدهر متواضعا ووقف بها السعد خاضعا فقال

لا يوم كاليوم في أيامنا الاول * بالعامرية ذات الماء والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذي يحتل ساحتها * بالسعد أن لا تحل الشمس بالحمل

وما زالت هذه المنية رائقة والسعود بلبتها متناسقة تراوحها الفتوح وتغاديها وتجلب اليها منكسرة أعاديها لا يرحف عنها راية الا في فتح ولا يصدر عنها تدبير الا الى نجح الى ان حان يومها العصيب وقيض لها من المكروه أوفر نصيب فتولت فقيدة حلت من محاسنها كل عقيدة انتهى (وقد حكى الحميدي في جذوة المقتبس) هذه الحكاية الواقعة لابن أبي الحباب بزيادة فقال بعد ان ذكر هذه المنية العامرية وهي الى جانب الزهراء ان أبا المطرف بن أبي الحباب الشاعر دخل الى المنصور في هذه المنية فوقف على روضة فيها ثلاث سوسنات ثنتان منها قد فتحتا وواحدة لم تفتح فقال

لا يوم كاليوم في أيامنا الاول * بالعامرية ذات الماء والظلل
هواؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالي الذي يحتل ساحتها * بالسعد أن لا تحل الشمس في الحمل
كأنما غرست في ساحها وبدا السوسان من حينه فيها على عجل
أبدت ثلاثا من السوسان مائلة * أعناقهن من الاعياء والكسل
فبعض نوارها للبعض منفتح * والبعض منغلق عنهن في شغل
كأنها راحة ضمت أناملها * من بعد ما ملئت من جودك الخضل
وأخرى بسطت منها أناملها * ترجو نداك كما عودتها فصل

وذكر ابن سعيد ان ابن العريف النحوي دخل على المنصور بن أبي عامر وعنده صاعد اللغوي البغدادي فأنشده وهو بالموضع المعروف بالعامرية من أبيات

فالعامرية تزهي * على جميع المباني
وأنت فيها كسيف * قد حل في غمدان

فقام صاعد وكان مناقضا له فقال أسعد الله تعالى الحاجب الاجل ومكن سلطانه هذا الشعر الذي قد أعده وتروى فيه أقدر أن أقول أحسن منه ارتجالا فقال له المنصور قل ليظهر صدق دعواك فجعل يقول من غير فكرة كثيرة

يا أيها الحاجب المعتلي على كيوان

(كدمرحوس) عشرين سنة ثم ملك بعده (فخشمت) احدى وأربعين سنة ثم ملك بعده (احرست) ثلاث سنين وقيل ستين وثلاثة أشهر ثم ملك بعده (شعيا) سنة وقيل ستة أشهر ثم ملك بعده (ارتوس) عشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (اضطبس) سبعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (دار التاسع) خمس عشرة سنة وقال عشر سنين (قال المسعودي) فهؤلاء الملوك الفرس أتينا على ذكرهم و... ملوكهم وقد رسمت أسماؤهم هكذا في كتب التواريخ السالفة وهم الذين شيدوا البنيان ومدنوا المدن وكوروا الكور وحفروا الانهار وغرسوا الاشجار واستنبطوا المياه وأثاروا الارضين واستخرجوا المعادن من الحديد والرصاص والنحاس وغير ذلك وطبعوا السيوف واتخذوا عدة الحرب وغير ذلك من الحيل والمكايد ووضعوا صفوف الحرب بالقلب والميمنة والميسرة والاجنحة وجعلوا ذلك مثل الاعضاء من جسد الانسان ووضعوا لكل حزب علامة لانواريها بغيرها ... على ... والفيل وما عظم من أجناس الحيوان وجعلوا أعلام

(نوس) سنة وقيل أول ... ثم ملك بعده (دوانوس) احدى وثلاثين سنة وقيل اكثر من ذلك ثم ملك بعده

ومن به قد تناهى * فخار كل يمان
العامرية أضحت * لجسمه الزهوان
فريدة لفريد * ما بين أهل الزمان

ثم مر في الشعر الى ان قال في وصفها

انظر الى النهر فيها * ينساب كالثعبان
والطير يخطب شكرا * على ذرا الاغصان
والقضب تلتف سكرا * على القضبان
والروض يفتر زهوا * عن مبسم الاقحوان
والنرجس الغض يرنو * بوجنة النعمان
ورائد الزهر يهدي * ونفحة الريحان
فدم مدى الدهر فيها * في غبطة وأمان

فلما قرأ المنصور ارتجاله قال لابن العريف ما لك فائدة في افراط من هذا ارتجاله فكيف يكون ما يعده ابن العريف فاغتاظ ابن العريف وذرب عليه المأخذ احتيالك فقال له صاعد ويخرج من هذا أن لك احتيالا لا يمكنك وبعد ذا عليك المأخذ فضحك المنصور وقال غيره هذه المنزعة أليق بأدبكما (قلت) وقد ذكر مؤرخو الاندلس منى كثيرة بها منها منية الناعورة السابقة ومنية العامرية هذه ومنية السرور ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عمر الملثم ملك قرطبة (قال أبو الحسن) بن سعيد حدثني أبي عن أبيه قال خرج معي الى هذه المنية في زمان فتح نوار اللوز أبو بكر بن بقي الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر لوز قد نور فقال ابن بقي

سطر من اللوز في البستان قابلني * ما زاد شيء على شيء ولا نقصا
كأنما كل غصن كم جارية * اذا النسيم ثنى أعطافه رقصا

ثم قال

عجبت لمن أبقى على خمر دنه * غداة رأى لوز الحديقة نورا اسرى

(وذكر) بعض مؤرخي الاندلس أن المنصور بن أبي عامر كان يزرع كل سنة ألف مدي من الشعير قصيلا لدوابه الخاصة به وانه كان اذا قدم من سفره من غزواته لا يحل عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش وصاحب الابنية لما وهى من أسواره ومبانيه وقصوره ودوره قال وكان له راتب كل يوم اثنا عشر ألف رطل من اللحم ما عدا الصيد والطير والحيتان وكان يصنع في كل عام اثني عشر ألف ترس عامرية للقصر الزاهرة والزهراء قال وابتنى على طريق المناهاة والفخامة مدينة العامرية ذات القصور والمنتزهات المخترعة كثيرة السرو ونحوها من منتشئة المدينة ... ومن الصنع أن المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة وأبعد فيها الايغال وعاث فيها من عظماء الروم من عاث وحل من أرضهم ما لم يطرق وراع منهم ما لم يرع قبله ولم يفرق وصدر بأسمائه على كل حسناء عقيلة وجلا به كل صنعة للحسن صقيلة ودخل قرطبة دخولا لم يعهد وشهد له

الميمنة والميسرة على صورة السباع على حسب عظمها واختلافها في انواعها

وجعلوا في الاخرى صور ما انتقص من السباع كالنمر والذئب وجعلوا صور أعلام الكتيبة على صور الحيات والعقبان وما جرى مجراه من هوام الارض وجعلوا الرأس على نوع منها من السواد والاسمي والحمرة والخضرة ودون الماء ونحو ذلك كردوم الالوان ثمانية على حسب لموضع المستولي ومنعوا أن تكون الحمرة تشرب في أمر تلك الامالنف من اجزائها داخلا في جملة الاكثر من ألوان الحيوان من تلك الاعلام وزعموا ان قضية القياس توجب أن تكون سائر أعلام الجيش حمراء اذ كانت الوان كل لون الدم وأكثر ملائمة ان كان نزهاوا لكن منع من ذلك استعمالها في حال لرية ولطرب وأوقات السرور واستعمال الماء والصديان ساواه ورتب الموس بها وأوجب ترك ذلك وأن حسن الحمر منا كل لون الحمرة اذ كان من شأنه انه اذا ادركها ابسط نوره في ادراكها واذا وقع البصر على اللون الاسود اجتمع نوره ولم ينبسط في ادراكه

انبساطه في الحمرة وأن النسبة الرابعة من نور الناظر وبين لون الحمرة والاخضر والاسود الشوائب ...

ويوم مشبه لم يشهد وكان ابن شهيد متخلفا عن هذه الغزوة لنقرس عداه عائده وحداة منعه ووراثه وابن شهيد هذا احد حجاب الناصر وله على ابن أبي عامر أياد محكمة الاواصر وهو الذي نهض به أول انبعاثه وشق أمره من التياثه وخاصم المصحفي عنه بلسان من انجاه له وتوجاه باحسان قلده من الرعاية ما قلد واسمى رتبته وحلى باعظام جاهه لبته وكان كثيرا ما يتحفه ويصله ويلطفه فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقفل نسي راحته ونهل ممكاتب اليه ابن شهيد

أتاك الشيخ يهوي الصبايا ... ويهوى أقبلك كل الروايا
ورسول الاله أسهم في الفي ... مان لم يحضروا به المطايا
فاجعلني في ذيت الكرد مرو ... بذلك وابعث بها عذاب الثنايا

وبعث اليه بعده له من عقائل الروم يكنفها ثلاث جوار كأنهن نجوم سوار وكتب اليه

قد بعثناها كشمس النهار ... في ثلاث من المها أبكار
فاتئد واجتهد فانك شيخ ... سلخ الليل عن بياض النهار
صانك الله عن كلالك فيها ... عن العار كاتمة الاسمار

فكتب اليه ابن شهيد

قد فضضنا ختام ذاك السوار ... واصطبغنا من النجيع الجاري
ونعمنا في طي ليل أنيل ... ولهونا بالبدر ثم الدراري
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ... ذي مضاء عضب الظبا بتار
فاصطنعه فليس يجزيك كفرا ... واتخذه سيفا على الكفار انتهى

وقد ذكرنا هذه الحكاية في أخبار المنصور من الباب الثالث ولكنا أعدناها هنا بلفظ المطمح لما فيه من العدو به والفائدة الزائدة * وممن كان في أيام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن ادريس الحولاني قال في المطمح علم من الاعلام فريد الرسائل وعين من أعيان البيان باهر الفصاحة طاهر الجناب والساحة تولى التحبير أيام المنصور والانشاء وأشعر بدولته الافراح والانشاء ولبس العزة مدة ضافية البرود وورد بها النعمة صافية الورود وامتطى من جياد التوجيه وأعلى من لاحق والوجيه وعمادي طلقه ولاأحد يلحقه الى أيام المظفر وهي على سننه ونمادى السعد يترنم في فننه الى أن قتل المظفر صهره عيسى بن القطاع صاحب دولته وأميرها المطاع وكان أبو مروان نديم الاصطناع له والانقطاع فاتهمه وكاد أن يذوق حمامه ومصرعه الا أن احسانه شفع وبانه نفع ودفع خطب تلك الريب وحمل الى طرطوشة على القتب وبقي هنالك معتقلا في برج من أبراجها نائي المنتهى كأنما يناجي السها قد بعد ساكنه عن الانس وقعد من الحرم بمنزلة الجليس تمر الطير دونه ولا تجوزه ويرى منه الثرى ولا يكد يجوزه وبقي فيه دهرا لا يرتقي اليه راق ولا يرجى لبشه راق الى أن أخرج منه الى ثراه واستراح مما ساءه فمن بديع نظمه قوله يصف المعتقل الذي به اعتقل

وبين نور البصر وبين السواد ومراتب الانوار وماوجه ذلك من أسرار الطبيعة والحد المشترك بين نوريه حس البصر وبين لون الحمرة والبياض والصفرة المباين بين الحس وبين نور البصر دون الالوان من الحمرة والخضرة والصفرة والبياض وعلل القوم في هذه المعاني الى غير ذلك من الاجسام المعدنية من الحجرين والخمسة واختلافهم في أنواعها الى غير ذلك من الاشخاص العلوية وقد أتينا على مقولهم من ذلك فيما سلف من كتبنا وأتينا على سير هؤلاء الملوك وآرائهم واختلافهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وقد ذهبت طائفة من الناس الى أن هؤلاء الملوك كانت من النبط وغيرهم من الامم وانه كان يرؤس بعضهم بنيه من ملوك الفرس ممن كان منهم في الحال والاشهر ما قدمنا وسنورد فيما نرد من هذا الكتاب لمعا من أخبار النبط وأنسابهم

(ذكر ملوك الفرس الاولى وجمل من أخبارهم) *

الفرس تخبر مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها في ديارها وما الزمته أمه بهامن حفظ أنسابها نقل ذلك باق عن ماض وصغير عن كبير ان (أول

ياوى اليه كل أعور ناعق * وتهب فيه كل ريح صرصر
ويكاد من يرقى اليه مرة * من عمره يشكو انقطاع الابهر

ودخل ليلة على المنصور والمنصور قد اتكأ وارتفق وتحلى بمجلسه ذلك الافق حكم امانيا بمجلسه ذلك مسوقة وأحاديث الامانى به منسوقة وامره بالنزول عنده فنزل فى حلة الاصحاب والقمر يظهر ويحتجب فى السحاب والافق يسدونه أغر ثم يعود مبهما والليل يتراءى منه أشقر ثم يعود أدهما وأبو مروان قد انتشى وجال فى ميدان الانس ومشى وبرد خاطره قد دبجه السرور ووشى فاقلقه ذلك المغيب والانتياح وانضمه ذلك السرور والارتياح فقال

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك انه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا وغابا

فقال لو نمى عندى اليه * لراجعنى بذا حقا جوابا

وله فى مدة اعتقاله وتردده فى قبله وقاله

شحط المزار فلا مزار ونافرت * عينى الهجوع فلا خيال يعترى
أزرى بصبرى وهو مشدود العرا * وألان عودى وهو صلب المكسر
وطوى سرورى كله وتلذذى * بالعيش طى صحيفة لم تنشر
ها انما ألقى الحبيب توهما * بضميرتذكارى وعين تفكرى
عجبا لقلبى يوم راعتنى النوى * ودنا وداع كيف لم يتفطر

(رجع الى المنصور) وكان المنصور اذا اراد امرا مهما شاور ارباب الدولة والاكابر من خدام الدولة الاموية فيشيرون عليه بالوجه الذى عرفوه وجرت الدولة الاموية عليه فيخالفهم الى المنهج الذى استدته فيتضنون فى انفسهم بالهلاك فى الطريق الذى سلكه والمهيع الذى اخترعه فيسفر العاقبة عن السلامة التامة التى اقتضاها سعده فيكثرون التعجب من موارد أموره ومصادرها * وقيل له مرة ان فلانا مشؤم فلا تستخدمه فقال اف لسعد لا يعفى على شؤمه فاستخدمه ولم ينله من شؤمه الذى جرت به العادة شئ * وحكى عنه انه كان فى قصره الذى بالزاهرة فتامل محاسنه ونظر الى مياهه المطردة وانصت لاطياره المغردة وملأ عينه من الذى حواه من حسن وجمال والتفت فى الزاهرة من اليمين الى الشمال فانحدرت دموعه وتجهم وقال ويل لك يا زاهرة فليت شعرى من الخائن الذى يكون خرابك على يديه عن قريب فقال له بعض خاصته ما هذا الكلام الذى ما سمعناه من مولانا قط وما هذا الفكر الردئ الذى لا يليق بمثله شغل البال به فقال والله لترون ما قلت وكانى بمحاسن الزاهرة قد محيت ورسومها قد غيرت ومبانيها قد هدمت وخربت وخزائنها قد نهبت وساحاتها قد أضرمت بنار الفتنة والهبت (قال الحاكى) فلم يكن الا ان توفى المنصور وتولى المظفر فلم تطل مدته فقام بالامر أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول فقام عليه المهدى والعامة وكانت منهم عليه وعلى قومه الطامة وانقرضت دولة آل عامر ولم يبق منهم آمر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

ملوكهم كيومرث) ثم تنازعوا فيه فمنهم من زعم انه ابن آدم والاكبر من ولده ومنهم من زعم وهم الاولون عددا انه أصل النسل وينبوع الذرء وقد ذهبت طائفة منهم الى أن كيومرث هو اميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح لانه أول من حل بفارس من ولد نوح وكان كيومرث ينزل بفارس والفرس لا تعرف طوفان نوح والقوم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام كان اسمهم سريانيا ولم يكن عليهم ملك بل كانوا فى مسكن واحد والله أعلم بذلك وكان كيومرث اكبر اهل عصره والمقدم فيهم وكان اول ملك نصب فى الارض فيما يزعمون وكان السبب الذى دعا اهل ذلك العصر الى اقامة ملك ونصب رئيس انهم رأوا اكثر الناس قد جبلوا على التباغض والتحاسد والظلم والعدوان ورأوا ان الشرير منهم لا يصلحه الا الرهبة ثم تأملوا أحوال الخليقة وتدبروا أن الجسم صورة الانسان الحساس الدراك فرأوا الجسم فى بنيته وكونه قد رتب بحواس تؤدى الى معنى هو غيرها يوردها ويصدرها ويميزها بما يورده اليه من احلاله فى مداركها وهو معنى فى القلب فرأوا اصلاح الجسم بتدبيره وانه متى فسد تدبيره فسد اثره ولم تظهر افعاله المتقنة المحكمة فلما راوا هذا العالم الصغير

وحرب اراهره ومصت كامس لدابره وحلت منها الدسوت الموحدية والدساكر واستولى النهب على ما فيها من العدة والذخائر والسلاح وتلاشى أمرها فلم يرج لفسادها صلاح وصارت قاعا صفصفا وتبدلت بأيام الترح عن أيام الفرح والصفا (ويروى) أن بعض ولد ذلك الزمان مر بها ونظر الى مصانعها السامية الفائقة ومبانيها العالية الرائقة فقال يا دار يبلك من كل دار فجعل الله منك في كل دار (قال الحاكي) فلم تكن بعد دعوة ذلك الرجل تصابح الأيام يسيرة حتى نهبت ذخائرها وعم بالخراب سائرها فلم تبق دار في الاندلس الا ودخلها من ذلك شيء كثيرة أو قليله وحقق الله تعالى دعاء ذلك الرجل الذي هو منه دعوة حاله (ولقد حكي) أن بعض ما نهب منها بيع ببغداد وغيرها من البلاد المشرقية فسبحان من لا يزول سلطانه ولا ينقضي ملكه لا اله الا هو (وتذكرت) هنا ما رآه في المنام بعض أهل المغرب بالمهدية التي انقرض فيها ملك الموحدين أن شخصا ينشده

ملك بني مؤمن تولى ؛ وكان فوق السماك سمكه
فاعتبروا واسمروا وقولوا ؛ سبحان من لا يبيد ملكه لا اله الا هو

وكان المهدي الذي ثم على العامريين ما جناه كما قال وقد حياه في مجلس شرابه بسلام بقضيب آس

أهديت شبه قوامك المياس ؛ غصنا رطيبا ناعما من آس
وكأنما تحكيك في حركاته ؛ وكأنما تحكيه في الانفاس

وكان للمنصور بن أبي عامر حين تغلب على ملك الامويين سير مكترث بمثل المهدي المذكور وسلطه الله تعالى على كل ما أسسه المنصور حتى هدمه وأخرب كل ما قدمه ولم ينفع في ذلك احتياط ولا حزم ولا راد للقضاء المبرم الجزم والله يحكم ما يشاء ولا تكن متعرضا وقد قدمنا شيئا من أخبار المنصور ولا بأس أن نكلم ههنا ببعضها وان حصل منه نوع تكرار في بعضها لارتباط الكلام بعضه ببعض (قال بعض المحققين من المؤرخين) حجر المنصور بن أبي عامر على هشام المؤيد بحيث لم يره أحد منذ ولي الحجابة وربما أركبه بعض سنين وجعل عليه برنسا وعلى جواريه مثل ذلك ولا يعرف منهن ويأمر من ينحي الناس من طريقه حتى ينتهي المؤيد الى موضع تنزهه ثم يعود به فيرابه أركبه باهه احتلافه في بعض الايام لعرض له كما لعادته فماسى وكان المنصور اذا سافر وكل بالمؤيد من يفعل معه ذلك وكان هذا من فعله سدا الانصاع ملك بني أمية من النداس وأخذ مع ذلك في قتل من يخشى منه من بني أمية خوفا أن تثور رؤيته ويظهر أنه فعل ذلك شفقة على المؤيد حتى أفنى من يصلح منهم للولاية ثم فرق باقيهم في البلاد وأدخلهم زوايا الخمول عارين من الطراف والتلاد وربما سكن بعضهم البادية وترك مجالس الأبهة وباديه حتى قال بعض من ينعم على المنصور ذلك الفعل من قصيدة

بني أمية اين اقمار الدجى ؛ منكم وأين نجومها والكوكب
غابت أسود منكم عن غابها ؛ فلذاك حاز الملك هذا الثعلب

مع أن للمنصور مآثر لديها الاوائل والاواخر من المثابرة على جهاد العدو وتكرار الذهاب

بعضه

الذي هو حد الانسان المدني لا تستقيم اموره ولا تنتظم احواله الا باستعانة الرئيس الذي قدمنا ذكره علموا ان الناس لا يستقيمون الا بشخصهم ويوجه العدل عليهم ويعد الاحكام على موجبه الفعل بينهم فبادروا الى كيومرث بن آدم وفردوه حاجتهم الى ملكه وقيمهم وقالوا أنت أفضلنا وخيرنا وأكرمنا وبقية أبينا وليس في العصر من يوازيك فرد امرنا اليك وكن القائم فينا فانا تحت طاعتك وصائرون الى ما تراه فاجابهم الى ما دعوه اليه واستوثق منهم بما أكد العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه فلما وضع التاج على رأسه وكان أول من ركب التاج على رأسه من أهل الارض قال ان النعم لا تدوم الا بالشكر وانا نحمد الله ونشكره على نعمه ونرغب اليه في مزيده ونسأله المعونة على ما دفعنا اليه ونحسن الهداية الى العدل الذي به تجتمع الالفة وتصفو العيش فثقوا بالعدل منا وأنصفونا من أنفسكم بوروده الى أفضل ما في همتكم والسلام لم يزل كيومرث قائما بالامر حسن السيرة في الناس والخير آمنة والامة ساكنة الى ان مات وله في وضع التاج على الرأس اسرار يذكرونها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك في كتابنا

بنفسه فى الرواح والغدوّ وله مع المصحفى وغيره أخبار مرت ويأتى بعضها ولا بأس أن نلخص ترجمة المصحفى فنقول (قال الفتح فى المطمح) الحاجب جعفر المصحفى تجرد للعليا وتمرد فى طلب الدنيا حتى بلغ المنى وتسوغ ذلك الجنى فسما دون سابقة وارتمى الى رتبة لم تكن لهمته مطابقة والتاح فى أفق الخلافة وارتاح اليها بعطفه كنشوان السلافة واستوزره المستنصر وعنه كان يسمع وبه يبصر فادرك بذلك ما ادرك ونصب لأعاديه الحبائل والشرك واقتنى وادخر وزرى بمن سواه وسخر واستعطفه المنصور بن ابى عامر ونجمه بعد غائر لم يلح وسره مكتوم لم يبح فما عطف ولا جنى من روضه دانيا ولا قطف فقام فى تدبير الاندلس ما قام والاندلس متغيرة والاذهان فى تكييف سعده متحيرة فاهلك من ذكر خلد ومن نحر تقلد ومن صعب راض ومن جناح تمنع هاض ولم يزل يدا لتلك الخلافة معتقلا وفى مطالعها متنقلا الى ان توفى الحكم فانتقض عقد الحكم وانبرت اليه النوائب وتسددت اليه سهام سوائب واتصل بالمنصور ذلك الامر واحتوى عليه كما مال بيزيد اخو الغمر وأناف فى تلك الخلافة كالشمس قبل اليوم من طوقه عمرو وانتدب للمصحفى بصدر كان أوغره وساءه وصغره فاقتص من تلك الاساءة وأغص حلقه بأى اشاءة فانجلى عن نكبته وأرحلها كان الدهر أركبه وألهب جوانحه كربا ونهب له مدخرا ومختزنا ونثر عليه ما كان حاط وأحاط به من مكره ما أحاط ونبذ نفسه فى مهوى تلك النكبة وحوى تلك الكربة يتبعه المنصور معه فى غزواته ويعتقله بين ضيق المطبق ولهواته الى أن تكورت شمسه وفاظت بين أثنائها نفسه ومن بديع ما حفظ له فى نكبته قوله يسترحم من كربته

صبرت على الايام لما تولت ❊ وألزمت نفسى صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ❊ فان طمعت تاقت والا تسلت
فواعجبا للقلب كيف اعترافه ❊ وللنفس بعد العز كيف استذلت
وكانت على الايام نفسى عزيزة ❊ فلما رأت صبرى على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتى كريمة ❊ فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وكان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض مسارع فمن محاسن نظامه وانشاده التى بعثها ايناس دهره باسعاده قوله

لعينيك فى قلبى على عيون ❊ وبين ضلوعى للشجون فنون
لئن كان جسمى مخلقا فى يد الهوى ❊ فحبك عندى فى الفؤاد مصون

(وله) وقد أصبح عاكفا على حمياه هاتفا باجابة دنياه مرتشفا ثغر الانس متنسما رياه والملك يغازله بطرف كليل والسعد قد عقد عليه منه اكليل يصف لون مدامه وما تعرف له مع نداماه من مدامة

صفراء تطرق فى الزجاج فان سرت ❊ فى الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكأنما ❊ يجدون ريا من اناء فارغ

ومن شعره الذى قاله فى السفرجل مشبها وغدا به لنائم البديع منبها قوله يصف سفرجلة

بقسطها فتصلح الابدان بما يرد اليه من الغذاء وسكن النفس عند ذلك فقد يرد كل عضو من الاعضاء بما يؤدى الى ما فيه صلاحه من اخذ صفو الطعام فيكون الذى يرد الى الكبد وغيره من الاعضاء القابلة للغذاء ما فيه نماؤها وما فيه صلاحها فان الانسان متى شبع من طعام وشرب من المشروب انصرف قسط من التدبير وحرم التدبير الى حيث انصباب المعدة وتوزع الى سائر الاعضاء فاضر ذلك بالانفس الحيوانية والقوى الانسانية واذا كان ذلك ادى الى مفارقة النفس الناطقة لهذا الجسد المرئى وفى ذلك ترك الحركة وخروج عن الصواب ولهم فى هذا الباب مراتب من اسرار السبب الذى بين النفس والجسم ليس هذا موضعه وقد أتينا على ذكره فى الكتاب المترجم بسر الحياة وفى كتاب الزلف عند ذكرنا النفس الناطقة والنفس اللوامة والنفس الحسية والخيالية والنزاعية وما قال الناس فى ذلك عمن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم (وقد تنوزع فى مقدار عمر كيومرث هذا) فمن الناس من رأى أن عمره ألف سنة وقيل دون ذلك وللمجوس فى كيومرث هذا خطب طويل فى أنه مبدأ النسل

او ... بدار يحله

وصفرة يختال في ثوب نرجس * وتعبق عن مسك ذكي التنفس
لها ريح محبوب وقسوة قلبه * ولون محب حلة السقم مكتسي
... مرهاس صفرتي من مرارة * وانفاسها في الطيب انفاس مؤنسي
وكان لها ثوب من الزغب اغبر * على جسم مصفر من التبر املس
فلما استتمت في القضيب شبابها * وحاكت لها الاوراق اثواب سندس
مددت يدي باللطف ابغي اجتناءها * لاجعلها ريحانتي وسط مجلسي
فمرت يدي نسبا لها ثوب جسمها * واعريتها باللطف من كل ملبس
ولما تعرت في يدي من بردها * ولم تبق الا في غلالة نرجس
ذكرت لها من لا ابوح بذكره * وادبلها في الكف حر التنفس

وله وقد اعاد المنصور الى المطبق واتخذوا من يع الله وتسق ... معبريا المقبه ومحمريا باسعاد ابنه

احاذي ارسان على حاله * مجاراة نفسي لانفاسها
اذا نفس صاعد شبها * توارت به دون جلاسها
وان عكفت نكبة للزمان * عطفت بنفسي على راسها

ومما منه له في استعطافه وسيره للمنصور واستلطافه قوله

عفا الله عنك الا رحمة * تجود بعفوك ان ابعدا
لئن جل ذنب ولم اعتمده * فانت اجل واعلى يدا
الم تر عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيدا هدى
ومفسد امر تلافيه * فعاد فاصلح ما افسدا
اقلني اقالك من لم يزل * يقيك ويصرف عنك الردى

(عود وانعطاف الى اخبار المنصور بن ابي عامر) رحمه الله تعالى وجاراه عن جهاده اتصل الجزاء به وكرمه ووصله وطوله فنقول وكان له في كل غزوة من غزواته المسمة على الخمسين ... من المفاخر الاسلامية منها ان بعض الاجناد نسي رايته مركوزة على جبل بقرب احدى مدائن الروم فاقامت عدة ايام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العساكر وهذا ... من ما ... اهل التوحيد في اهل التثليث لانهم لما اشرب قلوبهم خوف المنصور وحربه وعلم كل من ملوكهم انه لا طاقة له بحربه لجؤا الى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بعد والاطلاع (ومن مفاخر المنصور) انه في بعض غزواته انه مر بين جبلين عظيمين في طريق عرض يريد به وسط بلاد الافرنج فلما جاوز ذلك المحل وهو آخذ في التحريق والتخريب والغارات والسبي يمينا وشمالا لم يجسر احد من الافرنج على لقائه حتى امتلأت البلاد منه ... ايام ثم عاد فوجد الافرنج قد استجاشوا من وراءهم وصدوا ذلك المدخل الضيق الذي بين جبلين وكان الوقت شتاء فلما راى ما فعلوه رجع واختار من بلادهم ... اباح به فيمن معه من العساكر وتقدم بدناء

كان من حربه مع ابلس ... له انا ... وكان من اصطخر ... اربعين ... ذلك (... ابن ... مشابهي ... وكان ... واي ... من رأى ... ادم ... ومن رأى به وله ملك الماضي (... بن نوحهان ابن ... هوشنج وكان ... (ابو ... ف) احدث مذاهب ... وقال ان ... اشرف الكمال ... الحياة في هذا السقف ... هي المدبر والوارد ... وطعها ... العالمين الا ... لاستعمار ... ووجدتها ... واد ... ووظهور ...

وذلك ... الا كبر وغير ذلك مما يخرج ... عن حد الاختصار والايجاز

الدوروا المنازل وبجمع آلات الحرث ونحوها وبث سراياه فعتت وغنمت فاستـرق الصغار وضرب أعناق الكبار وألقى جثثهم حتى سد بها المدخل الذى من جهته وصارت سراياه تخرج فلا تجد الا بلدا خرابا فلما طال البلاء على العدو ارسلوا اليه فى طلب الصلح وأن يخرج بغير أسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك ثم ترددت رسلهم حتى سألوه أن يخرج بغنائمه وأسراه فأجابهم ان أصحابى أبوا أن يخرجوا وقالوا ألا نكاد نصل بلادنا الا وقد جاءت الغزوة الاخرى فنقعد هنا الى وقت الغزاة فاذا غزونا عدنا فسألوه أن يخرج على أن يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبى وأن يمدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وأن يصالحوه على أن يخرجوا له الميتة من بلادهم ففعلوا ذلك فخرج من بلادهم وقد ملأ بلادهم طمعا ونصرا لا يكاد أن يكون مثله وأعجب من ذلك أنهم عبدوا له الطريق وعصوهم فى شرب ذلك الريق ومن مآثره التى فى حسن تدبيره ومنه دهره قرة انه لما حشر أولادهم معهم من أولاد أهل دولته جماعة من أولاد الضعفاء عدد لا يحصر فبلغت النفقة عليهم فى هذا الاعذار جملة من الدنانير وهذه مكرمة مخلدة ومنقبة مقلدة فالله سبحانه يجازيه عن ذلك أفضل الجزاء ويجعل للمسلمين بعد مثله أحسن العزاء ومن مناقبه التى لم تتفق لغيره من الملوك فى غالب الظن أن أكثر جنده من سبيه على ما حققه بعض المؤرخين وذلك غاية اليمن من الله ولطفه ومن أخبار دالة على اقبال أمره وخيبة عدوه وادباره انه ما عاد قط من غزوة الا استعد لاخرى ولم يهزم له قط راية مع كثرة غزواته شاتية وصائفة وكفاه ذلك فخرا ومما اتفق له فى بعض غزواته امرأة تعرضت عليه بلوعة وشهوة وقالت له يا منصور استمع ندائى انك فى طيب عيشك وأنا فى بكائى فسألها عن مصيبتها التى عمتها وغمتها فذكرت له أن لها ابنا أسيرا فى بلاد سماها وأنها لا تعيشها العقدة ولا يخمد صرام قلبها وتده وأنشدت لسان حالها الدلالة الملك العلى وغيث النجيى من الحلى فرحب المنصور بها وأظهر ارق لدمعها وخرج من القائلة الى تلك المدينة التى فيها ابنها وجاس أقطارها وعاثها حتى دوخها وأناخ عليها بكلكله وذللها وأعراها من حماتها وبيوت الاسلام المنصورة فيها وخلص جميع من فيها من الاسرى وجلبت عوامله الى قلوب الكفر كسرا وابتهلت بنون الاعداء حسرى وتلا لسان حال المرأة فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فهكذا تكون الهمة السلطانية والنخوة الايمانية فالله سبحانه يروح تلك الارواح فى الجنان ويرقى درجاتها ويعاملها بمحض الفضل والامتنان وقد ذكرت هنا والحديث شجون وبذكر المناسبات يبلغ الطلاب ما يرجون قضايا كتبه الاديب الكاتب أبو محمد ابن الامام الحافظ محدث الاندلس أبى عمر بن عبد البر النميرى الى المنصور بن أبى عامر وهو من ذرية المنصور الكبير الذى كنا نتحدث فى أخباره بعث اليه سلفه ومعاملهم لمن تقدم من آبائه تعظيم قدره وأكبره وهو عمر الله ببقاء سيدى ذكرى السالفين من أوطانه ومالكه عنان زمانه ومد عليه ظلال أمانه الى أبى الله الملك الكريم والسيد الرحيم المتفضلات لى أهله معاجركم فى سماء الفخار وأشرقت شموس مكارمكم على مفارق الاحرار وأسرت

واحتذى به جماعة من ذوى الضعف فى الآراء فقال ان هذا الرجل اول من اظهر آراء اصحابه من الحرابين [illegible] وهـد [illegible] الى ائمة [illegible] فى محل [illegible] واسط والسرة من [illegible] العراق [illegible] [illegible] ([illegible]) ابن انو [illegible] [illegible] كان فى [illegible] بالسرى [illegible] الرجل ممن [illegible] كسرى [illegible] الى ان هلك [illegible] وقيل [illegible] اشهر [illegible] فى الارض [illegible] بن طاح بن [illegible] ابن ساهردرس بن كيو [illegible] [illegible] من العرب الضحاك وسماه قوم بهراسب ولدس هو كذلك [illegible]

ثم نبث لرهر يهدى اليك من المهمة محامدها ومحاسنك الغر توقظ الشمس الآمال
رواسدها ايقنت أنه محوا عادت لك القلوب بانها وهادت اليك النفوس بازمتها
وتيت ان لا ألم الا احتمالك ولا أحد رحلا الا عندك علما بانك ثمرة الفخر وعترة الدهر
ممت ساريا في ساطع نورك ميمما بمن طائرك محققا للربح موقنا بالفلج والنجح حتى
حبيت في دوحة المجد وأنخت بدولة السعد واستشعرت لبسة الشكر والحمد وجعلت
أنظم من جواهر الكلام ما ترى على جواهر النظام ونثر من عطر الثناء ما ترى
بار وصه العطار وحاشا الله أن يعطل ليلي من أقمارك أو يخلى أفقي من أنوارك فاراني
مطرحا في برد ذلك ومنحطا الى غير ملكه لا جرم انه من استضاء بالهلال عن الذبال
ومن استنار بالصبح الى المصباح وبالله ما هزت امالي دواتها الى سوالك ولا حدت
أوصاري ركائبها الى من عداك ليكون في أثر الرسمي في الماحل وعلى جمال الحلي على
العاطل لسيادتك السنية ورياستك الاولية التي عدم عنها اصطبار اصطحابي و بعيا في
بعضها اسائي وابصاحي فاغراضنا عندك مناقبك تهي والاقلام في رسم ما اثرك
تحفي وما أمل الحسب في حدة الحصب ولا اجذل المدابر برضا المعتب كاملي في التعرز
بربك ولتجمل بحملتك والترمح بخدمتك فالسعيد من شأى في دولتك وظهر في
ايامك واستضاء بغرتك لقد فاز بالسبق من لحظه عين رعايتك وكنفه حوزة حمايتك
وبتا بي أمنت بعدله نوائب الايام ودويت بسلطانه دعائم الاسلام تختال لك المعالي
اختيال العروس وتخضع لجلالك اعزة النفوس سابقة اشهر من الفجر روضة أنور من
الزهر وهمة أبعد من الدهر

لقد قادني أضحى بكم متمسكا ۞ يشد على تأميل عزكم يدا
تجلت سمو الفجر حلاكم ۞ وغيرك لا يأتيه الا تجلدا
ودم لواء الدين لازلت فيهما ۞ تاركم في ظلمة الخطب يهتدى
لكم مجد متليد سم ۞ أعاره ماد في البلاد وأنجدا

ومثله أبقاه الله صحابة يستثير اراده فمرده وبستمطر ابراقه فيمطر حياة لا سيما وأنى
وأحدهما احسان أو انالك الطاهرين وأبقى عاما كابرك الاحرار الطيبين وحد بر
بعمولك وأمالك وبرك وأجمالك من اصلة ثابت في أهل محبتكم وفرعه ثابت في
حاصتكم

وما زمنى في عهد انتقده ۞ ولكنها في مفخر أستجده
في كل نوال كان أو هو كائن ۞ فلحظه طرف منك عندي نده
لكن في اصطناعي حسبما هويت ۞ من لك تقريبا الجواد وسعده
اذا كنت في شك من السيف فابله ۞ فاما تنافيه واما تعده
وما الصارم الهندي الا كغيره ۞ اذا لم يفارقه النجاد وغمده

ولا ناس أن يقول مولاي فرس الصنيعة في أرض الربوب ووضع الماء موضع النوب والله
سبحانه يبقى مولاي أحدا رمام الفخر ناهضا بأعباء البر مالكا لاعنة الدهر وصنع الله

كان ألف سنة وبقي في الارض
وللفرس فيه حصب دون
وانه مذ تدعى في جمر
داويد بن البرق وطرس ن
وقد كرته شعراء العرب
من تقدمو بمرو وقدامتر
اونواس بعد ز ثم أنه من
امر لان نادا امره لي
بعد الادوس يهن
معان
وكان له اتحاد بعده
جرمان والوحش في سائر
(ثم تعده امر يدون)
ان تسالس جند
الممالك لاقاليم الارض وحد
بيوراسب عدمس
داويد على حسب مادكرنا
وقد ذكر من الفرس
ومن يحدثهم مثل
بهر في مرى وغيره أن
الريدون جعل هذا اليوم
الذي قد فيه تم الشعاد
لهر عاد المهرجان على حسب
ما نور به عند الموضع
من هذا الكتاب وما قيل
في الملك وكانت دار مملكته
افريدون بابل وهذا الاقليم
هي ما بين قريته فمن وراه
يقال لها بابل على شاطئ
نهر من انهار الفرات ارض
العرب على سبعة من
المدينة المعروفة بمرباني
ونهر الفرس قريته العراق

سبحانه لسيدى أتم الصنع وأجله وأفضله وأكمله بمنه لا رب سواه انتهى (رجع الى أخبار المنصور الكبير) محمد بن أبى عامر رحمه الله وكما قدمنا انه قبض على الوزير الحاجب المصحفى مع انه كان أحد أتباعه (قال) صاحب كتاب روضة الازهار وبهجة النفوس ونزهة الابصار ولما أمر المنصور بن أبى عامر بسجن المصحفى فى المطبق بالزهراء ودع أهله وودعوه وداع الفرقة وقال لهم لستم ترونى بعدها حيا فقد أتى وقت اجابة الدعوة وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة وذلك انى أشركت فى سفك دم رجل فى عهد الناصر وما أطلقت الا برؤيا رأيتها بأن قيل لى أطلق ولا تعد فأجيبت فى ذلك دعوته فأطلقته فأحضره ... على دعوته على فقال دعوت على من شارك فى أمرى أن يميته الله فى أضيق السجون فقلت له ... فانى كنت ممن شارك فى أمرك وندمت حين لا ينفع الندم ويروى انه كتب للمنصور بن أبى عامر هذه الابيات

هبنى أسأت فأين العفو والكرم ● اذ قادنى نحوك الاذعان والندم

يا خير من مدت الايدى اليه أما ● ترثى لشيخ نعاه عندك القلم

بالغت فى السخط فاصفح صفح مقتدر ● ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

فأجابه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيرى

يا باهلا بعد ما زالت به القدم ● تبغى التكرم لما فاتك الكرم

ندمت اذ لم تعد منى بطائلة ● وقلما ينفع الاذعان والندم

نفسى اذا جمحت ليست براجعة ● ولو تشفع فيك العرب والعجم

وبقى فى المطبق حتى مات نعوذ بالله تعالى من دعوة المظلوم انتهى وقد ذكر بعضهم فى هذه الابيات زيادة حسبما ذكرناه فى غير هذا المحل فان هذه الابيات للمنصور وهذا المورخ مصرح بأنها لعبد الملك الجزيرى وقد يقال لا منافاة بينهما فان المنصور أجاب بالابيات وهل هو قائلها أم لا الامر أعم فيين هنا والله أعلم (وقال بعض مؤرخى المغرب) ان الحاجب المصحفى حصل له فى هذه النكبة من الهلع والجزع ما لم يظن انه يصدر من مثله حتى انه كتب الى المنصور بن أبى عامر يطلب منه أن يقعد فى دهليزه معلما لاولاده فقال المنصور بدهائه وحذقه ان هذا الرجل يريد أن يحط من قدرى عند الناس لانهم طالما رأونى بدهليزه خادما ومعظما وكيف يرونه الآن فى دهليزى معلما وكان المنصور يذهب به بعد نكبته معه فى غزواته حتى انه حكى بعضهم انه رأى الحاجب المصحفى فى ليلة فى المنصور وفيها الناس عن ايقاد النيران نعميه على العدو الكافر وهو ينفخ فحما فى كانون صغير وتحميه تحت ... أو كما قال ... انه مذيل الدول لا اله الا هو وقال هذا المصحفى بلغ من الجلالة والعظم والتحكم فى الدولة المدة المديدة أم لا مزيد عليه والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين (ولقد ذكر بعض علماء المغاربة) أن من أعاجيب انقلاب الدنيا بأهلها قصة المنصور بن أبى عامر مع الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى ولم يزل أعداء المنصور بن أبى عامر يتربصون به الدوائر فغلب سعده الذى هو المثل السائر وربما هموا بعض الشعراء بهجوه وهجو الدولة جميعا اذ قال

اقترب الوعد وحان الهلاك ● وكل ما تحذره قد أتاك

القرية ... فيها آثارا عظيمة من ردم وهدم وبنيان قد صارت كانها تلال وذهب كثير من الناس الى أن بها هاروت وماروت وهما الملكان المذكوران فى القرآن على حسب ما نص الله تعالى من ... القرية بابل وكان ملك الفرس يدعون ... وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقسم الارض بين ولده وقد قال فى ذلك بعض الشعراء ممن سلف من أبناء الفرس بعد الاسلام يذكر ولد افريدون الثلاثة

وقسمنا ملكنا فى دهرنا قسمة اللحم على ظهر وضم وجعلنا الشام والروم الى مغرب الشمس الى الغطريف سلم وأطوج جعل الترك له فبلاد الترك يحويها ابن عم ولايران جعلنا عنوة فارس الملك وفزنا بالنعم وللناس فيما ذكرنا خطب طويل وأن بلاد بابل أضيف الى ولد افريدون وهو ايراج وقتله أخواه فى حياة افريدون وهلك ولم يخلص له الملك فيعد فى الملوك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية اضافة هذا الاقليم الى ايراج واسقاطهم الجيم وجعلهم النون بدلا منها فقالوا ايران شهر والشهر الملك (ثم ملك بعد افريدون

خليفة يلعب فى مكتب * أمه حبلى وقاض ينالك

يعنى بالخليفة هشاما المؤيد لكونه كان صغيرا وأمه صبح البشتكية كان الاعداء يتهمون بها المنصور وذلك بهتان وزور وأفظع منه رميهم القاضى بالفجور والله عالم بسرائر الامور ونعوذ بالله من ألسنة الشعراء الذين لا يراعون الا ولا ذمة ويطلقون ألسنتهم فى العلماء والائمة وأظلم أهل الارض من كان حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب جدير بأن لا يدرك ما يؤمل ويتطلب لانه يعترض على الله سبحانه فى أحكامه نعوذ بالله من شر أنفسنا ومن شر كل ذى شر بجاه نبينا عليه أزكى صلوات الله وأفضل سلامه وقد قدمنا أن المنصور بن أبى عامر كان يخدم أولا جعفر بن عثمان المصحفى مدبر مملكة هشام المؤيد ويريه النصيحة وأنه ما زال يستجلب القلوب بجوده وحسن خلقه والمصحفى ينفرها ببخله وسوء خلقه الى أن كان من امره ما كان فاستولى على الحجابة وسجن المصحفى وفى ذلك يقول المصحفى

غرست قضيبا خلته عود كرمة * وكنت عليه فى الحوادث قيما
وأكرمه دهرى فيزداد خبثه * ولو كان من أصل كريم تكرما

ولما يئس المصحفى من عفو المنصور قال

لى مدة لا بد أبلغها * فاذا انقضت أيامها مت
لو قابلتنى الاسد ضارية * والموت لم يقرب لما خفت
فانظر الى وكن على حذر * فى مثل حالك أمس قد كنت

ومن أحسن ما نعى به نفسه قوله حسبما تقدم

صبرت على الايام حتى تولت * وألزمت نفسى صبرها فاستمرت
فوا عجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس بعد العز كيف استذلت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى * فان طمعت تاقت والا تسلت
وكانت على الايام نفسى عزيزة * فلما رأت صبرى على الذل ذلت
فقلت لها يا نفس موتى كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وأنشد له الفتح فى المطمح ونسبهما غيره لاحمد بن الفرج صاحب الحدائق

كلمتنى فقلت در سقيط * فتأملت عقدها هل تناثر
فازدهاها تبسم فأرتنى * نظم در من التبسم آخر

وله كما مر

صفراء تطرق فى الزجاج فان سرت * فى الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا من اناء فارغ

وله

يا ذا الذى أودعنى سره * لا ترج ان تسمعه منى
لم اجره بعدك فى خاطرى * كأنه مامر فى اذنى

وأنشد له صاحب بدائع التشبيهات

سالت نجوم الليل هل ينقضى الدجى * فخطت جوابا بالثريا كخط لا

أفريدون على حسب ما ذكرنا من التنازع فى نسبه والحاقه بايران بن منوجهر) بن ايران بن أفريدون وكان ملكه عشرين سنة وكان ينزل ببابل وقد قيل انه فى زمانه كان موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وكان لمنوجهر حروب مع عميه اللذين قتلا أباه وهما أطوج وسلم وقد أتينا على ذكر حروبهم فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد منوجهر سهم ابن ابان) بن أنقبان ابن بود بن منوجهر فنزل بابل وملك ستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكانت له حروب كثيرة وسير وسياسات كثيرة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان (ثم ملك بعده فراسياب) ابن أطوج بن ياسر بن رامى ابن آرس بن بورك بن ساسب بن زسست بن نوح بن دوم بن سرور بن أطوج بن أفريدون الملك وكان مولد فراسياب ببلد الترك فلذلك غلط من غلط من أصحاب الكتب والتصنيفات فى التاريخ وغيره فزعم انه تركى وكان تملكه على ما غلب عليه من البلاد اثنى عشر سنة وعمره عند كثير من الناس أربعمائة سنة ولاثنتى عشرة سنة خلت من ملكه ظهر عليه زو بن طهماسب بن كجهور بن عداست بن دايرج بن راع بن ماسر بن بود بن منوجهر الملك فهزمه وقتل أصحابه وكنت

وكنت أرى انى با آخر ليلتى * وأطرف حتى خلته عن أولا
وما عن هوى سامرتها غير اننى * أنافسها المجرى الى طرق العلا

انتهى (رجع) وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثمانى وهو متداول بين أهل الاندلس قالوا ثم آل امره الى الموحدين ثم الى بنى مرين قال الخطيب بن مرزوق فى كتاب المسند الصحيح الحسن ما ملخصه وكان السلطان أبو الحسن لا يسافر موضعا الا ومعه المصحف الكريم العثمانى وله عند أهل الاندلس شان عظيم ومقام كبير وكيف لا وقد قال ان ابن بشكوال اخرج هذا المصحف منها أى قرطبة وغرب منها وكان بجامعها الاعظم ليلة السبت ١١ شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فى أيام أبى محمد عبد المؤمن بن على وبامره وهذا احد المصاحف الاربعة التى بعث بها عثمان رضى الله تعالى عنه الى الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وما قيل ان فيه دم عثمان بعيد وان يكن أحدها فلعله الشامى قال ابن عبد الملك قال أبو القاسم التجيبي السبتى أما الشامى فهو باق بمقصورة جامع بنى أمية بدمشق المحروسة وعاينته هنالك سنة ٦٥٧ كما عاينت المكى بقبة اليهودية وهى قبة التراب قلت عاينتهما مع الذى بالمدينة سنة ٧٣٥ وقرأت فيها قال النخعى لعله الكوفى أو البصرى وأقول اختبرت الذى بالمدينة والذى نقل من الاندلس فالفيت خطهما سواء وما توهموه انه خطه بيمينه فليس بصحيح فلم يخط عثمان واحدا منها وانما جمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المدنى ونص ما على ظهره هذا ما أجمع عليه جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصى وذكر العدد الذى جمعه عثمان رضى الله تعالى عنه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم على كتب المصحف انتهى واعتنى به عبد المؤمن بن على ولم يزل الموحدون يحملونه فى أسفارهم متبركين به الى ان حمله المعتضد وهو السعيد على بن المأمون أبى العلاء ادريس ابن المنصور حين توجه لتلمسان آخر سنة ٦٤٥ فقتل قريبا من تلمسان وقدم ابنه ابراهيم ثم قتل ووقع النهب فى الخزائن واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر ونهب المصحف ولم يعلم مستقره وقيل انه فى خزائن ملوك تلمسان قلت لم يزل هذا المصحف فى الخزائن الى ان افتتحها امامنا ابو الحسن أواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧ فظفر به وحصل عنده الى أن أصيب فى وقعة طريف وحصل فى بلاد برتقال وأعمل الحيلة فى استخلاصه ووصل الى فاس سنة ٧٤٥ على يد احد تجار ازمور واستمر بقاؤه فى الخزائن انتهى باختصار واعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتناء كما ذكره ابن رشيد فى رحلته ولا بأس ان اذكر كلامه بجملته والرسالة فى شأن المصحف لما فيها من الفائدة ونص محل الحاجة منه أنشدنى الخطيب أبو محمد بن برطاله من لفظه وكتبته من خطه قال انشدنى الشيخ الفقيه القاضى أبو القاسم عبد الرحمن بن كاتب الخلافة أبى عبد الله بن عياش لابيه رحمهما الله تعالى مما نظمه وقد أمر امير المؤمنين المنصور بتحلية المصحف

ونقلته من كل ملك ذخيرة * كأنهم كانوا برسم مكاسبه
فان ورث الاملاك شرقا ومغربا * فكم قد أخلوا جاهلين بواجبه
وكيف يفوت النصر جيشا جعلته * أمام قناه فى الوغى وقواضبه

أكثر من ذلك وكان مسكنه ببابل وللفرس كلام طويل فى قتل فراسياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس والاتراك من الحروب والغارات وما كان من قتل سياوخش وخبر رستم ابن دستان هذا كله مشروح فى الكتاب المترجم بكتاب السكيكين ترجمه ابن المقفع من الفارسية الاولى الى العربية وخبر اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب وقتل رستم ابن دستان وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار لرستم وغير ذلك من عجائب الفرس الاولى وأخبارها وهذا الكتاب تعظمه الفرس لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم وقد أتينا بحمد الله على كثير من أخبارهم فيما سلف من كتبنا وقد قيل ان أول من نزل من الملوك بلخ وانتقل عن العراق كيكاوس وقد كان سار نحو اليمن بعد أن كان له بالعراق عمر دعلى الله و بنيان بناه لحرب السماء وكان ملك اليمن الذى سار اليه كيكاوس فى ذلك الوقت شمر بن افريقس وخرج اليه شمر فأسره وحبسه فى أضيق محبس فهويته ابنة لشمر يقال لها سعدى كانت تحسن اليه فى خفية من أبيها الى

وألبسته الياقوت والدر حلية * وغيرك قد رواه من دم صاحبه

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكر كيفية الامر في وصوله الى الخليفة امير المؤمنين عبد المؤمن وما أبدى في ذلك من الامور الغريبة التي لم يسمع بمثلها في سالف الدهر حسبما أطرفنا به الوزير الاجل ابو زكريا يحيى بن احمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي حفظه الله تعالى وشكره مما استفاده وافاده لما لم نسمع به قبل عن كتاب جده الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور بما تضمنه من وصف قصة المصحف فقال وصل اليهم ادام الله سبحانه تأييدهم قمرا الاندلس النيران واميراها المتخيران السيدان الاجلان ابو سعيد وابو يعقوب ايدهما الله وفي صحبتهما مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف وما زال ينقله خلف عن سلف وقد حفظ شخصه على كثرة المتداولين وذخره الله لخليفته المخصوص بن سخر لخدمه من المتداولين وله من غرائب الانباء ومتقدم الاشعار بما آل اليه امره من الاثمار ما ملئت به الطروس وتحفظه من أهل الاندلس الرائس والمرؤس فتلقي عند وصوله بالاجلال والاعظام وبودر اليه بما يجب من التبجيل والاكرام وعكف عليه اطول العكوف والتزم أشد الالتزام وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة ما هو معتبر لاولي الالباب وبلاغ في الاغراب والاعجاب وذلك ان سيدنا ومولانا الخليفة امير المؤمنين أدام الله له عوائد النصر والتمكين كان قبل ذلك بايام قد جرى ذكره في خاطره الكريم وحركته اليه دواعي خلقه العظيم وتراءى مع نفسه المطمئنة المرضية وسجاياه الحسنة الرضية في معنى اجتلابه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم ووطنه الموصل بحرمته للتقديم فتوقع ان يتأذى أهل ذلك القطر بفراقه ويستوحشوا لفقدان اضاءته في أفقهم واشراقه فوقف عن ذلك لما جبل عليه من رحمته واشفاقه فاوصله الله اليه تحفة سنية وهدية هنية وتحية من عنده مباركة زكية دون ان يكدرها من البشر اكتساب أو يتقدمها استدعاء او اجتلاب بل أوقع الله سبحانه وتعالى في نفوس اهل ذلك القطر من الفرح بارساله الى مستحقه والتبرع به الى القائم الى الله تعالى بحقه ما اطلع بالمشاهدة والتواتر على صحته وصدقه وعضدت مخايل برقه سوا كب ودقه وكان ذلك من كرامات سيدنا ومولانا الخليفة معدودا والى أمره الذي هو أمر الله مردودا وجمع عند ذلك بحضرة مراكش حرسها الله تعالى سائر الابناء الكرام والسادة الاعلام بدور الآفاق وكواكب الاشراق وأهل الاستئهال للمقامات الرفيعة والاستحقاق فانتظم عند ذلك هذا القصيد مشيرا الى اجتماع هذه الدراري الزاهرة والتئام خطوطها على مركز الدائرة ووصول المتقدم ذكره المشهور في جميع المعمور امره وهو هذا

دراري من نور الهدى تتوقد * مطالعها فوق المجرة أسعد
وانهار جود كلما امسك الحيا * يمد بها طامي الغوارب مزبد
وآساد حرب غابها شجر القنا * ولا لبد الا العجاج الملبد
مساعير في الهيجا مساعير للندى * بايديهم يحمى المجير و يرد

من معه من أصحابه وهلك في محبسه أربع سنين حتى اسره رستم بن دستان من بلاد سجستان سرية فيها أربعة آلاف فقتل ملك اليمن شمر بن فريقس واستنقذ كيكاوس ورده الى ملكه وسعدى معه فاعتلت عليه واغرته بولده سياوخش حتى كان من امره مع فراسياب التركي واستئمانه اليه وتزوجه بابنته حتى جاءت منه بكيخسرو ما كان من قتل فراسياب بسياوخش بن كيكاووس وقتل رستم بن دستان لسعدى واخذه بطائلة سياوخش فقتل من قتله من وجوه الترك وعند الفرس على ما في كتاب السكيكين ان كيخسرو كان قبله على الملك جده لابيه وهو كيكاووس ولم يعلم من هو ولم يكن لكيخسرو عقب فجعل الملك في لهراسب وهؤلاء القوم كانوا يسكنون بلخ وكانت دار مملكتهم وكان يدعى نهر بلخ وهو جيحون لغتهم كالف وكذلك يسميه كثير من اعاجم خراسان في هذا الوقت بهذا الاسم فلم يزالوا كذلك الى أن صار الملك الى جاي ابنة بهمن بن أسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب فانتقلت الى العراق وسكنت نحو المدائن ثم كان بعد كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس الملك الى لهراسب بن منوچهر بن كيناسس بن كيناسه بن كيقباذ الملك فعمر البلاد وأحسن السيرة

تشب

تشب بهم نار ان الحرب والقرى * ويجرى بهم سيلان جيش وعسجد
ويستمطرون البرق والبرق عندهم * سيوف على أفق العداة تجرد
اذا من سجف السائرات مضاؤها * فماذا الذى يغنى الحديد المسرد
ويسترشدون النجم والنجم عندهم * نصول الى حب القلوب تسدد
تزاحم فى جو السماء كأنما * عواملها فى الأفق صرح ممرد
تجاوز ألحاظ الكواكب دونها * ويفرق منها المرزمان وفرقد
ألم ترها فى الافق خافقة الحشا * كما تطرف العينان والقلب يرأد
وليس احمرار القمر من أثر السنى * ولكنه ذاك اجيج المورد
وما انبسطت كف الثريا فداوعت * ولكنها فى الحرب شلو مبدد
وحط سهيلا دهره عن سميه * فاضحى على افق البسيطة يرعد
ولما رأى نسر وقوع أليفه * تطاير من خوف فما زال يجهد
مواقع أمر الله فى كل حالة * يكاد لها رأس الثرى يتميد
اهاب بأقصى الخافقين فنظمت * وهيب جميع المخفقين تبددوا
واضفى على الدنيا ملابس رحمة * نضارتها فى كل حين تجدد
وأخضل أرجاء الربا فكأنما * عليها من النبت النضير زبرجد
فمن طرب ما اصبح البرق باسما * ومن فرح ما اصبحت المزن ترعد
وغنى على افنان كل اراكة * غداة احيا العمائم حمام مغرد
وكبر دو نطق وسبح صامت * وكاد به المعدوم يحيا ويوجد
وابرز للاذهان ما كان غائبا * فسيان فيها مطلق ومقيد
سلام على المهدى أما ضياؤه * فجم وأما أمره فمؤكد
امام الورى عم البسيطة عدله * على حين وجه الارض بالجور اربد
بصير رأى الدنيا بعين جلية * فلم يعنه الا المقام الممجد
ولما مضى والامر لله وحده * وبايع مأمول وأنجز موعد
تردى امير المؤمنين رداءه * وقام بامر الله والناس هجد
بعزمة شجعان الفؤاد مصمم * يقوم به اقصى الوجود ويقعد
مشيئته ما شاءه الله انه * اذا هم فالحكم الالهى يسعد
كتائبه مشفوعة بملائك * تزاد بها فى كل حال وترفد
وما ذاك الا نية خلصت له * فليس له فيما سوى الله مقصد
اذا خطبت راياته وسط محفل * ترى هام الاعداء فى الترب تسجد
وان نطقت بالفصل فيهم سيوفه * اقر بامر الله من كان يجحد
معيد علوم الدين بعد ارتفاعها * ومبدى علوم لم تكن قبل تعهد
وباسط انوار الهداية فى الورى * وقد ضم قرص الشمس فى الغرب ملحد
وقد كان ضوء الشمس عند طلوعها * يغار بها كناف الضلال ويخمد

لرعيته وشملهم عدله ولسنين خلت من ملكه مال بنى اسرائيل منه محن وشتتهم فى البلاد وكانت له معهم
أقاصيص يطول ذكرها
وذكر فى بعض الروايات
من أخبار الفرس انه بنى
بلخ الحسناء لما فيها من
المياه والشجر والمروج
وكان ملكه مائة وعشرين
سنة وقد ذكر حروبه له
مع الترك وما كان منهم
فى حصاره وقد اخذ ثاره
بعد ذلك فى كتب قدماء
الفرس وقد ذكر كثير من
ذى أخبار الفرس أن
بختنصر مرزبان العراق
والمغرب كان من قبل هذا
الملك وهو الذى وطئ
الشأم وفتح بيت المقدس
وسبى بنى اسرائيل وكان
من أمره بالشأم والمغرب
ما قد اشتهر والعامة تسميه
بخت ناصر وأكثر
الاخباريين والقصاص
يغالون فى أخباره ويبالغون
فى وصفه والمنجمون فى
زيجاتهم وأهل التواريخ
فى كتبهم يجعلونه ملكا
وانما كان مرزبان على
ما وصفنا للملوك ممن ذكرنا
وتفسير مرزبان يراد به
صاحب ربع من المملكة
وصاحب ناحية وواليها
وقد كان حمل سبايا بنى
اسرائيل الى الشرق وتزوج
منهن امرأة يقال لها دينارزاد
فكانت سبب رد بنى اسرائيل
الى بيت المقدس وقيل ان دينارزاد ولدها الهراسب بن كشتاسب وقيل غير ذلك من الوجوه وان حملا من نسل بنى اسرائيل

من مها وقيل ان [illegible] يصح [illegible] يعقب [illegible] بالمختصر وقيل فى المختصر [illegible] هذا الموضع [illegible] [illegible] ويد أوح [illegible] [illegible] بزمان [illegible] صاحب كتاب القانون [illegible] من علاقة [illegible] بن ابيش المدنى (ثم مات [illegible] [illegible]) [illegible] وهو [illegible] [illegible] أن [illegible] دومين [illegible] الملك وكان من أهل [illegible] والا [illegible] [illegible] وهو من [illegible] بالحروف بالرمية [illegible] عراء [illegible] [illegible] وأتى [illegible] بالمعجزات [illegible] عن الكلمات من المعميات قد [illegible] الكليات والجزئيات والكليات هى

فاراد يجلوس مطالعها الصدا * ويبرزها سماء والجو أسود

جزى الله من هذا الامام خليفة * به شربوا ماء الحياة فخلدوا

ودامت محاسن ذكره * على مدرج الايام تتلى وتنشد

لمصحف عثمان الشهيد وجمعه * تبين أن الحق بالحق يعضد

تحامته ايدى الروم بعدا تسامه * وقد كاد لولا سعده يتبدد

فما هو الا أن [illegible] صارخ * بدعوته العليا وصين المبدد

وجاء ولى الثار يرغب نصره * فلم [illegible] عزمه المتجرد

ورأى أثر المسفوح فى صفحاته * فقام لأخذ الثار منه مؤيد

[illegible] بالغدر قبل خروجه * لله شديد به الشرع يشهد

زمان ربعاع العلم كان خروجه * وقد عاد بالمهدى والعود أحمد

اتتك امير المومنين ألوكة * من الحرم الاقصى لامرك تعهد

سيوف بنى عبلان قامت شهيرة * لدعوتك العليا تهدى وترشد

وسادت بيت الله فاشتد شوقه * اليك ولى منه حجر ومسجد

وحج اليك النار كن والمروة الصفا * فانت لذاك الحج حج ومقصد

[illegible] هذا الاجسام والروح امركم * ومنكم لها رمى المقام المخلد

[illegible] [illegible] [illegible] * انتم لم يبرح لك بالعرب مشهد

والله [illegible] [illegible] * [illegible] الاسلام قدما وتسعد

اذا لم يكن الا اولئك [illegible] * فاذا الذى يرجو القصى المعبد

فدم للورى [illegible] وعراو [illegible] * فترتك فى الدار ين مبتع ومسعد

وزادتك الاعياد حسنا و بهجة * كأنك للاعياد زى مجدد

ولازلت للايام تملى [illegible] يدها * وتمرك فى ربعانه ليس ينفد

ثم انهم ادام الله سبحانه تأييدهم ووصل سعودهم لما ارادوا من المبالغة فى تعظيم المصحف المذكور واستخدام البواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزيز شرعوا فى انتخاب كسوته وأخذوا فى اختيار حليته وتأنقوا فى استعمال أحفظته و بالغوا فى استجادة أصونته فحشروا الصناع المهرة ممن كان بحضرتهم العلية وسائر البلاد القريبة والقصية فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والصانعين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزراقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب الى الحذق فى صناعة لا حضر للعمل فيه والاشتغال بمعنى من معانيه فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل امثلة مخترعة واشكال مبتدعة وضمنوها من غرائب الحركات وخفى امداد الاسباب للمسببات ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم واستفرغوا فيه جهد قوتهم والهمة العلية أدام الله سموها تترقى فوق معارجهم وتتخلص كالشهاب الثاقب وراء سوالجهم وتنيف على ما ظنوه الغاية القصوى من لطيف مداركهم فسلكوا من عمل هذه الامثلة كل شعب وركبوا من منتشرها

لاشياء العامة والجزئيات هى الاشياء الخاصة مثل زيد يموت يوم كذا و عرض كل

كل شعب وأشرفوا عند تحقيقها وابرازدقيقها على كل صعب فكانت منهم وقفة كادت لها النفس تيأس عن مطلبها والخواطر تكر راجعة عن خفي مقصدها حتى أطلع الله خليفته في خلقه وأمينه المرتضى لاقامة حقه على وجه انقادت فيه تلك الحركات بعد اعتياصها وتخلصت اشكالها عن الاعتراض على أحسن وجوه خلاصها القواذلك امدهم الله بنصره وامدهم بمعونته و بسره الى المهندسين والصناع فقبلوه احسن القبول وتصوروه بأذهانهم فراوه على مطابقة المأمول دو قفهم حسن تنبيهه مما جهلوه على طور غريب من موجبات التعظيم وعلموا أن الفضل لله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم و [illegible] الى تفصيل تلك الحركات المستغربة والاشكال الموثقة المعجبة ان شاء الله تعالى [illegible] للمصحف العظيم من الاصونة الغريبة والاحفظة العجيبة انه كسي كله صوان واحد من الذهب والفضة ذي صنائع غريبة من ظاهره وباطنه لا يشبه بعضها بعضا [illegible] من الوان الزجاج الرومي ما لم يعهد له في العصر الاول مثال ولا عرفت به شبه حضر ولا بال وله مفاصل تجتمع اليها اجزاؤه و تلتئم وتتناسق عندها عجائبه وتنتظم [illegible] للحرك أعطافها واحكم انشاؤها على النعمة وانعطافها وتضم على صحيفته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس الدر وعظيم الزمرد ما لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية متنافس في افراده وتتوارثه على مرور الزمن وترداده وتضن العز الاعمر والملك الانفس في ادخاره واعداده وتسمى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشذوذه في صنعه وانفراده فانتظم عليه منها ما شاكله زهر الكواكب في تلألئه واتقاده واشبه الروض المزخرف غب سماء اقلعت عن امداده واتى هذا الصوان الموصوف رائق المنظر آخذا بمجامع القلوب والبصر [illegible] بصورته الغريبة على جميع الصور يدهش العقول بهاء ويحير الالباب رواء ويكاد يعشى الناظر تألقا وضياء فحين تمت خصاله واستركبت اوصاله وحان ارتباطه بالمصحف العظيم واتصاله رأوا ادام الله تأييدهم واعلى كلمتهم بما رزقهم الله تعالى من ملاحظة الجهات والاشراف على جميع الثنيات ان يتلطف في وجه يكون به هذا الصوان المذكور طورا متصلا وطورا منفصلا ويتأتى به للمصحف الشريف العظيم أن يبرز تارة للخصوص متبذلا وتارة للعموم متجملا اذ معارج الناس في الاستبصار تختلف وكل له مقام اليه ينتهي وعنده يقف فعمل فيه على مشاكلة هذا المقصد وتلطف في تتميم هذا الغرض المعتمد وكسي المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الاخضر ذي حلية عظيمة خفيفة تلازمه في المغيب والمحضر ورتب ترتيبا يأتي معه أن يكسى بالصوان الاكبر فيلتئم به التئاما يغطي على العين من هذا الاثر وكمل ذلك كله على اجمل الصفات واحسنها وابدع المذاهب وأتقنها وصنع له محمل غريب الصنعة بديع الشكل والصبغة ذو مفاصل ينبو عن دقتها الادراك و يشهد بها الارتباط بين المفصلين وصح الاشتراك معشى كله بضروب من الترصيع وفنون من النقش البديع في قطع من الآبنوس والخشب الرفيع لم تعمل قط في زمان من الازمان ولا انتهت قط الى ايسره نواقد الاذهان مدار بصفائح قد أجريت في صفائح الذهب وامتدت امتداد ذوائب الشهب وصنع لذلك المحمل كرسي يحمله عند

فلان في وقت كذا وولد فلان في وقت كذا وأشباه ذلك ومعجم هذا الكتاب بالورق على [illegible] من حروف احرف المعجم وليس في سائر اللغات أكثر حروفا من هذه وهم خط طويل [illegible] أتينا على ذكره في كتابنا [illegible] الزمان والكتاب الاوسط وأتى زرادشت بكتاب [illegible] هذه اللغة يعجزون عن ايراد مثله ولا يدركون [illegible] مرادها [illegible] كر [illegible] الموضع من هذا الكتاب [illegible] أن زرادشت [illegible] على [illegible] التفسير [illegible] التفسير [illegible] الكتاب في اثني عشر الف مجلد بالذهب [illegible] وأمر [illegible] من الشرائع والعادات [illegible] تزل الملوك تعمل على هذا الكتاب الى عهد الاسكندر وما كتب من فلسفة [illegible] دارا حرق الاسكندر بعض هذا الكتاب [illegible] صار الملك بعد الطوائف الى أردشير بن بابك جمع الفرس على قراءة سورة منه فقال لها [illegible] في هذا الوقت لا يعرفون غيرها من الكتاب الاول [illegible] ثم عمل زرادشت تفسيرا عند عجزهم عن فهمه وسموا التفسير زند ثم عمل للتفسير تفسيرا وسماه بازند ثم عمل علماؤهم بعد وفاة زرادشت تفسيرا لتفسير التفسير وشرحا لسائر ما ذكرنا وسموا هذا التفسير بارده والمجوس الى هذا الوقت يعجزون عن حفظ كتابهم [illegible]

الآنسة ن و بشارته في أكثر الاحوال موضع مثل ترصيعه الغريب ومثال كل له في
جودة التقسيم وحسن الترتيب وصنع لذلك كله تابوت يحتوي عليه احتواء المشكاة على
أنوارها والصدور على محفوظ أسرارها مكعب الشكل سام في الطول حسن الجملة
والتفصيل بالغ ما شاء من التتميم في أوصاله والتكميل جار مجرى المحمل في التزيين
والتجميل وله في أحد جوانبه باب ركبت عليه دفتان قد أحكم ارتجاجهما ويسر بعد
الاحكام انفراجهما ولانفتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسي من تلقائه وتركب المحمل عليه
ما دبرت الحركات الهندسية وتلعبت التنبيهات القدسية وانتظمت العجائب المعنوية
والحسية والتأمت الذخائر النفيسة والنفسية وذلك أن باسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه
موضع قد اعد له مفتاح لطيف يدخل فيه فاذا ادخل ذلك المفتاح فيه وادبرت به اليد انفتح
الباب بانعطاف الدفتين الى داخل الدفتين من تلقائهما وخرج الكرسي من ذاته بما عليه الى
أقصى غايته وفي خلال خروج الكرسي يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركته يأتي
بها من مؤخر الكرسي زحفا الى مقدمه فاذا كمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم
عليه انغلق الباب برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما دون ان يمسهما أحد وترتيب
هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف شيء آخر فاذا أدير المفتاح الى
خلف الجهة التي ادير اليها اولا انفتح اولا الباب وأخذ الكرسي في الدخول والمحمل في التأخر
عن مقدم الكرسي الى مؤخره فاذا عاد كل الى مكانه انسد الباب بالدفتين أيضا من تلقائه كل
ذلك يترتب على حركة المفتاح كالذي كان في حال خروجه وصحة هذه الحركات اللطيفة على
اسباب ومسببات غائبة عن الحس في باطن الكرسي وهي مما يدق وصفها ويصعب ذكرها
اظهرتها بركات هذا الامام السعيد وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة أدام الله تعالى أمرهم وأعز
نصرهم وفي خلال الاشتغال بهذه الاعمال التي هي غرر الدهر وفرائد العمر أمرنا أدام
الله تعالى تأييدهم ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله تعالى فبدئ ببنائه وتأسيس
قبلته في العشر الاول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وكمل منتصف
شعبان المكرم من العام المذكور على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع وأفسح المساحة وأبعد
البناء والنجارة وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر والمقصورة ما لو عمل في السنين
العديدة لاستغرب تمامه فكيف في هذا الامد اليسير الذي لم يتخيل أحد من الصناع أن
يتم فيه فضلا عن بنائه وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور ونهضوا أدام الله
سبحانه تأييدهم عقب ذلك لزيارة البقعة المكرمة والروضة المعظمة بمدينة تينملل أدام
الله رفعتها فأقاموا بها بقية شعبان المكرم وأكثر شهر رمضان المعظم وحملوا في
صحبتهم المصحف العزيز ومعه مصحف الامام المهدي المعلوم رضي الله تعالى عنه في التابوت
الموصوف اذ كان قد صنع له غرو في أعلاه وأحكمت فيه احكاما كمل به معناه واجتمع
في مشكاته فعاد النور الى مبتداه وختم القرآن العزيز في مسجد الامام المعلوم ختمات
كادت لا تحصى لكثرتها وهنا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوب ثم قال ابن رشيد بعد
ايراد ما تقدم ما صورته تجزت الرسالة في المصحف العظيم والحمد لله رب العالمين انتهى محل

بالحفظ من جزئه فيتلوه
ويبتدئ الثاني منه فيتلو
جزأ آخر والثالث كذلك
الى أن ينتهي الجميع على
سراء سائر ... الى آخر
الواحد منهم حتى ... على
الكمال ... كانوا ...
ان ... بعد
ثلثمائة ... شهر يحفظ
هذا الكتاب على الكمال
وكان ملك كشتاسب الى
أن هلك مائة وعشرين
ومائة سنة وكانت مدة نبوة
زرادشت فيهم خمسة
وثلاثين سنة وهلك وهو ابن
سبع وسبعين سنة ولما هلك
زرادشت (ولي مكانه
جاماس العالم) وكان من
اهل اذربيجان وهذا اول
موبذ قام فيهم بعد زرادشت
نفسه وملك كشتاسب الملك
ثم ملك بعده بهمن بن
اسفنديار بن كشتاسب بن
بهراسب وكان له حروب
كثيرة مع رستم صاحب
سجستان الى أن قتل رستم
ووالده دستان وقيل ان أم
بهمن كانت من بني اسرائيل
من ولد طالوت الملك وانه
هو الذي بعث بالبخت نصر
مرزبان العراق الى بني
اسرائيل وكان من أمرهم
ما وصفنا وكان ملك بهمن
الى أن هلك مائة واثنتي
عشرة سنة وقيل انه في ملكه رد بقايا بني اسرائيل الى بيت المقدس فكان مقامهم ببابل الى أن رجعوا الى

الحاجة منه * وما أحسن قول الشيخ الامام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية يستودع أهل قرطبة

أستودع الله أهل قرطبة * حيث وجدت الحياء والكرما
والجامع الاعظم العتيق ولا * زال مدى الدهر مأمنا حرما

وقال أبو الربيع بن سالم حدثني بذلك أبو الحسن عبد الرحمن بن ربيع الاشعري قال أنشدني أبو محمد بن عطية لنفسه فذكرهما بعد أن قال انه لما أزمع القاضي أبو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع وأنشدني البيتين انتهى * وقال ابن عطية أيضا رحمه الله تعالى

بأربع فاقت الامصار قرطبة * وهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة * والعلم أكبر شيء وهو رابعها

وقد تقدم انشادنا لهذين البيتين من غير نسبتهما لأحد * ومما يدخل في أخبار الزاهرة من غير ما قدمناه ما حكاه عن نفسه الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حزم قال نادمت يوما المنصور ابن أبي عامر في منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير وهي جامعة بين روضة وغدير فلما تضمخ النهار بزعفران العشي ورفرف غراب الليل الدجوجي وأسبل الليل جناحه وتقلد السماك رمحه وهم النسر بالطيران وعام في الافق زورق الزبرقان أوقدنا مصابيح الراح واشتملنا ملاءة الارتياح وللشجن فوقنا رواق مضروب غنتنا عند ذلك جارية تسمى أنس القلوب وقالت

قدم الليل عند سير النهار * وبدا البدر مثل نصف السوار
فكأن النهار صفحة خد * وكأن الظلام خط عذار
وكأن الكؤس جامد ماء * وكأن المدام ذائب نار
نظري قد جنى على ذنوبا * كيف مما جنته عيني اعتذاري
يالقومي تعجبوا من غزال * جائر في محبتي وهو جاري
ليت لو كان لي اليه سبيل * فأقضي من الهوى أوطاري

قال فلما أكملت الغناء أحسست بالمعنى فقلت

كيف كيف الوصول للاقمار * بين سمر القنا وبيض الشفار
لو علمنا بأن حبك حق * لطلبنا الحياة منك بثار
واذا ما الكرام همّوا بشيء * خاطروا بالنفوس في الاخطار

قال فعند ذلك بادر المنصور لحسامه وغلظ في كلامه وقال لها قولي واصدقي الى من تشيرين بهذا الشوق والحنين فقالت الجارية ان كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى والله ما كانت الا نظرة ولدت في القلب فكرة فتكلم الحب على لساني وبرح الشوق بكتماني والعفو مضمون لديك عند المقدرة والصفح معلوم منك عند المعذرة ثم بكت فكأن دمعها در تناثر من عقد أوطل تساقط من ورد وأنشدت

أذنبت ذنبا عظيما * فكيف منه اعتذاري
والله قدّر هذا * ولم يكن باختياري

بيت المقدس سبعين سنة وذلك في أيام كورس الفارسي الملك على العراق من قبل بهمن وبهمن يومئذ ببلخ وقد قيل ان أم كورس كانت من بني اسرائيل وكان دانيال الاصغر خاله وكانت مدة ملك كورس ثلاثا وعشرين سنة وفي وجه آخر من الروايات أن كورس كان ملكا برأسه لامن قبل بهمن وذلك بعد انقضاء ملك بهمن وان كورس من ملوك الفرس الاولى وليس هذا عاما في كتب التواريخ القديمة ودانيال الاكبر كان بين نوح وابراهيم الخليل عليهما السلام وهو الذي استخرج العلم وما يحدث في الازمان الى أن تنقضي الارض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث في السنين والشهور من الحوادث ودلائل ذلك في الافلاك ولما رجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس استخرجوا التوراة وغيرها من المواضع التي خبئت فيها من الارض على ما قدمنا (ثم ملكت خماي) بنت بهمن بن اسفنديار ابن كشتاسب بن بهراسب وكانت تعرف بأمها شهرزاد ولهذه الملكة سير وحروب مع الروم وغيرهم من ملوك الارض وكانت حسنة السياسة لاهل مملكتها وكان ملكها بعد أبيها بهمن ثلاثين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك

والعفو أحسن شئ * يكون عند اقتدار

قال فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب الى وسل سيف السخط على فقلت أيدك الله تعالى انها كانت هفوة جرها الفكر وصبوة أيدها النظر وليس للمرء الا ماقدر له لاما اختاره وأمله فأطرق المنصور قليلا ثم عفا وصفح وتجاوز عنا وسمح وخلى سبيلى فسكن وجيب قلبى وغليلى ووهب الجارية لى فبتنا بأنعم ليلة وسحبنا فيها للصبا ذيله فلما شمر الليل غدائره وسل الصباح بواتره وتجاوبت الاطيار بضروب الالحان فى أعالى الاغصان انصرفت بالجارية الى منزلى وتكامل سرورى * قال بعضهم ذكرتنى حكاية أبى المغيرة هذه حكاية قرأتها فى النوادر لابى على القالى البغدادى حذت فى الظرف حذوها وزهت فى الاغراب زهوها وهى ما أسنده عن منصور البرمكى انه كانت للرشيد جارية علامية وكان المأمون يميل اليها وهو اذ ذاك أمرد فوقفت تصب على يد الرشيد من ابريق معها والمأمون خلف الرشيد فاشار اليها يقبلها فأنكرت ذلك بعينها وأبطأت فى الصب على قدر نظرها للمأمون واشارتها اليه فقال الرشيد ما هذا ضعى الابريق من يدك ففعلت فقال لها والله لئن لم تصدقينى لأقتلنك فقالت ياسيدى أشار الى كأنه يقبلنى فانكرت ذلك عليه فالتفت الى المأمون فنظر اليه كأنه ميت لما داخله من الجزع والخجل فرحمه وضمه اليه وقال ياعبد الله أتحبها قال نعم ياأمير المؤمنين قال هى لك فادخل بها فى تلك القبة ففعل ثم قال له هل قلت فى هذا الامر شيأ فقال نعم ياسيدى وأنشد

ظبى كنيت بطرفى * من الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
ورد أخبث رد * بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكانى * حتى قدرت عليه

وفى هذا المعنى يقول بعض البلغاء اللحظ يعرب عن اللفظ (وقال آخر) رب كناية تغنى عن ايضاح ورب لفظ يدل على ضمير ونظمه الشاعر فقال

جعلنا علامات المودة بيننا * دقائق لحظ هن أمضى من السحر
فأعرف منها الوصل فى لين لحظها * وأعرف منها الهجر بالنظر الشزر

(وفى هذا قال بعض الحكماء) العين باب القلب فما فى القلب يظهر فى العين (وقال الشاعر)

العين تبدى الذى فى نفس صاحبها * من المحبة أو بغض اذا كانا
فالعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

انتهى (وأبو المغيرة بن حزم قال فى حقه فى المطمح مانصه) الوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب ابن حزم وأبو حزم فقيه علم وأدب ونبيه مجد وحسب وأبو المغيرة هذا فى الكتابة أوحد لاينعت ولايحد وهو فارس المضمار حامى ذلك الذمار وبطل الرعيل وأسد ذلك الغيل نسق المعجزات وسبق فى المعضلات الموجزات اذا كتب وشى المهارق ودبج وركب من بحر البلاغة الثبج وكان هو وأبو عامر بن شهيد خليلى صفاء وحليفى وفاء لاينفصلان فى رواد ولا مقيل ولا يفترقان كمالك وعقيل وكانا بقرطبة رافعى ألوية الصبوة وعامرى

ن بهمن بن اسفنديار وكان ملكه اثنتى عشرة سنه وكان ينزل ببابل (ثم بعدها اخ لها يقال له دارا) ملك دارا) بن دارا بن بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب والفرس تسمى دارا هذا باللغة الاولى من لغاتهم دارا بنوس وهو الذى قتله الاسكندر بن فيلبش المقدونى وكان ملكه الى أن قتل ثلاثين سنة وقد ذكر أن منوجهر حين انهزم من حرب فراسياب التركى سار الى جبل طبرستان فتحصن به ثم ثاب بعد ذلك ومعه خيل فحارب فراسياب التركى وقد وطئ العراق وغلب على الاقاليم فهرب الى أرض الترك (وان الملك صار بعد منوجهر الى أخوين) وقيل بل كانا شريكين فى الملك متظافرين متعاونين على عمارة الارض ومحاربة فراسياب احدهما (بهماست) بن كيجهر بن دوزدف بن هوست بن دايدسك بن دوس بن منوجهر والآخر (كرساسب) ابن غار بن طهماسب بن آسك بن آيرنس بن أدج ابن دوس بن منوجهر وكان كرساسب محاربا لفراسياب ومنازلا له والآخر هو بهماست لازم بالعراق يعمر ما خربه فراسياب من الارض واحتفر النهرين المعروفين بالزابين الصغير والكبير على حسب ماقدمنا من ذكرهما فى

اندية السلوة الى أن اتخذ أبوعامر فى حبالة الردى وعلق وغدارهنـه فيها وغلق فانفرد أبو المغيرة بذلك الميدان واسترد من سبقه مافاته منذ زمان فلم تذكر له مع أبى عامر حسـنة ولا سرت له فقرة مستحسنة لتعذر ذلك وامتناعه بشفوف أبى عامر وامتداد باعـه وأمّا شعر أبى المغيرة فمرتبط بنثره ومختلط زهره ببدره وقـد أثبت له منه فنونا تجن بها الافهام جنونا فمن ذلك قوله

ظعنت وفى أحداجها من شكلها * عـين فضحن بحسنهن العينا
ما أنصفت فى جنب توضح اذ قرت * ضـيف الوداد بلابـلا وشجونا
أضحى الغـرام قطين ربع فؤاده * اذ لم يجـد بالرقمتـين قطينا

(وله)

لما رأيت الهـلال منطويا * فى غرة الفجر قارن الزهره
شبهته والعيان يشـهد لى * بصولجان انثنى لضرب كره

انتهى (وأبو عامر بن شهيد المذكور قال فى حقه ماصورته) الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيـد الاشجعى عالم بأقسام البلاغة ومعانيها حائز قصب السبق فيها لا يشبهه أحـد من أهل زمانه ولا ينسق ما نسق من در البيان وجمانه توغل فى شعاب البلاغة وطرقهـا وأخذ على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها لا يقاومه عمرو بن بحر ولا تراه يغترف الا من بحر مع انطباع مشى فى طريقه بأمد باع وله الحسب المشهور والمكان الذى لم يعده ظهور وهو من ولد الوضاح المتقلد تلك المفاخر والاوضاح والضحاك صاحب يوم المـرج وراكب ذلك المرج وأبو عامر حفيده هذا من ذلك النسب ونبع لا يراش الا من ذلك الزغب وقد أثبت له ما هو بالسحر لاحق ولنور المحاسن ماحق (فمن ذلك) قوله

ان الكـريم اذا نابته مخمصة * أبدى الى النـاس ريا وهو ظمآن
يحنى الضلوع على مثل اللظى حرقا * والوجـه غمـر بماء البشر ريان

وهو مأخوذ من قول الرضى

ما ان رأيت كمعشر صـبروا * عـزا عـلى الازلات والازم
بسطوا الوجوه وبين اضلعهم * حر الجـوى ومآلم الكلم

(وله أيضا)

كلفت بالحب حتى لو دنا أجـلى * لما وجـدت لطـعم المـوت من ألم
كلا الندى والهوى قدما ولعت به * ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

(وأخبرنى) الوزير أبو الحسن بن سراج الدين وهو بمنزلة ابن شهيد وكان من البلاغة فى مدى غاية البيان ومن الفصاحة فى أعلى مراتب التبيان وكنا نحضر مجلس شرابه ولا نغيب عن بابه وكان له بباب الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه اكثر نهاره ولا يخليه من نثر دروه وازهاره فقعد فيه ليلة ٢٧ من رمضان فى لمة من اخوانه وأئمة سلوانه وقد حفوا به ليقطعوا تحت ادبه وهو يخلط لهم الجد بهزل ولا يفرط فى انبساط مشتهر ولا انقباض جزل واذا بجارية من أعيان اهل قرطبـة معها من جواريها من يسـترها ويواريها وهى ترتاد

هذا الكتاب الخارجين من بلد أرمينية الصابين فى دجلة الاكبر بين الموصل والحديثة والآخر ببلاد الصين وسماه باسمه وحفر بسواد العراق نهرا آخر وسمـاه بالزاب وجعل على هـذا النهر بالعراق ثلاث طساسيـم من الضيـاع والعمائر وأسماها الزوابى وما ذكرنا فهو باق الى هذه الغاية وان مملكتها كانت ثلاث سـنين وان كيخسرو ابن سياخوش بن كيكاووس ابن كنيفة بن كيقباد لما قتل جده ببـلاد السن والران من بلاد أذربيجان وهو فراسياب بن سيمك ابن تمت بن ديشهر بن ترك وترك هذا جد سام والترك عند طائفة من الناس من ولد لسث بن ريسب بن أطوح بن أفـريدون وقد قدمنـا وجها من الرواية فى نسبه فيما سلف من هذا الكتاب سار كيخسرو فى البـلاد ووطئ الممالك وانتهى الى بلاد الصـين فبنى هنالك مدينة عظيمة وسمـاها كنـكدرو وقـد نزلها خلق من ملوك الصين كنزولهم انوى وغيرها من مدنهم وقد قيل ان كنكدر هى انوى بعينهـا وقـد قيـل ان كيكاووس بنى مدينة قشمير المقدم ذكرها بارض السغد وان سياخوش بنى فى حياة أبيه كيكاووس مدينة القندهار من أرض الـسند المقدم ذكرها فيما سلف من هـذا الـكتاب (قال المـسعودى) ولمن ذكرنا من هؤلاء

موضعا لما جاورتها ونبتغي منزلا لاستعمار دنها وهي متنقبة خائفة ممن يرقبها مترقبة وأمامها طفل لها كأنه غصن آس أو ظبي يمرح في كناس فلما وقعت عينها على ابي عامر ولت مسرعة وتولت مروعة خيفة أن يشبب بها أو يشهرها باسمها فلما نظرها قال قولا فضحها به وشهرها

وناظرة تحت طي القناع * دعاها الى الله بالخير داعي
سعت خفية تبتغي منزلا * لوصل التبتل والانقطاع
فجاءت تهادى كمثل الرؤم * تراعي غزالا بروض البقاع
وجالت بموضعنا جولة * فحل الربيع بتلك البقاع
أتتنا تبختر في مشيها * فحلت بواد كثير السباع
وريعت حذارا على طفلها * فناديت ياهذه لا تراعي
غزالك تفرق منه الليوث * وتفزع منه كماة المصاع
فولت وللمسك في ذيلها * على الارض خط كظهر الشجاع

انتهى المقصود منه (رجع) ومما ينخرط في سلك أخبار الزهراء ما حكاه الفتح في ترجمة المعتمد ابن عباد قال وأخبرني الوزير أحمد بن سراج انه حضر مع الوزراء والكتاب بالزهراء في يوم غفل عنه الدهر فلم يرمقه بطرف ولم يصرفه بصرف أرحت به المسرات عهدها وأبرزت له الاماني خدها ونهدها وأرشفت فيه لماها وأباحت للزائرين حماها ومازالوا ينتقلون من قصر الى قصر ويتبدلون الغصون بجني وهصر ويتنقلون في تلك الغرفات ويتعاطون الكؤوس بين تلك الشرفات حتى استقروا بالروض من بعد ما قضوا من تلك الآثار أوطارا ووقروا بالاعتبار فطارا فحلوا منها في درانك ربيع محفوفة بالازهار مطرزة بالجداول والانهار والغصون تختال في أدواحها وتنثني في اكفاء رواحها وآثار الديار قد أشرفت عليهم كالثكالى يبكين على خرابها وانقراض اترابها واطرابها والوهي بمشيدها لاعب وعلى كل جدار غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها وطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت وفاحت من شذاهم وتأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث في آجامها وأخجلوا الغيوث في انسجامها فأضحت ولها بالتداعي تلفع واعتجار ولم يبق من آثارها الا نؤي وأحجار قد وهت قبابها وهرم شبابها وقد يلين الحديد ويبلى على طيه الجديد فبينما هم يتعاطونها صغارا وكبارا ويديرونها أنسا واعتبارا اذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعة فيها

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساء
قد طلعتم بها شموسا صباحا * فاطلعوا عندنا بدورا مساء

فساروا الى قصر البستان بباب العطارين فألفوا مجلسا قد حار فيه الوصف واحتشد فيه اللهو والقصف وتوقدت نجوم مدامه وتأودت قدود خدامه وأربى على الخورنق والسدير وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير فأقاموا ليلتهم ما عراهم نوم ولا عداهم

على ما سلف من مبسوطها وما نذكره من الوجوه فلاختلاف الروايات وتباين الناس في المصنفات من كتبهم فيما ذكرناه من أخبارهم ليعلم من قرأ كتابنا هذا أنا قد بذلنا المجهود من أنفسنا وذكرنا سائر ما قالوه فيما وصفناه وبالله التوفيق ومنه الاعانه

(ذكر ملوك الطوائف)

وهم بين الفرس الاولى والثانية (قال المسعودي) وقد تنازع الناس في ملوك الطوائف أمن الفرس كانوا أم من النبط أم من العرب فحكى جماعة من الاخباريين ممن عني باخبار الماضين انه لما قتل الاسكندر بن فيلبش دارا بن دارا غلب كل رئيس ناحية على ناحيته وكاتبهم الاسكندر وفيهم فرس ونبط وعرب وكان مراد الاسكندر ومن ذلك تشتيت كلمتهم وتحزبهم وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذي هو به فينعدم نظام الملك والانقياد الى ملك واحد يجمع كلمتهم الا أن أكثرهم كانوا ينقادون الى الاشغانيين وهم ملوك الجبال من بلاد الدينور ونهاوند وهمذان وماسندان وأذربيجان وكان كل ملك منهم يلي هذا الصقع يسمى بالاسم الاعم اشغان وقيل لسائر ملوك الطوائف عن

عن طيب اللذات سوم وكانت قرطبة منتهى امله وكان روم أمرها أشهى عمله وما زال
يخطبها بمداخلة اهليها ومواصلة واليها اذ لم يكن في منازلتها طائل ولم يكن لها الا حيل
ومكايد الاستمالتهم بدعوة خلفائها وأنفتهم من طموس رسوم الخلافة وعفائها وحين
اتفق له تملكها وأطلعه فلكها وحصل في قطب دارتها ووصل الى تدبير رياستها وادارتها
قال

من للملوك بشأو الاصيد البطل * هيهات جاءتكم مهدية الاول
خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت * من جاء يخطبها بالبيض والاسل
وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها * فاصبحت في سرى الحلي والحلل
عرس الملوك لنا في قصرها عرس * كل الملوك لها في مأتم الوجل
فراقبوا عن قريب لا أبا لكم * هجوم ليث بدرع البأس مشتمل

ولما انتظمت في سلكه واتسمت بملكه اعطى ابنه الظافر زمامها وولاه نقضها وابرامها
فناض فيها نداه وزاد على امده ومداه وجلها بكثرة حبائه واستقل باعبائها على فتائه
ولم يزل فيها آمرا وناهيا غافلا عن المكر ساهيا حسن ظن باهلها اعتقده واغترارا بهم ما رواه
ولا انتقده وهيهات كم من ملك كفنوه في دمائه ودفنوه بذمائه وكم من عرش ثلوه وكم
من عز بملك أذلوه الى ان ثار فيها ابن عكاشة ليلا وجر اليها حربا وويلا فبرز الظافر
منفردا عن كماته عاريا من حماته وسيفه في يمينه وهاديه في الظلماء نور جبينه فانه كان
غلاما قد بلله الشباب باندائه وألحفه الحسن بردائه فدافعهم اكثر ليله وقد منع منه
تلاحق رجله وخيله حتى أمكنتهم منه عثرة لم يقل لها لعا ولا استقال منها ولا سعى فترك
ملتحفا في الظلماء تحت نجوم السماء معفرا في وسط الماء تحرسه الكواكب بعد
المواكب ويستره الحندس بعد السندس فمر بمصرعه سحرا أحد أئمة الجامع المغلسين
فرآه وقد ذهب ما كان عليه ومضى وهو أعرى من الحسام المنتضى فخلع رداءه عن منكبيه
ونضاه وستره به سترا أقنع الجدب وأرضاه وأصبح لا يعلم رب تلك الصنيعة ولا يعرف
فشكر له يده الرفيعة فكان المعتمد اذا تذكر صرعته وسعر الحزن لوعته رفع بالعويل
نداءه وأنشد ولم أدر من ألقى عليه رداءه ولما كان من الغد حز رأسه ورفع على سن رمح
وهو يشرق كنار على علم ويرشق نفس كل ناظر بالم فلما رمقته الابصار وتحققته الحماة
والانصار رموا أسلحتهم وسوّوا للفرار أجنحتهم فمنهم من اختار فراره وجلاه ومنهم
من أتت به الى حينه رجلاه وشغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره ونصب الحبائل لوقوع
ابن عكاشة وعثاره وعدل عن تأبينه الى البحث عن مفرقه وجبينه فلم تحفظ له فيه قافية
ولا كلمة للوعته شافية الا اشارته اليه في تأبين اخويه المامون والراضي المقتولين في أول
النائرة والفتنة الثائرة انتهى (وقد رأيت) ان ازيد على ما تقدم مما قصدت جلبه في هذا
الموضع نبذة من كلام الفتح في ذكر منتزهات قرطبة وغيرها من بلاد الاندلس ووصف
مجالس الانس التي كانت بها مما تنشرح له الانفس ووقع ذكر غير قرطبة والزهراء لهما تبعا
ولا يخلو ذلك من عبرة بحال من جعل في اللهو مصيفا ومرتبعا ثم طواه الدهر طي السجل ومحا

الاشعانيون اضافة لهم الى ملك هذا الصقع لانقيادهم اليه وقد حكى محمد بن هشام الكلبي عن أبيه
وغيره من علماء العرب
انهم قالوا أول ملوك الدنيا
الكينان وهم من سمينا
من ملوك من سلف من
الفرس الاولى الى دارا بن
دارا ثم الاردوان وهم
ملوك النبط وكانوا من
ملوك الطوائف وكانوا
بارض العراق مما يلي قصر
ابن هبيرة وسقي الفرات
والجامعين وسورا وأحمد
آباد والنرس الى جبلا وتل
فاحر والطفوف وسائر ذلك
الصقع وكانت ملوك العرب
من مضر بن نزار بن معد
وربيعة بن نزار وانمار بن
نزار والنصرية من بني
نصر من اليمن وغيرهم
من قحطان لهم ملوك وقد
نصبت كل طائفة لها ملكا
لعدم ملك يجمع كلمتهم
وذلك أن الاسكندر أشار عليه
معلمه وهو ارسطاطاليس
في بعض رسائله اليه
بذلك وكاتب الاسكندر
ملك كل ناحية وملكه
على ناحيته وتوجه وحياه
فاستبد كل واحد منهم
بناحية فصار ملكه من
بعده في عقبه مما نعا عما في
يده وطالبا للازدياد من
غيره وكان ملك الطوائف
عند كثير من الناس ممن
عني باخبار الماضين
ومعرفة سنيهم خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة وذلك من ملك الاسكندر الى أن ظهر اردشير بن بابك بن ساسان فغلب

آثاره التي كانت تسمو وتجل وما قصدنا علم الله غير الاعتبار بهذه الاخبار لا الحث على الحرام وتسهيل القصد اليه والمرام والاعمال بالنيات والله سبحانه كفيل بفضله وكرمه ببلوغ الامنيات وتعويضنا عن هذه النعم الفانيات بالنعم الباقيات السنيات *(قال الفتح رحمه الله تعالى) في ترجمة الوزير أبي الوليد بن زيدون ما صورته وأخبرني الوزير الفقيه أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى انه في وقت فراره أضحى غداة الاضحى وقد ثار به الوجد بمن كان يألفه والغرام وتراءت لعينيه تلك الظباء الاوانس والآرام وقد كان الفطر وافاه والشقاء قد استولى على رسم عافيته حتى أعفاه فلما عاده منهما ما عاد وأعياه ذلك النكد المعاد استراح الى ذكر عهده الحسن وأراح جفونه المسهدة بتوهم ذلك الوسن وذكر معاهد كان يخرج اليها في العيد ويتفرج بها مع أولئك الغيد فقال

خليلي لا فطر يسر ولا أضحى * فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل * أخص بممحوض الهوى ذلك السفحا
وما انفك جوفي الرصافة مسعري * دواعي بث تعقب الاسف البرحا
ويهتاج قصر الفارسي صبابة * لقلبي لا يألو زناد الاسى قدحا
وليس ذميما عهد مجلس ناصح * فأقبل في فرط الولوع به نصحا
كأني لم أشهد لدى عين شهدة * نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانيها التجني فان مشى * سفير خضوع بيننا أكد الصلحا
وأيام وصل بالعقيق اقتضيته * فان لم يكن ميعاده العيد فالفصحا
وآصال لهو في مسناة مالك * معاطاة ندمان اذا شئت أو سبحا
لدى راكد تصبيك من صفحاته * قوارير خضر خلتها مردت صرحا
معاهد لذات وأوطان صبوة * أجلت المعلى في الاماني بها قدحا
ألا هل الى الزهراء أوبة نازح * تقضت مبانيها مدامعه نزحا
مقاصر ملك شرفت جنباتها * فخلنا العشايا الجون أثناءها صبحا
يمثل قرطيها الى الوهم جهرة * فقبتها فالكوكب الجون فالسطحا
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه * اذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحى
هناك الجمام الزرق تبدي حفافها * ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من شرق القيان خلالها * صدى فلوات قد أطار الكرى صبحا
ومن حملي الكاس المفدى مديرها * تقحم أهوال حملت لها الرمحا
أجل ان ليلي فوق شاطئ نيطة * لأقصر من ليلي بيانة فالبطحا

وهذه معاهد بني أمية قطعوا بها ليالي وأياما وظلت فيها الحوادث عنهم نياما فهاموا بشرق العقاب وشاموا به برقا يبدو من نقاب ونعموا بجوفي الرصافة وطعموا عيشا تولى الدهر جلاءه وزفافه وابعدوا نصح الناصح وجدوا انس مجلس ناصح وعموا بالزهراء وصموا عن نبا صاحب الزوراء حتى رحلهم الموت عنها وقوضهم وعوضهم عنها ما عوضهم فصاروا أحاديث وأنباء ولم يتزودوا منها الا حنوطا وكباء وغدت تلك المعاهد تصافحها

على شاطئ دجلة فهذا أول يوم بعد منه ملك أردشير لاستيلائه على سائر ملوك الطوائف وتمهدت له البلاد واستقامت دعائم المملكة ومن ملوك الطوائف من قتله أردشير بن بابك ومنهم من قاده الى مملكته وأجاب دعوته وملوك الطوائف بين الفرس الاولى ممن سمينا وبين الفرس الثانية وهي الساسانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي عن عمر كسرى في كتاب له في أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وخلف وأخبارهم وحضبهم وتشعب أنسابهم وما بنوه من المدن وكوروه من الكور واحتفروه من الانهار وأهل البيوتات منهم وما وسم به كل فريق منهم من الشهارجة وغيرهم أن أول من ملك من ملوك الطوائف (أسك) ابن أسك بن أردان بن أشغان بن آمر الجبار بن ساوس بن كيكاوس الملك عشر بن سنة ثم ملك بعد أسك (سابور) بن أسك ستين سنة وفي احدى وأربعين من مملكته كان ظهور السيد المسيح عليه السلام ببلاد فلسطين بايلياء ثم ملك (جود) بن ابراهيم بن أدراد بن أشغان عشر سنين ثم ملك (نيرو) بن سابور الملك بن أسك الملك

أيدي الغير وتناوحها نعبات الطير وراحت بعد الزينة سدى وأمست مسرحا للبوم وملعبا للصدى يسمع للجن بها عزيف ويصرع فيها البطل الباسل والنزيف وكذا الدنيا أعمالها خراب ومآلها آل وسراب أهلكت أصحاب الاخدود وأذهبت ما كان بمأرب من حيازات وحدود انتهى *(وقال الفتح بعد كلام ما صورته) ولما عضته ناب الاعتقال ورضته تلك النوب الثقال وعوض بخشانة العيش من اللين وكابد قسوة خطب لا تلين تذكر عهد عيشه الرقيق ومرحه بين الصفا والعقيق وحن الى سعد زررت عليه جيوبه واستهدى نسيم عيش طاب له هبوبه وتأسى بمن باتت له النوائب بمرصاد ورمته بسهام ذات اقصاد فقال

الهوى في طلوع تلك النجوم * والمنى في هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشي * لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى الى أن تقضى * زمن ما ذمامه بالذميم
أيها المؤذني بظلم الليالي * ليس يومي بواحد من ظلوم
ماترى البدر ان تأملت والشمس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

(وقال الفتح أيضا في شان ابن زيدون ما صورته) ولما تعذر انفكاكه وعمر فرقده وسماكه وعادته الاوهام والفكر وخانه من أبي الحزم الصارم الذكر قال يصف ما بين مسراته وكروبه ويذكر بعد طلوع سعده وغروبه ويشكي لما هو فيه من التعذير ويعذر أبا الحزم وليس له غيره من عذير ويتعزى باخناء الدهر على الاحرار والحاحه على التمام بالسرار ويخاطب ولادة بوفاء عهده ويقيم لها البراهين على ارقه وسهده

ما جال بعدك لحظي في سنى القمر * الا ذكرتك ذكر العين بالاثر
ولا استطلت ذماء الليل من أسف * الا على ليلة مرت مع القصر
في نشوة من شباب الوصل مرهقة * الا مسافة بين الوهن والسحر
ياليت ذاك السواد الجون متصل * قد استعار سواد القلب والبصر
يا للرزايا لقد شافهت منهلها * غمرا فما أشرب المكروه بالغمر
لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * أني معنى الاماني ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال في السجن ايداعي فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضا قدر * عن كشف ضري فلا عتب على القدر
من لم أزل من تدانيه على ثقة * ولم أبت من تجنيه على حذر

وله يتغزل ويعاتب من يستعطفه ويتنزل

يا مستخفا بعاشقيه * ومستغشا لناصحيه
ومن أطاع الوشاة فينا * حتى أطعنا السلو فيه
الحمد لله اذ أراني * تكذيب ما كنت تدعيه

احدى وعشرين سنة وقيل انه في أيامه سار نطوس بن أسعانوس ملك رومية الى ايليا وذلك بعد ارتفاع المسيح باربعين سنة فقتل وأسر وسبى وخرب ثم ملك بعده نيرو بن سابور (ابنه جودرز) بن نيرو تسع عشرة سنة ثم ملك بعده أخوه (هرمز) بن نيرو عشرين سنة ثم ملك (أرداوان) بن مرداوان أربعين سنة ثم ملك بعده (كسرى) بن ايلاووس بن كسرى اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (ايلاووس) بن ارداوان ابن ايلاوس ثلاث عشرة سنة (قال المسعودي) فهذا وجه آخر غير ما قدمنا وقد قيل في تاريخ سني ملوك الطوائف غير ما وصفنا وان مدتهم كانت أقل مما وصفنا والاول أشهر وأصح في مقدار ما ملكوا من السنين مع تباين التواريخ وتضاد ما فيها غير أن الذي حكيناه هو ما أخذناه عن علماء الفرس وهم يراعون من تواريخ من سلف ما لا يراعيه غيرهم لان الفرس تدين بما وصفنا قولا وعملا وغيرهم من الناس يقول ذلك ولا يتقاد اليه عملا لتباين أهل الشرائع وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على الغرر من أخبار الطوائف وسيرهم وبالله التوفيق

(ذكر أنساب فارس وما قاله الناس في ذلك)

تنازع الناس في الفرس وأنسابهم فمنهم من رأى أن فارس بن ناسور

من قبل أن يهزم التسلي * ويغلب الشوق ما يليه انتهى

وما أحسن قول ابن زيدون المذكور في قصيدته النونية الشهيرة

غص العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا

ومن أغرب ما وقفت عليه موشحة لابن الوكيل دخل فيها على أعجاز نونية ابن زيدون وهي

غدا منادينا محكما فينا يقضي علينا الاسى لولا تناسينا

بحر الهوى يغرق * من فيه جهده عام

ونار ه تحرق * من هم او قد هام

ور بما تقلق * فتى عليه نام

قد عير الاجسام وصير الايام سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

يا صاحب النجوى * قف واستمع مني

اياك أن تهوى * ان الهوى يضني

لاتقرب البلوى * اسمع وقل عني

بجاره مره خضنا على غره حينا فقام بها للنعي ناعينا

من هام بالغيد * لاقي بهم هما

بذلت مجهودي * لاحور ألمى

يهم بالجود * وورد ما هما

وعند ما قد جاد بالوصل أو قد كاد أضحى التنائي بديلا من تدانينا

بحق ما بيني * وبينكم الا

أقررتم عيني * فتجمعوا الشملا

فالعين بالبين * بفقدكم أبلى

جديد ما قد كان بالاهل والاخوان ومورد اللهو صاف من تصافينا

يا جيرة بانت * عن مغرم صب

لعهده خانت * من غير ما ذنب

ما هكذا كانت * عوائد العرب

لا تحسبوا البعدا يغير العهدا اذ طالما غير النأي المحبينا

يا نازلا بالبان * بالشفع والوتر

والنمل والفرقان * والليل اذا يسر

وسورة الرحمن * والنحل والحجر

هل حل في الاديان أن يقتل الظمآن من كان صرف الهوى والود يسقينا

يا سائل القطر * عرج على الوادي

من ساكني بدر * وقف بهم نادي

عسى صبا تسري * لمغرم صادي

ان شئت تحيينا بلغ تحيينا من لو على البعد حيا كان يحيينا

وغيره من علماء العرب ففارس ونبيط أخوان ابنا ناسور ومنهم من زعم انه من ولد يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله عليهم ومنهم من ذكر أنه من ولد ارم بن ارفخشذ بن سام بن نوح وانه ولد بضع عشرة رجلا كلهم كان فارسا شجاعا فسموا الفرس بالفروسية وفي ذلك يقول حطان بن المعلى الفارسي

وبنا سمي الفوارس فرسا * ومنا مناجب الفرسان

وكهول طواهم الركض والكر * كمثل الكرات يوم الطعان

وقد زعم قوم ان الفرس من ولد لوط من ابنته وهي دعوى ولاصحاب التواريخ في هذا خبر طويل وذكر آخرون انهم من ولد بوان ابن الاسود بن سام بن نوح وبوان هذا هو الذي ينسب اليه شعب بوان من بلاد فارس وهو أحد المواضع المشهورة في العالم بالحسن وكثرة الاشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الاشجار وقد ذكره بعض الشعراء فقال

شعيب بوان ندار الراهب * فثم تلقى راحة النوائب

ومنهم من رأى أن الفرس من ولد ايران بن افريدون وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب أخبار ولد افريدون حين وافت

قسم الارض بينهم وما قاله الشاعر في ذلك من قوله ولا يران جعلنا عنوة * فارس الروم ز ما الم
فأضيف الفرس الى ذلك وايران تسمية الفرس ايراج اذ عربوا اسمه ولا

وافت لنا أيام * كأنها أعوام
وكان لي أعوام * كأنها أيام
عمر كالاحلام * بالوصل لي ودام
والكاس مترعه حثت مشعشعه فيها الشمول وغنانا مغنينا

*(رجع الى ما يتعلق بقرطبة) قال الوزير أبو بكر بن القبطرنة مخاطب الوزير أبا الحسن ابن سراج وقد ذكر له اخوانه بقرطبة

يا سيدي وأبي هوى وجلالة * ورسول ودي ان طلبت رسولا
عرج بقرطبة ولذ بجنابها * بابي الحسين وباده بعويلا
فاذا سعدت بنظرة من وجهه * فاهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شكري وشوقي مجملا * ولو استطعت سردته تفصيلا
بتحية تهدي اليه كأنما * جرت على زهر الرياض ذيولا
وأشم منها المصحفي على النوى * نفسا يذيب السوس المبلولا
والى أبي مروان منه نفحة * تهدي له نورا بها مطلولا
واذا الفتى الاخطي فقه * من صفو ودي قرقفا وشمولا
وأبو علي صنو منهار بعده * مسكا على غمامة محلولا
واذكرهم زمنا يهب نسيمه * أصلا كنفث الراقيات عليلا
مولي ومولى نعمة وكرامة * وأعاظه خالصا وخليلا
بالحير ما عبست هناك غمامة * الا تضاحك اذخرا وجليلا
يوما وليلا كان ذلك كله * سحرا وهذا بكرة وأصيلا
لا أدركت تلك الاهلة دهرها * نقصا ولا تلك النجوم أفولا

قال أبو نصر الحير الذي ذكر هنا هو حير الزجالي خارج باب اليهود بقرطبة الذي يقول فيه ابو عامر بن شهيد

لقد اطلعوا عند باب اليهو * د شمسا الى الحير ان تكسما
تراه اليهود على بابها * اميرا فتحسبه يوشعا

وهذا الحير من ابدع المواضع واجملها واعمها حسنا واكملها تحف مرمر صافي البياض يخترقه جدول كالحية النضناض بمجابية كل جنبها كأنه قد رصعت بالذهب واللازورد سماؤه وتأزرت بهما جوانبه وارجاؤه والروض قد دلت اسطاره وابتسمت من كمائمها ازهاره ومنع الشمس ان ترمق ثراه واعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه شهدت به ليالي واياما كأنها تصورت من لمحات الاحباب اوقدت من صفحات ايام الشباب وكانت لابي عامر بن شهيد به فرج وراحات أعطاه فيها الدهر ما شاء ووالى عليه الصحو والانتشاء وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه اليه صبوة وحليفي نشوة عكفا فيه على جر باله ما وتصرفا بين زهوهما واختيالهما حتى رداهما الردى وعداهما الحمام عن ذلك المدى فتجاورا في الممات تجاورهما في الحيات وتقلدت عنهما اوراق تلك الفيآت والى

تناكر بين الفرس جميعا في أنهم من ولد ايراج جميعا وأيراج هو ايرا بن افريدون هذا هو المستفيض بين والاغلب عليهم أنهم من آل ايراج ومن الناس من ذهب الى ان سائر اجناس الفرس وأهل كور الاهواز من ولد عيلام ولا خلاف بين الفرس في ان الجميع من ولد كيومرث وهذا هو الاشهر وكيومرث هو قبل ايراج بن افريدون وايراج ابن افريدون هو الذي ترجع اليه فارس من ولد كيومرث ومن الناس من ذهب الى ان الفرس الثانيه وهم الساسانيه دون من سلف من الفرس الاولى هم من ولد منوجهر بن أفريدون ومنهم من ذهب الى ان منوجهر هو ابن منشخر بن أفريرس بن ونرك ووترك هو اسحق بن ابراهيم الخليل وسار منشخر الى أرض فارس وكان بها امرأة متملكة يقال لها كورك ابنة ايراج فتزوجها فولدت له منوجهر الملك وكثر ولده وملكوا الارض وغلبوا عليها وهابتهم الملوك لما هم عليه من الشجاعة والفروسية ودثرت الفرس الاولى كدثور الامم الماضيه والعرب العاديه (قال

المسعودي) وأكثر حكماء العرب من نزار بن معد يقول هذا و يعمل عليه في بدء النسب و بتعداد النسب

دلك انه عهد أشار بن شهيد وبه عرض وبشرقه صحح ومرض حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه أن يدفن بازائه ويكتب على قبره

يا صاحبي قم فقد أطلنا * أنحن طول المدى هجود
فقال لي لن نقوم منها * ما دام من فوقنا الصعيد
تذكركم ليلة نعمنا * في ظلها والزمان عيد
وكم سرور همى علينا * سحابة ثرة تجود
كل كان لم يكن كأن لم يكن تقضى * وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ * وضمه صادق شهيد
يا ويلنا ان تنكبتنا * رحمة من بطشه شديد
يا رب عفوا فأنت مولى * قصر في أمرك العبيد

انتهى

ثم قال بعد كلام وركب أبو الحسن بن القبطرنة الى سوق الدواب بقرطبة ومعه أبو الحسين بن سراج فنظر الى أبي الحكم بن حزم غلاما كأنما عق تمائمه وهو بروق كأنه زهر فارق كمائمه فسأل أبا الحسين بن سراج أن يقول فيه فارتج عليه فثنى عنان القول اليه فقال

رأى صاحبي عمرا فكلف وصفه * وحملني من ذلك مالبس في الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لي * صدقت ولكن ذا أشب على الطوق انتهى

وكان بنو القبطرنة بالاندلس أشهر من نار على علم وقد تصرفوا في البراعة والقلم ولهم الوزارة المذكورة والفضائل المشكورة ولذا قال أبو نصر في حقهم ما صورته هم للمجد كالاثافي وما منهم الا موفور القوادم والخوافي ان ظهروا ازهروا وان تجمعوا تنوعوا وان نطقوا صدقوا ماؤهم صفو وكل منهم لصاحبه كفو أنارت بهم نجوم المعالي وشموسها ودانت لهم أرواحها ونفوسها ولهم النظام الصافي الزجاجة المضمحل العجاجة انتهى ثم قال وبات منهم أبو محمد مع أخويه في أيام صباه واستطابة جنوب الشباب وصباه بالمنية المسماة بالبديع وهو روض كان المتوكل يكلف بموافاته ويبتهج بحسن صفاته ويقطف رياحينه وزهره ويقف عليه اغفاءه وسهره ويستفزه الطرب متى ذكره وينتهز فرص الانس فيه روحاته وبكره ويدير حمياه على صفحة نهره ويخلع سره فيه لطاعة جهره ومعه اخواه فطاردوا اللذات حتى أنضوها ولبسوا برود السرور وما نضوها حتى صرعتهم العقار وصلحتهم تلك الاوقار فلما همر رداء الفجر أن يندى وجبين الصبح أن يتبدى قام الوزير أبو محمد فقال

يا شقيقي وافى الصباح بوجه * ستر الليل نوره وبهاؤه
فاصطبح واغتنم مسرة يوم * لست تدري بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ اخوه أبو بكر فقال

يا أخي قم ترى النسيم عليلا * باكر الروض والمدام شمولا
لا تنم واغتنم مسرة يوم * ان تحت التراب نوما طويلا
في رياض تعانق الزهر فيها * مثل ما عانق الخليل الخليلا

بالفرس وانها من ولد اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام فقال في تلك اسحق بن سويد العدوي عدي قريش

اذا افتخرت قحطان يوما بسودد * أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدءا باسحق عمنا * وصاروا لنا عبدا مالي الدهر أعبدا

قال كان منهم تبع وابن تبع

فاملاكهم كانوا الاملاك كابدا * ويجمعنا والفرس ابناء سارة
أب لا نبالي بعده من تفردا * هم ملكوا شرقا وغربا ملوكهم
وهم منحوا هم بعد ذلك سوددا

وفي ذلك أيضا يقول جرير ابن الخطفي التميمي يفخر على قحطان بان الفرس والروم من أولاد اسحق والانبياء من ولد يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام من كلمة طويلة يقول فيها

وأبناء اسحق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موت لابسين السنورا
اذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب الله فيهم ونوره * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا

ثم

ثم استيقظ اخوهما أبو الحسن وقد هب من غفلة الوسن فقال

ياصاحبي ذا الوحي ومعتبتي * قم نصطبح خمرة من خير ماذخروا
وبادرا غفلة الايام واغتنما * فاليوم خمر ويبدو في غد خبر

وساق صاحب البدائع هذه القصة فقال وذكر أبو الفتح ما هذا معناه انه خرج الوزراء بنو القبطرنة الى المنية المسماة بالبديع وهو روض قد اخضرت مسارح نباته واخضلت مسارى هباته ودمعت بالطل عيون ازهاره وذاب على زبرجده بلور أنهاره وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة وامحت مثل الحوادث عنه مطرقة خيول النسيم تركض في ميادينه فلا تكبو ونصول السواقي تحسم أدواء الشجر فلا تنبو والزروع قد نقبت وجه الثرى وحجبت عن الارض العيون فما تبصر ولا ترى وكان المتوكل بن الافطس يعده غاية الادب مشهد الطرب ومدفع الكرب فما توافيه الا تهم يديرون لم لهب يمنون فيه الخلود ويحسون ذوب ذهب لا يصهر به ما في بطونهم والجلود حتى تركتهم ابنة الخابية كانهم أعجاز نخل خاوية فلما هزم روم الصباح زنجي الظلام ونادى الديك حي على المدام انتبه كبيرهم أبو محمد مستعجلا وانشد مرتجلا ياشقيقي الخ فانتبه اخوه أبو بكر لصوته وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته وأنبه اخاهما أبا الحسن وهو يرتجل يا أخي قم ترى النسيم الى آخره فانتبه أخوه لكلامه داعيا منامه للذة قيامه وارتجل ياصاحبي ذا الخ انتهى (قال الفتح) ولما أمر المعتمد بن عباد أبا بكر بن القبطرنة السابق الذكر مع الوزير أبي الحسين بن سراج بلقاء ذي الوزارتين أبي الحسن بن اليسع القائد والمشي اليه والنزول عليه تنويها بمقدمه وتنبيها على حظوته لديه وتقدمه فصارا الى بابه فوجداه متقفرا من حجابه فاستغربا خلوه من خول وظن كل واحد منهما وتأول ثم أجمعا على قرع الباب ورفع ذلك الارتياب فخرج وهو دهش وأشار اليهما بالتحية ويده ترتعش وأنزلهما عجلا ومشى بين أيديهما عجلا وأشار الى شخص فتوارى بالحجاب وبارى الريح سرعة في الاحتجاب فقعدا ومقلة الخشف ترمق من خلال السجف فانصرفا عنه وعزما أن يكتبا اليه بما فهماه منه فكتبا اليه

سمعنا خشفة الخشف * وشما طرفة الطرف
وصدقنا ولم نقطع * وكذبنا ولم ننف
وأعجبنا لا جلالك عن اكرومة الطرف
ولم ننصف وقد جئنا * لكي ما ننهض من نصف
وكان الحكم ان تحمل أو تردف في الردف

فراجعهما في الحين بقطعة منها

أيا أسفي على حالي * سلبت بها من الطرف
ويالهفي على جهل * بصف كان من نصف

انتهى

ولاهل الاندلس في معاني الانس الحسان ما لا يفي به لسان وقال الفتح في ترجمة الوزير أبي الفضل بن حسداي بعد كلام ما صورته فمنها هذه القطعة التي أطلعها نيرة وترك الالباب

وموسى وعيسى والذي خر ساجدا
وأنبت زرعا دمع عينيه أخضرا
ويعقوب منهم زاده الله حكمه
وكان أبو يعقوب نبيا مطهرا
ويجمعنا والغر أبناء فارس
أب لا نبالي بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا
رضينا بما أعطى الاله وقدرا
وفي ذلك يقول بشار بن برد
عتيق الكرام بنو فارس
قريش وقومي قريش العجم
وقال أحد شعراء الفرس
بذكر أنه من ولد اسحق
وأن اسحق هو المسمى
وترك على حسب ما تقدمنا
قبل من كلمة له
أبونا وترك وبه أحاجي
اذا فخر المفاخر بالولاده
أبونا وترك عبد رسول
له شرف الرسالة والزهاده
فمن مثلي اذا افتخرت قروم
وبيتي مثل واسطة القلاده
ومن الفرس من يزعم أن
وترك هو ابن أبريك وابن
أبريك ابن سبع نسوة تولدن
من غير ذكر الى أن يلحقن
نسبهن بايراج بن أفريدون
وهذا مما يدفعه العقل ويأباه
الحس ويخرج عن العادة
وتنبو عنه المشاهدة الا ما خص الله تعالى به السيد المسيح بن مريم عليه السلام ليؤدي آياته ودلائله الخارجة عن العادة

بهامخبرة فى يوم كان عند المقتدر بالله مع علية قد اتحدوا المجد حليه والامل قد سرلهم عن محياه وعبق لهم عرر رياه فصافحه الكل منهم وحياه وشمس الراح دائرة على فلك الافراح والملك ينشر فضله وينثروابله وطله يسدى العلاء ويهب الغنى والغناء فصدحت الغوانى واوضحت المثالث والمثانى بما استنزل من مرقب الوقار وسرى فى النفوس مسرى العقار

توريد خدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصلك ان واصلت جنات
كانما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة ما تركنا الماء يقتلها * الالتحيا بها منا حشاشات
قد كان فى كأسها من قبلها ثقل * فخف اذ ملئت منها الزجاجات
عهد للبنى تقاضته الامانات * بانت وما قضيت منها اللبانات
يدنى التوهم للمشتاق منتزحا * من الامور وفى الاوهام راحات
تمضى عدات اذا هب الكرى واذا * هب النسيم فقد تهدى تحيات
زور يعالل قلب المستهام به * دهرا وقد بقيت فى النفس حاجات
لعل عتب الليالى أن يعود الى * عتبى فنبلغ أوطار ولذات
حتى يفوز بما جاد الخيال به * فربما صدقت تلك المنامات

ولما اعرس المستعين بالله بينت الوزير الاجل أبى بكر عبد العزيز احتفل ابو المؤتمن فى ذلك احتفالا اشهره وأبدع فيه ابداعا راق من حضره وبهره فانه أحضر فيه من الآلات المبتدعة والادوات المخترعة ما بهر الالباب وقطع بذكائه دون معرفتها الاسباب واستدعى اليه جميع أعيان الاندلس من دان وقاص ومطيع وعاص فأتوه مسرعين ولبوه متبرعين وكان مدبر تلك الآراء ومدبرها ومنشئ مخاطباتها ومحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل وصدرت عنه فى ذلك الوقت كتب ظهر اعجازها وبهر اقتضابها وايجازها * فمن ذلك ما خاطب به صاحب المظاهر أبا عبد الله بن طاهر محلك أعزك الله فى طى الجوانح ثابت وان نزحت الدار وعيانك فى احناء الضلوع بادوان شحط المزار فالنفس فائزة منك بتمثل الخاطر بأوفر الحظ والعين نازعة الى أن تمتع من لقائك بنظر اللحظ فلا عائدة أسبغ بردا ولا موهبة أسوغ وردا من تفضلك بالطروق الى ما يتم بمشاهدتك التئامه ويتصل بحاضرتك انتظامه ولك فضل الاجمال بالامتاع من ذلك بأعظم الآمال وانا اعزك الله على شرف وددك حاكم وعلى مشرع سنائك حائم وحسبى ما تحققته من نزاعى وتشوقى وتيقنته من تطلعى وتتوقى وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة واعترض الاقتراح باستحباب الصلة وانت وصل الله سعدك بسماحة شيمك وبارع كرمك تنشئ للمؤانسة عهدا وتورى بالمكارمة زندا وتقتضى بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا لا زلت مضيئا بالسعود المقبلة مسوغا اجتلاء غرر الامانى المتهللة عنه انتهى (ثم قال) بعد هذا بيسير ما نصه وركب المستعين بالله يوما نهر سرقسطة يريد طرادلذته وارتياد نزهته واقتاد احد حصونه المنتظمة بلبته

وعـذ كرناه من المشاهدات وفى وطء أفريدون لبنت اراج ووطئه بنت البنت الى التسبع من زو وقد كان بين ملك منوجهر بن منشخر ابن افريرس بن وترك على ماذكرنا وبين ملك أفريدون مدة خلت من الدهر وعدة من الملوك لتحرب كان باقليم بابل وعدم ذى همة تنقاد اليه المملكة ويستقيم له الملك وتجتمع عليه الكلمة وانتقل الملك من ولد أفريدون الى ولد اسحق فان كان ما ذكرناه هو المعوّل عليه من قول هذه الطائفة يجب على ما يوجبه الحساب آن من كيومرث الى انتقال الملك الى ولد اسحق ألفا وتسعمائة واثنين وعشرين سنة كذلك وجدت فى كتب تواريخ هذه الطائفة بارض فارس وبلاد كرمان (قال المسعودى) وقد افتخر بعض أبناء الفرس بعد الثلاثين والمائتين بعده اسحق بن ابراهيم الخليل على ولد اسمعيل بان الذبيح كان اسحق دون اسمعيل فقال من كلمة له قل لبنى هاجر ما بنت لكم ماهذه الكبرياء والعظمه ألم تكن فى القديم أمكم لامنا سارة اشبال امه والملك فينا والانبياء لنا ان تنكروا ذاك توجدوا ظلمه

واجتمع

واجتمع له من اختصه لاستصحابه من أصحابه وفيهم أبو الفضل مشاهد الانفراجهم سالكا انهاجهم والمستعين قد أحضر من آلات ايناسه وأظهر من أنواع ذلك واجناسه ماراق من حضر وفاق حسنه الروض الانضر والزوارق قد حفت به والتفت بجوانبه ونغمات الاوتار تحبس السائر عن عدوه وتخرس الطائر المفصح بشدوه والسمك تشيرها المكايد وتغوص اليها المصايد فتبرز منها للعين قضبان در أو سبائك لجين والراح لا يطمس لها لمع ولا يحس منها بصر ولا سمع والدهر قد غضت صروفه واقتص من نكره معروفه فقال

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبى وأبدى صفح معتذر
نسير في زورق حف السفين به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به نشرا على ملك * بذ الأوائل في أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * عليا مؤتمن عن هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار في نهر
تصاد من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالريق يعذب في ورد وفي صدر
والشرب في مدح مولى خلقه زهر * يذكو وغرته أبهى من القمر

انتهى (وقال) في ترجمة العلامة الكبير الاستاذ أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي شارح أدب الكاتب وسقط الزند وغيرهما ما صورته أخبرني انه حضر مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح اليها الاماني ومرآها هو المقترح والمتمنى والمأمون قد احتبى وأفاض الحبا والمجلس يروق كالشمس في أفقه والبدر في مفرقه والنور عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة اثر الحوار أو كثكلى من حر الاوار والجو قد عنبرته أنواؤه والروض قد رشته أنداؤه والاسد قد فغرت أفواهها ومجت أمواهها فقال

يا منظرا ان نظرت بهجته * أذكرني حسن جنة الخلد
تربته مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطش ماورد
والماء كاللازورد قد نظمت * فيه اللآلي فواغر الاسد
كأنما جائل الحباب به * يلعب في جانبيه بالنرد
تراه يزهو اذا يحل به الـ * ـمأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان بدا به قمرا * تما بدا في مطالع السعد
كأنما البست حدائقه * ما حاز من شيمة ومن مجد
كأنما جادها فروضها * بوابل من يمينه رغد
لا زال في رفعة مضاعفة * متمم الوفد واري الزند

(وقال) في وصف هذا المجلس بعينه في الكتاب الذي أفرده لترجمة ابن السيد ما صورته في

اسحق كان الذبيح قد أجمع الناس عليه الا ادعاءله * حتى اذا ما محمد أظهر الدين وجلى بنوره الظلمه
تلتم قريش الاحساب مفخرة * أصل لنا ان كنتم بنوه فه
اما بنو يعرب فليسوا كمن * أسكنه الله آمنا حرمه
ولا كأبناء فارس وهم * في الارض مثل الاسود في الاجمه

وهي قصيدة طويلة ذكر فيها كلاما كثيرا لم يسعنا ذكره وقد أجابه عبد الله ابن المعتز وكان قائل هذه القصيدة في عصره وعمر الى أن مضت الثلثمائة ينا قضه في أبيات منها من ذلك قوله

أسمع صوتا ولا أرى أحدا * من ذا الشقي الذي أباح دمه
حاش لاسحق أن يكون لكم * أبا وان كنتم بنوه فمه

قولا لكلب يرى لبنشته * قد قعد الليث للفراس فمه

والفرس لا تنقاد الى القول بان الملك يكون فيها لاحد غير ولد أفريدون في عصر من الاعصار فيما سلف وخلف الى أن زال عنهم الملك الا أن يكون دخل عليهم داخل على طريق التعصب بغير حق وقد كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام وتطوف به تعظيما له ولجدها ابراهيم عليه السلام وتمسكا بهديه وحفظا لانسابها وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك جد أردشير بن بابك

ذلك انه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطليطلة فى المنية المتناهية البهاء والاشراق المباهية لزوراء العراق التى يقفع شذاها العطر ويكاد من النضارة يقطر والقادر بالله رحمه الله قد التحف الوقار وارتداه وحكم العقار فى جوده ونداه والمجلس يشرق كالشمس فى الحمل ومن حواه يبتهج كالنفس عند منال الامل والزهر عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة اثر حوار الى آخر ما سبق (وقال الفتح) فى وصف هذا المجلس حاذيا حذو الفتح ما صورته حضر الاستاذ أبو محمد بن السيد عند المأمون ابن ذى النون فى بعض متنزهاته فى وقت طاب نعيمه وسرت بالسعود نجومه والروض قد أجاد وشيه راقمه والماء قد جرت بين الاعشاب أراقمه وثم بركة مملوة كأنها مرآة مجلوة قد اتخذت سباع الصفر بشاطئها غابا ومجت بها من سائغ الماء لعابا فكأنها آساد عين ادلعت ألسنة من لجين وهى لا تزال تقذف الماء ولا تفتر وتنظم لآلى الحباب بعدما تنثر فأمره بوصف ذلك الموضع الذى تحدّ اليه ركائب القلوب وتوضع فقال بديها يا منظرا الخ انتهى (ثم قال الفتح) فى هذا التصنيف بعد كلام فى المذكور ما نصه وما أبدع قوله فى وصف الراح والحض على النبذ للهموم والاطراح بمعاطاة كاسها وموالاة ايناسها ومعاقرة دنانها واهتصار ثمار الفتوة من افنانها والاعراض عن الايام وأنكادها والجرى فى ميدان الصبوة الى أبعد آمادها

سل الهموم اذا نبا زمن * بمدامة صفراء كالذهب
مزجت فمن در على ذهب * طاف ومن حبب على لهب
وكأن ساقيها يثير شذى * مسك لدى الاقوام منتهب

ولله هو فقد ندب الى المندوب وذهب الى مداواة القلوب من الندوب وابرائها من الآلام واهدائها كل تحية وسلام وابهاجها بآصال وبكر وعلاجها من هموم وفكر فى زمن حلى عاطله وجلى فى أحسن الصور باطله ونفقت محالاته وطبقت أرضه وسماءه واستحالاته فليثه كاسد وذئبه مستأسد واضغانه تنسر وبغاثه قد استنسر فلا استراحة الا فى معاطاة حميا ومواخاة وسيم المحيا وقد كان ابن عمار ذهب مذهبه وفضه بالابداع وذهبه حين دخل سرقسطة ورأى غباوة أهلها وتكاثف جهلها وشاهد منهم من لا يعلم معنى ولا فصلا وواصل من لا يعرف قطعا ولا وصلا فاقبل على راحه يتعاطاها وعكف عليها ما تعداها ولا تخطاها حتى بلغه أنهم نقموا ما قرنه العقار وجالت ألسنتهم فى توبيخه مجال ذى الفقار فقال

نقمتم على الراح أدمن شربها * وقلتم فتى راح وليس فتى مجد
ومن ذا الذى قاد الجياد الى الوغى * سواى ومن اعطى كثيرا ولم يكد
فديتكمو لم تفهموا السر انما * قليتكم جهدى فابعدتكم جهدى

ودعى ابن السيد ليلة الى مجلس قد احتشد فيه الانس والطرب وقرع السرور نبعه بالغرب ولاحت نجوم أكواسه وفاح نسيم رنده وآسه وأبدت صدور اباريقه اسرارها وضمت عليه المجالس أزرارها والراح يديرها أهيف أوطف والامانى تجنى وتقطف فقال

وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذى يرجعون اليه كرجوع ملوك المروانية الى مروان ابن الحكم وخلفاء العباسيين الى العباس بن عبد المطلب ولم يزل الفرس الثانية أحد الامن ولد أردشير بن بابك هذا وكان ساسان اذا أتى البيت طاف به وزمزم على بئر اسمعيل فقيل انما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذا البئر وفى ذلك يقول الشاعر فى قديم الزمان

زمزمت الفرس على زمزم
وذاك من سالفها الاقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بذلك فقال من كلمة

وما زلنا نحج البيت قدما
ونلقى بالاباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى
أتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بئر
لاسمعيل تروى الشاربينا

وكانت الفرس تهدى الى الكعبة أموالا فى صدر الزمان وجواهر وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجوهرا وسيوفا وذهبا كثيرا فقذفه فى زمزم وقد ذهب قوم من مصنفى الكتب فى التواريخ وغيرها من السير أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك اليها ويحتمل أن يكون لغيرها والله أعلم

يارب ليل قد هتكت حجابه * بمدامة وقادة كالكوكب
يسعى بها أحوى الجفون كأنها * من خده ورضاب فيه الاشنب
بدران بدر قد أمنت غروبه * يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمت برشف بدر غارب * فأنعم برشفة طالع لم يغرب
حتى ترى زهر النجوم كأنها * حول المجرة ربرب في مشرب
والليل منهزم يطير غرابه * والصبح يطرده بباز أشهب

(ثم قال الفتح) بعد كلام كثير ما صورته ودخل يحيى ابن السيد سرقسطة ايام المستعين وهي جنة الدنيا وفتنة المحيا ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف ملائكة البشاشة كثير المشاشة وملك أبهج الفناء أرج الارجاء بروق المجتلى ويروق النجم المعتلى وحضيرة مفتابة الماء مختالة السماء يبسم زهرها وينساب نهرها وتتفتح خمائلها وتتضوع صباها وشمائلها والحوادث لا تعترضها والكوارث لا تفترضها ودارها من عرس الى موسم وآملها متصل بالاماني ومتسم فنزل منها في مثل الخورنق والسدير وتصرف فيها بين روضة وغدير فلم يخف على المستعين احتلاله ولم تخف لديه خلاله فذكره معلما به ومعرفا وأحضره منوها به ومشرفا وقد كان غرمن ابن رزين دار السرور ونفس الحزين وخلص من اعتقاله خلوص السيف من صقاله فقال يمدحه

همو سلبوني حسن صبري اذ بانوا * باقمار أطواق مطالعها بان
لئن غادروني باللوى ان مهجتي * مسايرة اظعانهم حيثما كانوا
سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم * ينازعها مزن من الدمع هتان
أأحبابنا هل ذلك العهد راجع * وهل لي عنكم آخر الدهر سلوان
ولي مقلة عبرى وبين جوانحي * فؤادي الى لقياكم الدهر حنان
تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم * وحفت بنا من معضل الخطب الوان
أناخت بنا في أرض شنتمرية * هواجس ظن خان والظن خوان
وشمنا بروقا للمواعيد أتعبت * نواظرنا دهرا ولم يهم هتان
فسرنا وما نلوي على متعذر * اذا وطن أقصاك آوتك أوطان
ولا زاد الا ما انتشته من الصبا * أنوف وحازته من الماء أجفان
رحلنا سوام الحمد منها لغيرها * فلا ماؤها صدا ولا النبت سعدان
الى ملك حاباه بالحسن يوسف * وشاد له البيت الرفيع سليمان
الى مستعين بالاله مؤيد * له النصر حرب والمقادير أعوان
جفتنا بلا جرم كأن مودة * تنى نحونا منها الاعنة شنآن
ولولم تقدمنا سوى الشعر وحده * لحسن لنا تأثيره واحسان
فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسبا * فيوجب للمكدى جفاء وحرمان
ولا نحن ممن يرتضي الشعر خطة * وان قصرت عن شأونا فيه أعيان
ومن أوهمته غير ذاك ظنونه * فثم مجال للمقال وميدان

وعيرها مما أودع في زمزم والناس في الانساب تنازع في بدئها وتنميها وقد ذكرنا من ذلك جملا وأوردنا منه جوامع يكتفي ذو المعرفة بالاشراف عليها عن كثير من مبسوطها (ذكر ملوك الساسانية وهم الفرس الثانية وأخبارهم) ❊ كان اول من تنسب الفرس ملوكهم على حسب ما قدمنا في الباب الذي قبل هذا أردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بهافريد بن دارا بن ساسان بن بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب ولا خلاف بينهم في أن أردشير من ولد منوجهر وكان مما حفظ من قوله يوم ملك وقتل أردوان وفرع من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه أن قال الحمد لله الذي خصنا بنعمه وشملنا بفوائده وقسمه ومهد لنا البلاد وقاد الى طاعتنا العباد نحمده حمد من عرف فضل ما أتاه وتشكره شكر الداري بما منحه واصطفاه الا وانا ساعون في اقامة منازل العدل وادرار الفضل وتشييد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد ورم أقطار المملكة ورد ما اخترم في سائر الايام منها فليسكن طائركم أيها الناس فاني أعم بالعدل القوي والضعيف والدنيء والشريف وأجعل العدل سنة

حليلى من بعدى على زمن له * اذا ما قضى حيف على وعدوان
وهل رى من قبلى غريق مدامع * يفيض بعينيه الحيا وهو حران
وهل طرفت عين بجدول يكن * لها مقلة من آل هود وانسان
بوجه ابن هود كلما أعرض الورى * صحيفة اقبال لها البشر عنوان
فتى المجد فى برديه بدر وضيغم * وبحر وقدس ذو الهضاب وثهلان
من الغر الشم الذين أكفهم * غيوث ولكن الخواطر نيران
ليوث شرى ما زال منهم لدى الوغى * هزبر بيمناه من السمر ثعبان
وهل دون ما قد شاده مقتدر لهم * ومن غرس بالله فيا ايمان
ألا ليس فخر فى الورى غير فخرهم * والا فان الفخر زور وبهتان
فيا مستعينا مستغاثا لمن نبا * به وطن يوما وعضته أزمان
كسوتك من نظمى قلادة مفخر * يباهى بها جيد المعالى ويزدان
وان قصرت عما لبست فربما * تجاور در فى النظام ومرجان
معان حكت غنج الحسان كأننى * بهن حبيب أو بطليوس بغدان
اذا غرست كفاك غرس مكارم * بأرضى أجنتك الثنا منه اغصان

(وقال) فى وصف مجلس لابى عيسى بن لبون أحضر اليه ابن السيد منوها بقدره ماصورته وأحضره الى مجلس نام عنه الدهر وغفل وقام لفرط أنسه واحتفل قد بايت صروفه ودنت من الزائر قطوفه وقال هلم بنا الى الاجتماع بمذهبك والاستمتاع بمشاهدة من براعة أدبك فأقاموا يعملون كاسهم ويصلون ايناسهم وباتوا ليلتهم ما طرفهم نوم ولا عداهم عن طيب اللذات سوم ثم قال بعد كلام كثير وحضر ابن السيد عند عبد الرحمن الظافر بن ذى النون مجلسا رفعت فيه المنى لواءها وخلعت عليه اضواءها وزفت اليه المسرات أبكارها وفارقت اليه الطير أوكارها فقال يصف

لم تر عينى مثله ولا ترى * أنفس فى نفسى وأبهى منظرا
اذا ترى وشيه المصورا * من حوك صنعاء وحوك عبقرا
ونسج قرقوب ونسج تسترا * خلت الربيع الطلق فيه نورا
كأنما الابريق حين قرقرا * قد أم لثم الكاس حين فغرا
وحشية ظلت تناغى جؤذرا * ترضعه الدر ويرنو حذرا
كأنما مج عقيقا أحمرا * أوفت من رياه مسكا أذفرا
أو عابد الرحمن يوما ذكرا * فنم مسكا ذكره وعنبرا
الظافر الملك الذى من ظفرا * بقرب نال العلاء الاكبرا
لو أن كسرى راءه أو قيصرا * هلل اكبارا له وكبرا
تبدى سماء الملك منه قمرا * اذا حجاب المجد عنه سفرا
يا أيها المضنى المطايا بالسرى * تبغى غمام المكرمات الممطرا

انتهى (وقال الفتح) فى ترجمة الاديب أبى القاسم بن العطار ماصورته هو أحد أدباء اشبيلية

(قال المسعودى) واردشير ابن بابك المتقدم فى ترتيب طبقات الندماء وبه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء وكان يرى ان ذلك من السياسة ومما يدعم عمود الرياسة فكانت طبقاتهم ثلاثا فالاولى الاساورة وابناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحو من عشرة اذرع وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم * وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة أذرع من الاولى وهم وجوه المرازبة وملوك الكون والمقيمون بباب أردشير والمرازبة وهم الاصبهبدية ممن كانت مملكة الكون فى أيامه والطبقة الثالثة كانت رتبتها على قدر عشرة أذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية وأهل هذه الطبقة المضحكون وأهل البطالة والهزل غير أنه لم يكن فى هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل ولا وضيع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصر ولا مأوف ولا مرمى بأبنة ولا ابن ذى صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام ولو كان يعلم الغيب أو حوى كل العلوم مثلا وكان أردشير يقول ماشئ أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذى معرفة

ونحاتها

ونحاتها العامرين لارجاء المعارف وساحاتها لولا مواصلة راحاته وتعطيل بكره وروحاته ومواراته للفرج ومبالاته في عرف الانس والارج لا يعرج الا على عشقة نهر ولا يبتهج الا بقطف زهر لم يحفل بلام ولم يشتغل الا في طاعة غلام ماهيك من رجل مخلوع العنان في ميدان الصبابة مغرم بالحسان غرام يزيد بحبابه لا تراه الا ودمه انهمال ولا تلقاه الا في لمة انهتاك رافع الرايات الهوى قارع الثنيات الجوى لا يقمر فؤاده من كاف ولا يبيت الا رهن لف أكثر خلق الله تعالى علاقة واحضرهم لمشهد حلاقة مع جراءة تحرك السكون وتضحك الطير في الوكون وقد أثبت له ما ارتجله في أوقات أنسه وساعاته ومن به أثناء دراته وأوعاته فمن ذلك ما قاله في يوم ركب فيه النهر على عادات انكسادره وارتضاعه لنعور اللذات وارتشافه

عبرنا سماء النهر والجوّ مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم
وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس في تلك البرود رقوم

وله فيه

مررنا بشاطي النهرين حدائق * بها حدق الازهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق

وله

هبت الريح بالعشي فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه
وانجلى البدر بعد هدا فحاكت * كفه للقتال منه أسنه

وقوله

لله بهجة منزه ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام
فمع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحى يلتاح منه حسام

وله

لا كالعشيه في رواء جمالها * وبلوغ نفسي منتهى آمالها
ماشئت شمس الارض مشرقة السنى * والشمس قد شدّت مطى رحالها
في حيث تنساب المياه أراقما * وتعيرك الافياء برد ظلالها

وله

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال في حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

انتهى (وقال الفتح) في ترجمة ابن عمار أخبرني ذو الوزارتين الاجل أبو المطرف بن عبد العزيز انه حضر معه عند المؤتمن في يوم جادت فيه السماء بهطلها وأتعبت وبلها طلها وارتعب رعد هابرقها وانسكب درا كاودقها والازهار قد تجلت من اكمامها وتجلت بدر غمامها والاشجار قد جلى صداها وتوشحت بنداها واكؤس الراح كأنها كواكب تتوقد تديرها أنامل تكاد من اللطافة تعقد اذا بفتى من فتيان المؤتمن أخرس لا يفصح ومستعجم لا يبين ولا يوضح متنمر تنمر الليث منشمر كالبطل الفارس عند الغيث وقد أفاض على

صحيحة من معاشرة سخيف أو مخالطة وضيع لانه كان النفس صلح على مخالطة الشريف الاريب الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضائلها ويثنيها عن محمود شريف أخلاقها وكما أن الريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيي به النفوس وتقوى به جوارحها كذلك اذا مرت بالمنتن حملت نتنا به النفس وأضر بأخلاقها اضرارا تاما والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البناء وقد يجدد المعرفة في نفسه عند معاشرة السفلة الوضعاء شهرا فساد ذلك له دهرا وكان اردشير يقول يجب على الملك أن يكون فائض العدل فان العدل جامع الخير وهو الحصن الحصين من زوال الملك وتخرمه وان أول مخايل الادبار في الملك ذهاب العدل منه وانه متى خفقت رايات الجور في ديار قوم كافحتها عقاب العدل فردتها على العقب وليس أحد ممن يصحب الملوك ويخالطهم أولى باستجماع محاسن الاخلاق وفضائل الآداب وطرائف الملح وغرائب النتف من النديم حتى انه يحتاج أن يكون له مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفاف

النساك مجون الفتاك ومع وقار الشيوخ مراح الاحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو مضطر اليها في

نفسه درعا تضيق بها الاسنة درعا وهو يريد استشارة المؤمن فى التوجه الى موضع بعثه اليه ووجهه وكل من صده عنه نهره ونجهه حتى وصل الى مكان انفراده ووقف بازاء آساده فلما وقعت عين ابن عمار عليه أشار بيده اليه وقربه واستدناه وضمه اليه كأنه تبناه وأراد أن يخلع عنه ذلك الغدير وأن يكون هو الساقى والمدير فأمره المؤمن بخلعه وطاعة أمره وسمعه فنضاه عن جسمه وقام يسقى على حكمه ورسمه فلما دبت فيه الحميا وثابت مرامه بهجة ذلك المحيا واستنزله سوره العقار من مرقب الوقار قال

وهيف يسعى بالمدام كأنه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متأرج الحركات تندى ريحه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسعى بكاس فى أنامل سوسن * ويدير أخرى من محاجر نرجس
ياحامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان حسر اللثام فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يرمح فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وأورد هذه القصيدة صاحب البدائع بقوله حضر أبو المطرف بن عبد العزيز عند المؤمن بن هود فى يوم أجرى الجو فيه أشقر برقه ورمى بنبل ودقه وتحملت الرياح فيه أوقار السحاب على أعنادها وتمايلت قامات الاغصان فى الحلل الخضر من أوراقها والراح قد اشرقت نجومها فى بروج الراح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد داب ظرفا فكاد يسيل من اهابه وأحجل خدها سناه فتظلل بعرف حبابه اذا بفتى من فتيان المؤمن قد أقبل متدرعا كالبدر احتاب سحابا والنجم قد اكتسى حبابا وقد جاء يريد استشارة المؤمن فى الخروج الى موضع قد كان عول فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فحين لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وبث سراياه فى ضواحى قلبه جد فى أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلى عنه سهكه كما يجلى الخبث عن الخلاص وأن يكون هو الساقى فأمره المؤمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء أمثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورميت شياطين النفوس من كميت المدام بشهبها ارتجل ابن عمار وهو تائه الانه قال اثر قوله اياك بادرة الوغى من فارس ماصورته يصح السنان على العذار الاملس * انتهى
ولابن عمار الرائية المشهورة فى مدح المعتضد والد المعتمد وهى

أدر المدامة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا
والروض كالحسنا كساه زهره * وشيا وقلده نداه جوهرا
أو كالغلام زها بورد خدوده * خجلا وتاه بآسهن معذرا
روض كأن النهر فيه معصم * صاف أطل على رداء أخضرا

مان لا يحسن أن يجلب غيرها والى أن يجتمع له مع ذوه الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حسب ما يأتيه من خلائقه ويعلم من معانى لحظه واشاراته ما يعينه على شؤونه ولا يكون نديما حتى يكون له جمال وجود تام جماله وفضاده وطيب رائحته وفصاحة لسانه وأمر وءته وكثرة ... اطه الى ... وقار فى مجلسه مع صلاته وجهه فى غير سخف ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة ورتب أردشير المراتب فجعلها سبعة أرواح فأولها الوزراء ثم الموبذان وهو القائم بامور الدين وهو قاضى القضاة وهو رئيس الموابذة ومعناها الملازم لامور الدين فى سائر المملكة والقضاة المنصوبون للأحكام وجعل الاصبهبذين أربعة الاول بخراسان والثانى بالمغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشام فهؤلاء الاربعة هم أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أورد تدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم صاحب ربع منها ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الاربعة ورتب أردشير الطبقات الاربعة من أصحاب التدبير ومن اليهم أوجه الملك وصدور المشورة فى ايراد الامور واصدارها ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين

وتهزه

ونهزه ريح الصبا فتخاله * سيفا ابن عباد يبدد عسكرا
عباد المخضر نائل كفه * والجو قد لبس الرداء الاغبرا
ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لا يردون حتى يصدرا
أندى على الاكباد من قطر الندى * وألذ فى الاجفان من سنة الكرى
يختار اذ يهب الخريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا
قداح زند المجد لا ينفك من * نار الوغى الا الى نار القرى
لا خلق أقرأ من شفار حسامه * ان كنت شبهت المواكب أسطرا
أيقنت أنى من دراه بجنة * لما سقانى من نداه الكوثرا
وعلمت حقا أن ربعى مخصب * لما ألث به الغمام الممطرا
من لا توازنه الجبال اذا احتبى * من لا تسابقه الرياح اذا جرى
ماض وصدر الرمح يكهم والظبا * تنبو وأيدى الخيل تعثر فى الثرى
فاذا الكتائب كالكواكب فوقهم * من لأمهم مثل السحاب كنهورا
من كل أبيض قد تقلد أبيضا * عضبا وأسمر قد تقلد أسمرا
ملك يروقك خلقه أو خلقه * كالروض يحسن منظرا أو مخبرا
أقسمت باسم الفضل حتى شمته * فرأيته فى بردتيه مصورا
وجهلت معنى الجود حتى زرته * فقرأته فى راحتيه مفسرا
فاح الثرى متعطرا بثنائه * حتى حسبنا كل ترب عنبرا
وتتوجت بالزهر صلع هضابه * حتى ظننا كل هضب قيصرا
هصرت يدى غصن الغنى من كفه * وجنت به روض السرور منورا
حسبى على الصنع الذى أولاه أن * أسعى بجد أو أموت فأعذرا
يا أيها الملك الذى حاز العلا * وحباه منه بمثل حمدى أنورا
السيف أفصح من زياد خطبة * فى الحرب ان كانت يمينك منبرا
ما زلت تغنى من عنا لك راجيا * نيلا وتغنى من عتا وتجبرا
حتى حللت من الرياسة محجرا * رحبا وضمت منك طرفا أحورا
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد * الا اليهود وان تسمت بربرا
أثمرت رمحك من رؤس ملوكهم * لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء كماتهم * لما علمت الحسن يلبس أحمرا
واليكها كالروض زارته الصبا * وحنا عليه الطل حتى نورا
نمقتها وشيا بذكرك مذهبا * وفتقتها مسكا بحمدك أذفرا
من ذا ينافسنى بذكرك مندل * أوردته من نار فكرى مجمرا
فلئن وجدت نسيم مدحى عاطرا * فلقد وجدت نسيم برك أعطرا انتهى

*(وقال فى ترجمة عبد الجليل بن وهبون المرسى) ركب باشبيلية زورقا فى نهرها الذى لا تدانيه الصراة ولا يضاهيه الفرات فى ليلة تنقبت فى ظلمتها ولم يبد وضح فى دهمتها

وذوى الصنعة بالموسيقى فلم يزل على ذلك من طرأ بعده من ملوك آل ساسان الى بهرام جور فانه قرر مراتب الاشراف وأبناء الملوك ونساك بيوت النيران والنساك والزهاد وطبقات العلماء بالدين والفلاسفة وتواضع المهن الفسيحة على حالها وغير طبقات المغنين ورفع من كان بالطبقة الوسطى الى الطبقة العليا والطبقة الدنيئة الى الوسطى وغير المراتب على حسب اعجابه بالمطرب له منهم وأفسد ما رتبه أردشير بن بابك فى طبقات المغنين فسلك من ورد بعده من ملوكهم هذا المسلك حتى ولى كسرى أنوشروان فرد مراتب المغنين الى ما كانت عليه فى عهد أردشير بن بابك *وقد كانت ملوك الاعاجم تغنيها من عهد أردشير تحتجب عن الندماء وكان بين الملك وبين أول الطبقات عشرون ذراعا والستارة التى على الملك تكون منه على عشرة أذرع ومن الطبقة الاولى على عشرة أذرع وكان الموكل بالستارة رجلا من أبناء الاساورة يقال له خرم باش فاذا غاب هذا الرجل وكل به آخر من أبناء الاساورة وذوى التحصيل وسمى بهذا الاسم وهذا الاسم عام لمن رتب فى هذه المرتبة ووقف هذا الموقف وتفسير ذلك كن فرحا مسرورا وكان خرم باش هذا اذا جلس الملك لندمائه ومعاقريه أمر رجلا أن يرتفع على أربع

وبين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما في اللجة وزاد في تلك البهجة فقال

كأنما الشمعتان إذ سمتا * جيد غلام محسن الغيد
وفي حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدي

وكان معه غلام البكري معاطيا للراح وجاريا في ميدان ذلك المراح فأماجاء عبد الجليل بما جاء وحلى للابداع الجوانب والارجاء حسده على ذلك الارتجال وقال بين البطء والاستعجال

أعجب بمنظر ليلة ليلاء * تجني بها اللذات فوق الماء
في زورق يزهو بغرة أغيد * يختال مثل البانة الغناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاج تحت الماء أضوأ منهما * كالبرق يخفق في غمام سماء

*(وقال الفتح رحمه الله) دعيت يوما الى منية المنصور بن أبي عامر ببلنسية وهي منتهى الجمال ومزدهى الصبا والشمال على وهي بنائها وسكنى الحوادث برهة بفنائها فوافيتها والصبح قد ألبسها قميصه والحسن قد شرح بها عويصه وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبوابه وتوشحت بالازر الذهبية أثوابه يخترقه جدول كالحسام المسلول وينساب فيه انسياب الأيم في الطول وضفاته بالأدواح محفوفة والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة وفيه يقول علي بن أحمد أحد شعرائها وقد حله مع طائفة من وزرائها

قم فاسقني والرياض لابسة * وشيا من النور حاكه القطر
في مجلس كالسماء لاح به * من وجه من قد هويته بدر
والشمس قد عصفرت غلائلها * والارض تندى ثيابها الخضر
والنهر مثل المجرة حف به * من الندامى كواكب زهر

فحللت ذلك المجلس وفيه أحداث كأنهم الولدان وهم في عيش لدن كأنهم في جنة عدن فأنخت لديهم ركائبي وعقلتها وتقلدت بهم رغائبي واعتقلتها وأقمنا نتنعم بحسنه طول ذلك اليوم ووافى الليل فذدنا عن الجفون طروق النوم وظللنا بليلة كأن الصبح منها مقدود والاغصان تميس كأنها قدود والمجرة تتراءى نهرا والكواكب تخالها في الجو زهرا والثريا كأنها راحة تشير وعطارد لنا بالطرب يشير فلما كان من الغد وافيت الرئيس أبا عبد الرحمن زائرا فأفضنا في الحديث الى أن أفضى بنا الى ذكر متنزهنا بالامس وما لقينا فيه من الانس فقال لي ما بهجة موضع قد بان قطينه وذهب وسلب الزمان بهجته وانتهب وباد فلم يبق الا رسمه ومحاه الحدثان فكاد يلوح وسمه عهدي به عند ما فرغ من تشييده وتنوهي في تنسيقه وتنضيده وقد استدعاني اليه المنصور في وقت حلت فيه الشمس برج شرفها واكتست فيه الارض بزخرفها فحللت به والدوح تميس معاطفه والنور يخجله قاطفه والمدام تطلع به وتغرب وقد حل به قحطان ويعرب وبين يدي المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشر غير أربع ولا يحل غير الفؤاد من مربع وهم يديرون رحيقا خلتها في كأسها درا وعقيقا فأقمنا والشهب تغازلنا وكأن الافلاك منازلنا ووهب المنصور في

كان في دار الملك فيرفع ستيرته ويعرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول يا لسان احفظ رأسك فانك تجالس في هذا اليوم الملك ثم ينزل وكان ذلك تعلمهم في يوم جلوس الملك للهو وطربه فلم يأخذ أحد من الندماء مراتبهم مخافة أصواتها غير مشيرة بشيء من جوارحها حتى يطلع الموكل بالستارة فيقول غن أنت يا فلان كذا وكذا واضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى وقد كانت الاوائل من بني أمية لا تظهر للندماء وكذلك الاوائل من خلفاء بني العباس * وكور أردشير ابن بابك كورا ومدن مدنا وله عهد في أيدي الناس ولما خلا من ملكه أربع عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة واستقامت له الارض ومهدها وصال على الملوك فانقادت الى طاعته زهد في الدنيا وتبين عوارها وما هي عليه من الغرور والعناء وقلة المكث وسرعة الغيلة منها الى من أمنها ووثق بها واطمأن اليها وبان له أنها ضرارة ضرارة ختالة زائلة بائدة ما عذوب منها جانب لامرئ وحلا الا أمر منها عليه جانب ورأى أن من بنى قبله المدائن وحصن الحصون وساق الجموع وكان أعظم جيشا وأشد جنودا وأتم عددا قد صار رميما هشيما وتحت التراب مقيما فآثر التفرد عن المملكة والترك

ذلك

ذلك اليوم ما يزيد على عشرين القا من حلات متصلات وأقطع ضياعا ثم توجع لذلك العهد
وأفصح بما بين ضلوعه من الوجد وقال

سقيا المنزلة اللوى وكثيبها * اذ لا أرى زمنا كأزماني بها
انتهى

(وما أحسن ما كتب به الفتح الى بعض الملوك) يصف نزهة ببعض منتزهات الاندلس المونقة
ويذكر استضافته فيها بشهود سر المسرة المشرقة وهو أطال الله سبحانه بقاء ناصر الدولة ومحيي
الملة الذي حسن بالفياء العيش وزين بمحياه الجيش وراق باسمه الملك وجرت بسعده
الفلك وأنار به الليل الدامس ولاح له الاثر الطامس وجرى الدهر لسطوته خاضعا
وغدا السعد بعقوته طائعا والزمان يبرود علياه ملتحف ولثغور بداه مرتشف ولازال
للمجد تملكه والسعد تحمله فلكه أما وقد وافقني أيامه أيده الله سبحانه وفاقا ورأيت
للبيان عنده نفاقا فلا بدّ أن أرسل كتائبه أفواجا وأفيض من بحره أمواجا وأصف ما شاهدته
من اقتداره وعاينته من حسن ايراده واصداره فنال افصح من شكوى المحزون وأملح
من رياض الحزون وقد كنت أيدكم الله تعالى كلفا بالدول وبهاتها لهجا بالبلوغ الى
انتهائها لا جد دولة أرتضيها وحظوة علياء أقتضيها فكل ملك فاوضته سرا وجهرا
وكل ملك قليته بطنا وظهرا والنفس تحدثني بصدود الجمال عن الحرب والملائكة الكرام
عن الشرب الى أن حللت لديه ووصلت بين يديه فقلت الآن أمكن من راح البغية
الانتشاء وعنت الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث
نشاء ومازلت أسايره حيث سار وآخذ اليمين تارة وتارة اليسار وكل ناحية تسفر لي عن خد
روض ازهر وعذار نبت أخضر وتبسم عن ثغر حباب في نهر كالحباب وترفل من الربيع
في ملابس سندسيات وتهدي الينا نوافح مسكيات ونرى بهجتها بأحسن منظر
وتتيه بجلباب أينع من برد الشباب الانضر فجلنا فيها يمينا وشمالا واستخبرنا عن أسرارها
صبا وشمالا ثم مال بنا أيده الله تعالى عن هذه المسارح السنية والمنازل البهية الى
احدى ضياعه الحالية وبقاعه العالية فحللناها والايم قد عرى من جلبابه واليوم قد
اكتهل بعد شبابه فنزلنا قصورا يقصر عنها جعفري جعفر وقصور بني الاصفر تهدي
من لبانها بردا محبرا وتبدي من شذاها مسكا وعنبرا وقد لاحت من جوانبها نجوم أكواس
لو رآها أبو نواس لجعلها شعاره ووقف على نعتها أشعاره ولم يحذ سواها خمرة ولا نبه
خماره بعد هجعة فتعاطيناها والسعد لنا خادم وما غير السرور علينا قادم وخدود سقاتها
قد اكتست من سناها وقدودهم تميل علينا بجناها ونحن بين سكر وصحو واثبات
ومحو واصاخة الى بم وزير والتفاتة الى ملك ووزير الى أن ولى النهار فجانبا وأقبل
الليل المميت فاحييناه فوصلنا لهوا وقصفا وعيشا يتجاوز كل وصف فكأن يومنا مقيم
أوكأن ليلنا من الظلام عقيم ولما سل الفجر حسامه وأبدى لعروس الليل ابتسامه وجاء
يختال اختيالا وبعوض بقايا الليل نبالا قمنا نتنادب للمسير وكلنا في يد النشوة أسير
فسرنا والملك الاجل يقدمنا والايام تخدمنا ولازالت الايام به راضية وعن سواه لاهية
ما تمر وكر اعقاب وكان للشهور غرر وأعقاب انتهى * (وقال الفتح في ترجمة الراضي

لها واللحاق ببيوت النيران والانفراد بعبادة الرحمن والانس بالوحدة (فنصب ابنه سابور) المملكة وتوجه
بتاجه رسالته أنه رآه أرجح
ولده حلما وأكثرهم علما
وأشدهم بأسا وأجلهم
مراسا فعاش بعد ذلك في
حال تزهده وخلوة ربه
وكونه في بيوت النيران
سنة وقيل شهرا وقيل
أكثر مما ذكرنا * وأقام
أردشير اثنتي عشرة سنة
يحارب ملوك الطوائف
* ٤٤ ممن يكاتبه منقادا الى
الملك رهبة من صولته
ومنهم من يمتنع عليه فيسير
الى داره ويأتي عليه وكان
آخر من قتل منهم ملكا
للنبط بناحية سواد العراق
اسمه بابا بن برنيا صاحب
قصر ابن هبيرة ثم أردوان
الملك وفي هذا اليوم سمى
شاهنشاه وهو ملك الملوك
* وأم ساسان الاكبر من سبايا
بني اسرائيل وهي بنت
ساسان * ولاردشير بن
بابك أخبار في بدء مملكته
مع زاهد من زهادهم وأنبيائه
ملوكهم يقال له تنسر وكان
افلاطوني المذهب على
رأي سقراط وافلاطون
أعرضنا عن ذكرها اذ كنا
قد أتينا على جميع ذلك
في كتابنا أخبار الزمان
وفي الكتاب الاوسط
مع ذكر سيره وفتوحه وما
كان من أمره * ولاردشير
ابن بابك كتاب يعرف بكتاب الكرنامج فيه ذكر أخباره وحروبه ومسيره في الارض وسيره * وكان مما حفظ من وصية أردشير

بانه أن خالد يريد بن المعتمد بن عباد) بعد كلام ما صورته وأخبرني المعتمد بالله ان أبا المعتمد وجهه يعني الراضي الى شلب والياوكانت ملعب شبابه ومألف أحبابه التي عمر بجرد دهاغلاما وتذكر عهودها أحلاما وفيها يقول مخاطبا ابن عمار وقد توجه اليها

الاحي أوطاني بشلب أبابكر * وسلهن هل عهد الوصال كما أدري

وسلم على قصر الشراجيب من فتى * له أبدا شوق الى ذلك القصر

وقصر الشراجيب هذا متناه في البهاء والاشراف مباه لزوراء العراق ركضت فيه جياد راحاته وأومضت بروق أمانيه في ساحاته وجرى الدهر مطيعا بين بكره وروحاته أيام لم تحل عنه تمائمه ولا خلت من أزاهير الشباب كمائمه وكان يعتقدها منتهى آماله ومنتهى أعماله الى ان جنبها وطيب نفحاتها وهبابها والتفاف خمائلها وتقلدها بنهرها مكان حمائلها وفيها يقول ابن اللبانة

أما علم المعتمد بالله انني * بحضرته في جنة شقها نهر

وما هو نهر أعشب النبت حوله * ولكنه سيف حمائله خضر

فلما صدر عنها وقد حسنت آثاره في تدبيرها وانسدلت رعايته على صغيرها وكبيرها نزل المعتمد عليه مشرفا لاوته ومعرفا بسمو قدره لديه ورتبته وأقام يومه عنده مستريحا وجرى في ميدان الانس بطلا مشيحا وكان واجدا على الراضي بحالت الحميا أفقه وبحت غيظه عليه وحنقه وصورته له عين حنوة وذكرته بعده فخنع الى دنوه وبين ما استدعى وأوفى مالت بالمعتمد نشوته وأغفى وألفاه صريعا في مبتداه طريحا في منتهى مداه فقام تجاهه يرتقب انتباهه وفي أثناء ذلك صنع شعرا أتقنه وجوده فلما استيقظ أنشده

الآن تعود حياة الامل * ويدنو شفاء فؤاد معل

ويورق للعز غصن ذوى * ويطلع للسعد نجم أفل

فقد وعدتني سحاب الرضا * بوابلها حين جادت بطل

دعوت فطار بقلبي السرور * اليك وان كان منك الوجل

كما يستطير حب الوغى * اليها وفيها الظبا والاسل

أبا ملك أمره نافذ * فمن شاء أعز ومن شاء أذل

فلا غرو ان كان منك اغتفار * وان كان مناجميعا زلل

فذلك هو والذي لم يجد * عاد بحلم على من جهل انتهى

(وقال في ترجمة المتوكل على الله ابن الافطس ما صورته) واخبرني الوزير أبو محمد بن عبدون أن الارض توالى عليها الجدب بحضرته حتى جفت مذاهبها واغبرت جوانبها وغرد المكاء في غير روضه وحاض الياس بالناس أعظم خوضه وابدت الخمائل عبوسها وشكت الارض للسماء بوسها فاقلع المتوكل عن الشرب واللهو ونزع ملابس الخيلاء والزهو واظهر الخشوع واكثر السجود والركوع الى ان غيم الجو وانسجم النوء وصاب الغمام وترنمت الحمام وسفرت الازهار وزهت النجود والاغوار واتفق ان وصل ابو يوسف المغني والارض قد لبست زخارفها ورقم الغمام مطارفها وتتوجت الغيطان والربا وارجت

ة ... عند تصبيه اماه للملك أن قال اه يا بني ان الدين والملك أخوان ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه فالدين أس الملك والملك حارسه وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع وكان ... أعني أردشير الى ... خواص من ... أردشير بن بهمن من الملوك الى ... الدين ... والفقهاء ... هم عماد الدين والاساورة الذين هم عماد الحرب والى الحراث الذين هم عمرة البلاد سلام عليكم نحن بحمد الله صالحون وقد رفعنا اتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ونحن كاتبون اليكم بوصية فاحفظوها لا تستشعروا الحقد فيكم فيدهمكم العدو ولا تحبوا الاحتكار فيشملكم القحط وكونوا لابناء السبيل مأوى تردوا غدا في المعاد وتزوجوا في الاقارب فانه أمس للرحم وأقرب للنسب ولا تركنوا للدنيا فانها لا تدوم لاحد ولا تهتموا فما لم يكن الا ما شاء الله ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال الا بها * وكتب أردشير الى بعض عماله بلغني أنك تؤثر اللين على الغلظة والمودة على الهيبة والجبن على الجراءة فليشتد أولك وليلن آخرك ولا تخلين قلبك من هيبة ولا تعطله من مودة ولا يبعد عليك ما أقول فانهما نهات

نفحات الصبا والمتوكل ما فض أوبته ختاما ولا قوض عن قلبه منها خياما فكتب اليه

ألم أبو يوسف والمطر * فياليت شعري ما ينتظر
ولست بآت وأنت الشهيد * حضور نديك فيمن حضر
ولا مطلعي وسط تلك السما * بين النجوم وبين القمر
وركضي فيها جياد المدا * محثوثة بسياط الوتر

فبعث اليه مركوبا وكتب معه

بعثت اليك جناحا فطر * على خفية من عيون البشر
على ملك من نتاج البروق * وفي ظل من نسج الشجر
فحسبي عن نأى منه دنا * ومن غاب كان فداء من حضر

فوصل القبة المطلة على البطحاء المزرية بمنازل الروحاء فأقام معها حيث قال عدي بن زيد فيه مصنعا

في قباب حول دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

ومرهم من السرور يوما مادل على عين وما تصور قبل عيونهم لعين وأخبرني انه سايره الى شنترين قاصية أرض الاسلام السامية الذرا والاعلام التي لا يروعها صرف ولا يقرعها طرف لانها متوعرة المراقي معفرة للراقي متمكنة الرواسي والقواعد من ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد قد أطلت على خمائلها اطلال العروس من منصتها واقتطعت من الجو أكثر من حصتها هروا بأنفس قطر سالت به جداوله واختالت فيه خمائله فما يحول الطرف منه الا في حديقة أو بقعة أنيقة فتلقاهم ابن مقانا قاضي حضرته وأنزلهم عنده وأورى لهم بالمبرة زنده وقدم لهم طعاما واعتقد قبوله منا وانعاما وعندما طعموا قعد القاضي بباب المجلس رقيبا لا يبرح وعين المتوكل حياء منه لا تجول ولا تمرح فخرج أبو محمد وقد أبرمه بتثقيله وحرمه راحة رواحه ومقيله فلقي ابن خيرون منتظرا له وقد أعد لحلوله منزله فسار الى مجلس قد ابتسمت ثغور نواره وخجلت خدود ورده من زواره وأبدت صدور أباريقه أسرارها وضمت عليه المحاسن أزرارها ولما حضر له وقت الانس وحينه وأرجت له رياحينه وجه من رقب المتوكل حتى يقوم جليسه و يزول موحشه لا أنيسه فأقام رسوله وهو كأنه لا يريمه قد لازمه كأنه غريمه فما انفصل حتى ظن أن عارض الليل قد نصل فلما علم أبو محمد بانفصاله بعث الى المتوكل بطبع راح وطبق ورد وكتب معهما

اليكها فاجتلها منيرة * وقد دجا حتى الشهاب الثاقب
واقفة بالباب لم يؤذن لها * الا وقد كاد ينام الحاجب
فبعضها من المخاف جامد * وبعضها من الحياء ذائب

فقبلها منه رحمه الله تعالى وعفا عنه وكتب اليه

قد وصلت تلك التي زففتها * بكرا وقد شابت لها ذوائب
فهب حتى سنرد ذاهبا * من انسنا ان اسعد ذاهب

وكانت له حروب مع كثير من ملوك العالم في كورا ومصر مدنا مدنا الى ان نسب من الكور والمدن الى آبائه والعرب تسميه سابور الجنود وفي زمانه ظهر ماني وقال بالاثنين فرجع سابور الى دين المجوسية الى ان ذهب ماني والهوى بالاوروالى الهند فسامه ثم عاد بعد ذلك الى دين المجوسية ولحق ماني بأرض الهند لاسباب أوجبت ذلك قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكتب ملك الروم الى سابور بن أردشير أما بعد فقد بلغني من سياستك لجندك وضبطك ما تحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت أن أسلك فيه طريقتك وأركب منهاجك فكتب اليه سابور نلت ذلك بثمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهي قط ولم أخلف وعدا ولا وعيدا قط وحاربت للغنى لا للهوى واجتذبت قلوب الناس ثقة بلا كره وخوفا بلا مقت وعاقبت للذنب لا للغضب وعممت بالقوت وحسمت الفضول ويقال ان سابور كتب الى بعض عماله اذا اشتكى اليك رجلا رأس رزقه وقد

بصالح الاعوان عضده وأطلق بالتدبير يده في اتساع رزقه حسم طمعه وفي تقويته بالاعوان نعل وطأته على اهل العذر ان

فركب اليه ونقل معه ما كان بالمجلس بين يديه وباتا ليلتهما الا بريحان السهر ولا يشيمان برقا الا الكاس والزهر (ثم قال) بعد كلام وأخبرني الوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية انه مر في بعض أيامه بروض مفتر المباسم معطر الرياح النواسم قد صقل الربيع حوذانه وأنطق بلبله وورشانه وألحف غصونه برودا مخضرة وجعل اشراقه للشمس ضرة وأزاهره تتيه على الكواكب وتختال في خلع الغمام السواكب فارتاح الى الكون به بقية نهاره والتنعم بمنفسجه وبهاره فلما حصل من أنسه في وسط المدى عمد الى ورقة كرنب قد بللها الندى وكتب فيها بطرف غصن يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم أحد ندمائه ونجوم سمائه

أقبل أبا طالب الينا * وقع وقوع الندى علينا

فنحن عقد بغير وسطى * ما لم تكن حاضرا لدينا

(وقال في ترجمة المعتصم بن صمادح ما صورته) وأخبرني الوزير أبو خالد بن بشتغير انه حضر مجلسه بالصمادحية في يوم غيم وفيه أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء فقعد على موضع يتداخل الماء فيه ويلتوي في نواحيه والمعتصم منشرح النفس مجتمع الانس فقال

انظر الى حسن هذا الماء في صببه * كانه أرقم قد جد في هربه

فاستبدعوه وتموهوه وأولعوه فأسكب عليهم شآبيب نداه وأعرب عما ظهر من بشره وأبداه ثم قال بعد كلام وخرج الى برجة ودلاية وهما منظران لم يجل في مثلهما ناظر ولم تدع حسنهما الخدود النواضر غصون تثنيها الرياح ومياه لها انسياح وحدائق تهدي الارج والعرف ومناظر تبهج النفس وتمتع الطرف فأقام فيهما أياما يتدرج في مسارحها ويتصرف في منازهها وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة وأمدت عليها أي انافة (وقال في ترجمة ابن رزين ما ملخصه) أخبرني الوزير أبو عامر أنه اصطبح يوما والجو سماكي العوارف لازوردي المطارف والروض أنيقة لباته رقيقة هباته والنور مبتل والنسيم معتل ومعه قومه وقد راقهم يومه وصلاته تصافح معتفيهم ومبراته تشافههم وتوافيهم والراح تشعشع وماء الاماني ينشع فكتب الى ابن عمار وهو ضيفه

ضمان على الايام أن أبلغ المنى * اذا كنت في ودي مسرا ومعلنا

فلو تسأل الايام من هو مفرد * بود ابن عمار لقالت لها أنا

فان حالت الايام بيني وبينه * فكيف يطيب العيش أو يحصل المنى

ولما وصلت الرقعة اليه تأخر عن الوصول واعتذر بعذر مختل المعاني والفصول فقال أحد الحاضرين اني لاعجب من قعود ابن عمار عن هذا المضمار مع ميله الى السماع وكلفه بمثل هذا الاجتماع فقال ذو الرياستين ان الجواب تعذر فلذا اعتذر لانه يعاني قوله ويعاله ويرويه ولا يرتجله ويغوله في المدة الممتدة فرأى أن الوصول بلا جواب اخلال لادبه واخلال لمنازله في الشعر ورتبه فلما كان من الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب وهو

هصرت لي الآمال طيبة الجنى * وسوغتني الاحوال مقبلة الدنى

وألبستني النعمى أغض من الندى * وأجمل من وشي الربيع وأحسنا

وفي اطلاقه بالتدبير ما أسافه عواقب الامور ثم قفه من أمره على ماله تقدمته ليمثله أماما ويحفظه كلاما فان وقع أمره بما رسمت قوله عرضك وأوجب زيارته عليك وان حاص عن امرك علقته بجنث واصفت بالعقوبة عليه يدك والسلام * وعهد سابور الى ابنه هرمز ومن بعده من الملوك بعده فقال اجعلوا اسلافكم كمثل اخضار كم وارتفاع كرمكم كارتفاع هممكم وفضل سعيكم كفضل جدكم وقيل ان ملك سابور كان احدى وثلاثين سنة ونصفا وثمانية عشر يوما (ثم ملك بعد سابور ابنه هرمز) بن سابور الملقب بالبطل وكان ملكه سنة وقيل اثنين وعشرين شهرا وبنى مدينة رام هرمز من كور الاهواز * وكتب الى بعض عماله لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الا رجل تكاملت فيه خمس خصال حزم يتيقن به عند موارد الامور حقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور في المشكلات الا عند تجلي فرصها وشجاعة لا تنقصها الملمات بتواتر حوائجها وصدق في الوعد والوعيد يوثق بوفائه بهما وجود يهون عليه تدبير الاموال في حقها (ثم ملك بعده بهرام بن هرمز) ثلاث سنين وكانت له حروب مع ملوك الشرق وقد كربا وكم

وكم ليلة أحظيتني بحضورها * متى سمير الاسماء والسنى
أعلل نفسي بالمكارم والعلا * وأدني وكف بالعفو بالغنى
سأفرن بالتحويل ذكرك كلما * تعاورت الاسماء عبرك والكنى
لاوسعتني قولا وطولا كلاهما * يطوق أعناقا ويخرس ألسنا
وشرفتني من قطعة الروض بالتي * تناثر بها الطبع وردا وسوسنا
روق بيد الملك عقد امرصعا * ورهو على عطفيه برد امرفنا
فدم هكذا يافارس الدست والوغى * لتطعن طورا بالكلام وبالقنا

(وأخبرني الوزير ابن سعدون) أنه اصطحب يوما بحضرته والرذاذ يرش والريح على وجه الارض يرش وقد نضد على الغمام الازهار حتى أذهب بها [illegible] فاروى عنها [illegible]

حديث الذي لا يستطيع الظم والنثر * هات مليك الارض واندل الامر
مريقا ابدا الله العمر فانهل صوبا * كما سكبت وطفاء أو سكب البحر
وجاء الربيع الطلق يبدي غضارة * تحييك منه الشمس والروض والزهر

الى أن قال ثم وجهته الى روضة قد أرجت نفحاتها وبهجت ساحاتها وتفتحت كمامها وأفصحت حمامها وحرت جداولها كالبواتر ورمقت أزهارها كالعيون الفواتر وأقاموا يعملون أكوابهم ويشتملون أثوابهم فقال ذو الرياستين

وروض كساه الطل وشيا مجددا * فأضحى مقيما للنفوس ومقعدا
اذا صافحته الريح خلت غصونه * رواقص في خضر من العصب ميدا
اذا ما انسكاب الماء عاينت خلته * وقد كسرته راحة الريح مبردا
وان سكنت عنه حسبت صفاءه * حساما صقيلا صافي المتن جردا
وغنت به ورق الحمائم بيننا * غناء ينسيك الغريض ومعبدا
لانجعون الدهر ما دام مسعدا * ومد الى ما قد حباك به يدا
وخذها مداما من غزال كأنه * اذا ما سعى بدر تحمل فرقدا

الى أن قال وأخبرني الوزير ابن سعدون انه كان معه في منية العيون في يوم مطر الاديم ومجلس معزز النديم والانس يعاز لهم من كل ثنية ويواصلهم بكل أمنية فسكر أحد الحاضرين سكرا مثل له ميدان الحرب وسهل عليه منيع الطعن والضرب فطلب مجالس الانس حربا وقتالا وطلب الطعن وحده والنزالا فقال ذو الرياستين

نفس الدليل تعز بالجريال * فيقاتل الاقران دون قتال
كم من جبان ذي افتخار باطل * بالراح تحسبه من الابطال

*(وقال في ترجمة ابن طاهر ما صورته) وجئته يوما وقد وقفت بباب الحنش فسأل لي من أين فأعلمته ووصفت له ما عاينته من حسنه وتأملته فقال لي كنت أخرج اليه في أكثر الليالي مع الوزير الاجل أبي بكر يعني ابن عبد العزيز الى روضته التي ودت الشمس أن يكون منها طلوعها وودت المسك أن تضم عليه ضلوعها والزمان غلام والعيش أحلام والدنيا تحية وسلام

وقال الزمخشري في أصحابه وفي أيام الي هذا شهر اسم الزندقة الذي ... الزنادقة ... حين اباهم رزاد ... فيهما ... من هذا الكتاب ... المعروف بالسماء الاولى من ... الزند ... على حسب ما قدمنا وكان الزند التأويل ... المقدم المنزل وكانت اورد في شر ... خلاف المنزل الذي هو السماء وعدل الى التأويل الذي هو الزند قالوا هذا زندي فاضافوه الى التأويل وانه منحرف عن الظواهر من المنزل الى التأويل هو خلاف التنزيل فلما جاءت العرب اخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا زنديق وعربوه والثنوية هم الزنادقة ويلحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم (ثم ملك بعده بهرام بن بهرام) وكان ملكه سبع عشرة سنة وقيل غير ذلك وأدمن في اول ملكه على القصف واللذات والصيد والنزهة لا يفكر في ملكه ولا يستشرف

٤٠ ط ل اموررعيته واطع الضياع لخواصه ومن لاذ به من خدمه وحاشيته فخربت الضياع وخلت من عمارة

والناس قد انتشروا في جوانبه وقعدوا على مذانبه وفي ساقيته الكبرى دولاب يئن كناقة
ترحوار أو كثكلى من حر الاوار وكل مغرم يجعل فيه ارتياحه بكرته ورواحه ويغازل
عليه حبيبه ويصرف اليه تشبيبه فخرجت عليه ليلة والمتني الجزيري واقف وامامه ظبي
آنس تهيم به المكانس وفي أذنيه قرطان كأنهما كوكبان وهو يتأود تأود غصن البان
والمتني يقول

معشر الناس بباب الحنش * بدر تم طالع في غبش
علق القرط على مسمعه * من عليه آفة العين خشي

فلما رآني أمسك وبجع كأنه تنسك *(وقال في ترجمة ابن عمار ما صورته) وتنزه
بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجروا من اتقانه الى غاية وأمد
وأبدع بناؤه وعمقت ساحته وفناؤه واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار انشراحهم
وحكوا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب الثاقب المشرق فحله ابو بكر بن
عمار على اثر بؤسه وابتسم له دهره بعد عبوسه والدنيا قد أعطته عفوها وسقته صفوها
وبات فيه معملة من أتباعه ومتفيئ رباعه وكلهم يحييه بكاس ويفديه بنفسه من كل باس
فطابت له ليلته في مشيده وأطربه الانس ببسيطه ونشيده فقال

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى وفاح المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندي * عنبر أشهب ومسك أحم انتهى

وعبر صاحب البدائع عن هذه القصة بقوله تنزه ابن عمار بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده
خلفاء بني أمية وزخرفوه ودفعوا صرف الدهر عنه ورصفوه وأجروه على ارادتهم وصرفوه
وذهبوا بسقفه وفضضوها ورخموا أرضه وروضوها فبات به والسعد يلحظه بطرفه
والروض يحييه بعرفه فلما استنفد كافور الصباح مسك الغسق ورصع آبنوس الظلام نضار
الشفق قال مرتجلا كل قصر بعد الدمشق يذم الخ انتهى *(وقال في ترجمة ذي
الوزارتين أبي عيسى بن لبون) أخبرني الوزير ابو عامر بن الطويل انه كان بقصر مربيطر بالمجلس
الشرقي منها والبطحاء قد لبست زخرفها ودبج الغمام مطرفها وفيها احداثق نرجس تزرى عن مقل
نرجسها وتبث طيب تنفسها والجلنار قد لبس أردية الدماء وراع أفئدة الندماء
فقال

دم يا نديم أدر على القرقفا * أو ما ترى زهر الرياض مفوفا
فتخال محبوبا مدلا وردها * وتظن نرجسها محبا مدنفا
والجلنار دماء قتلى معرك * والياسمين حباب ماء قد طفا

الى أن قال وشرب مع الوزراء الكتاب ببطحاء لورقة في عشية تجود بديمها ويصوب عليها
دمع سمائها والبطحاء قد خلع عليها سندسها ودرها نرجسها والشمس تنفض على الربا
زعفرانها والانوار تغمض أجفانها فكتب الى ابن اليسع

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن تسكب أحيانا وتحدر

والارض

سكنوا الضياع المعمورة فقلت العمارة الا ما اقطع من الضياع وسقطت عنهم المطالبة والخراج بما يلة
زرواء خواص الملك وكان
تدبير الملك مفوضا الى
وزرائه فخربت البلاد
وقلت العمارة وقل ما في
بيوت الاموال وضعف
الجند من الجنود وهلك
الضعيف منهم فلما كان في
بعض الايام ركب الملك
الى بعض متنزهاته وصيده
بحيث الليل وهو يسير نحو
المدائن وكانت ليلة قمراء
قد دعا بالموبذان لامر حضر
بباله فلحق به وسايره
واقبل على محادثته
مستخبرا عن سير أسلافه
فتوسطوا في مسيرهم خرابات
كانت من أمهات الضياع
قد خربت في مملكته ولا
انيس بها الا البوم واذا
بوم يصيح وآخر يجاوبه
من بعض تلك الخرابات
فقال الملك للموبذان أترى
أحدا من الناس أعطي
فهم منطق هذا الطير المصوت
في هذا الليل الهادي فقال
له الموبذان انا أيها الملك
من قد خصه الله بفهم ذلك
فاستفهمه الملك عما قال
وعلمه ان دوله صحيح فقال
له ما يقول هذا الطائر وما
الذي يقول الآخر قال
الموبذان هذا بوم ذكر
يخاطب بومة ويقول لها
أمتعيني من نفسك حتى يخرج
منا اولاد يسبحون الله ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا والترحم علينا فاجابته البومة ان الذى

والارض مصفرة بالشمس كاسية * أبصرت تبراعليه الدر ينتثر

*(وقال فى ترجمة ذى الوزارتين أبى بكر بن رحيم ماصورنه) ووصل هو وابن وضاح صهر المرتضى وابن جمال الخلافة صاحب صقلية الى احدى جنات مرسية فحلوا منها فى قبة فوق جدول مطرد وتحت أدواح طيرها غرد فأقاموا يتعاطون رحيقهم ويعمرون فى المؤانسة طريقهم اذا بالجنانى قد وقف عليهم وقال كان بموضعكم بالامس صاحب الموضع ومعه شعور منشورة وخدود غير مستورة قد رفعت عنها البراقع ومامنها نظرة الا وتبعها سهم واقع فاستدعى فحما وكتب فى احدى زوايا القبة

قادناودنا اليك فخئنا * بنفوس تفديك من كل بوس

فنزلنا منازل البدور * وحللنا مطالع الشموس

*(وقال فى ترجمة الوزير الكاتب أبى محمد بن عبدون ماصورته) حللت بابرة فازانى والها بتصرها ومكننى من جنى الامانى وهصرها فأقمت ليلى أجرعلى المجرة ذيلى وتتطارد فى ميدان السرور خيلى فلما كان من الغد باكرنى الوزير أبو محمد مسلما ومن تنكبى عنه متألما ثم عطف على القائد عاتبا عليه فى كونى لديه ثم انصرف وقد أخذنى من يديه فحللت عنده فى رحب وهمت على من البر أهمى سحب فى مجلس كأن الدرارى فيه مصفوفة أو كأن الشمس اليه مزفوفة فلما حان انصرافى وكثر التفاتى الى مالى واستشرافى ركب معى الى حديقة نضرة مجاورة للحضرة فاتخذنا اليها أبدى عيسنا وتلقانا منها ماشئنا من تأنيسنا فلما امتطيت عزمى وسددت الى غرض الرحلة سهمى أنشدنى

سلام يناجى منه زهر الربا عرف * فلا سمع الا ودلو أنه أنف

حنينى الى تلك السجايا فانها * لآثار أعيان المساعى التى أقفو

ثم سرد القصيدة الى أن قال وله رحمه الله تعالى

سقاها الحيا من مغان فساح * فكم لى بها من معان فصاح

وحلى أكاليل تلك الربا * ووشى معاطيف تلك البطاح

فلم أنس لم أنس عهدى بها * وجرى فيها ذيول المراح

ونومى على حبرات الرياض * يجاذب بردى مر الرياح

ولم اعط امر النهى طاعة * ولم أصغ سمعى الى قول لاح

وليل كرجعة طرف المريب * لم ادر له شفقا من صباح

(وقال) فى ترجمة الوزير أبى محمد بن مالك بعد كلام له فيه وانشاده بيتيه البديعين اللذين هما

لا تلمنى بأن طربت لشجو * يبعث الانس فالكريم طروب

ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الشان أن تشق القلوب

ماصورته وخرجت باشبيلية مشيعا لاحد زعماء المرابطين فالفيته معه مسايرا له فى جملة من شيعه فلما انصرفنا مال بنا الى معرس أمير المسلمين أدام الله تعالى تاييده الذى ينزله عند حلوله باشبيلية وهو موضع مستبدع كأن الحسن فيه مودع ماشئت من نهر ينساب انسياب الاراقم وروض كما وشت البرد يد راقم وزهر يحسد الملك رياه ويتمنى الصبح أن

دعوتنى اليه هو الحظ الاكبر والنصيب الاوفر فى العاجل والآجل الا انى أشرط عليك خصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى ما دعوتنى اليه فقال لها الملك وما تلك الخصال قالت أولها ان أنا ابتذلت نفسى وصرت الى ما اليه دعوتنى تضمن لى أن تعطينى من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب فى أيام هذا الملك السعيد فقال له الملك وما الذى قال لها الذكر قال الموبذان كان من قوله لها ان دامت أيام هذا الملك السعيد حده أعطيتك مما خرب من الضياع ألف قرية تصنعين بها قالت فى اجتماعها طهور النسل وكثرة الولد ينقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات قال لها الذكر هذا أسهل أمر أردتيه وأيسر أمر طلبتيه منى وقد سمت لك الوعد وأنا سلىء بذلك بها فى ما بعد ذلك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان عمل فى نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته ونزل للناس وخلا بالموبذان فقال له أيها القيم بالدين والناصح للملك المنبه على ما أغفله من أمور ملكه وأضاعه من أمر بلاده ورعيته ما هذا الذى خاطبتنى به فقد حركت منى ما كان ساكنا وبعثتنى على علم ما كنت عنه غائبا قال الموبذان صادفت من الملك السعيد

نم به شذاه وهمّ فصل الكلام وسيم من حلسانه نوره ومد يده الى وهى فى كمه فعزم على أن أدون ما لاق وصفه فقلت

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفى كمه من راحتى البدر كوكب

قال أبو محمد

يروح لتعذيب النفوس ويغتدى * ويطلع فى أفق الجمال ويغرب
ويحسد منه الغصن أى مهفهف * يجيء على مثل الكثيب ويذهب

(وقال فى ترجمة الوزير أبى القاسم بن السقاط بعد كلام كثير ما صورته) وحلّ الوزير القاضى أبو الحسن بن أضحى الى احدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير أبو محمد بن مالك وجماعة من أعيان تلك الممالك فحللنا بضيعة لم يحت الحل أثلها ولم ترمق العيون مثلها وحللنا منها فى كنائف جنات ألفاف قد اشتملت من دوحة لفاء وغصن يميس كعطفى هيفاء ونسيم يتسلل فى جداوله ونهر يضمخ بالمسك راحة متناوله ولما قعدنا من تلك الحدائق أرائكها واقتضبنا منها أترابا عربا ملنا الى موضع المقيل وبرلماءازه ترى بمنزه جديمة مع مالك وعقيل وبعد وصولنا الى من أحد الاصحاب تقصير فى المبرة عرض لى منه تكدير لتلك المسرة وأظهرت التثاقل أكثر ذلك اليوم ثم بدا لهم الى الاضطجاع والنوم وقد سفت الاو السماء تدسح نحوها وقم دونها والغمام منهمل والثرى من سقياه ثمل وسنى بعثه وأحيى برد لبرل بعمه وبوسه وأنشدنى

يوم تجهم فيه الافق وانتثرت * مدامع الغيث فى خد الثرى هملا
رأى وجومك فارتدت طلاقته * مضاهيا لك فى الاخلاق ممتثلا

(وقال فى ترجمة الوزير القاضى أبى الحسن بن أضحى ما نصه) وكان لصاحب البلد الذى كان يتولى القضاء به ابن من أحسن الناس صورة وكانت محاسن الافعال والاقوال عليه مقصورة مع ما شئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والتفاف فحملنا الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فلما قربه على ضفة نهر أحسن من سلك شبهها حداوى كالدلال ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من أعيانها فأحضر بها من أنواع الطعام وأرانا من فرط الاكرام والانعام ما لا يطاق ولا يحد ويقصر عن بعضه العد وفى أثناء مقامنا مال الى من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام اعتقده وملام أحقده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم أر منه ما عهدته من الانابة فكتبت اليه مداعبا راجعنى بهذه القطعة

أتنى أبا نصر نتيجة خاطر * سريع كرجع الطرف فى الخطرات
فأعربت عن وجد كمين طويته * بأهيف طاو فاتر اللحظات
غزال أحم المقلتين عرفته * بخيف منى للحسن أو عرفات
رماك فأصمى والقلوب رمية * لكل كحيل الطرف ذى فتكات
وظن بأن القلب منك محصب * فلباك من عينيه بالجمرات
تقرب بالنساك فى كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات

ثم قال له الملك أيها الناصح
كشف لى عن هذا الغرض
الذى اليه رميت والمعنى
الذى له قصدت [illegible]
والى [illegible] قول [illegible]
أيها الملك ان [illegible]
الملك لا يتم عزه الا بالشريعة
والقيام لله بطاعته والتصرف
تحت أمره ونهيه ولا دوام
للشريعة الا بالملك ولا عز
للملك الا بالرجال ولا قوام
للرجال الا بالمال ولا سبيل
الى المال الا بالعمارة ولا
سبيل للعمارة الا بالعدل
والعدل الميزان المنصوب
بين الخليقة نصبه الرب
وجعل له قيما وهو الملك
قال الملك اما ما وصفت فحق
فأبن لى عما قصدت وأوضح
لى فى البيان قال المؤبذان
نعم أيها الملك عمدت الى
الضياع فانتزعتها من
أربابها وعمارها وهم
أرباب الخراج ومن تؤخذ
منهم الاموال وقطعتها
الحاشية والخدم وأهل
البطالة وغيرهم فعمدوا
الى ما تعجل من غلاتها
واستعجلوا المنفعة وتركوا
العمارة والنظر فى العواقب
وما يصلح الضياع وسومحوا
فى الخراج لقربهم من الملك
ووقع الحيف على من بقى
من أرباب الخراج وعمار الضياع فانجلوا عن ضياعهم وخلوا عن ديارهم وأووا الى ما تعذر من الضياع وكانت

وكانت لهجيان مثوى فأصبحت * صدا لوعسك مثواه بكل فلاة
يعز علينا أن تهيم فتنطوى * كئيبا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس في الحب فدية * فديناك بالاموال والبشرات

*(وقال في ترجمة اديب الاندلس وشاعرها أبي الصلت بن خفاجة بعد كلام ماصورته) وقال بعد معاهد الشباب وتفجع لوفاة الاخوان والاحباب فقبيل أعاد الديار آثارا وقضى عليها وهيا وانتثارا

ألا عرس الاخوان في ساحة البلى * وما رفعوا غير القبور قبابا
فدمع كما سح الغمام ولوعة * كما ضرمت ريح الشمال شهابا
اذا استوقفتني في الديار عشية * تلذذت فيها جيئة وذهابا
أكر بطرفي في معاهد فتية * ثكلتهم بيض الوجوه شبابا
فطال وقوفي بين وجد وفرقة * أنادي رسوما لا تحير جوابا
وأمحو جميل الصبر طورا بعبرة * أخط بها في صفحتي كتابا
وقد درست أجسامهم وديارهم * فلم أر الا أعظما وترابا
وحسبي شجوا أن أرى الدار بلقعا * خلاء وأشلاء الصديق ترابا

ولقد أحلى بهذه الديار المندوبة وهي كعهدها في جودة مبناها وعودة سناها في لبنها كتحلما طلالا مها اتخذا وعونها من بيوتها كذا ولم يزل ذلك الانس يبسطه والسمر و ينشطه حتى نشر لي ماطواه و بث مكتوم لوعته وجواه وأعلمني بلياليه وبهامع اترابه وماقضى بها من أطرابه انتهى ماوقع عليه اختياري من كلام أبي نصر الفتح بن عبيد الله رحمه الله تعالى في وصف بعض منتزهات الاندلس البديعة ورياضها المونقة المريعة وما أحسن رسالته مختصرة كتبها مهنئا بعض ملوك الاندلس بما منحه الله تعالى من التمكين الذي أيده به ونصره وقد جود أوصافه واستطرد منها الى ذكر الناصر وولده الحكم اللذين عمرا الزهراء والرصافة ونصها أدام الله تعالى أيام الامير للارض يملكها و يستدير بسعده فلكها وقد استبشر الملك أيدك الله وحق له الاستبشار فقد أومأ اليه السعد وأشار بما اعتقه من توليتك وحقق عليه من ألويتك فلندحي منك بملك أمضى من السهم المسدد طويل نجاد السيف رحب المقلد يتقدم حيث يتأخر الذابل و يتكرم اذا انخل الوابل و يحمي الحمى كربيعة بن مكدم و يسقي الظبا نجيعا كلون العندم فهنيئا للاندلس فقد استردت عهد خلفائها واستجدت رسوم تلك الامامة بعد عفائها فما أن لم تمت أعاصرها ولم يمت حكمها ولا ناصرها اللذان عمرا الرصافة والزهرا ونكحا عقائل الروم وما بذلا غير المشرفية مهرا والله سبحانه أسأله اظهار أيامك وبه أرجو انتشار أعلامك حتى يكون عصرك أجمل من عصرهم ونصرك أغرب من نصرهم بمنه وكرمه ويمنه *(وقال رحمه الله تعالى في ترجمة الفقيه القاضي الحافظ أبي محمد عبد الحق بن عطية صاحب التفسير الشهير بعد كلام كثير ماصورته) ومررنا في احدى نزهتنا بمكان مقفر وعن المحاسن مسفر وفيه بكير رحس كانه عيون مراض يسيل وسطه ماء رضراض بحيث لا حس الا للهام ولا أنس الا ما يتعرض للاوهام فقال

بأربابه فسكنوه فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال فهلكت الجنود

والرعية وطمع في ملك فارس من أطاف بها من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التي بها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان أقام في موضعه ذلك ثلاثا وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين وأحضرت الجرائد فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية وردت الى أربابها وحملوا على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد وكثرت الاموال عند جباية الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك يباشر الامر بنفسه في كل وقت من الزمان و ينظر في أمر خواصه وعوامه فحسنت أيامه وانتظم ملكه حتى كانت تدعى أيامه أعياد الناس لما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل (ثم ملك بعده بهرام ابن الملك ابن بهرام أربع سنين وأربعة أشهر (ثم ملك بعده نرسي بن بهرام) على ماذكرنا من النسب وكان الملك يدعى البطل وكان ملكه سبع سنين ونصفا (ثم ملك بعده هرمز) بن نرسي بن بهرام على ماذكرنا من النسب وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر ودكر أبو عبيدة معمر بن المثنى

نرجس باكرت فيه روضة * لذقطع الدهر فيها وعذب
حثت الريح بها خمر حيا * رقص النبت لها ثم شرب
فغدا يسفر عن وجنته * نوره الغض ويهتز طرب
خلت لما الشمس في مشرقه * لهبا يخمد منه في لهب
وبياض الطل في صفرته * نقط الفضة في خط الذهب

انتهى وسيأتي ان شاء الله تعالى كثير من وصف بلاد الاندلس ومنتزهاتها وما اشتملت عليه من المحاسن في كلام غير واحد ممن يجري ذكره في هذا الكتاب وخصوصا أديب زمانه غير مدافع من اعترف له أهل الشرق بالسبق وأهل المغرب بالابداع المغرب النور أبو الحسن علي ابن سعيد العنسي فانه لما اتصل بمصر ودخلها اشتاق الى تلك المواطن الاندلسية الرائقة ووصفها بالقصائد والمقطوعات الفائقة وقد أسلفنا أيضا فيما مر من هذا الكتاب بعض ما يتعلق بمحاسن الاندلس فليراجع في محله من هذا الكتاب قلت وماذا عسى أن نذكر من محاسن قرطبة الزاهرة والزهرا ونصف من محاسن الاندلس التي تبسم بكل موضع منها طلا اضا وانهرا وزهرا ورحم الله تعالى اديبها المشهور الذي اعترف له بالسبق الخاصة والجمهور أبا اسحق بن خفاجة اذ قال

يا أهل أندلس لله دركم * ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم * ولو تخيرت هذا كنت أختار
لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا * فليس تدخل بعد الجنة النار

وروى مكان قوله ولو تخيرت هذا كنت أختار ما مثاله وهذه كنت لو خيرت اختار ومكان لا تختشوا لا تحسبوا وكذا رأيت بخط الحافظ الشمني والاول رأيته بخط العلامة الوانشريسي رحمهما الله تعالى * وحكي ان الخليلي لما قدم من الاندلس رسولا الى سلطان المغرب أبي عنان فارس ابن السلطان أبي الحسن المريني انشد بحضرة السلطان المذكور أبيات ابن خفاجة هذه كالمفتخر ببلاد الاندلس فقال السلطان أبو عنان كذب هذا الشاعر يشير الى كونه جعلها جنة الخلد وأنه لو خير لاختارها على ما في الآخرة وهذا خروج من ربقة الدين ولا أقل من الكذب والاغراق وان جرت عادة الشعراء بذلك الاطلاق فقال الخليلي يا مولانا بل صدق الشاعر لانها موطن جهاد ومقارعة للعدو وجلاد والنبي صلى الله عليه وسلم الرؤف الودود الرحيم العطوف يقول الجنة تحت ظلال السيوف فاستحسن منه هذا الكلام ورفع عن قائل الابيات الملام وأجزل صلته ورفع منزلته ولعمري ان هذا الجواب لجدير بالصواب وهكذا ينبغي ان تكون رسل الملوك في الافتنان روح الله تعالى أرواح الجميع في الجنان وأبو اسحق بن خفاجة كان أوحد الناس في وصف الانهار والازهار والرياض والحياض والرياحين والبساتين وقد سبق بعض كلامه ويأتي أيضا منه بعض في أثناء الكتاب ومن ذلك قوله

وكمامة حدر الصباح قناعها * عن صفحة تندى من الازهار
في أبطح رضعت ثغور أقاحه * أخلاف كل غمامة مدرار

الى عهد كسرى أن كل من ذكرنا جند يسابور من بلاد خوزستان وقد كان يعقوب ابن الليث الصفار سكن جنديسابور تشبها بمن مضى من ملوك ساسان الى أن مات بها وسنذكر فيما نورده من هذا الكتاب أخبار المتغلبين سكناه [illegible] فيها (ثم ملك بعده هرمز بن نرسي ابنه سابور بن هرمز) وهو سابور ذو الاكتاف وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وسبعين سنة وخلفه والده حملا فغلبت العرب على سواد العراق وقام الوزراء بامر التدبير وكانت جمرة العرب ممن غلب على العراق ولد اياد بن نزار وكان يقال لها طبق لاطباقها على البلاد وملكها يومئذ الحرث بن الاغر الايادي فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعد أساورته بالخروج اليهم والايقاع بهم وكانت اياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق وكان في حبس سابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب الى اياد شعرا ينذرهم به ويعلمهم خبر من يقصدهم وهو
سلام في الصحيفة من لقيط * على من في الجزيرة من اياد
بان الليث يأتيكم دلاقا * فلا يحبسكم سوق النقاد
أتاكم منهم سبعون ألفا * يجرون الكتائب كالجراد
على خيل ستأتيكم فهذا *

أوان هلاككم كهلاك عاد فلم يعبئوا بكتابه وسراياه تكر نحو العراق وتغير على السواد فلما تجهز الروم

نثرت بحجر الارض فيه يد الصبا * درر الندى ودراهم النوار
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت * حلى الحباب سوالف الانهار
فحللت حيث الماء صفحة ضاحك * جذل وحيث الشط بدء عذار
والريح تنفض بكرة لمم الربا * والطل ينضح أوجه الاشجار
متقسم الالحاظ بين محاسن * من ردف رابية وخصر قرار
واراكة سجع الهديل بفرعها * والصبح يسفر عن جبين نهار
هزت له أعطافها ولربما * خلعت عليه ملاءة الانوار

ودونه

سقيا ليوم قد أنخت بسرحة * ريا تلاعبها الرياح فتلعب
سكرى يغنيها الحمام فتنثني * طربا ويسقيها الغمام فتشرب
يلهو فيرفع للشبيبة راية * فيه ويطلع للبهارة كوكب
والروض وجه أزهر والظل فر * ع أسود والماء ثغر أشنب
في حيث أطربنا الحمام عشية * فشدا يغنينا الحمام المطرب
واهتز عطف الغصن من طرب بنا * وافتر عن ثغر الهلال المغرب
فكأنه والحسن مقترن به * طوق على برد الغمامة مذهب
في فتية تسري فينصدع الدجى * عنها وتنزل بالجديب فيخصب
كرموا فلا غيث السماحة مخلف * يوما ولا برق اللطافة خلب
من كل أزهر للنعيم بوجهه * ماء يرقرقه الشباب فيسكب

وقال يمدح الامير أبا يحيى بن ابراهيم

سمح الخيال على النوى بمزار * والصبح يمسح عن جبين نهار
فرعت من باري لضيف طارق * يعشو اليها من خيال طاري
ركب الدجى أحسن به من مركب * وطوى السرى أحسن به من ساري
وأناخ حيث دموع عيني منهل * يروى وحيث حشاي موقد نار
وسقى فأروى غلة من ناهل * أوري بجانحتيه زند أوار
يلوي الضلوع من الولوع لخطرة * من شيم برق أو شميم عرار
والليل قد نضح الندى سرباله * فانهل دمع الطل فوق صدار
مترقب رسل الرياح عشية * بمساقط الانواء والانوار
ومجرر ذيل غمامة لبست به * وشي الحباب معاطف الانهار
خفقت ظلال الايك فيه ذوائبا * وارتج ردفا مائل التيار
ولوى القضيب هناك جيدا اتلعا * قد قبلته مباسم النوار
باكرته والغيم قطعة عنبر * مشبوبة والبرق لفحة نار
والريح تلطم فيه أرداف الربا * لعبا وتلثم أوجه الازهار
ومنابر الاشجار قد قامت بها * خطباء مفصحة من الاطيار

أو يرى البغي في الامور رشادا * لقريب من الهلاك كما أهلك سابور بالسواد ايادا وقد كان سابور في مسيره

نحوهم أعاد اليهم كتابا يخبرهم أن القوم قد عسكروا وتحشدوا وهم سائرون اليهم وكتب اليهم شعرا أوله

يا دار عبلة من مدكارها الجرعا * هيجت لي الهم والاحزان والوجعا

ألا أبلغ ايادا وخلل في سراتهم * أني أرى الرأي ان لم أعص قد نصعا
الا تخافون قوما لا أبا لكم * مشوا اليكم كامثال الدبى سرعا
لو ان جمعهم راموا بهدتهم * شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا
فقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

فأوقع بهم وهزمهم القتل فما أفلت منهم الا نفر لحقوا بارض الروم وخلع بعد ذلك أكتاف العرب فسمي بعد ذلك سابور ذا الاكتاف وقد كان معاوية بن أبي سفيان راسل من بالعراق من عمال ليثوروا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فبلغ ذلك عليا رضوان الله عليه فقال في بعض مقاماته في كلام له طويل

ان خبا يرى الصلاح فسادا

اخر ن وفيها يومئذ بنو تميم فامعن فى قتلهم وفرت بنو تميم وشيخها يومئذ

فى فتية جنبوا العجاجة ليلة * ولربما سفروا عن الاقمار
ثار القتام بهم دخانا وارتمى * زند الحفيظة منهم بشرار
شاهدت من هيآتهم وهباتهم * اشراف أطواد وفيض بحار
من كل منتقب بوردة خجلة * كرما ومشتمل بثوب وقار
فى عمة خلعت عليه للمة * وذؤابة قرنت بها لعذار
ضافى رداء المجد طماح العلا * طامى عباب الجود رحب الدار
جرار أذيال المعالى والقنا * حامى الحقيقة والحمى والجار
طرد القنيص بكل قيد طريدة * زجل الجناح مورد الاظفار
ملء العيون [illegible] * مكحولة أجفانه بنضار
[illegible] الامل القصى فينثنى * مخضوب دره الظفر والمنقار
وبكل نائى الشوط أشدق احرر * طاوى الحشى حالى القلائد ضارى
يفترعن مثل النصال وانما * يمشى على مثل القنا الخطار
مستقريا أثر القنيص على الصفا * والليل مشتمل بشملة قار
من كل مسود تلهب طرفه * برميك جمرته بشعلة نار
ومورس السربال يخلع بدنه * عن نجم رجم فى سماء غبار
[illegible] فى سطر الطريق وقد عفا * قدما فتقرأ أحرف الآثار
عطف الصدور رأيته فكأنه * والنقع يحجبه هلال سرار
ولرب رواع هنالك أنبط * حلو المساع أطلس الاطمار
يجرى على حذر فيجمع بسطه * يهوى فينعطف انعطاف سوار
[illegible] الشأو يعسل رائعا * فيكاد يفلت أيدى الاقدار
متردد يرمى به جوف الردى * كرة نهادنها أكف قمار
ولرب طيار خفيف قد جرى * شلا بجار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطا مختالة * مشى الفتاة تجر فضل ازار
تحصو به المنقار تحسب أنها * كرعت على ظما بكاس عقار
ولو استجارت منهما بحمى أبى * يحيى لامنها أعز جوار
خدم القضاء مراده فكانما * ملكت يداه أعنة الأقدار
وعنى الزمان لامره فكانما * اصغى الزمان به الى أمار
وجلا الامارة فى رونق نضارة * جلت الدجى فى حلة الانوار
فى حيث وشح لبه بقلادة * منها وحلى معصما بسوار
جذلان يلثم كفه وبساطه * أيدى العفاة وأعين الزوار
أرج الندى بذكره فكانه * متنفس عن روضة معطار
بطل حوى الفلك المحيط بسرجه * واستل صارمه يد المقدار
بيمينه يوم الوغى وشماله * ماشاء من نار ومن اعصار

ن البلاد أى على بلاد
عمرو بن تميم بن مر وله يومئذ
ثلثمائة سنة وكان يعلق
فى عمود البيت فى قفة قد
اتخذت له فرأيه اجله
فابى عليهم الا أن يتركوه
فى ديارهم وقال أنا هالك
اليوم أو غد ومدابقى لى
من [illegible] العمر واعل الله
[illegible] من صولة هذا الملك
المسلط على العرب فلوا
[illegible] وتركوه على ما كان
[illegible] صبحت خيل سابور
[illegible] نظروا الى أهلها
[illegible] ذار تحملوا ونظروا الى
[illegible] معلقة فى شجرة وسمع
عمرو صهيل الخيل ووقعها
وهمهمة الرجال فاقبل
[illegible] صوت ضعيف
[illegible] وجاؤا به الى سابور
فلما وضع بين يديه نظر الى
[illegible] الهرم ومرور الايام
عليه ظاهرة فقال له
[illegible] أنت أيها الشيخ
الفانى قال أنا عمرو بن تميم
ابن مر وقد انفت من العمر
ما ترى وقد هرب الناس
[illegible] الاسراف فى القتل
[illegible] ابادهم
وآثرت الفناء على يديك
[illegible] من مضى من قومى
ولعل الله ملك السموات
والارض يجرى على يديك
فرجهم ويصرفك عما أنت
بسبيله من قتلهم وأنا
سائلك عن أمر ان انت اذنت لى فيه فقال له سابور قل يسمع منك فقال له عمرو ما الذى يحملك على

والشمس نحر والحديد عرائس * والجو كاس والسيوف عواري
والخيل تعثر في شواشك القنا * وصدا وسمر في الدم الموار
والبيض تجري في الطلى وكأنما * تلوي غرامنها على أزرار
والنقع يكسر من سنى شمس الضحى * فكأنه صدأ على دينار
نحو الحسام النصر تحت قبيطه * في كف صوا به سوار
لو أنه أوفى السماء سطر * وما الشار ولم يمسك ثار
وقصى وقد دماكاه عمرعمره * تحت العجاج بحيث السمشار

وقال رحمه الله تعالى

وراكه صرت معا توما * تهدي وأوله لنا الكوس بدار
رقت بدوحها بحر جدول * نثر بها حقيه مها الازهار
وكأنها وكأن جدول مائها * حسناء شد بخصرها زنار
زف ارجاحها عروس مدامه * تجلى ونثر الغصون نثار
في روضة حسن الدحى ظلها * وتحسمت بروابيها الانوار
سماء يبشر وثنيه الزارلى * ويها وتقوى مسكه الاقطار
قام الغما بها وقد نعت الندى * وجه الثرى وا بعظ النوار
والماء في حلى الحياء معاقد * زرت عليه جيوبها الانهار

وقال ملمما مالا يلزم

حدها الليث واسم الطيرة * طرأت الليث وأيله السراء
جلت وحسبك بهجة من بهجة * عبق العروس وحليه العذراء
من كل وارسه القميص كأنما * نشأت تعل برية الصهراء
نحمت بروق بهائها وطاحها * بالايكة الخضراء من خضراء
وأتتك تسفر عن وجوه طلعه * وسوى من لطف الشعراء
بدت بها وجه الندى ولربما * سطع هلالات أوجه السراء
فاستضحكت وجه الدجى مصوبة * جلت جبين الغمر الغراء

وقال أيضا

وصدر باد نضمنا * له الهوا في سعدا
في منزل قد حيا * بظله الغمر بردا
بد كونه الشهب جمرا * وبعد الليل ندا
وقد بارح نور * غص تخالط وردا
كأنه شعر * عذب يقبل خدا

وقال من قصيدة يصف منترها

يارب وضاح الجبين كأنما * رسم العذار بصفحتيه كتاب
تعري بطلعته العيون مهابة * وتبيت تعشق عدله الالباب

قتل رعيتك ورجال العرب فقال سابور أقتلهم لما ارتكبوا من أحد بلادي وأهل مملكتي فقال عمرو فعلوا ذلك ولست تأمنهم يتمولا العتبة وأعلى ما كانوا عليه من الدهية قال سابور أقتلهم لانا ملوك الفرس نجد في شروف علمنا وما سلف من أخبار أرائنا أن العرب ستدار علينا وتكون لهم الغلبة علينا كاتبه الى عمرو وهذا أمر محققه أو تظنه قال بل أتحققه لابد يكون ذلك قال له عمرو وقال كنت تعلم ذلك فلم تسيء الى العرب والله لئن سو على العرب جميعا وتحسن اليهم ليكافوئك عند اقالة الدولة لهم على قومك باحسانك وان لست طالت بك المدة كافؤك عند مصير الملك اليهم يعفون عنك وعلى قومك ان كان الامر كما تقول فهو احزم في الرأي وانفع في العاقبة وان كان باطلا فلم تستعجل الاثم وتسفك دماء رعيتك فقال سابور الامر صحيح وهو كائن لكم والرأي ما قلت ولقد صدقت في القول ونصحت في الخطاب فنادى منادي سابور بامان الناس ورفع السيف والكف عن قتلهم ويقال ان عمرا بقي في هذا العالم بعد هذا الوقت ثمانين سنة وقيل أقل من ذلك والله أعلم وسار سابور نحو بلاد الشام فافتتح المدن وقتل خلائق من الروم ثم طالبته نفسه

ولمية لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام منهم فدخل في جملتهم وجلس على موائدهم وقد كان قيصر أمر مصورا أن يمضي الى عسكر سابور فصوره له فلما جاء قيصر بالصورة امر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة وأناه من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدم الى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشكلين فقام الى الملك فاخبره فامر به فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور استحققت العقوبة لامر كان مني فدعاني ذلك الى الدخول الى أرضكم فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فامر بجعله في جلد بقرة وسار قيصر في جنوده حتى توسط العراق وافتتح المدائن وشن الغارات وعضد النخل وانتهى الى مدينة جنديسابور وقد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها وحضر عيدلهم في تلك الليلة التي أشرفوا على فتح المدينة في صبحتها فاغفل الموكلون أمر سابور واحد الشراب منهم وكان بالقرب من سابور جماعة من أسارى الفرس فخاطبهم ان يحل بعضهم بعضا

خلعت عليه من الصباح غلالة * تندى ومن شفق السماء نقاب
نزعت من ماء الصبا في منهل * قد شف عنه من القميص سراب
في حيث للريح الرخاء تنفس * أرج وللماء الفرات عباب
ولرب غض الجسم مذ بحوضه * سبحا كما شق السماء شهاب
ولقد أنخت بشاطئيه يهزني * طرب با شباب راقني وشراب
وبكيت دجلته يضاحكني بها * مرحا حبيب شاقني وحباب
تجلى من الدنيا عروس بيننا * حسناء نرشف والمدام رضاب
ثم ارتحلت وللنهار ذؤابة * شدباء تخضب والنهار خضاب
نطوي معاطف الصبابة والصبا * والليل دون الكاشحين حجاب

وقال

مر بنا وهو بدر تم * يسحب من ذيله سحابا
بقامة تنثني قضيبا * وغرة تلتظي شهابا
يقرأ والليل مدلهم * نور اجلائه كتابا
ورب ليل سهرت فيه * أزجر من جنحه نكابا
حتى اذا الليل مال سكرا * وشق سرباله وجابا
وحام من سدفه غراب * طالت به سنه فشابا
ازددت من لوعتي خبالا * نحشت من غلتي شرابا
وما خطا فادنا فوافى * حتى انثنى ناكصا فآبا
وبين جفني بحر شوق * يعب في وجنتي عبابا
قد شب في وجهه شعاع * وشب عن قلبي التهابا
وروضة طلقة حياء * غناء مخضرة جنابا
ينجاب عن نورها كمام * يحط عن وجهه نقابا
بات بها مبسم الاقاحي * يرشف من طلها رضابا
ومن خفوق البروق فيها * ألوية حمرت خضابا
كأنها أغل وراد * تحصر قطر الحيا حسابا

وله

رحلت عنكم ولي فؤاد * تنفض اضلاعه حنينا
أجود ذيكم بعلق دمع * كنت به قبلكم ضنينا
يثور ذو وجنتي جيشا * وكان في جفنه كمينا
كأنني بعدكم شمال * قد فارقت منكم يمينا

وقال

فيا لشجا قلب من الصبر فارغ * ويا لقذى طرف من الدمع ملآن
ونفس الى جو الكنيسة صبة * وقلب الى أفق الجزيرة حنان

تعوضت من واها وآها ومن هوى * بهون ومن إخوان صدق بخوان
وما كل بيضاء بروق بشحمة * وما كل مرعى ترتعيه بسعدان
فيا ليت شعري هل لدهري عطفة * فتجمع أوطاري على وأوطاني
ميادين أوطاري ولذة صبوتي * ومنشأ أترابي وملعب غزلاني
كأن لم يصلني فيه ظبي يقوم لي * بناه وصدغاه براحي وريحاني
فسقيا لواديهم وإن كنت إنما * أبيت لذكراه بغلة ظمآن
فكم يوم لهو قد أدرنا بأفقه * نجوم كؤوس بين أقمار ندمان
وللقضب والأطيار ملهى بجرعة * فما شئت من رقص على رجع ألحان
وبالحضرة الغراء غر علقته * فأحببت حبا فيه قضبان نعمان
رقيق الحواشي في محاسن وجهه * ومنطقه مسلى قلوب وآذان
أعار لخديه على الورد كلما * بدا ولعطفيه على أغصن البان
وهبني أجني ورد خد بناظري * فمن أين لي منه بتفاح المان
يعللني منه بموعد رشفة * خيال له يغري بمطل وليان
حبيب عليه جنة من صوارم * علاها حباب من أسنة مران
تراءى لنا في مثل صورة يوسف * تراءى لنا في مثل ملك سليمان
طوى برده منها صحيفة فتنة * قرأنا لها من وجهه سطر عنوان
محبته ديني ومثواه كعبتي * ورؤيته حجي وذكراه قرآني

وقال

وليل تعاطينا المدام وبيننا * حديث كما هب النسيم على الورد
نعاوده والكأس يعبق نفحه * وأطيب منها ما نعيد وما نبدي
ونقلي أقاح الثغر أو سوسن الطلى * ونرجسة الأجفان أو وردة الخد
إلى أن سرت في جسمه الكأس والكرى * ومالا بعطفيه فمال على عضدي
فأقبلت أستهدي لما بين أضلعي * من الحر ما بين الضلوع من البرد
وعاينته قد سل من وشي برده * فعاينت منه السيف سل من الغمد
أبان مجس واستقامة قامة * وهزة أعطاف ورونق إفرند
أعانق منه الغصن في مغرس النقا * وألثم وجه الشمس في مطلع السعد
فإن لم يكنها أو تكنه فإنه * أخوها كما سد الشراك من الجلد
تسافر كفي ما أراحت بجسمه * فطورا إلى خصر وطورا إلى نهد
وتهبط من كشحيه كفي تهامة * وتصعد من نهديه أخرى إلى نجد

وقال أيضا

وورداء ليل بات فيه معانقي * طيف ألم بظبية الوعساء
فجمعت بين رضابه وشرابه * وشربت من ريق ومن صهباء
ولثمت في ظلماء ليلة وفرة * شفقا هنالك لوجنة حمراء

وشجعهم وامرهم أن يصبوا عليه زقاقا من الزيت كانت هنالك ففعلوا فلان عليه الحائط وتخلص وأتى المدينة وهم يسايرون على سورها فخاطبهم فعرفوه ورموه بالحبال ففتح أبواب خزائن السلاح وخرج بهم ففرقهم مواضع من الجيش والروم غارون مطمئنون فكبس الجيش عند ضرب النواقيس فأتوه بقيصر أسيرا فاستحياه وأبقى عليه وضم اليه من أفلت من القتل من رجاله فغرس قيصر بالعراق الزيتون بدلا مما عضده من النخل وهدمه ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك وبنى شاذروان مدينة تستر لنهرها والشاذروان هو المسناة العظيمة والسكر من الحجر والحديد والرصاص وغير ذلك من الأخبار يطول ذكرها وانصرف قيصر نحو الروم وقد ذكر في بعض الأخبار ان سابور رنق قيصر وقطع أعصاب عقبيه وأوردها وان الروم تزيدوا بها ولا تلبس الخفاف المعقبة وفي ذلك يقول الحارث بن جندة المعروف بالهرمزان شعرا

هم ملكوا جميع الناس طرا * وهم ربطوا هرقلا بالسواد
وهم قتلوا أباقا بوس عضبا * وهم أحدوا البسيطة من أياد

وفي فعل سابور في بره نفسه في دخوله الى أرض

واليل مشمط الدوائب كبرة * خرف يدب على عصا الجوزاء
ثم انثني والصبح يسحب فرعه * ويجر من طرب فضول رداء
تفدى بقيه اقحوانة أجرع * قد غازلتها الشمس غب سماء
وتميس في اثوابه ريحانة * كرعت على ظما بجدول ماء
تفاحة الانفاس الا انها * حذر الندى خفاقة الافياء
فلويت معطفها اعتناقا حسبما * فيه بقطر الدمع من انواء

انتهى * (وكان المعتمد بن عباد رحمه الله تعالى) * كثيرا ما ينتاب وادي الطلح مع زملته وأولى انسه ومسرته وهو واد بشرق اشبيليه ملتف الاشجار كثير ترنم الاطيار وفيه يقول نور الدين بن سعيد

سائل بوادي الطلح ريح الصبا * هل سحرت لى من زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا * لن نأمن الرسل ولن نكتبا
يا قاتل الله اناسا اذا * ما استؤمنوا خانوا فيا أعجبا
هلا رعوا أنا وثقنا بهم * وما اتخذنا غيرهم مذهبا
يا قاتل الله الذى لم يتب * من غدرهم من بعد ما جربا
والبم لا يعرف ما طعمه * الا الذى وافى لأن يشربا
دعنى من ذكر الوشاة الالى * لم ابرل فكرى بهم ملهبا
واذكر بوادي الطلح عهدا لنا * لله ما أحلى وما أطيبا
بجانب العطف وقد مالت الاغصان والزهر بيث الصبا
والطير مازت بين ألحانها * وليس الا معجبا مطربا
وخانني من لا أسميه من * شح أخاف الدهر أن يسلبا
قد أترع الكاس وحيا بها * وقلت أهلا بالمنى مرحبا
أهلا وسهلا بالذى شئته * يا بدر تم مهد يا كوكبا
لكنني آليت أسقى بها * أوتودعنها ثغرك الاشنبا
فمج لى فى الكاس من ثغره * ما حبب الشرب وما طيبا
وقال ها لثمى نقلا ولا * تشم الا عرفى الاطيبا
واقطف بخدى الورد والآس والنسرين لا تحفل بزهر الربا
أسعفته غصنا غدا مثمرا * ومن جناه فيه قد قربا
قد كنت ذا نهى وذا امرة * حتى تبدى فخلعت الحبا
ولم أصن عرضى فى حبه * ولم أطع فيه الذى أنبا
حتى اذا ما قال لى حاسد * ترجوه والكوكب أن يغربا
أرسلت من شعرى سحرا له * ييسر المرغب والمطلبا
وقال عرفه بأنى ساحتال فما أجتنب المكتبا
فزادنى شوقى له وعده * ولم أزل معتقدا مرقبا

مذكوره حيث يقول بعض المتقدمين من شعراء ابناء فارس وكان سابور صفوا فى اروميه * احيد عنها فاضحى غير مختار اذ كان بالروم جاسوسا يجول به حوم المنية من ذى كيد مكار فاستأسروه وكانت كبوة لجيا وزلة بعث من عير عثار واصبح الملك الرومي معترضا أرض العراق على هول واخطار راض الفرس بالابواب وافترقوا كما تحارب أسد الغاب فى الغار خذ بالسيف ام الروم فاعتضدوا لله درك من طلاب أوتار اذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا من النخيل وما حفوا بعشار وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم ونقل خلقا من اهلها واسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرها من مدن كور الاهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار فمن ذلك الوقت صار الديباج التستري وغيره من انواع الحرير يعمل بتستر والخز بالسوس والستور والفرش ببلاد نصيبين وسكث الى هذه الغاية وقد كان من قبلهم من ملوك الساسانية وكثير ممن سلف من فارس الاولى ينزلون بطيسبون وذلك بغربي المدائن من ارض العراق فسكن

أمد طرفي ثم أثنيه من * خوف أخي التنغيص أن يرقبا
أصدق الوعد وطورا أرى * تكذيبه والحزن يكذبا
أبى ومن سحره بعدما * أيأس نطء كاد أن يغصبا
قبلت في الترب ولم أستطع * من حصر اللقا سوى مرحبا
هنأت ربعي اذ غدا هالة * وقلت يا من لم يسع أشعبا
بالله ما يعتنقا لا تما * ول كالغصن ثنته الصبا
فقال مرغب قلت انشد * أدر كت اذ كلمتني المرتجى
فقس لام غب عن ذكرما * ترغبه قبت ان مركبا
وكان ما كان ونو الله ما * ذكر به دهري أو أعلبا

وستأتي هذه القصيدة بكمالها في جملة من نظم ابن سعيد المذكور وقال يتشوق الى اشبيلية وهي حمص الاندلس

أن الخليج وغنت الورقاء * هل برحا اذها جت البرحاء
أيا منكما أولى بخلة عاشق * أفنى وسعت بي الاصعداء
أخشى الوشاة هنا أبوح بلفظه * والكتم عند العاشقين عناء
لولا تشوق أرض حمص ما جرى * دمعي ولا شمتت بي الاعداء
لم أستطع كتما له كتمانه * ما كان لي كتم ولا اخفاء
والبدر مهما رام كتما من سرى * فبه يتم على سراه ضياء
بلد متى يخطر له ذكر هفا * قلبي وخان تصبر وعزاء
من بعد ما الصبح يشرق نوره * عندي ولا تتبدل الظلماء
كلي به من ذي وفاء لم يخن * عهدي ويسمو بالوداد وفاء
فتراه ادما تردد كرى سائلا * عن حالتي ان قلت الانباء
يمسي ويصبح لي بذكر مدة * يرضى بها الاصباح والامساء
مع كل مبذول الوصال ممنع * من غيرنا تسمو به الخيلاء
كالظبي كالشمس المنيرة كالقنا * كالغصن يثني معطفيه رخاء
يسعى براح كالشهاب براحة * كالبدر والوجه المنير كاء
ما لان تحت الوصل حتى مال منه المجر واتصلت به الالواء
خير المحبة ما أتت عن قبلي * تدري بؤس الفاقة النعماء
مازلت أرقى بالقريض جفونه * حتى استكان وكان منه اباء
فظفرت منه بمدة لو أنها * دامت لدامت لي بها السراء
صفو تكدر بالتحرك ليته * مازال لكن لا يرد قضاء
ان الفراق هو المنية انما * أهل النوى ماتوا وهم أحياء
لولا تذكر لذة طابت لنا * بذرى الجزيرة حيث طاب هواء
وجرى النسيم على الخليج معطرا * وتبددت في الدوحة الانداء

وقد كان أبرويز هرم أتم مواضع من بناء هذا الايوان وقد كان الرشيد نازلا على دجلة بالقرب من الايوان فسمع بعض الخدم من وراء السرادق يقول لآخر هذا الذي بنى هذا البناء ابن كذا وكذا أراد أن يصعد عليه الى السماء فأمر الرشيد بعض الاستاذين من الخدم أن يضربه مائة عصا وقال لمن حضره ان الملك نسبة والملوك اخوة وان الغيرة بعثتني عليه وعلى أدبه لسياسة الملك وما يلحق الملوك من الملوك (وذكر) عن الرشيد بعد السخط على البرامكة انه بعث الى يحيى بن خالد بن برمك وهو في اعتقاله يشاوره في هدم الايوان فبعث اليه لا تفعل فقال الرشيد لمن حضره في نفسه المجوسية والحنو عليها والمنع من ازالة آثارها فشرع في هدمه ثم نظر فاذا يلزمه في هدمه أموال عظيمة لا تضبط كثرة فأمسك عن ذلك وكتب الى يحيى يعلمه ذلك فأجابه بان ينفق في هدمه ما بلغ من الاموال ويحرص على فعله فعجب الرشيد من تنافي كلامه في أوله وآخره فبعث اليه يسأله عن ذلك فقال نعم أما ما أشرت به في الاول فاني أردت بقاء الذكر لامة الاسلام وبعد الصيت وأن يكون من يرد في الامصار ويطرأ من الامم

ما كابدت نفسى أليم تفكر * ألوى به عن جفنى الاغفاء
يانهر حمص لا عدتك مسرة * ماء يسيل لديك أم صهباء
كل النفوس تهش فيك كأنما * جمعت عليك شتاتها الاهواء
ودى اليك مع الزمان مجدد * مالن يحول تذكر ووفاء
ولو اننى لم أحى ذكر الذى * أوليته ما كان فى حياء
ما كنت أطمع فى الحياة لو اننى * أيقنت أن لا يستمر لقاء
غيرى اذا ما بان حال واعما * أنا فى حياتى حين بان رجاء

وسيأتى ان شاء الله تعالى لهذا النمط وغيره مزيد أثناء الكتاب بحسب ما اقتضته المناسبة والله تعالى المرجو فى حسن المتاب وهو سبحانه لا اله الا هو الموفق للصواب

(الباب الخامس)

فى التعريف ببعض من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق الزاكية العرار والبشام ومدح جماعة من أولئك الاعلام ذوى العقول الراجحة والاحلام لشامة وجنة الارض دمشق الشام وما اقتضته المناسبة من كلام اعيانها وأرباب بيانها ذوى السودد والاحتشام ومخاطباتهم للفقير المؤلف حين حلها سنة ألف وسبع وثلاثين للهجرة وشاهد برق فضلها المبين وشام

*(اعلم جعلنى الله تعالى واياك) ممن له للمذهب الحق انتحال أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الاحاطة الا علام الغيوب الشديد المحال ولو اطلقنا عنان الاقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء العلماء الاعلام لطال الكتاب وكثر الكلام ولكنا نذكر منهم لمعا على وجه التوسط من غير اطناب داع الى الملال واختصار مؤد للإخلال فنقول مستمدين من واهب العقول (منهم عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمى) وقد عرف به القاضى عياض فى المدارك وغير واحد ورأيت فى بعض التواريخ أن تواليفه بلغت ألفا ومن أشهرها كتاب الواضحة فى مذهب مالك كتاب كبير مفيد ولابن حبيب مذهب فى كتب المالكية مسطور وهو مشهور عند علماء المشرق وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر وصاحب المواهب وغيرهما ومن نظمه يخاطب سلطان الاندلس

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشورا * واذكره لا زلت فى التاريخ مذكورا
قال النبى صلاة الله تشمله * قولا وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسع فى انفاق موسمه * ان لا يزال بذاك العام ميسورا

وهذا البيت الثالث نسيت لفظه فكتبته بالمعنى والوزن اذ طال عهدى به والله تعالى أعلم

*وقال الفتح فى المطمح الفقيه العالم ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلمى اى شرف لاهل الاندلس واى مفخر واى بحر بالعلوم يزخر خلدت منه الاندلس فقيها عالما عاد مجاهل اهلها معالما واقام فيها للعلوم اسواقا نافقة ونشر منها الوية خافقة وجلا عن الالباب صدأ الكسل وشحذها شحذ الصوارم والاسل وتصرف فى فنون العلوم وعرف كل معلوم وسمع بالاندلس وتفقه حتى صار أعلم من بها وأفقه ولقى أنجاب مالك وسلك فى مناظرتهم أوعر المسالك

على ملكها لامة عظيمة شديدة منيعة وأما ان الثانى فاخبرت انه قد شرع فى هدمه [illegible] عند ما رأى فى الحزن أن الاسلام لا يقدر من وصفت من رونق الاحجار ان هذه الامة قدرت على هدم ما بنتها [illegible] ولم يسع ارشيد ذلك من كلامه وقال قاتله الله تعالى ما سمعته قال شيأ قط الا صدق فيه واعرض عن هدمه وسابور هو الذى بنى نيسابور ببلاد خراسان وغيرها بفارس والعراق (ثم ملك بعده أخوه اردشير بن هرمز) وكان ملكه الى ان خلع أربع سنين (ثم ملك بعده سابور) ابن سابور خمس سنين وكانت له حروب كثيرة مع اياد بن نزار وغيرها من العرب فيقول فيه شاعر اياد

على رغم سابور بن سابور أصبحت
قباب اياد حوفها الخيل والنعم

ويقال ان هذا الشعر قاله لمرو لحرب ابا رص الروم حين وقع بهم سابور ذو الاكتاف على ما ذكرنا ثم تراجعوا الى ديارهم وانضافوا الى ربيعة من ولد بكر بن وائل وان ربيعة كانت قد غلبت على السواد وشنت الغارات فى ملك سابور بن سابور فقال شاعر اياد فى ذلك ما وصفنا وهم

المسالك حتى أجمع عليه الاتفاق ووقع على تفضيله الاصفاق ويقرب منه في ماله آخر عمره وروى عنه عن سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم كان يركب الى بيت المقدس ويتغدى به ثم يعود فيتعشى باصطخر وله في الفقه كتب الواضحة ومن أحاديثه غرائب قد تحلت بها الزمان نحور ترائب (وقال محمد بن لبابه) فقيه الاندلس عيسى بن دينار وعالمها عبد الملك بن حبيب وراويها يحيى بن يحيى وكان عبد الملك قد جمع الى علم الفقه والحديث علم اللغة والاعراب وتصرف في فنون الآداب وكان له شعر يتكلم به متخيرا سرى ببيوت مدلك معرفا وتوفي بالاندلس في رمضان سنة ٢٣٨ وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بعد ما جال في الارض ووضع طولها والعرض وجال في آفاقها وانتهى الى أطرافها ومن شعره قوله

قد طاح أمري والذي أبتغي * هين على الرحمن في قدرته
ألف من الحمر وأقلل بها * لعالم أزرى على بغيته
زرياب قد أعطيها جملة * وحرفتي أشرف من حرفته

وكتب الى الرحالي رسالة وصلها بهذه الابيات

كيف يطيق الشعر من أصبحت * حالته اليوم كحال الغرق
والشعر لا يسلس الا على * فراغ قلب واتساع الخلق
فاقنع بهذا القول من شاعر * يرضى من الحظ بأدنى العلق
وصلك قدمان عليه كما * بان لأهل الارض ضوء الشفق
أدامها الود مني لكم * فهو من المحتوم فيما سبق

ولم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معتله ويفرق مستقيمه من مختله وكان غرضه الاجازة وأكثر رواياته غير مستجازة قال ابن وضاح قال لي ابراهيم بن المنذر أتى صاحبكم الاندلسي يعني عبد الملك هذا بغرارة مملوءة فقال لي هذا علمك تجيز له فقلت نعم ما قرأ علي منه حرفا ولا قرأته عليه وحكي انه قال في دخوله المشرق وحضر مجلس بعض الاكابر فازدراه من رآه

لا تنظرن الى جسمي وقلته * وانظر لصدري وما يحوي من السنن
فرب ذي منظر من غير معرفة * ورب من تزدريه العين ذو فطن
ورب لؤلؤة في عين مزبلة * لم يلتفت بالها الا الى زمن

انتهى ما في المطمح الصغير: قلت أما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو غير مسلم وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين نعم لاهل الاندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى ان في شفاء عياض أحاديث لم يعرف أهل المشرق المعتادون مخرجها مع اعتنائهم بذلك لانه حفاظ الاندلس الذين نقلوها كبقي بن مخلد وابن حبيب وغيرهما على ما هو معلوم: وأما ما ذكره عنه من الاجازة بما في الغرارة فذلك على مذهب من يرى الاجازة وهو مذهب مستقيم واعتراض من اعترض عليه انما هو بناء على القول بمنع الاجازة فاعلم ذلك والله سبحانه الموفق (ومن الراحلين) من الاندلس الفقيه المحدث يحيى بن يحيى الليثي راوي الموطأ عن مالك رضي الله تعالى عنه ويقال ان أصله من برابرة مصمودة وحكي انه لما ارتحل الى مالك

داخلون في جملة رعيته وقيل غير ذلك والله أعلم بالصحيح (ثم ملك بعده بهرام) بن سابور وكان له عشر سنين وقيل احدى عشرة سنة (ثم ملك بعده يزدجرد) بن سابور الملقب بالأثيم وكان ملكه الى ان هلك احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما وقيل اثنتين وعشرين سنة وخمسة اشهر (ثم ملك بعده بهرام) بن يزدجرد وكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وقيل ستا وعشرين سنة ملك وهو ابن عشرين سنة وكان قبل ذلك في حجر بعض ملوك العرب فبعث عليه فرس لما بلغهم عدله ونبله وأمانته وعفته ورأفته برعيته وانهماكه في اللهو واللذات في أيامه وكان حربا في أيامه خاقان ملك الترك الى الصغد وبلاد التتار في بلاد خوزستان وبلغه انه أتى الى بلاد الري وان بهرام كتب اجناده وتنكب الطريق في السير من جزيرة العرب حتى أتى على خاقان في جنوده وسار نحو العراق برأسه فهابته ملوك الارض وهادنه قيصر وحمل اليه الاموال وقد كان بهرام قبل ذلك دخل الى ارض الهند متنكرا ولا يعرفه احد لقتل شجرة ملك من ملوك الهند فابلى بين يديه في حرب من حروبه وانكأ بعدوه فرق جماعته على انه من اساورة فارس وكان نشؤه مع العرب بالحيرة وكان يقول

الشعر بالعربية وبكلامه سائر اللغات وكان على جامعه مكتوب بالافعال تعظم الاخبار وله أخبار في أخذه

ولازمه فبينما هو عنده في مجلسه مع جماعة من أصحابه اذ قال قائل حضر الفيل فخرج أصحاب مالك كلهم ولم يخرج يحيى فقال له مالك مالك لم تخرج وليس الفيل في بلادك فقال انما جئت من الاندلس لانظر اليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أكن لانظر الى الفيل فأعجب به مالك وقال هذا عاقل الاندلس ولذلك قيل ان يحيى هذا عاقل الاندلس وعيسى بن دينار فقيهها وعبد الملك بن حبيب عالمها ويقال ان يحيى راويها ومحدثها وتوفي يحيى بن يحيى سنة ٢٠٤ في رجب وقبره في تربة بقرطبة وقيل ان وفاته في السنة التي قبلها والله تعالى أعلم وروايته الموطأ مشهورة حتى ان أهل المشرق الآن يسندون الموطأ من روايته كثيرا مع تعدد رواة الموطأ والله أعلم وكان يحيى بن يحيى روى الموطأ بقرطبة عن زياد بن عبد الرحمن اللخمي المعروف بشبطون وسمع من يحيى بن مضر القيسي الاندلسي ثم ارتحل الى المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعها فأثبت روايته فيها عن زياد وذلك مما يدل على ورعه وسمع بمصر من الليث بن سعد وبمكة من سفيان بن عيينة وتفقه بالمدنيين والمصريين كعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم العتقي وسمع منهما وهما من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك وملازمته له وانتهت اليه الرياسة بالاندلس وبه اشتهر مذهب مالك في تلك الديار وتفقه به جماعة لا يحصون عددا وروى عنه خلق كثير وأشهر رواة الموطا وأحسنهم رواية يحيى المذكور وكان مع امامته ودينه معظما عند الامراء يكنى عندهم عفيفا عن الولايات متنزها جلت رتبته عن القضاء وكان أعلى من القضاة قدرا عند ولاة الامر بالاندلس لزهده في القضاء وامتناعه قال الحافظ بن حزم مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق الى أقصى عمل افريقية فكان لا يولي الا أصحابه والمنتسبين لمذهبه ومذهب مالك عندنا بالاندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة وكان لا يلي قاض في أقطار الاندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير الا بأصحابه ومن كان على مذهبه والناس سراع الى الدنيا فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به على أن يحيى لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم وداعيا الى قبول رأيه لديهم انتهى * وذكرنا في غير هذا الموضع قولا آخر في سبب انتشار مذهب مالك بالاندلس والله سبحانه أعلم بحقيقة الامر وقال ابن أبي الفياض جمع الامير عبد الرحمن بن الحكم الفقهاء في قصره وكان وقع على جارية يحبها في رمضان ثم ندم أشد ندم فسألهم عن التوبة والكفارة فقال يحيى تكفر بصوم شهرين متتابعين فلما بادر يحيى بهذه الفتيا سكت الفقهاء حتى خرجوا فقال بعضهم له لم لم تفت بمذهب مالك بالتخيير فقال لو فتحنا له هذا الباب سهل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة ولكن حملته على أصعب الامور لئلا يعود وقال بعض المالكية ان يحيى روى بهذا ورأى أنه لم يملك شيأ اذ هو مستغرق الذمة فلا عتق له ولا اطعام فلم يبق الا الصيام انتهى ولما انفصل يحيى عن مالك ووصل الى مصر رأى ابن القاسم يدون سماعه من مالك فنشط للرجوع الى مالك ليسمع منه المسائل التي رأى ابن القاسم يدونها فرحل رحلة ثانية فألفى مالكا عليلا فأقام عنده الى أن مات وحضر جنازته فعاد الى ابن القاسم وسمع منه سماعه

الملك بعد أبيه وتناوله التاج والراية وقد وما بين يديه من أخبار سيرته و بريضول ذكرها ولانه عليه سمي بهرام جور وما أخذ من الحمى بالنشاب في أمه ومن الصم في داخل القوس وما رمتها وقد على ذلك في كتاب اخبار الزمن و الكتاب الاوسط وما قالت الفرس والترك في بقية القوس وسهام كبة على الضباع الاربع كطبائع الانسان وما فيها من انواع الرمي وكيفيته ومما حفظ من شعر بهرام جور قوله يوم ظفره بخاقان وذلك له

أقول له لما فضضت جموعه
كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فاني حامي ملك فارس كلها
وما خير ملك لا يكون له حامي
(وقوله أيضا)
لقد علم الانام بكل أرض
بأنهم قد اضحوا الى عبيدا
ملكت ملوكهم وقهرت منهم
عزيزهم المسود والمسودا
فتلك اسودهم تقعى حذاري
وترهب من مخافتي الورودا
وكنت اذا تشاوس ملك أرض * عبأت له الكتائب والجنودا
فيعطيني المقادة أو أوافي * به يشكو السلاسل والقيودا من

من مالك هكذا ذكره ابن الفرضي في تاريخه وهو مخالف لما ذكرناه من الحكاية المشهورة الآن بالمغرب أن يحيى سأل مالكا عن زكاة التين فقال لا زكاة فيه فقال انه يدخر عندنا ويدار وصل الى الاندلس أن يرسل لمالك سفينة مملوءة تينا فلم ... أرسله ... انتهى* قال ابن الفرضي ولما انصرف يحيى الى الاندلس كان امام وقته وواحد بلده وكان ممن اتهم بالهيج في وقعة الربض المشهورة ففر الى طليطلة ثم استأمن فكتب له الامير الحكم أمانا وانصرف الى قرطبة وقيل لم يعط أحد من أهل الاندلس منذ دخلها الاسلام ما أعطي يحيى من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر وقال ابن بشكوال ان يحيى بن يحيى كان مجاب الدعوة وانه أخذ في نفسه ... وهيئته ومقعده هيئة مالك وحكي عنه أنه قال أخذت بركاب الليث بن سعد فأراد غلامه أن يمنعني فقال دعه ثم قال لي الليث خدمك العلم فلم تزل بي الايام حتى رأيت ذلك انتهى (وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى قال في المطمح من بني يحيى بن يحيى الليثي وهو ممن نشأ في علم وعقل وصحة ضبط ونقل كان علم الاندلس وعالمها المدرس وولي القضاء بقرطبة بعد رحلة رحلها الى المشرق وجمع فيها من الروايات والسماع كل مفترق وجال في آفاق ذلك الافق لا يستقر له بلد ولا يستوطن في جلد ثم كر الى الاندلس فسمت رتبته وتطلعت بالاماني أيامه وصرفت في ولايات أحمد ... وأصابته بها نكبة ... أسبابه وولاه القضاء بقرطبة فولاه سياسة محمودة وريادة في الدين ... الهوى ... في اقامة الحدود والكشف عن البينات في السر والصدع بالحق في الجهر لم يستمله خادع ولم يكده مخادل ولم ... ولا داهن ذا مرتبة ولا أغضى لاحد من أسباب السلطان وأهله حتى تحاموا جانبه فلم يجسر أحدهم عليه وكان له بعد ... الادب وحظ من البلاغة اذا نظم واذا كتب ومن ملح شعره ما قاله ... من غربته

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة ... اذا كان من بعد الفراق تلاق
كأن لم تؤرق بالعراقين مقلتي ... ولم تمر كف الشوق ماء مآقي
ولم أزر الاعراب في جنب أرضهم ... بذات اللوى من رامة وبراق
ولم أصطبح بالبيد من قهوة الندى ... وكأس سقاها في الازاهر ساق

وله أيضا

فإذا أكابد من فؤاد ... على فقد ... الخذ ... اس
رددن ... قلب الخلي ... في ... من ناس
ذكرته الزمن الماضي بقرطبة ... بين الاحبة في أمن وايناس
هم الصبابة لولا همة شرفت ... فصيرت قلبه كالجندل القاسي

وله أخبار تدل على رقة العراق والمعدي ... تلك الآفاق فمنها انه خرج الى حضور جنازة بعض قريش ورجل من بني جابر كان يواخيه له منزل فعزم عليه في الميل اليه وعلى أخيه منزل عليه فأحضر لهما طعاما وأمر جارية له بالغناء فغنت

طابت بطيب لثاتك الاقداح ... وزهت بحمرة خدك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه ... طابت بطيب نسيمك الارواح

طالبا للاخبار (ثم ملك بعده يزدجرد) بن بهرام وكان ملكه تسع عشرة سنة وقيل ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما وقد كان بين ... الانس والطين ساخط ... والثواب على ... ما ... فيما ... الفضـ ... الـ ... كر بالالباب والاداب وجل الفقه وأحضر يزدجرد بن بهرام رجلا من ... حكماء عصره كان ذا أفاضل ... أحد ... من أهل ... الرأي منهم ... قال له يزدجرد ... مثل ... الحكم الفاصل ما صلاح الملك قال الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم من غير مشقة والتودد اليهم بالعدل وأمن السبل وانصاف المظلوم من الظالم قال فما صلاح أمر الملك قال وزراؤه وأعوانه فانهم ان صلحوا صلح وان فسدوا فسد قال له يزدجرد ان الناس قد أكثروا في أسباب الفتن فصف لي ما الذي يثيرها ويشبهها وما الذي يسكنها ويدفعها قال يثيرها ضغائن يجشمها جراءة عامة ويولدها استخفاف بخاصة وأكدها انبساط الالسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وأمل ...

... معسر وغفلة ملتذ ... مخروم ... أحد العدة لما يخاف قبل حلوله وايثار الجد ... ابد

وإذا الحنادس ألبست ظلماؤها * وضياء وجهك في الدجى مصباح

وكتبها القاضي في ظهر يده وخرج من عنده قال يونس بن عبد الله فلقد رأيته يكبر للصلاة على الجنازة والأبيات مكتوبة على ظهر كفه وكان رحمه الله تعالى في غاية اللطف حكى بعض أصحابه قال ركبنا معه في موكب حافل من وجوه الناس إذ عرض لنا فتى متأدب قد خرج من بعض الأزقة سكران يتمايل فلما رأى القاضي هابه وأراد الانصراف فخانته رجلاه فاستند إلى الحائط وأطرق فلما قرب القاضي رفع رأسه وأنشأ يقول

ألا أيها القاضي الذي عم عدله * فأضحى به بين الأنام فريدا
قرأت كتاب الله تسعين مرة * فلم أر فيه للشراب حدودا
فإن شئت جلدا لي فدونك منكبا * صبورا على ريب الزمان جليدا
وإن شئت أن تعفو تكن لك منة * تروح بها في العالمين حميدا
وإن أنت تختار الحديد فإن لي * لسانا على هجو الزمان حديدا

فلما سمع شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الإنكار عليه ومضى لشأنه انتهى ملخصا من المطمح * ورأيت بخطي في بعض مسوداتي ما صورته محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي قاضي الجماعة بقرطبة سمع عم أبيه عبيد الله بن يحيى ومحمد بن عمر بن لبابة وأحمد بن خالد ورحل من قرطبة سنة ٣١٣ ودخل مصر وحج وسمع بمكة من ابن المنذر والعقيلي وابن الأعرابي ومعاني الشعر شاعرا مطبوعا وشاوره القاضي أحمد بن بقي واستقضاه الناصر عبد الرحمن بن محمد على البيرة وبجانة ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة بعد أبي طالب سنة ٣٢٤ وجمعت له مع القضاء الصلاة وكان كثيرا ما يخرج إلى الثغور ويتصرف في إصلاح مياهها فاعتل في آخر خرجاته ومات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة ٣٣٧ ومولده سنة ٢٨٤ انتهى وأظن أني نقلته من كتاب ابن الأبار الحافظ والله أعلم * (ومنهم) عتيق بن أحمد بن عبد الباقي الأندلسي الدمشقي ووفاته يكنى أبا بكر نزيل دمشق كان مشهورا بالصلاح وانتفع به جماعة من الفقراء وولد على ما قيل سنة ٥١٦ وتوفي سنة ٦١٤ بدمشق ودفن بمقابر الصوفية فيكون عمره على هذا مائة سنة رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وبركات أمثاله * (ومنهم) أبو إبراهيم إسمعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري الأندلسي الأبذي الملقب في البلاد المشرقية ببرهان الدين وأبذة بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة وفتحها وبعدها ذال معجمة بلد بالأندلس سمع المذكور بمكة وغيرها من البلاد وبدمشق من الحافظ بن طبرزذ وأم بالصخرة وكان فاضلا صالحا شاعرا توفي سنة ٦٥٦ وأخبر عن بعض الأولياء المجاورين ببيت المقدس أنه سمع هاتفا يقول لما خرب القدس

إن يكن بالشام قل نصيري * ثم خربت واستمر هلوكي
فلقد أثبت الغداة خرابي * سمر العار في حياة الملوك

هكذا رأيته بخط الصفدي في حياة ويحتمل أن يكون في جباه جمع جبهة والله أعلم * (ومنهم) القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة وقد قدمنا جملة من أخباره في الباب الثالث والرابع من هذا القسم وكان لا يخاف في الله لومة لائم ومن مشهور ما جرى له في

ذلك

الهزل والعمل بالحزم في الغضب والرضا (ثم ملك بعده هرمز) بن يزدجرد فنازعه أخوه فيروز فقتله ٣٠ وولي الملك وهو فيروز بن يزدجرد بن بهرام وكان ملك فيروز إلى أن هلك على يدي ملك الهياطلة باخشنوار بين مرو والروذ من بلاد خراسان سبعا وعشرين سنة والهياطلة هم الصغد وهم بين بخارى وسمرقند (ثم ملك بلاش) بن فيروز الملك وكان ملكه أربع سنين (ثم ملك قباذ) بن فيروز وفي أيامه ظهر مزدك الزنديق وإليه تضاف المزدقية وله أخبار مع قباذ وما حدث في العامة من النواميس والحيل إلى أن قتله أنو شروان في ملكه وكان ملك قباذ إلى أن هلك ثلاثا وأربعين سنة (ثم ملك بعده ولده أنوشروان) بن قباذ بن فيروز ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وقد كان قباذ خلع من ملكه وأجلس أخ له يقال له جاماسب نحوا من سنتين لأمر كان من مزدك وأصحابه فظافر أنوشروان بزرجمهر بن البختكان حتى أعيد قباذ إلى ملكه في خبر طويل ولما ملك أنوشروان وقتل مزدك وأتبعه ثمانين ألفا من أصحابه وذلك بين جازر والنهروان من أرض العراق فسمي من ذلك اليوم أنوشروان وفسر ذلك جديد الملوك وجمع أهل مملكته على دين المجوسية

ذلك قصته في أيتام أخي نجدة وحدث بها جماعة من أهل العلم والرواية وهي ان الخليفة
الناصر احتاج الى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه فوقع استحسانه على دار
كانت لاولاد زكريا أخي نجدة وكانت بقرب النشارين في الربض الشرقي متصلة عن دوره
ويتصل بها حمام له غلة واسعة وكان أولاد زكريا أخي نجدة أيتاما في حجر القاضي فأرسل
الخليفة من قومها له بعدد ما طابت نفسه وأرسل ناسا أمرهم بمداخلة وصي الايتام في بيعها
عليهم فذكر انه لا يجوز الا بأمر القاضي اذ لم يجز بيع الاصل الا عن رأيه ومشورته فأرسل
الخليفة الى القاضي منذر في بيع هذه الدار فقال لرسوله البيع على الايتام لا يصح الا لوجوه
منها الحاجة ومنها الوهي الشديد ومنها الغبطة فأما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الايتام الى البيع
وأما الوهي فليس فيها وأما الغبطة فهذا مكانها فان أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به
الغبطة أمرت وصيهم بالبيع والا فلا فنقل جوابه الى الخليفة فأظهر الزهد في شراء الدار طمعا
أن يتوخى رغبته فيها وخاف القاضي ان تنبعث منه عزمة تلحق الايتام ثورتها فأمر وصي
الايتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض فكانت لها قيمة أكثر مما
قومت به للسلطان فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها فأحال
الوصي على القاضي انه أمره بذلك فأرسل عند ذلك للقاضي منذر وقال له أنت أمرت بنقض دار
أخي نجدة فقال له نعم فقال وما دعاك الى ذلك قال أخذت فيها بقول الله تعالى أما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا
مقوموك لم يقوموها الا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نض في أنقاضها أكثر من ذلك وبقيت
القاعة والحمام فضلا ونظر الله تعالى للايتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك
وقال نحن أولى من انقاد الى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيرا قالوا وكان على
متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فربما ساء ظن من لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من
دينه شعرة ثارت له ثورة الاسد الضاري فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي
شهر رمضان المعظم مع أبينا للافطار بداره البرانية فاذا سائل يقول أطعموني من عشاكم
أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ويكثر من ذلك فقال القاضي ان استجيب لهذا
السائل فيكم فليس يصبح منا أحد وحكى عنه قاسم بن أحمد الجهني انه ركب يوما الى حيازة أرض
محبسة في ركب من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤي ونظراؤه قال فسرنا
نقفوه وهو أمامنا وأمامه أمناؤه يحملون خرائطه وذووه وعليهم السكينة والوقار وكانت
القضاة حينئذ لا تراكب ولا تماشي فعرض له في بعض الطريق كلاب مع مستوحمة والكلاب
تلعق هنها وتدور حولها فوقف وصرف وجهه الينا وقال ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب بالهن
الذي تلعقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا وبقينا متعجبين من
هزله وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلدته في بستان الزهراء على بركة ماء طافحة
وسط روضة نافحة في يوم شديد الوهج وذلك اثر منصرفه من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة شدة
وهج الحر وجهده وبث منه ما تجاوز الحد فأمره بخلع ثيابه والتخفيف عن جسمه ففعل ولم يخف
ذلك ما به فقال له الصواب أن تنغمس في وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك وليس مع

ومنعهم النظر والخلاف والحجاج في الملل وسار نحو الباب والابواب وجبل
الفتح لما كان من غارات
من هذه الممالك من الملوك على
بلاده فبنى السور على
أزقاق البحر المنفوخة
بالصخر والحديد والرصاص
فكلما ارتفع البناء في
تلك الازقاق الى ان استقرت
في قرار البحر وقد ارتفع
السور على الماء وغاصت
الرجال حينئذ بالخناجر
والسكاكين الى تلك
الازقاق فشقتها وتمكن
السور على وجه الماء في قرار
البحر وهو باق الى وقتنا
هذا وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة ويسمى
هذا الموضع من السور في
البحر القيد مانعا للمراكب
في البحر ان وردت من بعض
الاعداء ثم مد السور في
البحر ما بين جبل الفتح
والبحر وجعل فيه الابواب
مما يلي الكفار ثم مد السور
على جبل الفتح على ما قدمنا
فيما سلف من هذا الكتاب
عند ذكرنا الاخبار جبل
الفتح والباب وكان
لأنوشروان حرب مع ملوك
الخزر الى ان أتى له هذا
البناء وقيل انه بنى ذلك
بالرهبة واذعان من هنالك
من الامم وانصرف أنوشروان
الى العراق ووفدت عليه
رسل الملوك وهداياها
والوفود من الممالك وكان
فيمن وفد اليه رسول ملك الروم قيصر بهدايا وألطاف فنظر الرسول الى ايوانه وحسن بنيانه واعوجاج في ميدانه فقال

الخليفة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلبي أمين الخليفة الحكم لا رابع لهم وكأنه استحيا من ذلك
وانقبض عنه وقارا واقتصر عنه اقتصارا وأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه الى النزول في
الصهريج ليسهل عليه الامر فيه فبادر جعفر لذلك وألقى نفسه في الصهريج وكان يحسن
السباحة فجعل يجول يمينا وشمالا فلم يسع القاضي الا انفاذ أمر الخليفة فقام وألقى بنفسه خلف
جعفر ولاذ بالقعود في درج الصهريج وتدرج فيه بعض تدرج ولم ينبسط في السباحة
وجعفر يحرضه عمدا ويحضه بأمر الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم وهو
يعجز في اخلاده الى القعود ويعابثه باطلاع الماء عليه والاشارة بالجذب اليه وهو لا ينبعث
معه ولا يفارق موضعه الى ان كلمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتقبل
صنعه فمن أجلك نزل وبسببك تبذل فقال له ياسيدي ياأمير المؤمنين الحاجب سلمه الله
تعالى لا هوجل معه وأنا هذا الهوجل الذي معي يعقلني ويمنعني من أن أجول معه مجالا يعني
أن الحاجب خصي لا هوجل معه والهوجل الذكر فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف
تعريضه بجعفر وخجل جعفر من قوله وسب الاشراف وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة
بخلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما ⁂ وحكي ان الخليفة الحكم قال له يوما
لقد بلغني انك لا تجتهد للايتام وانك تقدم لهم أوصياء سوءا يأكلون أموالهم فقال نعم وان
أمكنهم ذلك أمهاتهم لم يعفوا منهن قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست اجد غيرهم ولكن
أحلفني على اللؤلؤي وأبي ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا أجبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع
لا اخبرا وقال القاضي منذر أتيت وأبو جعفر بن النحاس في مجلسه بمصر يملي في اخبار الشعراء
شعر قيس المجنون حيث يقول

خليلي هل بالشام عين حزينة ⁂ تبكي على نجد لعلي أعينها
قد اسلمها الباكون الا حمامة ⁂ مطوقة باتت وبات قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة ⁂ يكاد يدنيها من الارض لينها

فقلت له ياأبا جعفر ماذا أعزك الله تعالى باتا يصنعان فقال لي وكيف تقول انت ياأندلسي
فقلت له بانت وبان قرينها فسكت ومازال يستثقلني بعد ذلك حتى منعني كتاب العين وكنت
ذهبت الى الانتساخ من نسخته فلما قطع بي قيل لي أين أنت من أبي العباس بن ولاد فقصدته
فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروءة فسألته الكتاب فأخرجه الي ثم ندم أبو جعفر لما بلغه
اباحة أبي العباس الكتاب الي وعاد الى ما كنت أعرفه منه ⁂ قال وكان أبو جعفر لئيم
النفس شديد التقتير على نفسه وربما وهبت له العمامة فيقطعها ثلاث عمائم وكان يلي شراء
حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على أهل معرفته ... وأبو جعفر هذا يقال ان تواليفه تزيد
على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب واعراب القرآن ومعاني القرآن وشرح أبيات
الكتاب وغير ذلك ⁂ (رجع) ⁂ وقال منذر بن سعيد كتبت الى أبي علي البغدادي أستعير
منه كتابا من الغريب وقلت

بحق ريم مهفهف ⁂ وصدغه المتعطف
ابعث الي بجزء ⁂ من الغريب المصنف

يكون ممن يعاقب فقيل له ان عجوز المنزل من جانب الاعوجاج منه وان الملك
كان يحتاج هذا الصحن ان
أرادها على بيعه وارتبها
بأبيات فلم يكرهها الملك وبقي
الاعوجاج من ذلك على ما
نرى فقال الرومي هذا
الاعوجاج الآن أحسن
من الاستواء وسار أنوشروان
في بلاد مملكته
واحكم المدن وشيد
القلاع والحصون ورتب
الرجال ثم سار الى الشام
وافتتح بها المدن وكان مما
افتتحه حلب وقنسرين
وحمص وفامية وهي بين
انطاكية وحمص وسار الى
انطاكية وحاصرها وفيها
أخت لقيصر فافتتحها
وفتح مدينة عظيمة
كبيرة العمران عجيبة
البنيان كانت في ساحل
انطاكية رسومها بينة الى
هذه الغاية وأثرها قائم
يدعى سلوقية وأقبل
يفتح المدائن بالشام وأرض
الروم وغنم الغنائم والجواهر
والاموال وبذل السيف
وبث عساكره وسراياه
في بلاده فقبض وحمل منها
الخراج والجزية وحمل
ذلك معه ونقل من الشام
المرمر والرخام وأنواع
الفسيفساء والاحجار
والفسيفساء هي شيء يطبع
من الزجاج والاحجار ذو
بهجة والوان يدخل فيما
فرش من الارض والبنيان كالفصوص ومنه على هيئة الجامات شاف وحمل ذلك الى العراق فبنى

نقض

فقضى حاجتي وأجاب بقوله

وحسن در تألف * بفيك أى تآلف
لا بعثن بماقد * حوى الغريب المصنف
ولو بعثت بنفسى * اليك ما كنت أسرف

فرحم الله تعالى تلك الارواح الطاهرة * (وذكر) ابن اصبغ الهمدانى عن منذر انه خطب يوما وأراد التواضع فكان من فصول خطبته أن قال حتى متى والى متى أعظ ولا أتعظ وأزجر ولا أنزجر أدل الطريق الى المستدلين وأبقى مقيما مع الحائرين كلا ان هذا لهو البلاء المبين ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء الآية اللهم فرغنى لما خلقتنى له ولا تشغلنى بما تكفلت لى به ولا تحرمنى وأنا أسألك ولا تعذبنى وأنا أستغفرك يا أرحم الراحمين * وسمع منذر بالاندلس من عبد الله بن يحيى بن يحيى ونظرائه ثم رحل حاجا سنة ثمان وثلثمائة فاجتمع بعدة أعلام وطرقت فضائله بالمشرق وممن سمع عليه منذر بالمشرق ثم بمكة محمد بن المنذر النيسابورى سمع عليه كتابه المؤلف فى اختلاف العلماء المسمى بالاشراف * وروى بمصر كتاب العين للخليل عن أبى العباس بن ولاد * وروى عن أبى جعفر بن النحاس وكان منذر متفننا فى ضروب العلوم وغلب عليه التفقه بمذهب أبى سليمان داود بن على الاصبهانى المعروف بالظاهرى فكان منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتج لمقالته ويأخذ به فى نفسه ودونه فاذا جلس للحكومة قضى بمذهب الامام مالك وأصحابه وهو الذى عليه العمل بالاندلس وحمل السلطان أهل مملكته عليه وكان خطيبا بليغا عالما بالجدل حاذقا فيه شديد العارضة حاضر الجواب عتيده ثابت الحجة ذا شارة عجيبة ومنظر جميل وخلق حميد وتواضع لاهل الطلب وانحطاط اليهم واقبال عليهم وكان مع وقاره التام فيه دعابة مستملحة وله نوادر مستحسنة وكانت ولايته القضاء بقرطبة للناصر فى شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وولبث قاضيا من ذلك التاريخ للخليفة الناصر الى وفاته ثم للخليفة الحكم المستنصر الى ان توفى رحمه الله تعالى عقب ذى القعدة من سنة خمس وخمسين وثلثمائة فكانت ولايته للقضاء الجماعة المعبر عنه فى المشرق بقضاء القضاة ستة عشر عاما كاملة لم يحفظ عليه فيها جور فى قضية ولا قسم بغير سوية ولا ميل لهوى ولا اصغاء الى عناية رحمه الله تعالى ورضى عنه ودفن بمقبرة قريش بالربض الغربى من قرطبة أعادها الله تعالى جوفى مسجد السيدة الكبرى بقرب داره * وله رحمه الله تعالى تواليف مفيدة منها كتاب أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ وغير ذلك فى الفقه والكلام فى الرد على أهل المذاهب تغمده الله تعالى برضوانه وكتب بعض الادباء الى القاضى منذر بقوله

مسئلة جئتك مستفتيا * عنها وأنت العالم المستشار
علام تحمر وجوه الظبا * وأوجه العشاق فيها اصفرار

فأجاب منذر بقوله

احمر وجه الظبى اذ لحظه * سيف على العشاق فيه احورار
واصفر وجه الصب لما رأى * والشمس تبقى للمغيب اصفرار

من أنواع الاحجار يحكى بذلك انطاكية وغيرها من المدن فى الشام وهذه المدينة سورها من طين فانهم الى هذا الوقت خراب وباب يعرف بما ذكرنا وروجه خاقان ملك الترك بابنته وابنة أخيه وهادنه ملوك السند والهند والشمال والجنوب وسائر الممالك وجاءت اليه الهدايا ووفدت اليه الوفود خوفا من صولته وكثرة جنوده وعظم ما لاح ولما يظهر من فعله بالممالك وقتله الملوك وانه ادعى الى العدل وكتب اليه ملك الصين من يعور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذى يجرى فى قصره نهران يسقيان العود والكافور الذى توجد رائحته على فرسخين والذى تخدمه بنات ألف ملك والذى فى مربطه ألف فيل أبيض الى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى اليه فرسا من در منضد الاعين الفارس والفرس من ياقوت أحمر وقائم سيفه من نابت منضد بالجوهر وثوب حرير صينيا عشر بائنه صورة الملك جالسا فى ايوانه وعليه حليته وتاجه وعلى رأسه الخدم وبأيديهم المذاب صورة منسوجة بالذهب وأرض الثوب لازورد فى سفط من ذهب تحمله جارية تغيب فى شعرها تتلألأ جمالا

*(ومن رحل الى المشرق من الاندلس فشهد له بالسبق كل أهل المغرب والشرق) الامام العلامة أبو القاسم الشاطبي صاحب حرز الامانى والعقيلة وغيرهما * وهو أبو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعينى الشاطبي المقرى الفقيه الحافظ الضرير أحد العلماء المشهورين والفضلاء المشكورين خطب ببلده شاطبة مع صغر سنه ودخل الديار المصرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وحضر عند الحافظ السلفى وابن برى وغيرهما وولد بشاطبة آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفى بالقاهرة يوم الاحد الثامن والعشرين وقيل الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة بعد العصر ودفن من الغد بالتربة الفاضلية بسفح المقطم * وحكى ان الامير عز الدين موسك الذى كان والد ابن الحاجب حاجبا له بعث الى الشيخ الشاطبي يدعوه الى الحضور عنده فامر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب اليه

قل للامير مقالة * من ناصح فطن نبيه
ان الفقيه اذا أتى * أبوابكم لا خير فيه

ومن نظمه رحمه الله تعالى

خالفت أبناء الزمان فلم أجد * من لم أرم منه ارتيادى مخلصى
رد الشباب وقد مضى لسبيله * أهيا وأمكن من صديق مخلص

وكان رحمه الله تعالى قرأ بشاطبة القرا آت وأتقنها على النفزى ثم انتقل الى بلنسية فقرأ بها التيسير من حفظه على ابن هذيل وسمع الحديث منه ومن ابن النعمة وابن سعادة وابن عبد الرحيم وغيرهم وارتحل الى المشرق فاستوطن القاهرة واشتهر اسمه وبعد صيته وقصده الطلبة من النواحى وكان اماما علامة ذكيا كثير الفنون منقطع القرين رأسا فى القرا آت حافظا للحديث بصيرا بالعربية واسع العلم وقد سارت الركبان بقصيدتيه حرز الامانى وعقيلة اتراب الفضائل اللتين فى القرا آت والرسم وحفظهما خلق كثير لا يحصون وخضع لهما فحول الشعراء وكبار البلغاء وحذاق القراء ولقد أوجز وسهل الصعب * وممن روى عنه أبو الحسن ابن خيرة ووصفه من قوة الحفظ بأمر عجيب معجب وممن قرأ عليه بالروايات الامام الشهير محمد ابن عمر القرطبي وتصدر الشاطبي رحمه الله تعالى للاقراء بالمدرسة الفاضلية وكان موصوفا بالزهد والعبادة والانقطاع * وقبره بالقرافة يزار وترجى استجابة الدعاء عنده وقد زرته مرارا ودعوت الله بما أرجو قبوله وترك أولادا منهم أبو عبد الله محمد عاش نحو ثمانين سنة * وقال السبكى فى حق الامام الشاطبي انه كان قوى الحافظة واسع المحفوظ كثير الفنون فقيها مقرئا محدثا نحويا زاهدا عابدا ناسكا يتوقد ذكاء قال السخاوى أقطع انه كان مكاشفا وانه سأل الله كتمان حاله ما كان أحد يعلم أى شئ هو انتهى وترجمته واسعة رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين * وقال ابن خلكان انه أبدع فى حرز الامانى وهى عمدة قراء هذا الزمان فى تعلمهم فقل من يشتغل بالقرا آت الا ويقدم حفظها ومعرفتها وهى مشتملة على رموز عجيبة واشارات لطيفة وما أظنه سبق الى اسلوبها وقد روى عنه انه كان يقول لا يقرأ أحد قصيدتى هذه الا وينفعه الله عز وجل لانى نظمتها لله تعالى مخلصا وكان عالما بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيرا وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزا فيه وكان اذا قرئ عليه صحيحا البخارى ومسلم والموطا يصحح النسخ

وعنبر منه كربا من عجائب ما يحمل من أرض الصين وتهديه الملوك الى أكفائها وكتب اليه ملك الهند من ملك الهند وعظيم أراكنة المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر الى أخيه ملك فارس صاحب التاج والراية كسرى أنوشروان واهدى اليه ألف من من عود هندى يذوب فى النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع ويتبين فيه الكتابة وجاما من الياقوت الاحمر فتحه شبر مملوأ درا وعشرة امنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة أشبار تضرب أشفار عينيها خدها وكان بين أجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقة تخطيطها واتقان تشكيلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرها وفرشا من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الموشى وكان كتابه فى لحاء الشجر المعروف بالكادى مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيب لحاؤه أرق من الورق الصينى تتكاتب فيه ملوك الصين والهند وورد عليه وهو فى عسكره محاربا لبعض اعدائه كتاب ملك الصين من خاقان ملك تبتسان ومشارق الارض المتاخمة للصين والهند الى أخيه

من حفظه ويملي النكت على المواضع المحتاج اليها وكان أوحد في علم النحو واللغة عارفا بتعبير الرؤيا حسن المقاصد مخلصا فيما يقول ويفعل وكان يجتنب فضول الكلام ولا ينطق في سائر أوقاته الا عند ما تدعو اليه الحاجة ولا يجلس للقراءة الا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه واذا سئل عن حاله قال العافية لا يزيد على ذلك وكان كثيرا ما ينشد هذا اللغز في النعش وهو لأبي زكريا يحيى بن سلامة الخطيب

أتعرف شيأ في السماء نظيره * اذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل أمير يعتليه أسير
يحض على التقوى ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر عن رغبة في زيارة * ولكن على رغم المزور يزور

وكان يقول عند دخوله الى مصر انه يحفظ وقر بعير من العلوم وكان نزيل القاضي الفاضل ورتبه بمدرسته بالقاهرة وقيل ان كنيته أبو محمد حسبما وجد في بعض اجازاته رحمه الله تعالى

*(ومن الراحلين الى المشرق من الاندلس) الامام القاضي أبو بكر بن العربي قال ابن سعيد هو الامام العالم القاضي الشهير فخر المغرب أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري قاضي قضاة كورة اشبيلية ذكره الحجاري في المسهب طبق الآفاق بفوائده وملأ الشام والعراق باوابده وهو امام في الاصول والفروع وغير ذلك ومن شعره وقد ركب مع احد امراء الملثمين وكان ذلك الامير صغيرا فهز عليه رمحا كان في يده مداعباله فقال

يهز على الرمح ظبي مهفهف * لعوب بألباب البرية عابث
ولو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

وقوله وقد دخل عليه غلام جميل الصورة في لباس خشن

لبس الصوف لكي أنكره * وأتانا شاحبا قد عبسا
قلت ايه قد عرفناك وذا * جل سوء لا يعيب الفرسا
كل شئ أنت فيه حسن * لا يبالي حسن ما لبسا

وزعم بعض أن الابيات ليست له وانما تمثل بها فالله تعالى أعلم * وممن عرف بابن العربي وذكره ابن الامام في سمط الجمان والشقندي في الطرف وكان قد صحب المهدي محمد بن تومرت بالمشرق فأوصى عليه عبد المؤمن وكان مكرما عنده وحكي أنه كتب كتابا فأشار عليه بعض من حضر أن يذر عليه نشارة فقال قف ثم فكر ساعة وقال اكتب

لا تشنه بما تذر عليه * فكفاه هبوب هذا الهواء
فكأن الذي تذر عليه * جدري بوجنة حسناء

وولي أبا بكر الطرطوشي وما برح معظما الى أن تولى خطة القضاء ووافق ذلك أن احتاج سور اشبيلية الى بنيان جهة منه ولم يكن بها مال متوفر ففرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك في عيد أضحى فأحضروها كارهين ثم اجتمعت العامة العمياء وثارت عليه ونهبوا داره وخرج الى قرطبة وكان في أحد ايام الجمع قاعدا ينتظر الصلاة فاذا بغلام رومي وضيء قد جاء

اليه أنواعا من العجائب التي تحمل من أرض تبت منها مائة جوشن ذهبية ومائة قطعة نحاسية ومائة ترس ذهبية وأربعة آلاف من من المسك في نوافج غزلانه وقد كان أنوشروان سار الى ماوراء نهر بلخ وانتهى الى جيلان وقتل الهياطلة ملك الهياطلة وملك ما كان في أيديهم الى مكة وقد كان نقل اليه من الهند كتاب كليلة ودمنة والشطرنج والخضاب الاسود المعروف بالهندي وهو الخضاب الذي يلمع سواده فما يظهر من أصول الشعر سنة كاملة بصبغة سوداء ولا ينصل منه شئ (ويحكى) ان هشام بن عبد الملك بن مروان كان يختضب بهذا الخضاب وكان لانوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها أنواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها [illegible] طعامه من أكله من حله وعاد على ذوي الحاجة من فضله ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته واذا أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك وكان له خواتيم أربعة خاتم للخراج فصه من العقيق ونقشه العدل وخاتم للضياع فصه فيروزج نقشه العمارة وخاتم للمعونة فصه ياقوت كحلي نقشه التأني وخاتم للبريد فصه ياقوت أحمر كالنار نقشه الرجاء ووضع

يخترق الصفوف بشمعة في يده وكتاب معتق فقال

وشمعة تحملها شمعة * يكاد يخفي نورها نارها
لولا تقى نفس نهت غيها * لقبلته واتت عارها

ولما سمعها ابو عمران الراهد قال انه لم يكن يفعل ولكنه هزته اريحية الادب ولو كنت انا قلت

لولا الحياء وخوف الله يمنعني وأن يقال صبا موسى على كبره
اذا لمتعت لحظي في نواظره حتى أوفي جفوني الحق من نظره

(رجع) الى أخبار ابن العربي فنقول انه سمع بالاندلس أباه وخاله أبا القاسم الحسن الهوزني وأبا عبد الله السرقسطي وببجاية أبا عبد الله الكلاعي وبالمهدية أبا الحسن بن الحداد الخولاني وسمع بالاسكندرية من الانماطي وبمصر من أبي الحسن الخلعي وغيره وبدمشق غير واحد كالفقيه نصر المقدسي وبمكة أبا عبد الله الحسين الطبري وابن طلحة وابن بندار وقرأ الادب على التبريزي وعمل رحمه الله تعالى على مدينة اشبيلية سورا بالحجارة والآجر بالنورة من ماله وكان كاملا في الصلة حريصا على آدابها وسيرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ويجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود وذكره ابن بشكوال في الصلة وقال فيه الامام الحافظ ختام علماء الاندلس رحل الى المشرق مع أبيه مستهل ربيع الاول سنة خمس وثمانين وأربعمائة ودخل الشام والعراق وبغداد وسمع بها من كبار العلماء ثم حج في سنة تسع وثمانين وعاد الى بغداد ثم صدر عنها وقال ابن عساكر خرج من دمشق راجعا الى مقره سنة ٤٩١ ولما عرب صنف عارضة الاحوذي ولقي بمصر والاسكندرية جملة من العلماء ثم عاد الى الاندلس سنة ثلاث وتسعين وقدم اشبيلية بعلم كثير وكان موصوفا بالفضل والكمال وولي القضاء باشبيلية ثم صرف عنه ومولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة وتوفي بعيله بمقربة من مدينة فاس ودفن بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة انتهى كلام ابن سعيد وغيره ملخصا ومما في ابن سعد حافظ الاسلام أبا بكر بن العربي جمعه فلعزره ملخصا من التعريف به فنقول انه لقي ببغداد الشاشي والامام أبا بكر والامام أبا حامد الطوسي الغزالي ونقل عنه انه قال كل من رحل لم يأت عذر ما أتيت به من العلم الا الباجي أو كلاما هذا معناه وكان من أهل التفنن في العلوم متقدما في المعارف كلها متكلما على أنواعها حريصا على نشرها وقام بأمر القضاء أحمد قيام مع الصرامة في الحق والقوة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين وقد روي عنه انه أمر بثقب أشداق زامر ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وقرأ عليه الحافظ ابن بشكوال باشبيلية وقال ابن الابار ان الامام الزاهد العابد أبا عبد الله بن مجاهد الاشبيلي لازم القاضي ابن العربي نحوا من ثلاثة أشهر ثم تخلف عنه فقيل له في ذلك فقال كان يدرس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب الى السلطان انتهى وذكره ابن الزبير في صلته وقال انه رحل مع أبيه أبي محمد عند انقراض الدولة العبادية وسنه نحو سبعة عشر عاما الى أن قال وقيد الحديث وضبط ما روى واتسع في الروايه وأتقن مسائل الخلاف والاصول والكلام

أنوشروان على العراق ووضائع الخراج فألزم كل جريب من السواد من مزارع الحنطة والشعير درهما والارز نصفا وثلثا ولكل أربع نخلات فارسية درهما ولكل ست نخلات دقل درهما ولكل ست أصول زيتون درهما والكرم ثمانية دراهم والرطبة سبعة دراهم فهذه سبعة أنواع من الغلات ونزل عما عداها وكان القسم السابع والهاشم وكان انوشروان يدعى كسرى الخير ويذكره الشعراء في أشعارها وفي ذلك يقول عدي بن زيد العبادي من كلمة

أين كسرى خير الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور
... فقرب المنون وولى الملك عنه فبابه مهجور
ثم بادوا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

وجلس انوشروان يوما للحكماء يأخذ من آدابهم فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم في مجلسه دلوني على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسي وعامة رعيتي فتكلم كل واحد بما حضره من الرأي وأنوشروان مطرق يتفكر في أقاويلهم حتى انتهى القول الى بزرجمهر ابن البختكان فقال ايها الملك أنا أجمع لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة فقال هات فقال اولاهن تقوى الله في الشهوة والرغبة والرهبة والغضب فاجعله نصب من ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق في القول والعمل والوفاء

على

على أئمة هذا الشان ومات أبوه رحمه الله تعالى بالاسكندرية أول سنة ثلاث وتسعين فانصرف حينئذ الى اشبيلية فسكنها وسمع ودرس الفقه والاصول وجلس للوعظ والتفسير وصنف في غير فن تصانيف مليحة حسنة مفيدة وولي القضاء مدة أولها في رجب من سنة ثمان فنفع الله تعالى به لصرامته ونفوذ أحكامه والتزم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله فاحسن الصبر على ذلك كله ثم صرف عن القضاء وأقبل على نشر العلم وبثه وكان فصيحا حافظا أديبا شاعرا كثير الملح مليح المجالس ثم قال قال القاضي عياض بعد أن وصفه بما ذكرته ولكثرة حديثه وأخباره وغريب حكاياته وروايته أكثر الناس الكلام وطعنوا في حديثه وتوفي منصرفه من مراكش من الوجهة التي توجه فيها مع أهل بلده الى الحضرة بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا فادركته منيته وروى عنه خلق كثير منهم القاضي عياض وأبو جعفر بن الباذش وجماعة انتهى ملخصا ❊ ووقع في عبارة ابن الزبير تبعا لجماعة أنه دفن خارج باب الجيسة بفاس والصواب خارج باب المحروق كما أشبعت الكلام على ذلك في أزهار الرياض وقد زرته مرارا وقبره هنالك مقصود للزيارة خارج القصبة وقد صرح بذلك بعض المتقدمين الذين حضروا وفاته وقال انه دفن بتربة القائد مظفر خارج القصبة وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج رحمه الله تعالى ومن بديع نظمه

أتتني تؤنبني بالبكاء ❊ فأهلا بها وبتأنيبها

تقول وفي نفسها حسرة ❊ أتبكي بعين تراني بها

فقلت اذا استحسنت غيركم ❊ أمرت جفوني بتعذيبها

وقال رحمه الله تعالى دخل على الاديب ابن صارة وبين يديه نار علاها رماد فقلت له قل في هذه فقال

شابت نواصي النار بعد سوادها ❊ وتسترت عنا بثوب رماد

ثم قال لي أجز قلت

شابت كما شبنا وزال شبابنا ❊ فكأنما كنا على ميعاد

وقد اختلف حذاق الادباء في قوله ولكنه رمح وثان وثالث ماهو الثاني والثالث فقيل القد واللحظ وقيل غير ذلك ولما ذكر رحمه الله تعالى في كتابه قانون التأويل ركوبه البحر في رحلته من افريقية قال وقد سبق في علم الله تعالى أن يعظم علينا البحر بزوله ويغرقنا في هوله فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت بني كعب بن سليم ونحن من السغب على عطب ومن العري في أقبح زي قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الحجارة مبيتها ودسمت الادهان وبرها وجلدتها فاحتزمناها أزرا واشتملناها لفافا تمجنا الابصار وتخذلنا الانصار فعطف أميرهم علينا فأوينا اليه فآوانا وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا وأكرم مثوانا وكسانا بامر حقير ضعيف وفن من العلم ظريف وشرحه انا لما وقفنا على بابه ألفيناه يدير أعواد الشاه فعل السامد اللاه فدنوت منه في تلك الاطمار وسمح لي بياذقته اذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للاغمار

اكرام العلماء والاشراف وأهل الثغور والقواد والكتاب والخول بقدر منازلهم والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال ومحاسبة عادلة ومجازاة المحسن منهم باحسانه والمسيء على اساءته والسادسة تعهد أهل السجون بالعرض لهم بالايام تستوثق منهم بالمسيء وتطلق البريء والسابعة تعهد سبيل الناس وأرزاقهم وأسعارهم وتجاراتهم والثامنة حسن تأديب الرعية في الجرائم واقامة الحدود والتاسعة اعداد السلاح وجمع آلات الحرب والعاشرة اكرام الولد والاهل والاقارب وتفقد ما يصلحهم والحادية عشرة اذكاء العيون في الثغور ليعلم ما يتخوف فيؤخذ أهبته قبل هجومه والثانية عشرة تفقد الوزراء والخول والاستبدال بذي الغش والعجز منهم فأمر أنوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب وقال هذا كلام فيه جوامع أنواع السياسات الملوكية وكان مما حفظ من كلام أنوشروان وحكمته انه سئل ما أعظم الكنوز قدرا وأنفعها عند الاحتياج اليها فقال

معروف أودعته الاحرار وعلم تورثه الاعقاب وقيل لانوشروان من أطول الناس عمرا فقال من ...

دوقفت بازائهم انظر الى تصرفهم من ورائهم اذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض
القرابة فى خلس البطالة مع غاية الصبوة والجهالة فقلت للبياذقة الامير أعلم من صاحبه
فادعونى شزرا وعظمت فى أعينهم بعد أن كنت نزرا وتقدم الى الامير من نقل اليه
الكلام فاستدنانى فدنوت منه وسألنى هل لى علم فيه فقلت لى فيه بعض نظر سيبدو
لك ويظهر حرك تلك القطعة ففعل كما أشرت وعاود صاحبه فأمرته ان يحرك اخرى وما
زالت الحركات بينهم كذلك تترى حتى هزمهم الامير وانقطع التدبير فقالوا اما أنت
بصغير وكان فى أثناء تلك الحركات قد ترنم ابن عم الامير منشدا

واحلى الهوى ماشك فى الوصل ربه * وفى الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى

فقال لعن الله أبا الطيب او يشك الرب فقلت له فى الحال ليس كما ظن صاحبك أيها الامير انما
أراد بالرب ههنا الصاحب يقول ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال وبلوغ الغرض
من الآمال على ريب فهو فى وقته كله على رجاء لما يؤمله وتقاة لما يقطع به كما قال

اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا * فاين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نتصف الى ذلك من الاغراض فى طرفى ابرام وانتقاض ماحرك منهم الى جهتى
دواعى الانتهاض واقبلوا يتعجبون منى ويسألونى كم سنى ويستكشفونى عنى فبقرت
لهم حديثى وذكرت لهم مجيئى وأعلمت الامير بان أبى معى فاستدعاه وأوينا الثلاثة الى
مثواه فخلع علينا خلعه وأسبل علينا أدمعه وجاء كل خوان بافنان وألوان ثم قال
بعد المبالغة فى وصف ما نالهم من اكرامه فانظر الى هذا العلم الذى هو الى الجهل أقرب
مع تلك الصبابة اليسيرة من الادب كيف أنقذا من العطب وهذا الذكر يرشدكم ان
عقلتم الى المطلب وسرنا حتى انتهينا الى بادرمصر انتهى مختصرا والزول العجب وبجيث
الخبر ماظهر من قبيحه يقال بدا نجيث القوم اذا ظهر سرهم الذى كانوا يخفونه فاما الجوهرى
وذكر رحمه الله تعالى فى رحلته عجائب * منها انه حكى فى دخوله بدمشق بيوت بعض الاكابر
انه رأى فيه النهر جاريا الى موضع جلوسهم ثم يعود من ناحية اخرى فلم أفهم معنى ذلك حتى
جاءت موائد الطعام فى النهر المقبل الينا فاخذها الخدم ووضعوها بين أيدينا فلما فرغنا ألقى
الخدم الاوانى وما معها فى النهر الراجع فذهب بها الماء الى ناحية الحريم من غير ان يقرب
الخدم تلك الناحية فعلمت السر وان هذا العجيب انتهى بمعناه وقال فى قانون التأويل ورد
علينا دانشمند يعنى الغزالى فنزل برباط أبى سعد بازاء المدرسة النظامية معرضا عن الدنيا
مقبلا على الله تعالى فمشينا اليه وعرضنا امنيتنا عليه وقلت له أنت ضالتنا التى كنا ننشد
وامامنا الذى به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة وتحققنا ان
الذى نقل الينا من ان الخبر على الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم ولو رآه على بن
العباس لما قال

اذا ما مدحت امرأ غائبا * فلا تغل فى مدحه واقصد
فانك ان تغل تغل الظنو * ن فيه الى الامد الابعد
فيصغر من حيث عظمته * لفضل المغيب على المشهد

انتهى

علمه وتادب به من بعده أو معروف يشرف به عقبه وأنوشروان الذى يقول الانعام لقاح والشكر ولادة والمنعم هو الجاعل الى شكره سبيلا وهو الذى يقول لا تعدن الحر من فى الامناء ولا الكاذبين فى الاحرار وقال أنوشروان لبوسابر بزجمهر من يصلح من ولدى لتاج فاظهر رغبته والاعتذار اليه بانى لا اعرف ذلك ولكنى أصف لك من يصلح لذلك أسماهم للمعالى واطلبهم للادب وأجنبهم من العامة وأرأفهم بالرعية وأوصلهم للرحم وأبعدهم من الظلم فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك (قال المسعودى) وقد ذكرنا فى كتاب الزلف الخصال التى يستحق بها الملك من وجدت فيه وما ذكرنا عن حكماء الفرس واسلافها فى ذلك وغيرها من حكماء اليونانيين كافلاطون وما ذكره فى كتاب السياسة المدنية وغيره ممن تأخر عن عصره وذكر عن بزرجمهر انه قال رأيت من أنوشروان خصلتين متباينتين لم أر مثلهما منه جلس يوما للناس فدخل رجل من خاصة أهله فنحاه وزيره فامر به ان يقام ويحجب عنه سنة لتعديه المرتبة التى رسمت له وازدياده فيها عن مرتبة غيره فى المجلس ثم رأيته يوما وقد خلا عنده فى سر من تدبير شىء من المملكة وخدمه خلف فرشه وسريره

وكنت

وكنت نقلت من المطمح في حقه ما صورته علم الاعلام الطاهر الاثواب الباهر الابواب الذى انسى ذكاء اياس. وترك التقليد للقياس وانتج الفرع من الاصل وغدا في الاسلام أمضى من النصل سقى الله تعالى به الاندلس بعد ما أجدبت من المعارف ومد عليها منه ظله الوارف وكساها رونق نبله وسقاها ريق وبله وكان أبوه أبو محمد باشبيلية بدرا في فلكها وصدرا في مجلس ملكها واصطفاه معتمد بني عباد اصطفاء المأمون لابن أبي دواد وولاه الولايات الشريفة وبوأه المراتب المنيفة فلما اقفرت حمص من ملكهم وخلت والقتهم منها وتخلت رحل به الى المشرق وحل فيه محل الخائف الفرق فجال في اكنافه واجال قداح الرجاء في استقبال العز واستئنافه فلم يسترد ذاهبا ولم يجد كمعتمده باذلا له وواهبا فعاد الى الرواية والسماع وما استفاد من آمال تلك الاطماع وابو بكر اذ ذاك في ثرى الذكاء قضيب ما دوح وفي روض الشباب زهر ما فوح فالزمه مجالس العلم رائحا وغاديا ولازمه سائقا اليها وحاديا حتى استقرت به مجالسه واطردت له مقايسه فجد في طلبه واستجد به ابوه متمزق اربه ثم ادركه حمامه ووارته هنالك رجامه وبقى ابو بكر متفردا وللطلب متجردا حتى اصبح في العلم وحيدا ولم تجد عنه رياسته محيدا فكر الى الاندلس فحلها والنفوس اليه متطلعة ولانبائه متسمعة فناهيك من حظوة لقى ومن عزة سقى ومن رفعة سما اليها ورقى وحسبك من مفاخر قلدها ومحاسن انس اثبتها فيها وخلدها وقد اثبت من بديع نظمه ما يهز أعطافا وترده الافهام نطافا فمن ذلك قوله يتشوق الى بغداد ويخاطب فيها أهل الوداد

أمنك سرى والليل يخدع بالفجر * خيال حبيب قد حوى قصب الفخر

جلا ظلم الظلماء مشرق نوره * ولم يخبط الظلماء بالانجم الزهر

ولم يرض بالارض البسيطة مسحبا * فسار على الجوزا الى فلك يجرى

وحث مطايا قد مطاها بعزه * فأوطأها قسرا على قنة النسر

فصارت ثقالا بالجلالة فوقها * وسارت عجالا تتقى ألم الزجر

وجرت على ذيل المجرة ذيلها * فمن ثم يبدو ما هناك لمن يسرى

ومرت على الجوزاء توضع فوقها * فآثار ما مرت به كلف البدر

وساقت أريج الخلد من جنة العلا * فدع عنك رملا بالانيعم يستذرى

فما حذرت قيسا ولا خيل عامر * ولا أضمرت خوفا لقاء بني ضمر

سقى الله مصرا والعراق وأهلها * وبغداد والشامين منهمل القطر انتهى

ومن تآليف الحافظ أبي بكر بن العربي المذكور كتاب القبس في شرح موطا مالك بن أنس وكتاب ترتيب المسالك في شرح موطا مالك وكتاب أنوار الفجر وكتاب أحكام القرآن وكتاب عارضة الاحوذي في شرح الترمذي والاحوذي بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وآخره ياء مشددة وكتاب مراقي الزلف وكتاب الخلافيات وكتاب نواهي الدواهي وكتاب سراج المريدين وكتاب المشكلين مشكل الكتاب والسنة وكتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن وكتاب قانون التأويل وكتاب النيرين في الصحيحين وكتاب

ملكه يتحدثون فارتفعت اصواتهم حتى شغلونا عن بعض ما كنا فيه فقلت له وأخبره بتفاوت ما بين الحالين فقال لى لا نجعل فخر الملوك على رعيتنا وخدمنا ملوكا على أرواحنا ينالون منا في خلواتنا ما لا حيلة لنا معه في الحرز منهم وكان أنوشروان يقول الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال واصلاح العمال باستقامة الوزراء ورأس الكل تفقد الملك أمور نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه وكان يقول صلاح الرعية أنصر من الجنود وعدل الملك أخصب من عدل الزمان وكان يقول أيام السرور كلمح البصر وأيام الحزن تكاد تكون شهورا (قال المسعودى) ولانوشروان سير حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وما كان منه في مسيره في سائر اسفاره وما بنى من المدن والحصون ورتب من المقاتلة في الثغور (ثم ملك بعده هرمز) بن أنوشروان بن قباذ وأمه فاقم بنت خاقان ملك الترك وقيل بل ملك من ملوك الخزر مما يلى الباب والابواب فكان ملكه اثنتي عشرة سنة وكان متحاملا على خواص الناس مائلا الى عوامهم مقويا لهم موثرا للرعية وتوابع العوام مقربا لهم مخواص الناس وقيل انه قتل في مدة

سراج المهتدين وكتاب الأمد الاقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا وكتاب فى الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب وكتاب العقد الاكبر للقلب الاصغر وتبيين الصحيح فى تعيين الذبيح وتفصيل التفضيل بين التحميد والتهليل ورسالة الكافى فى أن لادليل على النافى وكتاب السباعيات وكتاب المسلسلات وكتاب المتوسط فى معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوى البدع والالحاد وكتاب شرح غريب الرسالة وكتاب الانصاف فى مسائل الخلاف عشرون مجلدا وكتاب حديث الافك وكتاب شرح حديث جابر فى الشفاعة وكتاب شرح حديث أم زرع وكتاب ستر العورة وكتاب المحصول فى علم الاصول وكتاب أعيان الاعيان وكتاب ملجأة المتفقهين الى معرفة غوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوائد مالا يوصف * ومن فوائد القاضى أبى بكر بن العربى رحمه الله تعالى قوله قال علماء الحديث مامن رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نضرة لقول النبى صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها الحديث قال وهذا دعاء منه عليه السلام لحملة علمه ولابد بفضل الله تعالى من نيل بركته انتهى والى هذه النضرة أشار أبو العباس العزفى بقوله

أهل الحديث عصابة الحق * فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة * لألاؤها كتألق البرق
ياليتنى معهم فيدركنى * ماأدركوه بها من السبق

انتهى

(ولا بأس أن نذكر هنا بعض فوائد الحافظ أبى بكر بن العربى رحمه الله تعالى)* فمنها قوله فى تصريف المحصنات يقال أحصن الرجل فهو محصن بفتح العين فى اسم الفاعل وأسهب فى الكلام فهو مسهب اذا أطال البحث فيه وألفج فهو ملفج اذا كان عديما لارابع لها والله تعالى أعلم انتهى * ومنها قوله سمعت الشيخ فخر الاسلام أبا بكر الشاشى وهو ينتصر لمذهب أبى حنيفة فى مجلس النظر يقول يقال فى اللغة العربية لاتقرب كذا بفتح الراء أى لاتتلبس بالفعل واذا كان بضم الراء كان معناه لاتدن من الموضع وهذا الذى قاله صحيح مسموع انتهى * ومنها شاهدت المائدة بطورزيتا مرارا وأكلت عليها ليلا ونهارا وذكرت الله سبحانه فيها سرا وجهارا وكان ارتفاعها أشف من القامة بنحو الشبر وكان لها درجان قبلى وجنوبى وكانت صخرة صلداء لاتؤثر فيها المعاول وكان الناس يقولون مسخت صخرة اذ مسخ أربابها قردة وخنازير والذى عندى انها كانت صخرة فى الاصل قطعت من الارض محلا للمائدة النازلة من السماء وكل ماحولها حجارة مثلها وكان ماحولها محفوفا بقصور وقد نحتت فى ذلك الحجر الصلد بيوت أبوابها منها ومجالسها منها مقطوعة فيها وحناياها فى جوانبها وبيوت خدمها قد صورت من الحجر كما تصور من الطين والخشب فاذا دخلت فى قصر من قصورها ورددت الباب وجعلت من ورائه صخرة مقدار ثقل ثمن درهم لم يفتحه أهل الارض للصوقه بالارض واذا هبت الريح وحثت تحته التراب لم يفتح الا بعد صب الماء تحته والاكثار منه حتى يسيل بالتراب وينفرج منفرج الباب وقد بار بها قوم بهذه العلة وقد كنت أخلو فيها كثيرا للدرس ولكنى كنت فى كل حين أكنس حول الباب مخافة مما جرى لغيرى فيها وقد

ملكه من حواص فارس ثلاثة عشر ألف رجل مذكور ولاثنتى عشرة سنة من ملكه تخرم عليه الملك وتداعت أركانه وزحفت اليه الاعداء وكثرت عليه الخوارج وقد كان أزال أحكام الموبذان وخرب بذلك السنة المحمودة والشريعة المعهودة وغير الاحكام وأزال الرسوم وكان ممن سار اليه شابة بن شب عظيم من ملوك الترك فى أربعمائة ألف حتى نزل نحو بلاد هراة وبلاد عيسى وبوشنج من أرض خراسان وسار اليه من أطراف أرمينية طراخنة من الخزر فى جيش عظيم فشنوا الغارات فيما بين ذلك الى متع بخيل أوقفت وملوك تهادنت وتواهبت ما كان بينهما من الدم مما يلى جبل الفتح وسار بطريق القيصر فى ثمانين ألفا مما يلى الجزيرة وسار مما يلى اليمن جيش عظيم للعرب من قحطان ومعد وعليهم العباس المعروف بالاحول وعمرو الافوه فاضطرب على هرمز امره واحضر الموبذ وذوى الرأى منهم من بعد احتماله بهم وشاورهم فكان من نتيجة رأيهم موادعة الوجوه الثلاثة وارضاؤهم والاقبال على شابة بن شب فانتدب لحربه بهرام جور ابن مرزبان الرى وكان بهرام هذا من ولد جرجير بن ميلاد من نسل انوس المعروف بالران فسار

شرحت

شرحت أمرها في كتاب ترتيب الرحلة بأكثر من هذا انتهى ❊ ومنها قوله رحمه الله تعالى تذاكرت بالمسجد الاقصى مع شيخنا أبي بكر الفهري الطرطوشي حديث ابي ثعلبة المرفوع ان من ورائكم أياما للعامل فيها أجر خمسين منكم فقالوا بل منهم فقال بل منكم لانكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتي من الامة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الاسلام وعضدوا الدين وأقاموا المنار وافتتحوا الامصار وحموا البيضة ومهدوا الملة وقد قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه في شرح الصحيح وخلاصته أن الصحابة كانت لهم اعمال كثيرة لا يلحقهم فيها احد ولا يدانيهم فيها بشر واعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الاجر من اخلص اخلاصهم وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والاسلام وهو أيضا انتهاؤه وقد كان قليلا في ابتداء الاسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق وفي آخر الزمان أيضا يعود كذلك لوعد الصادق صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق وركوب من يأتي سنن من مضى من أهل الكتاب كما قال صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه وقال صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فلا بد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الاسلام الى واحد كما بدا من واحد ويضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى اذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعالى في الدعاء اليه كان له من الاجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنا منه معانا عليه بكثرة الدعاة الى الله تعالى وذلك قوله لانكم تجدون على الخير اعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا حتى ينقطع ذلك انقطاعا باتا لضعف اليقين وقلة الدين كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله يروى برفع الهاء ونصبها فالرفع على معنى لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل والنصب على معنى لا يبقى آمر بعرف ولا ناه عن منكر يقول أخاف الله وحينئذ يتمنى العاقل الموت كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني كنت مكانه انتهى وأنشد رحمه الله تعالى لبعض الصوفية

امتحن الله بذا خلقه ❊ فالنار والجنة في قبضته
فهجره أعظم من ناره ❊ ووصله أطيب من جنته

❊ (ومن فوائد ابن العربي) رحمه الله تعالى انه قال كنت بمجلس الوزير العادل أبي منصور بن جهير على رتبة بيناها في كتاب الرحلة للترغيب في الملة فقرأ القارئ تحيتهم يوم يلقونه سلام وكنت في الصف الثاني من الحلقة بظهر أبي الوفاء بن عقيل امام الحنبلية بمدينة السلام وكان معتزلي الاصول فلما سمعت الآية قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري هذه الآية دليل على رؤية الله في الآخرة فان العرب لا تقول لقيت فلانا الا اذا رأته فصرف وجهه أبو الوفاء مسرعا الينا وقال ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله تعالى لا يرى في الآخرة فقد قال الله

في اثني عشر الفا وشابة في أربعمائة الف فكانت لبهرام معه خطوب ومراسلات من ترغيب وترهيب وحيل في الحرب الى أن قتله بهرام واستباح عسكره واستولى على خزائنه وأمواله وبعث الى هرمز برأسه وقد كان برمود بن شابة ولده تحصن في بعض القلاع من بهرام فنزل عليه بهرام فنزل برموده على حكم هرمز وسار اليه وحمل بهرام جملا من الغنائم وما كان أخذه من شابة مما كان معه من تركات الملوك مثل ما كان في خزائن أفراسياب من الاموال والجواهر التي كان أخذها من سياوخش وما كان بايدي الترك من تركات هوحاسف ملك الترك مما أخذه من خزائن يستاسف من مدينة بلخ وغيرها من ذخائر ملوك الترك السالفة فلما انتهى ما وصفنا من الاموال والجواهر وغير ذلك من الغنائم من قبل بهرام حسده وزير هرمز ازيحسيس وقد نظر الى اعجاب هرمز بما حمل اليه بهرام وسروره به فقال اعظم هذه زلته وعرض لهرمز بخيانة بهرام واستبداده باكثر الجواهر والاموال والغنائم وأغراه به فعصاه بهرام ثم احتال بهرام بدراهم ضرب عليها اسم كسرى ابرويز ودس أناسا من التجار فأنفقوها بباب هرمز فتعامل بها الناس وكثرت في أيديهم وعلم بها هرمز فلم يشك أن

تعالى فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى في الآخرة وقد شرحنا وجه الآية في المشكلين وتقدير الآية فأعقبهم هو نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه فيحتمل ضمير يلقونه ان يعود الى ضمير الفاعل في أعقبهم المقدر بقولنا هو ويحتمل أن يعود الى النفاق مجازا على تقدير الجزاء انتهى * ومنها ما نقله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا يقل أحدكم انصرفنا من الصلاة فان قوما قيل فيهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقد أنبأنا محمد بن عبد الملك القيسي الواعظ أنبأنا أبو الفضل الجوهري سماعا منه كنا في جنازة فقال المنذر بها انصرفوا رحمكم الله تعالى فقال لا يقل أحدكم انصرفوا فان الله تعالى قال في قوم ذمهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قولوا انقلبوا رحمكم الله فان الله تعالى قال في قوم مدحهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء انتهى * ومنها وقد ذكر الخلاف في شاهد يوسف ما صورته فاذا قلنا انه القميص فكان يصح من جهة اللغة أن يخبر عن حاله بتقدم مقاله فان لسان الحال أبلغ من لسان المقال في بعض الامور وقد تضيف العرب الكلام الى الجمادات بما تخبر عنه بما عليها من الصفات ومن أحلاه قول بعضهم قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني ما يتركني ورائي هذا الذي ورائي لكن قوله تعالى بعد ذلك من أهلها في صفة الشاهد يبطل أن يكون القميص وأما من قال انه ابن عمها أو رجل من أصحاب العزيز فانه يحتمل لكن قوله من أهلها يعطي اختصاصها من جهة القرابة انتهى * ومنها قوله انه كان بمدينة السلام امام من الصوفية وأي امام يعرف بابن عطاء فتكلم يوما على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب اليه من مكروه فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال يا شيخ يا سيدنا فاذن يوسف هم وما تم فقال نعم لأن العناية من ثم فانظروا الى حلاوة العالم والمتعلم وفطنة العامي في سؤاله والعالم في اختصاره واستيفائه ولذا قال علماؤنا الصوفية ان فائدة قوله تعالى ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما أن الله تعالى أعطاه العلم والحكمة أيام غلبة الشهوة لتكون له سببا للعصمة انتهى * ومنها قوله كنت بمكة مقيما في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمائة وكنت أشرب من ماء زمزم كثيرا وكلما شربته نويت به العلم والايمان ففتح الله تعالى لي ببركته في المقدار الذي يسره لي من العلم ونسيت أن أشربه للعمل ويا ليتني شربته لهما حتى يفتح الله تعالى لي فيهما ولم يقدر فكان صغوي للعلم أكثر منه للعمل وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق برحمته * ومنها قوله سمعت امام الحنابلة بمدينة السلام أبا الوفاء علي بن عقيل يقول انما تبع الولد الام في المالية وصار بحكمها في الرق والحرية لانه انفصل عن الاب نطفة لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة مبثوثة عليه وانما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلذلك تبعها كما لو أكل رجل تمرا في أرض رجل وسقطت منه نواة في الأرض من يد الآكل فصارت نخلة فانها ملك صاحب الارض دون الآكل باجماع من الامة لانها انفصلت عن الآكل ولا قيمة لها وهذه من البدائع انتهى * ومنها قوله ومن نوادر أبي الفضل الجوهري ما أخبرنا عنه محمد بن عبد الملك الواعظ وغيره انه كان يقول اذا أمسكت علاقة الميزان بالابهام والسبابة وارتفعت سائر الاصابع كان شكلها مقروا بقولك الله فكأنها اشارة منه سبحانه في تيسير الوزن الى أن الله سبحانه مطلع عليك فاعدل في وزنك

أبيه أبرويز بهاطنها ذهب أبرويز الى أبيه لتغيره عليه ولحق ببلاد أذربيجان وأرمينية والران والبيلقان وحبس هرمز خالي أبرويز بسطام وبندويه فأعملا الحيلة في محبسهما وخرجا فانضاف اليهما خلق من الجيش فدخلا على هرمز فسملا عينيه وأعمياه فلما نمى ذلك الى أبرويز سار الى أبيه فدخل عليه وأخبره انه لا ذنب له في ذلك وانما هرب خوفا على نفسه منه فتوجه هرمز وسلم الملك اليه ونمى ذلك الى بهرام جوبين فسار في عساكره يؤم الباب ودار الملك فخرج اليه أبرويز فالتقيا على شاطئ النهروان والنهر بينهما فتوادعا وكان لهما خطب طويل من تقاذف وتشاتم ثم كانت بينهما حروب انكشف فيها أبرويز لتخلف أصحابه عنه وميلهم الى بهرام فنجا تحته فرسه المعروف بشبديز وهو المصور في جبل وهو ببلاد قرماسين من أعمال الدينور هو وأبرويز وغير ذلك من الصور وهذا الموضع من احدى عجائب العالم وغرائب ما فيه من الصور العجيبة المنقورة في الحجر والفرس تذكر في أشعارها وغيرها من الحرب هذا الفرس المعروف بشبديز وقد كان أبرويز على شبديز في بعض

انتهى

انتهى * ومنها قوله كان ابن الكازروني يأوي الى المسجد الاقصى ثم تمتعنا به ثلاث سنوات ولقد كان يقرأ في مهد عيسى عليه السلام فيسمع من الطور فلا يقدر أحد أن يصنع شيأ دون قراءته الا الاصغاء اليه انتهى * ومنها قوله في تفسير قوله تعالى في أيام نحسات قيل انها كانت آخر شوّال من الاربعاء الى الاربعاء والناس يكرهون السفر يوم الاربعاء لاجل هذه الرواية حتى انى لقيت يوما مع خالي الحسن بن أبي حفص رجلا من الكتّاب فودعنا بنية السفر فلما فارقنا قال لي خالي انك لاتراه أبدا لانه سافر في يوم أربعاء لا يتكرر وكذا كان مات في سفره وهذا ما لا أراه لان يوم الاربعاء يوم عجيب بما جاء في الحديث من الخلق فيه والترتيب فان الحديث ثابت بأن الله تعالى خلق يوم السبت التربة ويوم الاحد الجبال ويوم الاثنين الشجر ويوم الثلاثاء المكروه ويوم الاربعاء النور وروى النون وفي غريب الحديث أنه خلق يوم الاربعاء التقن وهو كل شئ تتقن به الاشياء يعني المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص فاليوم الذي خلق فيه المكروه لاتعافه الناس واليوم الذي خلق فيه النور أو التقن يعافونه ان هذا هو الجهل المبين وفي المغازي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على الاحزاب من يوم الاثنين الى يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فاستجيب له وهي ساعة فاضلة فالآثار الصحاح تدل على فضل هذا اليوم فكيف يدعى فيه التحذير والنحس بأحاديث لا أصل لها وقد صوّر قوم أياما من الاشهر الشمسية ادعوا فيها الكراهية لايحل لمسلم أن ينظر اليها ولا يشتغل بالابها حسبهم الله انتهى * ومنها وكان يقرأ معنا برباط أبي سعيد على الامام دانشمند من بلاد المغرب خنثى ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربك أعلم به ومع طول الصحبة عقلني الحياء عن سؤاله وبودي اليوم لو كاشفته عن حاله انتهى * ومن شعر ابن العربي مما نسبه له الشيخ أبو حيان قوله

ليت شعري هل دروا * أي قلب ملكوا
وفؤادي لو درى * أي شعب سلكوا
أتراهم سلموا * أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى * في الهوى وارتبكوا

(ومن فوائده) أخبرني المهرة من السحرة بأرض بابل أنه من كتب آخر آية من كل سورة ويعلقها لم يبلغ اليه سحرنا قال هكذا قالوا والله تعالى اعلم بما نقلوه * وقال رحمه الله تعالى حذقت القرآن ابن تسع سنين ثم ثلاثا لضبط القرآن والعربية والحساب فبلغت ست عشرة وقد قرأت من الاحرف نحوا من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه وتمرنت في الغريب والشعر واللغة ثم رحل بي أبي الى المشرق ثم ذكر تمام رحلته رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو بكر محمد بن أبي عامر بن حجاج الغافقي الاشبيلي) ومن نظمه بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

لم يبق لي سؤل ولا مطلب * مذ صرت جار الحبيب الحبيب
لا أبتغي شيأ سوى قربه * وها أنا منه قريب قريب
من غاب عن حضرة محبوبه * فلست عن طيبة ممن يغيب

الايام فانقطع عنانه فدعا بصاحب سروجه وتجه فاراد ضرب عنقه لما لم يتعهد العنان فقال أيها الملك ما بقي سير يجيد به ملك الانس وملك الجن فاطلقه وأجاره ولما ثلج هذا الفرس تحت أبرويز وقصر طلب الى النعمان في المعركة أن يحمل عليه فرسه المعروف باليحموم فأبى عليه وتجاهل به بعينه ونظر حسان بن حنظلة بن حية الطائي الى أبرويز وقد حاشته الرجال وأشرف على الهلاك فاعطاه فرسه المعروف بالضبيب وقال له أيها الملك اتق على نفسك فان حياتك للناس خير من حياتي وأعطاه أبرويز فرسه شيدا فدعا عليه في جملة الناس ومضى أبرويز الى أبيه ففي ذلك يقول حسان بن حنظلة الطائي

أعطيت كسرى ما أراد ولم أكن * لاتركه في الخيل يعثر راجلا
بذلت له ظهر الضبيب وقد بدت * مسوّمة من خيل ترك وأثلا

فكافأه ابرويز بعد ذلك وعرف له ما صنع ولما سار أبرويز من الهزيمة الى أبيه هرمز أشار عليه أن يلحق بقيصر ويستنجده فان الملوك اذا استنجدت في مثل هذه الحالة انجدت في خطب جرى بينه وبين ابيه فمضى أبرويز وتبعه غيره من الخواص وخالاه بسطام ونفدويه وعبر دجلة وقطع الجسر خوفا من خيل بهرام

لا تسأل المغبوط عن حاله * جار كريم ومحل خصيب
العيش والموت هنا طيب * بطيبة لى كل شئ يطيب

وممن روى عنه هذه الابيات الاشرف بن الفاضل (ومنهم الشيخ الاديب الفاضل البارع جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الخطيب أبى الحسن محمد بن أبى عبد الله بن عيسى بن محمد بن على بن ذى النون الانصارى المالقى) من أشياخ أبى حيان لقيه ببلبيس من ديار مصر قال وأنشدنى لشيخه أبى عبد الله الاستجى من قصيدة

ما للنسيم سرى يهب عليلا * أتراه يشكو لوعة وغليلا
جر الذيول على ديار أحبتى * فأتى يجر من السقام ذيولا

وأنشد رحمه الله تعالى لرضوان المخزومى

ان كنت يوسف حسنا * وكنت عبد العزيز
فان يوسف من قبل كان عبد العزيز

وأخذ ابن ذى النون المذكور عن أبى عبد الله بن صالح وقرأ للسبعة على أبى جعفر الفحام وأبى زيد القمارشى وعلى أبى جعفر السهيلى وولد ابن ذى النون سنة ٦١٨ بمالقة ومن تواليفه نفح المسك الاذفر فى مدح المنصور بن المظفر وأزهار الخميلة فى الآثار الجميلة واستطلاع البشير ومحض اليقين وروض المتقين *(ومنهم زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمى المعروف بشبطون ٣) يكنى أبا عبد الله كان فقيه الاندلس على مذهب مالك وهو أول من أدخل مذهبه الاندلس وكانوا قبله يتفقهون على مذهب الاوزاعى وأراده الامير هشام على القضاء بقرطبة وعزم عليه فهرب فقال هشام ليت الناس كلهم كزياد حتى أكفى الرغبة فى الدنيا وأرسل الى زياد فأمنه حتى رجع الى داره ويحكى انه لما اراده للقضاء كلمه الوزراء فى ذلك عن الامير وعرفوه عزمه عليه فقال لهم اما ان أكرهتمونى على القضاء فزوجتى فلانة طالق ثلاثا لئن أتانى مدع فى شئ مما فى أيديكم لاخرجنه من أيديكم ثم أجعلكم مدعين فيه فلما سمعوا منه ذلك علموا صدقه فعملوا عند الامير فى معافاته سمع من مالك الموطأ ويعرف سماعه بسماع زياد وسمع من معاوية بن صالح وكانت ابنة معاوية تحته وروى يحيى بن يحيى الليثى عن زياد هذا الموطأ قبل أن يرحل الى مالك ثم رحل فأدرك مالكا فرواه عنه الا أبوابا فى كتاب الاعتكاف شك فى سماعها من مالك فأبقى روايته فيها عن زياد عن مالك وتوفى سنة اربع ومائتين وقيل سنة ١٩٣ وقيل فى التى بعدها وقيل سنة ١٩٩ والاول أولى بالقبول والله تعالى أعلم ورحل فى ذلك العصر جماعة من امثال شبطون كفرغوس بن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبى هند وغيرهم ممن رحل الى الحج أيام هشام بن عبد الرحمن والد الحكم فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به صيته بالاندلس فانتشر يومئذ رأيه وعلمه بالاندلس وكان رائد الجماعة فى ذلك شبطون وهو أول من أدخل موطأ مالك الى الاندلس مكملا متقنا فأخذه عنه يحيى بن يحيى كما مر وهو اذ ذاك حدث فى طلاب الفقه فأشار عليه زياد بالرحيل الى مالك ما دام حيا فرحل من بعد وأخذ يحيى عن زياد هذا الكتب العشرة المنسوبة الى يحيى ولقى أيضا عبد الله بن وهب صاحب مالك وسمع منه موطأه ولقى أيضا عبد الله بن نافع المدنى

السبب فقالا لسنا بآمنين أن يدخل بهرام الى أبيك هرمز فيضع تاج المملكة على رأسه وان كان أعمى ويصير هو الهرمزان وتفسير ذلك امير الامراء والروم تسمى صاحب هذه المرتبة الدمستق فى كتب بهرام عن أبيك هرمز الى قيصر ان ابنى ابرويز وجماعة انضافوا اليه وتبوالى وعملوا عنى فاحمله الى فيحملنا فيصير عليه فيأتى عليه بهرام ولا بد لنا من الرجوع الى أبيك وقتله فناشدهما الله أن لا يفعلا ذلك واظهر فيما ذكر عنه البراءة من فعلهما ورجعا من فورهما ومن تسرع معهما الى المدائن وقد صاروا على اميال منها فدخلا على هرمز فخنقاه ولحقا بابرويز ولحقتهم خيل بهرام وكانت منهم حيلة فى بعض الديارات الى أن تخلصوا من تلك الخيل وسار أبرويز فى هرمز يقول ورقة بن نوفل

لم يغن هرمز من شئ خزائنه
والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجرى الرياح له

٣) قوله المعروف بشبطون تقدم انه فى نسخة بسطون وفى أخرى بشطون فليحرر اه

صاحب مالك وسمع منه ومن الليث بن سعد فقيه مصر ومن سفيان بن عيينة بمكة وقدم يحيى الاندلس أيام الحكم فانتشر به وبزياد وبعيسى بن دينار علم مالك بالاندلس رضى الله تعالى عن الجميع وقد قدمنا الحديث الذى رواه زياد بن عبد الرحمن عن مالك فليراجع فى الباب الثالث (ومنهم سوار بن طارق مولى عبد الرحمن بن معاوية) قرطبي حج ودخل البصرة ولقي الاصمعي ونظراءه وانصرف الى الاندلس وأدب الحكم ومن ولده محمد بن عبد الله بن سوار حج أيضا ولقي أبا حاتم بالبصرة والرياشي وغيرهما وأدخل الاندلس علما كثيرا رحم الله تعالى الجميع (ومنهم بقي بن مخلد الشهير الذكر صاحب التآليف التي لم يؤلف مثلها فى الاسلام ولقى مائتين وأربعة وثمانين شيخا وكانت له خاصة من الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وستأتي جملة مما يتعلق ببقي بن مخلد فى رسالة ابن حزم فى الباب السابع وبقي على وزن علي رحمه الله تعالى ورضي عنه وقد شرف بقي بن مخلد غير واحد من العلماء كصاحب النبراس وغيره *(ومنهم قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف أبو محمد البياني) وبيانة من اعمال قرطبة وأصل سلفه من موالي الوليد بن عبد الملك وسمع المذكور بقرطبة من بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس وأصبغ بن خليل وابن مسرة وغير واحد ورحل الى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن أيمن ومحمد بن زكريا بن عبد الاعلى سنة أربع وسبعين ومائتين فسمع بمكة من محمد بن اسمعيل الصائغ وعلي بن عبد العزيز ودخل العراق فلقي من أهل الكوفة ابراهيم بن أبي العنبس قاضيها وابراهيم بن عبد الله القصار وسمع ببغداد من القاضي اسمعيل وأحمد بن زهير بن حرب وغيرهما كعبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل والحرث بن أبي اسامة وكتب عن ابن أبي خيثمة تاريخه وسمع من ابن قتيبة كثيرا من كتبه وسمع من المبرد وثعلب وابن الجهم فى آخرين وسمع بمصر من محمد بن عبد الله العمري ومطلب بن شعيب وغيرهما وسمع بالقيروان من أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتي الشاعر وانصرف الى الاندلس بعلم كثير فمال الناس اليه فى تاريخ أحمد بن زهير وكتب ابن قتيبة وأخذوا ذلك عنه دون صاحبيه ابن أيمن وابن عبد الاعلى وكان بصيرا بالحديث والرجال نبيلا فى النحو والغريب والشعر وكان يشاور فى الاحكام وصنف على كتاب السنن لابي داود كتابا فى الحديث وسببه انه لما قدم العراق سنة ست وسبعين ومائتين مع صاحبه محمد بن أيمن وجدا أبا داود قد مات قبل وصولهما بيسير فلما فاتهما عمل كل واحد منهما مصنفا فى السنن على أبواب كتاب أبي داود وخرجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما وهما مصنفان جليلان ثم اختصر قاسم بن أصبغ كتابه وسماه المجتنى بالنون وابتدأ اختصاره فى المحرم سنة أربع وعشرين وثلثمائة وجعله باسم الحكم المستنصر وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثا فى سبعة أجزاء ومولده يوم الاثنين عاشر ذى الحجة سنة سبع وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى وحكى القرطبي فى تفسيره عند قوله تعالى قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا ان قاسم بن أصبغ قال لما رحلت الى المشرق نزلت القيروان فأخذت عن بكر بن حماد حديث مسدد فقرأت عليه يوما فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قدم عليه قوم من مضر مجتابي النمار فقال انما هو مجتابي الثمار فقلت انما هو مجتابي

والجنّ والانس تجري بينها البرد واسرع بهرام جور الى المدائن من النهروان حين بلغه نزول هرمز فاحتوى على الملك ولحق ابرويز بالرها فنزلها وكاتب ملوك الروم وهو مور يقش مع خاله بسطام وجماعة ممن كانوا معه يسئله النصرة على عدوه ويضمن له الوفاء بما ينفقه من امواله والاحسان الى جنده وانه يؤدي اليه ديات من يقتل من رجاله وغير ذلك من الشروط واهدى اليه هدايا كثيرة منها مائة غلام من أبناء أراكنة الترك فى نهاية الحسن والجمال واستقامة الصور فى آذانهم أقراط الذهب فيها الدر واللؤلؤ ومائدة من العنبر قدها ثلاثة أذرع على ثلاث قوائم من الذهب مفصلة بانواع الجواهر أحد الارجل ساعد وكف أسد والآخر ساق وعل بظلفه والثالث كف عقاب بمخلبه فى وسطها جام جزع يماني فاخر قدره شبر مملوءة حجارة ياقوت أحمر وسفط ذهب فيه مائة درة وزن كل درة مثقال أروع ما يكون فحمل اليه مور يقش ملك الروم الى ألف دينار ومائة ألف فارس بعث بهم مع هديته وألف ثوب من الديباج الخزائني المنسوج بالذهب الاحمر وغيره من الالوان وعشرين جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة والوشكنس

٤٤ ه ل

اخبار هكذا قرأته على كل من لقيته بالاندلس والعراق فقال لي بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا أو نحو هذا ثم قال لي قم بنا الى ذلك الشيخ كان في المسجد فان له بمثل هذا علما فقمنا اليه وسألناه عن ذلك فقال انما هو مجتابي النمار كافات وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم والنمار جمع نمرة فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه رغم أنفي للحق وانصرف انتهى وهذه الحكاية دالة على عظيم قدر الرجلين رحمهما الله تعالى ورضي عنهما ونفعنا بهما * (ومنهم قاسم بن ثابت أبو محمد العوفي السرقسطي) رحل مع أبيه فسمع بمصر من احمد بن شعيب النسائي وأحمد بن عمرو البزار وبمكة من عبد الله بن علي بن الجارود ومحمد بن علي الجوهري واعتنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه فادخلا الى الاندلس علما كثيرا ويقال انهما أول من أدخل كتاب العين الى الاندلس وألف قاسم في شرح الحديث كتابا سماه الدلائل بلغ فيه الغاية في الاتقان ومات قبل اكماله فاكمله ابن ثابت بعده وقد روي عن أبي علي البغدادي انه كان يقول كتبت كتاب الدلائل وما أعلم انه وضع بالاندلس مثله وكان قاسم عالما بالحديث واللغة متقدما في معرفة الحديث والنحو والشعر وكان مع ذلك ورعا ناسكا واريد على القضاء بسرقسطة فأبى ذلك فأراد أبوه اكراهه عليه فسأله أن يتركه ينظر في امره ثلاثة ايام ويستخير الله تعالى فمات في هذه الثلاثة الايام فيرون انه دعا لنفسه بالموت وكان مجاب الدعوة توفي سنة ٣٠٢ بسرقسطة رحمه الله تعالى * (ومنهم علم الدين أبو محمد المرسي اللورقي وهو قاسم بن احمد بن موفق بن جعفر) العلامة المقرئ الاصولي النحوي ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة وقرأ بالروايات قبل الستمائة على أبي جعفر الحصار وأبي عبد الله المرادي وأبي عبد الله بن نوح الغافقي وقدم مصر فقرأ بها على ابي الجود غياث بن فارس وبدمشق على التاج بن زيد الكندي وسمع ببغداد من ابي محمد بن الاخضر وأخذ العربية عن ابي البقاء ولقي الجزولي بالمغرب وسأله عن مسئلة مشكلة في مقدمته فاجابه وبرح في العربية وفي علم الكلام والفلسفة وكان يقرئ ذلك ويحققه واقرأ بدمشق ودرس وشرح المفصل في النحو في اربع مجلدات فاجاد وافاد وشرح الجزولية والشاطبية وكان مليح الشكل حسن البزة موطأ الاكناف قرأ عليه جماعة وتوفي سابع رجب سنة ٦٦١ وكان معمرا مشتغلا بانواع العلوم وسماه بعضهم ابا القاسم والاول أصح * (ومنهم قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار أبو محمد) من اهل قرطبة وجده مولى الوليد بن عبد الملك رحل فسمع بمصر من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمزني والبرقي والحرث بن مسكين ويونس بن عبد الاعلى وابراهيم بن المنذر وغيرهم ولزم ابن عبد الحكم للتفقه وتحقق به وبالمزني وكان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد ويميل الى مذهب الشافعي ولما قال له ابنه محمد بن القاسم يا ابت اوصني قال اوصيك بكتاب الله فلا تنس حظك منه واقرأ منه كل يوم جزأ واجعل ذلك عليك واجبا وان اردت ان تأخذ من هذا الامر بحظ يعني الفقه فعليك برأي الشافعي فاني رأيته اقل خطأ قال ابو الوليد بن الفرضي ولم يكن بالاندلس مثله في حسن النظر والبصر بالحجة وقال احمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة ما رأينا افقه من قاسم بن محمد فيمن دخل الاندلس من اهل الرحلة وقال اسلم بن عبد العزيز سمعت عن ابن عبد الحكم انه قال لم يقدم علينا من الاندلس احد أعلم

من

وغيرهم من الاجناس المجاورة لملك الروم على رؤسهن اكاليل الجوهر وزوجه بابنته مارية وحملها اليه مع أخيه سد وسر واشترط ملك الروم على أبرويز شروطا كثيرة منها النزول عن الشام ومصر مما كان غلب عليه أنوشروان وترك التعرض لذلك فاجابه الى ذلك وقد كانت ملوك الفرس تزوج الى سائر من جاورها من ملوك الامم ولا تزوج الا بهم أحرار وانجاد وللفرس في هذا خطب طويل كفعل قريش وتركها السبق وتحمسها فكانوا يقفون بمزدلفة وهو يوم الحج الاكبر ويقولون نحن الحمس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار أنا رجل أحمسي ولما اجتمع لابرويز ما وصفنا سار الى بلاد أذربيجان فاجتمع اليه هنالك من كان من العساكر واضاف اليه كثير من الجنود والامم وبلغ بهرام جوز ما قد عزم عليه فسار اليه فيمن كان معه من عساكره فالتقى الجيشان جميعا وبهت على بهرام فانكشف في نفر من أصحابه وانتهى الى أطراف خراسان وكاتب خاقان ملك الترك فأمنه وسار الى ملكه هو ومن معه من أصحابه وأخته كردية وكانت في الشجاعة والفروسية نحوه وعليها كان يعول في كثير من

من قاسم بن محمد ولقد عاتبته فى حين انصرافه الى الاندلس وقلت له اقم عندنا فانك معتقد ههنا رياسة ويحتاج الناس اليك فقال لا بد من الوطن وقال سعيد بن عثمان قال لى احمد بن صالح الكوفى قدم علينا من بلادكم رجل يسمى قاسم بن محمد فرايت رجلا فقيها وألف رحمه الله تعالى كتابا نبيلا فى الرد على ابن مزين وعبد الله بن خالد والعتبى يدل على علمه وله كتاب فى خبر الواحد وكان يلى وثائق الامير محمد طول ايامه روى عنه ابن لبابه وابن أيمن والاعناقى وابنه محمد بن قاسم فى آخرين توفى سنة ست او سبع او ثمان وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو بكر الغسانى وهو محمد بن ابراهيم بن احمد بن اسود) من اهل المرية قدم الى مصر ولقى بها ابا بكر الطرطوشى ثم عاد الى بلده وشوور واستقضى بمرسية مدة طويلة ثم صرف وسكن مراكش * قال ابن بشكوال توفى بمراكش فى رجب سنه ٦٣٦ وقال ابو جعفر بن الزبير ان له كتاب تفسير القرآن وبيته بيت علم ودين * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن حيون) من أهل وادى الحجارة قال ابن الفرضى سمع من ابن وضاح والخشنى ونظرائهما بالاندلس ورحل الى المشرق مترددا هنالك نحوا من خمس عشرة سنة وسمع بصنعاء ومكة وبغداد ولقى جماعة من اصحاب الامام أحمد بن حنبل منهم عبد الله بن أحمد وسمع بمصر من الخفاف النسابورى وابراهيم بن موسى وغيرهما وبالمصيصة والقيروان وكان اماما فى الحديث عالما حافظا للعلل بصيرا بالطرق ولم يكن بالاندلس قبله أبصر بالحديث منه وهو ضابط متقن حسن التوجه للحديث صدوق ولم يذهب مذهب مالك وممن روى عنه ابن أيمن وقاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة وأحمد بن سعيد بن حزم وقال خالد بن سعيد لو كان الصدق انسانا لكان ابن حيون وكان يزن بالتشيع لشئ كان يظهر منه فى حق معاوية رضى الله تعالى عنه وكان شاعرا وتوفى بقرطبة سنه ٣٠٥ سامحه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن غالب المالقى) قال ابن نقطة سمع بالاسكندرية من أبى الحسن بن المقدسى وكان فاضلا رأيت بخطه اجازة بمصر لبعض المصريين فى رجب سنة ٦٠٤ وسمع بمصر شيأ من الخلعيات قال ابن فرتون الفاسى فى ذيل تاريخ الاندلس روى عاليه ورحل الى المشرق وحج ولقى أبا الحسن على بن المفضل المقدسى وأخذ عنه كتاب تحقيق الجواب عمن أجيز له ما فاته من الكتاب من تاليفه ورجع الى الاندلس ثم نهض الى مراكش فتوفى فى أقصى بلاد السوس فى حدود سنة ٦١٥ رحمه الله تعالى * (ومنهم اليقورى وهو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم) مصنف كتاب اكمال الاكمال للقاضى عياض على صحيح مسلم وكتب على كتاب الشهاب القرافى فى الاصول وسمع الحديث وقدم الى مصر ومعه مصحف قرآن حمل بغل بعثه ملك المغرب ليوقف بمكة ثم عاد بعد حجه ومات بمراكش سنة ٧٠٧ وقد زرت قبره مرارا قال الحافظ المقريزى واليقورى نسبة الى يقورة بياء آخر الحروف مفتوحة وقاف مشددة وراء مهملة بلد بالاندلس انتهى (ومنهم أبو عبد الله الانصارى وهو محمد بن ابراهيم بن موسى ابن عبد السلام) ويعرف بابن شق الليل من أهل طليطلة سمع بمصر أبا الفرج الصوفى وأبا القاسم الطحان الحافظ وأبا محمد بن النحاس وأبا القاسم بن ميسرة وأبا الحسن بن بشر وغيرهم

حربه ومضى كسرى ابرويز الى دار مملكته وأمر الجنود مرو يفش بالاموال والمراكب والكساوى وكافأهم على ما كان منهم فى معونته وحمل اليه ألف ألف دينار وبرز من ذلك بهدايا كثيرة وأموال عظيمة من آلات الذهب والفضة ووفى له بكل ما وعده وخرج من كل ما أوجبه على نفسه واحتال ابرويز فى قتل بهرام فى أرض الترك فقتل هناك غيلة وذكر أن رأسه حمل بعد ان احتيل عليه وأخرجه من التاووس الذى كان خاقان ملك الترك دفنه فيه وحمله اليه رجل تاجر فارسى فنصب على باب ابرويز فى رحبة قصره وخرجت كردية فيمن كان معها من اصحاب بهرام من أرض الترك وقد كان لها أخبار فى الطريق مع ابن خاقان وكاتبها ابرويز فى قتل خاله بسطام وكان مرزبان الديلم بخراسان فقتلته وقتلت خاله الآخر بابيه هرمز ثم صارت كردية اليه فتزوجها وللفرس كتاب مفرد فى أخبار بهرام جوبين وما كان من مكايده ببلاد الترك حين صارت اليه واستنقاذه لابنة ملك الترك من حيوان اسمه السمع نحو العير الكبير كان قد احتملها من بين جوار بها وعلا بها وقد خرجت لبعض متنزهاتها وما كان من بدء حاله الى مقتله ونسبه وكان وزير ابرويز والغالب عليه والمدبر لامره كم

وسمع بطليطلة من جماعة وحدث عن جماعة من المحدثين كثيرة * قال ابن بشكوال وكان فقيها عالما واماما متكلما حافظا للفقه والحديث قائما بهما متقنا لهما الا ان المعرفة بالحديث واسماء رجاله والبصر بمعانيه وعلله كان أغلب عليه وكان مليح الخط جيد الضبط من أهل الرواية والدراية والمشاركة في العلوم وكان أديبا شاعرا مجيدا لغويا دينا فاضلا كثير التصانيف والكلام على علم الحديث حلو الكلام في تأليفه وله عناية باصول الديانات واظهار الكرامات توفي بطليرة يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٤٠٠ رحمه الله تعالى * (ومنهم الشيخ الامام الشهير الكبير الولي العارف بالله سيدي أبو عبد الله القرشي الهاشمي الاندلسي) شيخ السالكين وامام العارفين وقدوة المحققين قدم مصر بعد ما صحب ببلاد المغرب جماعة من اعلام الزهاد وكان يقول صحبت ستمائة شيخ اقتديت منهم باربعة الشيخ أبو الربيع والشيخ أبو الحسن بن طريف والشيخ أبو زيد القرطبي والشيخ أبو العباس الجوزي وسلك على يده جماعة منهم الشيخ أبو العباس القسطلاني فانه أخذ عنه كلامه وجمعه في جزء وخرج سيدي أبو عبد الله القرشي من مصر الى بيت المقدس فأقام به الى حين وفاته عشية الخميس السادس من ذي الحجة سنة ٥٩٩ عن خمس وخمسين سنة ودفن هنالك وقبره ظاهر يقصد للزيارة وزرته أول قدماتي على بيت المقدس سنة ١٠٣٨ ومن كلامه من لم يدخل في الامور بلطف الادب لم يدرك مطلوبه منها وقوله العاقل يأخذ ما صفا ويدع التكلف فانه تعالى يقول وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال من لم يراع حقوق الاخوان بترك حقوقه حرم بركة الصحبة وقال سمعت الشيخ أبا اسحق ابراهيم بن طريف يقول لما حضرت الشيخ أبا الحسن بن غالب الوفاة قال لاصحابه اجتمعوا وهللوا سبعين ألف مرة واجعلوا ثوابها لي فانه بلغني انها فداء كل مؤمن من النار قال فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له ثم حكى عن شيخه أبي زيد القرطبي ما حكاه السنوسي عنه في أواخر شرح صغراه وقد أنكر غير واحد من الحفاظ كابن حجر وغيره كون ما ذكر حديثا ولعل هؤلاء أخذوه من جهة الكشف ونحوه والله تعالى أعلم وقال رحمه الله تعالى دخلت على الشيخ أبي محمد عبد الله المغاوري فقال لي أعلمك شيأ تستعين به اذا احتجت لشئ فقل يا واحد يا أحد يا واحد يا جواد انفعنا منك بنفحة خير انك على كل شئ قدير قال فأنا انفق منها منذ سمعتها وقال رحمه الله تعالى ما من حال ذكر في رسالة القشيري الا وقد شاهدته نفسي وتزوج رحمه الله تعالى بنساء حدثن عنه بكرامات ومنهن أم القطب القسطلاني وحكت انها خرجت عنه يوما لحاجتها ثم عادت فسمعت عنده في طبقته حس رجل فتوقفت وتفقدت الباب فوجدته مغلقا فلما انقطع الكلام دخلت اليه فاذا هو وحده كما تركته وسألته عن ذلك فقال هو الخضر دخل علي وفي يده حبة فقال هذه حبتك جئتك بها من أرض نجد وفيها شفاء مرضك فقلت لا أريد اذهب أنت وحبتك لا حاجة لي بها ودخل عليه بعض نسائه يوما فوجدته بصيرا نقي الجسم من الجذام فلما نظرته قال لها اتريدين أبقى لك هكذا فقالت له يا سيدي كن كيف شئت انما مقصودي خدمتك وبركتك وقيل له وقد تكاثرت منه رؤية الاشياء واخباره بها مع كونه ضريرا عن ذلك فقال كلي أعين بأي عضو

الزنادقة من الثنوية فامر بحبسه وكتب اليه كان من ثمرة علمك ونتيجة ما ادالك اليه عقلك أن صرت أهلا للقتل وموضعا للعقوبة فكتب اليه بزرجمهر أما اذا كان معي الجد وكنت أنتفع بثمرة عقلي فالآن اذ لا جد معي فقد انتفع بثمرة الصبر واذ قد فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير من الشر وأغرى ابرويز ببزرجمهر فدعا به وامر بكسر انفه وفيه فقال بزرجمهر في لأهل لما هو شر من هذا فقال ابرويز ولم يا عدو الله اخالف فقال لاني كنت أصفك لخواص الناس وعوامهم بما ليس فيك وأقربك من قلوبهم وارفع من محاسن أمورك ما لم تكن عليه اسمع مني يا شر الملوك نفسا واخبثهم فعلا وأسواهم عشرة لا تقتلني بالشك وترفع به اليقين الذي قد علمته مني بالتمسك بالشريعة من ذا الذي يرجو عدلك ويثق بقولك ويطمئن اليك فغضب ابرويز وامر به فضرب عنقه ولبزرجمهر في ايدي الناس قضايا وحكم ومواعظ وكلام كثير في الزهد وغيره وندم ابرويز على قتله وتأسف ودعا بجبرادنوس الوزير الثاني وكانت مرتبته دون مرتبة بزرجمهر فلما راى بزرجمهر

أردت

اردت ان انظر به نظرت وقال همت ان أدعو برفع الله لا فقيل لي لا تدع فاسمع لاحد منكم في هذا الامر دعاء فسافرت الى الشام فلما وصلت الى بلد الخليل عليه السلام تلقاني رسول الله الخليل حين ورودي عليه فقلت يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك أهل مصر فدعا لهم ففرج عنهم ومناقبه رحمه الله تعالى وكراماته لا يفي بها هذا المختصر وانما قصدنا بذكره البركة وكفارة ماوقع في هذا الكتاب من الاجحاض والله المرجو في العفو * ومن فوائده ما نقله عن شيخه أبي الربيع المالقي انه قال ألا اعلمك كنزا تنفق منه ولا ينفد قلت بلى قال قل يا ألله يا أحد يا واحد يا موجود يا جواد يا باسط يا كريم يا وهاب يا ذا الطول يا غني يا مغني يا فتاح يا رزاق يا عليم يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حنان يا منان انفحني منك بنفحة خير تغنيني بها عمن سواك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا نصر من الله وفتح قريب اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما يريد اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك واحفظني بما حفظت به الذكر الحكيم وانصرني بما نصرت به الرسل انك على كل شيء قدير فمن داوم على قراءته بعد كل صلاة خصوصا صلاة الجمعة حفظه الله تعالى من كل مخوف ونصره على أعدائه وأغناه ورزقه من حيث لا يحتسب ويسر عليه معيشته وقضى عنه دينه ولو كان عليه أمثال الجبال دينا بكرمه واحسانه انتهى نقله عنه العلامة ابن داود البلوري الاندلسي ومن خطه نقلت رحم الله تعالى الجميع ونقله اليافعي كما ذكر رحمه الله تعالى الا انه لم يقل فيه يا ودود واتفقا فيما عدا ذلك والله سبحانه أعلم * وقال ابن خلكان في حقه محمد بن أحمد بن ابراهيم القرشي الهاشمي العبد الصالح الزاهد من أهل الجزيرة الخضراء كانت له كرامات ظاهرة ورأيت أهل مصر يحكون عنه أشياء خارقة ولقيت جماعة ممن صحبه وكل منهم يثني عليه من بركته وذكروا عنه أنه وعد جماعته الذين صحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلية وأنها صحت كلها وكان من السادات الاكابر والطراز الاول وهو مغربي صحب بالمغرب اعلام الزهاد وانتفع بهم فلما وصل الى مصر انتفع به من صحبه اوشاهده ثم سافر الى الشام قاصدا زيارة بيت المقدس وأقام بها الى ان مات وصلي عليه بالمسجد الاقصى وهو ابن خمس وخمسين سنة وقبره ظاهر للزيارة والتبرك * والجزيرة الخضراء في بلاد الاندلس مدينة تقابل سبتة من بر العدوة ومن جملة وصاياه لاصحابه سيروا الى الله تعالى عرجا ومكاسير فان انتظار الصحة بطالة انتهى ببعض اختصار *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسين القرطبي) سمع من قاسم بن أصبغ وغيره وقدم مصر فسمع بها من ابن الورد وابن أبي الموال والباوردي وابن السكن في آخرين وسمع بالرملة وبيت المقدس وكان ضابطا بصيرا بالنحو واللغة فصيحا بليغا طويل اللسان ولي الشرطة ببلاد المغرب توفي سنة ٣٧٣ *(ومنهم أبو بكر الجياني محمد بن علي بن خلف التجيبي الاشبيلي الحافظ الكاتب) روى عن ابن الجد وغيره وحج بمصر حاجا فلقي بمكة أبا حفص الميانشي وأبا الحسن المكناسي ولقي بالاسكندرية السلفي وابن عوف وغيرهما وكان مدرسا للفقه فقيها جليلا متقدما

قتيلا اسف عليه وعلم انه لا ينجو فأغلظ لابرويز في الكلام فأمر به فقتل واغرق في دجلة فلما عدم هذين الرجلين وما كانا عليه من الكفالة وتدبير الملك استوحش من شريعة العدل وواضحة الحق فعدل الى الجور والعسف بخواص رعيته وعوامها وحملها على مالم تكن تعهدوا وردهم الى مالم يكونوا يعرفونه من الظلم ووثب بطريق من بطارقة الروم يقال له فاقوس فيمن اتبعه على موريقش ملك الروم حمو ابرويز ومنجده فقتلوه وملكوا موادس ونمى ذلك الى ابرويز فغضب لحموه وسير الى الروم الجيوش وكانت له في ذلك اخبار يطول ذكرها وسير شهريار مرزبان المغرب الى حرب الروم فنزل انطاكية فكانت له مع الروم وابرويز اخبار ومكاتبات وحيل الى ان خرج ملك الروم الى حرب شهريار وقدم خزائنه في البحر في الف مركب فالقتها الريح الى ساحل انطاكية فغنمها شهريار وحملها الى ابرويز فسميت خزائن الريح ثم فسدت الحال بين ابرويز وشهريار ومايل شهريار ملك الروم فسير شهريار نحو العراق الى ان انتهى الى النهروان فاحتال ابرويز في كتب كتبها مع بعض اساقفة النصرانية ممن كان في ذمته حتى رده الى القسطنطينية وافسد الحال بينه وبين شهريار وغير ذلك مما قدا تينا

فيه عارفا فاضلا سنيا توفي بعد امتحان من منصور بن عبد المؤمن سنة ٥٩٦ وذلك انه
وشي به للمنصور أيام عزم على ترك التقليد والعمل بالحديث *(ومنهم أبو بكر الاندلسي
الجياني محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن ياسر الانصاري) سافر من بلده ودخل ديار مصر
والشام والعراق وخراسان وما وراء النهر ولقي أئمتها وتفقه ببخاري حتى تمهر في المذهب
والخلاف والجدل ثم اشتغل بالحديث وسماعه وحفظه وحصل منه كثيرا ثم سكن بلخ مدة
وعاد الى بغداد ودخلها سنة ٥٥٩ وتوجه الى مكة فحج ورجع الى الشام واستوطن حلب
الى ان توفي بها ووقف كتبه وكان متدينا ذا وقار حافظا عالما بالحديث وفيه فضل ولد بجيان
سنة ٤٩٢ ومات بحلب سنة ٥٦٣ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي الدهان
الغرناطي) كان حسن السمت بارع الخط والخلق والخلق رحل الى الحج وجال في البلاد في حدود
سنة ست وستمائة فاخذ بمكة والشام ومصر والاسكندرية عن جماعة كثيرة وكان مدلا
فاضلا على خير ودين وكان متحرفا بالتجارة بغرناطة ثم خرج منها آخر عمره فمات بقوص
بعدما حج سنة ٦٥٠ وصدر من مكة سنة ٦٥٣ فمات قبل منتصف السنة رحمه الله
تعالى *(ومنهم أبو عمر محمد بن علي بن محمد بن أبي الربيع القرشي العثماني الاندلسي
الاشبيلي النحوي ولد سنة ٦١٧ باشبيلية وقدم مصر فسمع الكثير بها وبدمشق وغيرها
وكان اماما عالما نحويا فاضلا كتب عنه أبو محمد الدمياطي والقطب عبد الكريم وناهيك
بهما علما *(ومنهم أبو بكر بن عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي)
رحل وسمع من السلفي وحج قال أبو الربيع بن سالم هو شيخ صدوق متيقظ سمع اباه وأبا الوليد
ابن الدباغ وأبا الحسن بن طارق بن موسى بن يعيش وجماعة وأخذ بمكة سنة ٥٣٩ عن أبي
علي الحسن المقري وقفل الى الاندلس سنة ٥٤٦ فأخذ عنه بها وسمع منه جماعة قال ابن
الابار وكان غاية في الصلاح وأعمال البر والورع توفي ببعض قرى بلنسية سنة ٥٤٨
ومولده سنة سبع أو تسع عشرة وخمسمائة وله حظ من علم التعبير واللغة رحمه الله تعالى
*(ومنهم أبو عبد الله ويقال أبو سلمة محمد بن علي البياسي الغرناطي الانصاري ناصر الدين)
روى عن الحافظ أبي جعفر بن الزبير وغيره وقدم الى القاهرة واستوطنها بعد الحج حتى مات
بها سنة ٧٠٣ وكان عارفا بعلم الحديث وكتب منه كثيرا ومال الى مذهب الظاهرية وانتفع
به جماعة من طلبة الحديث وكان ثقة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن علي بن
يحيى بن علي الشامي الاندلسي الغرناطي) قدم مصر حاجا وأقام بمكة والمدينة وكان اماما فاضلا
عالما متفننا في علوم ما بين فقه وأصول ونحو ولغة وقراآت ونظم ونثر ومع معرفته بمذهب
مالك ينقل كثيرا من مذهب الشافعي وسمع الموطأ بتونس من أبي محمد بن هرون القرطبي
ومولده بغرناطة سنة ٦٧١ وتوفي سنة ٧١٥ ومن شعره رضي الله تعالى عنه

اذا كنت جار النبي وصحبه * ومكة بيت الله مني على قرب
فما ضرني أن فاتني رغد عيشة * وحسبي الذي أوتيته نعمة حسبي

وقوله

نزيل الكرام عزيز الجوار * واني نزيل عليكم وجار

على ذكره في الكتاب الاوسط وفي ملك ابرويز كانت حرب ذي قار وهو اليوم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذا اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم بي وكانت وقعة ذي قار لتمام أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد ان بعث وقيل بعد ان هاجر وفي رواية اخرى انها كانت بعد وقعة بدر باشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت هذه الوقعة بين بكر بن وائل والهامرز صاحب كسرى ابرويز وقد اتينا على هذه الاخبار على الشرح والايضاح في الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن ايراده في هذا الموضع وفي ايام ابرويز كانت حوادث تنذر بالنبوة وتبشر بالرسالة وانفذ ابرويز عبد المسيح بن بقيلة الغساني الى سطيح الكاهن فاخبره برؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وغير ذلك من اخبار فيض وادي السماوة وما كان من بحيرة ساوة وكان لابرويز تسعة خواتم تدور في امر الملك منها خاتم فصه ياقوت احمر نقشه صورة الملك وحوله مكتوب صفة الملك وحلقته ماس ذكر يختم به الرسائل والسجلات والخاتم الثاني
فصه عقيق نقشه خراسان خره حلقته ذهب يختم به التذكرات والخاتم الثالث فصه جزع نقشه فارس

حللت ذراك وأنت الكريم * ومن حل مثوى كريم يجار

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعي الميورقي) قدم مصر وروى عن ابن الوليد بها وكان عالماً وله قصيدة طويلة فيها حكم ومواعظ يوصي ابنه بها منها قوله

وطاعة من اليه الامر فالزم * وان جاروا وكانوا مسلمينا
فان كفروا ككفر بني عبيد * فلا تسكن ديار الكافرينا

واسم ابنه حسن وسمع من المذكور الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي في رحلته سنة ٤٨٥ ووصفه بالعلم وعمار بالراء *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار القرطبي الحافظ) روى عن عيسى الليثي وابن عون الله وأبي جعفر التميمي وأبي محمد الباجي وقدم مصر وحج وجاور بالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام وافتى بها وافتخر بذلك على أصحابه وقال لقد شوورت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم دار مالك بن أنس ومكان شوراه ولقي جماعة من العلماء وأخذ عنهم وكان من أهل العلم والذكاء والحفظ والفهم عارفاً بمذاهب الائمة وأقوال العلماء ذاكراً للروايات يحفظ المدونة والنوادر لابن أبي زيد ويوردها من صدره دون كتاب قال ابن حيان مؤرخ الاندلس توفي الفقيه المشاور الحافظ المستبحر الرواية الطويل الهجرة في طلب العلم الناسك المتقشف بمدينة بلنسية في ربيع الاول سنة ٤١٧ لعشر خلون من الشهر وكان الحفل في جنازته عظيماً وعاين الناس فيها آية من ظهور أسراب الخطاطيف بها تخللت الجمع رافة فوق النعش لم تفارق نعشه الى ان ووري فتفرقت ومكث مدة ببلنسية مطاعاً عظيم القدر عند السلطان والعامة وذكر جماهر بن عبد الرحمن حديث الطير وكذا ذكر الحسن بن محمد القبسي خبر الطير قال وكان سنه نحو الثمانين سنة وكان مجاب الدعوة وظهرت في دعوته الاجابة وقال أبو عمرو الداني ان وفاته يوم السبت لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة ودفن يوم الاحد بمدينة بلنسية وبلغ نحو ست وسبعين سنة وهو آخر الفقهاء الحفاظ الراسخين العاملين بالكتاب والسنة بالاندلس رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمروس القرطبي) سمع على ابن مفرج وغيره من شيوخ قرطبة وقدم مصر فاخذ بها عن ابن المهندس وغيره وحج ودخل العراق وسمع من أبي بكر الابهري والدارقطني وجماعة وعاد الى الاندلس وشهر بالعلم والمال وولي الاحكام بقرطبة فحدث عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره ومات في جمادى الآخرة سنة أربعمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المغافري المعروف بالاعشى القرطبي) رحل سنة ١٧٩ فسمع سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويحيى بن سعيد القطان وعبد الله بن وهب وجماعة وكان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار وكان صالحاً عاقلاً سريا جواداً يذهب الى مذهب أهل العراق وتوفي سنة ٢٢١ ذكره ابن يونس وغيره *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي الالبيري الزاهد) قال الحميدي في حقه هو من أهل الحديث والحفظ والفهم والبحث عن الرجال وله رحلة سمع فيها من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومن ابن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وغيرهما وروى بالاندلس عن جماعة منهم بقي بن مخلد وابن وضاح وسمع بمكة وغيرها من مائة شيخ قال ابن الفرضي كان شيخنا نبيلاً ضابطاً لكتبه ثقة في روايته

مورد نفسه بالمال بنال الفرح وحلقته ذهب يختم به السرايك والكتب في التجاوز عن العصاة والمذنبين والخاتم الخامس فصه ياقوت بهرمان وهو احسن ما يكون من الحمرة واصفاها واشرها نفسه حره وحزم اي بهجة وسعادة حاشيتاه لؤلؤ وماس يختم به خزائن الجوهر وبيت مال الخاصة وخزائن الكسوة وخزانة الحلي والخاتم السادس نقشه عقاب يختم به كتب الملوك الى الآفاق وفصه حديد صيني والخاتم السابع نقشه ذباب يختم به الادوية والاطعمة والطيب وفصه بادزهر والخاتم الثامن فصه جماهن نقشه راس خنزير يختم به اعناق من يؤمر بقتلهم وما يرفعون الكتب في الدماء والخاتم التاسع حديد يلبسه عند دخول الحمام وفصه الابرن وكان على مربطه خمسون الف دابة وسروج ذهب مكلله بالدر والجوهر على عدد ما لركابه من الخيل وكان على مربطه الف فيل منها اشهب اشد بياضاً من الثلج ومنها ما ارتفاعه اثنا عشر ذراعا وفي النادر ما يوجد من الفيلة الحربية ما ارتفاعه هذا القدر واكثر ما يوجد من ارتفاع الفيلة من التسعة أذرع الى العشرة وملوك الهند تبالغ في اثمان ما عظم من الفيلة

صدوق في حديثه وكانت الرحلة اليه بالبيرة وبها مات في شوال سنة ٣١٩ وهو ابن تسعين سنة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار القرطبي) من موالي بني أمية سمع من أبيه ومن بقي بن مخلد وغيره ورحل سنة ٢٩٤ فسمع بمصر من النسائي ومن أحمد بن حماد زغبة وسمع بمكة والبصرة والكوفة وبغداد ودمياط والاسكندرية والقيروان من مائة وستين رجلا قال أبو محمد الباجي لم أدرك بقرطبة أكثر حديثا منه وكان عالما بالفقه متقدما في علم الوثائق رأسا فيها وكان مشاورا وسمع من الناس كثيرا وكان ثقة صدوقا وغزا سنة ٣٢٧ ومات ثالث ذي الحجة منها ومولده سنة ٢٦٣ وقيل توفي سنة ٣٢٨ قاله ابن يونس والحميدي * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن قاسم القرشي الفهري) عرف بابن رمان الغرناطي قرأ على أبي جعفر بن الزبير بها وقدم الى القاهرة سنة ٧٢٢ ومات بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام سنة ٧٢٩ ومن شعره قوله

فديتم خبروني كيف صحت * فريضة هالك من غير مين
نز بذوجة ولها ابن ام * هما ابنا عمها الا غير ذين
فحاز البعل ما تركته ارثا * وولى غيره صفر اليدين
ولا رق فديت على أخيها * وليس بكافر يرمى بشين
وليس مجللا ارثا بقتل * مخافة أن ينال شقاوتين

* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن لب الشاطبي حدث بالقاهرة وتوفي قريبا من سنة ٦٤٠ وهو أحد أصحاب الشيخ أبي الحسن بن الصباغ ومن كلامه اشتغالك بوقت لم يأت تضييع للوقت الذي أنت فيه ولعمري لقد صدق * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سراقة الشاطبي ابن محمد بن ابراهيم ابن الحسين بن سراقة محيي الدين ويكنى ايضا أبا القاسم وأبا بكر الانصاري الشاطبي المالكي) ولد بشاطبة سنة ٥٩٢ وسمع من أبي القاسم بن بقي ورحل في طلب الحديث فسمع ببغداد من الشيخ أبي حفص عمر السهروردي وأبي طالب القبيطي وابي جعفر الدينوري وجماعة وسمع بحلب من ابن شداد وغيره وولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة بعد وفاة ابن سهل القصري سنة ٦٤٢ وبقي بها الى أن توفي بالقاهرة في شعبان سنة ٦٦٣ ودفن بسفح المقطم وكان الجمع كبيرا وهو أحد الائمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والنبل وأحد مشايخ الصوفية له في ذلك اشارات لطيفة مع الدين والعفاف والبشر والوقار والمعرفة الجيدة بمعاني الشعر وكان صالح الفكرة في حل التراجم مع ما جبل عليه من كرم الاخلاق واطراح التكليف ورقة الطبع ولين الجانب ومن شعره قوله

نصبت ومثلي للمكارم ينصب * ورمت شروق الشمس وهي تغرب
وحاولت احياء النفوس باسرها * وقد غرغرت يا بعد ما أنا أطلب
وأتعب ان لم يمنح الخلق راحة * وغيري ان لم تتعب الخلق يتعب
مرادي شيء والمقادير غيره * ومن عاند الاقدار لا شك يغلب

وقوله

الى كم أمني النفس مالا تناله * فيذهب عمري والاماني لا تقضي

زارتفع من الارض وقد يكون من هذه الوحشية في ارض الزنج ماهو اعظم سمكا مما وصفنا باذرع كثيرة على حسب ما تحتمل من قرونها المسماة بالانياب م وزن الناب خمسون ومائة من الى المائتين والمائتين رطلا بالبغدادي وعلى قدر عظم الناب عظم جسد الفيل وقد كان ابرويز خرج في بعض الاعياد وقد صف له الجيوش والعدد والسلاح وفيما صف له الف فيل وقد أحدقت به خمسون ألف فارس دون الرجالة فلما نظرته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها وبسطها الخراطيم حتى جذبت بالمحاجن وراطنها الفيالون بالهندية فلما بصر بذلك أبرويز أسف على ما خص به الهند من فضيلة الفيلة وقال ليت الفيل لم يكن هنديا وكان فارسيا انظروا اليها والى سائر الدواب وفضلوها بقدر ما ترون من معرفتها وأدبها وقد افتخرت الهند بالفيلة وعظم أجسامها ومعرفتها وحسن طاعتها وقبولها الرياضات وفهمها المرادات وتمييزها بين الملك وغيره وان غيرها من الدواب لا يفهم شيئا من ذلك ولا يفصل بين شيئين وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الفصول في اخبار الفيلة وما قالته الهند وغيرهم في ذلك وتفضيلها على سائر الدواب فكانت مدة ملك ابرويز الى ان خلع وسملت عيناه وقتل

وقد

وقد مرلي خمس وعشرون حجة * ولم أرض فيها عيشتي فى أرضي
وأعلم أني والثلاثون مدتي * حرمغاني اللهو أوسعها رفضا
فما عسى فى هذه الخمس أرتجي * وو جدى الى أوب من العشرة أعضي
فيارب عجل لي حياة لذيذة * والافبادر بي الى العمل الارضي

وقال رحمه الله تعالى

وصاحب كالزلال يمحو * صفاؤه الشك باليقين
لم يحص الا الجميل مني * كأنه كاتب اليمين

وهذا عكس قول المنازي

وصاحب خلته خليلا * وما جرى غدره ببالي
لم يحص الا القبيح مني * كأنه كاتب الشمال

(ومنهم أبو عبد الله محمد بن احمد الفريشي) بكسر الفاء وتشديد الراء المهملة بعدها شين معجمة نسبة الى فريش احدى مدائن قرطبة ولد بغرناطة سنة ٥٥٧ وقرأ بالروايات على أبي القاسم بن غالب وسمع عليه وعلى أبي القاسم بن بشكوال وغيره وسمع بمكة وحدث بمصر وعاد الى الاندلس فمات بقرطبة سنة ٦٣٣ وكان مشهورا بالصلاح معروفا باجابة الدعاء ورعا نقة زاهدا فاضلا رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد بن خيرون وقيل محمد بن عمر بن خيرون) أندلسي سكن القيروان ورحل الى المشرق واخذ القرا آت بمصر عن محمد بن سعيد الانماطي وغيره كعبد الله بن رجاء وأبي الحسن بن اسمعيل بن يعقوب الازرق المدني ودخل العراق وسمع به من أصحاب على بن المدني و يحيى بن معين وعاد الى القيروان وسمع بها وبقرطبة وقدم بقراءة نافع على اهل افريقية وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ولم يكن يقرأ بحرف نافع الا الخواص حتى قدم بها فاجتمع اليه الناس ورحل اليه أهل القيروان من الآفاق وكان يأخذ أخذا شديدا على مذهب المشيخة من أصحاب ورش وتوفى بشعبان سنة ٣٠٦ وكان رجلا صالحا فاضلا كريم الاخلاق اماما فى القرا آت مشهورا بذلك ثقة مأمونا واحد أهل زمانه وأئمتهم فى علم القرآن رحمه الله تعالى *(ومنهم ضياء الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن صابر بن بندار القيسي الاندلسي المالقي) ولد بمالقة سنة ٥٦٢ وسمع الكثير وقدم القاهرة حاجا فسمع بها وبدمشق وكتب بخطه كثيرا وكان سريع الكتابة سريع القراءة كثير الفوائد دينا خيرا فاضلا له مشاركة جيدة فى عدة علوم توفى شابا بالقاهرة سنة ٦١٢ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو بكر محمد الزهري المعروف بابن محرز البلنسي) ولد بها سنة ٥٦٩ وقدم مصر فسمع ابن الفضل وغيره وروى عنه جماعة وكان أحد رجال الكمال علما ودراية وفصاحة وحفظا للفقه وتفننا فى العلوم ومتانة فى الادب حافظا للغة والغريب وله شعر رائق ودين متين وأخذ الناس عنه ببلده ومرسية واشبيلية ومالقة وغرناطة فى اجتيازه عليها وبغيرها من البلاد وعلا صيته وعرف بالدين والعلم والفضل وكان أبو الخطاب يثني على علمه ودينه توفى ببجاية سنة ٦٥٥ عن سن عالية رحمه الله تعالى *(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق)* القاضي أبو الوليد الباجي صاحب التصانيف

له والفرس تسميه المشؤم وفى أيامه كان الطاعون بالعراق وغيرها من الاقاليم فهلك فيه مائتا الف من الناس فالمكثر يقول هلك نصف الناس والمقل يقول الثلث وكان ملك شيرويه الى ان هلك سنة وستة اشهر وقيل اقل من ذلك ولكسرى ابرويز ولابنه شيرويه اخبار عجيبة ومراسلات قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد شيرويه) ولده أردشير ولى عهد الملك وهو ابن سبع سنين فسار اليه من انطاكية من بلاد الشام شهريار مرزبان المغرب المقدم ذكره مع أبرويز وملك الروم فقتله فكان ملكه خمسة أشهر (ثم ملك شهريار) نحوا من عشرين يوما وقيل شهرين وقيل غير ذلك واغتالته ابنة لكسرى أبرويز يقال لها آزرمي دخت فقتلته (ثم ملك كسرى بن قباذ بن أبرويز) وقيل انه ابن لابرويز كان بناحية الترك فسار يريد دار الملك فقتل فى الطريق بعد ملكه ثلاثة أشهر (ثم ملك بعده بوران) بنت كسرى ابرويز فكان ملكها سنة ونصفا

 (ثم ملك رجل) من أهل بيت الملك من ولد سابور بن يزدجرد الاثيم يقال له فيروز خشنس وكان

المشهورة وقال ابن ماكولا فى حقه انه فقيه متكلم أديب شاعر سمع بالعراق ودرس وصنف الى أن مات وكان جليلا رفيع القدر والخطر وقال غير واحد انه ولد سنة ٤٠٣ وارتحل سنة ٤٢٦ وجاور ثلاثة أعوام ملازما لابى ذر الحافظ يخدمه ورحل الى بغداد ودمشق ولقى فى رحلته غير واحد وتفقه بالقاضى أبى الطيب الطبرى وغيره وقال أبو على بن سكرة ما رأيت مثل أبى الوليد الباجى وما رأيت أحدا على هيئته وسمته وتوقير مجلسه ولما كنت ببغداد قدم ولده أبو القاسم فسرت معه الى شيخنا قاضى القضاة الشاشى فقلت له أدام الله تعالى عزك هذا ابن شيخ الاندلس فقال لعله ابن الباجى فقلت نعم فأقبل عليه قال القاضى عياض وكثرت القالة فى القاضى أبى الوليد لمداخلته الرؤساء وولى قضاء أماكن تصغر عن قدره وكان يبعث الى تلك النواحى خلفاءه وربما أتاها المرة ونحوها وكان فى أول أمره مقلا حتى احتاج الى القصد بشعره واستأجر نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعته مستفيضا لحراسة درب وقد جمع ابنه شعره قال ولما قدم الاندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة الا أنه كان خارجا عن المذهب ولم يكن بالاندلس من يشتغل بعلمه فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه واتبعه على رأيه جماعة من أهل الجهل وحل بجزيرة ميورقة فرأس فيها واتبعه اهلها فلما قدم ابو الوليد كلموه فى ذلك فدخل اليه وناظره وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة ولما تكلم ابو الوليد فى حديث الكتابة يوم الحديبية الذى فى البخارى قال بظاهر لفظه فانكر عليه الفقيه أبو بكر الصائغ وكفره باجازة الكتب على الرسول الامى صلى الله عليه وسلم وانه تكذيب للقرآن فتكلم فى ذلك من لم يفهم الكلام حتى اثاروا عليه الفتنة وقبحوا عليه عند العامة ما اتى به وتكلم به خطباؤهم فى الجمع وقال شاعرهم

برئت ممن شرى دنيا بآخرة * وقال ان رسول الله قد كتبا

فصنف ابو الوليد رحمه الله تعالى رسالة بين فيها ان ذلك غير قادح فى المعجزة فرجع بها جماعة ادليس من عرف ان يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه اميا لانه لا يسمى كاتبا وجماعة من الملوك قد ادمنوا على كتابة العلامة وهم اميون والحكم للغالب لا للصور النادرة وقد قال عليه الصلاة والسلام انا امة اميون اى اكثرهم كذلك لندور الكتابة فى الصحابة وقال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم انتهى و بعضه بالمعنى وذكر ابن بسام ان ابا الوليد الباجى نشأ وهمته فى العلم وانه بدا بالادب فبرز فى ميادينه وجعل الشعر بضاعته فنال به من كل الرغائب ثم رحل فما حل بلدا الا وجده ملآن بذكره نشوان من فهوى نظمه ونثره فال الى علم الديانة فمشى بقياس وبنى على اساس حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه ويرتاحون للاخذ منه ثم كر واستقضى فى طريقه بحلب فاقام بها نحوا من عام قال وبلغنى عن ابن حزم انه كان يقول لو لم يكن لاصحاب المذهب المالكى بعد عبد الوهاب الا مثل أبى الوليد الباجى لكفاهم وصنف ابو الوليد كتبا كثيرة منها كتاب التسديد الى معرفة التوحيد وكتاب سنن المنهاج وترتيب الحجاج وكتاب احكام الفصول فى أحكام الاصول وكتاب التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخارى فى الصحيح وكتاب شرح الموطا وهو نسختان نسخة سماها الاستيفاء ثم انتقى منها فوائد سماه المنتقى فى سبع مجلدات وهو احسن كتاب

ملكه شهرين (ثم ملكت أبنة الكسرى) أبرويز يقال لها آزرمى دخت فكان ملكها سنة وأربعة أشهر (ثم ملك فرخزاد خسرو) ابن كسرى ابرويز وهو طفل فكان مدة ملكه شهرا وقيل أشهرا (ثم ملك يزدجرد بن شهريار) بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام بن يزدجرد بن سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان وهو آخر ملوك الساسانية وكان ملكه الى أن قتل بمرو من بلاد خراسان عشرين سنة وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى سنة احدى وثلاثين من الهجرة وقيل غير ذلك فى مقدار ملكه وخبر مقتله (قال المسعودى) وذهب الاكثر من الناس ممن عنى باخبار الفرس وايامهم الى أن جميع من ملك من آل ساسان بن أردشير بن بابك الى يزدجرد بن شهريار من الرجال والنساء ثلاثون ملكا امرأتان وثمانية وعشرون رجلا ووجدت فى بعض التواريخ ان عدد ملوك الساسانية اثنان وثلاثون ملكا وعدد الملوك الاول وهم الفرس الاول من كيومرث الى دارا بن دارا تسعة عشر ملكا منهم امرأة وهى حمانة بنت بهمن واوراسياب التركى وسبعة عشر رجلا الف

الف في مذهب مالك لانه شرح فيه احاديث الموطا وفرع عليها تفريعا حسنا وافرد منه شيأ سماه الايماء وقال بعضهم انه صنف كتاب المعاني في شرح الموطا فجاء عشرين مجلدا عديم النظير وكان ايضا صنف كتابا كبيرا جامعا بلغ فيه الغاية سماه الاستيفاء وله كتاب الايماء في الفقه خمس مجلدات انتهى ومن تصانيفه مختصر المختصر في مسائل المدونة وله كتاب اختلاف الموطا آت وكتاب الاشارة في اصول الفقه وكتاب الحدود وكتاب سنن الصالحين وكتاب التفسير لم يتممه وكتاب شرح المنهاج وكتاب التبيين لسبيل المهتدين في اختصار فرق الفقهاء وكتاب السراج في الخلاف ولم يتم وغير ذلك وحج الباجي رحمه الله تعالى اربع حجج جاور فيها ثلاثة أعوام ملازما لابي ذر بن احمد الهروي وكان يسافر معه للسروات لان اباذر تزوج من العرب وسكن بها وأبو ذر المذكور هو عبد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الانصاري المالكي ويعرف بابن السماك سمع بهراة وسرخس وبلخ ومرو والبصرة وبغداد ودمشق ومصر وجاور بمكة والف معجما لشيوخه وعمل الصحيح وصنف التصانيف قال الخطيب قدم أبو ذر بغداد وأنا غائب فحدث بها ثم حج وجاور ثم تزوج في العرب وسكن السروات وكان يحج كل عام ويحدث ثم يرجع وكان ثقة ضابطا دينا وقال الحسن بن بقي المالقي حدثني شيخ قال قيل لابي ذر من أين تمذهبت بمذهب مالك والاشعري مع انك هروي فقال قدمت بغداد وكنت ماشيا مع الدارقطني فلقينا أبا بكر بن الطيب فالتزمه الدارقطني وقبل وجهه وعينيه فلما افترقنا قلت من هذا قال هذا امام المسلمين والذاب عن الدين القاضي أبو بكر بن الطيب فمن ذلك الوقت تكررت اليه وتمذهبت بمذهبه انتهى قلت هذا صريح في ان القاضي أبا بكر الباقلاني مالكي وهو الذي جزم به غير واحد ولذا ذكره عياض في المدارك في جملة المالكية وكذلك شيخ السنة الامام أبو الحسن الاشعري مالكي المذهب فيما ذكره غير واحد من الائمة وذكر بعض الشافعية انهما شافعيان والله تعالى أعلم * وقال عبد الغافر في تاريخ نيسابور كان أبو ذر زاهدا ورعا عالما سخيا لا يدخر شيأ وصار كبير مشيخة الحرم مشارا اليه في التصوف خرج على الصحيح تخريجا حسنا وكان حافظا كثير الشيوخ توفي سنة ٤٣٥ وقال أبو علي بن سكرة توفي عقب شوال سنة ٤٣٤ وقال الخطيب في ذي القعدة من سنة أربع وثلاثين رحمه الله تعالى وأكثر نسخ البخاري الصحيحة بالمغرب اما من رواية الباجي عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروي المذكور واما من رواية أبي علي الصدفي الشهير المعروف بابن سكرة بسنده واعلم أن هراة المنسوب اليها الحافظ أبو ذر ليست بهراة التي وراء النهر نظيرة بلخ وانما هي هراة بني شيمانة بالحجاز وبها كان سكنى أبي ذر والله تعالى أعلم * (رجع الى القاضي أبي الوليد الباجي رحمه الله تعالى) ثم انه اعني الباجي قدم بغداد وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث ولقي بها عدة من العلماء كابي الطيب الطبري والامام الشهير أبي اسحق الشيرازي والصيمري وابن عمروس المالكي وأقام بالموصل سنة مع أبي جعفر السمناني يأخذ عنه علم الكلام فبرع في الحديث وعلله ورجاله وفي الفقه وغوامضه وخلافه وفي الكلام ومضايقه وتدبج مع الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي بحيث روى كل واحد منهما عن الآخر رضي الله تعالى عنهما ونفع بهما ورجع الى الاندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم جم حصله مع الفقر والتعفف

وعدد ملوك الطوائف الذين قدمنا ذكرهم في مقتل دارا بن دارا الى أن ظهر أردشير ٥٥٣ بن بابك أحد عشر ملكا وهم ملوك الشعر والران ومن أجلهم سمى سابور ملوك الطوائف الاشغان لجميع الملوك من كيومرث بن آدم وهو أول ملوك بني آدم على ما ذكرت الفرس الى يزدجرد ابن شهريار بن كسرى ستون ملكا منهم ثلاث نسوة وعدة ما ملكوا من السنين أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وخمسون سنة وقيل ان عدة الملوك من كيومرث الى يزدجرد ثمانون ملكا ورأيت جماعة من الاخباريين وأصحاب السير وأرباب الكتب المصنفة في التواريخ وغيرها يذهبون الى ان سني الفرس الى الهجرة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وتسعون سنة منها من كيومرث الى انتقال الملك الى منوشهر الف وتسعمائة واثنتان وعشرون سنة ومن منوشهر الى زرادشت خمسمائة وثلاث وثمانون سنة ومن زرادشت الى الاسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة وملك الاسكندر خمس سنين ومن الاسكندر الى ملك أردشير خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة ومن اردشير الى الهجرة أربعمائة سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم والانبياء والملوك في باب نفرده لذلك في الموضع المستحق

وممايؤثر به انه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر والخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي وناهيك بهما وهما أسن منه وأكبر وأبو عبد الله الحميدي وعلي بن عبد الله الصقلي وأحمد بن علي بن غزلون وأبو بكر الطرطوشي وأبو علي بن الحسين السبتي وأبو بحر سفيان بن العاصي وممن روى عنه ابنه أبو القاسم أحمد وكان لما رجع الى الاندلس فشا علمه وتهيأت الدنيا له وعظم جاهه وأجزلت له الصلات فمات عن مال وافر وترسل للملوك وولي القضاء بمواضع. واضع رحمه الله تعالى * وأما ما تقدم عن القاضي أبي الوليد الباجي من اجراء حديث الكتابة على ظاهره فهو قول بعض والصواب خلافه قال القاضي أبو الفضل عياض حدثنا محمد بن علي المعروف بابن الصقل الشاطبي من لفظه قال حدثني أبو الحسن بن مفوز قال كان أبو محمد بن أحمد بن الحاج الهواري من أهل جزيرة شقر ممن لازم الباجي وتفقه عنده وكان يميل الى مذهب الباجي في جواز مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم بيده الكتب في حديث المقاضاة في الحديبية على ما جاء في ظاهر بعض رواياته ويعجب به وكنت أنكر ذلك عليه فلما كان بعد مدة أتاني زائرا على عادته وأعلمني أن رجلا من اخوانه كان يرى في النوم أنه بالمدينة وأنه يدخل المسجد فيرى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أمامه فتعدث له قشعريرة وهيبة عظيمة ثم يراه ينشق ويميد ولا يستقر فيعتريه منه فزع عظيم وسألني عن عبارة رؤياه فقلت أخشى على صاحب هذا المنام أن يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير صفته أو ينحله ما ليس له بأصل أو لعله يفتري عليه فسألني بالله من أين قلت هذا قلت له من قول الله عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه الى قوله تعالى ولدا فقال لي لله درك يا سيدي وأقبل يقبل رأسي وبين عيني ويبكي مرة ويضحك أخرى ثم قال لي أنا صاحب الرؤيا واسمع تمامها يشهد لك بصحة تأويلك قال انه لما رأيتني في ذلك الفزع العظيم كنت أقول والله ما هذا الا اني أقول وأعتقد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فكنت أبكي وأقول أنا تائب يا رسول الله وأكرر ذلك مرارا فأرى القبر قد عاد الى هيأته أولا وسكن فاستيقظت ثم قال لي وأنا أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب قط حرفا وعليه ألقى الله تعالى فقلت الحمد لله الذي أراك البرهان فاشكره كثيرا انتهى وقال ابن الابار حدثني بهذه الحكاية أبو الربيع ابن سالم بقراءتي عليه عن الكاتب أبي بكر عبد الرحمن بن مغاور قراءة عليه عن القاضي أبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن جحدر عن أبي الحسن طاهر بن مفوز قال كان أبو محمد الى آخرها وهي أتم من هذه انتهى * (رجع الى الباجي) ذكر أبو العرب عبد الوهاب البقشاني بسنده الى القاضي أبي الوليد الباجي انه كان يقول وقد ذكرت له صحبة السلطان لولا السلطان لنقلتني الذر من الظل الى الشمس أو ما هذا معناه انتهى * (ومن فوائد الباجي) انه حكى ان الطلبة كانوا ينتابون مجلس أبي علي البغدادي واتفق انه كان يوما مطر ووحل فلم يحضر من الطلبة سوى واحد فلما رأى الشيخ حرصه على الاشتغال واتيانه في تلك الحال انشده

دببت للمجد والساعون قد بلغوا * جهد النفوس وألقوا دونه الازرا

وكابدوا المجد حتى مل اكثرهم * وعانق المجد من وافى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمرا انت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

انتهى

ز من هذا الكتاب دون ذكر الهجرة وخلافة أبي بكر ومن تلا عصره من الخلفاء ومن ملوك بني أمية وبني العباس لانا قد أوردنا لما ذكرنا بابا آخر فيما يرد من هذا الكتاب بعد انقضاء أخبار الامويين والعباسيين ترجمناه بذكر التاريخ الثاني وكانت الفرس من بدء الدهر أربعة أجناس الى ان جاء الله تعالى بالاسلام فالصنف الاول يقال لهم الحداهان وهم الارباب كما يقال رب المتاع ورب الدار وذلك من كيومرث الى افريدون ثم كيان من افريدون الى دارا بن دارا وهم الاشغان وهم ملوك الطوائف بعد الاسكندر على ما ذكرنا في باب ذكر ملوك الطوائف ثم الساسانية وهم الفرس الثانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه في أخبار الفرس الذي رواه عن كسرى ان الفرس طبقات أربع ممن سلف وخلف فالطبقة الاولى من كيومرث الى كوستاسب والطبقة الثانية كيان من كيقباد الى الاسكندر بن فيلبش وآخرهم دارا والطبقة الثالثة وهم الاشغانية ملوك الطوائف والطبقة الرابعة سميا هم ملوك الاجتماع وهم الساسانية أولهم أردشير بن بابك ثم سابور ثم أردشير هرمز ثم نرسي بن هرمز هرمز بن نرسي

وروى

وروى عن القاضي ابي الوليد الباجي رحمه الله تعالى الخطيب البغدادي قوله رحمه الله تعالى

اذا كنت اعلم علم اليقين * بان جميع حياتي كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها * واجعلها في صلاح وطاعه

وقد ذكرناهما فيما يأتي قريبا من كلام الفتح لكوننا نقلنا كلامه بلفظه رحمه الله تعالى ورضي عنه وقال في القلائد في حق الباجي رحمه الله تعالى ما صورته بدر العلوم اللائح وقطرها الغادي الرائح وثبيرها الذي لا يزحم ومنيرها الذي يتجلى به ليلها الاسحم كان امام الاندلس الذي تقتبس انواره وتنتجع نجوده واغواره رحل الى المشرق فعكف على الطلب ساهرا وقطف من العلم ازاهرا وتفنن في اقتنائه وثنى اليه عنان اعتنائه حتى غدا مملوء الوطاب وعاد بلج طلبه الى الارطاب فكر الى الاندلس بحر الا تخاض لججه ونجرا لا يطمس منهجه فتهادته الدول وتلقته الخيل والخول وانتقل من محجر الى ناظر ومن يانع بناضر ثم استدعاه المقتدر بالله فصار اليه مرتاحا وبدا بافقه ملتاحا وهناك ظهرت تواليفه واوضاعه وبدا وخده في سبل الهدى وايضاعه وكان المقتدر يباهي بانحياشه الى سلطانه وايثاره لحضرته باستيطانه ويحتفل فيما يرتبه له ويجريه وينزله في مكانه متى كان يوافيه وكان له نظم يوقف على ذاته ولا يصرف في رفث القول وبذاته (فمن ذلك) قوله في معنى الزهد

اذا كنت اعلم علم اليقين * بان جميع حياتي كساعه
فلم لا اكون ضنينا بها * واجعلها في صلاح وطاعه

وله يرثي ابنيه وماتا مغتربين وغربا كوكبين وكانا ناظري الدهر وساحري النظم والنثر

رعى الله قبرين استكانا ببلدة * هما اسكناها في السواد من القلب
لئن غيبا عن ناظري وتبوآ * فؤادي لقد زاد التباعد في القرب
يقر بعيني ان ازور ثراهما * والصق مكنون الترائب بالترب
وابكي وابكي ساكنيها لعلني * سانجد من صحب واسعد من سحب
فما ساعدت ورق الحمام اخا اسى * ولا روحت ريح الصبا عن اخي كرب
ولا استعذبت عيناي بعدهما كرى * ولا ظمئت نفسي الى البارد العذب
احن ويثني الياس نفسي عن الاسى * كما اضطر محمول على المركب الصعب

وله يرثي ابنه محمدا

امحمد ان كنت بعدك صابرا * صبر السليم لما به لا يسلم
ورزئت قبلك بالنبي محمد * ولرزؤه ادهى لدي واعظم
فلقد علمت بانني بك لاحق * من بعد ظني انني متقدم
لله ذكر لا يزال بخاطري * متصرفا في صبره متحكم
فاذا نظرت فشخصه متخيل * واذا اصخت فصوته متوهم

بهرام بن يزدجرد فيروز بن يزدجرد بلاش بن يزدجرد قباذ بن فيروز انوشروان ابن هرمز ابرويز شيرويه اردشير شهريار بوران كسرى بن قباذ فيروز خشنس آزرمي دخت فرخ زاد خسرو يزدجرد وانما ذكرنا هؤلاء بعدان قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب للخلاف الواقع وتباين الروايات والتواريخ في اعدادهم واسمائهم فاوردنا ما قاله المتنازعون من الاخباريين وقد اتينا على اخبارهم وسيرهم ووصاياهم وعهودهم ومكاتباتهم وتوقيعاتهم وكلامهم عند عقد التيجان على رؤسهم ورسائلهم وسائر ما كان من الحوادث في اعصارهم وما كوروه من الكور واحدثوه من المدن وغير ذلك من احوالهم فيما سلف من كتبنا وانما نذكر في هذا الكتاب جوامع من تاريخهم واعداد ملوكهم ولمع من بعض اخبارهم وكذلك ذكرنا في كتابنا اخبار الزمان خطب الطبقات الاربع وما حفر كل ملك منهم من الانهار وانفرد ببنائه من المدن وآراء الملوك واحكامها وكثير من قضاياها في خواصها وعوامها وانساب اصحاب خيل الملك ومن

كان على خيس كل ملك منهم فى الحروب وأنساب حكمائهم وزهادهم ممن اشتهر بذلك فى اعصارهم وأنساب المرازبة وذكر

وبكل أرض لى من اجلك لوعة * وبكل قبر وقفة وتلوم
فاذا دعوت سواك حاد عن اسمه * ودعاه باسمك معول بك مغرم
حكم الردى ومناهج قد سنها * لاولى النهى والحزن قبل متمم

انتهى ولعمرى انه لم يوف القاضى أبا الوليد الباجى حقه الواجب المفترض ووددت أنه مد النفس فى ترجمته بعبارة يعترف ببراعتها من سلم له ومن اعترض فان ترجمة المذكور مما سطره أفسح مجالا وأفصح روية وارتجالا وبالجملة فهو أحد الاعلام بالاندلس وهو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبى وذكره ابن بسام فى الذخيرة وابن خلكان وغير واحد وأصله من بطليوس وانتقل جده الى باجة قرب اشبيلية وليس هو من باجة القيروان ومولده سنة ٤٠٣ ورحل سنة ٤٢٦ فقدم مصر وسمع بها واجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب وكان لما رجع الى الاندلس يضرب ورق الذهب ويعقد الوثائق الى أن فشا علمه وتهيأت له الدنيا وشهرته تغنى عن وصفه ومن نظمه قوله

ما طال عهدى بالديار وانما * أنسى معاهدها أسى وتبلد
لو كنت انبأت الديار صبابتى * رق الصفا بفنائها والجلمد

وله فى المعتضد عباد والد المعتمد

عباد استعبد البرايا * بأنعم تبلغ النعائم
مديحه ضمن كل قلب * حتى تغنت به الحمائم

ومن أشهر نظمه قوله اذا كنت اعلم البيتين وقد سبقا * وممن ذكره ايضا الحجارى فى المسهب وابن بشكوال فى الصلة وانه حج اربع حجج رحمه الله تعالى وتوفى فى المرية لاحدى عشرة بقيت من رجب وقيل ليلة الخميس تاسع رجب وقيل تاسع عشر صفر سنة اربع وسبعين واربعمائة ومن تواليفه المنتقى فى شرح الموطا ذهب فيه مذهب الاجتهاد وايراد الحجج وهو مما يدل على تبحره فى العلوم والفنون ولما قدم من المشرق الى الاندلس بعد ثلاثة عشر عاما وجد ملوك الطوائف احزابا مفترقة فمشى بينهم فى الصلح وهم يجلونه فى الظاهر ويستثقلونه فى الباطن ويستبردون نزعته ولم يفد شيا فالله تعالى يجازيه عن نيته ولما ناظر ابن حزم قال له الباجى انا اعظم منك همة فى طلب العلم لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وانا اسهر بقنديل بائت السوق فقال ابن حزم هذا الكلام عليك لا لك لانك انما طلبت العلم وانت فى تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالى وانا طلبته فى حين ما تعلمه وما ذكرته فلم ارج به الا علو القدر العلمى فى الدنيا والآخرة فافحمه قال عياض قال لى اصحابه كان يخرج الينا للاقراء وفى يده اثر المطرقة الى ان فشا علمه ونوهت الدنيا به وعظم جاهه واجزلت صلاته حتى مات عن مال وافر وكان يستعمله الاعيان فى ترسلهم ويقبل جوائزهم وولى القضاء بمواضع من الاندلس *(وابن حزم المذكور) هو ابو محمد بن حزم الظاهرى قال ابن حيان وغيره كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل وله كتب كثيرة فى المنطق والفلسفة لم يخل فيها من غلط وكان شافعى المذهب يناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريا فوضع الكتب فى هذا المذهب وثبت عليه الى أن مات وكان له تعلق

أولاد الضياع الاربع ممن تقدم ذكرهم وتشعب انسابهم وتفرق اعقابهم ووصفنا الابيات الثلاثة التى شرفها كسرى على سائر من بسواد العراق وهم مشهورون فى أهل السواد الى وقتنا هذا واشرف السواد بعد هذه الابيات الثلاثة من السهارجة الذين شرفهم ابرج وجعلهم اشراف السواد ثم الطبقة الثانية بعد السهارجة هم الدهاقين وهم ولد وهكرت بن فردال بن بابك بن مرس ابن كيومرث الملك وكان لوهكرت عشرة بنين فأبناء هؤلاء العشرة هم الدهاقين وكان وهكرت أول من دهقن والدهاقين تتفرع على مراتب خمس ومن ذكرنا كانت ملابسهم تختلف على قدر مراتبهم وقتل يزدجرد الآخر من ملوكهم على حسب ما ذكرناه خمس وثلاثون سنة وما من الولد بهرام وفيروز ومن النساء ادرك وسها ومرادوز بدوأكثر عقبه بمرو والاكثر من ابناء الملوك واعقاب الطبقات الاربع بسواد العراق الى الآن يتدارسون انسابهم ويحفظون احسابهم

بحفظ العرب من قحطان ونزار ولاحد فى فيما ذكرنا عند ذوى الدراية كما وصفنا (قال المسعودى) بالادب

بالادب وشنع عليه الفقهاء وطعنوا فيه واقصاه الملوك وابعدوه عن وطنه وتوفى بالبادية عشية يوم الاحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين واربعمائة قال صاعد فى تاريخه كان ابن حزم أجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والاخبار اخبرنى ابنه الفضل انه اجتمع عنده بخط ابيه من تواليفه نحو اربعمائة مجلد نقله عن تاريخ صاعد الحافظ الذهبي قال الذهبي وهو العلامة ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الاموى مولاهم الفارسى الاصل الاندلسى القرطبي الظاهرى صاحب المصنفات واول سماعه سنة ٣٩٩ وكان اليه المنتهى فى الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسودد والرياسة والثروة وكثرة الكتب قال الغزالى رحمه الله تعالى وجدت فى اسماء الله تعالى كتابا لابى محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه انتهى باختصار وعلى الجملة فهو نسيج وحده لولا ما وصف به من سوء الاعتقاد والوقوع فى السلف الذى أثار عليه الانتقاد سامحه الله تعالى * وذكر الذهبي أن عمره اثنتان وسبعون سنة وهو لا ينافى قول غيره انه كان عمره احدى وسبعين سنة وعشرة أشهر لانه ولد رحمه الله تعالى بقرطبة بالجانب الشرقى من ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الامام من صلاة الصبح آخر ليلة الاربعاء آخر يوم من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة بطالع العقرب وتوفى ليومين بقيا من شعبان سنة ٤٥٦ وكان كثير المواظبة على التاليف ومن جملة تآليفه كتاب الفصل بين أهل الاهواء والنحل و كتاب الصادع والرادع على من كفر اهل التاويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد و كتاب شرح حديث الموطا والكلام على مسائله و كتاب الجامع فى حد صحيح الحديث باختصار الاسانيد والاقتصار على أصحها وكتاب التلخيص والتخليص فى المسائل النظرية وفروعها التى لا نص عليها فى الكتاب والحديث وكتاب منتقى الاجماع و بيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف وكتاب الامامة والخلافة فى سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها و كتاب أخلاق النفس وكتاب الايصال الى فهم كتاب الخصال و كتاب كشف الالتباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس انتهى * وقال ابن سعيد فى حق ابن حزم ما ملخصه الوزير العالم الحافظ ابو محمد على ابن الوزير أبى عمر أحمد بن سعيد بن حزم الفارسى وشهرته تغنى عن وصفه وتوفى منفيا بقريه من بلده لبلة ووصله من ابن عمه أبى المغيرة رسالة فيها ما أوجب أن جاوبه بهذه الرسالة وهى سمعت وأطعت لقوله تعالى واعرض عن الجاهلين وأسلمت وانقدت لقول نبيه عليه الصلاة والسلام صل من قطعك واعف عمن ظلمك ورضيت بقول الحكماء كفاك انتصارا ممن تعرض لاذاك اعراضك عنه وأقول

تتبع سواى امرأ يبتغى * سبابك ان هواك السباب
فانى أبيت طلاب السفاه * ونزهت عرضى عما يعاب
وقل ما بدا لك من بعد ذا * واكثر فان سكوتى خطاب

فادقد ذكرنا جوامع من اخبار الفرس وطبقاتهم فلنذكر الآن ملوك اليونانيين ولمعا من أخبارهم وتنازع الناس فى بدء انسابهم على الاختصار والايجاز والله ولى التوفيق برحمته و رضوانه

(ذكر ملوك اليونانيين ولمع من أخبارهم وما قاله الناس فى بدء أنسابهم)

(قال المسعودى) تنازع الناس فى فرق اليونانيين فذهب طائفة من الناس الى انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى ولد اسحق وقالت طائفة أخرى ان يونان هو ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم من ولد اوراس بن ياوان ابن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم قبيل متقدم فى الزمان الاوّل واغلاوهم من وهم ان اليونانيين ينسبون الى حيث تنسب الروم وينتمون الى جدهم ابراهيم لان الديار كانت مشتركة والمقاطع والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم فى الصحبة والمذهب فلذلك غلط من غلط فى النسبة وجعل الاب واحدا وهذا طريق الصواب عند المفتشين وسبيل البحث عند الباحثين والروم قفت فى لغتها و وضع كتبها اليونانيين فلم يصلوا الى فصاحتهم وطلاقة ألسنتهم والروم انقص فى اللسان من اليونانيين وأضعف فى ترتيب الكلام الذى عليه منهج

وأقول

كأني بذكر الناس لي وما ترى * ومالك فيهم يا ابن عمي ذاكر
عدوي وأشياعي كثير كذاك من * غدا وهو نفاع المساعي وضائر
واني وان آذيتني وعققتني * لمحتمل ما جاءني منك صابر

فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعته قرأت هذه الرقعة العاقة فحين استوعبتها أنشدتني

تخنع زيد وسعل * لما رأى وقع الاسل

فأردت قطعها وترك المراجعة عنها فقالت لي نفسي قد عرفت مكانها فبالله لا قطعتها الا بيده فأثبت على ظهرها ما يكون سببا الى صونها فقلت

نعقت ولم تدر كيف الجواب * وأخطأت حتى أتاك الصواب
وأجريت وحدك في حلبة * نأت عنك فيها الجياد العراب
وبت من الجهل مستصحبا * لغير قرى فأتتك الذئاب
فكيف تبينت عقبى الظلوم * اذا ما انقضت بالخميس العقاب
لعمري مالي طباع تذم * ولا شيمة يوم مجد تعاب
أبى لي المنى والظبا سخط * وأعلى الرضا والعوالي غضاب

وأقول

وغاصب حق أوبقته المقادر * يذكرني حاميم والرمح شاجر
غدا يستعير الفخر من خيم خصمه * ويجهل أن الحق أبلج ظاهر
ألم تتعلم يا أخا الظلم أنني * برغمك ناء منذ عشر وآمر
تذل لي الأملاك حتى نفوسها * وأركب ظهر النسر والنسر طائر
وأبعث في أهل الزمان شواردا * تليهم وهي الصعاب النوافر
فان أثو في أرض فاني سائر * وان أنأ عن قوم فاني حاضر
وحبلك أن الارض عندك خاتم * وأنك في سطح السلامة عاثر
ولا لوم عندي في استراحتك التي * تنفست عنها والخطوب فواقر
فاني للعلق الذي مرّ حافظ * وللنزعة الاولى بحاميم ذاكر
هنيئا لك كل ما لديه فاننا * عطية من تبلى لديه السرائر

(ومن شعر أبي محمد بن حزم يخاطب قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشير)

أنا الشمس في جوّ العلوم منيرة * ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع * لجد على ما ضاع من ذكري النهب
ولي نحو آفاق العراق صبابة * ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فان ينزل الرحمن رحلي بينهم * فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فكم قائل أغفلته وهو حاضر * وأطلب ما عنه تجيء به الكتب
هنالك تدري أن للعبد قصة * وأن كساد العلم آفته القرب
فيا عجبا من غاب عنهم تشوّفوا * له ودنوّ المرء من دارهم ذنب

غيرهم وسنن خطابهم

(قال المسعودي) وقد ذكر أن يونان أخو قحطان وانه من ولد عابر بن شالخ وان أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب وانه خرج عن أرض اليمن في جماعة من ولده وأهله ومن انضاف الى جملته حتى وافى أقاصي بلاد المغرب فأقام هنالك وأنسل في تلك الديار واستعجم لسانه ووازى من كان هنالك في اللغة الاعجمية من الافرنجة والروم فزالت نسبته وانقطع نسبه وصار منسيا في ديار اليمن غير معروف عند النسابين منهم وكان يونان جبارا عظيما وسيما جسيما وكان حسن العقل والخلق جزل الرأي كبير الهمة عظيم القدر وقد كان يعقوب بن اسحق الكندي يذهب في نسب يونان الى ما ذكرنا من أنه أخ لقحطان ويحتج لذلك بأخبار نذكرها في بدء الانساب ونوردها من حديث الآحاد والافراد لا من حديث الاستفاضة والكثرة وقد رد عليه أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة طويلة وذكر خلطه نسب يونان بقحطان على حسب ما ذكرنا آنفا في صدر هذا الباب فقال

أبا يوسف اني نظرت ولم أجد * على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا
وصرت حكيما عند قوم اذا امرؤ * بلاهم جميعا لم يجد عندهم عندا

وان

وان مكانا ضاق عني لضيق * على انه فسيح مهامهه سهب
وان رجالا ضيعوني لضيع * وان زمانا لم أنل خصبه جدب

ومنها في مدحه لنفسه

ولكن لي في يوسف خير اسوة * وليس على من بالنبي ائتسى ذنب
يقول مقال الصدق والحق انني * حفيظ عليم ما على صادق عتب

وقوله

لايشمتن حاسدي ان نكبة عرضت * فالدهر ليس على حال بمترك
ذو الفضل كالتبر يلقى تحت متربة * طورا وطورا يرى تاجا على ملك

وقوله لما أحرق المعتضد بن عباد كتبه باشبيلية

دعوني من احراق رق وكاغد * وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فان تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي * تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي * وينزل ان أنزل ويدفن في قبري

وقوله

لئن أصبحت مرتحلا بشخصي * فقلبي عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * لذا سأل المعاينة الكليم

وقوله

وذي عذل فيمن سباني حسنه * يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره * ولم تدر كيف الجسم أنت عليل
فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد * فعندي رد لو أشاء طويل
ألم تر أني ظاهري وأنني * على ما أرى حتى يقوم دليل

وهو أبو محمد علي بن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن مزيد القرطبي قال ابنه أبو الفضل رافع اجتمع عندي بخط أبي من تواليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة انتهى وأبوه الوزير أبو عمر المذكور كان من وزراء المنصور ابن أبي عامر وتوفي كما قال ابن حيان بذي القعدة سنة اثنتين وأربعمائة وكان منشؤه ومولده بقرية تعرف بالزاوية * وحكي ان الحافظ أبا محمد بن حزم قصد أبا عامر بن شهيد في يوم غزير المطر والوحل شديد الريح فلقيه أبو عامر وأعظم قصده على تلك الحال وقال له يا سيدي مثلك يقصدني في مثل هذا اليوم فأنشده أبو محمد بن حزم بديها

فلو كانت الدنيا دوين لجة * وفي الجو صعق دائم وحريق
لسهل ودي نحوك مسلكا * ولم يتعذر لي اليك طريق

قال الحافظ ابن حزم أنشدني الوزير أبي في بعض وصاياه لي

اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وهذا كاف في فضل الفرع والاصل رحمهم الله الجميع * قال ابن حزم في طوق الحمامة انه مر يوما هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الحطابين من مدينة اشبيلية فلقيهما

ولما نشأ أولاد يونان وكبر خرج يسير في الارض يطلب موضعا يسكنه فانتهى الى موضع من المغرب فنزل بمدينة اثينا وهي المعروفة بمدينة الحكماء في ديار المغرب في صدر الزمان وأقام بها هو ومن معه من ولده فكثر نسله بها وبنى بها البنيان العظيم الى أن ادركته الوفاة فجعل وصيته الى الاكبر من ولده واسمه حريبوس فقال له يا بني اني قد وافيت الاجل وقربت من الحتم الواجب واني راحل عنك ومفارق اخوتك وأهل بيتك وقد كانت احوالكم حسنة النظام بي وكنت كهفا في الشدائد وعونا على المحن وجنا في الزمان عليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب السيادة وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيد عن الطريقة المثلى التي عليها بني العقل فان من ترك رأي الاب وثمرة العقل تورط في المهالك ووقع في مقابض المتالف ثم مات يونان واستولى ولده حريبوس على مكان أبيه وضم اليه أهله وولده وغيرهم وكثر نسلهم فتغلبوا على ديار المغرب من بلاد الافرنجة والتوكبر وأجناس الامم

شاب حسن الوجه فقال ابو محمد هذه صورة حسنة فقال له ابو عمر لم نر الا الوجه فلعل ما ستر الثياب ليس كذلك فقال ابن حزم ارتجالا وذي عذل فيمن سباني حسنه الابيات المتقدمة ولابن حزم ايضا قوله

لا تلمني لان سبقة لحظ * فات ادراكها ذوي الالباب
يسبق الكلب وثبة الليث في العد * وويعلو النخال فوق اللباب

ولابي بكر بن مفوز جزء يرد فيه على أبي محمد بن حزم وفيه قال معرضا

يا من تعانى امورا لن يعانيها * خل التعانى وأعط القوس باريها
تروي الاحاديث عن كل مسامحة * وانما لمعانيها معانيها

وقيل انه خاطب بهما بعض أصحاب ابن حزم *(رجع الى القاضي ابي الوليد الباجي) ومن نظمه قوله من مرثية

احن ويثني الناس نفسي على الاسي * كما اضطر محمول على المركب الصعب

ومن جيد نظمه قوله

اسروا على الليل البهيم سراهم * فنمت عليهم في الشمال شمائل
متى نزلوا ثاوين بالخيف من منى * بدت للهوى بالمأزمين مخايل
فلله ما ضمت منى وشعابها * وما ضمنت تلك الربا والمنازل
ولما التقينا للجمار وابرزت * اكف لتقبيل الحصى وانامل
اشارت الينا بالغرام محاجر * وباحت به منا جسوم نواحل

وقال الباجي ابو الوليد رحمه الله تعالى

مضى زمن المكارم والكرام * سقاه الله من صوب الغمام
وكان البر فعلا دون قول * فصار البر نطقا بالكلام

وذيله بعضهم بقوله

وزال النطق حتى لست تلقى * فتى يسخو برد للسلام
وزاد الامر حتى ليس الا * سخي بالاذى او بالملام

*(ومنهم الفقيه العالم الشهير ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي) صاحب سراج الملوك ويعرف بابن ابي رندقة بالراء المهملة المفتوحة وسكون النون وكفى بسراج الملوك دليلا على فضله ذكره ابن بشكوال في الصلة وتوفي بالاسكندرية في شعبان وقيل جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة وزرت قبره بالاسكندرية وممن اخذ عنه الحافظ القاضي ابو بكر بن العربي وغيره ومن نظم الطرطوشي قوله من رسالة

اقلب طرفي في السماء ترددا * لعلي أرى النجم الذي انت تنظر
واستعرض الركبان من كل وجهة * لعلي بمن قد شم عرفك اظفر
واستقبل الارواح عند هبوبها * لعل نسيم الريح عنك يخبر
وامشي ومالي في الطريق مآرب * عسى نغمة باسم الحبيب ستذكر

من الصقالبة وغيرهم وكان أول ملوكهم من سماه بطليموس في كتابه فيلبش وتفسيره محب الفرس وقيل ان اسمه ملبص وقيل فيلفوس وكانت مدة ملكه سبع سنين وقد قيل ان اليونانيين لما ان سار البختنصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يؤدون الطاعة ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم بيضا من ذهب عددا معلوما ووزنا مفهوما وضريبة محصورة فلما ان كان من أمر الاسكندر بن فيلبش وهو الملك الماضي الذي هو أول ملوك اليونانيين على ما ذكره بطليموس ما كان من ظهوره وهمته بعث اليه دارا وس ملك فارس وهو دارا بن دارا يطالب بما جرى من الرسم فبعث اليه الاسكندر اني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض بيض الذهب وأكلتها فكان من حروبهم ما دعا الاسكندر الى الخروج الى أرض الشام والعراق فاصطلم من كان بها من الملوك وقتل دارا بن دارا ملك الفرس وقد أتينا على خبر مقتله ومقتل غيره من ملوك الهند ومن تحوبهم من ملوك المشرق في الكتاب الاوسط ونسب قوم الاسكندر انه الاسكندر بن فيلبش بن مصريم بن

والمع من ألقاه من غير حاجة * عسى لمحة من نور وجهك تسفر

ومن نظمه ايضا قوله

يقولون ثكلى ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يثكل
لقد جرعتنى ليالى الفراق * كؤسا امر من الحنظل

ومما ينسب اليه وكان كثيرا ما ينشده

اذا كنت فى حاجة مرسلا * وانت بانجازها مغرم
فارسل باكمه مرسلا * به صمم اغطش ابكم
ودع عنك كل رسول سوى * رسول يقال له الدرهم

كان كثيرا ما ينشد

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

رحمه الله تعالى كنت ليلة نائما بالبيت المقدس اذ سمعت فى الليل صوتا حزينا ينشد

أخوف ونوم ان ذا العجيب * ثكلتك من قلب فانت كذوب
أما وجلال الله لو كنت صادقا * لما كان للاغماض فيك نصيب

ايقظ النوام وابكى العيون وكان رحمه الله تعالى زاهدا عابدا متورعا متقللا من الدنيا قوالا للحق وكان يقول اذا عرض لك أمر دنيا وأخرى فبادر بامر الاخرى يحصل لك أمر الدنيا والاخرى وله طريقة فى الخلاف ودخل مرة على الافضل بن أمير الجيوش فوعظه وقال ان الامر الذى أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله عزوجل سائلك عن النقير والقطمير والفتيل واعلم ان الله عزوجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحوش والبهائم وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ورفع عنه حساب ذلك أجمع فقال عز من قائل هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فما عد ذلك نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان يكون استدراجا من الله عزوجل فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ففتح الباب وسهل الحجاب وانتصر المظلوم وكان الى جانب الافضل رجل نصرانى فأنشده

ياذا الذى طاعته قربة * وحقه مفترض واجب
ان الذى شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى النصرانى فأقامه الافضل من مكانه والطرطوشى بضم الطاءين نسبة الى طرطوشة من بلاد الاندلس وقد تفتح الطاء الاولى وعبر عنه ابن الحاجب فى مختصره الفقهى فى باب العتق بالاستاذ وكان رحمه الله تعالى صحب القاضى أبا الوليد الباجى رحمه الله تعالى بسرقسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجازه وقرأ الفرائض عليه والحساب بوطنه وقرا

هرمس بن هردوس بن ميطون بن رومى بن نوبط بن نوفيل بن رومى بن ليطى بن يونان بن يافث ابن نوح ونسبه قوم انه من ولد العيص بن اسحق ابن ابراهيم ومنهم من رأى انه الاسكندر بن يونه ابن سرحون بن رومى بن قرمط بن نوفيل بن رومى ابن الاصفر بن اليفز بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وقد تنازع الناس فيه فمنهم من رأى انه ذو القرنين ومنهم من رأى انه غيره وتنازعوا أيضا فى ذى القرنين فمنهم من رأى انه انما سمى بذى القرنين لبلوغه باطراف الارض وان الملك الموكل بجبل قاف سماه بهذا الاسم ومنهم من رأى انه من الملائكة وهذا قول يعزى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه والقول الاول لابن عباس فى تسمية الملك اياه ومنهم من رأى انه كان بذؤابتين من الذهب وهذا قول يعزى الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد قيل غير ذلك وانما ذكر تنازع الشرعيين من أهل الكتب وقد ذكره تبع فى شعره وافتخر به وانه من قحطان وقيل ان بعض التبابعة غزا مدينة رومية فاسكنها خلقا من اليمن وأن ذا القرنين وهو الاسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها والله أعلم وسار الاسكندر بعد أن ملك بلاد فارس فاحتوى على ملوكها وتزوج

الادب على أبي محمد بن حزم بمدينة اشبيليه ثم رحل الى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة ودخل بغداد والبصرة فتفقه هنالك عند أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني وسمع بالبصرة من أبي على التستري وسكن الشام مدة ودرس بها وكان راضيا باليسير وقال الصفدى في ترجمة الطرطوشي ان الافضل بن أمير الجيوش أنزله في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرهه فلما طال مقامه به ضجر وقال لخادمه الى متى نصبر اجمع لى المباح فجمعه وأكله ثلاثة أيام فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه رميته الساعة فلما كان من الغد ركب الافضل فقتل وولى بعده المأمون بن البطائحي فاكرم الشيخ اكراما كثيرا وله ألف الشيخ سراج الملوك انتهى ومقامه أعني الطرطوشي مشهور وهذه الحكاية تكفي في ولايته ومن تآليفه مختصر تفسير الثعالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف وكتاب في تحريم جبن الروم وكتاب بدع الامور ومحدثاتها وكتاب شرح رسالة الشيخ ابن ابي زيد وولد سنة احدى وخمسين وأربعمائة تقريبا ولما توفي صلى عليه ولده محمد ودفن رحمه الله تعالى قبل الباب الاخضر باسكندرية وزرت قبره مرارا رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وكان القاضي عياض ممن استجازه فاجازه ولم يلقه وشهرته رضي الله تعالى عنه تغني عن الاطناب فيه * وحكى انه كتب على سراج الملوك الذى أهداه لولى الامر بمصر

الناس يهدون على قدرهم * لكنني أهدى على قدرى
يهدون ما يفنى وأهدى الذى * يبقى على الايام والدهر

وحكى انه سمع رضي الله تعالى عنه منشدا ينشد للوأواء

فرأني من غير وعد * في ليلة طرقت بسعد
بات الصباح الى الصبا * ح معانقي خدا بخد
بتنا رفى وناظرى * ما شئت من خمر وشهد

فقال أويظن هذا الدمشقي أن أحدا لا يحسن ينظم الكذب غيره لو شئنا الكذب لنا مثل هذا ثم أنشد لنفسه يعارضه

فرأني من غير وعد * حفت شمائله بسعد
قبلته ورشفت ما * في فيه من خمر وشهد
مزجت من السلسبيـل بزنجبيل مستعد
والتحفت من الغرو * ب الى الصباح المستجد
وسكرت من رشفي العقيق على اقاح تحت رند
فنزعت عن فمه فمى * ووضعت خدا فوق خد
وشممت عرف نسيمه الساري على مسك وند
وصحوت من ريا القرنفل بين ريحان وورد
وألذ من وصلي به * شكواه وجدا مثل وجدى

ومن نظم الطرطوشي قوله أيضا

كأن لساني والمشكلات * سنى الصبح يجلو ليلا بهيما

بابنة ملكها دارا بن دارا بعد أن قتله ثم سار الى أرض السند والهند ووطئ ملوكها وحملت اليه الهدايا والخراج وحاربه ملكها فور وكان أعظم ملوك الهند وكان له معه حروب وقتله الاسكندر مبارزة ثم سار الاسكندر نحو بلاد الصين والتبت فدانت له الملوك وحملت اليه الهدايا والضرائب وسار في مفاوز الترك يريد خراسان من بعد أن ذلل ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من الممالك ورتب ببلاد التبت خلقا من رجاله وكذلك ببلاد الصين وكور بخراسان كورا وبنى مدنا في سائر أسفاره وكان معلمه ارسطاطاليس حكيم اليونانيين وهو صاحب كتاب المنطق وما بعد الطبيعة وتلميذ أفلاطون وأفلاطون تلميذ سقراط وصرف هؤلاء همهم الى تقييد علوم الاسماء الطبيعية النفسية وغير ذلك من علوم الفلسفة واتصالها بالالهيات وأبانوا عن الاشياء وأقاموا البرهان على صحتها وأوضحوها لمن استعجم عليه تناولها وسار الاسكندر راجعا من سفره يؤم المغرب فلما سار الى مدينة شهرزور اشتدت علته وقيل ببلاد نصيبين من ديار ربيعة وقيل بالعراق فعهد الى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس فلما مات

وغيري ان رام مارمته * خصي يحاول فرجا عقيما

وقوله أيضا

اعمل لمعادك يا رجل * فالناس لدنياهم عملوا
وادخر لمسيرك زاد تقى * فالقوم بلا زاد رحلوا

*(ومنهم محمد بن عبد الجبار الطرطوشي) وفد الى المشرق وذكره العماد في الخريدة وله
الامد العجلي بمصر وكان يخضب بسواد الرمان قوله

اخلط العفص فيه يا أحوج النا * س الى العفص حين يعكس عفص

ومنهم القاضي الشهيد أبو علي الصيرفي ٣ وهو حسين بن محمد بن فيرة بن حيون ويعرف بابن
كرة وهو من أهل سرقسطة سكن مرسية وروى بسرقسطة عن الباجي وأبي محمد عبد الله بن
محمد بن اسمعيل وغيرهما وسمع ببلنسية من أبي العباس العذري وسمع بالمرية من أبي
عبد الله محمد بن سعدون القروي وأبي عبد الله بن المرابط وغيرهما ورحل الى المشرق أول
المحرم من سنة احدى وثمانين وأربعمائة وحج من عامه ولقي بمكة أبا عبد الله الحسين بن علي
الطبري وأبا بكر الطرطوشي وغيرهما ثم سار الى البصرة فلقي بها أبا يعلى المالكي وأبا
العباس الجرجاني وأبا القاسم بن شعبة وغيرهم وخرج الى بغداد فسمع بواسط من أبي المعالي
محمد بن عبد السلام الاصبهاني وغيره ودخل بغداد سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة فأطال
الاقامة بها خمس سنين كاملة وسمع بها من أبي الفضل بن خيرون مسند بغداد ومن أبي الحسين
المبارك بن عبد الجبار الصيرفي وطراد الزينبي والحميدي وغيرهم وتفقه عند أبي بكر الشاشي
وغيره ثم رحل منها سنة سبع وثمانين فسمع بدمشق من أبي الفتح نصر المقدسي وأبي الفرج
الاسفرايني وغيرهما وسمع بمصر من القاضي أبي الحسن الخلعي وأبي العباس أحمد بن ابراهيم
الرازي وأجازله الحبال مسند مصر في وقته ومكثرها وسمع بالاسكندرية من أبي القاسم
الوراق وشعيب بن سعيد وغيرهما ووصل الى الاندلس في صفر من سنة سبعين وأربعمائة
وقصد مرسية فاستوطنها وقعد يحدث الناس بجامعها ورحل الناس من البلدان اليه وكثر
سماعهم عليه وكان عالما بالحديث وطرقه عارفا بعلله وأسماء رجاله ونقلته وكان
حسن الخط جيد الضبط وكتب بخطه علما كثيرا وقيده وكان حافظا لمصنفات الحديث
ذاكرا عليها اذاكر المتونها وأسانيدها ورواتها وكتب منها صحيح البخاري في سفر وصحيح مسلم
في سفر وكان قائما على الكتابين مع مصنف أبي عيسى الترمذي وكان فاضلا دينا متواضعا
حليما وقورا عالما عاملا واستقضي بمرسية ثم استعفى فأعفي وأقبل على نشر العلم وبثه وقد
ذكره أبو القاسم بن عساكر في تاريخه لدخوله الشام قال وبعد أن استقرت به النوى
استمرت افادته بما قيد وروى رفعته ملوك أوانه وشفعته في مطالب اخوانه فأوسعته
حيا وأحسنت فيه رأيا ومن أبنائهم من جعل يقصده لسماع بسنده وعلى وقاره
الذي كان به يعرف ندر له مع بعضهم ما يستطرف وهو أن فتى يسمى يوسف لازم مجلسه
مطرا رائحته ومنظفا ملبسه ثم غاب لمرض قطعه أو شغل منعه ولما فرغ أو أبل عاود
ذلك النادي المبارك والمحل وقبل افضائه اليه دل طيبه عليه فقال الشيخ على سلامته من

الامم وكان يجمعهم ويسترشد الى كلامهم ولا يصدر الامور الا عن رأيهم وجعل بعد أن مات في تابوت من الذهب ورصع بالجوهر بعد أن طلي جسمه بالادوية الماسكة لاجزائه فقال عظيم الحكماء والمقدم فيهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا فقام ووضع يده على التابوت وقال أصبح آسر الاسراء اسيرا ثم قام حكيم ثان فقال هذا الاسكندر الذي كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبؤه وقال الحكيم الثالث ما أزهد الناس في هذا الجسد وأرغبهم في هذا التابوت وقال الحكيم الرابع من أعجب العجب أن القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال الخامس يا ذا الذي جعل أجله ضمانا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من اجلك لتبلغ بعض املك هلا حققت من املك الامتناع عن فوت أجلك وقال السادس أيها الساعي المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج فغودرت عليك أوزاره وفارقت ايامه فغناه لغيرك ووباله
عليك وقال السابع قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة ابلغ من وفاتك فمن كان له عقل فليعقل ومن كان
له الصدق في نسخة الصدفي وقوله العذري في نسخة العدوي اه

النجوم وخلاصة من الفتون انى لاجدريح يوسف لولا أن تفندون وهى من طرف
... رحمة الله عليه ولما قلد قضاء مرسية وعزم عليه صاحب الامر فيه فر الى المرية فأقام
... خمس وبعض سنة ست وخمسمائة وفى سنة ست قبل قضاءها على كره الى ان
... فى آخر سنة سبع فى قصة يطول ايرادها ولطول مقامه بالمرية أخذ الناس عنه بها فلما
كانت وقعة كتندة كان ممن حضرها ففقد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى
وقال القاضى عياض ولقد حدثنى الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن جعفر أنه قال له خذ الصحيح
واذكر أى متن شئت منه أذكر لك سنده أو أى سند شئت اذكر لك متنه انتهى وذكر
واحد أنه حدث ببغداد بحديث واحد والله أعلم وهو من أبناء الستين *(ومنهم ابن
روح الجزيرى) ومن شعره لما تغرب بالمشرق

أحن الى الخضراء فى كل موطن * حنين مشوق للعناق وللضم
وما ذاك الا أن جسمى رضيعها * ولا بد من شوق الرضيع الى الام

(ومنهم العالم أبو حفص عمر بن حسن الهوزنى الحسيب العالم المحدث) وسبب رحلته
انه لما تولى المعتضد بن عباد خاف منه فاستأذنه فى الحج سنة ٤٤٤ ورحل الى مصر ثم مكة و...
صحيح البخارى وعنه أخذ أهل الاندلس ورجع وسكن اشبيلية وخدم المعتضد فقتله
سنة ... وأربعمائة ومن شعره يحرضه على الجهاد

أعباد حل الرزء والقوم هجع * على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابى من فراغك ساعة * وان طال فالموصوف للطول موضع
اذا لم أبث الداء رب شكاية * أضعت وأهل للالام المضيع

وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها ولا أرجأ الدليل من ناط الامور بأربابها
ولرب أمل بين أثناء المحاذر مدمج ومحبوب فى طى المكاره مدرج فانتهز فرصتها فقد
لك من غيرك العجز وطبق مضاربها فقد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام
الجدب ويستصحب الحسام فى الحرب وله

صرح الشر لكم لا يستقل * ان نهلتم جاءكم من بعد عل
بدء عق الارض من رش وطل * ورياح ثم غيم قد أبل
خفضوا فالداء رزء أوأجل * واعمدوا سيفا عليكم قد يسل

وابنه أبو القاسم هو الذى كان سبب فساد دولة المعتمد بن عباد بسبب قتل المعتضد والده كما
مر *(ومنهم أبو عمر عثمان بن الحسين أخو الحافظ أبى الخطاب بن دحية الآتى) كان أسن
من أخيه ابن أبى الخطاب وكان حافظا للغة العرب تمامها وعزل الملك الكامل أبا الخطاب
عن دار الحديث الكاملية التى أنشأها بين القصرين ورتب مكانه أخاه أبا عمر المذكور
ولم يزل بها الى أن توفى سنة ٦٣٤ بالقاهرة ودفن بسفح المقطم كأخيه وكان موت أبى عمر بعد
أبى الخطاب بسنة رحمهما الله تعالى *(ومنهم الكاتب أبو بكر محمد بن القاسم) من أهل وادى
الحجارة ويعرف باسكنهادة وارتحل الى المشرق لما نبت به حضرة قرطبة عند تقلب دولها
وتحول ملوكها ودخولها فجال فى العراق وقاسى ألم الاغتراب واجتاز بحلب وأقام بها

انسلخ ربك حريص على ... كونك اذا سكت وهو اليوم حريص على كلامك اذا اشتكى وقال العاشر اشترى ... هذه النفس لئلا تموت ... وقد مات وقال الحادى عشر وكان صاحب ... انه كتب الحكمة ... كنت نامرنى ان لا ... اليوم لا اقدر على ... منك وقال الثانى عشر هذا اليوم عظيم العبر ... من شره كان ... وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال الثالث عشر يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار ملكك كما عفت آثار الرباب وقال الرابع عشر يا من ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعرى كيف حالك فيما احتوى عليك منها وقال الخامس عشر اعجب لمن كانت هذه سبيله كيف شرهت نفسه بجمع الحطام البائد والهشيم البائد وقال السادس عشر ايها الجمع الحافل والملتقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغى والفساد وقال السابع عشر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى

مقام غريب لم يصف له حلب وقال

أين أقصى الغرب من أرض حلب * أمل فى الغرب موصول التعب
حن من شوق الى أوطانه * من جفاه صبره لما اغترب
جال فى الارض لجاجا حائرا * بين شوق وعناء ونصب
كل من يلقاه لا يعرفه * مستغيثا بين عجم وعرب
لهف نفسى أين هاتيك العلا * واضيعاه ويا غبن الحسب
والذى قد كان ذخراوبه * أرتجى المال وادراك الرتب
صار لى أبخس ما أعددته * بين قوم مادروا طعم الادب
يا أحبائى اسمعوا بعض الذى * يتلقاه الطريد المغترب
ولكن زجرالكم عن غربة * يرجع الرأس لديها كالذنب
وأجلوا طعنا وضربا دأبا * فهو عندى بين قومى كالضرب
ولئن قاسيت ماقاسيته * فبما أبصر لحظى من عجب
ولقد أخبركم ان ألتقى * بكم حتى تقولوا قد كذب

واجتاز بدمشق فقال من أبيات رحمه الله تعالى

دمشق جنة الدنيا حقيقا * ولكن ليس تصلح للغريب
بها قوم لهم عدد ومجد * وصحبتهم تؤل الى حروب

ثم انه ودع الشرق بلا سلام وحل بحضرة دانية لدى ملكها مجاهد العامرى فى بحبوحة عزلا يخشى فيه الملام واستقبل الاندلس بخاطر جديد ونال بها بعد من بلوغ الآمال ماليس له عليه مزيد وقال

وكم قد لقيت الجهد قبل مجاهد * وكم أبصرت عينى وكم سمعت أذنى
ولاقيت من دهرى وصرف خطوبه * كما جرت النكباء فى معطف الغصن
فلا تسألونى عن فراق جهنم * ولكن سلونى عن دخولى الى عدن

(وله من كتاب) وحامل كتابى سلمه الله تعالى وأعانه ممن أخنى عليه الزمان وأدار عليه وما صحا الى الآن كؤس الهوان وقد قصد على بعد جنابك الرحيب الخصيب قصد الحسن محل الخصيب ويمم جناب ابن طاهر حبيب وانى لارجو أن يرجع منك رجوع نصيب عن سليمان ويستعين فى شكرك بكل لسان وأنت عليم بأن الثناء هو الخلف وقد قال الاول

أرى الناس أحدوثة * فكونى حديثا حسن

وأنا القائل

فلا تزهدن فى الخير قدمات حاتم * وأخباره حتى القيامة تذكر

ومع هذا فهو عليه بقدر ما يحتمل من التكليف هذا الاوان عارف وجوه الاعذار غير ذى عجل فى العتب قبل البيان وعند سيدى من التصدى للايفاء ما يحقق فيه جميل الرجاء دامت أرجاؤه مؤملة ولا برحت نعمه سابغة مكملة * (ومنهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد ربه المالقى) وقال بعضهم انه من الجزيرة الخضراء اله وحله الى الديار المصرية صنع فيها

على الموت وقال التاسع عشر قد رأيتم ايها الجمع هذا الملك الماضى فليتعظ به الآن هذا الباقى وقال العشرون هذا الذى دار كثيرا والآن يقرطو يلا وقال الحادى والعشرون ان الذى كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت وقال الثانى والعشرون سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال الثالث والعشرون مالك لا تنقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل ملك الارض بل مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذى أنت به وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد وقال الرابع والعشرون وكان من نساك الهند وحكمائها ان دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى ان يكون فى أولها وقال الخامس والعشرون وكان صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت الوسائد وهيئت الموائد ولا أرى عميد المجالس وقال السادس والعشرون وكان صاحب بيت ماله قد كنت تامرنى بالجمع والادخار فالى من أدفع ذخائرك وقال السابع والعشرون وكان خازنا من خزانه هذه مفاتيح خزائنك فمن يقبضها قبل ان أوخذ بما لم آخذ منها وقال الثامن

مقامه يقول فيها

وفي جنبات الروض نهر ودوحة * بروقك منها سندس ونضار
تقول وضوء البدر فيه مغربا * أذراع فتاة دار فيه سوار

ومن شعره

ما كل انسان أخ منصف * ولا الليالي أبدا تسعف
فلا تضع ان أمكنت فرصة * واصبر [illegible] الاخوان من ينصف
وانتف من الدهر ولو ريشة * فانه [illegible]ك ما تنتسف

وقوله يرثي السيد أبا عمران ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ملك المغرب والاندلس

مجيد المعالي أي عقد تبددا * وصدر العوالي أي رمح تقصدا
ولما دهت خيل الشقي فجاءة * وسال العدا بحرا من الموت مزبدا
شهدت بوجه كالغزالة مشرقا * وان كان وجه الشمس بالنقع مرمدا
عزائم صدق ليس تصرف هكذا * الى الموت يسعى أو على الموت يعتدي

وكان السيد أبو عمران المرثي قتله الميورقي صاحب فتنة أفريقية في الهزيمة المشهورة على تلوت وجمع ابن عبدربه المذكور شعر السيد أبي الربيع بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي وكان ابن عبدربه المذكور كاتبا للسيد أبي الربيع سليمان المذكور ولما أنشد لبعض الشعراء

حاكت يد الرياح محكمة * في نهر واضح الاسارير
فكلما ضعفت به حلقا * قام لها القطر بالمسامير

أنشد لنفسه

بين الرياض وبين الجو معترك * بيض من البرق أو سمر من السمر
ان أوترت قوسها كف السماء رمت * نبلا من الماء في زغف من الغدر
لاجل ذلك اذا هبت طلائعها * تدرع النهر واهتزت قنا الشجر

واجتمع ابن عبدربه المذكور في رحلته بالسعيد بن سناء الملك وأخذ عنه شيأ من شعره ورواه بالمغرب * (ومنهم الشاعر الاديب أبو محمد عبد المنعم بن عمر بن حسان المالقي) ومن نظمه في السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من قصيدة رحمه الله تعالى

وفي صهوات المقربات وفي القنا * حصول حمى لا في هضاب المعاقل

ومنها

ولا ملك يأتي كيوسف آخرا * كما لم يجئ مثل له في الاوائل

* (ومنهم الحافظ أبو الخطاب بن دحية وهو مجد الدين عمر بن الحسين بن علي بن محمد بن فرح بن خلف الظاهري المذهب الاندلسي) كان من كبار المحدثين ومن الحفاظ الثقات الاثبات المحصلين استوطن بجاية في مدة أبي عبد الله بن تومرور وروى بها وأسمع وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا ولا يحفظ الانسان من

اللغة

والعشرون هذه الدنيا الطويلة ٦٨ العريضة طويت منها في سبعة اشبار القول التاسع والعشرون قول زوجته روشنك
بنت دارا بن دارا ملك فارس
ما كنت أحسب ان غالب
دارا الملك يغلب وان كان
هذا الكلام الذي سمعت
منكم معاشر الحكماء فيه
شرابه فقد خلف الكاس
الذي شرب به الجماعة
القول الثلاثون ما حكي عن
أمه أنها قالت حين جاءها
نعيه لئن فقدت من ابني
أمره فما فقدت من قلبي
ذكره وقبض الاسكندر
وهو ابن ست وثلاثين سنة
وكان ملكه تسع سنين قبل
قتله لدارا بن دارا وست
سنين بعد قتله لدارا بن
دارا وغلبته على سائر
ملوك الارض وملك وهو
ابن احدى وعشرين
سنة وذلك بمقدونية وهي
مصر وعهد الى ولي عهده
بطليموس بن اذينه ان
يحمل تابوته الى والدته
بالاسكندرية وأوصاها أن
يكتب اليها اذا نعاه ناعيه
أن تتخذ وليمة وتنادي
في مملكتها أن لا يتخلف
عنها أحد وأن لا يجيب
دعوتها من قد فقد محبوبا
أو مات له خليل ليكون
ذلك مأتم الاسكندر
بالسرور خلاف مأتم الناس
بالحزن فلما ورد نعيه اليها
ووضع التابوت بين يديها نادت في أهل مملكتها على ما به امرها فلم يجب احد دعوتها ولا بادر الى ندائها

اللغة حوشيها الا وذلك أضعاف اضعاف محفوظه من مستعملها وكان قصده والله تعالى أعلم ان يتفرد بنوع يشتهر به دون غيره كما فعل كثير من الادباء حيث تركوا طريق المعرب وانفردوا بالطريق الآخر ولو سلكوا طريق المعرب لكانوا فيه كآحاد الناس وكذا الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له رسائل ومخاطبات كلها مغلقات مقفلات وكان رحمه الله تعالى اذا كتب اسمه فيما يجيزه او غير ذلك يكتب ابن دحية ودحية معا المتشبه به جبريل وجبرائيل ويذكر ما ينيف على ثلاث عشرة لغة مذكورة فى جبريل ويقول عند فاطر السموات والارض وهذا فرع انفرد به عمن عداه من أهل العلم قال صاحب عنوان الدراية رأيت له تصنيفا فى رجال الحديث لا بأس به وارتحل الى المشرق فى دولة بنى أيوب فرفعوا شانه وقربوا امكانه وجمعوا له علماء الحديث وحضروا له مجلسا أقروا له بالتقدم وعرفوا انه من أولى الضبط والاتقان والتفهم وذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها فأعاد المتون المحولة وعرف عن تغييرها ثم ذكر الاحاديث على ماهى عليه من متونها الاصلية ومثل هذه الحكاية اتفق لابى عمر ابن عات فى كتاب مسلم بمراكش ببيت الطلبة منها ومن شعر أبى الخطاب ما كتب به الى الكامل بن العادل بن أيوب

مالى اسائل برق بارق عنكم * من بعد ما بعدت ديارى منكم
فعلكم قلبى وأنتم بالحشا * لا بالعقيق ولا برامة أنتم
وأنا المقيم على الوفاء بعهدكم * يا مالكين وفيتم أو خنتم

وهى طويلة ومنها

رفعت له الاملاك منه سجية * ملك السماك الرمح وهو محرم

ومنها

لذوى النهى والفهم سر حكومة * قد حار فيها كاهن ومنجم
فاقصد مرادك حيث سرت مظفرا * والله يكلأ والكواكب نوم
وليهنك الشهر السعيد تصومه * وتفوز فيه بالثواب وتغنم
فلأنت فى الدنيا كليلة قدره * قدرا فقدرك فى الملوك معظم

فأجابه السلطان مكافأة بنثر ونظم فى النظم

وهيجن شوقى للاجارع باللوى * وأين اللوى منى وأين الاجارع
مرابع لو أن المرابع أنجم * لكان نجوم الارض تلك المرابع
رعى الله أياما بها ولوانها * الى وقد ولى الشباب رواجع
ليالى لا ليلى اذا رمت وصلها * يلوح لها من صبح شيبى مواقع

فى جملة أبيات (ومن النثر) الحمد لله ولى الحمد وقف ولده على الابيات التى حسن شعرها وصفا درها وليس من البديع أن يقذف البحر درا أو ينظم الخليل شعرا وقد أخذت الورقة لا تنزه فى معانيها واستفيد بما أودعه فيها فالله تعالى لا يخلينا من فوائد فكرته وصالح أدعيته والسلام فأجابه الحافظ أبو الخطاب عن الابيات بقوله من قصيدة

شجتنى شواج فى الغصون سواجع * ففاضت هوام للجفون هوامع

فقالت لحشمها ما بال الناس لم يجيبوا دعوتى فقالوا لها أنت منعتيهم من ذلك قالت ٣٦٩ وكيف قيل لها أمرت أن لا يجيبك من فقد محبوبا أو عدم خليلا أو فارق حبيبا وليس فيهم أحد الا وقد أصابه بعض ذلك فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت ما به سئلت وقالت لقد عزانى ولدى أحسن العزاء وقالت يا اسكندر ما أشبه أواخرك بأوائلك وأمرت به فجعل فى تابوت من المرمر وطلى بالاطلية الماسكة لاجزائه وأخرجته عن الذهب لعلمها ان من يطرأ بعدها من الملوك والامم لا يتركونه فى ذلك الذهب وجعل التابوت المرمر على أحجار نضدت وصخور نصبت من الرخام والمرمر قد رصفت وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الاسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الاسكندر الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جوامع من أخبار الاسكندرية وعجائبها ومصر وأخبارها ونيلها فى الموضع المستحق له من ذلك فى كتابنا ان شاء الله تعالى

(ذكر جوامع من حروب الاسكندر بارض الهند)

(قال المسعودى) لما قتل الاسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند وانقاد اليه جميع ملوك الهند على حسب

وأكثر فيها من التغزل الى ان قال

ولا حاكم أرضاه بيني و بينها * سوى حاكم دهرى له اليوم طائع
يدافع عنى الضيم قائم سيفه * اذا مزمن للضيم عنى يدافع
هو الكامل الاوصاف والملك الذى * تشير اليه بالكمال الاصابع
و بيض أياديه الكريمة فى الورى * قلائد فى الاعناق وهى الصنائع
وبوماه يوماه اللذان هماهما * اذا جمعت غاب الملوك المجامع

ومنها

لها روضة غنا بها مرت الصبا * ونشر شذاها الطيب النشر ذائع
له من شكى الزهر برد مفوّف * اتيح له من أرض صنعاء صانع
فراقك منها اخضر الثوب ناضر * وشاقك منها اصفر اللون فاقع
واحمر قان للخدود مورد * وابيض كالثغر المفلج ناصع
بأحسن من توشيع مدحى الذى له * بدائع من وشى البديع وشائع
وما ضائع من نشر شكرى الذى به * تأرجت الارجاء عندك ضائع
ولو لم يقدنى نداك لكان لى * مجال فسيح فى البسيطة واسع
فأنت الذى لى والاعادى كثيرة * فويق مكان النجم فى الافق دافع

ومنها

بقيت لعبد جده دحية الذى * يشابه جبريل له و يضارع
وجدته الزهراء بنت محمد * عليه السلام الدائم المتتابع
ولا عدمت منك الممالك مالكا * يقرب للآمال ماهو شاسع
ومنك عيون للمهمات يقظ * وعنك عيون الحادثات هواجع

وقال المعر بزى فى ترجمة الملك الكامل انه كان مشغوفا بسماع الحديث النبوى وتقدم عنده ابو الخطاب بن دحية وبنى له دار الحديث الكاملية بين القصرين بالقاهرة انتهى وقال ابو الخطاب بن دحية انشدنى ابو القاسم السهيلى لنفسه وذكر انه ما سأل الله تعالى بها شيأ الا اعطاه

يامن يرى مافى الضمير و يسمع * انت المعد لكل مايتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن * امنن فان الخير عندك اجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى ادفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلئن رددت فأى باب اقرع
ومن الذى ادعوه اهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن يقنط عاصيا * الفضل اجزل والمواهب اوسع

ومن نظم السهيلى رضى الله تعالى عنه

ماذكرناه من حمل الاموال والخراج ٣٧٠ اليه بلغه أن فى اقاصى أرض الهند ملكا من ملوكهم ذا حكمة وسياسة وديانة وانصاف للرعية وانه قد أتى عليه من عمره مئون من السنين وانه ليس بارض الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له كند وكان قاهرا لنفسه مميتا لصفاته من الشهوة الغضبية وغيرها حاملا لها على خلق كريم وأدب زائد فكتب اليه كتابا يقول فيه أما بعد فاذا اتاك كتابى هذا فان كنت قائما فلا تقعد وان كنت ماشيا فلا تلتفت والا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند فلما ورد عليه الكتاب أجاب الاسكندر باحسن جواب وخاطبه بملك الملوك وأعلمه انه قد اجتمع له قبله اشياء لا تجتمع عند غيره مثلها الا من صارت اليه عنه من ذلك ابنة له لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل ان تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته واعتدال بنيته واتساعه فى علمه وطبيب لا تخشى معه داء ولا شيأ من العوارض الا مايطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية وحل العقدة التى عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسى وان كانت بنية الانسان وهيكله قد نصبت فى هذا العالم عرضا

اسائل عن جيرانه من لقيته * واعرض عن ذكراه والحال تنطق
ومالى الى جيرانه من صبابة * ولكن نفسي عن صبوح ترقق

وله

لما اجاب بلا طمعت بوصله * اذحرف لا حرفان معتنقان
وكذا نعم بنعيم وصل آذنت * فنعم ولا في اللفظ متفقان

ولد أبو الخطاب بن دحية في ذي القعدة سنه سبع أو ثمان وأربعين وخمسمائة وتوفي انفجار الفجر ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار وقدره اجل مما ذكروه وقد رؤى رحمه الله تعالى بالمغرب ومصر والشام والعراق وخراسان وعراق العجم وكل ذلك في طلب الحديث وسمع بالاندلس من ابن بشكوال وابن زرقون في جمع كثير وببغداد من أبي الفرج بن الجوزي وبأصبهان من ابي جعفر الصيدلاني معجم الطبراني ومن غيره وبنيسابور من ابي سعيد بن الصفار ومنصور بن الفراوي والمؤيد الطوسي وحصل الكتب والاصول وحدث وأفاد وكان من اعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقنا لعلم الحديث وما يتعلق به عارفا بالنحو واللغة وايام العرب واشعارها وصنف كتبا كثيرة مفيدة جدا منها كتاب التنوير في مولد السراج المنير صنفه عند قدومه الى اربل سنة اربع وستمائة وهو متوجه الى خراسان لما راى ملك اربل مظفر الدين كوكبرى معتنيا بعمل المولد النبوي في شهر ربيع الاول كل عام مهتما به غاية الاهتمام وكمله وقرأه عليه بنفسه وختمه بقصيدة طويلة فاجازه بألف دينار وصنف أيضا العلم المشهور في فضائل الايام والشهور والآيات البينات في ذكر ما في اعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وكتاب شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب النبراس في أخبار خلفاء بني العباس وكتاب الاعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين وولي قضاء بلده أصوله دانية مرتين ثم صرف عن ذلك لسيرة نسبت اليه فرحل عنها وحدث بتونس سنة ٥٩٥ ثم حج وكتب بالمشرق عن جماعة باصبهان ونيسابور وعاد الى مصر فاستاديه العادل لولده الكامل وأسكنه القاهرة فنال بذلك دنيا عريضة ثم زادت حظوته عند الكامل وأقبل عليه اقبالا عظيما وكان يعظمه ويحترمه ويعتقد فيه الخير ويتبرك به حتى كان يسوي له المداس حين يقوم وهو بلنسي كما قاله ابن خلكان وغيره وبلنسية مشهورة بشرق الاندلس ثلث سنة بالتصحيف * (ومنهم خلف ابن القاسم بن سهل بن الدباغ الحافظ الاندلسي) رحل الى المشرق وكان حافظا فهما عارفا بالرجال حدث حديث مالك وشعبة وأشياء في الزهد وسمع بمصر أبا الحسن بن الورد البغدادي ومسلم بن الفضل والحسن بن رشيق وجماعة وسمع بدمشق علي بن أبي العقب وأبا الميمون بن راشد وبمكة من بكير الحداد وأبي الحسن الخزاعي والآجري وبقرطبة من أحمد بن يحيى بن الشاهد ومحمد بن معاوية وتوفي سنة ٣٩٣ * (ومنهم خلف بن سعيد ابن عبد الله بن زرارة أبو القاسم بن المرابط الكلبي من ذرية الابرش الكلبي ويعرف بالمبرقع المحتسب القرطبي) رحل الى المشرق مرتين أولاهما سنة ٣٣٣ وهو ابن ثلاث

الادهاق وانا منفذ جميع ذلك الى الملك وصائر اليه فلما قرأ الاسكندر الكتاب ووقف على ما فيه قال تكون هذه الاشياء الاربعة عندي ونجاة هذا الحكيم من صولتي أحب الى من أن لا تكون عندي ويهلك فانفذ اليه الاسكندر جماعة من حكماء اليونانيين في عدة من الرجال وتقدم اليهم ان كان صادقا فيما كتب به فاحملوا ذلك الى ودعوا الرجل في موضعه وان تبينتم ان الامر بخلاف ذلك وانه اخبر عن الشئ على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه الى فمضى القوم حتى انتهوا الى الملك فتلقاهم باحسن لقاء وانزلهم احسن منزل فلما كان في اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة فقال بعض الحكماء لبعض ان صدقنا في الاولى صدقنا فيما بعدها ما ذكر فلما اخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها اقبل عليهم مباحثا لهم في اصول الفلسفة والكلام في الطبيعيات وما فوقها من الالهيات وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته فطال الخطب في المبادي الاول وتشاحوا القوم ونظروا في موضوعات

وعشرين سنة وسمع أباسعيد بن الاعرابى وابن الورد وأبابكر الآجرى وروى عنه أبو اسحق بن شنظير وأبوجعفر الزاهرى وقال ابن شنظير انه توفى فى نحو الاربعمائة رحمه الله تعالى ورضى عنه * (ومنهم سابق فضلاء زمانه أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز بن أبى الصلت الاشبيلى) يقال ان عمره ستون سنة منها عشرون فى بلده اشبيلية وعشرون فى افريقية عند ملوكها الصنهاجيين وعشرون فى مصر محبوسا فى خزانة الكتب وكان وجهه صاحب المهدية الى ملك مصر فسجن بها طول تلك المدة فى خزانة الكتب فخرج فى فنون العلم اماما وأمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين وله فى ذلك تواليف تشهد بفضله ومعرفته وكان يكنى بالاديب الحكيم وهو الذى لحن الاغانى الافريقية قال ابن سعيد واليه تنسب الى الآن وذكره العماد فى الخريدة وله كتاب الحديقة على أسلوب يتيمة الثعالبى وتوفى سنة ٥٢٣ وقيل سنة ٥٢٨ بالمهدية وقيل مستهل السنة بعدها ودفن بها وله فيمن اسمه واصل

ياهاجرا سموه عمدا واصلا * وبضدها تتبين الاشياء
ألغيتنى حتى كانك واصل * وكاننى من طول هجرى الراء

وقوله وهو من بدائعه

لاغرو أن سبقت لهاك مدائحى * وتدفقت جدواك مل اانائها
يكسى القضيب ولم يحن اثماره * وتطوق الورقاء قبل غنائها

وقال فى الافضل

تردى بكل فتى اذا شهد الوغى * نثر الرماح على الدروب كعوبا
قد لوحته يد الهواجر فاغتدى * مثل القناة قصافة وشحوبا
تخذوا القنا أشطانهم واستنبطوا * فى كل قلب بالطعان قليبا

ومنها

تعطى الذى اعطتكه سمر القنا * أبدا فتغدو سالبا مسلوبا

ومنها

وأنا الغريب مكانه وبيانه * فاجعل صنيعك فى الغريب غريبا

وله

ومهفهف شربت محاسن وجهه * مامجه فى الكاس من ابريقه
ففعالها من مقلتيه ولونها * من وجنتيه وطعمها من ريقه

أخذه من ابن حيوس وقصر عنه فى قوله

ومهفهف يغنى بلحظ جفونه * عن كاسه الملاى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

ولابى الصلت فيمن اسمه محسن

أيها الظالم المسى * مدى دهره بنا
مالهم أخطؤا الصوا * ب فسموك محسنا

وله فى لابس قرمزية حمراء

العلماء وترتيبات الحكماء على غير مراء وتناهى ٣٧٢ بهم الحكماء الى غاية كان اليها صدورهم من العلويات ثم اخرج الجارية فلما ظهرت لابصارهم رمقوها باعينهم فلم يقع طرف واحد منهم على عضو من اعضائها مما ظهر فامكنه أن يتعدى ببصره الى غيره وشغله تامل ذلك وحسنه وحسن شكلها واتقان صورتها فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر اليها ثم ان كل واحد منهم رجع الى نفسه وفهمه وقهر سلطان هواه ودواعى طبعه ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وسيرهم وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم وشيعهم مسافة من ارضه فلما وردوا على الاسكندر امر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى الجارية فحار عند مشاهدتها وبهرت عقله وامر قيمة جواريه بالقيام عليها ثم صرف همته الى الفيلسوف والى علم ما عنده والى علم الطبيب ومحله من صنعة الطب وحفظ الصحة وقص الحكماء عليه ماجرى لهم من المباحثة مع الملك الهندى ومن احضره من فلاسفته وحكمائه فاعجبه ذلك وتامل اغراض القوم ومقاصدهم والغاية التى اليها كان أصدرهم واقبل ينظر الى مطاردة الهند فى عللها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون من عللها وصحة قياسها على

أقبل يسعى أبو الفوارس فى * مرأى عجيب ومنظر أنق
أقبل فى قرمزية عجب * قد صبغت لون خده الشرق
كانما جيده وغرته * من دونها ابدون فى نسق
عمود فجرمن فوقه قمر * دارت به قطعة من الشفق

وله فى ثقيل وقد أجاد

لى جليس عجبت كيف استطاعت * هذه الارض والجبال تقله
أنا أرعاه مكرها وبقلبى * منه ما يقلق الجبال أقله
فهو مثل المشيب أكره مرآ * ه ولكن اصونه وأجله

أخذه من قول أبى الحسن جعفر بن الحاج الميورقى وهما فى عصر واحد

لى صاحب عميت على شؤنه * حركاته مجهولة وسكونه
يرتاب بالامر الجلى توهما * فاذا تيقن نازعته ظنونه
انى لاهواه على شرقى به * كالشيب تكرهه وأنت تصونه

وأوصى ان يكتب على قبره ابو الصلت المذكور مما نظمه قبل موته

سكنتك يا دار الفناء مصدقا * بانى الى دار البقاء أصير
وأعظم ما فى الامر أنى صائر * الى عادل فى الحكم ليس يجور
فياليت شعرى كيف ألقاه عندها * وزادى قليل والذنوب كثير
فان أك مجزيا بذنبى فاننى * بشر عقاب المذنبين جدير
وان يك عفو ثم عنى ورحمة * فثم نعيم دائم وسرور

وله

اذا كان اصلى من تراب فكلها * بلادى وكل العالمين اقاربى
ولا بدّ لى ان اسال العيس حاجة * تشق على شم الذرا والغوارب

وقال

دب العذار بخدّه ثم انثنى * عن لثم مبسمه البرود الاشنب
لا غرو أن خشى الردى فى لثمه * فالريق سم قاتل للعقرب

وقد ذكروا ان من خواص ريق الانسان انه يقتل العقرب وهو مجرب

وقال

لا تدعنى ولتدع من شئته * اليك من عجم ومن عرب
فنحن اكالون للسحت فى * ذراك سماعون للكذب

وقال

لا تسألنى عن صنيع جفونها * يوم الوداع وسل بذلك من نجا
لو كنت املك خدها للثمته * حتى اعيد به الشقيق بنفسجا
اوكنت اهجع لاحتضنت خيالها * ومنعت ضوء الصبح ان يتبلجا
وبثثت فى الظلماء كحل جفونها * وعقدت هاتيك الذوائب بالدجا

سانح من الفكر بايقاع معنى يختبره به فدعا بقدح فملأه سمنا وأدهقه ولم يجعل للزيادة عليه سبيلا ودفعه الى رسول له وقال له امض به الى الفيلسوف ولا تخبره بشئ فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه الى الفيلسوف قال بصحة فهمه وتبينه للامور المتقنة المحكمة فى نفسه لامر ما بعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن الى وأجال فكره وسبر المراد به ثم دعا بنحو ألف ابرة فغرز اطرافها فى السمن وأنفذها الى الاسكندر فامر الاسكندر بسبكها كرة مدورة ململمة متساوية الاجزاء وامر بردها الى الفيلسوف فلما نظر اليها الفيلسوف وتامل فعل الاسكندر فيها أمر ببسطها وبان يتخذ منها مرآة بحضرته وصقلها فصارت جسما صقيلا ترد صورة من قابلها من الاشخاص لشدة صفائها وزوال الدرن عنها وامر بردها الى الاسكندر فلما نظر اليها وتامل حسن صورته فيها دعا بطست فجعل المرآة فيه وامر باراقة الماء فيه عليها حتى رسبت وامر بحمل ذلك الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك امر بالمرآة فجعل منها مشربة كالطرجهارة وجعلها فى الطست فوق الماء فطفت فوقه وامر بردها الى الاسكندر فلما نظر

وقال مهنئا بمولود

يلوح فى المهد على وجهه * تجهم الباس وبشرى الندى
والشمس والبدر اذا استجمعا * لم يلبثا ان يلدا فرقدا
فابق له حتى ترى نجله * وان عرا خطب فنحن الفدا

قال ابن سعيد وهذا البيت الاخير من اثقل الشعر يتطير من سماعه وتركه اولى وقال رحمه الله تعالى فى الرصد

وذا عذير وذا روض وذا جبل * فالضب والنون والملاح والحادى

(ومنهم الفقيه ابو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطى) ذكره العماد الاصبهانى فى الخريدة وذكره السمعانى فى الذيل وانه دخل بغداد فى حدود سنة ست عشرة وخمسمائة ومن شعره

اياشمس انى ان اتتك مدائحى * وهن لآلى نظمت وقلائد
فلست بمن يبغى على الشعر رشوة * ابى ذاك لى جد كريم ووالد
وانى من قوم قديما ومحدثا * تباع عليهم بالالوف القصائد

(ومنهم الفقيه المقرى ابو عامر التيارى) من رجال الذخيرة رحل الى المشرق وقرأ على ابى جعفر الدباجى كتابه فى العروض وسائر كتبه ولقى شيخ القيروان فى العربية ابن القزاز واديبها الحصرى * واخبر عن نفسه انه كان بين يديه تلميذ له وسيم فربه ابو جعفر التجانى بصحاءة كتب له فيها وخلاها بين يديه وهو قد غلب النوم عليه

يانائما متعمدا * ابصار طيف حبيبه
هو جوهر فاثقبه ان الطيب فى مثقوبه
او اركبنى ظهره * ان لم تقل بركوبه

فلما قرأها علم انها للتجانى فكتب تحتها

ياطالبا أضحى حجا * ب دون مامطلوبه
لولم يكن فى ذاك اثم لما كن اسخو به
انى اغار عليه من * اثوابه ورقيبه

وأنشد يوما فى حلقته لابن الرومى فى خباز

لم انس لم أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
مابين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الابمقدار ماتنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

فقال بعض تلامذته اما انه لا يقدر على الزيادة على هذا فقال

فكاد يضرط اعجابا برؤيتها * ومن راى مثل ماابصرت منه خرى

فضحك من حضر وقال البيت لا يليق بالقطعة لولا مافيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتى هذا ليس يعجبكم * فعلوا محوه او فالعقوه وطرى

*(ومنهم الاديب الطبيب ابو الحجاج يوسف بن عتبة الاشبيلى) مطبوع فى الشعر والتوشيح

الاسكندر الى ذلك ام بتراب ناعم فلثت منه وردها الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك تغير لونه وحال وجزع وتغيرت صفاته وأسبل دموعه على خده وكثر شهيقه وطال انينه وظهر حنينه وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ثم أفاق من ذلك الحال وزجر نفسه وأقبل عليها كالمعاتب لها وقال ويحك يا نفس ما الذى قذف بك فى هذه السدفة وأصارك الى هذه الظلمة ووصلك بهذه الظلمة انسيت وأنت فى النور تسرحين وفى العلوم تمرحين وتنظرين فى الضياء الصادق وتتفسحين فى العالم المشرق أنزلت الى عالم الظلام ومعاندة والغشم والمفاسدة تخطفك الخواطف وتتهورك العواصف قد حرمت علم الغيوب والسكون فى العالم المحبوب ورميت بشدائد الخطوب ورحت كل مطلوب أين مصادرك الطيبة ورواحتك الهوية حللت فى الاجساد وتقوى عليك الكون والفساد حللت يا نفس بين السباع القاتلة والافاعى المهلكة والنيران المحرقة والريح العاصفة وصيرتك الاعمار فى قرارات الاجسام لا تشاهدى الا غافلا ولا تقربن الا جاهلا قد زهد فى الخيرات ورغب عن الحسنات ثم رمى طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهر فقال باعلى صوته يالك من نجوم سائرة

قال

قال ابن سعيد اجتمعت به في القاهرة مرارا بمجلس الامير جمال الدين ابي الفتح موسى بن يغمور بن جلدك وفي غيره وتوفي في مارستان القاهرة ومن شعره

اما الغراب فانه سبب النوى * لاريب فيه وللنوى اسباب

يدعو الغراب وبعد ذاك يجيبه * جمل وتعوي بعد ذاك ذئاب

لا تكذبن فهذه اسبابه * لكن منها بداءة وجواب

*(ومنهم الامام المحدث الحافظ جمال الدين ابو بكر محمد بن يوسف بن موسى الاندلسي المعروف بابن مسدي) وهو من الائمة المشهورين بالمشرق والمغرب قال رحمه الله تعالى أنشدني رئيس الاندلس واديبها ابو الحسن سهل بن مالك الازدي الغرناطي لنفسه سنة ٦٣٧ في شوّال بداره بغرناطة

منغص العيش لاياوي الى دعة * من كان ذا بلد أو كان ذا ولد

والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى مكان ولم يسكن الى احد

*(ومنهم الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الازدي الحميدي نسبة لجده حميد الاندلسي) ولد ابوه بقرطبة وولد هو بالجزيرة بليدة بالاندلس قبل العشرين واربعمائة وكان يحمل على الكتف للسماع سنة ٤٢٥ فاول ماسمع من الفقيه ابي القاسم اصبغ قال وكنت أفهم ما يقرأ عليه وكان قد لقي ابن أبي زيد وقرأ عليه وتفقه وروى عنه رسالته ومختصر المدونة ورحل سنة ٤٤٨ وقدم مصر وسمع بها من الضراب والقراعي وغير واحد وكان سمع بالاندلس من ابن عبد البر وابن حزم ولازمه وقرأ عليه مصنفاته واكثر من الاخذ عنه وشهر بصحبته وصار على مذهبه الا انه لم يكن يتظاهر به وسمع بدمشق وغيرها وروى عن الخطيب البغدادي وكتب عنه أكثر مصنفاته وسمع بمكة من الزنجاني وأقام بواسط مدة بعد خروجه من بغداد ثم عاد الى بغداد واستوطنها وكتب بها كثيرا من الحديث والادب وسائر الفنون وصنف مصنفات كثيرة وعلق فوائد وخرج تخاريج للخطيب ولغيره وروى عنه أبو بكر الخطيب اكثر مصنفاته وابن ماكولا وكان اماما من أئمة المسلمين في حفظه ومعرفته واتقانه وثقته وصدقه ونبله وديانته وورعه ونزاهته حتى قال بعض الاكابر عن ابي الائمة لم ترعيناي مثل أبي عبد الله الحميدي في فضله ونبله ونزاهة نفسه وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم وبثه في أهله وكان ورعا ثقة اماما في علم الحديث وعلله ومعرفة متونه ورواته محققا في علم الاصول على مذهب أصحاب الحديث متبحرا في علم الادب والعربية ومن تصانيفه كتاب جذوة المقتبس في أخبار علماء الاندلس وكتاب تاريخ الاسلام وكتاب من ادعى الامان من أهل الايمان وكتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك وكتاب تسهيل السبيل الى علم الترسيل وكتاب مخاطبات الاصدقاء في المكاتبات واللقاء وكتاب ما جاء من النصوص والاخبار في حفظ الجار وكتاب ذم النميمة وكتاب الاماني الصادقة وغير ذلك من المصنفات والاشعار الحسان في المواعظ والامثال وكان من كثرة اجتهاده ينسخ بالليل في الحر ويجلس في اجانة ماء يتبرد به ومن مشهور مصنفاته كتاب الجمع بين الصحيحين وذكره الحجاري في المسهب

وأجسام زاهرة من عالم شريف طلعت والتي ماوضعت انك من عالم نفيس قد كانت النفس في أعاليه ساكنة وفي أكنافه قاطنة فقد أصبحت عنه ظاعنة ثم أقبل على الرسول وقال خذه ورده الى الملك يعني التراب ولم يحدث فيه حادثة فلما ورد الرسول على الاسكندر أخبره بجميع ماشاهد فعجب الاسكندر من ذلك وعلم رأي الفيلسوف ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من العلة مما علا من العوالم الى هذا العالم ولما كان في صبيحة تلك الليلة جلس له الاسكندر جلوسا خاصا ودعا به ولم يكن رآه قبل ذلك فلما أقبل ونظر الى صورته وتأمل قامته وخلقته نظر الى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه هذه بنية تضاد الحكمة فاذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم كان أوحد زمانه ولست أشك ان هذا الشخص قد علم كل ما راسلته به وأجابني عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة فليس في وقته أحد يدانيه في حكمته ولا يلحقه في علمه وتامل الفيلسوف الاسكندر فادار اصبعه السبابة على وجهه ووضعها على أرنبة انفه واسرع نحو الاسكندر وهو جالس على غير سرير مملكته فحياه بتحية الملوك فاشار اليه الاسكندر بالجلوس فجلس حيث أمره فقال له الاسكندر ما بالك

وقال عنه انه أظهر العلم فى طرق ميورقة بعدما كانت عطلاء من هذا الشان وترك لها خزائن بارى به خواص البلدان وهو من علماء أئمة الحديث ولازم أبا محمد بن حزم فى الاندلس واستفاد منه ورحل الى بغداد وبها ألف كتاب الجذوة ومن شعره قوله رضى الله تعالى عنه

ألفت النوى حتى انست بوحشها * وصرت بها لا فى الصبابة مولعا
فلم احص كم رافقته من مرافق * ولم احص كم خيمت فى الارض موضعا
ومن بعد جوب الارض شرقا ومغربا * فلا بد لى من أن اوافى مصرعا

وقال رحمه الله تعالى

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

وذكره ابن بشكوال فى الصلة وتوفى ببغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة رحمه الله تعالى قال ابن ماكولا أخبرنا صديقنا ابو عبد الله الحميدى وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ لم ار مثله فى عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم وكان أوصى مظفر بن رئيس الرؤساء ان يدفنه عند قبر بشر الحافى فخالف وصيته ودفنه فى مقبرة باب البرز فلما كان مدة رآه مظفر فى النوم كأنه يعاتبه على مخالفته فنقل فى صفر سنة ٤٩١ الى مقبرة باب حرب ودفن عند قبر بشر وكان كفنه جديدا وبدنه طريا تفوح منه رائحة الطيب ووقف كتبه على اهل العلم رحمه الله تعالى ومن مناقبه انه قال لمن دخل عليه فوجده مكشوف الفخذ تعديت بعين الى موضع لم ينظره احد منذ عقلت انتهى ومن شعر الحميدى ايضا قوله

طريق الزهد افضل ما طريق * وتقوى الله تالية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه * يعنك ودع بنيات الطريق

وقوله

كلام الله عز وجل قولى * وما صحت به الآثار دينى
وما اتفق الجميع عليه بدأ * وعودا فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذا وهذا * تكن منها على عين اليقين

*(ومنهم الكمال أبو العباس احمد الشريشى وهو احمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى ابن عبد المؤمن القيسى) من اهل شريش روى عن ابى الحسن بن لبال وأبى بكر بن أزهر وأبى عبد الله بن زرقون وأبى الحسين بن جبير وغيرهم وأقرأ العربية وله تواليف أفاد بها حشد فيها منها شرح الايضاح للفارسى والجمل للزجاج وله فى العروض تواليف وجمع مشاهير قصائد العرب واختصر نوادر أبى على القالى قال ابن الابار لقيته بدار شيخنا أبى الحسن بن حريق من بلنسية قبل توجهى الى اشبيلية فى سنة ست عشرة وستمائة وهو اذ ذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات فسمعت عليه بعضه وأجاز لى سائره مع رواياته وتواليفه وأخذ عنه أصحابنا ثم لقيته ثانية مقدمه من مرسية انتهى ومن بديع نظمه وهو بمصر يتشوق الى الشام

حين نظرت الى ورميت بطرفك نحوى أدرت أصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة انفك فقال تأملتك أيها الملك بنورية عقلى وصفاء مزاجى فتبينت فكرتك فى وتأملك لصورتى وأنها قلما تجتمع مع الحكمة فاذا كان ذلك كان صاحبها أوحد زمانه فادرت اصبعى مصداقا لما سمع لك وأريتك مثالا شاهدا كما انه ليس فى الوجه الا انف واحد فكذلك ليس فى دار مملكة الهند غيرى ولا يلحق احد من الناس بى فى حكمتى فقال له الاسكندر ما احسن ما تأتى لك ما ذكرت وانتظم لك بحسن الخاطر ما وصفت فدع عنك هذا ما بالك حين انفذت اليك قدحا مملوأ سمنا غرزت فيه ابرا ورددته الى قال الفيلسوف علمت ايها الملك انك تقول ان قلبى قد امتلأ وعلمى قد انتهى كامتلاء هذا الاناء من السمن فليس لاحد من الحكماء فيه مستزاد فاخبرت الملك ان علمى يستزيد فى علمه ويدخل فيه دخول هذه الابر فى هذا الاناء قال فاخبرنى ما بالك حين عمل من الابر كرة وانفذتها اليك صيرتها مرآة ورددتها الى صقيلة قال علمت ايها الملك انك تريد ان قلبك قد قسا من سفك الدماء والشغل بسياسة هذا العالم فقسوه هذه الكرة فلا يقبل العلم ولا يرغب فى فهم الغايات والعلوم

ياجيرة

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر * فان قلبي بنار الشوق يستعر
بعدت عنكم فلا والله بعدكم * مالذ للعين لا نوم ولا سهر
اذا تذكرت أوقاتا أتت ومضت * بقربكم كادت الاحشاء تنفطر
كأنني لم أكن بالنيرين ضحى * والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر
والورق تنشد والاغصان راقصة * والدوح يطرب بالتصفيق والنهر
والسفح أين عشياتي التي سلفت * لي منه فهي لعمري منتهى العمر
سقاك ياسفح سفح الدمع منهملا * وقل ذاك له ان أعوز المطر

قال رحمه الله تعالى شروح لمقامات الحريري كبير ووسط وصغير وفي الكبير من الآداب مالا كفاء له وكان رحمه الله تعالى معجبا بالشام وقال ابن الابار عند ماذكره له شرح مقامات الحريري في ثلاث نسخ كبراها الادبية ووسطاها اللغوية وصغراها المختصرة انتهى وتوفي بشريش بلده سنة تسع عشرة وستمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو بكر يحيي بن سعدون بن تمام بن محمد الازدي القرطبي الملقب بضياء الدين) أحد الائمة المتأخرين في القرآت وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك قال القاضي الشمس بن خلكان انه رحل من الاندلس في عنفوان شبابه وقدم مصر فسمع بالاسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن ابراهيم الرازي وبمصر أبا صادق مرشد بن يحيي بن القاسم المدني المصري وأبا طاهر أحمد بن محمد الاصبهاني المعروف بالسلفي وغيرهم ودخل بغداد سنة ٥١٧ وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقري المعروف بابن بنت الشيخ أبي منصور الخياط وسمع عليه كتبا كثيرة منها كتاب سيبويه وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارستان وأبي القاسم بن الحصين وأبي العز وغيرهم وكان دينا ورعا عليه وقار وسكينة وكان ثقة صدوقا ثبتا نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيدا أقام بدمشق مدة واستوطن الموصل ورحل منها الى أصبهان ثم عاد الى الموصل وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب الذيل وقال انه اجتمع به بدمشق وسمع عنه مشيخة أبي عبد الله الرازي وانتخب عليه أجزاء وسأله عن مولده فقال ولدت سنة ٤٨٦ في مدينة قرطبة ورأيت في بعض الكتب ان مولده سنة ٤٨٧ والاول أصح وكان شيخنا القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد قاضي حلب رحمه الله تعالى يفتخر بروايته وقراءته عليه وقال كنا نقرأ عليه بالموصل ونأخذ عنه وكنا نرى رجلا يأتي اليه كل يوم فيسلم عليه وهو قائم ثم يمد يده الى الشيخ بشيء ملفوف فيأخذه الشيخ من يده ولا نعلم ماهو ويتركه ذلك الرجل ويذهب ثم تقفينا ذلك فقلنا انها دجاجة مسموطة كانت ترسم للشيخ في كل يوم يبتاعها له ذلك الرجل ويسمطها ويحضرها واذا دخل الشيخ الى منزله تولى طبخها بيده وذكر في كتاب دلائل الاحكام انه لازم القراءة عليه احدى عشرة سنة آخرها سنة ٥٦٧ وكان الشيخ أبو بكر القرطبي المذكور كثيرا ماينشد مسندا الى أبي الخير الكاتب الواسطي

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

والحكمة فاخبرتك مجيبا ممثلا بسبك الكرة والحيلة في أمرها بجعلي منها مرآة صقيلة مؤدية الى الاجسام عند المقابلة لحسن الصفاء قال له الاسكندر صدقت قد أجبتني عن مرادي فاخبرني أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة في الطست ورسبت في الماء جعلتها قد جاءت فوق الماء طافية ثم رددتها الى قال الفيلسوف علمت انك تريد بذلك أن الايام قد انقضت وقصرت والاجل قد قرب ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل فاجبت الملك ممثلا اني ساعمل الحيلة في ايراد العلم الكثير في المهل القليل الى قلبه وتقريبه من فهمه كاحتيالي للمرآة من بعد كونها راسبة في الماء حتى جعلتها طافية عليه قال له الاسكندر صدقت فاخبرني ما بالك حين ملأت الاناء ترابا رددته الي ولم تحدث فيه حادثة كفعلك فيما سلف قال علمت انك تقول ثم الموت وانه لابد منه ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس المثقل الذي هو الارض ودثورها وتفرق اجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد المرئي قال الاسكندر صدقت

ولاحسن الى الهند من أجلك وأمر له بجوائز كثيرة وأقطعه قطائع واسعة فقال له الفيلسوف لو

جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين

وتوفي القرطبي المذكور بالموصل يوم عيد الفطر سنة ٥٦٧ رحمه الله تعالى انتهى كلام ابن خلكان ببعض اختصار *(ومنهم الوزير أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الاجل أبي الحسن بن عبد ربه وهو من حفدا صاحب كتاب العقد المشهور حدث الشيخ الاجل أبو عبد الله محمد ابن علي اليحصبي القرمو في رفيقه قال أصطحبت معه في المركب من المغرب الى الاسكندرية فلما قربنا منها هاج علينا البحر وأشفينا على الغرق فلاح لنا ونحن على هذه الحال منار الاسكندرية فسررنا برؤيته وطمعنا في السلامة فقال لي لابد أن أعمل في المنار شيأ فقلت له أعلى مثل هذه الحال التي نحن فيها فقال نعم فقلت فاصنع فاطرق ثم عمل بديها

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق

من شامخ الانف في عرنينه شمم * كأنه باهت في دارة الافق

يكسر الموج منه جانبي رجل * مشمر الذيل لا يخشى من الغرق

لا يبرح الدهر من ورد على سفن * ما بين مصطبح منها ومغتبق

للنشآت الجواري عند رؤيته * كوقع النوم من أجفان ذي أرق

وتقدمت ترجمة الكاتب أبي عبد الله بن عبد ربه وأظنه هذا فليتنبه له بل أعتقد أنه هو لا غيره والله تعالى أعلم *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي) قال في القدح المعلى بيتهم مشهور بقرطبة لم يزل يتوارث في العلم والجاه وعلو المرتبة ونشأ أبو عبد الله هذا حافظا للآداب اماما في علم الحساب مع انه كان أعمى مقعدا مشوه الخلقة ولكنه اذا انطق علم كل منصف حقه ومن عجائبه انه سافر على تلك الحالة حتى غدت بغداد له هالة اجتمعت به بحضرة تونس فرأيت بحرا زاخرا وروضا ناضرا الا انه حاطب ليل وساحب ذيل لا يبالي ما أورده ولا يلتفت الى ما أنشده جامعا بين السمين والغث حافظا للمتين والرث وكان يقرئ الادب بمراكش وفاس وتونس وغيرها ومن مشهور حكاياته انه لما قال أبو زيد الفازازي في أبي علي المستنصر قصيدته التي مطلعها * الحزم والعزم منسوبان للعرب * عارضه بقصيدة ثم قال فيه وفي ابن أخيه يحيى بن الناصر الذي نازعه في ذلك الاوان

وان ينازعك في المنصور ذو نسب * فحبل نوح ثوى في تسمة العطب

وان يقل أنا عم فالجواب له * عم النبي بلا شك أبو لهب

وشاعت القصيدة فبلغت أبا العلاء فحرص على قتله وسلمه الله تعالى منه ومات سنة ٦٣٩ ومن شعره قوله

لا تحسب الناس سواء متى * تشابهوا فالناس أطوار

وانظر الى الاحجار في بعضها * ماء وبعض ضمنها نار

وقوله

يا طالعا في جفوني * وغائبا في ضلوعي

بالغت في السخط ظلما * وما رحمت خضوعي

اذا نويت انقطاعا * فاحسب حساب الرجوع

ولسنا نجد عاقلا من خدم غير ذاته واستعمل غير ما يصلح نفسه والذي يصلح النفس الفلسفة وهي صقالها وغذاؤها وتناول الحيوانية وغيرها من الموجودات ضد لها والحكمة سبيل الى العلو والعلم اليه ومن عدم ذلك عدم القرب من باريه واعلم أيها الملك ان بالعدل ركب جميع العالم بجزئياته ولا يقوم بالجور والعدل ميزان الباري جل وعز فكذلك حكمته مبرأة عن كل ميل و زلل وأشبه الاشياء من أفعال الناس بأفعال باريهم الاحسان الى الناس وقد ملكت أيها الملك بسيفك وصولة ملكك وتأتيك في أمورك وانتظام سياستك اجسام رعيتك فجدر أن تملك قلوبهم باحسانك اليهم وانصافك لهم وعدلك فيهم فهي خزانة سلطانك فانك ان قدرت ان تقول قدرت أن تفعل فاحترز من ان تقول تأمن من أن تفعل فالملك السعيد من تمت له رياسة ايامه والملك الشقي من انقطعت عنه فمن تحرى في سيرته العدل استنار قلبه بعذوبة الطهارة

(قال المسعودي رحمه الله) وخلا الاسكندر عن الفيلسوف لا يمكنه المقام معه فلحق بارضه وللاسكندر انتهى

انتهى باختصار يسير * (ومنهم أبو الوليد بن الجنان محمد بن الشرف أبي عمرو بن الكاتب أبي بكر ابن العالم الجليل أبي العلاء بن الجنان الكناني الشاطبي) قال ابن سعيد توارثوا بشاطبة مراتب تحسدها النجوم الثاقبة وأبو الوليد أشعرهم وقد تجدد به في أقطار المشرق مفخرهم وهو معروف هنالك بفخر الدين ومتصدر في أئمة النحويين ومرتب في شعراء الملك الناصر صاحب الشام ومقطعاته الغرامية قلائد أهل الغرام صحبته بمصر ودمشق وحلب وجريت معه طلق الجموح في ميادين الادب وأنشدني بدمشق

أنا من سكر هواهم ثمل * لا أبالي هجروا أم وصلوا
فبشعري وحديثي فيهم * زمزم الحادي وسار المثل
أنا عشاق الحمى تعرفني * والحمى يعرفني والطلل
رحلوا عن ربع عيني فلذا * أدمعي عن مقلتي ترتحل
ما لها قد فارقت أوطانها * وهي ليست لحماهم تصل
لا تظنوا أنني أسلوكما * مذهبي عن حبكم ينتقل

وقوله رحمه الله تعالى

بالله يا بانة الوادي اذا خطرت * تلك المعاطف حيث الشيح والغار
فعانقيها عن الصب الكئيب فما * على معانقة الاغصان انكار
وعرفيها بأني فيك مكتئب * فبعض هذي لها بالحب أخبار
وأنتم جيرة الجرعاء من اضم * لي في حماكم أحاديث وأسمار
وأنتم أنتم في كل آونة * وانما حبكم في الكون أطوار
ويا نسيما سرى تحدو ركائبه * لي بالغوير لبانات وأوطار

وله

يا رعى الله أننا بين روض * حيث ماء السرور فيه يجول
تحسب الزهر عنده يتثنى * وتخال الغصون فيه تميل

وله

هات المدام فقد ناح الحمام على * فقد الظلام وجيش الصبح في غلب
وأعين الزهر من طول البكا رمدت * فكحلتها يمين الشمس بالذهب
والكاس حلتها حمراء مذهبة * لكن أزرتها من لؤلؤ الحبب
كم قلت للافق لما أن بدا صلفا * بشمسه عند ما لاحت من الحجب
ان تهت بالشمس يا أفق السماء فلي * شمسان وجه نديمي وابنة العنب
قم اسقنيها وثغر الصبح مبتسم * والليل تبكيه عين البدر بالشهب
والسحب قد لبست سود الثياب وقد * قامت لترثيه الاطيار في القضب

وله

عليك من ذلك الحمى يا رسول * بشرى علامات الرضا والقبول
جئت وفي عطفيك منهم شذى * يسكر من خمر هواه العذول

مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة في أنواع من العلوم ومكاتبات ومراسلات جرت بين الاسكندر وبين كند ملك الهند قد أتينا على مبسوطها والغرر من معانيها والزهر من عيونها في كتابنا في أخبار الزمان وأما القدح فامتحنه من أدهقه بالماء وأورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه شيأ وكان معمولا بضرب من خواص الهند والروحانية والطبائع التامة والتوهم وغير ذلك من العلم مما يدعيه الهند وقد قيل انه كان لآدم أبي البشر عليه السلام بأرض سرنديب من بلاد الهند مبارك له فيها فورث عنه وتداولته الملوك الى ان انتهى الى كند هذا الملك العظيم سلطانه وما كان عليه من الحكمة وقيل غير ذلك من الوجوه مما قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وللطبيب معه أخبار ظريفة ومناظرات عجيبة في أوائل المعرفة وصنعة الطب وترقيه الى مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها أعرضنا عن ذكرها خوفا من الاطالة وميلا الى الاختصار في هذا المكان لتعلق الكلام بالتوهم الذي تدعيه الهند في صنعة الطب وغيرها وقد كان للاسكندر في أسفاره وتوسطه الممالك وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته الحكماء مع تنائي ديارهم وبعد

ومنها

أحبابنا ودعتم ناظرى * وأنتم بين ضلوعى نزول
حللتم قلبى وهو الذى * يقول فى دين الهوى بالحلول
انا الذى حدث عنى الجوى * بأننى عن حبكم لا أحول
فليزد العاذل فى عذله * وليقل الواشى لكم ما يقول

انتهى كلام النور بن سعيد * وقال غيره ولد المذكور بشاطبة منتصف شوال سنة ٦١٠ ومات بدمشق ودفن بسفح قاسيون وكان عالما فاضلا دمث الاخلاق كريم الشمائل كثير الاحتمال واسع الصدر صحب الشيخ كمال الدين بن العديم وولده قاضى القضاة مجد الدين فاجتذبوه اليهم وصار حنفى المذهب ودرس بالمدرسة الاقبالية الحنفية بدمشق وله مشاركة فى علوم كثيرة وله يد فى النظم ومن شعره

لله قوم يعشقون ذوى اللحى * لا يسألون عن السواد المقبل
وبمهجتى قوم وانى منهم * جبلوا على حب الطراز الاول

وله أيضا

قم اسقنيها وليل الهم منهزم * والصبح أعلامه محمرة العذب
والسحب قد نثرت فى الارض لؤلؤها * تضمن الشمس فى ثوب من الذهب انتهى

وقد تقدم عن ابن سعيد له ما يقارب هذا وله رحمه الله تعالى فى كاتب

ولى كاتب أضمرت فى القلب حبه * مخافة حسادى عليه وعذالى
له صنعة فى خط لام عذاره * ولكن سها اذ نقط اللام بالخال

(ومنهم أبو محمد القرطبى) قال ابن سعيد لقيته بالقاهرة وكانه لا خبر عنده من الآخرة وقد طال عمره فى أكل الاعراض وفساد الاغراض ومما بقى فى أذنى من شعره قوله

رحم الله من لقيت قديما * فلقد كان بى رؤفا رحيما
أتمنى لقاء حر فقد أعوز بختى كما عدمت الكريما

وتوفى بالقاهرة سنة ٦٤٣ انتهى * (ومنهم على بن أحمد القادسى الكنانى) قال ابن سعيد لقيته ببيت المقدس على زى الفقراء وحصلت منه هذه الابيات وندمت بعد ذلك على ما فات وهى

ذاك العذار المطل * دمى عليه يطل
كأنما الخد ماء * وقد جرى فيه ظل
عقود صبرى عليه * منذ حل قلبى تحل
جرت دموعى عليه * فقلت آس وطل

انتهى

(ومنهم أبو عبد الله بن العطار القرطبى) قال ابن سعيد هو حلو المنازع ظريف المقاطع والمطالع مطبوع النوادر موصوف بالاديب الشاعر مازجته بالاسكندرية وبهذه الحضرة العلية ومازال يدين بالانفراد والتجول فى البلاد حتى قضى مناه وألقى بهذه المدينة عصاه لا يخطر الهم له ببال ولا يبيت الا على وعد من وصال وله حين سمع ما ارتجلته فى السكين بالاسكندرية حين داعبنى باختلاسها القاضى زين القضاة بن الريفى وقال ما لى اليه

سبيل

أوطانهم واختلاف لغاتهم ومذاهب صورهم وتباينهم فى شيمهم وأخلاقهم أخبار كثيرة من حروب ومكايد وحيل وفنون من الدبر وما أحدث من الابنية قد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا مما سمينا وغير ذلك مما عن وصفها أمسكنا وانما ذكرنا اليسير من أخباره لئلا يعرى كتابنا من شئ منه مع ذكرنا لسيره ووفاته وبالله التوفيق

(ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر)

(ثم ملك بعد الاسكندر الملك خليفته بطليوس) وكان حكيما عالما شابا مدبرا وكان ملكه أربعين سنة وقيل بل كان ملكه عشرين سنة وقد كان لهذا الملك وهو التالى لملك الاسكندر حروب مع بنى اسرائيل وغيرهم من ملوك الشام * وذكر جماعة من أهل الدرايات بأخبار ملوك العالم انه اول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وأنه ركب فى بعض الايام فى طريه الى بعض متنزهاته فنظر الى باز يطير فرآه اذا علا صعب واذا استفل خفق واذا أراد ان يستوى درف فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة الشوك فتأمله فأعجبه صفاء عينيه وصفرتهما وكمال خلقه فقال هذا طائر حسن له سلاح وينبغى أن تتزين به الملوك فى مجالسها فأمر أن يجمع منها عدة لتكون فى مجلسه

سبيل حتى يحضر مصري نبيل

أياسارقا ملكا مصونا ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
ستندبه الاقلام عند عثارها * و يبكيه ان بعد الصواب كتاب

فقال

أحاجيك ماشئ اذا ماسرقته * وفيه نصاب ليس يلزمك القطع
على ان فيه القطع والحذ ثابت * ولا حد فيه هكذا حكم الشرع

انتهى كلام ابن سعيد من كتابه القدح المعلى فيما أظن و يعني والله سبحانه أعلم بقوله وبهذه الحضرة العلية حضرة تونس اخر وسة فانها كانت محط رحال الافاضل من الاواخر والاوائل حتى ان قاضي القضاة ابن خلدون أقام بها مدة ومنها ارتحل الى مصر وكذلك الخطيب الجليل سيدي أبو عبد الله بن مرزوق رحمه الله تعالى ومنها خاطب الوزير لسان الدين بن الخطيب وسلطانه في الشفاعة له عند سلطان المغرب فكتب لسان الدين عن سلطانه في ذلك ما نصه المقام الذي نؤكد اليه بر سلفه الوداد ونغري بتخليد فخره وأمره القلم والمداد ونصل به الاستظهار على عدو الله تعالى والاستعداد ونخطب له من الله بهز أعطافه للخير والتوفيق والسداد والاعانة منه والامداد مقام محل أخينا الذي اشتهر فضله ودينه ووضح سعده مة ألقة براهينه وحماه الصنع الجميل وباه مشرقا جبينه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله يرعى الذمم ويسلك من الفضائل المنهج الاهم ويغلي البضائع النافقة عند الله تعالى ويعلي الهمم معظم قدره وملتزم بره الحريص على توفير أجره وتخليد فخره فلان أما بعد حمد الله تعالى ناصر الامة المطاعة المحافظة على السنة والجماعة وحافظها من الاضاعة الى قيام الساعة الذي جعل المودة فيه أنفع الوسائل النفاعة والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعة على العموم والاشاعة متمم مكارم الاخلاق من الفضل والبذل والحياء والشجاعة والرضا عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة وزرعوا الخير في العاجلة ففازوا في الآجلة بفائدة تلك الزراعة والدعاء لمقامكم الاعلى بصنع يروى فيه عن الاشمط الباتر خبر النصر المتواتر لسان البراعة وتأييد لا يرضى فيه القنا بقام تلك القناعة فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لتنائكم العاطر بتخليد المفاخر منشور الاذاعة في أيدي النواسم الشواعة من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى عن خيرها مى السحاب وبشر مفتح الابواب وعز الاسلام ببركة الاعتداد بكم المنصور الاعلام مقتبل الشباب وبمن ضافي الجلباب والحمد لله على تظاهر الايدي في ذاته وتوفر الاسباب وجانبكم الرفيع الامل المتاب اذا حدت الحداة ذوات الاقتاب ومطمح الوسائل المطرزة المسائل بتصحيح الوداللباب والى هذا وصل الله تعالى سعيكم بسوابغ نعمه وآلائه دائمة الانسكاب وجعل ما عجل لكم من نعمه وآلائه كفيلة بالزلفى وحسن المآب والممكم تقييد شواردها بالشكر قولا وعملا فالشكر مستدعي المزيد كما ورد في الكتاب فان من المنقول الذي اشتهر وراق فضله وبهر قوله اشفعوا تؤجروا وما في معناه من المعتبر في الخبر وتنفيس

مما تغضب منه الملوك ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داجنا فوثب عليه البازي فما أفلت الا جريحا فقال الملك هذا ملك جبار لا يحتمل الضيم ثم مر طائر فوثب عليه فأكله فقال الملك هذا ملك يحمي حماه ولا يضيع أكله فلاعب بها ثم لعب بها بعده ملوك الامم من اليونانيين والروم والعرب والعجم وغيرهم وثنى من بعده من ملوك الروم بلعب الشواهين والاصطياد بها وقد قيل ان الازارقة وهم ملوك الاندلس من الاشبان أول من لعب بالشواهين وصاد بها وكذلك اليونانيون أول من صاد بالعقبان ولعب بها وقد ذكر أن ملوك الروم أول من صاد بالعقبان (قال المسعودي) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لجبل القبق والابواب جملا من أخبارها واخبار من لعب بها وقد كان من سلف من حكماء اليونانيين يقولون ان الجوارح أجناس خلقها الله تعالى وانشأها على منازلها ودرجاتها وهي أربع اجناس وثلاثة عشر شكلا فاما الاجناس الاربعة فهي البازي والشواهين والصقر والعقاب وقد ذكرنا هذه الاجناس والاشكال

كربة عن مسلم وسماع شكوى من متظلم ولولا أن مقامكم السنى أغنى لجلبنا الكثير من
هذا المعنى ولما تحقق ما أنتم عليه من سلوك سبيل الخير واقامة رسوم الدين والاهتداء بمن
هديه بالنور المبين خف علينا أن نقصدكم بالشفاعات مع الساعات ونتجر لكم مع الله بأنفس
البضاعات فما أثمر من ذلك شكرنا الله تعالى عليه حقيقة وشكرناكم عليه شريعة وما
تأخر أوسعناكم فيه عذرا باستذرية وعلمنا أن الله تعالى لم يأذن فى تعجيله وسألناه فى
تيسيره وتسهيله سواء لدينا فى ذلك ما عاد باعانة عامة وامداد وساهم فى قصد جهاد ومالم
يعد علينا خصوصا وعلى المسلمين عموما باعانة ولا ارفاد انما علينا أن نجلب الخير الباقى
والاجر الراقى الى بابكم وندل عليه كريم جنابكم بمقتضى وداد صحيح باد وجميل ظن فى
دينكم المتين واعتقاد سلم مجمله ومفصله من انتقاد وذلك أن الشيخ الخطيب الفقيه الكبير
الشهير الصدر الاوحد العلامة سلالة الصالحين وخطيب والدكم كبير الخلفاء والسلاطين
وبالها من مزية دنيا ودين أبا عبد الله بن مرزوق جبر الله تعالى على يدكم البرة حاله وسنى
من مقامكم السنى آماله جرى عليه من المحن وتباريح الاحن ما يعلم كل ذى مروءة وعقل
واجتهاد ونقل أن ذلك من الجنايات على والدكم السلطان محسوب والى معقاته منسوب
ولو كانت ذنوبه رضوى وثبيرا لاستدعت الى تعمدها عفوا كبيرا رعيا لذلك الامام
الصالح الذى كبر خلفه وأحرم وتشهد وسلم وأمن عقب دعائه ونصب كفه لمواهب الله
تعالى وآلائه وأنصت لخطبته ووعظه وأوجب المزية لسعة حفظه وعذوبة لفظه فأحبط
ذلك من أحبط الاعمال الصالحة وعطل المتاجر الرابحة وأسف الملك المذكور بدم ولده
واحراق خزائنه وعدده وتغيير رسومه وحدوده واسخاطه واسخاط الله معبوده الى
أن طهر سيفكم الملك من عاره وأخذ منه بثاره وتقرب الى الله والى السلف الكريم بمحو
آثاره والحمد لله على ما خصه من ايثاره وتدارك الاسلام باقالة عثاره وانه خاطبنا الآن من
حضرة تونس يقرر من حاله ما يفت الفؤاد ويوجب الامتعاض له والاجتهاد يطلب منا
الاعانة بين يديكم والانجاد ويشكو العيلة والاولاد والغربة التى أحلته الاقطار النازحة
والبلاد والحوادث التى سلبته الطارف والتلاد وان نذكركم بوسيلته وضعف حيلته
فبادرنا لذلك عملا بالواجب وسلوكا من بره ورعى حقه على السنن اللاحب وان كنا نطوقه
فى أمرنا عند الحادثة علينا تقصيرا ولا نشكر الا الله وليا ونصيرا لحقه علينا أوجب فهو
الذى لا يجحد ولا يحجب ولا يلتبس منه المذهب وكيف لا يشفع فيمن جعله السلف الى
الله تعالى شفيعا وأحله محلا منيعا رفيعا الى وليه الذى جبر ملكه سريعا وصير جنابه بعد
المحول مريعا وجدد رسومه تأصيلا لها وتفريعا ومثلكم من اعتنى بره فى نصر مظلوم وستر
مكلوم واعداء كرم على لوم وهى منا ذكرى تنفع وحرص على أجر من يشفع واسعاف
لمن سال ما يعلى من قدركم ويرفع وتأدية لحق سلفكم الذى توفرت حقوقه وابلاغ نصيحة
دينية الى مجدكم الذى لا يمنعه عن المجد مانع ولا يعوقه ومطلبه فى جنب ملككم الكبير حقير
وهو به الى ما يفتح الله تعالى به على يد صدقتكم فقير وسهلكم الاروى وباعكم فى الخير
أطول وساعدكم أقوى وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والله

الناس فى ذلك (ثم ملك بعد
بطليموس هيملوس) وكان
رجلا جبارا وفى أيامه
عملت الطلسمات وظهرت
عبادة التماثيل والاصنام
اشبه دخلت عليهم وانها
وسائط بينهم وبين خالقهم
تقربهم اليه وتدنيهم منه
وكان ملكه ثمانيا وثلاثين
سنة وقيل اربعين وقد
قيل ان الذى ملك بعد خليفة
الاسكندر بطليموس
الثانى محب الاخ وغزا
بنى اسرائيل ببلاد فلسطين
وايليا من ارض الشام
فسباهم وقتل منهم وطلب
العلوم ثم رد بنى اسرائيل
الى فلسطين وحمل معهم
الجواهر والاموال وآلات
الذهب والفضة لهيكل
بيت المقدس وكان ملك
الشام يومئذ انطيخس
وهو الذى بنى مدينة انطاكية
وكانت دار ملكه وجعل
بناء سورها احدى عجائب
العالم فى البناء على السهل
والجبل ومسافة السور اثنا
عشر ميلا وعدة الابراج فيه
مائة وستة وثلاثون برجا
وجعل عدد شرافاته اربعة
وعشرين ألف شرافة وجعل
على كل برج من الابراج بتولة
بطريق اسكنه اياه برجاله
وخيله وجعل كل برج
منها طبقات والبطريق فى اعلاه وجعل كل برج منها كالحصن عليها ابواب حديد وآثار الابواب

عز وجل يسلك بكم المسالك التى تخلد بالجميل ذكركم وتعظم عند الله أجركم فما عند الله خير للابرار والدنيا دار الغرور والآخرة دار القرار وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى * والسلطان المخاطب بهذا هو أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان الكبير الشهير أبى الحسن المرينى وكان ابن مرزوق غالبا على دولة السلطان أبى سالم أخى أبى فارس المذكور فقتله الوزير عمر بن عبد الله الفودودى وتغلب على الملك ونصب أخا لابى سالم معتوها وسجن ابن مرزوق ورام قتله فخلصه الله تعالى منه ثم ان السلطان أبا فارس ثار على الوزير المتغلب وقتله واستقل بالملك فخوطب فى شأن ابن مرزوق بما ذكر * (رجع الى ما كنا فيه) من ذكر الراحلين من أعلام الاندلسيين الى البلاد المشرقية المحروسة بالله سبحانه وتعالى فنقول * (ومنهم أبو الوليد وابو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدى القرطبى المعروف بابن الفرضى الحافظ المشهور) كان فقيها عالما عارفا بفنون علم الحديث ورجاله بارعا فى الادب وغيره وله من التصانيف تاريخ علماء الاندلس وقفت عليه بالمغرب وهو بديع فى بابه وهو الذى ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة وله كتاب حسن فى المؤتلف والمختلف وفى مشتبه النسبة وكتاب فى أخبار شعراء الاندلس وغير ذلك ورحل من الاندلس الى المشرق سنة ٣٨٢ فحج وسمع من العلماء وأخذ عنهم وكتب من أماليهم وروى عن شيوخ عدة من أهل المشرق ومن شعره

أسير الخطايا عند بابك واقف * على وجل مما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها * ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذى يرجى سواك ويتقى * ومالك فى فصل القضاء مخالف
فيا سيدى لا تخزنى فى صحيفتى * اذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسى فى ظلمة القبر عندما * يصدّ ذوو القربى ويجفو المؤالف
لئن ضاق عنى عفوك الواسع الذى * أرجى لاسرافى فانى لتالف

وكان رحمه الله تعالى حسن الشعر والبلاغة ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى

ان الذى أصبحت طوع يمينه * ان لم يكن قمرا فليس بدونه
ذلى له فى الحب من سلطانه * وسقام جسمى من سقام جفونه

وله شعر كثير ومولده فى ذى القعدة ليلة الثلاثاء لتسع بقين منه سنة ٣٥١ وتولى القضاء بمدينة بلنسية فى دولة محمد المهدى المروانى وقتله البربر يوم فتح قرطبة يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣ وبقى فى داره ثلاثة أيام ودفن متغيرا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة رحمه الله تعالى وروى عنه انه قال تعلقت بأستار الكعبة وسألت الله تعالى الشهادة ثم انحرفت وفكرت فى هول القتل فندمت وهممت أن أرجع فأستقيل الله سبحانه وتعالى فاستحييت وأخبر من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف لا يكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله الاجاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون دم والريح ريح المسك كانه يعيد على نفسه الحديث الوارد فى ذلك قال ثم قضى على اثر ذلك وهذا الحديث اخرجه مسلم فى صحيحه وقد ساق فى المطمح حكايته فقال كان حافظا عالما كلفا

واظهر فيها مياها من اعين وغيرها الاسديل الى قطعها من خارجها وجعل اليها مياها مصبة فى قنى محرقة الى شوارعها ودورها ورأيت فيها فى هذه المياه ما يستحجر فى مجاريها المعمولة من الخزف لترادف الصرفيها فيرا كم طبقات و يمنع الماء من الجريان بانسداده فلا يعمل الحديد فى كسره وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب وما شاهدناه حسا وغير الناخبر امما يولده ماء انطاكية فى أجساد الحيوان الناطق وأجوافهم وما يحدث فى معدهم من الرياح السوداوية الباردة والقولنجية الغليظة وقد اراد الرشيد سكناها فقيل له بعض ماذكرنا من أوصافها وترادف الصدا على السلاح من السيوف وغيرها بها وعدم بقاء ريح الطيب بها واستحالته على اختلاف أنواعه فامتنع من سكناها (ثم ملك) على اليونانيين بعد هيفلوس بطليموس الصانع ستا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده عليهم بطليموس المعروف بمحب الاب تسع عشرة سنة وكانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب انطاكية الاسكندروس وهو الذى بنى مدينة فامية بين حمص وانطاكية (ثم ملك)

بالرواية رحل في طلبها وتبحر في المعارف بسببها مع حظ من الادب كثير واختصاص نفيس ونبل حج وبرع في الزهادة والورع فتعلق باستار الكعبة يسال الله الشهادة ثم حضر في القتل ومرارته والسيف وحرارته فاراد ان يرجع ويستقيل الله تعالى فاستحيا وآثر نعيم الآخرة على شقاء الدنيا فاصيب في تلك الفتن مكلوما وقتل مظلوما ثم ذكر مثل ما مر ومما قال في طريقه يتشوق الى افريقية

مضت لي شهور مذ غبتم ثلاثة * وما خلتني أبقى اذا غبتم شهرا
ومالي حياة بعد كم أستلذها * ولو كان هذا لم أكن في الهوى حرا
ولم يسلني طول التنائي عنكم * بلى زادني وجدا وجدد لي ذكرا
يمثلكم لي طول شوقي اليكم * ويدنيكم حتى أناجيكم سرا
سأستعتب الدهر المفرق بيننا * وهل نافعي أن صرت استعتب الدهرا
أعلل نفسي بالمنى في لقائكم * وأستسهل البر الذي جبت والبحرا
ويؤنسني طي المراحل عنكم * أروح على أرض وأغدو على أخرى
ووالله مافارقتكم عن قلى لكم * ولكنها الاقدار تجري كما تجري
رعتكم من الرحمن عين بصيرة * ولا كشفت أيدي النوى عنكم سترا

وقد عرف به ابن حيان في المقتبس وذكر قصة شهادته رحمه الله تعالى *(ومنهم الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي) ولد بشريش سنة ٦٠١ ورحل الى العراق فسمع به المشايخ كالقطيعي وابن زروبه وابن الكثير وغيرهم واشتغل وساد أهل زمانه واشتهر بين أقرانه ثم عاد الى مصر فدرس بالفاضلية ثم انتقل الى القدس الشريف فأقام به شيخ الحرم ثم جاء الى دمشق المحروسة بالله وتولى مشيخة الحديث بتربة أم الصالح ومشيخة الرباط الناصري ومشيخة المالكية وعرض عليه القضاء فلم يقبل وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى وذلك سنة خمس وثمانين وستمائة رحمه الله تعالى وليس هو بشارح المقامات بل هو غيره وقد اشتركا في البلد فبسبب ذلك ربما يقع في الاذهان الوهم في أمرهما وشارح المقامات أحمد وهذا محمد وقد ترجمنا لصاحب شرح المقامات فيما تقدم من هذا الباب فليراجع والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومنهم أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن المغلس القيسي الاندلسي البلنسي) كان من أهل العلم باللغة والعربية مشارا اليه فيهما رحل من الاندلس وسكن بمصر واستوطنها وقرأ الادب على أبي العلاء صاعد اللغوي صاحب الفصوص وعلى أبي يعقوب يوسف بن خرقان بمصر ودخل بغداد واستفاد وأفاد وله شعر حسن فن ذلك قوله

مريض الجفون بلا علة * ولكن قلبي به ممرض
أعان السهاد على مقلتي * بفيض الدموع فما تغمض
وما زار شوقا ولكن أتى * يعرض لي أنني معرض

وله أشعار كثيرة وتوفي يوم الاربعاء لست بقين من جمادى الاولى سنة ٤٢٧ وقيل سنة ٤٢٩ بمصر وكان استوطنها وصلى عليه الشيخ أبو الحسن علي بن ابراهيم الحوفي صاحب

ملك بطليموس محب الام) خمسا وثلاثين سنة (ثم ملك بعده بطليموس الصانع) سبعا وعشرين سنة (ثم ملك) بطليموس المخلص سبع عشرة سنة (ثم ملك بعده بطليموس الاسكندراني) اثنتي عشرة سنة (ثم ملك بعده بطليموس الحديدي ثماني سنين (ثم ملك بعده بطليموس الجوال ثمانيا وستين سنة وكانت له حروب كثيرة (ثم ملك بعده بطليموس الحديد ثلاثين سنة (ثم ملكت) بعده ابنته قلبطره وكان ملكها اثنتين وعشرين سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة في الطب والزينة وغير ذلك من الحكمة مترجمة باسمها منسوبة اليها معروفة عند صنعة أهل الطب وهذه الملكة آخر ملوك اليونانيين الى أن انقضى ملكهم ودثرت أيامهم وامتحت آثارهم وزالت علومهم الاما بقي في أيدي حكمائهم وقد كان لهذه الملكة خبر ظريف في موتها وقتلها نفسها وقد كان لها زوج يقال له انطونيوس مشارك لها في ملك مقدونية وهي بلاد مصر من اسكندرية وغيرها فسار اليهم

التفسير في مصلى الصدفي ودفن عند أبي اسحق رحمه الله تعالى ومغلس بضم الميم وفتح الغين وتشديد اللام المكسورة وبعدها سين مهملة وكانت بينه وبين أبي الطاهر اسمعيل بن خلف صاحب كتاب العنوان معارضات في قصائد ومن شعر ابن المغلس أيضا قوله في حمام

ومنزل أقوام اذا ما اغتدوا به * تشابه فيه وغده ورئيسه
يخالط فيه المرء غير خليطه * ويضحى عدو المرء وهو جليسه
يفرج كربي ان تزايد كربه * ويؤنس قلبي ان يعد أنيسه
اذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت * على مائه أقماره وشموسه

*(ومنهم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الحكيم الاديب المعروف بالمغربي) وهو من أهل المرية وانتقل الى المشرق وكان كامل الفضيلة وجمع بين الادب والحكمة وله ديوان شعر جيد والخلاعة والمجون غالبة عليه وذكر العماد في الخريدة انه كان طبيب المارستان في معسكر السلطان السلجوقي حيث حل وخيم وكان السيد يحيى بن سعيد المعروف بابن المرخم الذي صار أقضى القضاة ببغداد في أيام المقتفي فاصدا وطبيبا في هذا المارستان وأثنى العماد على أبي الحكم المذكور وذكر فضله وما كان عليه وان له كتابا سماه نهج الوضاعة لاولي الخلاعة ثم ان أبا الحكم انتقل الى الشام وسكن دمشق وله فيها أخبار ومجريات طريفة تدل على خفة روحه قال ابن خلكان رايت في ديوانه أن أبا الحسين أحمد بن منير الطرابلسي كان عند الامراء بني منقذ بقلعة شيزر وكانوا مقبلين عليه وكان بدمشق شاعر يقال له ابو الوحش وكانت فيه دعابة وبينه وبين ابي الحكم المذكور مداعبات فسأل منه كتابا الى ابن منير بالوصية عليه فكتب ابو الحكم

أبا الحسين اسمع مقال فتى * عوجل فيما يقول فارتجلا
هذا ابو الوحش جاء ممتدحا * للقوم فاهنا به اذا وصلا
واتل عليهم بحسن شرحك ما * انقله من حديثه جملا
وخبر القوم انه رجل * ما ابصر الناس مثله رجلا
تنوب عن وصفه شمائله * لا يبتغي عاقل به بدلا

ومنها

وهو على خفة به ابدا * معترف انه من الثقلا
يمت بالثلب والرقاعة والسخف واما بغير ذاك فلا
ان انت فاتحته لتخبر ما * يصدر عنه فتحت منه خلا
فنبه ان حل خطة الخسف والهون ورحب به اذا رحلا
وأسقه السم ان ظفرت به * وامزج له من لسانك العسلا

وله اشياء مستملحة منها مقصورة هزلية ضاهى بها مقصورة ابن دريد من جملتها

وكل ملموم فلا بد له * من فرقة لو ألزقوه بالغرا

وله مرثية في عماد الدين بن يحيى بن آق سنقر الاتابكي شاب فيها الجد بالهزل والغالب على شعره الانطباع وتوفي ليلة الاربعاء رابع ذي القعدة سنة ٥٤٩ وقيل في السنة التي قبلها

بعده وسنذكر خبره في ملوك الروم بعد هذا الموضع وكانت له حروب بالشام ومصر مع قلبطره الملكة ومع زوجها انطونيوس الى أن قتله ولم يكن لقلبطره في دفع أغسطس ملك الروم عن ملك مصر حيلة وأراد أغسطس اعمال الحيلة فيها لعلمه بحكمتها وليتعلم منها اذ كانت بقية الحكماء اليونانيين ثم بعدها يقتلها فراسلها وعلمت مراده فيها وما قد وترها به من قتل زوجها وجنودها فطلبت الحية التي تكون بين الحجاز ومصر والشام وهي نوع من الحيات تراعي الانسان حتى اذا تمكنت من النظر الى عضو من اعضائه قفزت اذرعا كثيرة كالريح فلم تخط ذلك العضو بعينه حتى تتفل عليه سما فتأتي عليه ولا يعلم بها لخموده من فوره ويتوهم الناس انه قد مات فجأة حتف أنفه ورأيت نوعا من هذه الحيات بين بلاد خوزستان من كور الاهواز لمن أراد بلاد فارس من البصرة وهو الموضع المعروف بحام دوبة بين مدينة دورق وبلاد الباسيان والعندم في الماء

 وهي حيات شبرية وتدعى هنالك القبرية ذات رأسين تكون في الرمل وفي جوف تراب الارض فاذا أحست

بدمشق رحمه الله تعالى * والقاضي ابن المرخم المذكور هو الذي يقول فيه أبو القاسم هبة الله
ابن فضل الشاعر المعروف بابن القطان

يا ابن المرخم صرت فينا قاضيا * خرف الزمان تراه أم جن الفلك
ان كنت تحكم بالنجوم فربما * أما بشرع محمد من أين لك

وكان أبو الحكم المذكور فاضلا في العلوم الحكمية متقنا للصناعة الطبية حسن النادرة كثير
المداعبة محبا اللهو والخلاعة والشراب وكان يعرف صنعة الموسيقى ويلعب بالعود
ويجلس في دكان يحضرون للطب وسكناه بالابادين وأتى في ديوانه نهج الوضاعة بكل غريب
يدل على انه أريب سامحه الله تعالى وغفر له *(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق)*
من هو الاحق بالتقديم والسبق الشهير عند أهل الغرب والشرق الحافظ المقرى الامام
الرباني أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الاموي مولاهم القرطبي
صاحب التصانيف التي منها المقنع والتيسير وعرف بالداني لسكناه دانية وولد سنة ٣٧١
وابتدأ بطلب العلم سنة ٣٨٧ ورحل الى المشرق سنة ٣٩٧ فمكث بالقيروان أربعة أشهر ودخل
مصر في شوالها فمكث بها سنة وحج ورجع الى الاندلس في ذي القعدة سنة ٣٩٩ وقرأ
بالروايات على عبد العزيز بن جعفر الفارسي وغيره بقرطبة وعلى أبي الحسن بن غلبون وخلف
ابن خاقان المصري وأبي الفتح فارس بن أحمد وسمع من أبي مسلم الكاتب وهو أكبر شيخ له
ومن عبد الرحمن بن عثمان القشيري وحاتم بن عبد الله البزاز وغير واحد من أهل مصر وسواها
وسمع من الامام أبي الحسن القابسي وخلف كتبه بالحجاز ومصر والمغرب والاندلس وتلا عليه
خلق منهم مفرج الاقفالي وأبو داود بن نجاح صاحب التنزيل في الرسم وهو من أشهر تلامذته
وحدث عنه خلق كثير منهم خلف بن ابراهيم الطليطلي قال أبو محمد عبيد الله الحجري ذكر بعض
الشيوخ أنه لم يكن في عصر الحافظ أبي عمرو الداني ولا بعد عصره أحد يدانيه ولا يضاهيه في
حفظه وتحقيقه وكان يقول ما رأيت شيأ قط الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته فنسيته
قال ابن بشكوال كان أبو عمرو أحد الائمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه
واعرابه وجمع في ذلك كله تواليف حسانا وله معرفة بالحديث وطرقه واعرابه وأسماء
رجاله وكان حسن الخط والضبط من أهل الحفظ والذكاء والتقين وكان دينا فاضلا ورعا سنيا
وقال بعضهم وأظنه المغامي كان أبو عمرو مجاب الدعوة مالكي المذهب وقال بعض أهل مكة
ان أبا عمرو الداني مقرئ متقدم واليه المنتهى في علم القراآت واتقان القرآن والقراء
خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله في القراآت والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير
ذلك له مائة وعشرون مصنفا وروى عنه بالاجازة رجلان أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني
وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبي حمزة وكانت وفاته رحمه الله تعالى بدانية في نصف
شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة *(ومنهم أبو محمد عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد
ابن أبي حبيب الاندلسي) من بيت علم ووزارة صرف عمره في طلب العلم في الفقه والحديث
والادب وولي القضاء بالاندلس مرة ثم دخل الاسكندرية ومصر وجاور بمكة المشرفة ثم قدم
العراق وأقام ببغداد مدة ثم وافى خراسان فأقام بنيسابور وبلخ وكانت ولادته ببلاد الاندلس

بالانسان أوغيره من الحيوان وثبت من موضعها أذرعا كثيرة فضربت باحدى رأسيها
الى أي موضع من ذلك
الحيوان فتلحقه من ساعته
ضد الحياة وعدمها الحية
فبعثت قلبطره هذه الملكة
فاحتملها حية من هذه
المقدم ذكرها التي توجد
باطراف الحجاز فلما أن
كان اليوم الذي علمت أن
أغسطس يدخل قصر
ملكها أمرت بعض جواريها
ومن أحبت فناءها قبلها
وأن لا يلحقها العذاب
بعدها فسمتها في انائها
فخمدت من فورها ثم
جلست قلبطره الملكة على
سرير ملكها ووضعت
تاجها على رأسها وعليها
ثيابها وزينة ملكها وجعلت
أنواع الرياحين والزهر
والفاكهة والطيب وما
يجمع بمصر من عجائب
الرياحين وغيرها مما ذكرنا
مبسوطة في مجلسها وقدام
سريرها وعهدت بما
احتاجت اليه من أمورها
وفرقت حشمها من حولها
فاشتغلوا بأنفسهم عن
ملكتهم لما قد غشيهم
من عدوهم ودخوله عليهم
في دار ملكهم وأدنت يدها
من الاناء الزجاج الذي
كانت فيه الحية فقربت
يدها منه فتفلت عليها
الحية فخفت مكانها
وانسابت الحية وخرجت من الاناء ولم تجد جحرا ولا منفذا تذهب فيه لاتقان تلك المجالس بالرخام

وتوفي

وتوفي بهراة في شعبان سنة ٥٤٨ رحمه الله تعالى ورضي عنه (ومنهم أبو العباس احمد بن علي بن محمد بن علي بن شكر الاندلسي المقري) رحل وأخذ القرآت عن أبي الفضل جعفر الهمداني وسمع من أبي القاسم بن عيسى وسكن الفيوم واختصر التيسير وصنف شرحا للشاطبية وتوفي سنة ٦٤٠ رحمه الله تعالى * (ومنهم العلامة ذو الفنون علم الدين القاسم بن أحمد المرسي اللورقي المقري النحوي) ولد سنة ٥٧٥ وقرأ القراآت وأحكم العربية وبرع فيها واجتمع بالجزولي وسأله عن مسئلة في مقدمته وقرأ علم الكلام والاصولين والفلسفة وكان خبيرا بهذه العلوم مقصودا باقرائها وولي مشيخة قراءة العادلية ودرس بالعزيزية نيابة وصنف شرحا للشاطبية وشرحا للمفصل في عدة مجلدات وشرح الجزولية وغير ذلك وكان مليح الشكل حسن البزة وتوفي سنة ٦٦١ رحمه الله تعالى ورضي عنه * (ومنهم أبو عبد الله بن أبي الربيع القيسي الاندلسي الغرناطي) قدم مصر سنة ٥١٥ أو بعدها وسمع على السلفي وقراءته على جماعة من شيوخ مصر وكان لديه فقه وأدب ثم سافر الى باب الابواب وكان حيا سنة ٥٥٦ ومن نظمه يمدح كتاب الشهاب

ان الشهاب له فضل على الكتب * بما حوى من كلام المصطفى العربي
كم ضم من حكمة غرا وموعظة * ومن وعيد ومن وعد ومن أدب
أما القضاعي فالرحمن يرحمه * كما حباه من التأليف بالعجب

* (ومنهم الحافظ أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى القرشي العبدري) من أهل ميورقة من بلاد الاندلس سكن بغداد وسمع بها من أبي الفضل بن خيرون وطراد الزينبي وأبي عبد الله الحميدي وجماعة ولم يزل يسمع الى حين وفاته وكتب بخطه كثيرا من الكتب والاجزاء وجمع وخرج وكان صحيح العقل معتمد الضبط مرجوعا اليه في الاتقان وكفاه فخرا وشرفا أن روى عنه الحافظان أبو طاهر السلفي وأبو الفضل محمد بن ناصر وكان فهاما علامة ذا معرفة بالحديث متعففا مع فقره وكان يذهب الى أن المناولة والعرض كالسماع وقال السلفي فيه انه من اعيان علماء الاسلام بمدينة السلام متصرف في فنون من العلم ادبا ونحوا ومعرفة بانساب العرب والمحدثين وكان داودي المذهب قرشي النسب وقد كتب عني وكتبت عنه وسمعنا معا كثيرا على شيوخ بغداد ومولده بقرطبة من مدن الاندلس وقبل اجتماعي به كنت أسمع اسمعيل بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يثني عليه فلما اجتمعنا وجدته فوق ماوصفه انتهى وقال ابن عساكر كان احفظ شيخ لقيته وروى بما حكى عنه بعضهم كابن عساكر امورا منكرة فالله اعلم وتوفي في ربيع الآخر سنة ٥٢٤ ببغداد رحمه الله تعالى * (ومنهم ابو عبد الله محمد بن سعدون الباجي) سمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وابن رشيق وبمكة من الآجري وكان صالحا فاضلا زاهدا ورعا حدث ومات ببطليوس فجاة سنة ٣٩٢ ومولده سنة ٣٢٢ * (ومنهم ابو بكر محمد بن سعدون التميمي الجزيري المتعبد) كانت آدابه كثيرة وحج غير مرة ورابط ببلاد المغرب وكان حسن الصوت بالقرآن سمع بمصر من جماعة وبمكة وصحب الفقراء وطاف بالشام وغزا غزوات وتعرض للجهاد وحرض عليه وساح بجبل المقطم وذكر أنه صلى بعصر الضحى اثنتي عشرة ركعة ثم نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان

والتاج على رأسها فلم يشك في انها تنطق فدنا منها فتبين انها ميتة فتعجب بتلك الرياحين هدية الى كل نوع منها باسمه وتبينه ويعجب خواص من معه به ولم يدر ماسبب موتها فبينماهو كذلك من تناول تلك الرياحين وشمها اذ قفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها فيبس شقه من ساعته وذهب بصره الايمن وسمعه فتعجب من فعلها وقتلها النفسها وايثارها الموت على الحياة مع الذل ثم ما كادته به من القاء الحية بين الرياحين فقال في ذلك شعرا بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها وأقام بعد ما نزل به ماذكرنا يوما وهلك ولولا أن الحية كانت قد أفرغت سمها على الجارية ثم على قلبطره الملكة لكان أغسطس قد هلك من ساعته ولم تمهله هذه المدة وهذا الشعر معروف عند الروم الى هذه الغاية يذكرونه في يومهم ويرثون به ملوكهم وربما ذكروه في اغانيهم وهو متعالم معروف عندهم وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا سير هؤلاء الملوك وأخبارهم وحروبهم وطوافهم البلاد وأخبار حكمائهم وما أحدثوه من الآراء والنحل ومقاتل فلاسفتهم وغير ذلك من أشرارهم وعجيب

مالك والليث اختلفا في الضحى فمالك يقول ثنتا عشرة ركعة والليث يقول ثمانية فضرب عليه الصلاة والسلام بين وركي ابن سعدون وقال رأي مالك هو الصواب ثلاث مرات قال وكان في وركي وجع فمن تلك الليلة زال عني وكان له براهين من نور يضيء عليه اذا صلى ونحوه وأنشد

سجن اللسان هو السلامة للفتى * من كل نازلة لها استئصال
ان اللسان اذا حللت عقاله * ألقاك في شنعاء ليس تقال

توفي سنة ٣٤٤ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعد الاعرج الطايطلي الخطيب) ويقال فيه ابن سعيد سمع بمصر ابن الورد وابن السكن وحدث مولده سنة ٣٠٩ وتوفي في ربيع الآخر سنة ٣٨٤ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن اسحق بن يوسف الاموي القرطبي) وأصله من لبلة ولكن سكن قرطبة وقدم مصر وحج وسمع في طريقه من الشيخ أبي محمد بن أبي زيد صاحب الرسالة وأخذ عن القابسي وعن جماعة من علماء مصر والحجاز ومولده سنة ٣٥٢ ورحلته سنة ٤١٨ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حسان بن الحكم بن هشام القرطبي) سمع من أبيه ويحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب ورحل فسمع من أشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم وعاد الى الاندلس وبها توفي سنة ٢٦٠ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي نزيل اسكندرية ويعرف بابن أبي الربيع) أحد أولياء الله تعالى شيخ الصالحين صاحب الكرامات المشهورة جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع الى الله تعالى والتخلي عن الناس والتمسك بطريقة السلف قرأ القرآن ببلده بالقراآت السبع على أبي عبد الله محمد بن سعادة الشاطبي وغيره وقرأ بدمشق على الواسطي وسمع عليه الحديث ورحل فسمع من الزاهد أبي يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ وسمع بدمشق على أبي القاسم بن صصرى وأبي المعالي بن خضر وأبي الوفاء بن عبد الحق وغيرهم وانقطع لعبادة الله تعالى في رباط سوار من الاسكندرية بتربة أبي العباس الراسي وتلمذ للشاطبي تلميذ الراسي وصنف كتبا حسنة منها كتاب المسلك القريب في ترتيب الغريب وكتاب اللمعة الجامعة في العلوم النافعة في تفسير القرآن العزيز وكتاب شرف المراتب والمنازل في معرفة العالي في القراآت والنازل وكتاب المباحث السنية في شرح الحصرية وكتاب الحرقة في الباس الخرقة وكتاب المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد وكتاب النبذ الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية وكتاب زهر العريش في تحريم الحشيش وكتاب الزهر الماضي في مناقب الشاطبي وكتاب الاربعين المضية في الاحاديث النبوية ومولده بشاطبة سنة ٥٨٥ ووفاته بالاسكندرية في رمضان سنة ٦٧٢ ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته رحمهما الله تعالى ونفع بهما *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الاشبيلي) قدم مصر وسمع بها من ابن نفيس وأبي علي الحسن البغدادي وأبي جعفر النحوي وأبي القاسم بن الطيب البغدادي الكاتب وبمكة من أبي ذر الهروي قال ابن بشكوال كان من جلة المقربين وخيارهم ثقة في روايته وكانت رحلته الى المشرق سنة ٤٢٣ وولد سنة ٣٩٢ وتوفي سنة ٤٧٦ وعمره

أخبارهم والذي يعوّل عليه من عدد ملوكهم واتفق على ذلك أهل المعرفة بأخبارهم أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكا آخرهم الملكة قلبطرة وأن جميع عدد سني ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وسنة واحدة وكان كل ملك يملك على اليونانيين من بعد الاسكندر فيلبش يسمى بطلميوس وهذا الاسم الاعم الشامل لملوكهم كتسمية ملوك الفرس كسرى وتسمية ملوك الروم قيصر وتسمية ملوك اليمن تبع وتسمية ملوك الحبشة النجاشي وتسمية ملوك الزنج وقليمن وقد ذكرنا جملا من مراتب ملوك العالم وسماتهم واسمهم الاعم الشامل لهم فيما سلف من كتابنا وسنورد بعد هذا الموضع بالموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا عن ذكر الملوك والممالك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الروم وما قاله الناس في أنسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم)

تنازع الناس في الروم ولأية علة سموا بهذا الاسم فمنهم من قال سموا روما لاضافتهم الى مدينة رومية واسمها روماس بالرومية وعرب هذا الاسم فسمي من كان بها روما وكذلك الروم في لغتهم لا يسمون أنفسهم ولا يدعون أهل الثغور

أربع وثمانون سنة الاخمسة وخمسين يوما وروى باشبيلية عن جماعة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح الانصاري المالقي) قال السلفي هو شاب من أهل الادب له خاطر سمع كان يحضر عندي بالاسكندرية كثير السماع للحديث وذكر أنه قرأ الادب على أبي الحسين بن الطراوة النحوي بالاندلس وعلى نظرائه وأنشدني لنفسه

كم ذا تقلقلني النوى وتسوقني * والى متى أشجى بها وأسام
ألفت ركائبي الفلا فكأنما * للبين عهد بيننا وذمام
يا ويح قلبي من فراق أحبة * أبدا تصدعه به الايام

*(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الاندلسي المالكي) رحل الى المشرق فسمع بالشام من خيثمة بن سليمان وبمكة أبا سعيد بن الاعرابي وببغداد محمد بن اسمعيل بن محمد الصفار وسمع بالمغرب بكر بن حماد التاهرتي ومحمد بن وضاح وقاسم بن اصبغ وغيرهم وبمصر جماعة من أصحاب يونس والمزني روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا به بهمذان مات ببخارى سنة ٣٨٣ وقيل سنة ثمان وقيل سنة تسع وسبعين وقال فيه أبو سعيد الادلسي انه كان من أفاضل الناس ومن ثقاتهم وقال غنجار انه كان فقيها حافظا جمع تاريخا لاهل الاندلس وقال السمعاني فيه كان فقيها حافظا رحل في طلب العلم الى المشرق والمغرب رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر علي بن عيسى الخزرجي الداني النحوي أخو أبي العباس بن عيسى) سمع بدانية من أبي داود المقري وغيره وقدم دمشق سنة ٥٥٤ حين خرج حاجا وأقر أبدمشق النحو مدة ثم خرج الى بغداد وأقام بها الى أن مات سنة ٦١٩ وولد سنة ٥١٢ وقدم مصر سنة ٥٧٢ وله من المصنفات كتاب تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب ومن كلامه ليست هيبة الشيخ لشيبه ولا لسنه ولا لشخصه ولكن لكمال عقله والعقل هو المهاب ولو رأيت شخصا جمع جميع الخصال وعدم العقل لما هبته وقال من جهل شيأ عابه ومن قصر عن شئ هابه *(ومنهم القاضي الشهير محمد بن بشير وهو محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافري) وقيل في آبائه غير ذلك كما يأتي ولما أشير على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بتقديم ابن بشير الى خطة القضاء بقرطبة وجه اليه بباجة فأقبل ولا يعلم ما دعي اليه ونزل على صديق له من العباد فتحدث في شأن استدعائه وقدم أنه يعرف فن الكتابة فقال له العابد ما أراه بعث فيك الا للقضاء فان القاضي بقرطبة مات وهي الآن دون قاض فقال ابن بشير فأنا أستشيرك في ذلك ان وقع فقال أسألك عن أشياء ثلاثة وأعزم عليك أن تصدقني فيها ثم أشير بعد ذلك عليك فقال ما هي فقال كيف حبك للاكل الطيب واللباس اللين وركوب الفاره فقال والله لا أبالي ما رددت به جوعي وسترت به عورتي وحملت به رحلي فقال هذه واحدة فكيف حبك للتمتع بالوجوه الحسان والتبطن للكواعب الغيد وما شاكل ذلك من الشهوات فقال هذه حال والله ما استشرفت قط اليها ولا خطرت ببالي ولا اكترثت لفقدها فقال وهذه ثانية فكيف حبك لمدح الناس لك وثنائهم عليك وكيف حبك للولاية وكراهيتك للعزل فقال والله ما أبالي في الحق من مدحني أو ذمني وما أسر للولاية ولا أستوحش للعزل فقال وهذه

ابن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ومنهم من رأى انهم سموا باسم جدهم رومي بن ليطن بن يونان بن يافث بن بريه بن سرحون بن رومية بن مربط بن نوفل بن روبن بن الاصفر بن اليغز بن العيص ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وتذكر جماعة ممن سلف من شعراء العرب قبل ظهور الاسلام ذلك الاشتهار ما وصفنا فيهم منهم عدي بن زيد العبادي حيث يقول

وبنو الاصفر الكرام ملوك الر * وم لم يبق منهم مذكور

وقد كان العيص بن اسحق وهو عيصو تزوج من بنات الكنعانيين فأكثر أولاده منهم وقد قيل ان العماليق وهم العرب البادية الذين كانوا بالشام من ولد اليغز ابن عيصو وهذا مالا ينقاد اليه علماء العرب الا في الروم دون ما ذكرنا من العماليق وغيرهم وهذه الانساب كلها تتعلق بما في التوراة وغيرها من كتب العبرانيين (قال المسعودي) وغلبت الروم على ملك اليونانيين لاخبار يطول ذكرها ويتعذر في هذا الكتاب

شرحها وكان أول من ملك من ملوك الروم فيها ساطوحاس وهو جانيوس الاصغر ابن روم بن شماحلين

لنا انه اقبل الولاية فلا باس عليك فقدم قرطبة فولاه الامير الحكم القضاء والصلاة قال ابن
وضاح أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة
وعليه رداء معصفر وفي رجله نعل صرارة وله جمة مفرقة ثم يقوم فيخطب و يصلي وهو في
هذا الزي و به كان يجلس للقضاء بين الناس فان رام أحد من دينه شيأ وجده أبعد من الثريا
وأتاه رجل لا يعرفه فلما رأى ماهو فيه من زي الحداثة من الجمة المفرقة والرداء المعصفر
وظهور الكحل والسواك وأثر الحناء في يديه توقف وقال دلوني على القاضي فقيل له هاهو
وأشير اليه فقال اني رجل غريب وأراكم تستهزؤن بي أنا أسألكم عن القاضي وأنتم تدلوني
على زامر فصحوا به أنه القاضي فتقدم اليه واعتذر فأدناه وتحدث معه فوجد عنده من العدل
والانصاف فوق ماظنه فكان يحدث بقصته معه وعوتب في ارساله لمته ولبسه الخز
والمعصفر فقال حدثني مالك بن أنس أن محمد بن المنكدر وكان سيد القراء كانت له لمة وأن
هشام بن عروة فقيه هذا البلد يعني المدينة كان يلبس المعصفر وأن القاسم بن محمد كان
يلبس الخز ولقد سئل يحيى بن يحيى عن لباس العمائم فقال هي لباس الناس في المشرق
وعليه كان امرهم في القديم فقيل له لو لبستها لاتبعك الناس في لباسها فقال قد لبس محمد بن
بشير الخز فما تبعه الناس فيه وكان ابن بشير أهلا أن يقتدى به فلعلي لو لبست العمامة لتركني
الناس ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير وكان أول ما نظر فيه محمد بن بشير حين ولي القضاء
التسجيل على الخليفة الحكم في ارحاء القنطرة اذ قيم عليه فيها وثبت عنده حق المدعي وأعذر
الى الحكم فلم يكن عنده مدفع فسجل فيها وأشهد على نفسه فما مضت مديدة حتى ابتاعها
الحكم ابتياعا صحيحا فسر بذلك وقال رحم الله محمد بن بشير فلقد أحسن فيما فعل بنا على كره
منا كان في أيدينا شيء مشتبه فصححه لنا وصار حلالا طيب الملك في أعقابنا وحكم على ابن
فطيس الوزير ولم يعرفه بالشهود فرفع الوزير ذلك الى الحكم وتظلم من ابن بشير فأومأ الحكم
اليه ان الوزير كره حكمك عليه بشهادة قوم لم تعرفه بهم ولا اعذرت اليه فيهم وان أهل
العلم يقولون ان ذلك له فكتب اليه ابن بشير ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه لانه
ان لم يجد سبيلا الى تجريحهم لم يتحرج عن طلب أذاهم في أنفسهم وأموالهم فيدعون
الشهادة هم ومن اشتبه بهم وتضييع أموال الناس وأكثر موسى بن سماعة أحد خواص
الامير الحكم في ابن بشير الشكاية وأنه يجور عليه فقال له الحكم أنا امتحن قولك الساعة
فاخرج اليه فورا واستاذن عليه فان اذن لك عزلته وصدقت قولك فيه وان لم يأذن لك
دون خصمك ازددت بصيرة فيه فليس هو عندي بجائر على حال وانما مقصده الحق في كل
ما يتصرف فيه فخرج يؤم دار ابن بشير وقد أمر الحكم من يثق به من الفتيان الصقالبة
أن يقفوا أثره ويعلموا ما يكون منه فلم يكن الا ريثما بلغ ثم انصرف فحكي للحكم أنه لما خرج
الآذن الى موسى وعلم القاضي بمكانه عاد اليه فقال له ان كانت لك حاجة فاقصد فيها اذا
جلس القاضي مجلس القضاء فتبسم الحكم وقال قد أعلمته أن ابن بشير صاحب حق
لا هوادة فيه عنده لاحد * وولي القضاء مرتين فلما عزل المرة الاولى انصرف الى بلده وكان
بعض اخوانه يعاتبه في صلابته و يقول له أخشى عليك العزل فيقول له ليته قد ران

كان ملكه اثنتين وعشرين سنة وقد قيل ان أوّل من ملك من ملوك الروم قيصر واسمه هالوس
ابن افليوس ثمان عشرة
سنة وفي نسخة أخرى ان
أوّل من ملك من ملوك
الروم بعد اليونانيين بوليس
سبع سنين ونصفا وكانت
مدينة رومية بنيت قبل
الروم بأربعمائة سنة (ثم
ملك) بعده أغسطس بن
قيصر ستا وخمسين سنة
وهذا الملك هو الاوّل من
ملوك الروم واسمه قيصر
وهو الثاني من ملوكهم
وتفسير قيصر أي شق عنه
وذلك ان امه ماتت وهي
حامل به فشق بطنها فكان
هذا الملك يفتخر في وقته
بان النساء لم تلده وكذلك
من حدث بعده من ملوك
الروم ممن كان من ولده
يفتخرون بهذا الفعل وما
كان من أنهم فصارت
سمة لمن طرأ بعده من
ملوك الروم والله أعلم * وغزا
هذا الملك الشام ومصر
والاسكندرية وأزال من
بقي من ملوك الاسكندرية
ومقدونية وهي مصر وقد
قدمنا ان كل ملك كان
على مقدونية والاسكندرية
يسمى بطليموس واحتوى
هذا الملك أعني أغسطس
على خزائن ملوك الاسكندرية
ومقدونية ونقلها الى
رومية وكانت له حروب
كثيرة في الارض وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكان يعبد الاوثان وبنى بأرض الروم

الشقراء يعني بغلته تقطع الطريق بي حادة نحو باجة فما مضى الا يسير حتى عتب عليه الامير في قصة اشتد فيها على بعض خاصته فكانت سببا لعزله وانصرف كما هي فلم يمكث الا يسيرا حتى أتى فيه رقاص من قبل الامير الحكم والرقاص عند المغاربة هو الساعي عند المشارقة فعاد الى قرطبة وجبره على القعود للقضاء الامير الحكم فلاذ منه باليمين بطلاق زوجته وبصدقة ما يملك في سبيل الله تعالى ان حكم بين اثنين فلم يعذره وأخرجه من ماله وعوضه من طيب ما عنده ووهب له جارية من جواريه فعاد الى القضاء ثانية ❊ ومما يحكى عنه في العدل ان سعيد الخير ابن السلطان عبد الرحمن الداخل وكل عند ابن بشير وكيلا يخاصم عنه لشئ اضطر اليه وكانت بيده فيه وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ولم يكن فيها من الاحياء الا الامير الحكم وشاهد آخر مبرز فشهد لسعيد الخير ذلك الشاهد وضربت على وكيله الآجال في شاهد ثان وجد به الخصام فدخل سعيد الخير بالكتاب الى الحكم وأراه شهادته في الوثيقة وقد كان كتبها قبل الخلافة في حياة أبيه وعرفه مكان حاجته الى ادائها عند قاضيه خوفا من بطلان حقه وكان الحكم يعظم سعيد الخير عمه ويلتزم مبرته فقال له يا عم انا لسنا من أهل الشهادات وقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله ونخشى أن توقفنا مع القاضي موقف مخزاة كنا نفديه بملكنا فصر في خصامك حيث صيرك الحق اليه وعلينا خلف ما انتقصك فأبى عليه وقال سبحان الله وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك وأنت وليته وهو حسنة من حسناتك وقد لزمتك في الديانة أن تشهد لي بما علمته ولا تكتمني ما أخذ الله عليك فقال بلى ان ذلك لمن حقك كما تقول ولكنك تدخل علينا به داخلة فان أعفيتنا منه فهو أحب الينا وان اضطررتنا لم يمكنا عقوقك فعزم عليه عزم من لم يشك أن قد ظفر بحاجته وضايقته الآجال فألح عليه فأرسل الحكم عند ذلك الى فقيهين من فقهاء زمانه وخط شهادته بيده في قرطاس وختم عليها بخاتمه ودفعها الى الفقيهين وقال لهما هذه شهادتي بخطي تحت ختمي فأدياها الى القاضي فأتياه بها الى مجلسه وقت قعوده للسماع من الشهود فأدياها اليه فقال لهما قد سمعت منكما فقوما راشدين في حفظ الله تعالى وجاء وكيل سعيد الخير وتقدم اليه مدلا واثقا وقال له أيها القاضي قد شهد عندك الامير أصلحه الله تعالى فما تقول فأخذ كتاب الشهادة ونظر فيه ثم قال للوكيل هذه شهادة لا تعمل عندي فجئني بشاهد عدل فدهش الوكيل ومضى الى سعيد الخير فأعلمه فركب من فوره الى الحكم وقال ذهب سلطاننا وأزيل بهاؤنا يجترئ هذا القاضي على رد شهادتك والله سبحانه قد استخلفك على عباده وجعل الامر في دمائهم وأموالهم اليك هذا ما يجب أن تحمله عليه وجعل يغريه بالقاضي ويحرضه على الايقاع به فقال له الحكم وهل شككت أنا في هذا يا عم القاضي رجل صالح والله لا تأخذه في الله لومة لائم فعل ما يجب عليه ويلزمه وسد دونه بابا كان يصعب عليه الدخول منه فأحسن الله تعالى جزاءه فغضب سعيد الخير وقال هذا حسبي منك فقال له نعم قد قضيت الذي كان لك علي ولست والله أعارض القاضي فيما احتاط به لنفسه ولا أخون المسلمين في قبض يد مثله ولما عوتب ابن بشير فيما أتاه من ذلك قال لمن عاتبه يا عاجز أما تعلم أنه لابد من الاعذار في الشهادات فمن كان يجترئ على الدفع في شهادة الامير لو

مدنا وكور كورا نسبت تلك المدن اليه منها قيسارية وكذلك بالشام بساحل فلسطين مدينة قيسارية وكان مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بها وهو يسوع الناصري على حسب ما قدمنا الاثنتين وأربعين سنة خلت من ملك قيصر أغسطس هذا فكان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ورأيت بمدينة انطاكية في بعض تواريخ الروم الملكية في كنيسة القسيان أنه كان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع سنين وكان مولد يسوع الناصري بايليا من بلاد فلسطين وهو أورشليم بالعبرانية في هبوط آدم الى مولد المسيح في تواريخ اصحاب الشرائع من أهل الكتب خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وخمسون سنة وأقام اغسطس وهو قيصر ملكا بعد مولد المسيح أربع عشرة سنة ونصفا وكان مدة ملكه على الروم برومية وفي سائر أسفاره ستة وخمسين سنة على حسب ما قدمنا من موته ولسع الحية اياه بقدونية وجفاف نصفه وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا لفعل قلبطره بنفسها في الباب الذي قبل هذا الباب

(ثم ملك الروم بعده) طيماريوس وكان مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة والثلاث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح

قبلتها ولو لم أعذر لبخست المشهود عليه حقه * وتوفي القاضي محمد بن بشير سنة ١٩٨ قبل الشافعي بست سنين كما يأتي قريبا ومحاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وقد استوفى ترجمته بقدر الامكان القاضي عياض في المدارك فليراجعها من أرادها فان عهدي بها في المغرب *

وقال بعض من عرف به ما نصه القاضي محمد بن بشير بن شمد المعافري أصله من جند باجة من عرب مصر ولاه الحكم بن هشام قضاء القضاة الذي يعبرون عنه بالمغرب بقضاء الجماعة بقرطبة بعد المصعب بن عمران ثم صرفه وولى مكانه الفرج بن كنانة وعن ابن حارث قال أحمد بن خالد طلب محمد بن بشير العلم بقرطبة عند شيوخ أهلها حتى أخذ منه بحظ وافر ثم كتب لاحد أولاد عبد الملك بن مروان لمظلمة نالته على وجه الاعتصام به وتصرف معه تصرفا لطيفا ثم انقبض عنه وخرج حاجا قال ابن حارث وكتب محمد بن بشير في حداثته للقاضي مصعب بن عمران ثم خرج حاجا فلقي مالك بن أنس وجالسه وسمع منه وطلب العلم أيضا بمصر ثم انصرف فلزم ضيعته في باجة وقال ابن حيان انه استقدم من باجة للقضاء برأي العباس بن عبد الملك وقال ابن شعبان في الرواة عن مالك من أهل الاندلس محمد بن بشير ابن سرافيل ويقال شراحيل ولي القضاء وكان رجلا صالحا وبعدله تضرب الامثال واستوطن قرطبة وتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائة انتهى وبعضه عن غيره ومن شعره قوله

انما أزرى بقدري أنني * لست من بابة أهل البلد
ليس منهم غير ذي مقلية * لذوي الالباب أو ذي حسد
يتحامون لقائي مثلما * يتحامون لقاء الاسد
مطلعي أثقل في أعينهم * وعلى أنفسهم من أحد
لو رأوني وسط بحر لم يكن * أحد يأخذ منهم بيدي

*(ومنهم محمد بن عيسى بن دينار الغافقي) من أهل قرطبة كان فقيها زاهدا ورعا وحضر افتتاح اقريطش واستوطنها قاله الرازي *(ومنهم محمد بن يحيى بن يحيى الليثي) خرج حاجا ولقي سحنون بن سعيد بافريقية ولقي بمصر رجالا من أصحاب مالك فسمع منهم وعرف بالفقه والزهد وجاور بمكة وتوفي هنالك *(ومنهم محمد بن مروان بن خطاب المعروف بابن أبي جمرة) رحل حاجا هو وابناه خطاب وعميرة في سنة اثنتين وعشرين ومائتين وسمعوا ثلاثتهم من سحنون بن سعيد المدونة بالقيروان وأدركوا أصبغ بن الفرج وأخذوا عنه *(ومنهم محمد بن أبي قلاعة البواب من أهل قرطبة) كانت له رحلة الى المشرق ولقي فيها جماعة من أهل العلم وأخذ عن أبي اسحق الزجاجي وعن أبي بكر بن الانباري وعن أبي الحسن علي بن سليمان الاخفش وأبي عبد الله نفطويه وغيرهم وسمع من الاخفش الكامل للمبرد وقال الحكم المستنصر لم يصح كتاب الكامل عندنا من رواية الا من قبل ابن أبي قلاعة وكان ابن جابر الاشبيلي قد رواه قبل بمصر بعدة وما علمت أحدا رواه غيرهما وكان ابن الاحمر القرشي يذكر انه رواه وكان صدوقا ولكن كتابه ضاع ولو حضر ضاهى الرجلين المتقدمين *(ومنهم محمد بن حزم بن بكر التنوخي) من أهل طليطلة وسكن قرطبة يعرف بابن المديني سمع من أحمد بن خالد وغيره وصحب محمد بن مرة الجبلي قديما واختص بمرافقته في

طريق

عليه السلام ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت فاقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع في الملك مائتي سنة وثمانية وتسعين سنة لا نظام لهم ولا ملك يجمعهم ولما انقضى ما ذكرنا من المدة ملكوا عليهم بطاريس بمدينة رومية فكان ملكه أربع سنين والقوم لا يعرفون غير عبادة التماثيل والصور (ثم ملك بعده) فلوريوس أربع عشرة سنة وذلك برومية وهو أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى وأتباع المسيح وقيل ان في أيامه قتل برومية بطرس واسمه باليونانية شمعون والعرب تسميه سمعان هو وبولس صلبا منكسين وما كان من خبرهما مع سيمن الساحر برومية وهما ممن أتى الى أنطاكية وأخبر الله عز وجل عنهما في سورة يس ثم كان لهما بعد ذلك نبأ عظيم وذلك بعد ظهور دين النصرانية برومية فجعلا في أجربة من البلور فهما على ذلك بمدينة رومية في بعض الكنائس الى هذه الغاية على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وأكثر من عني بأخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم فذهب قوم الى أنهما قتلا برومية في ملك الخامس من ملوك الروم وتفرق تلاميذ يسوع الناصري في الارض فسار ماري الى العراق

طر بي الحج ولازمه بعد انصرافه وكان من أهل الورع والانقباض وحكي عن ابن مسرة أنه كان في سكناه المدينة يتتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم قال ودلني بعض أهل المدينة على دار مارية أم ابراهيم سرية النبي صلى الله عليه وسلم فقصدت اليها فاذا هي دويرة لطيفة بين البساتين بشرقي المدينة عرضها وطولها واحد قد شق في وسطها بحائط وفرش على حائطها خشب غليظ يرتقي الى ذلك الفرش على خارج لطيف وفي أعلى ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبي صلى الله عليه وسلم في الصيف قال فرأيت أبا عبد الله بعد ماصلى في البيتين والسقيفة وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار ضرب أحد البيتين بشبره فكذلك فعله بعد انصرافي وهو ساكن في الجبل عن ذلك فقال هذا البيت الذي ترانى فيه بنيته على تلك الحكاية في العرض والطول بلا زيادة ولانقصان انتهى *(ومنهم محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائذ والد أبي زكريا الراوية من أهل طرطوشة يكنى أبا بكر تأدب بقرطبة وسمع بها من قاسم بن أصبغ ومحمد بن معاوية القرشي وأحمد بن سعيد ومنذر بن سعيد وأبي علي القالي وغيرهم وكان حافظا للنحو واللغة والشعر يفوت من جاراه على حداثة سنه شاعر المجيد امرسلا بليغا ورحل مع أبيه الى المشرق سنة تسع وأربعين وثلثمائة فسمع بمصر من ابن الورد وابن السكن وحمزة الكناني وغيرهم وسمع أيضا بالبصرة وبغداد كثيرا وخرج الى أرض فارس فسمع هنالك وجمع كتبا عظيمة وأقام بها الى أن توفي باصبهان مغتبطا مع السنين وثلثمائة ومولده بطرطوشة صدر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ذكره ابن حيان رحمه الله تعالى *(ومنهم محمد بن عبدون الجبلي العدوي من أهل قرطبة) أدب بالحساب والهندسة ورحل في سنة سبع وأربعين وثلثمائة فدخل مصر والبصرة وعني بعلم الطب فمهر فيه ودبر مارستان الفسطاط ثم رجع الى الاندلس في سنة ستين وثلثمائة فاتصل بالمستنصر بالله وابنه المؤيد بالله وله في التكسير تاليف حسن رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن الازدي الفراء القرطبي) صحب أبا بكر بن يحيى بن مجاهد واختص به ولطف محله منه وقرأ عليه القرآن ورحل بصحبته لاداء فريضة الحج وكان رجلا صالحا كثير التلاوة للقرآن والخشوع اذا قرأ بكى ورتل وبين في مهل ويقول أبو بكر علمني هذه القراءة وحكي انه سرد الصوم اثنتي عشرة سنة قبل موت ابن مجاهد مفطرا الكل ليلة وقت الافطار ثم تمادى على ذلك بعد موته مفطرا عقب العشاء الآخرة لالتزامه الصلاة من المغرب اليها تزيدا من الخير واجتهادا في العمل *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح المعافري الاندلسي) رحل الى المشرق فسمع خيثمة بن سليمان وأبا سعيد بن الاعرابي واسمعيل بن محمد الصفار وبكر بن حماد التاهرتي وغيرهم روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال اجتمعنا بهمذان سنة احدى وأربعين يعني وثلثمائة فتوجه منها الى أصبهان وكان قد سمع في بلاده وبمصر من أصحاب يونس وبالشام وبالحجاز وبالجزيرة من أصحاب علي بن حرب وببغداد وورد نيسابور في ذي الحجة سنة احدى وأربعين فسمع الكثير ثم خرج الى مرو ومنها الى بخارى فتوفي بها في رجب من سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وروى عنه أيضا أبو القاسم بن حبيب النيسابوري وغيرهما ذكره ابن عساكر وأسند اليه قوله

علي بن عيسى بن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب فقبره هنالك في كنيسة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعظمه أهل دين النصرانية ومضى توما وكان من الاثني عشر الى بلاد الهند داعيا الى شريعة المسيح فمات هنالك وسار آخر الى آخر مدينة بخراسان فمات هنالك وموضع قبره مشهور يعظمه النصارى ومنهم ارد مات ببلاد قوف وجا البحار وكرخ حران في تخوم العراق وموضعه مشهور ومات مارفس بالاسكندرية من أرض مصر وقبره هنالك وهو أحد التلاميذ الاربعة الذين ألفوا الانجيل وقد كان لمارقس مع أهل مصر خبر طريف في مقتله قد أتينا على السبب في ذلك في كتابنا الاوسط الذي كتابنا هذا تال له وأتينا على قصته مع أهل مصر ووصيته لهم حين أراد المسير الى المغرب أنه من جاءكم على صورتي فاقتلوه فانه سيرد عليكم بعدي أناس يتشبهون بي فبادروا الى قتلهم ولا تقبلوا منهم ما يقولون ومضى

وغاب عنهم برهة من الزمان ولم يلحق بحيث أراد فرجع اليهم لما هو ابقتله قال لهم ويحكم أنا

ودعت قلبي ساعة التوديع * وأطعت قلبي وهو غير مطيع
ان لم أشيعهم فقد شيعتهم * بمشيعين تنفسي ودموعي

وذكره ابن الفرضي وقال انه استوطن بخارى وجعل وفاته بها سنة ثمان وسبعين والاول قول الحاكم وهو أصح * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري السرقسطي) روى عنه الباجي وابن عبد البر ورحل حاجا فقدم دمشق وحدث بها عن شيوخه الاندلسيين وعن أبي حفص عمر بن أبي القاسم بن أبي زيد القفصي وذكره ابن عساكر وقال سمع عنه أبو محمد الاكفاني وحكى عنه تدليسا ضعفه به وتوفى سنة ٤٧٧ * (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عيسى بن بقاء الانصاري) من بلاد الثغر الشرقي أخذ القرا آت بالسبع وأخذ عنه جماعة من أهلها وكان شيخا فاضلا حافظا للحكايات قليل التكلف في اللباس ذكره ابن عساكر وقال رأيته وسمعته ينشد قصيدة يوم خرج الناس للمصلى للاستسقاء على المنبر أولها

أستغفر الله من ذنبي وان كبرا * وأستقل له شكرا وان كثرا

وكان يسكن في دار الحجارة ويقرئ بالمسجد الجامع ولد في الثاني والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة وتوفي يوم الاربعاء عند صلاة العصر ودفن يوم الخميس لصلاة الظهر الثاني من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ودفن في مقابر الصحابة بالقرب من قبر أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال وشهدت أنا غسله والصلاة عليه ودفنه وذكره السلفي * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر بن علي بن عيسى الانصاري الخزرجي) من أهل دانية سمع كتاب التقصي لابن عبد البر ولقي أبا الحسن الحصري ثم خرج حاجا فقدم دمشق سنة اربع وخمسمائة وأقام بها مدة يقرئ العربية وكان شديد الوسوسة في الوضوء ذكره ابن عساكر وقال أنشدني أخي أبو الحسن هبة الله بن الحسن الفقيه قال أنشدنا ابن طاهر الاندلسي بدمشق قال انشدني الحصري لنفسه

يموت من في الانام طرا * من طيب كان ومن خبيث
فمستريح ومستراح * منه كما جاء في الحديث

قال وأنشدني الحصري لنفسه

لو كان تحت الارض أو فوق الذرى * حر أتيح له العدو وأوذي
فاحذر عدوك وهو أهون هين * ان البعوضة أردت النمروذا

* (ومنهم محمد بن أبي سعيد الفرج بن عبد الله البزاز) من أهل سرقسطة لقي بدانية الحصري وسمع منه بعض منظومه ورحل حاجا فأدى الفريضة ودخل العراق فسمع من جماعة وأجازوا له منهم ابن خيرون والحميدي وأبو زكريا التبريزي وابن المبارك عبد الجبار وثابت بن بندار وهبة الله بن الاكفاني وغيرهم ونزل الاسكندرية وحدث بها وأخذ الناس عنه وتوفي هنالك وانشد للحصري

الناس كالارض ومنها هم * من خشن اللمس ومن لين
وتشتكي الارجل منها الوجى * والاثمد يجعل في الاعين

وروى عنه ابن الحضرمي وابن جارة وغيرهما * (ومنهم أبو بكر محمد بن الحسين) الشهير بالميورقي

تركك ولابد من قتلك فقتلوه وقد كان قبل ذلك سئل في بدء الامر عن البراهين المؤيدة لقوله وطلبوا منه المعجزات وقال له بعضهم ان كنت صادقا فيما أتيتنا به فاعرج الى هذه السماء ونحن نراك فنزع عنه زرثيابه واتزر بمئزر صوف على ان يصعد الى السماء فتعلق به جماعة من تلامذته وقالوا له ان مضيت فمن لنا بعدك اذ كنت الاب وكان أمره بعد ذلك على ما وصفنا وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذا واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين فاما الذين نقلوا الانجيل فهم لوقا ومارقس ويحيى ومتى ومنهم من الاثنين والسبعين لوقا ومتى وقد يعد متى أيضا في غير الاثني عشر ولا أدري ما معناهم في ذلك والاثنان اللذان من الاثني عشر يحيى بن سيداي ومارقس صاحب الاسكندرية والثالث الذي ورد انطاكية وقد تقدمه بطرس وتوما وهو بولس وهو الثالث المذكور في القرآن بقوله تعالى فعززنا بثالث قال وليس في سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر لان مارقس اباح لهم ذلك (ثم ملك الروم) نيرون واستقام ملكه ورغب على حسب

بالميورقي لان أصله منها وسكن غرناطة وروى عن أبي على الصدفي ورحل حاجا فسمع بمكة من أبي الفتح عبدالله بن محمد البياضي وأبي نصر عبدالملك بن أبي مسلم النهاوندي في شوال وذي القعدة من سنة ٥١٧ وبالاسكندرية من أبي عبدالله الرازي وأبي الحسن بن مشرف وأبي بكر الطرطوشي وغيرهم وعاد الى الاندلس بعد مدة طويلة فحدث في غيرما بلد من بلدانها وكان فقيها ظاهريا عارفا بالحديث وأسماء الرجال متقنا لما رواه يغلب عليه الزهد والصلاح روى عنه أبو عبدالله النميري الحافظ ويقول فيه الازدي تدليسا الان الانصار من الازد وأبو بكر بن رزق وأبو عبدالله بن عبدالرحيم وابن عبدالمنعم وسواهم وصار أخيرا الى بجاية هاربا من صاحب المغرب حينئذ بعد أن حمل اليه هو وأبو العباس بن العريف وأبو الحكم بن برجان وحدث هنالك وسمع منه في سنة ٥٣٧ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو الحسن محمد بن عبدالرحمن بن الطفيل العبدي الاشبيلي) ويعرف بابن عظيمة أخذ القرآآت عن أبي عبدالله السرقسطي وروى عن أبي عبدالله الحولاني وأبي عبدالله بن فرج وأبي على الغساني وأبي داود المقرى وأبي جعفر بن عبدالحق وأبي الوليد بن طريف ورحل حاجا فروى بمكة عن رزين بن معاوية ثم بالاسكندرية عن ابن الحضرمي أبي عبدالله محمد بن منصور وأبي الحسن بن مشرف الانماطي وبالمهدية عن المازرى وكانت رحلته مع أبي على منصور ابن الخير الاحدب للقاء أبي معشر الطبري فبلغهما نعيه بمصر فلما قفلا من حجهما قعد منصور يقول قرأت على أبي معشر واقتصر أبو الحسن في تصدره للاقراء على التحديث عمن لقي فعرف مكانه من الصدق والعدالة وولي الصلاة ببلده وتقدم في صناعته واشتهر بها وتلاه أهل بيته فيها فأخذ عنهم الناس وله ارجوزة في القرآآت السبع وأخرى في مخارج الحروف وشرح قصيدة الشقراطسي وله أيضا كتاب الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية واليه والى بنيه بعده كانت الرياسة في هذا الشان ومن حملة الرواة عنه أبو بكر محمد بن خير قرأ عليه الشهاب القضاعي وأجازله جميع رواياته وتواليفه في رجب سنة ٥٣٦ وتوفي في حدود الاربعين وخمسمائة وروى عنه أبو الضحاك الفزارى * (ومنهم أبو عبدالله محمد ابن أحمد بن ابراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح الخزرجي) من أهل جيان ويعرف بالبغدادي لطول سكناه اياها روى عن أبي على الغساني وأبي محمد بن عتاب ورحل حاجا فلقي أبا الحسن الطبري المعروف بالكيا وأبا طالب الزينبي وأبا بكر الشاشي وغيرهم وكان فقيها مشاورا حدث عنه أبو عبدالله النميري وأبو محمد بن عبيدالله وأبو عبدالله بن حميد وأبو القاسم عبدالرحيم بن الملجوم وغير واحد وتوفي بفاس سنة ٥٤٧ * (ومنهم ابو عبدالله محمد بن على ابن ياسر الانصاري الجياني) ونزل حلب يكنى ابابكر رحل الى المشرق وادى الفريضة وقدم دمشق قبل العشرين وخمسمائة وسكن قنطرة سنان منها وكان يعلم القرآن ويتردد الى ابي عبدالله نصرالله بن محمد يسمع الحديث منه ثم رحل صحبة ابي القاسم بن عساكر صاحب تاريخ الشام الى بغداد سنة عشرين وكان زميله فسمع بها معه من هبة الله بن الحصين وغيره ثم خرج الى خراسان فسمع بها من حمزة الحسيني وابي عبدالله الفراوى وابي القاسم الشحامي وغيرهم وسمع ببلخ جماعة منهم ابو محمد الحسن بن على الحسيني وابو النجم مصباح بن

ماقدمنا ونمى دين النصرانية الى الروم فكثرت فيهم الدعاة اليه فقتل هذا الملك منهم خلائق كثيرة وكان ملكه أربع عشرة سنة (ثم ملك بعده) طيطش وأسباسيانوس مشتركين في الملك ثلاث عشرة سنة وذلك بمدينة رومية ولسنة خلت من ملك هذين الملكين سارا الى الشام وكانت لهما مع بني اسرائيل حروب عظيمة وقتل فيها من بني اسرائيل ثلثمائة ألف وخربا بيت المقدس وأحرقا الهيكل بالنار وحرثاه بالبقر وأزالا رسمه ومحوا أثره وكانت عبادتهما الاصنام ووجدت في بعض كتب التواريخ ان الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذى خربت فيه بيت المقدس ان يسبي كل يوم منهم سبي يفعل ذلك من أطاف ببلادهم من الامم فلا يوم من أيام العالم الا والسبي واقع بهم قل ذلك أو كثر (ثم ملك الروم بعدهما) ذونسطناس خمس عشرة سنة عابدا للتماثيل معظما لها ولتسع سنين من ملكه نفى يوحنا التلميذ أحد الاربعة من أصحاب الانجيل الى بعض جزائر البحر ثم رده بعد ذلك (ثم ملك بعده) بيونوس (ثم ملك بعده) طرنانوس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام ولتسع سنين خلت من ملكه مات يحيى التلميذ (ثم ملك بعده) ادرياليس احدى عشرة سنة يعبد التماثيل وخرب

محمد المكي وغيرهما وبلغ الموصل فاقام بها مدة يسمع منه ويؤخذ عنه ثم انتهى الى حلب فاستوطنها وسلمت اليه خزانة الكتب النورية واجريت عليه جراية وكان فيه عسر في الرواية والاعارة معا ووقف كتبه على اصحاب الحديث وله عوال مخرجة من حديثه ساوى بعض شيوخه البخاري ومسلما واباداود والترمذي والنسائي روى عنه ابو حفص الميانشي وابو المنصور مظفر بن سوار اللخمي وابو محمد عبد الله بن علي بن سويدة وابن ابي السنان وغيرهم ذكره ابن عساكر في تاريخه وقال سمعت منه ومات في جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وخمسمائة على ما بلغني وقال ابن نقطة حدث عن جماعة منهم ابو القاسم سهل ابن ابراهيم النيسابوري وابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الهمداني حدثنا عنه ابو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الحلبي واخوه ابو العباس احمد وحكي عن الحسن بن هبة الله ابن صصرى انه توفي بحلب في جمادى الاولى سنة ثلاث وستين كما تقدم وقد بلغ السبعين قاله ابن الابار *(ومنهم ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة مرسي) سكن شاطبة ودار سلفه بالمرسية سمع اباعلي الصدفي واختص به واكثر عنه واليه صارت دواوينه واصوله العتاق وامهات كتبه الصحاح لصهر كان بينهما وسمع ايضا ابا محمد بن ابي جعفر ولازم حضور مجلسه للتفقه به وحمل ما كان يرويه ورحل الى غرب الاندلس فسمع محمد بن عتاب وابا بحر الاسدي واباالوليد بن رشد وابا عبد الله بن الحاج وابا بكر بن العربي وغيرهم وكتب اليه ابو عبد الله الخولاني وابو الوليد بن ظريف وابو الحسن بن عفيف وابو القاسم بن صواب وابو محمد بن السيد وغيرهم ثم رحل الى المشرق سنة عشرين وخمسمائة فلقي بالاسكندرية اباالحجاج بن نادر الميورقي وصحبه وسمع منه واخذ عنه الفقه وعلم الكلام وادى فريضة الحج في سنة احدى وعشرين ولقي بمكة ابا الحسن رزين بن معاوية العبدري امام المالكية بها وابا محمد بن صدقة المعروف بابن غزال من اصحاب كريمة المروية فسمع منها واخذ عنها وروى عن ابي حسن علي بن سند بن عياش الغساني ما حمل عن ابي حامد الغزالي من تصانيفه ثم انصرف الى ديار مصر فصحب ابن نادر الى حين وفاته بالاسكندرية ولقي اباطاهر بن عوف وابا عبد الله بن مسلم القرشي واباطاهر السلفي وابا زكريا الزناتي وغيرهم فأخذ عنهم وكان قد كتب اليه منها ابو بكر الطرطوشي وابو الحسن بن مشرف الانماطي ولقي في صدره بالمعدية اباعبد الله المازري فسمع منه بعض كتاب المعلم واجازه باقيه وعاد الى مرسية في سنة ست وعشرين وقد حصل في رحلته علوما جمة ورواية فسيحة وكان عارفا بالسنن والآثار مشاركا في علم القرآن وتفسيره حافظا للفروع بصيرا باللغة والغريب ذا حظ من علم الكلام مائلا الى التصوف مؤثرا له اديبا بليغا خطيبا فصيحا ينشئ الخطب مع الهدى والسمت والوقار والحلم جميل الشارة محافظا على التلاوة بالخشوع راتباعلى الصوم وولي خطة الشورى بمرسية مضافة الى الخطبة بجامعها واخذ في اسماع الحديث وتدريس الفقه ثم ولي القضاء بها بعد انقراض دولة الملثمة ونقل الى قضاء شاطبة فاتخذها وطنا وكان يسمع الحديث بها وبمرسية وبلنسية ويقيم الخطب أيام الجمع في جوامع هذه الامصار الثلاثة متعاقبا عليها وقد حدث بالمرية وهنالك أبو الحسن بن موهب وأبو محمد الرشاطي وغيرهما وسمع منه أبو الحسن

وسماه ايليا وهو أول من سماه بهذا الاسم ايليا (ثم ملك بعده) مرليس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام (ثم ملك بعده) قرقودس يعبد الاوثان ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) سربوس ثمان عشرة سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له انطونيس يعبد التماثيل سبع سنين (ثم ملك بعده) انطونيس الثاني أربع سنين يعبد التماثيل وفي آخر ملك هذا الملك مات جالينوس الطبيب (ثم ملك بعده) الاسكندر ماماس وتفسيره ماماس العاجز وكان يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) مقسمين يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث سنين (ثم ملك بعده) عرديانس يعبد التماثيل ست سنين (ثم ملك بعده) دقيوس يعبد الاوثان ستين سنة وأمعن في قتل النصرانية وطلبهم ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف (١) وقد اختلف الناس في أصحاب الكهف والرقيم فمنهم من رأى أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم وزعموا أن

(١) فيه أن الملك الذي هرب منه أصحاب الكهف اسمه دقيانوس كما في القاموس وكتب التفسير

ابن

ابن هذيل جامع الترمذي وألف كتابه شجرة الوهم المرقية الى ذروة الفهم ولم يسبق الى مثله وليس له غيره وجمع فهرسة حافلة ووصفه غير واحد بالتفنن في العلوم والمعارف والرسوخ في الفقه وأصوله والمشاركة في علم الحديث والادب وقال ابن عياد في حقه انه كان صليبا في الاحكام مقتفيا للعدل حسن الخلق والخلق جميل المعاملة لين الجانب فكه المجالسة ثبتا حسن الخط من أهل الاتقان والضبط وحكى انه كانت عنده أصول حسان بخط عمه مع الصحيحين بخط السلفي في سفرين قال ولم يكن عند شيوخنا مثل كتبه في صحتها واتقانها وجودتها ولا كان فيهم من رزق عند الخاصة والعامة من الحظوة والذكر وجلالة القدر مارزقه وذكره أبو سفيان أيضا وأبو عمرو بن عات ورفعوا جميعا بذكره وتوفي بشاطبة مصروفا عن قضائها آخر الحجة سنة خمس ودفن أول يوم من سنة ست وستين وخمسمائة ودفن بالروضة المنسوبة الى أبي عمر بن عبد البر ومولده في رمضان سنة ٤٩٦ *(ومنهم محمد بن ابراهيم بن وضاح اللخمي) من أهل غرناطة ونزل جزيرة شقر يكنى أبا القاسم وأخذ القراءة عن أبي الحسن بن هذيل وسمع منه كثيرا ورحل حاجا فأدى الفريضة وأخذ القراآت بمكة عن أبي علي بن العرجاء في سنة ست وأربعين وخمسمائة وسنة سبع بعدها وحج ثلاث حجات ودخل بغداد وأقام في رحلته نحوا من تسعة أعوام وقفل الى الاندلس فنزل جزيرة شقر من أعمال بلنسية وأقرأ بها القرآن نحوا من اربعين سنة لم يأخذ من أحد أجرا ولا قبل هدية وولي الصلاة والخطبة بجامعها وكان رجلا صالحا زاهدا مشاورا يشار اليه باجابة الدعوة معروفا بالورع والانقباض وتوفي في صفر سنة ٥٨٧ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي) نزيل تلمسان من أهل القنت عمل مرسية وسكن أبوه أوريولة رحل الى المشرق فأدى الفريضة وأطال الاقامة هنالك واتسع في الرواية وكتب العلم عن جماعة كثيرة أزيد من مائة وثلاثين من أعيانهم المشرقيين أبو طاهر السلفي صحبه واختص به وأكثر عنه وحكى عنه انه لما ودعه في قفوله الى المغرب سأله عما كتب عنه فأخبره انه كتب كثيرا من الاسفار ومئين من الاجزاء فسر بذلك وقال له تكون محدث المغرب ان شاء الله تعالى قد حصلت خيرا كثيرا قال ودعالي بطول العمر حتى يؤخذ عني ما أخذت عنه وقد جمع في أسماء شيوخه على حروف المعجم تأليفا مفيدا أكثر فيه من الآثار والحكايات والاخبار وقفل من رحلته وله أربعون حديثا في المواعظ وأخرى في الفقر وفضله وثالثة في الحب في الله تعالى ورابعة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسلسلاته في جزء وكتاب فضائل الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان وكتاب فضل عشر ذي الحجة وكتاب مناقب السبطين وكتاب الفوائد الكبرى مجلد والفوائد الصغرى جزء وكتاب الترغيب في الجهاد خمسون بابا في مجلد وكتاب المواعظ والرقائق اربعون مجلسا سفران وكتاب مشيخة السلفي وغير ذلك ومولده بالقنت الصغرى في نحو الاربعين وخمسمائة وتوفي سنة عشر وستمائة رحمه الله تعالى *(ومنهم الشيخ الاكبر ذو المحاسن التي تبهر سيدي محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم اخي عدي بن حاتم الصوفي الفقيه المشهور الظاهري) ولد بمرسية يوم الاثنين سابع عشر رمضان سنة ٥٦٠ قرأ القرآن على أبي بكر بن خلف

الرقيم غير أصحاب الكهف وقد ذكرنا كلا الموضعين بارض الروم (وقد حكى) أحمد بن الطيب عن مروان السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحق الكندي عن محمد بن موسى المنجم حين أنفذه الواثق بالله من سر من رأى الى بلاد الروم حتى أشرف على أصحاب الرقيم وهو الموضع المعروف من بلاد الروم بخاري وقد ذكرنا في الكتاب الاوسط قصة أصحاب الكهف وموضعهم وكيفية أحوالهم الى هذه الغاية وخبر أصحاب الرقيم وما حكاه محمد بن موسى المنجم من خبرهم وما لحقه من الموكل بهم حين أراد قتله بالسم وقتل من كان معه من المسلمين وأخبرنا عن السد الذي بناه ذو القرنين مانعا ليأجوج ومأجوج (قال المسعودي) وجدت في كتاب صور الارض وما عليها من الابنية المعظمة والهياكل المشيدة قدر مقدار عرض السد فيما بين الجبلين دون الطول والذهاب في الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك فقدار ذلك من الجبل الى الجبل خمسون ومائة فرسخ وهذا عند جماعة من أهل النظر والبحث مستحيل كونه وقد أنكر ذلك محمد بن كثير الفرغاني المنجم وتكلم

عليه وبرهن على فساده وأفرد محمد بن الطيب ٣٩٨ الذى قتله المعتضد بالله لما ذكرنا من الكهف والرقيم رسائل قد أتينا

باشبيلية وبالسبع بكتاب الكافى وحدثه به عن ابن المؤلف أبى الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينى عن أبيه وقرأ أيضا السبع بالكتاب المذكور على أبى القاسم الشراط القرطبى وحدثه به عن ابن المؤلف وسمع على أبى بكر محمد بن أبى جمرة كتاب التيسير للدانى عن أبيه عن المؤلف وسمع على ابن زرقون وأبى محمد عبد الحق الاشبيلى الازدى وغير واحد من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم وكان انتقاله من مرسية لاشبيلية سنة ٥٦٨ فأقام بها الى سنة ٥٩٨ ثم ارتحل الى المشرق وأجازه جماعة منهم الحافظ السلفى وابن عساكر وأبو الفرج ابن الجوزى ودخل مصر وأقام بالحجاز مدة ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم ومات بدمشق سنة ٦٣٨ ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ودفن بسفح قاسيون وأنشدنى لنفسه مؤرخا وفاته الشيخ محمد بن سعد الكلشنى سنة ١٠٣٧ حفظه الله تعالى

انما الحاتمى فى الكون فرد * وهو غوث وسيد وامام
كم علوم أتى بها من غيوب * من بحار التوحيد يا مستهام
ان سألتم متى توفى حميدا * قلت أرخت مات قطب همام

وقال ابن الابار هو من أهل المرية وقال ابن النجار أقام باشبيلية الى سنة ٥٩٨ ثم دخل بلاد المشرق وقال ابن الابار انه أخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة ثم رحل الى المشرق حاجا ولم يعد بعدها الى الاندلس وقال المنذرى ذكر انه سمع بقرطبة من أبى القاسم بن بشكوال وجماعة سواه وطاف البلاد وسكن بلاد الروم مدة وجمع مجاميع فى الطريقة وقال ابن الابار انه لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين وأخذوا عنه وقال غيره انه قدم بغداد سنة ٦٠٨ وكان يوما اليه بالفضل والمعرفة والغالب عليه طرق أهل الحقيقة وله قدم فى الرياضة والمجاهدة وكلام على لسان أهل التصوف ووصفه غير واحد بالتقدم والمكانة من أهل هذا الشان بالشام والحجاز وله أصحاب وأتباع ومن تاليفه مجموع ضمنه منامات رأى فيها النبى صلى الله عليه وسلم وما سمع منه ومنامات قد حدث بها عن رآه صلى الله عليه وسلم قال ابن النجار وكان قد صحب الصوفية وأرباب القلوب وسلك طريق الفقر وحج وجاور وكتب فى علم القوم وفى أخبار مشايخ المغرب وزهادهم وله أشعار حسنة وكلام مليح اجتمعت به فى دمشق فى رحلتى اليها وكتبت عنه شيأ من شعره ونعم الشيخ هو ذكر لى انه دخل بغداد سنة ٦٠١ فأقام بها اثنى عشر يوما ثم دخلها ثانيا حاجا مع الركب سنة ٦٠٨ وأنشدنى لنفسه

أيا حائرا ما بين علم وشهوة * ليتصلا ما بين ضدين من وصل
ومن لم يكن يستنشق الريح لم يكن * يرى الفضل للمسك الفتيق على الزبل

وسألته عن مولده فقال ليلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ بمرسية من بلاد الاندلس انتهى وقال ابن مسدى انه كان جميل الجملة والتفصيل محصلا لفنون العلم أخص تحصيل وله فى الادب الشأو الذى لا يلحق والتقدم الذى لا يسبق سمع ببلاده من ابن زرقون والحافظ ابن الجد وأبى الوليد الحضرمى وبسبتة من أبى محمد بن عبد الله وقدم عليه اشبيلية أبو محمد عبد المنعم بن محمد الخزرجى فسمع منه وأبو جعفر بن مصلى وذكر انه لقى عبد الحق الاشبيلى

على ما قيل فى ذلك فى كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط (ثم ملك حابس) ثلاث سنين (ثم ملك بعده) بدنوس نحوا من عشرين سنة وقيل خمس عشرة سنة (ثم ملك بعده) فورس نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له فارس نحوا من سنتين (ثم ملك بعده) فليطانس عشر سنين (ثم ملك بعده) قسطنطين (قال المسعودى) والذى وجدت فى الاكثر من كتب التواريخ مما اتفقوا عليه ان عدة ملوك الروم الذين ملكوا مدينة رومية وهم الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الكتاب تسعة واربعون ملكا وجميع عدد سنى ملكهم من أول ملك ملكهم على حسب ما ذكرنا من الخلاف فى صدر هذا الكتاب الى قسطنطين هذا وهو ابن هيلانى أربعمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام ونسخ كتب التواريخ فى هذا المعنى مختلفة غير متفقة فى أسماء ملوكهم ومدة ممالكهم وأكثرها بالرومية فحكينا من ذلك ما تاتى وصفه ولهؤلاء الملوك أخبار وسير هى موجودة فى كتب النصارى الملكية قد أتينا على مبسوطها والغرض منها فى كتابنا

وفى

وفي ذلك عندي نظر انتهى قلت لا نظر في ذلك فان سيدي الشيخ محيي الدين ذكر في اجازته للملك المظفر غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب مامعناه أو نصه ومن شيوخنا الاندلسيين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الاشبيلي رحمه الله تعالى حدثني بجميع مصنفاته في الحديث وعين لي من أسمائها تلقين المهتدي والاحكام الكبرى والوسطى والصغرى وكتاب التهجد وكتاب العاقبة ونظمه ونثره وحدثني بكتب الامام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه انتهى وقال ان الحافظ السلفي أجازله انتهى وقال بعض الحفاظ وأحسبها الاجازة العامة وكان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات وكان دفنه يوم الجمعة بجبل قاسيون واتفق انه لما أقام ببلاد الروم زكاه ذات يوم الملك فقال هذا تذل له الاسود أو كلاما هذا معناه فسئل عن ذلك فقال خدمت بمكة بعض الصلحاء فقال لي يوما الله يذل لك أعز خلقه وامر له ملك الروم مرة بدار تساوي مائة ألف درهم فلما نزلها واقام بها مر به في بعض الايام سائل فقال له شئ لله فقال مالي غير هذه الدار خذها لك فتسلمها السائل وصارت له وقال الذهبي في حقه انه توسع في الكلام وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيقا في التصوف وتواليف جمة في العرفان ولولا شطحه في كلامه وشعره ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجى له الخير انتهى وقال القطب اليونيني في ذيل مرآة الزمان عن سيدي الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه ونفعنا به انه كان يقول اني اعرف اسم الله الاعظم واعرف الكيمياء انتهى وقال ابن شود كين عنه انه كان يقول ينبغي للعبد أن يستعمل همته في الحضور في مناماته بحيث يكون حاكما على خياله يصرفه بعقله نوما كما كان يحكم عليه يقظة فاذا حصل للعبد هذا الحضور وصار خلقا له وجد ثمرة ذلك في البرزخ وانتفع به جدا فليهتم العبد بتحصيل هذا القدر فانه عظيم الفائدة باذن الله تعالى وقال ان الشيطان ليقنع من الانسان بان ينقله من طاعة الى طاعة ليفسخ عزمه بذلك وقال ينبغي للسالك انه متى حضر له انه يعقد على امر و يعاهد الله تعالى عليه أن يترك ذلك الامر الى أن يجيء وقته فان يسر الله تعالى فعله فعله وان لم ييسر الله فعله يكون مخلصا من نكث العهد ولا يكون متصفا بنقض الميثاق ومن نظم الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى

بين التذلل والتدلل نقطة * فيها يتيه العالم النحرير
هي نقطة الاكوان ان جاوزتها * كنت الحكيم وعلمك الاكسير

وقوله أيضا رحمه الله

يادرة بيضاء لاهوتية * قد ركبت صدفا من الناسوت
جهل البسيطة قدرها لشقائهم * وتنافسوا في الدر والياقوت

وحكى العماد بن النحاس الاطروش أنه كان في سفح جبل قاسيون على مستشرف وعنده الشيخ محيي الدين والغيث والسحاب عليهم ودمشق ليس عليها شئ قال فقلت للشيخ اماترى هذه الحال فقال كنت بمراكش وعندي ابن خروف الشاعر يعني ابا الحسن علي بن محمد القرطبي القيدافي وقد اتفق الحال مثل هذه فقلت له مثل هذه المقالة فانشدني

(ذكر ملوك الروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية ولمع من أخبارهم)

(ملك قسطنطين) بعد أن هلك فليطانس برومية وهو يعبد الاوثان وكان أول ملك انتقل من ملوك الروم عن رومية الى بوزنطيا وهي مدينة القسطنطينية فبناها وسماها باسمه الى وقتنا هذا وكان له في بنائها خبر ظريف مع بعض ملوك برجان لخوف داخله من بعض ملوك ساسان وكان خروجه من رومية ودخوله في دين النصرانية لسنة خلت من ملكه ولتسع سنين من ملكه خرجت أمه هلاني الى أرض الشام فبنت الكنائس وسارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح عندهم فلما صارت اليها حلتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها عيدا وهو عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من ايلول وفيه تفتح الترع والخلجانات ببلاد مصر على حسب ماأوردناه عند ذكرنا لاخبار مصر من هذا الكتاب وهي التي بنت كنيسة حمص على أربعة أركان وذلك من عجائب بنيان العالم واستخرجت الكنوز والدفائن بمصر والشام وصرفت ذلك الى بناء الكنائس وتشييد

يطوف السحاب بمراكش * طواف الحجيج ببيت الحرم
يروم نزولا فلا يستطيع * اسفاك الدماء وهتك الحرم
انتهى

وحكى المقريزى فى ترجمة سيدى عمر بن الفارض أفاض الله علينا من أنواره أن الشيخ محيى الدين ابن العربى بعث الى سيدى عمر يستأذنه فى شرح التائية فقال كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها انتهى وقال بعض من عرف به انه لما صنف الفتوحات المكية كان يكتب كل يوم ثلاث كراريس حيث كان وحصلت له بدمشق دنيا كثيرة فما ادخر منها شيأ وقيل ان صاحب حمص رتب له كل يوم مائة درهم وابن الزكى كل يوم ثلاثين درهما فكان يتصدق بالجميع واشتغل الناس بمصنفاته ولها ببلاد اليمن والروم صيت عظيم وهو من عجائب الزمان وكان يقول اعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق التكسب ومن نظمه رضى الله تعالى عنه

حقيقتى همت بها * وما رآها بصرى
ولو رآها لغدا * قتيل ذاك الحور
فعندما ابصرتها * صرت بحكم النظر
فبت مسحورا بها * اهيم حتى السحر
ياحذرى من حذرى * لو كان يغنى حذرى
والله ما هيمنى * جمال ذاك الخفر
فى حسنها من ظبية * ترعى بذات الحجر
اذا رنت اوعطفت * تسبى عقول البشر
كأنما انفاسها * أعراف مسك عطر
كانها شمس الضحى * فى النور أو كالقمر
ان أسفرت أبرزها * نور صباح مسفر
أو سدلت غيهبا * سواد ذاك الشعر
ياقمرا تحت دجى * خذى فؤادى وذرى
عينى لكى أبصركى * اذ كان حظى نظرى

وقال الحوبى قال الشيخ سيدى محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه رأيت بعض الفقهاء فى النوم فى رؤيا طويلة فسألنى كيف حالك مع أهلك فقلت

اذا رأت اهل بيتى الكيس ممتلئا * تبسمت ودنت منى تمازحنى
وان رأته خليا من دراهمه * تجهمت وانثنت عنى تقابحنى

فقال لى صدقت كلنا ذلك الرجل * وذكر الامام العالم بالله تعالى لسان الحقيقة وشيخ الطريقة صفى الدين حسين ابن الامام العلامة جمال الدين أبى الحسن على ابن الامام مفتى الانام كمال الدين أبى منصور ظافر الازدى الانصارى رضى الله تعالى عنه فى رسالته الفريدة المحتوية على من رأى من سادات مشايخ عصره بعد كلام ماصورته ورأيت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيى الدين بن عربى وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم

جعل اسمها مع الصليب فى كل كنيسة لها وليس فى الروم نى أحرفهم هاء وأحرف هلانى خمسة أحرف فالاول امالة وهو بحساب الجمل خمسة والثانى وهو اللام ثلاثون والثالث امالة أيضا وهى خمسة والرابع النون وهى خمسون والخامس ياء وهو فى حساب الجمل عشرة فذلك مائة اختصارا على ماذكرنا هذه صورة الحرف الذى هو مائة بالرومية ولتسع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين بن هلانى اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا بمدينة نيقية بارض الروم فاقاموا دين النصرانية وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة الرومية السنودسات واحدها سنودوس فالاول بنيقية على ما ذكرنا من العدد وكان الاجتماع فيه على أريوس وهذا اتفاق من سائر دين النصرانية من الملكية والمشارقة وهم العباد الذين تسميهم الملكية وعامة الناس النسطورية واتفاق من اليعاقبة على هذا السنودوس أيضا والسنودوس الثانى بالقسطنطينية على مقدنوس وعدة المجتمعين فيه من الاساقفة مائة وخمسون رجلا والسنودوس الثالث بافسوس وعددهم مائتا رجل

العلوم الكسبية وما أوقرله من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غالب عليه التوحيد علما وتخلقا وحالا لا يكترث بالوجود مقبلا كان أو معرضا وله علماء أتباع أرباب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدي الاستاذ الحرازي إخاء ورفقة في السياحات رضي الله تعالى عنهما في الاصال والبكرات ومن نظم سيدي الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه قوله

يامن يراني ولا أراه * كم ذا أراه ولا يراني

قال رحمه الله تعالى قال لي بعض اخواني لما سمع هذا البيت كيف تقول انه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك فقلت له مرتجلا

يامن يراني مجرما * ولا أراه آخذا
كم ذا أراه منعما * ولا يراني لائذا

قلت من هذا وشبهه تعلم ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى مؤول وانه لا يقصد ظاهره وانما له محامل تليق به وكفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة فأحسن الظن به ولا تنتقد بل اعتقد وللناس في هذا المعنى كلام كثير والتسليم اسلم والله سبحانه بكلام أوليائه أعلم ومن النظم المنسوب لمحاسن الشيخ سيدي محيي الدين رضي الله تعالى عنه في ضابط ليلة القدر

وانا جميعا ان نصم يوم جمعة * ففي تاسع العشرين خذ ليلة القدر
وان كان يوم السبت أول صومنا * فحادي وعشرين اعتمده بلا عسر
وان كان صوم الشهر في احد فخذ * ففي سابع العشرين ماشئت فاستقري
وان هل بالاثنين فاعلم بانه * يوافيك نيل المجد في تاسع العشر
ويوم الثلاثا ان بدا الشهر فاعتمد * على خامس العشرين فاعمل بها تدري
وفي الاربعا ان هل يامن يرومها * فدونك فاطلب وصلها سابع العشر
ويوم خميس ان بدا الشهر فاجتهد * ففي ثالث العشرين تظفر بالنصر
وضابطها بالقول ليلة جمعة * توافيك بعد النصف في ليلة الوتر انتهى

قلت لست على يقين من نسبة هذا النظم الى الشيخ رحمه الله تعالى فان نفسه اعلى من هذا النظم ولكني ذكرته لما فيه من الفائدة ولان بعض الناس نسبه اليه فالله تعالى اعلم بحقيقة ذلك ومما نسبه اليه رحمه الله تعالى غير واحد قوله

قلبي قطبي وقالبي اجفاني * سري خضري وعينه عرفاني
روحي هرون وكليمي موسى * نفسي فرعون والهوى هاماني

وذكر بعض الثقات ان هذين البيتين يكتبان لمن به القولنج في كفه ويلحسهما فانه يبرا باذن الله تعالى قال وهو من المجربات وقد تأول بعض العلماء قول الشيخ رحمه الله تعالى بايمان فرعون ان مراده بفرعون النفس بدليل ما سبق وحكى في ذلك حكاية عن بعض الاولياء ممن كان ينتصر للشيخ رحمه الله تعالى * وولد للشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى ابنه محمد المدعو سعد الدين بملطية في رمضان سنة ٦١٨ وسمع الحديث ودرس وقال الشعر الجيد وله ديوان شعر مشهور وتوفي بدمشق سنة ٦٥٦ سنة دخل هولاكو بغداد وقتل الخليفة المستعصم

والسندوس الرابع بخلقدونية وعددهم ستمائة وستون رجلا والسندوس الخامس بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا والسندوس السادس كان في مملكة المدن وعددهم مائتان وتسعة وثمانون رجلا وسنذكر بعد هذا الموضع في ترتيب ملوك الروم هذه السندوسات وغلبة دين النصرانية وزوال عبادة التماثيل والصور وكان السبب في دخول قسطنطين بن هلاني في دين النصرانية والرغبة فيه ان قسطنطين خرج في بعض حروب برجان وغيرهم من الامم وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة ثم كانت عليه في بعض الايام فقتل من أصحابه خلق كثير فخاف البوار فرأى في النوم كأن رماحا نزلت من السماء فيها عذاب وأعلاما على رؤسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب وقيل له خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنصر فجعل يحارب بها في النوم فرأى عدوه منهزما وقد نصر عليه وولاه الدبر فاستيقظ من رقدته ودعا بالرماح فركب عليها ما ذكرنا ودفعها في عسكره وزحف الى عدوه فولوا وأخذهم السيف فرجع الى مدينة نيقية وسأل أهل الخبرة عن تلك الصلبان وهل يعرفون

ودفن المذكور عند والده بسفح قاسيون و كان قدم القاهرة وسكن حلبا ومن شعره

لما تبدى عارضاه فى نمط * قيل ظلام بضياء اختلط
وقيل سطر الحسن فى خديه خط * وقيل نمل فوق عاج انبسط
وقيل مسك فوق ورد قد نقط * وقال قوم انها اللام فقط

قلت تذكرت بهذا ما قاله الكاتب ابو عبد الله بن جزى الاندلسى كاتب سلطان الغرب ابى عنان حين تنازع الكتاب ارباب الاقلام والرؤساء اصحاب السيوف فى تشبيه العذار وقالت كل فرقة لا تشبهه الا بما هو مناسب لصنعتنا فلما فرغوا قال ابن جزى

اتى اولوا الكتب والسيف الاولى عزموا * من بعد سلمى على حربى واسلامى
بكل معنى بديع فى العذار على * ما يقتضى منهم أفكار احلام
فقال ذو الكتب لا أرضى المحارب فى * تشبيهه لا وأنقاسى واقلامى
وقال ذو الحرب لا ارضى الكتائب فى * تشبيهه ومظلاتى وأعلامى
فقلت أجمع بين المذهبين معا * باللام فاستحسنوا التشبيه باللام

وهذه الغاية التى لا تدرك مع البديهة ولزوم ما لا يلزم *(رجع) ومن نظم سعد الدين قوله

سهرى من المحبوب اصبح مرسلا * وأراه متصلا بفيض مدامع
قال الحبيب بان ريقى نافع * فاسمع رواية مالك عن نافع

ومن نظمه ايضا قوله

وقالوا قصير شعر من قد هويته * فقلت دعونى لا ارى منه مخلصا
محياه شمس قد علت غصن قده * فلا عجب للظل ان يتقلصا

وقوله

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رمانا بسهم لحظ * فماله دائم النفوذ

وقوله

لك والله منظر * قل فيه المشارك
ان يوما تراك فيه * ليوم مبارك

ومن نظمه أيضا ما كتب به الى اخيه عماد الدين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الاكبر محيى الدين ابن عربى أفاض الله تعالى علينا من فتوحاته

ما للنوى رقة ترثى لمكتئب * حران فى قلبه والدمع فى حلب
قد أصبحت حلب ذات العماد بكم * وجلق ارم هذا من العجب

وتوفى الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧ ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضى ابن الزكى رحمهم الله تعالى اجمعين ومن نظم سعد الدين المذكور فى وسيم رآه بالزيادة فى دمشق

يا خليلى فى الزيادة ظبى * سلبت مقلتاه جفنى رقاده
كيف أرجو السلو عنه وطرفى * ناظر حسن وجهه فى الزياده

وله

دلت فى شئ من الآراء والنحل فقيل له ان بيت المقدس من أرض الشام مجمع لهذا المذهب وأخبر بما فعل من قبله من الملوك من قبل النصرانية فبعث الى الشام والى بيت المقدس فحشد له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فأتوه وهو بنيقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية فهذا هو السندوس الاول وهو الاجتماع على ما ذكرنا وقد قيل ان أم قسطنطين هلانى كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا وكان ملك قسطنطين الى أن هلك احدى وثلاثين سنة وفى وجه آخر من الآثار انه ملك خمسا وعشرين وقد أتينا على أخباره وحروبه وخروجه مرتاد الموضع القسطنطينية وورده الى هذا الخليج الآخذ من بحر مانطش ونيطش فى كتابينا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وأن خليج القسطنطينية يأخذ من هذا البحر ويجرى الماء فيه جريا ويصب الى بحر الشام ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلا وقيل أقل من ذلك وعرضه فى الموضع الذى يأخذ من بحر مانطش نحو من عشرة أميال وهناك عمائر ومدينة للروم تدعى سباه تمنع من يرد فى هذا البحر من مراكب الروم وغيرها ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية

ملقت صوفيا كبدر الدجى * لكنه فى وصلى الزاهد
يشهد وجدى بغرامى له * فديت صوفيا له شاهد

وله

صد وتاه بى ... ملاحه * تكرر نحو منزله مسيرى
أقول له الأنى لصب * عديم للمساعد والنصير
أقام ببابكم خمسين شهرا * فقال كذا مقامات الحريرى

وله

وغزال من اليهود اتانى * زائرا من كنيسه اوكناسه
بت أجنى الشقيق من وجنتيه * واشم العبير من انفاسه
واعتنقنا اذلم نخف من رقيب * وأمنا الوشاة من حراسه
من رآنى يظننى لنحولى * واصفرارى علامة فوق راسه

وله

لى حبيب بالنحو اصبح مغرى * فهو منى بما اعانيه أدرى
قلت ماذا تقول حين تنادى * ياحبيبى المضاف نحوك جهرا
قال لى ياغلام او ياغلامى * قلت لبيك ثم لبيك عشرا

وله ايضا

سألتنى عن لفظة لغوية * فاجبت مبتدئا بغير تفكر
خاطبتنى متبسما فرايتها * من نظم ثغرك فى صحاح الجوهرى

وله

وعلمت ان من الحديد فؤاده * لما انثنى من مقلتيه مهندا
آنست من وجدى بجانب خده * نارا ولكن ما وجدت بها هدى

وقال الشيخ محيى الدين افاض الله تعالى علينا من انواره وكسانا بعض حلل اسراره انه بلغنى فى مكة عن امراة من اهل بغداد انها تكلمت فى بامور عظيمة فقلت هذه قد جعلها الله تعالى سببا لخير وصل الى فلا كافئنها وعقدت فى نفسى ان اجعل جميع ما اعتمرت فى رجب لها وعنها ففعلت ذلك فلما كان الموسم استدل على رجل غريب فساله الجماعة عن قصده فقال رأيت بالينبع فى الليلة التى بت فيها كأن آلافا من الابل اوقارها المسك والعنبر والجوهر فعجبت من كثرته ثم سألت لمن هو فقيل هو لمحمد بن عربى يهديه الى فلانة وسمى تلك المرأة ثم قال وهذا بعض ما تستحق قال سيدى ابن عربى فلما سمعت الرؤيا واسم المرأة ولم يكن أحد من خلق الله تعالى علم منى ذلك علمت أنه تعريف من جانب الحق وفهمت من قوله ان هذا بعض ما تستحق انها مكذوب عليها فقصدت المرأة وقلت اصدقينى وذكرت لها ما كان من ذلك فقالت كنت قاعدة قبالة البيت وأنت تطوف فشكرك الجماعة الذين كنت فيهم فقلت فى نفسى اللهم انى أشهدك انى قد وهبت له ثواب ما أعمله فى يوم الاثنين وفى يوم الخميس وكنت أصومهما وأتصدق فيهما قال فعلمت ان الذى وصل منى اليها بعض ما تستحق فانها

فيصير عرضه وهو موضع العبور من الجانب الشرقى الى الموضع الغربى الذى فيه القسطنطينية نحو امس أربعة أميال وعليه العمائر وينتهى فى ضيقه الى الموضع المعروف بالاندلس وهناك جبال وعين ماء كثير ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر القسطنطينية وأتته مراكب المسلمين فى فم هذا الخليج مما يلى بحر الشام ومنتهى مصبه مضيق وهناك برج يمنع من فيه من يرد من مراكب المسلمين فى الوقت الذى للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الاسلام ولله الامر من قبل ومن بعد وأخبرنى أبو عمير عدى بن حاتم بن عبد الباقى الازدى وهو شيخ الثغور الشامية قدما الى وقتنا هذا وهو من أهل التحصيل انه لما عبر الى القسطنطينية فى هذا الخليج حين دخل لاقامة الهدنة والفداء كان يتبين جرية هذا الماء ورده عما يلى بحر ما نطش ونيطش وربما يتبين فى الماء الجرى مما يلى بحر الشام فيجده فاترا وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين وأنه قد دخل فى بحر الروم الى هذا الخليج أيضا وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع غلام ازارقة وقد كانوا

سبقت بالجميل والفضل للمتقدم ومن نظم الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى

يا غاية السؤل والمأمول يا سندي * شوقي اليك شديد لا الى أحد

ذبت اشتياقا ووجدا في محبتكم * فآه من طول شوقي آه من كمدي

يدي وضعت على قلبي مخافة أن * ينشق صدري لما خانني جلدي

ما زال يرفعها طورا ويخفضها * حتى وضعت يدي الاخرى تشديدي

وحكى سبط ابن الجوزي عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول انه يحفظ الاسم الاعظم ويقول انه يعرف السيميا بطريق التنزل لا بطريق التكسب انتهى والله تعالى أعلم والتسليم أسلم ومن نظم الشيخ محيي الدين قوله

ما فاز بالتوبة الا الذى * قد تاب قدما والورى نوم

فمن يتب أدرك مطلوبه * من توبة الناس ولا يعلم

وله رحمه الله تعالى من المحاسن ما لا يستوفى وأنشدني لنفسه بدمشق صاحبنا الصوفي الشيخ محمد بن سعد الكلشني حفظه الله تعالى قوله

أمولاي محيي الدين أنت الذى بدت * علومك في الآفاق كالغيث مذهبي

كشفت معالي كل علم مكتم * وأوضحت بالتحقيق ما كان مبهما

وبالجملة فهو حجة الله الظاهرة وآيته الباهرة ولا يلتفت الى كلام من تكلم فيه ولله در السيوطي الحافظ فانه ألف تنبيه الغبي على تنزيه ابن عربي ومقام هذا الشيخ معلوم والتعريف به يستدعي طولا وهو أظهر من نار على علم وكان بالمغرب يعرف بابن العربي بالالف واللام واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي وقال ابن خاتمة في كتابه مزية المرية مانصه محمد بن علي بن محمد الطائي الصوفي من أهل اشبيلية وأصله من مرسية يكنى أبا بكر ويعرف بابن العربي وبالحاتمي أيضا أخذ عن مشيخة بلده ومال الى الآداب وكتب لبعض الولاة بالاندلس ثم رحل الى المشرق حاجا فأدى الفريضة ولم يعد بعدها الى الاندلس وسمع الحديث من أبي القاسم الخرستاني ومن غيره وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبي الحسن بن أبي نصر في شوال سنة ٦٠٦ وكان يحدث بالاجازة العامة عن أبي طاهر السلفي ويقول بها وبرع في علم التصوف وله في ذلك تواليف كثيرة منها الجمع والتفصيل في حقائق التنزيل والجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة وكتاب كشف المعنى في تفسير الاسماء الحسنى وكتاب المعارف الالهية وكتاب الاسرا الى المقام الاسرى وكتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم وكتاب عنقاء مغرب في صفة ختم الاولياء وشمس المغرب وكتاب في فضائل مشيخة عبد العزيز ابن أبي بكر القرشي المهدوي والرسالة الملقبة بمشاهد الاسرار القدسية ومطالع الانوار الالهية في كتب أخر عديدة وقدم على المرية من مرسية مستهل شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمسمائة وبها ألف كتابه الموسوم بمواقع النجوم انتهى ولا خفاء أن مقام الشيخ أعظم بعد انتقاله من المغرب وقد ذكر رحمه الله تعالى في بعض كتبه أن مولده بمرسية وفي الكتاب المسمى بالاغتباط بمعالجة ابن الخياط تأليف شيخ الاسلام قاضي القضاة مجد الدين

دخلوا الى خليج القسطنطينية وساروا فيه مسافة بعيدة أنهم وجدوا الماء في هذا الخليج يقل في أوقات من الليل والنهار ويكثر كالجزر والمد وعليه العمائر والمدن فلما أحسوا بنقصان الماء بادروا بالخروج منه الى البحر الرومي وان في مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج والخليج يطيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلي الشرق ومما يلي الشمال وفي الجانب الجنوبي البر وفيه باب الذهب مطلي على صفائح النحاس وأعلى موضع في سورها نحو من ثلاثين ذراعا وقد ذكر أنه أقل من ذلك وأن اقصر موضع فيه عشرة أذرع ولها أبواب كثيرة مما يلي البر والبحر وحولها كنائس كثيرة وقد قيل ان لها ثلاثين بابا ومنهم من زعم أن عليها مائة باب صغارا وكبارا وهو بلد عفن مختلف المهاب مرطب للابدان لكونه بين ما وصفنا لهذه البحار (قال المسعودي) ولم تزل الحكمة باقية عالية زمن اليونانيين وبرهة من مملكة الروم تعظم العلماء وتشرف الحكماء وكانت لهم الآراء في الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعاليم الاربعة أعني الارثماطيقي وهو علم الاعداد والجومطريقي وهو علم المساحة والهندسة والاسترنوميا وهو علم النجوم والموسيقي وهو علم تأليف

الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزابادي الصديقي صاحب القاموس قدس الله تعالى روحه الذي ألفه بسبب سؤال رفع فيه عن الشيخ محيي الدين بن عربي الطائي قدس الله تعالى سره العزيز في كتبه المنسوبة اليه ماصورته ما تقول السادة العلماء شد الله تعالى بهم أزر الدين ولم بهم شعث المسلمين في الشيخ محيي الدين بن عربي في كتبه المنسوبة اليه كالفتوحات والفصوص هل تحل قراءتها واقراؤها ومطالعتها وهل هي الكتب المسموعة المقروءة أم لا أفتونا مأجورين جوابا شافيا لتحوزوا جزيل الثواب من الله الكريم الوهاب والحمد لله وحده * (فأجاب بما صورته) الحمد لله اللهم أنطقنا بما فيه رضاك الذي اعتقده في حال المسؤل عنه وندين الله تعالى به انه كان شيخ الطريقة حالا وعلما وامام الحقيقة حقيقة ورسما ومحيي رسوم المعارف فعلا واسما

اذا تغلغل فكر المرء في طرف * من بحره غرقت فيه خواطره

وهو عباب لا تكدره الدلاء وسحاب لا تتقاصر عنه الانواء كانت دعواته تخترق السبع الطباق وتفترق بركاته فتملأ الآفاق واني أصفه وهو يقينا فوق ماوصفته وناطق بما كتبته وغالب ظني اني ما انصفته

وما علي اذا ماقلت معتقدي * دع الجهول يظن العدل عدوانا
والله والله والله العظيم ومن * أقامه حجة للدين برهانا
بان ماقلت بعض من مناقبه * مازدت الا لعلي زدت نقصانا

وأما كتبه ومصنفاته فالبحار الزواخر التي جواهرها وكثرتها لا يعرف لها أول ولا آخر ماوضع الواضعون مثلها وانما خص الله سبحانه بمعرفة قدرها أهلها ومن خواص كتبه أن من واظب على مطالعتها والنظر فيها وتأمل مافي مبانيها انشرح صدره لحل المشكلات وفك المعضلات وهذا الشان لا يكون الا لانفاس من خصه الله تعالى بالعلوم اللدنية الربانية ووقفت على اجازة كتبها للملك المعظم فقال في آخرها وأجزته أيضا أن يروى عني مصنفاتي ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفا وأربعمائة مصنف منها التفسير الكبير الذي بلغ فيه الى سورة الكهف عند قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وتوفي ولم يكمل وهذا التفسير كتاب عظيم كل سفر بحر لا ساحل له ولا غرو فانه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به وثم طائفة في الغي حائفة يعظمون عليه النكير وربما بلغ بهم الجهل الى حد التكفير وماذاك الا لقصور أفهامهم عن ادراك مقاصد أقواله وأفعاله ومعانيها ولم تصل أيديهم لقصرها الى اقتطاف مجانيها

علي نحت القوافي من معادنها * وما علي اذا لم تفهم البقر

هذا الذي نعلم ونعتقد وندين الله تعالى به في حقه والله سبحانه وتعالى أعلم وصورة استشهاده كتبه محمد الصديقي الملتجئ الى حرم الله تعالى عفا الله عنه انتهى وأما احتجاجه بقول شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام شيخ مشايخ الشافعية فغير صحيح بل كذب وزور فقد روى ناصر شيخ الاسلام صلاح الدين العلائي عن جماعة من المشايخ كلهم عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه قال كنا في مجلس الدرس بين يدي الشيخ عز الدين بن عبد السلام فجاء في باب

النصرانية في الروم فعفوا معالم الحكمة وأزالوا رسمها وعفوا اسلها وطمسوا ما كانت اليونانية أبانته وغير واما كانت القدماء منهم أوضحته وكان من شريف ماتركته المعرفة بعلم الموسيقى لانه غذاء للنفس ومطرب لها وملهيها يبتهج عند سماعه ويحن الى تأليف أوضاعه وقد نطقت الحكمة بشرفه ونبهت على نفاسة محله فقال الاسكندر من فهم الالحان استغنى عن سائر اللذات وقد قالت الفلاسفة ان النغم فضيلة شريفة كانت تعذرت عن المنطق ليست في قدرته فلم يقدر على اخراجها فاخرجتها النفس ألحانا فلما اظهرتها سرت بها وعشقتها وطربت اليها ورتبت الحكماء الاوتار الاربعة بازاء الطبائع الاربعة فجعلوا الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء السوداء وقد أشبعنا القول في الموسيقى وأصحاب الملاهي والايقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمة من الامم من أصناف الملاهي

من اليونانيين والروم والسريانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الامم وذكر مناسبة النغم للاوتار وممازجة

الردة ذكر لفظة الزنديق فقال بعضهم هل هي عربية او عجمية فقال بعض الفضلاء انما هي فارسية معربة أصلها زن دين أي على دين المرأة الذي يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال بعضهم مثل من فقال آخر الى جانب الشيخ مثل [illegible] بدمشق فلم ينطق الشيخ ولم يرد عليه قال الخادم وكنت صائما ذلك اليوم فاتفق أن الشيخ دعاني للافطار معه فحضرت ووجدت منه اقبالا ولطفا فقلت له ياسيدي هل تعرف القطب [illegible] في زماننا فقال مالك ولهذا كل فعرفت أنه يعرفه فتركت الاكل وقلت له لوجه الله تعالى عرفني به من هو فتبسم رحمه الله تعالى وقال لي الشيخ محيي الدين بن عربي فاطرقت ساكتا متحيرا فقال مالك فقلت ياسيدي قد حرت قال لم قلت أليس اليوم قال ذلك الرجل الى جانبك ما قال في ابن عربي وأنت ساكت فقال اسكت ذلك مجلس الفقهاء هذا الذي روى لنا بالسند الصحيح عن شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام وأما قول غيره من أضراب الشيخ عز الدين فكثير كان الشيخ كمال الدين الزملكاني من أجل مشايخ الشام أيضا يقول ما أجهل هؤلاء ينكرون على الشيخ محيي الدين بن عربي لاجل كلمات وألفاظ وقعت في كتبه قد قصرت أفهامهم عن درك معانيها فليأتوني لاحل لهم مشكله وأبين لهم مقاصده بحيث يظهر لهم الحق ويزول عنهم الوهم وهذا القطب سعد الدين الحموي سئل عن الشيخ محيي الدين بن عربي لما رجع من الشام الى بلاده كيف وجدت ابن عربي فقال وجدته بحرا زخارا لا ساحل له وهذا الشيخ صلاح الدين الصفدي له كتاب جليل وضعه في تاريخ علماء العالم في مجلدات كثيرة وهي موجودة في خزانة السلطان تنظر في باب الميم ترجمة محمد بن عربي لتعرف مذاهب أهل العلم الذين باب صدورهم مفتوح لقبول العلوم اللدنية والمواهب الربانية وقوله في شيء من الكتب المصنفة كالفصوص وغيره انه صنفه بامر من الحضرة الشريفة النبوية وأمره باخراجه الى الناس قال الشيخ محيي الدين الذهبي حافظ الشام ما أظن المحيي يتعمد الكذب أصلا وهو من أعظم المنكرين وأشدهم على طائفة الصوفية ثم ان الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى كان مسكنه ومظهره بدمشق وأخرج هذه العلوم اليهم ولم ينكر عليه أحد شيأ من ذلك وكان قاضي القضاة الشافعية في عصره شمس الدين أحمد الحوبي يخدمه خدمة العبيد وقاضي القضاة المالكية زوجه بابنته وترك القضاء بنظرة وقعت عليه من الشيخ * واما كراماته ومناقبه فلا تحصرها مجلدات وقول المنكرين في حق مثله غثاء وهباء لا يعبأ به والحمد لله تعالى انتهى ما نقلته من كلام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه * وقد حكى الشيخ رضي الله تعالى عنه عن نفسه في كتبه ما يبهر الالباب وكفى بذلك دليلا على ما منحه الله الذي يفتح لمن شاء الباب وقد اعتنى بتربته بصالحية دمشق سلاطين بني عثمان نصرهم الله تعالى على توالي الازمان وبنى عليه السلطان المرحوم سليم خان المدرسة العظيمة ورتب له الاوقاف وقد زرت قبره وتبركت به مرارا ورأيت لوائح الانوار عليه ظاهرة ولا يجد منصف محيدا الى انكار ما يشاهد عند قبره من الاحوال الباهرة وكانت زيارتي له بشعبان ورمضان وأول شوال سنة ١٠٣٧ * وقال في عنوان الدراية ان الشيخ محيي الدين كان يعرف بالاندلس بابن سراقة وهو فصيح اللسان بارع فهم الجنان قوي على الايراد كلما طلب الزيادة يزاد رحل

أحاط بذلك من جميع الوجوه في كتابنا المترجم بكتاب الزلف وأتينا على طريف أخبارهم وأنواع لهوهم وتلاهيهم في كتاب أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته ههنا اذ هذا الكتاب في غاية الايجاز وان سنح لنا سانح ذكرنا لمعا من هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وان تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح (ثم ملك الروم) بعد قسطنطين ابن هلاني الملك المتنصر قسطنطين بن قسطنطين وهو ابن الملك الماضي وكان ملكه اربعا وعشرين سنة وبنى كنائس كثيرة وشدد دين النصرانية (ثم تملك) ابن أخي قسطنطين الاول بوليانس فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وهو بوليانس المعروف بالحنفي وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه لرجوعه عن النصرانية وتغييره لرسومها يسمونه بليانس السبرباط وغزا العراق في ملك سابور ابن اردشير بن بابك فأتاه سهم غرب فذبحه وقد كان سار الى العراق في جنود لا تحصى ولم يكن لسابور حيلة في دفعه ولقائه لما جاءته اياه فانصرف

الى

الى العدوة ودخل بجاية فى رمضان سنة ٥٩٧ وبها لقى أبا عبد الله العربى وجماعة من الافاضل ولما دخل بجاية فى التاريخ المذكور قال رأيت ليلة انى نكحت نجوم السماء كلها فما بقى منها نجم الا نكحته بلذة عظيمة روحانية ثم لما كملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها ثم عرضت رؤياى هذه على من قصها على رجل عارف بالرؤيا بصير بها وقلت للذى عرضتها عليه لاتذكرنى فلما ذكر الرؤيا استعظمها وقال هذا هو البحر الذى لا يدرك قعره صاحب هذه الرؤيا يفتح الله تعالى له من العلوم العلوية وعلوم الاسرار وخواص الكواكب مالايكون فيه أحد من أهل زمانه ثم سكت ساعة وقال ان كان صاحب هذه الرؤيا فى هذه المدينة فهو ذاك الشاب الاندلسى الذى وصل اليها ثم قال صاحب العنوان ما ملخصه ان الشيخ محيى الدين رحل الى المشرق واستقرت به الدار وألف تواليفه وفيها مافيها ان قيض الله تعالى من يسامح ويتاول سهل المرام وان كان ممن ينظر بالظاهر فالامر صعب وقد تقدم عليه أهل الديار المصرية وسعوا فى اراقة دمه فخلصه الله تعالى على يد الشيخ أبى الحسن البجائى فانه سعى فى خلاصه وتاول كلامه ولما وصل اليه بعد خلاصه قال له الشيخ رحمه الله تعالى كيف يحبس من حل منه اللاهوت فى الناسوت فقال له ياسيدى تلك شطحات فى محل سكر ولا عتب على سكران * وتوفى الشيخ محيى الدين فى نحو الاربعين وستمائة وكان يحدث بالاجازة العامة عن السلفى رحمه الله تعالى انتهى * ومن موشحات الشيخ محيى الدين رضى الله تعالى عنه

مطلع

سرائر الاعيان * لاحت على الاكوان * للناظرين
والعاشق الغيران * من ذاك فى حران * يبدى الانين

دور

يقول والوجد * أضناه والبعد * قد حيره
لما دنا البعد * لم أدر من بعد * من غيره
وهيم العبد * والواحد الفرد * قد خيره
فى البوح والكتمان * والسر والاعلان * فى العالمين
أما هو الديان * ياعابد الاوثان * أنت الضنين

دور

كل الهوى صعب * على الذى يشكو * ذل الحجاب
يامن له قلب * لو أنه يذكو * عند الشباب
قد قرب الرب * لكنه افك * فانو المتاب
وناد يارحمن * يارب يامنان * انى حزين
أضنانى الهجران * ولا حبيب دان * ولا معين

دور

فنسيت بالله * عما تراه العين * من كونه

من ذلك وهو الملك الثالث من بعد ظهور دين النصرانية ولما هلك بليانس خرج من كان معه من الملوك والبطارقة والجيوش ففزعوا الى بطريق كان معظما فيهم يقال له مرينا س وقيل انه كاتب الماضى فابى عليهم ان يتملك الان يرجعوا الى دين النصرانية فاجابوه الى ذلك وضايق سابور التوم وأحاط بعساكرهم فكان لمرينا س مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ومحادثة ومعاشرة ثم افترقا وانصرف بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ما اتلف من أرضه باموال حملها اليه وهدايا من لطائف الروم وشيدها كل فى دين النصرانية وردها الى ما كانت عليه ومنع من الاصنام والتماثيل وقتل على عبادتها وكان ملكه سنة (ثم ملك بعده) أوانيس وهو على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك فى بعض حروبه وكان ملكه الى أن هلك أربع عشرة سنة وقيل ان فى ايامه استيقظ أصحاب الكهف

من رقدتهم على حسب ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة وهذا الموضع من أرض الروم

في الشمال والناس ممن عني بعلم الفلك وازورار الشمس عن كهفهم في حال طلوعها وغروبها لموضعهم من

في موقف الجاه * وصحت أين الاين * في بينه
فقال ياساهي * عاينت قطعين * ببينه
أما ترى غيلان * وقيس أومن كان * في الغابرين
قالوا الهوى سلطان * ان حل بالانسان * أفناه دين

دور

كم مرة قالا * أنا الذى أهوى * من هو أنا
فلا أرى حالا * ولا أرى شكوى * الا الفنا
لست كمن مالا * عن الذى يهوى * بعد الجنا
ودان بالسلوان * هذا هوا لبهتان * للعارفين
سلوهم ما كان * عن حضرة الرحمن * والا كثين

دور

دخلت في بستان * الانس والقرب * كمكنسه
فقام لي الريحان * يختال بالعجب * في سندسه
أنا هو الانسان * مطيب الصب * في مجلسه
ياجنان ياجنان * اجن من البستان * الياسمين
وحلل الريحان * بحرمة الرحمن * للعاشقين

وقال الامام الصفي بن ظافر الازدي في رسالته رأيت بدمشق الشيخ الامام العارف الوحيد محيي الدين بن عربي وكان من أكبر علماء الطريق جمع بين سائر العلوم الكسبية وما وفر له من العلوم الوهبية ومنزلته شهيرة وتصانيفه كثيرة وكان غلب عليه التوحيد علما وخلقا وحالا لا يكترث بالوجود مقبلا كان أو معرضا وله علماء اتباع أرباب مواجيد وتصانيف وكان بينه وبين سيدى الاستاذ الحرار اخاء ورفقة في السياحات رضي الله تعالى عنهما انتهى * وذكر الامام سيدى عبد الله بن سعد اليافعي اليمني في الارشاد أنه اجتمع مع الشهاب السهروردى فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام فقيل للشيخ ابن عربي ما تقول في السهروردى فقال مملوء سنة من قرنه الى قدمه وقيل للسهروردى ما تقول في الشيخ محيي الدين فقال بحر الحقائق ثم قال اليافعي ما ملخصه ان بعض العارفين كان يقرأ عليه كلام الشيخ ويشرحه فلما حضرته الوفاة نهى عن مطالعته وقال انكم لا تفهمون معاني كلامه ثم قال اليافعي وسمعت أن العز بن عبد السلام كان يطعن عليه ويقول هو زنديق فقال له بعض أصحابه أريد أن تريني القطب أو قال وليا فاشار الى ابن عربي فقال له فأنت تطعن فيه فقال أصون ظاهر الشرع أو كما قال وأخبرني بهذه الحكاية غير واحد من ثقات مصر والشام ثم قال وقد مدحه وعظمه طائفة كالنجم الاصبهاني والتاج بن عطاء الله وغيرهما وتوقف فيه طائفة وطعن فيه آخرون وليس الطاعن بأعلم من الخضر عليه السلام اذ هو أحد شيوخه وله معه اجتماع كثير ثم قال وما ينسب الى المشايخ له محامل الاول أنه لم تصح نسبته اليهم الثاني بعد الصحة يلتمس له تأويل موافق فان لم يوجد له تأويل في الظاهر

الشمال كلام كثير وقد أخبر الله تعالى في كتابه قال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم الآية وكانوا من أهل مدينة افسس من أرض الروم (ثم ملك بعد أوانيس) عمر اصطفانس خمس عشرة سنة ولسنة من ملكه كان اجتماع النصرانية وهو أحد الاجتماعات باسم القوم في روح القدس عندهم وأحرقوا مقدونيس بطريق القسطنطينية وهو السندوس الثاني (ثم ملك بعده) بدوسيس الاكبر وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية وعظم منها وبني كنائس ولم يكن من أهل بيت الملك ولا من الروم وانما كان أصله من الاشبان وهم بعض الملوك السالفة وقد كان ممن ملك الشام ومصر والاندلس وقد تنازع الناس فيهم فذكر الواقدى في كتاب فتوح الامصار أن بدأهم من اهل أصبهان وانهم ناقلة من هنالك وهذا يوجب انهم من قبل ملوك فارس الاولى وذكر عبد الله ابن خرداذبه نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير والاخبار والاشهر من امرهم انهم ولد يافث بن نوح وهم من ملوك

فله تأويل في الباطن لم نعلمه وانما يعلمه العارفون الثالث أن يكون ذلك صدر منهم في حال السكر والغيبة والسكران سكرا مباحا غير مؤاخذ ولا مكلف انتهى ملخصا وممن ذكر الشيخ محيي الدين الامام شمس الدين محمد بن مسدي في معجمه البديع المحتوي على ثلاث مجلدات وترجمه ترجمة عظيمة مطولة ذكر منها أنه قال انه كان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات خاض بحار تلك العبارات وتحقق بمحيا تلك الاشارات وتصانيفه تشهد له عند أولي البصر بالتقدم والاقدام ومواقف النهايات في مزالق الاقدام ولهذا ما ارتبت في أمره والله تعالى أعلم بسره انتهى : ونقلت من خط ابن علوان التونسي رحمه الله تعالى قال الشيخ محيي الدين

بالمال ينقاد كل صعب * من عالم الارض والسماء
يحسبه عالم حجابا : لم يعرفوا لذة العطاء
لولا الذي في النفوس منه * لم يجب الله في الدعاء
لا تحسب المال ما تراه * من عسجد مشرق الضياء
بل هو ما كنت يا بني * به غنيا عن السواء
فكن برب العلا غنيا * وعامل الخلق بالوفاء

وقال

نبه على السر ولا تفشه * فالبوح بالسر له مقت
على الذي يبديه فاصبر له * واكتمه حتى يصل الوقت

وقال

دهرنا علما ماعلينا * فما لنا في الوجود دهر
أدبنا صيرت رؤسا * مالي على ما أراه صبر
هذا هو الدهر يا خليلي * من يقاسيه فهو قهر

ونظم الشيخ محيي الدين هو البحر الذي لا ساحل له ولنختم ما أوردنا منه بقوله

ياحبذا المسجد من مسجد * وحبذا الروضة من مشهد
وحبذا طيبة من بلدة * فيها ضريح المصطفى أحمد
صلى عليه الله من سيد * لولاه لم نفلح ولم نهتد
قد قرن الله به ذكره * في كل يوم فاعتبر ترشد
عشر خفيات وعشر اذا * أعلن بالتأذين في المسجد
فهذه عشرون مقرونة * بافضل الذكر الى الموعد

*(ومنهم الصوفي الشهير أبو الحسن الششتري وهو علي بن عبد الله النميري) عروس الفقهاء وامام المتجردين وبركة لابسي الخرقة وهو من قرية ششتر من عمل وادي آش وزقاق الششتري معلوم بها وكان مجوّدا للقرآن قائما عليه عارفا بمعانيه من أهل العلم والعمل جال في الآفاق ولقي المشايخ وحج حجات وآثر التجرد والعبادة *وذكره القاضي أبو العباس الغبريني في عنوان الدراية فقال الفقيه الصوفي من الطلبة المحصلين والفقراء المنقطعين

الاندلس من الازارقه واحدهم ازرقي وقد تنوزع في دياناتهم فمن زاعم انهم كانوا على دين المجوس ومنهم من رأى انهم كانوا على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الاصنام وقد قلنا ان الاشهر من انسابهم انهم ولد يافث بن نوح فكان مدة ملك بدرسس الى ان هلك عشر سنين (ثم ملك بعده) أوباديس أربع عشرة سنة وكان على دين النصرانية (ثم ملك بعده) ابنه بدرسيس الاصغر وذلك بمدينة افسس وجمع مائتي أسقف وهذا الاجتماع الثالث الذي قدمنا ذكره آنفا للعن فيه نسطورس البطرك وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان الحيلة التي وقعت على نسطورس بطرك القسطنطينية صاحب الكرسي بالاسكندرية وما كان من نسطورس ونفيه ليوحنا المعروف بالراهب وما كان في بدريا زوجة الملك الى أن نفي نسطورس من القسطنطينية الى انطاكية ثم منها الى صعيد مصر والمشارقة من النصارى أضيفوا الى نسطورس لانهم اتبعوه وقالوا بقوله وانما وسمتهم الملكية بهذا الاسم لتعيرهم وتعيبهم بذلك وقد

كانت المشارقة بالحيرة وغيرها من المشرق تدعى بالعباد وسائر نصارى المشرق يابون هذه الاضافة

له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية وتقدم فى النظم والنثر على طريقة التحقيق وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية فى الانطباع أخذ عن القاضى محيى الدين محمد بن ابراهيم ابن الحسن بن سراقة الانصارى الشاطبى وغيره من أصحاب السهروردى صاحب عوارف المعارف واجتمع بالنجم بن ابراهيم الدمشقى سنة ٦٥٤ وخدم أبا محمد بن سبعين وتلمذ له وكان ابن سبعين دونه فى السن لكن اشتهر باتباعه وعوّل على ما لديه حتى صار يعبر عن نفسه فى منظوماته وغيرها بعبد ابن سبعين وقال له لما لقيه مريد المشايخ ان كنت تريد الجنة فسر الى أبى مدين وان كنت تريد رب الجنة فهلم الى ولما مات أبو محمد انفرد بعده بالرياسة والامامة على الفقراء المتجردين فكان يتبعه فى أسفاره ما ينيف على أربعمائة فقير فيقسمهم الترتيب فى وظائف خدمته صنف كتبا منها كتاب العروة الوثقى فى بيان السنن واحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يعمله ويعتقده الى وفاته وله كتاب المقاليد الوجودية فى اسرار الصوفية والرسالة القدسية فى توحيد العامة والخاصة والمراتب الايمانية والاسلامية والاحسانية والرسالة العلمية وغير ذلك وله ديوان شعر مشهور ومن نظمه قوله رحمه الله تعالى

لقد تهت عجبا بالتجرد والفقر * فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر
وجاءت لقلبى نفحة قدسية * فغبت بها عن عالم الخلق والامر
طويت بساط الكون والطى نشره * وما القصد الا الترك للطى والنشر
وغمضت عين القلب غير مطلق * فألفيتنى ذاك الملقب بالغير
وصلت لمن لم تنفصل عنه لحظة * ونزهت من أعنى عن الوصل والهجر
وما الوصف الا دونه غير أننى * أريد به التشبيب عن بعض ما أدرى
وذلك مثل الصوت أيقظ نائما * فأبصر أمرا جل عن ضابط الحصر
فقلت له الاسماء تبغى بيانه * فكانت له الالفاظ سترا على ستر

وقال

من لامنى لوأنه قد أبصرا * ماذقته أضحى به متحيرا
وغدا يقول لصحبه ان أنتمو * أنكرتمو ما بى أتيتم منكرا
شذت أمور القوم عن عاداتهم * فلاجل ذاك يقال سحر مفترى

وقال وهى من أشهر ما قال

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى * بفكر رمى سهما فعدى به عدنا
وطالبنا مطلوبنا من وجودنا * نغيب به عنا لدى الصعق ان عنا

وهى طويلة مشهورة بالشرق والغرب وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا العارف بالله تعالى سيدى أحمد زروق نفعنا الله تعالى ببركاته وأشار ابن الخطيب فى الاحاطة الى أنها لا تخلو عن شذوذ من جهة اللسان وضعف فى العربية قال ومع ذلك فهى غريبة المنزع أشار فيها الى مراتب الاعيان الاعلام من أهل هذه الطريقة وكانها مبنية على كلام شيخه الذى خاطبه به عند لقائه حسبما قدمناه الحسنى الجنة والزيادة مقام النظر وقوله فيها

في الثالوث وهو الكلام فى الاقانيم الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث وكان ملك بدوسيس الى ان هلك اثنتين وأربعين سنة (ثم ملك بعده) مرقيانوس (ثم ملك الروم) بخاريا زوجة مرقيانوس وكانت ملكة معه وفى أيامها كان حبر اليعاقبة من النصارى ووقوع الخلاف بينهم فى الثالوث فكان ملكها سبع سنين وأكثر اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها الا اليسير فانهم ملكية والنوبة والارمن يعاقبة ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد وقد كان لهم بالقرب من رأس العين واحد وثالث وسابعهم اليوم بناحية حلب ببلاد قنسرين والعواصم وكرسى اليعاقبة رسمه ان يكون بمدينة انطاكية وكذلك لهم كرسى بمصر ولا أعلم له غير هذين الكرسيين وهما مصر وانطاكية (ثم ملك بعدها) اليون الاصغر ابن اليون وكان ملكه ست عشرة سنة وفى أيامه احرم مسعرة اليعقوبى بطرك الاسكندرية واجتمع له من الاساقفة ستمائة وستون اسقفا

وأظهر منها الغافق لماجنى * وكشف عن أطواره الغيم والدجا

هو شيخه أبو محمد بن سبعين لانه مرسي الاصل غافقيه ولما وصل الششتري من الشام الى ساحل دمياط وهو مريض مرض موته نزل قرية بساحل البحر الرومي فقال ما اسم هذه القرية فقيل الطينة فقال حنت الطينة الى الطينة وأوصى أن يدفن بمقبرة دمياط اذ الطينة مفازة وأقرب المدن اليها دمياط فحمله الفقراء على أعناقهم الى دمياط وكانت وفاته يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٦٦٨ فدفن بدمياط رحمه الله تعالى ورضي عنه * (ومنهم سيدي أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الاندلسي) وحرالة قرية من أعمال مرسية غير أنه ولد بمراكش وأخذ بالاندلس عن أبي الحسن بن خروف وغير واحد ورحل الى المشرق فأخذ عن أبي عبد الله القرطبي امام الحرم وغيره ولقي جملة من المشايخ شرقا وغربا وهو امام ورع صالح زاهد كان بقية السلف وقدوة الخلف وقد زهد في الدنيا وتخلى عنها وأقام في تفسير الفاتحة نحوا من ستة أشهر يلقي في التعليل قوانين تتنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الاحكام حتى منّ الله تعالى ببركات ومواهب لا تحصى وعلى أحكام تلك القوانين وضع كتابه مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل وهو ممن جمع العلم والعمل وصنف في كثير من الفنون كالاصول والمنطق والطبيعيات والالهيات وكان يقرأ النجاة لابن سينا فينقضه عروة عروة وكان من أعلم الناس بمذهب مالك ونما ظن فقهاء عصره انه لا يحسن المذهب لاشتغاله بالمعقولات قرأ التهذيب وأبدى فيه الغرائب وبين مخالفته للمدونة في بعض المواضع ووقع بينه وبين الشيخ عز الدين بن عبد السلام شئ وطلب عز الدين أن يقف على تفسيره فلما وقف عليه قال اين قول مجاهد أين قول فلان وفلان وكثر القول في هذا المعنى ثم قال يخرج من بلادنا الى وطنه يعني الشام فلما بلغ كلامه الشيخ قال هو يخرج وأقيم أنا فكان كذلك وله عدة مؤلفات في الفنون وقال رحمه الله تعالى أقمت ملازما لمجاهدة النفس سبعة أعوام حتى استوى عندي من يعطيني دينارا ومن يزدريني وأصبح رحمه الله تعالى ذات يوم ولا شئ لاهله يقيم به أودهم وكانت أم ولده جارية تسمى كريمة وكانت سيئة الخلق فاشتدت عليه في الطلب وقالت له ان الاصاغر لا شئ لهم فقال لها الآن يأتي من قبل الوكيل ما نتقوت به فبينما هم كذلك واذا بجمال يضرب الباب ومعه قمح فقال لها يا كريمة ما أعلمك هذا الوكيل بعث بالقمح فقالت ومن يصنعه فأمر فتصدق به ثم قال لها يأتيك ماهو أحسن فانتظرت يسيرا وبدا لها فاقة كلمته بما لا يليق فبينما هم كذلك واذا بجمال سميذ فقال لها هذا السميذ أيسر وأسهل من القمح فلم يقنعها ذلك فأمر أيضا بصدقته فلما تصدق به زادت في المقال واذا برجل على رأسه طعام فقال لها يا كريمة قد كفيت المؤنة هذا الوكيل قد لطف بحالك * ومن كراماته أن بعض طلبته اجتمعوا في نزهة وأخذوا حليا من زينة النساء فتزينوا به بعض أصحابهم فلما انقضى ذلك واجتمعوا بمجلس الشيخ صار الذي كان في يده الحلي يتحدث ويشير بيده فقال الشيخ يد يجعل فيها الحلي لا يشار بها في الميعاد ومنها انه أصاب الناس جدب ببجاية فأرسل الى داره من يسوق ماء الى الفقراء فامتنعت كريمة ونهرت رسله فسمع كلامها فقال للرسول قل لها يا كريمة والله لا شربن

وفي تاريخ الروم ان عدة المجتمعين ستمائة وستون رجلا وذلك بخلقدونية وهذا الاجماع وهو السندوس الرابع عند الملكية والمعاقبة لا تعتد بهذا السندوس ولهم خبر ظريف في قصة سواري البطرك وما كان من أمره وخبر تلميذه يعقوب البراذعي ودعوته الى مذهب سواري واليعاقبة أضيفت الى مذهب يعقوب البراذعي هذا وبه عرفت وكان من أهل انطاكية يعمل البراذع (ثم ملك) بعد اليون الاصغر ابنه ليون سنة على دين الملكية (ثم ملك بعده) بيروهو من بلاد الامينيان وكان يذهب الى رأي اليعقوبية وكان ملكه سبع عشرة سنة وكانت له حروب مع خوارج خرجوا عليه من دار الملك تظاهر بهم (ثم ملك بعده) نسطاس وكان يذهب الى مذهب اليعقوبية وبنى مدينة عمورية وأصاب كنوزا ودفائن عظيمة وكان ملكه الى ان هلك تسعا وعشرين سنة (ثم ملك بعده) يوسطيانوس تسع سنين (ثم ملك بعده) سطيانس تسعا وثلاثين سنة وقيل أربعين وبنى كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية وبنى كنيسة الرها وهي احدى عجائب

بن مرء المطر الساعة يرمق السماء بطرفه ودعا الله سبحانه وتعالى ورفع يديه وشرع المؤذن في الاذان ولم يختم المؤذن أذانه حتى كان المطر كافواه القرب وتوفي رحمه الله تعالى بحماة من بلاد الشام سنة سبع وثلاثين وستمائة انتهى ملخصا من عنوان الدراية للغبريني

ووقع للذهبي في حقه كلام على عادته في الحط على هذه الطائفة ثم قال ورأيت شيخنا المجد التونسي يتغالى في تفسيره ورأيت غير واحد معظما له وموقرا وقوما يتكلمون في عقيدته وكان نازلا عند قاضي حماة البارزي وقال لنا شرف الدين البارزي تزوج بحماة وكانت زوجته تشتمه وتؤذيه وهو يتبسم وان رجلا راهن جماعة على أن يحرجه فقالوا لا تقدر فأتى وهو يعظ وصاح وقال له أنت أبوك كان يهوديا وأسلم فنزل من الكرسي فاعتقد الرجل انه غضب وانه تم له ما رامه حتى وصل اليه فخلع مرطية عليه وأعطاه اياها وقال له بشرك الله بالخير لانك شهدت لابي انه كان مسلما انتهى وظاهر كلام الغبريني ان تفسير الشيخ الحرالي كامل وقال بعضهم انه لم يكمل وهو تفسير حسن وعليه نسج البقاعي مناسباته وذكر ان الذي وقف عليه منه من أول القرآن الى قوله في سورة آل عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا وكلام الذهبي في الشيخ يرده كلام الغبريني اذ هو أعرف به والله تعالى أعلم

وحكى الغبريني انه أنشد بين يديه الزجل المشهور

جنان يا جنان * اجن من البستان * الياسمين
واترك الريحان * بحرسة الرحمن * للعاشقين

فسأل بعض عن معناه فقال بعض الحاضرين أراد به العذار وقال آخر انما أشار الى دوام العهد لان الازهار كلها ينقضي زمانها الا الريحان فانه دائم فاستحسن الشيخ هذا ووافق عليه * (ومنهم ولي الله العارف به الشيخ الشهير الكرامات الكبير المقامات سيدي أبو العباس المرسي نفعنا الله تعالى به) وهو من أكابر الاولياء صحب سيدي الشيخ الفرد القطب الغوث الجامع سيدي أبا الحسن الشاذلي أعاد الله تعالى علينا من بركاته وخلفه بعده وكان قدم من الاندلس من مرسية وقبره بالاسكندرية مشهور باجابة الدعوات وقد زرته مرارا كثيرة ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله وقد عرف به الشيخ العارف بالله ابن عطاء الله في كتابه لطائف المنن في مناقب الشيخ سيدي أبي العباس وشيخه سيدي أبي الحسن رضي الله تعالى عنهما وقال الصفدي في الوافي أحمد بن عمر بن محمد الشيخ الزاهد الكبير العارف أبو العباس الانصاري المرسي وارث شيخه الشاذلي تصوفا الاشعري معتقدا توفي بالاسكندرية سنة ٦٨٦ ولاهل مصر ولاهل الثغر فيه عقيدة كبيرة وقد زرته لما كنت بالاسكندرية سنة ٧٣٨ قال ابن عرام سبط الشاذلي ولولا قوة اشتهاره وكراماته لذكرت له ترجمة طويلة كان من الشهود بالثغر انتهى وكان سيدي أبو العباس يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يحتفل به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لان ذلك الطائع أتى وهو متكثر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي دخل بكسر معصيته وذل مخالفته وكان شديد الكراهة للوسواس في الصلاة والطهارة وينقل عليه شهود من كان على صحبته وذكر عنده يوما شخص بانه صاحب علم وصلاح الا انه كثير الوسوسة فقال وأين

حين أخرج من ماء المعمودية تنشف به فلم يزل هذا المنديل يتداول الى أن قرر بكنيسة الرها فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها في هذه السنة وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة اعطي هذا المنديل للروم فخمدوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليمهم هذا المنديل فرح عظيم (ثم ملك بعده) ابن اخيه قرسطيس ثلاث عشرة سنة على رأي الملكية (ثم ملك بعده) طباريس أربع سنين واظهر في ملكه انواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك (ثم ملك بعده) مورقس عشرين سنة ونصر كسرى ابرويز على بهرام جور فقتل عليه وبعث ابرويز غضبا له بجيوش الى الروم وكانت لهم حروب على حسب ما قدمنا (ثم ملك بعده) قوماس ثمان سنين الى ان قتل أيضا (ثم ملك هرقل) وكان بطريقا في بعض الجزائر فعمل ذلك فعمر بيت المقدس وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام وبني الكنائس ملك سبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى

العالم العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبياض في الابيض والسواد في الاسود وله كلام بديع في تفسير القرآن العزيز فمن ذلك انه قال قال الله سبحانه وتعالى الحمد لله رب العالمين علم الله عجز خلقه عن حمده فحمد نفسه بنفسه في أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه بحمده فقال الحمد لله رب العالمين أي الحمد الذي حمد به نفسه بنفسه هو له لا ينبغي أن يكون لغيره فعلى هذا تكون الالف واللام للعهد وقال في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اياك نعبد شريعة واياك نستعين حقيقة اياك نعبد اسلام واياك نستعين احسان اياك نعبد عبادة واياك نستعين عبودية اياك نعبد فرق واياك نستعين جمع وله في هذا المعنى وغيره كلام نفيس يدل على عظيم ما منحه الله سبحانه من العلوم اللدنية وقال رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل وهذا الجواب ذكره ابن عطية في تفسيره وبسطه الشيخ رضي الله تعالى عنه فقال عموم المؤمنين يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين والصالحون يقولون اهدنا الصراط المستقيم معناه نسألك التثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل لانهم حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء والشهداء يقولون اهدنا الصراط المستقيم أي بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانهم حصلت لهم درجة الشهادة وفاتهم درجة الصديقية والصديق كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم اذ حصلت له درجة الصديقية وفاتته درجة القطبانية والقطب كذلك يقول اهدنا الصراط المستقيم فانه حصلت له رتبة القطبانية وفاته علم اذا شاء الله تعالى أن يطلعه عليه أطلعه وقال رضي الله تعالى عنه الفتوة الايمان قال الله سبحانه وتعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وقال رضي الله تعالى عنه في قوله سبحانه وتعالى حاكيا عن الشيطان ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم لان فوقهم التوحيد وتحتهم الاسلام وقال رضي الله تعالى عنه التقوى في كتاب الله عز وجل على أقسام تقوى النار قال الله سبحانه وتعالى واتقوا النار وتقوى اليوم قال الله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وتقوى الربوبية قال الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم وتقوى الالوهية وتقوى الله وتقوى الانية واتقون يا أولى الالباب وقال رضي الله تعالى عنه في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي لا أفتخر بالسيادة وانما الفخر لي بالعبودية لله وكان كثيرا ما ينشد

يا عمرو ناد عبد زهراء * يعرفه السامع والرائي
لا تدعني الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائي

وقال رضي الله تعالى عنه في قول سمنون المحب

وليس لي في سواك حظ * فكيفما شئت فاختبرني

الاولى أن يقول فكيفما شئت فاعف عني اذ طلب العفو أولى من طلب الاختبار وقال رضي الله تعالى عنه الزاهد جاء من الدنيا الى الآخرة والعارف جاء من الآخرة الى الدنيا وقال

مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عصر من كان من ملوك الروم فمنهم من ذهب الى ما قدمنا من مولده وهجرته ومنهم من رأى ان مولده عليه الصلاة والسلام كان في ملك نوسطوس الاول وكان ملكه تسعا وعشرين سنة (ثم ملك نوسطوس) وكان ملكه عشرين سنه (ثم ملك بعده) هرقل بن منطيوس وهو الذي في كتب الزيجات في النجوم وعليه يعمل أهل الحساب وفي تواريخ ملوك الروم ممن سلف وخالف أن ملك الروم كان في وقت ظهور الاسلام وأيام أبي بكر وعمر هرقل وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب التواريخ وأصحاب الاخبار والسير الا في اليسير منها وفي تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن مورق (ثم ملك بعده) قيصر بن قيصر وذلك في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه (ثم ملك على الروم هرقل ابن قيصر) وذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي حاربه أمراء الاسلام الذين فتحوا الشام مثل أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من أمراء الاسلام حين أخرجوه من الشام

رضي الله تعالى العارف لا دنياله لان دنياه لآخرته وآخرته لربه وقال الزاهد غريب من الدنيا لان الآخرة وطنه والعارف غريب في الآخرة قال بعض العارفين معنى الغربة في كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه أن الزاهد كشف له عن ملك الآخرة فتبقى الآخرة موطن قلبه ومعشش روحه فيكون غريبا في الدنيا اذ ليست وطنا لقلبه عاين الآخرة فاخذ قلبه فيما عاين من ثوابها ونوالها وفيما شهد من عقو بتها ونكالها فتغرب في هذه الدار وأما العارف فانه غريب في الآخرة اذ كشف له عن صفات معروفة فاخذ قلبه فيما هنالك فصار غريبا في الآخرة لان سره مع الله تعالى بلا أين فهؤلاء العباد تصير الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون فان تنزلوا الى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين فلم ينزلوا الى الحظوظ بالشهوة ولم يصعدوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة بل كانوا في ذلك كله بالله تعالى وآداب رسله وأنبيائه متأدبين وبما اقتضى منهم مولاهم عاملين رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين * وكلام سيدي الشيخ أبي العباس رضي الله تعالى عنه بحر لا ساحل له وكراماته كذلك وليراجع كتاب تلميذه ابن عطاء الله فان فيه من ذلك ما يشفي ويكفي وما بقي أكثر * ومن كراماته رضي الله تعالى عنه انه عزم عليه انسان وقدم اليه طعاما يختبره به فاعرض عنه ولم يأكله ثم التفت الى صاحب الطعام وقال له ان الحافظ المحاسبي رضي الله تعالى عنه كان في اصبعه عرق اذا مديده الى طعام فيه شبهة تحرك عليه وأنا في يدي سبعون عرقا تتحرك اعلي اذا كان مثل ذلك فاستغفر صاحب الطعام واعتذر الى الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفعنا به *(ومنهم أبو اسحق الساحلي المعروف بالطويجن) بضم الطاء المهملة وفتح الواو وسكون التحتية وكسر الجيم وقيل بفتحها العالم المشهور والصالح المشكور والشاعر المذكور من أهل غرناطة من بيت صلاح وثروة وأمانة وكان أبوه أمين العطارين بغرناطة وكان مع أمانته من أهل العلم فقيها متقنا متفننا وله الباع المديد في الفرائض وأبو اسحق هذا كان في صغره موثقا بسماط شهود غرناطة وارتحل عن الاندلس الى المشرق فحج ثم سار الى بلاد السودان فاستوطنها ونال جاها مكينا من سلطانها وبها توفي رحمه الله تعالى انتهى ملخصا من كلام الامير ابن الاحمر في كتابه نثير الجمان فيمن نظمني واياه الزمان * وقال أبو المكارم منديل بن آجروم حدثني من يوثق بقوله ان أبا اسحق الطويجن كانت وفاته يوم الاثنين ٢٧ جمادى الاخيرة سنة ٧٤٧ بتبكتو موضع بالصحراء من عمالة مالي رحمه الله تعالى ثم ضبط الطويجن بكسر الجيم قال وبذلك ضبطه بخط يده رحمه الله تعالى قال ومن نسبه للساحلي فانه نسبه لجده للام انتهى *(ومنهم الشيخ الاديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجي الساعدي) من أهل غرناطة ويشهر بالخزرجي مولده ببديغة رحل عن الاندلس قديما واستقر أخيرا بالاسكندرية وبها لقيه الحافظ ابن رشيد غير مرة وقد أطال في رحلته في ترجمته الى أن قال وذكره صاحبنا أبو حيان وهو أحد من أخذ عنه ولقيه فقال تلا القرآن بالاندلس على أبي الوليد هشام بن واقف المقري وسمع بها من أبي زيد الرازي العشر بينات وسمع بمكة من شهاب الدين السهروردي صاحب عوارف المعارف

مورق بن مورق في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيام معاوية بن أبي سفيان (ثم ملك بعده) قلفط بن مورق بقية أيام معاوية وكانت بينه وبين معاوية مراسلات ومهادنات وكان اختلاف بينهما نيافي الرومي غلام كان لمعاوية وقد كان معاوية هادن اباه مورق بن مورق حين سار الى حرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان بشره بالملك واعلمه ان المسلمين تجتمع كلمتهم على قتل صاحبهم يعني عثمان ثم نزل الملك الى معاوية وقد كان معاوية يومئذ اميرا على الشام لعثمان في خبر طويل قد أتينا على ذكره في الكتاب الاوسط وان ذلك من علم الملاحم تتوارثه ملوك الروم عن أسلافهم وكان ملك قلفط بن مورق في الآخر من أيام معاوية وأيام يزيد بن معاوية وأيام معاوية بن يزيد وأيام مروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك بن مروان (ثم ملك لاون) بن قلفط في أيام عبد الملك بن مروان وكان الملك بعده جيرون بن لاون في أيام الوليد بن عبد الملك وأيام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر

وتلا

وتلا بالاسكندرية على أبي القاسم بن عيسى ولا يعرف له نظم في أحد من العالم الا في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شعره يعارض الحريري

أهن لاهل البدع * والهجر والتصنع * ودن بترك الطمع ولذ باهل الورع

وعد عن كل بذي * لم يكترث بالنبذ * والهج بسبر جهبذ وعالم متضع

واندب زمانا قد سلف * ولم تجد منه خلف * وابعث بانواع الاسف رسائل التضرع

وهي طويلة فليراجع في ملء العيبة لابن رشيد رحمه الله تعالى (ومنهم الفقيه الجليل العارف النبيل الحاذق الفصيح البارع أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الشهير بابن سبعين العكي المرسي الاندلسي) ولقب من الالقاب المشرقية بقطب الدين قال الشيخ المؤرخ ابن عبد الملك درس العربية والآداب بالاندلس ثم انتقل الى سبتة وانتحل التصوف وعكف برهة على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها فمالت اليه العامة ثم رحل الى المشرق وحج حججا وشاع ذكره وعظم صيته وكثر أشياعه وصنف أوضاعا كثيرة تلقوها منه ونقلوها عنه ويرمى بأمور الله تعالى أعلم بها وبحقيقتها وكان حسن الاخلاق صبورا على الاذى آية في الايثار انتهى وقال غير واحد ان اغراض الناس فيه متباينة بعيدة عن الاعتدال فمنهم المرهق المكفر ومنهم المقلد المعظم الموقر وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والاعتقاد والنفرة والانتقاد ما لم يقع لغيره والله تعالى أعلم بحقيقة أمره ولما ذكر الشريف الغرناطي عنه أنه كان يكتب عن نفسه ابن دائرة يعني الدارة التي هي كالصفر وهي في بعض طرق المغاربة في حسابهم سبعون وشهر لذلك بابن دارة ضمن فيه البيت المشهور محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا * حسبما ذكره الشريف في شرح مقصورة حازم وقد طال عهدي به فليراجعه من ظفر به وقال صاحب درة الاسلاك في سنة ٦٦٩ ما صورته وفيها توفي الشيخ قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي صوفي متفلسف متزهد متقشف يتكلم على طريق أصحابه ويدخل البيت ولكن من غير أبوابه شاع أمره واشتهر ذكره وله تصانيف واتباع وأقوال تميل اليها بعض القلوب وتملها بعض الاسماع وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة تغمده الله تعالى برحمته انتهى وقال بعض الاعلام في حق ابن سبعين انه كان رحمه الله تعالى عزيز النفس قليل التصنع يتولى خدمة الكثير من الفقراء والسفارة أصحاب العبادات والدفاقيس بنفسه وتحفون به في السكك ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء كثر عليه التأويل ووجهت لالفاظه المعاريض وقلبت موضوعاته وتعاورته الوحشة وجرت بينه وبين الكثير من أعلام المشرق والمغرب خطوب يطول ذكرها ووقع في رسالة لبعض تلامذة ابن سبعين المذكور وأظن اسمه يحيى ابن محمد بن أحمد بن سليمان وسماها بالوراثة المحمدية والفصول الذاتية ما صورته فان قيل ما الدليل على أن هذا الرجل الذي هو ابن سبعين هو الوارث المشار اليه قلنا عدم

من أهل مرعش يقال له جرجيس وكان ملكه تسع عشرة سنة ولم يزل ملك الروم مضطربا الى ان ملكهم قسطنطين بن اليون وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور واخيه (ثم ملك بعده) اليون بن قسطنطين وذلك في أيام المهدي والهادي (ثم ملك بعده) قسطنطين بن اليون وكانت أمه أريني ملكة معه مشاركة له في الملك لصغر سنه في أيام هرون الرشيد ومات قسطنطين بن اليون وسملت عينا أمه بعد ذلك لاخبار يطول ذكرها (ثم ملك على الروم) يعفور بن استبراق وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات وغزاه الرشيد فاعطى القود من نفسه بعد بغي كان منه في بعض مراسلاته فانصرف الرشيد عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد وكتم عن الرشيد أمره لعارض علة كان وجدها بالرقة وفي انقياد يعفور الى الرشيد وحمله الاموال والهدايا والضريبة اليه يقول أبو العتاهية

امام الهدى أصبحت بالدين معنيا

وأصبحت تسقي كل مستمطر ريا * لك اسمان شقا من رشاد ومن هدى * فانت الذي تدعى رشيدا ومهديا

النظر واحتياج الوقت اليه وظهور الكلمة المشار اليها عليه ونصيحته لاهل الملة ورحمته المطلقة للعالم المطلق ومحبته لاعدائه وقصده لراحتهم مع كونهم يقصدون أذاه وعفوه عنهم مع قدرته عليهم وجذبهم الى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه وهذه كلها من علامات الوراثة والتبعية المحضة التى لا يمكن أحدا أن يتصف بها الا بمجد أزلى وتخصيص الهى وها أنا أصف لك بعض ماخصه الله سبحانه وتعالى به من الامور التى هى خارقة للعادة ونلغى عن الامور الخفية التى لا نعلمها ونقصد الامور الظاهرة التى نعلمها والتى لا يمكن أحدا أن يستر بعضها الا من أصمه الله تعالى وأعماه ولا يجحدها الا حسود قد أتعب الله تعالى قلبه وأنساه رشده ونعوذ بالله ممن عاند من الله تعالى ساعده وأيده وهو معه بنصره وعونه فما أتعب معانده وما أسعد مراده وما أكبت مراده فنبدأ بذكر ما وعدنا فنقول الاول فى شرفه واستحقاقه لما ذكرنا كونه خلقه الله تعالى من أشرف البيوت التى فى بلاد المغرب وهو بنو سبعين قرشيا هاشميا علويا أبواه وجدوده يشار اليهم ويعول فى الرياسة والحسب والتعيين عليهم والثانى كونه من بلاد المغرب والنبى عليه السلام قال لا يزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين الى قيام الساعة وما ظهر من بلاد المغرب رجل أظهر منه فهو المشار اليه بالحديث ثم نقول أهل المغرب أهل الحق وأحق الناس بالحق وأحق المغرب بالحق علماؤه لكونهم القائمين بالقسط وأحق علمائه بالحق محققهم وقطبهم الذى يدور الكل عليه ويعول فى مسائلهم ونوازلهم السهلة والعويصة عليه فهو حق المغرب والمغرب حق الله تعالى والمسئلة حق العالم فهو المشار اليه بالوراثة ثم نقول أهل المغرب ظاهرون على الحق أى على الدين والحق سر الدين والمحقق سر الحق فالمحقق سر الدين فهو المشار اليه بالوراثة ثم نقول أهل الله خير العالم وأهل الحق هم خير أهل الله والمحقق خير أهل الحق فالمحقق خير العالم فهو المشار اليه ثم نقول انظر فى بدايته وحفظ الله سبحانه له فى صغره وضبطه له من اللهو واللعب واخراجه من اللذة الطبيعية التى هى فى جبلة البشرية وتركه للرياسة العرضية المعول عليها عند العالم مع كونه وجدها فى آبائه وهى الآن فى اخوته وخروجه عن الاهل والوطن الذى قرنه الحق مع قتل الانسان نفسه وانقطاعه الى الحق انقطاعا صحيحا تعلم تخصيصه وخرقه للعادة ثم انظر فى تأييده وفتحه من الصغر وتأليف كتاب بدء العارف وهو ابن خمس عشرة سنة وفى جلالة هذا الكتاب وكونه يحتوى على جميع الصنائع العلمية والعملية وجميع الامور السنية والسنية تجده خارقا للعادة وفى نشأته فى بلاد الاندلس ولم يعلم له كثرة نظر وظهوره فيها بالعلوم التى لم تسمع قط تعلم أنه خارق للعادة وفى تواليفه واشتمالها على العلوم كلها ثم انفرادها وغرابتها وخصوصيتها بالتحقيق الشاذ عن أفهام الخلق تعلم أنه مؤيد بروح القدس وفى شجاعته وقوة توكله فى عزمه ونصره لدنائه وظهور حجته على خصمائه واقامة حقه وبرهانه وفصاحة كلامه وبيان سلطانه تعلم أن ذلك بقوة الهية وعناية ربانية وفى انقياد أهل المغرب له واجتماعهم عليه فى كل بلد معتبر للمناظرة ويظهر الله تعالى حجته ويقمع خصمه ويكبت عدوه ويعجز معارضه ويفحم معترضه وفى غيرة الحق عليه وهلاك من تعرض بالاذى اليه يعلم العاقل المخصوص

فاوسعت شرقيا وأوسعت غربيا
وغشيت وجه الارض بالجود والندى
فاصبح وجه الارض بالجود مغشيا
وأنت أمير المؤمنين فتى التقى
نشرت من الاحسان ما كان مطويا
قضى الله أن صفى لهارون ملكه
وكان قضاء الله فى الخلق مقضيا
تحببت الدنيا لهارون بالرضا
واصبح يغفور لهارون ذميا
فلما عوفى الرشيد من علته دخل عليه بعض الشعراء وقد ذهب به الناس أن يخبروه بغدر يغفور فقال بعض الذى أعطاكه يغفور
فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه
غنم أتاك به الاله كبير
وقد يزيد على الفتوح يؤمنا
بالنصر فيه لواؤك المنصور
ذا قد تباشرت الرعية أن أتى
بالغدر عنه وافد وبشير
ورجت يمينك أن تعجل غزوة
تشفى النفوس نكالها مذكور

انه عند الله مخصوص وفي خلقه وقهره لقواه النزوعية والغضبية والسلام قرينه وجلالة قوته الحافظة التي لا تنسى شيأ ان المفكرة التي تتصور الذوات المجردة والمعلومة سرعين الضيف وكذلك الذاكرة وسرعة ظهوره وانتشار آيته واستجلاب ثنائه في الجهات كلها وبالجملة جميع ما ذكرت فيه هو خارق للعادة البشرية ومعجز لمعارضه من كل الجهات ولولا خوف التطويل لكنت أفصل كل صفة ذكرت فيه بالكلام الصناعي وأقيم الادلة القطعية على تعجيزها ولكن اعطيت الانموذج وعرفت ان النبيه يعي فكره ويحد ذلك كله كما قلته وبالجملة جميع جزئياته اذا تؤملت توجد خارقة للعادة وتشهد لها ماهية الوجود بالتخصيص فصح انه هو المشار اليه والمعول في جملة الامور عليه وانما أعطيت الامر المشهور وتركت ما علم منه من خرق العوائد في ظهور الطعام والشراب والسمن والتمر وأخذ الدراهم من الكون واخباره عن وقائع قبل وقوعها بسنين كثيرة وظهرت كما أخبر فصح انه هو المذكور انتهى ما تعلق به الغرض مما في الرسالة في شأن الشيخ ابن سبعين وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ومنهم لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة كما سيأتي قريبا أن ابن سبعين عاقه الخوف من أمير المدينة عن القدوم اليها وعظم عليه بذلك الخجل وقبحت الاحدوثة عنه انتهى لكن قال شهاب الدين بن أبي حجلة التلمساني الاديب الشهير وهو صاحب كتاب السكردان وديوان الصبابة ومنطق الطير والاعتراض على العارف بالله تعالى ابن الفارض ما معناه أخبرني الشيخ الصالح أبو الحسن بن برغوش التلمساني شيخ المجاورين بمكة وكانت له معرفة تامة بهذا الرجل أنه صده عن زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرب من باب من أبواب مسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام يهراق منه دم كدم الحيض والله تعالى أعلم بحقيقة أمره انتهى وقال غيره ثم زار النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا على طريق المشاة حدثت بذلك أصهاره بمكة انتهى وقال لسان الدين أما شهرته ومحله من الادراك والآراء والاوضاع والاسماء والوقوف على الاقوال والتعمق في الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين فما يقضى منه بالعجب وقال الشيخ أبو البركات بن الحاج البلفيقي رحمه الله تعالى حدثني بعض أشياخنا من أهل المشرق أن الامير أبا عبد الله بن هود سالم طاغية النصارى فنكث به ولم يف بشرطه فاضطره ذلك الى مخاطبة القس الاعظم برومية فوكل أبا طالب بن سبعين أخا أبي محمد عبد الحق بن سبعين في التكلم عنه والاستظهار بين يديه قال فلما بلغ ذلك الشخص رومية وهو بلد لا يصل اليه المسلمون ونظر الى ما بيده وسئل عن نفسه فأخبر بما ينبغي كلم ذلك القس من دنا منه بكلام معجم ترجم لأبي طالب بما معناه اعلموا ان أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه انتهى وقال غير واحد انه ظهر منه واشتهرت عنه أشياء كثيرة الله تعالى أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه منها فمنها قوله فيما زعموا وقد جرى ذكر الشيخ ولي الله سيدي أبي مدين نفعنا الله تعالى ببركاته شعيب عبد عمل ونحن عبيد حضرة وممن حكى هذا لسان الدين في الاحاطة وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه الكبير في ترجمة السلطان المستنصر بالله تعالى أبي عبد الله محمد ابن السلطان زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص ملك

قربت ديارك أم نأت بك دور

لبس الامام وان غفلنا غافلا * عما يسوس بحزمه ويدير

ملك يجود الى الجهاد بنفسه * فعدوه أبدا به مقهور

يا من يريد رضا الاله بسعيه * والله لا يخفى عليه ضمير

لا نصح ينفع من يغش امامه * والنصح من نصحائه مشكور

نصح الامام على الانام فريضة * ولاهله كفارة وطهور

وهي طويلة فلما أنشده اياها قال الرشيد أوقد فعل وعلم ان الوزراء قد احتالوا فتجهز وغزاه ونزل على هرقلة وذلك في سنة تسعين ومائة وأخبرني أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي الازدي ان الرشيد لما أراد النزول على هرقلة وكان معه أهل الثغور وفيهم شيخ الثغور الشامية مخلد بن الحسين وأبو اسحق الفزاري صاحب كتاب السير فخلا الرشيد بمخلد بن الحسين فقال أي شئ تقول في نزولنا على هذا الحصن فقال هذا أول حصن لقيت من حصون الروم وهو في نهاية المنعة فان نزلت عليه وسهل الله فتحه

افريقيه وما اليها ان أهل مكة بايعوه وخطبوا له بعرفة وأرسلوا له بيعتهم وهي من انشاء ابن سبعين وسردها ابن خلدون بجملتها وهي طويلة وفيها من البلاغة والتلاعب باطراف الكلام ما لا مطمع وراءه غير أنه يشير فيها الى أن المستنصر هو المهدي المبشر به في الاحاديث الذي يحثو المال ولا يعده وحمل حديث مسلم وغيره عليه وذلك ما لا يخفى ما فيه فليراجع كلام ابن خلدون في محله ولابن سبعين من رسالة سلام عليك ورحمة الله سلام عليك ثم سلام مناجاتك سلام الله ورحمة الله الممتدة على عوالمك كلها السلام عليك يا أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته وصلى الله عليك كصلاة ابراهيم من حيث شريعتك وكصلاة أعز ملائكتك من حيث حقيقتك وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا قياس الكمال ومقدمة العلم ونتيجة الحمد وبرهان المحمود ومن اذا نظر الذهن اليه قرأ نعم العبد السلام عليك يا من هو الشرط في كمال الاولياء وأسرار مشروطات الاذكياء الاتقياء السلام عليك يا من جاوز في السموات مقام الرسل والانبياء وزادك رفعة واستعلاء عن ذوات الملأ الاعلى وذكر قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى * وقال بعضهم عند ايراده جملة من رسائله التي منها هذه انها تشتمل على ما يشهد له بتعظيم النبوة وايثار الورع انتهى * وقال بعض العلماء الاكابر عند تعرضه لترجمة الشيخ ابن سبعين المترجم به ما نصه ببعض اختصار هو أحد المشايخ المشهورين بسعة العلم وتعدد المعارف وكثرة التصانيف ولد سنة ٦١٤ ودرس العربية والادب بالاندلس ونظر في العلوم العقلية وأخذ عن أبي اسحق بن دهاق وبرع في طريقه وجال في البلاد وقدم القاهرة ثم حج واستوطن مكة وطار صيته وعظم أمره وكثر أتباعه حتى انه ترحم له أمير مكة فبلغ من التعظيم الغاية وله كتاب الدرج وكتاب السر وكتاب الاجوبة اليمنية وكتاب الكد وكتاب الاحاطة ورسائل كثيرة في الاذكار وترتيب السلوك والوصايا والمواعظ والغنائم ومن شعره

كم ذا تموه بالشعبين والعلم * والامر أوضح من نار على علم
وكم تعبر عن سلع وكاظمة * وعن زرود وجيران بذي سلم
ظللت تسأل عن نجد وأنت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم
في الحي حي سوى ليلى فتسأله * عنها سؤالك وهم جر للعدم

ونشأ رحمه الله تعالى ترفا مبجلا في ظل جاه ونعمة لم تفارق معها نفسه البأو وكان وسيما جميلا ملوكي البزة عزيز النفس قليل التصنع وكان آية من الآيات في الايثار والجود بما في يده رحمه الله تعالى: وقال في الاحاطة للناس في أمره اختلاف بين الولاية وضدها ولما وجه الى كلامه سهام الناقدين قصر أكثرهم عن مداه في الادراك والخوض في تلك البحار والاطلاع وساءت منهم في المما زجة له السيرة فانصرفوا عنه مكلومين ينذرون عنه في الآفاق من سوء الحالة ما لا شئ فوقه وجرت بينه وبين اعلام المشرق خطوب وعاقه الخوف من أمير المدينة عن الدخول اليها الى ان توفي فعظم بذلك الحمل عليه وبعثت الاحدوثة عنه ولما وردت على سبتة المسائل الصقلية وكانت جملة من المسائل الحكمية وجهها علماء الروم تبكيتا للمسلمين

لم يتعذر عليك فتح حصن بعده فامره بالانصراف ودعا بابي اسحق الفزاري فقال له مثل ما قال لمخلد فقال يا أمير المؤمنين هذا حصن بناه الروم في بحر الدروب وجعلته ثغرا من الثغور وليس بالآهل فان أنت فتحته لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم وان تعذر فتحه كان ذلك نقصا في التدبير والرأي عندي ان يسير أمير المؤمنين الى مدينة عظيمة من مدن الروم فان فتحت عمت غنائمها المسلمين وان تعذر ذلك قام العذر فمال الرشيد الى قول مخلد فنزل على هرقلة ونصب حولها الحرب تسعة عشر يوما فاصيب خلق كثير من المسلمين وفنيت الازواد والعلوفات وضاق صدر الرشيد من ذلك فاحضر أبا اسحق الفزاري فقال يا ابراهيم قد ترى ما نزل بالمسلمين فما الرأي الآن عندك فقال يا أمير المؤمنين قد كنت أشفقت من هذا وقدمت القول فيه ورأيت ان يكون الجد والحرب من المسلمين على غير هذا الحصن والآن فلا سبيل الى الرحيل عنه من بعد المباشرة فيكون ذلك نقصا في الملك ووهنا في الدين واطماعا لغيره من الحصون في الامتناع عن المسلمين والمصابرة لهم لكن الرأي يا أمير المؤمنين ان تامر بالنداء في الجيش ان أمير المؤمنين مقيم على

انتدب

انتدب للجواب المقنع عنها على فتاء من سنه وبديهة من فكره رحمه الله تعالى انتهى * وقال بعض من عرّف به انه من أهل مرسية وله علم وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة وفصاحة وبلاغة * وقال فى عنوان الدراية رحل الى العدوة وسكن بجاية مدة ولقى من أصحابنا ناسا وأخذوا عنه وانتفعوا به فى فنون خاصة له مشاركة فى معقول العلوم ومنقولها وله فصاحة لسان وطلاقة قلم وفهم جنان وهو أحد العلماء الفضلاء وله أتباع كثيرة من الفقراء ومن عامة الناس وله موضوعات كثيرة هى موجودة بايدى أصحابه وله فيها ألغاز واشارات بحروف أبجد وله تسميات مخصوصة فى كتبه هى نوع من الرموز وله تسميات ظاهرة هى كالاسامى المعهودة وله شعر فى التحقيق وفى مراقى أهل الطريق وكتابته مستحسنة فى طريق الادباء وله من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام والتزامه الاعتمار على الدوام وحجه مع الحجاج فى كل عام وهذه مزية لا يعرف قدرها ولا يرام ولقد مشى به للمغاربة فى الحرم الشريف حظ لم يكن لهم فى غير مدته وكان أهل مكة يعتمدون على أقواله ويهتدون بافعاله * توفى رحمه الله تعالى يوم الخميس تاسع شوال سنة ٦٦٩ انتهى ببعض اختصار وذكر رحمه الله تعالى فى ترجمة تلميذه الشيخ أبى الحسن الششترى السابق الذكر ان أكثر الطلبة يرجحونه على شيخه أبى محمد بن سبعين واذا ذكر له هذا يقول انما ذلك لعدم اطلاعهم على حال الشيخ وتصور باعهم * ومن تآليف ابن سبعين الفتح المشترك ومما حكاه صاحب عنوان الدراية فى ترجمة الششترى مما لم نذكره فى ترجمته الماضية ورأينا ذكره هنا تبركا أن الششترى كان فى بعض أسفاره فى البرية وكان رجل من أصحابه قد أسر فسمعه الفقراء يقول الينا يا أحمد فقيل له من أحمد الذى ناديته ياسيدى فى هذه البرية فقال لهم من تسرون به غدا ان شاء الله تعالى فلما كان من الغد ورد الشيخ وأصحابه بلد قابس فعند دخولهم اذا بالرجل المأسور فقال الشيخ للفقراء هنيئا لنا باقتحام العقبة صافحوا أخاكم المنادى به ومن مناقبه نفع الله تعالى به أنه لما نزل بلدة قابس برباط البحر المعروف بالصهريج جاءه الشيخ الصالح أبو اسحق الزرناتى نفع الله تعالى به بجميع أصحابه برسم الزيارة فوافق وصوله وصول الشيخ الصالح الفاضل الولى أبى عبد الله الصنهاجى نفع الله تعالى به مع جملة أصحابه للزيارة فوجدوا الشيخ أبا الحسن قد خرج الى موضع بخارج المدينة برسم الخلوة فجلسوا لانتظاره فلم يكن الا قليل اذ أقبل الشيخ على هيئة معتبر متفكر فلما دخل الرباط سلم على الواصلين برسم الزيارة وحيا المسجد وأقبل على الفقراء وأثر العبرة على وجنته فقال ائتونى عدادا فلما أحضر بين يديه تأوه تأوها شديدا كاد أن يحرق بنفسه جليسه وجعل يكتب على اللوح هذه الابيات

لا تلتفت بالله ياناظرى * لا هيف كالغصن الناضر
ياقلب واصرف عنك وهم البقا * وخل عن سرب حمى حاجر
ما السرب والبان وما لعلع * ما الخيف ما ظبى بنى عامر
جمال من سميته داثر * ما حاجة العاقل بالداثر
وانما مطلبه فى الذى * هام الورى فى حسنه الباهر

و بناء مدينة بازاء هذا الحصن الى أن يفتحه الله عزوجل ولا يكون هذا الخبر ينمو الى أحد من الجيش الاعلى المقام فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الحرب خدعة وهذه حرب حيلة لا حرب سيف فأمر الرشيد من ساعته بالنداء فحملت الاحجار وقطع الخشب من الشجر وأخذ الناس فى البناء فلما رأى اهل الحصن ذلك جعلوا يتسللون فى الليل ويدلون أنفسهم بالحبال وفى خبر أبى عمير بن عبد الباقى زيادات منها خبر الجارية التى سباها الرشيد من هذا الحصن وهى ابنة بطريقه وكانت ذات حسن وجمال فزاد فيها صاحب الرشيد فى المغنم وبالغ فيها حتى اشتراها له فبلغت من قلبه و بنى لها نحو الرافقة باميال على طريق بالس حصنا سماه هرقلة تشبيها بحصن هرقلة ببلاد الروم فى خبر طويل قد أتينا على جميعه فى كتابنا الاوسط وهذا الحصن باق الى هذه الغاية هنالك خراب يعرف بهرقلة وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد قال أخبرنى أبو العيناء قال أخبرنى شبل الترجمان قال كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة وفتحها فرأيت بها حجرا منصوبا

أفاد للشمس سنى كالذى * أعاره للقمر الزاهر

أصبحت فيه مغرما حائرا * لله در المغرم الحائر

وكانوا يوما ببلد مالقة وكثيرا ما يجوّد عليه القرآن العزيز فقرأ طالب قوله تعالى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني فقال مجلا رضي الله تعالى عنه وفهم من الآية ما لم يفهم وعلم منها ما لم يعلم

انظر للفظ أنا يا مغرما فيه * من حيث نظرتنا لعل تدريه

خل ادخارك لا تفخر بعارية * لا يستعير فقير من مواليه

جسوم أحرفه للسر حاملة * ان شئت تعرفه جرب معانيه

ودخل عليه شخص ببجاية من أهلها يعرف بابي الحسن بن علال من أهل الامانة والديانة فوجده يذاكر بعض أهل العلم فاستحسن منه ايراده للعلم واستعماله لمحاضرة الفهم فاعتقد شياخته وتقديمه ثم نوى أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دينارا شكرا لله تعالى ويأتيهم بما كول فلما يسر جميع ما هنم به أراد أن يقسمه فيعطيه شطره ويدع الشطر الثانى الى حين انصراف الشيخ ليكون للفقراء زادا فلما كان فى الليل رأى فى منامه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعلى رضي الله تعالى عنهما قال الرجل فنهضت اليه بسرور وروية النبي صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله ادع الله تعالى لى فالتفت لابى بكر رضي الله تعالى عنه وقال يا ابا بكر أعطه فاذا به رضي الله تعالى عنه قسم رغيفا كان بيده وأعطانى نصفه ثم أفاق الرجل من منامه وأخذه وجد من هذه الرؤيا المباركة فأيقظ أهله واستعمل نفسه فى العبادة فلما كان من الغد سار وأتى الشيخ ببعض الطعام ونصف الدراهم المحتسب بها فلما دفعها للشيخ قال له الشيخ يا على اقرب فلما قرب قال له يا على لو أتيت بالكل لاخذت منه الرغيف بكماله انتهى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الشهير بابن غصن الاشبيلى) من ولد شداد بن أوس الانصارى الجزيرى نسبة الى الجزيرة الخضراء الامام المقرى الزاهد عرض على الاستاذ ابن أبى الربيع الموطأ من حفظه وأخذ عنه النحو وكان من أولياء الله تعالى الصالحين وعباده الناصحين آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر قوّالا بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم عارفا بمتون الحديث وأحكامه فقيها عارفا متقنا لمذاهب الأئمة الاربعة والصحابة والتابعين لا يقبل من أحد شيأ أخلصه الله تعالى يتكلم على المنبر على عادة أهل العلم من تعليم المسائل الدينية وأقرأ القرآن بمكة مدة بالقراآت وبالمدينة وبيت المقدس وممن قرأ عليه خليل امام المالكية بالحرم والشهاب الطبرى امام الحنفية بالحرم وله مصنفات فى القراآت منها مختصر الكافى وكتاب فى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ومولده سنة ٦٣١ تخمينا وتوفى ببيت المقدس آخر سنة ٧٢٣ رحمه الله تعالى *(ومنهم الشيخ الفقيه الاستاذ النحوى التاريخى اللغوى أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهرى اللبلى يكنى أبا العباس وأبا جعفر) قرأ بالاندلس على مشايخ من أفضلهم الاستاذ أبو على عمر الشلوبين ثم ارتحل الى العدوة وسكن بجاية وأقرأ بها مدة وارتحل الى المشرق فحج ثم رجع الى حضرة تونس واتخذها وطنا واشتغل بها بالاقراء الى أن مات كان يتبسط لاقراء سائر كتب العربية وله علم جليل باللغة وله

توالیف

مكتوبا عليه باليونانية فجعلت أترجمه والرشيد ينظر الى وأنا لا أعلم فكانت ترجمته بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم عافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا يحملنك افراط السرور على المأثم ولا تحمل نفسك هم يوم لم يأت فانه ان يك من أجلك وبقية عمرك يأت الله فيه برزقك ولا تكن من المغرورين بجمع المال فكم قد رأينا جامعا لبعل حليلته ومقترا لنفسه موفرا الخزانة غيره وقد كان تاريخ هذا الكتاب فى ذلك اليوم زائدا على ألفى سنة وباب هرقلة مطل على واد وخندق يطيف بها وذكر جماعة من أهل الخبرة من أهل الثغور أن أهل هرقلة لما اشتد بهم الحصار وعضتهم الحرب بالحجارة والسهام والنار فتحوا الباب فاستشرف المسلمون لذلك فاذا رجل من اهلها كاجمل الرجال قد خرج فى اكمل السلاح فنادى يا معشر العرب قد طالت مواقفتكم ايانا فليخرج الى منكم الرجل والعشرة الى العشرين مبارزة فلم يخرج اليه من الناس أحد ينتظرون اذن الرشيد وكان الرشيد نائما فلما استيقظ أخبر بذلك فتأسف ولام خدمه على تركهم ايقاظه فقيل له يا امير المؤمنين ان امتناع الناس منه يطمعه ويطغيه ويجرئه أن يخرج فى غد

تواليف كثيرة منها على الجمل وشرح الفصيح لثعلب ولم يشذ فيه شيء من فصيح كلام العرب قال الغبريني رحمه الله تعالى ورأيت له تاليفا في الاذ كار وله عقيدة في علم الكلام ورأيت له مجموعا سماه الاعلام بحدود قواعد الكلام تكلم فيه على الكلم الثلاث الاسم والفعل والحرف وله تواليف أخر وكان من أساتيذ افريقية في وقته وممن أخذ عنه واستفيد منه انتهى * وذكر الشيخ أبو الطيب بن علوان التونسي عن والده أحمد التونسي الشهير بالمصري أن المذكور تاليفا سماه التجنيس وله شرح أبيات الجمل سماه وشي الحلل رفعه للملك المستنصر الحفصي بتونس فدفعه المستنصر للاستاذ أبي الحسن حازم وأمره أن يتعقب عليه ما فيه من خلل وجده فحكى أبو عبد الله القطان المسفر وكان يخدم حازما قال كنت يوما بدار أبي الحسن حازم وبين يديه هذا الكتاب وسمعت نقر الباب فخرجت فاذا بالفقيه أبي جعفر فرجعت وأخبرت أبا الحسن فقام مبادرا حتى أدخله وبالغ في بره واكرامه فرأى الكتاب بين يديه فقال له يا أبا الحسن قال الشاعر * وعين الرضا عن كل عيب كليلة * فقال له يا فقيه أبا جعفر أنت سيدي وأخي ولكن هذا أمر الملك لا يمكن فيه الا قول الحق والعلم لا يحتمل المداهنة فقال له فأخبرني بما عثرت عليه قال له نعم فأظهر له مواضع فسلمها أبو جعفر وبشرها وأصلحها بخطه وأصل هذا اللبلي من لبلة بالاندلس اجتمع في رحلته للمشرق بالقاضي ابن دقيق العيد وكان نحويا فلما دخل عليه اللبلي قال له القاضي خير مقدم ثم سأله بعد حين بم انتصب خير مقدم فقال له اللبلي على المصدر وهو من المصادر التي لا تظهر أفعالها وتذكره سيبويه ثم سرد عليه الباب من أوله الى آخره فانه كان يحفظ أكثره فأكرمه القاضي وعظمه ثم قال ابن علوان وذكر والدي أيضا رحمه الله تعالى ومن خطه المبارك نقلت ان الاستاذ أبا جعفر اللبلي المذكور رحمه الله تعالى قرأ عليه يوما قول امرئ القيس

حي الحمول بجانب العزل * اذ لا يلائم شكلها شكلي

فقال لطلبته ما العامل في هذا الظرف يعني اذ فتنازعوا القول فقال حسبكم قرئ هذا البيت على استاذنا أبي علي الشلوبين فسألنا هذا السؤال وكان أبو الحسن بن عصفور قد برع واستقل وجلس للتدريس وكان الشلوبين يغض منه فقال لنا اذا خرجتم فاسألوا ذلك الجاهل يعني ابن عصفور فلما خرجنا سرنا اليه بجمعنا ودخلنا المسجد فرأيناه قد دارت به حلقة كبيرة ولم يتكلم بغرائب النحو فلم نجسر على سؤاله لهيبته وانصرفنا ثم جئنا بعد على عادتنا الى أبي علي فنسي حتى قرئ عليه قول النابغة * فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * فتذكر وقال ما عملتم في سؤال ابن عصفور فصدقناه الحديث فأقسم أن لا يخبرنا ما العامل فيه ثم قال اللبلي لطلبته وأنا أقول لكم مثل ذلك فانظروا لانفسكم قالوا فنظرنا فاذا المسئلة مسئلة فحص ونظر كلما حكمنا بحكم صددتنا عنه قوانين نحوية حتى مضت مدة طويلة فوفد علينا بتونس المحروسة أحد طلبة ابن أبي الربيع وكان ابن أبي الربيع هذا سا كنا بسبتة وهو أحد طلبة الشلوبين أيضا ومن كبار هذه الطبقة التي نشأت بعده قالوا فتذاكرنا مع هذا الطالب في مسائل نحوية فجرت هذه المسئلة

فيطلب المبارزة ويعود لمثل قوله فطال ذلك على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له اذ فتح الباب فاذا الفارس قد خرج وعاد الى كلامه فقال الرشيد من له فابتدر جلة القواد فعزم على اخراج بعضهم فضج أهل الثغور والمتطوعة بباب المضرب فاذن لبعضهم وفي مجلسه مخلد بن الحسين وابراهيم الفزاري فدخلوا فقالوا يا أمير المؤمنين قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومباشرة الحروب ومتى خرج واحد منهم وقتل هذا العلج لم يكبر ذلك وان قتله العلج كانت وضيعة على العسكر عظيمة وثلمة لا تنسد ونحن عامة لا يرتفع لاحد منا صيت فان رأى أمير المؤمنين أن يختار رجلا منا يخرج اليه فعل فصوب الرشيد رأيهم وقال مخلد وابراهيم صدقوا يا أمير المؤمنين فأومؤا الى رجل منهم يعرف بابن الجزري مشهور في الثغور موصوف بالنجدة فقال له الرشيد أتخرج اليه قال نعم وأستعين بالله عليه فقال أعطوه فرسا وسيفا ورمحا وترسا فقال يا أمير المؤمنين أنا بفرسي أوثق ورمحي في يدي أشد ولكن قد قبلت السيف والترس فلبس السلاح واستدناه الرشيد وأتبعه بالدعاء وخرج معه عشرون من المتطوعة فلما انقض في الوادي قال لهم العلج

في قوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين فقال هذا الطالب ان هذا الظرف وقع موقع لام العلة فعلمنا أن هذا هو الذي أراد الاستاذ أبو علي ثم ناقشنا الطالب وقلنا له اذا جعلته ظرفا فلابد من العامل واذا جعلته واقعا موقع الحرف كان هذا على شذوذ قول الكوفيين والذي يجوز عكسه على مذهب الجميع وانما الاولى أن يقال اذ حرف معناه التعليل تشترك فيه الاسماء كما اشتركت في عن والله أعلم بغيبه انتهى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي) قال الحافظ المقريزي وفرح بسكون الراء وقال الحافظ عبد الكريم في حقه انه كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشتغلين بما يعنيهم من أمور الآخرة فيما بين توجه وعبادة وتصنيف جمع في تفسير القرآن كتابا خمسة عشر مجلدا وشرح أسماء الله الحسنى في مجلدين وله كتاب التذكرة في أمور الآخرة في مجلدين وشرح التقصي وله تآليف غير ذلك مفيدة وكان مطرح التكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية سمع من الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم بعض هذا الشرح وحدث عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي وعن الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد البكري وغيرهما وتوفي بمنية ابن خصيب ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ ودفن بها رحمه الله تعالى * وفي تاريخ الكتبي في حقه ما نصه كان شيخا فاضلا وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه منها تفسير القرآن مليح الى الغاية اثنا عشر مجلدا انتهى * وكتب بعض تلامذته على الهامش ما صورته قد أجحف المصنف في ترجمته جدا وكان متفننا متبحرا في العلم انتهى * وكتب بعض باثر هذا الكلام ما نصه قال الذهبي رحل وكتب وسمع وكان يقظا فهما حسن الحفظ مليح النظم حسن المذاكرة ثقة حافظا انتهى * وكتب آخر اثر ذلك الكلام ما صورته مشاحة شيخنا للمصنف في هذه العبارة ما لها فائدة فان الذهبي قال في تاريخ الاسلام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الامام القرطبي امام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله ثم ذكر موته وقال بعده وقد سارت بتفسيره العظيم الشان الركبان وله الاسنى في شرح الاسماء الحسنى والتذكرة وأشياء تدل على امامته وذكائه وكثرة اطلاعه انتهى * وكتب آخر باثر هذا الكلام ما نصه غفر الله لك اذا كان الذهبي ترجمه بما ذكرت وهو والله فوق ذلك فكيف تقول ان مشاحة شيخك لا فائدة فيها وتسيء الادب معه وتقول ان كلامه لا فائدة فيه فالله يستر عليك انتهى * (ومنهم أبو القاسم بن حاضر الجزيري الخزرجي محمد بن أحمد) من جزيرة شقر قدم مصر وسكن قوص بعدما كان من عدول بلنسية وكان فصيحا عالما بصناعة التوريق وله نظم لم يحضرني الآن شيء منه ومات بالقاهرة سنة تسع وثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو القاسم التجيبي محمد بن أحمد التجيبي) من أهل بلش قرأ على ابن مفرج وابن أبي الاحوص ورحل فاستوطن القاهرة وكان شيخا فاضلا خيرا له أدب وشعر منه قوله من أبيات

أحوى الجفون له رقيب أحول * الشيء في ادراكه شيئان

انما كان الشرط عشرين وقد ازددتم رجلا ولكن لا باس فادوه ليس يخرج وهو عدهم واحدا واحدا لك سنا الا رجل واحد فلما فصل منهم ابن الجزري ناقله العلج وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم وقال له الرومي أتصدقني عما أسألك عنه قال نعم قال أنت ابن الجزري بالله قال اللهم نعم قال فكفؤك قال بلى كفؤ ثم أخذا في شأنهما فتطاعنا حتى طال الامر بينهما وكادا الفرسان أن يقوما تحتهما وليس واحد منهما خدش صاحبه ثم ومايز بهما هذا نحو أصحابه وهذا نحو حصنه وانتضيا سيوفهما وقد اشتدت الحرب عليهما وتبلد جوادا هما فعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي ظن انه قد بالغ فيها بتقيها الرومي وكانت درقته حديدا فيسمع لها صوت منكر ويضربه الرومي فيغوص سيفه لان ترس ابن الجزري كانت عانية وكان العلج يخاف أن يغوص السيف فيعطب فلما يئس كل واحد منهما من صاحبه انهزم ابن الجزري فداخلت الرشيد والمسلمين من ذلك كآبة لم يصبهم مثلها وعظط المشركون من حصنهم وانما كانت حيلة من ابن الجزري فاتبعه العلج وعلا عليه فلما تمكن منه ابن الجزري رماه

يا ليتـه ترك الذي أنا مبصر * وهو المخبر في الغزال الثاني

ولد بيلش سنة ٦٢٣ وتوفي بالحسينية خارج القاهرة سلخ المحرم سنة ٦٩٥ وممن روى عنه نحوي الزمان اثير الدين أبو حيان وغيره رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم أبو بكر الخزرجي محمد بن أحمد بن حسن وقيل محمد بن عيسى المالقي المالكي) قال الشريف أبو القاسم انه كان أحد الزهاد الورعين وعباد الله المتقين مشتغلا بنفسه متخليا عما في أيدي الناس يأكل من كسب يده ولا يقبل لاحد شيأ مع وجد وعلم وعمل وفضل وأدب ولم يكن في زمانه من اجتمع فيه ما اجتمع له وقال الحافظ عبد الكريم انه دخل اشبيلية واشتغل بالعربية على الشلوبين وقرأ القرا آت السبع ثم قدم مصر واشتغل بمذهب مالك وكان والده نجارا وكان لا يأكل الا من كسب يده يخيط الثياب فازدحم الناس عليه تبركا به فترك ذلك وصار يدق القصدير ويأكل منه ويتصدق بما فضل عنه وكان شديد الزهد كثير العبادة لا يسلم يده الى أحد ليقبلها وجاءه شخص قد زيد عليه في أجرة مسكنه ليشفع الى صاحب الدار أن لا يقبل الزائد فمضى الى صاحب الدار وأعطاه الزائد مدة أشهر فعلم بذلك الساكن بعد مدة فقال له يا سيدي ما سألت الاشفاعة وأنت تزن عني فقال له رجل له دار يأخذ أجرتها يجيء اليه الخزرجي يقطع عليه حقه والله ما يدفع هذا الا أنا فلم يزل يدفع الزائد الى أن انتقل الساكن الى غيرها ومات ليلة الاثنين الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥١ عن خمس وأربعين سنة ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى ونفعنا به * (ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد بن خليل بن فرج الهاشمي مولاهم) لان ولاءه لبني العباس من أهل قرطبة ولد في شهر رمضان سنة ٣٢٢ بقرطبة وسمع بها من وهب بن مسرة وخالد بن سعيد وغيره ورحل فحج وأدرك بمصر ابن الورد وابن رشيق وأبا علي بن السكن ونظراءهم في سنة ٣٤٩ وعاد الى بلده وبها مات في شهر رمضان سنة ست وأربعمائة قال ابن بشكوال كان رجلا صالحا فاضلا من أهل الاجتهاد في العبادة مائلا الى التقشف والزهادة قديم الطلب حسن المذهب متبعا للسنن * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد بن ابراهيم الزهري الاندلسي الاشبيلي) ولد بمالقة وطاف الاندلس وطلب العلم وحصل طرفا صالحا من علم الادب ودخل مصر قبل التسعين وخمسمائة فسمع الحديث بها ودخل الشام وبلاد الجزيرة وقدم بغداد سنة ٥٠٩ وعمره ثلاثون سنة وأقام بها مدة وسمع من شيوخها كابي الفرج بن كليب ونحوه وقرأ ونسخ بخطه وسافر الى أصبهان وبلاد الجبل وكان فاضلا حسن المعرفة بالادب يقول الشعر وينشئ المقامات وصنف كتاب البيان والتبيين في انساب المحدثين ستة أجزاء وكتاب البيان فيما أبهم من الاسماء في القرآن مجلد وكتاب أقسام البلاغة وأحكام الصناعة في مجلدين وكتاب شرح الايضاح لابي علي الفارسي في خمسة عشر مجلدا وكتاب شرح المقامات مجلد وكتاب شرح اليميني في مجلد قال المنذري توفي شهيدا قتله التتار في رجب وقال ابن النجار في سابع عشر رجب ٦١٧ رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الاعلى ابن القاسم القرطبي المقري المعروف بالورشي) نسبة الى قراءة ورش لاشتهاره بها وهو أحد القراء المعروفين قال الحاكم هو من الصالحين المذكورين بالتقدم في علم القرا آت سمع بمصر

وانكسر المشركون وبادروا الباب ليغلقوه واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد أن يجعلوا في حجارة المجانيق النار فليس عند القوم دفع بعدها وعاجلهم المسلمون الى الباب فدخلوها بالسيف وقبل انهم بادروا بالامان فامنوا وافتتحها عنوة أشهر من قول من قال انها افتتحت صلحا فقال في ذلك الشاعر المكي

هوت هرقلة لما ان رأت عجبا * حوائما ترتمي بالنفط والنار
كأن نيرانها من جنب قلعتهم * مصقلات على ارسان قصار

وهذا كلام ضعيف ولكن قد عظم قدره في ذلك الوقت للمعنى وعظمت لصاحبه الجائزة وصبت الاموال على ابن الجزري ونود وخلع عليه فلم يقبل شيأ من ذلك وسأل أن يعفى ويترك على ما هو عليه ففي ذلك يقول الشاعر أبو العتاهية

ألا نادت هرقلة بالخراب * من الملك الموفق للصواب
غدا هرون يرعد بالمنايا * ويبرق بالمذكرة العضاب
ورايات يحل النصر فيها * تمر كانها قطع السحاب
امير المؤمنين ظفرت فاسلم * وأبشر بالغنيمة والاياب

والشام والحجاز والعراقين والجبل وأصبهان وورد نيسابور ودخل خراسان فسمع على ابن المرزبان باصبهان وبالاهواز عبد الواحد بن خلف الجنديسابورى وبفارس أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقى وقال ابن النجار قدم بغداد وحدث بها توفى بسجستان فى ربيع الاول سنة ٣٩٣ * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الباجى اللخمى) قال ابن بشكوال مولده فى صفر سنة ٣٥٦ وسمع عن جده ورحل الى المشرق وقال ابن غلبون فى مشيخته انه كان من أهل العلم والحديث والرواية والحفظ للمسائل قائما بها واقفا عليها عاقدا للشروط محسنا لها عارفا وبيتهم بيت علم ونباهة هو وأبوه وجده وكان جميعهم فى الفضل والتقدم على درجاتهم فى السن وعلى منازلهم فى السبق وكانت رحلته مع أبيه وروايتهما واحدة وشاركه فى السماع والرواية عن جده وسمع بمصر من أبى الحسن أحمد بن عبد الله بن حميد بن زريق المخزومى وقال ابن بشكوال كان من أجل الفقهاء عندنا دراية ورواية بصيرا بالعقود ومتقدما على أهل الوثائق عارفا بعللها وألف فيها كتابا حسنا وكتابا فى السجلات الى ما جمع فيه من أقوال الشيوخ والمتأخرين مع ما كان عليه من الطريقة المثلى وتوفية العلم حقه من الوفاء والتصون توفى فى المحرم سنة ٤٣٣ لعشرين بقين منه * (ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عبد العزيز العتبى الاندلسى القرطبى الفقيه المالكى المشهور صاحب العتبية) سمع بالاندلس من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ورحل الى المشرق فسمع من سحنون وأصبغ بن الفرج وغيرهما وكان حافظا للمسائل جامعا لها عالما بالنوازل وهو الذى جمع المستخرجة من الاسمعة المسموعة غالبا من مالك بن أنس وتعرف بالعتبية وأكثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة وكان يؤتى بالمسئلة الغريبة فاذا سمعها قال أدخلوها فى المستخرجة ولذا روى عن ابن وضاح انه كان يقول المستخرجة فيها خطأ كثير كذا قال ولكن الكتاب وقع عليه الاعتماد من علماء المالكية كابن رشد وغيره * قال ابن يونس توفى بالاندلس سنة ٢٥٥ والعتبى نسبة الى عتبة بن أبى سفيان بن حرب وقيل الى جد لهذا كان يسمى عتبة وقيل الى ولاء عتبة بن يعيش * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن زكريا المعافرى المقرى الفرضى الاديب) ولد بالاندلس سنة ٥٩١ ونشأ ببلنسية وأقام بالاسكندرية وقرأ القرآن على أصحاب ابن هذيل ونظم قصيدة فى القراآت على وزن الشاطبية لكن أكثر أبياتا وصرح فيها بأسماء القراء ولم يرمز كما فعل الشاطبى وكانت له يد فى الفرائض والعروض مع معرفة القراآت والادب ومن شعره

اذا ما اشترت بنت أباها فعتقه * بنفس الشرا شرعا عليها تأصلا
وميراثه ان مات من غير عاصب * ومن غير ذى فرض لها قد تأثلا
لها النصف بالميراث والنصف بالولا * فان وهب ابنا أو شراه ومضلا
فأعتق شرعا ذلك الابن مالها * سوى الثلث والثلثان للاخ أصلا
وميراثها فيه اذا مات قبلها * كميراثها فى الاب من قبل يجتلى
ومولى أبيها ما لها الدهر فيه من * ولاء ولا ارث مع الاب فاعتلى

وهذه المسئلة ذكر الغزالى فى الوسيط انه قضى فيها أربعمائة قاض وغلطوا وصورتها ابنة

في ارساله يحيى بن الشخير حين أمره ان يتطارش على يعفور وما كان من يعفور واخباره لبطارقته أن الرشيد بعث بهذا متصاحما وماطالبه ابن الشخير بدينار أودرهم عليه صورة الملك حين عرضت عليه الخزائن وما كان من انقياد يعفور بعد ذلك الى طاعة الرشيد وشرطه عليه ان يحمل اليه انما كان من ماء عين العشيرة وهى عين البدندون وهى فى نهاية الصفاء والرقة وغير ذلك مما عنه امسكنا طلبا للاختصار (ثم ملك بعد يعفور استراق بن يعفور بن استراق فى أيام محمد الامين فلم يزل ما كا حتى غلب على الملك قسطنطين فلط وكان ملك قسطنطين هذا فى خلافة المامون (ثم ملك بعده) نطرنوفيل وذلك فى خلافة المعتصم وهو الذى فتح زبطرة وغزاه المعتصم بالله ففتح عمورية وسنورد خبره فيما يرد من هذا الكتاب فى أخبار المعتصم ان شاء الله تعالى (ثم ملك بعده) ميخاييل بن توفيل وذلك فى خلافة الواثق والمتوكل المنتصر والمستعين ثم كان بين الروم تنازع فى الملك فملكوا عليهم توفيل بن ميخاييل بن توفيل (ثم غلب على الملك نسيل)

اشترت أباها فعتق عليها ثم اشترى الاب ابنا فعتق عليه ثم اشترى عبدا فأعتقه ثم مات الاب فورثه الابن والبنت للذكر مثل حظ الانثيين ثم مات العبد المعتق فلمن يكون ولاؤه وفرضها المالكية على غير هذا الوجه وهي مشهورة * (ومنهم محمد بن أحمد بن محمد بن سهل أبو عبد الله الاموي الاندلسي الطليطلي المعروف بالنقاش) نزل مصر وقعد للاقراء بجامع عمرو بن العاصي وأخذ عنه جماعة وتوفي بمصر سنة ٥٢٩ (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي القبري القرطبي المؤدب) رحل من الاندلس سنة ٣٤٢ فسمع بمصر من أبي محمد بن الورد وأبي قتيبة سالم بن الفضل البغدادي وغيره وكان صالحا خيرا مؤدبا سمع من الناس وتوفي سنة ٣٦٢ والقبري بفتح القاف وسكون الباء الموحدة ثم راء مهملة نسبة الى قبرة بلد بالاندلس بقرب قرطبة بنحو ثلاثين ميلا * (ومنهم جمال الدين أبو بكر وأبو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان الشريشي المالكي) ولد بشريش سنة ٦٠١ ورحل فسمع بالاسكندرية من ابن عماد الحراني وبدمشق من مكرم بن أبي الصقر وبحلب من أبي البقاء يعيش بن علي النحوي وسمع باربل وبغداد وأقام بالمدرسة الفاضلية من القاهرة مدة يفيد الناس فتخرج به جماعة وولي مشيخة المدرسة بالقدس ومشيخة الرباط الناصري بالجبل وأقام بدمشق يفتي ويدرس وكان من العلماء الزهاد كثير العبادة والورع والزهد أحد الأئمة المبرزين المتبحرين في العربية والفقه على مذهب الامام مالك والتفسير والاصول وصنف كتابا في الاشتقاق وشرح ألفية ابن معطي وأخذ عنه الناس وطلب للقضاء بدمشق فامتنع منه زهدا وورعا وبقي المنصب لاجله شاغرا الى أن مات برجب سنة ٦٨٥ ودفن بقاسيون وسحمان بسين مهملة مضمومة ثم حاء ساكنة بعدها ميم مفتوحة ونون * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القرطبي المعروف والده بالقنتوري) وكان جد أبيه مفرج صاحب الركاب للحكم بن عبد الرحمن الداخل وكان أبوه أحمد بن يحيى رجلا صالحا وولد هو سنة ٣٢٨ وكان مسكناه بقرطبة بقرب عين قمت أوربة وسمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ كثيرا ومن ابن دليم والخشني ورحل سنة ٣٣٧ وسمع بمكة من ابن الاعرابي ولزمه حتى مات وسمع بها من جماعة غيره وسمع بجدة وبالمدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام ودخل صنعاء وزبيد وعدن وسمع بها من جماعة وسمع بمصر من البرقي صاحب احمد البزار وسمع من السيرافي وجماعة كثيرة وسمع بغزة وعسقلان وطبرية ودمشق وطرابلس وبيروت وصيدا والرملة وصور وقيسارية والقلزم والفرما والاسكندرية فبلغت عدة شيوخه الى مائتين وثلاثين شيخا وروى عنه ابو عمرو الطلمنكي وجماعة وكتب تاريخ مصر عن مؤلفه ابي سعيد بن يونس وروى عنه ابن يونس وهو من اقرانه وعاد الى الاندلس من رحلته سنة ٣٤٥ واتصل بالحكم المستنصر وصارت له عنده مكانة والف له عدة كتب واستقضاه على استجة ثم على المرية ومات برجب سنة ٣٤٨ قال الحميدي هو محدث حافظ جليل صنف كتبا في فقه الحديث وفي فقه التابعين منها فقه الحسن البصري في سبع مجلدات وفقه الزهري في اجزاء كثيرة وسمع مسند ابن الفرضي وحديث قاسم بن اصبغ قال ابن الفرضي وكان عالما بالحديث بصيرا بر جاله صحيح النقل حافظا جيد الكتابة على كثرة ما جمع وقال ابن عفيف في حقه انه كان من اعى الناس بالعلم واحفظهم

الصقلبي ولم يكن من اهل بيت الملك وكان ملكه ايام المعتز والمهتدي وبعض خلافة المعتمد (ثم ملك بعده) ابنه اليون ابن نسيل بقية ايام المعتمد وصدرا من ايام المعتضد (ثم هلك) فملكوا عليهم ابنا له يقال له الاسكندروس فلم يحمدوا امره فخلعوه وملكوا عليهم اخاه لاوي ابن اليون بن نسيل الصقلبي وكان ملكه بقية ايام المعتضد والمكتفي وصدرا من ايام المقتدر (ثم هلك) وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته في الملك ارميوس بطريق البحر وصاحب غزوه وحروبه فزوج قسطنطين الصبي بابنته وذلك في بقية ايام المقتدر وايام القاهر والراضي والمتقي الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في خلافة ابي اسحق المتقي بن المقتدر وملوك الروم في هذا الوقت المؤرخ ثلاثة والاكبر منهم والمدبر للامور ارميوس المتغلب ثم الثاني وهو قسطنطين ابن لاوي بن اليون بن نسيل والملك الثالث ابن لارميوس يخاطب بالملك اسمه اصطفانوس وجعل أرميوس ابنا له آخر صاحب الكرسي بالقسطنطينية وهو البطرك الاكبر الذي يأخذون عنه دينهم وقد كان خصاه قبل ذلك وقربه الى

الكنيسة وأمر الروم يدور في وقتنا هذا على ما ذكرنا ٤٢٦ من ملوكهم (قال المسعودي) فالى هذا الوقت انتهت أخبار ملوك
الروم على حسب ما ذكرنا والله أعلم ما يكون من أمرهم في المستقبل من الزمان فعدد سني ملوك الروم المتنصرة من قسطنطين ابن هلاني وهو المظهر لدين النصرانية على ما ذكرنا الى هذا الوقت خمسمائة سنة وسبع سنين والذي أجمع عليه من عدد ملوكهم من قسطنطين الى هذا الوقت المؤرخ أحد وأربعون ملكا ولم يعد ابن أرميوس ووقع العدد على قسطنطين وأرميوس اللذين هما ملكا الروم في هذا الوقت المؤرخ وان أدخلنا في هذا العدد ابن أرميوس فعدد ملوك الروم من بدء النصرانية وهو الملك قسطنطين بن هلاني اثنان وأربعون ملكا في مدة هذه السنين المذكورة وقد ذهب جماعة ممن عني بأخبار العالم الى أن من حين هبط آدم عليه السلام الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ستة آلاف سنة ومائتين وتسعا وخمسين سنة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من تاريخ سني العالم والانبياء والملوك في باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى * (ذكر مصر وأخبارها ونيلها وعجائبها وأخبار من

للحديث وأبصرهم بالرجال ما رأيت مثله في هذا الفن من أوثق المحدثين بالاندلس وأصحهم كتبا وأشدهم تعبا للرواية وأجودهم ضبطا للكتب وأ[كثرهم] تصحيحا لها لم يدع فيها شبهة رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله القيسي الوضاحي محمد بن أحمد بن موسى) رحل الى المشرق وسمع من السلفي وغيره جملة صالحة ثم عاد الى الاندلس بعد الحج وسكن المرية مدة وبها مات سنة ٥٣٩ وقيل في التي بعدها وكان من أظرف الناس وأحسنهم أدبا فقيها فاضلا ثقة ذا فرائد جمة عفيفا معتنيا بالعلم * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدري البلنسي) ولد سنة ٥١٩ وسمع من أبيه وجماعة ورحل حاجا فسمع من السلفي وابن عوف والحضرمي والتنوخي والعثماني وغيرهم ورجع بعد الحج الى الاندلس فحدث وكان غاية في الصلاح والورع وأعمال البر وله حظ من علم العبارة ومشاركة في اللغة وكتب بخطه على ضعفه كثيرا رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نوح الاشبيلي) ومولده سنة احدى وثلاثين وستمائة باشبيلية وجال في بلاد المغرب والمشرق وقرأ على الشيوخ الفضلاء وحصل كثيرا في علم القراآت والادب وله نظم ونثر وكان كثير التلاوة للقرآن جيد الاداء له وأقام بدمشق حتى مات بها سنة ٦٩٩ رحمه الله تعالى * (ومنهم محمد بن أسباط المخزومي القرطبي) روى عن يحيى بن يحيى وقدم مصر فسمع من الحرث بن مسكين وكان حافظا للفقه عالما توفي سنة ٣٧٩ * (ومنهم أبو بكر محمد بن اسحق الشهير بابن السليم قاضي الجماعة بقرطبة) مولده سنة ٣٠٦ روى عن قاسم بن أصبغ وطبقته ورحل سنة ٣٣٢ فسمع بمكة من ابن الاعرابي وبمصر من الزبير وابن النحاس وغيرهما وعاد الى الا[ندلس] فأقبل على الزهد ودراسة العلم وحدث فسمع منه الناس وكان حافظا للفقه ب[صيرا] بالاختلاف حسن الخط والبلاغة متواضعا وتوفي بجمادى الاولى سنة ٣٦٧ وسلم [illegible] السين مكبرا * (ومنهم موسى بن حج المغربي الاندلسي الواعظ الفقيه العالم) من أهل المرية نزل مصر يكنى أبا عمران كان من أهل العلم والادب وله في الزهد وغيره أشعار حملت عنه وحدث المرشاني عنه بخمسة في الحج وأعماله كلها ولقيه بمصر وقرأها عليه ولابن حج هذا قوله

انما دنياك ساعه * فاجعل الساعة طاعه
واحذر التقصير فيها * واجتهد ما قدر ساعه
واذا أحببت عزا * فالتمس عز القناعه

* (ومنهم أبو عمران موسى بن سعادة مولى سعيد بن نصر) من أهل مرسية سمع صهره أبا علي ابن سكرة الصدفي وكانت بنته عند أبي علي ولازمه وأكثر عنه وروى عن أبي محمد بن مفوز الشاطبي وأبي الحسن بن شفيع قرأ عليهما الموطأ ورحل وحج وسمع السنن من الطرطوشي وعني بالرواية وانتسخ صحيحي البخاري ومسلم بخطه وسمعهما على صهره أبي علي وكانا أصلين لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد أنه سمعهما على أبي علي نحو ستين مرة وكتب أيضا الغريبين للهروي وغير ذلك وكان أحد الافاضل الصلحاء والاجواد السمحاء يؤم بالناس في صلاة الفريضة ويتولى القيام بمؤن صهره أبي علي وبما يحتاج اليه

من دقيق الاشياء وجليلها واليه أوصى عند توجهه الى غزوة كتندة التي فقد فيها سنة أربع عشرة وخمسمائة وكانت له مشاركة في علم اللغة والادب وقد حدث عنه ابن أخيه القاضي أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة بكتاب أدب الكتاب لابن قتيبة وبالفصيح لثعلب (ومنهم أبو محمد عبد الله بن طاهر الازدي) من أهل وادي آش له رحلة الى المشرق أدى فيها الفريضة وسمع بدمشق من أبي طاهر الخشوعي مقامات الحريري وابن عساكر وغيرهما ثم قفل الى بلده انتهى ملخصا من ابن الابار *وحكى الصفدي أن ابن المستكفي اجتمع بالمتنبي بمصر وروى عنه شيأ من شعره ومما روى عنه انه قال أنشدني المتنبي لنفسه

لاعبت بالخاتم انسانة * كمثل بدر في الدجى الفاحم
وكلما حاولت أخذي له * من البنان المطرف الناعم
ألقته في فيها فقلت انظروا * قد خبأت الخاتم في الخاتم

*(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق أبو عبد الله بن مالك) صاحب التسهيل والالفية وهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الامام العلامة الاوحد الطائي الجياني المالكي حين كان بالمغرب الشافعي حين انتقل الى المشرق النحوي نزيل دمشق ولد سنة ستمائة أو في التي بعدها وسمع بدمشق من مكرم وأبي صادق الحسن بن صباح وأبي الحسن بن السخاوي وغيرهم وأخذ العربية عن غير واحد فممن أخذ عنه بجيان أبو المظفر وقيل أبو الحسن ثابت ابن خيار عرف بابن الطيلسان وأبي رزين بن ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي من أهل لبلة وأخذ القراآت عن أبي العباس أحمد بن نوار وقرأ كتاب سيبويه على أبي عبد الله ابن مالك المرشاني وجالس يعيش وتلميذه ابن عمرون وغيره بحلب وتصدر بها لاقراء العربية وصرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين وكان اماما في القراآت وعالما بها وصنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية وأما اللغة فكان اليه المنتهى فيها قال الصفدي أخبرني أبو الثناء محمود قال ذكر ابن مالك يوما ما انفرد به صاحب المحكم عن الازهري في اللغة قال الصفدي وهذا أمر معجز لانه يحتاج الى معرفة جميع ما في الكتابين وأخبرني عنه أنه كان اذا صلى في العادلية لانه كان امام المدرسة يشيعه قاضي القضاة ابن خلكان الى بيته تعظيما له وقد روى عنه الالفية شهاب الدين محمود المذكور ورواها الصفدي خليل عن شهاب الدين محمود قراءة ورواها اجازة عن ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر وعن شهاب الدين بن غانم بالاجازة عنهما عنه وأما النحو والتصريف فكان فيهما ابن مالك بحرا لا يشق لجه وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمرا عجيبا وكان الائمة الاعلام يتحيرون في أمره وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه آية لانه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن فان لم يكن فيه شاهد عدل الى الحديث وان لم يكن فيه شئ عدل الى أشعار العرب هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وصدق اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال العقل وأقام بدمشق مدة يصنف ويشتغل بالجامع وبالتربة العادلية وتخرج به جماعة وكان نظم الشعر عليه سهلا رجزه وطويله وبسيطه وصنف كتاب تسهيل الفوائد قال الصفدي ومدحه

ذكر الله جل ثناؤه مصر في مواضع من كتابه فقال عز وجل وقال الذي اشتراه من مصر وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وقوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه ووصف بعض الحكماء مصر فقال ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة أشهر مسكة سوداء وثلاثة أشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة حمراء *فاما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في شهر أبيب وهو تموز ومسرى وهو آب وتوت وهو أيلول يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها كروابي وتلال مثل الكواكب قد أحاطت بها من كل وجه فلا سبيل لبعض البلاد الى بعض الا في الزوارق وأما المسكة السوداء فان في شهر بابه وهو تشرين الاول وهاتور وهو تشرين الثاني وكيهك وهو كانون الاول ينكشف الماء عنها وينضب عن أرضها فتصير أرضا سوداء وفيها تقع الزراعات وللارض روائح طيبة تشبه روائح المسك وأما الزمردة الخضراء فان في شهر طوبه وهو كانون الثاني وأمشير وهو شباط وبرمهات وهو آذار

سعد الدين محمد بن عربي بأبيات مليحة الى الغاية وهي

ان الامام جمال الدين جمله * رب العلا ولنشر العلم أهله
أملى كتابا له يسمى الفوائد لم * يزل مفيدا للذي لب تأمله
وكل مسئلة في النحو يجمعها * ان الفوائد جمع لانظير له

قال وفي هذه الابيات مع حسن التورية فيها ما لا يخلو من ايراد ذكرته في كتابي فص الخاتم انتهى قلت أجاب العجيسي عن ذلك بان الابيات ليست في التسهيل وانما هي في كتاب له يسمى الفوائد وهو الذي لخصه في التسهيل فقوله في اسم التسهيل تسهيل الفوائد معناه تسهيل هذا الكتاب وذكر أيضا أنه مثل التسهيل في القدر على ما ذكره من وقف عليه وقال واليه يشير سعد الدين محمد بن عربي بقوله ان الامام الى آخره وسعد الدين ابن الشيخ محيي الدين صاحب الفصوص وغيرها ثم قال العجيسي وذكر غير واحد من أصحابنا أن له كتابا آخر سماه بالمقاصد وضمنها تسهيله فسماه لذلك تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد وعلى هذا الاصح قول الصفدي ان المدح المذكور في التسهيل الا بارتكاب ضرب من التأويل انتهى كلام العجيسي قلت وذكر غيره أن قوله في الالفية مقاصد النحو بها محويه اشارة لكتاب المقاصد وتعقب بقوله محويه فانه لو كان كما ذكر لقال محوى واجاب بعضهم بانه من باب الاستخدام وفيه تعسف (رجع) ومن تصانيف ابن مالك الموصل في نظم المفصل وقد حل هذا النظم فسماه سبك المنظوم وفك المختوم ومن قال ان اسمه فك المنظوم وسبك المختوم فقد خالف النقل والعقل ومن كتب ابن مالك كتاب الكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها والخلاصة وهي مختصر الشافية واكمال الاعلام بمثلث الكلام وهو مجلد كبير كثير الفوائد يدل على اطلاع عظيم ولامية الافعال وشرحها وفعل وأفعل والمقدمة الاسدية وضعها باسم ولده الاسد وعدة اللافظ وعمدة الحافظ والنظم الاوجز فيما يهمز والاعتضاد في الظاء والضاد مجلد واعراب مشكل البخاري وتحفة المودود في المقصور والممدود وغير ذلك كشرح التسهيل وروى عنه ولده بدر الدين محمد ومحب الدين بن جعوان وشمس الدين بن أبي الفتح وابن العطار وزين الدين أبو بكر المزي والشيخ أبو الحسين اليونيني وأبو عبد الله الصيرفي وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة وشهاب الدين محمود وشهاب الدين بن غانم وناصر الدين بن شافع وخلق كثير سواهم ومن نظمه في الحلية

خيل السباق المجلي يقتفيه مصل * والمسلي وقال تيل مرتاح
وعاطف وحظي والمؤمل والـلطيم والفسكل السكيت ياصاح

وله من هذه الضوابط شيء كثير وكان يقول عن الشيخ ابن الحاجب انه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوه صغير وناهيك بمن يقول هذا في حق الزمخشري وكان الشيخ ركن الدين بن القوبع يقول ان ابن مالك ما خلى للنحو حرمة وحكى عنه أنه كان يوما في الحمام وقد اعتزل في مكان يستعمل فيه الموسى فهجم عليه فتى فقال ما تصنع فقال أكنس لك الموضع للقعود قال بعضهم وهذا مما يستبعد على دين ابن مالك والعهدة على ناقله

وبشنس وهو أيار وبؤنه وهو حزيران يبيض الزرع فيه ويتورد العشب فهو كسبيكة الذهب منظرا ومنفعة وسنذكر هذه الشهور بالسريانية والعربية والفارسية ونسمي كل شهر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على جميع ذلك في الكتاب الاوسط ووصف آخر مصر فقال نيلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب وملكها لمن سلب ومالها رغب وفي أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم شغب وحروبهم حرب وهي لمن غلب ونهرها النيل من سادات الانهار وأشراف البحار لانه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة ان النيل وسيحان وهو نهر اذنة بين طرسوس والمصيصة وجيحان ومخرجه من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مدينة مرعش ويطرح الى البحر الرومي فليس للمسلمين عليه من المدن الا المصيصة وكفر بيا ودجراه بينهما والفرات وقد قدمنا الاخبار عنه وعن النيل ومبدأهما ومقدار جريانهما على وجه الارض ومدبهما فيما سلف من هذا الكتاب وأنه يخرج من الجنة وكذلك الدجلة

وغيرهما اشتهر من الانهار الكبار وقد قالت العرب فى النيل انه اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادتها من غيضه وغيضه من زياداتها قال البصرى
يغيض ان زادت له الانهار * فى الارض ذات العرض والمقدار
وقالت الهند زيادته ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالى الانواء وتوالى الامطار وركود السحاب وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون فى شاطئه يراها من سافر ولحق باعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت به فتحبسه فيفيض على وجه الارض وقد ذكرنا التنازع فى النيل وزيادته ممن سلف وخلف على الشرح والايضاح وغيره من الانهار الكبار والبحار والبحيرات الصغار فى أخبار الزمان فى الفن الثانى فأغنى ذلك عن اعادتها فى هذا الكتاب * ومصر من سادات القرى ورؤساء المدن قال الله تعالى حاكيا عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون وقال عز وجل حاكيا عن يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا

ناقله قال الصفدى ولا يستبعد ذلك من لطف النحاة وطباع اهل الاندلس وتوفى ابن مالك بدمشق سنة اثنتين وسبعين وستمائة وقال بعضهم من أحسن شعر ابن مالك

اذا رمدت عينى تداويت منكم * بنظرة حسن او بسمع كلام
فان لم اجد ماء تيممت باسمكم * وصليت فرضى والديار امامى
واخلصت تكبيرى عن الغير معرضا * وقابلت أعلام السوى بسلام
ولم ار الا نور ذاتك لائحا * فهل تدع الشمس امتداد ظلام

وقدم رحمه الله تعالى القاهرة ثم رحل الى دمشق وبها مات كما علم * وقال الشرف الحصنى يرثيه

يا شتات الاسماء والافعال * بعد موت ابن مالك المفضال
وانحراف الحروف من بعد ضبط * منه فى الانفصال والاتصال
مصدرا كان للعلوم باذن الله * من غير شبهة ومحال
عدم النحو والتعطف والتو * كيد مستبدلا من الابدال
ألم اعتراه اسكن منه * حركات كانت بغير اعتلال
يا لها سكتة لهمز قضاه * اورثت طول مدة الانفصال
رفعوه فى نعشه فانتصبنا * نصب تمييز كيف سير الجبال
خفضوه عند الصلاة ببدل * فاميلت اسراره للدلال
صرفوه يا عظم ما فعلوه * وهو عدل معرف بالجمال
أدغموه فى الترب من غير مثل * سالما من تغير الانتقال
وقفوا عند قبره ساعة الدفـ * ـن وقوفا ضرورة الامتثال
ومددنا الاكف نطلب قصرا * مسكنا للنزيل من ذى الجلال
آخر الآى من سبا الحظ منه * حظه جاء اول الانفال
يا بيان الاعراب يا جامع الاغـ * ـراب يا مفهما لكل مقال
يا فريد الزمان فى النظم والنثـ * ـر وفى نقل مسندات العوالى
كم علوم بثثتها فى اناس * علموا ما بثثت عند الزوال

انتهت ملخصة قال الصفدى وما رأيت مرثية فى نحوى أحسن منها على طولها انتهى ودفن ابن مالك بسفح قاسيون بتربة القاضى عز الدين بن الصائغ وقال العينى بتربة ابن جعوان ورثاه الشيخ بهاء الدين بن النحاس بقوله

قل لابن مالك ان جرت بك أدمعى * حمرا يحاكيها النجيع القانى
فلقد جرحت القلب حين نعيت لى * وتدفقت بدمائه اجفانى
لكن يهون ما اجن من الاسى * علمى بنقلته الى رضوان
فسقى ضريحا ضمه صوب الحيا * يهمى به بالروح والريحان

وابن النحاس المذكور احد تلامذة ابن مالك وهو القائل يخاطب رضى الدين الشاطبى الاندلسى وقد كلفه ان يشترى له قطرا

ايها الاوحد الرضى الذى طا * ل علاء وطاب فى الناس نشرا
انت بحر لا غرو ان نحن وافيـــناك راجين من نداك القطرا

وابن النحاس المذكور له نظم كثير مشهور بين الناس وهو بهاء الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبي الاصل المعروف بابن النحاس وهو شيخ ابى حيان ولم يأخذ أبو حيان عن ابن مالك وان عاصره بنحو ثلاثين سنة * وقال بعض من عرف بابن مالك انه تصدر بحلب مدة وأم بالسلطانية ثم تحول الى دمشق وتكاثر عليه الطلبة وحاز قصب السبق وصار يضرب به المثل فى دقائق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغات وأشعار العرب مع الحفظ والذكاء والورع والديانة وحسن السمت والصيانة والتحرى لما ينقله والتحرير فيه وكان ذا عقل راجح حسن الاخلاق مهذبا ذا رزانة وحياء ووقار وانتصاب للافادة وصبر على المطالعة الكثيرة تخرج به أئمة ذلك الزمان كابن المنجى وغيره وسارت بتصانيفه الركبان وخضع لها العلماء الاعيان وكان حريصا على العلم حتى انه حفظ يوم موته ثمانية شواهد * وقال بعض الحفاظ ممن عرف بابن مالك يقال ان عبد الله فى نسبه مذكور مرتين متواليتين وبعض يقول مرة واحدة وهو الموجود بخطه أول شرح هاه وهو الذى اعتمده الصفدى وابن خطيب داريا محمد بن أحمد بن سليمان الانصارى وعلى كل حال فهو مشهور بجده فى المشرق والمغرب * وحكى بعضهم أن ولادته سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وعليه عوّل شيخ شيوخنا ابن غازى فى قوله

قد ذبح ابن مالك فى ذبعا * وهو ابن عه كذا وعى من قد وعى

وقيل كما تقدم ان مولده سنة ستمائة أو بعدها بجيان الحرير مدينة من مدن الاندلس جبر الله كسرها وهى مفتوحة الجيم وياؤها مشددة تحتانية وتصدر ابن مالك بحماة مدة وانتقد بعضهم على ابن خلكان اسقاطه من تاريخه مع كونه كان يعظمه الى الغاية وقدم رحمه الله تعالى لصاحب دمشق قصة يقول فيها عن نفسه انه أعلم الناس بالعربية والحديث ويكفيه شرفا أن من تلامذته الشيخ النووى والعلم الفارقى والشمس البعلى والزين المزى وغيرهم ممن لا يحصى * وكان رحمه الله تعالى كثير المطالعة سريع المراجعة لا يكتب شيأ من محفوظه حتى يراجعه فى محله وهذه حالة المشايخ الثقات والعلماء الاثبات ولا يرى الا وهو يصلى أو يتلو أو يصنف أو يقرى وكذا كان الشيخ أبو حيان ولكن كان جده فى التصنيف والاقراء * وحكى أنه توجه يوما مع أصحابه للفرجة بدمشق فلما بلغوا الموضع الذى أرادوه غفلوا عنه سويعة فطلبوه فلم يجدوه ثم فحصوا عنه فوجدوه منكبا على أوراق وأغرب من هذا فى اعتنائه بالعلم ما مر أنه حفظ يوم موته عدة أبيات حدها بعضهم بثمانية وفى عبارة بعض أو نحوها لقنه ابنه اياها وهذا مما يصدق ما قيل بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى فجزاه الله خيرا عن هذه الهمة العلية * وذكر أبو حيان فى الجوازم من تذييله وتكميله أنه لم يصحب من له البراعة فى علم اللسان ولذا تضعف استنباطاته وتعقباته على أهل هذا الشان وينفر من المنازعة والمباحثة والمراجعة قال وهذا شان من يقرأ بنفسه ويأخذ العلم من الصحف بفهمه ولقد طال فحصى وتنقيرى عمن قرأ عليه واستند فى العلم اليه فلم أجد من يذكر لى

شيئا

نهر نيل مصر لكبره واستبحاره وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الخبر عن جبل القمر الذى بدء النيل منه وما يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام فى البدء والمحاق وقد روى عن زيد بن أسلم فى قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل قال هى مصر ان لم يصبها وابل زكت وان أصابها مطر ضعفت وقال بعض الشعراء يصف مصر ونيلها

مصر ومصر شانها عجيب
ونيلها يجرى به الجنوب

وهى مصر واسمها كمعناها وعلى اسمها سميت الامصار ومنها اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين وقد قال عمرو بن معد يكرب

ما النيل أصبح واحدا نعدوده
وجرت له ريح الصبا فجرى لها

عوّدت كندة عادة محمودة
فاصبر لجاهلها ورو سجالها

(قال المسعودى) ويبتدئ نيل مصر بالتنفس والزيادة بقية بؤنه وهو حزيران وابيب وهو تموز ومسرى وهو آب فاذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله وهو ايلول الى انقضائه فاذا انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الارض وربيع للبلد عام وهو ضار للبهائم لعدم المرعى والكلا وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا

شيأ من ذلك ولتدجرى يوما مع صاحبنا تلميذه علم الدين سليمان بن أبي حرب الفارقي الحنفي فقال ذكر لنا أنه قرأ على ثابت بن خيار من أهل بلدة جيان وأنه جلس في حلقة الاستاذ أبي علي الشلوبين نحوا من ثلاثة عشر يوما وثابت بن خيار ليس من أهل الجلالة والشهرة في هذا الشان وانما جلالته وشهرته في اقراء القرآن هذا حاصل ما ذكره أبو حيان * قال بعض المحققين وهو العلامة يحيى العجيسي وليس ذلك منه بانصاف ولا يحمل على مثله الا هوى النفس وسرعة الانحراف فنفيه المستند عنه والمتبع شهادة نفي فلا تسمع ولا تسمع ويكفي ما سطر في حقه قوله في أثناء نظم في هذا العلم كثيرا ونثرا جم باعتكاف على الاشتغال به ومراجعة الكتب ومطالعة الدواوين العربية وطول السن من هذا العلم غرائب وحوت مصنفاته منها نوادر وعجائب وان منها كثيرا استخرجه من أشعار العرب وكتب اللغة اذ هي مرتبة الا كابر النقاد وأرباب النظر والاجتهاد وقوله في موضع آخر من تذييله لا يكون تحت السماء أنحى ممن عرف ما في تسهيله وقرنه في بحره بمصنف سيبويه فما ينبغي له أن يغمصه ولا أن يحط عليه ولا أن يقع فيما وقع فيه فانه مما يجري على أمثاله الغبي والنبيه والحليم والسفيه وما هذا جزاء السلف من الخلف والدر من الصدف والجيد من الحشف أوما ينظر الى شيخه أبي عبد الله بن النحاس فانه لا يذكره الا بأحسن ذكر كما هو دأب خيار الناس ومن كلامه في نقله عنه وهو الثقة فيما ينقل والفاضل حين يقول والى تلميذه أبي البقاء الحافظ المصري حيث يقول فيه أعني في أبي حيان

هو الاوحد الفرد الذي تم علمه * وسار مسير الشمس في الشرق والغرب

ومن غاية الاحسان مبدأ فضله * فلا غرو أن يسمو على العجم والعرب

ومن غاية الاحسان في هذا الشان التصانيف التي سارت بها الركبان في جميع الاوطان واعترف بحسنها الحاضر والبادي والداني والقاصي والصديق والعدو فتلقاها بالقبول والاذعان فسامح الله تعالى أبا حيان فان كلامه يحقق قول القائل كما تدين تدان ورحم الله تعالى ابن مالك فلقد أحيا من العلم رسوما دارسة وبين معالم طامسة وجمع من ذلك ما تفرق وحقق ما لم يكن منه تبين ولا تحقق ورحم شيخه ثابت بن الخيار وهو ابو المظفر ثابت بن محمد بن يوسف بن الخيار الكلاعي بضم الكاف على ما كان يضبط بيده فيما حكاه ابن الخطيب في الاحاطة وأصله من لبلة وبعد في أهل جيان وتوفي بغرناطة سنة ٦٢٨ وكان أبو حيان يغض من هذا الكتاب ويقول ما فيه من الضوابط والقواعد حائد عن نهج الصواب والسداد وكثيرا ما يشير الى ذلك في شرحه المسمى بنهج السالك ومن غضه منه بالنظم في ملامس الناس من جملتهم شيخه بهاء الدين بن النحاس والاقسرائي بجاريه مقتفيا له ومناسيا في تسويد القرطاس

الفية ابن مالك * مطموسة المسالك

وكم بها مشتغل * أوقع في المهالك

ولا تغتر أنت بهذا الغرر فانه ما كل سحاب أبرق ممطر ولا كل عود أورق مثمر وقيل معارضة للقوم وتنبيها لهم عما فيه من النوم

وفى ذلك كفايتها وورى جميع ارضها واذا زادت على السبع عشرة وبلغ ثمان عشرة ذراعا وغلقها استبحر من أرض مصر الربع وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك وان كانت الزيادة ثمان عشرة ذراعا كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباء بمصر وأكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا وقد كان النيل بلغ فى زيادته تسع عشرة ذراعا وذلك سنة تسع وتسعين فى خلافة عمر بن عبد العزيز ومساحة الذراع الى أن تبلغ اثنى عشر ذراعا ثمان وعشرون أصبعا ومن اثنى عشر ذراعا الى ما فوق يصير الذراع اربعا وعشرين اصبعا واقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفى مثل تلك السنة يكون الماء قليلا والاذرع التى يستسقى عليها بمصر هى ذراعان تسميان منكرا ونكيرا وهما الذراع الثالثة عشرة والذراع الرابعة عشرة فاذا انصرف الماء عن هاتين الذراعين أعنى ثلاث عشرة وأربع عشرة وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة واستسقى الناس بمصر كان الضرر شاملا لكل البلدان الا أن يأذن الله عز وجل فى زيادة الماء واذا تم خمس عشرة ودخل فى ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصا من خراج

ألفية ابن مالك * مشرفة المسالك
وكم بها مشتغل * علا على الارائك

وما أحسن قول ابن الوردى فى هذا المعنى

يا عائبا ألفية ابن مالك * وغائبا عن حفظها وفهمها
أما تراها قد حوت فضائلا * كثيرة فلا تجر فى ظلمها
وازجر لمن جادل من يحفظها * براجع وخامس من اسمها

يعنى صه فانه عند الاستقلال بمعنى اسكت انتهى ملخصا وقال أيضا عند ذكره مصنفات ابن مالك وهى كما قيل غزيرة المسائل ولكنها على الناظر بعيدة الوسائل وهى مع ذلك كثيرة الافادة موسومة بالاجادة وليست هى لمن هو فى هذا الفن فى درجة ابتدائه بل للمتوسط يترقى بها درجة انتهائه انتهى * واعلم ان الالفية مختصرة الكافية كما تقدم وكثير من أبياتها فيها بلفظها ومتبوعه فيها ابن معطى ونظمه أجمع وأوعب ونظم ابن معطى أسلس وأعذب وذكر الصعدى عن الذهبى أن ابن مالك صنف الالفية لولده تقى الدين محمد المدعو بالاسد واعترضه العلامة الحمصى بأن الذى صنفه له عن تحقيق المقدمة الاسدية قال وأما هذه يعنى الالفية فذكر لى من أثق بقوله أنه صنفها برسم القاضى شرف الدين هبة الله بن نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين بن ابراهيم بن عفيف الدين هبة الله بن مسلم بن هبة الله بن حسان الجهنى الحموى الشافعى الشهير بابن البارزى ويقال ان هذه النسبة الى باب أبرز أحد أبواب بغداد ولكن خفف لكثرة دوره على الالسنة انتهى مختصرا وقال بعض من عرف بابن مالك هو مقيم أود وقاطع لدد ومزين سماء موهت الاصائل ديباجتها وشعشعت البكر زجاجتها وجاءت أيامه صافية من الكدر وإليه وما بها شائبة من الكبر قد خلقها العشى بردعه وخلفها الاصباح بربعه فكان كل حول مسجده وكل عين فاخرة بسجده هذا وزمر الطلاب وطلبة الاحلاب لا تزال اليه القلاص وتكثر بسربه الاقتناص كان أوحد وقته فى علم النحو واللغة مع الديانة والصلاح انتهى وقال بعض المغاربة

لقد مزقت قلبى سهام جفونها * كما مزق اللخمى مذهب مالك
وصال على الاوصال بالقد قدها * فأضحت كأبيات بتقطيع مالك
وقلدت اذ ذاك الهوى لمرادها * كتقليد أعلام النحاة ابن مالك
وملكتها رقى لرقة لفظها * وان كنت لا أرضاه ملكا لمالك
ونادتها يا منيتى بذل مهجتى * ومالى قليل فى بديع جمالك

ويعنى بقوله بتقطيع مالك مالك بن المرحل السبتى رحمه الله تعالى ولما سئل ابن مالك عن قول النبى صلى الله عليه وسلم الحور بعد الكور هل هو بالراء أو بالنون أنكر النون فقيل له ان فى الغريبين للهروى رواية بالنون فرجع عن قوله الاول وقال انما هو بالنون انتهى وقد ذكر فى المشارق النون والراء فقال الحور بعد الكور بالراء رواه العذرى وابن الحذاء وللباقين بالنون معناه النقصان بعد الزيادة وقيل من الشذوذ بعد الجماعة وقيل من الفساد

السلطان والترع التى بغيضة مصر أربع امهات اسماؤها ترعة ذنب التمساح وترعة بلقينة وخليج سردوس وخليج ذات الساحل وتفتح هذه الترع اذا كان الماء زائدا فى عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من توت وهو ايلول وقد قدمنا خبر تسمية هذا اليوم بعيد الصليب فيما سلف من هذا الكتاب والنبيذ الشيرازى يتخذ بمصر من ماء طوبه وهو كانون الآخر بعد الغطاس وهو لعشر تمضى من طوبه واصفى ما يكون النيل فى ذلك الوقت واهل مصر يفتخرون بصفاء النيل فى هذا الوقت وفيه تختزن المياه أهل تنيس ودمياط وتونه وسائر قرايا البحيرة وليلة الغطاس بمصر شان عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة تمضى من طوبه وستة من كانون الثانى ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج فى داره المعروفة بالمختارة فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئو آلاف من الناس المسلمين والنصارى منهم فى الزوارق ومنهم فى الدور الدانية

بعد الصلاح وقيل من القلة بعد الكثرة كار عمامته اذا لفها على رأسه واجتمعت وحارها اذا نقضها فافترقت و يقال حار اذا رجع عن أمر كان عليه ووهم بعضهم رواية النون وقيل معناها رجع الى الفساد بعد النقص أي بعد أن كان على خير مما رجع اليه وقال عياض في موضع آخر بعد الكور كذا للعذري والكون للفارسي والسجزي وابن ماهان وقول عاصم في تفسيره حار بعدما كان وهي روايته و يقال ان عاصما وهم فيه انتهى والسائل لابن مالك عن اللفظة هو ابن خلكان لان ابن الاثير سال ابن خلكان عنها فقال هو ابن مالك رحم الله تعالى الجميع وقد عرف الحافظ الذهبي بابن مالك في تاريخ الاسلام وذكر فيه ترجمة لولده بدر الدين محمد وانه كان حاد الذهن ذكيا اماما في النحو وعلم المعاني والمنطق جيد المشاركة في الفقه والتدريس وأنه تصدر بعد والده للتدريس ومات شابا قبل الكهولة سنة ٦٨٦ ومن أجل تصانيفه شرحه على ألفية والده وهو كتاب في غاية الاغلاق ويقال انه نظير الرضي في شرح الكافية وللناس عليه حواش كثيرة رحمهم الله تعالى أجمعين

* (ومنهم أبو عبد الله محمد بن طاهر القيسي التدمري ويعرف بالشهيد) كان عظيم القدر جدا بالاندلس بعيد الاثر في الخير والصلاح والعلم والنسك والانقطاع الى الله تعالى وكان من وجوه أهل كورة تدمير ذوي البيوت الرفيعة وبرع بخصاله المحمودة وكان في نفسه فقيها عالما زاهدا خيرا ناسكا متبتلا نشأ على الاستقامة والصلاح والاقتداء والدعة وطلب العلم في حداثة سنه ورحل الى قرطبة فروى الحديث وتفقه وناظر وأخذ بحظ وافر من علم المسئلة والجواب وكان أكثر علمه وعمله الورع والتشدد فيه والتحفظ بدينه ومكسبه ورسخ في علم السنة ثم ارتحل الى المشرق فر بمصر حاجا فأقام بالحرمين ثمانية أعوام يتعيش فيها من عمل يده بالنسخ ثم سار الى العراق فلقي أبا بكر الابهري وأخذ عنه وأكثر من لقاء الصالحين وأهل العلم ولبس الصوف وقنع وتورع جدا وأعرض عن الشهوات وكان اذا سئم من النسخ الذي جعل قوته منه آجر نفسه في الخدمة رياضة لها فاصبح عابدا متقشفا مصيبا مخبتا عالما عاملا منقطع القرين قد جرت منه دعوات مجابة وحفظت له كرامات ظاهرة ثم عاد الى بلده تدمير سنة ست أو سبع وسبعين وثلثمائة وبها أبوه أبو الحسام طاهر حيا فنزل خارج مدينة مرسية تورعا عن سكناها وعن الصلاة في جامعها فاتخذ له بيتا سقفه من حطب السدر يأوي اليه واعتمر جنينة بيده يقتات منها وصار يغزو مع المنصور محمد بن أبي عامر ثم تحول من قريته بعد عامين الى الثغر وواصل الرباط ونزل مدينة طلبيرة وكان يدخل منها في السرايا الى بلد العدو فيغزو و يتقوت من سهمانه و يعول على فرس له ارتبطه لذلك و كان له بأس وشدة ونجاعة وثقافة يحدث عنه فيها بحكايات عجيبة الى أن استشهد مقبلا غير مدبر سنة ٣٧٩ أو في التي قبلها عن اثنتين وأربعين سنة وأبوه حي رحم الله تعالى الجميع

*(ومنهم أبو عبد الله القيجاطي محمد بن عبد الجليل بن عبد الله بن جهور) مولده سنة ٥٩٠ بقيجاطة وكتب عنه الحافظ المنذري ومن شعره قوله

اذا كنت تهوى من نأت عنك داره * فحسبك ما تلقى من الشوق والبعد
فياويح صب قد تضرم ناره * ووا حر قلب ذاب من شدة الوجد

من النيل ومنهم على الشطوط لا يتناكرون الحضور ويحضرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم في النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرئ للداء (قال المسعودي) وأما المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه فاني سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى الاهراء اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه وأن ذلك كان بمنف ولم يكن بنى الفسطاط يومئذ وأن دلوكة الملكة العجوز وضعت مقياسا آخر بالصعيد أيضا ببلاد اخميم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيء الاسلام ثم ورد الاسلام وافتتحت مصر وكانوا يعرفون زيادة النيل ونقصانه بما ذكرنا ووصفنا الى أن ولي عبد العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا بالجزيرة التي تدعى جزيرة الصناعة وهي الجزيرة التي بين الفسطاط والجيزة والمعبر عليها من الفسطاط على الجسر ثم منها على جسر آخر الى الجيزة وهو بين الجانب الغربي من الفسطاط

*(ومنهم أبو عبد الله ويقال أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازنى القيسى الغرناطى) ولد سنة ٤٧٣ ودخل الاسكندرية سنة ٥٠٨ وسمع بها من أبى عبد الله الرازى وبمصر من أبى صادق مرشد بن يحيى المدينى وأبى الحسن الفراء الموصلى وأبى عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوى وغيرهم وحدث بدمشق وسمع أيضا بها وببغداد وقدمها سنة ٥٥٦ ودخل خراسان وأقام بها مدة ثم رجع الى الشام وأقام بحلب سنين وسكن دمشق وكان يذكر أنه رأى عجائب فى بلاد شتى ونسبه بعض الناس بسبب ذلك الى ما لا يليق وصنف فى ذلك كتابا سماه تحفة الالباب وكان حافظا عالما أديبا وتكلم فيه الحافظ ابن عساكر ورماه بالكذب وقال ابن النجار ما علمته الا أمينا ومن شعره قوله

نكتب العلم ونلقى فى سفط * ثم لا نحفظ لا نفلح قط
انما يفلح من يحفظه * بعد فهم وتوق من غلط

وقوله

العلم فى القلب ليس العلم فى الكتب * فلا تكن مغرما باللهو واللعب
فاحفظه وافهمه واعمل كى تفوز به * فالعلم لا يجتنى الا مع التعب

توفى بدمشق فى صفر سنة ٥٦٥ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبى من ذرية أبى ثعلبة الخشنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) رحل قبل الاربعين وما ئتين فحج وسمع بالبصرة من محمد بن بشار وأبى موسى الزمن ونصير بن على الجهضمى وأبى حاتم السجستانى والعباس بن أبى الفرج الرياشى وسمع ببغداد من أبى عبيد القاسم بن سلام وبمكة من محمد بن يحيى العدنى وبمصر من سلمه بن شبيب صاحب عبد الرزاق والبرقى وغيرهما وأدخل الاندلس علما كثيرا من الحديث واللغة والشعر وكان فصيحا جزل المنطق صارما أنوفا منقبضا عن السلطان أراده على القضاء فأبى وقال ابايه اشفاق لا ابايه عصيان فأعفاه وكان ثقة مأمونا توفى فى رمضان سنة ٢٨٦ عن ثمان وستين سنة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبى) سمع من محمد بن وضاح وأكثر عنه وأخذ عن محمد الخشنى وقاسم بن أصبغ وابراهيم بن قاسم بن هلال ورحل سنة ٢٧٤ فسمع بمصر المطلب بن شعيب والمقدام بن داود الرعينى وأدرك بالعراق اسمعيل القاضى وعبد الله بن أحمد بن حنبل قال الحميدى حدث بالمغرب وبالمشرق وصنف السنن وممن روى عنه خالد بن سعد وقال لنا أبو محمد بن حزم مصنف ابن أيمن مصنف رفيع احتوى من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس فى كثير من المصنفات وتوفى فى ذى القعدة سنة ٣٣٠ بقرطبة رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ضيفون اللخمى الرصافى القرطبى الحدادى) سمع بقرطبة من عبد الله ابن يونس وقاسم بن أصبغ وحج سنة ٣٣٩ سنة رد القرامطة الحجر الاسود الى مكانه وسمع بمكة من ابن الاعرابى وبمصر من ابن الورد وأبى على بن السكن وعبد الكريم النسائى وغيرهم وسمع باطرابلس والقيروان من جماعة وكان رجلا صالحا عدلا حدث وكتب عنه الناس وعلت سنه وتوفى بشوال سنة ٣٩٤ ومولده فيما أظن سنة ٣٠٢ وكانت وفاته بقرطبة وقد اضطرب فى أشياء قرئت عليه وممن أخذ عنه الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحم الله تعالى الجميع (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الخزرجى السعدى القرطبى) روى عن أبى الحسن على بن

والجانب الشرقى وهذا المقياس الذى اتخذه أسامة بن زيد التنوخى هو أكثرها استعمالا واتخذ ذلك فى أيام سليمان بن عبد الملك ابن مروان وهو المقياس الذى يعمل عليه فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالفسطاط وقد كان من سلف قسون بالمقياس الذى نصف ثم ترك استعماله وعمل على مقياس الجزيرة المعمول فى أيام سليمان ابن عبد الملك وفى هذه الجزيرة مقياس آخر لأحمد بن طولون والعمل عليه عند كثرة الماء وترادف الرياح واختلاف مهابها وكثرة الموج وقد كانت أرض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا عامرها وغامرها لما احكموا من جسورها وبناء قناطرها وتنقية خلجانها وكان بمصر سبع خلجانات فمنها خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج المنهى وكانت مصر فيما يذكر أهل الخبرة أكثر البلاد جنانا وذلك أن جنانها كانت متصلة بحافتى النيل من أوله الى آخره من حد أسوان الى رشيد وكان الماء اذا بلغ فى زيادته تسع أذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا وكان الذى ولى حفر خليج هشام

شام وروى عنه أبو القاسم بن بشكوال وقدم مصر وحدث بها وممن سمع منه بها ابن وردان وأبو الرضا القيسراني في آخرين واستوطن مصر وتوفي سنة ٥٨٨ *(ومنهم أبو بكر بن السراج النحوي) بتشديد الراء وهو محمد بن سعيد الملك بن محمد بن السراج الشنتمري أحد أئمة العربية المبرزين فيها ويكفيه فخرا انه استاذ ابي محمد عبد الله بن بري المصري اللغوي النحوي وحدث عن ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد النفطي وقرأ العربية بالاندلس على ابن ابي العافية وابن الاخضر وقدم مصر سنة ٥١٥ واقام بها وأقرأ الناس العربية ثم انتقل الى اليمن وروى عنه أبو حفص عمر بن اسمعيل وأبو الحسن علي والد الرشيد العطار وله تواليف منها كتاب تنبيه الالباب في فضل الاعراب وكتاب في العروض وكتاب مختصر العمدة لابن رشيق وتنبيه اغلاطه قال السلفي كان من أهل الفضل الوافر والصلاح الظاهر وكانت له حلقة في جامع مصر لاقراء النحو وكثيرا ما كان يحضر عندي رحمه الله تعالى مدة مقامي بالفسطاط توفي بمصر سنة ٥٤٩ وقيل سنة خمس وأربعين وقيل خمسين وخمسمائة بمصر والاول أثبت *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي بن سعيد العنسي) ويكنى أيضا أبا القاسم الغرناطي سمع من الجلة بمصر والاسكندرية ودمشق وبغداد منهم الحراني أبو عبد الله وأبو محمد عبد الصمد بن داود بدمشق وكتب الحديث وعني بالرواية أتم عناية وفقد باصبهان حين استولى عليها التتار قبل الثلاثين وستمائة *(ومنهم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن الدفاع) بالدال وقيل بالراء قرطبي سمع عبد الملك بن حبيب ورحل فسمع بمصر من الحرث بن مسكين وغيره وكان زاهدا فاضلا وتوفي سنة ٢٨١ رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافري القرطبي) ولد بقرطبة سنة ٣٥٨ ودخل مصر فسمع من أبي بكر بن المهندس وأبي بكر البصري وروى عن أبي عبد الله بن مفرج وأبي محمد الاصيلي وجماعة ولقي الشيخ أبا محمد بن أبي زيد في رحلته سنة ٣٨١ فسمع منه رسالته في الفقه وغيرها وحج من عامه ثم عاد من مصر الى المغرب سنة ٣٨٢ وكان معتنيا بالاخبار والآثار ثقة فيما رواه وعني به خير افاد للدين متواضعا متصاونا مقبلا على ما يعنيه صاحب حظ من الفقه وبصيرا بالمسائل ودعي الى الشورى بقرطبة فابى ومات سنة ٤٣٩ وعابد جده بالباء الموحدة رحم الله تعالى الجميع *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان بن عثمان بن هاجر الانصاري البلنسي) أخذ القراآت عن جماعة من أهل بلده وخرج حاجا سنة ٥٥٦ فجاور بمكة وسمع بها وبالاسكندرية من السلفي وعاد الى بلده سنة ٥٧١ وحدث وكان من أهل الصلاح والفضل والورع كثير البر ومفاداة الاسرى ويحترف بالتجارة ومولده بعد سنة ٥٣٠ ومات سنة ٥٩٨ بمرسية رحمه الله تعالى *(ومنهم أبو الوليد محمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة القرطبي المالكي الحافظ) ولد سنة ٤٧٩ وأخذ الفقه عن القاضي أبي الوليد بن رشد والحديث عن ابن عتاب وروى الموطأ عن أبي بحر سفيان بن العاص بن سفيان وأخذ الادب عن أبي الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج الاموي وعن مالك بن عبد الله العتبي وخرج من قرطبة في الفتنة بعد ما درس بها وانتفع الناس به في فروع الفقه وأصوله وأقام بالاسكندرية خوفا من بني عبد المؤمن بن علي ثم قال كاني والله بهم قد وصلت الى الاسكندرية ثم سافر الى مصر

[خليج سر]دوس لفرعون عدوّ الله هامان فلما ابتدأ في حفره أتاه أهل القرى يسألونه أن يجري الخليج الى تحت قراهم ويعطوه على ذلك ما أراد من المال وكان يعمل ذلك حتى اجتمعت له أموال عظيمة فحمل تلك الاموال الى فرعون فلما وضعها بين يديه سأله عنها فاخبره بما فعل فقال انه ينبغي للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم معروفه ولا يرغب فيما في أيديهم ونحن أحق من فعل هذا بعبيده فاردد على أهل كل قرية ما أخذته منهم ففعل ذلك هامان ورد على أهل كل قرية ما أخذ منهم فليس في الخلجان التي بأرض مصر أكثر عطوفا وعراقيل من خليج سردوس وأما خليج الفيوم وخليج المنهى فان الذي حفرهما يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما وسلم وذلك ان الريان بن الوليد ملك مصر لما رأى رؤياه في البقر والسنابل وعبرها يوسف عليه السلام استعمله على ما كان يلي من أرض مصر وقد أخبر الله بذلك عند اخباره عن نبيه يوسف بقوله اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (قال المسعودي) وقد تنازع أهل الملة في تصرف المؤمنين مع الفاسقين فمنهم من رأى ان الملك كان مؤمنا ولولا ذلك ما وسع يوسف معاونة الكفار والتصرف في أوامرهم ونواهيهم

بعد ما روى عنه السلفي وأقام بها مدة ثم قال والله ما بمصر والاسكندرية عتباء عدين ثم سافر الى الصعيد وحدث في قوص بالموطا ثم قال والله ما يصلون الى مصر ويتأخرون عن هذه البلاد ومضى الى مكة وأقام بها ثم قال وتصل الى هذه البلاد ولا تحج ما أنا الا هربت منه اليه ثم دخل اليمن فلما رآها قال هذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن فتوجه الى الهند فأدركته وفاته بها سنة ٥٥١ وقيل بل مات بزبيد من مدن اليمن وكان من جملة العلماء الحفاظ متفننا في المعارف كلها جامعا لها كثير الرواية واسع المعرفة حافل الادب من كبار فقهاء المالكية يتصرف في علوم شتى حافظا للآداب عارفا بشعراء الاندلس وكان علمه أوفر من منطقه ولم يرزق فصاحة ولا حسن ايراد قال ابن نقطة خبرة بكسر الخاء المعجمة وفتح الباء المنقوطة من تحتها باثنتين * (ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي) قال ابن النجار ولد بمرسية سنة ٥٧٠ وقال غيره في التي قبلها وخرج من بلاد المغرب سنة ٦٠٧ ودخل مصر وسار الى الحجاز ودخل مع قافلة الحاج الى بغداد وأقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والاصلين بالنظامية ثم سافر الى خراسان وسمع بنيسابور وهراة ومرو وعاد الى بلاد بغداد وحدث بكتاب السنن الكبرى للبيهقي عن منصور بن عبد المنعم الفراوي وبكتاب غريب الحديث للخطابي وقدم الى مصر فحدث بالكثير عن جماعة منهم أم المؤيد زينب وأبو الحسن المؤيد الطوسي وخرج من مصر يريد الشام فمات بين الزعقة والعريش من منازل الرمل في ربيع الاول سنة ٦٥٥ ودفن بتل الزعقة وكان من الائمة الفضلاء في جميع فنون العلم من علوم القراآت والحديث والفقه والخلاف والاصلين والنحو واللغة وله فهم ثاقب وتدقيق في المعاني مع النظم والنثر المليح وكان زاهدا متورعا حسن الطريقة متدينا كثير العبادة فقيرا متجردا متعففا نزه النفس قليل المخالطة لاوقاته طيب الاخلاق متوددا كريم النفس قال ابن النجار ما رأيت في فنه مثله وكان شافعي المذهب وله كتاب تفسير القرآن سماه ري الظمآن كبير جدا وكتاب الضوابط الكلية في النحو وتعليق على الموطا وكان مكثرا شيوخا وسماعا وحدث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز وكانت له كتب في البلاد التي ينتقل اليها بحيث لا يستصحب كتبا في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر اليه وكان كريما قال أبو حيان أخبرني الشرف الجزائري بتونس انه كان على رحلة وكان ضعيفا فقال له خذ ما تحت هذه السجادة أو البساط فرفعت ذلك فوجدت تحته أكثر من أربعين دينارا ذهبا فأخذتها قال الجمال اليعمري أنشدني لنفسه بالقاهرة

قالوا فلان قد أزال بهاءه * ذاك العذار وكان بدر تمام
فأجبتهم بل زاد نور بهائه * ولذا تضاعف فيه فرط غرامي
استقصرت ألحاظه فتكاتها * فأتى العذار يمدها بسهام

ومن شعره قوله

من كان يرغب في النجاة فماله * غير اتباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغيره * سبل الغواية والضلالة والردى

ومنهم من رأى ان ذلك جائز على ما يوجبه أحوال الوقت والاصلح للعمال وقد ذكرنا قول كل فريق من هؤلاء في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وأما أخبار الفيوم من صعيد مصر وحلجانها من المرتفع والمطأطئ ومطأطئ المطأطئ وهذه عبارة أهل مصر يريدون بذلك المنخفض وكيفية فعل يوسف فيها وعمارته أرضها بعد كونها خربة ومصماة لمياه الصعيد وهي جزيرة قد أحاط الماء حينئذ باكثر أقطارها فقد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط فأغنى عن اعادته في هذا الكتاب وكذلك في تسمية الفيوم فيوما وان ذلك الفيوم وما كان من خبر يوسف مع الوزراء وحسدهم اياه وقد كانت مصر على ما زعم أهل الخبرة والعناية باخبار شان العالم يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض موضع الفسطاط في وقتنا هذا وقد كان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل من أسوان الحبشة وقد قدمنا ذكر هذا الموضع فيما سلف من هذا الكتاب الى ان عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما ينقل من التوبة بتياره من موضع الى موضع فنضب من بعض المواضع من بلاد مصر على حسب ما وصفنا عن صاحب المنطق من عمران فاتبع

فاتبع كتاب الله والسنن التى * صحت فذاك اذا اتبعت هو الهدى
ودع السؤال بكم وكيف فانه * باب يجر ذوى البصيرة للعمى
الدين ما قال النبى وصحبه * والتابعون ومن مناهجهم قفا

*(ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله البنتى الاندلسى الانصارى) قدم مصر وأقام بالقرافة مدة وكان شيخا صالحا زاهدا فاضلا وتوجه الى الشام فهلك قال الرشيد العطار كان من فضلاء الاندلسيين ونبهائهم ساح فى الارض ودخل بلاد العجم وغيرها من البلاد البعيدة وكان يتكلم بألسنة شتى ومن شعره قوله

اذا قل منك السعى فالعزم ناشد * وكل مكان فى مرائك واحد
توجه بصدق واتق المين واقتصد * تحل رهينات النجاح المقاصد

والبنتى بضم الباء وسكون النون نسبة الى بنت حصن بالاندلس ويقال بونت بزيادة واو *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخولانى الباجى ثم الاشبيلى المعروف بابن القوق) سمع بقرطبة من جماعة ورحل الى المشرق سنة ٢٦٦ فسمع بمكة من على بن عبد العزيز وغيره وبمصر من محمد بن عبد الحكم ومن أخيه سعد وكان فقيها فى الرأى حافظا له عاقدا للشروط قال ابن الفرضى كان رجلا صالحا ورعا ثقة وكان خالد بن سعيد قد رحل اليه وسمع منه وكان يقول اذا حدث عنه كان من معادن الصدق توفى سنة ٣٠٨ *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللوشى الطبيب) اشتغل بالطب وبرع فيه وأقام بمصر مدة وتوفى بها مات فى عشر الستين وستمائة *(ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبدون العذرى القرطبى) رحل سنة ٣٣٧ فدخل مصر والبصرة وعنى بعلم الطب ودبر مارستان مصر ثم رجع الى الاندلس سنة ٣٦٠ واتصل بالحكم المستنصر وابنه المؤيد وله فى التكسير كتاب حسن قال صاعد مهر فى الطب ونبل فيه وأحكم كثيرا من أصوله وعانى صنعة المنطق معاناة صحيحة وكان شيخه فيه أبو سليمان محمد ابن محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى البغدادى وكان قبل أن يتطبب مؤدبا بالحساب والهندسة وأخبرنى أبو عثمان سعيد الطليطلى أنه لم يلق فى قرطبة من يلحق محمد بن عبدون فى صناعة الطب ولا يجاريه فى ضبطها وحسن دربته فيها واحكامه لغوامضها رحمه الله تعالى *(ومن الراحلين الى المشرق من أهل الاندلس أبو مروان عبد الملك بن أبى بكر محمد بن مروان بن زهر الايادى الاندلسى) صاحب البيت الشهير بالاندلس رحل المذكور الى المشرق وتطبب به زمانا وتولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم القيروان ثم استوطن مدينة دانية وطار ذكره فيها الى أقطار الاندلس والمغرب واشتهر بالتقدم فى علم الطب حتى فاق أهل زمانه ومات فى مدينة دانية رحمه الله تعالى ووالده محمد بن مروان كان عالما بالرأى حافظا للادب فقيها حاذقا بالفتوى متقدما فيها متقنا للعلوم فاضلا جامعا للدراية والرواية وتوفى بطليرة سنة ٤٢٢ وهو ابن ست وثمانين سنة حدث عنه جماعة من علماء الاندلس ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل رحمه الله تعالى وأما أبو العلاء زهر بن عبد الملك المذكور فقال ابن دحية فيه انه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه وتوفى ممتحنا من نغلة بين كتفيه سنة ٥٢٥ بمدينة قرطبة انتهى

الارض وخرابها فيما سلف من هذا الكتاب فى كن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عن ارضها قليلا قليلا حتى امتلأت ارض مصر من المدن والعمائر وطرقوا للماء وحفروا له الخلجانات وعقدوا فى وجهه المسناة الا أن ذلك خفى على ساكنها لان طول الزمان اذهب معرفة اول سكناهم كيف كان ذلك ولم نتعرض فى هذا الكتاب لذكر العلة الموجبة لامتناع المطر بمصر ولا لكثير من اخبار الاسكندرية وكيفية بنائها والامم التى تداولتها والملوك التى سكنتها من العرب وغيرها الا ما قد أتينا على ذلك فى الكتاب الاوسط وسنذكر بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وجوامع من كيفية بنائها وما كان من امر الاسكندر فيها (قال المسعودى) وقد كان احمد بن طولون بمصر بلغه فى سنة نيف وستين ومائتين ان رجلا بأعالى بلاد مصر من ارض الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الانباط ممن يشار اليه بالعلم من لدن حداثته والنظر والاشراف على الآراء والنحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من اهل الملل وانه علامة بمصر وارضها على برها وبحرها واخبارها واخبار ملوكها وانه ممن سافر فى الارض وتوسط الممالك وشاهد الامم من انواع البيضان والسودان وانه

وكانت بينه وبين الفتح صاحب القلائد عداوة ولذلك [illegible] المسـ[illegible] كتب فى شأنه الى امير المسلمين على
يوسف بن تاشفين منصوريته أطال الله تعالى بقاء الامير [illegible] الاجل سامعا للنداء دافعا للتطاول
والاعتداء [illegible] نضم الله تعالى بلبتك الملك عقدا وجعل [illegible] لك حلا للاء ووعقدا وأوطأ
عقبا وأصار من الناس لعونك منتظرا ومرتقبا الآن [illegible] يكون للبرية حائطا وللعدل فيهم
باسطا حتى لا يكون فيهم من تضام ولا ينال أحدهم اهتضام [illegible] جائر ولتقصر يد كل معتد
الصلام وهذا ابن زهر الذى اجررته رسنا وأوضحت له الى الا[illegible] استطالة سننا لم يتعده
الاضرار الاحيث انتهيته ولا عادى على عبد الاحين لم تنهه [illegible] تراه او نهيته ولما علم انك
لاتنكر عليه نكرا ولا تغير له متى ما مكر فى عباد الله مكرا جرى فى ميدان التعدى مل عنانه
وسرى الى ماشاء بعدوانه ولم يراقب الذى خلقه وأمد فى الحظوة عندك طلقه وأنت
بذلك مرتهن عند الله تعالى لانه مكنك لئلا يتمكن الجور ولتسكن بك الفلاة والغور
فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل فى كل طريق وأخفق به كل فريق وقد علمت
ان خالقك الباطش الغيور يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وما تخفى عليه نجوالك ولا
يستتر عنه تقلبك ومثواك وستقف بين يدى عدل حاكم يأخذ بيد كل مظلوم من ظالم قد
علم كل قضية قضاها ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فبم تحتج معى لديه اذا وقفت
أنا وأنت بين يديه أترى ابن زهر يخلصك فى ذلك المقام أو يحميك من الانتقام وقد
أوضحت لك المحجة لتقوم عليك الحجة والله سبحانه النصير وهو بكل خلق بصير لارب
غيره والسلام انتهى ✲ وقد تذكرت هنا بذكر الفتح ما كتبه مقدمات بعض اخوانه غريقا

أتانى ورحلى بالعراق عشية ✲ ورحل المطايا قد قطعن بنا نجدا
نعى أطار القلب عن مستقره ✲ وكنت على قصد فأغلطنى القصدا

نعوا والله باسق الاخلاق لا يخلف ورموا قلبى بسهم أصاب صميمه فما أخلف لقد سام
الردى منه حسنا وجمالا ووسامة وطوى بطيه نجده وتهامه فعطل منه الندى والندى
وأثكل فيه المدى والهدى كم فل السيوف طول قراعه ودل عليه الضيوف موقد ناره
بيقاعه وكم تشرف اليه السرير والمنبر وتصرف فيه الثناء والمخبر وكم راع البدر ليلة
ابداره وروع العدو فى قعر داره وأى فتى غداله البحر ضريحا وأعدى عليه الحين ماء وريحا
فبدل من طلل على ومفاخر بقعر بحر طامى اللجج زاخر وبدل من صهوات الخيل بلهوات اللجج
والليل غريق حكى مقلتى فى دمعها وأساء نفسى فى سمعها وبى حزن لا أستسقى له الغمام
فماله قبر تجوده ولا ثرى تروى به تهائمه ونجوده وقد آليت أن لا أودع الريح تحية ولا
يورثنى هبوبها أريحية فهى التى أثارت من الموج حنقا ومشت عليه خببا وعنقا حتى
أعادته كالكثبان وأودعته قضيب بان فيا أسفا لزلال غاض فى أجاج وابسال فاض
عليه بحر عجاج وما كان الاجوهرا ذاب الى عنصره وصدفا بان عن عين مبصره لقد آن
للحسام أن يغمد فلا يشام وللغمام أن تبكيه بكل اراكة وبشام وللعذارى أن لا يحجبهن
الخفر والاحتشام نحن فى ما ذرت الشمس الاضر أو نفع ويبكين من لم يدع فقده فى العيش
من منتفع فكم نعمنا بدنوه ونسمنا نسيم الانس فى رواحه وغدوه واقتنا بروضة موشية

نومعرفة بهيئات الافلاك والنجوم واحكامها فبعث احمد بن طولون برجل لتمسايه [illegible] من قواده فى اصحابه فحمله فى ال[illegible]
[illegible] مكرم وكان قد انفرد
[illegible]ن الناس فى بنيان
[illegible] هذه وسكن فى اعلاه
وقد رأى الرابع عشر من
ولد ولده فامتثل بحضرة
احمد بن طولون نظر الى
ر[illegible] دلائل الهرم [illegible]
بينه وشواهد ما اتى عليه
من الدهر وهو ذو الحواس
سليمة والنضيه فائمة
والعقل صحيح يفهم عن
مخاطبه ويحسن البيان
والجواب عن نفسه فاسكنه
بعض مقاصيره ومهد له
وحمل اليه [illegible] كل
والمشارب فابى ان لا يتناول منا
على شىء وان لا يتغذى الا
بغذاء كان حمله معه من
كعك وغير وقال هذه بنية
قوامها [illegible] ترون من هذا
الغذاء وهذا الملبس فان
انتم سمتموها النقلة عن
هذه العادة وتناول
ما تأخذونه عليها من
المآكل والمشارب
والملابس كان ذلك سبب
انحلال هذه البنية وتفريق
هذه الصورة فترك على ما
كان عليه وما جرت به عادته
وأحضر له احمد بن طولون
من حضره من اهل الديار
وصرف همته عليه واخلى
نفسه له فى ليال وايام كثيرة
يسمع كلامه وايراداته
وجواباته فيما سئل عنه فكان مما سئل عنه الخبر عن بحيرة تنيس ودمياط فقال كانت ارضا لم يكن بمصر ووقفنا

ووقفنا بالمسرات عشية وأدرناها ذهبا سائلة ونظرناها وهي شائلة لم نوم السهر ولم نشم برقا الا الكاس والزهر ولو غير الحمام زحف اليه جيشه أو غير البحر رجف به ارتجاجه وطيشه لفداه من أسرته كل أروع ان عاجله المكروه ثبطه أو جاءه الشر تابعه ولكنها المنايا لا تردها الصوارم والاسل ولا تتقوتها ذات العضاء العسل قد فرقت بين مالك وعقيل وأشرقت بعدهما جذيمة بالحسام الصقيل انتهى وقد عرفنا بالفتح في غير هذا الموضع فليراجع

(رجع الى بيت بني زهر رحمهم الله تعالى) وأما أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر المذكور فهو ومن ذلك البيت وان كانوا كلهم أعيانا علماء رؤساء حكماء وزراء وقد نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في المطرب من أشعار أهل المغرب كان شيخنا الوزير أبو بكر بن زهر بمكان من اللغة مكين ومورد من الطب عذب معين وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العلياء عند أصحاب المغرب مع سمو نسب وكثرة الاموال والنشب صحبته زمانا طويلا واستفدت منه أدبا جليلا وأنشد من شعره المشهور قوله

وموسد بن على الاكف خدودهم * قد غالهم نوم الصباح وغالني

مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالني

والخمر تعلم كيف تأخذ ثارها * اني أملت اناءها فأمالني

ثم قال ابن دحية وسألته عن مولده فقال ولدت سنة سبع وخمسمائة قال وبلغتني وفاته آخر سنة ٥٩٥ رحمه الله تعالى انتهى وزعم ابن خلكان ان ابن زهر ألم في الابيات المذكورة بقول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن هبة الله

عاقرتهم مشمولة لو سالمت * شرابها ما سميت بعقار

ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت * صرعى تداس بأرجل العصار

لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت * منهم وصاحت فيهم بالثار

ومن المنسوب الى أبي بكر بن زهر قوله في كتاب جالينوس المسمى بحيلة البرء وهو من أجل كتبهم وأكبرها

حيلة البرء صنعت لعليل * يترجى الحياة أو لعليله

فاذا جاءت المنية قالت * حيلة البرء ليس في البرء حيله

ومن شعره رحمه الله تعالى يتشوق ولده صغيرا باشبيلية وهو بمراكش

ولي واحد مثل فرخ القطاة * صغير تخلفت قلبي لديه

وافردت عنه فيا وحشتا * لذاك الشخيص وذاك الوجيه

تشوقني وتشوقته * فيبكي علي وأبكي عليه

وقد تعب الشوق ما بيننا * فمنه الي ومني اليه

وأخبرني الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدي أبو القاسم بن محمد الوزير الغساني الاندلسي الاصل الفاسي المولد والنشأة حكيم حضرة السلطان المنصور بالله الحسني صاحب المغرب رضي الله تعالى عنه ان ابن زهر لما قال هذه الابيات وسمعها أمير المؤمنين

وكانت فيها جبال على ارتفاع من الارض وقرى على قرارها ولم ير الناس بلدا احسن من هذه الارض ولا احسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وأخصب وأ كثرفا كهة ورياحين من الاصناف الغريبة وكان الماء منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون منه جنانهم اذا شاؤوا وكذلك زروعهم وسائره ينصب الى البحر من سائر خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر وبين هذه الارض نحو مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة الى قبرس تسلكها الدواب يبسا ولم يكن فيما بين العريش وجزيرة قبرس الامخاضة وجزيرة قبرس اليوم بينها وبين العريش في البحر سير طويل وكذلك فيما بينها وبين ارض الروم وقد كان بين الاندلس في الموضع الذي يسمى الخضراء وهو قريب من فاس المغرب وطنجة قنطرة مبنية بالحجارة والطوب يعبر عليها الابل والدواب من ساحل المغرب من بلاد الاندلس الى المغرب وماء البحر تحت تلك القنطرة متقطع خلجانات صغار تجري تحت قناطرها

يعقوب المنصور سلطان المغرب والاندلس أواخر المائة السادسة أرسل المهندسين الى اشبيلية وأمرهم أن يحتاطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته ثم يبنوا امثالها بحضرة مراكش ففعلوا ما أمرهم في أقرب مدة وفرشها بمثل فرشه وجعل فيها مثل آلاته ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع فرآه أشبه شئ بمنزله وحارته فاحتار لذلك وظن أنه نائم وأن ذلك احلام فقيل له ادخل البيت الذي يشبه بيتك فدخله فاذا ولده الذي تشوق اليه يلعب في البيت فحصل له من السرور ما لا مزيد عليه ولا يعبر عنه هكذا هكذا والا فلا ومن نظم ابن زهر المذكور حيث شاخ وغلب عليه الشيب

انى نظرت الى المرآة قد جليت * فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا
رأيت فيها شويخا لست أعرفه * وكنت أعهده من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي بالامس كان هنا * متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة * ان الذي أنكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادي يا أخي وقد * صارت سليمى تنادي اليوم يا أبتا

والبيت الاخير ينظر الى قول الاخطل

واذا دعونك عمهن فانه * نسب يزيدك عندهن خبالا
واذا دعونك يا أخي فانه * أدنى وأقرب خلة ووصالا

وقال ابن دحية في حقه ايضا والذي انفرد به شيخنا وانقاد لطباعه وصارت النبهاء فيه من خوله واتباعه الموشحات وهي زبدة الشعر ونخبته وخلاصة جوهره وصفوته وهي من الفنون التي اغرب بها اهل المغرب على اهل المشرق وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق انتهى ومن مشهور موشحات ابن زهر قوله ما للوله من سكره لا يفيق وهذا مطلع موشح يستعمله اهل المغرب الى الآن ويرون انه من احسن الموشحات ومن موشحاته قوله

سلم الامر للقضا * فهو للنفس انفع
واغتنم حين اقبلا * وجهه بدر تهللا * لا تقل بالهموم لا
كل ما فات وانقضى * ليس بالحسن يرجع
واصطبح بابنة الكروم * من يدى شادن رخيم * حين يفتر عن نظيم
فيه برق قد اومضا * ورحيق مشعشع
انا افديه من رشا * اهيف القد والحشا * سقى الحسن فانتشى
مذ تولى وأعرضا * ففؤادي يقطع
من لصب غدا مشوق * ظل في دمعه غريق * حين امواجى العقيق
واستقلوا بذى الغضا * اسى يوم ودعوا
ما ترى حين اظعنا * وسرى الركب موهنا * وا كتسى الليل بالسنا
نوره مذ الذى اضا * ام مع الركب يوشع

من اوقيانوس وهو البحر المحيط الا كبر فلم يزل البحر يزيد ماؤه ويعلوا ارضا فأرضا في طول على ممر السنين يرى زيادته اهل كل زمان ويتبينه اهل كل عصر ويقفون عليه حتى علا الماء الطريق الذى كان بين العريش وبين قبرس وعلا القنطرة التي كانت بين الاندلس وبرطنجة وما وصفت فبين ظاهر عند اهل الاندلس واهل فاس من بلاد المغرب من خبر هذه القنطرة وربما بدا الموضع لاهل المراكب تحت الماء فيقولون هذه القنطرة وكان طولها نحوا اثنى عشر ميلا وعرض واسع وسمو بين فلما مضت لد قلطيانوس من ملكه مائتان واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة تنيس فأغرقه وصار يزيد في كل عام حتى أغرقها باجمعها فما كان من القرى التي في قرارها غرق وأما التي كانت على ارتفاع من الارض فبقيت منها تونه وسيمود وغير ذلك مما هي باقية الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان أهل القرى التي في هذه البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فيعبونهم واحدا فوق واحد وهي الا كوام ورأيت

ورايت مع هذا موشحا آخر لا ادري هل هو لابن زهر ام لا وهو

فتق المسك بكافور الصباح * ووشت بالروض اعراف الرياح
فاسقنيها قبل نور الفلق * وغناء الورق بين الورق * كاحمرار الشمس عند الشفق
نسج المزج عليها حين لاح * فلك اللهو وشمس الاصطباح
وغزال سامني بالملق * وبراجسمي واذكى حرقي * اهيف منسل سيف الحدق
قصرت عنه انابيب الرماح * وثنى الذعر مشاهير الصفاح
سار بالدل فؤادي كلفا * وجفون ساحرات وطفا * كلما قلت جوى الحب انطفا
أمرض القلب بأجفان صحاح * وسبى العقل بجد ومراح
يوسفي الحسن عذب المبتسم * قمري الوجه ليلي اللمم * عنتري الباس علوي الهمم
غصني القد مهضوم الوشاح * ماردي الوصل صابي السماح
قد بالصد فؤادي هيفا * وسبا عقلي لما انعطفا * ليته بالوصل أحيا دنفا
مستطار العقل مقصوص الجناح * ما عليه في هواه من جناح
يا علي أنت نور المقل * جد بوصل منك لي يا أملي * كم أغنيك اذا ما لحت لي
طرقت والليل ممدود الجناح * مرحبا بالشمس من غير صباح

(ومنهم أبو الحجاج الساحلي يوسف بن ابراهيم بن محمد بن قاسم بن علي الفهري الغرناطي) قال في الاحاطة صدر من صدور حملة القرآن على وتيرة الفضلاء والصالحين حج ولقي الاشياخ بعد أن قرأ على الاستاذ أبي جعفر بن الزبير وطبقته ومن نظمه يخاطب الوزير ابن الحكيم وقد أصابته حمى تركت على شفته بثورا

حاشاك أن تمرض حاشاكا * قد اشتكى قلبي لشكواكا
ان كنت محموما ضعيف القوى * فانني أحسد حماكا
ما رضيت حماك اذ باشرت * جسمك حتى قبلت فاكا

قال أبو الحجاج رحمه الله تعالى وكتب الى شيخنا محمد بن محمد بن رشيق في الاستدعاء الذي أجازني فيه ولمن ذكر معي

أجزت لهم أبقاهم الله كل ما * رويت عن الاشياخ في سالف الدهر
وما سمعت أذناي من كل عالم * وما حاد من نظم وما راق من نثر
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم * بريء عن التصحيف عار عن النكر
كتبت لهم خطي واسمي محمد * أبو القاسم المكي ما فيه من نكر
وجدي رشيق شاع في الغرب ذكره * وفي الشرق أيضا فادر ان كنت لا تدري
ولي مولد من بعد عشرين حجة * ثمان على الست المئين ابتدا عمري
وبالله توفيقي عليه توكلي * له الحمد في الحالين في العسر واليسر

ومولد أبي الحجاج المذكور سنة ٦٦٢ وتوفي سنة ٧٠٢ رحمه الله تعالى انتهى باختصار

(وممن ارتحل من الاندلس الى المشرق شاعر الاندلس يحيى بن حكم البكري الجياني) الملقب بالغزال لجماله وهو في المائة الثالثة من بني بكر بن وائل قال ابن حيان في المقتبس

الثلاثة التي تسمى أبو الكوم وكان استحكام غرق هذه الارض بأجمعها وقد مضى لدقلطيانوس الملك مائتان واحدى وخمسون سنة وذلك قبل ان تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان لملك من ملوك الامم كانت داره اليوم مع اركون من اركان البلينا وما اتصل بها من الارض خروق وخنادق وحلقات فحدث من النيل الى الآخر عنع كل واحد من الآخر وكان ذلك داعيا لتشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض وسئل عن ملوك الاحابش على النيل وممالكهم فقال لقيت من ملوكهم ستين ملكا في ممالك مختلفة كل ملك منهم ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حارة يابسة مسودة ويبسها لحرارتها ولاستحكام النارية فيها تغيرت الفضة ذهبا لطبخ الشمس اياها لحرارتها ويبسها ونارينها فتحولت ذهبا وقد طبخ الذهب الذي يؤتى به من المعدن خالصا صافيا بالملح والزجاج والطوب فيخرج منه فضة خالصة بيضاء وليس يدفع هذا الامر الا من لا معرفة له بما وصفنا ولا قارب شيئا مما ذكرنا قيل له فما منتهى النيل في أعاليه قال البحيرة التي لا يدرك طولها وأرضها ردي نحو الارض التي الليل والنهار بها متساويان طول الدهر

كان الغزال حكيم الاندلس وشاعرها وعرافها عمر أربعا وتسعين سنة ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالاندلس أولهم عبد الرحمن بن معاوية وآخرهم الامير محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ومن شعره

أدركت بالمصر ملوكا أربعه * وخامسا هذا الذى نحن معه

وله على أسلوب ابن أبى حكيمة راشد بن اسحق الكاتب

خرجت اليك وثوبها مقلوب * ولقلبها طربا اليك وجيب
وكانها فى الدار حين تعرضت * ظبى تعلل بالفلا مرعوب
وتبسمت فأتتك حين تبسمت * بجمان در لم يشنه ثقوب
ودعتك داعية الصبا فتطربت * نفس الى داعى الضلال طروب
حسبتك فى حال الغرام كعهدها * فى الدار اذ غصن الشباب رطيب
وعرفت ما فى نفسها فضممتها * فتساقطت بهنانة رعبوب
وقبضت ذاك الشئ قبضة شاهن * فنزا الى لعضه حلبوب
بيدى الشمال ولا شمال لطاقة * ليست لاخرى والاديب أريب
فأصاب كفى منه حين لمسته * بلل كماء الورد حين يسيب
وتحللت نفسى للذة رشفه * حتى خشيت على الفؤاد يذوب
فتقاعس الملعون عنه وربما * ناديته خيرا فليس يجيب
وأبى فخفق فى الاباء كأنه * جان يقاد الى الردى مكروب
وتغضنت جنباته فكأنه * كير تقادم عهده مثقوب
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * قبلا وحان من الظلام ذهوب
ساءلتها خجلا أمالك حاجة * عندى فقالت ساخروحروب
قالت حرامك اذ أردت وداعها * قرن وفيه عوارض وشعوب

وذكرها ابن دحية بخالفة لما سردناه قال عتبة التاجر وجهنى الامير الحكم وابنه عبد الرحمن الى المشرق وعبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل المأمون فلقيته بالعراق فسألنى عن هذه القصيدة هل أحفظها للغزال قلت نعم فاستنشدنيها فانشدته اياها فسربها وكتبها قال عتبة ونلت بها حظا عنده والبهنانة المرأة الطيبة النفس والارج كما فى الصحاح وقيل اللينة فى منطقها وعملها وقيل الضحاكة المتهالة والرعوب السبطة البيضاء والسبطة الطويلة وقال سامحه الله تعالى

سألت فى النوم أبى آدما * فقلت والقلب به وامق
ابنك بالله أبو حازم * صلى عليك الملك الخالق
فقال لى ان كان منى ومن * نسلى فحوا أمكم طالق

وقال رضى الله تعالى عنه

أرى أهل اليسار اذا توفوا * بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا الا مباهاة وفخرا * على الفقراء حتى فى القبور

وهى تحت الموضع الذى عن بناء الاهرام فقال انها قبور الملوك كان الملك منهم اذا مات وضع فى حوض حجارة ويسمى بمصر والشام الجرن واطبق عليه ثم يبنى من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان والاقباء ثم يرفعون البناء على هذا المقدار الذى ترونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق فى الارض بعقد أزج فيكون طول الازج تحت الارض مائة ذراع وأكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ما وصفت فقيل له فكيف بنيت هذه الاهرام المملسة وعلى أى شئ كانوا يصعدون ويبنون وعلى أى شئ كانوا يحملون هذه الحجارة العظيمة التى لا يقدر أهل زماننا هذا على أن يحركوا الحجر الواحد الا بجهد ان قدروا فقال كان القوم يبنون الهرم مدرجا ذا مراق كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت حيلتهم وكانوا مع هذا لهم صبر وقوة وطاعة لملوكهم ديانة وقيل له ما بال هذه الكتابة التى على الاهرام والبرابى لا تقرأ فقال دثر الحكماء

فان

فان يكن التفاضل في ذراها * فان العدل فيها في القبور
رضيت بمن تانق في بناء * فبالغ فيه تصريف الدهور
ألما يبصر واماخربته الدهور من المدائن والقصور
لعمر أبيهم لو أبصروهم * لما عرف الغني من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالي * ولا عرفوا الاناث من الذكور
ولا من كان يلبس ثوب صوف * من البدن المباشر للحرير
اذا أكل الثرى هذا وهذا * فما فضل الكبير على الحقير

وقال رضي الله تعالى عنه

لا ومن أعمل المطايا اليه * كل من يرتجي اليه نصيبا
ما أرى ههنا من الناس الا * ثعلبا يطلب الدجاج وذيبا
أو شبيها بالقط ألقى بعينيه الى فارة يريد الوثوبا

وقال رضي الله تعالى عنه

قالت أحبك قلت كاذبة * غري بذا من ليس ينتقد
هذا كلام لست أقبله * الشيخ ليس يحبه أحد
سيان قولك ذا وقولك ان الريح نعقدها فتنعقد
أو أن تقولي النار باردة * أو أن تقولي الماء يتقد

وحكي أبو الخطاب بن دحية في كتاب المطرب ان الغزال ارسل الى بلاد المجوس وقد قارب الخمسين وقد وخطه الشيب ولكنه كان مجتمع الاشد فسالته زوجة الملك يوما عن سنه فقال مداعبا لها عشرون سنة فقالت وما هذا الشيب فقال وما تنكرين من هذا ألم ترى قط مهرا ينتج وهو اشهب فاعجبت بقوله فقال في ذلك واسم الملكة تود

كلفت يا قلبي هوى متعبا * غالبت منه الضيغم الاغلبا
اني تعلقت مجوسية * تابى لشمس الحسن ان تغربا
اقصى بلاد الله في حيث لا * يلفي اليه ذاهب مذهبا
يا تود يا ورد الشباب الذي * تطلع من ازرارها الكوكبا
يا بأبي الشخص الذي لا ارى * احلى على قلبي ولا اعذبا
ان قلت يوما ان عيني رات * مشبهه لم اعد أنا كذبا
قالت ارى فوديه قد نورا * دعابة توجب ان ادعبا
قلت لها ما با له انه * قد ينتج المهر كذا اشهبا
فاستضحكت عجبا بقولي لها * وانما قلت لكي تعجبا

قال ولما فهمها الترجمان شعر الغزال ضحكت وأمرته بالخضاب فغدا عليها وقد اختضب وقال

بكرت تحسن لي سواد خضابي * فكأن ذاك أعادني لشبابي
ما الشيب عندي والخضاب لواصف * الا كشمس جللت بضباب

القبط والروم باحرفها على حسب ماولدوه من الكتابة بين الرومي والقبطي الاول فذهب عنهم كتابة آبائهم فقيل له فمن أول من سكن مصر قال أول من نزل هذه الارض مصر بن بيصر بن حام بن نوح وهم في انساب ولد نوح الثلاثة وأولادهم وتفرقهم في الارض فقيل له أتعرف بمصر مقاطع رخام قال نعم في الجبل الشرقي من الصعيد جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يجلون ماعملوا بالرمل بعد النقر فمنها العمد والقواعد والرؤس التي تسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون بعد حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمد التي بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت في جبل اسوان أخا هذا العمود قد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحك ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم وسئل عن مدينة العقاب فقال هي غربي اهرام بوصير الجيزة وهي على خمسة ايام بليا اليها للراكب المجد

تحنى قليلا ثم يقشعها الصبا * فيصير ماستمرت به لذهاب
لاتنكري وضح المشيب فانما * هو زهرة الافهام والالباب
فلدي ماتهوين من زهو الصبا * وطلاوة الاخلاق والآداب

انتهى

وحكى ابن حيان في المقتبس ان الامير عبد الرحمن بن الحكم المرواني وجه شاعره الغزال الى ملك الروم فاعجبه حديثه وخف على قلبه وطلب منه ان ينادمه فامتنع من ذلك واعتذر بتحريم الخمر وكان يوما جالسا عنده واذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها وهي كالشمس الطالعة حسنا فجعل الغزال لايميل طرفه عنها وجعل الملك يحدثه وهو لاه عن حديثه فانكر ذلك عليه وأمر الترجمان بسؤاله فقال له عرفه أني قد بهرني من حسن هذه الملكة ماقطعني عن حديثه فاني لم أر قط مثلها وأخذ في وصفها والتعجب من جمالها وانها شوقته الى الحور العين فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده وسرت الملكة بقوله وأمرت الترجمان أن يسأله عن السبب الذي دعا المسلمين الى الختان وتجشم المكروه فيه وتغيير خلق الله مع خلوه من الفائدة فقال للترجمان عرفها ان فيه أكبر فائدة وذلك ان الغصن اذا زبر قوي واشتد وغلظ ومادام لايفعل به ذلك لايزال رقيقا ضعيفا فضحكت وفطنت لتعريضه انتهى ومن شعر الغزال قوله

ياراجيا ود الغواني ضلة * وفؤاده كلف بهن موكل
ان النساء لكالسروج حقيقة * فالسرج سرجك ربما لاتنزل
فاذا نزلت فان غيرك نازل * ذاك المكان وفاعل ماتفعل
أو منزل المجتاز أصبح غاديا * عنه وينزل بعده من ينزل
أو كالثمار مباحة أغصانها * تدنو لاول من يمر فياكل
أعط الشبيبة لاأبالك حقها * منها فان نعيمها متحول
واذا سلبت ثيابها لم تنتفع * عند النساء بكل ماتستبدل

وقال

قال لي يحيى وصرنا * بين موج كالجبال
وتولتنا رياح * من دبور وشمال
شقت القلعين وانبتت عرا تلك الحبال
وتمطى ملك المو * ت الينا عن حيال
فرأينا الموت راي العين حالا بعد حال
لم يكن للقوم فينا * يارفيقي رأس مال

ومنها

وسليمى ذات زهد * في زهيد في وصال
كلما قلت صليني * حاسبتني بالخيال
والكرى قد منعته * مقلتي اخرى الليالي
وهي ادرى فلماذا * دافعتني بمحال

لما سميت مدينة العقاب ووصف مدينة أخرى غربي اخميم من أرض الصعيد ذات بنيان عجيب اتخذتها الملوك السالفة وذكر من شان هذه المدينة الاخرى عجائب من الاخبار وزعم ان بينها وبين أخميم من أرض الصعيد مسيرة ستة أيام وسئل عن النوبة وأرضها فقال هم أصحاب ابل وبخت وبقر وغنم وملكهم يستعد الخيل العتاق والاغلب من ركوب عوامهم البراذين ورميهم بالنبل عن قسي عربية وعنهم أخذ الرمي أهل الحجاز واليمن وغيرهم من العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم النخل والكرم والذرة والموز والحنطة وارضهم كانها جزء من أرض اليمن وللنوبة أترج كاكبر مايكون بارض الاسلام وملوكهم تزعم انهم من حمير وملكهم يستولي على مقرا ونوبة وعلوة ووراء علوة أمة عظيمة من السودان تدعى بكنه وهم عراة كالزنج وأرضهم تنبت الذهب وفي مملكة هذه الامة يخترق النيل فينشعب منه خليج عظيم ثم يحصر الخليج من بعد انفصاله من النيل ويخدر الا كثر الى بلاد النوبة وهو لايتغير فاذا

في بعض الازمنة انفصل الاكثر من الماء في ذلك الخليج وابيض الاكثر واخضر الاول فمشى ذلك الخليج أودية وخلجان واعماق مانوسة حتى يخرج الى جلاسق والجنوب وذلك ساحل الريح ومصبه في بحرهم ثم سئل عن الفيوم والمنهى وبحر اللاهون فذكر كلاما طويلا في امر الفيوم وان جارية من بنات الروم وابنها نزلا الفيوم وكانا البدء في عمارتها وعمارة ارضها وانما كان الماء يأتي الفيوم من المنهى أيام جرى النيل ولم يكن بحر اللاهون بني وانما كان مصب الماء من المنهى من الموضع المعروف بدمونة ثم بني اللاهون على ماهو اليوم عليه ويقال ان يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام بناه أيام العزيز ودبر من امر الفيوم ماهو اليوم قائم بين من الخلج المرتفعة المطاطئة وهو خليج فوق خليج وفوق خليج وهي القنطرة المعروفة بسقونه واقام العمود الذي في وسط الفيوم وهو غائص في الارض لا يدرك منتهاه منها وهو احد عجائب الدنيا مربع الشكل تدجهد اناس من الامم ممن ورد بعد يوسف عليه السلام ان ينتهوا الى في الارض حفرا فلم يتأت لهم ذلك وغلبهم الماء بحزرهم ورأس هذا العمود مساو الارض المنهى فان واما جر

اترى انا اقتضينا * بعد شيأ من نوال

وله

من ظن ان الدهر ليس يصيبه * بالحادثات فانه مغرور
فالق الزمان مهونا لخطوبه * وانجر حيث يجرك المقدور
واذا تقلبت الامور ولم تدم * فسواء المحزون والمسرور

ش الغزال اربعا وتسعين سنة وتوفى في حدود الخمسين والمائتين سامحه الله تعالى وكان
ال اقزع في هجاء علي بن نافع المعروف بابن زرياب فذكر ذلك لعبد الرحمن فامر بنفيه
ل العراق وذلك بعد موت ابي نواس بمدة يسيرة فوجدهم يلهجون بذكره ولا يساوون
أحدا بشعره فجلس يوما مع جماعة منهم فازروا باهل الاندلس واستهجنوا أشعارهم
كهم حتى وقعوا في ذكر ابي نواس فقال لهم من يحفظ منكم قوله

ولما رأيت الشرب اكدت سماؤهم * تأبطت زقي واحتبست عنائي
فلما اتيت الحان ناديت ربه * فثاب خفيف الروح نحو ندائي
قليل هجوع العين الا تعلة * على وجل مني ومن نظرائي
فقلت اذقنيها فلما اذاقها * طرحت عليه ريطتي وردائي
وقلت اعرني بذلة استتر بها * بذلت له فيها طلاق نسائي
فوالله ما برت يميني ولا وفت * له غير اني ضامن بوفائي
فابت الى صحبي ولم آل آيبا * فكل يفديني وحق فدائي

وا بالشعر وذهبوا في مدحهم له فلما افرطوا قال لهم خفضوا عليكم فانه لي فانكروا ذلك
دهم قصيدته التي اولها

تداركت في شرب النبيذ خطائي * وفارقت فيه شيمتي وحيائي

م القصيدة بالانشاد خجلوا وافترقوا عنه * (وحكى) ان يحيى الغزال أراد أن يعارض سورة
والله أحد فلما رام ذلك أخذته هيبة وحالة لم يعرفها فاناب الى الله فعاد الى حاله * (وحكى)
اس بن ناصح الثقفي قاضي الجزيرة الخضراء كان يفد على قرطبة ويأخذ عنه أدباؤها
عليهم قصيدته التي أولها

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم * اذا المرء لم يعدم تقى الله والكرم

انتهى القارئ الى قوله

تجاف عن الدنيا فما لمعجز * ولا عاجز الا الذي خط بالقلم

ه الغزال وكان في الحلقة وهو اذ ذاك حدث نظام متأدب ذكي القريحة أيها
وما الذي يصنع مفعل مع فاعل فقال له كيف تقول فقال كنت أقول فليس لعاجز
زم فقال له عباس والله يا بني لقد طلبها عمك فما وجدها وأنشد يوما قوله من قصيدة

بقرت بطون الشعر فاستفرغ الحشى * بكفي حتى آب خاويه من بقري

ه بكر بن عيسى الشاعر أما والله يا أبا العلى لئن كنت بقرت الحشى لقد وسخت يديك
ومللاتها بدمه وخبثت نفسك بنتنه وحشمت أنفك بعرفه فاستحيا عباس

وأخم عن جوابه * (ومنهم الشهير بالمغارب والمشارق المحلى بجواهره صدور المهارق ابو الحسن على بن موسى بن سعيد العنسى) متمم كتاب المغرب فى اخبار المغرب قال فيه وأنا اعتذر فى ايراد ترجمتى هنا بما اعتذر به ابن الامام فى كتاب سمط الجمان وبما اعتذر به الحجارى فى كتاب المسهب وابن القطاع فى الدرة الخطيرة وغيرهم من العلماء فى نظمه عند ما ورد الديار المصرية

أصبحت أعترض الوجوه ولا أرى * ما بينها وجها لمن أدريه
عودى على بدئى ضلالا بينهم * حتى كأنى من بقايا التيه
ويح الغريب توحشت ألحاظه * فى عالم ليسوا له بشبيه
ان عاد لى وطنى اعترفت بحقه * ان التغرب ضاع عمرى فيه

وله من قصيدة يمدح ملك افريقية أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى جعفر

الافق طلق والنسيم رخاء * والروض وشت برده الانداء
والنهر قد مالت عليه غصونه * فكأنها ومقله وطفاء
وبدا نثار الجلنار بصفحه * فكأنها هو حية رقطاء
والشمس قد رقمت طرازا فوقه * فكأنما هى حلة زرقاء
فأدر كؤسك كى يتم لك المنى * واسمع الى ما قالت الورقاء
تدعوك حى على الصبوح فلا تنم * فعلى المنام لدى الصباح عفاء

وله

لم جفانى ورمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت قائل
لا شفى الله لحظه من سقام * وأرانى عذاره وهو سائل

وله من قصيدة كتب بها الى ملك سبتة الموفق أبى العباس أحمد بن ابى الفضل الينشتى شافعا لشخص رغب فى خدمته

بالعدل قمت وبالسماح فدن وجد * لا فارقتك كفاية وعطاء
ما كل من طلب السعادة نالها * وطلاب ما يأبى القضاء شقاء

ومنها

وقد استطار باسطرى نحو الندى * من أنهضته لنحوك العلياء
طلب النباهة فى ذراك فناله * الا لديك تأمل ورجاء
وهو الذى بعد التجارب أحمدت * أحواله وجرى عليه ثناء
لا يقرب الدنس المريب كواصل * هجرته خوفا أن يشان الراء
قد مارس الحرب الزبون زمانه * وجرت عليه شدة ورخاء
وعلاك تقضى أن يسود بأفقها * لا غرو أن يعلى الشهاب بهاء

وقوله من قصيدة

ألف التغرب والتوحش مثل ما * ألف التوحش والنفور ظباء
حبابه ألفوا التجهم والجفا * فهم لكل أخى هدى أعداء

اللاهون فان من سطح الحجر الذى فيما بين الفرش الى ناحية اللاهون واللاهون هى القرية بعينها ففيما من السطح الى القرية ستون ذراعا وربما اقل الماء فى المنهى وظهر بعض الدرج وفى حائط الحجر فوارات بعضها اليوم يخرج منه الماء وبعض لا يرى وفيما بين سطح الحجر الذى ما بين القبتين وبين القرية شاذروان وهو أسفل من الدرج وانما يدخل الماء الفيوم بدوب الحجر وجهات الاسفل وهى القناطر ليخرج الماء منها ولا يعلو الماء الحجر أيام سده فبالتقدير بناء حجر اللاهون وبقدر ما يكفى الفيوم من الماء يدخل اليها وبناء حجر اللاهون من أعجب الامور ومن أحكم البنيان ومن البناء الذى يبقى على وجه الارض لا يتحرك ولا يزول بالهندسة عمل وبالفلسفة اتقن وفى السعود نصب وقد ذكر كثير من أهل بلدنا أن يوسف عليه السلام عمل ذلك بالوحى والله أعلم ولم تزل ملوك الارض اذا غلبت على بلادنا واحتوت على أرضنا صارت الى هذا الموضع فتأملته لما قد نمى اليها من أخباره وسار فى الخليقة من عجائب بنيانه واتقانه وكان هذا الرجل من أقباط مصر ممن يظهر دين النصرانية ورأى اليعقوبية فامر أحمد بن طولون فى

مهما يرم طلب اليه تهربا * بعدت بذاك البدر عنه سماء
لكنني مازلت أخدع حاجبا * ومراقبا حتى ألان حباء
والارض لم تظهر محجب نبتها * حتى حبتها الديمة الوطفاء

يل وهذا معنى لم يسمع من غيره وقوله فى خسوف البدر

شان الخسوف البدر بعد جماله * فكأنه ماء عليه غثاء
أومثل مرآة تخود قد قضت * نظرا بها فعلا الجلاء غشاء

وله من قصيدة عتاب يقول فيها

ولقد كسبت بكم علا لكنها * صارت باقوال الوشاة هباء
فغدوت ما بين العصابة أجربا * كل يحاذرمنى الاعداء
ولقد أرى ان النجوم تقل لى * حجبا وأصغر أن أحل سماء
فليهجروا هجر القطيع لدره * ويساعدوا الزمن الخؤن جفاء
فلقد شكوت لهم اطالة ودهم * اذ لم أكن أرضى بهم خدماء
ايه فذكرهم أقل واغا * أومى اليك فتفهم الايماء
لولم يكن قيد لما فتكت ظبا * أنت الذى صيرتهم أعداء
ولواننى أرجو ارتجاعك لم أطل * شكوى ولم أستبعد الاغضاء
لكن رايتك لاتميل سجية * نحوى ولا تتكلف الاصغاء
ان لم يكن عطف فنوا بالنوى * ان الكريم اذا اهين تناءى

وقوله

ولكم سرينا فى متون ضوامر * تثنى أعنتها من الخيلاء
من ادهم كالليل جل بالضحى * فتشق غرته عن ابن ذكاء
اواشهب يحكى غدائر اشيب * خلعت عليه الشهب فضل رداء
اواشقر قد غقته بشعلة * كالمزج ثار بصفحة الصهباء
اواصفر قد زينته غرة * حتى بدا كالشمعة الصفراء
طارت ولكن لايهاض جناحها * هبت ولكن لم تكن برخاء

وقوله من ابيات فى اقتضاض بكر

ونخ بدة ماان رأيت مثالها * حيت من الالحاظ بالايماء
فسالتها سمع الشكاة فأفهمت * ان الرقيب جهينة الانباء
وتبعتها وسالت منها قبلة * فى خلوة من اعين الرقباء
فثنت على قوامها بتعانق * أحيا فؤادا مات بالبرحاء
ووجدتها لما ملكت عنانها * عذراء مثل الدرة العذراء
جاءت الى كوردة محمرة * فتركتها كمرارة صفراء
وسلبتها ما احمر منها صفوه * يجرى مذابا مجمع الرجاء

وقوله من أبيات

أحبابنا عودوا علينا عودة * مامنكم بعد التفرق مرغب

ض الايام وقد أحضر مجلسه بعض أهل النظر أن يساله عن الدليل على صحة
دين النصرانية فساله عن
ذلك فقال دليلى على صحتها
وجودى اياها متناقضة
متنافية تدفعها العقول
وتنفر منها النفوس
لتباينها وتضادها لانظر
يقويها ولا برهان يعضدها
من العقل والحس عند
التامل لها والفحص عنها
ورأيت مع ذلك أمما كثيرة
وملوكا عظيمة ذوى
معرفة وحس قد انقادوا
اليها وتدينوا بها فعلمت
انهم لم يقبلوها ولم يتدينوا
بها مع ماذكرت من
تناقضها فى العقل الا لدلائل
شاهدوها وآيات علموها
ومعجزات عرفوها أوجبت
انقيادهم اليها والتدين بها
قال له السائل وما التضاد
الذى فيها قال وهل يدرك
أو يعلم غايته منها قولهم
بان الواحد ثلاثة والثلاثة
واحد ووصفهم الاقانيم
والجوهر ...
وهل الاقا...
قادرة عالمة أم لا وفى اتحاد
ربهم القديم بالانسان
المحدث وماجرى فى ولادته
وقتله وصلبه وهل فى
التشنيع أكبر وأفحش
من اله صلب وبصق فى
وجهه ووضع على رأسه
الاكليل من الشوك
وضرب رأسه بالقضيب
وسمرت يداه ونخس بالاسنة والخشب جنباه وطلب الماء فسقى الخل فى بطيخ الحنظل فامسكوا عن مناظرته وانقطعوا

المجلس أيأذن لي الامير في مخاطبته قال شانك فقبل على القبطي مسائلا له فقال له القبطي وما أنت أيها الرجل وما حاجتك قال له يهودي فقال له مجوسا اذا قال له كيف ذلك وهو يهودي قال لانهم يرون نكاح البنات في بعض الحالات اذ كان في دينهم ان الاخ يتزوج بنت أخيه وعليهم ان يتزوجوا نساء اخوتهم اذا ماتوا فاذا وافق اليهودي أن تكون امرأة أخيه ابنته لم يجد بدا من ان يتزوجها وهذا من اسرارهم وما يكتمونه ولا يظهرونه فهل في المجوسية اشنع من هذا فانكر اليهودي ذلك وجحد ان يكون في دينه او يعرفه احد من اليهود فاستخبر ابن طولون صحة ذلك فوجد ... اليهودي قد تزوج ... ثم ... ابن طولون فقال أيها الامير هؤلاء يزعمون وأشار الى اليهودي أن الله خلق آدم على صورته وعن نبي من انبيائهم سماه قال في كتابه انه رآه في قديم الزمان أبيض الرأس واللحية وأن الله تعالى قال اني أنا النار المحرقة والحمى الآخذة وأنا الذي آخذ الابناء بذنوب الآباء ثم في توراتهم ان بنات لوط سقينه الخمر حتى

كذا أداريكم بنفسي جاهدا * وكلما أرضيكم كي تغضبوا
وأزيد بعدا اما اقتربت اليكم * كالسهم أبعد ما يرى اذ يقرب
وأجوب نحوكم المنازل جاهدا * ومع اجتهادي فاتني ما أطلب
كالبدر أقطع منزلا في منزل * فاذا انتهيت الى ذراكم أغرب

وقوله من أبيات

سالتك يا من يستلان فيصعب * ومن يترضى الحياة فيغضب
أما خدك البدر المنير فلم غدت * تحل به ضد القضية عقرب

وقوله وقد داعبه أحد الفقهاء وسرق سكينه من حرز

أيا سارقا ملكا مصونا ولم يجب * على يده قطع وفيه نصاب
ستندبه الاقلام عند عثارها * ويبكيه ان يعد الصواب كتاب

وقوله في تفاحة عنبر أهديت للملك الصالح نجم الدين أيوب

أنا لون الشباب والخال أهديت لمن قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بني أيوب لا زال في المعالي شهابا
جئت ملأى من الثناء عليه * من شكور احسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن * قد كفاني أريج عرفي خطابا

وقوله من قصيدة

فالحمد لله على ساعة * قد قربتني من علا الصاحب
وليعذر المولى على انني * قد كنت من علياه في جانب
كنت بنافلة أولا * ثم أتى من بعد بالواجب

وقوله من أبيات

فان كنت في أرض التغرب غاربا * فسوف تراني طالعا فوق غارب
وصمصام عمرو حين فارق كفه * رموه ولا ذنب لحد المضارب
وما عزة الضرغام الا عرينه * ومن مكة سادت لؤي بن غالب

وقوله في فرس أصفر أغر أحل الحلية

وأجرد تبرى أثرت به الثرى * وللفجر في خصر الظلام وشاح
له لون ذي عشق وحسن معشق * لذلك فيه ذلة ومراح
عجبت له وهو الاصيل بعرفه * ظلام وبين الناظرين صباح
يقيد طير اللحظ والوحش عندما * يطير به نحو النجاح جناح

وقوله من أبيات

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظرا * وأكره في الابصار من ظلمة اللحد
تصيح بنوح ثم تعثر ماشيا * وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى تحت صح البين وانقطع الرجا * كانك من وشك الفراق على وعد

وقوله

وقوله فى غلام جميل الصورة أهدى تفاحة

ناب ما أهديت عن عر ❊ ف وعن ريق وخد
حبذا تفاحة قد ❊ أشبهت أوصاف مهدى
بت منها فى سرور ❊ فكأن قد بت عندى

وقوله من بدة

هذا الذى يهب الدنيا بأجمعها ❊ وبعد ذلك يلقى وهو يعتذر
ان هزه المدح فالاموال فى بدر ❊ والغصن ماهزالا بدد الثمر
فعلت لما بدا الى حسن منظره ❊ لكنه زاد اشراقا هو القمر
متمع لحاظك فى وجه بلا ضرر ❊ ان كان شمسا تراها انجمها مطر

وقوله من أبيات

لى جيرة ضنوا على وجاروا ❊ فندت فى الاوطان والاوطار
ومن العجائب انى مع جورهم ❊ ماقرلى بعد الفراق قرار

وقوله

أنا شاعر أهوى التخلى دون ما ❊ زوج لكيما تخلص الافكار
لو كنت ذا زوج لكنت منغصا ❊ فى كل حين رزقها أمتار
دعنى أروح طول التغرب خاطرى ❊ حتى أعود ويستقر قرار
كم قائل قد ضاع شرخ شبابه ❊ ماضيعته بطالة وعقار
اذلم أزل فى العلم أجهد دائما ❊ حتى تأتت هذه الابكار
مهما أرم من دون زوج لم أكن ❊ كلا وورقى دائما مدرار
وادا حوجت افرجة هنيتها ❊ لاصنعة ضاعت ولاتذكار

وقوله من قصيدة

ما كنت أحسب أن أضيع وأنت فى الدنيا وأن أمسى غريبا معسرا
أنا مثل سهم سوف يرجع بعدما ❊ أقصاه راميه المجيد ليخبرا

وقوله سامحه الله تعالى

وافى على انا بسيف ❊ والبين نذحان والوداع
فقال شبه فقلت شمس ❊ قدمد من نورها شعاع

وقوله من قصيدة فى ملك اشبيلية الباجى وقد هزم ابن هود

لله فرسان غدت راياتهم ❊ مثل الطيور على عداك تحلق
السمر تقطماتسطر بيضهم ❊ والنقع يترب والدماء تخلق

وقال ارتجالا بحضرة زكى الدين بن أبى الاصبع وجمال الدين بن أبى الحسين الجزار المصرى الشاعر ونجم الدين بن اسرائيل الدمشقى بظاهر القاهرة وقد مشى أحدهم على بسيط نرجس

ياواطئ النرجس ماتستحى ❊ أن تطأ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن أبى الاصبع مجيزا

هرون صنع العجل الذى عبده بنو اسرائيل وأن موسى أظهر معجزات لفرعون وفعلت السحرة مثلها ثم قالوا فى ذبائح الحيوان والتقرب الى الله بدمائها ولحومها وتحكمهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان وهو قولهم ان شريعتهم لا تنسخ ولا يقبل قول أحد من الانبياء بعد موسى اذا انحرف عما جاء به موسى ولا فرق فى قضية العقل بين موسى وغيره من الانبياء اذا أتى ببرهان وبان بحجة ثم الاكبر من كفرهم قولهم فى يوم عيد الكفور وهو يوم الاستغفار وذلك لعشر تخلو من تشرين الاول ان الرب الصغير وسمونه ميططرون يقوم فى هذا اليوم قائما وينتف شعور رأسه ويقول ويلى اذخربت بيتى وأيتمت بنتى فامتى منكسة لا أرفعها حتى آتى بنتى وذكر عن اليهود أقاصيص وتخاليط كثيرة ومناقضات واسعة ولهذا القبطى مجالس كثيرة عن أحمد ابن طولون مع جماعة من الفلاسفة والديصانية والثنوية والصابئة والمجوس

 وعدة من متكلمى الاسلام وقد أتينا على ما احتمل منها ايراده فى كتابنا فى أخبار الزمان

وذكرنا جميع ذلك في كتابنا المقالات في أصول الديانات وكان هذا القبطي على ما نمي الينا من خبره وصح

فقلت دعني لم أزل محرجا * على لحاظ الرشا الاكحل

وكان أمثل ما حضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

وقوله في الجزيرة الصالحية بمصر وهي الشهيرة الآن بالروضة

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت * مناظرها مثل النجوم تلالا

وللقلعة الغراء كالبدر طالعا * تفجر صدر الماء عنه هلالا

ووافى اليها النيل من بعد غاية * كزائر مشعوف يروم وصالا

وعانقها من فرط شوق لحسنها * فمد يمينا نحوها وشمالا

جرى قادما بالسعد فاختط حولها * من السعد أعلاما بذلك دالا

وقوله من أبيات في ملك أفريقية وقد جهز ولده الامير أبا يحيى بعسكر

وقد أرسلته نحو الاعادي * كما جردت من غمد حساما

وقوله في قوس

أنا مثل الهلال في ظلم النقع سهامي تنقض مثل النجوم

تقصر القضب والقنا عن مجالي * عند رجمي بها لكل رجيم

قد كستها الطيور لما رأتها * كافلات لها برزق عميم

وقوله من أبيات

وأشقر مثل البرق لونا وسرعة * قصدت عليه عارض الجود فانهمى

(ولنذكر ترجمته من الاحاطة مختصرة) فنقول قال لسان الدين علي بن موسى بن عبد الملك ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ابن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي المدلجي من أهل قلعة يحصب غرناطي قلعي سكن تونس أبو الحسن بن سعيد وهذا الرجل وسطى عقد بيته وعلم أهله ودرة قومه المصنف الاديب الرحالة الطرفة الاخباري العجيب الشان في التجول في الاقطار ومداخلة الاعيان والتمتع بالخزائن العلمية وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية أخذ من اعلام اشبيلية كأبي علي الشلوبين وأبي الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم وتواليفه كثيرة منها المرقصات والمطربات والمقتطف من أزاهر الطرف والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد تاريخ بيته وبلده والموضوعان الغريبان المتعدد الاسفار وهما المغرب في حلى المغرب والمشرق في حلى المشرق وغير ذلك مما لم يتصل الينا فلقد حدثني الوزير أبو بكر بن الحكيم انه تخلف كتابا يسمى المرزمة يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الادبية والاخبارية الا الله تعالى وتعاطى نظم الشعر في حد من الشبيبة يجب نسبه من مثله فيذكر انه خرج مع أبيه الى اشبيلية وفي صحبته سهل بن مالك فجعل سهل ابن مالك يباحثه عن نظمه الى أن أنشده في سفة نهر والنسيم يردده والغصون تميل عليه

كأنما النهر صفحة كتبت * أسطرها والنسيم ينشئها

لما أبانت عن حسن منظرها * مالت عليها الغصون تقرؤها

عندنا من قوله يذهب الى فساد النظر والقول بتكافؤ المذاهب وأقام عند ابن طولون نحو سنة فأجازه وأعطاه فأبى قبول شيء من ذلك ترده الى بلده ملزما وأقام بعد ذلك مدة من الزمان ثم هلك وله مصنفات تدل من كلامه على ما ذكرنا عنه والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودي) وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من أنواع الحيوان مما في البر والبحر من ذلك السمك المعروف بالرعاد وهو نحو الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد رعدت يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها عن شبكته ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وأنها ان جعلت على رأس من به صداع شديد أو شقيقة وهي في الحياة هدأ من ساعته والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم أهل مصر ان النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب وفي ظهوره من الماء ضرر بأرباب الارض والغلات لرعيه الزرع وذلك انه يظهر من

فطرب

قطرب وأثنى عليه ثم ناب عن أبيه في أعمال الجزيرة ومازج الادباء ودون كثيرا من نظمه
ودخل القاهرة فصنع له أدباؤها صنيعا في ظاهرها وانتهت بهم الفرجة الى صنو نرجس
وكان فيهم أبو الحسن الجزار فجعل يدوس النرجس برجله فقال أبو الحسن

يا واطئ النرجس ما تستحي * أن تطأ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن أبي الاصبع

فقال دعني لم أزل محنقا * على لحاظ الرشا الاكحل

وكان أمثل ما حضرهم ثم أبوا أن يجيزه غيره فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

ثم استدعاه سيف الدين بن سابق الى مجلس بضفة النيل مبسوط بالورد وقد قامت حوله
شمامات نرجس فقال في ذلك

من فضل النرجس فهو الذي * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام في خدمته النرجس

ووافق ذلك مماليك الترك وتوفاني الخدمة على عادة المشارقة فطرب الحاضرون ولقي بمصر
أيدمر التركي والبهاء زهيرا وجمال الدين بن مطروح وابن يغمور وغيرهم ورحل صحبة كمال
الدين بن القيم الى حلب فدخل على الناصر صاحب حلب فأنشده قصيدة أولها

جد لي بما ألقى الخيال من الكرى * لابد للضيف الملم من القرى

فقال كمال الدين هذا رجل عارف ورى بمقصوده من أول كلمة وهي قصيدة طويلة فاستحلبه
السلطان وسأله عن بلاده ومقصوده برحلته وأخبره أنه جمع كتابا في الحلى البلادية والحلى
العادية المختصة بالمشرق وأخبره أنه سماه المشرق في حلى المشرق وجمع مثله فسماه
المغرب في حلى المغرب فقال نعينك بما عندنا من الخزائن ونوصلك الى ما ليس عندنا
بخزائن الموصل وبغداد وتصنف لنا نخدم على عادتهم وقال أمر مولاي بذلك انعام وتأنيس
ثم قال له السلطان مداعبا ان شعراءنا ملقبون باسماء الطيور وقد اخترت لك لقبا يليق بحسن
صوتك وايرادك للشعر فان كنت ترضى به والا لم نعلم به أحدا غيرنا وهو البلبل فقال قد
رضي المملوك ياخوند فتبسم السلطان وقال له أيضا ابداعيه اختر واحدة من ثلاث اما
الضيافة التي ذكرتها أول شعرك واما جائزة القصيدة واما حق الاسم فقال ياخوند المملوك
مما لا يختنق بعشر لقم لانه مغربي أكول فكيف بثلاث فطرب السلطان وقال هذا مغربي
ظريف ثم أتبعه من الدنانير والخلع والتواقيع بالارزاق مالا يوصف ولقي بحضرته عون الدين
العجمي وهو بحر لا ينزفه الدلاء والشهاب التلعفري والتاج بن شقير وابن نجيم الموصلي
والشرف بن سليمان الاربلي وطائفة من بني الصاحب ثم تحول الى دمشق ودخل الموصل
وبغداد ودخل مجلس السلطان المعظم بدمشق وحضر مجلس خلوته وكان ارتحاله
الى بغداد في عقب سنة ثمان وأربعين وستمائة في رحلته الاولى اليها ثم رحل الى البصرة
ودخل أرجان وحج ثم عاد الى المغرب وقد صنف في رحلته مجموعا سماه بالنفحة المسكية
في الرحلة المكية وكان نزوله بساحل مدينة أقليبية من أفريقية في احدى جمادى سنة

الماء في الليل فينتهي الى موضع من المزرع ثم يولي عائدا الى الماء فيرعى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه
مسيره ولا يرعى من ذلك
شيأ في مسيره كأنه يحدد
مقدار ما يرعاه فيها اذا رعت
ووردت الى النيل فشربت
ثم تقذف ما في أجوافها في
مواضع شتى فينبت ذلك
مرة ثانية فاذا كثر ذلك من
فعله واتصل ضرره بأرباب
الضياع طرح له الترمس
في الموضع الذي يعرف
خروجه منه مكاكي كثيرة
مبددا مبسوطا فيأكله ثم
يعود الى الماء فيربو في
جوفه ويزداد في انتفاخه
فيشق جوفه فيموت
ويطفو على الماء ويقذف
به الى الساحل والموضع
الذي يكون فيه لا يكاد
يرى فيه تمساح وهو على
صورة الفرس الا ان
حوافره والذنب بخلاف
ذلك والجبهة أوسع (قال
المسعودي) وقد ذكر
جماعة من الشرعيين ان
بيصر بن حام بن نوح لما
انفصل عن ارض بابل بولده
وكثير من أهل بيته
غرب نحو مصر وكان له
أولاد أربعة مصر بن بيصر
وقوف بن بيصر وساح وباح
فنزل بموضع يقال له منف
وبذلك يسمى الى وقتنا
هذا وكان عددهم ثلاثين
فسميت بهم كما سميت
مدينة ثمانين من ارض الجزيرة وبلاد الموصل من بلاد بني حمدان وانما نسبت الى عدد ما كنيها ممن كان مع نوح في السفينة

اثنتين وخمسين وستمائة واتصل بخدمة الامير أبي عبد الله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوته حدثني شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ان المستنصر جفاه في آخر عمره وقد أسن لجراءة خدمة مالية أسندها اليه وقد كان بلاه منه قبل جفوة أعقبها انتشال وعناية فكتب اليه بنظم من جملته لاترعني بالجفا ثانية فرق له وعاد الى حسن النظر اليه الى ان توفي تحت بر وعناية مولده بغرناطة ليلة الفطر سنة عشر وستمائة ووفاته بتونس في حدود خمسة وثمانين وستمائة انتهى باختصار * وذكرت حكاية اجازة بيته في النرجس وان تقدمت لاتصال الكلام قلت قد كنت وقفت على بعض ديوان شعره المتعدد الاسفار ونقلت منه قوله من قصيدة يهني ابن عمه الرئيس أبا عبد الله بن الحسين بقدومه من حركة هوارة

أما واجب أن لايحول وجيب * وقد بعدت دار وحان حبيب
وليس أليف غير ذكر وحسرة * ودمع على من لايرق صبيب
وخفق فؤاد ان هفا البرق خافقا * وشوق كما شاء الهوى ونحيب
ويعذلني من ليس يعرف ماالهوى * وعذل مشوق في البكاء عجيب
الاتعس اللوام في الحب قد عموا * وصموا ودائي ليس منه طبيب
يرومون أن يثني الملام صبابتي * ولست الى داعي الملام أجيب
وفائي اذا ماغبت عنكم مجدد * وغيري ذو غدر أوان يغيب
ولولم يكن مني الوفاء سجية * لكنت لغير ابن الحسين أنيب
سموأل هذا العصر حاتم جوده * مهلبه ان مارسته حروب
فتى سير الامداح شرقا ومغربا * أبو دلف من دونه وخصيب
اذا رقم القرطاس قلت ابن مقلة * وان نظم الاشعار قلت حبيب
وان نثر الاسجاع قلت سميه * وان سرد التاريخ قلت غريب
وما أحرز الصولي آدابه التي * اذا ماتلاها لم يجبه أديب

ومنها

وأما اذا ماالحرب أخمد نارها * ففيه تلظى مارج ولهيب
فكم قارع الابطال في كل وجهة * نحاها وكم لفت عليه حروب
وكائن له بالغرب من موقف له * حديث اذا يتلى تطير قلوب
بمراكش سل عنه تعلم غناءه * وقد ساءهم يوم هناك عصيب
اذا ماانثنى الرمح الطويل كانه * مدير لغصن الخيزران لعوب
وان جره أبصرت نجما مجررا * ذؤابته منه الكماة تذوب
يهيم به مالن يزال معانقا * له راكعات ماتحوز كعوب
محمد لاتبعد الذي أنت قادر * عليه وخف عينا علاك تصيب
نفوس هام العين أودى بمصعب * وطاح به بعد الشبوب شبيب
ألا فهنيأ أن رجعت لتونس * فاطلعت شمسا والشفار غروب

وكان بيصر بن حام قد كبر سنه فاوصى الى الاكبر من ولده وهو مصر واجتمع الناس اليه وانضافوا الى جملتهم وأخصبت البلاد فملك عليهم مصر بن بيصر وملك من حد رفح من أرض فلسطين من بلاد الشام وقيل من العريش وقيل من الموضع المعروف بالشجرة وهو آخر أرض مصر والفرق بينها وبين الشام وهو الموضع المشهور بين العريش ورفح الى بلاد اسوان من أرض الصعيد طولا ومن ايلة وهي تخوم الحجاز الى برقة عرضا وكان لمصر أولاد أربعة وهم قبط واشمون واتريب وصا فقسم مصر الارض بين أولاده الاربعة أرباعا وعهد الى الاكبر من ولده وهو قبط وأقباط مصر يضافون في النسب الى أبيهم قبط ابن مصر وأضيفت المواضع الى ساكنيها وعرفت باسمائهم فمنها أشمون وقبط وصا وأتريب وهذه أسماء هذه المواضع الى هذه الغاية واختلطت الانساب وكثر ولد قبط وهم الاقباط فغلبوا على سائر الارض ودخل غيرهم في انسابهم لما ذكرنا من الكثرة فقيل لكل قبط مصر وكل فريق منهم يعرف نسبه واتصاله بمصر بن بيصر بن حام بن نوح الى هذه الغاية ولما هلك قبط بن مصر ملك بعده أشمون بن مصر

كواكبها

كوا كبها تبدو اذا ما تركتها * وقد جعلت مهما حضرت تغيب
اذا سدت في أرض فغيرك تابع * علاك ومهما ساد فهو مريب

ومنها

كفاني أني استظل بظلكم * ومن هاب ذاك المجد فهو مهيب
فاصلك أصلي والفروع تباينت * بعيد على من رامه وقريب
وحسبي فخرا أن أقول محمد * نسيب على جل عنه نصيب
تركت جميع الاقربين لقصده * على حين حانت فتنة وخطوب
رأيت به جنات عدن فلم أبل * اذا وصلتنا للخلود شعوب
فقبلت كفا لا أعاب بلثمها * وأيدي الايادي لثمهن وجوب
وكيف وليس الرأس كالرجل فرقت * شيات لعمري بيننا وضروب
ولو كان قدري مثل قدرك في العلا * لحق بان يعلو الشباب مشيب
ولولا الذي أسمعت من مكر حاسد * أتاك بقول وهو فيه كذوب
لما كنت محتاطا لقولي آنفا * تخليت من ذنب وجئت أتوب
اذا كنت ذا طوع وشكر وغبطة * فمن أين لي يا ابن الكرام ذنوب
لقد كنت معتادا بشرفا الذي * تقلدته حتى يزال قطوب
أأن رفع السلطان سعيي بقربكم * أأخلى عن وردكم وأخيب
فاحسب ذنبي ذنب صخر بدارها * الى البر عند الخابر بن معيب
وحاشاك من جور على وانما * أخاطب من أصغوله فيشوب
صحاب هم الداء الدفين فليتني * ولم أدن منهم للذئاب صحوب
كلامهم شهد ولكن فعلهم * كسم له بين الضلوع دبيب
سأرحل عنهم والتجارب لم تدع * بقلبي لهم شيأ عليه أثيب
اذا اغترب الانسان عمن يسوءه * فما هو في الابعاد عنه غريب
فدارك برأب منك ما قد خرقته * ليحسن مني مشهد ومغيب
ولا تستمع قول الوشاة فانما * عدوهم بين الانام نجيب
فياليت أني لم أكن متأدبا * ولم يك لي أصل هناك رسوب
وكنت كبعض الجاهلين محببا * فما أنا الا هم المسلم حبيب
ومالي ضربت الدهر زيدا بعمره * ولم يك لي بين الكرام ضريب
أأشكوك أم أشكو اليك فما عدت * عداتي حتى حان منك نوب
سأشكر ما أوليت وأصبر للذي * توالى على أن العزاء سليب
فدم في سرور ما بقيت فانني * وحقك من ذنب الوشاة كئيب

قال وكان سبب التغير بيني وبين ابن عمي الرئيس المذكور أن ملك أفريقية استوزر لاشغال الموحدين ابا العلى ادريس بن على بن أبي العلى بن جامع فاشتمل على وأولاني من البر ما قيد في وأمال قلبي اليه مع تأكيد ما بينه وبين ابن عمي من الصحبة فلم يزل ينهض بي ويرفع أمداحي للملك

ملك بعده) كالي بن حرايا وأقام في الملك نحوا من مائة سنة (ثم ملك بعده) أخ له يقال له باليا بن حرايا (ثم ملك بعده) لوطيس ابن باليا نحوا من سبعين سنة (ثم ملكت بعده) ابنة له يقال لها حوريا بنت لوطيس نحوا من ثلاثين سنة (ثم ملكت بعدها) امرأة أخرى يقال لها أموم وكثر ولد بيصر ابن حام بارض مصر فتشعبوا وملكوا النساء فطمعت فيهم ملوك الارض فسار اليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد بن دومع فكانت له حروب بها وغلب على الملك فانقادوا اليه واستقام له الامر الى أن هلك (ثم ملك بعده) الريان ابن الوليد العملاقي وهو فرعون يوسف وقد ذكر الله تعالى خبره مع يوسف وما كان من أمرهما في كتابه العزيز وقد أتينا على شرح ذلك في كتابنا الاوسط (ثم ملك بعده) دارم بن الريان العملاقي (ثم ملك بعده) كامس بن معدان العملاقي (ثم ملك بعده) الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى وقد تنوزع فيه فمن الناس من رأى انه من العماليق ومنهم من رأى انه من لخم من بلاد الشام ومنهم من رأى انه من الاقباط من ولد مصر

ويوصل اليه رسائلى منبها على ذلك مرشدا الى أن قبض الملك على كاتب عسكره وكان يقرأ بين يديه كتب المظالم فاحتيج الى من يخلفه فى ذلك فنبه الوزير على وارتهن فى مع انى كنت من كتاب الملك فقلدنى قراءة المظالم المذكورة وسفر الى الوزير عنده فى دار الكاتب المؤخر فانعم بها فوجد الوشاة مكانا متسعا للقول فقالوا وزوروا من الاقاويل المختلقة ما مال بها حيث مالوا وظهر منه مخايل التغيير فجعلت اداريه واستعطفه فلم ينفع فيه قليل ولا كثير الى أن سعى فى تاخير والدى عن الكتب للامير الاسعد أبى يحيى بن ملك افريقية ثم سعى فى تاخيرى فاخرت عن الكتابة وعن قراءة المظالم فانفردت بالكتابة للوزير المذكور وفوض الى جميع اموره وأولانى من التانيس ما أنسانى تلك الوحشة ومن العز ما أنقذنى من تلك الذلة

فردعلى العيش بعد ذهابه * وآنسنى بعد انفرادى من الاهل

وقالوا اذا ما الوبل فاتك فاقتنع * بما قد تسنى عندك الآن من طل

ووالله ما نعماه طل وانما * تادية غيث يجود على الكل

رآنى ظمآ فى الهجيرة ضاحيا * فرق وآوانى الى الماء والظل

ولم أزل عنده فى أسر حال ما لها تكدر الا ما يبلغنى من أن ابن عمى لا يزال يسعى فى حقى بما اخشى مغبته وخفت أن يطول ذلك فيسمع منه ولا ينفع دفاع الوزير المذكور عنى فرغبت له فى أن يرفع للملك أنى راغب فى السراح الى المشرق برسم الحج

ومن بله الغيث فى بطن واد * وبات ملايا من السيولا

فلم يسعفنى فى ذلك ولامنى على تخوفى وقلة ثقتى بحمايته فرفعت له هذه القصيدة

هل الهجر الا أن يطول التجنب * و يبعد من قد كان منه التقرب

وتقطع رسل بيننا ورسائل * و يمنع لقيانا نوى وتحجب

ولو أننى أدرى لنفسى زلة * جعلت لكم عذرا ولم الك أعتب

ولكنكم لما ملكتم هجرتم * وذنبتم فى الحب من ليس يذنب

الى الله اشكو غدركم وملالكم * وقلبا له ذاك التعذب يعذب

فلو أنه يجزيكم بفعالكم * لكان له عنكم مراد ومطلب

ولكن أبى أن لا يحن لغيركم * وأن لا يرى عنكم مدى الدهر مذهب

فهلا رعيتم أنه فى ذراكم * غريب وليس الموت الا التغرب

لرمتك لما أن رأيتك كاملا * جمالا واجمالا وذلك يجتب

وانى لاخشى أن يطول اشتكاؤه * لمن ان اتى مكرا فليس يثرب

فلم أسع الا الارتياح وراحة * وغيرى وقد آواه غيرك يتعب

فانت الذى آويتنى ورحمتنى * وذو الرحم الدنيا النارى يحطب

فما مر يوم لا تريد مصيبة * عليك وبالتدبير منك تحجب

وهبه تبوأ بالايحيل أما ترى * بحر حبال فى الحجارة يرسب

وهبه لسد أفكم أنت حاضر * أحاذر خرقا منه أن يتسببوا

طلب بنى اسرائيل حين اخرجهم موسى بن عمران وجعل الله لهم طريقا فى البحر يبسا واما غرق فرعون ومن كان معه من الجنود وخشى من بقى بارض مصر من الذرارى والنساء والعبيد أن يغزوهم ملوك الشام والمغرب فملكوا عليهم امرأة ذات رأى وحزم يقال لها دلوكة فبنت على بلاده سورا ثطا يحيط بجميع البلاد وجعلت عليه المحارس والاجراس وارجال متصلة أصواتهم بتقرب بعضهم من بعض واثر هذا الحائط باق الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يعرف بحائط العجوز وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادى فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل فى ذلك من الوجوه غير ما ذكرنا فملكتهم ثلاثين سنة واتخذت بمصر البرابى والصور وأحكمت آلات السحر وجعلت فى البرابى صور من يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت أم خيلا وصورت ما يرد فى البحر من المراكب من بحر المغرب والشام وجمعت فى هذه البرابى وما

ذلك فى أوقات حركات فلكيه واتصالها بالمؤثرات العلويه وكانوا اذا وردا اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن عورت تلك الصور التى فى البرابى من الابل وغيرها من تعور ما فى ذلك الجيش ويقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل فى تلك الصورة التى من تلك الجهة التى أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث فى ذلك الجيش من الآفات فى ناسه وحيوانه ما صنع فى تلك الصور التى من تلك الجهة وكذلك ما ورد من جيوش الغرب وما ورد فى البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهابتهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها الروم اقطار هذه المملكة وأحكامها السياسية وقد تكلم الناس فيما سلف وخلف فى هذه الخواص واسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز عند المصريين مستفيض لا يشكون فيه والبرابى بمصر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها أنواع الصور مما اذا صورت فى بعض الاشياء احدثت افعالا على حسب ما رسمت له

وما ان أرى الا الفرار مخلصا * وما راغب فى الضيم من عنه يرغب
فأنهى الى الامر العلى شكيتى * وأن خطوب الدهر نحوى تخطب
ولا تطمعونى فى الذى لست نائلا * فلا أنا مرقوب ولا أنا أشعب
الا فلتمنوا بالسراح فانه * لراحة من يشقى لديكم وينصب
سلوا الكاس عنى اذ تدار فانى * لاتركها هما ودمعى أشرب
ولا أسمع الالحان حين تهزنى * ولو كان نوحا كنت أصبى وأطرب
فديتكم كذا اهون بارضكم * أهذا جزاء للذى يتغرب
أبخل على أن ماسواك يصح لى * فهل لى عما كدر العيش مهرب
تقلص عنى كل ظل ولم أجد * كما كنت ألفى من أود وأصحب
أدوطمع فى العيش يبقى وحوله * مدى الدهر أفعى لا تزال وعقرب
أجزنى أنجز بالفرار فانه * وحقك من نعماك عندى يحسب
فلازلت ياخير الكرام مهنأ * فعيشى منه الموت أشهى وأطيب
وصانك من قد صنت فى حقه دمى * وغيرك من ثوب المروءة يسلب

ولم يزل الوزير لا أزال الله عنه رضاه يحمى جانبى الى أن اصابتنى فيه العين فاصابه الحين

وطيب نفسى أنه مات عندما * تناهى ولم يشمت به كل حاسد
ويحكم فيه كل من كان حاكما * عليه ويعطى الثار كل معاند

وقلت أرثيه

بكت لك حتى الهاطلات السواكب * وشقت جيوبا فيك حتى السحائب
فكيف بمن دافعت عنه ومن به * أحاطت وقد بوعدت عنه المصائب
ألا فانظروا دمعى فاكثره دم * ولا تذهبوا عنى فانى ذاهب
وقولوا لمن قد ظل يندب بعده * وقاؤك لو قامت عليك النوائب
لعمرك ما فى الارض واف بذمة * أيصمت ادريس وشلى يخاطب
دعونك يامن لا أقوم بشكره * فهل أنت لى بعد الدعاء مجاوب
أيا سيدا قد حال بينى وبينه * تراب حوت ذكراك منه الترائب
لمن أشتكى ان جار بعدك ظالم * على وان نابت جنابى النوائب
لمن أرتجى عند الامير بمنطق * تحف به حولى المنى والمواهب

وهى طويلة ومنها قبيل الختم

وقد كنت أختار الترحل قبل أن * يصيبك سهم للمنية صائب
ولكن قضاء الله من ذا يرده * فصبرا فقد يرضى الزمان المغاضب

ومنها وهو آخرها

وانى لادرى أن فى الصبر راحة * اذا لم تكن فيه على مثالب
وان لم يؤب من كنت أرجو انتصاره * عليك فلطف الله نحوى آيب

قال رحمه الله تعالى ولما قدمت مصر والقاهرة أدركتني فيهما وحشة وأثارتا تذكرا لما كنت أعهده بجزيرة الاندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضا خصيبا وصحبت بها الزمان غلاما ولبست الشباب بردا قشيبا فقلت

هذه مصر فأين المغرب * مذ نأى عني فعيني تسكب
فارقته النفس جهلا انما * يعرف الشئ اذا ما يذهب
أين حمص أين أيامي بها * بعدها لم ألق شيأ يعجب
كم تقضى لي بها من لذة * حيث للنهر خرير مطرب
وحمام الايك تشدو حولنا * والمثاني في ذراها تصخب
أي عيش قد قطعناه بها * ذكره من كل نعمى أطيب
ولكم بالمرج لي من لذة * بعدها ما العيش عندي يعذب
والنواعير التي تذكارها * بالنوى عن مهجتي لا تسلب
ولكم في شنتبوس من منى * قد قضيناه ولا من يعتب
حيث هاتيك الشراجيب التي * كم بها من حسن بدر معصب
وغناء كل ذي فقر له * سامع غصبا ولا من يغصب
بلدة طابت ورب غافر * ليتني ما زلت فيها أذنب
أين حسن النيل من نهر بها * كل نغمات لديه تطرب
كم به من زورق قد حله * قمر ساق وعود يضرب
لذة الناظر والسمع على * شم زهر وكؤس تشرب
كم ركبناها فلم تجمح بنا * ولكم من جامح إذ نركب
طوعنا حيث اتجهنا لم نجد * تعبا منها اذا ما نتعب
قد أثارت عثيرا يشبهه * ثم سلك فوق بسط ينهب
كلما ارسلنا لها أجنحة * من قلاع ظلت منها تعجب
كطيور لم تجد ريا لها * فبدا للعين منها مشرب
بل على الخضراء لا تنفك من * زفرة في كل حين تلهب
حث للبحر زئير حولها * تبصر الاغصان منه ترهب
كم قطعنا الليل فيها مشرقا * بحبيب ومدام يسكب
وكأن البحر ثوب أزرق * فيه للبدر طراز مذهب
والى الحوز حنيني دائما * وعلى شنيل دمعي صيب
حيث سل النهر عضبا وانثنت * فوقها القضب وغنى الربرب
وتشفت أعين العشاق من * حور عين بالمواضي تحجب
ملعب للهو مذ فارقته * ما انثنى في خاطري لي ملعب
والى مالقة يهفو هوى * قلب صب بالنوى لا يقلب
أين ابراج بها قد طالما * حث كاسي في ذراها كوكب

ووضعت من أجله على حسب قولهم في الطباع ٤٠٥٦ التام والله أعلم بكيفية ذلك (قال المسعودي) وأخبرني غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن أبي الفيض ذي النون بن ابراهيم المصري الاخميمي الزاهد وكان حكيما وكان له طريقة يأتيها ونحلة يعضدها وكان ممن يقرأ عن أخبار هذه البرابي وداراها وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته فاذا هو احذر العبيد المعتقين والاحداث المقربين والجند المتعبدين والنبط المستعربين قال ورأيت في بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدور والقضاء يضحك وزعم انه رأى في آخره كتابة تبينها في ذلك القلم الاول فوجدها

تدبر بالنجوم ولست تدري * ورب النجم يفعل ما يريد

وكانت هذه الامة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في أحكام النجوم مواظبين على معرفة أسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم أن طوفانا سيكون في الارض ولم يقطع بان ذلك الطوفان ما هو نار تاتي على الارض فتحرق ما عليها أو ماء فيغرقها أو سيف يبيد أهلها فخافت دثور العلوم وفناءها بفناء أهلها فاتخذت هذه البرابي واحدها بربي ورسمت

حفت

حفت الاشجار عشقا حولنا * تارة تنأى وطورا تقرب
جاءت الريح بها ثم انثنت * أتراها حذرت من ترقب
وعلى مرسية أبكى دما * منزل فيه نعيم معشب
مع شمس طلعت فى ناظرى * ثم صارت فى فؤادى تغرب
هذه حالى وأما حالتى * فى ذرى مصر ففكر متعب
سمعت اذنى محالا ليتها * لم تصدق ويحها من يكذب
وكذا الشئ اذا غاب انتهوا * فيه وصفا كى يميل الغيب
ها أنا فيها فريد مهمل * وكلامى ولسانى معرب
وأرى الالحاظ تنبو عندما * أكتب الطرس أفيه عقرب
واذا أحسب فى الديوان لم * يدر كتابهم ما أحسب
وأنادى مغربيا ليتنى * لم أكن للغرب يوما أنسب
نسب يشركه فيه خامل * ونبيه أين منه المهرب
أترانى ليس لى جد له * شهرة أوليس يدرى لى أب
سوف أثنى راجعا لا غرو بى * بعد ما جربت برق خلب

وقال بقرمونة متشوقا الى غرناطة

أغنى اذا غنى الحمام المطرب * بكاس بها وسواس فكرى يذهب
ومل ميلة حتى أعانق أيكة * وألثم ثغرا فيه للصب مشرب
ولم أر مرجانا ودرا خلافه * يطيف به ورد من الشهد أعذب
فديتك من غصن تحمله نقا * تطلع أعلاه صباح وغيهب
وجنته جنات عدن وفى لظى * فؤادى ومالى من ذنوب تعذب
ويعذلنى العذال فيه وانى * لاعصى عليه من يلوم ويعتب
لقد جهلوا اهل عن حياتى أنثنى * اذا غفلوا أقوالهم وتألبوا
يقولون لى قد صار ذكرك مخلقا * وأصبح كل فى هواه يؤنب
وعرضك مبذول وعقلك تالف * وجسمك مسلوب ومالك ينهب
نقلت لهم عرضى وعقلى والعلا * وفخرى لا أرضى بها حين يغضب
جفون أبت أن لا تلين لعازم * بسحر بآيات الرقى ليس يذهب
فقالوا ألا قد خان عهدك قلت لم * يخن من اذا قربته يتقرب
وكم دونه من صارم ومثقف * فيا من رأى بدرا بهذين يحجب
على أنه يستسهل الصعب عندما * يزور فلا يجدى حمى مترقب
وكم حيلة تترى على اثر حالة * وذو الود من يحتال أو يتسبب
على انه لو خان عهدى لم أزل * له راعيا والرعى للصب أوجب
فاين زمان لم يخنى ساعة * به وهو منى فى التنعم أرغب
ولا فيه من بخل ولا بى قناعة * كلانا بلذات التواصل معجب

فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجرا وفرزت ما بنى بالطين مما بنى بالحجر وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما بنى من الطين وانحرق وبقيت هذه العلوم وان كان الطوفان الوارد ماء اذهب ما بنى بالطين وبقى ما بنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقى كلا النوعين ماهو بالطين وما هو بالحجر وهذا ما قيل والله أعلم كان قبل الطوفان وان الطوفان الذى كانوا يرقبونه لم يعينوه أنار هو أم ماء أم سيف وكان سيفا أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيها وملك ينزل عليها فاباد أهلها ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضدة من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهى المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر ذوات الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض فى كهوف وغيران ونواويس ومواضع كثيرة من الارض لا يدرى من أى الامم هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول عنهم انهم من أوائلهم ولا المسلمون يدرون من هم ولا تاريخ ينبئ عن حالهم عليهم أثوابهم وكثيرا ما يوجد فى تلك الروابى

ويارب يوم لا أقوم بشكره * عـلى أنني مازلت أثني وأطنب
على نهر شنيل والقصب حولنا * منابر مازالت بها الطير تخطب
وقد قرعت منه سنابك فضة * خـلال رياض بالاصيل تذهب
شربنا عليها قهوة ذهبية * غدت تشرب الالباب أيان تشرب
كأن بأسمينا وسط درنقحت * أزاهره أيان في الكاس تسكب
اداماشربناها النيل مسرة * تبسم عن درلها فتقطب
أتت دونها الاحقاب حتى تخالها * سرابا بأفاق الزجاجة يلعب
نعمنا بها واليوم قد رق برده * الى أن رأينا الشمس عنا تغرب
فقالوا الا هاتوا السراج فكل من * درى قدرما في الكاس أقبل يعجب
وقال ألا تدرون ما في كؤسكم * فلا كاس الا وهو في الليل كوكب
كواكب أمست بين شرب ولم تخل * بان النجوم الزهر تدنو وتغرب
ظللنا اتاليها عاكفين وليلنا * نهار الى أن صاح بالايك مطرب
فلم نثن عن دين الصبوح عناننا * الى أن عدا من ليس يعرف يندب
صرعنا فامسى يحسب السكر قد قضى * علينا وذاك السكر أشهى وأعجب
وكم ليلة في اثر يوم وعذلي * وعـذل من يصغي لقولي خيب
فيا ليت ماولى معاد نعيمه * وأى نعيم عند من يتغرب

قال وقلت باشبيلية ذاكر الوادي الطلح وهو بشرق اشبيلية ملتف الاشجار كثير مترنم الاطيار وكان المعتمد بن عباد كثيرا ما ينتابه مع رميكته وأولي أنسه ومسرته

سائل بوادي الطلح ريح الصبا * هل سحرت لي في زمان الصبا
كانت رسولا فيه ما بيننا * ان نأمن الرسل ولن نكتبا
ياقاتل الله اناسا اذا * ما استؤمنوا خانوا فما أعجبا
هلا رعوا أنا وثقنا بهم * وما اتخذنا عنهم مذهبا
ياقاتل الله الذي لم يتب * من غدرهم من بعد ما جربا
والهم لا يعرف ما طعمه * الا الذي وافى لأن يشربا
فدعني من ذكر الوشاة الالى * لما يزل فكري بهم ملهبا
واذكر بوادي الطلح عهدا لنا * لله ما أحـلى وما أطيبا
بجانب العطف وقد مالت الاغصان والزهر بيث الصبا
والطير ما ذرت بين ألحانها * وليس الا معجبا مطربا
وخانني من لا أسميه من * شح أخاف الدهر أن يحجبا
قد أترع الكاس وحيا بها * وقلت أهـلا بالمنى مرحبا
أهـلا وسهلا بالذي شئته * يا بدر تم مهديا كوكبا
لكنني آليت أسقى بها * أو تودعنها ثغرك الاشنبا
فعج لي في الكاس من ثغره * ما حبب الشرب وما طيبا

والجبال من حليهم والبرابي وهو أحدا هرص وفين منها والبربا التي ببلاد أخميم والبربا التي ببلاد سمنود وغير ذلك والاهرام وطولها عظيم وبنيانها عجيب عليها أنواع من الكتابات باقلام الامم السالفة والممالك الدائرة لا يدرى ما تلك الكتابة ولا المراد بها وقد قال من عني بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع ذهابها في الجو نحو من أربعمائة ذراع أو أكثر وكلما علا به الصعد ادق ذلك والغرض مما وصفنا عليها من الرسوم ما ذكرنا وان ذلك علوم وخواص وسحر وأسرار للطبيعة وان من تلك الكتابة مكتوب انا بنيناها فمن يدعي مساواتنا في الملك وبلوغنا في القدرة وانتهائنا من السلطان فليهدمها وليزل رسمها فان الهدم أيسر من البناء والتفريق أيسر من التأليف وقد ذكر أن بعض ملوك الاسلام شرع في هدم بعضها فاذا خراج مصر وغيره لا يفي بقلعها وهي من الحجر والرخام والغرض في كتابنا هذا الاخبار عن جمل الاشياء وجوامعها لا عن تفصيلها وبسطها

وقد أتينا على سائر ما شاهدناه حسا في مطافات الارض والممالك وما نمي الينا خبره من الخواص وأسرار

فقال

فقال هالتي تقلولا * تشم الاعرفي الاطيبا
فاقطف بخدي الورد والآس والنسرين لا تحفل بزهر الربا
أشفقته غصنا غدا مثمرا * ومن جناه ميسه قربا
قد كنت ذا نهي وذا امرة * حتى تبدى خللات الحبا
ولم أصن عرضي في حبه * ولم أطع فيه الذي أنبا
حتى اذا ما قال لي حاسدي * ترجوه والكوكب أن يغربا
أرسلت من شعري ما حراله * ييسر المرغب والمطلبا
وقال ترفه باني ساحب تال فاجتنب المكتبا
فزاد في شوقي له وعده * ولم ازل معتقدا مرقبا
امد طرفي ثم اثنيه من * خوف اخي التنغيص أن يرقبا
أصدق الوعد وطورا أرى * تكذيبه والحر لن يكذبا
الى ومن بحضره بعد ما * أيأس بطأ كاد أن يغضبا
قبلت في الترب ولم استطع * من حصر اللقا سوى مرحبا
هنات ربي اذ غدا هالة * وقلت يا من لم يضع اشعبا
بالله مل معتنقا لاثما * فمال كالغصن ثنته الصبا
وقال ما ترغب قلت انشد * ادركت اذ كلمتني المرغبا
فقال لا مرغب عن ذكرما * ترغبه قلت اذا مركبا
فكان ما كان فوالله ما * ذكرته دهري أو أغلبا

قال وقلت باقتراح الملك الصالح نور الدين صاحب حمص ان اكتب بالذهب على تفاحة عنبر قدمها لابن عمه الملك الصالح ملك الديار المصرية

انا لون الشباب والخال اهديت ان قد كسا الزمان شبابا
ملك العالمين نجم بني ايوب لا زال في المعالي مهابا
جئت ملأى من الثناء عليه * من شكور احسانه والثوابا
لست ممن له خطاب ولكن * قد كفاني اريج عرفي خطابا

قال ولما انشد ابو عبد الله بن الابار كاتب ملك افريقية لنفسه

لله دولاب يدور كأنه * فلك ولكن ما ارتقاه كوكب
هامت به الاحداق لما نادمت * منه الحديقة ساقيا لا يشرب
نصبته فوق النهر أيد قدرت * ترويحه الارواح ساعة ينصب
فكانه وهو الطليق مقيد * وكانه وهو الحبيس مسيب
للماء فيه تصعد وتحدر * كالمزن يستسقي البحار ويسكب

حلف أبو عبد الله بن أبي الحسين ابن عمي أن يصنع في ذلك شيأ فقال

ومحنية الاضلاع تحنو على الثرى * وتسقي نبات الترب در الترائب
تعد من الافلاك أن مياهها * نجوم لرجم المحل ذات ذوائب

ولا تمانع بين ذوي الفهم ان في مواضع من الارض مدنا وقرى لا يدخلها عقرب ولا حية مثل مدينة حمص ومعرة وبصرى وانطاكية وقد كان ببلاد انطاكية اذا اخرج انسان يده خارج السور وقع عليه البق فاذا اجذبها الى داخل لم يبق على يده من ذلك شيء الى أن كسر عمود من الرخام في بعض المواضع بها فاصيب في أعلاه حق من نحاس في داخله بق مصور من نحاس نحو كف فامضت أيام أو على الفور من ذلك حتى صار البق في وقتنا هذا يعم الا كثر من دورهم وهذا حجر المغناطيس يجذب الحديد ولقد رأيت بمصر حية مصورة من حديد أو نحاس توضع على شيء ويدنى منها حجر المغناطيس فيحدث فيها حركة تباعد منه وحجر المغناطيس اذا أصابته رائحة الثوم بطل فعله في الحديد واذا غسل بشيء من الخل أو ناله شيء من عسل النحل عاد الى فعله الاول من جذب الحديد وللمغناطيس في الحديد خواص عجيبة غير ما ذكرنا كالحجر الماص للدم والله عز وجل قد استأثر بعلم الاشياء وأظهر للعباد ما شاء مما لهم فيه الصلاح على قدر الوقت وحاجتهم فيه اليه وأشياء استأثر

وأعجبها رقص الغصون ذوائبا * تداوت بأمثال السيوف القواضب
وتحسبها والروض ساق وقينة * فما برحا ما بين شاد وشارب
وما حلتها تشكو بحنانها الصدا * ومن فوق متنيها اطراد المذانب
فخذ من مجاريها ودهمة لونها * بياض العطايا في سواد المطالب

ثم كلفت في أن أقول في ذلك وأنا أعتذر بأن هذين لم يتركا لي ما أقول

وذات حنين لا تزال مطيفة * تئن وتبكي بالدموع السواكب
كأن أليفا بان عنها فأصبحت * بربعه كالصب بعد الحبائب
إذا ابتسمت فيها الرياض شماتة * ترعها بأمثال القسي القواضب
فكم رقصت أغصانها فرمت لها * نثارا كما بدرت حلي الكواعب
لقد حفظت منها الثغور وأرضعت الـ * ـقدود ولم تحفل بتثريب عائب
شربت على تحنانها ذهبية * ذخيرة كسرى في العصور الذواهب
فهاجت لي الكاس ادكار مغاضب * فهاجيتها وجدا بذاك المغاضب
فلا تدع التبريز في كثرة الهوى * فلولاي كانت فيه إحدى العجائب

قال وقلت بغرناطة

باكر اللهو ومن شاء عتب * لا يلذ العيش إلا بالطرب
ما ترى أني من رأى الزهر زها * والصبا تمرح في الروض خبب
وشذاه صانه حتى اغتدى * بين أيدي الريح غصنا ينتهب
يا نسيما عطر الأرجاء هل * بعثوا أضمنك ما يشفي الكرب
هم أعلوه وهم يشفونه * لا شفاه الله من ذاك الوصب
خلع الروض عليه زهره * حين وافى من ذرا كم نفل صب
فأبى الأشذاه فانثنى * حاملا من عرفه ما قد غصب
لست ذا نكران يشبهكم * من بعثتم غير ذا منه العجب
غالب الأغصان في بدأته * ثم لما زاد أعطته الغلب
فبكى الطل عليها رحمة * أو بكى من وعظ طير قد خطب
كل هذا قد دعاني للتي * ملكت رقي على مر الحقب
قهوة أسم من عجب لها * عند ما تبسم عجبا عن حبب
حاكت الجمر فلما شعشعت * قلت ما للجمر بالماء التهب
وبدت من كاسها في فضة * ملئت إذ خمدت ذوب الذهب
استقنيها من يدي مشبهها * بالذي يحويه طرف وشنب
لا جعلت الدهر نقلي غيرما * لذلي من ريق ثغر كالضرب
لا جعلت الدهر ريحاني سوى * ما تخديه من الورد انتقب
لم أزل أقطع دهري هكذا * وكذا أقطع منه المرتقب
حبذا عيش قطعناه لدى * معطف الخابور ما فيه نصب

بعضها لم يظهرها لخالقه ولا تقف العقول على كنهها وكما يجمع بين أشياء فيحدث لاجتماعها معنى هو غيرها كما يحدث من ماء العفص والزاج عند الاجتماع من شدة السواد وكحدوث جوهر الزجاج عند جمعنا بين الرمل والمغنيسيا والقلي عند الصبغ والسبك لذلك وكذلك لو جمع بين ماء القلي وماء المرتك وهو المرداسنج خرج الحادث من مزاجيهما كالزبد بياضا وإذا امتزج ماء القلي بماء الزاج خرج من مزاجيهما لون أحمر كالعصفر وكجمعنا في النتاج بين الفرس الأنثى والحمار فتحدث بغلا ولو نتج دابة على أتان لخرج منها بغل اقطس ذو خبث ودهاء يسمى الكودن وقد ذكرنا النتاج الذي كان بصعيد مصر مما يلي الحبشة وما كان ينتج من الثيران على الأتن والحمير على البقر وما كان يحدث من ذلك من الدواب العجيبة التي ليست بحمير ولا بقر كالبغل الذي ليس بدابة ولا حمار وقد ذكرنا ضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الغروس والأشجار وما تولد من الطعوم في المذاق في كتابنا المترجم بكتاب القضايا والتجارب في أنواع الفلاحات وغيرها وذكرنا باب خواص الأشياء ومعرفتها والطلسمات

مسح من لم يدر يوما ما الجفا * من أراح الصب فيه من تعب
كل ما يصدر منه حسن * لم يذقني في الهوى مر الغضب
اي عيش سمح الدهر به * كل نعمى ذهبت لما ذهب

قال ودخلت بتونس مع أبي العباس الغساني حماما فنظرنا الى غلمان في نهاية الحسن ونعومة الابدان فقلت مخاطباله

دخلت حماما وقصدي به * تنعيم جسم فغدا الى عذاب
قلت لطفي فاعترضت حوره * وقلت عدن فنها الى النهاب
وأنت في الفضل امام ثكن * في الحكم من حاز فصل الخطاب

فقال

لا تامن الحمام في فعله * فليس ما يأتيه عندي صواب
فما أرى أخدع منه ولا * أكذب الا آن يكون السراب
يبدي لك الغيد كحور الدمى * ويلبس الشيخ برود الشباب
ظن به النار فلا جنة * للحسن الا ما حوته الثياب

(ومن فوائده) أعني ابن سعيد رحمه الله تعالى في كتابه المحلى بالاشعار نقلا عن القرطبي قضية بناء الهودج بروضة مصر وهو من منتزهات الخلفاء الفاطميين العظيمة العجيبة البناء البديعة وذلك أنه يقال ان الباني له الخليفة الآمر باحكام الله للبدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيرا وقتل وهو متوجه اليه وما زال متنزها للخلفاء من بعده * وقد أكثر الناس في حديث البدوية وابن مياح من بني عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم في هذا الشان كحديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الآمر قد كان بلي بعشق الجواري العربيات وصارت له عيون في البوادي فبلغه أن بالصعيد جارية من أكمل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزي بداة الاعراب وكان يجول في الاحياء الى أن انتهى الى حيها وبات هنالك وتحيل حتى عاينها هنالك فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها فلما وصلت اليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت وأحبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حيي طليقا آمرا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر موصد * لا أرى الا خبيثا ممسكا
كم تثنينا كأغصان النقا * حيث لا تخشى علينا دركا

فاجابها فقال

بنت عمي والتي غذيتها * بالهوى حتى علا واحتبكا

وعجائبها وهو باب كبير في ذكر بعضه نيابة عن بعض والجزء منه يوهمك الكل واليسير منه يدلك على الكثير ويمكن والله أعلم أن تكون هذه الخواص والطلسمات والاشياء المحدثة في العالم للحركات مما وصفنا والدافعة والمانعة والمنفردة والجاذبة والفاعلة في الحيوان وغير ذلك مثل الطرد والجذب كانت دلالة لبعض الانبياء في الامم الخالية جعلها الله كذلك لذلك النبي دلالة ومعجزة تدل على صدقه وتبيينه من غيره ليؤدي عن الله أمره ونهيه وما فيه من الصلاح لخلقه في ذلك الوقت ثم رفع الله ذلك الشيء وبقيت علومه وما أبانه الله عز وجل مما ذكرنا في أيدي الناس وأصل ذلك الهي كما وصفنا اذ كان ما ذكرنا ممكنا غير واجب ولا ممتنع في القدرة (قال المسعودي) فلنرجع الى ما كنا فيه من أخبار ملوك مصر وكان الملك بعد انقضاء ملك دلوكة العجوز دركوش بن ملوطش (ثم ملك بعده) نورش بن دركوش (ثم ملك بعده) لمس بن نورش نحوا من خمسين سنة (ثم ملك بعده) دسا بن نورش نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ابنه ملوطس عشرين سنة (ثم ملك بعده) مكا كيل وكانت له حروب وسير في الارض وهو فرعون الاعرج الذي غزا بني اسرائيل وخرب

بحت بالشكوى وعندي ضعفها * لو غدى ينفع منا المشتكى
مالك الامر اليه يشتكى * هالك وهو والذي قد هلكا

قال وللناس في طالب ابن مصماح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طيئ في عصر الآمر طراد بن مهلهل فقال وقد بلغته هذه الابيات

ألا بلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الاليفين عن ألفة * بها سمر الحي حول الرحال
كذا كان آباؤك الاكرمون * سألت فقل لي جواب السؤال

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الابيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله فطلب في أحياء العرب فلم يوجد فقيل ما أخسر صفقة طراد باع عدة أبيات بثلاثة أبيات وكان بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسين بن حديد له مروءة عظيمة ويحتذي أفعال البرامكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة ومدحه ظافر الحداد وأمية أبو الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة ينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره وكان يرى في نفسه برؤيته زيادة على أهل التنعم والمباهاة في عصره فوشى به للبدوية محبوبة الآمر فسألت الآمر في حمل الجرن اليها فارسل الى ابن حديد في احضار الجرن فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار الى الآمر أمر بحمله في الهودج فقلق ابن حديد وصارت في قلبه حرارة من أخذ الجرن فأخذ يخدم البدوية وجميع من يلوذ بها بانواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة حتى قالت البدوية هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما قيل له عنها هذا القول قال مالي حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها في عز غير رد السقية التي قلعت من داري التي بنيتها في أيامهم من نعمتهم ترد الى مكانها فتعجبت من ذلك وردتها عليه فقيل له قد حصلت في حد أن خبر تلك البدوية في جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسي ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله تعالى أملها وكان هذا المكين متولي قضاء الاسكندرية ونظرها في أيام الآمر وبلغ من علو همته وعظيم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائحي لما قلده الآمر ولاية ثغر الاسكندرية سنة سبع عشرة وخمسمائة وأضاف اليها الاعمال البحرية ووصل الى الثغر وصف له الطبيب دهن الشمع بحضرة القاضي المذكور فأمر في الحال بعض غلمانه بالمضي الى داره لاحضار دهن الشمع فما كان من أكثر من مسافة الطريق الا وقد أحضر حقا مختوما ففك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن بمسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شيء مصنوع لوقته فعندما أحضره الرسول تعجب المؤتمن والحاضرون من علو همته فعندما شاهد القاضي ذلك بالغ في شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه وكان من جواب المؤتمن وقد قبلته منك لا لحاجة اليه ولا نظر في قيمته بل لاظهار هذه الهمة واذاعتها وذكر ان قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله تعالى

...س (ثم ملك بعده) مرينوس وكانت له حروب كثيرة بالمغرب (ثم ملك بعده) نفاس بن مرينوس ثمانين سنة (ثم ملك بعده) قومس بن نفاس عشرين سنين (ثم ملك بعده) كامل وكانت له حروب مع ملوك المغرب وغزاه البختنصر مرزبان المغرب من قبل ملوك فارس فخرب أرضه وقتل رجاله وسار البختنصر نحو المغرب وقد أتينا على أخباره في كتاب راحة الارواح لان هذا الكتاب رسمناه بأخبار سير الملوك للارض وأخبار مقاتلهم دون ما ذكرنا في كتابنا في أخبار الزمان ولما زال أمر البختنصر ومن معه من جنود فارس ملكت الروم مصر وغلبت عليها فتنصر أهلها فلم يزالوا على ذلك الى ان ملك كسرى أنوشروان فغلبت جيوشه على الشام وسارت نحو مصر فملكوها وغلبوا على أهلها نحوا من عشرين سنة وكانت بين الروم وفارس حروب كثيرة فكان أهل مصر يؤدون خراجين خراجا الى فارس وخراجا الى الروم عن بلادهم ثم انجلت فارس عن مصر والشام لامر حدث في دار مملكتهم فغلب الروم على مصر والشام وأشهروا النصرانية فشمل ذلك من بالشام ومصر الى ان أتى الله بالاسلام وكان من أمر

الى

الى من يكون دهن الشمع عنده فى اناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لا يكاد اكثر الناس يحتاج اليه فاذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات وهذا انما هو حال قاضي الاسكندرية ومن قاضي الاسكندرية بالنسبة الى اعيان الدولة بالحضرة وما نسبة اعيان الدولة وان عظمت احوالهم الى امر الخلافة وابهتها الا يسير حقير وما زال الخليفة الآمر يتردد الى الهودج المذكور الى ان ركب يوم الثلاثاء رابع القعدة سنة ٥٢٤ يريد الهودج وقد كمن له عدة من النزارية على راس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه واثخنوه بالجراحة وحمل فى العشاري الى اللؤلؤة فمات بها وقيل قبل ان يصل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الامور نقل ذلك كله الحافظ المقريزي رحمه الله تعالى قال النور بن سعيد ومن خطه نقلت لما نزلنا بتلعفر حين خرجنا من سنجار الى الموصل سالت احد شيوخنا عن والد شهاب الدين التلعفري فقال انا أدركته وكان كثير التجول وأنشدني لنفسه فى عيد أدركه فى غير بلده

يبتهج الناس اذا عيدوا * وعند سرائهم أكمد
لانى ابصر احبابهم * ومقلتى محبوبها تفقد

قال وخرج ابنه الشهاب أجول منه شخصا وشعرا وصدق فيما قاله وانشد ابن سعيد للشهاب التلعفري

لك ثغر كلؤلؤ فى عقيق * ورضاب كالشهد او كالرحيق
وجفون لم يمتشق سيفها الاالغرى تقدلنا لمشوق
تهت عجبا بكل فن من الحسن جليل وكل معنى دقيق
وتفردت بالجمال الذى خلاك مستوحشا بغير رفيق
بالحاظ التى لها لم تزل تر * شق قلبي و بالقوام الرشيق
لا تغر بالغو براذ تنثنى * فيه اعطاف كل غصن وريق
وانثن محمر وردخد يك واستر * ه والا ينشق قلب الشقيق

قال ابن سعيد وحظى الشهاب التلعفري بمنادمة الملوك وكونهم يقدمونه ويقبلون على شعره وعهدى به لا ينشد أحد قبله فى مجلس الملك الناصر على كثرة الشعراء وكثرة من يعتنى بهم ولما جمعت للملك الناصر كتاب ملوك الشعر جعلت ملك شعرا الشهاب البيت الرابع من المقطوعة المتقدمة فانه كان كثيرا ما ينشده وينوه به والتشفي من ذكر الشهاب ومحاسن شعره له مكان بكتاب الغرة الطالعة فى فضلاء المائة السابعة وهو الآن عند الملك المنصور صاحب حماة قد علت سنه وما فارقه غرامه ودنه انتهى ولما اجرى ابن سعيد فى بعض مصنفاته ذكر الملك العادل بن ايوب قال ما نصه وكان من اعظم السلاطين دهاء وحزما وكان يضرب به المثل فى افساد القلوب على اعدائه واصلاح احواله ويحكى انه بشره شخص بان اميرا من امراء الافضل بن صلاح الدين فسد عليه فاعطاه ما الاجزيلا وارسل مستخفيا الى المذكور يزيده بصيرة فى الانحراف عن الافضل ويعده بما يفسد الصالح فكيف الفاسد قال وكان يمنع حتى يوصف بالبخل ويجود فى مواضع الجود حتى يوصف بالسماح وكان صلاح

افتتحها عمرو بن العاص ومن كان معه فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبنى عمرو بن العاص الفسطاط وهو قصبة مصر فى هذا الوقت وكان ملك مصر وهو المقوقس صاحب القبط ينزل اسكندرية فى بعض فصول السنة وفى بعضها مدينة منف وفى بعضها قصر الشمع وهو اليوم يعرف بهذا الاسم فى وسط مدينة الفسطاط ولعمرو بن العاص فى فتح مصر اخبار وما كان بينه و بين المقوقس ونحته لقصر الشمع وغير ذلك من أخبار مصر والاسكندرية وما كان من حروب المسلمين فى ذلك ودخول عمرو ابن العاص الى مصر والاسكندرية فى الجاهلية وما كان من خبره مع الراهب والكرة الذهب التى كانوا يظهرونها للناس فى اعيادهم ووقوعها فى حجر عمرو بن العاص وذلك قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى أخبار الزمان والكتاب الاوسط (قال المسعودى) والذى اتفقت عليه أهل التواريخ من تباين ما فيها أن عدة ملوك مصر من الفراعنة وغيرها اثنان وثلاثون فرعونا ومن ملوك بابل ممن تملك على مصر خمسة ومن ملوك بابل وهم العماليق

الدين وهو السلطان يأخذ برأيه وقدم له احد المصنفين كتابا مصورا فى مكايد الحروب ومنازلة المدن وهو حينئذ على عكا محاصرا للفرنج فقال له ما نحتاج الى هذا الكتاب ومعنا اخونا ابو بكر وكان كثير المداراة والحزم ومن حكاياته فى ذلك ان احد الاشياخ من خواصه قال له يوما وهو على سماطه يا كل ياخوند ماوفيت معى ولا رعيت سابق خدمتى وكلمه بدالة السن وقدم الصحبة قبل الملك فقال لمماليكه انظروا وسطه فحلوا الهمران وقال خذوا الصرة التى فيه فوجدوا صرة فقال افتحوها ففتحوها فاذا فيها ذرور فقال العادل كل من هذا الذرور فتوقف وعلم أنه مطلع على انه سم فقال كيف نسبتنى الى قلة الوفاء وأنا منذ سنين اعلم أنك تريد أن تسمنى بهذا السم وقد جعل لك الملك الفلانى على ذلك عشرة آلاف دينار وأنا أمكنتك من نفسى ولا أشعرتك أنى لا يكون فى ذلك مالا اخفاء به وتركتك على حالك وأنا مع هذا لا أغير عليك نعمة ثم قال ردوا اسمه الى كرانه لا أبقى الله تعالى عليه ان قدر وأبقى على فجعل يقبل الارض ويقول هكذا والله كان وأنا تائب لله تعالى ثم ان الشيخ جدد توبة واستأنف أدبا آخر وخدمة أخرى وكانت هذه الفعلة من احدى عجائب العادل قال وكان كثير المصانعات حتى انه يصوغ الحلى الذى يصلح لنساء الفرنج ويوجهه فى الخفية اليهن حتى يسكن أزواجهن عن الحركة وله فى ذلك مع ملوك الاسلام ما يطول ذكره ولما خرج ابن أخيه المعز اسمعيل بن طغركين باليمن وخطب لنفسه بالخلافة وكتب له أن يبايعه ويخطب له فى بلاده كان فى الجماعة من أشار الى النظر فى توجيه عسكر له فى البر والبحر وانفاق الاموال قبل أن يتفاقم أمره فضحك وقال من يكون عقله هذا العقل لا يحوج خصمه الى كبير مؤنة أنا أعرف كيف أفسد عليه حاله فى بلاده فضلا عن أن يتطرق فساده لبلادى ثم انه وجه فى السر لاصحاب دولته بالوعد والوعيد وقال لهم أنتم تعلمون بعقولكم أن هذا لا يسوغ لى فكيف يسوغ له وقد أدخل نفسه فى أمر لا يخرج منه الا بهلاكه فاحذروا ان تهلكوا معه واتعظوا بالآية ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وماهذا عقل يدبر به نفسه فكيف يفضل عن تدبير خاصته اليكم ولتعلمن نبأه بعد حين فعندما وعت اسماعهم هذا وتدبروه بعقولهم قبضوا عليه وقتلوه وعادت البلاد للعادل وقال للمشيرين عليه فى أول الامر بتجهيز العسكر قد كفينا المؤنة بأيسر شئ من المال ولو حاولناه بما اشرتم به لم تقم خزائن ملكنا بالبلوغ الى غايته وكان على ما بلغه من عظمة السلطان واتساع الممالك يحكى ما جرى له من زمان خلوه من ذلك ويحب الاستماع لنوادر أنذال العالم واشتهر فى خدمته مساخر أشهرهم خضير صاحب البستان المشهور عند الربوة بغوطة دمشق ومن نوادره الحاضرة منه انه سمعه يوما وهو يقول فى وضوئه اللهم حاسبنى حسابا يسيرا ولا تحاسبنى حسابا عسيرا فقال له ياخوند على أى شئ يحاسبك حسابا عسيرا اذا قال لك أين أموال الخلق التى أخذتها فقل له تراها بأمانتها فى الكرك وكان قد صنع بهذا المعقل الحسرات سميت بذلك لان من رآها يتحسر اذا نظرها ولا يستطيع على شئ منها بحيلة وهى خوابى مفروغة من ذهب وفضة تركت برأى من الناظرين ليشتهر ذلك فى الآفاق وقال العادل مرة وقد جرى ذكر البرامكة وامثالهم ممن ذكر فى كتاب المستجاد فى حكايات الاجواد انما هذا كذب مختلق من الوراقين

الذين ظهروا اليها من بلاد الشام أربعة ومن الروم سبعة ومن اليونانيين عشرة وذلك قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام وملكها أناس من الفرس من قبل الاكاسرة وكان مدة من ملك مصر من الفراعنة والروم والعماليق واليونانيين ألف سنة ثلثمائة سنة (قال المسعودى) وسألت جماعة من اقباط مصر بالصعيد وغيره من بلاد مصر من أهل الخبرة عن تفسير فرعون فلم يخبرونى عن معنى ذلك ولا تحصل لى فى لغتهم فيمكن والله أعلم ان هذا الاسم كان سمة الملوك تلك الاعصار وأن تلك اللغة تغيرت كتغير الفهلوية وهى الفارسية الاولى الى الفارسية الثانية وكاليونانية الى الرومية وتغير الحميرية وغير ذلك من اللغات ولمصر أخبار عجيبة من الدقائق وما يوجد من الدفائن من ذخائر الملوك التى استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا فمن جميع أخبارها ماذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لأخيه عبد الملك ابن مروان فأتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال بالقبة الـ[illegible] به كنز عظيم قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا ومن

ومن المؤرخين يقصدون بذلك ان يحركوا همم الملوك والا كابر للسخاء وتبذير الاموال فقال خضير يأخذون ولاي شيء ما يكذبون عليك قال ابن سعيد من وقف على حكايات ابي العيناء مع عبيد الله بن سليمان يجد مثل هذه الحكاية قال ابن سعيد ووجدت الشهاب القوصي قد ذكر السلطان العادل في كتاب المعاجم وابتدأ الكتاب المذكور بمحاسنه والثناء عليه وخرج عنه الحديث النبوي عن الحافظ السلفي وتمثل فيه عند وفاته

ألام على بكائي خير ملك * وقل له بكائي بالنجيع
به كان الشباب جميع عمري * ودهري كله زمن الربيع
ففرق بيننا زمن خؤون * له شغف بتفريق الجميع

قال ابن سعيد ودفن العادل بمدرسة العادلية بدمشق وكان انشاها الشافعية وهي في نهاية الحسن وبها خزانة كتب فيها تاريخ ابن عساكر وذيل هذا التاريخ واختصره ابو شامة سمعت عليه معه هنالك ما تيسر ايام اقامتي بدمشق واولاد العادل ملوك البلاد في صدر هذه المائة السابعة منهم الكامل والمعظم والاشرف وهؤلاء الثلاثة اشهر وابا الفضل وحب الفضلاء وقول الشعراء انتهى وقال ابن سعيد في ترجمة الرئيس صفي الدين احمد بن سعيد المردعاني وهو من بيت وزارة ورياسة بدمشق ان من شعره قوله

كيف طابت نفوسكم بفراقي * وفراق الاحباب مر المذاق
لو علمتم بلوعتي وصبابا * تي ووجدي وزفرتي واحتراقي
لرثيتم للمستهام المعنى * ووفيتم بالعهد والميثاق

قال ابن سعيد وقفت على ذكر هذا الرئيس في كتاب تاج المعاجم ووجدت صاحبه الشهاب القوصي قد قال أخبرني بدمشق أنه قد كان عزم على السفر منها الى مصر لامر ضاق به صدره فهتف به هاتف في النوم وأنشده

يا احمد اقنع بالذي أعطيته * ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها
ودع التكاثر في الغنى لمعاشر * أضحوا على جمع الدراهم ولها
واعلم بأن الله جل جلاله * لم يخلق الدنيا الاجلك كلها

فانثنى عزمه عن الحركة ثم بلغ ما أمله دون سفر وقال ابن سعيد في ترجمة المنتخب أحمد بن عبد الكريم الدمشقي المعروف بدفترخوان وهو الذي يقرأ الدفاتر بين أيدي الملوك والا كابر انه كان يقرأ الدفاتر بين يدي العادل بن أيوب وكان يكتب له بالاشعار في المواسم والفصول فينال من خيره وكتب له مرة وقد أظل الشتاء في دمشق فقال

مولاي جاء الشتاء * والكيس منه خلاء
لا زال يجري بما تر * تضي علاك القضاء
وكل كاف اليه * يحتاج فيه الثواء

فقال له العادل هذا الضمير الذي في البيت الاول على ماذا يعود فقال بحسب مكارم السلطان ان شئت على الدراهم وان شئت على الدنانير فضحك وقال هات كيسك فاخرج له كيسا يسع قدر مائة دينار فملأه له وقال أظنه كان معدا عندك فقال مثل السلطان من يكون جوده

من الذهب على أعلاه ديك عيناه ياقوتتان ساويتان ملك الدنيا وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد على رأسه صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود فامر له عبد العزيز بدفعة ألوف من الدنانير لاجرة من يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه وكان هنالك تل عظيم فاحتفروا حفرة عظيمة في الارض والدلائل المتقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع في النفقة وأكثر من الرجال ثم انتهوا في حفرهم الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما في عينيه من الياقوت وشدة نوره ولمعان ضيائه ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول العمود عمود من البنيان بانواع من الاحجار والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على أبوابه معقودة ولاحت منها تماثيل وصور وأشخاص من أنواع الصور والذهب وأجر بة من الاحجار قد اطبقت عليها أغطيتها وسبكت وقد ذلك بأعمدة

الذهب فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فاسرع بعضهم

مضنونا وكتب اليه مرة وقد أملق

انظر الى بعين جودك مرة * فلعل محروم المطالب يرزق

طير الرجاء على علاك محلق * وأظنه سيعوده ويحلق

فاعطاه جملة دنانير وقال له اشر بهذه ما تحلق به طير رجائك انتهى وأنشد ابن سعيد رحمه الله تعالى لبعض المغاربة وهو أبو الحسن علي بن مروان الرباطي الكاتب

أنس أخي الفضل كتاب أنيق * أو صاحب يعني بود وثيق

فان تعره دون رهن به * تخسره أو تخسر ودا الصديق

وربما تخسر هذا وذا * فاسمع رعاك الله نصح الشفيق

قال وأجابه المخاطب بهذه الابيات وهو ابن الربيب بنثر نصه مثلك بقيد تحرّ به قد نفق عليها عمر وضل عن فوائدها غرّ غمر وقد أنفذت رهنا الاسمع باخواجه الالديك فتفضل بتوجيه الجزء الاول فانا اعلم أنه عندك مثل ولدك قال فوجهه ومعه بطاقة صغيرة فيها يا أخي ان عرضت بولدي فكذلك كنت مع والدي وقد توارثنا العقوق كابرا عن كابر فكن شاكرا فاني صابر ثم قال ابن سعيد وتعاقم أم ولده فقيده بقيد حديد وقال فيه

لي ولد ياليته * لم يك عندي يخلق

يجهد في كل الذي * يرغم وهو يعشق

وان أكن قيدته * دمعي عليه مطلق

وذكر ابن سعيد أن الكاتب أبا الحسن المذكور كان كثيرا ما يستعير الكتب فاذا طلبت منه فكأنها ما كانت فذكر لبعض أصحابه وهو ابن الربيب المؤرخ أن عنده نسخة جليلة من تاريخ غريب الذي لخص فيه تاريخ الطبري واستدرك عليه ما هو من شرطه وذيل ما حدث بعده فأرسل اليه في استعارتها فكتب اليه يا أخي سدد الله آراءك وجعل عقلك أمامك لا وراءك ما يلزمني من كونك مضيعا أن أكون كذلك والنسخة التي رمت اعارتها هي مؤنسي اذا أوحشني الناس وكاتم سري اذا خانوني فما أعيرها الا بشئ اعلم أنك تتأذى بفقده اذا فقدتها من النسخة وأنا الذي أقول

أنس أخي الفضل كتاب أنيق * الى آخره وأنشد للكاتب أبي الحسن المذكور

ان ذاك العذار قام بعذري * وفشا منه للعواذل سري

ما رأينا من قبل ذلك مسكا * صاغ منه الاله هالة بدر

أي آس من حول جنة ورد * ليس منه آس مدى الدهر يبري

ولما اشتد مرضه بين تلمسان وفاس قال هذه الابيات وأوصى أن تكتب على قبره

الا رحم الله حيا دعا * لميت قضى بالفلا نحبه

تمر السوافي على قبره * فتهدي لاحبابه تربه

وليس له عمل يرتجى * ولكنه يرتجي ربه

انتهى

*(رجع الى نظم ابن سعيد المترجم به) فنقول وقال لما سار المعظم من حصن كيفا وآل أمره الى الملك ثم القتل والهلاك

فوضع قدمه على درجة منسبكة من نحاس تفضي الى ماهنالك فلما استقرت قدمه على المرقاة الرابعة ظهر سيفان عظيمان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جزآه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك صفيرا عجيبا اسمعه من كان بالبعد من هنالك وحرك جناحيه فظهرت من تحته أصوات عجيبة قد عملت بالكواكب والحركات اذا ما وقع على بعض تلك الدرج شئ أو ماسها تهافت من هنالك من الرجال الى أسفل تلك الحفيرة وكان فيها من يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويحرك ويأمر زهاء نحو ألف رجل فهلكوا جميعا فجزع عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل نعوذ بالله منه وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من هنالك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبر الهم (قال المسعودي) وقد كان جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قد اغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز وذخائر الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض بلاد مصر وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من ليث

ليت المعظم لم يسر من حصنه * يوما ولا وافى الى أملاكه
ان العناصر اذ رأته مكملا * حسدته فاجتمعت على اهلاكه

*ومما نقلته من ديوانه الذي رتبه على حروف المعجم قوله رحمه الله تعالى وقلت بالقاهرة على على لسان من كلفني ذلك

شرف الدين أين لي ما السبب * في انقلاب الدهر لي عند الغضب
فاتقدم غضبان أظفر بالمنى * ليس لي في غيره هذا من أرب
اغاظهرك عندي قبلة * ووضوئي الدهر من ذاك الذنب

وأستغفر الله من قول الكذب قال وقلت باشبيلية

قد جاء نصر الله والفتح * والصبح لما رنت صبح
فهنئوني بارتجاع المنى * لولا الرضا ما برح البرح
يا أورقا يا غصنا يا نقا * يا ظبية يا ليل يا صبح
يصحو جميع الناس من سكرهم * ولست من سكري أو أصحو
بلغت فيه غاية لم يبن * غايتها التفسير والشرح
وينصح العذال من لي بأن * يعذلني عن غيك النصح

وقلت باشبيلية

وضح الصبح فأين القدح * يعرف اللذات من يصطبح
ما ترى الليل كطرف أدهم * وضياء الفجر فيه وضح
والثرى دبجه در الندى * وعلى الاغصان منه وشح
ومدير الراح لم يعد المنى * كل ما يأتي به مقترح
في بطاح المرج قد نادمني * رشا من سكره ينبطح
جعل المسواك ستر اللمى * فكأن قبل فاه قزح
كلما شئت الذي قد شاءه * حنى لي كاسه أفتتح
ما أبالي ان رآني كاشح * أم رآني من لديه نصح
هكذا العيش ودع عيش الذي * خاف من نقد اذا يفتضح

وقلت بشريش

طاب الشراب لمعشر * سلبوا المروءة فاستراحوا
لا يعرفون تسترا * السكر عندهم مباح
متهتكون لدى المنى * وفسادهم فيها صلاح
ساقيهم متبذل * هل يمنع الماء القراح
غصن يميل به الصبا * ودنه طوع الراح راح
طوع الاماني كل ما * يأتي به فهو اقتراح
ما ان يبالي ان بدا * أن لا يلوح لنا الصباح
ما زلت أرشف ثغره * وعليه من عضدي وشاح

بعض الاهرام المهدم ذكرها بان فيه مطلبا عجيبا فاخبروا الاخشيد محمد بن طغج بذلك فأذن لهم في حفره وأباح لهم استعمال الحيلة في اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ازج وأقباء وحجارة مجوفة في صخر منقور فيه تماثيل قائمة على أرجلها من أنواع الخشب قد طليت بالاطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الاجزاء والصور مختلفة منها صورة شيوخ وشبان ونساء وأطفال أعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرذ والفيروزج والزبرجد ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسر بعض تلك التماثيل فوجدوا في أجوافها رمم بالية وأجسام فانية والى جانب كل تمثال منها نوع من الابنية كالبرابي وغيرها من الآلات من المرمر والرخام وفيه نوع من الطلاء الذي قد طلي منه ذلك الميت الموضوع في تمثال الخشب وما بقي من الطلاء متروك في ذلك الاناء والطلاء دواء مسحوق واخلاط معمولة لا رائحة لها فجعل منه على النار ففاح منه روائح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من الانواع التي للطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف أسنانهم ومقادير أعمارهم وتباين صورهم وبإزاء كل تمثال من تلك التماثيل تمثال من الحجر

الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من اهل الملك وزعم قوم من ذوى الدراية منهم أن لذلك العالم من حدود فيه من الارض اعنى أرض مصر أربعة آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على ان هؤلاء ليسوا بيهود ولا بنصارى ولم يؤدهم الحفر الا الى ما ذكرنا من هذه التماثيل وكان ذلك فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد كان لمن سلف وخلف من ولاة مصر الى أحمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أخبار عجيبة فيما استخرج فى أيامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما أصيب فى هذه المطالب من القبور والخزائن وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا وبالله التوفيق

(ذكر الاسكندرية وبنائها وملوكها وعجائبها وما ألحق بهذا الباب)

ذكر جماعة من أهل العلم أن الاسكندر المقدونى لما استقام ملكه فى بلاده سار يختار أرضا صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب فيها أثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند (وهو

والقلب يهفو طائرا * ولعاولايخشى اقتضاح
ولو اننا نخشاه كنا * نلنا من الظلما جناح
لكننا فى عصبة * مافى تهتكهم جناح
لا ينكرون سوى ثقيل لايميل به مزاح
أفنى الذى قد جمعو * ا الكاس والحدق الملاح

وقلت بمراكش

قم هاتها لاح الصباح * ماالعيش الاالاصطباح
مع فتية ماذ بهم * الاالمروءة والسماح
جربتهم فوجدتهم * ماالمنى عنهم براح
نفنيهم نحو الصبا * بقبر المثانى والمراح
ماداموا نخصافكا * نلهم بخدمته اسراح
بل يعرفون مكانه * فله اذا شاء افتراح
هم يتعمون وضيفهم * مادام عندهم براح
سال يميلون النزيل وبالرضا منه السراح
يدعونه بأجل ما * يدعى به الحر الصراح
حتى اذا ما بان كدرعيشهم منه انتزاح
يعلى منالهم يبا * ح لى المدامع والنواح
كرها فقدتهم فما * لى بعد بعدهم ارتياح
لله شوقى ان هفت * من نحو أرضهم الرياح
فهناك قلبى طائر * لهم ومن شوقى جناح

قال وقلت بمدينة ابن السليم فى وصف كلب صيد أسود فى عنقه بياض

وأدهم دون حلى ظل حالى * كأن ليلا يقلده صباح
يطير وماله ريش ولكن * متى يهفو فاربعه جناح
تكل الطير مهما نازعته * وتحسده اذا مر الرياح
له الالحاظ مهما جاء سلك * ومهما سار فهى له وشاح

وقلت فى نيل مصر

يانيل مصر أين حمص ونهرها * حيث المناظر أنجم تلتاح
فى كل شط للنواظر مسرح * تدعو اليه مسارح وبطاح
واذا سبحت فلست أسبح خائفا * مافيه تياح ولا تمساح

قال وقلت وقد حضرت مع اخوان لى بموضع يعرف بالسلطانية على نهر اشبيلية وقد مالت الشمس للغروب

رق الاصيل فواصل الاقداحا * واشرب الى وقت الصباح صباحا
وانظر لشمس الافق طائرة وقد * ألقت على صفح الخليج جناحا

فاظفر بصفو الافق قبل غروبها * واستنطق المثنى وأحث الراحا
متع جفونك فى الحديقة قبل أن * يكسو الظلام جمالها أمساحا

وقلت بمرسية

أقلقه وجده فباحا * وزاد تبريحه فناحا
ورام يثنى الدموع لما * جرت فزادت له جماحا
يامن جفا فارقن عليه * مستعبد الايرى السراحا
يكابد الموت كل حين * لو أنه مات لاستراحا
ينزو اذا ما الرياح هبت * كانه يعشق الرياحا
ياللماعن ربوع حمص * لما عرفها وفاحا
كم قد بكى للحمام كما * يعيره نحوها جناحا

قال وخرجت مرة مع أبى اسحق ابراهيم بن سهل الاسرائيلى الى مرج الفصة بنهر اشبيلية فتشاركنا فى هذا الشعر

غيرى يميل الى كلام اللاحى * ويمد راحته لغير الراح
لاسيما والغصن يزهر زهره * ويميل عطف الشارب المرتاح
وقد استطار القلب ساجع ايكه * من كل ما أشكوه ليس بصاحى
قد بان عنه جناحه وجماله * من جانح للعجز حلف جناح
بين الرياض وقد غدا فى مأتم * وتخاله قد ظل فى افراح
الغصن يمرح تحته والنهر فى * قصف ترجيه يد الارواح
وكأنما الانسام فوق جنابه * أعلام خز فوق سمر رماح
لا غرو أن قامت عليه أسطر * لما رأته مدرعا لكفاح
فاذا تتابع موجه لدفاعه * مالت عليه فظل حلف صياح

قال وقلت بما لقة منشوقا الى الجزيرة الخضراء

يانسيما من نحو تلك النواحى * كيف بالله نور تلك البطاح
اسقتها الغمام ريا فلاحت * فى رداء ومئزر ووشاح
أم جفته فصيرته هشيما * تركته تذروه هوج الرياح
يازماني بالحاجبية انى * لست من سكر ما سقيت بصاحى
آه مما لقيت بعدك من هم وشوق وغربة وانتزاح
أين قوم ألفتهم فيك لما * قرب الدهر آذنوا بالرواح
تركونى أسير وجد وشوق * مالقلبى من الجوى من سراح
أسلمونى للويل حتى تولوا * وأصاخوا ظلما لقول اللواحى
أعرضوا ثم عرضونى لشوق * ترك القلب مثخنا بجراح
أسهر الليل لست أغفا الصبح * أترى النوم ذاهبا بالصباح
قد بدا يظهر النجوم حليا * وهو من لبسة الصبا فى براح

القلم الاول من أقلام حمير وملوك عاد) أنا شداد بن عاد بن شداد بن عاد شددت بساعدى البلاد وقطعت عظيم العماد من الجبال والاطواد وأنا بنيت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد أردت أن ابنى ههنا كارم وأنقل اليها كل ذى اقدام وكرم من جميع العشائر والامم وذلك اذ لاخوف ولاهرم ولا اهتمام ولا سقم فاصابنى ما أعجلنى وعما أردت قطعنى ومع وقوعه طال همى وشجنى وقل نومى وسكنى فارتحلت بالامس عن دارى لا لقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار لكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبار فمن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى ونفاذ بصرى وشدة حذرى فلا يغتر بالدنيا بعدى فانها غرارة غدارة تاخذ منك ماتعطى وتسترجع ماتولى وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون اليها ونزل الاسكندر بتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها أميالا وحشد اليها العمد والرخام وأتته المراكب فيها أنواع الرخام وأنواع المرمر والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد أفريقية واقريطش واقاصى بحر

مسـبلا سـتره منعم بال * وجفونى من سهده فى كفاح
أيها الليـل لا تؤمـل خلودا * عن قريب يمحو ظلامك ماحى
ويلوح الصـباح مشرق نور * فيـــه للمستهام بدء نجاح
ان يوم الفـراق بدد شـملى * طائر البين بغـــيم جناح
حالك اللون شبه لونك فاعرف * عن عيانى يا شبه طير النزاح
واذا ما بدا الصـباح فما يشـبه الالون الخدود الملاح

وقلت بالجزيرة الخضراء

قـد رفعت راية الصـباح * تدعو النـدامى للاصطباح
فبادروا للصـبوح انى * قـد بعت فى غيه صـلاحى
ولا تميـلوا عن رشف ثغـر * وسـمع شـدو وشرب راح
وأنت يا من يروم نصحى * قـد يئس القوم من فـلاحى
لست أصغى الى نصيح * ما نهضت بالكؤس راحى

قال وقلت أمـدح ملك افريقيـة وأهنيـه بقتل ثائر من زناتة يدعى أنه من نسل يعقوب المنصور

برح بى من ليس عنـه براح * ومن رأى قتلى حـلالا مباح
من صرح الدمع بحبى له * وما لقلـبى عن هواه سراح
ظبى عدمت الصبح مذ صدنى * وكيف لا يعدم وهو الصباح
مورد الخـد شهـى اللمى * منعم الردف جـديب الوشاح
تظنـه من قلبـه جلمـدا * ومنـه للماء بجفنى انسياح
لردفه أضـعف من صبه * ولم أزل من لحظـه فى كفاح
نشوان من ريقته عربدت * أجفـانه بالمرهفـات الصفاح
فها أنبى خافت مثلما * أنا أسـير مثخن بالجـراح
يا قاتلى صـدا أما تستحى * أن تلزم البخـل بارض السماح
من ذا الذى يبخل فى تونس * والملح فيهـا صار عـذبا قـراح
واصبحت ارجاؤها جنـة * مبيضة الابراج خضراء البطاح
لولا ندى يحيى وتدبيره * ما برحت تعبر منهـا النواح
لكن يداه سحب كلما * حلت بارض حل فيهـا النجاح
هذا وقد آمن من حلهـا * وحقهـا من غـربة وانتزاح
كم شتتوا من قبـل تامبره * وحكمت فيهـم عوالى الرماح
باسائرا يرجو بلوغ المنى * با كر ذرى يحيى وقـل لا رواح
وحيـه بالمدح فهو الذى * يهتز كالهنـدى حين امتـداح
بالشرق والغرب غدا ذكره * يحث من حمـد وشكر جنـاح
ساعده السـعد وامحت له الآمال تجـرى بغـير اقتراح

أزدوم... على ...جر أونيانوس وحمـل اليه أيضا من جزيرة رودس وهى جزيرة مقابـلة للاسكندرية على ليلة منها فى البحر الرومى أول بـلاد الافرنجة وهـذه الجزيرة فى وقتنـا هـذا وهو سـنة اثنين وثلاثين وثلثمائة دار صناعة الروم وبها تنشا المراكب الحربية وبها خلق كثير من الروم ومراكبهـم تطرق بـلاد الاسكندريه وغيرها من بـلاد مصر تغـير وتاسر وتسبى وأمر الاسكندر الفعله والصناع ان يدوروا بحـاريهم من أساس سور المدينـة وجعـل على كل قطعة من الارض خشبـة قائمة وجعـل من الخشبة الى الخشبة حبلا منوطة بعضها ببعض وأوصـل جميـع ذلك بعمود من الرخام وكان أمام مضربه وعلـق عـلى العمود جرسا عظيما مصوتا وأمر الناس والقـوّام عـلى البنائين والفعلة والصناع أنهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا على ان يدعوا اساس المدينة دفعـة واحـدة من سائر أقطارها وأحب الاسكندر ان يجعـل ذلك فى وقت يختاره ذى طالع سعـيد فخفق الاسكندر برأسـه وأخذته سنـة فى حال ارتقابه الوقت المحمود المأخوذ فيـه الطالع فجاء غراب فجلس على حبـل

ويسر

ويسر الله له ملكه * من غير أن يشهر فيه السلاح
وكل من كان على غيره * ذا منعة أمسى به مستباح
وكم جموح عندما قام بالامر رأى القهر فخلى الجماح
كف بكف للندى والردى * بها معان وهي خرس فصاح
حتى لقد أحسن من سعده * تجرى على ما يرتضيه الرياح
ذولو اليعقوب فما ذا جنى * وابن أبي حمزة ماذا استباح
قد أصبحا من فوق جذعين لا * يؤنسهم غير هبوب الرياح
واسال عن الداعي الدعي الذي * حاول امرا كان عنه الصراح
أكان من صيره والدا * بزعمه أمل فيه فلاح
شكرا لسعد لم يدع فرقة * قد صير الملك كضرب القداح
راموا بلا جاه ولا محتد * ما خزت بالحق فكان افتضاح
زناتة يهنيكم فعلكم * عاجلكم ثائركم باجتياح
كفى ما قدمتم آخرا * والخير لن يبرح للشر ماح
عهدي به في موكب الملك ما * بينكم نشوان من غير راح
يحسب أن الارض ملك له * وروحه ملك لسمر الرماح
غدا بعز الملك لكنه * أهون مملوك على الارض راح
جاؤا به يمرح في عزه * وهم أزالوا عنه ذاك المراح
توقعوا في القرب منه الردى * من صحبة الاجرب يخشى الصحاح
فأسرعوا نحوك يبغون ما * عودتهم من عطفة والتماح
فغادروه جانيا غدره * لطائر البين عليه يناح
فالحمد لله على كل ما * سنى لك السعد برغم اللواح
مثلك لا ينقد ما شاءه * فلست تأتي الدهر الا صلاح
لا زلت في عز وفي سكنة * وفي سرور دائم وانفساح

قال وقلت ببنيونش موضع الفرجة بسبتة

اشرب على بنيونش * بين السواني والبطاح
مع فتية مثل النجو * م لهم اذا مروا جماح
ساقيهم متبذل * لا يمنع الماء القراح
كل يعد يمينه * ما في الذي يأتي جناح
هبوا عليه كلما * هبت على الروض الرياح
طوع الاماني كل ما * يأتي به فهو اقتراح
عانقته حتى تركت بخصره أثر الوشاح

وقلت باشبيلية

أوجه صبح أم الصباح * ولحظها أم ظبا الصفاح

الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت الجرس وتحركت الجبال وخفقت ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك معمولا بحركات فلسفية وحيل حكمية فلما رأى الصناع تحرك تلك الحبال وسمعوا تلك الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسال عن الخبر فاخبر بذلك فعجب وقال أردت أمرا وأراد الله غيره ويأبى الله الا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول الملوك اياها وان الاسكندر لما أحكم بنيانها وأثبت اساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب من البحر فأتت على جميع ذلك البنيان فقال الاسكندر حين أصبح هذا بدء الخراب في عمارتها وتحقق مراد البارئ في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم يزل البناء يبنى في كل يوم ويحكم ويوكل به من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرب البنيان وقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى فاقبل يفكر ما الذي يصنع وأي حيلة ينفع في دفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة في ليلته عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما أصبح دعا بالصناع فاتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع

وبليلة الاسراء حباك وسمى الصـديق من اضحى بقولك يسعد
وحباك بالخلق العظيم ومعجز الـكلم الذي يهدي به اذ يورد
وبعثت بالقرآن غير معارض * فيه وامسى من نحاه يعدد
فتوالت الاحقاب وهو مبرأ * من ان يكون له مثال يوجد
والكلم بليغ حال فصل خطابه * والسرج في ضوء الغزالة تهمد
وزويت لك الارض التي لا زال يو * م الحشر ربك في ذراها يعبد
ونصرت بالرعب الذي لما نزل * يبرى كأن ماء بين شخصك تفقد
حتى تعرض طامس أو جاحد * حرم الهداية فالحسام مجرد
يا من تخير من ذؤابة هاشم * نعم الخيار لها ونعم المحتد
لسناك حين بدا بآدم اقبلت * رعيا الاملاك الاملاك تسجد
لم استطع حصرا لما اعطيته * فذكرت بعضا واعتذاري منشد
ماذا اقول اذا وصفت محمدا * نفد الكلام ووصفه لا ينفد
فعليك يا خير الخلائق كلها * مني التحية والسلام السرمد

قال وقلت باشبيلية

هل عنع النهود * ما ابدت الخدود
نعم وكم طعين * بطعنها شهيد
يا ربة الخبا * حفت به السعود
لم تسر الخيا * بل ربقك البرود
لله يا عـدولي * ما تكتم البرود
مازلت فيه أدعي * والوجد مستزيد
يا هل ترى زمانا * مضى لنا يعود
لدى الغروس سقت * جنابها العهود
حيث الغصون مالت * كأنها قدود
وزهرها نظيم * كأنه عقود
حمامها تغنى * اعطافها تميد
وبالنسيم شعت * لنهرها برود
فروعه سيوف * وسوره بنود
هنالك لم دعتني * الى الورود رود
فنلت كل سؤل * يغني به الحسود
قضيت فيه عيشا * ما بعده مزيد
اضحى به وامسي * مرنحا اميد
كأنني يزيد * كأنني الوليد
يجري الزمان طوعي * بكل ما أريد

رب كل شئ ورسم الاسكندر بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده في مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب ومن يؤتي اليه الى وقت دثور العالم وكان بناء الاسكندر به طبقات وتحتها قناطر مقنطرة كما تدور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومنافذ للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر واسواقها وشوارعها وازقتها مقنطرة بها لئلا يصيب أهلها شئ من المطر وقد كان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة ألوانها بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما علق على المدينة شقاق الحرير الاخضر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناؤها وسكنها أهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير ولما علم الاسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هنالك تدعى المسال وهي باقية الى هذه الغاية كل

الخمر

الخمر ملكتي * والخلق لي عبيد
يحق لي اذا ما * أبصرتها التجود
فها انا اذا ما * فقدتها فقيد
يامن يلوم بغيا * العذل لا يفيد
اذا عدمت كاسي * فليس لي وجود

قال وقلت باشبيلية

أوما نظرت الى الحمامة تنشد * والغصن من طرب بها يتأود
ونثاره تلقاه جائزة لها * لم تزل بيد النسيم تبدد
ألقى عليها الطل برداسابغا * فتناوله طول الزمان يردد
أترى الحمامة من محب مخلص * أولى بشكر حين تغمره يد
فلاثنين عليك ما أثنى باعـ ـلى الغصن جنان الهذيل مغرد
كم نعمة لي في جنابك لم أكا * بدجهدها أيان برك يجهد

وقال

أرى العين مني تحسد الاذن كلما * جرت مدحة للعلم والفضل والمجد
أحقق أنباء ولم ار صورة * كتحقيقي الاخبار عن جنة الخلد
من علي عيني بلقياك انني * أخذت لها أمنا بذلك من السهد

قال وقلت أمدح ابن عمي وأشكره على ما أذكره

آه مما تكن فيك الجوانح * ودموعي على نوالك سوافح
واشتفاء من العدو مبين * كدر العيش اي عيش لنازح
يا أتم الانام حسنا أما تحـ ـسن حتى يتم اطراء مادح
يا زمان الوصال عودا فاني * طوحت بي لما ندرت الطوائح
أين عيش العروس اذ بطح البكـ ـر حبيبي ما بين تلك الاباطح
والاماني تترى ولا أحد ينـ ـصح اذ لا يصغي الى قول ناصح
وزمان السرور سمح مطيع * ورسول الحبيب غادورائح
ولكم ليلة أتاني بلا طيـ ـب ولكن يزري بأذكى الروائح
هو طي وليس يحتاج طيبا * قد كفاه عرف من المسك فائح
مثل عليا محمد لم تكن كسبا وما لا يكون في الطبع فاضح
يا كريما أبى من الجود مالا * كان يدري وجدته المدائح
وعلا كل ذي علاء وأضحى * نحو ما لا يرومه الناس طامح
قد أتاني احسانك الغمر في أثـ ـر سواه فكنت أكمل مادح
فاض بحر النوال منك ولا سا * حل يبدو ولم أزل فيه سابح
حال مثل ما كسوتك في المد * ح تميت العدا ومال وسائح
أورد الورد منطقي كل شكر * حين أضحى طوع البنان مسامح

على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا وأشكالا وكتابة وذلك عند انخفاض درجة من درج الفلك وتقربها من هذا العالم وعند أصحاب الطلسمات المنجمين والفلكيين أنه اذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض أخرى في مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتي في هذا العالم فعل الطلسمات المانعة المانعة والدافعة وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفي الكتب في هذا المعنى ولهم في ذلك سر من أسرار الفلك ليس كتابنا هذا موضعا له ولغيرهم ممن ذهب الى أن ذلك للطف قوى الطبائع التام وغير ذلك مما قاله الناس ومقادير كل من درج الفلك موجود في كتب من تاخر من علماء المنجمين والفلكيين كأبي معشر البلخي والخوارزمي ومحمد بن كثير الفرغاني وما شاء الله وحسن والمزيدي ومحمد ابن جابر البتاني في زيجه الكبير وثابت بن قرة وغيرهؤلاء ممن تكلم في علوم هيآت الفلك والنجوم (قال المسعودي)

فاما منارة الاسكندرية فذهب الاكثر من المصريين والاسكندرانيين ممن عني باخبار بلدهم الى أن الاسكندر بن

لون خد الحبيب حين كسوه * حلة الحسن بالعيون اللوامح
شفق سال بين عينيه صبح * حسنه قيد اللحاظ السوارح
لم أجد فيه من جناح ولكن ثنائى عليك مازال جانح
لك يا ابن الحسين ذكر جميل * صير الكل نحو بابك جانح
قد هدى نحوك الثناء كما يهدى إلى الروض باسمات النوافح
فاعذر الناس ان أتوا لك أفوا * جا فكل بقصد فضلك رابح
ما هدتهم اليك الا الامانى * لم تخلهم الا عليك القرائح
قل لذى المفخر الحديث تأخر * ليس مهر فى شأوه مثل قارح
أى أصل وأى فرع أقاما * شرفا طال للنجوم يناطح
قد حوت مذ جمن الفخر لما * كنت منها ما ليس يحويه شارح
أفق مجد قد زانه منك بدر * فى ظلام الخطوب مازال لائح
بدر تم حفت به هالة من * بيت مجد علا وها الدهر واضح
يا سماكا أعملكه القلم الاعلى بدا بين أنجم الملك رامح
رفع الله للكتابة قدرا * بعد ما كابدت توالى الفضائح
يا أعز الانام نفسا وأعلا * همم حلا لا زال أمرك راجح
أين أعداؤك الذين رعى سيفك فيهم فاشبهوا قوم صالح
أفسد الدهر حالهم ليرى حا * لك رغما عن يناويك طائح
دمت فى عزة وسعد مدى الدهـر ولا زال طائر منك سانح

وابن عمه المذكور قال فى حقه فى المغرب ما ملخصه انه الرئيس الاعلى ذو الفضائل الجمة أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبى الحسين سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف بن سعيد قال واجتماع نسبنا مع هذا الرئيس فى سعيد بن خلف وهو الآن قد اشتمل عليه ملك افريقية اشتمال المقلة على انسانها وقدمه فى مهماته تقديم الصعدة لسنانها وأقام لنفسه مدينة حذاء حضرة تونس واعتزل فيها بعسكر الاندلس الذين صيرهم الملك المنصور الى نظره وهو كما قال الفتح صاحب القلائد فقد جاء آخرهم مجدد مفاخرهم ومن نظمه وقد نزل على من قدم له مشروبا أسود اللون غليظا وخروبا وزبيبا أسود زبيبا كثير الغصون جاءت به عجوز فى طبق

ويوم نزلنا بعبد العزيز * فلا قدس الله عبد العزيز
سقانا شرابا كلون الهناء * ونقلنا بقرون العنوز
وجاءت عجوز فأهدت لنا * زبيبا كخيلان خد العجوز انتهى

ونزل السلطان أبو يحيى فى بعض حركاته لموضع فيه نهر وعلى شطه نور فقال الرئيس أبو عبد الله بن الحسين يصفه أو أمر بذلك

ونهر يرف الزهر فى جنباته * ويثنى النسيم قضبه ويقنطر
يسيل كأعن الصباح بأفقه * والاكماشيم الحسام المجوهر

هى التى بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلادهم ومنهم من رأى أن العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها وقد قدمنا ذكر هذا الملك فيما سلف من هذا الكتاب ومنهم من رأى أن الذى بنى مدينة رومية هو الذى بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وانما أضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته بالاستيلاء على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك أخبارا كثيرة يدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه فى هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه فى بلده ويغزوه فى داره فيكون هو الذى جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره فيها تمثال قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك واذا علت فى الفلك فاصبعه مشيرة نحوها فاذا انخفضت

انخفضت يده سفلا يدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا صار العدو منه على عليه

عليه لجين قبة هل سمعتم * بترصيعه شمس حل فيها غضنفر
فان قلت هذى قبة لعفاتها * فقل ذلك الوادى الذى سال كوثر

وقال أبو عمرو أحمد بن مالك بن سعيد المرى اللخمى الشاتبى فى ذلك

وأرض من الحصباء بيضاء قد جرت * جداول ماء دونها تتفجر
كما سبحت تبغى الحياة أراقم * على روضة فيها الأقاح المنور
والا كما شقت سبائك فضة * بساطا على حافاته الدر ينثر

وقال أبو على يونس

انظر الى منظر يسبيك منظره * ويزدهيك باذن الله مخبره
ومعجب معجب لاشئ يشبهه * خريرماء غدير تم منهره
كانما فرشت بالدر صفحته * فالماء ينظمه طورا وينثره
كأن حليانه قدت على قدر * بمائها قسم يجرى مفجره
أحل سيدنا المأمون قبته * بجوزه فغدا يزدان جعفره

*(رجع) الى ما كنا فيه من أخبار الرئيس بن الحسين فنقول رأيت بالمغرب آخر كتاب روح السحر من نسخة ملوكية كتبت له أبياتا علق بحفظى منها الآن ما نصه

تم روح السحر نسجا فأتى * مخجلا باليمن والفخر البعيد
لأبى عبد الاله المرتضى * فى ذرا المجد الرئيس بن سعيد

ولم أحفظ تمام الأبيات وقال أبو الحسين على بن سعيد كتبت اليه من أبيات بحضرة تونس وقد نقل اليه بعض الحساد ما أوجب تغيره

ومن بعد هذا قد أتيت بزلة * أما حسن أن لاتضيق به صدرا
وعلمك حسبى بالامور فانني * عهدتك تدرى سر أمرى والجهرا
وقد أصلح الله الامور بسعيكم * ونيتكم صلحا على البشر والبشرى
ولم يبق لى الا رضاك فان به * كتبت ولوجرا أطبت به العمرا
فبقيت كهفا للعميم وموئلا * ولازلت مادام الزمان لنا سترا

فكتب الى هذه الابيات وكان متمرضا وبعث الى بما يذكر

أكف الصبا جاءتك جنى زهر الربا * سؤالك عن مضنى يسامى بك الزهرا
بعثت بمثل الزهر فى مثل صفحة * لذلك ما قلدتها الشذر والدرا
معان لها أعنو وأعنى بها فكم * وقفت عليها العين والسمع والفكرا
فلو عرضت للبحر لم يلفظ الدرا * ولو عارضت هاروت لم ينفث السحرا
أبا حسن هنيت ما قد منحته * ضروبا من الآداب تحلى بها الدهرا
ودونك بحرا من ودادى تلاطمت * به زاخرات المد لا يعرف الجزرا
فان خطرت فى جانب منك هفوة * فلا تحسبن أنى أضيق بها صدرا
بذل جواد عند ما يبلغ المدى * ويعثر بالرمث النسيم اذا سرى
فدع ذا وخذها ثابتات قرونها * عروبا العروبا جاء ترحكمها بكرا

نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من ميلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم ويرمقونه بأبصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل والنهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت فى الساعة التى قبلها وصوته مطرب وقد كان ملك الروم فى مدة الوليد بن عبد الملك بن مروان أنفذ خادما من خواص خدمه ذا رأى ودهاء وجاء مستأمنا الى بعض الثغور وورد بآلة حسنة ومعه جماعة فجاء الى الوليد فأخبره أنه من خواص الملك وأنه اراد قتله لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل وانه استوحش منه ورغب فى الاسلام فأسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه ونصح اليه فى دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفائن فلما رأى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا أموالا وجواهر ودفائن للملوك فسأله الوليد عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية أموال الارض وذلك أن الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التى كانت لشداد بن عاد وملوك العرب بمصر والشام

ولو عادرت أوصافها متردما * لشنفت من أشعارها اذن الشعرا

ألا فاحبها عن صدي بني معمم * فان قصاري العمر أن يبكي العمرا

ومن كان ذاحر وسل ورقة * فلا يخلون الاعلى الحمرة الحمرا

قرنت بها صفراء لم يعرف الهوى * ولا الفت وصلا ولا عرفت هجرا

ولا ضمخت نضخ العبير وان غدت * توخره لونا وتفضحه نشرا

فان حلتها بنت الظليم أظلها * فقد فرش الاذخر من تحتها تبرا

لها نسب بين الثريا أو الثرى * وسل برباها المزن والغصن النضرا

فشربادها فاوانتشا فاولا ترم * عن البيت فنرا أو تقيم به شهرا

وله في الخشكلان

هوا لاهلة لكن * تدعونه خشكلانا

فان تفاءلت صحف * تجد حبيبك لانا

انتهى باختصار

وحظي المذكور جدا عند السلطان ملك افريقية أبي زكريا يحيي بن عبد الواحد بن أبي حفص ولما مات السلطان المذكور وحدثت فتنة بموته واختلاف ثم استقرت الدولة لابنه الشهير الكبير القدر أبي عبد الله المستنصر ممدوح حازم بالمقصورة وقاتل ابن الابار القضاعي سخط على الرئيس بن الحسين المذكور وقبض على دياره وأمواله وصيره كالمحبوس فكتب اليه رقعة يطلب الاجتماع به في مصلحة للدولة فأحضره وسأله فأخبره بان أباه صنع دارا عظيمة تحت الارض وأودع فيها من أنواع المال والسلاح ما جعله عدة وذخيرة لسلطانه ولم يترك على وجه الارض من له علم بهذا الموضع الذي أودعه نفائس أموال غيري وأوصاني أنه اذا انتقل الى جوار ربه اذ توقع أن تقع فتنة بين أقاربه انه اذا انقضت سنة واستقر الامر لاحد من ولدي أو من يتيقن انه يصلح لامور المسلمين فاطلعه على هذه الذخائر بما فنيت الاموال بالفتنة فلا يجد القائم بالامر ما يصلح به الدولة اذا تفرغ للتدبير والسياسة ففرح السلطان وبادر الى تلك الدار فرأى ماملأ عينيه وسر قلبه وخرج الرئيس بن الحسين والخيل تجنب أمامه وبدر الاموال بين يديه وأعاده الى أحسن أحواله وجعله وزير الديه كما كان أبوه مفوضا أموره اليه وقال السلطان ان من أوجب شكر الله على ان افتح المال بان أؤدي منه للرعية الذين نهبت دورهم واحترقت في الفتنة التي كانت بيني وبين أقاربي ما خسروه وأمر بالنداء فيهم وأحضرهم وكل من حلف على شئ قبضه وانصرف وكان السلطان المستنصر المذكور في بعض متصيداته فكتب لابي عبد الله الرئيس المذكور يامره باحضار الاجناد لاخذ أرزاقهم بقوله

ليحضر كل ليث ذي نزال * زكا فرعا لاسداء النوال

غدا يوم الخميس فاشغلنا * باسد الوحش عن أسد الرجال

وحكي ان السلطان المذكور عرض مرة أجناده وقيل بل سلم عليه الموحدون يوم عيد بتونس وفيهم شاب وسيم اسم جده النعمان فسأله السلطان عن اسمه وأعجبه حسنه فخجل واحمر وجهه وازداد حسنا فقال السلطان هذا المصراع * كأنه فكملت صفحة خده * وسأل

من

دفن بها واحتفر تحت الارض ونقص

لها الاقباء والقناطر والسراديب وأودعها تلك الذخائر من العين والورق والجواهر ونحو ذلك هذه المنارة وكان طولها في الهواء ألف ذراع والمرآة تعلى علوها والسبادنة جلوس حولها فاذا انتشروا الى العدو في البحر في ضوء تلك المرآة صوتوا بمن قرب منهم وصعوا ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم فيحذر الناس وينذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش وأناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من أعلاها وأزالت المرآة فضج الناس من أهل الاسكندرية وغيرها وعلموا انها مكيدة وحيلة في أمرها ولما علم الخادم استفاضة ذلك وأنه سينمي الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب في الليل في مركب كان قد أعده وواطأ قوما على ذلك من أمره فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان حوالي منارة الاسكندرية في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجواهر تتخذ منه فصوص للخواتم أنواعا من الجواهر منه الكركهن والادرك واشباه ذلك ويقال ان ذلك من الآلات التي كان اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها

من الحاضرين الاجازة فلم يأتوا بشئ فقال السلطان مجيزا شطره

* فتنة تحت فيها شقا أتى جده * وهذا من البديع مع ما فيه من التورية والتجنيس ومما نسبه له أبو حيان بسنده اليه

مالى عليك سوى الدموع معين * ان كنت تغدر فى الهوى وتخون
من منجدى غير الدموع وانها * لمغيثة مهما استغاث حزين
الله يعلم أن ما حملتنى * صعب ولكن فى رضاك يهون

وكان للسلطان المذكور سعد بصر به المثل حتى انه كتب له السلطان صاحب مكة البيعة من انشاء ابن سبعين المتصوف كما ذكر ذلك ابن خلدون فى تاريخه الكبير ومن غرائبه وهى من الغرائب ومن سعده أن الفرنسيس الذى كان أسر بمصر وجعل فى دار ابن لقمان والطواشى صبيح يحرسه لما سرح جاء من أمم النصرانية لبلاد المسلمين بعالم يجتمع قط مثله حتى قيل انهم كانوا ألف ألف فكتب اليه أهل مصر من نظم ابن مطروح القصيدة المشهورة التى منها

قل للفرنسيس اذا جئته * مقالة من ذى لسان فصيح

الى أن قال

دار ابن لقمان على حالها * ومصر مصر والطواشى صبيح

والقصيدة مشهورة فلذلك لم أسردها فصرف الفرنسيس جيوشه الى تونس فكتب اليه بعض أدباء دولة المستنصر

افرنسيس تونس أخت مصر * فتأهب لما اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

فقضى الله سبحانه وتعالى انه مات فى حركته لتونس وغنم المستنصر غنيمة ما سمع بمثلها قط ويقال انه دس اليه سيفا مسموما من سله أثر فيه سمه وقلده رسولا اليه بعد أن جعل عليه من الجواهر النفيسة ما لم ير مثله عند غيره وقال للرسول ان الفرنسيس رجل كثير الطمع ولولا ذلك ما عاود بلاد المسلمين بعد أسره وانه سيرى السيف ويكثر النظر اليه فاذا رأيته فعل ذلك فانزعه من عنقك وقبله وقل له هذا هدية منى اليك لانا من آدابنا مع ملوكنا أن كل ما وقع نظر الملك عليه وعاود النظر اليه بالقصد فلابد أن يكون له ويحرم علينا أن نمسكه لان ما أحبه المولى على العبيد حرام وتكرار النظر اليه دليل على حبه له ففرح النصرانى بذلك وأسرع الرسول العود الى سلطانه فسل النصرانى السيف فتمكن فيه السم بالنظر فمات فى الحين وفرج الله تعالى عن المسلمين *(رجع) الى أخبار أبى الحسن على بن سعيد قال ابن العديم فى تاريخ حلب أنشدنى شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشى بالقاهرة فى أبى الحسن على بن موسى بن سعيد الغرناطى يشير الى كتاب أبى الحسن الذى جمعه فى محاسن المغرب وسماه المغرب

سعد الغرب وازدهى الشرق عجبا * وابتهاجا بمغرب ابن سعيد
طلعت شمسه من الغرب تجلى * فأقامت قيامة التقييد

أمه ورمت بها فى تلك المواضع من البحر ومنهم من رأى ان الاسكندر الى ذلك النوع من الجوهر وغرقه حول المنارة لكيلا تخلو من الناس حولها لان من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا فى كل عصر فى معدنه برا كان أو بحرا فيكون الموضع على دوام الاوقات بالناس معمورا والاكثر مما يستخرج من الجوهر حول منارة الاسكندرية الاشياد جشم وقد رأيت كثيرا من أصحاب التلويحات يعنى بأعمال الجواهر المشبهة بالمعدنية يعمل هذه الجواهر المعروفة بالاشباد جشم وتتخذ منه الفصوص وغيرها وكذلك الفصوص المعروفة بالباقلمون هى ترى ألوانا مختلفة من حمرة وصفرة تتلون فى المنظر ألوانا مختلفة على حسب ما قدمنا والتلون من ذلك على حسب الجوهر فى صفائه واختلاف نظر البصر فى ادراكه وتلون هذا النوع من الجوهر راعنى الباقلمون نحو تلون ريش صدور الطواويس فانها تتلون ألوانا مختلفة اذنابها وأجنحتها أعنى الذكور دون الاناث وقد رأيت منها بارض الهند ألوانا تظهر بحس البصر عند تأملها لا تدرك ولا تحصى ولا تشبه بلون من الالوان لما يتراءى من تموج الالوان فى ريشها ويتأتى ذلك منها لعظم خلقتها وكبر أجسامها وسعة

ريشها الان للطواويس بارض الهند شانا عجيبا والذى يحمل منها الى أرض الاسلام ويخرج عن أرض

لم يدع للمؤرخين مقالا * لولا للرواة بيت نشيد
ان تلاه على الحمام تغنت * ماعلى ذا فى حسنه من مزيد

وأنشد أبو العباس التيفاشي لنفسه فيه

ياطيب الاصل والفرع الزكى كما * يبدو جنى ثمر من أطيب الشجر
ومن خلائقه مثل النسيم اذا * يهفو على الزهر حول النهر فى السحر
ومن محياه والله الشهيد اذا * يبدو الى بصرى أبهى من القمر
أثقلت ظهرى ببر لا أقوم به * لو كنت أتلوه قرآنا مع السور
أهديت للغرب مجموعا بعالمه * فى قاب قوسين بين السمع والبصر
كأننى الآن قد شاهدت أجمعه * بكل من فيه من بدو ومن حضر
نعم ولاقيت أهل الفضل كلهم * فى مدتى هذه والاعصر الاخر
ان كنت لم أرهم فى الصدر من عمرى * فقد رددت على الصدر من عمرى
وكنت لى واحدا فيهم جميعهم * ما يعجز الله جمع الخلق فى بشر
جزيت أفضل ما يجزى به بشر * مفيد عمر جديد الفضل مبتكر انتهى

ومن نظم أبى الحسن بن سعيد قوله

وعشية بانت بنا أيدى النوى * منها محاسن جامعات للنخب
لحدائق ما بينهن جداول * وبلابل فوق الغصون لها طرب
والنخل أمثال العرائس لبسها * خز وحليتها قلائد من ذهب

ومن نظمه رحمه الله تعالى فى حلب قوله

حادى العيس كم تنيخ المطايا * سق فروحى من بعدهم فى سياق
حلب انها مقر غرامى * ومرامى وقبلة الاشواق
لا خلا جوسق وبطياس والسعـ * ـدى منها من كل وابل غيداق
كم بها مرتع لطرف وقلب * فيه يسقى المنى بكاس دهاق
وتغنى طيوره لارتياح * وتثنى غصونه للعناق
وعلو الشهباء حيث استدارت * أنجم الافق حولها كالنطاق

وقوله أيضا فى حماة

حمى الله من شطى حماة مناظرا * وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أو تميل خمائل * وتزهى مبان تمنع الواصف الوصفا
يلومون أن أعصى التصون والنهى * بها وأطيع الكاس واللهو والقصفا
اذا كان فيها النهر عاص فكيف لا * أحاكيه عصيانا وأشربها صرفا
وأشدو لدى تلك النواعير شدوها * وأغلبها رقصا وأشبهها عرفا
تئن وتذرى دمعها فكأنها * تهيم بمرآها وتسألها العطفا

وقوله فى وداع ابن عمه وكتب بهما اليه

وداع كما ودعت فصل ربيع * يفض ضلوعى أو يفيض دموعى

الهند فيبيض ويفرخ تكون صغيرة الاجسام كدرة الالوان لا تخطف أنوار الابصار بادراكها وانما تشبه بالهندية بالشبه اليسير هذا فى الذكور منها دون الاناث وذلك نحو النارنج والاترج المدور حمل من أرض الهند الى أرض غيرها بعد الثلثمائة فزرع بعمان ثم نقل الى البصرة والعراق والشام حتى كثر فى دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وانطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الروائح الخمرية الطيبة واللون الحسن الذى يوجد فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصية البلد ويقال ان هذه المنارة انما جعلت المرآة فى أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر على الاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد فى البحر من عدوهم الان من يدخلها يتيه فيها الا ان يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها وقد ذكر ان المغاربة حين وافوا

لئن

لئن قيل في بعض يفارق بعضه * فاني قد فارقت منك جميعي
قال فارسل الى احسانا واشتد ولسان الحال ينشد معه
أحبك في البتول وفي أبيها * ولكني أحبك من بعيد
وقوله وقد أفلت المركب الذي كان فيه من العدو
انظر الى مركبنا منقذا * من العدا من بعد احراز
أفلت منهم جعفدا طائرا * كطائر أفلت من بازي
وقال رحمه الله تعالى لما خرج من حدود دار رقية
ربى في حاجر واجدود مواطن * سحبنا بها الايام طلقا عنانها
وما ان تركناها لجهل بقدرها * ولكن نبت عنا أعنة سعاتها
صبرنا تحت السير عنها لغيرها * الى أن يعين الله يوما بلقياها

وكان وصوله الاسكندرية في السابع والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وثلاثين وسبعمائة
*وقال رحمه الله تعالى أخذت مع والدي يوما في اختلاف مذاهب الناس وانهم لا يسلمون
لاحد في اختياره فقال متى أردت أن يسلم لك أحد في هذا التأليف أعني المغرب ولا يعترض
أتعبت نفسك باطلا وطلبت غاية لا تدرك وأنا أضرب لك مثلا يحكى ان رجلا من عقلاء
الناس كان له ولد فقال له يوما يا أبي ما للناس ينتقدون عليك أشياء وأنت عاقل ولو سعيت
في مجانبتها سلمت من نقدهم فقال يا بني انك غر لم تجرب الامور وان رضا الناس غاية
لا تدرك وأنا أوقفك على حقيقة ذلك وكان عنده حمار فقال له اركب هذا الحمار وأنا
أتبعك ماشيا فبينما هو كذلك اذ قال رجل انظر ما أقل هذا الغلام بادب يركب ويمشي ابوه
وانظر ما أشد تخلف والده لكونه يتركه لهذا فقال له انزل أركب انا وامش أنت خلفي فقال
شخص آخر انظر هذا الشخص ما أقل شفقته ركب وترك ابنه يمشي فقال له اركب معي فقال
شخص أشقاهما الله تعالى انظر كيف ركبا على الحمار وكان في واحد منهما كفاية فقال له
انزل بنا وقدناه وليس عليه راكب فقال شخص لا خفف الله تعالى عنهما انظر كيف
تركا الحمار فارغا وجعلا يمشيان خلفه فقال يا بني سمعت كلامهم وعلمت ان احدا لا يسلم
من اعتراض الناس على اي حالة كان اعتراضهم انتهى وقال في اثناء خطبة المغرب
ما نصه والحمد لله الذي جعل الادب افضل ما اكتسب وافضل ما انتخب اذ هو ذخر
لا يخاف كساده وكنز لا يخشى انتقاصه وان كثر نفاده ولله در القائل

رأيت جميع الكسب يفقده الفتى * ويبقى له اخلاقه والتأدب
اذا حل في ارض اقام لنفسه * بآدابه قدرا به يتكسب
واومأ كل نحوه ولعله * الى غير اهل للنباهة ينسب

وقال في اثناء الكلام لبعض المغاربة

فأثبت في كل المواطن همة * الى طلب العلم الذي كان مطرح
وصيرت من قد كان بالنظم جاهلا * يحاوله ثم يجود لك المدح

وقال ايضا في الخطبة وبعد فهذا كتاب راحة قد تعبت في جمعه الاسماع والابصار

الى المبارة تاهوا فيها وفي ا
طرق تؤدي الى مهاو
تهوى الى السرطان الزجاج
وفيها مخارق الى البحر
فتهوروا وابادوا بهم ومعهد
منهم عدد كثير وعليهم بعد
ذلك وقيل ان تهورهم
كان في كرسي بها قد ابها
وبها ... في هذا الوقت
برابط ... في الصيف
منوعة للمصريين وغيرهم
وللبلاد مصر والاسكندرية
و بلاد الاندلس ورومية
وما في الشرق واليمن
والمغرب أخبار كثيرة في
عجائب البلدان والابنية
والآثار وخواص البقاع
وما يؤثر في ساكنيها
وقطانها أعرضنا عن
ذكرها اذ كنا قد أتينا
على الاخبار عنها فيما سلف
من كتبنا من عجائب
العالم من دوابه وبره وبحره
فاغنى ذلك عن اعادة
ذكره ولم نتعرض فيما
سلف من هذا الكتاب
لذكر بيوت النيران
والهياكل المعظمة والبيوت
المشرفة وغير ذلك مما
لم يعفها بل نذكرها في
الموضع المستحق بها من
هذا الكتاب ان شاء الله
تعالى

*ذكر السودان وأنسابهم
واختلاف أجناسهم
وأنواعهم وتباينهم في ديارهم وأخبار ملوكهم)*(قال المسعودي) لما تفرق ولد نوح في الارض سار

والأمير المذكور وكل منهم يذيل على ما ألف الآخر إلى أن كمل القصد وابتدئ فيه من سنة ثلاثين وخمسمائة ومنها إلى غرة سنة احدى واربعين وستمائة قال واول من كان السبب في ابتداء هذا الكتاب جد والدي عبد الملك بن سعيد وهو والد صاحب قلعة بني سعيد تحت طاعة علي بن يوسف بن تاشفين امير المسلمين ملك البربر الى أن استبد بها سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وقصده في سنة ثلاثين وخمسمائة حافظ الاندلس أبو محمد عبد الله بن ابراهيم بن الحجاري وصنف له كتاب المسهب في غرائب المغرب في نحو ستة أسفار وابتدأ فيه من فتح الاندلس الى التاريخ الذي ابتدأه فيه وهو سنة ثلاثين وخمسمائة ثم ثار في خاطر عبد الملك أن يضيف اليه ما أغفله الحجاري وان لم يقع اليه وينبه ابناه أبو جعفر ومحمد وأضافا اليه ما تجدد ولم يزل يزيد الى أن انتهت النوبة الي فأنهيته الى أن مات ثم استبد به والدي وكان علمهم بهذا الشأن واتقن اجتهاده في هذا الكتاب الى اذ كره يوما وقد نوه به ابن هود وهو ملك الاندلس وولاه الجزيرة الخضراء اذ أعلمه شخص ان عند أحد المستوطنين الى مدينة مالقة كراريس من شعر شعرائها وأخبار رؤسائها الذين تجري عليهم دولة بني عبد المؤمن فارسل اليه راغبا الى استعارتها فأبى وقال علي يمين أن لا تخرج عن منزلي وقال ان كانت له حاجة أتى الي برأسه وكان جاهلا فلما سمع والدي ضحك وقال لي سر معي اليه فقلت له ومن يكون هذا حتى تمشي له على هذه الصورة فقال اني لا أمشي له ولكن أمشي للفضلاء الذين ضمنت الكراريس أشعارهم وأخبارهم أتراهم لو كانوا أحياء مجتمعين في موضع أفما كنت أمشي اليهم فقلت لا قال فان الاثر ينوب عن العين فمشينا الى منزل الرجل فوالله ما أنصفنا في اللقاء فلما حضرنا منها العرض صرفها اليه الذي وشكره وقال هذه فائدة لم أجدها عند غيرك فجزاك الله تعالى خيرا ثم انفصل وقال المعلم يا بني اني سررت بهذه الفائدة أكثر من الولاية وان هذا والله أول السعادة وعنوان نجاحها والقلعة التي كان بها بنو سعيد يعرف بهم فيقال لها قلعة بني سعيد وكانت تعرف قبل بقلعة استلير وهو عين لها وقال الملاحي في تاريخه انها تعرف بقلعة يحصب قبيل من اليمن نزل بها عند فتح الاندلس وبها كان مصنف الحجاري كتاب المسهب اذ امتدح عبد الملك بن سعيد وفي بني سعيد يقول الحجاري

قوم لهم في فخرهم ＊ شرف الحديث مع القديم
ورثوا الندى والبأس والعليا كريما عن كريم
من كل وضاح به ＊ يجلى دجى الليل البهيم

وكان اول من دخل الاندلس من ولد عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن سعيد بن عمار وقد ذكره ابن حيان في مقتبسه واخبر ان يوسف بن عبد الرحمن الفهري صاحب الاندلس آخر دولة بني امية بالمشرق كتب الله ان يدافع عبد الرحمن بن معاوية المرواني الداخل للاندلس وكان اذ ذاك امير اهل اليمانية من جند دمشق واعتمد اركن اليه في محاربة عبد الرحمن لما بين بني عمار وبني امية من الثار بسبب قتل عمار بصفين على يد عسكر معاوية رضي الله تعالى عنه وكان عمار من شيعة علي رضي الله تعالى عنهما وقال الحجاري ينشدني بكر بن محمد بن سعيد صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثمين لنفسه فيما يليق بجنسه

ولد كوش بن كنعان بنحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثم افترقوا فسارت منهم طائفة ميمنة بين المشرق والمغرب وهم النوبة والحبشة والزنج وسار فريق منهم نحو المغرب وهم أنواع كثيرة نحو الزغاوة والكانم ومكة وكوكو والتكرور وغانة وغير ذلك من أنواع الأحابش والسودان ثم افترق الذين قصدوا بين المشرق والمغرب فصارت الزنج من ابن الأكبر والبجاة والنوبة وغيرهم من أنواع الزنج وقد قدمنا فيما سلف عند ذكر البحر الحبشي والخليج البربري وما عليه من أنواع السودان واتصال مساكن ديارهم الى بلاد الدهلك وارض الزيلع وناصع وهؤلاء القوم هم أصحاب جلود النمور والنمير وهي لباسهم ومن أرضهم تحمل الى بلاد الاسلام وهي أكبر ما يكون من جلود النمور وأحسنها للسروج وبحر الزنج والأحابش هو دون بين بحر الهند وان كانت مياههما متصلة ومن أرضهم تحمل الذبل من ظهور السلاحف وهو الذي تتخذ منه الأمشاط كالقرون وأكثر ما تكون الدابة المعروفة بالزرافة في أرضهم وان كانت عامة توجد في أرض النوبة دون سائر بلاد الأحابش وقد تنوزع في بدء هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة فمنهم من رأى أن بدء

ان

ان لم اكن للعلاء أهلا * بما تراه فمن يكون
وكل ما أبتغيه دوني * ولي على همتي ديون
ومن يرم ما يقل عنه * بذاك من فعله جنون
فرع بأفق السماء سام * وأصله راسخ مكين

ومن نظمه قوله أيضا

الله يعلم لي * أحب كسب المعالي
وانما أتوانى * عنها لسوء المآل
تحتاج للكد والبذ * ل واستفاف الرجال
دع كل من شاء يمرح * فما بكل احتيال
حالهم بانعكاس * فيها وحالي حالي

ولما ذكر ابن سعيد في المغرب ترجمة الكاتب الرئيس المجيد أبي العباس أحمد الغساني كاتب ملك افريقية قال بماذا أصفه ولو أن النجوم تصير لي نثرا لما كملت أنصفه وكفاك أني اختبرت الفضلاء من البحر المحيط الى حضرة القاهرة فما رأيت أحسن ولا أفضل عشرة منه ولما فارقته لم أشعر الا برسالته قد وافتني بالاسكندرية من تونس وفيها قصيدة فريدة منها

ايه أبا الحسن استمع شدوي فقد * يصغي الحمام اذا الحمام ترنما

ثم سرد بعضا من القصيدة وستأتي قريبا ان شاء الله تعالى بزيادة على ما ذكر منها في المغرب *(رجع) وجد بخطه رحمه الله تعالى آخر الجزء من كتاب المغرب ما نصه أجزت الشيخ القاضي الاجل أبا الفضل أحمد ابن الشيخ القاضي أبي يعقوب التيفاشي أن يروي عني مصنفي هذا وهو المغرب في محاسن المغرب ويرويه من شاء تنفقه فهمه واستنامة الى علمه وكذلك أجزت لفتاه النبيه جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن حطلج الفارسي الارموي أن يرويه عني ويرويه من شاء وكتبه مصنفه علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد في تاريخ الفراغ من نسخ هذا السفر انتهى وقال في وسيم من أبناء العجم صحبه في الطريق من حلب الى بغداد وقد مات وكان ظريفا أديبا

لهفي على غصن ذوى * أوقدته لما استوى
ريان من ماء الصبا * ومن المدامع ما ارتوى
لا تعذلوني ان طفقت الدهر فيه عن الهوى
لم ضل صاحبه بغير اللحظ منه ولم غوى
أنا لا أفيق الدهر فيه من الصبابة والجوى
ان الهوى حيا وميتا لا يزال به سوى
كم قد نويت به النعيم فقدر الله النوى
دار السلام حويت من * كل المحاسن قد حوى
مجموع حسن قد توى * في جنة وبها ثوى

وولد ابو الحسن علي بن موسى بن محمد يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان عام

نتاجها من الابل ومنهم من رأى أن ذلك كان يجمع بين الابل والزرافة وأن النمور ظهرت من ذلك ومنهم من زعم أنه نوع من الحيوان قائم بذاته كقيام الخيل والحمير والبقر وأن الناس يلدونها كتبديل البغل المولد من الخيل والحمير وقد كانت الزرافة بالفارسية اشتراكا وقد كانت تهدى الى ملوكهم من أرض النوبة كما تحمل الى ملوك العرب ومن مضى من خلفاء بني العباس وولاة مصر وهي دابة طويلة اليدين والرقبة قصيرة الرجلين لا ركبتين لرجليها وانما الركبتان ليديها وقد ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان عند ذكر الزرافة كلاما كثيرا في نتاجها وأن في أعالي بلاد النوبة تجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القيظ الى شرائع المياه فتتسافد هنالك فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فيجيء من ذلك خلق كثير مختلفة في الصور والاشكال منها الزرافة ذات الاظلاف وهي دابة منحنية الى خلفها منصوبة الظهر الى مؤخرها وذلك لقصر رجليها وللناس في الزرافة كلام كثير على حسب ما قدمنا في بدء نتاجها وان النمور ببلاد النوبة عظيمة الخلق وأن الابل صغيرة الخلق قصيرة القوائم وان ذلك لاتساع أرحام النلاص العربية لحوائج الزمان

عشرة وستمائة وهو على بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد ابن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه وقال في المغرب لما عرف بوالده الكاتب الشهير أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد ما ملخصه لولا أنه والدي لأطنبت في ذكره ووفيته من الوصف حق قدره لكن كفاه وصفا ما أثبت له في هذه الترجمة وما مر له ويمر في أثناء هذا الكتاب وكون كل من اشتغل بهذا التأليف نهرا وهو بحر واشتهاره في حفظ التاريخ والاعتناء بالآداب في بلاده بحيث لا يحتاج الى تنبيه ولا اطناب وله من النظم والنثر ما تضيع الاقلام من كثرته ويستمد القطر من درته ومما شاهدت من عجائبه أنه عاش سبعا وستين سنة ولم أره يوما تخلى عن مطالعة كتاب أو كتب ما يخلده حتى ان أيام الاعياد لا يخليها من ذلك ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب فقلت له يا سيدي أفي هذا اليوم لا تستريح فنظر الي كالمغضب وقال أظنك لا تفلح أبدا أترى الراحة في غير هذا والله لا أحسب راحة تبلغ مبلغها ولوددت ان الله تعالى يضاعف عمري حتى أتم كتاب المغرب على غرضي قال فأثار ذلك في خاطري أن صرت مثله لا ألتذ بنعيم غيره ألتذ به من هذا الشأن ولولا ذلك ما بلغ هذا التأليف الى ما تراه وكان أولع الناس بالتجول في البلدان ومشاهدة الفضلاء واستفادة ما يرى وما يسمع وفي تولعه بالتقييد والمطالعة للكتب يقول

يا مفنيا عمره في الكاس والوتر ❊ وراعيا في الدجى للانجم الزهر
يبكي حبيبا جفاه أو ينادم من ❊ يهفو لديه كغصن باسم الزهر
منعما بين لذات يحققها ❊ ولا يخلد من خبر ولا سير
وعاذلا لي فيما ظلت أكتبه ❊ يبدي التعجب من صبري ومن فكري
تقول ما لك قد أفنيت عمرك في ❊ حبر وطرس عن الاغصان والحبر
وظلت تسهر طول الليل في تعب ❊ ولا تني أمد الايام في ضجر
أقصر فاني أدري بالذي طمحت ❊ لافقه همتي واسأل عن الاثر
واسمع لقول الذي تبلى محاسنه ❊ من بعد ما صار مثل الترب كالسور
جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم ❊ بعد الممات جمال الكتب والسير

انتهى

وولد أبو عمران موسى بن محمد في الخامس من رجب عام ثلاثة وسبعين وخمسمائة وتوفي بثغر الاسكندرية يوم الاثنين الثامن من شوال عام أربعين وستمائة وولد أبوه محمد بن عبد الملك صاحب أعمال غرناطة وأعمال اشبيلية عام أربعة عشر وخمسمائة وتوفي بشعبان عام تسعة وثمانين وخمسمائة بغرناطة وكان محمد بن عبد الملك وزيرا جليلا بعيد الصيت عالي الذكر رفيع الهمة كثير الاموال وذكره ابن صاحب الصلات في كتابه تاريخ الموحدين ونبه على مكانته منهم في الحظوة والاخذ في أمور الناس وأثنى عليه وذكره السهيلي في شرح السيرة الشريفة حيث ذكر الكتاب الموجه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وان محمد بن عبد الملك عاينه عند أذفونش مكرما مفتخرا به والقصة مشهورة ومدحه الرصافي بقصيدة أولها

هذا النوع من الابل بين نواتج الابل وهي ذات السنامين وبين قلاص الابل وهي النوق العربية وكنتاج البخت بين الحماوة والمهرية وللزرافة أخبار كثيرة قد ذكر ذلك صاحب المنطق في كتابه الكبير ومنافع أعضائها وغير ذلك من أعضاء سائر الحيوان وقد أتينا على جميع ما يحتاج اليه من ذلك في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب والزرافة عجيبة الفعل في الفها وترددها الى أهلها وهي كالفيلة مهاوحشية ومهاستانسة أهلية مع من قدمنا ذكره من الزنوج والاجناس من الحبشة الذين صب رواضع من النيل ولحقوا بساحل البحر الحبشي وقطعت الزنج دون سائر الاحابش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصب الى بحر الزنج فسكنت الزنج في ذلك الصقع واتصلت مساكنهم الى بلاد سفالة وهي أقاصي بلاد الزنج واليه يقصد مراكب العمانيين والسيرافيين وهي غاية مقاصدهم في بحر الزنج كما أن أقاصي بحر الصين متصل ببلاد السيلي وقد تقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب وكذلك أقاصي بحر الزنج هو بلاد سفالة وأقاصيه بلاد

ذهنا

دهنا يفيض وخاطرا متوقدا * ماذا عسى شئ على علم الهدى

ولما أنشده قصيدته فيه التي أولها

لجلالك الترفيع والتعظيم * ولوجهك التقديس والتكريم

حلف لا سمعها وقال على اجازتك ولكن طباعي لا تحمل مثل هذا فقال له الرصافي ومن ذلك يستحق هذا في الوقت غيرك فقال له دعني من خداعك أنا وما أعلمه من قلبي وأنشده في الطالع السعيد

فلا تظهرن ما كان في الصدر كامنا * ولا تركبن بالغيظ في مركب وعر

ولا تبحثن في عذر من جاء تائبا * فليس كريما من يباحث في العذر

وولي للموحدين أعمالا كثيرة بمراكش وسلا واشبيلية وغرناطة واتصلت ولايته على أعمال غرناطة وكان من شيوخها وأعيانها وكتب عليه عقد ان في داره من الحلي وأصنافه ما لا يمكن الا في دار الملك وأنه اذا ركب في صلاة الصبح شوش عليه نبح الكلاب فأمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال امر بقية أبي الحسين سنة ٥٩٣ ثم رضي عنهما وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ منه فصرفه عليه ولم ينقص منه شيأ وغرم له ما فات منه وهذا مما يدل على قوة سعد محمد بن عبد الملك المذكور ونباهة قدره وحسبه من الفخر مدح أديب الاندلس وشاعرها أبي عبد الله الرصافي له وهو ممن يمدح العلماء في ذلك العصر رحمه الله تعالى وولد أبو عبد الملك بن سعيد عام ستة وتسعين وأربعمائة وتوفي بحضرة مراكش عام اثنين وستين وخمسمائة قال الحجاري لما مات يحيى بن غانية الملثم ملك الاندلس بحضرة غرناطة وكان وزيره ومدبر دولته عبد الملك بن سعيد بادر الفرار لغرناطة عندما سمع بموته الى قلعته وثار بها وطلبه خليفة يحيى بن غانية طلحة بن العنبر فوجده قد فاته وقد قدمنا أن عبد الملك هذا هو السبب في تاليف كتاب المغرب في أخبار المغرب ثم تممه ابنه محمد بن عبد الملك ثم تمم ما بقي منه ابنه موسى بن محمد ثم أربى على الكل في اتمامه أبو الحسن علي بن موسى الذي قصدناه بالترجمة في هذا الكتاب وقد ذكرنا من أحواله جملة كافية * ومن فوائد ابن سعيد أبي الحسن ما حكاه عن صاحب كتاب الكمائم وهو قال ما فسطاط مصر فان مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وهو الذي عليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ونسب المدينة اليه فقيل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر فاتخذوها سرير السلطنة وتضاعفت عمارتها فاقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا أمانيهم عليها الى أن رسخت بها دولة بني طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذي هو الآن الى جانب القاهرة وهي مدينة مستطيلة يمر النيل مع طولها ويحط في ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بانواع الفوائد وبها منتزهات وهي في الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا في النادر وترابها يثير الارجل وهو قبيح اللون تستكدر منه أرجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها أسواق ضخمة الا أنها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة

الواق واق وهي أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب حديثة حارة وتحدث الرشيد أن لها ملكة وقد تولوا عليهم ملكا يسمونه لوقليمن وهي سمة لسائر ملوكهم في سائر الاعصار على ما قدمناه آنفا ويركب لوقليمن وهو ملك ملوك سائر الزنوج في ثلثمائة ألف فرس ودوابهم البقر وليس في أرضهم خيل ولا بغال ولا ابل ولا يعرفونها وكذلك لا يعرفون الثلج والبرد ولا غيرهم من الاحابش ومنهم أجناس محددة الاسنان يأكل بعضهم بعضا وساكن الزنج من حد الخليج المتشعب من أعلى النيل الى بلاد سفالة والواق واق ومقدار مسافة مساكنهم واتصال مقاطعهم في الطول والعرض نحو سبعمائة فرسخ أودية وجبال ورمال والفيلة في بلاد الزنج في نهاية الكثرة وحشية كلها غير مستأنسة والزنج لا تستعمل منها شيأ في حروب ولا غيرها بل تقتلها وذلك أنهم يطرحون لها نوعا من ورق الشجر ولحائه وأغصانه يكون بأرضهم في الماء ويختفي رجال الزنج فترد الفيلة لشربها فاذا وردت وشربت من ذلك الماء أسكرها فتقع ولا مفاصل لقوائمها ولا ركب على حسب ما قدمنا فيخرجون اليها بأعظم ما يكون من الحراب حتى يقتلونها لأجل الاحد

وسمـ ـت القاهرة ـ ـ ـ ـ ـه الفسطاط وفرط فى الاعتناء بها بعد الافراط وبينهما نحو
ميل وأنشدت فيها للشريف العقيلى

أحن الى الفسطاط شوقا وانى * لادعو لها أن لا يحل بها القطر
وهل فى الحيا من حاجة لجنابها * وفى كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وقال من كتاب الجار والفسطاط هو قصبة مصر والجبل المقطم شرقيها وهو متصل بجبل الزمرد
وقال من كتاب ابن حوقل الفسطاط مدينة عظيمة ينقسم النيل لديها وهى كبيرة ومقدارها
نحو ثلث بغداد فى غاية العمارة والطيب واللذة ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام فيها ضيق
ومتاجر فخام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الايام خضرة وفى
الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالكوفة والبصرة الا انها أقل من ذلك وهى
سبخة الارض غير نقية التربة وتكون الدار بها سبع طبقات وخمسا وستا وربما يسكن فى الدار
المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان
للجمعة بنى أحدهما عمرو بن العاص فى وسط الفسطاط والآخر على الموقف بناء ابن طولون
وكان خارج الفسطاط أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا فى ميل يسكنها جنده وتعرف
بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القيروان رقادة وقد خربتا فى وقتنا هذا وأخلف الله بدل
القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة قال ابن سعيد ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى
معاينة الفسطاط فسار معى اليها أحد أصحاب القرية فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة
لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لى بمثلها فى بلد فركب منها حمارا وأشار الى أن
اركب حمارا آخر فأنفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته فى بلاد المغرب فأخبرنى أنه غير
معيب على أعيان مصر وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها فركبت
وعندما استويت راكبا أشار المكارى الى الحمار فطار بى وأثار من الغبار الاسود
ما أعمى عينى ودنس ثيابى وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتى بركوب الحمار وشدة عدوه على
قانون لم أعهده وقلة رفق المكارى وقعت فى تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر أشد البوار * ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفى مكار يفوق الريا * ح لا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلا فلا يرعوى * الى ان سجدت سجود العثار
وقد مد فوقى رواق الثرى * وألحد فيها ضياء النهار

فدفعت الى المكارى أجرته وقلت له احسانك أن تتركنى أمشى على رجلى ومشيت الى أن
بلغتها وقدرت فى الطريق بين الفسطاط والقاهرة وحققته بعد ذلك نحو ميلين ولما أقبلت
على الفسطاط أدبرت عنى المسرة وتأملت أسوارا مثلمة سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها
وهو دون غلق يفضى الى خراب معمور بمبان مشتتة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت
من الطوب الادكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة وحول أبوابها من التراب الاسود
والازبال ما يقبض نفس النظيف ويغض طرف الظريف فسرت وأنا معاين لاستصحاب

ا ـ ـ ـ ها ـ رضه ـ نحو رابياد الفيله ٤٨٦ فى ـ ـ ـ ـ خمسون ومائة من بل أكثر من ذلك والاثنان منها ثلثمائة
من وأكثر من ذلك ويجهز
الى كـ ـ ـ ـ ها من بلاد
ـ ـ الى أرض الصين
والهند ولا ـ ـ ـ ـ ـ ل
من بلاد ـ ـ الى ـ ـ
و ـ ـ ـ ـ الى ـ ـ
ـ كرما ولو ـ ذلك لكن
ـ ـ ـ ارض الا ـ ـ م
كثيرا وأهل ـ ـ ـ
ملوكها ـ ـ ـ ـ ـ ـ
الا ـ ـ ـ ـ العاج ولا
ـ ـ ـ ـ دها ولا أحد
من ـ ـ ـ ها على ملوكها
بشئ من الحديد بل بتلك
الاعمدة ـ ـ ـ العاج
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ م
من ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
لا ـ ـ الاعمدة ـ ـ على
ـ ـ كرما ـ يستعمل العاج
فى ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
وا ـ ـ ـ ـ كاستعمال
ـ ـ ـ ـ فى الكنائس
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
ـ ـ ـ ـ ـ ـ الانجرة
وأهل الصين لا يتخذون
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
والحرب ـ ـ الحجر كان لهم
ـ ـ ـ ـ ـ ـ فى بعض
ـ ـ ـ ـ ـ ـ كثيرة
الا ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
من العاج فى ـ ـ الخناجر
و ـ ـ الحرازى ـ ـ ـ ـ
ـ ـ وفى ـ ـ ـ ـ ـ ـ
وهى ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ والاسلاب فى استعمال الهند العاج اتخاذها منه

تلك

تلك الحال الى أن صرت فى أسواقها الضيقة فنسيت من ازدحام الناس فيها بحوائج السوق والروايا التى على الجمال ما لاقيته الامشاهدته ومعاناته الى ان انتهيت الى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الاسواق التى حوله ما ذكرت به ضده فى جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا وطئه بأقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبيعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك وماسوى ذلك والناس يأكلون فى عدة أماكن منه غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك وعدة صبيان بأوانى ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا وفضلات مأكلهم مطروحة فى صحن الجامع وفى زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه فى السقف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون فى صحنه وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة الا أن مع ذلك على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده فى جامع اشبيلية مع زخرفه والبستان الذى فى صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت أن ذلك سر مودع من وقوف الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى ساحته عند بنائه واستحسنت ما أبصرته من حلق المتصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو فى عدة أماكن وسألت عن موارد أرزاقهم فأخبرت انها من فروض الزكاة وما أشبه ذلك ثم أخبرت أن اقتضاءها صعب الا بالجاه والتعب ثم انفصلنا من هنالك الى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سور أبيض الا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الارزاق التى تصل من جميع أقطار النيل ولئن قلت انى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فانى أقول حقا والنيل هنالك ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لان هذين الجسرين قد احتجرا لحصولهما فى حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكبا احتراما لموضع السلطان وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بصيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من الفسطاط احسن منزل ✽ بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سحرة ✽ كسرب قطا أضحى يرف على ورد
وأصبح يطفو الموج فيه ويرتمى ✽ ويطرب أحيانا ويلعب بالنرد
حلا ماؤه كالريق ممن أحبه ✽ فمدت عليه حلة من حلى الخد
وقد كان مثل التبر من قبل مده ✽ فأصبح لما زاده المد كالورد

وقلت هذا لانى لم أذق فى المياه أحلى من مائه وانه يكون قبل المد الذى يزيد به ويفيض على

الشطرنج والنرد والشطرنج دون والنرد والشكال على صور الناس وان من الناطقين وتبهم كل فداء ممن الشطرنج كالشمرى عرض ذلك كلاكم الى الاكم فاذا العوابه فيا يعمم الواحد ذات اتبهم فى بيوتها والاسباب عليهم فى لعبهم القمار بالشطرنج والنرد على الثياب والجواهر وربما انفذ الى احدهم ماعنده فيلعب فى قطع أعضاءه من ... وهو أن يجعلوا بحضرتهم قدرا من النحاس صغيرا على نار جمر فيها دهن لهم أحمر ... على ذلك الدهن المدمل للجرح والماسك لسيلان الدم فاذا العب فى اصبع من أصابعه وقد قطعها بتلك الخنجر ومثل المرهم حمس بده فى ذلك الدهن فيكواها ثم عاد الى اللعب فاذا توجه عليه اللعب أبان اصبعا ثانية وربما توجه عليه اللعب فى قطع أعضائه كلها من الاصابع والكف ثم الى الذراع والزند وسائر الاطراف وكل ذلك يستعمل فيه الكى بذلك الدهن وهو دهن عجيب يعمل من اخلاط وعقاقير بأرض الهند عجيب المعنى والذى ذكرناه عنهم مشهور من فعلهم والهند فى ... العالية فى بلادها وتتابع فى

أرضها ليس فيها وحشية واغا هى حربية ومستعملة كاستعمال البقر والابل وأكثرها يأوى الى المروج والغياض

أقطاره أبيض فاذا كان عباب النيل صار أحمر وأنشدني علم الدين فخر الترك أيدمر عتيق وزير الجزيرة في مدح الفسطاط

حبذا الفسطاط من والدة * جنبت أولادها داء الجفا
يرد النيل اليها كدرا * فاذا مازج أهليها صفا
لطفوا فالمزن لا يألفهم * خجلا لما رآهم ألطفا

ولم أر في أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط حتى انهم ألطف من أهل القاهرة وبينهما نحو ميلين والحال ان أهل الفسطاط في نهاية من اللطافة واللين في الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة ورعاية قدر الصحبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندراني والبحر الحجازي فانه فوق ما يوصف وبه مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها يجهز الى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجري هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زي الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب في الفسطاط كثير والقاهرة أجد وأعمر وأكثر زحمة باعتبار انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنمو في مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر انتهى قال المقريزي يعني ابن سعيد ما بني على شقة مصر من جهة النيل انتهى وقال ابن سعيد المذكور في المغرب من حلى المغرب ما ملخصه الروضة أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت منتزها لاهل مصر فاختارها الملك الصالح ابن الملك الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالي السمك لم تر عيني أحسن منه وفي هذه الجزيرة كان الهودج الذي بناه الخليفة الآمر لزوجته البدوية التي هام في حبها والمختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكر في شعر تميم بن المعز وغيره واشعراء مصر في هذه الجزيرة أشعار منها قول أبي الفتح بن قادوس الدمياطي

أرى سرج الجزيرة من بعيد * كاحداق تغازل في المغازل
كأن مجرة الجوزاء حطت * وأثبتت المنازل في المنازل

قال وكنت أبيت بعض الليالي بالفسطاط فيزدهيني سحك البدر في وجه النيل مع سور هذه الجزيرة الدري اللون ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين في البناء وأبصرت بهذه الجزيرة ايوانا للجلوس لم تر عيني مثاله ولا يقدر ما انفق عليه وفيه من صحائف الذهب والرخام الآبنوسي والكافوري والمجزع ما يذهل الافكار ويستوقف الابصار ويحصل عما أحاط به السور أرض طويلة في بعضها ناظر حصر فيه أصناف الوحوش التي يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج تنقطع فيها امياه النيل فتنظر فيها أحسن منظر قال وقد تفرجت كثيرا في طرق هذه الجزيرة مما يلي أثر الفسطاط فقطعت به عشيات مذهبات لم تزل لاحزان

بقدمنا لا ترعى في موضع يشم فيه رائحة الكركدن ويعمر الفيل بأرض الهند نحوا من أربعمائة سنة كذلك يذكر أرسطو لانها تعرف في دورها وما أوزها والفيل العظيم غاياته في دارات نيه ومنها الاسود والابيض والابلق والاشهب وفي أرض الهند منها ما يعمر المائة سنة والمائتين ويضع حمله في كل سبع سنين وقد بأرض الهند آية عظيمة من نوع من الحيوان يعرف بالزرافة وهي دابة أصغر من الفهد أحمر وزغب وعينين براقتين عجيبة سريعة الوثبة يبلغ في وثبته الثلاثين والاربعين والخمسين ذراعا وأكثر من ذلك واذا أشرف على الفيل رشش عليه بوله بذنبه فيحرقها وربما لحق الانسان في عليه وفي الهند من اذا اشرفت عليه هذه الدابة تعلق با كبر ما يكون من الساج وهي أكبر من النخل وأكبر من شجر الجوز لكن الشجرة منه اكثر من الكثير من الناس وغيرهم من الحيوان على حسب ما تحمل الى البصرة والعراق ومصر من خشب الساج في طوله فاذا علا الانسان باعلى تلك الشجرة وشم هذا الحيوان عن ادراكه اصقى بالارض ووثب

الغربية مذهبات واذا زاد النيل وصل بره الى بر الفسطاط من جهة خليج القاهرة و يبقى موضع الجسر تكون فيه ابرا كب انتهى وأورد الصفدي في تذكرته لابن سعيد المذكور في هذه الجزيرة

انظر الى سور الجزيرة في الدجى * والبدر يلثم منه ثغرا أشنبا
تتضاحك الانوار في جنباته * فتريك فوق النيل أمرا معجبا
بينا تراه مفضضا في جانب * أبصرت منه في سواه مذهبا
لله أي ماواه ناظر ـــ ري * الا خلعت له المدام تطربا

وقال في المغرب تعلاعن مصممها صورنه وأما مدينة القاهرة فهي الخالدة الباهرة التي تأنق في بنائها الفاطميون وأبدعوا في بنائها واتخذوها وطنا لخلافتهم ومركزا لارجائها فنسي الفسطاط وزهدوا فيه بعد الاغتباط وسميت القاهرة لانها تقهر من شذعنها ورام مخالفة اميرها قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها أعظم منها وكان ينبغي أن تكون في ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية الى البحر المحيط

وسارت مسير الشمس في كل بلدة * وهبت هبوب الريح في البر والبحر

لاسيما وقد عاين مباني ابيه المنصور في مدينة المنصورية الى جانب القيروان وعاين المهدية مدينة جده عبيد الله المهدي لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهي ناطقة الى الآن بألسن الآثار ولله در القائل

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شانه * أضحى يدل على عظيم الشان

وتهمم من بعده الخلفاء المصريون في الزيادة في تلك القصور وقد عاينت فيها ابوابا يقولون انه بني قدر ايوان كسرى الذي بالمدائن وكان يجلس بها خلفاؤهم ولهم على الخليج الذي بين الفسطاط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار وأبصرت في قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكلس والجبس ذكر لي أنهم كانوا يجددون تبييضها في كل سنة والمكان المعروف بالقاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطاني لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتمر في ممر كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان مما يضيق به الصدور وتسخن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة و بين يديه الامراء وهو في موكب جليل وقد لقي في طريقه محملا بقر تحمل حجارة وقد سدت جميع الطرق بين يدي الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان في موضع طباخين والدخان في وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدت أهلك في جملتهم وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمباني عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهواء والضوء بينها ولم أر في جميع بلاد المغرب أسوأ منها حالا في ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدري وتدركني وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين

صياحا عظيما ينفر منه قطع دم ويموت من ساعته وأي موضع من الشجر سقط عليه بوله احرقه وان أصاب الانسان شئ من بوله أتلفه وكذلك سائر الحيوان وملوك الهند تحته في خزائنها ام ارها من ابدانه ومن ادامه ومواضع من أعضائه وهو السم القاتل من ساعته ومنه ما يسقى به السلاح فيتلف من فوره ومذا كير هذه الدابة كمذا كير كلب الماء الذي يخرج منه الجندبادستر وهذا الكلب أمره مشهور عند الصيادلة وغيرهم وهو اسم فارسي معرب وانما هو كند وتفسير ذلك الخصية عرب فقيل جند بادستر والدابة المتقدم ذكرها المعروفة بالزرافان لا تأوي الى موضع يكون فيه النوشان وهو الكركدن وتهرب منه كما يهرب منه الفيل أيضا والفيل يهرب من السنانير وهي القطاط ولا تقف لها البتة اذا أبصرها وقد ذكر عن ملوك الفرس أنها كانت تولي الفيلة بالرجالة المقاتلة حولها ومراعاة حيل الاعداء عند الحرب

 بتغلية السنانير عليها وكذلك أفعال ملوك السند والهند الى هذه الغاية وقد ذكر أن الحماز يرد عنا

المصريين ومن عيوب القاهرة انها في أرض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوّها لا يبرح كدرا مما تثيره الارض من التراب الاسود وقد قلت فيها حين أكثر على رفاقي من الحض على العود فيها

يقولون سافر الى القاهره * ومالي بها راحة ظاهره
زحام وضيق وكرب وما * تثير بها أرجل سائره

وعندما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوّا مغبرا فتنقبض نفسه ويفر انسه وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة أرض الطبالة لا سيما أرض القرط والكتان وقلت

سقى الله أرضا كلما زرت روضها * كساها وحلاها بزهرته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها * وفي كل قطر من جوانبها قرط

وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافي

ما زالت الامحال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت في نوّار الكتان على جانبي الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه بأجفان لها حدق
رآته سيفا عليه للصبا شطب * فقابلته بأحداق بها أرق
وأصبحت في يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فلم تزرها ووجه الارض مصطبح * أو عند صفوته ان كنت تغتبق

وأعجبني في ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم فيكون لها بذلك منظر عجيب وفي ذلك قيل

انظر الى بركة الفيل التي اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هي والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدوة فقلت

انظر الى بركة الفيل التي نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك مجنونا ببهجتها * يهيم وجدا وحبا في بدائعها

والفسطاط أكثر أرزاقا وأرخص أسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط والمراكب التي تصل بالخيرات تحط هنالك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة لانه يبعد عن المدينة والقاهرة هي أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها أجل مدارس وأضخم خانات وأعظم ديار السكنى الامراء فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فامور السلطنة كلها فيها أيسر وأكثر وبها الطراز وسائر الاشياء التي تتزين بها الرجال والنساء الآن في هذا الوقت لما اعتنى السلطان ببناء قلعة الجزيرة التي امام

رجل بالمولتان من أرض السند يدعى هرون بن موسى مولى الازد كان تهرب منها الفيلة وقد كان شاعرا شجاعا ذا رياسة في قومه ومنعة بأرض السند مما يلي أرض المولتان وكان في حصن له فالتقى مع بعض ملوك الهند وقد قدمت الهند أمامها الفيلة فبرز هرون بن موسى أمام الصف وقصد لعظيم الفيلة وقد خبأ تحت ثوبه سنورا فلما دنا في حملته من الفيل خلى السنور عليه فولى الفيل منهزما لما بصر بذلك الهر وكان ذلك سبب هزيمة الجيش وقتل الملك وغلبت المسلمون عليهم ولهرون ابن موسى قصيدة يصف فيها ما ذكرناه وهي

أليس عجيبا بأن تلقه
لمفطن الاسد في جرم فيل
وأطرف من قشه زونه
بحلم يجل عن الخفشليل
أليس عجيبا بأن بعما
غليظ الدرالك لطيف
الحويل
وأوقص مختلف خلقه
طويل النيوب قصير
النصيل
ويخضع لليث ليث العرين
بأن ناشب الهر من رأس
ميل
ويلقى العدو بناب عظيم
وجوف رحيب وصوت
ضئيل
وأشبه شيء اذا قسته * بخنزير بروجاموس غيل * ينازعه كل ذي أربع * فما في الانام له من عديل

الفسطاط

الفسطاط وصيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضخمت أسواقها وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة نقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التى يباع فيها الفراء والجوخ وما أشبه ذلك الى أن قال وهى الآن عظيمة آهلة تجبى اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال مالا يحيط بجملته وتفسيره الا خالق الكل جل وعلا وهى مستحسنة للفقير الذى لا يخاف طلب زكاة ولا ترسيما ولا عذابا ولا يطالب برفيق له اذا مات فيقال له ترك عندك مالا فربما سجن فى شانه أو ضرب وعصر والفقير المجرد فيها يستريح بجهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماع والفرج فى ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه يحكم فيها كيف شاء من رقص فى وسط السوق أو تجريد أو سكر من حشيشة أو صحبة مردان وما أشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يتعرضون اليهم بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة الحرب والبحر وقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم فى القدوم عليها بين حالين ان كان المغربى غنيا طولب بالزكاة وضيق عليه وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يحين وقت الاسطول وفى القاهرة أزاهر كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشان فى الديار المصرية يفضل كثيرا من البلاد وفى اجتماع النرجس والورد فيها أقول

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام فى خدمته النرجس

وأكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز أما التفاح والاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والنرجس والنسرين والنيلوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال ولكثرة ما يعصرون العنب فى أرياف النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشرابه عندهم فى غاية الغلاء وعامتها يشربون المزر الابيض المتخذ من الحنطة حتى ان الحنطة يطلع سعرها بسبب ذلك فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر أوانيه ولا ينكر فيها اظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر وتعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم التهكم والطرب والخلاعة حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبيه بالليل منظر وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر فى الليل وفى ذلك أقول

لا تركبن فى خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام
وقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد أطلا * سلاح ما بينهم كلام
يا سيدى لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام

ويعصف بالنسر بعد النسور * كما يعصف الريح للعندبيل وشخص يرى بده أنفه فان وصلوه نسيف صقيل وأتبل كالطود هادى الجيش بصوت شديد أمام الرعيل فيرسل كسيل الاتى بخطم خفيف وجرم ثقيل فان شمته زاد فى هوله بشاعة أذنين فى رأس غول وقد كنت أعددتهم لله قليل التهيب كالزندبيل فلما أحس به فى العجاج أتانا الاله بفتح جليل وطاروا وراغم ثباله بقلب كئيب وجسم نحيل فسبحان خالقه وحده اله الانام ورب العقول العندبيل طائر صغير يكون بارض السند والهند يذكره الشعراء فى أشعارها تمثلا به لصغره والزندبيل هو العظيم من الفيلة والمقدم فيها وقد قيل ان الزندبيل هو اسم لما اشتد فى الحرب من أنياب الفيلة وقد ذكر بعض الشعراء فى هذا المعنى الزندبيل عند ذكره الفيل فقال ذاك الذى مشفره طويل وهو من الافيال زندبيل وقال آخر وفيله ذو الطول زندبيل وقد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب الحيوان هذه القصيدة وفسر بعض أبياتها وذكر فى معنى الخنشبيل وتفسيره قول الانصارى فى صفة الدخل

والليل ستر على التصابى * عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه * منها دنانير لا ترام
وهو قد امتدوا المبانى * عليه فى خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك أثمارها الآثام

قال المقريزى وفيه تحامل كثير انتهى ومن نظر بعين الانصاف علم ان التحامل فى نسبة التحامل اليه والله تعالى الموفق * (قال ابن سعيد) ومعاملة الفسطاط والقاهرة بالدراهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلاث من الدراهم الناصرية وفى المعاملة بها شدة وخسارة فى البيع والشراء ومخاصمة بين الفريقين وكان بها قديما الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الآن مقطوعة منها وهى فى الاقليم الثالث وهواؤها ردىء لاسيما اذا هب المريسى من جهة القبلة وأبدا فرمد العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة نزرة لاسيما أصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة وأكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الطب والخراج والنصارى بها يمتازون بالزنار فى أوساطهم واليهود بعمائم صفر ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة ويأكل أهل القاهرة البطارخ ولا تصنع حلاوة القمح الا بها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طباخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين ولهن فى الطبخ صنائع عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمواضع التى يصنع بها الورق المنصورى مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة انتهى المقصود من هذا الموضع من كلام ابى الحسن النور بن سعيد رحمه الله تعالى وقال رحمه الله

لم ذا تقيم بمصر * معذبا بذويها
وكيف ترجو نداهم * والسحب تبخل فيها

وقال رحمه الله تعالى

لابن الزبير مكارم أضحت بها * طير المدائح فى البلاد تغرد
ان قيدوه وبالعوافى عصره * فالكرم يعصر والجواد يقيد

ولنذكر بعض اخبار والده فانه ممن رحل الى المشرق وتوفى باسكندرية وقد ذكر ابنه ابو الحسن فى المغرب وغيره من أخباره العجائب ولا باس بان نلم بشئ من ذلك سوى ما تقدم فنقول من اخباره أنه لما اجتاز بمالقة ومشرفها اذ ذاك ابو على بن بقى وجه اليه من نقل اسبابه الى داره وأقبل عليه منشدا

أكذا يجوز القطر لا يثنى على * ارض توالى جدبها من بعده
أتراه يعلم انها ما انبتت * زهرا ولا ثمرا بعدة فقده
عرج عليها ساعة يا من له * حسب يفوق العالمين بمجده
وانثر عليها من ازاهرك التى * تشفى المتيم من لواعج وجده
والله ما ذاكرت فكرك ساعة * الا واقبس خاطرى من زنده

قال موسى فارتجلت للحين

انت الذى تعرف كيف العلا * وتبتدى فى سبل المجد

فيل وهذا غير فواد قد علمت جارية عطبول أنى بنصل السيف خنشبيل والفيلة لا تتسع ولا تتولد الا بارض الزنج والهند ولا تعظم أنيابها بارض السند والهند على حسب عظمها بارض الزنج والزنج تتخذ من جلود الفيلة الدرق وكذلك الهند ولا يلحق ذلك فى المنعة بشئ من الدرق الصينى والتبتى والناطى والبجاوى ولا ما يقع من اللمط وغير ذلك من أنواع الدرق وخرطومه أنفه وبه يوصل الطعام والشراب الى جوفه وهو شئ من الغضروف واللحم والعصب وبه يقاتل ويضرب ومنه يصيح وليس صوت الفيل على مقدار عظم جسمه وكبر جثته وقد كان المنصور عنى بجمع الفيلة لتعظيم الملوك السالفة اياها واتخاذها لها واعدادها للحروب والزينة فى الاعياد وغيرها فانها أوطأ مراكب الملوك وأسهدها وأخبرنى بعض الكتاب ممن يرجع الى أدب وعقل ومعرفة بأيام الناس بمدينة السلام

انه اشترى بغلة فى غاية الفراهة والحسن فكان يركبها فى مهماته وتصرفاته وكانت اذا رأت الجمال بدأت

بدأت بالفضل المنير الذى * اكمل بدر الشكر والحمد
والله ما ابصرتكم ساعة * الابدالى طالع السعد

وانصرفت معه الى منزله قال

فلم ازل فى كرامه * ليست كظل غمامه

ولما كان ابو عمران موسى بن سعيد بالجزيرة الخضراء مقدما على اعمالها من قبل ابن هود وصله كتاب من الفقيه القاضى ابى عبد الله محمد بن عسكر قاضى مالقة مع احد الادباء منه

افاتح من قلبى بعلياه واثق * وان كانت الابصار لم تنتج الودا
وتبعث تمالى من ذمام تشيعى * بآل سعيد وابتغيت به السعدا
وبالحب يدنو كل من اقصت النوى * برغم حجاب للنوى بيننا مدا

ياسيدى الذى حلانى ما امال اسماعى من الثناء عليه ان اهيم على مفاتحته شاعا فى موصلها اليه واثقا بالفرع لعلم الاصل مؤملا للزلفى ان يتحقق الفصل ان لم تقض باجتماع بيننا الايام فلا تجرى بالمشافهة بيننا الا ألسن الاقلام ويوحى بعضنا الى بعض بسور الوداد والحمد لله الذى اطلعك فى ذلك الافق بدرا وادناك من هذه الدار فيسر لنا القرب من بردعنك لا نعدم لك ذكرا فكل يثنى بالذى علمت سعد و يصف من خلالك ما يقضى ذلك المجد ولما كان احسانك يبشر به الصادر والوارد ويحرص عليه الغائب والشاهد مد أمله نحوك موصل هذه الفاتحة وليس له وسيلة ولا بضاعة الا الادب وهى عند بيتك الكريم رابحة وهو ممن شتتت خطوب هذا الزمان شمله وأبانت نوائبه صبره وفضله وما اطمح بصره الا الى أفقك ولا وجه رجاءه الا نحو طرقك والرجاء من فضلك أن يعود وقد أثنت حقائبه وأعبقت من الحمد ركائبه دمت غرة فى الزمن البهيم مخصوصا بافضل التحية والتسليم انتهى * وابن عسكر المذكور عالم بالتاريخ متبحر فى العلوم وله كتاب فى أنساب بنى سعيد أصحاب هذه الترجمة ومن شعره

أهواك يابدر وأهوى الذى * يعذلنى فيك وأهوى الرقيب
والجار والدار ومن حلها * وكل من مر بها من قريب
وكل ميدان شبها منكم * وكل من يلفظ باسم الحبيب

*(رجع) قال ابنه على لما أردت النهوض من ثغر الاسكندرية الى القاهرة أول وصولى الى الاسكندرية رأى أن يكتب لى وصية أجعلها اماما فى الغربة تبقى فيها اياما الى ان كتبها عنه وهى هذه وكفى بها دليلا على ما اختبر وعلم

اودعك الرحمن فى غربتك * مرتقبا رحماه فى اوبتك
وما اختيارى كان طوع النوى * لكننى أجرى على بغيتك
فلا تطل حبل النوى اننى * والله أشتاق الى طلعتك
من كان مفتونا بأبنائه * فاننى امعنت فى خبرتك
فاختصر التوديع اخذا فما * لى ناظر يقوى على فرقتك

البخت أو العراب من العمالة أو غيرها فى الطريق نفرت وشبت وكان يلقى منها جهدا جهيدا فيصبر على ذلك المكروه لما هى عليه من الفراهة والحسن وأنه لا يحمله غيرها لعظم جسمه وكبر بطنه وسمنه فلما كان فى بعض الايام اجتازت بباب الطاق وذلك فى أيام المقتدر وقد أخرج الفيلة للرياضة والتمهيد وليحمل عليها الليث بن على الصفار وأصحابه وقد كان مؤنس المظفر الخادم أسره بالادهار حين خرج على السلطان قال فأشرف على قطار من الجمال البخت منهزمة خائفة من الفيل تجمز فى مشيتها الاسبيل لمن عليها أن يحبسها لما قد لحقها من الجزع فلما رأت البغلة ذلك شبت وولت على عقبيها ورمت بى الارض فوقعت كجلد ثور منفوخ ودخلت الجمال الى درب لا ينفذ وقد كانت البغلة حين رمت بى ونفرت من الجمال دخلت ذلك الدرب وجاءت الفيلة على اثر ذلك فلما نظرت البغلة الى الفيلة وعظم خلقها لحقت بالجمال ودخلت بينها كأنها لم تزل معها وذلت كذلك الجمال اذ رآنى جماعة من الناس فرفعونى ودخل الغلام فأخرج البغلة وما استطاع اخراجها حتى مضت الفيلة وأخرجت من وسط تلك الجمال فوالله ما نفرت بعد ذلك

واجعل وصالى نصب عين ولا * نبرح مدى الايام من فكرتك
خلاصة العمر التى حنكت * فى ساعة زوت الى فطنتك
فللتجارب امور اذا * طالعتها تشحذ من غفلتك
لا تنم عن وعيها ساعة * فانها عون الى يقظتك
وكل ما كابدته فى النوى * اياك أن يكسر من همتك
فليس يدرى اصل ذى غربة * وانما تعرف من شيمتك
وكل ما يفضى لعذر فلا * تجعله فى الغربة من اربتك
ولا تجالس من فشا جهله * واقصد لمن يرغب فى صنعتك
ولا تجادل ابدا حاسدا * فانه ادعى الى هيبتك
وامش الهوينى مظهرا عفة * وابغ رضا الاعين عن هيئتك
أفش التحيات الى اهلها * ونبه الناس على رتبتك
وانطق بحيث العى مستقبح * واصمت بحيث الخير فى سكتتك
ولا تزل مجتمعا طالبا * من دهرك الفرصة فى وثبتك
وكلما ابصرتها امكنت * ثب واثقا بالله فى مكنتك
وثب على رزقك من بابه * واقصد له ما عشت فى بكرتك
وأيس من الود لدى حاسد * ضدوبا فسه على خطتك
ووفر الجهد فمن قصده * قصدك لا تعنيه فى بغضتك
ووف كالا حقه ولتكن * تكسر عند الفقر من حدتك
ولا تكن تحقر ذا رتبة * فانه انفع فى غربتك
وحيثما حيت فاقصد الى * صحبة من ترجوه فى نصرتك
وللسر را يا وثبة مالها * الا الذى تدخر من عدتك
ولا تقل أسلم لى وحدتى * فقد تقاسى الذل فى وحدتك
والرم الاحوال وزنا ولا * ترجع الى ما قام فى شهوتك
والجعل العقل محكا وخذ * كلا بما يظهر فى نقدتك
واعتبر الناس بالفاظهم * واصحب اخا يرغب فى صحبتك
بعد اختبار منك يفضى بما * يحسن فى الآخر من خلطتك
كم من صديق مظهر نصحه * وفكره وقف على عثرتك
اياك ان تقربه انه * عون مع الدهر على كربتك
واقنع اذا ما لم تجد مطمعا * واطمع اذا أنعشت من عسرتك
وانم نمو النبت قد زاره * غب الندى واسم الى قدرتك
وان نبا دهر فوطن له * جأشك وانظره الى مدتك
فكل ذى امر له دولة * فوف ما وافاك فى دولتك
ولا تضيع زمنا ممكنا * تذكاره يذكى لظى حسرتك

دى انسان ما من سابه الى داخل صدره فى صرح الا الفيل دون صرف اسانه الى داخل وأوصله الى حارج وقد يقر انه لولا ان لسانه مقلوب تعلم الكلام لتكلم والهند تعرف فضل و فضله على سائر الحيوان لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة من علو سمكه وعظم صورته وبدع منظره واحتمال صهوته وطول خرطومه وسعة أذنه وكبر غلمواه مع خفة وطئه وطول عمره وثقل جسمه وتمتد كثير مع خلقه وضع ... مع كبر هذا الجسم ونظم هذه الصورة يعر بالانسان فلا يحس بوطئه ولا يشعر به يحس بخطوته ... وقد وصف عمرو بن بحر الجاحظ الفيل فى كتاب الحيوان واسهب فى وصفه وأكثر فى محاسنه ... معانى كثيرة فى صفة الفيل وهيئته وما هو عليه من عجيب التركيب وغريب التأليف والمعانى الحسنة والاحساسات اللطيفة وفى قبولها التأديب ... الى الى ... وساق

... وكل حيوان ... عجب لا ... عند ما شاهدت صورة الفيل وكل حيوان

أبدا بها من الاعضاء والخلقة والاجزاء الشريفة وكم مقدار منافعها ومبلغ مضارها وكم فضيلة تلك والشر

والشرمهما اسطعت لاتأته * فانه حوز على مهجتك

يابنى الذى لاناصح له مثلى ولامنصوح لى مثله قد قدمت لك فى هذا النظم ماان اخطرته بخاطرك فى كل أوان رجوت لك حسن العاقبة ان شاء الله تعالى وان احق ممه للحفظ واعلق بالفكر وأحق بالتقدم قول الاول

يزين الغريب اذا ماغترب * ثلاث فمهن حسن الادب

وثانيه حسن اخلاقه * وثالثة اجتناب الريب

واذا اعتبرت هذه الثلاث وألزمتها فى الغربة رأيتها جامعة نافعة لا يجتمل ان شاء الله تعالى مع استعمالها نادم ولايفارقك بر ولا كرم ولله در القائل

لقد زين القوم من كان عاقلا * وان لم يكن فى قومه بحسيب

اذا حل أرضا عاش فيها بعقله * وماعاقل فى بلدة بغريب

ومااحسن القائل حيث قال

واصبر على خلق من تعاشره * وداره فاللبيب من دارا

واتخذ الناس كلهم سكنا * ومثل الارض كلها دارا

واصغ يابنى الى البيت الذى هو نتيجة الدهر وسلم الكرم والصبر

ولو أن أوطان الديار نبت بكم * لسكنتم الاخلاق والآدابا

انحسن الخلق أكرم نزيل والادب أرحب منزل ولتكن كماقال بعضهم فى أديب متغرب وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معه ولد واليه قصد عمره بين بيدهره ولامنكر شيأ من أمره واذا دعاك ذلك الى صحبة من أخذ بمجامع هواه فاجعل التكلف له سلما وهب فى روض أخلاقه هبوب النسيم وحل بطرفه حلول الوسن وانزل بقلبه نزول المسرة حتى يتمكن لك وداده ويخلص فيك اعتقاده وطهر من الوقوع فيه لسانك وأغلق سمعك ولاترخص فى جانبه لحسود لك منه يريد ابعادك عنه لمنفعته أوحسود له يغار لتجمله بصحبتك ومع هذا فلاتغتر بطول صحبته ولاتتمهد بدوام رفدته فعد بنبهه الزمان ويعير منه القلب واللسان ولذا قيل اذا أحببت فاحبب هونا مافى الممكن أن ينقلب الصديق عدوا والعدو صديقا وانما العاقل من جعل عقله معيارا وكان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله وجعل نصب ناظره قول أبى الطيب

ولما صار ود الناس خبا * جزيت على ابتسام بابتسام

وفى أمثال العامة من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل فاحتذ بامثله من جرب واستمع الى ماخلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الاقوال فانها خلاصة عمرهم وزبدة تجاربهم ولاتتكل على عقلك فان النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم وابتاعوه غاليا بتجاربهم بربحك ويقع عليك رخيصا وان رأيت من له مروءة وعقل وتجربة فاستفد منه ولاتضيع قوله ولافعله فان فيما تلقاه تلقيحا لعقلك وحثا لك واهتداء واياك أن تعمل بهذا البيت فى كل موضع * والحر يخدع بالكلام الطيب * فقد قال احدهم ماقيل أضر من هذا البيت على اهل العقل وليس كل ماتسمع من اقوال الشعراء يحسن بك ان تتبعه حتى تتدبره فان كان

والى الامانة ابواب ال... حلاها العيون خلاله وفرق بينها وبين ... ول ... عليهم وحده ... لهم ونر يديهم ... الحد ... النعمة ... وذكر الله فى الكتاب الناطق ... الصادق وفى الآثار المعروفة والامثال السائرة ... فى ... ما التالشعر ... به الصحابة ... وحفظها عند الملوك وموضع نفعها عند الحروب وسيا... فى العيون وجلالتها فى الصدور وفى طول أعمارها وقوة أبدانها وفى اعرامها و ... واحقادها ... ا كبرائها وطلبها بضواتنها وارتفاعها ... السقاط واقتناء ... والارادن و... ارتخاصها فى الثمن وارتباطها على الخسف وابتذالها وازالتها عن امتناع طباعها ومنع عزائزها ان تصلح أبدانها وتندت أنيابها وتعظم جوارحها وتساعد وتتلاقى الاى معادنها وبلادها ومغارس اعراقها مع التماس الملوك ذلك ... وطمع القوم عليها بالتمر ... بذلك منها حتى ... الحيل وأخرجت عن حد الطمع وعن الاختيار عن جملها ونفعها ووضع أعضائها والذى مالفت فيه الاشكال الار ...

موافقا لعقلك مصلحا لحالك فراع ذلك عندك والا فانبذه نبذ النواة فليس لكل أحد يتبسم ولا كل شخص يتكلم ولا الجود مما يعم به ولا حسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل احد ولله در القائل

ومالى لا أوفى البرية قسطها * على قدر ما يعطى وعقلى ميزان

واياك ان تعطى من نفسك الا بقدر فلا تعامل الدون معاملة الكفء ولا الكفء معاملة الاعلى ولا تضيع عمرك فيمن يعاملك بالمطامع ويشغلك على مصلحة حاضرة عاجلة بغائبة آجلة واسمع قول الاول * وبع آجلا منك بالعاجل * واقلل من زيارة الناس ما استطعت ولا تجعلهم بالجملة ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه ملل ولا ضجر ولا جفاء ولا تقل ايضا أعدّ فى كسر بيتى ولا ارى احدا واستر جهمى الناس فان ذلك كسل داع الى الذل والمهانة واذا علم عدوّك او صديق منك ذلك عاملك بحسبه فازدراك الصديق وجسر عليك العدوّ واياك ان يعرك صاحب واحد عن ان تدخر غيره للزمان وتطبعه فى عداوة سواه ففى الممكن أن يتغير عليك فتطلب اعانة عليه او استغناء عنه فلا تجد ذخيرة تقدمت وكان هو فى أوسع حال واعلى راى يبادره بحيلته فى انقطاعك عن غيره فلو اتفق لك ان تصحب من كل صناعة وكل رياسة من يكون لك عدة لكان ذلك اولى واصوب وسلنى فانى خبير طال والله ما صحبت الشخص اكثر عمرى لا اعتمد على سواه ولا اعتد الا اياه مخدعا بسرابه موثوقا فى حبائل خطابه الى ان لا يحصل لى منه غير العض على البنان وقول لو كان ولو كان ولا يحملك ايضا هذا القول ان تظنه فى كل احد وتجعل المكافأة وليكن حسن الظن بقدار ما واصبر بمقدار ما والفطن لا تخفى عليه مخايل الاحوال وفى الوجوه دلالات وعلامات واصغ الى القائل

ليس ذا وجه من يضيف ولا يقرى ولا يدفع الاذى عن حريم

فمن يكن له وجه مثل هذا الوجه فرل وجهك عنه قبلة ترضاها ولتحرص جهدك على أن لا تصحب وتخدم الا رب حشمة ونعمة ومن نشا فى رفاهية ومروءة فانك تنام معه فى مهاد العافية وان الجياد على أعراقها تجرى وأهل الاحساب والمروآت يسر كون منافعهم متى كانت عليهم فيها وصمة وقد قيل فى مجلس عبد الملك بن مروان أشرب مصعب الخمر فقال عبد الملك وهو عدوّه محارب له على الملك لو علم مصعب ان الماء يفسد مروءته ماشربه * والفضل ما شهدت به الاعداء * يابنى وقد علمت ان الدنيا دار مفارقة وتغير وقد قيل أحبب من شئت فانك مفارقه فتى فارقت احدا فعلى حسنى فى القول والفعل فانك لا تدرى هل انت راجع اليه فلذلك قال الاول * ولما مضى سلم بكيت على سلم * واياك والبيت السائر

وكنت اذا حللت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

واحرص على ما جمع قول القائل ثلاثة تبقى لك الود فى صدر اخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجلس وتدعوه باحب الاسماء اليه واحذر كل ما بينه لك القائل كل ما تغرسه تجنيه الا ابن آدم فانك اذا غرسته يقلعك وقول الآخر ابن آدم يتمسكن حتى يتمكن

التى تحيط بالجميع مما يستدل ٤٩٦ او يقوم او يمشى او يطير وجميع ما ينتقل عن أوّلية خلقه وما يبقى على الطبع الاول من صورته وغير ما يتنازعه من شبه الحيوان وما يخالف فيه جميع الحيوان وتن الحيوان فى شدة قلبه وأسره وفى حذقه على ما هو أعظم بدنا وأشد قلبا او أحد ظفرا او أدرب لسانا دهر به مما هو أصغر جسما وأكل جسدا وأضعف أسرا وأخمل ذكرا وعن الاخبار عن خصاله المذمومة واموره المحمودة وعن القول فى لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله ونحوه وعن لسانه وفمه مع غير ذلك من المراتب الكثيرة التى تمنع ايرادها فلما انتهى الى موضع بطنها وايراد وضعها وما اسلفه من القول فى هذه المعانى التى ندمها أورد جوامع متفرقة ولمعا غير متسقة فى الفيلة وغيرها واعرض عن ايراد خواص أعضائها وأكثر منافعها وعجيب خصالها وسد كر من أسرار الطبيعة وما فاته خلاسفة الهند فى بدنها وما آثرته من تقدم من حكمائها فى تداولها وعلة تكونها فى أرض الزنج والسند دون سائر البقاع من الارض والسبب المانع لتكونها فى غيرها والتضاد الذى بينها وبين السنور مع ضخم ذاتها وفرارها من السنور مع صغر جسمه ولطافته وقول

وقول الآخر ابن آدم ذئب مع الضعف أسد مع القوة وإياك أن تثبت على صحبة أحد قبل أن تطيل اختباره فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صحبته فجاوبه أن الصحبة رق ولا أضع رقي في يدك حتى أعرف كيف ملكتك واستمل من عين من تعاشره وتفقد في لحظات الألسن وصفحات الأوجه ولا يحملك الحياء على السكوت عما يضرك أن لا تبينه فإن الكلام سلاح السلم وبالأنين يعرف ألم الجرح واجعل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك وآكد ما أوصيك به أن تطرح الأفكار وتسلم للأقدار واقبل من الدهر ما آتاك به من قر عينا بعيشه نفعه والأفكار تجلب الهموم وتضاعف الغموم وملازمة القطوب عنوان المصائب والخطوب يستريب به الصاحب ويشمت العدو المجانب ولا تضر بالوساوس إلا نفسك لأنك تنصر بها الدهر عليك ولله در القائل

إذا ما كنت للأحزان عونا * عليك مع الزمان فمن تلوم

مع أنه لا يرد عليك الفائت الحزن ولا يرعوي بطول عتبك الزمن ولقد شاهدت بغرناطة شخصا قد ألفته الهموم وعشقته الغموم من صغره إلى كبره لا تراه أبدا خليا من فكره حتى لقب بصدر الهم ومن أعجب ما رأيته منه أنه يتنكد في الشدة ولا يتعلل بأن يكون بعدها فرج ويتنكد في الرخاء خوفا من أن لا يدوم وينشد * توقع زوالا إذا قيل تم * وينشد * وعند التناهي يقصر المتطاول * وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ومثل هذا عمره محسور ضياعا ومتى رمى بك الزمان إلى قوم يذمون من العلم ما تحسنه حسدا لك وقصدا لتصغير قدرك عندك وتزهيدا لك فيه فلا يحملك ذلك على أن تزهد في علمك وتركن إلى العلم الذي مدحوه فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مشي الحجلة فرام أن يتعلمه فصعب عليه ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فنسيه فبقي مخبل المشي كما قيل

حسد القطا وأراد يمشي مشيها * فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها * فلذاك سموه أبا مرقال

ولا يفسد خاطرك من جعل يذم الزمان وأهله ويقول ما بقي في الدنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يرتاح فيه فإن الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صحبه الحرمان واستخفت طلعته الهوان وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم وعجزوا عن طلب الأمور من وجوهها فاستراحوا إلى الوقوع في الناس وإقامة الأعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم وتعذر أمورهم ولا تزل هذين البيتين من فكرك

لن إذا ما نلت عزا * فأخو العز يلين
فإذا نابك دهر * فكما كنت تكون

وقول الآخر

ته وارتفع إن قيل أقتر وانخفض إن قيل أثرى
كالغصن يدنو ما اكتسى * ثمرا ويعلو ما تعرى

ولاقول الآخر

الخير يبقى وإن طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

منظره وعن كثرة الطرب الذي يوجد في الفيل دون غيره من الحيوان وقبولها الرياضة والدربة والمعرفة عند مجاوريه والدهاء والخبث والتمييز وقد ذكر صاحب المنطق في كتاب الحيوان جملا كثيرة من خصال الفيل ومنافع أعضائه وسلك طريقة ما لم يسلكها من تقدم من حكماء الهند من أن العالم عبارة عن الأجسام على جهات ثلاث متفق ومختلف ومتضاد وأن ذلك في الجملة هو جماد ونام وأخرجهم عن العالم الأفلاك والنجوم والبروج وغير ذلك من الأجسام السماوية وليست بجماد ولا نام وأنها أجسام ناطقة (قال المسعودي) فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه آنفا في صدر هذا الباب من ذكر الزنج وبلادهم وغيرهم من أنواع الأحابش فالزنج مع كثرة اصطيادها لما ذكرنا من الفيلة وجمعها لعاجها غير منتفعة بشيء من ذلك في آلاتها وإنما تحلى الزنج بالحديد بدلا عن الذهب والفضة وما ذكرنا من دوابهم أنها بقر وأنهم عليها يقاتلون بدلا من الإبل والخيل وهي بقر تجري كالخيل بسروج ولجم ورأيت بالري نوعا من هذا البقر يبرك كما تبرك الخيل ويثور بحمله كما تثور الإبل إذا استقلت بأحمالها وهذا النوع من البقر يحمل عليه الميتة من الحيوان كالخيل والإبل والخيم

والاستدل الناس ساقاله القائل

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وقريب منه قول القائل

بقدر الصعود يكون الهبوط * فاياك والرتب العاليه
وكن في مكان اذا ما سقطت * تقوم ورجلاك في عافيه

ويحفظ بما يضمنه قول الآخر

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

ولله در القائل

ما طل ما دون البسيطة كافيا * فاذا اقتنعت فكل شئ كافي

والانسان يضربه الذي الأب الكريم وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم والفطن يقنع بالقليل ويستدل باليسير والله سبحانه خليفتي عليك لا رب سواه * تجزت الوصية ويكفيك عنوانا على طبقته في النثر قوله رسالة كتب بها الى ملك المغرب أبي محمد عبد الواحد ابن أبي يعقوب بن عبد المؤمن مهنئا له بالخلافة حين بويع بها بمراكش وكان اذ ذاك باشبيلية وكان قبل ذلك كاتباله ومختصا به الحضرة العلية السامية السنية الطاهرة القدسية حضرة الامامة وجنة دار الاقامة مد الله على الاسلام ظلالها وأرى في سماء السعادة تمامها وكمالها وهنأ المؤمنين باستقبال امارتها وأدام لهم بركة خلافتها عبد آبادها وخديم نادبها المتوسل بقديم الخدمة المتوصل بعميم النعمة وكريم الحرمة المنشد بلسان المسرة حين أطلع الزمان هذه الغرة

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

موسى بن محمد بن سعيد بن محمد لا زال هذا الامر العلي محمودا سعيدا ولا برح يستزيد ترقيا وصعودا

يا نعمة الله زيدي * ان كان فيك مزيد

سلام الله الكريم يخص حضرة الاجلال والتعظيم والتقديس والتفخيم ورحمته وبركاته وبعد حمد الله الذي بلغ الاسلام بهذه الخلافة آماله وحلى بهذه الولاية السعيدة أحواله والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم الذي أدحض الله تعالى به الكفر وضلاله وعلى آله وصحبه الطاهرين الذين سمعوا أقواله وامتثلوا افعاله والرضا عن الامام المهدي المعلوم الذي أفاء الله به على الدين الحنيفي ظلاله وأذهب عنه طواغيته وضلاله والدعاء للمقام العالي الكريم بالسعد المتوالي والنصر الجسيم وكتب العبد وقد ملأت هذه البشرى المسرة أفقه ووسعت عليه هذه المرتبة العلية طرقه

فهذه رتبة ما زلت أرقبها * فاليوم أبسط آمالي وأحتكم

ولا أدفع مني ان اقتصرت على السماء دارا والهلال للبشير سوارا والنجوم عقدا والصباح بندا حتى اسر كل احد بشكله واقابل كل شخص بمثله

والعروم لا كهانوع من الجوس من دنه ولهم خارج الرى قرية لا يسكن معهم فيها غيرهم فاذا مات بالرى

اوقرن من شئ عماد كرنا من البهائم ورجل او احد منهم مع ثورة فانا حذه يحمل عليه ملك الجيفة وسار بها الى قريته فاكلوا منها وبنا منهم من علق منها ويجعلون من لحمها بدهن به الثيرم فاكثر اكلهم واكل بقرهم من ذلك اللحم وارطب وياس وهذا النوع من البقر الغالب عليه حمرة تحدق وسائر البقر تنفر وتهرب من هذا البقر ورأيت باصبهان ثورا منها في انفها حلق الحديد واصفر قد خرم فيها الحلق وحصمت بها كم يعمل بالجمال البخت وكذلك بالرى رأيت ثورا منها قد عدا على ثور من غير هذا النوع لما رآه قصده فقام فزعا من هذا الجنس وليس في سائر أنواع البقر ما يأوي الماء والجزائر والخيرات الا البقر المعروف بالحبشية التي تكون ببلاد مصر واعمالها وبحيرة تنيس ودمياط وما اتصل بتلك الديار واما الجواميس فانها بالثغر الشامي في بحر اكبر ما يكون من العجل في انوفها حلق الحديد والصفر على ما ذكرنا من البقر وكذلك منها ببلاد انطاكية وفيها كثير من ذلك ببلاد السند والهند وطبرستان وقرون تلك البقر اكبر من قرون هذه

ومن

ومن خدم الاقوام يرجو نوالهم * فانى لم اخدمك الا لأخدما

ومابعد الخلافة رتبة ودون ثبير تحط كل هضبة فالحمد لله رب العالمين وهنيأ لعباده المؤمنين حيث نظر لهم نظر رحمة فاسبل عليهم ستر هذه النعمة

ولقد علمت بان ذلك معصم * ما كان يتركه بغير سوار

والله اعلم حيث يجعل رسالاته والى من يشير بآياته فلله صباح ذلك اليوم السعيد وليلته لقد سفر عن وجه من البشرى اضاءت الآفاق شرقا وغربا غرته ولقد اجتمعت آراء السداد حتى أتت الاسلام بالمراد فاخذ القوس باريها وحل بالدار بانيها هنيأ زادك الرحمن اصفاء وخيرا ولازمت المسرات سيرا السير سيرا وهل يحلى النور الا الكامل وهل يليق بالحسن الا الحالى فالآن مهد الله البرين وافاض العدل على العدوتين وقدم للنظر من لا يعزب عن حفظه مكان ولا يختص بحفظه انسان دون انسان خليفة له النفس العمرية والآراء العمرية والفراسة الاياسية ولا ينبئك مثل خبير ولقد شاهد العبد ما لا يحصره تفسير ولعمرى لقد صار الصباح فى اشراق النهار ولم يخف عنا ما زاد الدنيا من البهجات والمسار وشملت الناس هذه البشائر وعمت كل باد وحاضر وأصاخوا لتاليها اصاخة المجدبين لروادهم وأهطعوا اليها مهللين ومكبرين اهطاع الناس لاعيادهم وأما العبد فقد أخذ بحظه حتى خاف أن يغلب السرور على قلبه ولحظه (ومن فرح النفس ما يقتل) وهذه نعمة يقصر عنها النثر والنظم ويحسد عليها الهلال والنجم بل سلطان لما استحقه من المراتب ويخضعان اليها خضوع المفترض الواجب أقر الله بها عيون المسلمين وأفاض سعدها على الناس أجمعين وحفظها بعينه التى لا تنام ووقف على خدمتها الليالى والايام * ولما قدم من الاندلس على تونس مدح سلطانها أبا زكريا بقوله

بشرى ويسرى قد أنار المظلم * نجما وقد وضح الصباح المعلم
ورنت عيون الامن وهى قريرة * وبدت ثغور السعد وهى تبسم
فارحل لتونس واعتقد أعلام من * قوى الضعيف به وأثرى المعدم
حيث المعالى والمعانى والندى * والفضل والقوم الذين هم هم
أجروا الى الغايات مل عنانهم * سبقا وبذهم الجواد المنعم
ساد الامام الملك يحيى سادة * أعطى الورى لهم القياد وسلموا
ان الامارة مذ غدا متقلدها * يقظى وأجفان الحوادث نوم
لله منك مبارك دو فطنة * برئت فاحجم عندها من يقدم
يقظان لاوان ولا متقاعس * كالدهر يبنى ما يشاء ويهدم
ان صال فالليث الهصور المقدم * أوسال فالغيث المغيث المجسم
أعلى منار الحق حين أماله * قوم تبرأت المنابر منهم
أعلى الاله مكانه وزمانه * والنصر يقدم والسعادة تخدم

*(وقال يخاطب ملك المغرب مامون بنى عبد المؤمن حين أخذ البيعة لنفسه باشبيلية وكان

الجواميس التى بأرض الاسلام وطول القرن منها نحو الذراع والذراعين ولذلك الجواميس كثيره بأرض العراق شاملى صفوف الكوفة والبصرة والبطائح وما اتصل بهذه الديار والناس يذكرون عنقاء مغرب ويصورون العنقاء فى الحمامات وغيرها ولم أجد أحدا فى هذه الممالك من شاهدته أو من أخبره بأنه رآها ولست أدرى كيف ذلك ولعله اسم لا مسمى له ولنرجع الآن الى أخبار الزنج وأخبار ملوكها فاما تفسير اسم ملك الزنج الذى هو وقليمن فمعنى ذلك ابن الرب الكبير لانه اختاره لملكهم والعدل فيهم فمتى جار الملك عليهم فى حكمه وحاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك ويزعمون انه اذا فعل ذلك فقد بطل ان يكون ابن الرب الذى هو ملك السموات والارض ويسمون الخالق عز وجل مكلنجلو وتفسيره الرب الكبير والزنج ألو فصاحة فى ألسنتهم وفيهم خطباء بلغتهم يقف الرجل منهم الزاهد فيخطب على الخلق الكثير منهم ويرغبهم فى القرب من بارئهم ويبعثهم على طاعته ويرهبهم من عقابه وصولته ويذكرهم من مضى من ملوكهم وأسلافهم وليس لهم شريعة يرجعون اليها بل رسوم لملوكهم وأنواع من السياسات يسوسون بها رعاياهم وأكلهم الذرة وهو

بلادهم كثير وكذلك بأرض الهند والغالب على أقوات الزنج الذرة ونبت يقال له الكلارى يقلع من

المذكور بأنشر ولى سعيد بهذا الملك اختصاص قديم)

الحزم والعزم موجودان والنظر * واليمن والسعد مضمونان والظفر

والنور فاض على أرجاء أندلس * والزور ليس له عين ولا أثر

حث الركاب الى هذا الجناب فقد * ضلوا فما تنفع الآيات والنذر

واعزم كما عزم المأمون اذ نشرت * أرض العراق فزال البؤس والضرر

* (ولما قدم العادل القائم بمرسية المتولى على مملكة البرين الى اشبيلية كان فى جملة من خرج للقائه ورفع له قصيدة منها)

لقائمه للسبر والشكر مجمع * الى يومه كنا نخب ونوضع

لقد يسر الرحمن صعب مرامه * فأبصرت أضعاف الذى كنت أسمع

وله

يا منعما قد جاءنى بره * من غير ان أجرى له ذكرا

ان أحب الخير ما جاءنى * عفوا ولم أعمل به فكرا

وله فى غلام واعظ وهو من حسناته

وشادن ظل للوعظ تاليا بين جمع

متعت طرفى بمرآ * ه فى خفارة سمعى

وله من أبيات

ومن عجب أن الليالى تغيرت * ولكنها ما غيرت منى العهدا

ومن الفضلاء الذين أدركهم وأخذ عنهم الحافظ أبو بكر بن الجد وأبو بكر بن زهر وغيرهما وحضر حصار طليطلة مع منصور بن عبد المؤمن وكتب لملك البرين أبى محمد عبد الواحد وكتب أيضا عن مأمون بنى عبد المؤمن وكتب أخيرا عن ملك بجاية والغرب الاوسط الامير ابى يحيى ابن ملك افريقية رحم الله تعالى الجميع * (رجع الى أبى الحسن بن سعيد) قال رحمه الله تعالى حضرت ليلة أنس مع كاتب ملك افريقية أبى العباس أحمد الغسانى فاحتاجت الشمعة أن تقط فتناول قطها غلام ببنانه فقلت

ورخص البنان تصدى لأن * يقط السراج بمثل العنم

فقال ولم يهب النار فى لمسه * ولا احتاج فى قطه للجلم

فقلت وما ذاك الا لسكناه فى * فؤادى على ما حوى من ضرم

فقال تعود حر لهيب به * فليس به من أوار ألم

وأنشد فى المغرب للغسانى المذكور فى خسوف القمر مما قاله ارتجالا

كأن البدر لما أن علاه * خسوف لم يكن يعتاد غيره

تخجل غادة قلبته لما * أراها شبهها حسدا وغيره

وخاطبه المذكور برسالة يقول فى آخرها وعند حامل هذه الاحرف سلمه الله تعالى كنه خبرى واستيعاب ما قصر عنه قلمى فضاقت بحمله أسطرى لتعلم ما أجده وأفقده من تشوقى وتصبرى وانى لا أزال أنشد حيث تذكرى وتفكرى

يا نائيا

الارض كالكمأة والراسن ومنه ما هو كثير ببلاد عدن وما اتصل بها من أرض اليمن ويشبه هذا الكلارى القلقاس الذى يكون بالشام ومصر ومن غذائهم أيضا العسل واللحم ومن هوى منهم شيأ من نبات أو حيوان أو جماد عبده وجزائرهم فى البحر لا تحصى كثرة وفيها النارجيل يعم أكله سائر الزنج ومن بعض تلك الجزائر جزيرة بينها وبين ساحل الزنج نحو من يوم أو يومين فيها خلائق من المسلمين يقال لهم قنبلو ويتوارثها المسلمون على حسب ما ذكرنا من أمرها فى هذا الكتاب وأما النوبة فافترقت فرقتين فرقة فى شرق النيل وغربه وأناخت على شاطئه فاتصلت ديارها بديار القبط من أرض مصر والصعيد من بلاد اسوان وغيرها واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بقرب من أعاليه وبنوا دار مملكة وهى مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفريق الآخر من النوبة يقال لهم علوه وبنوا مدينة عظيمة وسموها سوبه (قال المسعودى) وانتهيت فى تصنيفى الى هذا الموضع من كتابنا هذا فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

يا نائيا قد نأى عني بمصطبري * وثاويا في سواد القلب والبصر
اذا تناسيت عهدا من أخي ثقة * فاذكر عهودي ها الخليك من فكري
واردد علي تحياتي بأحسنها * ترددها لي تحيا الى آخر العمر

ولنمسك العنان عن الجري في ميدان أخبار ابن سعيد فانها لا يشق غبارها ومنها قوله رحمه الله تعالى سمعت كثيرا من السماع المشرقي فلم يهزني مثل قول الشرف الشمسي المكي

مثقل بالدمع غرقى * وفؤاد طار خفقا
وتجن وتثن * شق جيب الصبر شقا
بالتقى خبروني * عن حديث اليوم حقا
أكذا كل محب * فارق الاحباب يشقى
لا وعيش قد تقضى * وغرام قد تبقى
ونعيم في ذاركم * قد صفا دهرا ورقا
ونسيم من حماكم * حمل الوجد فرقا
برسالات صبابا * تخلى المشتاق ملقى
وغصون ناعمات * بمياه الدن تسقى
ووجوه تقن حسنا * ملأن الارض عشقا
لو رضيتم لي عبدا * ما رضيت الدهر عتقا

وقال ما سمعت ولا وقفت على شئ أبدع من قول الجزار وقد تردد الى جمال الدين بن يغمور رئيس الديار المصرية فلم يقدر له الاجتماع به

أسأل الله أن يديم لك العز ويبقيك ما أردت البقاء
كل يوم أرجو النعيم بلقيا * ك فألقى بالبعد عنك شقاء
علم الدهر أنني أشتكيه * لك اذ نلتقي فعاق اللقاء

فبعث له بما أصلح حاله من الاحسان وكتب في حقه الى ولاة الصعيد كتبا أغنته مدة عن شكوى الزمان انتهى * وقال أيضا ولم أسمع في وضع الشئ موضعه أحسن من قول المتنبي

وأصبح شعري منهما في مكانه * وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

ولم أسمع في وضع الشئ غير موضعه أحسن من قول أبي الفرج

ومدحي ضائعا في لؤمه * كضياع السيف في كف الجبان

ومن تأليف النور بن سعيد كتاب عدة المستنجز وعقلة المستوفز وذكر فيه انه ارتحل من تونس الى المشرق رحلته الثانية سنة ٦٦٦ وأورد في هذا الكتاب غرائب وبدائع وذكر فيه أنه لما دخل الاسكندرية لم يكن عنده آكد من السؤال عن الملك الناصر فأخبر بحاله وما جرى له مع التطر حتى قتلوه بعد الامان ثم ساق فيه دخول هولاكو حلب فقال بعد كلام كثير وارتكب في أهل حلب التطر والمرتدون ونصارى الارمن ما تصم عنه الاسماع وكان فيمن قتل بتلك الكائنة البدر بن العديم الذي صدر عنه من الطبقة العالية في الشعر مثل قوله

واها لعقرب صدغه * لو لم تكن للماء تحمى

فاخبرت أن الملك في مدينة دنقلة الى النوبة ليرفي بن سدروه وملك ابن ملك ... ابن ملك فصاعدا ومملكته يحتوي على أم ... رية وعلوه والبلد المتصل بمملكته بأرض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح المريسية وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان وأما البجة فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملوكا وفي أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرذ وتتصل سراياهم ومناسرهم على النجب الى بلاد النوبة فيغيرون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجة الى أن قوي الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا في البجة فقويت البجة بمصاهرة من ربيعة وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بشر بن مروان بن اسحق وهو من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة

ولعقل خط عذاره * لوبت أنجمه بالشمى

وابن عمه الافتخار بن العديم الذى وقع له مثل قوله

والغصن فيه الماء مطرد * والماء فيه الغصن منعكس

ثم قال لما ذكر أحوال الناصر بعد استيلاء الططر على بلاده حلب والشام وما إليهما ما نصه

قال من دخل على الملك الناصر وقد نزل بميدان دمشق قبلت يده وجعلت أدعو له وأظهر

تفجعه على ما جرى من تلك المصائب العظيمة فأضرب عن ذلك وقال لى فيم تتغزل اليوم

ثم أنشدنى قوله فى مملوك فقده فى هذه الكائنة

والله ما أبكى الملك مضى * ولا لمال ظاعن أو مقيم

وانما أبكى وقد حق لى * لفقد من كنت به فى نعيم

يطلع بدرا ينثنى بانه * يرفيما رمته كالنسيم

فى خاطرى أبصره خاطرا * فألتوى مثل التواء السقيم

يا عاذلى دعنى وما حل بى * هل سوى الله بحالى عليم

ان مت من حزن له أسترح * وان أعش عشت بهم عظيم

قال ثم انه سار نحو هولاكو فلما مر بحلب ونظر الى معاهده على غير ما يعهد قال

مررت بجرعاء الحمى فتلفتت * لحاظى الى الدار التى رحلوا عنها

ولو كان عندى ألف عين وقت فى * معالمها عمرى لما شبعت منها

وصنع فى نعيها أشعارا يغنى بها المسمعون ثم رحل الى صحراء موشن فى جهة طريق أرمينية

فوجد هولاكو هنالك فى تلك المروج المشهورة بالخصب فأنزله وأقام يشرب معه الى أن

وصل الخبر بوقعة عين جالوت على الططر للملك المظفر قطز صاحب مصر سنة ٦٥٨ فقتلوه

وخلعوا عظم كتفه وجعلوه فى أحد الاعلام على عادته فى أكتاف الملوك انتهى باختصار

*(رجع ومن الوافدين من الاندلس الى المشرق الاديب الحسيب عبد الرحمن بن محمد بن

عبد الملك بن سعيد) وكان صعب الخلق شديد الانفة جرى بينه وبين أقاربه ما أوجب خروجه

الى أقصى المشرق وفى ذلك يقول وكتب به اليهم

من لصب يرعى النجوم صبابه * ضيع الصبر فى الهموم شبابه

زدت بعدا فزدت فيه اقترابا * بودادى كذاك حكم القرابه

منزلى الآن سمرقند وبالقلعة ربع وطئت طفلا ترابه

منذ ما أبعد الفراق انتزاحى * هكذا الليث ليس يدرى اغترابه

لولا أرتجى الاياب لامر * ان يكن يرتجى غريب ايابه

وكتب لهم من بخارى

اذا هبت رياح الغرب طارت * اليها مهجتى نحو التلاقى

وأحسب من تركت به يلاقى * اذا هبت صباها ما ألاقى

فياليت التفرق كان عدلا * فحمل ما يطيق من اشتياقى

وليت العمر لم يبرح وصالا * ولم يختم علينا بالفراق

اذا

بجهة الشرقية وهم الحداربة وهم مسلمون من بين سائر الحبشة والدار حلاس من الحبشة كفار يعبدون صنما هم وأما الحبشة فاسم دار مملكتهم كعمى وهى مدينة ضخمة وهى دار مملكة النجاشى وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة يتصل ملك النجاشى بالبحر الحبشى ولهم ساحل لهم فيه مدن كثيرة وهو مقابل لبلاد اليمن ومن مدن الحبشة على الساحل الزيلع والدهلك وناصع وهذه مدن فيها خلق من المسلمين الا أنهم فى ذمة الحبشة وبين ساحل الحبشة ومدينة غلافقة وهى ساحل زبيد من أرض اليمن ثلاثة أيام عرض البحر بين الساحلين ومن هذا الموضع عبرت الحبشة البحر حين ملكت اليمن فى أيام ذى نواس وهو صاحب الاخدود المذكور فى القرآن وصاحب زبيد فى وقتنا هذا ابراهيم بن زياد صاحب الحرملى ومراكبه تختلف الى ساحل الحبشة ويركب فيها التجار بالامتعة وبينهم مهادنة وهذا الموضع من البحر بين هذين الشطين أعنى ساحل اليمن وساحل الحبشة أقل المواضع فيه عرضا وهنالك جزائر بين هذين الساحلين منها جزيرة العقل يقال ان فيها ماء يعرف بماء العقل تستقى منه أرباب المراكب ويعقل فى القرائح والذكاء

اذا كان الشوق فوق كل صفة فكيف نعبر عنه الشفة لكن العنوان دليل على بعض ما فى الصحيفة والحاجب قد ينوب فى بعض الامور مناب الخليفة وما ظنكم بشوق طرح فى يد الاشواق طايح يقطع مسافات الآفاق يتقلب تقلب الافياء و يتلون تلون الحرباء حتى كانه يخبر مساحات الارض ذات الطول والعرض و يجوب أهوية الاقاليم السبع خارجا عما أدخله فيه اللجاج عن السمع فكانه خليفة الاسكندر لكن ما يجيش من هموم الغربة بفكرى قائمة مقام الجيش والعسكر جزت الى بر العدوة من الغرب الاقصى ثم شوقت نفسى وطمحت الى مشاهدة العرب الاوسط فلاقيت فيما بينهما من المسافة ومن المشاق ما لا يحصى ثم شوقت الى افريقية درب بلاد الشرق فاستشعرت من هنالك ما بينها و بين بلادى من الفرق واختطفت من عينى تلك الطلاوة وانتزعت من قلبى تلك الحلاوة

فلله عين لم تر العين مثلها * ولا تلتقى الا بجنات رضوان

ثم نازعتنى النفس التواقة الى الديار المصرية فكابدت فى البحر ما لا يفى بوصفه الا المشاهدة الى أن أبصرت منار الاسكندرية فيا لك من استئناف عمر جديد بعد اليأس من الحياة عاينت فيها من الهول والتنكيد ثم صعدت الى القاهرة قاعدة الديار المصرية لمعاينة الهرمين وما فيهما من المعالم الازلية وعاينت القاهرة المعزية وما فيها من الهمم العلية الملوكية غير أنى أنكرت مبانيها الواهية على ما حوت من أولى الهمم العالية وكونها حاضرة العسكر الجرار وكرسى الملك العظيم المقدار وقلت أصداف فيها جواهر وشوك محدق بأزاهر ثم ركبت النيل وعاينت تماسيحه وجزت بحر جدة وذقت تباريحه وقضيت الحج والزيارة وملت الى حاضرة الشام دمشق والنفس بالسوء أمارة فهنالك بعت الزيارة بالازورار وآلت تلك التجارة الى ما حكمت به الاقدار اذ هى كما قال أحد من عاينها

أما دمشق فجنات معجلة * للطالبين بها الولدان والحور

فلله ما تضمن داخلها من الحور والولدان وما زين به خارجها من الانهار والجنان و بالجملة فانها جنة تتقاصر عن ادراك أعناق الفصاحة وتقصر عن مناولتها فى ميدان الاوصاف كل راحة ولم أزل أسمع عن حلب أنها دار الكرم والادب فأردت أن يحظى بصرى بما حظى به سمعى ورحلت اليها وأفت جابرا بالمذاكرة والمطايبة صدعى ثم رحلت الى الموصل فألفيت مدينة عليها رونق الاندلس وفيها الطلاوة وفى مبانيها طلاوة ترتاح لها الانفس ثم دخلت الى مقر الخلافة بغداد فعاينت من العظم والضخامة ما لا يفى به الكتب ولو أن البحر مداد ثم تغلغلت الى بلاد العجم بلدا بلدا غير مقتنع بغاية ولا قاصد امدا الى أن حللت بخارى قبة الاسلام ومجمع الانام فألقيت بها عصا التسيار وعكفت على طلب العلم واصلا فى اجتهاده سواد الليل وبياض النهار انتهى * وكتب اليهم أيضا من هذه الرسالة كنت وقد حصلتنى السعادة وحظ الامل والارادة بحضرة بخارى قبة الاسلام * وأجابه أهله من الغرب بكلام منه لما هو ان كنت قد تحصنت بقبة الاسلام فقد عجلت لنا ولك الفقد قبل وقت الحمام وأتبعوا ذلك بما دعاه لان خاطبهم بشعر منه

عتبتم على حتى المعنى وقلتم * تعجلت فقدا قبل وقت حمام

فيلا جيلا وقد ذكر بعض الفلاسفة المتقدمين ما يفعل هذا الماء وماله من خواص وذكر علة ذلك وقد أتينا على الخبر فى كتابنا فى أخبار الزمان عند ذكر الاحجار والاشجار فى تجاربهم وما كان من قضاياهم فى علاجاتهم ممن سلف قبل ظهور الاسلام ومن بعدهم من أهل الملوك والخلفاء بعد ظهور الشرع وقد غلب اليونانيون على هذه الجزيرة وله فى هذا الوقت رجال مرتبون بها من أصحابه وفى هذا البحر مما يلى بلاد عدن جزيرة تعرف بسقطرة واليها يضاف الصبر السقطرى ولا يوجد الا فيها ولا يحمل الا منها وقد كان ارسطاطاليس بن نيقوماخس حين كتب الى الاسكندر بن فيلبس حين سار الى الشام فى أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأن يبعث اليها جماعة من اليونانيين يسكنهم فيها من أجل الصبر السقطرى الذى يقع فى الايارجات وغيرها فسير الاسكندر الى هذه الجزيرة خلقا من اليونانيين أكثرهم من مدينة ارسطاطاليس بن نيقوماخس وهى مدينة اسطاغيرا فى المراكب بأهاليهم فى بحر القلزم فغلبوا على من كان بها من ملوك الهند وملكوا الجزيرة وكان للهند بها صنم عظيم فنقل ذلك الصنم فى أخبار يطول ذكرها وتناسل من بالجزيرة من اليونانيين ومضى الاسكندر

اذا لم يكن حالي مهما لديكم * سواء عليكم رحلتي ومقامي

وقتل المذكور ببخارى حين دخلها الططر وهو عم علي بن سعيد الشهير وكان لعبد الرحمن المذكور أخ يسمى يحيى قد عانى الجندية فلما بلغه أن أبا القاسم عبد الرحمن قتل ببخارى قال لا اله الا الله كان أبدا يسفه رأيي في الجندية ويقول لو اتبعت طريق النجاة كما صنعت أنا لكان خيرا لك فها هو رب قد قتل شر قتلة بحيث لا ينتصر وسلب سلاحه وأنا ما زلت أغازي في عباد الصليب وأخلص منها بقدر أحد أن يحسن لنفسه عاقبة انتهى * قال أبو الحسن علي بن سعيد ثم ان يحيى المذكور بعد خوضه في الحروب صرعه في طريقه غلام كان يخدمه فذبحه على نزر من المال أخذه فانظر الى تقلب الاحوال كيف تجري في أنواع الامور لا على تقدير ولا احتياط انتهى * ومن شعر أبي القاسم عبد الرحمن المذكور ما خاطب به نقيب الاشراف ببخارى وقد أهدى اليه فاختة أم زوجه

أيا سيد الاشراف لازلت عاليا * معاليك تنبو الدهر عن كل ناعت
من الفضل اقبال على ما بعثته * لمغتاظ من شاد دعوه بفاخت
الا حبذا من فاخت ساد جنسه * وأصبح منسوبا بست الفواخت
لئن فاتني منه الانيس فكل ما * يحصل الي عليك ليس بفائت انتهى

(ومنهم الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسن علي بن عبد الله بن يوسف بن حمزة القرطبي الانصاري المعروف بابن العائد) نزيل رباط الصاحب الصفي بن شكر قال بعض المشارقة عنه انما سميت الخمر بالعجوز لانها بنت ثمانين يعني عدد حدها وأنشد له

عذلنا فلانا على فعله * ولمناه في شربه للعجوز
فقال دعوني من أجلها * أنال أنا وأخي والعجوز

(ومنهم الشيخ الفاضل المتقن أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف الانصاري) الشاطبي الاصل البلنسي المولد في أحد ربيعي سنة احدى وستمائة ولقبه المشارقة رضي الدين وتوفي بالقاهرة في جمادى الاولى سنة ٦٨٤ رحمه الله تعالى ومن نظمه لما حضر أجله وقد أمر خادمه أن ينظف له بيته وأن يغلق عليه الباب ويتفقده بعد زمان ففعل ذلك فلما دخل عليه وجده ميتا وقد كتب في رقعة

حان الرحيل فودع الدار التي * ما كان ساكنها بها بمخلد
واضرع الى الملك الجواد وقل له * عبد ببابك الجود أصبح يجتدي
لم يرض غير الله معبودا ولا * دينا سوى دين النبي محمد

ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

أقول لنفسي حين قابلها الردى * فرامت فرارا منه يسرى الى يمنى
ترى تحملي بعض الذي تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الاهنى

أنشده له تلميذه أبو حيان امام عصره في اللغة حدث عن ابن المنير وغيره واشتغل الناس عليه بالقاهرة وله تصانيف مفيدة وسمع من الحافظ أبي الربيع بن سالم وكتب على صحاح الجوهري وغيره حواشي في مجلدات وأثنى عليه تلميذه أبو حيان رحم الله تعالى الجميع

ومن

وظهر المسيح بمصر من كان بها الى هذا الوقت وليس في الدنيا والله أعلم موضع فيه قوم من اليونانيين يحفظون أنسابهم ثم يدعون في أنسابهم روم ولا غيرهم غير أهل هذه الجزيرة وهم في هذا الوقت تأوي اليهم بوارج هذا الدين يغيرون على المسلمين وهذه البوارج وهي المراكب على من أراد الصين والهند ومنها الشواني تقطع الروم في الشواني على المسلمين في البحر الرومي من ساحل الشام ومصر وتحمل من جزيرة سقطرة الصبر وغيره من العقاقير ولهذه الجزيرة أخبار عجيبة ولما فيها من خواص النبات والعقاقير قد أتينا على كثير من ذكرها فيما سلف من كتبنا وأما غير هؤلاء من الحبشة الذين قدمنا ذكرهم ممن أمعن في المغرب مثل الزغاوة والكركر والمراقرو مريدة والمرويين والمديين واللالة والعرماطن وزوبلة والعرمد فلكل واحد منهم من هؤلاء وغيرهم من أنواع الاحابش ملك ودار مملكة وقد أتينا على ذكر جميع أجناس السودان وأنواعهم ومساكنهم ومواضعها من الفلك ولأية علة تفلفلت شعورهم واسودت ألوانهم وغير ذلك من أخبارهم وأخبار ملوكهم وعجائب سيرهم وتشعبهم في أنسابهم في كتابنا في أخبار الزمان في الفن الاول

ومن فوائده قوله نقلت من خط أبي الوليد بن خيرة الحافظ القرطبي في فهرست أبي بكر بن مفوز وقد أدركته بسني ولم آخذ عنه واجتمعت به أنشدني له أبو القاسم بن الأبرش يخاطب بعض أكابر أصحاب محمد بن حزم والاشارة لابن حزم الظاهري

يا من تعنى أمورا لن يعانيها * خل التعالي وأعط القوس باريها
تروي الأحاديث عن كل مسامحة * وإنما لمعانيـــــها معانيها

وقد سبق في ترجمة القاضي أبي الوليد الباجي ذكر هذين البيتين عند ما الجوزي ذكر ابن حزم قال وإنما قال هذا الشعر لأنه ذكر رواية ادعيت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم إن خالدا قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله وصحح رواية من روى أعبده جمع عبد وعلل رواية من روى أعتده بالتاء مثناة باثنتين من فوق جمع عتد وهو الفرس قال ابن خيرة الإحاطة ممتنعة وهذه الرواية قد رواها جماعة من الأثبات والعلماء المحدثين فهو إنكار غير معروف والله تعالى أعلم * ومن فوائده ما نقله تلميذه أبو حيان النحوي عنه قال أنشدنا الماهري ونقلته من خطه

إذا ما شئت معرفة * لما حار الورى فيه
فخذ خمسا لأربعة * ودع للثوب راقيه

وهو لغز في ورد قال وأنشدنا لبعضهم

لا رعى الله عزمة ضمنت لي * سلوة الصبر والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت * مثل قلبي تقول لا بد منه

قال وأنشدنا لغيره

وكان غريب الحسن قبل التحائه * فلما التحى صار الغريب المصنفا

وأنشدنا لغيره

طب على الوحدة نفسا * وارض بالوحشة أنسا
ما عليها من يساوي * حين تستخبر فلسا

وقرأ الرضي ببلده على ابن صاحب الصلاة آخر أصحاب ابن هذيل وسمع منه كتاب التلخيص للداني وسمع بمصر من ابن المقير وجماعة وروى عنه الحافظ المزي واليونيني والظاهري وآخرون وانتهت إليه معرفة اللغة وغريبها وكان يقول أحرف اللغة على قسمين قسم أعرف معناه وشواهده وقسم أعرف كيف أنطق به فقط رحمه الله تعالى * ومن فوائد الرضي الشاطبي المذكور ما ذكره أبو حيان في البحر قال وهو من غريب ما أنشدنا الإمام اللغوي رضي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي لزينب بنت إسحق النصراني الرسعني

عدي وتيم لا أحاول ذكرهم * بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه * إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم * وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم إني لأحسب حبهم * سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

من جملة الثلاثين فنا ثم فيما بعد من هذا الكتاب مما لم نذكره في كتابنا أخبار الزمان مما لا ينبغي ترك ايراده فيه ولا تعريته منه (قال المسعودي) وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما افتتح عمرو ابن العاص مصر كتب إليه بمحاربة النوبة فغزاهم المسلمون فوجدوهم يرمون الحدق وأبى عمرو ابن العاص أن يصالحهم حتى صرف عن مصر وولي عبد الله بن سعد فصالحهم على رؤس من السبي معلومة مما يشبه هذا المال الذي ورثناه من بعدهم من ممالك النوبة المقدم ذكره فيما سلف من هذا الباب المدعو علائم يس وغيرها من أرض النوبة فصار ما يقبض منهم من السبي سنة جارية في كل سنة إلى هذه الغاية يحمل إلى صاحب مصر ويدعى هذا السبي في العربية بأرض مصر والنوبة بالبقط وعدد ذلك ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأسا وأراه وسم على عدد أيام السنة هذا لبيت مال المسلمين بشرط الهدنة بينهم وبين النوبة وللأمير بمصر غير ما ذكرنا من عدد السبي أربعون رأسا ولخليفته المقيم ببلد أسوان المجاوره لأرض النوبة وهو المتولي لقبض هذا البقط وهو السبي عشرون رأسا غير الأربعين وللعامل المقيم

ومن نظم الرضي المذكور

منغص العيش لا ياوي الى دعة * من كان في بلد أو كان ذا ولد

والساكن النفس من لم ترض همته * سكنى بلاد ولا سكنى الى احد

وله

لولا بناتي وسيئاتي * لطرت شوقا الى الممات

لانني في جوار قوم * بغضني قربهم حياتي

ومما أعليه ابو حيان كتاب التيسير وانني عليه ولما نوفي انشد ارتجالا

نعى لي الرضي فقلت لقد * نعى لي شيخ العلا والادب

فمن للغات ومن للثقات * ومن للنحاة ومن للنسب

لقد كان للعلم بحرا فغار * وان غؤر البحار العجب

فقدس من عالم عامل * اثار اشجوى لما ذهب

وتحاكم الى رضي الدين المذكور الجزار والسراج الوراق ايهما أشعر وارسل اليه الجزار شيأ فقال هذا شعر جزل من نمط شعر العرب فبلغ ذلك الوراق فارسل اليه شيأ فقال هذا شعر سلس وآخر الامر قال ما أحكم بينكما رحمه الله تعالى * قلت رأيت بخطه كتبا كثيرة بمصر وحواشي مفيدة في اللغة وعلى دواوين العرب رحمه الله تعالى * (ومنهم حميد الزاهد وهو الاديب الفاضل الزاهد أبو بكر حميد بن أبي محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الانصاري القرطبي نزيل مالقة) قال الرضي الشاطبي المذكور قرئ ما أنشد في حميد بالقاهرة لابيه أبي محمد وقد تأخر شيبه مع علو سنه

وهل نافعي أن اخطأ الشيب مفرقي * وقد شاب أترابي وشاب لداتي

اذا كان خط الشيب يوجد عنده * بتربي فعناه يقوم بذاتي

واللدات من ولد معه في زمان واحد انتهى وفي ذكري أنه قال هذين البيتين لما قال له القاضي عياض شبنا ولم تشب وقال الرضي أيضا انشدني حميد لابيه فيمن يكتب في الورق بالقص وهو غريب

وكاتب وشي طرسه حبره * لم يشنها حبره ولا قلمه

لكن بمقراضه ينمنمها * نمنمة الرص وجاده رهمه

يوجد بالقطع أحرفا عدمت * فاعجب لشئ وجوده عدمه

والرهم المطر قال وتوفي حميد الزاهد هذا بمصر قبيل الظهر من يوم الثلاثاء وصلى عليه جامع مصر بجامع راشدة بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء المذكور ودفن بسفح المقطم بتربة الشيخ الفاضل الزاهد أبي بكر محمد الخزرجي الذي يدق الرصاص حذاء رجليه في الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وستمائة ومولده سنة ست وستمائة انتهى *(ومنهم اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عبد الله الغافقي) من اهل بلنسية واصله من جيان وسكن المرية ثم مالقة يكنى أبا يحيى كتب لبعض الامراء بشرق الاندلس وله تاليف سماه المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

ولاثني عشر شاهدا عدولا من أهل اسوان يحضرون مع الحاكم حين قبض البقط اثنا عشر رأسا من السبي على حسب ما جرى به الرسم في صدر الاسلام في ابتداء المهادنة بين المسلمين والنوبة والموضع الذي يسلم فيه هذا البقط ويحضره من سميناه وغيرهم من النوبة من ثقات الملك يعرف بالقصر وهو على ستة أميال من مدينة اسوان بالقرب من جزيرة بلاق وبلاق هذه مدينة في الموضع المعروف بالجنادل من الجبال والاحجار وهذه المدينة في هذه الجزيرة يحيط بها ماء النيل كاحاطة ماء الفرات بالمدن التي في الجزائر بين رحبة مالك بن طوق وبين الرقة وناوسة وعانة والحديثة وفي مدينة بلاق خلق كثير من الناس ومنبر ونخل كثير في كلا الشطين وهذه المدينة اليها تنتهي سفن النوبة وسفن المسلمين من بلاد مصر واسوان ومدينة اسوان يسكنها خلق كثير من العرب من قحطان ونزار بن معد من ربيعة ومضر وخلق من قريش وأكثرهم ناقلة من الحجاز وهو بلد كثير النخل خصيب كثير الخير تودع النواة الارض فتنبت نخلة

بالديار المصرية بعد أن رحل اليها من الاندلس سنة ستين وخمسمائة وبها توفى فى يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة خمس وسبعين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم محمد بن عبد الرحمن ابن على بن محمد التجيبى يكنى أبا عبد الله من أهل اشبيلية) تجول فى بلاد الاندلس طالبا للعلم ثم حج ولقى الحافظ السلفى وغيره واستوطن تلمسان وبها توفى فى جمادى الاولى سنة عشر وستمائة وله تواليف كثيرة (ومنهم أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمى الباجى) من أهل اشبيلية ولى القضاء بها وأصله من باجة افريقية دخل المشرق لاداء الفريضة فحج وتوفى بمصر بعد ما دخل الشام فى اليوم الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وستمائة ومولده عام أربعة وستين وخمسمائة وكانت رحلته من المغرب أول يوم من المحرم عام أربعة وثلاثين وستمائة (ومنهم وليد بن بكر بن مخلد بن زياد العمرى) من أهل سرقسطة يكنى أبا العباس له كتاب سماه الوجازة فى صحة القول بالاجازة وله رحلة لقى فيها ألف شيخ محدث وفقيه توفى بالدينور سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة يروى عنه أبو ذر الهروى وعبد الغنى الحافظ وكفاه فخرا بهذين الامامين العظيمين رحم الله تعالى الجميع * (ومنهم عيسى بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعينى الرندى يكنى أبا محمد) استوطن مالقة ورحل الى المشرق وحج ولقى جماعة من العلماء وقفل الى المغرب أواخر عام واحد وثلاثين وستمائة وولى الامامة بالمسجد الجامع بمالقة وبها توفى فى ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ولقب فى المشرق برشيد الدين وولد فى ربيع الاول سنة احدى وثمانين وخمسمائة بقرية من قرى الاندلس يقال لها بلماتين من كورة بشتغير ذكر ذلك ابن المستوفى فى تاريخ اربل * (ومنهم أبو الربيع سليمان بن أحمد اليمنى) من أهل الاندلس استوطن المشرق ومدح الملك الكامل ومن شعره رحمه الله تعالى قوله

لولا تحدثه بآية سحره * ما كنت ممتثلا شريعة أمره
رشأ أصدقه وكاذب وعده * يبدى لعاشقه أدلة عذره
ظهرت نبوة حسنه فى فترة * من جفنه وضلالة من شعره

(ومنهم أبو جعفر أحمد بن يحيى الضبى) رحل حاجا فلقى ببجاية عبد الحق الاشبيلى وبالاسكندرية أبا الطاهر بن عوف ولقى غير واحد فى رحلته كالغزنوى وأبى الثناء الحرانى وأبى الحسين الحريثى وللعريثى أحاديث ساوى بها البخارى ومسلما ولقى جماعة ممن شارك السلفى فى شيوخه (ومنهم أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى صاحب الرحلة) وهو من ولد ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة أندلسى شاطبى بلنسى مولده ليلة السبت عاشر ربيع الاول سنة أربعين وخمسمائة ببلنسية وقيل فى مولده غير ذلك وسمع من أبيه بشاطبة ومن أبى عبد الله الاصيلى وأبى الحسن بن أبى العيش وأخذ عنه القراآت وعنى بالادب فبلغ الغاية فيه وتقدم فى صناعة القريض والكتابة ومن شعره قوله وقد دخل الى بغداد فاقتطع غصنا نضرا من أحد بساتينها فذوى فى يده

لا تغترب عن وطن * واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن اذا * ما فارق الاصل ذوى

ويؤكل من ثمرها بعد سنتين وليست تربتهم كتربة البصرة ولا الكوفة ٧٠٠ ولا غيرهما من أرض النخل لان النخل بالبصرة لا ينبت من النوى بل ينبت من الثال والفسيل وهو النخل الصغير وما يخرج من النواة فليس يثمر ولا يفلح وليس باسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة بارض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة واشتريت هذه الضياع من النوبة فى صدر الزمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفد أوفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان ناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل اسوان وأنها ضياعه والقوم عبيد لا املاك لهم واعلمكم على هذه الضياع ملك العبيد العاملين فيها فرد المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل اسوان انها ستنزع من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بان تقدموا الى من ابتيع منهم من أهل النوبة أنهم اذا حضروا حضرة الحاكم ان لا يقروا لملوكهم بالعبودية وأن يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم تجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم أنتم

وقال رحمه الله تعالى يخاطب الصدر الجندى

يا من حواه الدين فى عصره * صدرا يحل العلم منه فؤاد
ما دايرى سيدنا المرتضى * فى زائر يخطب منه الوداد
لا يبتغى منه سوى أحرف * يعتدها أشرف ذخر يفاد
ترسمها أنمله مثل ما * ترقم زهر الروض كف العهاد
فى رقعة كالصبح أهدى لها * يد المعالى مسك ليل المداد
اجازة يورثنيها العلا * جائزة تبقى وتفنى البلاد
يستصحب الشكر حديثا لها * والشكر للامجاد أسنى عتاد

فاجابه الصدر الجندى

لك الله من خاطب خلتى * ومن قابس يجتدى سقط زندى
اجزت له ما أجازوه لى * وما حدثوه وما صح عندى
وكاتب هذى السطور التى * تراهن عبد اللطيف الجندى

ورافق ابن جبير فى هذه الرحلة أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعى وأصله من أندة من عمل بلنسية رحل معه فأديا الفريضة وسمعا بدمشق من أبى الطاهر الخشوعى وأجازهما أبو محمد بن أبى عصرون وأبو محمد القاسم بن عساكر وغيرهما ودخلا بغداد وتجولا مدة ثم قفلا جميعا الى المغرب فسمع كل منهما به بعض ما كان عندهما وكان أبو جعفر هذا متحققا بعلم الطب وله فيه تقييد مفيد مع المشاركة الكاملة فى فنون العلم ومنهم السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن وجده لامه القاضى أبو محمد عبد الحق بن عطية وتوفى أبو جعفر هذا بمراكش سنة ثمان أو تسع وتسعين وخمسمائة ولم يبلغ الخمسين فى سنه رحمه الله تعالى (رجع الى ابن جبير) قال لسان الدين فى حقه انه من علماء الاندلس بالفقه والحديث والمشاركة فى الآداب وله الرحلة المشهورة واشتهرت فى السلطان الناصر صلاح الدين بن ايوب له قصيدتان احداهما أولها

أطلت على أفقك الزاهر * سعود من الفلك الدائر

ومنها

رفعت مغارم مكس الحجاز * بانعامك الشامل الغامر
وأمنت أكناف تلك البلاد * فهان السبيل على العابر
وسحب أياديك فياضة * على وارد وعلى صادر
فكم لك بالشرق من حامد * وكم لك بالغرب من شاكر

والاخرى منها فى الشكوى من ابن شكر الذى كان أخذ المكس من الناس فى الحجاز

وما نال الحجاز بكم صلاحا * وقد نالته مصر والشآم

ومن شعره

اهلا هذا الزمان الخؤون * توالت عليهم حروف العلل
تعنيت التعجب من بابهم * فصرت أطالع باب البدل

تأييد الملك لكم وأموالكم لدفعه من كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما أوهموه عليه من هذا المعنى فى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضيع بارض النوبة من بلاد مريس ودار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين نوع من وصفنا احرار غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن من النوبة فى غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهى بلاد مريس ومعدن الزمرد فى عمل الصعيد الاعلى من أعمال مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا المعدن والموضع الذى فيه الزمرد يعرف بالخربة مفازة وجبال والخربة تسمى هذا المكان المعروف بالخربة واليها تؤدى الخفارات من بر الى حفر الزمرد والزمرد الذى يقتلع من هذا المعدن يتنوع أربعة أنواع النوع الاول منها يعرف بالمر وهو أجودها وأغلاها ثمنا وهو شديد الخضرة كثير الماء تشبه خضرته باشد ما يكون من السلق خضرة وهذا اللون غير كدر ولا ضارب الى السواد والنوع الثانى يدعى بالبحرى ومعناهم فى هذه التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزنج والصين ترغب فى هذا النوع من

وقوله

وقوله

غريب تذكر أوطانه * فهيج بالذكر أشجانه
يحل عرا صبره بالاسى * ويعقد بالنجم أجفانه

انتهى

وقال رحمه الله تعالى لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفا ومهابة وتعظيما

بدت لي أعلام بيت الهدى * بمكة والنور باد عليه
فأحرمت شوقا له بالهوى * وأهديت قلبي هديا اليه

وقوله يخاطب من أهدى اليه موزا

يامهدى الموز تبقى * ودم لنا للشفاء
وزاية عن قريب * لمن يعاد بلقاء

وقال رحمه الله تعالى

قد ظهرت في عصرنا فرقة * ظهورها شؤم على العصر
لا تقتدي في الدين الا بما * سن ابن سينا وأبو نصر

وقال

ياوحشتا للاسلام من فرقة * شاغلة أنفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها * وادعت الحكمة والفلسفه

وقال

ضلت بأفعالها الشنيعه * طائفة عن هدى الشريعه
ليست ترى فاعلا حكيما * يفعل شيأ سوى الطبيعه

وكان انفصاله رحمه الله تعالى من غرناطة بقصد الرحلة المشرقية أول ساعة من يوم الخميس الثامن لشوال سنة ٥٧٨ ووصل اسكندرية يوم السبت التاسع والعشرين من ذي القعدة الحرام من السنة م وكانت اقامته على متن البحر من الاندلس الى الاسكندرية ثلاثين يوما ونزل البر الاسكندراني في الحادي والثلاثين وحج رحمه الله تعالى وتجول في البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها وكان رحمه الله تعالى كما قال ابن الرقيق من أعلام العلماء العارفين بالله كتب في أول أمره عن السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة فاستدعاه لان يكتب عنه كتابا وهو على شرابه فمد يده اليه بكاس فأظهر الانقباض وقال ياسيدي ماشربتها قط فقال والله لتشربن منها سبعا فلما رأى العزيمة شرب سبعا فملأ له السيد الكاس من دنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره فحمله الى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب الى السيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها أنه يحج في تلك السنة فأسعفه وباع ملكا له تزوده وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر

ومن شعره في جارية تركها بغرناطة

طول اغتراب وبرح شوق * لا صبر والله لي عليه
اليك أشكو الذي ألاقي * ياخير من يشتكي اليه
ولي بغرناطة حبيب * قد غلق الرهن في يديه

الزمرذ وتباهى في استعماله ولباسه في بجانها وأكاليلها وخواتيمها وأسورتها

فسمى البحري لما ذكرنا وهو ثاني المذكور في الجودة ونشبه خضرته بالاول والماء اقتداح ورق الآس الذي ينبت في أوائل أغصان الآس وأطرافه والنوع الثالث يعرف بالمغربي ومعناهم في هذه التسمية واضافتهم اياه الى المغرب هو أن ملوك المغرب من الافرنجة والنوكبر والاندلس والجلالقة والنوسكنس والصقالبة والروس وان كان أكثر هؤلاء الامم متصلين بالبحر وفي ما بين المشرق والمغرب على حسب ما ذكرنا من ديار ولد يافث بن نوح يتنافسون في هذا النوع من الزمرذ كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والسند في النوع المعروف بالبحري والنوع الرابع هو المسمى بالاصم وهو أدنى الانواع وأقلها ثمنا لقلة مائه وخضرته وهذا النوع متفاوت في اللون من الخضرة والقلة ويجمله الوصف بهذه الانواع الاربعة في الجودة والمبالغة في الثمن هو أكثرها ماء وأصفاها وأكثرها خضرة وأنقاها من السواد والصفرة وغير ذلك من الالوان مع

تعرى هذا الجوهر من النموشة فاذا سلم مما ذكرنا كان في نوعه غاية في الجودة ونهاية في الوصف وفي تجارته مايلغ

ودعته وهو بارتحاض * يظهر لي بعض ماالديه

فلو ترى طل نرجسيه * ينهل في ورد وجنتيه

أبصرت دراً على عقيق * من دمعه فوق صفحتيه

وله رحلة مشهورة بايدى الناس ولما وصل بغداد تذكر بلده فقال

سقى الله باب الطاق صوب غمامة * ورد الى الاوطان كل غريب انتهى

وقال في رحلته في حق دمشق جنة المشرق ومطلع حسنه المونق المشرق هى خاتمة بلاد الاسلام التى استقريناها وعروس المدن التى اجتليناها التى قد تحلت بازاهر الرياحين وتجلت في حلل سندسية وحلت من موضع الحسن بمكان مكين وتزينت في منصتها أجمل تزيين وشرفت بان آوى الله تعالى المسيح وأمه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسبيل تنساب مذانبه انسياب الاراقم بكل سبيل ورياض يحيى النفوس نسيمها العليل تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم هلموا الى معرس للحسن ومقيل قد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت الى الظما فتكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد أحدقت بها البساتين احداق الهالة بالقمر واكتنفتها اكتناف الكمامة للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر فكل موقع لحظة بجهاتها الاربع نظرته اليانعة قيد النظر ولله صدق القائلين فيها ان كانت الجنة في الارض فدمشق لاشك فيها وان كانت في السماء فهى بحيث تسامتها وتحاذيها * قال العلامة ابن جابر الوادى آشى بعد ذكره وصف ابن جبير لدمشق مانصه ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتوق الانفس للتطلع على صورتها بما أفاد هذا ولم تكن له بها اقامة فيعرب عنها بحقيقة علامة وما وصف ذهبيات أصيلها وقد حان من الشمس غروب ولا ازمان فصولها المنوعات ولا أوقات سرورها المهنآت ولقد أنصف من قال ألفيتها كما تصف الالسن وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين انتهى *(رجع الى كلام ابن جبير)* فنقول ثم ذكر في وصف الجامع أنه من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه ومن عجيب شانه أنه لاتنسج به العنكبوت ولاتدخله ولاتلم به الطير المعروفة بالخطاف ثم مد النفس في وصف الجامع ومافيه من العجائب ثم قال بعد عدة أوراق مانصه وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذى أمامه غرفة ولها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان صفر وقد فتحت أبوابا صغارا على عدد ساعات النهار دبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازين مصورين من صفر قائمين على طاسي صفر تحت كل واحد منهما أحدهما تحت أول باب من تلك الابواب والثانى تحت آخرها والطاسان مثقوبتان فعند وقوع البندقتين فيهما تعودان داخل الجدار الى الغرفة وتبصر البازين يمدان أعناقهما بالبندقتين الى الطاسين بسمع لهما دوى وينغلق الباب الذى هو لتلك الساعة للعين بلوح من الصفر لاتزال كذلك عند انقضاء كل ساعة من النهار حتى تنغلق الابواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود الى حالها الاول ولها بالليل

يجمعه المثاقيل في الوزن الى أن ينتهي الى حد العدسة في المقدار فيدخل ذلك في النظم من المخانق وغيرها وآفات هذا الجوهر المتوع كثرة سم الهم والخشونة والعروق البيض التى فيه وهذا الجوهر يوجد فيه ولا ننما كرى دوى الدراية بهذا الجوهر ومن خواص معرفته أن الحيات والافاعى وسائر أنواع الحيات من الثعابين ونحوها اذا أبصرت الزمرد الخالص سالت أحداقها وأن الملسوع اذا سقي من الزمرد الخالص وزن دانقين على الفور أمن على نفسه من سرى السم في جسده ولايوجد شئ من أنواع الحيات يقرب من معدنه وأرضه وقد جرب ابن زهر ذلك بكاس اداورد على الماس وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم شان هذا الجوهر وتفضله على غيره من سائر الجواهر لما اجتمع فيه من الخواص العجيبة والمنافع الكثيرة وخفته في الوزن دون سائر الجواهر المعدنية وأكثر مايوجد من هذه الانواع العروق في الارض وهو المتنافس فيه اذا سلم من الاعوجاج والنقش واستقام سلكه واستطال ما استدار وأدناه ماتحل في معدنه من التراب ولتقط من الطين وقد يوجد على ظهر الارض في هذا المعدن في وهاده وجباله

تدبيراً آخر وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة مدبر ذلك كله خلف منها الطيقان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاعها ولاحت للابصار دائرة محمرة ثم انتقل ذلك الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها وقد وكل بها في الغرفة متفقد لحالها دربي بشأنها وانتقالها يعيد فتح الابواب وصرف الصنج الى موضعها وهي التي يسميها الناس الميقاتة انتهى المقصود منه قلت كل ما ذكر رحمه الله تعالى في وصف دمشق الشام وأهلها فهو في نفس الامر يسير ومن دار يوم بمخاسنها الى اذا رجع البصر فيها انقلب وهو حسير وقد أطنب الناس فيها وما بقي أكثر مما ذكروه وقد دخلتها أواخر شعبان من سنة سبع وثلاثين والف للهجرة وافترقت بها الى أوائل شوال من السنة وارتحلت عنها الى مصر وقد تركت القلب فيها رهنا وملك هواها مني فكرا وذهنا فكأنها بلدي التي بها ربيت وقراري الذي لي به اهل وبيت لان اهلها عاملوني بالبشر لي بشكره يدان وها أنا الى هذا التاريخ لا ارتاح لغيرها من البلدان ولا يشوقني ذكر أرض بابل ولا بغداد فالله سبحانه وتعالى يعطرها بالعافية الاردان * وقد عن لي أن أذكر جملة مما قيل فيها من الامداح الرائقة وأسرد ما خاطبني به اهلها من القصائد الفائقة فأقول قال البدر بن حبيب

يم دمشق ومل الى غربيها * والمح محاسن حسن جامع بلغا
من قال من حسد رأيت نظيره * بين الجوامع في البلاد فقد لغا

وقال في كتاب شنف السامع بوصف الجامع

لله ما أحلى محاسن جلق * وجهاتها اللاتي تروق وتعذب
بيز يدربوتها الفرات وجنكها * ياصاح كم كنا نخوض ونلعب

وقال فيه أيضا

لله ما أجل وصف جلق * وما حوى جامعها المنفرد
قد أطرب الناس بصوت صيته * وكيف لا يطرب وهو معبد

وقال في ذكر باب الجامع المعروف بالزيادة

يا راغبا في غير جامع جلق * هل يستوي الممنوع والممنوح
أقصر عنا الشوق عاذلك لا ترد * ان الزيادة بابها مفتوح

وقال في منارته المعروفة بالعروس

معبد الشام يجمع الناس طرا * واليه شوقا تميل النفوس
كيف لا يجمع الورى وهو بيت * فيه تجلى على الدوام العروس

ومنه في ذكر بانيه الوليد

تالله ما كان الوليد دعابثا * في صرفه المال وبذل جهده
لكنه أحرز ملك معبد * لا ينبغي لأحد من بعده

الهند من بلاد سفدان وبحر كنبايت من مملكة النهر صاحب الناكور المتقدم ذكره فيهما سلف من هذا الكتاب نوع من الزمرد يلحق بوصف ما ذكرناه من النور والخضرة والشعاع الا انه [illegible] عن صاحب [illegible] بما وصفناه [illegible] ذكرنا ولا فرق بين هذا النوع المحمول من أرض الهند وبين الانواع الاربعة المتقدم ذكرها الا ذو دراية فطن أو ماهر ظريف وهذا النوع الهندي يعرفه اصحاب الجوهر بالمكي لانه يحمل من أرض الهند الى بلاد عدن وغيرها من سواحل اليمن ويؤتى به مكة فاشتهر بهذا الاسم لما وصفناه بهذا النعت لما ذكرناه وقد أتينا على مبسوط اخبار الجواهر والشواهد وغيرها ووصف معادنها على الشرح والايضاح في كتابنا في اخبار الزمان ووجدت جماعة بصعيد مصر من ذوي الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر الذي هو الزمرد يخبرون أن هذا الزمرد يكثر ويقل في فصول من السنة وفي نوع من مواد الهواء وهبوب نوع

أنواع الكبريت بكثرة في معدنه في السنة التي يكثر برقها وتشتد رواعدها على حسب ما اخبرنا به فيما سلف من هذا الكتاب عن المكثورين بلاد فيه صورة وغيرهم من أرض الهداية يكثر في السنة التي يكثر سائرها والرعود والبروق ولذا ان المكثار لخاطب ذيل والايجاز لحمه دالة روحى صرح عن ضمير والبلاغة ايضاح بالايجاز لاسهب في هذا الباب وبين هذا الموضع المعروف بالحزبة الذي فيه معدن هذا النوع من الجوهر وهو الزمرذ وبين ما تصل به من العمارة ونحو منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهي قفط وقوص وغيرهما من صعيد مصر وقوص راكبة للنيل وبين النيل وقفط نحو من ميلين ولمدينتي قفط وقوص أخبار عجيبة في بدء عمرانهما وما كان في أيام الاقباط من أخبارهما الآن مدينة قفط في هذا الوقت متداعية للخراب وقوص اعمر والناس فيها اكثر بوادي البجه المسالكة لهذا المعدن معدن الزمرذ وتتصل ديارها بالعلاقي وهي معدن الذهب على حسب ما قدمنا في هذا الباب وبين العلاقي والنيل خمس عشرة مرحلة وماء أهل العلاقي ما ينهل

ومن أبيات في آخره

بجامع جلق رب الزعامه * أقم تلق العناية والكرامه

ويمم نحوه في كل وقت * وصل به تصل دارا لاقامه

مصلى فيه للرحمن ذكر * ومثوى للقبول به علامه

محل كمل الباري حلاه * وبيت أبدع الباري نظامه

دمشق لم تزل للشام وجها * ومسجدها الوجه الشام شامه

وبين معابد الآفاق طرا * له أمر الامارة والامامه

ادام الله بهجته وأبقى * محاسنه الى يوم القيامه

انتهى

ولم أقف على كل هذا الكتاب المذكور بل على بعضه ومن قصيدة القاضي المهذب بن الزبير

بالله يا ريح الشمال * لاذا اشتملت الريد بردا

وحملت من عرف الخزا * مى ما اغتدى للمند ندا

ونسجت ما بين الغصو * ن اذا اعتنقن هوى وودا

وهززت عند الصبح من * أعطافها قدا فقدا

ونثرت فوق الماء من * أجيادها للزهر عقدا

فملأت صفحته وجهه * حتى اكتسى آسا وورودا

وكأنما ألقيت فيـ * ـه منهما صدغا وخدا

مرى على بردى عسا * ه يزيد في مسراك بردا

نهر كمصقل السيف تكـ * ـسر متنه الازهار حمدا

صقلته أنفاس النسيـ * ـم عزهن وليس بصدا

ومنها

أحبابنا ما بالكم * فيما من الاعداء أعدى

وحياة حبكم وحر * مة أصلكم ما خنت عهدا

وقال الكمال الشريشي

يا جيرة الشام هل من نحوكم خبر * فان قلبي بنار الشوق يستعر

بعدت عنكم فلا والله بعدكم * ما لذ للعين لا نوم ولا سهر

اذا ذكرت أوقاتا مضت * بقربكم كادت الاحشاء تنفطر

كأنني لم أكن بالنيربين ضحى * والغيم يبكي ومنه يضحك الزهر

والورق تنشد والاغصان راقصة * والدوح يطرب بالتصفيق والنهر

والسفح أين عشياتي التي ذهبت * لي فيه فهي لعمري عندي العمر

سقاك بالسفح سفح الدمع منهمرا * وقل ذاك له ان أعوز المطر

*(وحكى ابن سعيد وغيره) أن غرناطة تسمى دمشق الاندلس لسكنى أهل دمشق الشام بها عند دخولهم الاندلس وقد شبهوها بها لما رأوها كثيرة المياه والاشجار وقد أطل عليها جبل

الثلج

الثلج وفي ذلك يقول ابن جبير صاحب الرحلة

يادمشق الغرب هاتيك لقد زدت عليها
تحتك الانهار تجري * وهي تنصب اليها

قال ابن سعيد أشار ابن جبير الى ان غرناطة في مكان مشرف وعوطها اتحتها تجري فيها الانهار ودمشق في وهدة تنصب اليها الانهار وقد قال الله تعالى في وصف الجنة تجري من تحتها الانهار انتهى * وقال الصفدي في تذكرته أنشدني المولى الفاضل البارع شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الخياط بقلعة الجبل من الديار المصرية حرسها الله تعالى لنفسه في شعبان المكرم سنة ٧٣٣

قصدت مصر من بلادي * بهمة تجري بجسر بي
فلم أر الطرة حتى * جرت دموع عيني المريب

وأنشد لنفسه أيضا

خلفت بالشام حبيي وقد * يممت مصرا لعنا طارق
والارض قد طالت فلا تبعدي * بالله يامصر على العاشق

وأنشد لنفسه أيضا

ياأهل مصر أنتم للعلا * كواكب الاحسان والفضل
لولم تكونوا الى سعود الما * وافيتكم أضرب في الرمل

انتهى

وذكرته برمته لحسن معناه وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد المعروف بابن الظهير الحنفي الاربلي

لعل سنى برق الحمى يتألق * على النأى أوطيف الاسماء يطرق
فلا نارها يبدو لمرتقب ولا * وعود الاماني الكواذب تصدق
لعل الرياح الهوج تدني لنازح * من الشام عرفا كاللطيمة تعبق
ديار قضينا العيش فيها منعما * وأيامنا تحنو علينا وتشفق
سحبنا بها برد الشباب وشربنا * لديها كما شئنا الدمرّق
مواطن فيها السهم سهمي وطله * تحب مطايا اللهو فيه وتعنق
جلا جانبيه معلم متجعد * من الماء في اطلاله يتدفق
اذا الشمس حلت متنه فهو مذهب * وان حجبها دوحه فهو أزرق
وان فرج الاوراق جادت بنورها * فرقم اجادته الاكف منمق
يظل عليه فاسيون كانه * غمام معلى أونعام معلق
سافر عنه الشمس قبل غروبها * وترجع اجلالا له حين تشرق
وتصفر من قبل الاصيل كانها * محب من البين المشتت مشفق
وفي النيرب الميمون تلب سالب * من المنظر الزاهي وللطرف مونق
بدائع من صنع القديم رصائع * تأنق فيها المحدث المتأنق
رياض كوشي البرود يشقها * جداولها فالنور بالماء يشرق

من السماء ولهم معين يسيل في وسط العلاقي وأقرب العمارة اليه مدينة اسوان

ومنها يستمد العلاقي والدوقه عليه مداراتهما وقوا لهما مدينة اسوان وأهل اسوان مختلطون بالنوبة (قال المسعودي) وأما بلاد الواحات وهي بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والمغرب وأرض الحابش من النوبة وبينهم مدد كرنا عددا من أخبارها وكثرة العمران بها والخواص في أرضها مما سلف من كتبنا وهي أرض قائمة وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة عبد الملك ابن مروان وهو رجل من لواتة الا انه مرواني المذهب ويركب في ألوف من الناس خيلا ونجبا وبينه وبين الاحابش نحو من ستة أيام وكذلك بينه وبين سائر ماذكرنا من العمائر هذا المقدار من المسافة وفي أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب وقد رأيت صاحب هذا الرجل المقيم بالواحات بباب الاخشيد محمد بن طغج وذلك سنة ثلاثين وثلثمائة وسألته عن كثير من أخبارهم وما احتجب أن أعلمه من

من نرجس يخشى فراق تريفه * ترى الدمع فى أجفانه يترقرق
ومن كل ريحان مغم وزائر * يصافح ريا الرياض فتعبق
كأن قدود السرو فيه مواشيا * قدود عذارى ميلها مترفق
اذا ما بدت للشمس فى صحنها * عيون من النور المفتح ترمق
وقصر يكل الطرف عنه كأنه * الى النسر نسر فى السماء معلق
وكم جدول جار يطارد جدولا * وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة [illegible] * وكم [illegible]
وكم [illegible] * [illegible]
وفى الربوة الفيحاء للعين [illegible] * ولاهم مسلاة وللعين مرتق
عروس جلاها الدهر فوق منصة * من الدهر والا صار يرمى ويرمق
فهام بها الوادى وفاضت عيونه * فكل قرار منه بالدمع يشرق
فكم من دون الجداول شربها * يريد يصفيه لها ويروق

وقال أبو تمام فى دمشق

لولا حدائقها وأنى لا أرى * عرشا هنالك غير أنها بلقيسا
وأرى الزمان غدا اليك بوجهه * جذلان بساما وكان عبوسا
قد بورکت تلك البطون وقدست * تلك الظهور وقدست تقديسا

وقال البحترى

أما دمشق فقد أبدت محاسنها * وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا أردت ملأت العين من بلد * مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشى السحاب على أجبالها فرقا * ويصبح النور فى صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خضلا * أو يانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولى بعد جيئته * أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وفى دمشق يقول بعضهم

مررت دمشق زائرا أوطانها * من كل ناحية بوجه أزهر
لو أن انسانا تعمد أن يرى * معنى حلا من نزهة لم يعذر

وقال العيراطى فى قصيدته التى أولها ما للصب بعدك حالة لا تعجب

لله ليل كالسهر قطعته * بالوصل لا أخشى به ما يرهب
وركبت منه الى التصابى أدهما * من قبل أن يبدو الصباح الأشهب
أيام لا ماء الخدود يشوبه * كدر العذار ولا عذار أشيب
كم فى شمال اللهو لى من جولة * أصبحت منها بالشباب وطرب
وأتت للندماء سوق خلاعة * تجنى المجون الى فيه وتجلب
وذكرت فى معنى دمشق معشرا * أم الزمان بمثلهم لا تنجب
لا يسأل القصاد عن نادبهم * لكن يدلهم الثناء الطيب

الرجل بما بأرضهم من الشب وأنواع الزاج وما يحمل من بلادهم من بارضهم من أنواع المعدن الحامضة وغير ذلك من المياه [illegible] الطعوم وقد [illegible] ان [illegible] المواضع [illegible] [illegible] [illegible] ماؤها [illegible] الخل وذكر الموضع [illegible] منها العيون المرة وان قوة ستهانى المرارة لا يحتمل شيأ لا مرورة وان العلة فى اختلاف هذه الطعوم فى المياه ان الارضين اختلفت مثل موضع الشب والمواضع النارية والرمادية وذكر الاطعمة التى بلاد [illegible] كرها اذا خالطت الماء [illegible] صعوما [illegible] احداثها وأعداد طعومها وأعداد الطعوم ثمانية منها العذب والملح والدسم والحلو والحامض والمر والقابض والحريف وقد تنازع الناس [illegible] فمنهم من رأى ان أعدادها [illegible] ومنهم من ذهب الى انها [illegible] وأكثر من قال فى أعدادها [illegible] غيره وقد قال من سلف [illegible] المياه اذا [illegible]

[illegible] وان كان [illegible] تعمل من داخل او من خارج فانه يبقى الجسد

قوم يحسن صفاتهم وفعالهم ⁂ قد جاء يعتذر الزمان المذنب
يامن لحران الفؤاد وطرفه ⁂ بدمشق أدمعه غدت تنهلب
اشتاق فى وادى دمشق معهدا ⁂ كل الجمال الى حماه ينسب
مافيه الا روضة أرجوبة ⁂ أوجدول أو بلبل أو ربرب
وكأن ذاك النهر فيه معصم ⁂ بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته ⁂ فى الحال بين رياضه يتشعب
وشدت على العيدان ورق أطربت ⁂ غناتها من عاش عنه المطرب
فالورق تنشد والنسيم مشبب ⁂ والنهر يسقى والحدائق تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم ⁂ أضحى له من بين روض مطلب
وحلت بقلبى من عساكر حسنه ⁂ بالارباب الخلاعة ملعب
ولكم رقصت على السماع بحكمها ⁂ وغدا بربوة اللسان يشبب
هـ... أرور معالمها أبوابها ⁂ سماحها كتب السماع موب

وقال الصفى الحلى عند نزوله بدمشق معارضا لقصيدة السموأل بالحماسه

تنبه من تنافت عن الرزق أرضه ⁂ وميل العلا رحب له وعرضه
ولم يبل سربال الدجى فيه ركضه ⁂ اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

اذا المرء لم يحجب عن العين نومها ⁂ ويعل من النفس النفيسة سومها
أضيع ولم يأمن معاليه لومها ⁂ وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيل

رفعنا على هام السماك محلنا ⁂ فلا ذلك الا تغشاه ظلما
اندهاب جيش الاكثرين أقلنا ⁂ ولا قل من كانت بقاياه مثلنا
شباب تسامى للعلا وكهول

يوازى الجبال الراسيات وقارنا ⁂ وبنى على هام المجرة دارنا
ويأمن من صرف الزمان جوارنا ⁂ وماضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل

ولما حللنا الشام تمت أموره ⁂ لنا وحبانا مليكه ووزيره
وبالمرب الاعلى الذى عز طوره ⁂ لنا جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل

يريك الثريا من خلال شعابه ⁂ وتحدق شهب الافق حول هضابه
ويقصر خطو السحب دون ارتكابه ⁂ رسا أصله تحت الثرى وسما به
الى النجم فرع لا ينال طويل

وقصر على الشقراء قد فاض نهره ⁂ وفاق على فخر الكواكب فخره
وقد شاع ما بين البرية شكره ⁂ هو الابلق الفرد الذى سار ذكره

وتشعب بنا القول الى وصفها وكل ماذكرنا من بلاد الاحباش ما كان من غير بى المن وحدة والحار مما يليه

الماء الى ... الاعضاء
ويضع العطش وان الزيادة
منه تبذر الجسد وتديته
وان الماء الاجاج ينفع
من سدد الكبد الطحال
وان الماء الكبريتى ينفع
الجراح والقروح العتيقة
والحكة والزونى نافع
للعكة والجرب وأن ماء
الرصاص نافع من اوجاع
الصلب والعصب وماء
الحديد نافع من الاسترخاء
فى الاحشاء ويابس من
الاوعية وماء النحاس نافع
من الرطوبة والبله
الكائنة فى الرأس
وماء الجص يشبع المعدة
ويقبضها ويركبها وماء
الزاج يحبس الدم وماء
الحجر نافع من البرص وقد
ذكر جماعة أنه ينفع من
الاخلاط الفاسدة اذا
شرب منه اليسير مع دهن
اللوز وله فى البصر ايعاب
فظيع وأن ادخ المياه
للاجساد الابيض البراق
الذى يخرج من جبال
الصين من مشرق الشمس
تجرى ويعبر بها السابل
بسرعة ساردا له من الحر
والبرد وللناس فيما ذكرنا
كلام كثير فى أنواع المياه
وأوصافها ومنافعها
ومضارها لكن كتابنا
هذا موضوعه الوفاء تعلل
بما الكلام الى ذكرها

يعز على من رامه و يطول

اذاما غضبنا فى رضا المجد غضبة * لندرك ثارا أو لنبلغ رتبة

نزيد غداة الكر فى الموت رغبة * وانا القوم لانرى الموت سبة

اذا ما رأته عامر وسلول

وكتب الشيخ محب الدين الحموى ترجمة للشيخ اسمعيل النابلسى شيخ الاسلام من مصر

لواء التهانى بالمسرة يخفق * وشمس المعالى فى سما الفضل تشرق

وسعد واقبال ومجد مخيم * وأيام عز بالوفا تتعلق

فيا أيها المولى الذى جل قدره * ويا أيها الحبر اللبيب المدقق

أرى الشام مذ فارقتها زال نورها * وثوب بهاها والنضارة يخلق

اذا غبت عنها غاب عنها جمالها * ونفس بدون الروح لاتتحقق

وان عدت فيها عاد فيها كمالها * وصار عليها من بهائك رونق

فيا سا كنى وادى دمشق مزاركم * بعيد وباب الوصل دونى مغلق

وليس على هذا النوى لى طاقة * فهل من قيود البين والبعد أطلق

وانى الى أخباركم متشوف * وانى الى لقيا كم متشوق

أود اذا هب النسيم لنحوكم * بأنى فى أذياله أتعلق

وأصبو لذكرا كم اذا هبت الصبا * لعلى من أخباركم أتنشق

ولى أنة أودت بجسمى ولوعة * ونار جوى من حرها أتقلق

فحنوا على المضنى الذى ثوب صبره * اذا مسه ذيل الهوى يتمزق

غريب باقصى مصر أضحت دياره * ولكن قلبى بالشآم معلق

وقد نسخ التبريح جسمى فهل الى * غبار ثرى اعتاب وصل يحقق

فياليت شعرى هل أفوز بروضة * وفيها عيون النرجس الغض تحدق

وأنظر واديها وأدنو لربوة * وماء معين حولنا يتدفق

ويحلولى العيش الذى مر صفوه * وهل عائد ذاك النعيم المروق

وأنظر ذاك الجامع الفرد مرة * وفى صحنه تلك الحلاوة تشرق

وأصحابنا فيه نجوم زواهر * ونور محيا وجههم يتألق

فلا برحوا فى نعمة وسعادة * وعز ومجد شاوه ليس يلحق

وقال ابن عنين

ماذا على طيف الاحبة لوسرى * وعليهم لوساعدونى بالكرى

جنحوا الى قول الوشاة وأعرضوا * والله يعلم أن ذلك مفترى

يامعرضا عنى بغير جناية * الا لما نقل العذول وزورا

هبنى أسأت كما تقول وتفترى * وأتيت فى حبيك شيأ منكرا

مابعد بعدك والصدود عقوبة * ياهاجرى ما آن لى أن تغفرا

لاتجمعن على عتبك والنوى * حسب المحب عقوبة أن يهجرا

وكذلك ماعليه من ساحل الشحر وبلاد الاحقاف من ساحل حضرموت الى عدن فبلاد لاخصب لاهله فيه ولا يحمل من ارضهم الا اللبان وقشار الكندر وهذا البحر اتصاله بالقلزم وهو عن يمين بحر الهندوان كان الماء متصلا وليس فى البحار وماذكرنا من الخلجان مما احتوى عليه البحر الحبشى اصعب ولا اكثر جبالا ولا اسهك رائحة ولا اقحط ولا اقل خيرا فى بطنه وظهره من بحر القلزم وسائر البحر الحبشى تقطعه المراكب فى ابان سيرها فيه بالليل والنهار والابحر القلزم فان المراكب تسير فيه بالنهار فاذا جن الليل ارست فى مواضع معروفة كالمراحل المشهورة والمنافذ المعروفة لكثرة جباله وظلمته ووحشته وليس هذا البحر مما اتصل به من بحر الهند والصين وغيره فى شئ وهو بالضد من ذلك لان بحر الهند والصين فى قعره اللؤلؤ وفى جباله الجواهر ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعى وفى افواه دوابه العاج وفى منابته الآبنوس والخيزران والقنا والبقم والساج والعود واشجار الكافور والجوز والقرنفل والصندل والافاويه والطيب والعنبر

عبء الصدود أخف من عبء النوى * لو كان لي في الحب أن أتخيرا
فسقى دمشق وواديها والحمى * متواصل الارهام منفصم العرا
حتى يرى وجه الرياض بعارض * أحوى وفود الدوح أزهر نيرا
تلك المنازل لا ملاعب عالج * ورمال كاظمة ولا وادي القرى
أرض إذا مرت بها ريح الصبا * حملت على الأغصان مسكا أذفرا
فارقتها لا عن رضى وهجرتها * لا عن قلى ورحلت لا متخيرا
أسعى لرزق في البلاد مشتت * ومن العجائب أن يكون مقترا

وابن عنين المذكور كان هجاء وهو صاحب مقراض الأعراض تجاوز الله تعالى عنه فمن ذلك قوله

أرح من برح ماء البئر يوما * بعد أوصى الى نعش وتي
مر القاضي بوضع يديه فيه * وقد أضحى كراس ز برجي

يعني أقرع وسبب قوله البيتين أن المعظم أمر بحرمة قلعة دمشق فأحياهم ذلك ومن هجوه قوله

شكا شعري الي وقال تهجو * عنلي عرض ذا الكلب اللئيم
فقلت له تسل فرب نجم * هوى في اثر شيطان رجيم

وقال فيمن خرج حاجا فسقط عن الهجين وتخلف

إذا ما دم فعل السوق يوما * فاني شاكر فعل النياق
أراد الله بالحجاج خيرا * فنحط عنهم أهل النفاق

وقال

وراحل سرت في ركب أودعه * سارك الله ما أحلى ثلاجينا
جئنا إلى بابه لاحين نساله * وليتنا عاقنا موت ولاجينا
وإجيين نسال ميتا لا حراك به * مثل النصارى الى الاصنام لاجينا

وقال

وصلت منك رقعة أم أمتي * صبرت صبري الجميل قليلا
كنهار المصيف حرا وكرنا * وطيل الشتاء بردا وطولا

وأول مقراض الأعراض قوله

أضالع تنطوي على كرب * ومقلة مسبلة الغرب
شوقا الى ساكني دمشق فلا * عدت رباها مواطر السحب
مواطن مادعا توطنها * الأولى بدا بها الى ...

ثم ذكر من العلوم ما تصم عنه الآذان وهو القائل في دمشق

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وظلك يا مسرى على ظليل
وهل أرين بعد ما شطت النوى * ولي في دراريض ... ل

ومنها

صورها ... الاسهال
السعر والكمون ... يكون ... كبرا
وحمرا ... أرض الهند
الرب ... كثيرة
بأرض الاسلام ...
كالسرور وأكثر ما ... ج
من صورها الطيب ...
أس الربا ... وهو نوع ...
الطيب ... بالصورة
وقت من السنة من ...
الهند ... من الهندورة ...
من ... قابت هو كالملك
والهدهد راعي طيورها هذا
الطيب في ... من
الزمان الذي يكون ...
بتاحده ... على عص
أنفهم الطيبة ويكون
أ... على صيدها المستطرف
عنده والذي تستعمله
سلوكها وحوائجها
لسروب من المسح ...
... الرائحة والقدر
الدقيق ... على سائر
الطيب وما يؤثر في الانسان
... اياه ... اله
من طيور ... من
الرجال والنساء والطلب
للباه والاحتلام والطرب
والنشاط والاريحية وكثير
من قتال الهدهد ... بهم
يستعمل هذا ...
... الاعداء والحرب
ذلك عنده ... تدبير
القلب ... الناس
وبعضها على الاقدام وأكثر ما يظهر هذا النوع من العرق في جباه الفيلة في ذلك الفصل من السنة في حال ... لانها

[illegible] ها واذا [illegible] من ذلك [illegible] هرب [illegible] ها ورعاتها ولا يفرق بين من يعرف وغيره من الناس واذا وجد الفيل

دمشق بي شوق اليك مبرح * وان لج واش او ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وانفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

وقد استشهد المؤلف بهذه الابيات الثلاثة في خطبة هذا الكتاب ومن هذه القصيدة

وكيف اخاف الفقر او احرم الغنى * ورأي ظهير الدين في جميل
من القوم اما احنف فسفيه * لديهم واما حاتم فبخيل
فتى اجتهد أذا جاره متمنع * عزيز واما ضده فذليل
واما عطايا كفه فمباحة * حلال واما ماله فطليل

وظهير الدين الممدوح هو طغتكين بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين وكان ملك اليمن واحسن الى ابن عنين احسانا كثيرا وافرا وخرج ابن عنين من اليمن بمال جم وطغتكين بضم الطاء المهملة وبعدها غين معجمة ثم تاء مثناة من فوقها مكسورة ثم كاف مكسورة أيضا ثم ياء تحتية ثم نون وكان يلقب بالملك العزيز ولذلك قال ابن عنين لما رجع من سنده الى مصر ايام العزيز بن عثمان بن صلاح الدين والزم ارباب الديوان ابن عنين بدفع الزكاة من المتاجر التي وصلت صحبته

ما كل من يسمى بالعزيز لها * أهل وما كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين بون في فعالهما * هذا يعطي وهذا ياخذ الصدقه

ومن هجو ابن عنين قوله في فقيهين يلقب أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس

البغل والجاموس في حاليهما * قد أصبحا مثلا لكل مناظر
قعدا عشية يومنا فتناظرا * هذا بقرنيه وذا بالحافر
ما أحكما غير الصياح كانما * لقيا جدال المرتضى بن عساكر
جلفان ما لهما شبيه ثالث * الا الخادع مدلويه الشاعر
أعطوا طول تحت معنى قاصر * كالعقل في عبد اللطيف الناظر

(رجع الى دمشق) وقال العز الموصلي

اليك حياض حمامات مصر * ولا تتكثري عندي بعين
حياض الشام أحلى منك ماء * وأطهر وهي دون القلتين

وهذان البيتان جواب عن قول ابن نباتة

أحواض حمام الشآم ألا اسمعي لي كلمتين
لا تذكري أحواض مصر فانت دون القلتين

وأما قول الوداعي سامحه الله تعالى

مصر قالت دمشق لا * تفخري قط باسمها
لو رأت قوس روضتي * منه راحت بسهمها

فهو من باب تفضيل الوطن من حبه ومنه قول الوداعي

روضة مصر وبساتينها * شوقي وجدد عهدي الخالي

[illegible] وصفها [illegible] الاودية والحياض والغياض [illegible] من [illegible] ومن [illegible] هو [illegible] وضع [illegible] هو [illegible] عندنا [illegible] لا [illegible] كان [illegible] دخل [illegible] هو [illegible] الى [illegible] وهو [illegible] ولا يكون ذلك الا في القرى من [illegible] وسوى [illegible] والاسد موسد [illegible] أمسكها [illegible] وسيراته [illegible] في [illegible] ولد [illegible] في ظهور هذا النوع من الغنم هذه الاشياء من الفيلة والغرين [illegible] سائر انواع الدواب [illegible] من الفيل من الجرع عند ورود المياه من الغدران والانهار للشرب اذا كان الماء [illegible] ساقيه [illegible] ويكدره [illegible] من [illegible] ذلك يوجد في اكثر الخيل اذا وردت الماء وكان صافيا ضربته بايديها

واروليا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

فهوم ادى لا تريد ولا * [illegible] رقى ورقى لى

ومن ذلك النمط قول الشهاب الحجازي

قالوا دمشق قد زهت بزهرها * وفضضت [illegible] نورها

فقلت لا أنكر [illegible] بها * ولست أرضى زهرها ونورها

وقول الحجازي قاضي مصر وان لم يكن في ذلك [illegible]

[illegible] العلا من [illegible] * [illegible] الجلال أمرها

[illegible] لى [illegible] * كالدر في الأرض [illegible]

وقول الآخر

[illegible] وادى [illegible] للنيل اذ * [illegible] تدفع

فاجاب بحر النيل لما أن طغى * [illegible] مقابل كل [illegible]

ولقد كرت هذا قول بعضهم

ما دام [illegible] المعنى * من الادى لمتابع

[illegible] الايادى * وبها الهادى الاصابع

وقد شرع الخلاف قديما وحديثا في المفاضلة بين مصر والشام وقال بعضهم

في حلب وشامنا * ومصر طال [illegible]

وقلت قول منصف * خير الامور الوسط

وأما قول بعضهم

[illegible] بدمشق ولا [illegible] * وان راقك الجامع الجامع

[illegible] السوق بها قائم * [illegible] بها طالع

ولا يلتفت اليه ولا يعول عليه اذ هو مجرد دعوى خالية عن الدليل وهي من [illegible] بعض [illegible] الذين يعمدون الى تقبيح الحسن الجميل وما زال الاشراف [illegible] ويمدح ولا يعادل ألف مثله [illegible] يقدح

وفي عين من [illegible] الشمس نورها * و [illegible] لها [illegible]

وأحسن من هذا قول بعض الاندلسيين وهو الكاتب أبو [illegible] محمد بن [illegible]

دمشق جنة الدنيا حقيقا * ولكن ليس تصلح للغريب

بها قوم لهم عدد ومجد * [illegible] الى الحروب

ترى أنهارهم ذات [illegible] * وأوجههم تولع بالقطوب

[illegible] ديارهم [illegible] * فلم أظفر بها [illegible]

والجواد واحد ولا يضر الحق الثابت انكار الجاحد وأحسن من الجميع قول العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه

حلق جنة من تاه وباهى * ورياها أرى لولا [illegible]

قال عال بردى كوثرها * قلت عال بردى [illegible]

[illegible] وصف [illegible] الانسان [illegible] ولعل [illegible] الجواب [illegible] المشاهير [illegible] الآن [illegible] ابن نوح [illegible] فيما [illegible]

وطني مصر وفيها وطري * ولنفسي مشتهاها مشتهاها
ولعيني غيرها ان سكنت * يا خليلي سلاه اماسلاها

وأحسن منه قول ابن عبد الظاهر

لا تلوموا دمشق ان جئتموها * وهي قد أوضحت لكم ما لديها
انها في الوجوه تضحك بالزهر ولكن جاء في الزر بيع اليها
وتراها بالثلج تبيض في الحسنة من مرئي الشتاء عليها

وقول ابن ... انه وهو بالشام يشوق الى المقياس والنيل

أرقت به بالشام ... دامع * يحرر بيد كر منازل المقياس
... المصر ... * ... أوطان كماس
وط ... سهرت له وشاب لمني * وعلى عيني هواه وراسي
من لي به والحال ليس بآيس * كدر وعطف الدهر ليس بقاسي
والطرف ... لي عن الا آسا * بالنيل لم يعتد عـلي باناس

(رجع الى مدح دمشق) وقال الناصر داود بن المعظم عيسى

اذا عاينت عيناي أعلام جلق * وبان من القصر المشيد قبابه
تيقنت أن البين قد بان والنوى * نأى شخصه والعيش عاد شبابه

وقال أيضا رحمه الله تعالى

يا راكبا من أعالي الشام يجذبه * الى العراقين ادلاج واسحار
حدثني عن ربوع طالما قضيت * للنفس فيها لبانات وأوطار
لدى رياض سقاها المزن ديمته * وزانها زهر غض ونوار
ثم الندى أن يسقيها بحاجته * جادها منهم الشؤبوب مدرار
بكت عليها الغوادي وهي ضاحكة * وراحت الريح فيها وهي معطار
يا حسنها حين زانتها جواسقها * وأينعت في أعالي الدوح أثمار
فهي السماء اخضرارا في جوانبها * كواكب زهر تبدو وأقمار
حدثني وأنا الظامي الى نبإ * لا بعض قولك حتى الري عثار
فهو الزلال الذي طابت مشاربه * وفارقته غثاآت وأكدار
كرر على سمعي من شط المزار به * حديثك العذب لا شطت بك الدار
وعلل النفس عنهم بالحديث بهم * ان الحديث عن الاحباب أسمار

وهذا الملك الناصر له ترجمة كبيرة وهو ممن أدركته الحرفة الادبية ومنع حقه بالجملة والعصبية وأنكرت حقوقه وأظهر عقوقه حتى قضى نحبه ولقي ربه * (رجع) وقال سيف الدين المشد رحمه الله تعالى

بشرى لاهل الهوى عاشوا به سعدا * وان يموتوا فهم من جملة الشهدا
شعارهم رقة الشكوى ومذهبهم * أن الضلالة فيهم في الغرام هدى
عيونهم في ظلام الليل ساهرة * عبرى وأنفاسهم تحت الدجى صعدا

اثر أجناس الصقالبة وبه يعرفون في أنسابهم ... افون كثير من أهل الدراية ممن عني بهذا الشأن ... ما كنهم بالجزائر الى أن ... الى المغرب وهم أجناس ... ... هم حروب ولهم ... ... الى راى ... لا ... ... جاهلية لا يعرفون شيئا من الشرائع وهؤلاء أجناس فمنهم جنس كان الملك فيهم قديما في صدر الزمان وكان ملكهم يدعى ماجك وهذا الجنس يدعى وليتابا وكان يتبع هذا الجنس في صدر سائر أجناس الصقالبة لكون الملك فيهم وانقياد سائر ملوكهم اليهم ثم يتلو هذا الجنس من أجناس الصقالبة ... وملكهم في هذا الوقت يدعى ... وجنس يقال له ... وملكهم يدعى واتصلاف وجنس يقال لهم ياخيو وملكهم يدعى عرانه وهذا الجنس أشجع أجناس الصقالبة وأفرس وجنس يدعى مانى وملكهم يدعى ... ثم جنس عند الصقالبة ... لعال طويل ذكرها وأوصاف يكثر شرحها ونفر منهم من ملة ينقادون اليها ثم جنس

تجرعوا كاس خمر الحب مترعة * ظلوا سكارى وظنوا غيهم رشدا
وعاسل القد معسول مقبله * كالغصن لما انثنى والبدر حين بدا
رقيم عارضه كهف لعاشقه * يأوى اليه وكم في حبه شهدا
نادمته وثغور البرق باسمة * والغيث ينزل منحلا ومنعقدا
كأن جلق حياها الله ساكنها * أهدت الى الغور من أزهارها مددا
فاسترسل الجو منها لا يزيد على * ثرى وينقد محلول الندى بردا

وقال أيضا

فؤادى الى بانات جلق مائل * ودمعى على أنهارها متحدر
يحن الى وادي الشقيق وقد بدا * وقد زاد في أعطافه وهو مثمر
وانى الى زهر السفرجل شيق * اذا ما بدا مثل اندراهم ينثر
غياض يفيض الماء في عرصاتها * فنزهو جمالا عسجدا ويرهر
ترى بردى فيها يجول كأنه * وقد صار صب سيف صقيل مجوهر
وبي أحور لاح العذار بخده * يسامح قلبى فى هواه ويعذر
يحاورني فيه على الصبر صاحبي * وكيف أطيق الصبر والطرف أحور
اذا اشتغفت وادى السير بين خده * فأنظر معناه وهو أنضر
حوى الشرف الاعلى من الحسن خده * على أن ميدان العوارض أخضر

وما أحسن قوله رحمه الله تعالى

وادبه حي الحبيب نزول * حيا معاهده الحيا والنيل
واد فوح المسك من جنباته * وصحيح فيه للنسيم عليل
يشتاقه ويود لثم ترابه * شوقا ولكن ما اليه سبيل
متعلق الاحشاء مسلوب الكرى * طلق الدموع فؤاده متبول
يصبو الى الاثلات من وادي الغضى * ويحن ان خطرت هناك شمول
قالوا تبدلت يا أهل الهوى * والناس فيهم عاذر وجهول
هل بعد قطع الاربعين مسافة * للعمر فيها يحسن التبديل
ولقد هفا لى في دمشق مهفهف * يسبى العقول رضابه المعسول
يهتز ان مر النسيم بقده * ويميل بى نحو الصبا وأميل
أبدى لنا بردا تبسم ثغرها * واذا انثنى فقوامه المجدول
لزم التسلسل دمعى وعذاره * فانظر الى المهجات كيف تسيل
وسقمت من سقم الجفون لانها * هى علة وفؤادى المعلول
لا تعجبوا ان راعنى بذوائب * فالليل هول والمحب ذليل
ما صح لى أن الذؤابة حية * حتى سعت في الارض وهي تجول

وقال ناظر الجيش عون الدين بن العجمى

يا سائقا يقطع البيداء معتسفا * بضامر لم يكن فى سيره وانى

يقال له مرارة ثم جنس يقال له جرواس ثم جنس يقال له ... ثم جنس يقال له خانين وما سمياه من أسماء بعض ملوك هذه الاجناس فسمة معروفة لملكهم والجنس الذي سميناه المعروف بسربيق يحرقون أنفسهم بالنار اذا مات فيهم الملك الرئيس ويحرقون دوابهم ولهم أفعال مثل أفعال الهند وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طرفا من ذكرهم عند ذكرنا لجبل القبق والخزر وأن في بلاد الخزر مع الخزر جماعة من الصقالبة والروس وأنهم يحرقون أنفسهم بالنيران وهذا الجنس من الصقالبة وغيرهم متصلون بالشرق ويبعدون من الغرب فالاول من ملوك الصقالبة ملك الدير وله مدن واسعة وعمائر كثيرة وتجار المسلمين يقصدون دار مملكته بأنواع التجارات ثم يلى هذا الملك من ملوك الصقالبة ملك الافرنج وله مدن وعمائر كثيرة وجيوش واسعة وعدد كثير وتحارب الروم والافرنج والنوكبرد وغير هؤلاء من الامم والحرب بينهم سجال ثم يلى هذا الملك من بلاد الصقالبة ملك الترك وهذا الجنس أحسن الصقالبة صورة وأكثرهم عددا وأشدهم بأسا والصقالبة أجناس كثيرة وأنواع واسعة

ان جزت بالشام شم تلك البروق ولا * تعدل بلغت المنى عن دير مران
واقصد أعالى تلاليه فان بها * ما تشتهى النفس من حور وولدان
من كل بيضاء هيفاء القوام اذا * ماست فوا خجل المران والبان
وكل أسمر قد دان الجمال له * وكل الحسن فيه فرط احسان
ورب صدغ بدا فى خدم سله * فى فترة فتنت من سحر أجفان
فليت ريقته وردى ووجنته * وردى ومن صدغه آسى وريحانى
وعج على ديرمتى ثم حى بدا الربان بطرس فالربان ربانى
فهمت منه اشارات نهمت بها * وصنت منشورها فى طى كتمان
وادخل بدير حنين وانتهز فرص الـ * لذات ما بين قسيس ومطران
واستجل راحا بها تحيا النفوس اذا * دارت براح شماميس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت * بشهبها من همومى كل شيطان
كم رحت فى الليل أسقيها وأشربها * حتى انقضى ونديمى غير ندمان
سألت توماس عمن كان عاصرها * أجاب رمزا ولم يسمع بتبيان
وقال أخبرنى شمعون ينقله * عن ابن مريم عن موسى بن عمران
بأنها سر بالطور مشرقة * أنوارها فكنوا عنها بنيران
وهى المدام التى كانت معتقة * من عهد هرمس من قبل ابن كنعان
وهى التى عبدتها فارس فكى * عنها بشمس الضحى فى قومه مانى
سكرت منها بلا صحو وجدت بها * على الندامى وليس الشح من شانى
وسوف أمنحها أهلا وأنشده * ما قيل فيها بسرجيع وألحان
حتى يميل لها أعطافه طربا * وينثنى الكون من أوصاف نشوان

وهذه وان لم تكن فى دمشق على الخصوص فلا نخرج عما نحن بصدده والاعمال بالنيات وديباجة هذه القصيدة على نسج طائفة من الصوفية وممن حاك هذه البرود الشيخ الاكبر رحمه الله تعالى وقيل انه الشيخ شعبان النحوى *(رجع)* وقال بعضهم

شوقى يزيد ولب الصب ما بردا * وبان يأسى من المعشوق حين غدا
ومدمعى قنوات والعذول حكى * نورى يلوم الفتى فى عشقه حسدا
على معنية بالجنك جاوبها * شبابة كم بها من عاشق سهدا
فالبدر جبهتها والردف ربوتها * وخلها مات فى خلخالها كمدا

ولنذكر نبذة مما خوطبت به من علماء الشام وأدبائه حفظ الله تعالى كمالهم وبلغ آمالهم *(فمن ذلك قول شيخ الاسلام مفتى الانام سيدى الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى حفظه الله تعالى وكتبه لى بخطه)

شمس هدى أطلعها المغرب * وطار عنقاء بها مغرب
فأشرقت فى الشام أنوارها * ولينها فى الدهر لا تغرب
أعنى الامام العالم المقرى * أحمد من يكتب أو يخطب

لاتى فى كتابنا هذا على وصف أجناسهم وتفريع أنواعهم وقد قدمنا الاخبار عن الملك الذى كان ينقاد اليه ملوكهم فى قديم الزمان وهو ماجك ولينانا وهذا الجنس أصل من أصول الصقالبة معظم فى أجناسهم وله قدم فيهم ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم فزال نظامهم وتحزبت أجناسهم وملك كل جنس منهم ملكا على حسب ما ذكرنا من ملوكهم لامور يطول ذكرها وقد اتينا على جمل من شرحها وكثير من مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة

(ذكر الافرنجة والجلالقة وملوكها)

الافرنجة والصقالبة والنوكبرد والاسبان ويأجوج ومأجوج والترك والخزر وبرجان واللان والجلالقة وغير من ذكرنا ممن حل الجربى وهو الشمال لا خلاف بين أهل البحث والنظر من الشرعيين أن جميع من ذكرنا من هؤلاء الامم من ولد يافث بن نوح والافرنجة أشد هؤلاء الاجناس باسا وأمنعهم هيبة وأكثرهم عدة وأوسعهم ملكا وأكثرهم مدنا وأحسنهم نظاما وانقيادا لملوكهم وأكثرهم طاعة الا ان الجلالقة اشد من الافرنجة باسا واعظم منهم نكاية والرجل من الجلالقة يقاوم

عدة من الافرنجة وكلة الافرنجة متفقة على ملك واحد لا تنازع بينهم فى ذلك ولا تحزب واسم دار مملكتهم فى وقتنا هذا بويره وهى مدينة عظيمة ولهم من المدن نحو خمسين ومائة مدينة غير العمائر والكور وكان أوائل بلاد الافرنجة قبل ظهور الاسلام فى البحر جزيرة رودس وهى الجزيرة التى ذكرنا أنها مقابلة للاسكندرية وأن فيها دار صناعة المراكب فى وقتنا هذا للروم ثم جزيرة اقريطش وقد كانت للافرنجة أيضا ففتحها المسلمون ونزلوها الى هذه الغاية وكانت بلاد افريقية وجزيرة صقلية للافرنجة أيضا وقد أتينا على أخبار هذه الجزائر وخبر الجزيرة المعروفة بالبركان وهى الاطمة التى يخرج منها أجسام من النار كاجساد الناس بلا رؤس فتعلو فى الهواء بالليل ثم تسقط فى البحر فتطفو على الماء وهى الحجارة التى يحك بها الكتابة من الدفاتر وهى خفاف بيض على هيئة الشهد وكوار الزنابير الصغار وهى الاطمة المعروفة باطمة صقلية وفيها هلك فرفوريوس الحكيم الذى صنف كتاب ايساغوجى وهو المدخل الى علم المنطق وهذا الكتاب بهذا الرجل يعرف وكذلك أتينا على ذكر سائر آطام الارض كأطمة وادى برهوت

شهاب علم ثاقب فضله * ينظم عقدا وهو لا يثقب
فرع علوم بالهدى مثمر * وروض فضل بالندى معشب
قد ارتدى ثوب علا وامتطى * غارب مجد دونها المركب
درس غريب كل يوم له * يملى ولكن حفظه أغرب
محاضرات مسكر لفظها * بكاس سمع راحها تشرب
رياض آداب سقاها الحيا * ففاح مسكا نشرها الاطيب
فضائل عمت وطمت فقد * قصر فيها كل من يطنب
قلوبنا قد جذبت نحوه * والحب من عادته يجذب
ان بعدت عن غربه شرقنا * فالفضل فينا نسب أقرب
كم طلبت تشريفه شامنا * بشرى لها فليهنها المطلب
قد سبقت لى معه صحبة * فى حرم يؤمن من يرهب
اخوة فى الله من زمزم * رضاعها طاب لها المشرب
أنهلنى ثم ودادا ولى * بالشام منه علل أعذب
أهديت ذا النظم امتثالا له * وقد هجرت الشعر مذ أحقب
نشط قلبى لطفه فانثنى * والقلب فى أهل الهوى قلب
ضاء دجى العلم به للورى * مالاح فى جنح الدجى كوكب

تحية الفقير الداعى عبد الرحمن العمادى انتهى وأجبته بما نصه

ما ابنة راح كاسها مذهب * ما اللهى عن حسنها مذهب
تستدفع الاكدار من صفوها * وتنهل الافراح أو تنهب
تسعى بها هيفاء من ثغرها * أو شعرها النور أو الغيهب
فتانة الاعطاف نفاثة * سحرا بألباب الورى يلعب
فى روضة قد كللت بالندى * والزهر راس الغصن اذ يعصب
برودها بالنور قد نمنمت * كالوشى من صنعاء بل أعجب
والماء يجرى تحت جناتها * والنار من نارنجها تلهب
والظل ضاف والنسيم انبرى * والجو ذاكى العرف مستعذب
والطير للعشاق بالعود قد * غنت فهاجت شوق من يطرب
أبهى ولا أبهج فى منظر * من نظم من تقديمه الاصوب
مفتى دمشق الشام صدر الورى * من فى العلا تم به المطلب
علامة الدهر ولا مرية * وملجأ الفضل ولا مهرب
لله ما امتاز به من حلى * بغير من الله لا تكسب
أبدى به الرحمن فى عبده * مظاهر المنح التى تحسب
جود بلا من وعلم بلا * دعوى به التحقيق يستجلب
وبيت مجد مسند ركنه * الى عماد الدين اذ ينسب

ببرقه الشامي من شامه * نال مراما والسوى خلب
وما عسى أبديه في مدحه * أو وصف أبناءه أنجبوا
سابقوا المجد حتى حووا * سبقا لما في مثله يرغب
أعيذهم بالله من شرما * يخشى من الأغيار أو يرهب
وأسأل الله لهم عزة * بادية الأضواء لا تحجب

ولما حللت دمشق المحروسة وطلبت موضعا للسكنى يكون قريبا من الجامع الأموي الذي يعجز البليغ وصفه وان ملأ طروسه أرسل الى أديب الشام فرد الموالي المدرسين ساحب أذيال الفخار المولى أحمد الشاهيني حفظه الله تعالى بمفتاح المدرسة الجقمقية وكتب لي معه ما نصه

كنف المقري شيخي مقري * واليه من الزمان مفري
كنف مثل صدره في اتساع * وعلوم كالدر في ضمن بحر
أي بدر قد أطلع الغرب منه * ملأ الشرق نوره أي بدر
أحمد سيدي وشيخي وذخري * وسميي وفوق ذاك وفخري
لو بغير الأقدام يسعى مشوق * جئته زائرا على وجه شكري

العبد الحقير المعترف المخلص أحمد بن شاهين انتهى فأجبته بقولي

أي نظم في حسنه حار فكري * وتحلى بدره صدر ذكري
طائر الصيت لابن شاهين ينمى * من بروض الندى له خير وكر
أحمد المستطيل ذروة مجد * لعوان من المعالي وبكر
حل مفتاح فضله باب وصل * من معاني تعريفه دون نكر
يا بديع الزمان دم في ازدياد * بالعلا وازدياد تجنيس شكر

وكتب الي لما وقف على كتابي فتح المتعال في مدح النعال بما نصه لكاتبه الحقير أحمد بن شاهين الشامي في تقريظ تأليف سيدي ومولاي وقبلتي ومعتقدي شيخ الدنيا والدين وبركة الاسلام والمسلمين حفظ الله تعالى وجوده آمين

أأحمد فخرا يا ابن شاهين ساميا * بأحمد ذاك المقري المسدد
بمن راح خداما النعل محمد * وناهيك في العليا بأرفع سودد
فان أنا أخدم نعله طالما * غدا خادما نعل النبي الممجد
بتأليفه في وصف نعل تكرمت * كتابا حوى اجلال كل موحد
ويكفيك فخرا يا ابن شاهين أن ترى * خدوما لخدام لنعل محمد
فقلت له طوبى بخدمة أحمد * فقال كذا طوبى بخدمة أحمد
فلا زال يرقى للمعالي مكرما * وينتقل العيوق في رغم فرقد

فأجبته بقولي

أأحمد وصف بالعوارف يرتدي * وأشرف مولى للعارف يهتدي
فهو ملك اذ أنت الخليل توقدت * فأني أجاريها بنحو المبرد
أتاني نظام منك حبر فكرتي * على أنه أعلى مرامي ومقصدي

من بلاد حضرموت وبلاد الشحر وأضمه بلاد الزنج من بحر الصين وأطمة بلاد أسك وهي ما بين بلاد فارس وهذه النار ترى بالليل من نحو عشرين فرسخا وهي مشهورة بأرض الاسلام وتفسير أطمة هي عين النار التي تعرض من الارض ولم نتعرض في هذا الكتاب لذكر الخاصة الكبريتية والزاجية ولا الحمامات التي تظهر من مائها النار كالخاصة التي ببلاد ماسبذان من أرض أذربيجان والنهروان والصيمرة وهذه الخاصة في قرية من قرى أذربيجان يقال لها القومان وهي أطمة تظهر من وسط مائها النار وهي أطمة عجيبة تمنع ورود الماء عن اطفائها وتدفعه بشدة قوتها وسلطان لهبها وهي احدى عجائب العالم اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا وقد أتينا على منافع أنواع المياه بجوامع ذكرناه أو لمع أوجبناها فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الواحات من بلاد مصر وان كنا قد أتينا على مبسوط ذلك فيما تقدم من كتبنا

(ذكر النوبة وملوكها)

قد تقدم ذكرنا للنوبة وأنهم من ولد يافث بن نوح وبلادهم متصلة بالمغرب ومحلهم بالجرا ولم

فانت

فانت ابن شاهين الذى طار صيته * بجو العلا والصيد ضل بفرقد
فبرك موصول وشانيك منكر * وقدرك مرفوع على رغم حسد
وعنك حديث الفضل أسند عاليا * بشام فهم يروون مسند أحمد
فوجهك عن بشر ويمناك عن عطا * وفكرك يروى فى الهدى عن مسدد
فلازلت ترقى أوج سعد ورفعة * ودمت بتوفيق وعز مخلد

ولما خاطبته بقولى

بصيد ابن شاهين بجو بلاغة * سواجع فى وكر الدفاتر تفرخ
وما كان ديك الجن مدرك نيلها * اذا صرصر البازى فلا ديك يصرخ
ولو جاد فكر البحترى بمثلها * لكان على الطائى بالانف يشمخ
ولو أن نظم ابن الحسين أتى بها * لما زال يبقى حكمه ليس ينسخ
فلازال ملحوظا بعين عناية * وكتب النهاى عن علاه تورخ

أجابنى بما نصه

أأنفاس عيسى ما روى عنه ينفخ * أم الطرس أضحى بالعبير يضمخ
وهذى قواف أم هى الشمس انى * أراها على الجوزاء بالانف تشمخ
بلى هى نص من ودادك محكم * تزول الرواسى وهى لم تك تنسخ
أتتنى بمدح مخجل فكأنها * لفرط حيائى قد أتتنى توبخ
وهل أنا الا خادم نعل سيدى * وبينى وبين المدح فى الحق برزخ
وما هى الا غرة حزت فخرها * وانى بها بادى المحاسن أشمخ
فلا در درى وانحرفت عن العلا * اذا كان ودى عن معاليك يفسخ
وحبك مهما طار شرقا ومغربا * بوكر ابن شاهين الوفى يفرخ
وانى وان أرخت مجد الماجد * فانى باسم المقرى أورخ
سميى ومولاى الذى راح مدحه * لرأس الاعادى بالدمار يرضخ
ودم يا نظير البدر ترقى بأوجه * ولازلت فى طرفى وقلبى ترسخ

وكنت يوما أروم الصعود لموضع عال فوقعت وانفكت رجلى وألمت فكتب الى

لا ألمت رجلك يا سيدى * وصانها الله من الشين
ما هى الا قدم للعلا * لا احتاج ذاك النعل للقين
زانت دمشق الشام فى حلها * فلا رأت فيها سوى الزين
بانت عن الاهل لتشريفنا * لا جمعت أينا الى بين
عجبت من راسخة فى العلا * والعلم اذ زاغت من العين
انى أعاف المين بين الورى * ولست والله أخا مين
للمقرى المجتبى أحمد * دين الهوى والمدح كالدين
وأحمد الله على أننى * رأيته حاز الفريقين
فلا أراه الله فى عمره * بينا يؤديه الى أين

جزائر كثيرة فيها أمم من الناس وهم ذوو باس شديد ومنعة ولهم مدن كثيرة يجمعهم ملك واحد واسماء ملوكهم فى سائر الاعصار أركس والمدينة العظمى من مدنهم ودار مملكتهم هى تبت ويخترقها نهر عظيم وهى جانبان وهذا النهر أحد أنهار العالم الموصوفة بالكبر والعجائب يقال له سانيط قد ذكره جماعة ممن سبق بهذا المعنى ممن تقدم وكان المأمون ممن جاورهم من بلاد الاندلس والمغرب غلبوهم على مدن كثيرة من مدنهم مثل مدينة ناربطارينو (قال المسعودى) وجدت فى كتاب وقع الى بفسطاط مصر سنة ست وثلاثين وثلثمائة اهداه عرمانرا الاسقف بمدينة زهرة من مدن الافرنجة فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة الى الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ولى عهد أبيه عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت فى عهده يا أمير المؤمنين ان أول ملوك افرنجة قلوزويه وكان مجوسيا فتنصر هو وابنه لذريق وابنه دفشرت ثم ولى بعده ابنه لذريق ثم ولى بعده قرلمان بن دفشرت ثم ولى بعده ابنه تبين ثم ولى

انه يريد احب العبد الحقير الداعى أحمد بن شاهين انتهى * وأهديت اليه حفظه الله تعالى سبحة وخاتما وكتبت اليه

يا نجل شاهين الذى * أحيا المعالى والمعالم
يا من به ريشت من الـمجد الخوافى والقوادم
يا من دمشق بطيب ما * يبديه عاطرة النواسم
فالنهر منها ذو صفا * والزهر مفتر المباسم
والغصن يثنى عطفه * طربا لتغريد الحمائم
يا أجمد الاوصاف يا * من حاز أنواع المكارم
أنت الذى طوقتنى * مننا لها تعنو الاعاظم
فمتى أؤدى شكرها * والعجز لى وصف ملازم
والعذر باد أن بعثـت اليك من جنس الرتائم
بسبحة التذكار التى * جاءت بتصحيف ملائم
وبخاتم صاد الى * فيض الندى من كف حاتم
فامدد على جهد المقل رواق صفح ذا دعائم
واقبل عقيلة فكر من * هو فى بحار العى عائم
لازلت سابق غاية * بين الاعارب والاعاجم

فأجابنى بما صورته

يا سيد اشعرى له * ما ان يقاوى أو يقاوم
كلا ولا قدرى له * يوما يساوى أو يساوم
يا من رأيت عطاردا * منه بدا فى شخص عالم
يا من بنفحة خلقه * وبظه السامى الملائم
أضحى بريدى معجزين من النواسم والمباسم
مازلت أبصر منهما * حسن التعامى والنعائم
بهما زمانى حاسدا * أضحى وبالتنغيص حاسم
قلمى وقلبى بينها * م فى الثناء له وهائم
حبى لاحمد سيدى * شيخ الورى فرض ملازم
المقرى المعتلى * شرف المعالى والمعالم
مالى اليه وسيلة * الاهوى فى القلب دائم
قد جاء ماشرفتنى * بخصوصه دون الاعاظم
من خاتم كفى به * ورثت سليمان العزائم
وجعلتنى لأحسب السـعوق لى فى فص خاتم
وبسبحة شبهتها * بالشهب فى أسلاك ناظم
فلتحسد الجوزاء ما * أحرزت من تلك المكارم

ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم وملك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر وهو الذى أقبل الى طرطوشة محاصرها ثم ولى بعده ابنه نازلة وهو الذى تهادى مع محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة اشهر ثم ولى بعده ابنه لذريق ستة اعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى برتة وملك افرنجة فاقام فى ملكهم ثمان سنين وهو الذى صالح المجوس عن بلده سبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليه ثم ولى بعده نازلة بن بغرة أربع سنين ثم ملك بعد نازلة اخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة اشهر ثم ولى بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واستولت مملكته عشرين سنين الى هذا التاريخ على حسب ما نمى الينا من خبره (قال المسعودى)

هى

هى آلة للذكر لـكن ليس ذكرى فى الحيازم
فهواك فى قلبى وما * فى القلب جل عن الرتائم
ماذى رتائم سيدى * بل انها عندى تمائم
لو انها من جنس ما * يطوى غدت فوق العمائم
لكنها قد زينت * كى وأزرت بالخواتم
يامن بريش اذارمى * نسر السماء بلحظ حازم
ان ابن شاهين حوى * منك الخوافى والقوادم
هذى نوافل يا اما * م الدهر ليست باللوازم
العذر منها مخجل * عبد الملك جد خادم
لى انت فوق العذر قد * أصبحت للشعرى مصادم
لازال دهرك سيدى * يلقاك منه ثغر باسم
يهدى اليك من المرا * حم والمكارم والغنائم
مالا يساوم مثله * ذو الحظ فى أسنى المواسم

العبد الحقير الداعى لاستاذه مولاى الاجل بالتمكين أحمد بن شاهين حامدا مصليا مسلما انتهى وقال مستجيزا

الشيخ يشرب ماء * ونحن نشرب قهوه

فقلت

لانه ذو قصور * فغط بالعذر سهوه

ولما أزمعت العود الى مصر اوائل شوال سنة ١٠٣٧ خاطبنى بقوله

ابدا اليك تشوقى وحنينى * والى جنابك ما علمت سكونى
ولديك قلبى لايزال رهينة * غلقت وتعلم ذمة المرهون
وعليك قد حبست شوارد مدحتى * لما رأيتك فوق كل قرين
قلبى كقلبك فى المحبة والهوى * اذ كان فى الاشواق دينك دينى
وليته بهواك أرفع رتبة * وغدوت تعزل عنه كل خدين
واطاع أمرك فى الوداد فلو اشا * منه وحاشا سلوة يعصينى
ماكنت أحسب قبل طبعك ان أرى * يوما عطاردنا طقا بفنون
حتى رأيتك فاستبنت بانه * يروى أحاديث العلا بشجون
ويفيد سمعى معجزا بهر النهى * ويرى عيونى آية التكوين
يامن غدا يحيى القلوب بلفظه * ويرد دالانفاس عن حبرين
أحييت بالوحى المبين قلوبنا * وحلى لعمر الله جذم بين
هذى دمشق لعمر خلقك روضة * قد جاد طبعك دوحها بمعين
قد زارها غيث الندى فبهارها * أضحى بلوح بحلة النسرين
لولم تكن بدر المـا أحرزتما * قد خص فى الانوار بالتلوين

ان الجلالقة اشد باسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس فى هذا الوقت وزير من ولد امية يقال له احمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه فى الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير اخ يقال له امية فى مدينة من ثغور الاندلس يقال لها سابرين فلما بلغ اليه مافعل باخيه عصى على عبد الرحمن فصار فى حرب ردمير ملك الجلالقة فاعانه على المسلمين ودله على عوراتهم ثم خرج امية فى بعض الايام من المدينة يتصيد فى بعض منتزهاتها فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى امية بن اسحق اخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره فى جملته وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس بتورة عاصمة الجلالقة المتقدمه صفة بنيانها واسوارها فى باب جمل الاخبار عن البحار ومافيها وماحولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وأخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن فى مائة ألف أويزيدون فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذى كان فى هذا

حققت ما قد قيل حين حللتها * ان المكان مشرف بمكين
هي عادة حليتها فتزينت * ما كان أحوجها الى التزيين
مولاى أحمد يا سليل بني العلا * يا فوق مدحي فيك أو تحسيني
اغني وجودك وهو عين الدين عن * علامة الدنيا لسان الدين
انظره تستغني به عن غيره * والى العيان ارغب عن المظنون
تلقى علوم الناس في أوراقهم * وعلومه في صدره المشحون
فبعلمه اعبر كل بحر زاخر * وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبحلمه ارعب عن حلم أحنف * وبعزمه اصحب باس ليث عرين
لما رأيتك فاستعمت لقبلتي * أدعوو اشكر واردات شؤوني
ألفيت قطرك يمنتي فافادني * فضل اليمين على اليسار يقيني
تبقى الحيا الاقرى أخي العلا * بلدا باقصى الغرب جد هتون
بلد اتبينت الهلال بافقه * ورأيت منه قرة لعيوني
لولا هلال الغرب نور شرقنا * بتنا بليل الحدس والتخمين
يا راحلا رحل الفؤاد بعزمه * رفقا بقلب للوفاء ضمين
أستودع الله العظيم وانني * مستودع منه أجل أمين
أني اودع يوم بينك مهجتي * وشبيبتي وتصبري وسكوني
وأعود من توديع وجهك عودة * خلطت يقيني في الهوى بظنون
حتى كأني قد وقدت بمثلها * تقضي على بحالة المجنون
وتود نفسي انها لو حرمت * ابدا سكوني للهوى وركوني
اوشكت أقتل بين معترك الهوى * نفسي ومعترك الهوى بيميني
ولقد وددت بأنني متحمل * تلك الخطا بمحاجري وجفوني
كيف السبيل الى الحياة ومهجتي * في قبضة الاشواق كالمسجون
ما أنت الا البدر لاح بافقنا * شهرا وكان ضياؤه يهديني
والكها يا شيخ دهري غادة * غنيت عن التحسين والتزيين
جاءتك تعرض في الوداد كمالها * واذا لحظت جمالها يكفيني
هي بنت لحظتك التي تؤوي النهى * لا بنت ليلتي التي تؤويني
ما الفخر في دعوى البديهة عندها * الفخر قولك انها ترضيني
حسبي اباالعباس منك اصاخة * تقضي بموت عداي أو تحييني
بالهف نفسي كيف أبلغ مدحة * أضمرتها في سري المكنون
فلسان حبي بالغ اقصى المدى * ولسان مدحي في القصور يليني
ماالشعر يستوفي حقوقكم ولو * أهديت من نظمي عقود سنيني
حاكت أسطارها النجوم وانها * تزهو بعقد في علاك ثمين
فرأيت في العيوق طبعك سيدي * نمرا أسف لعجزه شاهيني

بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقيل ان الذى منع ردمير من طلب من تخلص من المسلمين أمية بن اسحق وخوفه المكمين ورغبه فيما كان في معسكر المسلمين من الاموال والعدد والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان أمية بعد ذلك استامن الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير فقبله عبد الرحمن أحسن قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عدة من قواده الى الجلالقة وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وردمير ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان تبله على الملك اردون الفرس والجلالقة والافرنجة تدين بدين النصرانية على رأى الملكية (رجع الحديث) ومدينة طاريه ومدينة سبرين وغيرهما من مدنهم الكبار سكنها المسلمون مدة من الزمان ثم ان البربر أنابوا ورجعوا

قد خف شعري من قصور طبيعتي * ورباقد كان جدركين
يكفيك أحمد يا ابن شاهين بان * أحرزت خصل السبق دون الدون
واذا عجزت عن الفرائض جاهدا * فادأب عسالك نفوز بالمسنون
هو قبلتي فلا غتدي متمسكا * منه بحبل في النجاة متين
واسلم فديتك زائرا ومشرفا * أفدي مواطئ نعله بجبيني
وكذاك عمري في هواك مقسم * بين الدعاء المجد والتأمين

وقال حفظه الله تعالى في ذلك

حنانيك ان الدمع بالود معرب * واني في شرق وأنت مغرب
ورحماك بي اني تقيل صبابة * بمن هو أوفى في الفؤاد وأقرب
ووعدك لي بالعود اني معلل * به مهجة قد أوشكت تتعذب
وهبتك قلبي ما حييت ولم أقل * ولكن من الاشياء ما ليس يوهب
فلو كنت شيئا واحدا هد صده * فكيف بشيخ لم يكن مثله أب
وانا بحمد الله لما خصصتنا * بزورة ذي ود دعاه المحبب
فرشنا له منا الخدود مواطئا * وعدنا به شوقا نجيء ونذهب
وقلنا دمشق أنت فيها حاكم * وأشرافها ودوا وجدوا ورحبوا
وأنت لها روح ومولى ومفخر * وقد زنت شرقا مثل ما ازدان مغرب
ونخرا عظيما يا ابن شاهين انه * غدا ذكرنا نسر السماء فيه يرغب
فنحن ونحن الناس خدام نعله * فلا غرو أن يقلي الغضنفر أكلب
وما نقموا منه سوى أنه امرؤ * ليأكل فيما قدروه ويشرب
هو الشيخ شيخ الدهر أحمد من غدت * دمشق ومن فيها بعلياه تخطب
هو المقري العالم العلم الذي * اليه تناهى الفضل والمجد ينسب
وما هو الا الشمس أزمع رحلة * وانا لفي ليل اذا هي تغرب
أو الغيث قد وافى وأمرعت النهى * به وانثنى والصدر بالرد معشب
أو الطائر العنقاء جاء مشرقا * فأغرب والعنقاء في الطير مغرب
وانك للخل الوفي وانه * هو الواحد المطلوب ان عز مطلب
وانك بالتحقيق في كل حالة * لاسنى وأندى ثم أوفى وأعرب
رعى الله وجها أنت ترعب نحره * وأي أخي جد له أنت ترغب
وحيا الحيا أرضا وطئت ترابها * فأصبح مسكا وهي بالمجد تخضب
ولا فارقت يوما علاك كلاءة * من الله أني كنت والله أغلب
مدى الدهر ما حنت جوانح واله * مشوق فامسى للعقيقة يطرب

ولما قرأ علي أدام الله تعالى عزته وحرس حوزته عقيدتي المسماة باضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة سالني أن أجيزه فيها وفي غيرها فكتبت اليه ما نصه

أحمد من أطار في جو العلا * صيت ابن شاهين الذي زان الحلى

وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة في أيدي النوبرد (قال المسعودي) وما ذكرنا من الجلالقة والافرنجة والصقالبة والنوبرد وغيرها من الامم فديارهم متقاربة والاكثر منهم حرب لاهل الاندلس في هذا الوقت ذو منعة وقوة عظيمة على ما قدمنا من سببه وأخباره وقد كان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سار الى الاندلس في أول دولة بني العباس وله أخبار كثيرة في كيفية وصوله الى الاندلس ودار مملكة الاندلس قرطبة على ما ذكرنا ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وثغور في أطراف أرضهم وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الامم من ولد يافث من الجلالقة وبرجان والافرنجة وغيرها من الامم وصاحب الاندلس في هذا الوقت يركب في مائة ألف وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد والله أعلم

(ذكر عاد وملوكها)

ذكر جماعة من ذوي العناية باخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح في عاد الاولى التي بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الاولى فانه ينبئ على تقدمهم وأن هنالك عادا ثانية وأخبر الله عن ملكهم ونطق بشدة بطشهم وما بنوه من الابنية المشيدة

انى ادعى على مر الدهور

وراش منه للمعالى أجنحه * نال بها فضلا غدا مستمنحه
وأسكن البيان من أوكار * أفهامه بقنة الافكار
فاصطاد كل شارد بمخلب * أبحاثه ومن يعارض يغلب
والصقر لا يقاس بالبغاث * والحق ممتاز عن الاضغاث
نشكر من بلغه مناه * على نواله الذى سناه
ونتحى مع صلاة باديا * لخير من جاء الانام هاديا
مبادلا ئل التوحيد * وموضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المتقى * أجل من خاف الاله واتقى
صلى عليه الله مع أصحابه * وآله الراوين عن سحابه
ما اعترف العبد الفقير ذو العدم * للرب باستغنائه و بالعدم
و بعد فالعلوم والعوارف * من أمها أوى لظل وارف
وروضة أزهارها تضوعت * لانها أفنانها تنوعت
وليس يحتاط بها انسان * اذ ذاك أمر ماله سبيل
فليصرف القول الى ماينفعه * دنيا وفى أوج الاجور يرفعه
وان فى علم أصول الدين * هدى وخير اجل عن تبيين
لانه أصل عم النفع * به وكل ماسواه فرع
وكيف يعبد الاله من لا * يعرفه وعن رشاد ضلا
فهو الذى لاتقبل الاعمال * الا به وتنجح الآمال
وانى كنت نظمت فيه * لطالب عقيدة تكفيه
سميتها اضاءة الدجنه * وقد رجوت أن تكون جنه
وبعد أن انتشرت أبها بمصر * وملكت بعضا من اهل العصر
درسنها لما دخلت الشاما * بجامع فى الحسن لا يسامى
وكان فى المجلس جمع وافر * من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالى * فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم واغتدى * وشام أنوار الفهوم فاهتدى
العالم الصدر الاجل المولى * من وصفه الممدوح يعيى القولا
وهو ابن شاهين وما أدراكا * من بذ جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلى بحسن الظن * اجازة فيما رواه عنى
لحرت فى أمرين قد تناقضا * بالنفى والاثبات اذ تعارضا
ترك الاجابة لوصفى بالخطل * وبالخطا والجيد منى ذو عطل
وكم ورائض بعجز سقط * فكيف غيرها وهذا أحوط
أو فعلها بحسب الامكان * رعيا لود محكم الاركان
منه وماله من الحقوق * ولا يجازى البر بالعقوق

العادية وقد أخبر الله تعالى عن قول نبيه هود عليه السلام وخطابه اياهم أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين وعاد أول من ملك فى الارض من هذه الطائفة بعد أن أهلك الله عز وجل الكفار من قوم نوح وذلك لقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة وذلك أن هؤلاء القوم كانوا فى هيآت النخل طولا وكانوا فى اتصال الاعمار وطولها بحسب ذلك من القدر وكانت نفوسهم قوية وأكبادهم غليظة ولم يكن فى الارض أمة هى أشد بطشا وأكثر آثارا وأذوى عقولا وأكثر أحلاما من قوم عاد ولم يكن الهلاك يعرض فى أجسامهم لقوة آثار الطبيعة فيها وما أوتوه من الزيادة الى تمام البنية وكمال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل وكان عاد رجلا جبارا عظيم الخلقة وهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وكان عاد يعبد القمر وذكروا أنه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد وأنه تزوج ألف امرأة وكانت بلاده متصلة باليمن وهى بلاد الاحقاف وبلاد سنجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب

وابعد

و بعد مام من النبراد * أسعفته بمقتضى الوداد
وسرت فى طرف من التساهل * معترفا بالجهل لا التجاهل
مع انه الاهل لأن يجرا * لأن مجاز ادحوى التبر زا
ومن رأى عيبى بعين للرضا * لم يقتف شيئ من غد امعترضا
فليروعنى كل ما أسمعته * اياه بالشرط وما جمعته
مع القصور راجيا للاجر * من العنون نظمها والنثر
كهذه القصيدة السديده * والنعل ذات المدح العديده
كذاك ما ألفت فى عمامه * من خص بالاسراء والامامه
والفقه والحديث والنحو وفى * أسرار وفق وهو بالقصد وفى
وغيرها مما به الوهاب من * على فقير عاجز فى غير فن
وما أخذت فى بلاد المغرب * عن كل فذ فى العلوم مغرب
ولى أسانيد اذا سردتها * طالت وفى كتبى قد اوردتها
وقد أخذت الجامع الصحيحا * وغيره عمن حوى الترجيحا
عمى سعيد عن سفين وهو عن * القلقشندى عن الواعى السنن
العسقلانى الشهاب بن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وقد اجزته بكل مالى * يصح من ذاك بلا احتمال
على شروط قرروها كافيه * ليست على افكاره بخافيه
وقال هذا المقرى الخطا * والى عم افظه والخطا
عام ثلاثين وألف بعدها * سبع أتمت فى السنين عدها
وكان ذا فى رمضان السامى * بحضرة السعد دمشق الشام
والله نرجو أن يتيح الختما * بالخير كى نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله ما طال المدى
وآله وصحبه ومن زكا * فنال من حسن الختام مدركا

وتذكرت بهذه الاجازة نظيرتها التى سالنى فيها مولانا عين الاعيان مفتى الانام فى مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادى مفتى الشام حفظه الله تعالى لاولاده الثلاثة وكتب لى اصغرهم سنا استدعاء لذلك

أحمد من شيد بالاسناد * بيت العلوم السامى العماد
وعم من خصص بالروايه * بنورها النا فى دجى الغوايه
وزان صدر النبها كل زمن * بجوهر الاجازة الغالى الثمن
نحمده سبحانه أن عرّفا * من الحديث مابه قد شرفا
ونسأل المزيد من صلاته * لمن أتيح القصد من صلاته
ملجؤنا المعصوم أعلى سند * لنا برغم جاحد ومفند
كهف الضعيف والقوى المرتجى * باب الهدايات وليس مرتجا

ماقدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا وقد ذكر جماعة من الاخباريين
ممن عنى باخبار العرب
أن عادا لما توسط العمر
واجتمع له الولد وولد الولد
ورأى البطن العاشر من
ولده وظهور الكثرة مع
تشييد الملك واستقامة
الامر بغمر احسانه الناس
وقرى الضيف وأحواله
منتظمة والدنيا عليه
مقبلة فعاش ألف سنة
ومائتى سنة ثم مات وكان
الملك بعده فى الاكبر
من ولده وهو شديد بن
عاد وكان ملكه خمسمائة
سنة وثمانين سنة وقيل
غير ذلك (ثم ملك بعده)
أخوه شداد بن عاد وكان
ملكه تسعمائة سنة ويقال
انه استوى على سائر ممالك
العالم وهو الذى بنى مدينة
ارم ذات العماد على حسب
ماقدمنا فيما سلف من
كتبنا عند اخبارنا عن هذه
المدينة وتنازع الناس
فى كيفيتها وماهيتها وفى
اى بلاد هى وهذه عاد
الثانية التى ذكرها الله
تعالى فقال الم تر كيف فعل
ربك بعاد ارم ذات العماد
والى هذه المدينة انتهى
البطش ولشداد بن عاد
سير فى الارض وطواف
فى البلاد عظيم فى ممالك
الهند وغيرها من ممالك
الشرق والغرب وحروب كثيرة اعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ومعولنا فى ذلك على ما بسطناه من اخبارهم فى كتاب

من جاءنا بالجامع الصحيح من * كلامه الهادى الى نهج أمن
من فضله ماشك فيه مسلم * من حبه بكل خير معلم
نبينا المرسل ذو الخلق الحسن * والمعجز المفحم أرباب اللسن
محمد المرفوع قدره على * سائر خلق الله جل وعلا
صلى عليه ربنا وسلما * أزكى صلاة نقتديها معلما
مع آله وصحبه ومن روى * آثاره عن صحة وما غوى
وبعد فالعلم عظيم القدر * وليس من يدرى كمن لا يدرى
ولم تزل همة أهل المجد * منوطة بنيل علم مجدى
ومنه علم السنة الشريفه * لانه ظلاله وريفه
فمن درى الاخبار والشمائل * لم ينأ عن صوب الهدى بمائل
وكم سميدع لاجله رفض * أوطانه وثوب ترحال نفض
وكيف لا وهو أجل ما طلب * موفق يروم حسن المنقلب
لانه وسيلة السعاده * والعز فى الابداء والاعاده
وانى لما انتحيت المشرقا * سعيا بدر اهتداء مشرقا
ألقيت فى مصر عصا التسيار * بعد بلوغى أشرف الديار
وبعد ذا جئت دمشق الشام * مسكن من يزدان باحتشام
فشاهدت عيناى فيها ما ملا * قلبى سرورا اذ بلغت مأملا
مدينة فياضة الانهار * فضفاضة الاثواب بالازهار
أرجاؤها زاكية العبير * ومدحها يجل عن تعبير
وجل أهلها بحبى دانوا * مع أن مثلى منهم يزدان
فلاحظوا بالاعين الكليله * عبدا غدا تقصيره دليله
وقابلوا عيبى بما اقتضاه * فضل لهم رب الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبر * قرة عين من رآه واختبر
مفتى الورى فى مذهب النعمان * بها الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين من تعيى القلم * أوصافه اللاتى كنور فى علم
حاوى طراف المجد والتلاد * نال المنى فى النفس والاولاد
وكنت فى مكة قد أبصرت * منه علا عن مدحه قصرت
جلالة ومحتدا وعلما * ورفعة وسوددا وحلما
مع التواضع الذى قد زانه * حسن اعتقاد مثقل ميزانه
فحث من فى الشام من أخيار * لم يسلكوا مناهج الاغيار
أن يأخذوا بعض الفنون عنى * بما اقتضاه منه حسن الظن
مع أننى والله لست أهلا * لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جملتهم أبناؤه * عماد دين قد علا بناؤه

وصنوه

اخبار الزمان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا تفرق الناس قبائل وتشعب الانساب وما قالوا فى ذلك من الاشعار جملا من اخبار عاد وثمود وهود وما تنازع الناس من سلف وخلف فى العلة التى بها عظمت اجسامهم وطالت اعمارهم فقد اتينا على ذكر ذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الروس السبعية من السياسة الملوكية وكذلك فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف

(ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها)

قد ذكرنا فيما سلف ذكر ثمود فى غير هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشى وديارهم بفج الناقة وبيوتهم الى وقتنا هذا ابنية منحوتة فى الجبال ورممهم باقية وآثارهم بادية وذلك فى طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادى القرى وبيوتهم منحوتة فى الصخر بابواب صغار ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على ان أجسامهم على قدر اجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد اجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنيانهم بارض الشحر تدل على بعد اجسامهم

وصنوه الشهاب بن توقدا * فهما وابراهيم سباق المدى
وهو الذى قد ابتغى الاجازه * لهم بوعد طالبا انجازه
وكتب القصيدة الطنانه * فى ذاك لى مهتصرا أفنانه
وانهم لحلقة قد أفرغت * دامت لهم آلاء فيض سوغت
فلم أجد بدا من الاجابه * مع كون جهلى ساد لاصحابه
فقد أجزتهم بما رويته * طرا وما ارتجلت اذ روّيته
وكل ما صنفت فى الفنون * مؤصل التحقيق للظنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب * وغيرهم من كل حبر معرب
ولى أسانيد بطول شرحها * شيد على تقوى الاله صرحها
ولو سردت كل مروياتى * هاالطال القول فى الابيات
وكل طول غالبا مملول * وحد من يعنى به مملول
فلنقتصر اذن على القليل * تبركا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخارى * عن عمى الحائز للفخار
المقرى سعيد الامام عن * محمد بن عمى خير فاخر عن
التونسى الطيب الانفاس * نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادرى المرتضى * عن الحجازى عن الحبر الرضا
نجل ابى المجد عن الحجارى * عن الزبيدى بنقل جارى
عن مسند الاسلام عبد الاول * عن الشهير الداودى المعتلى
عن السرخسى عن الفربرى * عن البخارى الامام الحبر
وفضله أظهر من أن يذكر * وعلمه المعروف غير المنكر
ومسلم بدا الى الكمال * عن علم الدين أخى الجلال
منسوب بلقين عن التنوخى * عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المقير عن ابن ناصر * عن ابن منده اللبيب القاصر
عن جوزقى قد روى عن مكى * عن مسلم نافى دياجى الشك
فليخبر واعنى بذا والباقى * من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الامام مالك * امامنا منير كل حالك
ومسند الفذ الرضا ابن حنبل * والدارمى ذى الثناء الاجمل
والطبرانى وما أرويه * من المعاجيم بما تحويه
وكلها تشمله الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
فلتقبلوها فهى من جهد المقل * اذ لست بالمطلوب منى أستقل
ومن أسانيدى عن القصار * مفتى الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراقى الدرج * عن الشريف الطبطبائى فرج
قال سمعت المصطفى فى الحرم * صلى عليه الله كل يوم

وكان ملك الملك الاوّل من ملوكهم مائتى سنة وهو عاد بن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح (ثم ملك بعده) جندع بن عمرو بن الدبل ابن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكان ملكه الى ان هلك مائتى سنة وتسعين سنة وملك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبى صلى الله عليه وسلم ما كان على ما ذكرنا أربعين سنة فجميع ما ملك هذا الملك وهو جندع ثلثمائة وسبع وعشرون سنة وهو آخر ملوك ثمود وبعث الله صالحا نبيا وهو غلام حدث لثمود على فترة كانت بينه وبين هود نحو من مائة سنة فدعاهم الى الله وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو على ما ذكرنا فلم يجب صالحا من قومه الا نفر يسير وكبر صالح ولم يزدد قومه من الايمان الا بعدا فلما تواتر عليهم انذاره وانذاره ووعده ووعيده سألوه المعجزات واظهار العلامات ليمنعوه من دعائهم وليعجزوه عن دعائهم فحضر عيد لهم وقد ظهروا أوثانهم وكان القوم أصحاب ابل فسألوه الآية من جنس أموالهم وطالبوه بما هو مجانس لاملاكهم من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم يا صالح ان كنت صادقا فى قولك وأنك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء وجاء الكلام

يقول من أصح يعني آمنا * في سربه الحديث فاعرف كامنا
ولنمسك العنان في هذا الارب * مصليا على الذي زان العرب
وآله وصحبه الاعلام * ومن تلا من أنجم الاسلام
وخط هذا المقري العاصي * أجير يوم الاخذ بالنواصي
سنة سبع وثلاثين تلت * ألفا لهجرة بياسين علت
عليه أزكى صلوات تستنم * نرجو بها الزلفى وحسن المختتم

ونص الاستدعاء المشار اليه هو

فازت دمشق الشام بالمقري * الالمعي اللوذعي العبقري
علامة العصر بلا مفترى * وواحد الدهر بلا ممترى
كم سمعت أخبار أوصافه * فقصر الخبر عن منظر
جامع علم بث املاءه * بالشام ملء الجامع الاكبر
يقري فتقري السمع أنفاسه * أنفس ما يقري وما قد قري
مولاي يا من در ألفاظه * صحاحها تزري على الجوهري
اجازة ترفل من فضلها * في ثوب عز ورداء معفر
مسبلة الذيل على أكبر * وأوسط الاخوة والاصغر
أطلب أنا انشاءها بل أطب * وانظم لنا من درها وانثر
لازلت في نفع الورى دائبا * تجود جود العارض الممطر

العبد الداعي ابراهيم العمادي انتهى ومن الاجازات التي قلتها بدمشق الشام ما كتبته للاديب الحسيب سيدي يحيي المحاسني حفظه الله تعالى

أحمد من زين بالمحاسن * دمشق ذات الماء غير الآسن
وأطلع النجوم من أعيان * بافقها السامي مدى الاحيان
فكل أيامهم مواسم * من الصفا ثغورها بواسم
وذكرهم قد شاع بين الاحيا * اذ قطرهم به الكمال يحيي
وبشرهم حديثه لا ينكر * ومسند الجامع عنهم يذكر
وقد حكت جوارح الذي ارتحل * اليهم صحيح ماله انتحل
فسمعه عن جابر والعين عن * قرة تروى واللسان عن حسن
بفضل من أتاحهم آلاءه * حتى أبان نورهم لالاءه
نحمده سبحانه أن أسدى * من الامان ما أنال القصدا
ونقتفي صوب صلاة باهره * الى الرسول ذي السجايا الطاهره
أجل من خاف الاله واتقى * محمد الهادي الرسول المنتقى
صلى عليه الله طول الابد * مع آله وصحبه والمقتدى
وبعد فالعلم أساس الخير * وكيف لا وهو مزيح الضير
وهو الموصل الى منهاج * هدى ورشد ماله من هاجي

سابيه اللون ذات عرف

وناصية وشعر ووبر فاستغاث بربه فتحركت الصخرة وتململت وبدا منها

حنين وانين ثم انصدعت من بعد تمخض شديد كتمخض المرأة حين الولادة وظهر منها ناقة على ما طلبوه من الصفة ثم تلاها من الصخرة سقب لها نحوها في الوصف فأمعنا في رعي الكلا وطلب المرعى فآمن حاق ممن حضره وزعيمهم الذي سأله وهو جندع بن عمرو وأقامت الناقة يحلبون من لبنها ما يعم شربه ثمودا كلها وضايقتهم في الكلا والماء وكان في ثمود امرأتان ذواتا حسن وجمال تزارهما رجلان من ثمود وهما قدار بن سالف ومصدع ابن مفرج والمرأتان عنيزة بنت زعيم وصدوف بنت المحيا فقالت صدوف لو كان لنا في هذا اليوم ماء لاسقيناكما خمرا وهذا يوم الناقة وورودها ولا سبيل لنا الى الشرب فقالت عنيزة لي والله لو ان لنا رجالا لكفونا اياها وهل هي الا بعير من الابل فقال قدار يا صدوف ان انا كفيتك أمر الناقة فمالي عندك فقالت نفسي وهل حائل دونها عنك فاجابت الاخرى صاحبها بنحو ذلك فقالا سيلا علينا بالخمر فشربا حتى توسطا السكر ثم خرجا فاستغويا تسعة رهط وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم

وما

ومابغير العلم يبدو العلم * وليس من يدرى كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير البشر * فان فضله على الكل انتشر
ولم يزل يعنى به كل زمن * من الرواة كل صدر مؤتمن
واننى عند دخول الشام * لقيت من بهامن الاعلام
وشاهدت عيناى من اتصافهم * ماحقق المحكى عن اوصافهم
وان من جلتهم أوج الذكا * والنير المزرى سناه بذكا
ابن المحاسن الذى قد طابقا * منه مسمى الاسم اذ سابقا
الالوذعى الالمعى يحيى * لازال رسم المجد منه يحيا
وهو الذى أغراه حسن الظن * على انتمائه لاخذ عنى
وكان قارئ الحديث النبوى * لدى فى الجامع أعنى الاموى
بمحضر الجمع الغزير الوافر * ممن وجوه فضلهم سوافر
وبعد ذاك استطمر الاجازه * من نوء وعدى واقتضى انجازه
فلم أجد بدا من الاجابه * مع أننى لست بذى النجابه
ولكن أجبت أمره ممتثل * منه ففى ذلك تصديق المثل
فيمن درى شيأ وغابت أشيا * عنه ومن أهدى اصنعا وشيا
فليروعنى كل مايصح لى * بشرطه الذى يزين كالحلى
وقد أخذت جامع البخارى * عن عمى الامام ذى الفخار
سعيد الذى نأى عن دنس * عن شيخه الحبر الشهير التنسى
أعنى أباعبد الاله وهو عن * والده محمد راوى السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضا * عن جده الخطيب عن بدر أضا
الفارقى عن امام يدعى * بابن عساكر الجليل المسعى
بماله من الروايات التى * على علو قدره قد دلت
وليروعنى ماانتمى للنووى * بذا الى السابق ذى النهج السوى
أعنى ابن مرزوق الخطيب الراوى * عن شيخه يحيى الرضى المغراوى
وهو روى عن صاحب التمكين * النووى الشيخ محيى الدين
وخطه ذا أحمد البادى الوجل * المقرى المالكى على خجل
فى عام ألف وثلاثين خلت * من هجرة الهادى وسبعة تلت
ألبسه الله البرود الضافيه * من منه وعفوه والعافيه
بجاه سيد البرايا طرا * ملجا من الى الكروب اضطرا
عليه أسنى صلوات تسدى * حسن الختام ببلوغ القصد انتهى

وسألنى بعض ساكنى دمشق المحروسة أن أقرظ له على شرحه لرسالة العارف بالله تعالى سيدى الشيخ آرسلان فكتبت ماصورته

أجدمن خص بالاسرار * قدمامن الصوفية الابرار

الناقة فى حال صدورها فضرب قدار عرقوبها بالسيف فعرقبها وأتبع صاحبه الاخر العرقوب الاخر فخرت الناقة لوجهها ووجأ قدار لبتها فنحرها ولاذ السقب بصخرة فلحقه بعضهم فعقره وورد صالح فنظر الى ماهلوا فوعدهم العذاب وكان ذلك فى يوم الاربعاء فقالوا له مستهزئين ياصالح متى يكون ماوعدتنا به من العذاب عن ربك فقال تصبح وجوهكم يوم مونس وهو يوم الخميس مصفرة ويوم العروبة محمرة ويوم شيار مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول وستذكر فيما يرد من هذا الكتاب أسماء الشهور والايام بلغتهم فهم التسعة بقتل صالح وقالوا ان كان صادقا كنا قد عاجلناه قبل أن يعاجلنا وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فاتوه ليلا فخالت الملائكة بينهم وبينه وأمطرتهم الحجارة ومنعه الله منهم فلما أصبحوا نظروا الى وجوههم كما وعدهم صفراء كانها الورس قد حالت الالوان وتغيرت الاجسام وتيقن القوم صدق الوعيد وأن العذاب واقع بهم وخرج صالح فى ليلة الاحد من بين ظهرانيهم مع من خف من المؤمنين فنزل

زهويد المحب لعبد الحقير الداعى أحمد بن شاهين انتهى * وأهديت اليه حفظه الله تعالى سبحة وخاتما وكتبت اليه

يانجل شاهين الذى * أحيا المعالى والمعالم
يامن به ريشت من الـمجد الخوافى والقوادم
يامن دمشق بطيب ما * يبديه عاطرة النواسم
فالنهر منها ذو صفا * والزهر مفتر المباسم
والغصن يثنى عطفه * طربا لتغريد الحمائم
ياأحمد الاوصاف يا * من حاز أنواع المكارم
أنت الذى طوقتنى * مننا لها تعنو الاعاظم
فتى أؤدى شكرها * والعجز لى وصف ملازم
والعذر باد أن بعثت اليك من جنس الرتائم
بسبحة الذكر التى * جاءت بتصحيف ملائم
وبخاتم صادالى * فيض الندى من كف حاتم
فامدد على جهد المقل رواق صفح ذاد عائم
واقبل عقيلة فكر من * هو فى بحار العى عائم
لازلت سابق غاية * بين الاعارب والاعاجم

فاجابنى بما صورته

ياسيد اشعرى له * ماان يقاوى أو يقاوم
كلا ولا قدرى له * يوما يساوى أو يساوم
يامن رأيت عطاردا * منه بدا فى شخص عالم
يامن بنفحة خلقه * وبلفظه السامى الملائم
أسحى يريـى مجزيـن من النواسم والمباسم
مازلت أيصر منهما * حسن النعامى والنعائم
ما زمانى حاسدا * أسحى وبالتنغيص جاسم
قلمى وقلبى بين ها * م فى الثناء له وهائم
حتى لاحمد سيدى * شيخ الورى فرض ملازم
المقرى المعتلى * شرف المعالى والمعالم
مالى اليه وسيلة * الا هوى فى القلب دائم
قد جاء ماشرفتنى * بخصوصه دون الاعاظم
من خاتم كفى به * ورثت سليمان العزائم
وجعلتنى لاأحسب الـعيوق لى فى فص خاتم
وبسبحة شبهتها * بالشهب فى أسلاك ناظم
فلتحسد الجوزاء ما * أحرزت من تلك المكارم

عدد نازلة بن تفين وكانت ولايته ستاوعشرين سنة وكان فى أيام الحكم صاحب الاندلس وقد تواقع أولاده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت الافرنجة بسببهم وصار لذريق بن نازلة صاحب ملكهم ثلاث ثمانى وعشرين سنة وستة أشهر وهو الذى أتصل الى طرطوشة فحاصرها ثم ولى بعده ابنه نازلة وهو الذى يهادى محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان محمد يخاطب بالامام وكانت ولايته تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر ثم ولى بعده ابنه لذريق ستة أعوام ثم وثب عليه قائد الافرنجة المسمى برتة وملك افرنجة فاقام فى ملكهم ثمان سنين وهو الذى صالح الخوص عن بلده سبع سنين بستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يؤديها صاحب الافرنجة اليه ثم ولى بعده نازلة بن بغر برة أربع سنين ثم ملك بعده نازلة أخوه ومكث احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ثم ولى بعده لذريق بن نازلة وهو ملك افرنجة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة واستوزت مملكته عشرين الى هذا التاريخ على حسب مانمى الينا من خبره (قال المسعودى)

هي آلة للذكر لكن ليس ذكرى في الحيازم
فهواك في قلبي وما * في القلب جل عن الزنائم
ماذى رتائم سيدى * بل انها عندى تمائم
لو انها من جنس ما * يطوى غدت فوق العمائم
لكنها قد زينت * كفي وأزرت بالخواتم
يامن يريش اذا رمى * نسر السماء بلحظ حازم
ان ابن شاهين حوى * منك الخوافي والقوادم
هذى نوافل ياإما * م الدهر ليست باللوازم
العذر منها مخجل * عبد المليك جد خادم
بل انه فوق العذر قد * أصبحت للشعرى منادم
لازال دهرك سيدى * يلقاك منه ثغر باسم
يهدى اليك من المرا * حم والمكارم والغنائم
مالا يساوم مثله * ذو الحظ في أسنى المواسم

العبد الحقير الداعى لاسناده مولاى الاجل بالتمكين أحمد بن شاهين حامدا مصليا مسلما انتهى وقال مستجيرا

الشيخ يشرب ماء * ونحن نشرب قهوه

فقلت

لانه ذو قصور * فغط بالعذر سهوه

ولما أزمعت العود الى مصر اوائل شوال سنة ١٠٣٧ خاطبني بقوله

ابدا اليك تشوقي وحنيني * والى جنابك ما علمت سكوني
ولديك قلبي لايزال رهينة * غلقت وتعلم ذمة المرهون
وعليك قد حبست شوارد مدحتي * لما رأيتك فوق كل قرين
قلبي كقلبك في المحبة والهوى * اذ كان في الاشواق دينك ديني
وليته بهواك أرفع رتبة * وغدوت تعزل عنه كل خدين
واطاع أمرك في الوداد فلو انشا * منه وحاشا سلوة يعصيني
ماكنت أحسب قبل طبعك ان أرى * يوما عطاردناطقا بفنون
حتى رأيتك فاستبنت بانه * يروى أحاديث العلا بشجون
ويفيد سمعي معجزا بهر النهى * ويرى عيوني آية التكوين
يامن غدا يحيي القلوب بلفظه * ويرد الانفاس عن جبرين
أحييت بالوحي المبين قلوبنا * وحلى لعمر الله جذمين
هذى دمشق لعمر خلقك روضة * قد جاد طبعك دوحها بعيون
قد زارها غيث الندى فبهارها * أضحى يلوح بحلة النسرين
لو لم تكن بدر المنا أحرزت ما * قد خص في الانوار بالتلوين

واشد ما على الاندلس من الامم المحاربه لهم الجلالقة كان الامر بحة حرب لهم غير ان الجلالقة اشد باسا وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الاندلس في هذا الوقت وزير من ولد امية يقال له احمد بن اسحق فقبض عليه عبد الرحمن لامر كان منه استحق عليه في الشريعة العقوبة فقتله عبد الرحمن وكان للوزير اخ يقال له امية في مدينة من ثغور الاندلس يقال لها شنترين فلما رأى اليه ما فعل باخيه عصى على عبد الرحمن وصار في حيز ردمير ملك الجلالقة فاعانه على المسلمين ودله على عوراتهم ثم خرج امية في بعض الايام من المدينة يتصيد في بعض منتزهاتها فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول اليها وكتب الى عبد الرحمن ومضى امية بن اسحق اخو الوزير المقتول الى ردمير فاصطفاه واستوزره وصيره في جملته وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس سمورة مدينة الجلالقة المتقدم صفة بنيانها واسوارها في باب جمل الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وأخبار الاندلس وغير ذلك وكان عبد الرحمن في مائة ألف أو يزيدون فكانت وقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة في شوال سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الكسوف الذي كان في هذا

حدقت ما قد قيل حين حللتها * ان المكان مشرف بمكين
هي عادة حليتها فتزينت * ما كان أحوجها الى التزيين
مولاى أحمد يا سليل بني العلا * يا فوق مدحي فيك أو تحسيني
اغني وجودك وهو عين الدين عن * علامة الدنيا لسان الدين
الحضرة تستغني به عن غيره * والى العيان ارغب عن المظنون
تلقي علوم الناس في أوراقهم * وعلومه في صدره المشحون
وعلمه اعبر كل بحر زاخر * وبفهمه اسبر غامض المخزون
وبحلمه ارسى عن حلم أحنف * وبعزمه اصحب باس ليث عرين
لما رأيتك فاستممت ابلتي * أدعو واشكر واردات شؤني
ألفيت قطرك عنتي ففادني * فضل اليمين على اليسار يقيني
سقي الحيا المصري أخي العلا * بلدا باقصى الغرب حد هتون
بلدا تبدت الهلال بافقه * ورأيت منه قرة لعيوني
لولا هلال العرب نور شرقنا * بتنا بليل الحدس والتخمين
يا راحلا رحل الفؤاد بعزمه * رفقا بقلب للوفاء ضمين
أستودع الله العظيم وانني * مستودع منه أجل أمين
أني اودع يوم بينك مهجتي * وشبيبتي وتصبري وسكوني
وأعود من توديع وجهك عوده * خلطت يقيني في الهوى بظنون
حتى كأني قد فقدت عمتها * تغضي على محالة الخبون
وتود نفسي انها لو حرمت * ابدا سكوني للهوى وركوني
اوسكنت أفضل بين معترك الهوى * نفسي ومعترك الهوى يرميني
ولقد وددت باني متحمل * تلك الخطا بمحاجري وجفوني
كيف السبيل الى الحياة ومهجتي * في قبضة الاشواق كالمسجون
ما انت الا البدر لاح بافقنا * ثم ارتكان ضياؤه يهديني
والبدر هاماشي دهري عادة * غنيت عن التحسين والتزيين
حاشاك تعرض في الوداد كاهلها * واذا لحظت جمالها بكميني
هي بنت لحظك التي تؤوي النهى * لا بنت ليلتي التي تؤويني
ما الفخر في دعوى البديهة عندها * الفخر قولك انها ترضيني
حي ابا العباس منك اصاحبه * تقضي بوز نداى أو تحييني
بالهف نفسي كيف ابلغ مدحه * أضمرتها في سري المكنون
ولسان حبي بالعواصي المدى * ولسان مدحي في القصور يليني
ما الشعر يستوفي حقوقكم ولو * أهديت من نظمي عقود سنيني
حلقت أمطاد النجوم وانها * ترهو بعقدفي علاك ثمين
ورأت في العيون طبعك سيدي * نسرا أسف لعجزه شاهيني

السمر ثلاثة أيام وكانت بلد لمسلمين عليهم ثم أنابوا بعد أن حوصروا وأولجوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين

بعد عبورهم الخندق خمسين ألفا وقيل ان الذي منع ردمير من طلب من نجا من المسلمين أمية بن اسحق وحدوده الكميز ورضيه فيما كان في معسكر المسلمين من الاموال والعدد والخزائن ولولا ذلك لاتى على جميع المسلمين ثم ان أمية بعد ذلك استأمن الى عبد الرحمن وتخلص من ردمير فقبله عبد الرحمن أحسن قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهز عساكر مع عدة من قواده الى الجلالقة وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما هلك من المسلمين في الوقعة الاولى وكانت للمسلمين عليهم الى هذه الغاية ورد من مات الجلالقة الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان ملكهم على الـ اردون المذكور والجلالقة والافرنجة يدينون بدين النصرانية على رأى الملكية (رجع الحديث) ومدينة قطاربة ومدينة ... وغيرهما من مدنهم الكبار ملكها المسلمون مدة من الزمان ثم ان الروم تابوا ورجعوا على من كان في تلك البلاد من المسلمين فاخرجوهم عنها بعد حروب طويلة وما ذكرناه من المدن في وقتنا هذا قد

قد حف شعري من قصور طبيعتي * ولربما قد كان جد ركين
لكنك أحمد يا ابن شاهين بان * أحرزت خصل السبق دون الدون
وإذا عجزت عن الفرائض جاهدا * فادأب عسى لك فوز بالمسنون
هو قبلتي فلأغتدي متمسكا * منه بحبل في الخلاء متين
واسلم فديتك زائرا ومشرفا * أفدي مواطئ نعله تحييني
وكذاك عمري في هواك مقسم * بين الدعاء الحمد والتأمين

وقال حفظه الله تعالى في ذلك

حنانيك إن الدمع بالود معرب * وإني في شرق وأنت مغرب
ورعيك لي أني جميل عهاده * وهو أوفى في الوداد وأحدب
ووعدك لي بالعود أني معلل * به مهجة قد أوشكت تتصوب
وهبتك قلبي ما حييت ولم أقل * ولكن من الأشياء ليس يوهب
فلو كنت شيئا واحدا قد قصدته * فكيف بشيء لم يكن ثم له أب
وإنا بحمد الله لما صحبتنا * [illegible] ذي ود دعاه المحب
فرشناه مما الخدود موطئ * وعدنا به شوقا نجيء ونذهب
وقلنا دمشق أنت مهما حللتم * وأشرافها ودوا وحيوا ورحبوا
وأنت لها روح ومولى ومفخر * وقد زنت شرقا مثل ما زان مغرب
وفخرا عظيما يا ابن شاهين إنه * غدا وكرا نسر السما فيه يرغب
فنحن ونحن الناس خدام نعله * ولا غرو أن نعلى العشير أكلب
وما نقموا منه سوى أنه امرؤ * ألا كل ذي ما قد رووه يشرب
هو الشيخ شيخ الدهر أحمد من غدت * دمشق ومن فيها بعلياه تخطب
هو المقري العالم العلم الذي * إليه تناهى الفضل والمجد ينسب
وما هو إلا الشمس أزمع رحله * فما بالي ليل إذا هي تغرب
أو الغيث قد وافى وأمرعت الربى * فوا أنسي والصدر بالرد معشب
أو الطائر العنقاء جاء مشرقا * فأغرب والعنقاء في الطير مغرب
وإنك للفضل الوفي وإنه * هو الواحد المطلوب إن عز مطلب
وإنك بالتحقيق في كل حالة * لأسنى وأندى ثم أوفى وأدرب
رعى الله وجها أنت ترعى نحوه * وأي أخي حب له أنت ترغب
وحيا الحيا أرضا وطئت ترابها * فأصبح مسكا وهي بالخد تخضب
ولا فارقت يوما علاك كلاءة * من الله أنى كنت والله أغلب
مدى الدهر ما حنت جوانح واله * مشوق فأمسى للحقيقة يطرب

ولما قرأ علي أدام الله تعالى عزه وحرس حوزته عقيدتي المسماة بإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة سألني أن أجيزه فيها وفي غيرها فكتبت إليه ما نصه

أحمد من أطار في جو العلا * صيت ابن شاهين الذي زان الحلى

الجلالقة والافرنجة والصقالبة والبرد وغيرهم من الأمم فديارهم متقاربة والأكثر منهم حرب لأهل الأندلس في هذا الوقت وسعة وقوة عظيمة على ما [illegible] هو أحد [illegible] كان [illegible] ابن معاوية بن [illegible] سار إلى الأندلس في أول دولة بني العباس وله أخ وكثيرة في [illegible] و[illegible] إلى الأندلس ودار مملكة الأندلس قرطبة على ما ذكرنا وقسم مدن كثيرة وعمائر [illegible] وثغور في أطراف أرضهم وربما يجتمع على حربهم من جاورهم من الأمم من ولد يافث من الجلالقة والبرجان والافرنجة [illegible] من الأمم وصاحب الأندلس في هذا الوقت يركب في مائة ألف وهو ونحوه بالرجال والعمال والدواب والعدد والله أعلم

(ذكر عاد وملوكها)

ذكر جماعة من ذوي العناية بأخبار العالم أن الملك يؤثر من بعد نوح في عاد الأولى التي بادت قبل سائر ممالك العرب كلها ومصداق ذلك قوله عز وجل وأنه أهلك عادا الأولى بأنه [illegible] على [illegible] تقدمهم وأن هنالك عادا ثانية وأخبر الله عن ملكهم وطول شدة بطشهم وسابقهم من الأمم [illegible]

وراش منه للمعالي أجنحه * نال بها فضلا غدا مستمنحه
وأسلك البيان من أوكار * أفهامه بقنية الافكار
فاصطاد كل شارد بمخلب * أبحاثه ومن يعارض يغلب
والصقر لا يقاس بالبغاث * والحق ممتاز عن الاضغاث
نشكر من بلغه مناه * على نواله الذي سناه
ونتحي مع صلاة باديا * لخير من جاء الانام هاديا
محمد لاتال الوحيد * وموضحا طرائق التسديد
محمد خير البرايا المتقي * أجل من خاف الاله واتقي
صلى عليه الله مع أصحابه * وآله الراوين عن سحابه
ما اعترف العبد الفقير ذو العدم * للرب باستغنائه و بالقدم
وبعد فالعلوم والعوارف * من أمها أوى لظل وارف
وروضة أزهارها تضوعت * لانها أفنانها تنوعت
وليس يحتاط بها نبيل * اذ ذاك أمر ماله سبيل
فليصرف القول الى ماينفعه * دنيا وفي أوج الاجور يرفعه
وان في علم أصول الدين * هدى وخير راحل عن تبيين
لانه أصل جميع النفع * به وكل ما سواه فرع
وكيف يعبد الاله من لا * يعرفه وعن رشاد ضلا
وهو الذي لا تقبل الاعمال * الا به ونجمع الآمال
واني كنت نظمت فيه * لطالب عقيدة تكفيه
سميتها اضاءة الدجنه * وقد رجوت أن تكون جنه
وبعد أن اقرأتها بمصر * ومكة بعضا من اهل العصر
درستها بالسادات الشاما * بجامع في الحسن لا يسامى
وكان في المجلس جمع وافر * من جلة بدورهم سوافر
منهم فريد الدهر ذو المعالي * فخر دمشق الطيب الفعال
أحمد من راح لعلم واغتدى * وشم أنوار الفهوم فاهتدى
العالم الصدر الاجل المولى * من وصفه الممدوح يعيي القولا
وهو ابن شاهين وما أدراكا * من بذ جنس العرب والاتراكا
ورام من مثلي بحسن الظن * اجازة فيما رواه عني
فحرت في أمرين قد تناقضا * بالنفي والاثبات اذ تعارضا
ترك الاجابة لوصفي بالخطل * وبالخطا والجد مني ذو عطل
وكم دراثض بعجز سقط * فكيف غيرها وهذا أحوط
أو فعلها بحسب الامكان * رعيا لود محكم الاركان
منه وما له من الحقوق * ولا تجازي البر بالعقوق

بناهم أتبنون بكل ريع
آية تعبثون وتتخذون
مصانع لعلكم تخلدون
واذا بطشتم بطشتم جبارين
وعاد أول من ملك في
الارض من هذه الامة
فدل أن أهلها الله عزوجل
... كانوا من قوم نوح
... ملك ... تعالى واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم
نوح وزادكم في الخلق بسطة
ودل ان هؤلاء القوم
كانوا في غاية الخلق
طولا وكانوا في اعمار
الاعمار وطولها بحسب
ذلك من القدر وكانت
قوتهم قوية وكبر دهم
عليه ولم يكن في الارض
من هي أشد بطشا وأكثر
... وأطول عقولا وأكثر
احلاما من قوم عاد ولم
... اولئك يعرض
في أجسامهم القوة آثار
الضعف فيها وما أوتوه من
ارادة الى تمام البنية
وكمال الهيئة على حسب
ما أخبر الله عزوجل وكان
عاد رجلا جبارا اعظم
الخلقة وهو عاد بن عوص
ابن ارم بن سام بن نوح
وكان ابن عاد يعبد القمر
وذكروا أنه رأى من
صلبه أربعة آلاف ولد
وانه تزوج ألف امرأة
وكانت بلاده متصلة باليمن وهي بلاد الاحقاف وبلاد نجار وبلاد عمان الى حضرموت على حسب

وبعد مامر من السرداد * أسعفته بمقتضى الوداد
وسرت فى طرف من التساهل * معترفا بالجهل لا التجاهل
مع انه الاهل لأن يجيزا * لأن حاز ادحوى التبريزا
ومن رأى عيبى بعين للرضا * لم يتقف نهج من غدا معترضا
فليرو عنى كل ما أسمعه * اياه بالشرط وما جمعته
مع القصور راجيا للاجر * من الفنون نظمها والنثر
كهذه القصيدة السديده * والنعل ذات المدح العديده
كذاك ما ألفت فى عمامه * من خص بالاسراء والامامه
والفقه والحديث والتصوف * أسرار وفق وهو بالقصد دوفى
وغيرها مما به الوهاب من * على فقير عاجز ذى غبن
وما أخذت فى بلاد المغرب * عن كل فذ فى العلوم معرب
ولى أسانيد اذا سردتها * طالت وفى كتبى قد اوردتها
وقد أخذت الجامع الصحيحا * وغيره عمن حوى الترجيحا
عمى سعيد عن سقين وهو عن * القلقشندى عن الواعى السنن
العسقلانى الشهاب بن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وقد اجزته بكل مالى * صح من ذاك بلا احتمال
على شروط قرروها كافيه * ليست على افكاره بخافيه
وقال هذا المقرى الخطا * والسعى عم لفظه والخطا
عام ثلاثين وألف بعدها * سبع أتت فى السنين عدها
وكان ذا فى رمضان السامى * بحضرة السعد دمشق الشام
والله نرجو أن ينيح الختما * بالخير كى نعطى القبول حتما
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله ماطال المدى
وآله وصحبه ومن زكا * فنال من حسن الختام مدركا

وتذكرت بهذه الاجازة نظيرها التى سالنى فيها مولانا عين الاعيان مفتى الامام فى مذهب النعمان مولانا الشيخ عبد الرحمن العمادى مفتى الشام حفظه الله تعالى لاولاده الثلاثه وكتب لى اصغرهم سنا استدعاء لذلك

أحمد من شيد بالاسناد * بيت العلوم السامى العماد
وعم من خصص بالروايه * بنورها النا فى دجى الغوايه
وزان صدر النبها كل زمن * بجوهر الاجازة الغالى الثمن
نحمده سبحانه أن عرفا * من الحديث مابه قد شرفا
ونسأل المزيد من صلاته * لمن أبج القصد من صلاته
ملجؤنا المعصوم أعلى سند * لنا برغم جاحد مفند
كهف الضعيف والقوى المرتجى * باب الهدايات وليس مرتجا

ماقدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا وقد ذكر جماعة من الاخباريين ممن عنى باخبار العرب أن عادا لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد ورأى البطن العاشر من ولده وظهور الكثرة مع تشدد الملك واستقامة الامر عمر احسانه الناس وقرى الضيف وأحواله منتظمة والدنيا عليه مقبلة فعاش ألف سنة ومائتى سنة ثم مات وكان الملك بعده فى الاكبر من ولده وهو شديد بن عاد وكان ملكه خمسمائة سنة وثمانين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعده) أخوه شداد بن عاد وكان ملكه تسعمائة سنة ويقال انه استوى على سائر ممالك العالم وهو الذى بنى مدينة ارم ذات العماد على حسب ماقدمنا فيما سلف من كتبنا عند اخبارنا عن هذه المدينة وتنازع الناس فى كيفيتها وماهيتها واى بلاد هى وهذه هى الثانية التى ذكرها الله تعالى فقال الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد والى هذه المدينة انتهى البطش والشداد بن عاد سير فى الارض وطواف فى البلاد عظيم فى ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب وحروب كثيرة اعرضنا عن ذكرها لشرط الاختصار ومعولنا فى ذلك على مابسطناه من اخبارهم فى كتاب

من جاء بالجامع الصحيح من * كلامه الهادي الى نهج أمن
من فضله ما شك فيه مسلم * من حبه بكل خير معلم
نبينا المرسل ذو الخلق الحسن * والمعجز المفحم أرباب اللسن
محمد المرفوع قدره على * سائر خلق الله جل وعلا
صلى عليه ربنا وسلما * أزكى صلاة ننتهيها علما
مع آله وصحبه ومن روى * آثاره عن صحة وما غوى
وبعد فالعلم عظيم القدر * وليس من يدري كمن لا يدري
ولم تزل همة أهل المجد * منوطة بنيل علم مجدي
ومنه علم السنة الشريفه * لانه طلابه [illegible] يفه
من درى الاخبار والشمائل * لم ينأ عن صوب الهدى بطائل
وكم سعى مدع لاجله رفض * أوطانه وثوب ترحال نفض
وكيف لا وهو أجل ما طلب * موفق يروم حسن المنقلب
لانه وسيلة السعاده * والعز في الابداء والاعاده
وانني لما انتحيت المشرقا * منه ما بدر اهتداء مشرقا
ألقيت في مصر عصا التسيار * بعد بلوغي أشرف الديار
وبعد ما حثثت دمشق الشام * مسكن من يردان باحتشام
شاهدت عيناي فيها ما ملا * قلبي سرورا اذ بلغت مأملا
مدينة فياضة الانهار * فضفاضة الاثواب بالازهار
أرجاؤها زاكية العبير * ومدحها جل عن تعبير
وجل أهلها نجيب دانوا * مع أن مثلي منهم يزدان
ولاحظوا بالاعين الكليله * عبدا ذا تقصيره دليله
وقابلوا عيبي بما اقتضاه * فضل لهم رب الورى ارتضاه
خصوصا المولى الكبير المعتبر * قرة عين من رآه واختبر
مفتي الورى في مذهب النعمان * بها الوجيه عابد الرحمن
ابن عماد الدين ابن محيي العلم * أوصافه اللاتي كنور في علم
حاوي طراف المجد والتلاد * نال المنى في النفس والاولاد
وكنت في مكة قد أبصرت * منه علا عن مدحه قصرت
جلالة ومحتدا وعلما * ورفعة وسؤددا وحلما
مع التواضع الذي قد زانه * حسن اعتقاد مثقل ميزانه
حث من في الشام من أخيار * لم يسلكوا مناهج الاغيار
أن يأخذوا بعض الفنون عني * بما اقتضاه منه حسن الظن
مع أنني والله لست أهلا * لذاك والتصدير ليس سهلا
وكان من جملتهم أبناؤه * عماد دين قد علا بناؤه

عند ذكرنا فرق الناس قبائل وشعب الانساب ومن قولنا في ذلك من الاشعار جملا من اخبار عاد وعاد هود وما [illegible] من [illegible] في العلة التي بها عظمت اجسامهم وطالت اعمارهم فقد تنازلنا ذكر ذلك في كتابنا المترجم بكتاب الروس السبعية من السياسة الملوكية وكذلك في كتابنا المترجم بكتاب الزلف

(ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها)

قد ذكرنا فيما سلف ذكر ثمود في غير هذا الكتاب وكان ملك ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي وديارهم بفج الناقة وبيوتهم الى وقتنا هذا بادية منحوتة في الجبال ورممهم بالية وآثارهم بادية وذلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى وبيوتهم منحوتة في الصخر بابواب صغار ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا وهذا يدل على ان أجسامهم على قدر أجسامنا دون ما يخبر به القصاص من بعد اجسامهم وليس هؤلاء كعاد اذ كانت آثارهم [illegible] واضحة [illegible] بنيانهم بارض الشحر تدل على بعد اجسامهم

وصنوه الشهاب من توقدا * فهما وابراهيم سباق المدى
وهو الذى قد ابتغى الاجازه * لهم بوعد طالبا انجازه
وكتب القصيدة الطنانه * فى ذاك لى مهتصرا أفنانه
وانهم لحلقة قد أفرغت * دامت لهم آلاء فيض سوغت
فلم أجد بدا من الاجابه * مع كون جهلى سادلا حجابه
فقد أجزتهم بما رويته * طرا وما ارتجلت اذ روّيته
وكل ما صنفت فى الفنون * مؤمّل التحقيق للظنون
وما أخذت عن شيوخ المغرب * وغيرهم من كل حبر مغرب
ولى أسانيد يطول شرحها * شيد على تقوى الاله صرحها
ولو سردت كل مروياتى * هنا لطال القول فى الابيات
وكل طول غالبا مملول * وحد من يعنى به مفلول
فلنقتصر اذن على القليل * تبركا بالمطلب الجليل
وقد أخذت جامع البخارى * عن عمى الحائز للفخار
المقرى سعيد الامام عن * محمد بن يحيى خير يفاخر عن
التونسى الطيب الانفاس * نزيل حضرة الملوك فاس
عن الكمال القادرى المرتضى * عن الحجازى عن الحبر الرضا
نجل ابى المجد عن الحجارى * عن الزبيدى بنقل جارى
عن مسند الاسلام عبد الاوّل * عن الشهير الداودى المعتلى
عن السرخسى عن الفربرى * عن البخارى الامام الحبر
وفضله أظهر من أن يذكر * وعلمه المعروف غير المنكر
ومسلم بدا الى الكمال * عن علم الدين أخى الجلال
منسوب بلقين عن التنوخى * عن ابن حمزة عن الشيوخ
كابن المقير عن ابن ناصر * عن ابن منده اللبيب القاصر
عن جوزقى قد روى عن مكى * عن مسلم نافى دياجى الشك
فليخبروا عنى بذا والباقى * من ستة حائزة السباق
كذا موطأ الامام مالك * امامنا منير كل حالك
ومسند الفذ الرضا ابن حنبل * والدارمى ذى الثناء الاجمل
والطبرانى وما أرويه * من المعاجيم بما تحويه
وكلها تشمله الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
فلتقبلوها فهى من جهد المقل * اذ لست بالمطلوب منى أستقل
ومن أسانيدى عن القصار * مفتى الانام بهجة الاعصار
عن شيخه خروف الراقى الدرج * عن الشريف الطططائى فرج
قال سمعت المصطفى فى النوم * صلى عليه الله كل يوم

وكان ملك الملك الاوّل من ملوكهم مائتى سنة وهو عاد بن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح (ثم ملك بعده) جندع بن عمرو بن الديل ابن ارم بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وكان ملكه الى ان هلك مائتى سنة وتسعين سنة وملك جندع هذا بعد أن كان من أمر صالح النبى صلى الله عليه وسلم ما كان على ماذكرنا أربعين سنة فجميع ما ملك هذا الملك وهو جندع ثلثمائة وسبع وعشرون سنة فهؤلاء ملوك ثمود وبعث الله صالحا نبيا وهو غلام حدث لثمود على فترة كانت بينه وبين هود نحو من مائة سنة فدعاهم الى الله وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو على ما ذكرنا فلم يجب صالحا من قومه الانفر يسير وكبر صالح ولم يزدد قومه من الايمان الا بعدا فلما تواتر عليهم اعذاره وانذاره ووعده ووعيده سامو المعجزات واظهار العلامات ليمنعوه من دعائهم وليعجزوه عن خطابهم فحضر عيدهم وقد اظهروا أوثانهم وكان القوم أصحاب ابل فسألوه الآية من جنس أموالهم وطالبوه بما هو مجانس لاملاكهم من بعد اتفاق آرائهم فقال له زعيم من زعمائهم ياصالح ان كنت صادقا فى قولك وأنك معبر عن ربك فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ولتكن وبراء سوداء عشراء تتوجا لكة

يقول من أصبح يعنى آمنا * فى سربه الحديث فاعرف كامنا
واسلك العمان فى هذا الارب * مصليا على الذى زان العرب
وآله وصحبه الاسلام * ومن غدا من أنجم الاسلام
وخط هذا المقرى العادى * أحمد يوم الاخذ بالنواصى
سنة سبع وثلاثين التى * ألف الهجرة بياسين علت
عليه أزكى صلوات تسنم * نرجو بها الزلفى وحسن المختتم

ونص الاستدعاء المشار اليه هو

فازت دمشق الشام بالمقرى * الالمعى اللوذعى العبقرى
علامة العصر بلا مفترى * وواحد الدهر بلا ممترى
كم سمعت أخبار أوصافه * فقصر الخبر عن منظر
جامع علم بث املاءه * بالشام ملء الجامع الاكبر
يفرى فيغرى السمع أنفاسه * أنفس ما يفرى وما قد قرى
مولاى يا من در ألفاظه * يحاجها ازرى على الجوهرى
اجازة ترفل من فضلها * فى ثوب عز زوردا مغفر
مسبله اذيال على أكرم * وأوسط الاخوة والاصغر
أطل لنا انشاءها بل أطب * وانظم لنا من درها وانثر
لازلت فى نفع الورى دائبا * تجود جود العارض الممطر

العبد الداعى ابراهيم العمادى انتهى ومن الاجازات التى قلتها بدمشق الشام ما كتبته للاديب الحسيب سيدى يحيى المحاسنى حفظه الله تعالى

أحمد من زين بالمحاسن * دمشق ذات الماء غير الآسن
وأطلع النجوم من أعيان * بافقها السامى مدى الاحيان
وكل أيامهم مواسم * من الصفا ثغورها بواسم
وذكرهم قد شاع بين الاحيا * اذ فطرهم به الكمال يحيى
ونشرهم حديثه لا ينكر * ومسند الجامع عنهم يذكر
وقد حكت جوارح الذى ارتحل * اليهم صحيح ماله انتحل
فسمعه عن جابر والعين عن * قرة تروى واللسان عن حسن
حل من أناخهم آلاءه * حتى أبان نورهم لألاءه
نحمده سبحانه أن أسدى * من الامان ما أنال القصدا
ونهدى صوب صلاة باهره * الى الرسول ذى السجايا الطاهره
أجل من خاف الاله واتقى * محمد الهادى الرسول المنتقى
صلى عليه الله طول الابد * مع آله وصحبه والمقتدى
وبعد فالعلم أساس الخير * وكيف لا وهو مريح الضير
وهو الموصل الى منهاج * هدى ورشد ماله من هاجى

[illegible] به الى [illegible] عرب
خبير و [illegible] ما اصدعت
[illegible] بعد [illegible] شديد
[illegible] المرآة [illegible]
[illegible] ته
على ما ظلموه [illegible]
ثم لا [illegible]
لها نحوه فى الوصف
[illegible] كلا وطلب
المرعى و [illegible] عن
حضره [illegible] الذى
الدهر [illegible] عمرو
وأوس [illegible] يحلبون
[illegible] شربه عودا
[illegible] الكلا
[illegible] وكان فى ثمود
امرأتان [illegible] وحسن وجمال
[illegible] ورجال من ثمود
وهما [illegible] فومصدع
[illegible] امرأتان عنيزة
بنت [illegible] احيا
[illegible] صدوف لو كان
لنا فى هذا اليوم ماء
لاسقينا [illegible] وهذا
يوم [illegible] وورودها ولا
سبيل لنا الى الشرب فقالت
[illegible] لى والله لو ان لنا
رجالا لكفونا اياها وهل
هى الا بعير من الابل فقال
[illegible] يا صدوف ان انا
كفيتك أمر الناقة [illegible] لى
[illegible] فقالت نفسى
وهل حائل دونها اعملك
فاجابت الاخرى [illegible]
[illegible] وذلك وقالا سبيلا عليها

بالخير فشربا حتى [illegible] ثم خرجا فاستغويا تسعة رهط وهم التسعة الذين أخبر الله تعالى عنهم وما

وما غير العلم سيد والعلم * وليس من يدرى كمن لا يعلم
خصوصا الحديث عن خير البشر * فان فضله على الكل انتشر
ولم يزل يعنى به كل زمن * من الرواة كل صدر مؤتمن
وانى عند دخول الشام * لقيت من جهابذ الاعلام
وشاهدت عيناى من اوصافهم * ما حقق الحاكى عن اوصافهم
وان من اجلهم أو احدكا * والعالم المدرى [illegible]
ابن اعماس الذى [illegible] * [illegible] الاسم [illegible]
الاودى الالمعى [illegible] * لازال [illegible]
وهو الذى أغرانى [illegible] * على [illegible]
وكان قارئا حديث النبوى * لدى فى الجامع أعنى الاموى
بحضر الجمع الغزير الوافر * من وجوه [illegible] سوافر
وبعد ذاك استمر الاجازه * من بوء وعدى واقتضى انجازه
فلم أجد [illegible] الاجابه * مع أنى لست بذى الاجابه
وان اكن أجمت أم [illegible] * [illegible] فى ذلك [illegible] المثل
فيمن درى شيأ وغابت أشيا * عنه ومن أهدى [illegible] وشيا
فليروعنى كل ما [illegible] * [illegible] الذى [illegible] كالحلى
وقد أخذت جامع البخارى * عن [illegible] الامام [illegible]
سعيد الذى نأى عن دنس * عن شيخه [illegible] الشهير [illegible]
أعنى أبا عبد الاله وهو عن * والده محمد راوى السنن
عن ابن مرزوق محمد الرضا * عن جده الخطيب عن [illegible]
العارف عن امام [illegible] * بابن عساكر [illegible]
بماله من الروايات التى * على علو [illegible]
وليروعنى ما انتمى للنووى * [illegible] السالك ذى النهج السوى
أعنى ابن مرزوق الخطيب الراوى * عن شيخه يحيى الرضى المغراوى
وهو روى عن صاحب التمكين * النووى الشيخ محيى الدين
وخطه أحمد البادى الوجل * المقرى المالكى على عجل
فى عام ألف وثلاثين خلت * من هجرة الهادى [illegible]
[illegible] الله الورود [illegible] * من [illegible] والعافيه
تجاه سيد البرايا طرا * [illegible] من الى الكروب اضطرا
عليه أسنى صلوات تسدى * [illegible] الختام [illegible]

وسألنى بعض سادات دمشق المحروسة أن أخط له على شرحه لرسالة العارف بالله تعالى سيدى الشيخ أرسلان فكتبت ما صورته

أحمد من خص بالاسرار * قدماء الصوفية الابرار

اليوم صدق الوعد وأن العذاب واقع بهم وخرج صالح فى ليلة الاحد من بين ظهرانيهم مع من خف من المؤمنين [illegible]

له فقتن حين صدورها
[illegible] بالسيف [illegible]
صاحبه الا [illegible] العرقوب
الا [illegible] الماء
[illegible] وجوهها [illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible] صالح [illegible] الى
[illegible] وعدهم العذاب
وكان ذلك فى يوم الاربعاء
[illegible] بالله [illegible]
متى يكون ما وعدتنا به
من العذاب عن ربك
قال [illegible] يوم
مونس وهو يوم الخميس
مصفرة ويوم العروبة
محمرة ويوم [illegible]
ثم [illegible] العذاب يوم أول
وسنذكر فيما يرد من هذا
الكتاب أسماء الشهور
والايام [illegible]
[illegible] وقالوا ان كان
[illegible] عاجلناه
قبل ان يعاجلنا وان
كان كاذبا [illegible]
[illegible] فاتوا الاخلاف
[illegible]
[illegible] بالحجارة [illegible]
[illegible] بالحجارة
[illegible] وجوههم كما
وعدهم صفراء [illegible]
[illegible] قد حالت الالوان
وتغيرت الاجسام [illegible]

أناجهم عوارف المعارف	والحكم السابغة المطارف
دهم ... تستمطر الانواء	وتظهر الانوار والاضواء
ومن أجلهم سناء وسنى	من دادعن عين المعالى الوسنا
... الشيوخ العارف الكبير	الشيخ آرسلان الشهير
كم اشارات له أبانا	بهاعلوما من حلاها ازدانا
وكم عبارات بلا آياتها	تعيا الفحول عن مدى غاياتها
ومن رأى رسالة التوحيد	له انتحى مناهج التسديد
... من أنى أن سلكا	يامعرضا ... حتى كاكا
ومن أصل القصد ...	هديه للعروج عن أوهامه
وكم بها من باب ...	... الوجرد المطلق
...	و واردالفيض له مواطن
وقد رأيت في دمشق الشام	شرحالها أبناء الهام
...	شمس العلا محمد بن سعد
... أوج ...	وعون ... مساعدا
ومد أجلت ناظرى في حسنه	ألفيته مستندعا في فنه
ومن ماأبداه من معانى	على شهود بالهدى معانى
لانه أجاد في تقرير	ماعناص بالاتقان والتحرير
... الافكار من حدور	أفكاره جالية الصدور
فالله يجزيه الجزاء الاوفى	في يوم تدعى الانبياء الحوفا
... هذا المعرى من وجل	... ربه عزوجل
كشف كروب عقد ...	منه وغفران ذنوب جلت
بجاه طه الهاشمى أحمدا	عليه أزكى صلوات سرمدا
عاطره النشر بلا ...	تأرجت بالمسك في الختام

وحاجبى السرى الحسيب الماجد فخر المدرسين الاعيان مولانا الشمس محمد ابن الكبير الشهير مولانا يوسف بن كريم لدين الدمشقى حفظه الله تعالى بقوله

شمس المحاسن شرقى أو غربى	سعد منازلها شمس المغرب
شمس لنا منها شموس وصائل	وسنى هدى قدراح غير محجب
... العالم ... الذى	لسوى اسمه درج الحالم يكتب
... ولم ... وريشرق	الابدت من قبل ذلك بمغرب
لسوى اكتساب سنا ...	فلولها شعرت به لم ...
علامة ملأ البلاد بفضله	وأواده المشرق و مغرب
... هو البحر المحيط فضائلا	ان ... بالعذب الذى لم يعذب
مولى له ... فى العلا	... الجد ودروى العلا عن الاب

إسلام

... يارحال ... وبوم ... ويوم ... من ... الامر ... لا ... من جاد ... ولا ... ولا ... ادبار ... أدبار ... سيم ... هل ... من ... وأحمروا العهد هديا أى ادبار ... جرما ... فيها ... بالحجار (و ... ذكر) ...

... كان من أمر الناس بأرض بابل

وافتراق لغاتهم وما قاله كل فريق منهم من الشعر على حسب ما أعطاه الله من اللسان وان كنا قد أتينا على شرح ذلك على الكمال فيما تقدم لنا من كتابنا اخبار الزمان وبالله التوفيق

*(ذكر مكة وأخبارها وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرها وما لحق بهذا الباب)

ولما أسكن ابراهيم ولده اسمعيل مكة مع أمه هاجر واستودعه خالقه على حسب ما أخبر الله عنه انه أسكنه بواد غير ذي زرع وكان موضع البيت ربوة حمراء أمر ابراهيم هاجر أن تتخذ عليه عريشا يكون لهما مسكنا وكان من أمر اسمعيل وهاجر ما كان الى أن أنبع الله لهما زمزم وانحط الشجر واليمن تفرق العماليق وجرهم في البلاد وممن هلك من بقايا عاد فبعثت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار الخصيبة وعليهم السميدع بن هود ابن لاي بن قطورا بن كركر بن حيدان فلما امعنت بنو كركر في المسير وقد عدمت الماء والمرعى واشتد بها الجهد أنشأ السميدع بن هود يحثهم على السير في شعر له ويشجعهم على ما قد نزل بهم وهو

٦٨ ط ل سيروا بني الكركر في البلاد فاني أرى ذا الدهر في فساد قد سار من قحطان ذي الرشاد جرهم لما قصدها الأعادي

نسب له المجد المؤثل في الورى * والحلم يكسب اذ الم يوهب
هو في جبين الفضل أضحى غرة * يجلى بها للجهل ظلمة غيهب
آمالنا قطعت بشرح جبينه * أن لا ترى للدهر وجه مقطب
بدر به زهيت دمشق وأهلها * أحبب ببدر حيث حل محبب
طود الفضائل باكرت أرجاءه * ديم الحيا فغدا كروض مخصب
بحر الهدى والعلم الا انه * صفو من الاكدار عذب المشرب
هو قطب دائرة الفضائل في الورى * فيكاد يخبرنا بكل مغيب
في الفضل ماحاولت يوما مثله * كلا ولا قست البدور بكوكب
أنى يجاري في الفضائل من له * انقاد الزمان بأدهم وبأشهب
سبق لمدح العير تسقط عندنا * فله العلا تعطى بفرض أوجب
ما روضة حلى أزاهرها الحيا * فاهتز فيها كل ثغر أشنب
ومشت بها خود الصبا فتعطرت * أذيالها من كل عرف طيب
للنور فيها جدول أحدقت به * شهب الحديقة حيرة المتعجب
باتت تناشدني بها ذكر الهوى * ورق الاراك بكل صوت مطرب
تشكو الي بمثل ما أشكو لها * شكوى المعذب في الهوى لمعذب
فعلمت ما قد حل من وجد بها * وجهلت وهو الفرق ما قد حل بي
لم تلق فيها من عليل يشتكي * الا النسيم وذا الهوى ان يطلب
أغض حسنا من ربا آداب من * حياربا ص حباه ألطف صيب
طبع أرق من النسيم ومنطق * مستعذب وكذاك كل مهذب
لو جاد صوب حباه قفر الجدبا * لنعمت منه بكل روض معشب
مولاي عذرا فالزمان يعوقني * عن مطلبي والآن مدحك مطلبي
عفوا اذا أخرت مدحك سيدي * فعوائق الايام عذر المذنب
وكذاك يفعل بالاديب زمانه * فلذا يصول على الزمان بمغضب
لم آل يوما من يديه مهربا * الا اليك وجيد ذا من مهرب
لولاك ما حال القريض بخاطري * فالدهر يوجب للقريض تجنبي
لولاك لم ينهض جواد قريحتي * في كل واد للصلاة متعب
فاسمع ولست بآمر ظما غدا * في عقد مدحك اولو الي ثغب
كالراح يلعب بالعقول لانه * لكن بغير مسامع لم يشرب
من كل قافية غدت من حسنها * مثلا لغيرك في العلا لم يضرب
خود فلا من شاك قلائدا * بكرا لغيرك في الورى لم تخطب
غنيت بمدحك زينة ولربما * يغني الجمال عن الوشاح المذهب
هي بعض أوصاف لذاتك قد غدت * كالزهر غب نداه لم يتحسب
جاءتك تسأل القبول وحسبها * فخرا قبولك وهو جل المطلب

ونروم منك اجازة فانت عما * ترويه بالسند القوى عن النبي
حسن الاجازة منك جائزة ولم * الك قبل غير الفضل بالمتطلب
لابدع والاعجاز اطنابا غدا * فى مدحه ان لم أطل أو أسهب
هيهات لا تحصى مآثر فضله * بالمدح ان أطنب وان لم أطنب

حضرة الداعي محمد بن يوسف الكريمي انتهى فاجزته بما نصه

أحمد من أطلع شمس الدين * فى أفق الرواية المبين
وحض فضلا منه بالاسناد * أمة طه مسند هب العباد
ولم يكن عصر من الاعصار * الا وفيه أهل الاستبصار
يحمون عن حوزة دين الله ما * يروم من عليه رشد أبهما
وأبتغى سبل صلاة كامله * على الذى له العطايا الشامله
محمد المرسل بالشرع الحسن * ذو المعجز المفحم أرباب اللسن
مع حزبه من صحبه وعترته * ومن تلا مؤملا لاثرته
وبعد فالعلم أجل ما اعتمد * موفق من فيض مولاه استمد
خصوصا الحديث عن خير الورى * صلى عليه الله ما رند ورى
ولم يزل ذوو النهى يسعون فى * تحصيله اذ فضله غير خفى
وان مولانا الشهير السامى * الماجد المولى نبيه الشام
سالك نهج السنة القويم * محمد بن يوسف الكريمى
لازال فى عز وفى أمان * مبلغا من قصده الامانى
وجه لى لما حلت الشاما * وبرف حسن الظن منى شاما
قصيدة بليغة مستعذبه * غريبة فى فهمها مهذبه
سأل من مثلى بها الاجازه * بشرطها عند الذى أجازه
مستمسكا بعروة الصواب * ولم أجد بدا من الجواب
فاجزته بكل ما سمعت له * وما جمعت فى الفنون جمله
على شروط قررت فى الفن * مرتجيا حصول كل من
وصفوه الاكمل قد أجتنيه * دال على الوجه الذى شرحته
وان أكن مما ابتغى مقصرا * فذو الرضا ليس لعيب مبصرا
ولى أسانيد أتى وقتى عن * تفصيلها لما من الرحله عن
والعذر باد والكريم يقبل * والصفح نهج مقتفيه الانبل
وخط هذا المدرى الجانى * أمنه الله من الاشجان
فى عام ألف وثلاثين قفا * سبعا لهجرة النبى المصطفى
عليه أزكى صلوات تغتنم * بزكو بها مفتتح ومختتم

وكتب الى الفاضل الخطيب الفهامه الاديب وارث الفضل عن الاعلام ذوى اللسن سيدى الشمس محمد المحاسنى سبط شيخ الاسلام مولانا البوريني حسن حفظه الله تعالى

فشرف روادهم وهم وغدروا الى العريش على الربوة الحمراء وفيها هاجر واسمعيل وقد زمت حول الماء بالاحجار ومنعته من الجريان وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله ام هاجر لولا أنها عجلت ومنعت ماءه من أن يجرى عينا معينا ولو لم الاحجار لجرى الماء على وجه الارض فنزل الرواد عليها واستأذنوها فى نزولهم وشربهم من الماء فانست اليهم واذنت لهم فى النزول فاعلموا من كان وراءهم من أهليهم واخبروهم خبر الماء فنزلوا الوادى مطمئنين مستبشرين بالماء وبما اضاء الوادى من نور النبوة وموضع البيت الحرام وتكلم اسمعيل بالعربية خلاف لغة أبيه وقد ذكرنا فى هذا الكتاب وغيره ما قاله الناس فى ذلك من قحطان ونزار وتزوج اسمعيل بالحداء بنت سعد العملاقى وقد كان ابراهيم استأذن ساره فى زيارة اسمعيل فاذنت له فوافى مكة واسمعيل فى الصيد ومعه امه هاجر فسلم على الحداء زوجة اسمعيل فلم ترد عليه السلام فقال هل من منزل فقالت لاها الله قال فهل من زاد قالت لا فقال هل من رب البيت قالت هو غائب فقال لها اذا ورد

تعالى

ياسيدى ومولادى * وعالم الثقلين
ومن غدا بكمال * علا على النيرين
أجزت بالدرس وما * فاقوا به الفرقدين
وزين العبد أيضا * ومن مثل ذاك يزين
وان يكن فى ختام * فذاك قرة عينى

واخرته بما نصه

أحمد من أطلع من محاسن * دمشق ما أربى على المحاسن
وزانها بالجلة الاعيان * الراقين فى حلى التبيان
الراغبين فى الحديث النبوى * السالكين فى الهدى النهج السوى
وبعد فالعلم أجل زينه * وسبله فى الرشد مستبينه
وان علم السنة الشريفه * ظلاله ضافية وريفه
لذاك كان باعتناء أجدرا * من كل ما بأيديه من تصدرا
وان ذا الفضل الاديب البارع * سابق ميدان الذكا المسارع
الماجد المسدد السامى الحسب * محمد من للمحاسن انتسب
ابن الشهير الصدر تاج الدين * لازال فى عز وفى تمكين
وجده لامه الشيخ الحسن * وذاك بوريبهم معطى اللسن
سألنى اجازة بكل ما * أروبه عنوانا بحالى معلما
وها أنا أجبته غير بطل * مستغفرا من خطأ ومن خطل
فليروعنى كل ما يصح * على شروط عندها يسمح
وهى عن الشروط لن تريما * وليس يخفى علمه الكريما
وكل ما ألفت أو جمعت * نظما ونثرا مثل ما أسمعت
ولى أسانيد يضيق الوقت * عن سردها وبعضها قد ثبت
فى غير هذا فيحقق ذلك * مقتفيا لاوضح المسالك
وقد أخذت جامع البخارى * ومسلم عن خاتم الاخيار
عمى سعيد وهو عن يدعى * بالتنسى قد أفاد الجمعا
عن حافظ الغرب الرضا أبيه * عن ابن مرزوق عن النبيه
الحافظ المبجل العراقى * وقد سما فى سلم المراقى
وماله من الروايات علم * من كتبه التى حوت خير الكلم
وخط هذا المقرى عن عجل * مؤملا من ربه عز وجل
غفران ما جنى من الذنوب * والصفح عن معرة العيوب
بجاه خير العالمين أحمدا * صلى عليه الله دأبا سرمدا
وآله وصحبه الاخيار * ومن تلالا جرالا بصار

فاخبريه أن ابراهيم يقول لك بعد مسئلته عنك وعن اهلك استبدل بعتبة بيتك
غيرها وانصرف ابراهيم من فوره نحو الشام وراح اسمعيل وهاجر فنظر الى الوادى قد أشرق وأنار والاغنام تتنسم الآثار فقال لزوجته الجداء هل كان لك بعدى من خبر قالت نعم شيخ ورد على وأخبر به بالقصة فقال ذاك أبى خليل الرحمن وقد أمرنى بتخليتك فالحقى باهلك فلا خير فيك وتسامعت جرهم بنى كركر ونزولهم الوادى وما هم فيه من الخصب وادرار الضرع وهم فى حال قحط فبادروا نحو مكة وعليهم الحرث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الريث ابن طامر بن نخالة بن هى ابن نبت بن جرهم حتى أتوا الوادى ونزلوا مكة واستوطنوها مع اسمعيل ومن تقدمهم من العماليق من بنى كركر وقد قيل فى كركر انه من العماليق وقيل انه من جرهم والاشهر انه من العماليق وتزوج اسمعيل زوجته الثانية وهى سامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هى بن نبت واستاذن ابراهيم سارة فى زيارة اسمعيل فاستحلفته غيرة عليه انه اذا أتى الموضع لا ينزل من
ركابه وقد تنازع الناس على أى شئ كان ركوبه فمنهم من قال كان راكبا على البراق ومنهم من قال على اتان وقيل غير ذلك

ولما سالني في الاجازة الفاضل الاديب سيدي محمد بن علي ابن مولانا عالم الشام الشهير الذكر شيخ الاسلام سيدي ومولاي الشيخ عمر القاري حفظه الله تعالى وأنا مستوفز للسفر كتبت له عن عجل ما صورته

أحمد من زين بالآثار * جيدا من الراوي البديه القاري
وشاد للعلياء في أوج السند * منازلا لم يبلها طول الامد
ومير الواعين للحديث * بالفضل في القديم والحديث
وزان منهم سماء الدين * فأشرقت بالحفظ والتبيين
فهم بها للمهتدي نجوم * وانها للمعتدي رجوم
فكم أزاحوا عن حديث المجتبي * صلى عليه الله ماهبت صبا
تحريف ذي غل مضل غالي * شان المنهاج الرشاد قالي
وبعد فالاسناد للروايه * وسيلة تزحزح الغوايه
والله قد خص هذي الامه * به امتنانا وأزاح الغمه
هذا ولولا ذاك قال من شا * ماشاء فهو يحق مذ نشا
فلم يزل أهل النهى كل زمن * يسعون في تحصيله عن مؤتمن
وان ممن حله من تحري * تحصيله من العلوم غررا
الفاضل المسدد النجيب * الواصل المسدد الاريب
محمد سليل ذي المجد على * ابن الامام العالم الحبر الولي
عمر الشيخ الشهير القاري * طود السكون هضبة الوقار
شيخ الشيوخ في دمشق الشام * لازال محفوفا بعز سامي
مكان من حمله من عن روى * بعض الصحيح ظافرا بما نوى
وبعد ذاك اقترح الاجازه * مني ووعدها اقتضى انجازه
فانعجمت نفسي عن الاجابه * اذ لست في ذا الامر ذا نجابه
مع أنني مقصر ذو عي * في مثل هذا المطلب المرعي
وخفت أن آتيها شنعاء * بحملي الوشي الى صنعاء
وبعد ذا أجبت قصد الاجر * مرتجيا بذاك ربح التجر
وقد أجبته واني أعلم * أني من خوف الخطا لا أسلم
فليروها ببالغ التمني * جميع ما يصح لي وعني
من ذلك الجامع للبخاري * عن عمي الشهير ذي الفخار
سعيد الآخذ عن سفين * عن قلقشندي مزيح المين
عن حافظ الاسلام أعني ابن حجر * بماله من الروايات اشتهر
وبعضها في صدر فتح الباري * مبين لطالب الاخبار
ولي أسانيد يطول شرحها * والروضة الغناء يكفي نفحها
ومن رواياتي عن القصار * مفتي البرايا بهجة الاعصار

والاتيه بأحسن الثناء وسألها عن اسمعيل وهاجر فأخبرته بخبرهما وأنهما في رعيهما وعرضت عليه النزول فأبى وقيل ان هاجر كانت تقدمت وهلمت من السن عشرين سنة والحت الجرهمية على ابراهيم في النزول فأبى فقدمت اليه لبنا وشرائح من لحم الصيد فدعا فيه بالبركة وجاءته بحجر كان في البيت ومال عن ركابه وجعلته تحت قدمه اليمنى ثم رجلت شعره ودهنته ثم حولت الحجر الى شماله فوضع رجله اليسرى عليه أيضا ومال برأسه نحوها فرجلته ودهنته فأثرت قدماه في الحجر على ماوصفنا من ترتيب اليمين والشمال فلما رأت الجرهمية ذلك أكبرت ماشاهدته وهذا الحجر هو مقام ابراهيم فقال لها ابراهيم ارفعيه فسيكون له شأن وسأبعد حين ثم قال لها اذا جاءك اسمعيل فقولي له ان ابراهيم يقرأ عليك السلام ويقول لك احتفظ بعتبة بيتك فنعمت العتبة هي وسار ابراهيم راجعا نحو الشام وقيل انما سمي اسمعيل لان الله سمع دعاء هاجر ورحمها حين هربت من سيدتها سارة أم اسحق وقيل ان الله سمع دعاء ابراهيم وقبض اسمعيل

حدثنا خروف الذاكى الارج * عن الشريف الطيطاني نرج
سمعت في المنام طه يملى * حديث من أصبح وفى العقل
أى آمنا في سربه معافى * فى جسمه مع قوت يوم وافى
وكل ما ألفت في الفنون * أرجو به التحقيق للظنون
فليروه عنى بشرط معتبر * وربما يصدق الخبر الخبر
ولى تآليف على العشرينا * زادت ثمانيا حوت تعيينا
فليروها ان شا بلا استثناء * والله أرجو نيل قصد بانى
بجاه من شرف بالادناء * صلى عليه الله فى الآناء
أحمد خير المرسلين الهادى * غوث البرايا ملجأ الاشهاد
عليه أسنى صلوات زاكيه * مع صحبه ذوى المزايا الزاكيه
ومن تلا ممن أطاب عمله * فنال من رجائه ما أمله
وشم من عرف قبول أرجا * فنال من حسن الختام ما رجا

وخاطبنى من أهلها أيضا خادم الشيخ الاكبر ابن عربى محيى الدين وهو الشيخ الاكرمى سيدى ابراهيم سلك الله بى وبه سبيل المهتدين بقوله

فكرت فى فضل الاما * م المقرى الحبر حينا
فوجدته بكر الزما * ن وواحد الدنيا يقينا
ما ان رأيت ولا سمعـ * ـت بمثله فى العالمينا
وافى دمشق زائرا * ألوانه أضحى قطينا
وأتى عجيب الاتفا * ق بفطر شهر الصائمينا
فكأن غرته الهلا * ل ونحن كنا ناذرينا
والعلم قال مؤرخا * أدى بها فضلا مبينا

وخاطبنى أيضا منهم الفقيه النبيه سيدى مصطفى بن محب الدين حفظه الله تعالى بقوله

فضائل قطب الغرب فى العلم والفصل * هو المقرى الاصل حائزة الخصل
حوى كل علم كل عن بعضه السوى * فلا غرو أن أضحى فريدا بلا مثل
وحاز فنونا من ضروب معارف * ومن فضل تحقيق ومن منطق فصل
توخى دمشق الشام فافتر ثغرها * سرورا به وازينت من حلى الفضل
وشرف مصر قبلها فاكتست به * ملابس فخر زانها كرم الاصل
لقد أشرقت من أفق غرب شموسه * وناهيك أفقا نوره قدره يعلى
فاسته فيها اننا فـت الورى * بعاقد غدا من درّ ألفاظه يملى
ملىء من التحقيق ان عن مشكل * تكفل بالتبيان والشرح والحل
اذا ما أدار الدر من كاس لفظه * سقانا عقار الفضل علا على نهل
نظام له يحكى قلائد عسجد * وثغر مليح فائق الحسن والدل
وأسجاعه ان حاك وشى نسيجها * حكت حبرا حيكت بمارق من غزل

وله مائة وسبع وثلاثون سنة فدفن فى المسجد الحرام حيال الموضع الذى فيه الحجر الاسود * وولد لاسمعيل اثنا عشر ولدا ذكرا وهم نابت وقيذار واربل ومبسم ومسمع ودوما ودوام ومثى وحداد ونيم ويطور ونابس وكل هؤلاء نسل وقد كان ابراهيم قدم الى مكة ولاسمعيل ثلاثون سنة حين أمره الله تعالى ببناء البيت فبناه وكان اسمعيل يأتى بالحجر من ذى طوى وجعل طوله ثلاثين ذراعا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وسمكه تسعة أذرع وجعل له بابا ولم يسقف ووضع الركن موضعه وألصق المقام بالبيت وذلك قوله عز وجل واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل الآية وأمر الله تعالى ابراهيم ان يؤذن فى الناس بالحج ولما قبض اسمعيل قام بالبيت بعده نابت بن اسمعيل ثم قام من بعده اناس من جرهم لغلبة جرهم على ولد اسمعيل وكان ملك جرهم يومئذ الحرث بن مضاض وهو أول من ولى البيت وكان ينزل هنالك فى الموضع المعروف بقعيقعان فى هذا الوقت وكان كل من دخل مكة بتجارة عشرها عليه وذلك فى أعلى مكة وملك العماليق السميدع بن هود بن حد بن مازن بن لاى بن قطورا وكان ينزل أجيادا من أسفل

لدا نظم المعالي بشرق ومغرب * له الموضع الاسمى على الكل في الكل
فسيدنا حاز المفاخر والعلا * ووافت حلى الآداب منه على الحلى
المك من العبد الحقير تحية * لقد نشأت عن خالص الود من خل
ووالى الى الحب والقرب منكم * بظاهر غيب لا يحيد عن الوصل
فلا زالت محفوا باسابغ نعمة * وفضل نعيم وافر وارف الظل
ودمت لدى الاسعاد في خير أوبة * وجمع لشمل بالمواطن والاهل
وخاطبني أيضا الشيخ سيدي محمد بن سعد الكاشني بقوله
شهر شعبان جاءنا لمهني * بقدوم الاستاذ كنز الفضائل
بهجة الكون روض علم وحلم * وهو مغني اللبيب ان جاء سائل
مصابيح فضله قد أضاءت * ساحة الجامع الكبير لآمل
ومختار نقطه صار يحوي * لحديث مسلسل عن أفاضل
ومن العرب حين وافى لشرق * فاق بدرا لتمام وسط المنازل
حل مني في القلب والطرف لما * لاح سعد السعود لي غير آفل
وسعدا بالامان والسعد أرخ * أحمد المقري في الشام قائل
وقال أيضا شكر الله عالي نيته وبلغه أمنيته
أيا ملك دمشق الشام أكرم وارد * فنفري به عجبا وللحسن شاهدي
وهزي دلالا في أزاهر روضه * معاطف لين كالغصون الاماليد
لك البشر يا عيني ظفرت بماجد * رفيع الذرى من فوق فرق الفراقد
لقد شاع بين الناس واسع فضله * فكم قاصد يسعى لنيل الفوائد
من العلم الفرد المفيد الذي له * أياد سمت بالجود تولي لقاصد
وذلك أبو العباس أحمد من صفت * مناهله دوما الى كل وارد
تراه اذا وافيتـــــه متهللا * ويبسم جيا في وجوه الاماجد
امام سما قدرا على النجم رفعة * أرى وصفه في بيت نظم مشاهد
لديه ارتفاع المشتري وسعوده * وسطوة بهرام وظرف عطارد
شهدت بان الله أولاه منحة * بنقل حديث في جميع المساجد
ومذ حل في وادي دمشق ركابه * وسوده وافى باعدل شاهد
حوى كل افضال وكل فضيلة * بها يهتدي حقا لنيل المقاصد
وما داعيي في مدحه انا قائل * ولو جئت فيه مطنبا بالقصائد
اذا رمت أن ألقي نظيرا لمثله * عجزت ورب الناس عن عد واحد
فكم من معان حازها ببيانه * وفكره قد قيدت للشوارد
ومنطقه حاوى الثنا بجواهر * صحاح بها برد ان عقد القلائد
من العرب وافى نحو شرق فاشرقت * شموس علوم أسفرت عن محامد
فناديته ياسيدي من نفضله * تواترت الاخبار عن غير واحد

عسى

مكة ... ومن ... والدرور فسمي الموضع بقعيقعان لما ذكرنا وخرج السميدع ... قطوراء ومعه الجماهير والخيل فسمي الموضع اجيادا الى هذا الوقت ... الى الحرب ... واقتتلوا فسمي الموضع فاضحا الى هذا اليوم ثم اصطلحوا ونحروا الجزر وطبخوا فسمي الموضع مطابخ الى الآن وصارت ولاية البيت الى العماليق ثم صارت لجرهم فاقاموا ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة وكان آخر ملوكهم الحرث ابن مضاض الاصغر ابن عمرو بن الحرث بن مضاض الاكبر وزاد وافي بناء البيت ورفعوه على ما كان عليه من بناء ابراهيم عليه السلام وبغت جرهم في الحرم وبغت حتى فسق رجل منهم في الحرم بامرأة وكان الرجل يدعى اساف والمرأة نائلة فمسخهما الله حجرين بعد ذلك وثنين وعبدا تقربا بهما الى الله تعالى وقيل بل هما حجران نحتا ... كما ذكرنا وسميا باسميهما فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل

ونحو ذلك من الآفات فهلك كثير منهم وكثر ولد اسمعيل وصاروا ذوي

عسى عطفة منكم على بنظرة * فانت لموصول الحداد عائد
وأنت على ريب الزمان مساعدى * وأنت يمينى للحسود وعدى
ولازلت تولى كل من هو آمل * لبغيته من صادر ثم وارد
وتبقى مدى الايام فى المجد راقيا * بثوب الهنا تكسى شرود المحامد
وهاك عروسا تجتلى فى حليها * اليك أتت فى زى عذراء ماهد
تهنى بعيد الفطر من بعده وبكم * بجيد جميل من لذيذ المواعد
وترجو جميل السير ان هى مثلت * بحضرتك العلياء باحسن واجد
وعش فى أمان الله بالعز دائما * مدى الدهر ما الحيا فى المعاهد
ومادارت الافلاك من نحو قطبها * ومابزغت شمس الضحى للشاهد

وقال أيضا زاده الله تعالى من فضله

حبيب وسط الفؤاد قاتل * أعز بالوصف كل فاتن
ظبى باجفانه سبانى * وسحرها نمى لبابل
يرمى سهم اللحاظ * يرنو فيصمى الفؤاد عاجل
يدهش العقل مذ كنى * على حتى غدوت داهل
له قوام كخوط بان * أو كالقنا السمهرى عادل
بدر بدا كامل المعانى * فى القلب والطرف عاد نازل
قد أسر القلب فى هواه * بقيد حسن ومن عسائل
ومالى منه لى خلاص * سوى مديحى رضا الافاضل
أعنى به المقرى من قد * سما على البدر فى المنازل
أحمد مولى له أياد * كالغيث يغنى لكل سائل
علامة حاز كل فضل * سبقا ومن بالعلوم عامل
من قد نشا فى العلوم طرا * وحاز علم البيان كامل
طويل باع بسيط فضل * مديد جود لكل آمل
ووافر العقل راح يهدى * سريع فضل لكل فاضل
وجامع العلم فى ابتهاج * ينطق فى الاصول حاذل
وهكذا فى الكلام مهما * أفاد فى الدروس ثامل
يروى صحيح الحديث دأبا * بالسند الواصل الدلائل
وكم علوم أفاد من قد * أتاه فى مشكل المسائل
وحل ابهام كل شكل * من من وفى الى الرسائل
وغاص فى لجة المعانى * واستخرج الدر فى المحافل
وفى فنون البديع أضحى * جناسه قد حوى رسائل
وكم دليل أقام لما * برهانه أبهت المعارل
ان كان وافى لنا أخيرا * فهو الذى فاح الاوائل

فاتاهم فى بعض الاوان السيل فذهب بهم وكان الموضع يعرف باضم وقد ذكر ذلك أمية بن أبى الصلت الثقفى فى شعره فقال
و رهم سبوا بهامة فى الدهر فسال الغطيم بهم باضم
(وفى ذلك) يقول الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر
وكنا لاسمعيل صهرا وجيرة
ولما يدر ولم بها عليها الدوائر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
فاخرجنا منها المليك بقدرة
كذاك بالناس يعوج بالعدد الغوادر
(ومما ذكر) من أشعارهم يقول عمرو بن الحرث بن مضاض الاصغر الجرهمى
وكنا ولاة البيت والقاطن الذى
اليه تؤدى نذره من شهرها
سيذهبها قبل الشتاء وراءه
فسمونا الى الحرام بعد ذلاهم

بحر محيط فيض منه * على رياض بكل ساحل
وانذ من العرب نحو برق * يحوب من فوق متن بازل
فى مهمه صحصح سهول * وحزنه كم به عوائل
وحث فيه المسير حتى * خلفه من وراء كاهل
وجاء بالجمن فى أمن * وصحة الجسم والشمائل
وحل فى الشام عند قوم * من أكرم الناس فى القبائل
دال ابن شاهين ذو المعالى * رب الندى للالوف باذل
كانه الشمس حاء يهدى * للبدر نورا وليس آفل
لى كان عينا له وكانوا * روض أريض الشكر وابل
حلوه وعظموه * وادخروا عاجلا لآجل
جزاهم الله كل خير * وصانهم من جدال جاهل
وأحمد دام فى أمان * المقرى الرضا المعامل
لربه فى دجى الليالى * ويرشد الناس فى الاصائل
لا زال فى نعمة وخير * وفى أمان يعود عاجل

وخاطبنى الاديب الفاضل الشيخ أبو بكر العمرى شيخ الادباء بدمشق حفظه الله تعالى بقوله

باهت تلمسان على مدن الدنى * بعالم فى العالمين محمد
المقرى أحمد رب الحجا * الكامل الحبر الخضم المزبد
مالك هذا العصر شافعيه * أحمده نعمانه المسدد
مذ حل مصر ادعت أعلامها * لفضله وبجلوا ومجدوا
وفى دمشق الشام دام سعدها * كان لديها العام الاسعد
العلماء أجمعوا جميعهم * على معاليه التى لا تجحد
أقام شهرا أو يزيد واثنى * وفى الحشا منه المقيم المقعد
سالت على فراقه دموعنا * وفى القلوب زفرة لا تخمد
لو قيل من تحمد فى تاريخه * ما قلت الا المقرى أحمد
لا برحت أوقاته سعيدة * ما لاح نور عوده معربد

قلت وذكرى لكلام أعيان دمشق حفظهم الله تعالى ومدحهم لى ليس علم الله لاعتقادى فى نفسى فضلا بل أثبته دلالة على فضلهم اذ اهم جرت عاملوا مثلى من القاصرين بهذه المعاملة وكسوه حلل تلك المحامد مع كونى لست فى الحقيقة اهلا لما علموه من الجفا والخطل والجهل وقد خاطبنى من مصر مفتى الشام صدر الاكابر وارث المجد كابرا عن كابر ساحب أذيال الكمال صاحب الجلال المبلغه الآمال مولانا شيخ الاسلام الشيخ عبد الرحمن العمادى الحنفى بكتاب لم يحضرنى منه الآن غير بيتين فى أوله وهما

وكان حرب بين قبيلتين مصر وإياد وكانت لمصر على اياد وتحولوا من مكة الى العراق وصوب عند ذلك الامين حول مكة وولد نزار وحراسه برهم (والعمرى) وانتهاء على ... الاحوال ارض ... حرهم ... وحدت فى بعض الروايات ان أول ملك من ملوك جرهم ملك بمكة مضاض بن عمرو بن سعد ابن الرقيب بن هنى بن نبت بن جرهم بن قحطان ثم ملك بعده ابنه عمرو بن مضاض ... بعده الحرث بن عمرو مائتى سنة ودون ذلك ثم ملك بعده عمرو بن الحرث ... ودون ذلك ثم ملك مضاض بن عمرو الاصغر ابن الحرث بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هنى بن نبت بن جرهم بن قحطان أو بعض ... واعرضت العرب العاربة من عاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة وأمادجرهم ولم يبق من العرب الا ... من عدنان وقحطان ودخل من بقى ممن ذكرنا من العرب

...ان ... أنسابهم ودرست آثارهم وقد كانت العمالقة بغت فى الارض

يا حادي الاظعان نحو الشأم * بلغ تحياتي لتلك الفئام
وابدأ بعقتها العمادي الرضا * دام بشمل الهنا في التمام

فاجابني بما نصه

الى أهالي مصر أهدي السلام * مبتدئا بالمقري الهمام
من ضاع نشر العلم من عرفه * ولم يضع منه الوفا للذمام

أهدي تحف التحية الى حضرته العلية وذاته ذات الفضائل السنية الاحمدية التي من صحبها لم يزل موصولا بطرائف الصلات والعوائد الاوحدية الجامعة التي لها منها اعليها شواهد

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

فيامن جذب قلوب أهل عصره الى مصره وأعجز عن وصف فضله كل بليغ ولو وصل الى النثرة بنثره أو الى الشعرى بشعره ومن زرع حب حبه في القلوب فاستوى على سوقه وكاد كل قلب يذوب بعد بعده من حر شوقه وظهرت شمس فضله من الجانب الغربي فبهرت بالشروق وأصبح كل صب وهو الى بهجتها مشوق زار الشام ثم ما سلم حتى ودع بعد أن فرع بروضها افنان الفنون فابدع وأسهم لكل من أهلها نصيبا من وداده فكان أوفرهم سهما هذا المحب الذي رفع بمحبته سمك عماده وعلق بمحبته شغاف فؤاده فانه دنا من قلبه فتدلى وفاز من حبه بالسهم المعلى أدام الله تعالى لك البقا وأحسن لنا بك الملتقى ومن علينا منك بنعمة قرب اللقا آمين بمنه وبعد هذا وقد وصل من ذلك الجناب الوفي كتاب كريم هو اللطف الخفي بل هو من حضرة مصر القميص اليوسفي جاء به البشير ذو الفضل السني الخل الاعز الاجل التاج الحاسني مشتملا على عقود الجواهر بل النجوم الزواهر بل الآيات البواهر تكاد تقطر البلاغة من حواشيه وتشهد بالوصول الى طرفها الاعلى لموشيه فليت شعري باي لسان أثني على فصوله الحسان العالية الشان الغالية الاثمان التي هي أنفس من قلائد العقيان وأبدع من مقامات بديع الزمان فطفقت أرتع من معانيها في أمتع رياض وأقطع بأن في منشئها اعتياضا لهذا العصر عن عياض

ليت الكواكب تدنو لي فانظمها * عقود مدح فلا أرضى لها كلمي

ولا سيما فصل التعزية والتسلية المشتمل على عقد التخلية بل عقود التحلية المهدي لكم الولد ابراهيم فانه كان له كرقية السليم بمدأن كاد بهم لجناء والله درة في أحسن المحال ووقع الموقع حتى كان الولد نشط ببركته من عقال

واذا الشي أتى في وقته * زاد في العين جمال الاجمال

فجزاكم الله تعالى عنا احسن الجزاء ثم احسن لكم جميل العزاء فيمن ذكرتم من كريمي الاصل والفرع وأبقى منكم ما كنتم في الارض من به للناس اعم النفع واما مصيبة من كان وليي وسميي ونجدي الشهيد السعيد المرحوم الشيخ عبد الرحمن المرشدي فانها وان اصابت منا ومنكم الاخوين فقد عمت الحرمين بل طمت الثقلين ولقد عظ

من لحق بولد عملاق وغيرهم فمن ذكرنا ولد عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وأن علماء العرب تنسبهم الى غير هذا النسب وهو الاشهر في الناس وقد رثاهم الشعراء فقال بعض من رثاهم

مضى آل عملاق فلم يبق منهم
خطير ولا ذو نخوة متشاوس
عتوا فأدال الله منهم وحكمه
على الناس هذا وعده وهو سائس

وأما طسم وجديس فتفانت في نحو من سبعين سنة في البراري بما كان بينهم من الشحناء وطلب الرياسة فدثروا ولم يبق لهم باقية فضربت بهم العرب المثل وضربت بهم الشعراء المثال فمن ذلك ما قاله بعض الشعراء ممن رثاهم في قوله

فمن ذا يلي من بعدهم رسيس
من اللائي لطسم أو جديس
بيوم عانوا المذاكي
وباليوم الاصم العيطموس

واما الرس واصحابه فقد قدمنا ذكرهم فيما سلف من كتبنا وهم قوم حنظلة ابن صفوان العبسي بعثه

الله اليهم فكذبوه وقد ذكرنا من خبره لمعا وقد قيل في أصحاب الرس أوجه كثيرة غير ما ذكرنا في هذا

ده انه في الاسلام ثلمه وفقد به في حرم الله تعالى من كان يدعى للملمة ولم يبق بعده الا من يدعى ا التماس الجيس واستحق ان ينشد في حقه وان لم يقس به قيس

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

رحمه الله تعالى يرفع درجاته في عليين وبقى وجودكم للاسلام والمسلمين وتلامذتكم الاولاد يرجون من بركات أدعيتكم أعظم الامداد ويهدون أكمل التحية الى حضرتكم العليه وبالعكس دعاء صاحب السعاده أدام الله تعالى اسعادكم واسعاده ونحن من محبته الشهيره في رياض فنون أدبية أبهاها المعاني محاضره في دكر شمائلكم الجليله تنور المجالس وأبهاها مقامات محاورة بنشر فضائلكم الجليله تعمر المجالس وسلام جمله الاحباب من أهل الشام وعامة الخواص والعوام والدعاء على الدوام المخلص الداعي عبد الرحمن العمادي مفتي الحنفية بدمشق المحمية (وورد) على مع المكتوب المذكور مكتوبات جماعه من أعيان الشام حفظهم الله تعالى فمنها من الصديق الحميم الراكل في حلل اسعد الصميم الخطيب الاديب سيدي الشيخ المحاسني يحيي أسمى الله تعالى قدره في الدين والدنيا كتابان نص أولهما باسمه سبحانه

لئن حكمت أيدي النوى أو تعرضت * عوارض بين بيننا وتفرق

فطرفي الى رؤياكم متشوف * وقلبي الى لقياكم متشوق

يقبل الارض لشريعة لا زال الشمر كز الدائرة الهاني ووسط الفلك تجري المجرة على مجرته على الدقائق والثواني ولا برحت ألسن البلاغة عن غير براعته حامي حماها معربة او بلابل الآداب على الانصات في رياض فضله غناني الثناء صادحه وبالحان سجعها مطربه

أرض بها فلك المعالي دائر : والشمس تشرق والبدور نجوم

وبها من ازهر المضد دايجه : ولها على افق السماء نجوم

عمر الله تعالى بالمسرات محلها وعم بالخيرات من حلها وتتحدى بسلام يخبر عن صحيح وده السالم ومزيد غرام في كبده الذي هو للاعجارم ويبعث شوقا يحرك ما سكن صميم الصمير من صدق حب سلم جمعه من التكسير وتوكد السلام بوابع المدح والثناء ويعرب عن محبة منشده الماء وينهى ان السبب في سطرها والباعث على تحريرها أشواق اضرمت نارها في الفؤاد وحره لو قسمت لملأت البلاد

شوقي لذاتك شوق لا ازال ارى * اجدده ياامام العصر ادمه

ولي دمع كاد كرالشوق محرقه * لو كان من قال نارأحرقته

هذا وان تفضل المولى بالسؤال عن حال هذا العبد فهو باق على ما شهدت به الذات الشريفة العليه من صدق المحبه ورق العبودية ولم يزل يزين افق المجالس بذكركم ولا يقتطف بعد الحاضرة الامن زهركم ولم ينس حلاوة العيش في تلك الاوقات التي مضت في حدمتكم المحروسه بعناية الملك المتعال وايالى الانس التي قيل فيها وكانت بالعراق لنا ليال

وها الهامن ليال هل تعود كما * كانت واي ليال عاد ماضيها

الكتاب وقد ذكرت هذه القبائل في التوراة وكل ٥٤٦ يرجع الى ولد سام بن نوح من بني ارم بن سام ومن ولده عوص بن ارم ومن ولده عابر بن ارم وماش ولده ماش بن ارم فولد عوص عاد بن عوص وولد عابر ثمود بن عابر وولد ماش بن ارم نبيه بن ماش فهذه الامم ويقال كانت تتكلم بالعربية الى ان قال ونزل عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح وبنوه الاحقاف من بلاد حضرموت ونزل ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وولده الحجر فيما بين الحجاز والشام ونزل جديس بن عابر بلاد جو وهي بلاد اليمامه ما بين البحرين والحجاز وهذا البلد في هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة بيد دوس الاحيضر العلوي وهو من ولد الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما وهو مجاور للبحرين ومن فيها الى هذا الوقت ونزل طسم بن لود بن سام بن نوح وولده اليمامه مع بني جديس ونزل عملوق بن لاوذ بن سام بن نوح الحجاز وقد ذكرنا ولد سام فيما تقدم من هذا الكتاب وانهم حلوا الاهواز وفارس وهو عيلام بن سام بن نوح ونزل نبيط بن ماش بن ارم بن سام بن نوح بابل وعمر الى العراق وهم النبط ومنهم ملوك بابل الذين قدمنا ذكرهم وانهم الملوك الذين عمروا الارض ومهدوا البلاد وكانوا

لم

لم انسها مذ بانت عنى ببهجتها * واى انس من الايام يدنيها

ونسال الله تعالى ان يمن بالتلاق ويفصل منعة الجمع بدلى شعه الفراق ان ذلك على الله يسير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وبعد فالمعروض على مسامع سيدى الكريمة لازالت من كل سوء سليمة انه وصل لما مكتوبكم الكريم صحبة العم الحب القديم فحصل لهذا العبد به جبر عظيم وانس جسيم كما شهد بذلك السميع العليم فعزمت على ترك الاجابة لعدم الاجادة ومتى تبلغ الالفاظ المذمومة مابلغته الالفاظ المقربه وأين يحصل صاحب الرم كما قيل الى الدفات الحليلية ولكننى خشيت من ترك الاجابة توهم نقض ما أبنيه من رق العبوديه وصحة الوداد ومن انقطاع برق شيخى الذى هو لبيت شرفى العمدة والعماد فلم من ذلك أن كتبت لجنابه الشريف الجواب وان كان خطؤه أكثر من الصواب وأرسلته قبل ذلك بعشرة أيام ومكتوب هذا العبد صحبته مكتوبان أحدهما من محبكم شيخ الاسلام المفتى العمادى والآخر من محبكم أحمد افندى الشاهينى وهما وبقية أكابر البلدة وأعيانها يبلغونكم السلام التام ولا تؤاخذونا فى هذا المكتوب فانى كتبته عجلا ومن جنابكم خجلا دام خيركم على الدوام الى قيام الساعة وساعة القيام وحرر يوم الاثنين ١١ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ الفقير الداعى يحيي المحاسنى انتهى * (ونص الكتاب الثانى من المذكور أسماه الله) باسمه سبحانه مخلصك الذى محض لك وداده ومحبك الذى أسلم لمحبتك قياده بل عبدك الذى لا يروم الخروج عن رقك وتلميذك الذى لم يزل مغترفا من فيض علومك معترفا بحقك من أسكنك لبه وأخلص لك حبه واتخذك من بين الانام ذخرا نافعا وكهفا مانعا ومولى رفيعا وشهابا ساطعا وتشبث باسباب علومك وتمسك يهدى اليك سلاما كانما تعطر بمسك ثنائك وعسك وا كتسب من لطف طبعك الرقة واستعار من سنى وجهك حلة مستحقة وتحية لم يكن مناه الا أن تكون بالمواجهة والمحاضرة والمشافهة على أن فؤاده لم يبرح لك سكنا واحشاءه لك موطنا ويبدى دعوات يحقق الفضل انهاس القضايا المنتجة وأن أبواب القبول لها غير مرتجة مقبلا أياديك التى وكفت بوابل جودها وكمت المهم بنتائج سعودها وحاكت الوشى المرقوم وسلكت الدر المنظوم فهذا يرفل فى حللها وهذا يتحلى بعقودها

فهى التى تعنو الرياض لرقها * ويغارمنها الدر فى تنضيدها
وبحار أرباب البيان لنظمها * فهم بحضرتها كبعض عبيدها

متمسكا من ولائك بوثيق العرا متمسكا من ثنائك الذى لا يزال الكون منه معنبرا متشوقا للقائك الذى بالمهج يستام وبالنفوس يشترى متشوقا الى ما يرد من أنبائك التى تسر خبرا وتحمد أثرا أعنى بذلك المولى الذى أقام بفناء الفسطاط مخيما وانتجع جاه رائد الفضل مهمما وشدت لفضائله الرحال ووقفت عندها بل دونها فحول الرجال وطلعت شموس علومه فى سماء القاهرة فاختفت نجوم فضلائها والاشعة باهرة

هو الشمس علما والجميع كواكب * اذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

فهو العالم الذى سرى ذكره فى الآفاق مسير الصبا جاذب ذيلها النسيم الخفاق الذى أطلع

أشر ملوك الارض فادال منهم الدهر وسلبهم الملك والعز فصاروا على ماهم عليه من الذل فى هذا الوقت بالعراق وغيرها وقد زعم جماعة من المتكلمين منهم ضرار بن عمرو بن ثمامة بن الاشرس وعمرو بن بحر الجاحظ أن النبط خير من العرب لان من جعل الله تبارك وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم منهم لم يدع أكثر شرف فى الدنيا الا وقد أعراهم منه وسلبهم اياه ولا نعمه على من جعل الله تعالى النبى عليه السلام منهم أكبر من النبى صلى الله عليه وسلم ولا بلوى على من لم يجعل الله عز وجل النبى صلى الله عليه وسلم منهم أكبر من خروج النبى صلى الله عليه وسلم عنهم الا انهم مع هذا كله لهم عند الله فضل ما بين النعمة والبلاء (قال المسعودى) ولما لم ينل من قدمنا ذكره من تشريف النبط وتفضيلهم على ولد قحطان وعدنان وقيم الفضل والشرف من النبوة والملك والعزة قال لهم الآخرون من قحطان ونزار اذا كان النبط قد صاروا أفضل من العرب لما امتحن الله به النبط من سلبه النبوة منهم وأنعم على العرب بكون النبى صلى الله عليه وسلم منهم فللعرب أيضا التعلق بهذه العلة التى احتج بها النبط فتقول قد صرنا بعد أفضل من النبط لما

شمس الدين ... وأظهر بدر الدقيق من تبيانه فلهذا انعقدت عليه الخناصر ... عصره وانصرف اليه الاواصر من فضلاء مصره فلا يضاهيه أحد في زمانه ... فهو المعول عليه في مشكلات العلوم معقولها ومنقولها والمنطوق والمفهوم الذي لم يسمح بمثله الازمان والعصور ولم يأت بنظيره تتابع الاعصار والدهور من ... عن التصريح باسمه الشريف في هذا الرقم لازالت المدارس مشرقة بالاشتغال فيها بالدروس ولا برحت الربع عامرة بوجوده بعد الدروس ما سطرت آيات الاشواق في الصحائف والطروس وأرسلت من تلميذ الى أستاذ بسبب نسبته اليه تحصل على المطلوب من شرف النفوس هذا والذي يبدي لحضرتكم وينهى لطاعتكم أن الراقم لهذه الصحيفة المشرفة ببعض أوصافكم اللطيفة المرسلة لساحة فضائلكم المنيفة هو تلميذكم من تشرف بدرسكم وافتخر باحازتكم يبدي لكم تلهفه لنيران أشواقه التي التهبت ... على الايام السالفة مذهبة في خدمتكم لاذهبت وتوجعه لهذه الازمان التي استرجعت بأنه ... ذمته ما وهبت وتطلعه الى ما يشنف به الاسماع من فضائله التي سلبت العقول وانتهبت فلم يزل يسأل الرواة عنها ليلتقط منها وقد تحقق ان فرائدها لا يلتقي لها انفصام ولا يدرك كنهها وكيف لا وهي منها يتعلم الفاضل اللبيب والبها يفتقر السعيد ... ودد الحبيب وعليها اعتمد ابن العميد ولم تنفك راقية في درج المزيد وعبد الحميد عبد الحميد ... وعلم شيخي محيط بصدق محبتي واخلاصها وشدة حرصي على تحصيل فوائد مولانا واقتناصها واني لا أزل ذاكرا لمحاسنه التي ليست في غيره مجموعة ومتطفلا على ثمار أفكاره التي هي لا مقطوعة ولا ممنوعة وخاطره الشريف على الحقيقة يشهد بذلك فلا تحتاج هذا العبد الى بينة لدى مولانا الاستاذ المالك وحقيق على من فارق تلك الاخلاق الغر والشمائل الزهر والعشرة المعشوقة والسجايا الموسوقة والفضائل الموفورة والمآثر المشهورة أن يشق جيب الصبر ويجعل النار حشو الصدر

واني لتعروني لذكراك هزة : كما انتفض العصفور بلله القطر

ولو ملكت مرادي لما أحضر الا في ذراء مرادي بل لو دار الفلك على اختياري لما انضوت الا عندي ليلي ونهاري

ولو نعطى الخيار لما افترقنا * ولكن لاخيار مع الزمان

وتحت ضلوعي لوعة لو كتمتها * لخفت على الاحشاء أن تتضرما

ولو بحت في كتبي عافي جوانحي * لانطقتها نارا وأبكيتها دما

وأنا لا أقترح على الدهر الا الفناء ولا أطمع حاضر الوقت الا بذكراه وما أعد أيامي التي سعدت فيها بلقائه الا صفات السرور ومطالع السعود والحبور ولست أعيبها الا بقلة البقاء وسرعة الانقضاء وكذلك عمر السرور قصير والدهر بتفريق الاحبة بصير وربما نضر العود بعد الذبول وطلع النجم بعد الافول وأديل الوصال من الفراق وعاد العيش المترحل والمذاق

وما أنا من أن يجمع الله شملنا * كاحسن ما كنا عليه بآيس

... روا ... العرب من فضل النبي صلى الله عليه وسلم مما جعله الله لهم ... المفضل ... النبي صلى الله عليه وسلم ... للنبط تفضيل العرب أيضا خيرا من النبط ... الكلام متوجه اليه فيما دلوه ومكانه ... عليهم فيما أوردوه من تفضيل النبط على العرب ... ذكرنا تنازع الناس في الانساب والقصد اليها وبالاعمال دون الانساب ومن قال ان العمل دون النسب وما قالته الشعوبية وغيرها في كتابنا المقالات في أصول الديانات وقد ذكر أبو الحسن أحمد ابن يحيى في كتابه في الرد على الشعوبية علاكثيرة ... من اختصه الله تعالى من عباده واصطفاه من خلقه اذ ذلك على طريق الثواب أم على طريق التفضيل قال ... زعم زاعم أن ذلك ثواب ... معقول كلام العرب ... خطابها لانه لا يقال لمن أعطى الاجير أجرته ووفى العامل ثوابه قد اختص فلان فلانا بعطيته وانما يقال ذلك اذا تطوع عليه بالعطية بغير عمل ومنعها ... فاما

فأنا الآن فلا أرجو إلا وقت الإياب شديد الاضطراب وجوانح لا تفيق [illegible]
والالتهاب وكيف لا وحال حالي من وداع صفو الحياة يوم وداعه وانقطاع الأنس ساعة
انقطاعه وطوى الشوق جوانحه على غليل وحل أضلاعه على كمد دخيل وأغرى
فلزمني ولزمته وأعيى بيني وبين الوحدة التي والفته فلا أسلك للعزاء سبيلا الا وجدته
مسدودا ولا أقصد للصبر بابا الا ألفيته مردودا ولا أعد اليوم بعد الوداع سوى الأشهر
والشهر دون لقائه الا دهرا ولست بناس أيامنا التي هي تاريخ زماني وعنوان الأماني اذ
ماء الاجتماع عذب وغصن الاوداد رطب وآنية الحواس دراوقه وأسواق سرور
الدهر كاسدة وما كانت الا لمحة الطرف ووسنة الطرف ولمعة البرق الخاطف بزورة
الخيال الطائف وما ذكرت تلك الأيام في أكناف وصاله وسمرها برياض علومه [illegible]
وخصرها الا أوجب على عينه أن تدمع وأبى على كمده حشاشة أن تصدع ثم لما ورد
على عبدكم مكتوبكم الكريم صحبة حضرة العم الحبيب القديم فكان كالمنة للصب
السقيم كما يشهد بذلك سميع العليم ووقفت منتصبا وجعلت به مروءته وصار
وذكر أيام الجمع بها وجدا بها وصبا فاستخفه الاعجاب طربا وشاهد صدوره فقال هكذا
تكون أزهار الرياض وعاين لطفه فقال هكذا تكون الصبا وقبل كل حرف منه ووضعه على
الراس وحصل له بعد ترقبه عادة اخباره والاستئناس فعند ذلك أنشد قول بعض الناس

ورد الكتاب فكان عند وروده ... عيدا ولكن هيج الأشواقا
نوناته قد عانقت صاداته ... كعناق مشتاق يخاف فراقا
فكأنما النونات فيه أهله ... وكأنما صاداته أحداقا
فعسى الاله كما قضى بفراقنا ... يقضي لنا يوما بأن نتلاقى

فجعلته نصب عيني أتسلى به عند استيلاء الشوق على بالي وأطفئ بتأمله نار وجدي اذا
التهبت في صدري وسررت به سرور من وجد ضالة عمره وأدرك جميع أمانيه من دهره
وأنست بتصفحه أنس الرياض بانهلال القطر والساري بطلوع البدر والمسافر بتعريسة
الفجر وكيف لا وقد أصبح في وجه الأماني خدا بل في خدها وردا وصار حسنة من
حسنات دهري لا تمحو مرور الأيام موضعها من صدري وطلعت طوالع السرور وكانت
آفلة وأثمرت غصون الفرح وكانت ذابلة لا سيما لما تضمن من البشارة السارة بصحة
المولى وسلامته وحلوله في منازل عزه وكرامته وموعده الكريم بعوده الى دمشق الشام
كما أتى في العام مرة ثانية وسم اقتدارها على غيرها [illegible] الفاخرة مباهية فأسأل الله
تعالى أن يحقق ذلك وأن يسلك بسيدي أحسن المسالك انه سبحانه وتعالى سامع
الأصوات ومجيب الدعوات فان عودكم يا سيدي والله مرة أخرى هو الحياة الشهية
والأمنية التي ترتجي النفس بلوغها قبل المنية وما أنا من الله بآيس من أن تتيسر بعد
المزار قربا والشمل مجتمعا وحبل البين منقطعا ثم ليعرض على مسامع سيدي المنزهة
لا زالت من كل سوء سليمة أنا أوصلنا مكاتيبكم كما أمرتم لأربابها لا سيما مكتوب شيخ الاسلام
سيدي عبد الرحمن أفندي المفتي بالشام ومكتوب المولى الأعظم والهمام الأفخم أحمد أفندي

بل [illegible] لا
تجوز أن يشرعهم باسمائهم
وان لم تكن الاسماء
أعلامهم فان اليسير
العدل أن يشرعهم بغير
أعمالهم لما لهم أو [illegible]
ان عارضكم معارض فرق
[illegible] من العدل [illegible]
[illegible]
نعم عمل كان [illegible]
معصية كانت من غيره [illegible]
[illegible]
[illegible] الشعر [illegible]
وقد أمر الله تعالى [illegible]
من [illegible] ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل
ابراهيم وآل عمران على
العالمين ذرية بعضها من
بعض والله سميع عليم
[illegible]
الشرف [illegible]
أن لا تجعل ذلك سلما الى
الترجي عن الأعمال
المواهبة [illegible]
على آبائه فان شرف
الأسباب [illegible] على شرف
الأعمال والشرف [illegible]
أولى [illegible] الشرف
يدعو الى الشرف ولا يشترط
[illegible] كان الحسن يدعو
الى الحسن [illegible] عليه
وأكثر الممدوحين انما
مدحوا بأعمالهم دون
أنسابهم وهذا [illegible]

اشعار الناس منثور كلامهم قد قال [illegible]

الا اهي أعزه الله تعالى فانه وقع منه الموقع العظيم وحصل به السرور والمقيم كما يدل على
... الكريم المحفوف بالتعظيم والتكريم غير أنه قد ساءنا ما اتصل بمولانا من نفوذ
قضاء الله تعالى الذي يعم في الميت والام ... الله تعالى في عمر سيدي البركة وكان له في
... والبركة وكذا ... أن يذكر لجنابكم في أمر التعزية ويغرر ومنكم يستفاد مثله
... والاستاذ أدرى بصروف الدهر وتعنتها وأحوال الزمان وتلونها وعرف
بان الدنيا دار لها ... دار وأن الحياة ثوب مستعار ونعيم الدنيا وبؤسها ما لواحد
منهما قرار وأن لكل طالع أفولا ولكل ناضر ذبولا ووراء كل ضياء ظلاما ولكل
عروة ... انفصاما فهو حصل لاز قوي في العزاء عزائمه ويصغر في عينه
نوائب الدهر ... ويقيه عن عظمه تحداه مقالا وتحل عن عقله عقالا وهو يلقي
المصائب ... وفهم صائب وصبر يقصر عنه الطود الاشم وعزم ينفلق دونه الحجر
الاصم وحلم يرجح اذا طاشت الاحلام وقدم تثبت اذا زلت الاقدام وبه المثال في ضرب
الامثال الى جنابكم الشريف نوع من تجاوز حد الاجلال وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذه
المصيبة خاتمة ولا يريه بعدها الادولة قائمة ونعمة دائمة وأن يحرسه من غير الليل والنهار
و يجعله وارث الاعمار بجاه نبينا محمد المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الاطهار بمنه
وكرمه ثم اطلع سيدي أطال الله عمره مشرح صدره وشرّ بالخير ذكره السلام التام
المقرون بانف ... وأكرام من أهل البلدة جميعا الاسيما من فقيها العمادي حرس الله
ذاته التي هي منهل للصادي والعادي وأولاده الكرام المستحقين للاعزاز والاكرام ومن
كبيرها ومدبرها ومشيرها أحمد افندي الشاهيني أعزه الله تعالى بعزه وجعله تحت
كنفه وحرزه ومن صحبنا مولانا الشيخ أحمد المهمندي ونقيب أشرافها مولانا السيد كمال الدين
وجميع المحسنين الداعين لدلكم الجناب والمتمسكين بتراب تلكم الاعتاب ومن الولد والعم
والله يا سيدي انه ... الثناء والمحامد وداعي ذلك الجناب الكاسب للشاكر والحامد
وحضرة شيخنا شيخ الاسلام وبركة الشام مولانا وسيدنا الشيخ عمر القاري أبقى الله تعالى
وجوده وصان علينا احسانه وجوده وأولاده يسلمون عليكم السلام الوافر ويبثون
لكم الشوق المتكاثر في ٢ جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ المحب الداعي يحيى المحاسني انتهى
وكتب الى خجه الفاضل الاسمى مصوونة باسمه سبحانه وتعالى

واني لمشتاق الى وجهك الذي ٭ بهالته أهدى السناء الى البدر
وأخلاقك الغر اللواتي كأنها ٭ تساقط انداء الغمام على الزهر

سيدي الذي عهود ... اليه محفوظة ودواعي محبتي لديه موفورة وعليه موقوفة علم الله
سبحانه اني لا أرجو أوفى الابد كراه ولا أرجو اليس من ساعاتي الاستنشاق نسيم رياه
واني الى طلعته أشوق من الصادي الى ماء صداء ومن كثير عزة الى نوء تماء

يرنحني اليك الشوق حتى ٭ أميل من اليمين الى الشمال
ويا حدني لذكراك اهتزاز ٭ كما نشط الاسير من العقال

ولي على صدق هذه الدعوى من نباهة لبه شاهد معدل ومن نزاهة قلبه منزل غير ملوم

عمرو الذي هو ... اثر ... انه ... اسباب ... ان ... اخوهم ... كلهم في الدين ... بامر ... وفي الامر منها والعمر ... اليه ... عمرو بن ... ورائه الى ابيه ... ولا ... اب وان ... اهلوا في ... وأرض ... من رمها ... ان ... ثم بعد أوان ... على الاحساب ... كل ... أوانها ... نعل ... فعلوا (...) ولما ... بعده ... الشرع ... ربيعة ... سموا خزاعة لتخزعهم ... من ... ايادي ... ولا ... في بعض المواضع من أن ... ذلك امر ... من خزاعة ... ومنها انه شرطوا على ... أن ردوا الحجر جعلوا ... الميت ... (٢) ... عمرو والد ... ولت خزاعة أمر البيت وكان أول من وليه منهم عمرو بن لحي وانما لحي حارثة ... تعاظم ... من ... مراهم وبدلوا ... العرب على عبادة التماثيل لحمرو ...

ولا سعدل كيف لا ومطالع البيان مشرقها من أفلاك فهومه وجواهر التبيان مقذفها من بحار علومه وهو بحر العلم الذي لا تقتحم بسفن الافكار وجبل الحلم الذي رسخ بالهيبة والوقار

لو اقتسمت أخلاقه الغر لم تجد * معيبا ولا خلا بأس الناس عائبا

وماذا عسى أصف به مولانا وقد عجز عن وصفه لسان كل واصف وجارى شؤنه أرباب المعارف والعوارف

فلو نظمت الثريا * والشعرى قريضا
وكاهل الارض ضربا * وشعب رضوى عروضا
وصغت للروض مدحا * وللهواء نقيضا

ولكنني أقول الثناء منحصر أي سلاك والمحي جوده عام لك وان لم أكن ممن يخال وان لم يصبها وابل فطل هذا وقد أوصلناه كتابكم الشريفة لاربابها فكانت لديهم أكرم قادم وأشرف منادم وقد تداولها الافاضل وشهدوا انها من بنات الافكار التي تنكشف عنها الغمر سيدي حجب الاستتار وقد وجدنا كلامهم ملتهبا بجمرات الشوق مخبا زاد الصبابة والتوق ليس له شغل الاذكر أوصافكم الحميدة وبث ما أبدعوه بدروسكم المفيدة ومامنهم الا ويرجو بل الصدى ونقع الظما برؤية ذلك المحيا والتملي بتلك الطلعة العليا وان سأل سيدي عن أخبار دمشق المحروسة دامت ربوعها المأنوسة فهي ولله الحمد منتظمة الاحوال أمنها الله من الشر ورواه هوال ولم يتجدد من الاخبار ما يعلم به ذلكم الجناب لا زال ملحوظا بعين عناية رب الارباب وأما أسال الله تعالى أن يصون جوهر تلك الذات من عوارض الحدثان وأن يحمي تلك الحضرة العلية من طوارق حكم الدوران

آمين آمين لا أرضى بواحدة * حتى أضيف اليها ألف آمينا

وهذا دعاء للبرية شامل والعبد الداعي بجميع البواعث والدواعي تاج الدين المحاسني عفا الله تعالى عنه انتهى وبالهامش ماصورته وكاتب الاحرف العبد الداعي محمد المحاسني يقبل يدكم الشريفة ويخصكم بالسلام الزافر ويبث لديكم الشوق المتكاثر غير انه قد نازعته نفسه في تلك المعاتبة لسيده الذي لم يسعد عبده بالمكاتبة على انها من تحكم عقد العبودية ولا تخرج ربقته من طوق الرقية وانما يطلب أن يخصه سيده بدعواته المستطابة التي لا شك أنها مستجابة كما هو عليه في سائر أوقاته وحسبان ساعاته ودمتم في رابع جمادى الثانية سنة ١٠٣٨ انتهى * وكتب سيدي التاج المذكور لي ضمن رسالة من بعض الاصحاب ماصورته

يا فاضل العصر يا من * للشرف والعرب شرف
يا أحمد الناس طرا * في كل ما ينصرف
يهدي اليك محب * دموعه تنذرف
شوقا وودا قديما * منكرا تعرف

ولنختم مخاطبات أهل دمشق لي بما كتبه لي أوحد الموالي الكرام السري عين الاعيان صدر

فأعطوه منها ما يصيبه على الكعبة وقويت خزاعة وتم الناس ظلم عمرو بن لحي وفي ذلك يقول رجل من جرهم كان على دين الحنيفية

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام
[illegible]
وكذلك [illegible] [illegible]
[illegible] العماليق الذي [illegible]
لهم بها كان السوام

وفيما ذكر جمعوه من لحي من نصب الاصنام حول الكعبة وحمل على العرب عبادتها [illegible] منهم الا انها قال في ذلك بعض من خالف الجرهمي يا عمرو [illegible]

[illegible] أنصابا
وكان للبيت رب [illegible] أبدا
فقد جعلت انى الهك أربابا
لنعرفن بان الله في مهل سيصطفى دونكم للبيت حجابا

وبعد عمرو بن لحي [illegible] [illegible]
وكانت ولاية البيت في خزاعة وفي مضر ثلاث خصال الاجازة بالناس من عرفة والافاضة [illegible]

أرباب البلاغة والبيان مولانا أحمد الشاهيني السابق الذكر في هذا التأليف مرات ضاعف الله تعالى لديه أنواع المبرات والمسرات آمين ليكون مسك الختام اذ محاسنه ليس بها خفاء ولا خفاء كتمان ونص محل الحاجة منه هو الفياض

يا سيدا أحرز خصل العلا * بالباس والرأي الشديد السديد
ومن على أهل النهى قد علا * بطبعه السامي المجيد المجيد
ومن برز من الا هرمسه حلي * قول نظيم كالفريد النضيد
ومن صدا وكري مسه جلا * نظم له القلب عميد حميد
ومن له من يوم قالوا بلى * في مهجتي حب جديد مزيد
ومن غدا بين جميع الملا * بالعلم والحلم الوحيد الفريد
أفديك بالنفس مع الاهل لا * بالمال والمال عتيد عديد

أقسم بالله الذي علت كلمته وعمت رحمته وسخرت القلوب والعقول رأفته ومحبته وجعل الارواح جنودا مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف انني أشوق الى تقبيل أقدام شيخي من الظمآن للماء ومن الساري لطلعة ذكاء وليس تقبيل الاقدام مما يدفع عن المشوق الاوام وقد كانت الحال هذه وليس بيني وبينه حاجز الا الجدار اذ كان حفظه الله تعالى جار الدار فكيف الآن بالغرام وهو حفظه الله تعالى بمصر وأنا بالشام وليس غيبة مولانا الاستاذ غيبة الاغيبة العافية عن الجسم المضني بل غيبة الروح عن الجسد البالي المنزوح ولا العيشة بعد فراقه وهجر أحبابه ورفاقه الا كما قال بديع الزمان عيشة الحوت في البر والثلج في الحر وليس الشوق اليه بشوق وانما هو العظم الكسير والمرح العسير والاسم يسري ويسير وليس الصبر عنه بصبر وانما هو الصاب والمصاب والكمد في يد القصاب والنفس رهينة الاوصاب والحين الحائن وأين يصاب ولا أعرف كيف أصف شرف الوقت الذي ورد فيه كتاب شيخي بخطه مرينا بصحته بل قد كان شرف عصارد حتى اجتمع من أنواع البلاغة عندي كل شارد وأما خطه فكما قال الصاحب ابن عباد أهذا خط قابوس أم جناح الطاوس أو كما قال أبو الطيب

من خمه في كل قلب شهوة * حتى كأن مداده الاهواء

وأما قوله ماه وأبدع وأبرع وفي هذا الباب أنق وأجمع بل هو خط أمان من الزمان والمه اعتصم طوارق الحدثان والحرز الحريز والكلام الحر الابريز والجوهر النفيس العزيز وأما الكتاب نفسه فقد حسدني عليه اخواني واستبشر به أهلي وخلاني وكان تقبيلي لاماليه أكثر من نظري فيه شوقا الى تقبيل يدوشته وحشته واعتيادا للثم أنامل جسته ومستته وأما البراعة فلا شك انها ينبوع البراعة حتى جرى من سحر البلاغة منها مجرى بحا الكتاب كسحر العيون * بما راح يسبي عقول الورى ويناى باحراز حصل السبق من الثريا الى الثرى ولم أر كتابا قبل تكون محاسنه متداخله مترادفة ولطائفه وبدائعه متضاعفة متراصفة وذلك لانه سرد من غرر درره الاحاسن وورد على يد رأس أحبابنا تاج بني عباس

ثمن دعا عامر أبي سياره
حتى أدى صحبه من جاره
مستقبل القبلة يدعو جاره

وليس الشهور الحرم
وكانت اسماؤها في ذلك
الى كنانة وكان أولهم
القلمس حذيفة بن عبد
ثم ولده قلع بن حذيفة
وورد الامر وآخرهم
أبو ثمامة وذلك أن العرب
كانت اذا فرغت من الحج
وأرادت الصدر اجتمعت
اليه فيقوم فيهم فيقول
اللهم اني قد أحللت أحد
الصفرين الصفر الاول
وأنسأت الآخر للعام
المقبل وظهر الاسلام
وقد عادت الشهور الحرم
الى ما كانت
عليه في أصلها وذلك قوله
النبي صلى الله عليه وسلم ألا
ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله
السموات والارض وما
ذكر عليه السلام في هذا
الحديث الى آخره فخبر الله
عز وجل عنهم بذلك بقوله
تعالى انما النسيء زيادة
في الكفر الآية وقد فخر
بذلك عمرو بن قيس
الفراسي فقال
ألسنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما

أولئك قوم أحرزوا الحسن كله * فما منهم إلا فتى فاق في الحسن

وكما قلت فيهم أيضا

فبنو المحاسن بيننا * كبني المنجم في الصحابه

فهم القرابة إن عددت من الأنام هوى القرابه

فيهم محاسن جمة * منها الخطابة والكتابه

ثم لم يكتف سيدي وشيخي بما أنعم به وأحسن بكتابته من كتابه المرتبط المبين بخطه المسمى بين أهل الوفاء كتاب الاكتفاء والاصطفاء حتى أضاف إليه كتاب الشفاء في بديع الاكتفاء كأنه لم يرض طبعه الشريف إلا بزيادة المستثنى الآن تكون حسناته لدى أحبابه مثنى حتى كأن مراده بتضعيف هذا الاكرام والاحسان عجز العبد عن أداء خدمة الحمد بحصر البيان وعقد اللسان إذ لست بإنسانين حتى أؤدي شكر إحسانين وغاية البليغ في هذا المضمار الخطير أن يعترف بالقصور ويلتزم بالتقصير ومن فصول هذا الكتاب ما نصه ومن باب ادخال السرور على سيدي وشيخي وبركتي حبر المدرسة الداخلية التي تصدى لها ذلك المولى العظيم والسيد الحكيم صدر الموالي ورونق الايام والليالي سيدي وسندي وعمادي ومعتمدي الفهامة شيخي أفندي المعروف بالعلامة حفظه الله ووقاه وأبقاه الذي صدق عليه وعلى قول الأول

ولي صديق ما مسني عدم * مذ وقعت عينه على عدمي

أغنى وأقنى وما يكلفني * تقبيل كف له ولا قدم

قام بأمري لما قعدت به * ونمت عن حاجتي ولم ينم

وقول الثاني

صديق لي له أدب * صداقة مثله نسب

رعى لي فوق ما يرعى * وأوجب فوق ما يجب

فلو نقدت خلائقه * لبهرج عندها الذهب

ولعمري إنه كذلك قد تصدى لحاجتي فقضاها ونجح لي فأمضاها ولم يكن لي في الروم سواها وما أصنع بالروم إذ انخلع عني ما أروم أبى الله إلا أن ينفعني ذلك الحبر الكريم بنهيه وأمره وأن يكون بياني وبناني مرتبطين بحمده وشكره وهذه حاجة في نفسي قضيتها وأمنية رضيت بها وأرضيتها ولله الحمد ولست أحصي ولا أستقصي يا سيدي ومولاي شوق أخيكم سيدي ومولاي المفتي العمادي حفظه الله تعالى وإياكم وقد بلغ به شوقه وغرامه وتعطشه وهيامه وأوامه أن أفرد لجناب مولانا كتابا يستجلب مغفرا وجوابا إذ الشام كان أيام غيبته عبارة عن وجوده الشريف والسلام وكذلك أولاده الكرام تلامذتكم يقبلون الأقدام وأما محبكم وصديقكم الشيخ البركة شيخ الاسلام مولانا عمر القاري فقد بلغته سلام سيدي فكان جوابه الدعاء والثناء مع العزيمة على بأن أبالغ لجنابكم الكريم في تأدية سلامه وتبليغ ما يتضمنه من المحبة الخالصة فصيح كلامه وأما الكريمان ولدكم محمد أفندي وأخوه سيدي أكمل الدين فهما لتقبيل أقدامكم من المستعدين وكذلك

وقد كان عمرو بن لحي حين عمر ما ذكرنا من السنين مات وله من الولد وولد الولد ألف [illegible] وهو آخر من ولي البيت من خزاعة وقد كان عمرو على ما ذكرنا جعل ولاية البيت إلى ابنته زوج قصي بن كلاب فقال إنها لا تقوم بفتح الباب وغلقه فجعل ولاية البيت إليها وفتح الباب وغلقه إلى رجل من خزاعة يعرف بأبي غبشان الخزاعي فباعه أبو غبشان [illegible] بزق خمر فأرسلت العرب ذلك مثلا أخسر صفقة من صفقة أبي غبشان في بيعه ولاية البيت ببعير وزق من الخمر ونقله ولاية البيت من قومه من خزاعة إلى قصي بن كلاب وفي ذلك قول الشاعر

أبو غبشان أظلم من قصي * وأظلم من بني فهر خزاعه

فلا تلحوا قصيا في شراه * ولوموا شيخكم إذ كان باعه

وقال في ذلك آخر

إذا افتخرت خزاعة في قديم * وجدنا فخرها شرب الخمور

وباعت كعبة الرحمن جهرا * بزق بئس مفتخر الفخور

وقد كانت ولاية البيت في خزاعة ثلاثمائة سنة واستقام أمر قصي ونشر

علي من دخل مكة من غير قريش وبنى الكعبة ورتب قريشا على منازلها في النسب بمكة وسوى الأبطح

له أحصي ما عليه من الدعاء والثناء لجنابكم الكريم العالي تلميذا ثم بل عبدا ثم ولدنا الشيخ
يحيى ابن سيدي أبي الصفاء وولدنا الشيخ محمد ابن سيدي تاج الدين المحاسنيان وأما عبدا ثم
وتلميذا ثم ولداي الشيخان الداعيان الاخوان الشيخ عبد السلام والقاضي نعمان فليس
لهما وظيفة الا الدعاء والثناء في كل صباح ومساء لان كلا منهما خليقتي والاشتغال بالدعاء
لسيدي وظيفتي ولا يقنعان بتقبيل اليدين الكريمتين ولابد من تقبيل القدمين
المباركتين وبعد فلا ينقضي عجبي من بلاغة كتابكم الشريف الوارد لجناب أخيكم المفتي
العمادي حفظكم الله تعالى واياه ولا كان من يشنأك ويشناه وعجبه أعظم وأكبر اذ
وعرضه الله بفهم كلام سيدي أحق وأجدر فلا عدمنا تلك الانفاس الملكية الفلكية من
كل مبكما ادهى والله البغية والامنية كما قلت

ليس فخري ولا اعتدادي بدهر ※ غير دهر ارا كما من بنيه

اللهم اختم هذا الكلام للقبول التام بالصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ※ ومن
فصول هذا الكتاب ماصورته أطال الله ياسيدي بقاءك ولا كان من يكره لقاءك
ورعاك بعين عنايته ووقاك وأدامك وأبقاك وضمن لك أجزاء الصبر وعوضك عن
مصابك الخير والاجر ولقد كنت عزمت على أن أجعل في مصاب سيدي بامه متعه الله تعالى
بعمره وعلمه ودفع عنه سورة همه وغمه قصيدة تكون مرثية تتضمن تعزية وتسلية
فنظرت في مرثية أبي الطيب المتنبي لامه واكتفيت بنظمها ونثرها وعقدها وحلها
واتخذت قوله منها

لك الله من مفجوعة بحبيبها ※ قتيلة شوق غير ملحقها وصما
ولو لم تكوني بنت أكرم والد ※ لكان أباك الضخم كونك لي أما
لئن لذ يوم الشامتين بيومها ※ لقد ولدت مني لانفهم رغما

فقلت هذه حالة مولانا الراغم لانوف الاعدا المجدد لاسلافه مجدا وجدا القائل بشوقه
لا حظا ولا جدا ثم لما رأيت قوله في مرثية أخت سيف الدولة

ان يكن صبر ذي الرزية فضلا ※ تكن الافضل الاعز الاجلا
انت يا فوق أن تعزى عن الاحباب فوق الذي يعزيك عقلا
وبألفاظك اهتدى فاذا عزاك قال الذي له قلت قبلا
قد بلوت الخطوب حلوا ومرا ※ وسلكت الايام حزنا وسهلا
وقتلت الزمان علما فما يغرب ※ قولا وما يجدد فعلا

قلت هذه والله حلى مولانا الاستاذ الذي عرف الزمان فعله وفهم قوله قد استعارها أبو
الطيب وحلى بها مخدومه سيف الدولة وكيف استطيع ارشاد شيخي لطريق الصبر
وأذكره بالثواب والاجر وكيف وأنا الذي استقيت من دنه واهتديت الى سبيل المعروف
بشيمه وسلكت جادة البراعة بهداية ألفاظه وارتقيت الى سماء البلاغة برعاية ألحاظه
وهل يكون التلميذ معلما وهل يرشد الفرخ قشعما وكيف يعضد الشبل الاسد وهو
ضعيف المنة والمدد ومن يعلم الثغر الابتسام والصدر الالتزام ويختبر الحسام وهو

من قريش وهم الاباطح وجعل الظاهري ظاهرا وقريش البطاح هي قبائل بني عبد مناف و بني عبد
الدار و بني عبد العزى
ابني قصي وزهرة ومخزوم
وتيم بن مرة وجمح وسهم
وعدي وهم لعقة الدم
وبنو عتيك بن عامر بن
لؤي وقريش الظواهر
بنو محارب والحرث بن
فهر وبنو الادرم بن
غالب بن فهر وبنو
هصيص بن عامر بن لؤي
وفي ذلك يقول ذكوان
مولى عبد الدار للضحاك
ابن قيس الفهري

تطاولت للضحاك حتى رددته
الى نسب في قومه متقاصر
فلو شاهدتني من قريش عصابة
قريش بطاح لا قريش الظواهر
ولكنهم غابوا وأصبحت شاهدا
فقبحت من حامي ذمار وناصر
فريقان منهم ساكن بطن يثرب
ومنهم فريق ساكن بالمشاعر

والاحلاف من قريش
بنو عبد الدار بن قصي
وسهم وجمح وعدي
ومخزوم والمطيبون بنو
عبد مناف وبنو أسد بن
عبد العزى وزهرة
وتيم وبنو الحرث بن لؤي وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي في امرأة

مجرب صمصام وهل تفتقر الشمس في الهداية الى مصباح وهل يحتاج البدر في سراه الى دلالة الصباح ذلك مثل شيخي ومثل من يرشده الى فلاح أو نجاح وانما أخذ عنه ما ورد في ذلك من الكتاب والسنه ونحذو حذوه في الطريق الموصلة الى الجنة ثم لما وصلت في هذه القصيدة الى قول أبي الطيب

ان خير الدموع عينا الدمع * بعثته رعاية فاستهلا

رأيته قد أبدع فيه كل الابداع ونظم ما يكاد يجري الدمع من طريق السماع فقلت انا لله وأكثرت الاسترجاع وقلت في نفسي ان ذلك الدمع الذي بعثته رعاية الحقوق هو دمع شيخي الذي حمى الله قلبه الشفوق من العقوق للمصيبة في الام التي حزنها بهم ومصابها بهم وكيف لا يعظم مصابها وقد كان للمصيبة كفاها الله عز وجل نصابها هذا مع العقد للسليلة الجليلة والكريمة الخليلة وأي دمع لم تبعثه تلك الرعاية وأي نفس لا تتمنى أن تكون لسيدنا من كل ما يكره وقاية وأي كبد قاسية لم تكن لاحبابها مواسية وأني يثني للعبد المعني تسلية شيخه وهو الصبور الشكور العارف بالامور العالم بتصاريف الدهور وما ظننت أن بناني يساعدني على تحرير بياني لتعزية شيخي حفظه الله تعالى في أصله وفرعه وضرعه وزرعه وقرعه ونبته وأمه و بنته أما الوالدة الماجدة فاني ان أمسكت عن بيان كرم أصلها سموها كرم فرعها ونسلها فرحم الله تعالى سلفها وأبقى خلفها ولا حرم سيدي ثمرة رضاها ورضي عنها وأرضاها وأما المخدرة الصغيرة فالمصيبة بها كبيرة اذ العمومة منزية والخؤولة وفائية فهي ذات الخيارين وحائزة الفخارين كأن سيدي أعزه الله تعالى لم يرض لها كفؤا ومهرا فاختار القبر أن يكون له صهرا وخطبة الحمام لا يمكن ردها وسطوة الايام لا يستطاع صدها كما قال أبو الطيب المتنبي أيضا

خطبة للحمام ليس لها رد وان كانت المسماة ثكلا

واذا لم تجد من الناس كفؤا * ذات خدر أرادت الموت بعلا

أسال الله تعالى أن تكون هذه الخطبة خاتمة الخطوب وهذا الندب المبرح آخر المندوب وأن يعوض سيدي عن حبيبه المبرقع المقنع حبيبا معمما تحرى النجابة منه المصنع وأن يبدله عن ذات الخمار والخضاب من يصول بالحراب و يسطو باليراع ويشتغل بالكتاب

شعر وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

ولو كان النساء كمن فقدنا * لفضلت النساء على الرجال

اللهم يا أرحم الراحمين اني أتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين أن تأخذ بيد عبدك شيخي المقري في كل وقت وحين آمين * ومن فصول هذا الكتاب ما صورته ولما وصلني سيدي بهديته التي أحسن بها من كتاب الاكتفاء داخل طبعي الصفاء ونشطت الى نظم بيتين فيهما التزام عجيب لم أر مثله وهو أن يكون اللفظ المكتفى به بمعنى اللفظ المكتفى منه فان الاكتفاء والاحتفال بمعنى الاعتناء كما أفاده شيخي فيكون على هذا الاكتفاء وعدمه على حد سواء اذ لو قطع النظر عن لفظ الاحتفال لاغنى عنه لفظ الاكتفاء

وأخذت قريش الايلاف من الملوك وتفسير ذلك الامن وتعرشت والتقريش التجمع ومنه قول ابن حلزة اليشكري

اخوة قرشوا الذنوب علينا * في حديث من دهرنا وقديم

ورحلت قريش حين أخذ لها الايلاف من الملوك الى الشام والحبشة واليمن والعراق وفي ذلك يقول مطرف الخزاعي

يا أيها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف

الآخذين العهد من آفاقنا * والراحلين برحلة الايلاف

ولقريش أخبار كثيرة وكذلك لجرهم وخزاعة وغيرهما ممن قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا تنبيها على ما سلف وسنورد عند ذكرنا تفرق الناس من بابل جملا من أخبار مكة وعبد المطلب والحبشة وغير ذلك مما يلحق بهذا المعنى ان شاء الله تعالى

* (ذكر جوامع الاخبار ووصف الارض والبلدان وحنين النفوس للاوطان) *

(ذكر) ذوو الدراية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى حكيم من حكماء العصر

مع تسمية النوع فيهما وهما

ان احتفال المرء بالمرء لا * أحبه الا مع الاكتفا
مبالغات الناس مذمومة * فاسلك سبيل القصد فى الاحتفا

ولقد انقطع الثلج أيام الخريف وكانت الحاجة اليه شديدة بعد غيبة سيدى حفظه الله تعالى عن دمشق فقد كرت شغف شيخى به فزاد على فقده غرامى وفاض عليه تعطشى وأوامى فعملت فى ذلك عدة مقاطيع وأحببت عرضها على سيدى أولها

ثلج يا ثلج يا عظيم الصفات * أنت عندى من أعظم الحسنات
ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض بدا بوجه الحياة

ثانيها

قد قلت لما ضل عن رشدى * وما رأت الثلج يوما عندى
لا تقطع اللهم عن ذا العبد * أعظم أسباب الثنا والحمد

ثالثها

ثلج يا ثلج أنت ماء الحياة * ضل من قال ضر ذا الكهانى
ما بياض بدا بوجهك الا * كبياض قد لاح فى المرآة
قد رأى الناس وجههم فى المرايا * وأنا فيك شمت وجه حياتى

وما علمت سيدى هذا التعليل الا لاشوقه الى نسيم دمشق الذى خلفه سيدى حفظه الله عليلا وهو على الصحة غير عليل ولم يشف أعزه الله تعالى منه الغليل ولسيدى الدعاء بطول البقاء والارتقاء وهذه أبيات أحدثها العبد فى وصف القهوة طالبا من سيده أن يغفر خطأه فيها وسهوه

وقهوة كالعنبر السحيق * سوداء مثل مقلة المعشوق
أتت كمسك فائح فتيق * شبهتها فى الطعم بالرحيق
تدنى الصديق من هوى الصديق * وتربط الود مع الرفيق
ولا عدمت مزجها بريق

ومازالت ألهج بما أفادنيه شيخى من أماليه وأتصفح الدهر الذى جمعنيه من أسافله الى أعاليه وأستثنى كل على الاحباب والاصحاب فى أثناء المسامرة ما أفادنيه سيدى من تسمية المرحوم القاضى التنوخى كتابه نشوار المحاضرة حتى ظفرت بأصلها فى القاموس فى مادة نشر وهى عربية محضة فانه قال ونشورت الدابة نشوارا أبقت من علفها ولقد تعجبت من بلاغة هذه التسمية وعذوبتها وحسن المجاز فيها مع سلاستها وسهولتها وأحببت عرضها على شيخى حفظه الله تعالى ليفرح لى بين تلامذته كما فرح طبقى به حفظه الله تعالى بين أساتذته وليعلم أنى لم أنس ما أفادنيه فى خلال المحاورة أيام المؤانسة والمجاورة فوالله انه سمرى فى ضميرى وكلمى ما بين عظمى وأدمى

يدير ونى عن سالم وأديرهم * وجلدة بين العين والانف سالم
الطرس طما وما تمت قصتنا * لا ذنب لنا حديثنا الذ فطال

المدن وأهويتها وما كان ومايؤثره الترب والاهوية فى سكانها فكتب اليه ذلك الحكيم اعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد قسم الارض قسما شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فما تناهى فى التشريق نحو مطلع الشمس لاحتراقه وحرارته وحدته واحراقه لمن دخل فيه وما تناهى مغربا أيضا أضر سكانه لموازاته ما أوغل فى التشريق وهكذا ما تناهى فى الشمال أضر ببرده وثلوجه وآفاته الاجسام فاورثها الآلام وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرق بحرارته ما اتصل به من الحيوان ولذلك صار المسكون من الارض جزأ يسيرا ناسب الاعتدال واخذ حظه من حسن النسمة وسأصف لك يا أمير المؤمنين القطع المسكونة من الارض (اما الشام) فسحب وآكام وريح وغمام وغدق ركام ترطب الاجسام وتبلد الاحلام وتصفى الالوان لاسيما أرض حمص فانها تحسن الجسم وتصفى اللون وتبلد الفهم وتنزع غوره وتجفى الطبع وتذهب بماء القريحة وتفضب العقول والشام يا أمير المؤمنين وان كانت على ما وصفت لك فهى مسرح خصب

وحرريوم السبت المبارك عشرة جمادى الآخرة من شهور سنة ثمان وثلاثين بعد الالف أحسن الله ختامها بحرمة محمد وآله الطيبين الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير والحمد لله وحده عبده الفقير الحقير المشتاق المذنب المقصر لسيده عن اللحاق الذى لم يبرح عن العهد المتين أحمد الشامى بن شاهين انتهى ولو تتبعت ماله حفظه الله تعالى من النظم والنثر اللذين علب فيهما بلغاء أهل العصر بالشام ومصر وغيرهما من الاقطار لازال مقامه مقضى الاوطار لاستوعبت الاسفار ٭ وفى الاشارات ما يغنى عن الكلام وقد تقدم فى خطبة هذا التأليف ذكر شئ من نظمه ونثره وأنه هو السبب الداعى الى جمع هذا التصنيف والله سبحانه يديم جنابه السرى الشريف ويبوئه من العز الظل الوريف فلقد أوفى من الحقوق ما لا تؤدى بعضه فضلا عن كله وناهيك بما جلبناه من كلامه دليلا على شرفه وفضله ورسالته هذه التى كانت جوابا عن مكتوب كتبته اليه من جملته

يامن له طائر صيت علا ٭ فى الجوّ فاصطاد الشريد الشديد
يا نجل شاهين البديع الحلى ٭ نعل بالعز الطويل المديد
وفز بحصل السبق بين الملا ٭ وسر بمبهج للمعالى سديد
وردمع الاحباب عدبا حلا ٭ سطماسن الامانى السديد
وارفل على طول المدى فى ملا ٭ مسرة راقت وعمر جديد
والوالد المحروس بالله لا ٭ بعدته الخلق ولا بالعديد

ومن نثرها سيدى الذى فى الاجياد من عوارفه أطواق وفى البلاد من معارفه ما شهدته الفطر السليمة والاذواق وتشتد الى مجده المطنب الذى لا تحط له رواق الاشواق وتعمر بفوائده وفرائده من الآداب الاسواق وتنقطع دون نداه السحب السواكب وتقصر عن مداه فى السمو الكواكب والله سبحانه له واق المولى الذى ألقت اليه البلاغة افلاذها واتخذت البراعة طاعته عصمتها وملاذها ابدأ أفرادها وأفذاذها وأمطرت سماء أفكاره على كل محب أوكاره طائر فى جو أو مستقر فى أوكاره صيبها ورذاذها وفاخرت دمشق بعلاه وحلاه أقطار البسيطة وبغدادها ٭ ومنها أبقاه الله تعالى وحقق عوده ينمنها الحجاز وحقيقة سعوده لا تطرقها المجاز ٭ ومنها فان الذى نفث عن حمنا وأصفت مشربى وكان مرنقا وكاثرت عليه آثرت وما استأثرت رمل النقا فلو رآك المأمون ابن الرشيد لعلم أنك المتمنى ببيتى الغناء الذى غنى به والنشيد

وانى لمشتاق الى قرب صاحب ٭ يروق ويصفو ان كدرت لديه
عذيرى من الانسان لا ان جفونه ٭ صفالى ولا ان كنت طوع يديه

ولم يقل أعطنى هذا الصديق وخذ منى الخلافة وأنا أقول قد ظفرنا به بحمد الله ولم أجد أحدا فى دهره وافق الغرض فلم نرخلافه ٭ ومنها هذه يا ابن شاهين أياديك البيض تفرح لك الشكر وتبيض فلا دليل على ولائى كاملائى ولا شاهد لما فى أحنائى كثنائى ولا حجة على ودادى كتكرارى ذكرك وترددى ٭ وهى طويلة لا يحضرنى الآن منها سوى

وفيه جل اشراف خلق الله تعالى من الصالحين والمتعبدين وجماله مساكن المجتهدين والمعردين (وأما ارض مصر) فارض قورا منورا دار الفراعنة ومساكن الجبابرة محمدة فضل ملها ودنيا اكثر حمدها هوائها راكد وحرها زائد وثمرها وارد تكدر الالوان وتحيى العطش وتكثر الاحن وهى معدن الذهب والجوهر والزمرد والاموان ومغارس الغلات غيراها ... تسمن الابدان وتسود الابشار وتنمو بها الاعمار وفى اهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة الا انها بلد مكسب لا بلد مسكن لترادف فتنها واتصال شرورها (واما اليمن) فيضعف الاجسام ويذهب الاحلام ويذهب بالرطوبة فى اهلها وهم كبار ولهم احساب واخطار ومعايشهم حسنة واطرافه جدبة وفى هوائها علاب وفى سكانه اقتيال وبهم قطعة من الحسن وشعبة من الزينة وقسم من الفصاحة (واما الحجاز) فحاجز بين الشام واليمن والاهم هواؤه متزرو ليله مسهور تنحف الاجسام

وابل سكب كثرت اشجاره واطردت انهاره وعمرت اعشاره وبه منازل الانبياء ٥٥٧ والقدس احتوى

ويجف الادمغة ويشجع القلوب ويبسط الهمم ويبعث على الاحن وهو بلد محل قحط جدب ضنك (واما المغرب) ففيه العلف

ما ذكرته ولنقتصر من مكاتبات أعيان العصر من أهل دمشق المحروسة على هذا المقدار
فنسأل الله تعالى أن يجمعهم جميعا في الايراد والاصدار * وفي تاريخ ورود هذه المكاتيب
الدمشقية السابقة علي اتفق ورود كتب من المغرب وجهها جماعة من أعيانه الى فمن
ذلك كتاب كتبه لي الاستاذ الأديب الفهامة معلم الملوك سيدي الشيخ محمد بن يوسف
المراكشي التاملي ونصه الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد تتوالى من أخص
الخلاص المشتاق الى السيد الذي وقع على محبته الاتفاق وطلعت شموس معارفه في غاية
الاشراق وبارك له في ميدان الكمال حسن الاستباق الصدر الكامل والعالم العامل
الفقيه سيدي قدوة الفقهاء علم العلماء اللوذعي الذي يهدي المعاني ببراعته وقلمه بأشرف الوية
المعارف ومبدي أنواع العوارف العلامة امام العصر بجميع أدوات الحصر سيدي
أحمد بن محمد المقري قدس الله السلف كما بارك في الخلف سلام من النسيم أرق وألطف
من الزهر اذ عبق وبعد فان أخباركم دائما ترد علينا وتصل الينا بما يسر الخاطر ويقر
الناظر مع كل وارد وصادر والعبد يحمد الله تعالى على ذلك ويدعو الله بالاجتماع معكم
هنالك ويرحم الله عبدا قال آمينا * كتبته اليكم أيها السيد من الحضرة المراكشية
مع كثرة أشواق لا تسعها أوراق كتبكم الله سبحانه فيمن عنده كما جعلكم من أخلص
في موالاة الحق قصده وودي اليكم خضر الحدائق مستجل في مطلع الوفاء بمنظر رائق
لا يحيله عن مركز الثبوت عائق وحقيق بمودة ارتبطت في الحق ولله معاقدها
وأسست على المحبة في الله قواعدها أن يزيد عقدها على مر الايام شدة وعهدها وان شط
المزار جدة وأن تدخر للأخرى عدة واني ويعلم الله تعالى لممن يعتقد محبتكم وموالاتكم
بمكان الخير من الله تعالى والزلفى اليه ويعتمدهما ذخرا يعول في الآخرة يوم لا ظل
الا ظله عليه فانكم والمنة فاخلصتم في الولا وعرفتم الله تعالى فقمتم بحقوق المحبة على الولا
معرضين في لذكم الآخرة عن عرض الدنيا وعرضها موفين بشروط نفلها ومفترضها الى
أن قضى الله تعالى بافتراقنا وحقوقكم المتأكدة دين علينا والايام تمطل بقضائها عنا
وتوجه الملام الينا فآونة أقف فاقرع السن على التقصير ندما وآونة أستنيم الى فضلكم
فأقدم قدما وفي أثناء هذا لا يخطر بالبال حق لكم سابق الا وقد كر عليه منكم آخر
لاحق حتى وقفت موقف العجز وضاقت على العبارة عن حقيقة مقامكم في النفس وكدت
لا أكتب الا نادرا اجلالا لكم الربيع واشفاقا من التقصير المطيع وقد كنت أعرفكم
الله على الجملة بل هذا الكتاب أربعة أو خمسة فالله تعالى أعلم بالقصائد لا كالفرائد من الكلام
ذكرا لكم السلس لكثير الفوائد فعذرا فان كان أحرس من سمكة وأشد تحرزا من طائر في
شبكة فاعرف أوصل شيء من ذلك أم حصل في أيدي المعاطب والمهالك وما رأيت غير
رجل من صعاليك الحجاج التقيت به يوما بالحضرة المراكشية فقال لي الشيخ الامام المقري
يسأل عنك وقد أرسل معي كتابا اليك فوقع في النفس من هذا ما وقع فقلت له لا غرابة في ذلك فقد
رجع الى أهله ومن طلبة العلم سيدي ... الدرر وقد جاءني كتاب من بعض الاخلاء الصديقين
وهو الحاج الصالح السيد أبو بكر من مكة المكرمة شرفها الله تعالى وذكر لي فيه أنه متعه الله تعالى

بلقائكم

ر... في مهابه ... والاخلاق والصور باامير المومنين

تناسب البلد ومحاذيه وتقارنه وتوازيه وتوافقه وتضاهيه ٥٥٩ ومن [illegible] هواؤه وعم

بلقائكم وأخبرني بسؤالكم عني كثيرا والى الآن يا نعم السيد لم أعرفه كما ينبغيه لسيادتكم تعريف نذكر لا تعريف منه فانصفوا في الحكم عليكم في عدم الجواب عما اقتضاه الادباء شريعة وسنة وبالجملة ففؤادي لجدكم صحيح لا سقيم واعتقادي بودكم متين غير عقيم والله تعالى يجعل الحب في ذاته الكريمة ويقضي عن الاحبة دين المحبة فيوفي كل غريم غريمه ويصلكم ان شاء الله تعالى هذا المرقوم وبه سؤال منظوم لتتفضلوا بالجواب عنه بعد حمد الله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى المرى الحبر صدر الأئمة * من الخالص الوداد أزكى تحية
فذلك يا صدر الصدور عجالة * لتسمح بالجواب عما أكتب
فتى قد رأى عند الغداة فتية * محرمة عند الزوال حلالة
وعادت حراما عند عصر فعندما * عشاء أتى عادت حلالا اثبتت
وفي صبح ثاني اليوم عادت محرما * وزالت زوالا منه من غير ريبة
وفي ظهره حلت فطابت قربة * وفي عصره حرما فقد تبدت
وعند العشاء بالضرورة حللت * وذلك بعد الغرم مال كفدية
وفي صبحه عادت حراما ترى به * بروق سيوف لامعات بسنة
وكان يضني حسرة وتأسفا * وحلت له وقت العشاء وتمت
وعن أمة ايضا بموت سريها * قد اولدها في ملكه بعد وطأة
وعادت لمملوك المرى حلاله * بعقد نكاح بعد من غير شبهة
فحادت ببنت هل لمالك نزوج * بنجل المرى بنوا الى فدنى
فان السيوري مانع من زوج * له بابنة منها بتلك القضية
وما الفرق بينها وبين التي أتى * بها ابن أبي زيد بأوضح حجة
وعن مشتر مملوكه غير محرم * ومسلمة شراحها شرعة
وليس يملكه لها وطؤها يرى * جوازا على التأبيد من حين حلت
وما طالق من عدة خرجت ولا * يجوز على التأبيد في خدمة
نكاح لها من واحد ومطلق * له غير معصوم ترى في الشريعة
وتمت بحمد الله مبديه لكم * سلاما كما أبدته في صدر طاعة

وتقرير السؤال الثاني أمة أولدها سيدها فصارت حرة فاتت عنها السيد ثم تزوجها عبد سيدها فاتت ببنت أما الولد سيدها أن يتزوج هذه البنت فان الرجل له أن يتزوج بنت زوجة أبيه من رجل غيره وهذه سرية أبيه فان الامام السيوري يمنع هذه المسئلة وما الفرق بينهما وتصلكم ان شاء الله تعالى عجالة رجزية في مآثركم السنية ضمنتها أشطارا من الالفية فتفضلوا بالاغضاء وحسن الدعاء أن يجمع الله شملنا بكم في تلك الاماكن المشرفة ثم المأمول من سيدنا ومولانا أن يتفضل علينا بكتاب طبقات القراء للامام الحافظ الداني اذ ليس عندنا منه نسخة وأما تاليفكم الكثير الفوائد المسمى بأزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض فقد انتشر في هذه الانظار المراكشية وانتسخت منه

مائه ولطف غذاؤه كانت صوره [illegible] وحلاه [illegible] تناسب البلد ومحاذيه وتشاكل ما [illegible] وما أسس عليه بنيانه وكل بلد نزول عن الاعتدال انتسب أهله الى سوء الحال [illegible] الاسلام ولاهلها [illegible] ورأت [illegible] (وأما بلد فارس) [illegible] [illegible] بالاشجار [illegible] الثمار [illegible] وهممهم [illegible] (وأما بلد خوزستان) [illegible] الاهواء [illegible] وبلد الافهام [illegible] الهمم [illegible] [illegible] أهله سوق الانعام وهم [illegible] (وأما أرض الجزيرة) [illegible] البر [illegible] [illegible] المؤمنين أفضل قطع الارض وأسناها وأشرفها وأعلاها [illegible] الهواء [illegible]

ودعه الآفات عن قطانه وسماحة المثوى وتهذيب الماء وصحة المتنسم وارتفاع الاكدار وذهاب الاضرار وأعلم الله [illegible]

وقد سكنه أجيال وأمم ذوو كمال (واما الهند والصين وبلاد الروم) فلا حاجة بي الى وصفها لان لانها بلاد مشاهدة وبلدان نائية كافرة طاغية وفي الذي ذكرته لك ما اشير بك الى ما شمرت الى علمه وكل ما وصفته في هذه البلدان فهو الاعم من امور اهلها والاغلب على احوالهم فان وجد فيهم احد بخلاف ذلك فهو نادر يا أمير المؤمنين والحكم للاغلب (قال المسعودي) وذكر جماعة من اهل العلم بالسير والاخبار ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما اراد الخروج الى العراق حين بلغه ما عليه الاعاجم من التجمع ببلادهم سال كعب الاحبار عن العراق فقال يا امير المؤمنين ان الله لما خلق الاشياء ألحق كل شئ بشئ فقال العقل انا لاحق بالعراق فقال العلم وانا معك فقال المال وانا لاحق بالشام فقالت الفتن وانا معك فقال الخصب وانا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك فقال الفقر وانا لاحق بالحجاز فقالت القناعة وانا معك فقال الشقاء وانا لاحق بالبوادي فقالت الصحة وانا معك

سخ عديدة من نسخة المرحوم سيدي أحمد بن عبد العزيز ابن الولي سيدي أبي عمرو وكساالله سبحانه تاليفكم المذكور جلباب القبول فما رآه أحد الا نسخه وعندي النسخة التي كتبها بخطه السيد أحمد المذكور بخط حسن وعلى هامشها في بعض الاماكن خطكم الرائق وبعض التنبيهات من كلامكم الفائق واعلمونا بتاليفكم الذي سميتموه قطف المهتصر من أفنان المختصر هل خرج من المبيضة أم لا ووددنا لو اتصلنا منه نسخة وقد اشتاق فقهاء هذا الاقليم اليه غاية كالفقيه قاضي القضاة محبكم سيدي عيسى وغيره من أخلاء خليل في كل محفل جايل الى أن قال وأنا أتمثل بكلام مولانا علي كرم الله وجهه حيث يقول تبركا به

رضيت بما قسم الله لي * وفوضت أمري الى خالقي

كما احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقي

ولي حفظكم الله تعالى تخميس على البيتين وذلك انه نزلت بي شدة لايمكن الخلاص منها عادة فادرجت من تخميسهما الا وجاء الفرج في الحين وهو

اذا أزمة نزلت قبلي * وضقت وضاقت بها حيلي

تذكرت بيت الامام علي * رضيت بما قسم الله لي

وفوضت أمري الى خالقي

لان الاله اللطيف قضى * على خلقه حكمه المرتضى

فسلم وبل قول من فوضا * كما احسن الله فيما مضى

كذلك يحسن فيما بقي

فعذرا أعزكم الله سبحانه ونفع بحياتكم عن انسباب المراسلة بالمكاتبة عذرا وصبرا على بعد اللقاء صبرا فان يقدر في هذه الدار فذلك فيها ما نتمنى والا فلن نعدم بفضل الله جزاء الحسنى ولقاء لا يبيد ولا يفنى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ايمانا بالوعد وتحقيقا فمن أوجب له محبته أدخله جنته واحضره مادبته وكل له أمنيته جعلنا الله من المتحابين في جلاله بكرمه وافضاله وكتبه محبكم ومعظمكم الواصل حبل وده بودكم المشرف لعهدكم المنوه بقدركم ومجدكم العبد الفقير الحقير المشفق على نفسه من التقصير والذنب الكبير محمد بن يوسف التاملي غفر الله ذنبه وستر عيبه وجبر قلبه وجمعه بأحبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في عاشوراء المحرم فاتح سنة ثمانية وثلاثين وألف انتهى ونسخة هذا المكتوب ورقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لله در العالم الجياني * كأنما ينظر بالعيان

لانه يرى العالم المفضال * منتظرا باحسن المثال

وعالم باني من بعده * أشير في نظامنا لقصده

وها أنا بالله أستعين * مصمنا وربنا المعين

بالشطر من ألفية ابن مالك * أيدنا الله انسج ذلك

قال محمد عبيد المالك * وسالك الاحسن من مسالك

(قال المسعودي) وأوسط الاقاليم الاقليم الذي ولدنا به وان كانت الايام أنأت بيننا وبينه وساحقت مسافتنا عنه وولدت في قلوبنا الحنين اليه اذ كان وطننا ومسقطنا وهو اقليم بابل وقد كان هذا الاقليم عند ملوك الفرس جليلا وقدره عظيما وكانت عنايتهم اليه مصروفة وكانوا يشتون العراق وأكثرهم يصيفون بالجبال ويتنقلون في الفصول الى الصرود من الارض والجروم وقد كان أهل المروآت في الاسلام كأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وغيره يشتون في الجروم وهو العراق ويصيفون في الصرود وهي الجبال وفي ذلك يقول أبو دلف

وانى امرؤ كسروي الفعال * أصيف الجبال واشتو العراقا

ولما خص به هذا الاقليم من كثرة مرافقه واعتدال أرضه وغضارة عيشه ومادة الرافدين اليه وهي دجلة والفرات وعموم الامن فيه وتوسطه الاقاليم السبعة كانت الاوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لان ارضه من اقليم بابل الذي تشعبت الآراء عن أهله بحكمة الامور كما يقع ذلك عن القلب وبذلك اعتدلت ألوان أهله وأجسامهم فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة

تشير بالتضمين للتحرير * المقرى الفاضل الشهير
ذاك الامام ذو العلاء والهمم * كعلم الاشخاص لفظا وعلم
فلن ترى في علمه مثيلا * مستوجبا ثنائي الجميلا
ومدحه عندي لازم أبي * في النظم والنثر الصحيح مثبتا
أوصاف سيدي بهذا الرجز * تقرب الاقصى بلفظ موجز
فهو الذي له المعالي تعتزي * وتبسط العدل بوعد منجز
رتبته فوق العلا بأمس بهم * كلا ما العظمة قد كاسبهم
وكم أفاد دهره من تحف * مبتدي تأول الا كاف
لعمري على الامام الطاهر * كظاهر القلب جميل الظاهر
وفضله للطالبين وجدا * على الذي في زمنه قد عهدا
قد حصل العلم وحرر السير * وما بالا أوباعا الحصر
في كل فن ماهر فيه ولا * يكون الاعانة الذي لا
سيرته جرت على نهج الهدى * وذيلي الاحتيار أبدا
وعلمه وفضله لا ينكر * عما به عنه مسما تخبر
يعرف انا بصدر انشرح * اعرف بما فاتنا ثلما المدح
يقول مرحبا لقاصديه من * يصل اليها يستعين بما نعن
صدق مقالاتي وكن متبعا * ولم يكن تصريحه ممتنعا
وانهض اليه فهو بالمشاهده * الخبر الجزء المهم الفائده
والزم جنابه واياك الملل * ان يستطل وصل وان لم يستطل
واقصد جنابه ترى مآثره * والله يقضي بهبات وافره
وانسب له فانه ان معطي * ويقتضي رضا بغير سخط
واجعله نصب العين والقلب ولا * تعدل به فهو يضاهي المثلا
قد طالما افاد علم مالك * أحمد ربي الله خير مالك
وحاسد له ومبغض رمي * وهالك وميت به حي
وليس يشفي مبغضه أبدا * عساوني مثل هراوة جعل
يقول عبد ربه محمد * في تحرير القول اني أحمد
وهو بدهره نظم الامل * مروع العتب قليل الحيل
فادع له وساده قد حضروا * وافعل أواني بعتبطاد شكر
واجبره بالدعاء ساء يغتنم * بجره ودع عيبه النرم
انشدت فيكم داووال قائل * في نحو تم ما يقول الفاضل
أدعو لكم بالنصر في كل زمن * لكونه بعصر الرفع اقترن
مآثر لكم كثيرة سوى * ما مر فاقبل منه ماعدل روى
قد انتهى تعريف ذا المعرف * ودو عام ماروح يكتفي

لامم تاج الائمة الاول ❊ وما بجمعه عنيت فقد كمل
فالله يبقيكم لدنيا وكذا ❊ مصليا على الرسول المصطفى
ترى عليه دائما منعما ❊ وآله المستكملين الشرفا انتهى

ومن ذلك ما كتبه لي بعض الاصحاب ممن كان يقرأ علي بالمغرب وصورته سيدنا وسيد أهل الاسلام حامل راية علوم الامة الاحمدية على صاحبها الصلاة والسلام آية الله في المعانى والمعالى وحسنة الايام والليالى وواسطة عقود الجواهر واللآلى امام مذهب مالك والاشعرى والبخارى والواقدى والخليل العلامة القدوة السيد الكبير الشهير الجليل ذو الاخلاق العذبة المذاق والشمائل المنبعثة عن طيب الاصول والاعراق كبير زمانه دون منازع وعالم أوانه من غير منازع ولا مدافع شيخنا ومعلمنا ومفيدنا وحبيب قلوبنا مولانا شيخ الشيوخ ابو العباس أحمد بن محمد المقرى المغربى التلمسانى نزيل فاس ثم الديار المصرية حفظه الله تعالى في مواطن استقراره ورفع درجة ما شاده من فخاره على مناره عن شوق يود له الكاتب أن لو كان في طى كتابه وتوق الى مشاهدتكم هو الغاية في بابه بعد اهداء السلام المحفوف بانواع التحيات والكرامات والبركات الدائم ما دامت في الوجود السكنات والحركات لمقامكم الاكبر ومحلكم الاشهر ومن تعلق باذيالكم أو كان مستمطر النوالكم أو صبت عليه شآبيب افضالكم من أهل ومحب وصاحب وخديم هذا وانه ينهى الى الوداد القديم أن اهل المغرب الادنى والاقصى حاضرة وبادية كلهم يتفكهون بل يتقوتون بذكركم ويشتاقون لرؤية وجهكم ويسالون عن طيب اخباركم وان كان المغرب الآن في تفاقم احوال وتراكم اهوال في الغاية مداين وبوادى لا سيما مدينة فاس وهم في شر عظيم واميرها مولاى عبد الملك مات في السنة السابعة والثلاثين بل في ذى الحجة قبلها وفي المحرم من سنة سبع وثلاثين توفى ملك المغرب السلطان ابو المعالى زيدان وبويع من بعده ابنه مولاى عبد الملك وتقاتل مع اخويه الامير بن الوليد واحمد وهزمهما والى الله عاقبة الامور واهل داركم بفاس بخير وعافية ونعم ضافية سوى ما أدركهم من طول الغيبة نسأل الله تعالى أن يملأ بقدومكم العيبة ويجبكم الاكبر ونجلكم الاصغر سيد أهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة والمربى في سلوك أهل الحقيقة العارف بالله الشيخ الربانى ذو الكرامات والمقامات سيدى محمد بن أبى بكر الدلائى يحييكم ويعظم قدركم ولسانه لكم ذاكر بالخير شاكر وهو على خير وقد اجتمعت من بركتكم في مدينة الدلاء على جماعة من طلاب العلم وفتح الله تعالى على بما أليف عديدة منها كفاية الطالب النبيل في حل الفاظ مختصر خليل ومنها شرح على المنهج المنتخب للزقاق في قواعد مالك ومنظومة في أكثر من ألف بيت في السيرة والشمائل ومنها في رجال البخارى ولا كتاب الكلاباذى ومنها حطوط غير ذلك والكل من بركتكم ونسبته اليكم في صحيفتكم والسلام من ولدكم المعترف بفضلكم تراب نعالكم على بن عبد الواحد الانصارى لطف الله تعالى به وحامله كبير كبراء قومه من محبيكم ومعززكم وما تفعلوا معه من خير فلن تكفروه والسلام انتهى ❊ ومنها كتاب وافانى من عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها سلالة العلماء الاكابر ووارث المجد كابرا عن كابر المؤلف العلامة سيدى الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله نصه بسم الله الرحمن الرحيم

رغلة البر ومن حفا من الامم واجتمعت فيهم محاسن جميع الاقطار وكما اعتدلوا في الجبلة كذلك اعتدلوا في العقل والتمسك بمحاسن الامور واشرف هذا الاقليم مدينة السلام ويعز على ما صارت اليه الان الاقدار من فراق هذا المصر الذى عن بقعته وصلنا في قسمته وطنا الكريم ... الذى من ... الشنيت والدهر الذى من شروطه الامانة ولقد أحسن أبو دلف العجلى حيث يقول

ايا نكبة الدهر التى طوحت بى
أيادى سبا في شرقها والمغارب
قفى بالتى نهوى فقد طرت النوى
ليها ما هت راجعات المصائب

وقد ذكر الحكماء وما ترجموا اليه من هذا المعنى ان من علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه الى اخوانه وشوقه الى أوطانه وبكاءه على ما مضى من زمانه وان من علامة الرشد أن تكون النفوس الى مولدها مشتاقة والى مسقط رأسها تواقة ولا تزال العادة ... الرجل ... وقال ابن الزبير ليس الناس بشئ من أقسامهم أقنع منهم باوطانهم وقال بعض حكماء العرب عمر الله البلدان بحب الاوطان وقالت الهند حرمة بلدك ...

الرحيم وصلى الله على من أنزل عليه فى القرآن وإنك لعلى خلق عظيم وآله وصحبه وسلم أفضل
التسليم من مدنس الازار المتسربل بسرابيل الخطايا والاوزار الراجى التفضل منه رحمة
العزيز الغفار عبد الله سبحانه عبد الكريم بن محمد الفكون أصلح الله بالتقوى حاله وبلغه
من متابعة السنة النبوية آماله الى الشيخ الشهير الصدر الكبير ذى الفهم الثاقب
والحفظ الغزير الاحب فى الله المؤاخى من أجله سيدى أبى العباس أحمد المقرى أحمد الله
عاقبتى وعاقبته وأسبل على الجميع عافيته أما بعد فانى أحمد الله اليك وأصلى على نبيه سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم ولا زائد الا سابغ الدعاء وطلبه منكم فانى أحوج الناس اليه وأشدهم
فى طى الحاجة عليه لما تحققت من أحوال نفسى الامارة واستنبطت من دخيلائها المثابرة
على حب الدنيا الغرارة كأنها عميت عن الاهوال التى أشابت رؤس الاطفال وقطعت
أعناق كمل الرجال تراه فى لجج هواها خائضة وفى ميدان شهواتها راكضة طعت
فى غيها وما لانت وجمحت بها انقادت ولا استقامت فويلى ثم ويلى من يوم تبرز فيه البواطن
وتنشر الفضائح ومنادى العدل قائم بين العالمين وان كان مثقال حبة من خردل
أتينا بها وكفى بنا حاسبين فالله أسأل حسن الالطاف والنزع عما ارتكبناه من التعدى
والاسراف وان يجعلنا من أهل الحمى العظيم وممن يحشر تحت لواء صلاحه الكريم
سيدنا ومولانا وشفيعنا النبى الرؤف الرحيم وانكف عن القلم عنانه لما أرجو من أجله
ثواب الله سبحانه وقد اتصل بيدى جوابكم أطال الله فى العلم بقاءكم فرأيت من عذوبة
ألفاظكم وبلاغة خطابكم ما يذهل من العلماء عقولها وينيلها الذى اختزلته سؤالها
ومأمولها بيد ما فيه من أوصاف من أمره قاصر وعن الطاعة والاجتهاد فاتر وأصدق
قول فيه عند مخبره ومرآه أن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه لكن شعاريكم المولى
تحسين النية البلوغ فى تحبوحة الجنان غاية الامنية وقد ذيلتم ذلك بأبيات أنا أقل من
أن أوصف بمثلها على أنى غير قائم بفرضها ونفلها فالله تعالى يمدكم بمعونته ويجعلكم من
أهل مناجاته فى حضرته ويسقيكم من كاسات القرب ما تتمتعون به بلذيذ منادمته وقد ساعد
البنان الجنان فى اجابتكم بوزنها وقافيتها والعذر لى أنى لست من أهل هذا الشان
والاعتراف بأنى جبان وأى جبان والكمال لكم فى الرضا والقبول والكريم يغضى عن
عورات الاحمق الجهول وظننا حققه الله تعالى أن تحملوا على مقدرتكم الكلامية بعد
اضاعة الدجنة تشييدا أرجو من الله توفيقا وتسديدا بحسب قدرى لا على قدركم وعلى
مثل فكرى القاصر لا على عظيم فكركم وان ساعد الاوان وقضى بتيسيره رب الزمان
فآتى بدان شاء الله الاجل معى لانى بالاشواق الى حضرتكم راكب البراق ومخترق السبع
الطباق وكنت عازما على أن أبعث لكم من الابيات أكثر من الواقع الا أن الرفقة أعجلت
وصادفتنى أيام موت عميدة البيت فلم يتيسر عاجلا الامداد كرو على الله قصد السبيل وهو
حسبى ونعم الوكيل

يا نخبة الدهر فى الدرايه * علما نعاضده الروايه
لازلت بحرا بكل فن * يروى به الطالبون غايه

عليك كرمة والديك لان غذاءك منهما وغذاءهما منك وقال آخر أولى البلدان بصيانتك بلد رضعت ماءه وطعمت غذاءه وقال آخر ميلك الى مولدك من كرم محتدك وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها وقال أفلاطون غذاء الطبيعة من أنفع أدويتها وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الحبة ببلل القطر وللنفوس فى علة حنينها الى الاوطان كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه فى كتابنا المترجم بسر الحياة وفى كتاب طب النفوس ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر لبطل أول العلم وضاع آخره اذ كان كل علم من الاخبار يستخرج وكل حكمة منها تستنبط والفقه منها يستثار والفصاحة منها تستفاد وأصحاب القياس عليها يبنون وأهل المقالات بها يحتجون ومعرفة الناس منها تؤخذ وأمثال الحكماء فيها توجد ومكارم الاخلاق ومعاليها منها تقتبس وآداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس وكل غريبة منها تعرف وكل عجيبة منها تستطرف وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل ويستعذب موقعه الاحمق والعاقل ويأنس بمكانه وينزع

لقد تصدرت في المعالي * كما تعاليت في العنايه
من فلك تنتظم المعاني * بلغت في حسنها النهايه
رقاك مولاك كل مرقى * تحوي به القرب والولايه
اعجوبة ما لها نظير * في الحفظ والفهم والهدايه
يا أحمد المقري دامت * بشرى لك صحبها الرعايه
بجاه خير العباد طرا * والآل والصحب والنقايه
صلى عليه الاله تترى * تكفي بها الشر والغوايه

وأختم كتابي بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب بغاية عجلة يوم السبت سابع اوثامن رجب من عام ثمانية وثلاثين وألف للهجرة على صاحبها الصلاة والسلام انتهى والمذكور عالم المغرب الاوسط غير مدافع وله سلف علماء ذوو شهرة ولهم في الادب الباع المديد غير أن المذكور مائل الى التصوف ونعم ما فعل تقبل الله تعالى عملي وعمله وبلغ كلامنا أمله ولأشهر أسلافه العلامة الشيخ حسن بن علي بن عمر الفكون القسمطيني احد اشياخ العبدوي صاحب الرحلة قصيدة مشهورة عند العلماء بالمغرب وهي من درر النظم وحر الكلام وقد ضمنها ذكر البلاد التي رآها في ارتحاله من قسمطينة الى مراكش وأولها

الا قل للسري بن السري * ابي البدر الجواد الاريحي

ومنها

وكنت اظن ان الناس طرا * سوى زيد وعمرو غير شي
فلما جئت بلدة خير دار * اماالتي بكل رشا ابي
وكم اورت ظباء بني أوار * اوار الشوق بالرتق الشهي
وجئت بجاية فجلت بدورا * يضيق بوصفها حرف الروي
وفي ارض الجزائر هام قلبي * بمعسول المراشف كوثري
وفي مليانة قد ذبت شوقا * بلين العطف والقلب القسي
وفي تنس نسيت جميل صبري * وهمت بكل ذي وجه وضي
وفي مازونة مارلت صبا * ببستان المحاجر لوذعي
وفي وهران قد امسيت رهنا * بظامي الخصر ذي ردف وري
وابدت لي تلمسان بدورا * جلون الشوق للقلب الخلي
ولما جئت وجدة همت وجدا * بخنث المعاطف معنوي
وحل رشا الرباط رشاد باطي * وتيمني بطرف بابلي
وأطلع تطرفاس لي شموسا * مغاربهن في قلب الشجي
وما مكناسة الا كناس * لاحوى الطرف ذي حسن سني
وان تسأل عن ارض سلا ففيها * ظباء كاسرات للكمي
وفي مراكش ياويح قلبي * الى الوادي فطم على القري

بدور

مدام ويستعمل به في كل مشهد ويحتاج اليه في كل محفل ومصيله علم الاخبار بينة على كل علم وشرف مبرله يحتج في كل فهم فلا يصبر على فهمه ويبس ... واصداره الا انسان قد تحرر له وفهم معناه وذاق ثمرته واستسفر من غرره وبان من سرره وقد قالت الحكماء الكتاب نعم الجليس وبم ندحران شئت الهتك نوادره واضحكتك بوادره وان شئت اشجتك مواعظه وان شئت تعجبت من غرائب فوائده وهو يجمع لك الاول والآخر والغائب والحاضر والناقص والوافر والبادي والحاضر والشكل وخلافه والجنس وضده وهو ميت ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء وهو مؤنس ينشط بنشاطك وينام بنومك ولا ينطق الا بما تهوى ولا تعلم جارا أبر ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وأقل خيانة ولا أبدى مللا ولا أجد إملالا ولا أدوم سرورا ولا أسكت غيبة ولا احسن موافاة ولا اعجل مكافأة ولا اخف مؤنة ... ان نظرت اليه اطال امتاعك وشحذ طباعك وابدى همك واكثر

بدور بل شموس بل صباح * ... فى ... فى ...
أنحن مصارع العشاق لما * سعين به فكم ميت وحى
بقامة كل أسمر سمهرى * ومقلة كل ابيض مشرفى
اذا أنسيني حسنا فانى * اسميهم هوى غيلان مى
وها انا قد تخذت الغرب دارا . وادعى اليوم بالمرا كشى
على أن اشتياقى نحو زيد * كشوقك نحو عمرو بالسوى
تقسمنى الهوى شرقا وغربا * فيا للمشرقى المغربى
فلى قلب بأرض الشرق عان * وجسم حل بالغرب القصى
فهذا بالغدو يهيم غربا * وذاك يهيم شرقا بالعشى
فلولا الله مت هوى وشوقا * وكم لله من لطف خفى

وقد خرجنا بالاستطراد الى الطول وذلك منا اسم سال مع جاذب الادب فاسلك العنان والله المستعان وما عددناه من القصائد والمقطعات فى مدح دمشق الشام هو نقص من فيض وفى نيتى ان اجمع فى ذلك كتابا حافلا اسميه نشق عرف دمشق اومشق قلم المدح لدمشق ولسان حالى الآن ينشد قول بعض الاكابر

نحن فى مصر رهن شوق اليكم * هل لديكم بالشام شوق الينا
نحن زاعمين ان تروا الديكم * وابيتم عن ان ترا كم لدينا
حفظ الله عهد من حفظ العهد ووفى به كما قد وفينا

وقول ابن الصائغ

وددت لو أن عينى * مكان كتبى اليكم
حتى أرا كم وأملى * أخبار شوقى عليكم

*(رجع الى ابن جبير) رحمه الله تعالى ومن شعره قوله

اياك والشهرة فى ملبس * والبس من الاثواب أسمالها
تواضع الانسان فى نفسه * أشرف للنفس وأسمى لها

وقال

تنزه عن العوراء مهما سمعتها * صيانة نفس فهو بالحر أشبه
اذا أنت حاوت السفيه مشافها * فمن تلقى الشتم بالشتم أسفه

وقال

اقول وقد حان الوداع واسلمت * قلوب الى حكم الاسى ومدامع
أيارب أهلى فى يديك وديعة * وما عدمت صونا لديك الودائع

وقال أبو عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يمدح ابن جبير المذكور

لابى الحسين مكارم لو أنها * عدت لما فرغت ليوم الحشر
وله على فضائل قد قصرت * عن بعض نعماها عظام الابحر

وقال ابن جبير من قصيدة مطلعها

الخضوع علم ان انت اثبت منه اصلا واسع فرعا وهو العلم الذى لا يحمول ... ان قطعت عنه المائدة لم تقطع عنك الفائدة وهو الذى يصحبك بالليل طاعة لك بالنهار ويطيعك فى السر كطاعته لك فى الحضر وقد قال الله تبارك وتعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فاخباره عن نفسه بالكرم وفى ذلك يقول بعض اهل الادب
لما علمت بانى لست اعزهم
دونا ولا هرباً ادمت
أحتجب
قصرت بالبيت مسرورا به جذلا
حاوى البراءة لا شكوى ولا شغب
فردا يحدثنى حقا و... لى
عن علم ماغاب عنى منهم الكتب
المؤنسون هم اللائى عنيت بهم
فليس لى فى جليس غيرهم ارب
لله در جليس لاجليس هم

فدا عشيرهم للسوء يرتقب وقد كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا تجالس الناس ويزاول منبره

يا وفود الله فزتم بالمنى * فهنيئا لكم أهل منى
قد عرفنا عرفات بعدكم * فلهذا برح الشوق بنا
نحن في الغرب ويجرى ذكركم * بغروب الدمع يجرى هتنا

ومنها

فبناديه على شحط النوى * من لنا أوما فقلت ملنا
سربنا يا حادى الركب عسى * أن نلاقى يوم جمع سربنا
ما دعا داعى النوى لما دعا * غير صب شفه برح العنا
ثم لنا البرق إذا لاح وقل * جمع الله بجمع شملنا
علنا نلنى خيالا منكم * باسديد الذكر وهنا علنا
لو حنى الدهر علينا لقضى * باجتماع بكم بالمنحنى
لاح برق موهنا من نحوكم * فلعمرى ما هنا العيش هنا
أنتم الأحباب نشكو بعدكم * هل شكوتم بعدنا من بعدنا

وله رحمه الله تعالى من قصيدة مطولة أولها

لعل بشير الرضا والقبول * يعلل بالوصل قلب الخليل

وله أخرى أنشدها عند استقباله المدينة المشرفة وهي ثلاثة وثلاثون بيتا من الغر أولها

أقول وآنست بالليل نارا * لعل سراج الهدى قد أنارا
وإلا فما بال أفق الدجى * كأن سنى البرق فيه استطارا
ونحن من الليل في حندس * فما باله قد تجلى نهارا

*وكان أبو الحسين بن جبير المترجم به قد نال بالأدب دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها وقال صاحب الملتمس في حقه الفقيه الكاتب أبو الحسين بن جبير ممن لقيته وجالسته كثيرا ورويت عنه وأصله من شاطبة وكان أبوه أبو جعفر من كتابها ورؤسائها ذكره أبو البسع في تاريخه ونشأ أبو الحسين على طريقة أبيه وتولع بغرناطة فسكن بها قال ومما أنشدنيه لنفسه وله يخاطب أبا عمران الزاهد بإشبيلية

أبا عمران قد خلفت قلبى * لديك وأنت أهل للوديعه
صحبت بك الزمان أحاوفاه * فها هو قد تنمر للقطيعه

قال وكان من أهل المروآت عاشقا في قضاء الحوائج والسعى في حقوق الإخوان والمبادرة لإيناس الغرباء وفي ذلك يقول

يحسب الناس بأنى متعب * في الشفاعات وتكليف الورى
والذى يعلمهم من ذاك لى * راحة في غيرها لن أفكرا
وبودى لو أفضى العمر في * خدمة الطلاب حتى في الكرى

قال ومن أبدع ما أنشده رحمه الله تعالى أول رحلته

طال شوقى إلى بقاع ثلاث * لا تشد الرحال إلا إليها
إن للنفس في سماء الأماني * طائرا لا يحوم إلا عليها

وكان لا يرى الا وفى يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم ار واعظا اوعظ من قبر ولا ممتعا امتع من كتاب ولا شأ اسلم من الوحدة فقيل له قد جاء في الوحدة ما جاء فقال ما أفسدها الجاهل وقد بعض الشعراء في مدح الكتب ولا يعلم من قائله واصل بلا صفار لا ... منهم

يبيدها الا كعلى الا بلادر ... العمرك ما يدرى امرؤ كيف يتقى ... اذا ... باله اوراح مال العراقي

(ذكر تنازع الناس في المعنى الذى من أجله سمى اليمن يمنا والعراق عراقا والشام شاما والحجاز حجازا) تنازع الناس في اليمن وتسميته فمنهم من زعم أنه إنما سمى يمنا لأنه عن يمين الكعبة وسمى الشام شاما لأنه عن شمال الكعبة وسمى الحجاز حجازا لأنه حاجز بين اليمن والشام نحو ما أخبر الله عز وجل من الفرق الذى بين بحر القلزم وبحر الروم بقوله عز وجل وجعل بين البحرين حاجزا وإنما سمى العراق عراقا لانصباب المياه إليه كالدجلة والفرات وغيرهما من الأنهار وأنه مأخوذ من عراقى الدلو وعراقى القربة ومنهم من زعم أن اليمن إنما سمى يمنا ليمنه والشام شاما لشؤمه وهذا قول يعزى إلى قطرب النحوى في آخرين من الناس ومنهم

قص منه الجناح فهو مهيص * كل يوم يرجو له قوع لديها

وقال

اذا بلغ العبد أرض الحجاز * فقد نال أفضل ما أمله
فان زار قبر نبي الهدى * فقد أكمل الله ما أمله

وعاد رحمه الله تعالى الى الاندلس بعد رحلته الاولى التي حل بها دمشق والموصل وبغداد ورك الى المغرب من عكا مع الافرنج فعطب في جزيرة صقلية وقاسى شدائد الى أن وصل الاندلس سنة ٥٨١ ثم اعاد المسير الى المشرق عدة الى ان مات بالاسكندرية قدم ومن شعره أيضا

لي صديق خسرت فيه ودادي * حين صارت بلا معنى ما بيننا
حسن القول سيء الفعل كالجزار يسمي واسع الفعل دينا

وحدث رحمه الله تعالى بكتاب الشفاء عن أبي عبد الله محمد بن عيسى التميمي عن القاضي عياض ولما قدم مصر سمع منه الحافظان أبو محمد المنذري وأبو الحسين يحيى بن علي القرشي وتوفي ابن جبير بالاسكندرية يوم الاربعاء السابع والعشرين من شعبان سنة ٦١٤ والدعاء عند قبره مستجاب قاله ابن الرفيق رحمه الله تعالى وقال ابن الرشيق في النسبة بعدها وقال أبو الربيع بن سالم أنشدني أبو محمد عبد الله بن التميمي الحاتي ويعرف بابن الحطب لابي الحسين ابن جبير وقال وهو مما كتب به الى من الديار المصرية في رحلته الاخيرة فأبلغه ولا تي تصانيفه وكان ابو الحسين سكنها فسل دلالة وتوفيت هنالك زوجته بنت أبي جعفر الوقشي فدفنها بها

بسبتة لي سكن في الثرى * وخل كريم اليها أتى
فلو استطيع ركبت الهوا * فزرت بها الحي والميتا

وانشد ابن جبير رحمه الله تعالى لنفسه عند صدوره عن الرحلة الاولى الى غرناطة أولى طرقها قوله

لي نحو أرض المنى من شرق اندلس * شوق يؤلف بين الماء والقبس

الى آخرها ومن شعره قوله

يا خير مولى دعاه عبد * أعمل في الباطل اجتهاده
هب لي ما قد علمت مني * يا عالم الغيب والشهاده

وقال رحمه الله تعالى

واني لاوثر من أصدقي * رأنفص عن زلة العاثر
واهوى الزيارة ممن أحب * لا أعتمد الفضل للزائر

وقال رحمه الله تعالى

عجبت للمرء في دنياه تطمعه * في العيش والاجل المحتوم يقطعه
يمسي ويصبح في عشواء يخبطها * أعمى البصيرة والآمال تخدعه
يغتر بالدهر مسرورا بصحبته * وقد تيقن ان الدهر يصرعه

ونسبهم تأثيم ونسبهم له هذا الاسم وسنذكر فرق هذه المسائل من أرض مال بعد هذا المربع وعرض سألوه في ذلك من الشعر عند فرهم في الارض واختيارهم القاطع وقيل اذا ما الشام شاماً لانا في أرضه بيض وسود وذلك في الغرب والبقاع وأنواع لثمات والاشجار وهذا قول الكلبي وقال الشرقي ابن القطامي انما سمي الشام شاما لسام بن نوح لانه أول من نزله فقد سن به فلما تكلمت به العرب غيرت من أن يقول سام فقالت شام ويقال ان سام انما سمي بذلك اضافة الى سام وقيل ان اول من سكنها من حلفاء من العماليق سمها بهذا الاسم وانها مرور لمن رآها وذكر ان أسماء هذه المدن والبقاع والامصار ونحوه غير ما ذكرنا فذا ما لها مما لف من كتابنا (ذكر اليمن وأسمائها وما قاله الناس في ذلك). اختلف الناس في أسماء اليمن قحطان فذكر هشام بن الكلبي عن ابيه والشرقي ابن القطامي انهما كانا

يذهبان الى أن قحطان ابن الهميسع بن تيمن بن نبت وهو نابت بن اسمعيل بن ابراهيم الخليل وان ذلك يرجوه من الاخبار

الكلبي عن أبي صالح ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على فتية من الانصار يتناضلون فقال ارموا يابني اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع ابن الادرع رجل من خزاعة فرمى القوم بأيديهم وقالوا يارسول الله من كنت معه وهذه بحل فقال ارموا وانا معكم جميعا (قال المسعودي) وسائر ولد قحطان من حمير وكهلان يأبى هذا القول وينكره وقد ذكرت أن قحطان هو يقظن وأعاربه قيل له قحطان (وحكى ابن الكلبي) أن اسم يقظن في التوراة الجبار بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن نوح والواضح من أنساب اليمن ومن يدين به كهلان وحمير ابنا قحطان الى هذا الوقت قولا وعملا وينقله الباقي عن الماضي والصغير عن الكبير والذي وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وسير ناس الامم وعليه وجدت الاكثر من شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بأرض اليمن والتهائم والانجاد وبلاد حضرموت والشحر والاحقاف وبلاد عمان وغيرها من الامصار أن الصحيح في نسب قحطان أنه قحطان بن عابر بن شالخ وهو قينان

وبجمع المال حرصا لا يفارقه * وقد درى انه للغير يجمعه
تراه يشفق من تضييع درهمه * وليس يشفق من دين يضيعه
وأسوأ الناس تدبيرا لعاقبة * من أنفق العمر فيما ليس ينفعه

وقال

صبرت على غدر الزمان وحقده * وشاب لي السم الذعاف بشهده
وجربت اخوان الزمان فلم أجد * صديقا جميل الغيب في حال بعده
وكم صاحب عاشرته وألفته * فما دام لي يوما على حسن عهده
وكم غرني تحسين ظني به فلم * يضئ لي على طول اقتداحي لزنده
وأعزز من عنقاء في الدهر مغرب * أخو ثقة يسعيك صافي وده
بنفسك صادم كل أمر تريده * فليس مضاء السيف الا بحده
وعزمك جرد عند كل مهمة * فما نافع ما كان الحسام بغمده
وشاهدت في الاسفار كل عجيبة * فلم أر من قد نال جدا بجده
فكن ذا اقتصاد في امورك كلها * فأحسن أحوال الفتى حسن قصده
وما يحرم الانسان رزقا لعجزه * كما لا ينال الرزق يوما بكده
حظوظ الفتى من شقوة وسعادة * جرت بقضاء لا سبيل لرده

وقال

الناس مثل ظروف حشوها صبر * وفوق افواهها شئ من العسل
تغر ذائقها حتى اذا كشفت * له تبين ماتحو يه من دخل

وقال

تغير اخوان هذا الزمان * وكل صديق عراه الخلل
وكانوا ادبعا على صحة * فقد داخلهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم * فصرت أطالع باب البدل

وقد تقدم بيتان من هذه الثلاثة على وجه آخر أول ترجمة المذكور ورأيت بخط ابن سعيد البيتين على وجه آخر وهو قوله

تشكلت أخلاء هذا الزمان * فعندي مما جنوه خلل
قضيت التعجب من شأنهم * فصرت أطالع باب البدل انتهى

ولابن جبير رحمه الله تعالى

من الله فاسأل كل أمر تريده * فما يملك الانسان نفعا ولا ضرا
ولا تتواضع للولاة فانهم * من الكبر في حال توجبهم سكرا
واياك أن ترضى بتقبيل راحة * فقد قيل عنها انها السجدة الصغرى

وهو نحو قول القائل

قل لنصر والمرء في دولة السلطان اعمى مادام يدعى اميرا
فاذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا

وقال

وقال ابن جبير رحمه الله تعالى

أيها المستطيل بالبغي اقصر * ربما طأطأ الزمان الرؤسا

وتذكر قول الإله تعالى * ان قارون كان من قوم موسى

وقال وقد شهد العيد بطندته من قرى مصر

شهدنا صلاة العيد في أرض غربة * بأحواز مصر والأحبة قد بانوا

فعلت لخلي في الهوى جد بدمع * فليس لنا الا المدامع قربان

وقال

قد أحدث الناس أمورا فلا * تعمل بها الا امرأ بان

فاجتمع الخير الا الذي * كان عليه السلف الصالح

وقال

زمان لم نر فيه سعة * فأطوعني قصاله العمر

لأحب اللبث في زمن * حاجتي فيه الى الدثر

فهو كسير لجبير * فاخر جبر له الكسر

ولما وصل ابن جبير رحمه الله تعالى الى مكة ١١ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ أنشد قصيدته التي أولها

بلغت المنى وحللت الحرم * فعاد شبابك بعد الهرم

فأهلا بمكة أهلا بها * وشكرا لمن شكره ملتزم

وهي طويلة وسيأتي بعضها وقال رحمه الله تعالى عند تركه للرحلة الحجازية

أقول وقد دعا للخير داع * حننت له حنين المستهام

حرام أن ألذ بلا اعتماص * ولم أرحل الى البيت الحرام

ولا طابت لي الآمال ان لم * أطف ما بين زمزم والمقام

ولا طابت حياتي لي اذا لم * أزر في طيبة خير الانام

وأهديه السلام وأقتضيه * رضا يدني الى دار السلام

وقال

هنيئا لمن حج بيت الهدى * وحط عن النفس أوزارها

وان السعادة مضمونة * لمن حج طيبة أو زارها

والحم ترجمته بقوله

أحب النبي المصطفى وابن عمه * عليا وسبطيه وفاطمة الزهرا

هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم * وأطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا

موالاتهم فرض على كل مسلم * وحبهم أسنى الذخائر للأخرى

وما أنا للصحب الكرام بمبغض * فاني أرى البغضاء في حقهم كفرا

هم جاهدوا في الله حق جهاده * وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا

عليهم سلام الله ما دام ذكرهم * لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا

والحصر عليه السلام من ولد ملكان في قول كثير من الناس وولد لقحطان أحد وثلاثون ذكرا وأمهم حنى بنت روق بن زارة ابن سعد بن سود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح فولد لقحطان يعرب ابن قحطان وولد يعرب يشجب وولد يشجب ولدا أحدهما عبد شمس وهو سبأ بن يشجب وانما سمي سبأ لأنه أول من سبى وولد سبأ حمير وكهلان ابني سبأ والثاني لم يعقب وانما العقب من ولده حمير وهما حمير وكهلان وهذا الذي عليه عند أهل الخبرة بهما ولم يبق لهم وقال الهيثم بن عدي الطائي يقول اسمعيل لم يلعه جرهم لان اسمعيل كان سرياني اللسان على لغة أبيه خليل الرحمن حتى نشأ فيهم وهو وأمه هاجر بمكة على ما ذكرنا وتصاهر جرهم ونشأ على لغتهم ونطق بكلامهم وبراز باني أن يكون اسمعيل نشأ على لغة جرهم ويقولون أن الله عز وجل أنطقه هذه اللغة وذلك ان ابراهيم خلفه هو وأمه هاجر واسمعيل ابن سبع عشرة سنة وقيل ابن أربع

 عشرة سنة في واد غير ذي زرع ولا أنيس فحفظهما الله تعالى وأنبع لهما زمزم ونشأ اسمعيل هذا

وقوله في آخر الميمية

نبي شفاعته معصمة * فيوم التنادي به يعتصم
عسى أن تجاب لنا دعوة * لديه فنكفي بها ما أهم
ويرعى لزواره في غد * ذماما فما زال يرعى الذمم
عليه السلام وطوبى لمن * ألم بتربته فاستلم
أخي كم تتابع أهواءنا * وتخبط عشواء في الظلم
رويدك جرنفعج واقتصد * أمامك نهج الطريق الاعم
وتب قبل عض بنان الاسى * ومن قبل قرعك سن الندم

ومنها

وقل رب هب رحمة في غد * لعبد بسيما العصاة اتسم
جرى في ميادين عصيانه * مسيئا ودان بكفر النعم
فيارب صفحك عما جنى * ويارب عفوك عما اجترم

*(ومن الراحلين الى المشرق من الاندلس الاديب أبو عامر بن عيشون) قال الفتح رجل حل المشيدات والبلاقع وحكى النسرين الطائر والواقع واستدر خلفي البؤس والنعيم وقعد مقعد البائس والزعيم فآونة في سماط وأخرى بين درانك وأنماط ويوما في ناووس وأخرى في مجلس مأنوس رحل الى المشرق فلم يحمد رحلته ولم يعلق بأنامل نحلته وارتد على عقبيه وارتد من حبالة الفوت الى منتظره ومرتقبه ومع هذا فله تحقق في الادب وتدفق طبع اذا مدح أو سب وقد أثبت له ما تعلم حقيقة نفاده وترى سرعة وخذه في طرق الاحسان واغذاذه ثم قال وأخبرني انه دخل مصر وهو سارق ظلم البؤس عار من كل لبوس قد حلا من النقد كيسه وتخلى عنه الا بعذره ونكيسه فنزل بأحد شوارعها لا يفترش الا نكده ولا يتوسد الا عضده وبات بليلة ابن عبدل تهب عليه صرصر لا ينفع منها ثبر ولا مندل فلما كان من السحر دخل عليه ابن الطوفان فاشفق لحاله وفرط امحاله وأعلمه أن الافضل بن أمير الجيوش استدعاه ولو ارتاد جوده بقطعة يغنيها له لاخصب مرعاه وصنع له في حينه

قل للملوك وان كانت لهم همم * تأوي اليها الاماني غير متئد
اذا وصلت بشاهنشاه لي سببا * فلن أبالي بمن منهم نفضت يدي
من واجه الشمس لم يعدل بها قمرا * يعشو الى ضوئه لو كان ذا رمد

فلما كان من الغد وافاه فدفع اليه خمسين مثقالا مصرية وكسوة وأعلمه انه غناء وجود الاظهار لفظه ومعناه وكرره حتى أثبته في سمعه وقرره فساله عن قائله فأعلمه بقائه وكلمه في رفع خلته فامر له بذلك وله أيضا رحمه الله تعالى

قصدت على أن الزيارة سنة * يؤكدها فرض من الود واجب
فالفيت باباسهل الله اذنه * ولكن عليه من عبوسك حاجب
مرضت ومرضت الكلام تثاقلا * الى أن خلت أنك عاتب

اللغة العربية قالوا ولغة يقضي ببطلان قول من قال ان اسمعيل أعرف بلغة جرهم ولو وجب أن يكون اسمعيل عربي اللسان لاجل جرهم لوجب أن يكون لغته موافقة للغة جرهم أو لغير هاشم نزل مكة ومن بعد فانقحطان سرياني اللسان وولده يعرب بخلاف لسانه وليس منزلة يعرب عند الله أعلى من منزلة اسمعيل ولا منزلة قحطان أعلى من منزلة ابراهيم وعظاه فضيلة اللسان العربي التي أعطيها يعرب ابن قحطان ولولد نزار وولد قحطان خطب طويل ومناظرات كثيرة لا يأتي عليها كتابنا هذا في التنازع والتفاخر بالانبياء والملوك وغير ذلك مما دلا بهما على ذكر جل من حجاجهم وما أدلى به كل فريق منهم ممن سلف وخلف وكذلك مناظرات السودان والبيضان والعرب والعجم ومناظرات الشعوبية في كتابنا أخبار الزمان *وزعم الهيثم بن عدي ان جرهم بن عابر بن سبا بن يقطن هو قحطان وتاول الهيثم قول النبي صلى الله عليه وسلم حين قال للرماة من الانصار ارموا يا بني اسمعيل أنه عليه السلام نسبهم الى اسمعيل من جهة الامهات وما لهم من الولايات من ولد فلا

ولا تتكلف للعروس مشقة سأرضيك بالهجران اذ أنت عاضب
فلا الارض بدمر ولا أنت أهلها * ولا الرزق ان أعرضت عنى جانب

وله يستعفي

كتبت ولو وفيت برك حقه : لما اقتصرت كفى على رقم قرطاس
وبانت عن الخط الخطاة بادرت * فطورا على عيني وطورا على راسي
سل الكاس عنى هل أديرت فلم أصح ، مذ صك الحانا سوغ بها كاسي
وهل ناع الآس الندامى فلم ادع ؛ ثمانى اذ كن من منافحة الآس

*(ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق أبو مروان الطبنى وهو عبد الملك بن زيادة الله)
قال فى الذخيرة كان أبو مروان هذا أحد حماة سرح الكلام وحملة ألوية الاقلام من أهل بيت اشتهروا بالشعر اشتهار المنازل بالبدر أراهم طرؤا على قرطبة قبل افتراق الجماعة وانتثار شمل الطاعة وأناخوا الى ظلها ولحقوا سروات أهلها وأبو مضر أبوه زيادة الله بن على التميمى الطبنى هو أول من بنى بيت شرفهم ورفع فى الاندلس صوته بنباهة سلفهم قال أبو حيان وكان أبو مضر نديم محمد بن أبى عامر أمتع الناس حديثا ومشاهدة وانصفهم ظرفا وأحدقهم بابواب الشحد والملاطفة وآخذهم بقلوب الملوك والجلة وأنظمهم لشمل افادة ونجعة انتهى المقصود منه ثم قال فى الذخيرة فأما ابنه أبو مروان هذا فكان من أهل الحديث والرواية ورحل الى المشرق وسمع من جماعة من المحدثين بمصر والحجاز وقتل بقرطبة سنة سبع وخمسين وأربعمائة انتهى وقد ذكر قصة قتله المستشنعة واتهم باغتياله ابنه ومن نظم أبى مروان الطبنى المذكور ما وجده صاحب الذخيرة فى بعض التعاليق بخط بعض أدباء قرطبة قال لما عدا أبو عامر أحمد بن محمد ابن أبى عامر على الجدلى فى مجلسه وضربه ضربا موجعا وأقر بذلك أعين مطالبيه قال أبو مروان الطبنى فيه

شكرت للعامرى ما صنعا * ولم أقل للجدلى لعا
ليث عرين عدا بعزته * مفترسا فى وجاره ضبعا
لا ترحت كفه محركة ، من الاسانى فهم ما صنعا
وددت لو كنت شاهدا لهما ، حتى يرى العين كل ما صنعا
ان طال من سجوده فلقد ، طال لغير السجود ما ركعا

قال ابن بسام وابن رشيق القائل قبله

كم ركعة ركع الصفعان تحت يدى ، ولم يقل سمع الله لمن حمده

ثم قال ابن بسام فى الذخيرة ما نصه والعرب تقول فلان يركع لغير صلاة اذا كنوا عن عهر الحلوه ومن ملح الكناية لبعض المتقدمين يخاطب امرأته

قلت التشيع حب أصلع هاشم : فترفضى ان شئت أو تتشيعى
قالت أصلع هاشم وفست * بأبى وأمى كل شئ أصلع

ولما صنت كتابى هذا من شين الهجاء وكبرته أن يكون ميدانا للسفهاء أجريت ههنا

ا معيل لان النبي صلى الله عليه وسلم لا برل تساقد نبت ولا نبت سب قوم الى غير آبائهم وقد علم ذلك جيلا وعملا وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أن سائلا سأله من مراده عن سبأ أرجلا كان أو امرأة أو وليا أو جبلا فقال له كان رجلا ولد له عشرة فتشاءم اربعة وتيامن منه فالذين تشاءموا لخم وجذام وعاملة وغسان والذين تيامنوا حمير والازد ومذحج وكندة والاشعريون وانمار الذين هم بجيلة وخثعم وقال ابن المدبر هو أنمار بن اراش ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا (قال المسعودى) وقد تنوزع فى نسب انمار فذهب الاكثر الى ان انمارا وايادا وربيعة ومضر بنو نزار بن معد بن عدنان وان انمار دخلوا فى اليمن فاضيفوا اليه وما ذكرناه عن النبى صلى الله عليه وسلم يمن تامن وتشاءم من احيار الآحاد وليس بحيث تثبت الاسناد ما لم يصح بها العدد وتثبت بها الحكم وللناس فى هؤلاء كلام كثير وقد ذكر هشام بن أبيه الكلبى قال كان يقال لسائر ولد سبا السبئيون ولم يكن لهم قبائل تجمعهم دون سبا وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر طريفة الكاهنة وخبر عمران الكاهن وهو

صاحب من مليح التعريض في ايجاز القريض مما الأدب على قائله ولا وصمة عظمى على من قيل فيه والهجاء ينقسم قسمين فقسم يسمونه هجو الاشراف وهو ما لم يبلغ أن يكون سبابا مقذعا ولا هجوا مستبشعا وهو طأطأ قديما من الاوائل وثل عرش القبائل انما هو توبيخ وتعيير وتقديم وتأخير كقول النجاشي في بني عجلان وشهرة شعره مغنية عن ذكره واستعدوا عليه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأنشدوه قول النجاشي فيهم فدرأ الحد بالشبهات وفعل ذلك بالزبرقان حين شكا بالحطيئة وسأله أن ينشد ما قال فيه فأنشده قوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ＊ واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

فسأل عن ذلك كعب بن زهير فقال والله ما أود بما قال له حمر النعم وقال حسان لم يهجه ولكن سلح عليه بعد أن أكل الشبرم فهم عمر رضى الله تعالى عنه بعقابه ثم استعطفه بشعره المشهور ＊ وقال عبد الملك بن مروان يوما احسابكم يا بنى أمية فما أود ان يكون لى ما طلعت عليه الشمس وان الاعشى قال فى

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم ＊ وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ولما سمع علقمة بن علاثة هذا البيت بكى وقال أنحن نفعل هذا بجاراتنا ودعا عليه فاظنك بشئ يبكى علقمة بن علاثة وقد كان عندهم لو ضرب بالسيف ما قال حس وقد كان الراعى يقول هجوت جماعة من الشعراء وما قلت فيهم ما تستحيي العذراء أن تنشده فى خدرها ولما قال جرير

فغض الطرف انك من نمير ＊ فلا كعبا بلغت ولا كلابا

أطفأ مصباحه ونام وقد كان بات ليلته يتململ لانه رأى أنه قد بلغ حاجته وشفى غيظه قال الراعى فخرجنا من البصرة فما وردنا ماء من مياه العرب الا وسمعنا البيت قد سبقنا اليه حتى أتينا حاضر بنى نمير فخرج الينا النساء والصبيان يقولون قبحكم الله وقبح ما جئتمونا به والقسم الثانى هو السباب الذى أحدثه جرير وطبقته وكان يقول اذا هجوتم فأضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ولا عيرت به قبيلة وهو الذى صاهذا المجموع عنه وأعفيناه أن يكون فيه شئ منه فان أبا منصور الثعالبى كتب منه فى يتيمته ما شانه اسمه وبنى عليه اثمه ＊ ومن مليح التعريض لاهل أوقفا قول بعضهم فى غلام كان يعشق رجلا يسمى بالبعوضة

أقول لشادنكم قولة ＊ ولكنها زمرة غامضة

لزوم البعوض له دائما ＊ يدل على انها حامضة

وأنشدت فى مثله قول بعض أهل الوقت

بينى وبينك سر لا أبوح به ＊ الكل يعلمه والله غافره

وحكى أبو عامر بن شهيد عن نفسه قال عاتبت بعض الاخوان عتابا شديدا عن أمر أوجع فيه قلبى وكان آخر الشعر الذى خاطبته به هذا البيت

وانى على ما هاج صدرى وغاظنى ＊ ليأمننى من كان عندى له سر

من مأرب ومن نحو عمان وشنوءة والسراة والشام وغير ذلك من بقاع الارض

＊(ذكر الملوك من اليمن وملوكها وعددها وسنيها)＊

أول من تعدد من ملوك اليمن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واسمه عبد شمس وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب وغيره من كتبنا الآية على تسمى سبا على ما قيل والله أعلم وكان ملكه أربعمائة سنة وأربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده ولده حمير بن سبا ابن يشجب بن يعرب وكان أشجع الناس فى وقته وأفرسهم وأكثرهم جمالا وكان ملكه خمسين سنة وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل وكان يعرف بالمتوج وكان أول من وضع على رأسه تاج الذهب من ملوك اليمن ثم ملك بعده أخوه كهلان ابن سبا فطال عمره وكبر سنه واستقامت له الامور وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل غير ذلك ثم عاد الملك بعد أن هلك كهلان الى ولد حمير لاخبار يطول ذكرها وتنازع فى الملك ولد حمير وكهلان ثم ملك أبو مالك عمرو بن سبا واتصل ملكه وعمر الناس عدله وشملهم احسانه وكان ملكه ثلثمائة سنة وقيل ان أول من ملك وكان

وكان هذا البيت أشد عليه من عض الحديد ولم يزل يعلو به حتى بكى الى منه بالدموع وهذا الباب ممتد الاطناب ويكفي ما مر وما نرسمه في أضعاف هذا الكتاب انتهى كلام ابن بسام في الذخيرة بلفظه ولا خفاء انه عارض بالذخيرة يتيمة الثعالبي ولذا قال في خطبة الذخيرة أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله والصلاة على سيدنا محمد خاتم رسله فإن ثمرة هذا الادب العالي الرتب رسالة تنثر وترسل وأبيات تنظم وتفصل تنثال تلك انثيال القطار على صفحات الازهار وتتصل هذه اتصال القلائد على نحور الخرائد وما زال في أفقنا هذا الاندلسي القصي الى وقتنا هذا من فرسان الفنين وأئمة النوعين قوم هم ما هم طيب مكاسر وصفاء جواهر وعذوبة موارد ومصادر لعبوا بأطراف الكلام المشقق لعب الدجى بجفون المؤرق وحدوا بفنون السحر المبين حداء الاعشى ببنات المحلق وصبوا على قوالب النجوم غرائب المنثور والمنظوم وباهوا غرر الضحى والاصائل بعجائب الاشعار والرسائل نثر لو رآه البديع لنسي اسمه أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه ونظم لو سمعه كثير ما نسب ولا مدح أو تتبعه جرول ما عوى ولا نبح الا أن أهل هذا الافق أبوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما وأخبارهم الباهرة وأشعارهم السائرة مرمى القصية ومناخ الرذية لا يعمر بها جنان ولا خلد ولا يصرف فيها لسان ولا يد فغاظني منهم ذلك وأنفت مما هنالك وأخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري وتتبع محاسن أهل بلدي وعصري غيرة لهذا الافق الغريب أن تعود بدوره أهلة وتصبح بحوره ثمادا مضمحلة مع كثرة أدبائه ووفور علمائه وقديما ضيعوا العلم وأهله ورب محسن مات احسانه قبله وليت شعري من قصر العلم على بعض الزمان وخص أهل المشرق بالاحسان وقد كتبت لارباب هذا الشان من أهل الوقت والزمان محاسن تبهر الالباب وتسحر الشعراء والكتاب ولم أعرض لشيء من أشعار الدولة المروانية ولا المدائح العامرية اذ كان ابن فرج الجياني قد رأى رأيي في الصفة وذهب مذهبي من الانفة فأملى في محاسن أهل زمانه كتاب الحدائق معارضا لكتاب الزهرة للاصبهاني فأضربت أنا عما ألف ولم أعرض لشيء مما صنف ولا تعديت أهل عصري ممن شاهدته بعمري أو لحقه أهل دهري اذ كل مردد ثقيل وكل متكرر مملول وقد مجت الاسماع

يا دارمية بالعلياء فالسند

الى أن قال بعد ذكره انه سيورد جملة من المشارقة مثل الشريف المرتضى والقاضي عبد الوهاب والوزير ابن المغربي وغيرهم ممن يطول ما صورته واعاد ذكرت هؤلاء اقتداء بأبي منصور في تأليفه المشهور المترجم بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر انتهى المقصود منه قلت وتذكرت بما أنشده في اله ياقوت الباقعة الشاعر المشهور أبي العباس أحمد الغفجومي الشهير بالجدامي وعامة الغرب يقولون الجراوي [illegible] وهو من بني غفجوم وهم بربر تادلا متوصلا بذلك الى هجو اصلاء فاس بني الملجوم ومستطرد الى ذلك ما هو في اطراده كالماء المسجوم وهو

بعد كهلان الرائش وهو الحرث بن ذي سدد ثم ملك جبار بن غالب بن الحرث بن صيفي بن [illegible] وكان ملكه [illegible] ان هذا الملك هو ابرهة بن الرائش المعروف بذي المنار ثم ملك بعده الرائش بن شداد بن ملطاط وكان ملكه ثمانيا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابرهة ابن الرائش وهو ذو المنار وكان ملكه مائة وثلاثين سنة ثم ملك بعده أخوه العبد ابن ابرهة وهو ذو الاذعار وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده الهدهاد ابن شرحبيل بن عمرو بن الرائش [illegible] رأى أنه عاش عشرين ومنهم من ذكر [illegible] ومنهم من قال [illegible] ثم ملك [illegible] الاول وكان ملكه أربعمائة سنة وذكر كثير من الناس أن بلقيس قتلته وقيل غير ذلك والاشهر ما قدمنا ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد وكان لمولدها خبر طريف ذكره الرواة فيما روي أنه تصور لابيها في بعض قنصه حيتان سوداء وبيضاء فأمر بقتل السوداء منهما وما ظهر له بعد ذلك من شيخ وشاب من الجن وان الشيخ زوجه بابنته واشترط عليه شروطا فعاشت منه بلقيس ونقص لك الشروط المذكورة على ما

يا ابن السبيل اذا مررت تادلا * لا تنزلن على بني يغفوم
أرض أغار بها العدو فلن ترى * الا مجاوبة الصدى للبوم
قوم طووا ذكر السماحة بينهم * لكنهم نشروا لواء اللوم
لا حظ في أموالهم ونوالهم * للسائل العافي ولا المحروم
لا يملكون اذا استبيح حريمهم * الا الصراخ بدعوة المظلوم
يا ليتني من غيرهم ولو انني * من أرض فاس من بني الملجوم

وقد ذكر غير واحد من المؤرخين ان أحد بني الملجوم قضاة فاس وأصلائها بيعت أوراق كتبه التي هي غير مجلدة بل متفرقة بستة آلاف دينار ويكفيك ذلك في معرفة قدر القوم ومع ذلك هجاهم بهذا والله سبحانه يغفر الزلات * (رجع) الى ما كنا فيه من ذكر من ارتحل من علماء الاندلس الى البلاد المشرقية المحروسة فنقول * (ومنهم حبيب بن الوليد بن حبيب الداخل الى الاندلس ابن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان) من أهل قرطبة ويعرف بدحون رحل الى المشرق وكان فقيها عالما أديبا شاعرا محسنا ورحل الى المشرق أيام عبد الرحمن بن الحكم وحج ولقي أهل الحديث فكتب عنهم وقدم بعلم كثير وكانت له حلقة بجامع قرطبة يسمع الناس فيها وهو يلبس الوشي الشامي الى أن أوصى اليه الامير عبد الرحمن بترك ذلك فتركه وتوفي بعد المائتين ومن شعره قوله

قال العذول وأين دليلك كلما * رمت اهتداء لم يزل متحيرا
فأجبته فالقلب أول خائن * لما تغير من هويت تغيرا
ونأى فبان الصبر عني جملة * وبقيت مسلوب العزاء كما ترى

ومن ولده سعيد بن هشام وكان أديبا عالما فقيها رحم الله تعالى الجميع ودخل دمشق وضمهم الاقدم وعاملها يومئذ للمعتصم بن الرشيد عمر بن فرج الرخجي فوافق دخوله اياها غلاء شديدا ومجاعة أشكت أهلها فضجوا الى الرخجي أن يخرج عنهم من عندهم من الغرباء القادمين عليهم من البلاد فأمر بالنداء في المدينة على كل من بها من طارئ وابن سبيل ليخرجوا عنها وضرب لهم أجلا ثلاثة أيام أوعد من تخلف منهم بعدها بالعقاب فابتدر الغرباء الخروج عنها وأقام دحون لم يتحرك فجيء به الى الرخجي بعد الاجل فقال له ما بالك عصيت أمري أو ما سمعت ندائي فقال له دحون ذلك النداء الذي وقفني فقال له وكيف فانتمى له فقال له الرخجي صدقت والله انك لاحق بالاقامة فيها فأقم ما أحببت وانصرف اذا شئت وكان لدحون هذا ابن يقال له بشر بن حبيب ويعرف بالحبيبي وهو من المشهورين بقرطبة وأمه المدنية الراوية عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وبنته عبدة بنت بشر مشهورة ولها رواية عنه رحم الله تعالى الجميع (ومنهم بهلول بن فتح) من أهل اقليش له رحلة حج فيها وكان رجلا صالحا خيرا حكي عن نفسه انه رأى في منامه بعد قدومه من الحج كأنه بمكة وقائل يقول انطلق بنا نصل مع النبي صلى الله عليه وسلم قال فكنت أقول لرجل من جيراني باقليش يا أبا فلان انطلق بنا نصل مع النبي صلى الله عليه وسلم فيقول لي لست أجد الى ذلك سبيلا فكنت أتوجه وأصلي مع الناس والنبي صلى الله عليه وسلم امامنا فلما سلم من الصلاة

ولا ثبت عنه في خبر طريف وهو موجود في كتب التبابعة وانما نحكي هذه الاخبار على حسب ما وجدناه في كتب الاخبار ونعزو على حسب ما توجد به الشهرة عنه والتسليم لها وليس قصدنا من ذلك وصف اقاويل اصحاب القدم لانهم ينكرون هذا او يعنوه وانما نحكي في هذا الكتاب اقاويل اصحاب الحديث المنقادين للشرع والمسلمين للحق والمخبرين الناطقين على حسب ما نطق به الكتاب المنزل على النبي المرسل وما قارن ذلك من الدلائل الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم واعجاز الخليقة أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكان ملك بلقيس عشرين ومائة سنة وكان من امرها مع سليمان عليه السلام ما ذكر الله عز وجل في كتابه وما اقتص من خبر الهدهد وما اقتص من أمرها ثم ملك اليمن ثلاثا وعشرين سنة ثم عاد بعد ذلك الملك الى حمير فملكهم ناشر النعم بن عمرو بن يعفر وكان ملكه خمسا وثمانين سنة ثم ملك بعده شمر بن يرعش وكان ملكه ثلاثا وخمسين سنة وسكن سمرقند وسار الى المشرق من بلاد خراسان والتبت والصين وسجستان ثم ملك بعده حسان بن تبع فاستقام له الامر ثم وقع بعد ذلك في ملكه تنازع

رجع الى وقال لى من ابن انت قلت له من الاندلس فكان يقول من اى موضع فكنت اقول من مدينة اقليش فيقول لى اتعرف اباسحق البوابى فكنت اقول هو جارى وكيف لا اعرفه فيقول لى أقرئه منى السلام (ومنهم ابو الحسن ثابت بن احمد بن عبد الولى الشاطبى) روى عن ابى زيد عبد الرحمن بن يعيش المهروى ورحل حاجا فسمع منه بالاسكندرية ابو الحسن بن المفضل المقدسى وحدث عنه بالحديث المسلسل فى الاخذ باليد عن ابن يعيش المذكور عن أبى محمد عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن خلف الاسدارى عن أبى الحسن طاهر بن مفوز وعليه مداره بالاندلس عن نصر السمرقندى باسناده وهو عند الحافظ ابن الابار وقد رويته مسلسلا من طرق بعضها عن ابن المفضل وأعلاها عن ابن أبى جمرة عن أبى بحر الاندلسى عن نصر السمرقندى فصار ابن المفضل بمنزلة من سمعه منى والحمد لله تعالى انتهى (ومنهم أبو أحمد جعفر بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن ميمون الحدى) سكن شاطبة وأصله من أنشيان عملها ويكنى أبا الفضل أيضا وسمع أبا طاهر بن عوف والحافظ السلفى وأبا عبد الله بن الحضرمى وأبا الثناء الحرانى وبدر بن عبد الله الحبشى والحسن بن المفضل وغيرهم وكان من أهل العناية بالرواية مع الصلاح والعدالة حسن الخط جيد الضبط سماه التجيبى فى معجم مشيخته وهو فى عداد أصحابه لاشتراكهما فى السماع باسكندرية وتركه هنالك ثم قدم عليه تلمسان من شاطبة فى أضحى سنة ست وثمانين وخمسمائة وحكى مما أفاده عن ابن المفضل أن أبا عبد الله الكرانى وكان شاعرا مجيدا اتهمته امرأة بأنه ولدها فسألته أن يرثيه فقال

بكى عليه بشجو * فقلت لا تندبيه
هذا زمان عجيب * قد عاش من مات فيه

وأخذ عنه الحافظ أبو الربيع بن سالم وقال انه توفى بعد التسعين وخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونة الخزاعى العابد) من أهل قسطنطانية عمل دانية أخذ القراآت عن ابن هذيل وسمع منه ومن ابن النعمة ببلنسية ورحل حاجا فأدى الفريضة ودخل الاسكندرية مرافقا لمن سمع من السلفى ولم يسمع منه شيأ قاله ابن الابار فيما علمت وقفل الى بلده مائلا الى الزهد والاعراض عن الدنيا وكان شيخ المتصوفة فى وقته وعلا ذكره وبعد صيته فى العبادة الا انه كانت فيه غفلة قال ابن الابار رأيته اذ قدم بلنسية لاحياء ليلة النصف من شعبان سنة احدى عشرة وستمائة وتوفى عن سن عالية تقارب المائة منتصف ذى القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة وشهد جنازته بشر كثير من جهات شتى وانتاب الناس قبره دهرا طويلا يتبركون بزيارته الى حين اجلاء الروم من كان يشاركهم من المسلمين ببلاد شرق الاندلس التى تغلبوا عليها وذلك فى شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة (ومنهم ابو جعفر النحوى) أحد الذين نزل مصر وكان من رؤساء اهل العلم بالنحو وله حال جليلة ذكره الطبنى فيما حكاه ابن الابار (ومنهم ابو الحسن جابر بن أحمد بن عبد الله الخزرجى القرطبى) وكناه بعضهم ابا الفضل سمع ببلده من ابى محمد بن عتاب وغيره ورحل حاجا فأدى الفريضة وكان اديبا ناظما كتب عنه ابو محمد العثمانى بالاسكندرية بعض شعره (ومنهم ابو الحسن

وخلاف وكان ملكه الى أن قتل خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده عمرو بن تبع وهو الذى قتل أخاه حسان الملك الماضى وكان ملكه أربعا وستين سنة وقال بعضهم النوم لما كان من فعله فى قتل أخيه ثم ملك بعده تبع بن حسان بن كليكرب وهو الملك السائر من اليمن الى الحجاز وكانت له مع الاوس والخزرج حروب وأراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من أحبار اليهود فلما أصابه العضب اليمانى سار نحو اليمن وقد تهود وغلب على أهل اليمن اليهودية ورجعوا عن عبادة الاصنام وكان ملكه نحو مائة سنة ثم ملك عمرو بن تبع بعده مرثد وتنازع كان بينهم فى الملك ثم خلع عن الملك ومالوا الى مرثد بن كلال وكان فى اليمن تنازع وحروب وكان ملكه أربعين سنة ثم ملك بعده وكيعة بن مرثد وكان ملكه سبعا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح ابن وكيعة بن مرثد وهو الذى يدعى شيبة الحمد وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة وقيل أقل من ذلك وكان علامة وله سير مدونة ثم ملك بعده عمرو بن ذى يمان وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم ملك بعده ذو شناتر ولم يكن من أهل بيت الملك فغرى بالاحداث من أبناء الملوك ويطالبهم بما طالب به الدرار وأظهر

جهور بن خلف بن ابى عمر بن قاسم بن ثابت المعافرى) رحل حاجا الى المشرق فادى الفريضة وسمع بالاسكندرية من ابى طاهر السلفى سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وسمع ايضا من غيره وطال مكثه هنالك وهو فيما رجحه بعضهم من اهل غرب الاندلس *(ومنهم ابو على الحسن بن حفص بن الحسن البهرانى الاندلسى) رحل وتجول ببلاد المشرق فسمع ابا محمد عبد الله بن حمويه وابا حامد احمد بن محمد بن رجاء بسرخس وابا محمد بن أبى شريح بهراة وابا عبد الله الحسين بن عبد الله المفلحى بالاهواز وأبا بكر أحمد بن جعفر البغدادى وأبا حامد أحمد بن الخليل وابا حاتم حامد بن العباس وابا محمد الحسن بن رشيق بمصر وقدم دمشق فروى عنه من اهلها تمام بن محمد وبنيسابور احمد بن منصور بن خلف المغربى وغيره وذكره ابن عساكر وقال اخبرنا أبو عبد الله الحسين بن احمد بن على بن فطيمة وأبو القاسم زاهر بن طاهر قالا انا ابو بكر احمد بن منصور انا ابو على الحسن بن جعفر القضاعى انا الحسن بن رشيق بمصر انا المفضل بن محمد الجندى أنا ابو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى قال سمعت مالك بن أنس يقول لا يحمل العلم عن أهل البدع كلهم ولا يحمل العلم عمن لم يعرف بالطلب ومجالسة أهل العلم ولا يحمل عمن يكذب فى حديث الناس وان كان فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا لان الحديث والعلم اذا سمع من العالم فقد جعل حجة بين الذى سمعه وبين الله تبارك وتعالى وانما قال فيه القضاعى لان بهران من قضاعة *(ومنهم أبو على الحسن ابن خلف بن يحيى بن ابراهيم بن محمد الاموى) من أهل دانية ويعرف بابن برنجال سمع من أبى بكر بن صاحب الاحباس وأبى عثمان طاهر بن هشام وغيرهما وله رحلة حج فيها وسمع من أبى اسحق ابراهيم بن صالح القروى وببيت المقدس من أبى الفتح نصر بن ابراهيم سنة خمس وستين وأربعمائة وبعسقلان من أبى عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد التجيبى وأخذ عنه كتاب الوقف والابتداء لابن الانبارى بسماعه من عبد العزيز الشعيرى عن مؤلفه وكان فقيها على مذهب مالك وولى الاحكام ببلده وحدث وأخذ عنه وسمع الناس منه باسكندرية سنة تسع وستين ثم بدانية سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وتوفى فى نحو الخمسمائة رحمه الله تعالى (ومنهم أبو على الحسن بن ابراهيم بن محمد بن بقى الجذامى المالقى) روى بقرطبة عن أبى محمد بن عات وعن أبى بكر الصدفى بمرسية سنة ثمان وخمسمائة وصحب أبا مروان بن مرة وكان من أهل الرواية والتقييد وكانت له رحلة سمع فيها من أبى الطاهر السلفى مجالسه التى أملاها بسلماس برجب سنة خمس عشرة وخمسمائة حسبما ألفى بخط السلفى وفى رحلته لقيه أبو على الحسن بن على البطليوسى نزيل مكة وحدث عنه أبو طالب أحمد بن مسلم المعروف بالتنوخى من أهل الاسكندرية بكتاب الاستيعاب لابن عبد البر أجازله اجازة عامة فى السنة السابقة وقال ابن عساكر فى تاريخه وذكر أبا ذر الهروى سمعت أبا الحسن على بن سليمان المرادى الحافظ الاندلسى بنيسابور يقول سمعت أبا على الحسن بن على الانصارى البطليوسى قال ابن عساكر وقد لقيته ولم اسمعها منه قال سمعت أبا على الحسن بن ابراهيم بن بقى الجذامى المالقى يقول سمعت بعض الشيوخ يقول قيل لابى ذر الهروى أنت من هراة فمن أين تمذهبت لمالك والاشعرى

الفسق باليمن واللواط وعدل مع ذلك فى الرعية وأنصف المظلوم وكان ملكه ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وقتله يوسف ذو نواس وكان من أبناء الملوك خوفا على نفسه وانفة أن يفسق به ثم ملك بعده يوسف ذو نواس بن زرعة بن تبع الاصغر بن حسان بن كليكرب وقد ذكرنا خبره فى غير هذا الموضع من كتبنا وما كان من أمره مع أصحاب الاخدود وتحريقه اياهم بالنار وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه فقال قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود ولما عبرت الحبشة من بلاد ناصع والزيلع وهو ساحل الحبشة على حسب ما ذكرنا الى بلاد زبيد من أرض اليمن فغرق يوسف نفسه بعد حروب طويلة خوفا من العار وكان ملكه مائتى سنة وستين سنة وقيل أقل من ذلك وذلك أن النجاشى ملك الحبشة لما بلغه فعل ذى نواس بأتباع المسيح عليه السلام وما يعد بهم به من أنواع العذاب والتحريق بالنار بعث اليه الحبشة وعليهم أرياط بن أصحمة فملك اليمن عشرين سنة ثم وثب عليه ابرهة الاشرم بن يكسوم فقتله وملك اليمن فلما بلغ ذلك من فعله الى النجاشى غضب عليه وحلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ تربته يعنى أرض اليمن فبلغ ذلك ابرهة

فقال

فقال اني قدمت بغداد أطلب الحديث فلزمت الدارقطني فلما كان في بعض الايام كنت معه فاجتاز به القاضي أبو بكر بن الطيب فاظهر الدارقطني من اكرامه ما تعجبت منه فلما فارقه قلت أيها الشيخ الامام من هذا الذي أظهرت من اكرامه ما رايت فقال أوما تعرفه قلت لا فقال هذا سيف السنة أبو بكر الاشعري فلزمت القاضي منذ ذلك واقتديت به في مذهبه انتهى (ومنهم أبو علي الحسن بن علي بن الحسن بن عمر الانصاري البطليوسي) رحل الى المشرق فادى الفريضة وتجول هنالك ولقي أبا الحسن بن الفرج الصقلي وأبا عبد الله العراوي فسمع منهما الصحيحين بعلو وسمع من ابي الفتح ناصر بن أبي علي الطوسي سنن أبي داود وحدث بالموطأ عن أبي بكر الطرطوشي وله أيضا رواية عن زاهر بن طاهر الشحامي وعبد المنعم بن عبد الكريم القشيري وأبي محمد الحريري سمع منه مقاماته الخمسين بمنزله من بغداد ونزل بمكة وجاور بها وحدث فيها وفي غيرها واسن وكان ثقة مسندا روى عنه أبو عبد الله بن أبي الصيف اليمني وابو حفص بن شراحيل الاندلسي وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الاربلي وسمع منه في صفر سنة ست وستين وخمسمائة وقد لقيه أبو القاسم بن عساكر الحافظ وروى عنه ❊ (ومنهم أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الانصاري) من أهل المرية عمل بلنسية ويعرف بابن الرهيل سمع من أبي الحسن بن النعمة كثيرا واختص به وعنه أخذ القرا آت وسمع من ابن هذيل أيضا ثم رحل حاجا فلقي بالاسكندرية سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أبا طاهر السلفي وابا عبد الله بن الحضرمي وسمع منهما وجاور بمكة واخذ بها عن ابي الحسن علي بن حميد الطرابلسي صحيح البخاري وكان يرويه عن ابي مكتوم عيسى بن ابي ذر الهروي عن ابيه وسمع ايضا من ابي محمد المبارك بن الطباخ البغدادي واجاز له ابو المفاخر سعيد بن الحسين الهاشمي وابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي ببجاية عند صدره في ربيع الاول سنة سبع وسبعين وقفل الى بلده فلزم الانقطاع والانقباض عن الناس والاقبال على ما يعنيه وكان قد خطب به قبل رحلته وحكى التجيبي ان طلبة الاسكندرية راجعوا عنه لسماع التيسير لابي عمرو المقري منه بروايته عن ابن هذيل سماعا في سنة ثلاث وخمسين وصار له بذلك عندهم وجاهة وبعد قفوله اصابه خدر منعه من التصرف وكان الصلاح غالبا عليه وتوفي غدوة الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة وكانت جنازته مشهودة رحمه الله تعالى ❊ (ومنهم الحسين بن احمد بن الحسين بن حي التجيبي القرطبي) اخذ علم العدد والهندسة عن ابي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن برغوث وكان كلفا بصناعة التعديل وله زيج مختصر ذكره القاضي صاعد ونسبه به وحكى انه خرج من الاندلس في سنة اثنتين واربعين واربعمائة بعد ان نالته بها وبالبحر محن شداد ولحق بمصر ثم رحل عنها الى اليمن واتصل باميرها فحظي عنده وبعثه رسولا الى القائم بامر الله الخليفة ببغداد ونال هنالك دنيا عريضة وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد سنة ست وخمسين واربعمائة رحمه الله تعالى ❊ (ومنهم أبو يوسف حماد بن الوليد الكلاعي) اخذ بقرطبة عن ابي المطرف القنازعي وغيره ورحل الى المشرق وحدث بالاسكندرية فسمع منه بها يحيى بن ابراهيم بن عثمان بن شبل شرح الاعتقاد من تاليفه ورسالة ذم الحرص وقصر

اليمن في جراب وانفذ ذلك الى النجاشي ملك الحبشة وضم الى ذلك هدايا كثيرة والطافا وكتب اليه يعترف بالعبودية ويحلف له بدين النصرانية أنه في طاعته وأنه بلغه أن الملك حلف بالمسيح أن يجز ناصيته ويريق دمه ويطأ أرضه وقد انفذت الى الملك ناصيتي فليجزها بيده ودمي في قارورة فليرقه وبجراب من تربة بلادي فليطأه بقدميه وليطفئ الملك غضبه فقد أبررت يمينه وهو على سرير ملكه لما وصل ذلك الى النجاشي استصوب رأيه واستحسن عقله وصفح عنه ❊ وأبرهة بن يكسوم هو الذي سار باصحاب الفيل لاخراب الكعبة وذلك لاربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان فعدل الى الطائف فبعثت معه ثقيف بابي رغال ايدله على الطريق السهل الى مكة فهلك أبو رغال في الطريق بموضع يقال له المغمس بين الطائف ومكة فرجم قبره بعد ذلك وفي ذلك يقول جرير بن الخطفي في الفرزدق

اذا مات الفرزدق فارجموه
كما ترمون قبر أبي رغال

 (قال المسعودي) رحمه الله وقيل ان أبا رغال رجمه صالح النبي صلى الله عليه [illegible]

الاول والحث على العمل وذلك في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ولقيه هنالك أبو مروان الطبني فسمع منه بعض فوائده * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير) من أهل طرطوشة يعرف بالجبيري وهو والد أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيري الفقيه وكانت له رحلة الى المشرق ومعه رحل ابنه وهو صغير وكان من أهل العلم والنزاهة وعليه نزل القاضي منذر بن سعيد بطرطوشة في ولايته قضاء الثغور الشرقية قال أبو عبيد نزل القاضي منذر بن سعيد على أبي بطرطوشة وهو يومئذ يتولى القضاء في الثغور الشرقية قبل أن يلي قضاء الجماعة بقرطبة فانزله في بيته الذي كان يسكنه فكان اذا تفرغ نظر في كتب أبي فرأى بين يديه كتابا فيه ارجوزة ابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليا فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان الى عبد الرحمن بن محمد فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب

أوما علي لا برحت ملعنا * يا ابن الخبيثة عندكم بامام

رب الكساء وخير آل محمد * داني الولاء مقدم الاسلام

قال أبو عبيد والابيات بخطه في حاشية كتاب ابي الى الساعة وكانت ولاية منذر للثغور مع الاشراف على العمال بها والنظر في اختلافين من بلاد الافرنج اليها سنة ثلاثين وثلثمائة (ومنهم أبو القاسم خلف بن محمد بن خلف الغرناطي) له رحلة روى فيها بالاسكندرية عن مهدي بن يوسف الوراق وحدث عنه أبو العباس بن عيسى الدالي بالتلقين للقاضي عبد الوهاب * (ومنهم أبو القاسم خلف بن فرج بن خلف بن عامر بن خلون القنطري) من قنطرة السيف وسكن بطليوس ويعرف بابن الروية رحل حاجا فادى الفريضة ولقي بمكة رزين ابن معاوية الاندلسي فحمل عنه كتابه في تجريد الصحاح سنة خمس وخمسمائة وفيها حج وقفل الى بلده بعد ذلك وكان فقيها مشاورا حدث عنه ابن خير في كتابه اليه من بطليوس في نحو الثلاثين وخمسمائة (ومنهم زرارة بن محمد بن زرارة الاندلسي) رحل حاجا الى المشرق وسمع بمصر أبا محمد الحسن بن رشيق سنة سبع وستين وثلثمائة وأبا بكر مسرة بن مسلم الصدفي حدث وأخذ عنه (ومنهم طاهر الاندلسي من أهل مالقة يكنى أبا الحسين) رحل الى قرطبة وخرج منها لما دخلها البرابر عنوة سنة ثلاث وأربعمائة فلم يزل بمكة الى حدود الخمسين وأربعمائة وكان من أصحاب أبي عمر الطلمنكي وملازميه لقراءة القرآن وطلب العلم مع أبي محمد الشنتجالي وأبي أيوب الزاهد امام مسجد الكوائين بقرطبة وجاور بمكة طويلا وأقرأ على مقربة من باب الصفا وكان الشيبيون يكرمونه ويفرجون له لضعفه عند دخوله البيت الحرام ذكره الطبني قال ابن الابار وأحسبه المذكور في برنامج الحولاني والذي قرأ لهم أكثر المدونة على أبي عمر أحمد بن محمد الريات انتهى * (ومنهم أبو الطاهر الاندلسي من أهل لبلة) نزل مصر وكانت له حلقة بجامع عمرو بن العاص وكان رحمه الله تعالى نحويا له شعر وترسيل وتعلق بالملوك للتاديب بالنحو ثم ترك ذلك * (ومنهم أبو محمد طارف بن موسى بن يعيش المنصفي المخزومي) والمنصفي نسبة الى قرية بغربي بلنسية ويكنى أيضا أبا الحسن رحل قبل العشرين وخمسمائة فادى الفريضة وجاور بمكة وسمع بها من أبي عبد الله الحسين بن علي الطبري ومن

واساء السيرة فوثب عليه ثقيف وهو قسي بن منبه فقتله قتلة شنيعة لسوء

الاموال فخالف أمره سيرته في أهل الحرم فقتل غيلان بن سلمة وذكر قسوة أبيهم ثقيف على أبي رغال

نحن قسي وقسا أبونا

وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت الثقفي

قوما عن أرضهم عدوان طرا
وكانوا اللقاتل فاهرينا
وهم قتلوا الرئيس ابا رغال
بمكة اذ يسوق بها الوضينا

وفي ذلك يقول جرير بن عطاء العبدي

فاني ان قطعت حبال قيس
وخالفت المرور على تميم
لأعظم من فجار أبي رغال
وأجور في الحكومة من سذوم

وقال مسكين الدارمي

وأرجم قبره في كل عام
كرجم الناس قبر أبي رغال

وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب قصة الحبشة وورودهم الحرم وما كان من أمرهم في ذلك قال وفي طريق العراق الى مكة وذلك بين الثعلبية والهذنية نحو المنظامية موضع يعرف بقبر العبادي ترجمه المارة الى هذه الغاية كما ترجم قبر أبي رغال وللعبادي خبر ظريف قد أتينا على ذكره في كتاب أخبار الزمان وفي كتاب حدائق

الشر بف أبى محمد عبد الباقى الزهرى المعروف بشقران أخذ عنه كتاب الاحياء للغزالى لمؤلفه وسمع بالاسكندرية من أبى بكر الطرطوشى وأبى الحسن بن مشرف وأبى عبد الله الرازى وأبى طاهر السلفى وغيرهم ثم قفل الى بلده فحدث وأخذ الناس عنه وسمعوا منه وكان شيخا فاضلا عالى الرواية ثقة قال ابن عبادلم ألق أفضل منه وكان مجاب الدعوة وحدث عنه بالسماع والاجازة جملة منهم أبو الحسن بن هذيل وأبو محمد القلنى وأبو مروان بن الصيقل وأبو العباس الاقليشى وأبو بكر بن حمر وابن سعد الخير وأبو محمد عبد الحق الاشبيلى وأبو بكر ابن جزى وغيرهم ثم رحل ثانية الى المشرق مع صهره أبى العباس الاقليشى وأبى الوليد بن حيرة الحافظ سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وقد نيف على التسعين فاقام بمكة مجاورا الى أن توفى بها عن سن عالية رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وخمسمائة : (ومنهم محمد بن ابراهيم ابن مزين الاودى) من أهل اكشونية غربى الاندلس يكنى أبا عمرو ولاه عبد الرحمن بن معاوية قضاء الجماعة بقرطبة وذلك فى المحرم سنة سبعين ومائة وأقام أشهرا ثم استعفى فاعفاه ورحل حاجا فادى الفريضة وسمع فى رحلته امامنا مالك بن أنس وانصرف ومات عن سن عالية سنة ثلاث وثمانين ومائة وذكره ابن شعبان فى الرواة عن مالك وحكى انه روى عنه من قطع لسانه استؤنى به عاما وأن مالكا قال له قد بلغنى أن بالاندلس من نبت لسانه فان لم ينبت أقيد منه (ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد حيازة الشاطبى الاوسى) قدم مصر وكان أخذ عن ابن برطله وابن البراء وغيرهما وعمل فهرست شيوخه على حروف المعجم وحج وعاد الى بلده ومات يوم الجمعة حادى عشر رجب سنة ثمانى عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى وغفر له (ومنهم القاضى أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن على بن شريعة بن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمى الاندلسى الاشبيلى) قال أبو شامة هو من بيت كبير بالاندلس يعرف ببنى الباجى مشهور كثير العلماء والفضلاء وأصلهم من باجة القيروان وليس منهم القاضى أبو الوليد الباجى الفقيه فانه من بيت آخر من باجة الاندلس وقدم أبو مروان حاجا من بلاده فى البحر الى عكا من ساحل دمشق ثم دخل دمشق سادس شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة ونزل عندنا بالمدرسة العادلية وجده الاعلى أحمد بن عبد الله بن محمد بن على قدم الى الديار المصرية فحج منها ومعه ولده محمد أخو عبد الملك ويعرف بصاحب الوثائق وسمعا بها من جماعة من العلماء وذكر أبو عبد الله الحميدى أحمد بن عبد الله هذا فى المقتبس وكناه أبا عمر وذكر انه سكن اشبيلية وأثنى عليه كثيرا وقال مات فى حدود الاربعمائة وروى عنه ابن عبد البر وغيره وأبوه عبد الله بن محمد ابن على يعرف بالرواية ذكره الحميدى أيضا وذكر ابن بشكوال فى الصلة عبد الملك بن عبد العزيز جد هذا الشيخ القادم وأثنى عليه وقال توفى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وكان هذا الشيخ أبو مروان حسن الاخلاق فاضلا متواضعا حسنا وسمعته يقول وقد سئل اعارة شئ فبادر اليه ثم قال عندى فى قوله تعالى ويمنعون الماعون هو كل شئ واستفدنا من هذا الشيخ فائدة جليلة وهى معاينة قدر مد النبى صلى الله عليه وسلم وهو عندهم متوارث وقد أخبر عن ذلك أبو محمد بن حزم فى كتابه المحلى وعايرت بذلك المد المد الذى لنا بدمشق حينئذ

الاذهان وفى أخبار أهل البيت رضى الله عنهم وكان ملك ابرهة على اليمن الى أن هلك بعد أن رجع من الحرم وقد سقطت أنامله وتقطعت أوصاله حين بعث الله عليه الطير الابابيل ثلاثا وأربعين سنة وكان قدوم أصحاب الفيل مكة يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمانمائة واثنتين وثلاثين سنة للاسكندر وست عشرة سنة ومائتين من تاريخ العرب الذى أوله حجة العدد وسنذكر بعد هذا فى الموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا من تاريخ العالم وتاريخ الانبياء والملوك فى باب نفرده لذلك ان شاء الله تعالى (ثم ملك اليمن بعد ابرهة الاشرم ولده يكسوم) فعم اذاه سائر اليمن وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة (ثم ملك بعده مسروق ابن ابرهة) فاشتدت وطأته على اليمن وعم اذاه سائر الناس وزاد على أبيه وأخيه فى الاذى وكانت أمه من آل ذى يزن وكان سيف بن ذى يزن قد ركب البحار ومضى الى قيصر يستنجده فاقام ببابه سبع سنين وأبى أن ينجده وقال أنتم يهود والحبشة نصارى وليس فى الديانة أن ينصر المخالف على الموافق فمضى الى كسرى أنوشروان فاستنجده ومت اليه بالقرابة وسأله النصرة فقال له كسرى وسا

وهو الكيل الكبير فوجدته مدنا ونصفا بالمد الاصغر او وجدته ممسوحا ربع صاع او نصفا وبه أيكون مدان ممسوحان ثلاثة أرباع زائدة وقرأت في كتاب المحلى لابن حزم قال أبو محمد وخرج لي بعد على تحقيق المد المتوارث عند آل عبد الله بن علي الباجي وهو عند أكثرهم لا يفارق داره أخرجه الى ثقتي الذي كلفته ذلك علي بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن علي المذكور وذكر انه مد أبيه وان جده أخذه وخرطه على مد أحمد بن خالد وأخبره أحمد بن خالد انه خرطه على مد يحيى بن يحيى على مد مالك قال أبو محمد ولا شك ان أحمد بن خالد صححه أيضا على مد محمد بن وضاح الذي صححه ابن وضاح بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام قال أبو محمد ثم كلته بالقمح الطيب ثم وزنته فوجدته رطلا واحدا ونصف رطل بالفلفلي لا يزيد حبة وكلته بالشعير الا انه لم يكن بالطيب فوجدته رطلا واحدا ونصف أوقية وسألت عن الرطل الفلفلي فقيل لي هو ست عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم وفي تقدير ابن حزم نظر وتوفي هذا الشيخ بالقاهرة سنة خمس وثلاثين وستمائة بعد رجوعه من الحج رحمه الله تعالى انتهى كلام أبي شامة وبعضه بالمعنى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الواعظ الاشبيلي ثم المصري) فاضل شرح الصدور بلفظه ومتكلم أحيا القلوب بوعظه أحواله مشهورة ومجالسه بالذكر معمورة وله معرفة بالادب وخبرة بالشعر والخطب وكلام وجيه حسن ونظم بمثله تاز به على كثير من أرباب اللسن قاله ابن حبيب الحلبي قال وهو القائل

من أنت محبوبه من ذا يغيره * ومن صفوت له من ذا يكدره

هيهات عنك ملاح الكون تشغلني * والكل أعراض حسن أنت جوهره

وقال

ألا كف البرقع عن بكر العقار * واخل في ليلك مع شمس النهار

وانهب العيش ودع مغالطا * ينقضي ما بين هتك واستتار

ان تكن شيخ خلاعات الصبا * فالبس الصبوة في خلع العذار

وارض بالعار وقل قد آن لي * في هوى خمار كاسي لبس عار

وقال

حثوا الى نجد نياق الهوى * فثم واد جوه معشب

وانتظروا حتى يلوح الحمى * فالعيش فيه طيب طيب

وتوفي سنة أربع وثمانين وستمائة هكذا ذكر ترجمته ابن حبيب ثم بعد كتبها حصل لي شك هل هو ممن ارتحل بنفسه من الاندلس أو ولد بمصر وانما ارتحل اليها بعض سلفه والله تعالى أعلم وكذا ذكر آخر يقول في سنة سبع وثمانين وستمائة وفيها توفي الامام زكي الدين أبو اسحق ابراهيم بن عبد العزيز بن يحيى بن علي الاشبيلي المالكي محدث عالم زاهد فيما ليس بدائم كثير الخير جزيل المير كان حسن المناهج قاضيا للحوائج محسنا الى الصامت والمعرب متعهدا لمن يرد من الحجاز والمغرب سمع بمصر ودمشق وحلب وأفتى ودرس مفيدا لذوي الطلب ولم يبرح يعين بأياديه ويغيث وهو أول من باشر بظاهرية دمشق مشيخة الحديث وكانت وفاته بدمشق عن نيف وسبعين سنة انتهى * (ومنهم اللاحق بالسبق والتقدم بقي بن

هذه الغرابة التي أدليت بها الى فقال أيها الملك الجبلة وهي الجلدة البيضاء اذ كنت أقرب اليك منهم فوعده أنوشروان بالنصرة على السودان وشغل بحرب الروم وغيرها من الامم ومات سيف بن ذي يزن فأتى ابنه معديكرب بن سيف فصاح على باب الملك فلما سئل عن حاله قال لي قبل الملك ميراث فوقف بين يدي أنوشروان فسأله عن ميراثه فقال أنا ابن الشيخ الذي وعده الملك بالنصرة على الحبشة فوجه معه وهرز الاصبهبذ الديلمي في أهل السجون فقال ان ظفروا فلنا وان هلكوا فلنا كلا الوجهين فحملوا في السفن ومعهم خيولهم وعددهم وأموالهم حتى أتوا ابلة البصرة وهي برج البحر ولم يكن حينئذ بصرة ولا كوفة وهذه مدن اسلامية فركبوا الى سفن البحر وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت بموضع يقال له مثوب فخرجوا من السفن وقد كان أصيب بعضهم في البحر فهم وهرز أن يحرقوا السفن ليعلم اصحابه انه الموت ولا وجه الا الموت ولا يولون الدبر اليه فيجهدون أنفسهم وفي ذلك يقول رجل من حضرموت

أصبح من مثوب ألف في الجن * من رهط ساسان ورهط مهرمن ليخرجوا السودان من أرض اليمن * ذلهم قصد السبيل ذو يزن

مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن القرطبي الاندلسي الحافظ أحد الاعلام وصاحب التفسير
والمسند) أخذ عن يحيى بن يحيى الليثي ومحمد بن عيسى الاعشى وارتحل الى المشرق ولقي الكبار
وسمع بالحجاز مصعبا الزهري وابراهيم بن المنذر وطبقتهما وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عباد
وطائفة وبدمشق ابراهيم بن هشام الغساني وصفوان بن صالح وهشام بن عمار وجماعة
وببغداد أحمد بن حنبل وطبقته وبالكوفة يحيى بن عبد الحميد الحماني ومحمد بن عبد الله بن
نمير وأبا بكر بن أبي شيبة وطائفة وبالبصرة أصحاب حماد بن زيد وعني بالاثر عناية عظيمة لا مزيد
عليها وعدد شيوخه مائتان وأربعة وثلاثون رجلا وكان اماما زاهدا صواما صادقا كثير
التهجد مجاب الدعوة قليل المثل مجتهدا لا يقلد بل يفتي بالاثر ولد في رمضان سنة احدى
ومائتين وتوفي في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين قال ابن حزم أقطع انه لم يؤلف
في الاسلام مثل تفسيره لا تفسير محمد بن جرير ولا غيره وكان محمد بن عبد الرحمن الاموي
صاحب الاندلس محبا للعلوم عارفا بها فلما دخل بقي بن مخلد الاندلس بمصنف ابن أبي شيبة
وقرئ عليه أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستبشعوه وقام جماعة من العامة
عليه ومنعته من قراءته فاستحضره الامير محمد واياهم وتصفح الكتاب جزأ جزأ حتى أتى على
آخره ثم قال لخازن كتبه هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخه لنا وقال لبقي انشر
علمك وارو ما عندك ونهاهم أن يتعرضوا له قال بن حزم ومسند بقي روى فيه عن ألف
وثلثمائة صاحب ونيف ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنف
وما أعلم هذه الرتبة لاحد قبله مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله في الحديث وله مصنف في
فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة وعلى مصنف
عبد الرزاق وعلى مصنف سعيد بن منصور ثم ذكر تفسيره فقال فصارت تصانيف هذا الامام
الفاضل قواعد الاسلام لا نظير لها وكان متخيرا لا يقلد أحدا وكان جاريا في مضمار البخاري
ومسلم والنسائي وذكر القشيري أن امرأة جاءته فقالت له ان ابني قد أسرته الفرنج واني لا أنام
الليل من شوقي اليه ولي دويرة أريد أن أبيعها لافتكه بها فان رأيت ان تشير الى من يأخذها
ويسعى في فكاكه فليس لي ليل ولا نهار ولا صبر ولا قرار فقال نعم انصرفي حتى ننظر في ذلك
ان شاء الله تعالى وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص فذهبت فما
كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها فقالت اسمع خبره يرحمك الله تعالى فقال كيف كان
أمرك فقال اني كنت فيمن يخدم الملك ونحن في القيود فبينما انا ذات يوم أمشي اذ سقط القيد
من رجلي فأقبل على الموكل بي فشتمني وقال فككت القيد من رجليك فقلت لا والله ولكن
سقط ولم أشعر فجاؤا بالحداد فأعاده وشد مسماره وأبده ثم قمت فسقط أيضا فسألوا رهبانهم
فقالوا ألك والدة فقلت نعم فقالوا انه قد استجيب دعاؤها فأطلقوه فأطلقوني وخفروني الى
أن وصلت الى بلاد الاسلام فسأله بقي عن الساعة التي سقط القيد من رجليه فيها فاذا هي
الساعة التي دعا له فيها فرحمه الله تعالى (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق يوسف بن
يحيى بن يوسف الازدي المعروف بالمغامي) من أهل قرطبة وأصله من طليطلة وهو من ذرية
أبي هريرة رضي الله تعالى عنه سمع من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وروى عن عبد الملك

في شعره طويل وغما خبرهم الى ملك اليمن مسروق بن ابرهة فاتاهم
في مائة ألف من الحبشة
وغيرهم من حمير وكهلان
ومن تأثر من سكن اليمن
من الناس وتصاف القوم
وكان مسروق على فيل
عظيم فقال وهرز لمن كان
معه من الفرس اصدقوهم
الخبر واستشعروا الصبر ثم
قال لملكهم وقد نزل عن
الفيل وركب جملا ثم نزل
عن الجمل فركب فرسا ثم
انف أن يحارب على فرس
فركب حمارا استصغارا
لاصحاب السفن وتقال
وهرز ذهب ملكه وتنقل
من كبير الى صغير وكان
بين عيني مسروق ياقوتة
حمراء معلقة في تاجه بعلاق
من الذهب تضيء كالنار
فرمى وهرز ورمى القوم
وقال وهرز لاصحابه انه
رميت ابن الحمارة فانظروا
ان كان القوم يجتمعون
عليه ويتفرقون عنه
فقد هلك فنظروا اليهم
يجتمعون ويتفرقون عنه
فاخبروه بذلك فقال احملوا
على القوم واصدقوهم
فانكشفت الحبشة
واخذهم السيف ورفع
راس مسروق ورؤس
خواص الحبشة ورؤسائهم
وقتل منهم نحو ثلاثين
ألفا وقد كان انوشروان
اشترط على معد يكرب
شروطا منها ان الفرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها وفي ذلك يقول الشاعر

على ان ينالوا النسوان منهم * وان لا ينالوا في الفارسينا   فتوج وهرز معد يكرب بتاج كان معه وتفازات

ابن حبيب مصنفاته وارتحل الى مصر وسمع من يوسف بن يزيد القراطيسي وعاد الى الاندلس وكان فقيها نبيلا فصيحا بصيرا بالعربية ثم بعد عوده من مصر أقام بقرطبة أعواما ثم عاد الى مصر وأقام بها وسمع الناس منه وعظم أمره بالبلاد المشرقية ثم انه عاد الى المغرب وتوفي بالقيروان سنة ثمان وثمانين ومائتين وبين عمر الواضحة لابن حبيب وصنف شيأ في الرد على الشافعية في عشرة أجزاء وألف كتاب فضائل مالك رضي الله تعالى عنه والذي يرتضي أن من قلد اماما من المجتهدين لا ينبغي له أن يغض من قدر غيره وان كان ولا بد من الانتصار لمذهبه وتقوية حجته فليكن ذلك بحسن أدب مع الائمة رضي الله تعالى عنهم فانهم على هدى من ربهم وقد حمل بعض الناس حمله التعصب لمذهبه على التصريح بما لا يجوز في حق العلماء الذين هم نجوم الملة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد حكى أبو عبد الله الوادي آشي حسبما رأيته بخطه أن القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي ألف كتابا بالنصرة لمذهب مالك على غيره من المذاهب في مائة جزء وسماه النصرة لمذهب امام دار الهجرة فوقع الكتاب بخطه بيد بعض قضاة الشافعية بمصر فغرقه في النيل فقضى الله تعالى أن السلطان فرج بن برقوق سافر الى الشام ومعه القضاة الاربعة وغيرهم من الاعيان لدفع تيمورلنك عن البلاد فلم يستطع شيأ وهزم الى مصر وتفرقت العساكر وأخذ القضاة والعلماء أسارى ومن جملتهم ذلك القاضي فبقي في أسر تيمورلنك الى أن ارتحل عن الشام فأخذه معه أسيرا الى أن وصل الى الفرات فغرق فيه أعني القاضي فرأى بعض الناس أن ذلك بسبب تغريقه الكتاب المذكور والجزاء من جنس العمل والله تعالى أعلم وقد نجى الله تعالى من هذه الورطة قاضي القضاة أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المالكي صاحب كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر فانه كان من جملة القضاة الحاضرين في الهزيمة فلما أدخلوا على تيمورلنك قال لهم ابن خلدون قدموني للكلام تنجوا ان شاء الله تعالى والا فأنتم أخبر فقدموه وعليه زي المغاربة فلما رآه تيمورلنك قال له ما أنت من هذه البلاد وتكلم معه فخلبه ابن خلدون بلسانه وكان آية الله الباهرة ثم قال لتيمورلنك اني ألفت كتابا في تاريخ العالم وحليته بذكرك أو كما قال ونقل ان تيمورلنك هو الذي قال له بلغني انك ألفت كتابا في تاريخ العالم ثم قال له تيمورلنك كيف ساغ لك أن تذكرني فيه وتذكر بختنصر مع أنا أخربنا العالم فقال له ابن خلدون أفعالكما العظيمة ألحقتكما بالذكر مع ذوي المراتب الجسيمة أو نحو هذا من العبارات فأعجبه ذلك وقيل انه لما أنس بابن خلدون قال له ياخوند ما أسني الاعلى كتاب الفته في التاريخ وأنفقت فيه أيام عمري وقد تركته بمصر وان عمري الماضي ذهب ضياعا حيث لم يكن في خدمتك وتحت ظل دولتك والآن أذهب فآتي بهذا الكتاب وأرجع سريعا حتى أموت في خدمتك ونحو هذا من الكلام فأذن له فذهب ولم يعد اليه وقال بعض العلماء انه لم ينج من يد ذلك الجبار أحد من العلماء غير ابن خلدون ورجل آخر وقد ذكر ذلك ابن عربشاه في عجائب المقدور وقد طال عهدي به فليراجع وحكى غير واحد أن تيمورلنك لما أخذ حلب على الوجه المشهور في كتب التاريخ جمع العلماء فقال لهم على عادته في التعنت قتل

من الحدقة ألبسه اياها وزاد في ملكه على اليمن وكتب الى انوشروان بالفتح وخلف هناك جماعة من أصحابه وكان جميع ما ملكت الحبش اثنتين وسبعين سنة وكان ملك مسروق بن ابرهة الى ان قتل ثلاث سنين وذلك خمس وأربعين خلت من ملك انوشروان وأتت سيف بن ذي يزن الوفود من العرب تهنئه بالملك وبها عبد المطلب وجد امية بن ابي الصلت وقد ذكرنا خبر عبد المطلب ووفوده على ابن ذي يزن في هذا الكتاب فيما بعد وما قيل من الشعر في مسير الفرس الى اليمن ونصرهم على الحبشة قول بعض اولاد فارس نحن خضنا البحار حتى فككنا حميرا من بلية السودان بليوث من آل ساسان شوس يمنعون الحريم بالمران وسيوف بواتر تتلالا كسنا البرق في ذرا الابدان وقتلنا مسروق اذ ناملنا أن تداعت قبائل الحبشان

وطلبنا ما قوته بن عمه بشانه الفتى الساساني   وهرز الديلمي لما رآه * رابط الجأش ثابت الاركان   سنا

منا ومنكم جماعة فمن الذي في الجنة قتلانا أو قتلاكم وكان مراده ابراز سبب يقتلهم لانهم ان قالوا أحد الامرين هلكوا فقال بعض العلماء وأظنه ابن الشحنة دعوني أجبه والا هلكتم فتركوه فقال له يا خوندهذا السؤال أجاب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه فغضب وقال كيف يمكن أن يجيب عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن لم نكن في زمانه أو كلاما هذا معناه فقال العالم المذكور روينا في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ليذكر ويرى مكانه فمن الذي في الجنة فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الذي في الجنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم فعجب تيمورلنك من هذا الجواب المفحم المسكت وحواه أن يجيب منه فان هذه الاجوبة انما يعمل نظيرها وفيها الخلاص على كل حال بالالطاف وبتوفيق الله تعالى هذا العالم الجليل حتى تخلص على يده أولئك الاقوام من الطاغية الجبار العنيد الذي جعل الله تعالى فتنته في الاسلام وفتنة جنكزخان وأولاده من أعظم الفتن التي دهى بها المسلمون وذكر بعض العلماء أن ابن خلدون لما أقبل على تيمورلنك قال له دعني أقبل يدك فقال ولم فقال له لانها مفاتيح الاقاليم يشير الى انه فتح خمسة أقاليم وأصابع يده خمسة لكل أصبع اقليم وهذا أيضا من دهاء ابن خلدون وقد كدنا نخرج عن المقصود في هذه الترجمة بتصرف العنان والله سبحانه المستعان ۞ (ومن الراحلين من الاندلس الامام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله تعالى) قال الفتح شيخ العلم وحامل لوائه وحافظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه شرح الله تعالى لحفظه صدره وطاول به عمره مع كونه في كل علم وافر النصيب ياسر (؟) المعلى والرقيب رحل الى المشرق لاداء الفرض لابس برد العمر الغض فروى وقيد ولقي العلماء واسند وأبقى تلك المآثر وخلد شأو هممه كريمه وأرومه من الشرف غير مرومه لم يزل فيها على وجه الزمان أعلام علم وأرباب مجد ضخم قيدوا ماكثرهم الكتب وأطلعهم التواريخ كالشهب وما زال الفقيه أبو بكر يتسنم كواهل المعارف وغواربها ويقيد شوارد المعاني وغرائبها لا يتصلاعه بالادب الذي احكم اصوله وفروعه وعمر بره من شبيبته ربوعه ورزقه ثمر الجراد المستولي على الاسد وجلى من نفسه كما جلى الصقال عن النصل الفرد وشاهد ذلك ما أثبته من نظمه الذي يروق جملة وتفصيلا ويقوم على قوة العارضة دليلا فمن ذلك قوله يحذر من خطار الزمان ويبعثه على التحفظ من الانسان

كن بذئب صائد مستأنسا ۞ واذا ابصرت انسانا ففر
انما الانسان بحر ماله ۞ ساحل فاحذره اياك الغرر
واجعل الناس كشخص واحد ۞ ثم كن من ذلك الشخص حذر

وله في الزهد

أيها المطرود من باب الرضا ۞ كم يراك الله تلهو معرضا
كم الى كم أنت في جهل الصبا ۞ قد مضى عمر الصبا وانقرضا
قم اذا الليل دجت ظلمته ۞ واستلذ الجفن أن يغتمضا

ومساعلى بني قحطان
وفي ذلك يقول الاسعري (؟) يمدح ابناء العجم ويذكر فضل الفرس على العرب لانه من قحطان
وكم لكم من يدير كوا انشاء بها
[illegible]
ان معلوم [illegible]
ولابد كاباد لكم على اليمن
[illegible] على انوشروان حدكم
[illegible] الدل عن سيف بن ذي يزن
ادلا لهم ومن العرس دافعه
بالضرب والطعن عن صنعا وعن عدن
[illegible] والمسمم ابن [illegible]
[illegible]
من فارس لكم بفضل الطول والمن
(قال المسعودي) وا[illegible] [illegible] ومن العرب [illegible] ملوك [illegible] وأشراف العرب [illegible] وفودهم عبد المطلب ابن هاشم [illegible] [illegible] [illegible] عبد [illegible] قصي وجد امية بن ابي الصلت الثقفي وقيل ابو الصلت [illegible] فدخلوا اليه وهو في أعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بغمدان وهو متضمخ بالعنبر وسواد المسك يلوح على مفرقه وسيفه بين يديه وعلى يمينه وشماله الملوك وابناء

فصع الخد على الارض ونح * واقرع السن على ما قد مضى

وله في هذا المعنى

قلبي يا قلبي المعنى * كم أنا أدعى فلا اجيب
كم اعادى على ضلال * لا ارعوى لا ولا أنيب
ويلاه من سوء ما دهاني * يتوب غيري ولا أتوب
واأسفي كيف برء دائي * دائي كما شاءه الطبيب
لو كنت ادنو لكنت أشكو * ما أنا من بابه قريب
أبعدني منه سوء فعلي * وهكذا يبعد المريب
مالي قدر وأي قدر * لمن أحاطت به الذنوب

وله في هذا المعنى أيضا

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة * تلهيك فيه من القبيح فنونه
واعلم بانك لا تنال قبوله * حتى تكون تصومه وتصونه

وله في مثل ذلك

اذا لم يكن في السمع مني تصاون * وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي اذا من صومي الجوع والظما * وان قلت اني صمت يوما فما صمت

وله في المعنى الاول

رجوت أناسا كنت آلف وصلهم * وما في الجماعة الصرورة من باس
بلوت فلم أحمد وأصبحت آيسا * ولا شيء أشفى للنفوس من الياس
فلا تعذلوني في انقباضي فانني * رأيت جميع الشر في خلطة الناس

وله يعاتب بعض اخوانه

وكنت أظن أن جبال رضوى * تزول وأن ودك لا يزول
ولكن الامور لها اضطراب * وأحوال ابن آدم تستحيل
فان يك بيننا وصل جميل * والا فليكن هجر طويل

وأما شعره الذي اتسدحه من مرح الشباب وعصاره وكلامه الذي وشحه بآداب الغزل وأوطاره فانه نسي الى ما تناساه ونزع حين كساه العلم والورع من ملابسه ما كساه فما وقع من ذلك قوله

كيف السلو ولي حبيب هاجر * قاسي الفؤاد يسومني تعذيبا
لما درى أن الخيال مواصلي * جعل السهاد على الجفون رقيبا

وله أيضا

يا من عهودي له تراعي * اما على عهدك الوثيق
ان شئت أن تسمعي غرامي * من مخبر عالم صدوق
فاستخبري قلبك المعنى * يخبرك عن قلبي المشوق

انتهى كلام الفتح وأبو بكر بن عطية المذكور هو والد الحافظ القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية

المعاول وتكلمت الخطباء وسمت الرعماء وقد تقدمهم عبد المطلب بن هاشم فقال عبد المطلب ان الله جل جلاله قد احلك ايها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وانبتك منبتا طابت ارومته وعزت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه في اكرم معدن واطيب موضع وموطن فانت ابيت اللعن راس العرب وربيعها الذي يخصب له وانت ايها الملك ذروة العرب الذي له ينقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي تلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا منهم خير خلف فلن يخمد ذكر من انت سلفه ولن يهلك من انت خلفه ايها الملك نحن اهل الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذي ابهجنا من كشف الكرب فرحا ونحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة فقال له الملك وأيهم انت ايها المتكلم قال انا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال الملك معد يكرب بن سيف ابن اختنا قال نعم قال ادنوه مني فادناه ثم اقبل عليه وعلى الوفد فقال لهم مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانتم اهل الليل والنهار لكم الكرامة ما اقمتم

صاحب

صاحب التفسير الشهير رحمه الله تعالى الجميع قال في الاحاطة في حقه ما ملخصه الشيخ الامام المفسر عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي فقيه عالم بالتفسير والاحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والادب حسن التقييد له نظم ونثر ولي قضاء المرية سنة تسع وعشرين وخمسمائة في المحرم وكان غاية في الذكاء والدهاء والتهمم بالعلم سري الهمة في اقتناء الكتب توخى الحق وعدل في الحكم وأعز الخطة روى عن أبيه وأبوي علي الغساني والصدفي وطبقتهما وألف كتابه الوجيز في التفسير فأحسن فيه وأبدع وطار بحسن نيته كل مطار وبرنامجا ضمنه مروياته وأسماء شيوخه حرر وأجاد ومن نظمه يندب عهد شبابه

سقيا لعهد شباب ظلت أمرح في * ريعانه وليالي العيش أسحار
أيام روض الصبا لم تذو أغصنه * ورونق العمر غض والهوى جار
والنفس تركض في تضمير شرتها * طرفا له في زمان اللهو احضار
عهدا كريما لبسنا فيه أردية * كانت عيانا ومحت فهي آثار
مضى وأبقى بقلبي منه نار أسى * كوني سلاما وبردا فيه يا نار
أبعد أن نعمت نفسي وأصبح لي * ليل الشباب لصبح الشيب اسفار
وقارعتني الليالي فانثنت كسرا * عن ضيغم ماله ناب وأظفار
الا سلاح خلال أخلصت فلها * في منهل المجد ايراد واصدار
أصبو الى روض عيش روضه خضل * أو ينثني بي عن العلياء اقصار
اذا فطارت كفي من شبا قلم * آثاره في رياض العلم أزهار

مولده سنة احدى وثمانين وأربعمائة وتوفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة بلورقة قصد مورقة يتولى قضاءها فصد عن دخولها وصرف منها الى لورقة فتوفي بها رحمه الله تعالى انتهى وقال الفتح في حقه ما نصه فتى العمر كهل العلاء حديث السن قديم السناء لبس الجلالة بردا ضافيا ووردماء الاصالة صافيا وأوضح للفضل رسما عافيا وثنى من ذهنه للاغراض فنا قصدا وجعل فهمه شهابا رصدا سما الى رتب الكهول صغيرا وشن كتيبة ذهنه على العلوم مغيرا فسباها معنى وفصلا وحواها فرعا وأصلا وله أدب يسيل رضراضا ويتخيل ألفاظا مبتدعة وأغراضا وقال فيه أيضا نبعة دوح العلاء ومحرز ملابس الثناء فذ الجلالة وواحد العصر والاصالة وقار كما رسا الهضب وأدب كما اطرد السلسل العذب وشيم تتضاءل لها قطع الرياض وتبادر الظن به الى شرف الاغراض سابق الامجاد فاستولى على الامد بعيابه ولم ينض ثوب شبابه أدمن التعب في السؤدد جاهدا فتى تناول الكواكب قاعدا وما اتكل على أوائله ولا سكن الى راحات بكره وأصائله أثره في كل معرفة علم في رأسه نار وطوالعه في آفاقها صبح أو منار وقد أثبت من نظمه المستبدع ما ينفح عبيرا ويتضح منيرا فمن ذلك قوله من قصيدة

وليلة جبت فيها الجذع مرتديا * بالسيف أسحب أذيالا من الظلم

في لجة البحر أحوالا وأحوالا
حتى أتى ببني الاحرار يحملهم
تخالهم في سواد الليل أجبالا
لله درهم من عصبة خرجوا
ما ان رأيت لهم في الناس أمثالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد
أمسى شريدهم في الارض فلالا
فاشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا
في رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم
وأسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
ولمعد يكرب بن سيف بن ذي يزن كلام كثير مع عبد المطلب وكوائن أخبره بها من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبدء ظهوره بشر به عبد المطلب وأخبره عن أحواله وما يكون من أمره وحباجميع الوفد وانصرفوا وقد أتينا على ما كان من اخبارهم في

كتابنا أخبار الزمان فاغني عن اعادته ووصفه (قال المسعودي) وأقام معد يكرب بن سيف بن ذي يزن ملكا

والنجم حيران في بحر الدجى غرق * والبرق في طيلسان الليل كالعلم
كأنما الليل زنجي بكاهله * جرح فيثعب أحيانا له بدم انتهى

المقصود منه وهو اعني ابابكر احمد شايع عياض حسبما ألمعت به في ازهار الرياض

*(ومنهم شهاب الدين ابو العباس احمد بن فرح) بالحاء المهملة ابن احمد بن محمد الامام الحافظ الزاهد بقية السلف اللخمي الاشبيلي الشافعي أسره الافرنج سنة ست واربعين وستمائة وخلص وقدم مصر سنة بضع وخمسين وقيل انه تمذهب للشافعي وتفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام قليلا وسمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الانصاري الحموي والمعين أحمد بن زين الدين واسمعيل بن عزوز والنجيب بن الصيقل وابن علاق وبدمشق من ابن عبد الدائم وحلق وعني بالحديث واتقن ألفاظه وعرف رواته وحفاظه وفهم معانيه وانتقى لبابه ومبانيه قال الصفدي وكان من كبار أئمة هذا الشان وممن يجري فيه وهو طلق اللسان هذا الى ما فيه من ديانة وورع وصيانة وكانت له حلقة اشتغال بكرة بالجامع الاموي يلازمها ويحوم عليه من الطلاب حوائمها سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبي واستفاد منه وروى في تصانيفه عنه وعرضت عليه مشيخة دار الحديث النورية فاباها ولم يقبل حباها وكان يرى الصوفية ومعه فقاهة بالشافعية ولم يزل على حاله حتى أحزن الناس ابن فرح وتقدم الى الله وسرح وشيع الخلق جنازته وتولوا وضعه في القبر وحيازته وتوفي رحمه الله تعالى تاسع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وستمائة ومولده سنة خمس وعشرين وستمائة وله قصيدة غزلية في ألقاب الحديث سمعها منه الدمياطي واليونيني وسمع منه البرزالي والمقاتلي والنابلسي وأبو محمد بن الوليد ومات بتربة أم الصالح بالاسهال والقصيدة المذكورة هي

غرامي صحيح والرجا فيك معضل * وحزني ودمعي مطلق ومسلسل
وصبري عنكم يشهد العقل أنه * ضعيف ومتروك وذلي أجمل
ولا حسن الاسماع حديث بشكم * مشافهة يملي على فانقل
وأمري موقوف عليك وليس لي * على أحد الا عليك المعول
ولو كان مرفوعا اليك لكنت لي * على رغم عذالي ترق وتعدل
وعذل عذولي منكر لا أسيغه * وزور وتدليس يرد ويهمل
أقضي زماني فيك متصل الاسى * ومنقطعا عما به أتوصل
وها أنا في أكفان هجرك مدرج * تكلفني مالا أطيق فأحمل
وأجريت دمعي بالدماء مدبجا * وما هو الا مهجتي تتحلل
فمتفق سهدي وجفني وعبرتي * ومفترق صبري وقلبي المبلبل
ومؤتلف شجوي ووجدي ولوعتي * ومختلف حظي وما منك آمل
خذ الوجد عني مسندا ومعنعنا * فغيري بموضوع الهوى يتحيل
وذي نبذ من مبهم الحب فاعتبر * وغامضه ان رمت شرحا أطول
عزيز بكم صب ذليل لعزكم * ومشهور أوصاف المحب التذلل

على اليمن واصبح عبيدا من الحبشة حرابة يمشون بين يديه بالحراب فركب في بعض الايام من باب قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء فلما صار الى رحبتها عطفت عليه الحرابة من الحبشة فقتلوه بحرابهم وكان ملكه أربع سنين وهو آخر ملوك اليمن من قحطان فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكا ملكوا ثلاثة آلاف سنة ومائة وسبعين سنة (قال المسعودي) وأما عبيد بن شرية الجرهمي حين وفد على معاوية وسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتوارخ سنيها فانه ذكر ان أول ملوك اليمن على حسب ما قدمنا في هذا الكتاب سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك مائة سنة وأربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده الحرث ابن شداد بن ملطاط بن عمرو مائة وخمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الرائش وهو ابرهة ذو المنار مائة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ملك بعده افريقس ابن ابرهة مائة وأربعا وستين سنة ثم ملك بعده أخوه الهدهاد بن شرحبيل ابن عمرو وهو ذو الصرح سنة ثم ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد سبع سنين ثم ملك سليمان بن داود عليهما السلام ثلاثا وعشرين سنة على حسب ما قدمناه من أمر بلقيس ثم ملك بعده رحبعم بن

غريب يقاسي البعد عنك وماله * وحق الهوى عن داره متحوّل
فرفقا بمقطوع الوسائل ماله * اليك سبيل لا ولا عنك معدل
فلا زلت في عز منيع ورفعة * ومازلت تعلو بالتجني فأنزل
أوري بسعدى والرباب وزينب * وأنت الذي تعني وأنت المؤمل
فخذ أولا من آخر ثم أولا * من النصف منه فهو فيه مكمل
ابر اذا أقسمت أني بحبه * اهيم وقلبي بالصبابة يشعل

وقد ذكرت شرحها في الجزء الثلاثين من تذكرتي انتهى كلام الصفدي وظاهر كلامه انه ابن فرح بفتح الراء والذي تلقيناه عن شيوخنا انه بسكون الراء وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب يطول تعدادهم وهي وحدها دالة على تمكن الرجل رحمه الله تعالى * (ومنهم عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر أبو الاصبغ الاموي الاندلسي) سمع بمكة وبدمشق ومصر وغيرها وحدث عن سليمان بن أحمد بن يحيى بسنده الى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل بني أب عصبة ينتمون اليها الا ولد فاطمة فانا وليهم وأنا عصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين بفضلهم من احبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وحدث عن أبي العباس أحمد بن محمد البرذعي بسنده الى عبد الله بن المبارك قال كنت عند مالك بن أنس وهو يحدثنا فجاءت عقرب فلدغته ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله قد رأيت منك عجبا قال نعم أنا صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد أبو الاصبغ المذكور بقرطبة وتوفي ببخارى سنة ٣٦٥ قال الحاكم أبو عبد الله رأيت أبا الاصبغ في المنام في بستان فيه خضرة ومياه جارية وفرش كثيرة وكأني أقول انه له فقلت يا أبا الاصبغ بماذا وصلت اليه أبالحديث فقال اي والله وهل نجوت الا بالحديث قال ورأيته أيضا وهو يمشي برى أحسن ما يكون فقلت أنت أبو الاصبغ فقال نعم قلت ادع الله تعالى ان يجمع بيني واياك في الجنة فقال ان أمام الجنة أهوالا ثم رفع يديه وقال اللهم اجعله معي في الجنة بعد عمر طويل انتهى * (ومنهم القاضي أبو البقاء خالد البلوي الاندلسي رحمه الله تعالى) وهو خالد بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد البلوي ووصفه الشاطبي بانه الشيخ الفقيه القاضي الاعدل انتهى وهو صاحب الرحلة المسماة تاج المفرق في تحلية أهل المشرق ومما أنشده رحمه الله تعالى فيها لنفسه

ولقد جرى يوم النوى دمعي دما * حتى أشاع الناس أنك فاني
والله ان عاد الزمان بقربنا * لكففت عن ذكر النوى وكفاني

وهذه الرحلة المسماة بتاج المفرق مشحونة بالفوائد والفرائد وفيها من العلوم والآداب ما لا يتجاوزه الرائد وقد قال رحمه الله تعالى فيها في ترجمة الولي نجم الدين الحجازي رضي الله تعالى عنه ما نصه وذكر لي رضي الله تعالى عنه قال مما رضي به الجد الاكبر أبو الحجاج يوسف المذكور يعني سيدي أبا الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الاقصري القطب الغوث رضي الله

سليمان سنة ثم رجع الملك الى حمير فملك من بعده رحيم بن سليمان ناشر النعم بن يعفر بن عمرو ذي الادعار خمسا وثلاثين سنة وقد قيل في تسميته ذا الادعار خبر تأباه العقول وتنكره النفوس كون مثله في العالم ويجوز كون ذلك في المقدور وانه انما سمي ذا الادعار لانه وصل الى قوم في اقاصي مفاوز اليمن وحضرموت مشوهي الخلقة عجيبي الصورة وجوههم في صدورهم فلما رأى أهل اليمن ذلك ادعرهم ما شاهدوا من ذلك رجعت منه نفوسهم فسمي ذا الادعار وقيل غير ذلك والله أعلم بكيفيته * ثم ملك بعده عمرو ابن شمر بن افريقس ثلاثا وخمسين سنة ثم ملك بعده من ولده كليكرب ابن تبع وهو تبع أبو كرب أسعد كليكرب أربعا وثمانين سنة ثم ملك بعده كلال بن سويب أربعا وسبعين سنة ثم ملك بعده تبع بن حسان بن تبع ثم ملك بعده مرثد سبعا وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصباح ثلاثا وسبعين سنة ثم ملك بعده ذو شناتر بن زرعة ويقال يوسف ويقال بل اسمه عريب بن قطن تسعا وثمانين سنة ثم ملك بعده حنيفة ويعرف بذي الشناتر أربعا وثمانين سنة فذلك ألف وتسعمائة وسبع وعشرون سنة وانما ذكرنا ما حكيناه عن عبيد بن شرية

تعالى عنه وعاد بلسان بركاته وخواصه وأصدقائه قال اذا أدركتم الضرورة والفاقة فقولوا حسبي الله ربي الله يعلم انني في ضيق قال وذكر لي أيضا رضي الله تعالى عنه قال رأى هذا الجد يوسف المذكور النبي صلى الله عليه وسلم في النوم بعد ان سأل الله تعالى ذلك وقد كان اصابته فاقة فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يارب يارحيم يارب يارحيم الطف بي في قضائك ولا تول أمري أحدا سواك حتى الهالك فلما قالها اذهب الله تعالى عنه فاقته قال وكان رحمه الله تعالى يوصي بها أصحابه وأحبابه انتهى ونسب بعضهم القاضي خالدا المذكور الى انتحال كمال العماد في البرق الشامي لان خالدا أكثر في رحلته من الاسجاع التي للعماد فلذا قال لسان الدين بن الخطيب فيه

خليلي ان بقص اجتماع بخالد * فقولا له قولا وان تعدوا الحقا
سرقت العماد الاصبهاني برقه * وكيف ترى في شاعر سرق البرقا

وأظن أن لسان الدين كان منحرفا عنه ولذلك قال في كتابه خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف عند ما جرى ذكر قنتورية وقاضيها خالد المذكور ماصورته لم تخالف ولدها والد وركب قاضيها ابن أبي خالد وقد شهرته النزعة الحجازية ولبس من خشن الحجازية وأرخى من البياض طيلسانا وتشبه بالمشارقة شكلا ولسانا والبداوة تسمه على الخرطوم وضبع الماء والهواء يقوده قود الجمل المخطوم انتهى ومن نظم أبي البقاء خالد البلوي المذكور قوله

اتى العيد واعتاد الاحبة بعضهم * ببعض وأحباب المتيم قد بانوا
وضحى وقد ضحوا بقربهم وما * لديه سوى جمر المدامع قربان

وقال في رحلته انه قال هذين البيتين بديهة على تونس في عيد النحر من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ومن نظمه أيضا قوله رحمه الله تعالى

ومستنكر شيبي وماذهب الصبا * ولا جف ايناع الشبيبة من غصني
فقلت فراقي للاحبة مؤذن * بشيبي وان كنت ابن عشرين من سني

ومحاسنه رحمه الله تعالى كثيرة وفي الرحلة منها جملة (ومنهم برهان الدين أبو اسحق ابن الحاج ابراهيم النميري الغرناطي) وهو أيضا مذكور في ترجمة ابن الخطيب بما يغني عن تكرار اسمه هنا وقال رحمه الله تعالى في رحلته أخبرني شيخنا يعني الشيخ الامام الصالح أبا عبد الله محمد المعروف بخليل التوزري امام المالكية بالحرم الشريف رضي الله تعالى عنه قال اعتكفت بجامع عمرو بن العاص كما شرني عن الناس خصوصا أذى الغيبة نحو ثمانين ليلة أردت أن أدعو لطائفة من أصحابي بمطالب مختلفة كل بحسب ظني فيه يومئذ فادركتني حيرة في التمييز والتخصيص فالهمت أن قلت بديهة

شهدنا بتقصير ألبابنا * فحسن اختيارك أولى بنا
وأنت البصير باعدائنا * وأنت البصير باحبابنا

قال ثم أردفتها بدعاء وهو اللهم يامن لا يعلم خيره الا هو أنت أعلم باعدائنا وأودائنا فافعل بكل

في ترتيب ملوكهم ونبا من تواريخ سنيهم لنائي على جميع ماقيل في ذلك من التنازع والله ولي التوفيق * ولما قتلت الحبشة معد يكرب ابن سيف بن ذي يزن على حسب ماقدمنا في أرجبة بحرابهم كان يصنعها خليه نوهرز في جماعة من العجم ممن كان ضمهم وهرز الى معد يكرب فركب وأتى على من كان هنالك من الحبشة وضبط البلد وكتب بذلك الى وهرز وهو بباب أنوشروان الملك وذلك بالمدائن من أرض فارس فأعلم وهرز بذلك الملك فسيره في البر في أربعة آلاف من الاساورة وأمره باصلاح اليمن وأن لا يبقي على أحد من بقايا الحبشة ولا على جعد قطط قد شرك السودان في نسبه فاتى وهرز اليمن ونزل صنعاء فلم يترك بها أحدا من السودان ولا من انسابهم وملك انوشروان وهرز على اليمن الى أن هلك بصنعاء ثم ملك بعده رجل من فارس يقال له سيحان ثم ملك بعده خورادا الشهر ثم ملك بعده ابن سيحان ثم ملك بعده المرزبان حرجسوا وكان من أهل بيت مملكة فارس ثم ملك بعده حرجس وكان مولده باليمن ثم ملك بعده باذان بن ساسان (قال المسعودي) فهؤلاء جميع من ملك اليمن من قحطان والحبشة والفرس وقد ملك اليمن منهم

منهم ما يناسب حسن اختيارك لصاحبهما علمنه مني وكفى بك عليما وكفى بك قديرا وكفى بك بصيرا وكفى بك لطيفا وكفى بك خبيرا وكفى بك نصيرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا * وقال ابن الحاج المذكور في الرحلة المذكورة اذا التقى الرجل بعدوه وهو على خوف منه فليقرأ هذه الحروف كهيعص حمعسق وليعقد بكل حرف منها اصبعا يبدأ بابهام يده اليمنى ويختم بابهام يده اليسرى فاذا قرب من عدوه فليقرأ في نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم لم يكررها وكلما كررها فتح اصبعا من اصابعه المعقودة تجاه العدو فيكررها عشر مرات و يفتح جميع اصابعه فاذا فعل ذلك امن من شره ان شاء الله تعالى وهو مجرب انتهى ومن بديع نظم ابي اسحق بن الحاج النميري المذكور قوله

يارب كاس لم يسح شمولها * فاعجب لها جسما بغير مراح
لما ابنا السحر من أشكالها * جلا نسبناه الى الزجاج

وله فيما اظن

له شفة اضاعوا الشرفيها * بلثم حين سدت ثغر بدري
فما شهى لملي ما اضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

وهو تضمين حسن * (ومن الراحلين من الاندلس الى المشرق امام النحاة اثير الدين ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الاثري الغرناطي) قال ابن مرزوق الخطيب في حقه هو شيخ النحاة بالديار المصرية وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية انتهت اليه رياسة التبريز في علم العربية واللغة والحديث سمعت عليه وقرأت وانشدني الكثير واذا انشدني شيأ ولم اقيده استعادة مني فلم احفظه ٣ وانشدني وكنت اظنه لنفسه ارتجالا الى ان اخبرني أحد اصحابنا عنه انه اخبره انهما لابي الحسن التجاني انشدهما له ببيته بالمدرسة الصالحية رحمه الله تعالى

ان الذي يروي ولكنه * يحفظ ما يروي ولا يكتب
كصخرة تنبع امواجها * تسقي الاراضي وهي لا تشرب

قال ورويت عنه تآليفا ابن أبي الاحوص منها التبيان في أحكام القرآن والمعرب المفهم في شرح مسلم ولم أقف عليه والوسامة في أحكام القسامة والمشرع السلسل في الحديث المسلسل وغير ذلك وحدثني بسنن أبي داود عن ابن خطيب المزة عن أبي حفص بن طبرزد عن أبي البدر والكروخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب عن ابي عمر الهاشمي عن اللؤلؤي عن أبي داود وبسنن النسائي عن جماعة عن ابن باقا عن أبي زرعة عن أبي حمد الدوسي عن ابي نصر الكسار عن ابن السني عن النسائي وبالموطأ عن ابي جعفر بن الطباع بسنده وشكوت اليه يوما ما يلقاه الغريب من اذاية العداة فانشدني لنفسه

عداتي لهم فضل علي ومنة * فلا أذهب الرحمن عني الاعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها * وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وأنشدني أيضا من مداعباته وله في ذلك النظم الكثير مع طهارته وفضله

واسمه هينية بن أميمن بدل بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان له شأن عظيم في اليمن وطالت أيامه وذكره امرؤ القيس في شعره فقال
وهينية الذي زادت قواه على زيد ان ادحان الزوال
عدن فاغتاوى طريقا الى زيد ان اعطى لا شان
ويقال انه مثيبه بن اميمن بدل بن لسان بن ابراهيم الخليل وقد كانت ملوك اليمن تنزل بمدينة ظفار مثل آل ذي شعر وآل ذي الكلاع وآل ذي أصبح وآل ذي يزن الا الاسير منهم فانهم نزلوا بدرها وكان على باب ظفار مكتوب بالقلم الاول في حجر اسود
يوم شيدت ظفار قيل لمن أنت فقالت لحمير الاخيار
ثم سيلت من بعد ذلك فقالت
ان ملكي للاحبش الاشرار
ثم سيلت من بعد ذلك فقالت
ان ملكي لفارس التجار
ونليلا ما يلبث القوم فيها منذ شيدت مشيدها للبوار
من اسود يلقيهم البحر فيها

٣ قوله فلم احفظه هكذا بالاصل ولعله محرف والاصل حتى احفظه او لا احفظه او نحو ذلك تأمل

عاقته سعى اللون فادحه * ما ابيض منه سوى ثغر حكى الدررا
قد صاغه من سواد العين خالقه * فكل عين اليه تدمن النظرا

وأنشدني في جاهل لبس صوفا وزهي فيه

أيا كاسيا من جيد الصوف نفسه * ويا عاريا من كل فضل ومن كيس
أتزهى بصوف وهو بالامس مصبح * على نعجة واليوم أمسى على تيس

انتهى ما اختصرته من كلام الخطيب بن مرزوق وأنشد الرحالة بن جابر الوادي آشي لابي حيان قوله

وقصر آمالي مآلي الى الردى * وأني وان طال المدى سوف أهلك
فصنت بماء الوجه نفسا أبية * وجادت يميني بالذي كنت أملك

ووقفت على أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي فوجدت فيه ترجمة أبي حيان واسعة فرأيت أن أذكرها بطولها لما فيها من الفوائد وهي الشيخ الامام العالم العلامة الفريد الكامل حجة العرب مالك أزمة الادب أثير الدين أبو حيان الاندلسي الجياني بالجيم والياء آخر الحروف مشددة وبعد الالف نون كان أمير المؤمنين في النحو والشمس السافرة شتاء في اليوم الصحو والمتصرف في هذا العلم فاليه الاثبات والمحو لو عاصر أئمة البصرة لبصرهم او أهل الكوفة لكف عنهم اتباعهم السواد وحذرهم نزل منه كتاب سيبويه في وطنه بعد ان كان طريدا وأصبح به التسهيل بعد تعقيده مفيدا وجعل سرحة شرحه جنة راقت النواظر توريدا ملأ الزمان تصانيف وأمال عنق الايام بالتآليف تخرج به أئمة في هذا الفن وروق لهم في عصره منه سلافة الدن فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغيضا غير حبيب اوعيسى بن عمر لاصبح من تقصيره وهو محدب او الخليل لكان بعينه فداه اوسيبويه لما تردى من مسئلة الزنبورية برداه او الكسائي لاعراه حلة جاهه عند الرشيد واناسه او الفراء لفرسه ولم يغنم ولدا المأمون تقديم مداسه او اليزيدي لما ظهر نقصه من مكامنه او الاخفش لاخفى جملة من محاسنه او أبو عبيدة لما تركه يتعصب لشعب الشعوبية او أبو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلق بعربية او السكري لما راق كلامه في المعاني ولا حلا او المازني لما زانه قوله ان مصابكم رجلا او قطرب لما دب في العربية ولا درج او ثعلب لاستكن بمكره في وكره ولما خرج او المبرد لاصبحت كواكبه منكدرة او الزجاج لامست قواريره منكسرة او ابن الوزان لعدم نقده او الثمانيني لما تم له وزن عقده او ابن بابشاذ لعلم ان قياسه ما اطرد او ابن دريد ما بلع ريقه ولا ازدرد او ابن قتيبة لاضاع رحله او ابن السراج لمشى اذ رأى وحله او ابن الخشاب لاضرم فيه نارا ولم يجد معه نورا او ابن الخباز لما سجر له تنورا او ابن القواس لما أغرق في نزعه او ابن يعيش لاوقعه في نزعه او ابن خروف لما وجد له مرعى او ابن اياز لما وجد لاوازه وقعا او ابن الطراوة لم يكن نحوه طريا او الدباج لكان من حلته الرائعة عريا وعلى الجملة فكان امام النحاة في عصره شرقا وغربا وفريد هذا الفن الفذ بعدا وقربا وفيه قلت

سلطان علم النحو استاذنا الشيخ اثير الدين حبر الانام

تشعل النار في أعالي الديار وهذا الخبر عن ملوك تداولوها اخبروا عن ملكهم قبل كونه فتداولتها الملوك على حسب ما وصفنا وينتظر في المستقبل من الزمان ما ذكرناه من وقود النيران في أعالي الديار وعند اهل اليمن ان ديارهم سيغلب عليها الاحابش في آخر الزمان بعد هنات وكوائن واحداث وبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اليمن عامل كسرى ثم جاء الاسلام فسمر بحمد الله وقد اتينا على أخبار من ذكرناه من الملوك وسيرهم وسطواتهم في البلاد وحروبهم وأبنيتهم في سائر مصنفاتهم في الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب وبلاد اليمن طويل عريض حده مما يلي مكة الموضع المعروف بحدة المنتهى الى مراحل الى صنعاء ومن صنعاء الى عدن وهو آخر عمل اليمن من مراحل ومرحلة من عدن الى ستة والحد الثاني من حكم درجه الى ما بين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة ويلي الوجه الثالث بحر اليمن على ما ذكرناه انه بحر القلزم والصين والهند فجميع ذلك عشرون مرحلة في ست عشرة مرحلة واسماء ملوك اليمن كذي يزن وذي نواس وذي منار وغير ذلك مضافة الى

فلا

فلا تقل زيد وعمرو فما * فى النحو معه لسواه كلام

خدم هذا العلم مدة تقارب الثمانين وسلك من غرائبه وغوامضه طرقا متشعبة الافانين ولم يزل على حاله الى أن دخل فى خبر كان وتبدلت حركاته بالاسكان وتوفى رحمه الله تعالى بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة فى يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر وصلى عليه بالجامع الاموى بدمشق صلاة الغائب فى شهر ربيع الآخر ومولده بمدينة مطخشارش فى أخريات شوال سنة اربع وخمسين وستمائة ولد أما أرثيه رحمه الله تعالى

مات أثير الدين شيخ الورى * فاستعر البارق واستعبرا
ورق من حزن نسيم الصبا * واعتل فى الاسحار لما سرى
وصادحات الايك فى نوحها * رثته فى السجع على حرف را
ياعين جودى بالدموع التى * يروى بها ما ضمه من ثرى
واجرى دما فالخطب فى شانه * قد اقتضى أكثر مما جرى
مات امام كان فى فنه * يرى اماما والورى من ورا
أمسى منادى للبلى مفردا * فضمه القبر على ما يرى
يا أسفا كان هدى ظاهرا * فعاد فى تربته مضمرا
وكان جمع الفضل فى عصره * صح فلما أن قضى كسرا
وعرف الفصل به برهة * والآن لما أن مضى نكرا
وكان ممنوعا من الصرف لا * يطرق من وافاه خطب عرا
لا أفعل التفضيل ما بينه * وبين من أعرفه فى الورى
لا بدل عن نعته بالتقى * ففعله كان له مصدرا
لم يدغم فى اللحد الا وقد * فك من الصبر وثيق العرا
بكى له زيد وعمرو فمن * أمثلة النحو ومن ذا سرا
ما أعقد التسهيل من بعده * فكم له من عسرة يسرا
وجسر الناس على خوضه * اذ كان فى النحو هداه بحرا
من بعده قد حال تمييزه * وحظه قد رجع القهقرى
شارك من قد ساد فى فنه * وكم له فن به استأثرا
دأب بنى الآداب أن يغسلوا * بدمعهم فيه بقايا الكرى
والنحو قد سار الردى نحوه * والصرف للتصريف قد غيرا
واللغة الفصحى غدت بعده * يلغى الذى فى ضبطها قررا
تفسيره البحر المحيط الذى * يهدى الى وراده الجوهرا
فوائد من فضله جمة * عليه فيها نعقد الخنصرا
وكان ثبتا نقله حجة * مثل ضياء الصبح ان أسفرا
ورحلة فى سنة المصطفى * أصدق من يسمع ان أخبرا

غيرهم وتبيين كل واحد منهم عن غيره من ملوكهم واذ قد ذكرنا جوامع من اخبار اليمن وملوكها فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم للعرفهم بالامن ثم نعقب ذلك بملوك الشام وغيرهم من الملوك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك الحيرة من بنى نصر وغيرهم)

ولما انتحرت عمة الوضاح [illegible] ... ابن ظرب بن حسان بن أذينة [illegible] ... وقد كان ملك من مشارق الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت داره بالموضع المعروف بالمضرة بين بلاد الحاير فهو قريب منها وقد كانت الزباء ملكت بعد أبيها واتسعت جذيمة فى ملكها الى ان قتلته وأقام جذيمة ملكا فى زمن ملوك الطوائف خمسا وستين سنة وفى ملك أردشير بابك وسابور الجنود ابن اردشير ثلاثا وعشرين سنة وكان ملكه مائة سنة وثمان عشرة سنة وكان يكنى بابى مالك وفيه يقول بعض شعراء الجاهلية وهو [illegible] كاهل اليشكرى

ان اذقتنى فقبلى ذاقه * طسم عاد وجديس ذو السبع وابو مالك القيل الذى * قتلته بنت عمرو [illegible]

له الاسانيد التي قد علت * فاستفلت عنها سوامي الذرا
ساوى بها الاحفاد اجدادهم * فاعجب لماض فاته من طرا
وشاعرا في نظمه مفلقا * كم حرر اللفظ وكم حبرا
لها معان كلما خطها * نستر مارقم في تسترا
أفديه من ماض لام الردى * مستقبلا من ربه بالقرى
مامات في أبيض أكفانه * الا وأضحى سندسا أخضرا
تصافح الحور له راحة * كم تعبت في كل ماسطرا
ان مات فالذكر له خالد * يحيابه من قبل أن ينشرا
جاد ثرى وافاه غيث اذا * مساه بالسقي له بكرا
وخصه من ربه رحمة * توردة في حشره الكوثرا

وكان قد قرأ القراآت على الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله نحوا من عشرين ختمة افرادا وجمعا ثم على الخطيب الحافظ أبي جعفر احمد الغرناطي المعروف بالطباع بغرناطة ثم قرأ السبعة الى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ ابي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن ابي الاحوص بمالقة ثم انه قدم الاسكندرية وقرأ القراآت على عبد النصير بن علي بن يحيى المربوطي ثم قدم مصر فقرأ بها القراآت على ابي الطاهر اسمعيل بن هبة الله المليجي وسمع الكثير على الجم الغفير بجزيرة الاندلس وبلاد أفريقية والاسكندرية وديار مصر والحجاز وحصل الاجازات من الشام والعراق وغير ذلك واجتهد في طلب التحصيل والتقييد والكتابة ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالا منه لاني لم أره قط الا يسمع أو يشتغل أو يكتب ولم أره على غير ذلك وله اقبال على الطلبة الاذكياء وعنده تعظيم لهم وتظم ونثر وله الموشحات البديعة وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله عارف باللغة ضابط لالفاظها وأما النحو والصرف فهو امام الناس كافة فيهما لم يذكر معه في أقطار الارض غيره في حياته وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم خصوصا المغاربة وتقييد أسمائهم على ما يتلفظون به من امالة وترقيق وتفخيم لانهم يجاورون بلاد الافرنج وأسماؤهم قريبة من لغاتهم وألقابهم كذلك وقيده وحرره وسأله شيخنا الذهبي أسئلة فيما يتعلق بذلك وأجابه عنها وله التصانيف التي سارت وطارت وانتشرت وما انتثرت وقرئت ودريت ونسخت وما فسخت أخملت كتب الاقدمين وألهت المقيمين بمصر والقادمين وقرأ الناس عليه وصاروا أئمة وأشياخا في حياته وهو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك رحمه الله تعالى ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض بهم لججها وفتح لهم مقفلها وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب هذه نحو الفقهاء وكان البزم أن لا يقرئ أحدا الا ان كان في كتاب سيبويه أو في التسهيل لابن مالك أو في تصانيفه ولما قدم من بلاده لازم الشيخ بهاء الدين رحمه الله تعالى كثيرا وأخذ عنه كتب الادب وكان شيخا حسن العمة مليح الوجه ظاهر اللون مشرب الحمرة منور الشيبة كبير اللحية مسترسل الشعر فيها ولم تكن كثة عبارته فصيحة بلغة الاندلس يعقد

دوس بن الازد بن الغوث ابن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وكان سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا فسار بنو جفنة نحو الشام وانفصل مالك نحو العراق فبث على مضر من نزار اثنتي عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه جذيمة على ما ذكرنا ثم ملك بعد جذيمة ابن أخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحرث ابن مالك بن غنم بن نمارة ابن لخم وهو أول من نزل من الملوك الحيرة واتخذها منزلا ودارا لملكه واليه ينسب ملوك النصرية وهم ملوك الحيرة فكان ملك عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة مائة سنة (قال المسعودي) وقد ذكر غير واحد ممن عني باخبار العرب وايامها ان جذيمة اول من ملك من قضاعة وهو جذيمة بن مالك بن فهم التنوخي وانه قال ذات يوم لندمائه لقد ذكر لي عن غلام من اياد له ظرف وادب فلو بعثت اليه فوليته كاسي والقيام على راسي لكان الراي قالوا الراي ماراى الملك فليبعث اليه ففعل فلما قدم عليه قال من انت قال انا عدي بن نصر بن ربيعة فولاه مجلسه

القاف قريبا من الكاف على انه لا ينطق بها في القرآن الا فصيحة وسمعته يقول ما في هذه البلاد من يعقد حرف القاف وكانت له خصوصية بالامير سيف الدين أرغون كافل الممالك ينبسط معه ويبيت عنده في قلعة الجبل ولما توفيت ابنته نضار طلع الى السلطان الملك الناصر محمد وسأل منه أن يدفنها في بيته داخل القاهرة في البرقوقية فأذن له في ذلك وكان أولا يرى رأى الظاهرية ثم انه تمذهب للشافعي رضي الله تعالى عنه بحث على الشيخ علم الدين العراقي المحرر للرافعي ومختصر المنهاج للنووي وحفظ المنهاج الا يسيرا وقرأ أصول الفقه على أستاذه أبي جعفر بن الزبير بحث عليه من الاشارة للباجي ومن المستصفى للغزالي وعلى الخطيب أبي الحسن بن فضيلة وعلى الشيخ علم الدين العراقي وعلى الشيخ شمس الدين الاصبهاني وعلى الشيخ علاء الدين الباجي وقرأ شيأ من أصول الدين على شيخه ابن الزبير وقرأ عليه شيأ من المنطق وقرأ أشياء من المنطق على بدر الدين محمد بن سلطان البغدادي وقرأ عليه شيئا من الارشاد للعميدي في الخلاف ولكنه برع في النحو وانتهت اليه الرياسة والمشيخة فيه وكان خاليا من الفلسفة والاعتزال والتجسيم وكان أولا يعتقد في الشيخ شمس الدين بن تيمية وامتدحه بقصيدة ثم انه انحرف عنه لما وقف على كتاب العرش له قال الفاضل كمال الدين الادفوي وجرى على مذهب كثير من النحويين في تعصبه للامام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه التعصب المتين قال حكى لي انه قال لقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ان عليا رضي الله تعالى عنه عهد اليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق أتراه ما صدق في هذا فقال صدق قال فقلت له فالذين سلوا السيوف في وجهه يقاتلونه أو يحبونه وغير ذلك قال وكان يسيء الظن بالناس كافة فاذا نقل له عن أحد خير لا يكيف به ولا ينثني عنه حتى ينقص عن هو عنده مجروح فيقع في دم من هو بالسنة العالم ممدوح وبسبب ذلك وقع في نفس جمع كبير منه ألم كثير انتهى قلت أنا لم أسمع منه في حق أحد من الاحياء والاموات الا خيرا وما كنت أنقم عليه شيئا الا ما كان يبلغني عنه من الحط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد على أني أنا ما سمعت في حقه شيئا نعم كان لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الصلاح حتى قلت له يوما يا سيدي وكيف تعمل في الشيخ أبي مدين فقال هو رجل مسلم دين والا ما كان يطير في الهواء ولا صلى الصلوات الخمس في مكة كما تدعي فيه هؤلاء الاغمار وكان فيه رحمه الله تعالى خشوع يبكي اذا سمع القرآن ويجري دمعه عند سماع الاشعار الغزلية وقال كمال الدين المذكور وقال لي اذا قرأت اشعار العشق اميل اليها وكذلك اشعار الشجاعة تستميلني وغيرهما الا اشعار الكرم ما تؤثر في انتهى قلت كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم وكان يقول لي اوصيك احفظ دراهمك ويقال عنك بخيل ولا تحتج الى السفل وانشدني من لفظه لنفسه

رجاوك فلما قعدا في حبائلي * فنيصار جاء للنتاج من العقم
أأتعب في تحصيله واضيعه * اذن كنت معتاضا من البرء بالسقم

قلت والذي اراه فيه انه طال عمره وتغرب وورد البلاد ولا شيء معه وتعب حتى حصل المناصب تعبا كثيرا وكان قد جرب الناس وحلب اشطر الدهر ومرت به حوادث فاستعمل

وغرق للملك فاذا اخذت الخمر منه واخطبني منه فانه يزوجك فأشهد القوم ان فعل ففعل الغلام ذلك فزوجه فاشهد عليه وانصرف الغلام اليها فانباها فقالت عرس باهلك ففعل فلما أصبح غدا متضرجا بالخلوق فقال له جذيمة ما هذه الآثار يا عدي قال آثار العرس قال أي عرس قال عرس رقاش فنخر وأكب على الارض ورفع عدي جراميزه وهرب وأسرع جذيمة في طلبه فلم يجده وقال بعضهم بل قتله وبعث اليها يقول

حدثيني رقاش لا تكذبيني
أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبد
أم بدون فأنت أهل لدون

فاجابته رقاش تقول

أنت زوجتني وما كنت أدري
وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا
وتماديك في الصبا والمجون

فنقلها جذيمة اليه وحصنها في قصره واشتملت على حمل وولدت غلاما فسمته عمرا ورشحته حتى اذا ترعرع حلته وعطرته وألبسته كسوة فاخرة ثم

فعشقته رقاش ابنة مالك اخت الملك فقالت يا عدي اذا سقيت القوم فامزج لهم

ازارته خاله فاعجب به والقيت عليه محبته ومودته حتى اذا خرج الملك في [illegible]

الحزم وسمعته غير مرة يقول يكفي الفقير في مصر اربعة أفلس يشتري له باثنتين بفلسين وبفلس زبيبا وبفلس كوز ماء ويشتري ثاني يوم ليمونا بفلس يأكل به الخبز وكان يعيب على مشتري الكتب ويقول الله يرزقك عقلا تعيش به انا اي كتاب اردته استعرته من خزائن الاوقاف واذا اردت من احد ان يعيرني دراهم ما اجد ذلك وانشدني له اجازة

ان الدراهم والنساء كلاهما * لا تأمنن عليهما انسانا
ينزعن ذا اللب المتين عن التقى * فترى اساءة فعله احسانا

وانشدني له من ابيات

أبى بشفيع ليس يمكن رده * دراهم بيض للجروح مراهم
تصير صعب الامر اهون ما ترى * وتقضي لبانات الفتى وهو نائم

ومن حزمه قوله عداني اهم فضل البيتين وقد مدحه كثير من الشعراء والكبار الفضلاء فمنهم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر بقوله

قد قلت لما ان سمعت مباحثا * في الذات قررها اجل مفيد
هذا ابو حيان قلت صدقتم * وبررتم هذا هو التوحيدي

وكان قد جاء يوما الى بيت الشيخ صدر الدين بن الوكيل فلم يجده فكتب بالجص على مصراع الباب فلما رأى ابن الوكيل ذلك قال

قالوا أبو حيان غير مدافع * ملك النحاة فقلت بالاجماع
اسم الملوك على النقود وانني * شاهدت كنيته على المصراع

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطولة أولها

اليك أبا حيان أعملت أينقي * وملت الى حيث الركائب تلتقي
دعاني اليك الفضل فانقدت طائعا * ولبيت أحدوها بلفظي المصدق

ومدحه نجم الدين اسحق بن أبي التركي وسأله تكملة شرح التسهيل وأرسلها اليه من دمشق وأولها

تبدى لنا وجهه نور الصبح * وكمله باليمن فيه وبالنجح
وسهلت تسهيل الفوائد محسنا * فكن شارحا صدري بتكملة الشرح

ومدحه مجير الدين عمر بن اللمطي بقصيدة أولها

يا شيخ أهل الادب الباهر * من ناظم يلفى ومن ناثر

ومدحه نجم الدين يحيى الاسكندري بقصيدة أولها

ضيف ألم بنا من أبرع الناس * لا ناقض عهد أيامي ولا ناسي
عار من الكبر والادناس ذو شرف * لكنه من سرابيل العلا كاسي

ومدحه نجم الدين الطوفي بقصيدتين اول الاولى

أتراه بعد هجرانه يصل * ويرى في ثوب وصل مبتذل
هو جار على أحلامنا * اذ تولاها بقد معتدل

وأول الثانية

اصابها عمرو خبأها ثم اقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم وهو يقول هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه فالتزمه جذيمة وحباه ثم ان الجن استطارته فضرب له جذيمة في الآفاق زمانا فلم يسمع له بخبر فكف عنه اذا قبل رجلان يقال لاحدهما مالك والآخر عقيل ابنا فالح وهما يريدان الملك بهدية فنزلا على ماء ومعهما قينة يقال لها ام عمرو فنصبت قدرا واصلحت لهما طعاما فبينما هما يأكلان اذ اقبل رجل اشعث اغبر الرأس قد طالت اظفاره وساءت حاله حتى جلس مزجر الكلاب ومد يده فناولته القينة طعاما فاكل فلم يغن عنه شيئا فمد يده فقالت القينة ان يعط العبد كراعا طلب ذراعا فارسلتها مثلا ثم ناولت صاحبيها من شرابها واوكت زقها فقال عمرو بن عدي

عدلت الكاس عنا ام عمرو
وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة ام عمرو
بصاحبك الذي لا تصبحينا

فقال له الرجلان من أنت فقال ان تنكراني فلن تنكرا حسبي انا عمرو بن عدي فقاما اليه فلثماه

اعذروه

اعذروه فكريم من عذر * قرنه ذات وجه كالقمر

ومدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الخيمي بقصيدة أولها

ان الاثير أباحيان أحيانا * بنشره طي علم مات احيانا

ومدحه القاضي ناصر الدين بن شافع بقصيدة ولها

فضضت عن العذب النمير ختامها * ففتحت عن زهر الرياض كمامها

ومدحه جماعة آخرون يطول ذكرهم وكتبت أنا اليه من الرحبة سنة ٧٢٩

لو كنت أملك من دهري جناحين * لطرت لكنه فيكم جنى حيني

يا سادة نلت في مصر بهم شرفا * أرقى به شرفا ينأى عن العين

وان جرى لسماك وان ذكرهم لا * احلني منهم فوق السماكين

وليس غير أثير الدين آثله * فسادما شادلي حقا بلامين

حبر ولو قلت ان البناء رتبتها * من قبل صدقك الاقوام في ذين

احيا علوما أمات الدهر اكثرها * منذ خلدت خلدت ما بين دفين

يا واحدا لعصر ماقولي بهم * ولا حاشى امراً بين الفريقين

هذي العلوم بدت من سيبويه كما * قالوا وفيك انتهت يا ثاني اثنين

قدم لها وبودي لو أكون فدى * لما ينالك في الايام من شين

يا سيبويه الورى في الدهر لا عجب * اذا الخليل غدا يفديك بالعين

يقبل الارض وينهي ما هو عليه من الاشواق التي برحت بآلمها واجرت الدموع دما وهذا الطرس الاحمر يشهد بدمها وارتسم بها على السحائب واين دوام هذه من ديمها وفرقت الاوصال على السقم لوجود عدمها

فيا شوق ما ابقى ويا لي من النوى * ويا دمع ما اجرى ويا قلب ما أصبى

ويذكر ولاءه الذي تسجع به في الارض الحمائم وتسير تحت لوائه سير الرياح بين الغمائم وثناءه الذي يتضوع كالزهر بين الكمائم ويتسنم تسنم هامات الربا اذا لبست من الربيع ملونات العمائم ويشهد الله على ما قد قلته والله سبحانه نعم الشهيد فكتب هو الجواب عن ذلك ولكنه عدم مني وأنشدته يوما لنفسي

قلت للكاتب الذي ما اراه * قط الا ونقط الدمع شكله

ان تخط الدموع في الخط شيأ * ما يسمى فقال خط ابن مقله

وانشدني هو من لفظه لنفسه

سبق الدمع بالمسير المطايا * اذ نوى من احب عني نقله

واجاد الخطوط في صفحة الخد ولم لا يجيد وهو ابن مقله

وأنشدني في مليح نوتي

كلفت بنوتي كأن قوامه * اذا يتثنى خوط من البان ناعم

مجاذفه في كل قلب مجاذب * وهزاته للعاشقين هزائم

وأنشدته أنا لنفسي

وغلا رأسه وقلما أظفاره وقصرا من لمته وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا ما لما الم... هدية هي انفس عنده ولا هو عليها أحرص من ابن أخته قد رده الله اليه فخرجا به حتى اذا وقفا على باب الملك بشرا به فسر به الى امه وقال لهما احكما فقالا حكمنا منادمتك ما بقيت وبقينا فقال ذلك لكما فهما ندمانا جذيمة المعروفان واياهما عنى متمم بن نويرة اليربوعي في مرثيته لاخيه مالك حين قتله خالد بن الوليد بن المغيرة يوم البطاح

وكنا كندماني جذيمة حقبة

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا

لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال أبو خراشة الهذلي

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا

خليلا صفاء مالك وعقيل

وان ام عمرو عمدت اليه فبعثت معه حفدة يقومون عليه في الحمام حتى اذا خرج ألبسته من طرائف ثياب الملوك وجعلت في عنقه طوقا من ذهب لنذر كان عليها ثم امرته بزيارة خاله فلما راى خاله لحيته والطوق في عنقه قال شب عمرو عن الطوق واقام عمرو مع جذيمة خاله قد حمل عنه عامة امره وان الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن اذينة بن

ان نوني مركب نحن فيه * هام فيه صب الفؤاد جريحه
أقلع القلب عن سلوى لما * أن بدا ثغره وقد طاب ريحه

وأنشدته لنفسي أيضا

نوتينا حسنه بديع * وفيه بدر السماء مغرى
ماحك برا الا وقلنا * ياليت أنا نحك برا

فأعجباه رحمه الله تعالى وزهزهما وأنشدني هو لنفسه في مليح احدب

عشقته احدبا كيسا * يحاكي تحيا حسن النعام
اذا كدن اسقط من فوقه * تعلقت من ظهره بالسنام

فأنشدته لنفسي

واحدب رحت به مغرما * اذلم تشاهد مثله عيني
لا غرو ان هام فؤادي به * وخصره مابين دينين

وانشدني من لفظه لنفسه في اعمى

ماضر حسن الذي اهواه أن سنى * كريمتيه بلاشين قد احتجبا
قد كانتا زهرتي روض وقد ذوتا * لكن حسنهما الفتان ماذهبا
كالسيف قد زال عنه صقله فغدا * انكى وآلم في قلب الذي ضربا

وانشدته لنفسي في ذلك

ورب اعمى وجهه روضة * تنزهى فيها كثير الديون
في خده ورد غنينا به * عن نرجس سافقته العيون

وانشدته ايضا لنفسي في ذلك

فما حسن اعمى لم يخف حد طرفه * محب غدا اسكران فيه وماصحا
اذا صدخلبات برعي خدوده * غدا آمنا من مقلتيه الجوارحا

وكتبت اليه استدعاء وهو المسؤل من احسان سيدنا الامام العالم العلامة لسان العرب ترجمان الادب جامع الفضائل عمدة وسائل السائل عمد المقلدين زين المقلدين قطب المؤملين أفضل الآخرين وارث علوم الاولين صاحب اليد الطولى في كل مكان ضيق والتصانيف التي تأخذ بمجامع القلب فكل ذي لب اليها شيق والمباحث التي أثارت الادلة الراجحة من مكامن أماكنها وقنصت أوابدها الجامحة من مواطئ مواطنها كشاف معضلات الاوائل سباق غايات تقصر عن شأوها سحبان وائل فارع هضبات البلاغة في اجتلاء اجتلابها وهي في مرتقى مرقدها سالب تيجان الفصاحة في اقتضاء اقتضابها من فوق مرقدها حتى أبرز كلامه جنان فضل جنان من بعده عن الدخول اليها جبان وأتى ببراهين وجوه حورها لم يطمثهن انس قبله ولا جان وأبدع تماثل نظم ونثر لا تصل الى أثمان فنونها يد جان أثير الدين أبي حيان لا زال ميت العلم يحييه وهل عجيب ذلك من أبي حيان

حتى ينال بنو العلوم مرامهم * ويحلهم دار المنى بامان

اجازة كاتب هذه الاحرف مارواه فسح الله تعالى في مدته من المسانيد والمصنفات والسنن

كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية مدائنها على شاطئ الفرات من الجانب الشرقي والغربي وهي اليوم خراب وكانت فيما ذكر قد سمت الفرات وجعلت من فوقه ابنية رومية وجعلته أبوابا بين مدائنها وكانت تغدو بالجنود تخطها جذيمة الابرش فكتبت اليه اني فاعلة ومثلك من رغب فيه واذا شئت فاشخص الي وكانت بنزالجمع عنده ذلك جذيمة أصحابه فاستشارهم فأشاروا عليه بالمضي وخالفهم قصير بن سعد تابع كان له من لخم فأمره أن لا يفعل ويكتب اليها فان كانت صادقة أقبلت اليك والا لم تقع في حبالها فعصاه وأطاعهم حتى اذا كان ببقة من دون هيت الى الانبار جمعهم وشاورهم فأمروه بالشخوص اليها فلم يعلموا من رأيه في ذلك وقال قصير تنصرف ودمك في وجهك فقال جذيمة ببقة قضي الامر فأرسلها مثلا وقال قصير بن سعد حين رآه قد عزم لا يطاع لقصير أمر فأرسلها مثلا وظعن جذيمة حتى اذا عاين مدينتها وهي بمكان

والمجاميع الحديثية والتصانيف الادبية نظما ونثرا الى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها مما تلقاه ببلاد الاندلس وافريقية والاسكندرية والديار المصرية والبلاد الحجازية وغيرها من البلدان بقراءة أو سماع أو مناولة أو اجازة خاصة أو عامة كفيما تأدى ذلك اليه واجازة ماله أدام الله افادته من التصانيف فى تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والادبية وغيرها وماله من نظم ونثر اجازة خاصة وان يثبت بخطه تصانيفه الى حين هذا التاريخ وأن يجيزه اجازة عامة لما يتجدد له من بعد ذلك على رأى من يراه ويجوزه منعما متفضلا ان شاء الله تعالى (فكتب الجواب رحمه الله تعالى) أعزك الله ظننت بانسان جميلا فغاليت وأبديت من الاحسان جزيلا وما باليت وصفت من هو القتام يظنه الناس سماء والسراب يحسبه الظمآن ماء يا ابن الكرم وأنت ابن من يشيم امع الروض النضير يرعى الهشيم أما اغنتك فضائلك وفواضلك ومعارفك وعوارفك عن نغبة من دأما وتربة من يهما لقد تبلجت المهارق من نور صفحاتك وتأرجت الاكوان من أريج نفحاتك ولانت اعرف من يقصد للدراية وانهد من يعتمد عليه من الرواية لكنك اردت ان تكسو من مطارفك وتتفضل من تالدك وطارفك وتجلو الخامل فى منصة النباهة وتنقذه من لكن الفهاهة فتشيد له ذكرا وتعلى له قدرا ولم يمكنه الا اسعافك فيما طلبت واجابتك فيما اليه ندبت فان المالك لا يعصى والمتفضل المحسن لا يقصى وقد أجزت لك أيدك الله تعالى جميع ما رويته عن أشياخى بجزيرة الاندلس وبلاد افريقية وديار مصر والحجاز وغير ذلك بقراءة او سماع او مناولة واجازة مشافهة وكتابة ووجادة وجميع ما أجيز لى أن أرويه بالشام والعراق وغير ذلك وجميع ما صنفته واختصرته وجمعته وأنشأته نظما ونثرا وجميع ما سألت فى هذا الاستدعاء من مرويانى الكتاب العزيز قرأته بقراءة السبعة على جماعة من اعلاهم الشيخ المسند المعمر فخر الدين أبو الطاهر اسمعيل بن هبة الله بن على بن هبة الله المصرى المليجى آخر من روى القرآن بالتلاوة على أبى الجود والكتب الستة والموطأ ومسند عبد بن حميد ومسند الدارمى ومسند الشافعى ومسند الطيالسى والمعجم الكبير للطبرانى والمعجم الصغير له وسنن الدارقطنى وغير ذلك وأما الاجزاء فكثيرة جدا ومن كتب النحو والآداب فاروى بالقراءة كتاب سيبويه والايضاح والتكملة والمفصل وجمل الزجاجى وغير ذلك والاشعار الستة والحماسة وديوان حبيب والمتنبى والمعرى وأما شيوخى الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة فهم كثير وأذكر الآن منهم جماعة فمنهم القاضى أبو على الحسن بن عبد العزيز بن أبى الاحوص القرشى والمقرى أبو جعفر أحمد بن سعيد بن أحمد بن بشر الانصارى واسحق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك ابن درباس وأبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب القوّاس البغدادى وصفى الدين الحسين ابن أبى منصور بن ظافر الخزرجى وأبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الاشعرى ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الازدى بن الدهان وقطب الدين محمد بن أحمد بن على بن محمد بن القسطلانى ورضى الدين محمد بن على بن يوسف الانصارى الشاطبى اللغوى ونجيب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمذانى ومكى بن محمد بن أبى القاسم بن حامد

تركت الرأى بنقبة فقال عند ذلك أشر على فقال ان اتيتك الكتائب خيلك بحية الملك وانصرفوا أمامك فالمرأة صادقة وان هم أخذوا بجنبيك ووقفوا دونك فالقوم منعطفون عليك فيما بينهم وبين جنودهم فاركب العصا فانها لا تدرك ولا تسبق يعنى فرسا كانت تجنب معه فاستقبله القوم فأحاطوا به فحال بين ركب العصا وعمد اليها قصير فركبها وجعل وانطلق والتفت جذيمة فاذا هو بالعصا عليها قصير أمام خيلهم حتى توارت به فدخل جذيمة سائل من قرنت به العصا فادخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن كبعثاها (أى سلها) وقد ضفرت ما بها وقالت يا جذيمة أى متاع عروس ترى قال أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر فقالت أما والله ما ذاك من عدم مواس ولا قلة أواس ولكن شيمة ما أناس ثم أجلسته على نطع ودعت له بطست من ذهب فقطعت رواهشه واستنزفته حتى اذا ضعفت قواه ضرب بيده فقطرت قطرة على دعامة من رخام وقد قيل لها انه ان وقع من دمه قطرة فى غير طست طلب بدمه فقالت أى جذيمة لا تضيعن من دمك شيأ فانى انما بعثت اليك لانه بلغنى أن دمك شفاء من الخبل فقال جذيمة وما يغنيك من دم

الاصبهاني الصفار ومحمد بن عمر بن محمد بن علي السعدي الضرير بن الفارص وزين الدين أبو بكر محمد بن اسمعيل بن عبد الله الانماطي ومحمد بن ابراهيم بن ترحم بن حازم المازني ومحمد بن الحسين بن الحسن بن ابراهيم الدارمي بن الخليلي ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الانصاري بن الخيمي ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر العنسي عرف بابن التين وعبد الله ابن محمد بن هرون بن عبد العزيز الطائي القرطبي وعبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان ابن قتيان بن كامل الحزمي وعبد الله بن أحمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن فارس التميمي وعبد الرحمن بن يوسف بن يحيى بن يوسف بن خطيب المزة وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي المصري السكري وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصيقل الحراني وعبد العزيز بن عبد القادر بن اسمعيل الغيالي الصالحي الكناني وعبد المعطي بن عبد الكريم ابن أبي المكارم بن منجي الخزرجي وعلي بن صالح بن أبي علي بن يحيى بن اسمعيل الحسيني البهنسي المجاور وغازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوي والفضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الخزرجي ويوسف بن اسحق بن أبي بكر الطبري المكي والسمر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن السمر القشيري ومؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي وشامية بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد التيمية وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي وممن كتبت عنه من مشاهير الادباء أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرج المالقي بن المرحل وأبو الحسن بن حازم بن محمد بن حازم الانصاري القرطاجني وأبو عبد الله بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلي التطيلي وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن زنون المالقي وأبو عبد الله محمد بن عمر بن جبير الحلياني العكي المالقي وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الانصاري الجزار وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولوا القرشي وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي علي الحسن المصري الوراق وأبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن ياسين الكومي التلمساني وأبو العباس أحمد بن أبي الفتح نصر الله بن باتكين القاهري وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن محمد ابن حماد بن محسن الصنهاجي البوصيري وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم الغرزي * وممن أخذت عنه من النحاة أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشني الابذي وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي بن الضائع وأبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللبلي وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن نصر الحلبي بن النحاس وممن لقيته من الظاهرية أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الانصاري الاشبيلي الزاهد وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهري الشنتمري وجملة الذين سمعت منهم نحو من اربعمائة شخص وخمسين وأما الذين أجازوني فعالم كثير جدا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار افريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام وأما ما صنفته فمن ذلك البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم اتحاف الاديب بما في القرآن من الغريب كتاب الاسفار الملخص من كتاب الصفار شرح الكتاب سيبويه كتاب التجريد لاحكام سيبويه كتاب التذييل والتكميل

واستصفت دمه وجعلته في برنية وقال بعضهم دخل عليها جذيمة في قصر لها ليس فيه إلا الجواري وهي على سرير فقالت للاماء خذن بيد سيدكن ثم دعت بنطع فأجلسته عليه فعرف الشر وكشفت عن عورتها فاذا هي قد عقدت شعر استها من وراء فقالت أشوار عروس ترى فقال بل شوار أمة بظرا فقالت أما والله ما ذا الشيء من عدم مواس ولا من قلة أواوس ولكنها شيمة ما أناس ثم أمرت برواهشه فقطعت وجعلت دمه يشخب في النطع كراهة أن يفسد مقعدها وقيل جذيمة لا تجرفوا دم الملك ثم أراقه أهله ومحا قصير وورد الخبر على عمرو بن عبد الجن التنوخي بالحيرة واشتغل بذلك فقال له قصير اطلب بثار ابن عمك والاستملك العرب فلم يحفل بذلك أن عنده خبرا فخرج قصير الى عمرو بن عدي فقال له هل لك الى أن أصرف الجنود اليك على أن تثأر خالك فجعل له ذلك فصرف وجوه الجنود اليه ومناهم بالمال والحال فانصرف اليه منهم بشر كثير فالتقى

هو والتنوخي فلما خافوا الفناء بايعه التنوخي وتم الامر لعمرو بن عدي فقال له قصير انظر ما وعدتني به

فى شرح التسهيل كتاب التذييل المخلص من شرح التسهيل كتاب التذكرة كتاب المبدع فى التصريف كتاب الموفور كتاب التقريب كتاب التدريب كتاب غاية الاحسان كتاب النكت الحسان كتاب الشذا فى مسألة كذا كتاب الفضل فى أحكام الفصل كتاب اللمحة كتاب الشذرة كتاب الارتضاء فى الفرق بين الضاد والظاء كتاب عقد اللآلى كتاب نكت الامالى كتاب النافع فى قراءة نافع الأثير فى قراءة ابن كثير المورد الغمر فى قراءة أبى عمرو الروض الباسم فى قراءة عاصم المزن الهامر فى قراءة ابن عامر الرمزة فى قراءة حمزة تقريب النائى فى قراءة الكسائى غاية المطلوب فى قراءة يعقوب قصيدة النير الجلى فى قراءة زيد بن على الوهاج فى اختصار المنهاج الانور الاجلى فى اختصار المحلى الحلل الحالية فى أسانيد القرآن العالية كتاب الاعلام بأركان الاسلام نثر الزهر ونظم الزهر نظر الحسبى فى جواب أسئلة الذهبى فهرست مسموعاتى نوافث السحر فى دمائث الشعر تحفة الندس فى نحاة الاندلس الابيات الوافية فى علم القافية جزء فى الحديث مشيخة ابن أبى المنصور كتاب الادراك للسان الاتراك زهو الملك فى نحو الترك نفحة المسك فى سيرة الترك كتاب الافعال فى لسان الترك منطق الخرس فى لسان الفرس ومما لم يكمل تصنيفه كتاب مسلك الرشد فى تجريد مسائل نهاية ابن رشد كتاب منهج السالك فى الكلام على ألفية ابن مالك نهاية الاعراب فى علمى التصريف والاعراب رجز مجانى الهصر فى آداب وتواريخ لأهل العصر خلاصة التبيان فى علمى البديع والبيان رجز نور الغبش فى لسان الحبش المحبور فى لسان اليحمور قال وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن على ابن يوسف بن حيان وأنشدنى الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه فى صفات الحروف

إن لها وللمستطيل أعلى * كلما اشتد صار للنفس رخوه
أهمس القول وهو يجهر سرى * وإذا ما انخفضت أطبق علوه
فتح الوصل ثم أطبق هجرا * بصفير والقلب قلقل شدوه
لان دهرا ثم اغتدى ذا انحراف * وفشا السر منه تكرير نخوه

وأنشدنى أيضا لنفسه

يقول لى العذول ولم أطعه * تسل فقد بدا للحب لحيه
تخيل أنها شانت حبيبى * وعندى أنها زين وحليه

وأنشدنى لنفسه أيضا

شوقى لذاك المحيا الزاهر الزاهى * شوق شديد وجسمى الواهن الواهى
أسهرت طرفى وولهت الفؤاد هوى * فالطرف والقلب منى الساهر الساهى
نهيت قلبى ونهيى أن أبوح بما * يلقاه واشوقه للساهب الساهى
بهرت كل مليح بالبهاء فما * فى البرية شبيه الباهر الباهى
لهجت بالحب لما لهوت به * عن كل شئ وشأن اللاهج اللاهى

وأنشدنى من لفظه لنفسه

فى الزباء فقال عمرو كيف لنا بها وهى أمنع من عقاب الجو فقال أما إذا أبيت فإنى جادع أنفى وأذنى ومحتال لقتلها بجهدى فأعنى وخلاك ذم فقال له عمرو وأنت أبصر فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت من أنت فقال أنا قصير لا ورب الناس ما كان على وجه الارض أحد كان أنصح لجذيمة ولا أغش لك منى حتى جدع عمرو أنفى وأذنى فعرفت أنى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منى معك فقالت أى قصير نقبل منك ونصرفك فى بضاعتنا فأعطته مالا للتجارة فأتى بيت مال الحيرة فأخذ منه بأمر عمرو بن عدى وانصرف به إلى الزباء فلما رأت ما جاءها به فرحت بذلك وزادته مالا إلى ما جاء به فقال انه ليس من ملك إلا وهو يتخذ نفقا فى مدائنهم إذا ما تكون لهم عدة قالت له أما إنى قد فعلت ذلك فذهبت سربا وبنيته من تحت سريرى هذا حتى تخرج من تحت الفرات الى سرير أختى دخله ففرح بذلك قصير ثم ظعن حتى أتى عمرا فركب عمرو فى ألفى رجل على ألف بعير فى الغرائر حتى صار اليها فتقدم قصير وسبق الابل فقال للزباء اصعدى حائط مدينتك وانظرى الى مالك وتقدمى الى بوابك لا يعرض

راض حبيبي عارض قد بدا * يا حسنه من عارض رائض
وظن قوم ان قلبي سلا * والاصل لا يعتد بالعارض

وأنشدني من لفظه لنفسه

تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
أخا العقل يدري ما مراد من الهوى * أمنت عليه من رقيب ومن صد
وقالوا الورى قدما ان في شرعة الهوى * لسود اللحى ناس وناس الى المرد
ألا انني لو كنت اصبو لامرد * صبوت الى هيفاء مائسة القد
وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا * فاحببت ان أبقى بابيضهم وحدي

وأنشدني من لفظه لنفسه

الآن الحاظا بقلبي عوابثا * أظن بها هاروت أصبح نافثا
اذا رام ذو وجد سلوا معنه * وكن على دين التصابي بواعثا
وقيد من أضحى عن الحب مطلقا * وأسرعن للبلوى من كان رائثا
بروحي رشا من آل خاقان راحل * وان كان ما بين الجوانح لابثا
غدا واحدا في الحسن للفضل ثانيا * وللبدر والشمس المنيرة ثالثا

وأنشدني لنفسه ومن خطه نقلت

أسحر لتلك العين في القلب أم وخز * ولين لذاك الجسم في اللمس أم خز
رأ الود ذاك القد أم اسمر غدا * له أبدا في قلب عاشقه هز
وتلك كساها الحسن أخضر حله * فصار عليها من محاسنها طرز
وأهدى اليها الغصن لين قوامه * فماس كأن الغصن حامره العز
يدوع أديم الارض من تشرطيها * ويخضر من آثارها تربه الجرز
وتختال في برد الشباب اذا مضت * فينهضها تدويقعدها عجز
أصابت فؤادا الصب منها بنظرة * فلا رقية تجدي المصاب ولا حرز

وأنشدني اجازة في مليح أبرص ومن خطه نقلت

وقالوا الذي قد صرت طوع جماله * ونفسك لاقت في هواه نزاعها
به وضح ناباه نفس أولى النهى * وأقطع داء ما ينافي طباعها
فقلت لهم لا عيب فيه يشينه * ولا علة فيه يروم دفاعها
ولكنها شمس الضحى حين قابلت * محاسنه ألقت عليه شعاعها

وأنشدني من لفظه لنفسه في خام

وعلقته مسود عينين وورة * وثوب يعاني صنعة الفحم عن قصد
كأن خطوط الفحم في وجناته * اماخة مسك في جني من الورد

وأنشدني اجازة ومن خطه نقلت

سال البدر هل تحكي أخوه * قلت يا بدر لن تطيق طلوعا
كيف يبدو وأنت بالبدر باد * أو بدران يطلعان جميعا

فلما نظرت الى ثقل مشي
الجمال قالت
ما للجمال مشيها وئيدا
اجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا باردا شديدا
ام الرجال جثما قعودا
ودخلت الابل المدينة
حتى اذا بقي آخرها جملا
بين صبر البواب بطعن
بمخصره كانت في يده خاصرة
رجل صرط فقال البواب
بشتابشتا بالنبطية اى في
الجوالق شر وثار الرجال
من الجوالق ضربا باسيافهم
وخرجت الزباء هاربة الى
سربها فابصرت قصيرا عند
نفقها فصلتها [illegible]
فانصرفت راجعة والقاها
عمرو بن عدي فضربها وقال
بعضهم مصت خاتمها
وكان فيه سم ساعة وقالت
بيدي لا بيد عمرو وخربت
المدينة وسبيت الدراري
فقالت الشعراء في امرها
وامر قصير فاكثرت فمن ذلك
قول المتلمس
ومن طلب الاوتار ما جذ
انفه
قصير ورام الموت بالسيف
بيهس
تعاميت لما صرع القوم
رهطه
تبين في اثوابه كيف يلبس
ومن ذلك قول عدي بن

و أنشدني من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني

عادلي في الاهيف الآنس * لو رآه الآن قد عذرا

رشا قد زانه الحور

غصن من فوقه قمر

فمن سحبه الشعر

ثغره من فيه أم درر

حال بين الدر واللعس * خمره من ذاقها سكرا

ردفه بالردف أم كسل

ريقه بالثغر أم عسل

ورده بالخد أم خجل

كحل بالعين أم كحل

يا لهامس أعين نعس * جلبت للناظري سهرا

منذ نأى عن مقلتي سنى

ما أذ قالذة الوسن

طال ما ألقاه من شجن

عجبا ضدان في بدن

بفؤادي جذوة القبس * وبعيني الماء منفجرا

قد أتاني الله بالفرح

اذ دعاني أبو الفرج

قمر قد حل في المهج

كيف لا يخشى من الوهج

غيره لو صابه نفسي * طيه من حره شررا

نصب العينين لي شركا

فانثني والقلب قد ملكا

قد رأيحي له ملكا

قال لي يوما وقد ضحكا

أتحي من أرض أندلس * نحو مصر تعشق القمرا

وأما موشحة ابن التلمساني فهي

قمر يجلو دجى الغلس * بهر الابصار مذ ظهرا

أمن من شنفة الكاف

ذبت من حبيه باكاف

لم يزل يسعى الى تلفى

بركاب الذل والصلف

وكان يقول لو وقع اليقين لخطيئته التي غدرت وخانت

وهي ذوات عائلة لحيلها مع أشعار كثيرة قيلت في ذلك وكانت الزباء لا تأتي حصنا الا ضفرت شعرها من جانبه ثم تقاعست تجاهه حتى تطلب ذلك مارد حصن دومة الجندل والا ابلق حصن تيماء

تمرد مارد وعز الابلق وهما الحصنان اللذان يذكرهما العرب في أشعارها فقال الاعشى في ذلك

بالابلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار

وجدته لوضح الذي يقول فيه

ماست مودته الحديث ونحن منهم وفاتر

أين ماء أحور دور عين لنا وأحوى دو أباعر والملك كان لذي نوا من حوله من ذي بحائر

بالسابعات وبالقنا والبيض تبرق والمغافر

أرمان نطلاق وفيهم منهم بادو حاضر

وانما سمي جذيمة الابرص الوضاح لانه كان به برص

فكني به اعظاماله (قال المسعودي) هذا بدو خبر بني عدي وقد قدمنا انه ذهب كما كان سنته

العرب خمسا وعشرين
سنة وكانت امه مارية
البرية أخت ثعلبة بن عمرو
من ملوك غسان وملك
النعمان بن امرئ القيس
قاتل الفرس خمسا وستين
سنة وكانت أمه الهيجانة
بنت سلول من مراد وبعاله
من اياد وملك المنذر بن
النعمان فارس حليمة
وهو الذي بنى الخورنق
وكردس الكراديس خمسا
وثلاثين سنة وكانت أمه
هند بنت الهيجانة من آل
بكر وملك المنذر بن الاسود
ابن النعمان بن المنذر
أربعا وثلاثين سنة
وكانت امه ماء السماء
بنت عوف بن النمر بن
قاسط بن أقصى بن دعمي بن
خويلد بن أسد بن ربيعة
ابن سرار وانما سميت ماء
السماء لحسنها وجمالها ثم
ملك بعده عمرو بن المنذر
أربعا وعشرين سنة
وكانت أمه اخت عمرو بن
قابوس من آل نصر ثم
ملك قابوس بن المنذر
ثلاثين سنة وكانت أمه
بنت الحرث من آل معاوية
ابن معديكرب وملك
النعمان بن المنذر وهو
الذي يقال له أبيت اللعن
اثنتين وعشرين سنة
وكانت أمه سلمى بنت وائل بن عطية من كتاب (وذكر عدة من الاخباريين) أن النابغة

آه لولا أعين الحرس * نلت منه الوصل مقتدرا
يا أميرا جار مذ وليا
كيف لا ترثي لمن بليا
فبثغر منك قد جليا
قد حلا طعما وقد حليا
وبما أوتيت من كيس * جدفا أبقيت مصطبرا
بدر تم في الجمال سبي
ولهذا القيوه سنى
مدسيا لي لذة الوسن
عجبا باهر حسن
هو خشف وهو مفترسي * فاروعن أعجوبتي خبرا
لك خدّ يا أبا الفرج
زين بالتوريد والضرج
وحديث عاطر الارج
كم سبي قلبا بلا حرج
لو رآك الغصن لم يمس * أو رآك البدر لاستترا
يا مذيبا مهجتي كمدا
فقت في الحسن البدور مدى
يا كحيلا كحله اعتمدا
عجبا أن تبرى الرمدا
ويسقم الناظر بن كسى * جفنك السحار وانكسرا
وأنشدني من لفظه لنفسه ايضا
ان كان ليل داج * وخاننا الاصباح * فنورها الوهاج * يغني عن المصباح
سلافة تبدو * كالكوكب الازهر
مزاجها شهد * وعرفها عنبر
وحبذا الورد * منها وان اسكر
ذاتي بها قد هاج * فما أراني صاح * عن ذلك المنهاج * وعن هوى ياصاح
وبي رشا أهيف * قد لج في بعدي
بدر فلا يخسف * منه سنى الخد
بلحظه المرهف * يسطو على الاسد
كسطوة الحجاج * في الباس والسفاح * فما ترى من ناج * من لحظه السفاح
عال بالمسك * قلب رشا أحور
منعم المسك * ذي مبسم أعطر

ريّاه كالمسك * وريقه كوثر

غصن على رجراج * طاعت له الارواح * فحبذا الاراج * ان هبت الارواح

مهلا أبا القاسم * على ابي حيان

ما ان له عاصم * من لحظك الفتان

وهجرك الدائم * قد طال بالهيمان

فدمعه أمواج * وسره قد باح * لكنه ما عاج * ولا أطاع اللاح

يا رب ذي بهتان * يعذل في الراح

وفي هوى غزلان * دافعت بالراح

وقلت لا سلوان * عن ذاك يا لاح

سبع الوجوه والتاج * هي منية الافراح * فاختر لي يا زجاج * قمال وزوج اقداح

وأنشدني من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التي نظمها في مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها الى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه وأولها

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده * لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وهي قصيدة جيدة تزيد على مائة بيت وحكى لي أن الشيخ أثير الدين رحمه الله تعالى ضعف فتوجه اليه جماعة يعودونه وفيهم شمس الدين بن دانيال فأنشدهم الشيخ رحمه الله تعالى القصيدة المذكورة فلما فرغت قال ابن دانيال يا جماعة اخبركم ان الشيخ قد عوفي وما بقي عليه باس لانه لم يبق عنده فضلة قوموا باسم الله وأنشدني من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى قصيدته السينية التي أولها

أهاجك ربع حائل الرسم دارسه * كوحي كتاب أضعف الخط دارسه انتهى

نص الصفدي وما ذكره رحمه الله تعالى في موضع ولادة أبي حيان غير مخالف لما ذكره في الوافي انه ولد بغرناطة الان قوله بمدينة مطخشارش فيه نظر لانه يقتضي انها مدينة وليس كذلك وانما هي موضع بغرناطة ولذا قال الرعيني ان مولد أبي حيان بمطخشارش من غرناطة ونحوه لابن جماعة انتهى وهو صريح في المراد وصاحب البيت ادرى بالذي فيه على انه يمكن ان يرد كلام الصفدي لذلك والله تعالى اعلم وذكر في الوافي انه تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية والاقراء بالجامع الاقمر قال الصفدي وقال لي لم أر بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءته وكان ذلك حين قرأت عليه المقامات الحريرية بعصر جماعة انتهى وما وقع في كلام كثير من أهل المغرب ان اباحيان توفي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة غير ظاهر لان اهل المشرق أعرف بذلك اذ توفي عندهم وقد تقدم انه توفي سنة خمس واربعين وسبعمائة فعلى كلام اهل المشرق في هذا المعول والله اعلم وكانت نضار بنت ابي حيان حجت وسمعت بقراءة العلم البرزالي على بعض الشيوخ وحدثت بشيء من مروياتها وحضرت على الدمياطي وسمعت على جماعة وهي بضم النون وتخفيف الضاد وأجازها من المغرب أبو جعفر ابن الزبير وحفظت مقدمة في النحو ولما توفيت عمل والدها فيها كتابا سماه النضار في المسلاة عن نضار وكان والدها يثني عليها كثيرا وكانت تكتب وتقرأ قال الصفدي

جذل للرحيق فان تلج تلق الخد عن غرر مواهبه فانت قسيم ما أفدت قال له الحاجب ما تفي عنائي بدون شكرك فكيف أرغب فيما وصفت ودون ما طلبت رهبة التعدي قال النابغة ومن عنده قال الحاجب خالد بن جعفر الكلابي نديمه فقال النابغة هل لك الى ان تؤدي الى خالد عني ما اقول لك قال وما هو قال تقول ان من بدرك وفاء الدرك بك وتاديتي من الشكر ما قد علمت فاما صار خالد الى بعض ما تبعثه موارد الشراب عليه نهض فاعترضه الحاجب فقال ايهلك التمام حادث النعيم قال وما ذاك فاخبره الخبر وكان خالد رفيقا باتي الاشياء بلطف وحسن بصيرة فدخل متبسما وهو يقول

الا ملك أو من أنت سابقه سبق الجواد اذا استولى على الامد

واللات لكالي انظر الى ذي رعين وقد مدت لهم تضبان الحمد الى معالم أحسابكم ومناقب أنسابكم في حلبة أنت أبيت اللعن غرتها فجئت سابقا منهملا

وجاؤا الميلهم سعى قال النعمان لانت في وصفك أبلغ احسانا من النابغة في نظام قافيته فقال خالد ما أبلغ فيك حسنا

قال لي والدها انها خرجت جزأ لنفسها وأنها تعرب جيدا وأظنه قال لي انها تنظم الشعر وكان يقول دائما ليت أخاها حيان كان مثلها وتوفيت رحمها الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ في حياة والدها فوجد عليها وجدا عظيما ولم يثبت وانقطع عند قبرها بالبرقوقية ولازمه سنة ومولدها في جمادى الآخرة سنة ٧٠٢ قال الصفدي وكنت بالرحبة لما توفيت فكتبت لوالدها بقصيدة أولها

بكينا بالعين على نضار * فسيل الدمع في الخد بن جاري
فيا لله جارية تولت * فنبكيها بأدمعنا الجواري انتهى

وقال الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن سعد الرعيني الاندلسي في برنامجه عند ذكره شيخه أبا حيان زيادة على ما قدمناه ما لخصه ان أبا حيان قال سمعت بغرناطة ومالقة وبلش والمرية وبجاية وتونس والاسكندرية ومصر والقاهرة ودمياط والمحلة وطهرمس والجيزة ومنية ابن خصيب ودشنا وقنا وقوص وبلبيس وبعيذاب من بلاد السودان وبينبع ومكة شرفها الله تعالى وجدة وأيلة ثم فصل من لقيه في كل بلد الى أن قال وبمكة أبا اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عبد الله بن عساكر الى أن قال فهذه نبذة من شيوخي وجملة من سمعت منهم نحو خمسمائة والمجيزون أكثر من ألف وعدة كتب القرا آت التي أخذتها سبعة عشر كتابا وقال في حق المليحي انه أعلى شيوخي في القرا آت وأن آخر من روى عنه السبع أبو الجود غياث بن فارس المنذري اللخمي واجازته منه سنة ٦٠٤ قال وقرأت البخاري على جماعة أقدمهم اسنادا فيه أبو العز الحراني قرأته عليه بلفظي الا بعض كتاب التفسير من قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض الى قوله سبحانه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في سورة النور فسمعته بقراءة غيري قال أنبأنا به أبو المعالي أحمد بن يحيى بن عبد الله الخازن البيع سماعا عليه سنة ستمائة ببغداد أنبأنا أبو الوقت بسنده وكمل له رحمه الله تعالى جامع الترمذي بين قراءة وسماع على ابن الزبير بغرناطة وسمعه على محمد بن ترحم أنبأنا ابن البناء أنبأنا الكروخي بسنده وقرأ السنن لابي داود بغرناطة على أبي زيد عبد الرحمن الربعي عرف بالتونسي أنبأنا به سهل بن مالك وقرأه بالقاهرة على أبي الفضل عبد الرحيم بن خطيب المزة عن أبي حفص بن طبرزد عن أبي بدر الكروخي ومفلح الرومي عن أبي بكر بن ثابت الخطيب أنبأنا أبو عمر الهاشمي أنبأنا اللؤلؤي أنبأنا أبو داود وقرأ الموطأ على أبي جعفر ابن الطباع عن أبي القاسم بن بقي عن ابن عبد الحق عن ابن الطلاع بسنده وهذا أعلى سند يوجد عن يونس بن مغيث في عصره وسمع أبو حيان الاجزاء الخلعيات والغيلانيات والقطيعيات والنهروانيات والمحامليات والثقفيات وسداسيات الرازي بعلو وقرأها على صفي الدين عبد الوهاب بن الفرات عن أبي الطاهر اسمعيل بن ياسين الجيلي وهو آخر من حدث عنه عن أبي عبد الله الرازي سماعا وقرأ جزء الانصاري على أبي بكر بن الاغماطي بسماعه حضورا في الرابعة على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز سنة ٥٣٢ أنبأنا ابراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي قراءة عليه في رجب سنة ٤٤٥ أنبأنا عبد الله بن ابراهيم بن ماسي أنبأنا أبو مسلم الكشي البصري أنبأنا محمد بن عبد الله

لحاجب فقال قد أذن بفتح الباب ورفع الحجاب ادخل فدخل ثم انتصب بين يديه وحيا بتحية الملك وقال أبيت اللعن أتفاخر وأنت سائد العرب ونبعة الحسب واللات لأمسك أيمن من يومه ولقفاك أحسن من وجهه وليسارك أسمح من يمينه ولوعدك أصلح من رفده ولعبيدك أكثر من قومه ولاسمك أشهر من قدره ولنفسك أكبر من جده وليومك أشهر من دهره ثم قال

أخلاق مجدك جلت ما لها خطر
في الجود والباس بين العلم والخبر
متوج بالمعالي فوق مفرقه
وفي الوغى ضيغم في صورة القمر

فتهلل وجه النعمان بالسرور ثم أمر فحشي فوه جوهرا ثم قال بمثل هذا فلتمدح الملوك وقد كان النعمان قتل عدي بن زيد التميمي وكان يكتب لكسرى ابرويز ترجمانا اذا وفد عليه زعماء العرب لموجدة وجدها عليه النعمان في خبر طويل الشرح فلما قتل صار زيد بن عدي مكان أبيه فذكر لابرويز جمال نساء آل المنذر ووصفهن له فكتب

الانصاري وقرا جميع كتاب سيبويه على البهاء بن النحاس المشهور بالنحو في مصر والشام بقراءته على علم الدين أبي محمد القاسم بن أحمد بن الموفق بقراءته على التاج أبي اليمن الكندي أنبانا أبو محمد عبد الله بن على بن أحمد البغدادي مؤلف كتاب المبهج أنبانا أبو الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب عرف بابن الدباس أنبانا أبو القاسم عبد الواحد ابن على بن عمر بن برهان الاسدى أنبانا القاسم على بن عبيد الله الرقيني أنبانا على بن عيسى بن عبد الله الرماني أنبانا أبو بكر بن السراج أنبانا أبو العباس المبرد أنبانا أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني قالا أنبانا أبو الحسن الاخفش أنبانا سيبويه قال الشيخ أبو حيان ولا أعلم راويا له بمصر والشام والعراق واليمن والمشرق غيري ورويته عن الاساتيذ أبوي على بن الضائع وابن أبي الاحوص وأبي جعفر اللبلي عن أبي على الشلوبين وسنده مشهور بالمغرب ووقع لابي حيان تساعيات كثيرة وأغرب ما وقع له ثلاثة أحاديث بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثمانية أخبره المحدث نجيب محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني بقراءته عليه والجليلة السلطانية مؤنسة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي قراءة عليه وهو يسمع قالا أنبانا أبو المغر اسعد بن سعيد بن روح في كتابه أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن أحمد الجوزوانية أنبانا أبو بكر محمد بن عبد الله بن رندة الضبي الاصبهاني انبانا الحافظ أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطر اللخمي الطبراني انبانا عبيد الله بن رماحس القيسي برمادة الرملة سنة ٢٧٤ أنبانا أبو عمر زياد بن طارق وقد أتت عليه عشرون ومائة سنة قال سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هوازن اتيته فقلت

امنن علينا رسول الله في كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر * مشتت شملها في دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن * على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها * يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك تملؤه من محضها الدرر
اذ أنت طفل صغير كنت ترضعها * واذ يريبك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته * واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به * عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذي البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما أنت راهبه * يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله قال أبو القاسم الطبراني لا يروى عن زهير الا بهذا الاسناد وتفرد به عبيد الله بن رماحس وبالاسناد الى

الى النعمان يامره أن يبعث اليه بابنته فلما اقرأ النعمان كتابه قال للرسول وهو زيد بن عدي يا زيد أما لكسرى في مها السواد كفاية حتى يتخطى الى العربيات فقال زيد انما أراد الملك اكرامك أبيت اللعن بصهرك ولو علم ان ذلك يشق عليك لما فعله وسأحسن ذلك عنده واعذرك بما يقبله فقال النعمان وافعل فقد تعرف ما على العرب في تزويج العجم من الغضاضة والشناعة فادى اليه قوله في مها السواد على اقبح الوجوه واوجده عليه وقال سالها فقال البقر فاخذ عليه وقال رب عبد قد صار في الطغيان الى اكثر من هذا فاما بلغت كلمته الى النعمان تخوفه فخرج هاربا حتى صار الى طيئ لصهر كان له فيهم ثم خرج من عندهم حتى أتى بني رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس فقالا له أقم معنا فانا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا فجزاهم الخير ورحل عنهم يريد كسرى ليرى فيه رأيه وذلك قول زهير بن أبي سلمى

الم تر للنعمان كان بنجوة من الدهر لو ان امرأ كان ناجيا
فغير عنه ملك عشرين حجة * من الدهر يوما واحدا كان غاويا * فلم ار مسلوبا له مثل ملكه * اقل صديقا معطيا ومواسيا

الطبر ى أنبأنا عـمر بن محمد بن عبد الكريم بن فروخ بن درنج بن بلال بن سـعد بن بلال بن . . عد الانصاري الدمشقي قال حدثني جدي لامي عمر بن أبان بن مفضل بن أبان المدني قال أراني انس بن مالك الوضوء ٣أخـذ ركوة فوضعها عن يساره وصب على يده اليمنى فغسلها ثلاثا ثم أدار الركوة على يده اليمنى فغسلها ثلاثا وثلاثا ومسح برأسه وأخذ ماء جديدا لصماخيه فغسلهما فمسحهما ... فقال ياغلام هل رأيت وفهمت أو أعيد عليك فقلت قد كفاني وفهمت قال فكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ قال الطبراني لم يروعمر بن أبان عن أنس حديثا غير هذا وبالاسناد الى الطبراني حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد القصاص المصري أنبأنا دسار بن عبد الله مولى أنس بن مالك حدثني أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن رآني وآمن بي ومن رأى من رآني وآمن بي ومن رأى من رأى من رآني ثم قال الرعيني وتصانيف أبي حيان تزيد على خمسين مابين طويل وقصير ثم قال الرعيني وخرج أبو حيان من الاندلس مفتتح سنة ٦٧٩ واستوطن القاهرة بعد حجه وأنشد شيخه أبي الحسن الدباج

رضيت كفافي رتبة ومعيشة * فلست أسامي موسرا ووجيها
ومن جر أثواب الزمان طويله * فلابد يوما أن سيعثر فيها

وأنشد باسناده لموسى بن أبي تليد

حالي مع الدهر في تقلبه * كطائر ضم رجله شرك
وهمه في خلاص مهجته * يروم تخليصها فتشتبك

ثم أورد الرعيني جملة من نظم أبي حيان منها قوله

أريد من الدنيا ثلاثا وانها * لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قرآن ونفس عفيفة * واكثار أعمال عليها أواطب

وقوله

أرحت روحي من الايناس بالناس * لما غنيت عن الاكياس بالياس
وصرت في البيت وحدي لا أرى أحدا * بنات فكري وكتبي هن جلاسي

وقوله

وزهدني في جمع المال انه * اذا ما انتهى عند الفتى فارق العمرا
فلا روحه يوما أراح من العنا * ولم يكتسب حمدا ولم يدخر أجرا

وقوله

يظن الغمر أن الكتب تجدي * أخاذهن لادراك العلوم
وما يدري الجهول بان فيها * غوامض حيرت عقل الفهيم
اذا رمت العلوم بغير شيخ * ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الامور عليك حتى * تصير أضل من توما الحكيم

وله لغز في قبراط زاعما انه لايفك

وما اسم خماسي اذا ما فككته * يصير لنا فعلين أمرا وماضيا

يعكس

ـخ زاهـ ـجير وانى عـليهم
وودعهم نوديع أن لا
لقاء

وانـ ـل النعمان حتى أتى
المدائن ... كسرى
ثمانين آلاف جارية ... من
... غاب ... من فلما صار
النعمان ... يلد امرأة فلما
... عن ... السواد
قعم النعمان انه غير ناج منه
وتنبيه زيد بن عدي وقال له
النعمان ... فعلت هذا
بي لئن تخلصت لاسقينك
كأس ... ـقه زيد
... احسنت له
... لا ... المهر لا ارن
... كسرى النعمان حابس
في ... ساباط المدائن ثم
... تحت أرجل الفيلة
وقال بعضهم بل مات في
محبسه بساباط وقد ذكرت
ذلك الشعراء فأكثرت
... من ذلك ... الاعشى
... ساباط
ولا الملك النعمان يوما
...
يعطيه ... النحالك
...
... المسلمون
...
... في انهارها
والخورنق

ويقسم امر الناس يوما وليلة * وهم ساكتون والمنية تنطق فذلك وما انجى من الموت ربه * ساباطا حتى مات وهو محرزى

بعكس وهو كل وجزء وجمعه ، بابدال عين حارفيه الا اهدا
ومع كونه فردا وجمعا فأوّل * وآخره أضحى لشخص معاديا
وفى عكسه صوت فتبنيه صيغة * وتبنى بمعناه وما أنت بادما
فكم فيه من معنى خفى وانما * عنيت بذكرى للذى ليس خافيا

ثم قال الرعينى وهو شيخ فاضل ما رأيت مثله كثير الضحك والانبساط بعيد عن الانقباص جيد الكلام حسن اللقاء جميل المؤانسة فصيح الكلام طلق اللسان ذو لفوادة ... فاخرة له وجه مستدير وقامته معتدلة التقدير ليس بالطويل ولا بالقصير انتهى ما لخصته من كلام الرعينى * ولما قدم الاستاذ أبو حيان الى مصر أوصى أهله بقوله ينبغى للعاقل أن يعامل كل أحد فى الظاهر معاملة الصديق وفى الباطن معاملة العدوّ فى التحفظ منه والتحرز وليكن فى التحرز من صديقه أشدّ فى التحرز من عدوّه وأن يعتقد أن احسان شخص الى آخر وتودده اليه انما هو لعرض قام له فيه يتعلق به يعينه على ذلك لا لذات ذلك الشخص وينبغى أن يترك الانسان الكلام فى ستة أشياء فى ذات الله تعالى وما يتعلق بصفاته وما يتعلق بأحوال أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفى التعرض لما جرى بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وفى التعرض أيضا لائمة المذاهب رحمهم الله تعالى ورضى عنهم وفى الطعن على صالحى الامة نفع الله بهم وعلى أرباب المناصب والرتب من أهل زمانه وأن لا يقصد أذى أحد من خلق الله سبحانه وتعالى الا على حسب الدفع عن نفسه وأن يعذر الناس فى مباحثهم وادراكاتهم فان ذلك على حسب عقولهم وأن يصون نفسه عن المراء والاستهزاء والاستخفاف بأبناء زمانه وأن لا يبحث الا مع من اجتمعت فيه شرائط الديانة والفهم والمزاولة لما يبحث وأن لا يغضب على من لا يفهم مراده ومن لم يدرك ما يدركه وأن يلتمس مخرجا لمن ظاهر كلامه الفساد وأن لا يقدم على تخطئة أحد ببادى الرأى وأن يترك الخوض فى علوم الاوائل وأن يجعل اشتغاله بعلوم الشريعة ولا ينكر على الفقراء وليسلم لهم أحوالهم وينبغى للعاقل أن يلزم نفسه التواضع لعبيد الله سبحانه وتعالى وأن يجعل نصب عينيه أنه عاجز مفتقر وأن لا يتكبر على أحد وأن يقل من الضحك والمزاح والخوض فيما لا يعنيه وأن يتظاهر لكل بما يوافقه فيما لا معصية لله تعالى فيه ولا خرم مروءة وان يأخذ نفسه باجتناب ما هو قبيح عند الجمهور وان لا يظهر الشكوى لاحد من خلق الله تعالى وان لا يتعرض بذكر أهله ولا يجرى ذكر حرمه بحضرة جليسه وأن لا يطلع أحدا على عمل خير يعمله لوجه الله تعالى وأن يأخذ نفسه بحسن المعاملة من حسن اللقاء وجميل التغاضى وأن لا يركن الى أحد الا الى الله تعالى وأن يكثر من مطالعة التواريخ فانها تلقح عقلا جديدا والله سبحانه وتعالى أعلم انتهت وصية أبى حيان الجامعة النافعة وقد نقلتها من خط الشيخ العلامة أبى الطيب بن علوان التونسى المالكى الشهير بالمصرى وهو ممن أخذ عن تلامذة الشيخ أبى حيان رحمه الله تعالى قلت وفى هذه الوصية من نهيه عن الطعن فى صالحى الامة نفع الله تعالى بهم وأمره بالتسليم لاحوالهم وعدم الانكار عليهم علم أن ما نقله الصفدى عنه فيما تقدم من قوله ان الشيخ أبا مدين الى آخره كلام فيه نظر لان

وقال هانئ بن مسعود الشيبانى
ان ذا التاج لا أبالك أضحى
فى الورى راسه تحوز العقول
ان كسرى عدا على الملك النعمان حتى سقاه ... الابل
... النعمان
... ولا ...
... وا ...
... نواحيه
(وقد كان النعمان
... أراد لمن الحرى
مستسلما مر على ... ان
... وال
عند هانئ بن مسعود ...
... الشيبانى ...
كسرى على النعمان بعث
الى هانئ بن مسعود
وطالبه بتركته ...
... الدم ...
ذلك الذى ... أهل
حرب ذى قار ...
ذلك ... هذا
الكتاب ... ه
هما (...)
بنت النعمان بن المنذر لما
خرجت الى بيعة ...
لما طرقها الحر ...
معنى الحرو ...
...
...

منزلهما تلما هلك النعمان لسكها الزمان فانزلهما من الرفعة الى ان لما ولما ورد سعد بن أبى وقاص العراق ... رحمهم الله

أباحد ان رضي الله تعالى عنه لا ينكر كرامات الاولياء كيف وقد ذكر رحمه الله تعالى منها كثيرا فمن ذلك ما حكى عنه تلميذه الرعيني بسنده الى الفقيه المقرى الصالح أبي تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونة الخزاعي حدث انه زار قبر أبي الحسن بن جالوت ولم يكن زاره قبل فاشتبه عليه فتركه فسمع النداء من قبر معين يا غالب أتمشي وما زرتني فزار ذلك القبر وقعد عنده ثم جاء ابن أبي الحسن المذكور فسأله عن القبر فقال هو الذي قعدت عنده وغالب هذا وابن جالوت هما من أصحاب الشيخ أبي احمد بن سيد بونة الخزاعي وهو من اصحاب الشيخ ابي مدين انتهى فكيف ينكر ابو حيان كرامات الصالحين وهو ينهى عن الطعن فيهم ويحكى كراماتهم نعم قول الصفدي قبل ذلك الكلام انه كان ينسخ على فقراء الوقت كلام صحيح في الجملة لكثرة الدعاوى الباطلة ممن ليس من اهل الصلاح واما انكار الكرامات مطلقا فمقام ابي حيان يجل عن ذلك والله تعالى اعلم وقد اورد ابن جماعة له من قطعة قوله في اهل عصره

ومن يك يدعى منهم صلاحا * فزنديق تغلغل في الضلال

واوّل هذه القطعة

حلبت الدهر اشطره زمانا * واغناني العيان عن السؤال
فما بصرت من خل وفي * ولا الفيت مشكور الخلال
ذئاب في ثياب قد تبدّت * لرائيها باشكال الرجال
ومن يك يدعى منهم صلاحا * فزنديق تغلغل في الضلال
ترى الجهال تتبعه وترضى * مشاركة بأهل أو بمال
فينهب مالهم ويصيب منهم * نساءهم بمقبوح الفعال
ويأخذ حاله زورا فيرمى * عمامته ويهرب في الرمال
ويجرون التيوس وراء رجس * تقرمط في العقيدة والمقال

اى اعتقدوا راى القرامطة ومذهبهم مشهور فلا نطيل به فظهر عياذ كران ابا حيان انما انكر على اهل الدعاوى لا على غيرهم والله تعالى أعلم وقد اورد قاضي القضاة بن جماعة للشيخ ابي حيان من النظم غير ما قدمنا ذكره قوله

امانه لولا ثلاث احبها * تمنيت أني لا اعد من الاحيا
فنها رجائي ان افوز بتوبة * تكفر لي ذنبا وتنجح لي سعيا
ومنهن صوني النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشي الى بابه مشيا
ومنهن أخذي بالحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا
أتترك نصا للرسول وتقتدى * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا

وقوله

سال في الخد للحبيب عذار * وهو لا شك سائل مرحوم
وسألت التثامه فتجنى * فأنا اليوم سائل محروم

وقوله

الفرس وقتل رستم فاتت والمتضعات السود مترهبات تطلب صلته فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد فقال أيكن خرقاء قالت ها أناذه قال أنت خرقاء قالت نعم فما تكرارك في استفهامي ثم قالت ان الدنيا دار زوال ولا تدوم على حال تنتقل أهلها انتقالا وتعقبهم بعد حال حالا كنا ملوك هذا المصر يجبى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى المدة وزمان الدولة فلما أدبر الامر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت شملنا وكذلك الدهر يا سعد انه ليس يأتي قوما بمسرة الا ويعقبهم بحسرة ثم انشأت تقول

بينا نسوس الناس والامر أمرنا
اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها
تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد قاتل الله عدى ابن زيد كأنه ينظر اليها حيث يقول

ان للدهر صولة فاحذرنها
لا تبيتن قد أمنت الدهورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى
ولقد كان آمنا مسرورا

قال فبينما هي واقفة بين يدي سعد اذ دخل عمرو بن معديكرب وكان زوّارا لابيها في الجاهلية

أمدعيا علما ولست بقارئ * كتابا على شيخ به يسهل الحزن
أتزعم أن الذهن يوضح مشكلا * بلا موضح كلا لقد كذب الذهن
وان الذى تبغيه دون معلم * كموقد مصباح وليس له دهن

وقوله عادتى البيتين قال وأخذ هذا المعنى من قول الطغرائى

من خص بالود الصحاب فانى * أحبو بخالص ودى الاعداء
جعلوا التنافس فى المعالى ديدنى * حتى وطئت بأخمصى الجوزاء
ونعوا الى مثالبى فحذرتها * ونفيت عن أخلاقى الاقذاء
ولربما انتفع الفتى بعدوه * كالسم أحيانا يكون دواء

ومن نظم أبى حيان

يا من غدى الطرف فى ميدانى لذنه * ومن عدى الطرف بين الراح والرود
ستشرب الروح راح الوقت كارهة * ويذهب الجسم بين الترب فى الدود

وله رحمه الله تعالى قصيدة سماها بالمورد العذب فى معارضة قصيدة كعب وقصيدة فى مدح الامام الشافعى مطلعها * غديت بعلم النحو اذ درلى ثديا * وله رحمه الله تعالى من قصيدة فى مدح أم ولده حيان

جننت بها سوداء لون وناظر * ويا طالما كان الجنون بسوداء
وجدت بها برد النعيم وان يكن * فؤادى منها فى جحيم ولأواء
وشاهدت معنى الحسن فيها مجسدا * فأعجب لمعنى صار جوهر أشياء
أطاعنه من قده بمثقف * أدمت وما أغنى الفتى لبس حصداء
لقد طعنت والقلب ساه وقادرى * أبا لقد منها أم بصعدة سمراء

ثم غير البيت الاول وأنشد

جننت بها سوداء شعر وناظر * وسمراء لون تزدرى كل بيضاء

وقال يهنى قال ابن جماعه خاطبنى به ارتجالا عند ولادة ابنى عمر بعد بنتين

حبيت بريحانتى روضة * وبعدهما جاء نجل اغر
وسميته باسم امام اذا * رآه ابو مرة منه فر
ولا عجب منك عبد العزيز * اذا كان نجلك سمى عمر
تفرعتما من امام الهدى * وبدر الدجى ورئيس البشر
فلا زال يوضح سبل الهدى * ولا زلتما تقفوان الاثر

وقال

لقد زادنى بالناس علما تجاربى * ومن جرب الايام مثلى تعلما
وانى وتطلابى من الناس راحة * لكالمبتغى وسط الجحيم تنعما
سازهد حتى لا أرى لى صاحبا * وأجهد حتى لا التقى منهما

قال ابن جماعه وقال فى املاك على بن قاضى القضاة شمس الدين السروجى الحنفى وكان جميل الصورة على أختى شقيقتى فاطمة

شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نقمتك فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأبنائهم فتخفضهم بعد رفعة وتفردهم بعد منعة وبذلهم بعد عز ان هذا الام كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره قال فاكرمها عمرو وأحسن جائزتها فلما أرادت فراقه قالت حى أحييك بتحية ملوكنا بعضهم لبعض لا نزع الله من عبد صالح نعمة الا جعلك سببا لردها عليه ثم خرجت من عنده ولقيها نساء المدينة فقلن لها ما فعل بك الامير قالت أكرم وجهى انما يكرم الكريم الكريم (قال أبو الحسن على بن الحسين المسعودى) فهؤلاء ملوك الحيرة الى أن ظهر الاسلام فأظهره الله وأذل الكافرين فجميع من سميناه من هؤلاء الملوك من ولد عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة الابرش على حسب ما قدمنا آنفا فى صدر هذا الباب ثم جاء الاسلام وملك الفرس كسرى أبرويز بن هرمز فملك على العرب بالحيرة اياس بن قبيصة الطائى فكان ملكه سبع سنين وثمانية أشهر

مضت من ملك اياس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس وقد

وعشرين ملكا من بنى نصر وغيرهم من العرب والفرس وكان مدة ملكهم ستمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر وتداخل الخراب الحيرة وبدؤه الى أن خربت فى وقت بناء الكوفة كان خمسمائة سنة وبضعا وثلاثين سنة (قال المسعودى) ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذى ذكرنا الى صدر من أيام المعتضد فانه استولى عليها الخراب وقد كان جماعة من خلفاء بنى العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم ينزلونها و يطلبون المقام بها لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها وقرب الخورنق والنجف منها وقد كان بها ديارات كثيرة فيها رهبان فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعى الخراب اليها واقفرت فى هذا الوقت ليس بها الا الصدى والبوم وعند كثير من أهل الدراية بما يحدث فى المستقبل من الزمان أن سعدها سيعود بالعمران وأن هذا النحس عنها سيزول وكذلك الكوفة (قال المسعودى) ولمن سمينا

هى أبيات اليف غريب نظامه * لقد حار فى أوصافه نظم عارف
غدت شمس حسن بنت بدر سيادة * تزف لبدر نجل شمس معارف
سميان للزهرا البتول وللرضا * على ونجلا الاكرمين الغطارف
فدام على عالى الجد سيدا * ولازال فى ظل من العيش وارف

وقال يخاطب شيخه ابن النحاس وقد أغب زيارته

أعيذ حياتى والذى ببقائه * بقائى لقد اصبحت نحوك شيقا
اهنى بنفسى غير أن لقائى * برؤيتك الحظ الذى يذهب الشقا
وما كان ظنى أن الدهر تاركى * ولو أننى اصبحت بين الورى لقا
لطائف معنى فى العيان ولم تكن * لتدرك الابالتزاور واللقا

وقال يخاطب قاضى القضاة شمس الدين السروجى الحنفى وقد اعيد الى منصب القضاء وكان يتطلع اليه رجل يدعى نجم الدين

ذووا العلم فى الدنيا نجوم زواهر * واملك فيها الشمس حقا بلا لبس
اذا لحت أخفى نوركم كل نير * الم تر أن النجم يخفى مع الشمس

وقال

لم أرج عمن أحب كتابى * اقلى فيه أولترك هواه
غير أنى اذا كتبت كتابا * غلب الدمع مقلتى فمحاه

وقال

بذكرى لليلى فى ثغر مظلمة * اصارنى زاهدا فى المال والرتب
أنى أسر بخال سوف أسلبها * عما قريب وأبقى رمة الترب

وقال

أتيت وما ادعى وأقبلت سامعا * فوائد مولى سيد ماجد ندب
وأحضر جمعا انت فيه جماله * أشنف سمعى منك بالالؤلؤ الرطب

وقال

لما غرام شديد فى هوى السود * نختارهن على بيض الطلا الغيد
لون به أشرقت أبصارنا وحكى * فى اللون والعرف نفح المسك والعود
لاشئ أحسن من آس تركبه * فى آبنوس ولا أشفى لمبرود
لانه بيضاء لون الجص واسم الى * سوداء حسناء لون الاعين السود
فى جيدها غيد فى قدها ميد * فى خدها صيد من سادة صيد
من آل حام حمت قلبى بنار جوى * من هجرها وابتلت عينى بتسهيد

وقال فى عكسه

اذا مال الفتى للسود يوما * فلا رأى لديه ولا رشاد
أتهوى خنفساء كأن زفتا * كسا جلدا لها وهو السواد
وما السوداء الا قدر فرن * وكانون وفحم أو مداد

من ملوك الحيرة أخبار وسير وحروب قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها فى كتابنا أخبار الزمان

وفيما بعد من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن اعادته

وما البيضاء الا الشمس لاحت * تنير العين منها والفؤاد
سبيكة فضة حشيت بورد * يلذ السهد معها والرقاد
وبين البيض والسودان فرق * لدى عقل به اتضح المراد
وجوه المؤمنين لها ابيضاض * ووجه الكافرين بها اسوداد

وقال رحمه الله تعالى

أعاذل ذرني وانفرادي عن الورى * فلست أرى فيهم صديقا مصافيا
ندامای كتب أستفيد علومها * أحباي تغني عن لقائي الاعاديا
وآنسها القرآن فهو الذي به * نجاتي اذا فكرت أو كنت تاليا
لقد جلت في غرب البلاد وشرقها * أنقب عمن كان لله داعيا
فلم أر الا طالبا لرياسة * وجماع أموال وشيخا مرائيا
قبضت يدي عنهم وآثرت عزلة * عن الناس واستغنيت بالله كافيا

قال العز بن جماعة وخاطب والدي وقد أبل من ضعف أشيع فيه موته مهنئا له

أدام الاله لك العافيه * وصير دور العدا عافيه
اذا لاح من بدركم نوره * فكل النجوم به خافيه
تجردت كلام الاله الدوا * فآياته كانت الشافيه
تشوف ناس لمنصبكم * ورتبتهم للعلا نافيه
فاين العلوم وأين الحلوم * وخلق موارده صافيه
هم عصبة لاتنال العلا * ولو أنها قد سعت حافيه
اذا كان خرق تداركته * ولست لما زقت رافيه
فان عن خطب ثبت له * وآراؤهم عنده هافيه
سجاياك لين ورفق بنا * وأخلاقهم كلها جافيه
تصلى على سبعة منهم * وثامنهم نفسه طاغيه
يقيمون في تربهم همدا * وتسفى على قبرهم سافيه
فلازلت في صحة دائما * تجر ذيول السنى ضافيه
ويورد الله عين الحياة * فتحيا بها مائة وافيه
فان زاد عشرا فذاك المنى * وعشرون أيضا هي الكافيه
وهذي القوافي أتت كلا * فلم تبق لي بعدها قافيه

وقال رحمه الله تعالى أيضا

خلق الانسان في كبد * بوجود الاهل والولد
كل عضو فيه نافعه * غير عضو ضر للابد
منتج ذلا وفقد غنى * وفراغا جة العدد
من يمت منهم بذقه أسى * او يعش ألفاه في نكد
عاش في أمن فتى عزب * مستريح الفكر والجسد

(ذكر ملوك الشام من اليمن من غسان وغيرها من الملوك)

كان أول من ملك الشام من اليمن فالغ بن هور ثم ملك بعده سومات وهو أيوب بن رزاح وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ما كان من خبره على لسان نبيه وما اقتص من أمره ثم غلبت الروم على ديارها فتفرقوا في البلاد وكانت قضاعة من مالك بن حمير أول من نزل الشام وانضافوا الى ملوك الروم فملكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشام من العرب وكان أول من ملك من تنوخ النعمان بن عمرو بن مالك ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ثم ملك بعده الحوارى بن النعمان ولم يملك من تنوخ الا من ذكرنا وهو تنوخ بن مالك بن فهم بن تيم الله بن الازد بن دبرة بن ثعلب بن حلوان بن الحاف ابن قضاعة بن مالك بن حمير وقد تنوزع في قضاعة فمن معد كان أم من قحطان فقضاعة تأبى أن تكون من معد وتزعم أنها من قحطان على ما ذكرنا وقد قيل في نسب قضاعة واتصالها بمعد بما ذكرنا من النسب ثم وردت سليح الشام فغلبت على تنوخ وتنصر من ملكته الروم على العرب الذين بالشام وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب وقصة

وقال رحمه الله تعالى أيضا

جن غيرى بعارض فترجى * أهله أن يفيق عما قريب
وفؤادى بعارضين مصاب * فهو داء أعيا دواء الطبيب

وقال

سعت حية من شعره نحو صدغه * وما انفصلت من خده ان ذا عجب
وأعجب من ذا أن سلسال ريقه * برود ولكن شب فى قلبى اللهب

وقال

طالع تواريخ من فى الدهر قد وجدوا * تجد خطوبا تسلى عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصا * من الرزايا بها كم فتتت كبد
عزل ونهب وضرب بالسياط وحبـ * ـس ثم قتل وتشريد لمن ولدوا
واذ وقيت بحمد الله شرتهم * فلتحمد الله فى العقبى كمن حمدوا

وقال رحمه الله تعالى يمدح البخارى وكتابه الصحيح

أسامع أخبار الرسول لك البشرى * لقد سدت فى الدنيا وقد فزت فى الاخرى
تشنف آذانا بعقد جواهر * تود الغوانى لو تقلده النحرا
جواهر كم حلت نفوسا نفيسة * فحلت بها صدرا وجلت بها قدرا
هل الدين الا ما روته أكابر * اذا نقلوا الاخبار عن طيب خبرا
وأدوا أحاديث الرسول مصونة * عن الزيف والتصحيف فاستوجبوا الشكرا
وان البخارى الامام لجامع * بجامعه منها اليواقيت والدرا
على مفرق الاسلام تاج مرصع * أضاء به شمسا ونار به بدرا
وبحر علوم يلفظ الدر لا الحصا * فأنفس بها درا وأعظم به بحرا
تصانيفه نور ونور لناظر * فقد أشرقت زهرا وقد أينعت زهرا
محاسنة المختار ينظم شتها * يلخصها جمعا ويخلصها تبرا
وكم بذل النفس المصونة جاهدا * فجازلها بحرا وجاب لها برا
فطورا عراقيا وطورا يمانيا * وطورا حجازيا وطورا أتى مصرا
الى أن حوى منها الصحيح صحيحه * فوافى كتابا قد غدا الآية الكبرى
كتابا من شرع أحمد شرعة * مطهرة تعلو السماكين والنسرا

قلت وتتصل روايتى عن الامام أبى حيان من طرق عديدة منها عن عمى ولى الله العارف به شيخ الاسلام مفتى الانام الخطيب الامام ملحق الاحفاد بالاجداد سيدى سعيد بن أحمد المقرى التلمسانى عن شيخه العالم أبى عبد الله التنسى عن والده حافظ عصره سيدى محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسى ثم التلمسانى الاموى عن عالم الدنيا أبى عبد الله بن مرزوق عن جده الرئيس الخطيب سيدى أبى عبد الله محمد بن مرزوق عن الأثير أبى حيان بكل مروياته فمنها أن أبا حيان قال حدثنا ابن أبى الاحوص عن قاضى الجماعة أبى القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقى

عمرو بن عامر بن سبا فسارت غسان الى الشام من ولد مازن وذلك أن الازد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن مازن واليه ترجع جميع قبائل غسان وانما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك (وفى ذلك) يقول حسان بن ثابت الانصارى

اما سألت فانا معشر نجب * الازد نسبتنا والماء غسان

وسنذكر بعد هذا الموضع خبر عمرو بن عامر مزيقيا وخبر سيل العرم وتفرقهم فى البلاد وخبر الماء المعروف بغسان وقد ذكر أن عمرو بن عامر حين خرج من مأرب لم يزل مقيما على هذا الماء الى أن أدركه الموت وكان عمره ثمانمائة سنة أربعمائة سوقة وأربعمائة ملكا وغلبت غسان على من بالشام من العرب وملكها الروم على العرب فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشام الحرث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الازد بن الغوث ثم ملك بعده الحرث ابن ثعلبة بن جفنة بن عمرو ابن عامر بن حارثة وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم ابن ثعلبة بن جفنة بن عمرو وود كرانه مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة

ابن

ابن مخلد بن يزيد القرطبى عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن
ابيه عن ابيه الامام بقى بن مخلد عن أبى بكر المقدمى عن عمر بن على وعبد الله بن يزيد عن
عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم
مر بمجلسين احدهما يدعون الله ويدعون اليه والاخر يتعلمون العلم ويعلمونه فقال كل
المجلسين خير وأحدهما افضل من الاخر اما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم افضل
واما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم وانما بعثت معلما ثم
جلس معهم قال ابو حيان قلت لا اعرف حديثا اجتمعت فى روايته الابناء عن الآباء بعدد
ما اجتمع فى هذا الا ما اخبرنا به ابو الحسن محمد بن محمد بن الحسن بن منية قراءة عليه انبانا ابو
المعالى الابرقوهى انبانا ابو بكر بن عبد الله بن محمد بن سابور القلانسى انبانا ابو المبارك عبد العزيز
ابن محمد بن منصور الشيرازى انبانا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى قال سمعت ابى
ابا الفرج عبد الوهاب يقول سمعت ابى ابا الحسن عبد العزيز يقول سمعت ابى ابا بكر
الحرث يقول سمعت ابى اسدا يقول سمعت ابى الليث يقول سمعت ابى سليمان يقول سمعت
ابى ابا الاسود يقول سمعت أبى سفيان يقول سمعت ابى يزيد يقول سمعت ابى اكينة يقول
سمعت ابى الهيثم يقول سمعت ابى عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما اجتمع قوم على ذكر الا حفتهم الملائكة وعمتهم الرحمة انتهى قلت قال الحافظ بن حجر
فى فوائده ما اجتمع حديث فيه من عدد الآباء اكثر من هذا انتهى ورايت بخط الحفاظ على
قول ابى اكينة ما صورته صوابه اكينة انتهى فليحرر ومنها ان اباحيان قال انبانا
الاستاذ ابو جعفر الزبير صاحب الصلة انبانا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد
الازدى انبانا عبد الله بن محمد بن حسن بن عطية ح قال ابو حيان وانبانا الاصولى ابو
الحسين بن القاضى ابى عامر بن ربيع الاشعرى عن ابى الحسن احمد بن على العافقى قال
انبانا عياض ح وكتب لنا الخطيب ابو الحجاج يوسف بن ابى ركانة عن القاضى ابى
القاسم احمد بن عبد الودود بن سمعون بن عبد الله بن عطية قال هو وعياض انبانا القاضى
ابو بكر بن العربى انبانا ابو محمد هبة الله الاكفانى انبانا الحافظ عبد العزيز الكتانى
الدمشقى انبانا ابو عصمة نوح بن الفرغانى قال سمعت ابا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله
ابن قث الخزرجى وابا بكر محمد بن عيسى البخارى قالا سمعنا ابا درعمار بن
محمد بن مخلد التميمى يقول سمعت أبا المظفر محمد بن أحمد بن حامد بن الفضل البخارى يقول
لما عزل أبو العباس الوليد بن ابراهيم بن يزيد الهمدانى عن قضاء الرى ورد بخارى سنة ٢١٨
لتجديد مودة كانت بينه وبين أبى الفضل البلعمى فنزل فى جوارنا فحملنى معلمى أبو ابراهيم
اسحق بن ابراهيم الختلى اليه فقال له أسالك أن تحدث هذا الصبى ما سمعته من مشايخك فقال
مالى سماع فقال وكيف وأنت فقيه فما هذا قال لانى لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسى لى
طلب الحديث ورواية الاخبار وسماعها فقصدت محمد بن اسمعيل البخارى ببخارى صاحب
التاريخ والمنظور اليه فى علم الحديث وأعلمته مرادى وسألته الاقبال على ذلك فقال لى
يا بنى لا تدخل فى أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره فقلت عرفنى رحمك الله

(وذكر) عدة من الاخبار بين أن حسان بن ثابت الانصارى زار الحرث بن أبى شمر الغسانى وكان النعمان بن المنذر
بعده النعمان بن الحرث
ابن ثعلبة بن جبلة بن جفنة
ابن عمرو ثم ملك بعده
عوف بن أبى شمر وكان
ملكه حين بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ثم ملك جبلة بن الايهم بن
جبلة بن الحرث بن ثعلبة
ابن مازن وهو غسان بن الازد
ابن غوث وهو الملك
الذى امتدحه حسان بن
ثابت الانصارى حيث
يقول فى شعر طويل
أشهرها من ملكك بالشا
م الى الروم فخر كل يمان
(وفيه يقول أيضا)
لمن الدار أقفرت بمعانى
بين أعلى اليرموك
والصمان
من قريات من ثلاثين
عدت
باكى اسنه بالقصور
الدوانى
قد دنا الفصح والولائد
ينظمن
سراعا أكلة المرجان
ذاك مغنى لآل جفنة فى
الدهر
وحق تصرف الازمان
صلوات المسيح فى ذلك
الدير
دعاء القسيس والرهبان
وهذه مواضع وقرى من
غوطة دمشق وأعمالها
بين الجولان واليرموك

تعالى حدود ما قصدتك له ومقادير ما سألتك عنه فقال لي اعلم أن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه الا بعد أن يكتب أربعا مع أربع كاربع مثل اربع في اربع عند اربع باربع على اربع عن اربع لاربع وكل هذه الرباعيات لا تتم الا باربع مع اربع فاذا تمت له كلها هان عليه اربع وابتلى باربع فاذا صبر على ذلك اكرمه الله تعالى في الدنيا باربع واثابه في الآخرة باربع قلت له فسر لي رحمك الله تعالى ما ذكرت من احوال هذه الرباعيات من قلب صاف بشرح كاف وبيان شاف طلبا للاجر الواف فقال نعم اما الاربع التي تحتاج الى كتبها فهي اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه والصحابة رضي الله تعالى عنهم ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع اسماء رجالهم وكناهم وامكنتهم وازمنتهم كالتحميد مع الخطب والدعاء مع التوسل والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند فراغه وعند شغله وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبرارى على الاحجار والاخزاف والجلود والاكتاف الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب ابيه يتيقن أنه بخط ابيه دون غيره لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله عز وجل منها ونشرها بين طالبيها ومحبيها والتاليف في احياء ذكره بعده ثم لا تتم له هذه الاشياء الا باربع هي من كسب العبد اعني معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع اربع هي من اعطاء الله تعالى اعني القدرة والصحة والحرص والحفظ فاذا صحت له هذه الاشياء كلها هان عليه اربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلى باربع بشماتة الاعداء وملامة الاصدقاء وطعن الجهلاء وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله جل وعلا في الدنيا باربع بعز القناعة وبهيبة النفس وبلذة العلم وبحياة الابد واثابه في الآخرة باربع بالشفاعة لمن اراد من اخوانه وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله وسقي من اراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين في اعلى عليين في الجنة فقد اعلمتك يا بني بمجملات جميع ما سمعت من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له اودع فهالني قوله فسكت متفكرا واطرقت متأدبا فلما راى ذلك مني قال وان لم تطق حمل هذه المشاق كلها فعليك بالفقه يمكنك تعلمه وانت في بيتك قارا ساكن لا تحتاج الى بعد الاسفار ووطء الديار وركوب البحار وهو مع ذا ثمرة الحديث وليس ثواب الفقيه دون ثواب المحدث في الآخرة ولا عزه باقل من عز المحدث فلما سمعت ذلك نقص عزمي في طلب الحديث وأقبلت على دراسة الفقه وتعلمه الى أن صرت فيه متقدما ووقفت منه على معرفة ما أمكنني من علمه بتوفيق الله تعالى ومنته فلذلك لم يكن عندي ما أمليه لهذا الصبي يا أبا ابراهيم فقال له ابو ابراهيم ان هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من ألف حديث يجده عند غيرك انتهى وجاء أبو حيان الى ابن تيمية والمجلس غاص فقال يمدحه ارتجالا

لما أتينا تقي الدين لاح لنا * داع الى الله فرد ماله وزر
على محياه من سيما الالى صحبوا * خير البرية نور دونه القمر

اللخمي يسامره فقال له وهو عنده يا ابن الفريعة لقد نبئت أنك تفضل النعمان علي فقال وكيف أفضله عليك فوالله لقفاك أحسن من وجهه ولامك أشرف من أبيه ولابوك أشرف من جميع قومه ولشمالك أجود من يمينه ولحرمانك أنفع من نداه ولقليلك أكثر من كثيره ولثمادك أمرع من غديره ولكرسيك أرفع من سريره ولجدولك أغمر من بحره وليومك أطول من شهره ولشهرك أمد من حوله ولحولك خير من حقبه ولزندك أورى من زنده ولجندك أعز من جنده وانك من غسان وانه من لخم فكيف أفضله عليك واعدله بك فقال يا ابن الفريعة هذا لا يسمع الا في شعر فقال

نبئت أن ابا منذر * ساميك للحدث الاصعر
قفا لك أحسن من وجهه * وامك خير من المنذر
ويسرى يديك على عسرها * كيمنى يديه على المعسر

(وكانت ديار ملوك غسان) باليرموك والجولان وغيرهما من غوطة دمشق واعمالها ومنهم من نزل الاردن من ارض الشام وجبلة بن الايهم هو الذي اسلم وارتد عن دينه خوف العار والقود من اللطمة وخبره واضح مشهور قد أتينا على ذكره فيما سلف من كتبنا وسائر اخبار ملوك تنوخ وسليح وغيرهما من ملك

حبر تسربل منه دهره حبرا * بحر تعادف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا * مقام سيد تيم اذ عصت مضر
فأظهر الحق اذ آثاره درست * واخمد الشر اذ طارت له الشرر
كنا نحدث عن حبر يجيء فها * انت الامام الذي قد كان ينتظر

ثم انحرف أبو حيان فيما بعد عن ابن تيمية ومات وهو على انحرافه ولذلك أسباب منها انه قال له يوما كذا قال سيبويه فقال يكذب سيبويه فانحرف عنه رحمه الله تعالى الجميع
وحضر الشيخ ابو حيان مع ابن بنت الاعز في الروضة فكتب الى ابي حيان ووجهه مع بعض غلمانه

حييت أثير الدين شيخ الادبا * أقضى له حبا كما قد وجبا
حييت وفي يطاق آس نضر * كالقد بدا ملتث منه طربا

قال فانشدته

أهدى لنا غصنا من ناضر الآس * أقضى القضاة حليف الجود والباس
لما راى سقمي أهداه مع رشا * حلو التثني فكان الشافي الآسي

ولما أنشد الشيخ ابو حيان قول نور الدين القصري في روضة مصر

ذات وجهين فيهما قسم الحسن فأضحت بها القلوب تهيم
ذا الى مصر فهو مصر وهذا * يتولى وسيم فهو وسيم
قد أعادت عصر التصابي صباها * وأبادت فيها الهموم الغيوم

زاده بها بيتا وهو

فيلج البحار يسبحون * ويجمع القمار يسمع رسم

قال أبو حيان وكنت ماشيا بين القصرين مع ابن النحاس فعبر علينا صبي يدعى شهريه تجاه ان وكان مصارعا فقال البهاء لينظم كل منا فيه ثم قال

مصارع تصرع الآساد شهرته * تيهات كل مليح سوبه سمج
لما غدا راجيا الحسن قلت لهم * عن حسنه حدثوا عنه ولا حرج

فنظمت أنا

سبانى جمال من مليح مصارع * عليه دليل للملاحة واضح
لئن عزمنه المثل فالكل دونه * وان خف منه الخصر فالردف راجح

وسمع العزازي نظمنا فقال وأنشدنيه

هل حكم ينصفني في هوى * مصارع يصرع أسد الشرى
مذ عزني الصبر في حبه * حكى عليه مدمعي ماجرى
أباح قتلي في الهوى عامدا * وقال كم لي عاشق في الورى
رميته في أسر حبي ومن * أجفان عينيه أخذت الكرى

وقال لسان الدين في الاحاطة كان أثير الدين أبو حيان نسيج وحده في ثقوب الذهن وصحة الادراك والاضطلاع بعلم العربية والتفسير وطريق الرواية امام نحاة في زمانه غير مدافع

وندا ما على حبره وما كان من اسلامه وا[illegible] مع النبي صلى الله عليه وسلم في كتب اخبار الزمان فيما بعد (وقال) [illegible] النابغة
هذا غلام حسن وجهه [illegible] الخير [illegible] التمام
الحرث الاكبر والحرث الاصغر والحرث [illegible] الامام
ثم هند وهند [illegible] اسرع في الخيرات منه هم
وخمسة آباؤهم وهم اكرم من يشرب صوب الغمام
لجميع من مات من ملوك غسان بالشام احد عشر ملكا وقد عين بالشام ملوك سبأ نحو اربعين من ارض البلقاء من بلاد دمشق وكذلك من دمشق وفلسطين ارض الاردن و[illegible] وفلسطين [illegible] كانت [illegible] المملكة منها والمدينة العظمى مدينة دومة وكانت منهم ملوك غير [illegible] الا [illegible] في التوريخ هذه الملوك الذين اعرضنا عنهم [illegible] كان فيه خروج عن شرط الاختصار [illegible] المملكة وغيرها من العرب من غسان وغيرهم ملوك

كثيرة لم نتعرض لذكرها اذ كان لا أسماء لهم نعمهم وتشهرهم (وقولنا الخليفة وقيصر وكسرى والنجاشي [illegible] طول)

نشأ ببلده غرناطة مشارا إليه في التبريز بميدان الإدراك وتعمير السوابق في مضمار التحصيل ونباهة البوة ثم رحل بها بالمشرق واستقر بمصر فنال بها ما شاء من عز وشهرة وتأثل وأمروحظوة وأضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ وعدة وكان شديد البسط مهيبا جهوريا مع الدعابة والغزل وطرح التسمت شاعرا مكثرا مليح الحديث لا يمل وإن أطال وأسن جدا فانه معه قال لي بعض أصحابنا دخلت عليه وهو يتوضأ وقد استقر على إحدى رجليه لغسل الأخرى كما يفعل الكرك والإوز فقال لي و كنت اليوم حاز شأو مائة لي لهذا العهد في هذا السن ثم قال لي بعد كلام حدثنا عنه الجلة الأثبات من أصحابنا كالحاج أبي يزيد خالد بن عيسى والمقري الخطيب أبي جعفر الشقوري والشريف أبي عبد الله بن راجح وشيخ الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق قال حدثنا وأنشدنا أبو حيان في أثناء سنة ٧٣٥ بالمدرسة الصالحية من القصر من عمرانه حدثنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير سماعا من لفظه وكتبه من خطه بغرناطة عن الكاتب أبي إسحق بن عامر الهمذاني الطوسي بفتح الطاء حدثنا أبو عبد الله بن محمد العنسي القرطبي وهو آخر من حدث عنه أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجياني أنا أبا الحكم بن محمد أنبأنا أبو بكر بن المهندس أنا أبا عبد الله بن محمد أنا صالوت بن عباد بن نصال بن جعفر سمعت أبا أمامة الباهلي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا ائتمن فلا يخن وإذا وعد فلا يخلف غضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم ثم قال ابن الخطيب إن أبا حيان حملته حدة الشبيبة على التعرض للأستاذ أبي جعفر الطباع ووقعت بينه وبين أستاذه أبي جعفر بن الزبير الوحشة فنال منه وتصدى للتأليف في الرد عليه وتكذيب روايته فمع أمره للسلطان فامتعض له ونفذ الأمر بتنكيله فاختفى ثم أجاز البحر مختفيا ولحق بالمشرق يلمح خلفه ثم قال وشعره كثير يتصف بالإجادة وضدها فمن المقول فيه قوله

لا يعذلنه فما ذو الحب معذول * العقل مختبل والقلب متبول
هزت له أسمرا من خوط قامتها * فما انثنى الصب إلا وهو مقتول
جميلة فصل الحسن البديع لها * فكم لها جمل منه وتفصيل
فالنحر مرمره والنشر عنبره * والثغر جوهره والريق معسول
والطرف ذو غنج والعرف ذو أرج * والخصر مختطف والمتن مجدول
هيفاء ينبس في الخصر الوشاح لها * درماء تخرس في الساق الخلاخيل
من اللواتي غذاهن النعيم فما * يشقين آباؤها الصيد البهاليل

الى أن قال وقوله

نور بخدك أم توقد نار * وضنى بجفنك أم فتور عقار
وشذا بريقك أم أريج مسكة * وسنى بثغرك أم شعاع دراري
جمعت معاني الحسن فيك فقد غدت * قيد القلوب وفتنة الأبصار
متصاون خفرا إذا ناطقته * أغضى حياء في سكون وقار

الملك ... يذكره وقد اتينا على ... سائر ملوك العرب من معد وقحطان وغيرهم ممن وسم بالملك في بعض الممالك في سائر الامم الخالية والممالك الباقية من البيضان والسودان من أمكن ذكره وتأتى لنا الإخبار عنه وإعادة ذكر ما في هذا الكتاب من الملوك ممن اشتهر ملكه وعرفت ... إلا الى الاختصار وما لا للإكثار ... الى ... من أخبارهم في كتابنا المتقدم ذكره من ... والله المرشد

(ذكر أنا وادي من العرب وغيرها من الامم وعلمنا ... من أخبار العرب وغير ذلك مما يتصل بهذا المعنى) وقد تقدم ذكرنا قحطان وأن من عداهم من العرب العاربة دون من عاد وطسم وجديس وعملاق وجرهم وثمود وعبيل ووبار وسائر من مضى أوان من بقي ممن ذكرنا دخلوا في العرب الباقية الى هذا الوقت وهم قحطان ومعد ولا نعلم أن قبيلا في أقطار الأرض من العرب الأول غير معد وقحطان وذكرنا من طاف البلاد من التبابعة والأذواء وشيد البنيان في الشرق والغرب ومصر الأمصار وبنى المدن الكبار كثير ... افريقية وما في المغرب من المدن كمدينة افريقية وصقلية

في وجهه زهرات روض تجتلى * من نرجس مع وردة وبهار
خاف اقتطاف الورد من وجناتها * فادار من آس سياج عذار
وتسللت نمل العذار بخده * ليرين شهد رضابه المعطار
وتجمعت في خده وردها * فوقفن بين الورد والاصدار
كم دا أواري في هواه محبتي * ولعذوي في فيه نط أواري

وقال ابن رشيد حدثنا أبو حيان قال حدثنا التاج ابو عبد الله الرجوني عدل ... من بلاد السودان ورجونة قرية من قرى ... الاسلام قال كنت جالسا ... رجل مغربي اسمه يونس وقال لي ... قال علي رضي الله تعالى عنه اذا وضع الاحسان في الكريم أثمر خيرا واذا وضع في اللئيم أثمر شرا كالغيث يقع في الاصداف فيثمر الدرر ويقع في فم الافاعي فيثمر السم ... الاعمى الاو يونس المغربي في ...

صانع المعروف ان أودعت * عند كريم ... النعما
وان تكن عند لئيم غدت * مكدورة موجبة اثما
كالغيث في الاصداف درّ وفي * فم الافاعي يثمر السما

قال أبو حيان فلما سمعت هذه الابيات نظمت معناها في بيتين وهما
اذا وضع الاحسان في الخب لم يفد * سوى كفره والحر يجزى به شكرا
كغيث سقى أفعى فجاءت بسمها * وصادف أصدافا فاثمرت الدرا

قال أبو حيان وأنشدنا الامير بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن سيف الدولة أبي المعالي بن رماح المهمداني لنفسه بالقاهرة
فلا تعجب لحسن المدح مني * ... أظهرت ... الوادي
وقد تبدي لك المرآة شخصا * وتسمعك الصدى ... نادي

وبعد كتبي ما نقله ابن رشيد عن أبي حيان رأيت لبعضهم أن أبا حيان هذا الذي ذكره ابن رشيد ليس هو أبو حيان النحوي الاندلسي وانما هو شخص آخر وفيه عندي نظر لا يخفى والذي أعتقده ولا أرتاب فيه انه أبو حيان النحوي وقال ابن رشيد وأنشدني أبو حيان لنفسه
اذا غاب عن عيني أذوب لبعده * وان لاح حال اللون فاضطرب القلب
فيجري عيناه والمبسم الذي * به المسك مختوم به اللؤلؤ الرطب

وقال الشريف بن راجح رأيت ان ماوصه الشيخ أبو حيان في تقديم ابن الاثير التصريح لعمره وقلت
نفائس الاعمار أعمها * أنا وأمثالي على خير شي
شيوخ سوء ليس يرضيها * ترضي به من البخاري صبي
ومن نظم أبي حيان قوله
ان عليا ... فيه زماني * بادلا فيه طارفي وتلادي
لجدير بأن يكون عزيزا * ومصونا الا على الاجواد

وبنيانه سمرقند ومن خلف هناك من جيوشها وبلاد التبت والصين وقد ذكر ذلك جماعة من شعرائهم ... وخلف (وقد افتخر) دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التي يرد بها على الكميت ... من ملوكهم ... في الارض وأن لهم من الفضل ما ليس لمعد بن عدنان فقال في شعره
هم كتبوا الكتاب بباب مرو
وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم جمعوا الجموع بسمرقندا
وهم غرسوا هناك التبتينا
(وقد كان) من بلاد اليمن ملوك لا يدعون بالتبابعة من بعدهم ... بغداد الى ملكه اهل الشحر وحضرموت حينئذ يستحق ان يسمى تبعا ومن تخلف عن ملكه ممن ذكرنا سمي ملكا ولم يقل له تبع وقد قال الله عز وجل في قصة قريش وتفاخرها بقومها وعددها أهم خير أم قوم تبع الآية يعني ... الحرم وبعث الله عليه الضلالة واعمى ... وكذلك حكي عن عبد الله بن العباس وقد كان تبع أبو كرب ... الارض ووطئ الممالك وذللها

وقوله

وما لك والاتعاب نفسا شريفة * وتكليفها في الدهر ما ليس يعذب
أردها فعن قرب تلاقي حمامها * فتنعم في دار البقا أو تعذب

واستشكل هذان البيتان بان ظاهرهما خلاف الشرع واجيب بان مراده أمر الرزق لا أمر التكليف وأفاد غير واحد ان سبب رحلة الشيخ أبي حيان عن الاندلس انه نشأ شر بينه وبين شيخه احمد بن علي بن الطباع فألف أبو حيان كتابا سماه الالماع في افساد اجازة الطباع فرفع ابن الطباع أمره للامير محمد بن نصر المدعو بالفقيه وكان ابو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه فنشأ شر عن ذلك وذكر أبو حيان انه لم يقم بفاس الا ثلاثة أيام وادرك فيها ابا القاسم المزياتي وخرج ابو حيان من الاندلس سنة تسع وسبعين وستمائة وكان جماعة من اعلام الاندلس رحلوا منها فلما وصلوا الى العدوة اقاموا بها ولم يذهبوا الى البلاد المشرقية منهم الشيخ النحوي الناظم الناثر ابو الحسن حازم بن محمد القرطاجني وهو القائل يمدح امير المؤمنين المستنصر بالله صاحب تونس

أمن بارق أورى بجنح الدجى سقطا * تذكرت من حل الاجارع فالسقطا
وبان ولكن لم يبن عنك ذكره * وشط ولكن طيفه عنك ما شطا
حبيب لو ان البدر جاراه في مدى * من الحسن لاستدنى مدى البدر واستبطا
اذا انتجعت مرعى خصيبا ركابه * غدا لحظ عيني يشتكي الجدب والقحطا
غداة سرعت عني المنى بشادن * تسرع في قتل النفوس وما أبطا
ظعنت الفلا دار ابن ذي يزن بها * وحلت المحاريب الهوادج والغبطا
فكم دمية للحسن فيها وصورة * تروق وتمثال من الحسن قد خطا
خمائل لاحت كالخمائل بهجة * سقيط الحيا فيهن لا يسأم السقطا
توسد غزلان الاوانس والمها * به الوشي والديباج لا السدر والارطى
ولم يسب قلبي غير ابهرها سنى * واطولها جيدا وأحفقها قرطا
ايا ربة الاحداج سيري فتعلمي * وما بك جهل أن سهمك ما اخطا
قفي تستبيني ما بعينيك من عنا * بجسمي وعنوان الهوى فيه مختطا
فلم أر أعدى منك لحظا وناظرا * لقلبي ولا اعدى عليه ولا اسطا
سقى الله عيشا قد سقانا من الهوى * كؤوسا بمعسول اللمى خلطت خلطا
وكم جنة قد زرت في ظل كافر * فلم أجرما اولاه سترا ولا غمطا
وكم ليلة قاسيتها نابغية * الى أن بدت شيبا ذوائبها شمطا
وبت أظن الشهب مثلي لها هوى * وأغبطها في طول الفتها غبطا
على انها مثلي عزيرة مطلب * ومن ذا الذي ما شاء من دهره يعطى
كأن الثريا كاعب ازمعت نوى * وامت باقصى الغرب منزلة شحطى
كأن نجوم الهقعة الزهر هودج * لها عن ذرا الحرف المناخة قد حطا
كأن رشاء الدلو رشوة خاطب * لها جعل الاشراط في مهرها شرطا

ووطئ أرض العراق في ملك الطوائف وعميد الطوائف حينئذ جور بن سابور فلقي ابو كرب ملكا من الطوائف يقال له قتادو ليس بقتاد بن فيروز من الساسانية فانهزم قتاد واتبع أبو كرب على ملكه وملك العراق والشام والحجاز وكثيرا من الشرق وفي ذلك يقول تبع وقد ذكر ما صنع

وردا الملك تبع وبنوه
ورثوهم جدودهم والجدودا
ادخلنا جيادنا من ظفار
ثم سرنا بها مسيرا بعيدا
فاستبحنا بالخيل ملك قتاد
وابن أقلود قائما مصفودا
وكسونا البيت الذي حرم الله
ملاء مقصبا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا
وجعلنا لبابه اقليدا
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا
وسجدنا عند المقام سجودا
(وقال أيضا فيه)
لست بالتبع اليماني ان لم
تركض الخيل في سواد العراق
أو تؤدي ربيعة الخراج سمرا
او يعقني عوائق العواق
(وقد كانت) لنزار بن معد ربيعة ومضر واياد وانمار وقائع وحروب كثيرة واجتمعت عليه معد بن ربيعة ومضر واياد وانمار وتداعت بجدها نزار وتواهبت ما كان بينها من الدماء والثار فكانت لهم غلبة وفي ذلك يقول ابو دواد الايادي

كان السها قد دق من فرط شوقه * اليها كما تدق الكاتب النقطا
كان سهيلا اذ تناءت وانجدت * غدا يائسا منها فاتهم وانحطا
كان خفوق القلب ذلك متيم * تعدى عليه الدهر فى البين واشتطا
كان كلا النسرين فد ريع اذ رأى * هلال الدجى يهوى له مخلبا سلطا
كان الذى ضم القوادم منهما * هوى واقعا للارض أوقص او قطا
كان أخاه رام فوتا أمامه * فلم يعد أن مد الجناح وأن مطا
كان بياض الصبح معصم غادة * جنت يدها أزهار زهر الدجى لقطا
كان ضياء الشمس وجه امامنا * اذا ازداد بشرا فى الوغى واذا أعطى
محمد الهادي الذى أنطق الورى * ثناء بما أسدى اليهم وما أعطى
امام غدا شمس المعالى وبدرها * وقد أصبحت زهر النجوم له رهطا
جميل المحيا مجمل طيب ذكره * يعاطى سرورا كاسما ويستعطى
اذا ما الزمان الجهد أبدى نجهما * أرانا الحياء الطاق والخلق السبطا
كلا أبوى حفص عاه الى العلا * فاصبح عن مرقاته النجم منحطا
بسماه تدرى أن كعبا جدوده * وان هو لم يذكر رزاحا ولا فرطا
اذا قبض الروع الوجوه فوجهه * يزيد لكون النصر نصلاله بسطا
به تترك الابطال صرعى لدى الوغى * كان قد سقوا من خمر بابل اسفنطا
تراه اذا يعطى الرغائب باسما * له جذل يربى على جذل المعطى
وكم عنق قد قلدت بنواله * فريدا وقد كانت فلا دنها لطا
متى ما نقس جود الكرام بجوده * فبالبحر فايست الوقيعة والوقطا
يشف له عن كل غيب حجابه * فتحسبه دون الحجب ما لطا
تطيع الليالى أمره فى عصاته * وتردى أعاديه اساودها نشطا
وتمضى عليهم سيفه وسنانه * فتبرى الكلى طعنا وتفرى الطلى قطا
فكيف ترجت عزة منه فرقة * غدا عزها ذلا ورفعتها هبطا
وكم بالنهى والحلم غطى عليهم * الى ان جنوا ذنبا على العلم قد غطى
فأمطاهم دهم الحديد وطالما * أنالهم دهم الجياد وما امطى
ورام لهم هديا ولكنهم أبوا * بغيهم الا الضلالة والخبطا
وكان لهم يبغى المثوبة والرضا * ولكن أبوا الا العقوبة والسخطا
ولو قوبلت بالشكر منه مآرب * لما اعتاض منها أهلها الاثل والخمطا
هو الناصر المنصور والملك الذى * أعاد شباب الدهر من بعد ما شمطا
أصاخت له الايام سمعا وطاعة * وأحكمت الدنيا له عهدها ربطا
فلا بد من أن يملك الارض كلها * وان تملأ الدنيا اياته قسطا
ويغزو فى آفاق اندلس العدا * بجيش يخط الارض من قبله خطا
وكل جواد خف سنبكه فما * يمس الثرى الا مخالسة فرطا

ضربنا على تبع حربه * حبال البرود وخرج الذهب وولى ابو كرب هاربا

وكان بابا كثير الرهب وأتبعته فهوى للجبين وكان العزيز بها من غلب

(وقد ذكرنا) فيما بعد بدء النسب من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وولده اسمعيل وتفرق النسب الى نزار بن معد بن عدنان فنذكر الآن فى هذا الموضع خبر ولد نزار الاربعة مع الافعى بن الافعى الجرهمى ثم نعقب ذلك بما اليه قصدنا فى هذا الباب من هذا الكتاب مع علة سكنى البوادى من العرب البدو وغيرهم ممن سكن الجبال والاودية وسائر البرارى والقفار (ذكر) عدة من أخبارى العرب أن نزار بن معد ولد أربعة أولاد اياد وبه كان يكنى وأنمار وبجيلة وخثعم من ولده على ما قيل اذ كان فيما ذكرنا تنازع لان من الناس من ألحقهم باليمن ومن الناس من ذكر فيهم ما وصفنا أنهم من ولد انمار بن نزار وربيعة ومضر فلما حضرت نزار الوفاة دعا بنيه ودعا بجارية له شمطاء فقال لاياد هذه الجارية وما أشبهها من مالى فلك ثم أخذ بيد مضر فادخله قبة له حمراء من أدم ثم قال هذه القبة وما أشبهها من مالى فلك ثم أخذ بيد ربيعة وقال له هذا الفرس الادهم والخباء الاسود وما أشبههما من مالى فلك ثم أخذ

يوم بها الاعداء ملك أمامه * من الرعب جيش يسرع السير ان ابطا
ويرمى جبال الفتح من شد سبتة * بها فتوافى سبقا ذلك الشطا
بحيث التقى بالخضر موسى وطارق * وموسى به رحل الغزو العدا حطا
وسعيك ينسى ذكر سعيهما به * ويوسع سعى المشركين به حبطا
ويوقع فى الاعداء أعظم وقعة * بها تملأ الاسماع طيرا لما لغطا
تجاوب سحم الطير فيه وشهبها * كما راطن الزنج النبيط أو القبطا
وتسرى فيها الجو والارض أعين * ترى الجو نارا والصعيد دما عبطا
فتخضب منهم من أشابت بخوفها * نصول ترى منها بفود الدجى وخطا
ويحسم أدواء العدا كل صارم * حسام اذا لاقى الطلى حده قطا
وكل كمى كالخط صفحة * بسيف غدا بالرمح يقط ما خطا
شجاع اذا التف الرماح انثنى مثل ما * تقلقل فى أسنان مشط بدمشطا
اذا ما رجت منه أعاديه غرة * رأت دون ما ترجوا القتادة والخرطا
يجدع آناف العداة بسيفه * وينشقها بالرمح ويح الردى قسطا
يبيد الاعادى سطوة ومكيدة * فيحكى الاسود الغلب والاذؤب الملطا
سرى فى طلاب المعلوات فلم يزل * يمد يدا مبسوطة وندى بسطا
ولو نازعت عيناء جذبا شماله * لبوسا من الماذى لانفق وانعطا
يصول بخطى لكل مرشة * به أثر يعزوه للحية الرقطا
حتى تبصر الاكام فرعا كواسيا * بهن وقد أبصرن عاريه مرطا
اذا نسبت للخط أو لردينة * نسبن الى العليا ردينة والخطا
كماة حماة ما تزال الى الوغى * حنين لهم ما حن نضو وما أطا
عليهم نسيج السابغات كأنها * جلود عن الحيات قد كشطت كشطا
اذا لمع للشمس لاحت عليهم * رأيت صلالا ألبست حللا رقطا
ترجرج كالزاروق لينا ومثله * ترى نقطة من بعد ما طرحت خطا
جيوش اذا غطى البلاد عبابها * وأمواجها غطت نفوس العدا غطا
فكم قد حكت فى حصر حصن ومعقل * وشاحا على خصر فاسعفه ضغطا
وخيل كأمثال النعام تخالها * لافراط لوك اللجم تبغى لها سرطا
تخيلها فتخا اذا ارتعت وان * سبحن بما حلنها خفقة بطا
فينعق منها سامر طكل عجاجة * سوارع لا يسأمن مرا ولا مرطا
وكم خالطت سمر الرماح وأوردت * مياها غدت حمر الدماء لها خلطا
تحثونها ليل السرى فاذا دعوا * نزال امتطوا منهن أفضل ما يمطى
فكم جنبوها خلف معتادة السرى * عوارف لم تسمع لها أذن نحطا
وقد وسمت أعناقهن أزمة * بطول السرى حتى تظن لها علطا
اذا أوقدت نارا بقذف الحصا حكت * وبحر الدجى طام سفينا رمت نفطا

بين داغار وقال له هذه البدرة والمجالس وما أشبههما من مالى فلك فان أشكلت عليكم هذه القسمة فأتوا الافعى بن الافعى الجرهمى وكان ملك نجران حتى يقسم بينكم وترضوا بقسمته فلم يلبث نزار الا قليلا حتى هلك وأشكلت القسمة على ولده فركبوا رواحلهم ثم قصدوا نحو الافعى حتى اذا كانوا منه على يوم وليلة من أرض نجران وهم فى مفازة اذا هم بأثر بعير فقال اياد ان هذا البعير الذى ترون أثره أعور فقال أنمار وانه لابتر فقال ربيعة وانه لازور قال مضر وانه لشرود فلم يلبثوا ان رفع اليهم راكب يوضع بين راحلته فلما غشيهم قال لهم هل رأيتم من بعير ضال فى وجوهكم قال اياد بعيرك اعور قال فانه لاعور قال أنمار بعيرك أبتر قال فانه لابتر قال ربيعة بعيرك أزور قال فانه لازور قال مضر كان بعيرك شرودا قال انه لشرود ثم قال لهم فأين بعيرى دلونى عليه قالوا والله ما حسسنا لك ببعير ولا رأيناه قال أنتم أصحاب بعيرى وما أخطأتم من نعته شيئا قالوا اما رأينا بعيرا فتبعهم حتى قدموا نجران فلما أناخوا بباب الافعى استأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا وصاح الرجل من وراء الباب أيها الملك هؤلاء أخذوا بعيرى ثم حلفوا أنهم ما رأوه فدعا به الافعى فقال ما تقول

امام

امام الهدى أعليت للدين معاما * وسمت العدا من بعد رفعتهم حطا
وألحفتهم عقم المنى عن خيالها * فما ولدت عقما ولا تجت سقطا
وصيرتم في عقلة سارح العدا * وسرحتم الآمال من عقلها نشطا
ومن كان يشكو سطوة الدهر قد غدا * بعدلك لا يعدى عليه ولا يسطى
ففي كل حال تؤثر القسط جاريا * على سنن التقوى وتجتنب القسطا
فبوركت سبطا جده عمر الرضا * وبورك من جد غدوت له سبطا
تلوت الامام العدل يحيى فلم ترل * تزيد أمور الخلق من بعده ضبطا
فزدتم وضوحا بعده واستقامة * وتوطئة نهج السبيل الذى وطا
وما كان أبقى غاية غير أنه * حبيت بعالم يحب خلق ولم يعطا
اذا درر الاملاك في الفخر نظمت * على نسق سعدا فدولتك الوسطى

وله أيضا فيه

في كل أفق من صباح دجاكم * نور جلا خيط الظلام بخيطه
راقت محاسن مجدكم فبهرن ما * كسيت من حبر المديح وربطه

وله رحمه الله تعالى عدة تآليف وولد سنة ٦٠٨ وتوفي ليلة السبت ٢٤ رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة بتونس وممن أخذ عنه الحافظ ابن رشيد الفهري وذكره في رحلته وأثنى عليه كما أثنى عليه العبدري في رحلته فقال حازم وما أدراك ما حازم وقد عرفت به في أزهار الرياض بما يغني عن الاعادة وكان هو والحافظ أبو عبد الله بن الابار فرسي رهان غير أن ابن الابار كان أكثر منه رواية وهو الامام الحافظ الكاتب الناظم الناثر المؤلف الراوية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الاندلسي البلنسي كتب ببلنسية عن السيد أبي عبد الله ابن السيد أبي حفص ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي ثم عن ابنه السيد أبي زيد ثم كتب عن الامير أبي مردنيش ولما نازل الطاغية بلنسية بعثه الامير زيان بن مردنيش مع وفد أهل بلنسية بالبيعة للسلطان أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص وفي ضمن ذلك استصرخه لدفع عادية العدو فأنشد السلطان قصيدته السينية التي مطلعها

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا

وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ثم لما كان من أمر بلنسية ما كان رجع بأهله الى تونس غبطة باقبال السلطان عليه فنزل منه بخير مكان ورشحه لكتب علامته في صدور مكاتباته فكتبها مدة ثم أراد السلطان صرفها لابي العباس الغساني لكونه يحسن كتابتها بالخط المشرقي وكان آثر عند السلطان من المغربي فسخط ابن الابار أنفة من ايثار غيره عليه وافتات على السلطان في وضعها في كتاب أمر بانشائه لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه وأن يبقى موضع العلامة منه لكاتبها فجاهر بالرد ووضعها استبدادا وأنفة وعوتب على ذلك فاستشاط غضبا ورمى بالقلم وأنشد متمثلا

اطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلود

فقال أيها الملك هؤلاء ذهبوا ببعيري وهم أصحابه فقال لهم الأفعى ما تقولون قالوا رأينا في سفرنا هذا الى الملك أثر بعير فقال اياد انه لأعور قال وما يدريك أنه أعور قال رأيته مجتهدا في رعي الكلا من شق قد لحسه والشق الآخر وافر كثير الالتفاف لم يمسه فعلمت انه أعور وقال أنمار رأيته يرمي ببعره مجتمعا ولو كان أهلب لمصع به فعلمت انه أبتر وقال ربيعة رأيت أثر احدى يديه ثابتا والآخر فاسدا فعلمت انه ازور وقال مضر رأيته يرعى الشقة من الارض ثم يتعداها فيمر بالكلا الملتف الغض فلا ينهش منه حتى يأتي ما هو أرق منه فيرعى فيه فعلمت انه شرود فقال الافعى صدقتم قد أصابوا أثر بعيرك وليسوا بأصحابه التمس بعيرك ثم قال الأفعى للقوم من أنتم فأخبروه بحالهم وانتسبوا فرحب بهم وحياهم ثم قال ما خطبكم فقصوا عليه قصة أبيهم قال الافعى وكيف تحتاجون الي وأنتم على ما أرى قالوا أمرنا بذلك أبونا ثم أمر بهم فانزلوا وأمر خادما له على دار الضيافة أن يحسن اليهم ويكرم مثواهم والطافهم بأفضل ما يقدر عليه ثم أمر وصيفا له من بعض خدمه ظريفا أديبا فقال انظر كل كلمة تخرج من أفواههم فأتني بها فلما نزلوا بيت الضيافة أتاهم القهرمان بقرص من

فسعى ذلك الى السلطان فامر بلزومه بيته ثم استعتب السلطان بتأليف رفعه اليه عد فيه من عوقب من الكتاب وأعتب وسماه اعتاب الكتاب واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر السلطان له وأقال عثرته واعاده الى الكتابة ولما توفى السلطان رفعه أمير المؤمنين المستنصر الى حضور مجلسه ثم حصلت له أمور معه كان آخرها انه تقبض عليه وبعث الى داره فرفعت اليه كتبه أجمع وألفى أثناءها فيما زعموا رقعة بأبيات أولها

طغى بتونس خلف * سموه ظلما خليفه

فاستشاط السلطان لها وأمر بامتحانه ثم بقتله فقتل قعصا بالرماح وسط محرم سنة ٦٥٨ ثم أحرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فاحرقت معه وكان مولده ببلنسية سنة ٥٩٥ وقال في حقه ابن سعيد في المغرب ما ملخصه حامل راية الاحسان المشار اليه في هذا الاوان ومن شعره قوله يصف الياسمين

حديقة ياسمين لا * تهيم بغيرها الحدق
اذا جفن الغمام بكى * تبسم ثغرها اليقق
فاطراف الاهلة سا * ل في أثنائها الشفق

وكتب الى الوزير أبي عبد الله بن أبي الحسين بن سعيد يستدعي منه منثورا

لك الخير أتحفني بخيري روضة * لانفاسه عند الهجوم هبوب
أليس أديب الروض يجعل ليله * نهارا فيذكو نفحه ويطيب
وطوى مع الاصباح منشور نشره * كاتمان عن ربع المحب حبيب
أهيم به من نسبة أدبية * ولا غرو أن يهوى الاديب أديب

وقوله في الخسوف

نظرت الى البدر عند الخسوف * وقد شين منظره الازين
كما سفرت صفحة للحبيب * بحجبها برقع أدكن

وقوله في المعنى

ألم تر للخسوف وكيف أبدى * ببدر التم لماع الضياء
كمرآة جلاها القين حتى * أنارت ثم ردت في غشاء

وقوله

والثريا بجانب البدر تحكي * راحة أومأت لتلطم خدا

وقوله

من عاذري من بابلي طرفه * ولعمره ما حل يوما بابلا
أعتده خوطا للعيش ناعما * فيعود خطيا للقتلى ذابلا

وهو حافظ متقن له في الحديث والادب تصانيف وله كتاب في مختار الاشعار سماه قطع الرياض وتكملة الصلة لابن بشكوال وهداية المعترف في المؤتلف والمختلف وكتاب التاريخ وبسببه قتله صاحب افريقية وأحرقت كتبه على ما بلغنا رحمه الله تعالى وله تحفة القادم في شعر الاندلس والحلة السيراء في أشعار الامراء ومن شعره قوله

. هذا فأكلوا وقالوا ما رأينا شهدا أعذب ولا أحسن ولا أشد حلاوة منه فقال اياد صدقتم لولا أن نحله
في هامة جبار فوعاها
الاعلام فلما حضر غداؤهم
وجيء بالشواء فاذا شاة
مشوية فأكلوها وقالوا
ما رأينا شواء أجود
ولا أرخص ولا أ[illegible] من
منه [illegible] صدقتم
لولا انه غذي بلبن كلبة
ثم جاءهم بالشراب فلما
شربوا قالوا ما رأينا خمرا
أرق ولا أعذب ولا أصفى
ولا أطيب رائحة منه
فقال ربيعة صدقتم لولا
ان كرمه نبت على قبر ثم
قالوا ما رأينا [illegible] كرم
قرى ولا أخصب رحلا من
هذا الملك قال مضر صدقتم
لولا أنه لغير أبيه فذهب
الاعلام الى الافعى فخبره بما
كان منهم فدخل الافعى
على امه فقال اقسمت
عليك الا ما اخبرتني من أنا
ومن ابي فقالت يا بني
وما دعاك الى هذا انت
ابن الافعى الملك الاكبر
قال حقا لتصدقيني فألح
عليها فقالت يا بني ان اباك
الافعى الذي تدعى له كان
شيخا قد ثمل فخشيت ان
يخرج هذا الملك عنا اهل
البيت وقد كان قدم الينا
شاب من ابناء الملوك
فدعوته الى نفسي فعلقت
بك منه ثم بعث الى
الدهرمان فقال اخبرني عن الشهد الذي بعثت به الى هؤلاء النفر ما خطبه قال انا اخبرك [illegible]

أمري

أمرى عجيب فى الامور * بين التوارى والظهور
مستعمل عند المغيب * ومهمل عند الحضور

وسبب هذا أن ملك تونس كان اذا أشكل عليه شئ أو ورد عليه لغز أو معمى أو مترجم بعث به اليه فيحله واذا حضر عنده لا يكلمه ولا يلتفت اليه ووجد فى تعاليقه ما يشين دولة صاحب تونس فأمر بضربه فضرب حتى مات وأحرقت كتبه رحمه الله تعالى وكان أعداؤه يلقبونه بالفار وحصلت بينه وبين أبى الحسن على بن شلبون المعافرى البلنسى مهاجاة فقال فيه

لا تعجبوا لمضرة نالت جميع الناس صادرة عن الابار
أوليس فارا حقه وخليقة * والفار مجبول على الاضرار

فأجابه ابن الابار

قل لابن شلبون مقال تنزه * غيرى بجار يك الهجاء يجار
انا اقتسمنا خطتينا بيننا * فحملت برة واحتملت فجار

وهذا مضمن من شعر النابغة الذبيانى انتهى ما لخصناه من كلام أبى سعيد فى حقه ومن شعر ابن الابار أيضا

لو عن لى عون من المقدار * هجرت للدار الكريمة دارى
وحللت أطيب طيبة من طيبة * جارا لمن أوصى بحفظ الجار
حيث استبان الحق للابصار * لما استثار حفائظ الانصار
يا زائرين القبر قبر محمد * بشرى لكم بالسبق فى الزوار
أوضعتم لخلاصكم ووضعتم * ما قادكم من فادح الاوزار
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذى * حلتم شوقا الى المختار
أدوا السلام مسلمين وبرده * أرجوا الاجارة من ورود النار

اللهم أجرنا منها يا رحيم يا رحمن يا كريم واختم ترجمته بقوله

رجوت الله فى اللأواء لما * بلوت الناس من ساه ولاهى
فمن يك سائلا عنى فانى * غنيت بالافتقار الى الهى

وقد جودت ترجمته فى ازهار الرياض فى اخبار عياض فليراجع ذلك فيه من شاء (رجع الى ما كنا فيه من ذكر المرتحلين من الاندلس الى المشرق) (ومنهم الحافظ ابو المكارم جمال الدين بن مسدى وهو ابو بكر محمد ويقال ابو المكارم ابن ابى احمد يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن مسدى المهلبى الازدى الاندلسى) شيخ السنة وحامل رايتها وفريد الفنون ومحكم آياتها عرف الاحاديث وميز بين مشهورها وغريبها وكان الملتقى لراية السنة بيمين عرابتها طلع بمغربه شمسا قبل بزوغه بافق المشرق وملأ جزيرته الخضراء من بحر علومه المتدفق وأدعمها بموئله المشرق وطاف البلاد الاسلامية المغربية والمشرقية فعقدت على كماله الخناصر وجعله أرباب الدراية لمقلة الدين الباصر ولقى اعيان الشيوخ فى القطرين وأخذ عنهم ما تقربه العين ويدفع به عن القلب الرين مع فصاحة لسان وطلاوة بيان وبنان وخلال حسان وبلاغة يحيت سحبان وطهر أزهار بان

فبعثت اليه من يشوره فاخبرونى انهم هجموا على عظام نخرة منكرة فى ذلك الطرف فاذا النحل قد عملت فى جمجمة من تلك العظام ما ترا العسل لم ار مثله فقدمته الى القوم يجودونه ثم بعث الى صاحب مائدته فقال ماهذه الشاة التى شويتها لهؤلاء القوم قال انى بعثت الى الراعى أن ابعث الى باحسن شئ عندك فبعث بها الى وما سألته عنها فبعث الى الراعى أن أعلمنى خبر هذه الشاة قال انها اول ما ولدت من غنمى عام اول فماتت امها فبقيت وكانت كلبة لى قد وضعت فأنست السخلة بجراء الكلبة فكانت ترضع من الكلبة مع جرائها فلم اجد فى غنمى مثلها فبعثت بها الملك ثم بعث الى صاحب الشراب فقال ماهذا الخمر الذى سقيت هؤلاء القوم قال من حبلة كرم بيتت سقيتها على قبر ابيك فليس فى العرب مثل شرابها فقال الامير ماهؤلاء القوم ان هم الا الشياطين فاحضرهم فقال ما اخذكم قسوا على ... ثم فقال اباذا ان ابى جعل لى جادة فشمطاء وما اشبههما من ماله ثم قال ان اباك ترك فرسا فهى لك ورعلوه مع الخادم قال اعمار ان ابى جعل لى بدره وجلده وما اشبههما من ماله قال ذلك ما ترك ابوك من الردة والحرث والارض فقال ربيعة ان ابى جعل لى فرسا ادهم بيننا

وفوضت اليه خطابة الحرم الشريف بمكة فكان كما يقال هذا السوار لمثل هذا المعصم فكم وشى بهامن مطارف للبلاغة وكم غنم حتى يظن الرائى عود منبره من وعظه مائسا ولئن مال من سجع الحمام رطبا فقد مال من سجع هذا الامام يابسا وترجم على من لقى من الاعيان بصدر البيان وفصل أحوالهم باحسن تبيان وعدتهم أربعة آلاف شيخ وناهيك بهذه مرتبة نفادلها الفضائل فى أرسان وأرى تحقيق قول القائل جمع الله تعالى العالم فى انسان وله موضوعات مفيدة من حديث وفقه ونظم ونثر وله مسند غريب جمع فيه مذاهب العلماء المتقدمين والمتاخرين وهو أشهر من نار على علم وكان يكتب بالقلمين المغربى والمشرقى وكلاهما فى غاية الجودة ومثل هذا بعد نادر ارتوفى شهيدا مطعونا من اناس كانوا يحسدونه فختم الله تعالى له بالشهادة وبوئ بها دار السعادة وتوفى سنة ٦٦٣ بمكة ومولده سنة ٥٩٨ رحمه الله تعالى ونفعنا بامثاله *(ومنهم الكاتب أبو القاسم خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف الغافقى القبتورى) بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح التاء ثالثة الحروف وسكون الواو وبعدها راء الاشبيلى المولد والمنشا ولد فى شوال سنة ٦١٥ وقرأ على الاستاذ الدباج كتاب سيبويه والسبع وله باع مديد فى الترسل مع التقوى والخير وله اجازة من الرضى بن برهان والنجيب بن الصيقل وكتب لامير سبتة وحدث بتونس عن العراقى وجاور زمانا وتوفى بالمدينة سنة ٧٠٤ وحج مرتين قال أبو حيان قدم القاهرة مرتين وحج فى الاولى وأنشد من لفظه لنفسه

أسيلى الدمع ياعينى ولكن * دما ويقل ذلك لى أسيلى
فكم فى الترب من طرف كحيل * لترب لى ومن خد أسيل

وقال

مادا جنيت على نفسى بما كتبت * كفى ياو يح نفسى من اذى كفى
ولو يشاء الذى أجرى على بذا * قضاءه الكف عنى كنت ذا كف

وقال

واحسرتا لامور ليس يبلغها * مالى وهن منى نفسى وآمالى
أصبحت كالآل لاجدوى لدى وما * ألوت جهدا ولكن جدى الآلى

وقال العلامة فتح الدين بن سيد الناس انه انشده لنفسه بالحرم الشريف النبوى سنة ثلاث وسبعمائة

رجوتك يارحمن انك خير من * رجاه لغفران الجرائم مرتجى
فرحمتك العظمى التى ليس بابها * وحاشاك فى وجه المسىء بمرتج

وقد أنشد له أبو حيان كثيرا من نظمه رحمه الله تعالى (ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبى الخليل الاموى الاشبيلى النباتى المعروف بابن الرومية) كان عارفا بالعشب والنبات صنف كتابا حسنا كثير الفائدة فى الحشائش ورتب فيه أسماءها على حروف المعجم ورحل الى البلاد ودخل حلب وسمع الحديث بالاندلس وغيرها وقال البرزالى فى حقه انه كان يعرف الحشائش معرفة جيدة وسمع الحديث بدمشق من ابن الحرستانى وابن ملاعب وابن

اسود وما اشبههما من ماله قال فان اباك ترك خيلا دهما وسلاحا فهى لك وما فيها من عبيد فسمى ربيعة الفرس فقال مضر ان ابى جعل لى قبة حمراء من ادم وما اشبهها من ماله فقال ان اباك ترك ابلا حمراء فهى لك وما اشبهها من ماله فصارت لمضر الابل والقبة الحمراء والذهب فسمى مضر الحمراء وكانوا على ذلك مع احوانهم جرهم بمكة فاصابتهم سنة فاهلكت الشاء وعامة الابل وبقيت الخيل وكان ربيعة يغزو عليها ويصل اخوته وذهب ما كان لانمار من شاء فى تلك السنين ثم عاود الناس الخصب والغيث فرجعت الابل وثابت اليها انفسها ومشت فتناسلت وكثرت وقام مضر بامر اخوته فبينما هم كذلك وقد قدم الرعاء بابلهم فتشعبوا الملا وعشوا رعاءهم فقام مضر يوصى الرعاء وفى يد انمار عظم يتعرقه قد جاء به فى ظلمة الليل وهو لا يبصر فضرب فى عنق مضر فتاوه مضر وصاح عينى عينى وشاغل به اخوته فركب انمار بعدان اكرم ابله فلحق بديار اليمن وكان فى عقبه ما ذكرنا من التنازع فهؤلاء ولد نزار الاربعة اليهم يرجع سائر ولد نزار على حسب ما قدمنا مضر الحمراء لما ذكرنا من امر القبة وكذلك تفتخر مضر فى كلامها المنثور

وابن العطار وغيرهم وقال بعضهم اجتمعت به وتفاوضت معه في ذكر الحشائش فقلت له قصب الذريرة قد ذكر في كتب الطب وذكروا انه يستعمل منه شئ كثير وهذا يدل على انه كان موجودا كثيرا واما الآن فلا يوجد ولا يخبر عنه بخبر فقال هو موجود ولكنهم لا يعلمون أين يطلبونه فقلت له واين هو فقال بالاهواز منه شئ كثير انتهى واجاز البحر بعد سنة ٥٨٠ للقاء ابن عبيد الله بسبتة فلم يتهيأ له ذلك وحج رحمه الله تعالى في رحلته الاولى ولقي كثيرا وروى عن عدد من الرجال والنساء ضمنهم التذكرة وله مختصر كتاب الكامل لاحمد بن عدي في رجال الحديث وله كتاب المعلم بزوائد البخاري على كتاب مسلم ويعرف بالنباتي لمعرفته بالنبات ومولده في نحو سنة ٥٦١ وتوفي رحمه الله تعالى باشبيلية منسلخ ربيع الثاني سنة ٦٣٧ ورثاه اناس من تلامذته والف بعضهم في التعريف به وسمع من ابن زرقون وابن الجد وابن عفير وغير واحد كأبي ذر الخشني وسمع ببغداد من جماعة وحدث بمصر أحاديث من حفظه ويقال له الحزمي بفتح الحاء نسبة الى مذهب ابن حزم لانه كان ظاهري المذهب وكان زاهدا صالحا وحكى بعضهم انه كان جالسا في دكانه باشبيلية يبيع الحشائش وينسخ فاجتاز به الامير أبو عبد الله بن هود سلطان الاندلس فسلم عليه فرد عليه السلام واشتغل بنسخه ولم يرفع اليه رأسه فبقي واقفا منتظرا أن يرفع اليه رأسه ساعة طويلة فلما لم يحفل به ساق فرسه ومضى وله كتابان حسنان في علم الحديث أحدهما يقال له الحافل في تكملة الكامل لابن عدي وهو كتاب كبير قال ابن الابار سمعت شيخنا أبا الخطاب بن واجب يثني عليه ويستحسنه والثاني اختصر فيه الكامل لابي أحمد بن عدي كما سبق في مجلدين وسمع بدمشق والموصل وغيرهما جماعة من اصحاب الحافظ أبي الوقت السجزي وابي الفتح بن البطي وأبي عبد الله الغراوي وغيرهم من الائمة وله فهرسة حافلة أفرد فيها رواته بالاندلس من روايته بالمشرق وكان متعصبا لابن حزم بعد أن تفقه في المذهب المالكي على ابن زرقون أبي الحسين وطالت صحبته له وكان بصيرا بالحديث ورجاله كثير العناية به واختصر كتاب الدارقطني في غريب حديث مالك وغيره أضبط منه وفاق أهل زمانه في معرفة النبات وقعد في دكان لبيعه قال ابن الابار وهنالك رأيته ولقيته غير مرة ولم آخذ عنه ولم أستجزه وسمع منه جل أصحابنا ومولده في شهر المحرم سنة ٥٦٧ وتوفي باشبيلية ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة ٦٣٨ وقال ابن زرقون منسلخ شهر ربيع الاول وحكى ذلك عن والده أبي العباس محمد بن أحمد انتهى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغافقي الاشبيلي الشهير بالمسيلي) رحل حاجا وقفل الى بلده وحدث عنه أبو بكر بن خير بوفاة القاضي ابن أبي حبيب وروى عن أبي محمد بن أبي السعادات المروزي الخراساني وأنه أنشده بثغر الاسكندرية عند وداعه اياه قال أنشدني أبو تراب جندل عند الوداع لبعضهم

السم من ألسن الافاعي * أعذب من قبلة الوداع
ودعتهم والدموع تجري * لما دعا للوداع داعي

* (ومنهم أبو العباس ويقال أبو جعفر أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الزاهد ويعرف

والحدة والعز وشن الغارات لما ذكرنا من أمر الفرس واياد وقد ذكرنا ما لحق عقبه وأعمار وقد بينا الخلاف في تفرع نسله وما قاله النسابون في عقبه (ولكل واحد) من هؤلاء وما أعقب أخبار كثيرة يطول ذكرها ويتسع شرحها من ذكر منازلهم وانتقالهم من الديار وتشعب أنسابها وتسلسلها في الناس على ذكرها وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا السير من مبسوطها فمنع ذلك من اعادته في هذا الكتاب (ولنذكر) الآن الغرض من هذا الباب الذي به ترجم وهو ليه نسب من سكن من حل البدو من العرب وغيرها من الامم المتوحشة كالترك والكرد والخزر والبربر ممن تقطن بالبراري وقطن الجبال والعلة الموجبة لذلك من فعلهم * تباين الناس في السبب الموجب لما وصفنا فذهب كثير من الناس الى أن الجيل الاول ممن سكن الارض سكنوا حينا من الزمان لم يبنوا بناء ولا شيدوا مدنا وكان سكناهم في شبه الاكواخ والمظال ثم ان نفرا منهم أخذوا في ابتناء المساكن

وخلف بعدهم خلف فابتنوا الابنية وثبتت فرقة منهم على سجيتها الاولى في البيوت والاظلال

بابن الاقليشي) صاحب كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم عارض
به كتاب القضاعي وأصل ابيه من اقليش وضبطها بعضهم بضم الهمزة وسكون دانية وبها ولد
ونشأ سمع أباه وابا بكر وابا العباس بن عيسى وتلمذله ورحل الى بلنسية فاخذ العربية والآداب
عن ابي محمد البطليوسي وسمع الحديث من صهره ابي الحسن طارق بن يعيش والحافظ ابي
بكر بن العربي وابي الوليد بن خيرة وابن الدباغ ولقي بالمرية ابا القاسم بن ورد وابا محمد
عبد الحق بن عطية وولي الله سيدي ابا العباس بن العريف ورحل الى المشرق سنة اثنتين
واربعين وخمسمائة وجاور بمكة سنين وسمع من ابي الفتح الكروخي جامع الترمذي برباط ام
الخليفة العباسي سنة سبع واربعين ثم كر راجعا الى الغرب فقبض في طريقه وحدث
بالاندلس والمشرق وكان عالما عاملا متصوفا شاعرا مجودا مع التقدم في الصلاح والزهد
والعزوف عن الدنيا واهلها والاقبال على العلم والعبادة وله تصانيف منها كتاب الغرر
من كلام سيد البشر وكتاب ضياء الاولياء وهو اسفار عدة وحمل الناس عنه معشراته
في الزهد وكتبها الناس وكان يضع يده على وجهه اذا قرأ القارئ ويبكي حتى يعجب الناس
من بكائه وكان الناس يدخلون عليه بيته والكتب عن يمينه وشماله وقد وصف غير واحد
امامته وعلمه وورعه وزهده وروى عنه ابو الحسن بن كوثر وابن بيش وغيرهما
ومن شعره قوله

اسير الخطايا عند بابك واقف * له عن طريق الحق قلب مخالف
قديما عصى عمدا وجهلا وغرة * ولم ينهه قلب من الله خائف
تزيد سنوه وهو يزداد ضلة * فها هو في ليل الضلالة عاكف
تطلع صبح الشيب والقلب مظلم * فما طاف منه من سنى الحق طائف
ثلاثون عاما قد تولت كأنها * حلوم تقضت او بروق خواطف
وجاء المشيب المنذر المرء أنه * اذا رحلت عنه الشبيبة تالف
فيا أحمد الخوان قد أدبر الصبا * وناداك من سن الكهولة هاتف
فهل أرق الطرف الزمان الذي مضى * وأبكاه ذنب قد تقدم سالف
فجد بالدموع الحمر حزنا وحسرة * فدمعك ينبي أن قلبك آسف

وقد وافق في أول هذه القطعة قول أبي الوليد بن الفرضي او أخذه منه نقلا وتوفي في صدوره
عن المشرق بمدينة قوص من صعيد مصر في عشر الخمسين وخمسمائة ودفن عند الجيزة التي
في المقبرة التالية لسوق العرب وقال ابن عباد انه توفي سنة خمسين أو احدى وخمسين بعدها
رحمه الله تعالى وقد نيف عن الستين * (ومنهم أبو العباس أحمد بن عمر المعافري المرسي)
وأصله من طلبيرة ويعرف بابن افرند روى عن أبي الحسين الصدفي وغيره كالقاضي
الحافظ أبي بكر بن العربي وأبي محمد الرشاطي وأبي اسحق بن حبيش وغيرهم وله رحلة حج فيها
ولقي أبا الفتح بن الرندانقاني ببلد بين سرخس ومرو من أصحاب أبي حامد الغزالي وأنشد عنه
مما قاله في وداع اخوانه بالبيت المقدس

لئن كان لي من بعد عود اليكم * قضيت لبانات الفؤاد لديكم

يتبعون الاماكن الرفهة الخصبة ويتنقلون عنها اذا أجدبت فخصت هذه الطائفة على نهج الاقدمين
(وذكرت) طائفة ان أول ذلك أن الناس لما نضب عنهم الطوفان الذي أهلك الله به الارض من زمن نوح على نبينا وعليه السلام تفرق من نجا في طلب البقاع الخصبة المتخيرة وانفرد من انفرد بانتجاع الارضين وحلول البيداء وآخرون بقاعا تخيروها كبني اقليم بابل من النبط ومن سلم من ولد حام بن نوح عليه السلام مع نمروذ بن كنعان ابن سنجاريب بن نمروذ الاول ابن كوش بن سام بن نوح وذلك حين تملك على اقليم بابل من قبل الضحاك وهو بيوراسب وكمن حل بلاد مصر من ولد حام على حسب ما ذكرنا في باب مصر وأخبارها في هذا الكتاب وكمن عمر الشأم من الكنعانيين وكمن حل بوادي البربر وهم هوارة وزنانة وضريسة ومعولة وزرهولة ونفزة وكتامة ولواتة ومراتة وزلويه ونفوسه ولمطه وصدينه ومعموره وعفاره وفاطه وورانه واسمه وبنو اسدين وارلته وهي مورمانه وبنو كلان وبنو نصران وبنو دوعس وبنو ومنهوسا وصنهاجة ومن سكن من أنواع الاجناس من الاحابش وغيرهم الغابة المعروفة بغابة المرابر يقسون وان

وان تكن الاخرى ولم تك أوبة * وحان حمامي فالسلام عليكم

وقد روى هذين البيتين أبو عمر بن عياد وابنه محمد عن ابن اثر بده هذا وكان صالحا زاهدا متصوفا رحمه الله تعالى (ومنهم أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحيى الضبي) من أهل لورقة رحل حاجا وكان منقبضا زاهدا صواما قواما واقرأ القرآن واسمع الحديث وممن حدث عنه الحافظان أبو سليمان وأبو محمد ابنا حوط الله ولقيه أبو سليمان بلورقة سنة ٥٧٥ وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٥٧٧ وقد قارب المائة * (ومنهم أبو عمر بن عات وهو أحمد بن هرون بن أحمد بن جعفر بن عات النفزي) من أهل شاطبة سمع أباه وأبا الحسن بن هذيل وأبا عبد الله بن سعادة وابن حبيش وغير واحد وطائفة كثيرة ورحل الى المشرق فادى الفريضة وسمع أبا الطاهر السلفي وأبا الطاهر بن عوف وغيرهما ممن يطول ذكره وأجاز له ابو الفرج بن الجوزي وغيره ممن أخذ عنه وسمع منه وقد ضمن ذكر أشياخه وجملة صالحة من مروياته عنهم برنامجيه اللذين سمى أحدهما بالنزهة في التعريف بشيوخ الوجهة وهو كتاب حافل جامع والآخر بريحانة النفس وراحة الانفس في ذكر شيوخ الاندلس قال ابن عبد الملك المراكشي في الصلة حدثنا عنه شيخنا أبو محمد حسن بن علي بن القطان وكان من أكابر المحدثين وجلة الحفاظ المسندين للحديث والآداب بلا مدافعة يسرد الاسانيد والمتون ظاهرا فلا يخل بحفظ شيء منها متوسط الطبقة في حفظ فروع الفقه ومعرفة المسائل اذ لم يعن بذلك عنايته بغيره فكان اهل شاطبة يفاخرون بابي عمر بن عبد البر وابن عات وكان على سنن السلف الصالح في الانقباض ونزارة الكلام ومتانة الدين واكل الخشن ولزوم التقشف والتقلل من الدنيا والزهد فيها والمثابرة على كثير من افعال البر كالاذان والامامة وبذل المعروف والتوسع بالصدقات على الضعفاء والمساكين وحكي انه حضر في جماعة من طلبة العلم لسماع السير على بعض شيوخهم فغاب الكتاب او القارئ بكتابه فقال ابو عمر انا اقرأ لكم فسرد لهم من حفظه وقال ابو عمر عامر بن نذير لازمته مدة ستة اشهر فلم ار احفظ منه وحضرت اسماع الموطأ وصحيح البخاري منه فكان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشر اوراق عرضا بلفظه كل يوم عقب صلاة الصبح لا يتوقف في شيء من ذلك انتهى وقال بعض المؤرخين انه كان آخر الحفاظ للحديث يسرد المتون والاسانيد ظاهرا لا يخل بحفظ شيء منها موصوفا بالدراية والرواية غالبا عليه الورع والزهد على منهاج السلف يلبس الخشن ويأكل الحشف وربما اذن في المساجد وله تآليف دالة على سعة حفظه مع حظ من النظم والنثر وشهد وقعة العقاب التي افضت الى خراب الاندلس بالدائرة على المسلمين فيها وكانت السبب الاقوى في تحيف الروم بلادها حتى استولت عليها ففقد حينئذ ولم يوجد حيا ولا ميتا وذلك يوم الاثنين منتصف صفر سنة تسع وستمائة ومولده سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة قال ابن الابار وهو ممن أجاز له المذكور فيما رواه أو ألفه رحمه الله تعالى * (ومنهم أبو العباس أحمد بن تميم بن هشام بن أحمد بن جنون البهراني) من ساكني اشبيلية وأصله من لبلة روى عن أبيه وابن الجد وابن زرقون وابن جهور وغيرهم من أعلام الاندلس ثم رحل الى المشرق فسمع ببغداد من أبي حفص عمر بن طبرزد وبخراسان من المؤيد الطوسي وبهراة من أبي روح عبد المعز

ورعويين والعروبة وسنسون ومنهم من سكن غير الغابة واتسع في هذه البلاد من المغرب (وقد ذكرنا) ان أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشام وأن ملكهم كان جالوت وهذا الاسم سمة لسائر ملوكهم الى أن قتل دواد عليه الصلاة والسلام ملكهم جالوت فلم يتملك عليهم بعده ملك وأنهم انتهوا الى ديار المغرب الى موضع يعرف بلوبيه فانتشروا هنالك فنزل منهم زناتة ومغيلة وضريسة الجبال من تلك الديار وبطن الاودية ونزلوا أرض برقة ونزلت هوارة بلاد اياس وهي بلاد طرابلس المغرب الى الثلاث المدن وقد كانت هذه الديار للافرنجة والروم فانجلوا عن البربر حين أوطنوا أرضهم الى جزائر البحر الرومي فسكن الاكثر منهم جزيرة صقلية وتفرقت البربر ببلاد افريقية واقاصي ديار المغرب في نحو من مسافة ألفي ميل من بلاد القيروان وتراجعت الروم والافرنجة الى مدنهم وذلك على موادعة وصلح من البربر واختارت البربر سكنى الجبال والاودية والرمال والدهاس واطراف البراري والقفار (ومن بحر أفريقية) وصقلية يخرج المرجان وهو المتصل ببحر الظلمات المعروف ببحر اقيانس وغير

وعمرو من عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعانى ومن جماعة غير هؤلاء وسمع أيضا بدمشق من ابى الفضل الخرستانى وسواه وبها توفى قبل العشرين وستمائة فيما نقل ابن الابار عن ابن نقطة وقال غيره انه مات سنة خمس وعشرين وستمائة ※(ومنهم أبو جعفر أحمد بن ابراهيم ابن محمد بن أحمد المخزومى) من أهل قرطبة ويعرف أبوه بكوزان روى عن أبيه وغيره من مشيخة بلده ورحل حاجا فلقى بالاسكندرية أبا الحسن بن المقدسى وسمع منه وأنشد من لفظه بعض أصحاب الآثار قال أنشدنى شرف الدين أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال انشدتنى نقية بنت غيث بن على الارمنازى لنفسها

لاخير فى الخمر على انها ※ مذكورة فى صفة الجنه

لانها ان خامرت عاقلا ※ خامره فى عقله جنه

يخاف أن تقذفه من علا ※ فلا تنى مهجته جنه

※(ومنهم أبو جعفر احمد بن محمد بن احمد بن عياش الكنانى المرسى) سمع من ابن بشكوال موطأ مالك رواية يحيى بن يحيى والقعنبى وابن بكير بقراءة محمد بن حوط الله ورحل الى المشرق سنة تسع وسبعين وخمسمائة فحج سنة ثمانين بعدها وأقام بالحجاز والشام مدة ولقى أبا الطاهر الخشوعى بدمشق فسمع منه مقامات الحريرى وأخذها الناس عنه ومما أفاد ان زاد فى قول الحريرى ※ اذا ما حويت جنى نخلة ※ الابيات قوله

ولا تأسفن على خارج ※ اذا ما اخترت سنى الداخل

ولا تكثر الصمت فى معشر ※ وان زدت عيا على باقل

وسمع من أبى القاسم بن عساكر الدمشقى ومن ابى حفص الميانشى جامع الترمذى وقفل الى الاندلس فى سنة سبع وتسعين وحدث بيسير وكان يحسن عبارة الرؤيا وكف بصره سنة ثمان وعشرين وستمائة أونحوها وتوفى على اثر ذلك ومولده سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى ※(ومنهم أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن حصن بن أحمد بن حزم الغافقى) ويقال فيه ابراهيم بن حصن بن عبد الله بن حصن اندلسى سكن دمشق وولى الحسبة بها ويكنى أبا اسحق سمع ببغداد من ابى بكر بن مالك القطيعى وطبقته وبدمشق من عبد الوهاب الكلابى ويوسف بن القاسم الميانجى وبمصر من أبى طاهر الذهلى وأبى أحمد العطريفى وله أيضا سماع باطرابلس والدينور وغيرهما من البلدان وحدث بيسير وروى عنه أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الوهاب بن عبد الله الجبانى من شيوخ عبد العزيز بن أحمد الكتانى وكان مالكيا وقيل انه يذهب الى الاعتزال وكان صار ما فى الحسبة وولبها سنة خمس وتسعين وثلثمائة فى أيام الحاكم العبيدى وتوفى بدمشق فى ذى الحجة سنة أربع وأربعمائة قيل ثانى عيد الاضحى وقيل غير ذلك ذكره ابن عساكر رحمه الله تعالى قلت ما سمعت بمالكى معتزلى غير هذا والله كان مالكيا بالمغرب فلما دخل فى خدمة الشيعة حصل منه ما حصل من نسبته لمذهب الاعتزال فالله تعالى أعلم ※(ومنهم أبو أمية ابراهيم بن منبه بن عمر بن أحمد الغافقى) من أهل المرية ونزل مرسية سمع ببلده من ابن شفيع وأخذ عنه القرا آت ومن الحافظ ابن سكرة وابن رغيبة وعبد القادر بن الحناط وبقرطبة من ابن عتاب

بقاءها على الايام اشبه بالعز والبق بذى الانفة وقالوا الا ان نكون محكمين فى الارض نسكن حيث نشاء اصلح من غير ذلك فاختاروا سكنى البدو من اجل ذلك (وذكر آخرون) ان القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الاخطار ونبل الهمم والاقدار وشدة الانفة والحمية من العرة والهرب من العار بدأت التفكر فى المنازل والتقدير للاوطان فتاملوا شان المدن والابنية فوجدوا فيها معرة ونقصا وقال ذو المعرفة والتمييز ان الارضين تمرض كما تمرض الاجسام وتلحقها الآفات والواجب تخير المواضع بحسب احوالها من الصلاح اذ الهواء بما يقوى واضر باجسام سكانه واحال امزجة ابدانه وقال ذو الآراء منهم ان الابنية والتحويط حصر عن التصرف فى الارض ومقطعة عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما فى الغرائز من المسابقة الى الشرف ولا خير فى اللبث على هذه الحالة وزعموا ايضا ان الابنية والاظلال تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء وتسد سروحه عن المرور وتذاءعن السلوك فسكنوا البر الافيح الذى لا يخافون فيه من حصر ومنازلة

وابن طريف وأبي بحر الاسدي وأبي مغيث وغيرهم ورحل حاجا فسمع بمكة من أبي علي بن العرجاء أحاديث جعفر بن نسطور وغيرها في شعبان سنة ست وعشرين وسمع أيضا من أبي الفتح سلطان بن ابراهيم المقدسي وقفل الى بلده واستقر بعد الحادثة عليه الى مرسية وولي القضاء والخطبة هنالك وحدث وأخذ عنه وكان فقيها مشاورا وقيل ان ابن حبيش سمع سنه الاحاديث النسطورية وأسمع صحيح البخاري آخر الحجة سنة خمس وخمسين وخمسمائه وكان يحدث به عن سلطان بن ابراهيم عن كريمة المروزية وحكي رحمه الله تعالى عن أبي ذر الهروي أنه قال عندموته عليكم بكريمة فانها تحمل كتاب البخاري من طريق أبي الهيثم رحم الله تعالى الجميع ※ (ومنهم أبو القاسم بن فورتش وهو اسمعيل بن يحيي بن عبد الرحمن السرقسطي) وأخوه [illegible] يحيي وكانا جميعا زاهدين لهما رحلة سمعا فيها من ابي ذر الهروي بمكة وعادا [illegible] محمد منهما القضاء وقد لقيهما القاضي الحافظ أبو علي بن سكرة ولم يسمع منهم [illegible] عن أبي عمر الطلمنكي وأبي الحزم بن درهم وتوفي أبو القاسم في نحو الخمسمائة ※ (ومنهم أبو الطاهر اسمعيل بن أحمد بن عمر القرشي العلري الاشبيلي) رحل حاجا ودخل العراق والموصل و [illegible] الكثير ورواه وسمع من أبي حفص الميانشي بمكة [illegible] الحسن علي بن هابيل الانصاري عن ابي الوليد الباجي [illegible] كان يخلط ولا يضبط وكذلك قال أبو الصبر كان ان في [illegible] حدثه ينقص منه رجل واحد فاسترتبت في الرواية عنه [illegible] رلان ابن هابيل وغيره من شيوخه مجهولون وأبو الصبر عمر روى عن المد [illegible] وهو أبو الصبر السبتي والله تعالى أعلم بحقيقة حال الرجل ※ (ومنهم أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن خليل التغري الحميري التاكرني) قال في تاريخ ار بل كان شابا متادبا فاضلا قدم مصر وله شعر حسن وقال الحافظ عبد العظيم المنذري انشدنا المذكور لنفسه

※ أو ما يقر بك الزمان قرار

※ ولكل عهد ساالف تذكار

لم ترع في البيد الا الشمس والقمرا

فهي الغداة كزنجي اذا كفرا

هي من قطر قرطبة وتوفي بأرزن من ديار بكر

ن بديع شعره

※ أبدى لعينيك أزهارا وأشجارا

وان [illegible] ※ بث السبرية آجالا واعمارا

وتاكرنا بضم الكاف والراء وتخفيفها وشد النون وورد المذكور اربل سنة سبع وعشرين وستمائة وله ابيات اجازفيها ابيات شرف الدين عمر بن الفارض في غلام اسمه بركات قال الاسدي الدمشقي ومن خطه نقلت كنت حاضرا هذه الواقعة بالقاهرة بالجامع الازهر اذ قال

في هذه المواطن وعناء القرائح في التعقل [illegible] المساكن مع صحة الامزجة وقوة الفطنة وصفاء الالوان وصيانة الاجسام فان العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء وطبع الهواء الفضاء [illegible] هذا الامن من العاهات والاسقام والملل والآلام فأكثر [illegible] من سكن البوادي والحلول في البيداء فهم اقوى الناس هيما واشدهم احلاما واصحهم اجساما واعزهم جارا واحماهم [illegible] ذمارا وافضلهم جوارا واجودهم خطا [illegible] كسبهم [illegible] الجو ونقاء الهواء لان الابدان تحتوي اجزاؤها على [illegible] من الاكدار وعناء الاقذار عارية عن الهوي الملاطم في عرصاته وآفته من جميع المستقبلات والمستنقعات من المياه في [illegible] عما [illegible] اليه ولذلك ترا [illegible] الاقذاء والادواء والعاهات في أهل المدن وتركبت في أجسا [illegible] أشعا [illegible] ماعد المعتبرة تغيره

الموطن (قال المسعودي) ولذلك جانبوا فظاظة الاكراد وسكان الجبال من الاجيال الجافية وغيره

ابن الفارض
بركاتك يحكي البدر عند تمامه * حاشاه بل شمس الضحى تحكيه
فقال أبو الروح وانشدني ذلك
هذا الكمال فقل لمن قد عابه * حسداوآية كل شئ فيه
لم يدن واحد زهر تيه وانما * كملت بذاك ملاحة التشبيه
وكأنه رام يغلق جفنه * ليصيب بالسهم الذي يرميه
وقال ابن المستوفي في تاريخ اربل انشدني ابو الروح
اوصيت قلبي ان يفرعن الصبا * ظنا بأني قد دعوت سميعا
فاجابني لاتخش مني بعدما * افلت مز [illegible] رتوعا
حتى اذا نادى الحبيب رايته * آوى الـ [illegible] يعا
كذبالة اخمدتها فاذا دنا * منها القبر [illegible] ريعا
قال وانشدني
وزائر زارني والليل معتكر * والطيب [illegible] شهره
أمسكت قلبي عنه وهو مطرب * والشو [illegible]
فبت اصدى الى من لا يحللني * واور [illegible]
تراه عيني وكفي لا تلامسه * حتى [illegible] طره
قال وانشدني قال انشدني الامام ابو عمرو بن غياث الشر يشي لنفسه رحمه الله تعالى
صبوت وهل عار على الحب ان صبا * وقد ثغر الار بعين الى الصبا
وقالوا مشيب قلت واعجبا لكم * أينكر صبح قد تخلل غيهبا
وليس مشيبا ماترون وانما * كميت الصبا الماجرى عاد اشهبا
وتوفي أبو عمرو سنة ٦٢٠ عن تسعين سنة قال ابن المستوفي وأنشدني المذكور قال انشدني أبو عمرو أيضا لنفسه
أودع فؤادي حسرة أودع * نفسك تؤذي أ [illegible]
أ [illegible] باللحظ أوفارمها * أنت بما ترمي [illegible]
[illegible] ربعها القلب وأنت الذي * مسكنه في ذ [illegible]
قال و [illegible] ى قال انشدني مطرف الغرناطي
أناصب كما تشاء وتهوى * شاء [illegible]
سنة سنها قديما جميل * وأني [illegible]
قال وأنشدني أيضا المطرف
وفي فروع الايك ورق اذا * بل الندى أعطافها تسجع
أوهزها نفح نسيم الصبا * شاقك منها غرد شرع
كأنما ر يطتها منبر * وهي خطيب فوقه مصقع
ان شبها في طرف لوعة * جرى لها في طرف مدمع

ني انخفاضها وارتفاعها
لعدم استقامة الاعتدال
ن أرضها فلذلك أخلاق
نها على ماهي عليه من
انحاظ (وذكر) الهيثم بن
دي والشرقي القطامي
غيرهما من الاخبار يين
وفد على كسرى
شروان بعض خطباء
رب فسأله كسرى عن
ن العرب وسكناها
ختيار البدو فقال
الملك ملكوا الارض
علم [illegible] موا منوا من
تحصن بالاسوار
عتمدوا على المرهفات
ائرة والرماح الشارعة
ساوحم [illegible] من ملك
قطعة من الارض فكأنها
اله يردون منها خيارها
تصدون الطافها فقال
ن حظوظهم من الفلك
بس تحت الفرقدين
أس الجرة وسعد الجدى
رفين على الارض بحسب
ث فال فخار ياحها قال
كثرها انكماءبالليل
[illegible]

ماجاء من وراء الكعبة فهي دبور وماجاء من قبل ذلك فهي صبا قال فما أكثر [illegible] اخذه

أخذه من قول عبد الوهاب بن علي الملقب بالخطيب

كان فؤادي وطرفي معا ٭ هما طرفا غصن أخضر
اذا اشتعل النار في جانب ٭ جرى الماء في الجانب الآخر

تم طبع الجزء الأول بعون من عليه الاعتماد والمعول من
كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

(ويليه الجزء الثاني أوله ومن اشهر من رحل من الاندلس الى المشرق
الامام الحافظ اللغوي ابو الحسن ...)

غذائهم قال اللحم واللبن
والبيض والتمر قال فما
...